

ما نراه وما يرون



ابعد الشقة واوسع الهوة بين ما نراه وما يرون ، اما نحن فنرى انفسنا في صورة قشبية زاهية ، نرى انفسنا وقد حملنا مشعل الحضارة مئات السنين كنا خلالها ارقى الشعوب علما واكثرها ثروة واحبها للادب والفنون . اما عامة الاوروبيين فلا يرون فينا الا اعرابا يسكنون الخيم ويرعون الماعز تطفلوا على الحضارة فترة من الزمن ثم تركوها دون ان يضيفوا الى صلبها شيئا مذكورا .



هل نحن يا ترى نبالغ في تقدير تراثنا العلمي ، هل نراه من وراء عدسة مكبرة فيبدو لنا عملاقا وهو قزم ، ام انهم هم الذين يقللون من شأنه لانهم لا يريدون لاحد سواهم ان يكون له حق الفخر في شيء يحق فيه الفخر هذه هوة خطيرة يجب جسرهما فهي تمنع التفاهم الصحيح بين الجانبين وان لم تمنعه جعلته على الاقل صعبا مؤلما . وجسرهما هي الحقيقة ، الحقيقة المارية اذ يجب ان تكون لدينا الرغبة في تقصيصها ثم مجابتهها باية صورة تكون .

لا شك ان قدرا من المبالغة قد تسرب الى حكمنا على انفسنا فقد مر العرب في فترة كانت تحكمهم فيها عيوب كثيرة ولهذا وجدت في تفنيها بالماضي وسيلة تحافظ فيه على كبريائها واحترامها لنفسها فلا غرابة ان نعظم ونضخم الكثير مما حقق السلف وننسى او نتناسى ذكر ما لا يشرفنا ذكره . وقد حققت هذه غايتنا احسن تحقيق فنجد العرب اليوم رغم كل ما مر عليه من هوان قد برز دون ان تتقوض شخصيته القومية ودون ان تتداعى معنوياته العامة . لهذا ان لنا الان ان نترك جانبنا نظرتنا العاطفية لتاريخنا وعلينا ان ننظر اليه نظرة موضوعية بحتة نأخذ فيها بعين الاعتبار ما لنا وما علينا وندرس باحترام مماثل ما يشرف منه وما يشين . لعلنا بذلك نزيد الاهتمام باحياء التراث العربي احياء علميا صحيحا ومن يدري قلعلنا في نظرتنا الموضوعية له نكتشف ان لنا تراثا انبل واعظم وهو فسي حقيقته المكتملة مما بدا لنا سابقا وهو منتفخ انتفاخا مصطنعا تحسنت نظرتنا العاطفية له .

فؤاد جبور حداد
من « العروة الوثقى »

لندن

تبعة العلماء في مسرحية حديثة

بقلم فؤاد صروف

ليس من طبعي ولا في طائفي ان زعم لنفسي حق الحكم على المسرح الحديث كنفاده المرسين ، على شدة اعجابي باهله بين مولفين ومخرجين وممثلين ، وعلى وفرة مساهمته من متعة وفائدة في شهود اياته البارعه . ومع ذلك فقد ابحث لنفسي هنا ، ان اتحدث في موضوع مسرحية جديدة ، شهدت ليلتها الاولى في لندن في الترجمة الانكليزية منذ زمن قصير ، نظرا وحسب الى فحوى موضوعها الذي يدور حول قضية فكرية اجتماعية عسى ان تكون من اخطر القضايا التي تشغل بال الانسانيه اليوم .

موضوع المسرحية « الفيزيائيون » او « علماء الفيزياء » وهي من تأليف المسرحي السويسري الجرمانى فريدريخ دورنات . وقد ادار المؤلف احداثهما في مسرحه عظيم او مستشفى للمجانين فاخر الحجر وليس الاثر بومه على الاكثر رجال ونساء من ذوي الثراء ، ارفعهم العمل او العلم او النفاق او عناء المشكلات الزوجية والعائلية فاصبوا باضطرابات عقلية او عصبية . وتدير هذه المسرحية طبيباً نفسياً عجفاء ، ملتوية العنق ، ورتنه من ابهها . والى هذه المسرحية وفد ثلاثة من علماء الفيزياء النووية ، تبدو عليهم جميعا سيماة البلاءه والخبل ، قتل احدهم المرضة التي تعنى به قبل زمن الرواية ، لانها أصبحت تعرف عنه اكثر مما يجب ان تعرف ، وجاراه الثاني قبيل استهلال حوادثها فترى المرضة القتل منظرحة على المسرح عند بدء التمثيل . واما ثالثهم فقد خفق ممرضته في خلالها وبمشهد من النظارة لانها احبته وارادت ان تمهد له سبيل الخلاص ، وهو باى ذلك . وقد كسان احدهم يمثل في مظهره وقوله واسرائته اسحق نيوتن كاشف قوانين الجاذبية ، وثانيهم البرث اينشتاين كاشف قوانين النسبية وسر تحول الكتلة المادية الى طاقة . واما ثالثهم فمغري معاصر يدعى مويوس . وقد قيل انه كشف اعماق اسرار الكون والة التدمير العام .

ولا تكاد المشاهد الاولى تتوالى على المسرح ، حتى يسقط القناع ، فيستبين المشاهد ان نيوتن واينشتاين يستتران وراء مظاهر العلمين العظيمين ، ويصطفئان الخيل ، واكتهم في الواقع عميلا دولتين كيبيرتين متنافستين ، وقد اما المسرحية تحت ستار هذا التنكر ،

ليسمى كل منهما لخطف العالم الثالث مويوس ، حتى تنتفع الدولة التي يمثلها العميل ، بكشوف مويوس العلمية ، وتظفر بأسباب القوة العليا عن طريقها . وقد كان شعار كل منهما بالقياس الى مويوس : « انت عبقرى واذن فانت ملك عام » .

واما مويوس صاحب هذه الكشوف العبقريه فقد لجأ الى المصحة ، وتصنع مناجاة الحكيم سليمان ، لانه ادرك اصدق الادراك ان العالم لا يسعه ، اذا نشرت بحوثه وكشوفه ، الا ان يتخذها مغية للهلاك والدمار ، فائر ان يقع في مصحة عقلية ، متصنعا الجنون ، ليقيته ان المصحة العقلية في هذا العالم المخبول هي المكان الامين الوحيد الذي يجد فيه السلامة والحرية .

في احد مشاهد المسرحية يدور نقاش محتدم بين الثلاثة حول تبعة العالم حيال المجتمع فيعلم مويوس في خلاله انه دمر الاوراق التي سجل عليها كشوفه . فيذهل العميلان المتنافسان عليه . واذا مديرة المستشفى تقاضهم بانها صورت هذه الاوراق قبل تدميرها لكي تبجح لجماعه حربية عالية ، كرت هي الاخرى عميلة لها ، ولكنها لا تكاد تعلم ما فعلت حتى تصاب بالجنون الحقيقي فيقول العلماء الثلاثة ان مصير العالم قد غدا في يدي طبيباً نفسياً مجنونة . فيؤثر كل منهم مختاراً او مقسوراً برغبة ما يرى ، ان يحتم مقده ، في عالم التنويه الذي عاش فيه والله . فيرجع الى حجرته المبلطة باللباد المعده لسكنى المجانين المحتزين .

ان الذي يدور في هذه المسرحية العقلية في نطاق مسرحية تتخادى فيها عناصر المهابة والماساة والحكمه والجنون ، هو رمز للعالم الحديث الذي لم يزل منذ عشرين عاما او اكثر قليلا ، يوم ولدت انطافه الدريه، وصنعت القنبلة في اثرها ، وكانه يعيش في كبوس حتى لقد ازدادت التشوك الانسانيه ، في قيمه العمل ، واعمت عقول مفكرها وعلمائها وفلاسفتها في استقصاء انفراد بين العقل والجنون ، وفي تدارس التبعة الواقعة على كواهل العلماء حيال المجتمع .

ففرق من اهل الفكر والعلم يقول ويذيع ، كما يقول احد الفيزيائيين في المسرحية ، ان مهمة العالم الاولى والوحيدة ، هي كشف الحقيقة . يسال ويذذ في « لسزل » ويبحث ويبحث في البحث ، ويتكرر المادلات الرياضية العالية ، ويبدع التجارب العلمية المحكمة ، استكشافا للخفي من اسرار الكون وما اكثرها ، وسعيا الى اماطة اللثام عن المجهول . هذا هوهم الاول والاخير وليس يدخل في نطاق غنايته او تبعة او واجبه ما يصنعه الناس بتتائج ما يكشف . فالعالم الناتج من بحوثه يصلح للبنيان كما يصلح للتدمير ، والشفاء كما يصلح للقتل والهلاك ، وهو يرجو ان يكون البنيان والشفاء اغلب

الرحلة الثامنة

كل الحكايات عن الجذب
عن عالم يحيا بلا قلب
عن مذنب يبحث في التوبة عن ذنب

*

اتركه للتيار
يحمل للأغوار ما يحمل في يديه
في عينيه من أغوار
يحمل للبحار
مرارة الضياع في البحار
مرارة الصبار
فاطفئ له الأنوار
اطفئ لنا الأنوار
اطفئ قلن تقلق ...
يا حارس المنار

بلند الحيدري

اطفئ مصابيحك ولنفرق
يا حارس المنار
فالحلم في متاهك الأزرق
قد اتعب البحار
فود لو تنتهي
حكاية البحار
حكاية الطواف في البحار
حكاية اللؤلؤ والمرجان والمحار
وود لو يفرق

*

فاطفئ له الأنوار
اطفئ لنا الأنوار
اطفئ ولا تقلق ...
واتركه للتيار
يحمل للأغوار ما في الحلم من أغوار
يحمل للؤلؤ والمرجان والمحار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

ومنح لهم عن موالاة البحث والكشف ، وأن السبيل الوحيد أنما هو أن يمسك العالم عن إباحة علمه ونشره كما حاول موبوس أن يفعل . ولكن الاعتراض على هذا القول لا يلبث أن يستبين في قولين يجيشان في المرحية : أولهما أن الإغفاء إذا أمكن ، تجميد للتقدم العلمي ، وثانيهما مضمّن في عبارة بسيطة حاكمة بالمعنى مؤداها : « ما يعلم أن يمكن أن يطمس » .

وعلى أن المرحية لا تتعدى إفراغ هذه المشكلة الضخمة في هذا القالب المميز المثير فأنها ولا ريب تشترك مع كثير من المؤلفات والكتابات الحديثة في الدعوة المباشرة وغير المباشرة إلى طلب الحكمة في علاجها وتعبئة الرأي العام حتى يستطيع العلماء أن يفضوا أحراراً في البحث والكشف ، وبمضي في قدرته على الانتفاع بنتائج بحوثهم دون أن يصيبه الخبل أو يدركه الهلاك .

فؤاد صروف

وأعم - فذلك رهن بإخلاق المجتمع وحكامه . أما ما يصنعون فعلاً فليس شأنه .
هذا رأي فريق .

وفريق آخر يقول كما يقول العالم الثاني في المرحية، أنه ينبغي للعالم أن يدرك العواقب الاجتماعية لكشفه، وأن يتحصل تبعه ما قد تستعمل له . واذن فالواجب يقتضيه أن يلجأ إلى العمل السياسي وأن يسعى إلى بلوغ مقاعد الحكام حتى يستطيع عن طريق السلطان السياسي أن يكفل لنتائج بحوثه وجوها من الاستعمال الخير والتطبيق النافع .

وفريق ثالث لا يتنق بهذا أو ذاك فيقول كما يشيّر موبوس في حديثه ، إلى أن إهمال العالم الاهتمام بعواقب علمه إنكار لأهم قواعد الأخلاق ، وفرار من مواجهة التبعة، وأن خوض العلماء معترك العمل السياسي مقضي عليه بالخيبة لجهلهم أساليب هذا المعترك وطرقه

مولد النور

الى قتي الفارة في ذكرى ميلاده ال ١٩٦٤

في الارض يهزأ منه بسم الزهر
على الفسالة مسفوحا على البئر
مقاورا ملئت بالخوف والحذر
لس الجراح ، ولا مدت الى العير
آياته فهو ملء السمع والبصر
متى استهل ، وكسم امضى من العمر؟
وكيف شق ظلام الفار عن قمر!
فيل ابن مريم لم تكتب سوى الهذر
وللآل مل ما خطبت على الحجر
من كبرياء ذوي التيجان والصمر
وفرتهم لهم في معلق البقر

قد كان قبلك طيفا ناله النظر
بسم في الارض مهود الضياء بها
برى النفوس فيخشى ان يداخلها
لم تشف انمله الاعمي ، ولا عرفت
سما به الله في توبيك ظاهرة
النور لا تسألن ام الشموس به
واسأل به مريما اني به حملت
دع التواريخ لا تحفل بما كتبت
للنار ما سطرت في الرق انملها
بك السماء قد اقتضت ودانتها
زاد الخلود حمته عن موالدهم

والافسق ينذر بالارزاء والفير
الى المساور غير الارض والحفر
اين الوفاء لهم من عاصف القمدر؟
في زحمة الهول نرو اعين البشر
من السعيرين في الدنيا وفي سقر
ولا تضيق عن الاخرى على صقر

قتي الفارة قد غسل السبيل بنا
والخاق مذ كان ، كان الخوف بلجنهم
هب اتفوا وايل النيران في نفق
اليك يا موئل الدنيا ومتقلها
وفي مفارئك الصقري مسلالهم
مقارة تسع الدنيا باجمعها

في التماس آل بهم الا لشجبر
متى ندين له في الخلق والسير؟
فليس في حمله فخر لفتخر
سوى ملجون بها الاعمال من فقر
هوى المصير بنا من فوق منحدر
بروحك الحب دب السوس في الثمر
من شوكتها وتهادت بالجنى العطر
حتى تعود السى يتنوعك النمر
واين دمعك منه ادمع المطر؟

معلم الحب ، هل للحب مجتمع
دنيا لسلطانه في الدل والحدود
بهديك العلم ان لم يتم خلقها
وما المدارس ، الاحسين لذكاه
والدرب ان لم تكن انت الدليل بها
وكيل غرسة حقل لا يلفحها
والحب لو لس الاجام لاتنفست
بقي البرية في جذب وفي ظمأ
فاين من كاسك الكاس التي شربت

كفشة الشمس فوق المورد العكر
فليس ينقى بها من طينه القدر
بمقتنيك بسذي رجس ولا زهر
الا لتقت منه عاطر الزهر

كم غصيبة لك لا تخفي مراحمها
ان لم تحبل نورها نارا يخبره
يسا واحد الظهر ، ليس الرجس ترمقه
كنظرة الشمس ما صبت على حما

بك التمتعت وان قصرت في الاتر
لما وقفت على آياتك القدر
اذا خلا من جمال الروح والمفكر
وليس لي منه غير اللحن والصود
يسمو بها ، عين تراب الارض لم يطر
من دفقة الكس او من خفقة الوتر
ولا اقيمك في روعي وفي بعري؟
ومن دماء ، فهل رضاه من حجر!!

يا شاعر الملا الاعلى الم ترني
صدقت عن شعراء الارض كلهم
ما قيمة الشعر والافاظ اوعية،
شعري لك الروح فيه حين انظمه
والفن ان لم نره الروح اجنحه
واضيق الشعر ما استوحاه فائقه
مالي اقيمك في بيت اطوف به
خلعت هيكلك البني من نصب

فارس سعد

الشاعر خليل مردم بك

بقلم احمد الجندي

للشاعر المرحوم خليل مردم بك مكانة خاصة بين شعرائنا الذين عرفناهم في مطلع هذا القرن - العشرين - وهذه المكانة الخاصة قد افرده بين قرنائته وميزته من صفاته ولو وفق الى اهدافه الشعرية ومقاصده في التجديد والتطور لكان لنا من ديوانه الذي بين ايدينا ديوان آخر فيه كل جديد وحديث ، وفيه الوان مختصرة تدل دلالة واضحة على ان شعرا قابل للتطور والاتساق مع الزمن في قلبه وحداثته . و خليل مردم عبقري فذة يحمل فطرة ادبية كبيرة ويضم بين جنبه موهبة شعرية نادرة ، ولكن الزمن الذي عاش فيه كان زمنا شديدا على الادباء شيئا على الشعراء ، لما كان فيه من قيود احكمها التعصب ، ومكنها الجهل فكان من الصعوبة بمكان ان يستطيع الاديب او الشاعر التخلص منها ليصل الى الحرية ، الى الجو الذي يمكن للشاعر ان يعيش فيه آمنا مطمئنا فينظم على هواه ويكتب على سجيته .

واعتقد ان أسرة (مردم) لم تكن وسطا ملائما لظهور الشعر والشعراء ، فهي أسرة عربية في ثروتها وحاجياتها اتجهت منذ وجودها الى التجارة والزراعة وابتناء الدور والمسكن وكان والد الشاعر احمد مختار مردم من اغنياء اغنياء العائلة ، كما كان من اغنياء دمشق المعدودين .

اما أسرة والده الشاعر فهي أسرة حمزة او - النقيب - وهي أسرة علم وادب ، نبغ فيها علماء جهادة اعلام ، ولعل جد الشاعر الشيخ محمود حمزة من ابرز اولئك العلماء محلا وكفاءة ، ومن شعراء هذه العائلة البارزين الشاعر الموهوب السيد عبد الرحمن بن النقيب (١) ، ووالده محمد .

ونحن لا نؤمن بقضية الوراثة الادبية كسبب مباشر للشاعرية ، بل نؤمن بالوسط الذي يعيش فيه الشاعر وان القفلة او الموهبة الطبيعية يوجدتها الخالق في الانسان دون النظر الى اهله وعشيرته ، ومن ظاهر القول ان ولد الشاعر لا يكون شاعرا بالضرورة ، وعلى هذا القياس نستطيع القول بان موهبة توجد في شخص ما دون النظر الى ابيه او جده او خاله او عمه ، وهي عطية الخالق يهبها من يشاء .

ولكن العائلة ، بالنسبة للشاعر تشكل وسطا ، وهذا الوسط هو الذي يخلق الجو الملائم لنمو البذرة - الموهبة

- وعلى عكس ذلك فان الوسط غير الملائم قد يؤخر - تكشف العبقريّة الفنية ان لم يعمل على قتلها في مهدها كما وقع لكثير من الشعراء المغمورين .

واذا اعتبرنا العائلة وسطا يعيش فيه الشاعر وجبوا يتنفس فيه هواء الحياة ، فان أسرة آل مردم كانت بالنسبة لشاعرنا - خليل مردم بك - وسطا مرفها اوحى للشاعر بالكثير من الامور التي توجها الثروة والجاه والى هذا الوسط يمكن ان نمزو الترف البادي بشعر الشاعر والاناقة التي تلوح على الفاظه وكلماته . كما كانت عائلة آل حمزة وسطا فنيا وعلميا نلمح اثاره البارزة في ديوان الشاعر وفي قصائده التي سار فيها على غرار القدماء من حيث الديباجة والاسلوب الرصين .

ولعل تلاقي هذين الوسيطين في حياة الشاعر خليل مردم ، وسط الرفه والفني ، ووسط العلم والفن ، لعل هذا التلاقي هو الذي كون فكرة التجديد والتطور عند شاعرنا ، بل لعل هذه الفكرة بالذات هي التي دفعت بالشاعر الى السفر لدار الغرب ، ليعيش في انكلترا حقبة من الزمن ينهل فيها من مناهل الادب الغربي ، ويطلع على ما خطه الشعراء الرومانتيك من شعر فخم اخاذ بدت اثاره في شعر شاعرنا بدوا لا يمكن اهماله او نسيانه .

ولقد ولد شاعرنا الكبير (٢) - فتحمده الله برحمته - في عام ١٨٩٥ للميلاد ، وفي مدينة دمشق وتعلم في مدارسها حتى انجز الرحلة الاعدادية والتفت الى ملكته الخاصة فتوفر على تلقي دروس اللغة العربية على اساتذة اجلاء ، كما اخذ الفقه عن الشيخ عطاء الله الكسم ، والحديث عن الشيخ بدر الدين الحسني وهما حجتان في ذلك .

وعرفته الاوساط الادبية على ضيقها يومئذ ، شاعرا موقعا ، وكاتبنا نابها ، فلما كانت الحكومة الفيصلية العربية عين ميمزا لديوان الرسائل العامة ، ومدرسا للانشاء في مدرسة الكتاب والنشئين التي افتتحتها الحكومة لتعليم موظفيها دروس اللغة العربية ، ثم تقلب بعد ذلك في وظائف علمية حتى صرف من عمل الحكومة في عام ١٩٣١ فتوفر على خدمة الادب مجددا واسس هو ورفقاء له جمعية ادبية ، هي جمعية الرابطة الادبية ، ومن ابرز اديبائها شاعرنا ، والطران ايفيانوس ، شفيق جبيري ، سليم الجندي ، حليم دموس وغيرهم كثيرون ممن برزوا في الكتابة والشعر هاتيك الايام ، وكان رئيسا لها ، واخذ ينشر القصائد في الوطنية والفزل فانتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق .

عندما بلغ الشاعر هذه المرحلة خطرت على باله اشياء هامة تتعلق بملكته الشعرية وفطرتة الفنية فقد رأى ان

- (١) - يقوم المجمع العلمي العربي بدمشق بطبع ديوان هذا الشاعر .
- (٢) - رجعنا في هذه الترجمة الى معجم المؤلفين مؤلفه السيد عمر كحماله .

عضوا في كثير من المجمع العلمية ، في القاهرة ، وبغداد ومدرسة الدراسات الشرقية بلندن ودائرة المعارف الاسلامية للمستشرقين ومجمع البحر المتوسط في بالرمود والمجمع العلمي السوفياتي . ثم عين في عام ١٩٥١ مفوضا للحكومة السورية في بغداد ثم وزيرا للخارجية في عام ١٩٥٣ ، وفي هذه السنة نفسها انتخب رئيسا للمجمع العلمي العربي بدمشق ، وبذلك بلغ ، رحمه الله اقصى ما كان يطمح اليه من مكانة علمية وادبية في آن واحد .

وتوفي الشاعر الى رحمة الله في عام ١٩٥٩ .

لقد معنا حتى الان المامة خاطفة بحياة شاعرنا الكبير ، وبقي الشيء الهام من هذه الحياة واعني بذلك شاعريته خليل مردم شاعر مطبوع ، مفطور على الشعر والفن ، ولعلك لو جلست اليه لاحسست رفاهة حسه ، ولادركت دقة شعوره ، وانصرافه كليا الى مجالي الفن ومطارح الشعر ، لقد كان هادئ الطبع ، زين القول ، يتحدث اليك همسا ، ويكلمك ايماء واسارة ، فلا يرفع صوته ، ولا يعطي من نبرته ، والحياء عندي صفة ملازمة للشعراء ، بل هي دليل على قوة الشاعرية لان مرهف الحس لا يستطيع ابدا ان يجرح احساس احد من الناس لادراكه مقدار الاذى الذي قد ينجم عن هذا الجرح .

فصورة الشاعر كلها توحى بان الرجل شاعر ، ثم لو رجعت الى منظوماته الاولى لايقنت بصدق الفطرة الشعرية عنده ، ولعجبت لهذه السهولة التي يجري فيها لفظه ، ولهذا الدواعي الذي يسم به كلامه ، ولعرفت فيه الكلام العربي البلي لا يكلف فيه ولا تصنع .

ولقد قلت ان الحياء هو مفتاح هذه الشخصية الشاعرية ، وهو الذي كان له الاثر في منظوماته فلن نعرف عن هذا الشاعر الهجاء ، بل لن نعرف عنده من المزاح الا اللطيف الخفيف الذي لا يجرح سمعا ولا يخذش اذنا ، اما غزله فاقرب الى العفة ، واميل الى الطهر والنظافة والترفع ، اما المديح فلم يكن شيئا مذكورا لديه ، ولم يكن بحاجة الى المديح ، فهو لم يخف احدا الا الله ، ولم يتمايل رفدا او عطاء من بشر ، فشعره اذن لم يكن صادرا الا عن دوافع الفطرة وبوامث الطبيعة الصادقة التي لا تتأثر بالظروف والاحداث الا بمقدار ما تحرك فيها هذه الظروف والاحداث الشاعرية الصحيحة البعيدة عن الزيف ، النائية عن التصنع والكلفة .

واسمع لهذين البيتين وقد نظمهما وهو في سن الشباب الباكر برني والده وكانت سنه ست عشرة سنة :

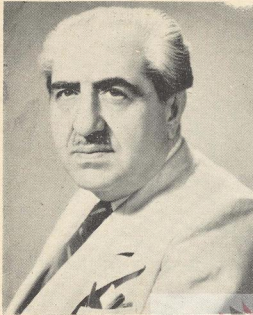
القول ونعشمه يختال نيهما تحيط به الهابة والجبال
خليسي احسرا دعسي قليلا لانظر كيف سيرت الجبال

وهذه ابيات وصف بها الربوة والمزة منتزه في دمشق المعروفين وكانت سنه في الثامنة عشرة :

لا يكتفي بالوقوف على اداب اللغة العربية وان على الاديب الشاعر في هذه الايام التي اتصل بها الغرب بالشرق ، ان عليه ان يقف على لغة اجنبية واحدة على اقل تقدير ليستطيع الاطلاع على قرائح الغرب ، وتثمرات الفكر الاوربي ، ولن يستطيع الاديب الوقوف على تطور الشعر الاوربي والافادة منه الا اذا قدر على تعلم احدى اللغات الاوروبية كثيرة الانتشار ، من مثل الانكليزية او الفرنسية ، او الالمانية او الايتالية ، ولقد درى خليل مردم بك ان كثر الادباء في مصر ولبنان يقفون على اللغات الاجنبية ليقروا ما بها وليطلعوا على نتائج ادبائها وهذا شوقي مثلا لقد عاش حقبة طويلة من حياته في أوروبا ، ولقد افاد من ثقافته الفرنسية الشيء الكثير ، هذه الثقافة التي رفعت من شعره ، وهذبت من لفظه وفتحت عينيه على افاق جديدة في الشعر ، ولعل القارئ المنتبه يظن الى هذه الانار في شعر شوقي وخاصة في رواياته التمثيلية الاخيرة .

ادرك الشاعر مردم هذه الحقيقة فعد العزم على السفر الى انكلترا لينقن اللغة الانكليزية وليطلع على اقوال ادبائها من افواههم ، ولكن الظروف لم تتركه يسير على هواه ، بل لقد اضطرت الى السفر على طريقته هي في الاسراع والعجلة ، فلقد نظم قصيدة اثارت المستعربين الفرنسيين في دمشق فحاولوا القبض عليه فهرب الى لبنان ، ولم يمكث طويلا حتى سافر الى الاسكندرية ، وفيها اقام اربعة اشهر بصحبة حافظ ابراهيم و خليل مطران واحتفظ لهذه الايام ، على قصرها ، بذكرات في نفسه سيجلها في مقالات نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ومن الاسكندرية ذهب الى لندن حيث انتسب الى جامعتها وظل فيها اربع سنوات ، وفي لندن عرف ويلز ، وجالسدوتي ، وكيلنج ، وتوماس هاردي ، وغيرهم من الادباء الانكليز الافذاذ ، وقيل انه حصل على شهادة تعادل الدكتوراه وليست هذه الشهادة عندي بذات قيمة او اثر ، لاني اعتقد ان رحلة الشاعر كانت للعيش في انكلترا والافادة من جواها العلمي والشعري ، والشهادة هدف اخر غير ما قصد اليه الخليل . على ان الشاعر لم يحب جو انكلترا الطبيعي وان احب ادبها وثقافتها ، فالفرق بعيد بين اجواء دمشق واجواء لندن ، والبون واسع بين الضباب المكفر ، والسما الضافية .

وعاد الشاعر الى دمشق في عام ١٩٢٦ ليواصل جهده الادبي وليصدر مع عدد من زملاء الادباء مجلة «الثقافة» . ثم انتخب بعد ذلك امينا لسر المجمع ، ثم وزيرا للمعارف في عام ١٩٤٢ ومنذ عام ١٩٤٦ انصرف الى ناحية جديدة من حياته الادبية اذ اصبح مولعا بمطالعة الدواوين القديمة ، وتحقيق ما يعجبه منها ، وخاصة دواوين شعراء دمشق من مثل ابن عتير ، وابن حيوس ، وابن الخياط ، وطبعها كلها على نفقة المجمع العلمي . ثم انتخب بعد ذلك



خليل مردم بك

أبوسف والصفايا اليوم كثر
فديتك فائدا حيا وميتا
فيا لك رافدا نهت شعبا
لقد كانت منيتها منهاها

الى ان يلقى بهذه القنبلة فيهشم اعداء الوطن ويحطم
ما بنوا من افك وزور :

فدى لك بل تملك كل تاج تصرفه الطفلة على هواها

لقد جعل التاج في مستوى واحد هو العمل ولعمري
ان في هذا الكلام لمبالغة في الثورة وتطرفا في الغضب
الهائج الذي لا يحول دون تفجره الحياء ولا الهدوء .

وهكذا فان الشاعر لا بد ان يخرج عن شخصه ، ولقد
ينزع القفاز الخيطي احيانا ليلبس بدلا منه كفا حددت
اظهارها وتكالبت مخالفاها . ولكنه لا يفعل ذلك الا حين
يريد الثار من معتد ، او غاصب او لثيم وهو يعبر عن
ثورته حين يراجعه حياؤه وكانما يستغفر هذا الحياء
والهدوء بقوله :

سافره فالقوافي في اليوم جمر اخاف على السامع من لظاها
ثم نظر الى الثورة الاخرى حين رأى الدخلاء فسي
الجزيرة والاسكندرون يتآمرون على الوطن هذا الوطن
الذي اوأهم ونصرهم وأمتهم من خوف :

اجارله الله هذا الحلف والجذر عليك - لا لك - اعوان وانصار

حي التمام وربهمها ذات اليتامس والنهور
فالريسة القضاء بها احلى بها سجع الطيور
والريج تنسج مغمرا فوق القدير المستدير
والماء مثل اراقهم ينساب من عالي الصخور

واسمع لهذه الابيات الغزلية وقد نظمتها وهو ابن سبع
عشرة سنة .

ابيني هل لوصولك من سبيل فنجم العمر اذن بالرحيل
اذا اذمنت منع الوصل عني فاني منك راض بالقليل
عديتي وامطلي بالله يوما وان اخلفت ما اتا بالليل

هذه الابيات كلها لم نستشهد بها على انها شعر رائع
ولكنها ، كنظم ، تعتبر في راينا دليلا واضحا على صدق
الشاعرية وعلى الفطرة التي لا شعر بدونها ولو كنت محكما
في هذا الشعر لشجعت صاحبه الشاب ولدفعته الى
الاستمرار على النظم اعتقادا مني ان النجاح مفروض مؤكد
في مثل هذه القرائح الجديدة الصادقة . ولكم قلنا لكثير
من الشباب ، المحاولين للنظم ، الراغبين في الشعر ، قلنا
لهم بصراحة هي اشبه بالاهانة : ما لكم ولهذا الفن اتركوه
فليس لكم فيه نصيب ولو قضيت كل العمر في المحاولة
لا وصلت الى نتيجة ولعشت بلا طائل . وكنا في قولنا
هذا صادقين مخلصين .

على انك قد تلح في الابيات التي مرت بك حبو الطفل
واضطراب الوليديم بالقيام ثم المشي ، ولكن الجو يبشر
بالقوة والازتزان ، والاضطراب هنا دليل على الهمة الصادقة
التي تريد ان تتكشف لتصبح كاملة عمل قريب . والحقيقة
ان الشاعر لا بد له في بدء حياته الشاعرية ، من ان يثقت
الي غيره ، ولن يستغنى عن الهجوم على من سبأوا من
الشعراء لكثرة ما حفظ لهم ورسخ في ذهنه منهم ممن
شعر اختاره هو ليجتره في ذاكرته لشدة إعجابه به ،
وقد يظل الشاعر فترة على هذه الصورة حتى تنصل
شخصيته مما علق بها من محفوظات ، ثم يستقل استقلالاً
تاماً ناجحاً فاذا التفت بعد ذلك الى من عدها من الشعراء
التفت اليه لياخذ منه وليحور ما اخذ وليسكب على
طريقته الخاصة فعل الصانع الموهوب .

وسرعان ما تطور شعر خليل مردم ، فانجه كما ينشئ
ان ينتج ، الى الناحية الوطنية القومية ولقد كانت هذه
الناحية الشغل الشاغل لابناء قومه وجلدته ولكن الشاعر
الصادق أكثر احساسا من الانسان العادي فهو يحس
بالضيق مضاعفا ، ويشعر بالظلم قادحا مكرها ، فلا يستطيع
سكوتا ولا يقدر على الصمت والاحتمال ، فاذا نطق تفجر
البركان فتدف بالحجم يحرق بها العدو الفاسد . وهكذا
كان خليل ، لقد كان الحياء طابعه الخاص ، وكان الهدوء
صورته التي عرف بها ، فاذا تحدث عن الفرنسيين ثارت
ثأثره وخلع عنه حياءه حينما ما وترك هدوءه ليضرب
الضربة القاضية ويبطش البطشة القاصمة واستمع اليه
يذكر يوم مسلون وبوسف العظيمة :

ينتأ على حكم الكؤوس وطالما قد عودتنا منة الوهباب
كنا نعد كؤوسنا حنسي اذا كثرت شرناها بغير حساب
ولست اذكر لك جمال هذا الاسلوب وحسن هذه
الديباجة العربية الرائعة فانت اجدر ان تحس بكل هذا
دون دليل او مشير ، واستمع الى الوصف ايضا للتحقق
منأ قلت لك :

نفسح الصور فهيو مرعيب مثل ما نغرت طيرا بالصفير
وعلى الصهباء كانوا عاكفين من راي سرب مهسا حول فدير
كسم فتنة فتنه بالفتكين واعتدال الفد والجيد التبع
جمت الشعر الى السالفين فاستبدت بابن هساني والصرع
اخلدت من ذهابا للركبتين ومن الطوق الى اقصى الضلوع
ومن الكفين حنى التكبسين فبتت في دهرها غير التيسع

فهو وصف موسيقي يضيف الى المعنى الحركة التي
تصدر عن الرقص ، ويزيد على الوصف الشعري هذه
الدقة في وصف الزينة من شعر وثياب فكانه يتقلد لك
صورة فوتوغرافية كذلك الصور التي امتاز بها شعر
ابن الرومي .

ان الشاعر خليل مردم نواحي كثيرة هامة في شاعريته،
اما مفتاح هذه الشاعرية فهو حيائه انه اصل شخصيته
كلها ، وامام مقومات هذه الشخصية الشعرية الكبيرة ،
فعلم جم واتقان ظاهر وطبع لا يداخله الشك والخطأ . . . واذا
جاء لنا ان نعد شعراءنا المطبوعين فان خليل مردم يقف
ولا شك في الصف الاول منهم .

ولقد حاول شاعرنا التجديد جهده فادخل على شعره
من العناصر الجديدة والاقيلة المبكرة الحديثة ، وهو لذا
كان يوفق الى ما ازال من تجدد فلان ظروفه الخاصة
كانت اعمده في الثورة التي هي الدافع الاول للتطور
والتجديد فشاعرنا لم يكن نائرا ، بل كان هادئا وربما
ثار في بعض المواقف الوطنية كما اسلفنا ، لكن
ثورانه هذا لم يكن طبعاً لديه لانه كان سرعانا ما يهدأ
فيعود الى سكونه واتزانه ، وهذا السكون ليس من صفات
المجددين الثائرين ، لقد جدد بشار لانه كان نائرا على
مجتمعه وكذلك ابونواس ، لقد كانت المخالفة طبعاً
عند هذين الشاعرين وكان التحدي صفة من ابرز صفاتهم
اما خليل مردم فلا يستطيع تحدي الا اذا خاطب المستمع
ولا يستطيع مخالفة المجتمع الا اذا تأمر هذا المجتمع على
قومه ووطنه كما مر بك .

كان خليل مردم غنيا ، وكان من عائلة محافظة ، وكان
وزيرا ، وسفيرا ، ورئيسا للمجمع العلمي العربي ، وكلها
صفات تكفل صاحبها وتضعه حيث تريد هي لاجتريد
الفن والشعر ، لهذا الزم خليل مردم جانب الهدوء ولهذا
انصرف الى النظم الجميل دون ان يتور او يتعجر .
رحم الله خليل مردم ، فلقد كان شاعرا مطبوعا ، واديبا
مرموقا ولقد خلف لنا ديوانا من الشعر فيه كل عناصر
الشعر الصحيح الرائع .

أحمد الجندي

دمشق

قل للعليف وخير القول اصدقه ما يال جيش نولى وهو جراد
انه يسخر من الجار ويسخر من الحلف - وهو فرس
ويسخر من جيشها الجرار الذي لم يتحرك حين ارشد
له ان يدافع عن الدار ، هذا الجيش الذي :

من بعد عشرين عاما بين الفرس لم يعم نفرا ولم تمنع به دار
عهدي به يستثير الطفل غضبته ما باله اليوم رعب الصدر صبار
اعيده ان يقولوا عنه : جبار على الضعيف ، وعند الباس خوار
بلى لقد كان جيش المستعمر نرفا ارعن حين يتحرك
اهل البلاد مطالبين بحقوقهم في الاستقلال والحريية ،
اما حين يعتدي على هذه البلاد تركي غاصب فان الجيش
يسكن وينحني خشية ورهبة لان التركي يملك جيشا
يستطيع به القتال والنزال .

وينتقل الشاعر الى الجزيرة وكانت قد ثارت بتوجيه دوائر
الاستخبارات واهل الجزيرة مجموعة عجيبة من الناس
فيها من كل صنف جماعة في كل قوم نفر وانف ودنوا
على الجزيرة من كل صوب حتى اذا سكنت نفوسهم وهدأت
قلوبهم قاموا على الحكومة الوطنية بتحريض المستعمر
والقصد من قيامها ذلك تعطيل المعاهدة التي توصل اليها
الوطنيون لمقامون بعد نضال دام سنين واعواما . خاطب
الشاعر هؤلاء وهو نائر مهتاج :

قالوا الجزيرة لا ترسي بحكمكم ما في الجزيرة الا التفت والعار
ديار غمر من كثوم بيت مهسا في هزل دهرها اسكاف وخمار
من لايه ودخيل وابن سائلة في ظهه من سياط الترك الكار
طي وتقلب هل نامت فوارسها فصال برقع قبلي اللبدان حصار
ولقد وصف الشاعر الجزيرة وصفا مرموقا كما قد عاش
فيها ، وكان من المعجب بمكان ان يتأمر العربي على اخيه
العربي والاجنبي يضحك منهما كليهما . وتكون الثورة
الشاعر بعد هذا الوصف الرائع ليخاطب أبناء العروبة
كلها مستثيرا فخورهم شاحكا من تفككهم ، ساخرا من
بقائهم على الجور والهوان :

بني العروبة كم من صيحة ذهبت
هتتم على كل شئ من مخالفكم
ما تم كنتم عنكم كنكم على الزبد - ولا ارقام - اصغار
يا ليت شعري مساذا يستفزكم حمى مباح - اذلال واقصار
اعود الى القول : انها ثورة جامحة عصفت بقلب الشاعر
فاخرجته عن طوره حتى كان يبلغ حد الإقذاع في وصف
ابناء قومه ، هذه الثورات التي تنقلب قلب الشعراء انما
هي دليل على قوة الشاعرية واصالة الاحساس وصدق
الشعور .

اضيف الى ما سبق هذا الاسلوب الشعري الرائع
الذي هو الصفحة الاولى للشاعر الصميم ، واذا اردت ان تستمع
الى الغناء الصادق والانشاد الباغ فما عليك الا ان تستمع
غزل الشاعر ووصفه وسأضع يدك على شيء من هذا الشعر
الذي يأخذ بلبك ويصرفك عن كل ماعده من شعر حديث :
وصبيحة تفتال في برد الصبا والحسن سواد الفروع كساب
قالت وقد رات الشيب بلعني لودت لو ان البياض خضاب

شعري

★

شعري الذي مهدته اهزوجة
عفت بانفاس النجوم حروفه

الشعر يولد في حنايا اضلي
بنسب ينوعا بغير تكلف

انا لست ادري من يعلمني ومن
سر عجزت بحله فتركتـه

ان كان يوحيه ملاك شاعر
يا من يخبرني اهـذا الشعر من

كرست شعري للملاح اهـزه
فتعلقت هـذي ، وتلك تبسمت

قد كنت احلم ان اصوغ قصيدة
لكنها ضاعت ، واحسب انها

لا لن انور فقد رايت قصيدتي
شقراء ، اما نفوسها فحديقة

يا حلوة المبتين ان اغراك في
قدعيه بزرع في فؤادك عشقـه

رقص الرصيف وصفقت شجراته
موجت شعري بالشدأ وفمرته

يا حلوتي اني لا طمـع ان ارى
واريده عقدا بنحرك فاسمحي

اهدتيه للميحة وتبيحة
لا تفحكسي مني ، فليست بقادر

فاذا رايت تنقلي لا تعجبي
قطع الوتر على اسباب الهوى

يا بنت عصر النور اني شاعر
جددت حسن الكون فائتلق الرجا

ساظل من ينبوع وحيك استقي
وارش شعري في دروبك زنيقا

بونس ايرس - الارجنتين

هو يا مليحة من جنس احلامي
وتلوت في ملعب الانسام

حرا وبشرب من عصير فؤادي
وبموج عثبا في حنايا الوادي

يملي علي الشعر في خلواتي
ليراعتي وغرسنه بسدواني

فعلام يابي ان يصرح باسمه ؟
آيات نظمي ام بدائع نظمه ؟

لحنا يرف طلاقة وعبيراً
يعطي كثيراً من ينال كثيراً

عذراء لم تخطر بمهجة شاعر
سرقشولم افطن لها من خاطري

كالزهرة الندياء في قم غانيه
ملأت عيوني بالقطوف الدانيه

شعري الجليل نقاؤه وصفاءه
دنياه انت ومقلتك سماؤه

ما خطرت بقلبك الريان
بمعائب الاسوان والالخان

صلوات شعري نغمه في ثفرك
ان يستدير قلادة في نحرـك

وشفقت بالشقراء والسمرء
ان احبس النجوى على حسناء

قلبي مباح للعيون وبابي
فوصلتها بجبال الاعجاب

ماتت على اوتاره البسمات
وتضاحكت في مهبتي الاهات

واحيوم حولك كالخيال الشارد
واظل باسمك استهل قصائدي

زكي قنصل

عزها في روما ، وكانت هي مفتية اوبرا ناشئة، وقد وفدت من بولونيا على روما للتدرب على فن الغناء في معهد القديسة شيشيليا للموسيقى، وكان هو في بعثة دراسية فنية في اكااديمية الفنون الجميلة في روما ايضا . والتقى في منزل للطلاب هنك عاشا فيه معا بعض الوقت .

كانت كريستين فتاة في نحو الثانية والعشرين من عمرها، طويلة القامة، فاحمه الشعر بشكل يكاد يكون غربيا عن طبيعة البولونيات المشهورات بشرة الشعر الذهبية الساحرة . وكانت الانتماء الدائمة تطفح على وجهها المستدير مصحوبة ببريق ساحر من عينيها الواسعتين ذواتي الرموش الطويلة السوداء بلون شعر راسها ، فتزيد من تألقها وفتنتها . كانت جذابة الى حد مذهل تالتق عينيها الدائم ، وابتسامتها التي لا تفي عن شغفها الرقيقتين اللتين يبدو من خلفهما نضيد من الالاء الصغيرة البيضاء . وكان جيدها الرمزي الابيض الذي تحجر عنه الثوب، عادة، الى اعلى التهادين ، من الامام، والى ما تحت استرسالة الشلال الاسود من الشعر ، من الخلف، يبدو فاتنا اشد الفتنة تحت شلال الشعر الفاحم .

لم تكن قد تعلمت الإيطالية بعد ، فهي ما تزال مبتدئة ، إذ لم بعض على جودها في روما اكثر من شهر واحد ، ولا تعرف الفرنسية ولا الانجليزية ليسهل عليها التفاهم مع الزملاء والزميلات بلغة عامة شائعة. ولذلك كان تفاهمها مع الآخرين شاقا كل المشقة، مما كان يسبب لها الحرج والارتباك ، لانه ليس من السهل ان تجد هناك من يخاطبها بالبولونية وحدها ، فكانت الإشارة هي سبيلها الى التفاهم مع الآخرين في الغالب . وعلى الرغم من كثرة الشبان المعجبين بجمالها ، والراغبين في مجالستها ومصاحبها ، فقد

كانت تشعر بانها تعيش في شبه عزلة مريرة قاسية .

وكانت تشاركها في غرفتها من المنزل فتاة ايطالية عازفة كمان ، تتلقى هي ايضا دروسها الموسيقية في معهد القديسة شيشيليا . وكانت تلك الزميلة ايطالية طيبة القلب جدا ، وقد راحت تعمل كل ما في وسعها لتعلم كريستين الإيطالية ، ولكن ولتفني عنها الشعور بالعزلة . ولكن اللغة الإيطالية كانت ذات صعوبة بالغة بالنسبة اليها ، ومع ذلك فقد كانت تهجد نفسها في تعلم بعض مفرداتها ، ومحاولة استخدامها في الحديث ولو دون روابط من افعال وحروف وافعال مساعدة : اللهم ان



قصة من إيطاليا
يقول عيسى الناعوري
<http://Arabicbeta.Sakhr.it.com>

تنقل ما تريده الى الآخرين عن طريق بعض المفردات المصحوبة باشارات اليدين والراس ، وتعايير الوجه والعينين . وكانت زميلتها الإيطالية القصيرة القامة ، واسمها رومانا ، تحبها كثيرا ، وتجتهد في ان تراها تتغلب على الحرج وشعور العزلة ، وتخرج معها في اوقات الفراغ الى احياء روما ومنزهاتها ومتاحفها ، وتشرح لها كل شيء بما يبلغ اليه جهدها من مقدرة على الافهام ، وكان يساعدها على ذلك ما تتحلى به من مرح وحيوية



وخفة روح ، على الرغم من انهتسا فسيحة القامة ، قمينتها ، وغير ذات جمال او جاذبية، ولكن ضحكاتها الجلجلة دافئة ، وخطواتها الجليجة القصيرة السريعة ، وحركات يديها ، وتعايير وجهها التهريجية اللطيفة ، كانت كلها عوناً لها على ازالة الوحشة وشعور الوحدة من نفس كريستين ، فاذا بها احيانا تنطلق تحجرتها بضحكة مجلبة من اعماق قلبها وملء صدرها .

وم يكن بين صادي وكريستين له مشتركه غير لغة العيون والشفاه والاشارات ، ولكن هذه اللغة وحدها لم تكن كافية للتغلب على ما في نفس كريستين من شعور يباعدها عنها وبين الآخرين . فاتخذ صادق من رومانا سبيلا الى الاتصال بزميلتها ، فاذا ما رآها معا على مائدة الغداء او العشاء ، او في استراحة ما بعد احدى الجلسات، او راحها في قاعة المطالعة ، جاء وجلس معها وراح يتحدث الى رومانا بالإيطالية المكسرة التي كان قد بدأ تعلمها منذ عام واحد ولكنها كانت كافية ، على كل حال ، لكي يتفاهم بها مع الآخرين دون عناء كبير ، وتشترك معها كريستين في الضحكات التي تثيرها رومانا بتكاتها المتلاحقة ، وتعبيرات عينيها الصغيرية الضيقتين . وسرعان ما تحطم جدار الجليد لدى كريستين ، فاصبحت تأنس الى صادق شيئا فشيئا ، وصارت الالفاظ الإيطالية التي استطاعت ان تتعلمها من زميلتها رومانا تساعدها على ان توصل الى فهمه ما تريد ، وان تفهم منه بعض ما يقول .

وفي المرة الاولى خرجت معه ، وبرفقتها رومانسا ، الى متحف الفاتيكان ، فتجولا ساعات في ابهانه وردخانه وممراته الطويلة جدا ، وعادت من الزيارة مسرورة راضية. وفي المرة الثانية خرجت معه

في القنطرة المظلمة وامامهما افساح التسميات نصف الفارغة . ولم تثبت كريستين ان نهضت وافقه ومدت يدها الى صادق وقالت :

— هلم بنا نحن ايضا لنرقص كانت القنطرة طافحة على وجهها ، وفي صدرها دعوة صارخة الى الرقص والى المرح والفرقة واللذة . غير ان صادق بقي مترددا لحظة ينظر اليها وكأنه يقول لها متوسلا : « انا اكثر سعادة بان اظل الى جانبك وحدنا في هذه القنطرة » . ولكنها لم تترك له مجالا للتردد ، بل عادت تشد يده وتقول تستحته :

— هلم بنا نتيكما . لقد كادت المعروفة الاولى تصل الى نصفها . فنفض صادق وسار خلفها الى وسط الحلبة وقلبه يدق اسرع من انغام الروما التي تعزفها الاوركسترا . وهما سكا ، وراحا يدوران في الحلبة : خده على خدها ، ويدها تطوفونها تطويقا ، وانفاسهما المتقاربة تتردد حارة في فضاء القاعة الضيقة المترنحة بانفاس المخمورين ، وبالاضاء الحمراء الباهتة التي تدعو الى الحب واللذة . وعلى جوانب القاعة ازواج متعاقبة متلاصقة ، غارقة في الذاذات العناق ، فما تابه للرقص ولا تحس بالراقصين ولا بالافدام المتسارعة على مقربة منها في دورات الرقص المرحية .

ووصل الزوج الراقص (صادق — كريستين) امام شاب وقتاة متعاقبين عنقا طويلا شديد الاترق . ووقعت عينا كريستين عليهما ، ولم يكن صادق قد قبلها من قبل ، ونارت المشاعر الحادة ، فرفقت خدها عن خد صادق وقالت :

انظر ماذا يفعل هذان !

فنظر صادق نحوهما ، ولم يظن الى ما تريد رفيقته ، بل ابتسم وقال :

— انهما يتعمسان بالحبيب فلنضعهما للذئبة !

(فينتو) الذي لا ينام ، وكان الضيف يتأبط ذراع رومانيا وصادق ذراع كريستين . وترك الاربعة معاطفهم عند الباب لدى حافظة الملابس ، وتسلموا قسائم بطاقتها ، ونزلوا الدرجات الست المفضية الى قاعة الرقص الممتعة يتلمسون مواظي اقدمهم ببطء وحذر شديد على الاشعة الخافتة الحمراء التي ترسلها الاضاء الحمراء الوهنة المنتشرة في سقف القاعة وفي جوانبها . ومن امام البار مر الاربعة بزودة وهم يتلفتون الى جميع الزوايا بحثا عن



ARCHIVE
http://ArchiveBaita.Sakhi.com

عيسى الساعوري

مكان يجلسون فيه ، فلم يجسدا غير زاوية في صدر القاعة فيها مائدة مستديرة صغيرة ، امام ديوان جلدي احمر اللون مستند الى الحائطين المتلاقيين عند الزاوية المظلمة . فانطلقوا الى هناك وانخدوا مجلسهم حول المائدة الصغيرة . وجاء النادل فطلبوا زجاجة شمبانيا . وبعد نصف ساعة شرعت الاوركسترا تعزف الاغان الراقصة وتدمسو الرواد المتزويين في الغلام السي الحلبة .

وكان الضيف ورومانيا اول المستجيبين لدعوة الاوركسترا ، وتخلف صادق وكريستين وحدهما

وحدهما الى ميدان القديس بطرس ، ومن هناك ركبا عربة حنطور راحت تتيخر بهما مصعدتين الازقة الضيقة وجواري حسي (تراسيفيري) المرسوفة دروبها بالبلاط الاسود ، الى قبة « الجانيكولو » . وعلى القبة المظلة على اكثر احياء روما ، حتى البعيدة الترامية منها ، قضت كريستين وصادق نصف ساعة في استمتاع وتجانس لذيقين ، وعادت كريستين متشرحة الصدر ، يادية القنطرة ، وراحت تحدث رومانيا بقطة عن تلك التزهة الجميلة .

لقد زال من نفسها ، بعض الشيء ، شعورها بالعزلة ، ووجدت فنسي غريبا مثلها تأنس اليه وتطمئن الى رفيقته . وفرح صادق بذلك كثيرا ، فقد كان الشاب الوحيد الذي نال مثل هذه الخطوة لدى الفتاة البولونية الانعزالية الفاتنة . وكانت نظرات الحسد تلاحقه ، على الاخص من الشبان الشرقيين ، الذين كانوا يتلهفون على جلسة معها ولكنهم لم يغزوا قط منها بفكر الابتسامة العريضة المشرقة التي كانت طابع وجهها العادي الدائم مع الجميع دون استثناء .

وجاء مرة ضيف من بلدة رومانيا ، في الشمال الإيطالي ، يحمل اليها من والدتها هدية ، وطلب الى رومانيا ان تأذن له بسهرة يقضيها معها في احد الراقص تلك الليلة . فلم تمنع رومانيا ، بل وعدته بسان تنتظره في المساء هي وزميلتها كريستين واحد الاصدقاء الاخرين لكي يقضوا السهرة معا . وفنسي المساء حين جاء الضيف بسيارته (الفيات) الصفراء الصغيرة ليأخذ رومانيا ، كانت هي وكريستين وصادق ينتظرونه في ردهة المنزل على اتم استعداد .

كانت الساعة التاسعة والصف ليلنا حينما دخل الاربعة السي المرقص ، على مقربة من شارع

وعاد يشد على خصرها بطوق
يديه ويمضي في دورانه دون ان
يقبّلها أو يظن إلى ان سؤالها لسم
يكن سوى دعوة غير مباشرة إلى
القبلة ، القبلة الحارة الملهوفة .
فعضت تدور معه في الحيلة بشيء
من البعد ، وعيناها لا ترتفعان
عن الفتى والفتاة الفارقين فسي
عناقهما الشديد لا يريدان ان يشبعا
منه . وأحس صادق بان صدرها
قد أخذ يعلو ويهبط بسرعة ، وأخذها
لم يعد يلتصق على خده ، وقصد
أخذت خطاها تنبأ وتخطى فسي
حركات الروميا ، وارتخت يدها
المحيطة بظهره . ولكنه ظل منصرفا
إلى الرقص ، لا يظن إلى التفسير
المفاجيء الذي اعترى رفيقة رقصه .

وانتهت معزوفة الروميا حالا ،
وأخذت الاوركسترا تعزف معزوفة
تشا تشا تشا . ولم يكن صادق
يحيي هذه الرقصة الجديدة ، فهم
بالتوقف عن الرقص والعودة إلى
الزاوية مع رفيقته ، ولكنه رآها
فجأة تشد على ظهره بيدها بقوة ،
وتمسك بذرعه بيدها الأخرى ،
وتقول :

— هيا ! تشا تشا تشا ...

ثم تأخذ في القفز السريع مع
انغام الاوركسترا ، وتدور برفيقها
بعنف دون ان يعرف هو كيف يحرك
قديمه بالرقصة الصاخبة . وكأنها
أضيف جهله بالرقص إلى غفلته
عن دعوتها إياه إلى قبيلها ، ف راحت
كريستين تغفر وتدور به بعنف وحدة
وهو لا يستطيع مشاركتها . ثم
انفجرت بالكاء دفعة واحدة وعلى
غير انتظار منه ، ففلت وجهها
بيديها ، وتوقفت عن الرقص ،
واستدارت ماضية إلى الزاوية .
ولحق بها صادق مبهوتا ، يحاول
ان يسكتها ويسألها عن سبب كئيبها
المفاجيء ، ولكنها كانت قد تحولت
إلى أعصاب ثائرة مجنونة لا تهدأ .
وحاول ان يقدم لها الشراب لكي

يهدئ ثورتها ، ولكنها أراحت الكأس
بيدها بعنف إلى أقصى استدارة
المائدة . ثم تناولت مندليها من
حقيبة يدها ومسحت به ذموعها ،
ثم أمدته إلى الحقيبة ، وقالت
باطحالة هزيلة كانت تجاهد بها
المفردات لتجيء مفهومة :
— هلم بنا نعد إلى المنزل . لسم
تبقى بي رغبة في الرقص !

— ولكننا جئنا إلى هنا مسرورين ،
فما الذي حدث لك ؟

— لا شيء . عد بي إلى المنزل .
أو أبق هنا إذا شئت وساعود
وحدي !

— ولكنني لا أفهم ما الذي يدفعك
إلى هذه الثورة ؟

— ولن يفكر لك ان تفهم شيئا
ابدا ! دعنا في جهلك ..
— موقفك غريب .. فعلى أفهم
شيئا مما جرى لك !

— ان تفهم شيئا . قلت لك لن
تفهم شيئا . ولا حاجة بك إلى
الفهم !

قالت هذا وأدخلت علاقة الحقيبة
في يدها ونهضت واقفة . ولكنها

قبل ان تستدير لتتصرف رأت رومانا
والضيف يقفان امامها متحيرين .
وقالت رومانا في دهشة بالغة :

— ما بك يا كريستين ؟
— لا شيء ! أشعر بضيق كثير
واحترج إلى الراحة .

— ولكنك كنت مرحلة مغتبطة ،
فما الذي جرى ؟
— لا شيء . يجب ان اعود إلى
سريري ، فانا متعبة جدا !

ولم تغد شيئا محاولة رومانسا
والضيف وصادق في تنهيا عن
عزمها ، وفي وقف الدموع المنهمرة
على خديها . فاضطر الضيف ان يترك
رومانا وصادق وحدهما في الرقص
ليواصل كريستين سيارته السي
المنزل ثم يعود إلى المرقص من جديد
لتابعة السهرة .

وفي صباح اليوم التالي التقى
صادق ، وهو في طريقه إلى الفطور ،
برومانا وكريستين معا : فالتقى
عليهما تحية الصباح ، فلم تلفت
إليه كريستين ، أما رومانا فقصده
البنسمة بتسامح سريعة غير
راضية ، وردت على التحية بسم
عادت بسرعة إلى تجهيزها
المألوف ، وتابعت الاثنان طريقهما
دون ان تعطيا فرصة الكلام آخر .

واستبد القلق بصادق . أنه
يريد ان يعرف السبب في ثورة
كريستين المفاجئة في المرقص الليلة
الماضية ، وفي انصرافها الان عنه
هي ورومانا معا . لا بد ان يكون هناك
سبب لا يعرفه ، ولعل في وسع
رومانا ان تبوح له به . والتقى
برومانا بعد الظهر خارجة مسرعة
غرقتها وحدها ، فأسرع إليها
وسألها :

— رومانا ! ما الذي حدث
لكريستين ؟ أرجوك ، قولي لي ماذا
حدثت لها ؟

— لا شيء . لا شيء !
قالت ذلك مقبضة الوجه ، دون
الغضب والاحتقار . فعاد صادق
يسأل متعجبا ومتحيرا من هذا
القريب :

— ولكنني لست أفهم شيئا مما
حدث !

فهمت رومانا بمتابعة المسير
دون ان تجيب على سؤالها ، ولكنه
قفز مسرعا ووقف امامها :
— أريد ان أفهم . لا بد ان أعرف
الموقف القريب :

— من أين لك ان تفهم ؟ ومن قال
لك انك تستطيع ان تفهم شيئا ؟
انك غبي ، بليد الحس مع النساء !
ثم تحولت عنه وضمت في سبلها
بخطاها الحولية السريعة ، فاطمة
عليه السبيل دون اي سؤال آخر .

عيسى الناعوري

عمان

رحلة صياد

والشباك الرثة العمياء لا تمسك صيدا
وكان البحر أمسى ناضب الأعماق صلدا

وتمطى الف أعصار بجفنيه .. فاطرق
فراى في صفحة النهر طيوفا تترقرق

خيل اليأس لعينيه مع الاطياف صورة
لصغير يدبح الأعصار والجذب زهوره

لصغير يغزل الليل بكاء .. ورجاء
وحينما ينشد الصيد مع الصبح غناء

طقله الساهد خلف الكوخ عريان المساء
ظلماء الاكواب .. مصلوبا على أرض الشقاء

الزى يرجع بعد الجهد لا يحمل شيئا
غير أن يحمل وهما .. واعاصير .. ونوعا؟

ربما الطفل يظن الجوع بخلا من أبيه
ربما يهرب من قلاته .. أو يزدرسه

ربما أن عاد لا يحمل شيئا .. أن يراه
ثم يرتد وقد غامت دموعا مقلتهاه !

كانت الشمس وراء الأفق تصفر وتبيدا
وهو ما زال على الشاطئ ينساب وحيدا

والذي يحمل فيه صيده ما زال قفصا
ورؤى طفل صغير جائع تصليه جمرا

غير أن الليل أرخى من حواله سدوله
وكان الظلمة العمياء لم تبصر ذبوله

عاد للكوخ .. فالفى طفله الشاحب نام
وارتمت في ثفره المهزوم اطياف طعام

فانحنى في لهفة ظمأى عليه .. قبله
ليست قبلاك عيشنا يابسا تهديه له !

محمد أحمد العزب

القاهرة

مثلما تنداح في الأفق .. على الشبط .. غمامه
مثلما تبحث عن أفراخها البيض حمامه

مثلما ينساب في العبد يتم خلف لعبه
مثلما يرتج مجوحا إذا هزته رغبة

كان صياد يجوب الشاطئ المخنوق وحده
ويناجي في سكون الصمت واللاشيء صيده

كان يمشي .. مثلما ينسل في الليل نداء
مثلما تصفر في القيثارة اصدااء غناء

ينتزى شوقه المصفود طفلا في يديه
ويسجى كل الوان المدى في مقتلته

وخطاه تصفع الشاطئ .. أعشابا وصخرا
والذي يحمل فيه صيده .. ما زال قفرا

وتهاوى خلف ظل شاحب .. تحت شجرة
تحنى تقسل كفيها بأموال البحر جيرة

أطبق الجفنين في شبه ذهول وانجراج
وتمنى أن يعيش العمر من غير جراح

كم تمنى أن يعيش العمر في الظل غربا
يرتدي سرواله شوكا واعصارا رهيبا

ياكل الخبز قديدا .. يعضغ الماء صديدا
كم تمنى أن يعيش العمر في الظل وحيدا

لا يرى أطفاله في الكوخ يكون جيعا
وينامون أضطجعا .. أو يعيشون ضياعا

لا يرى أطفاله في السيل يحيون عرايا
يخصدون العمر وهما .. ويموتون ضحايا!!

وتمطى الف أعصار بجفنيه .. فقاما
يزور الشاطئ والأغوار بحثا وهياما

كان يستجدي جبال الموج شيئا .. أي شيء
ربما من أجل من مات مرارا وهسو حي

العوامل التي ادت الى تحرر آسيا وافريقيا

بقلم محمد جميل بيهم

معجزة وقعت في الزمن الاخير حملت أوروبا على الانسحاب كرها من مستعمراتها في آسيا وافريقيا على غير انتظار ، كما انسحبت من أمريكا فما هي هذه المعجزة؟

انقلاب الأوضاع السياسية في العالم

تعتبر القارة الافريقية أكبر جزيرة في الكرة الأرضية ، وتقدر مساحتها بربع مساحة هذه الكرة . وبها قسما افريقية من غابات وادغال ووحوش مختلفة وضوار كاسرة وبها فيها من سحر اسود وملل مختلفة ، ولغات متعددة كانت تعد بلاد الغرائب والعجائب . ولكن وجه القرابة فيها على الاصح يعود الى تحكم خمسة ملايين مستعمر اوروبي فيها برقاب ٢٢٠ مليون افريقي كانوا يستأثرون دونهم بخيرات البلاد ، ويسومونهم سوء العذاب ، ثم هم يمنون عليهم وعلى غيرهم من المستضعفين بانهم يحملون اعباء تعليمهم وتحضيرهم ، ومكافحة النخاسة في ديارهم (١) .

وكانت افريقية الى وقت قريب المعقل الاخير للاستعمار فاذا بمعجزة تظهر فيها وترفع في بضع سنين عن اعناق شعوبها سلاسل الاستعباد ، بل ترفع اعلام دولها المستقلة مكان الوية المستعمرين ، فيسحب هؤلاء منها منكسي الرؤوس والرايات . وكان من عواقب ذلك وقوع معجزة أخرى في العالم كله وهي اعظم من الاولى . ذلك بان افريقية التي كانت بالامس القريب بلاد العبيد والارتاء صارت بين عشية وضحاها صاحبة الكلمة الاولى ، بحكم

خفل التاريخ بانباء صراع مستعمر نشب بين الشرق والغرب ، ولاسيما بين آسيا وأوروبا وكان سجلا . وعلى رواية نيويورك مند في كتابه ثورة آسيا (١) ص ١٦١ ، فان هذا الصراع لم يحل هيرودوت على الوقوف امامه متألما ، فحسب بل كان حافرا لئلا يتخذ منه موضوعا جوهريا . والحروب ترجع اسبابها الاساسية في التاريخ ، قديما كان ام حديثا الى الشؤون الاقتصادية ، والمعاش ؟ ولكن عناصر أخرى قد ترافق هذه الاسباب وتبدو وكأنها مصدر تلك الحروب . ففي العصور الغابرة كان يضرب الصراع بين الشرق والغرب الى نزعات عسكرية هدفها المفاخرة بالمزيد من اتباع الملك ، وفي القرون الوسطى اتسم الصراع بحسم العقيدة ، وكان مداره نشر الدين فيما وراء تخوم وطنه ، والانتصار على اعداء ذلك الدين . وما في التمدن الحديث فان الاسباب الاساسية ، واعني بها الشؤون الاقتصادية كشفت عن وجهها القاتل ، وبسبب طاقة على كل ما عداها من مصادر أخرى وعوامل أخرى اثر اكتشاف قوى البخار ، واختراع الآلة ازدهرت الصناعات في ارجاء أوروبا ازدهارا ثم تعدت لسه فانبثرت الدول للتخري عن اسواق جديدة تؤمن لها تصريف مصنوعاتهما ، وتضمن المزيد من المواد الخام لمعاملها التي كانت تتزايد يوما بعد يوم ، فانقضت أوروبا على آسيا وافريقية واستعمرتها كلها ، واستغلت خبراتها ، وجعلت ما بقي منها مستقلا داخلا في نطاق نفوذها . ولكن

: اسية Tibor Ménde, La révolte de l'Asie (٢) يقول فالرو :

« ان موزامبيق واتقولا لا تزالان تعيشان حتى الان في القرن الخامس عشر ، وفي القرن الخامس عشر البرتغالي : عبيد على صعيد الزراعة ، وعبيد في الاستغلال ذلك بان عملاء ليون لا يزالون يحافظون على معاهدة عقدت بينهم وبين جمهورية اتحاد جنوب افريقية لتفسي بسوق ١٢٠ ألف عامل الى اتحاد جنوب افريقية سوق اليهم كل عام . »

Ch. Henri Favrod, L'Afrique seule, P. 229 (٣) جريدة صوت الهند تشرين الاول ١٩٦٠ (٤) كان القديس اوغسطينوس والشاعر دانتشي ، والامس لوتير والفلاسفة باكون ، وبيزنز ، ومونتسكيو ، والعالم سورل ، والفلكل مولتك يجاهرون بغوائل الحروب ، ويدعون بان الحروب كانت عمرا فورا لتقديم المدنية مستعبدين على ذلك بما كانت توجعات الاسكندر والرومان والعرب من الخير الكثير لهذا التقدم . (٥) كان نابليون السياسي الفرنسي لا يعترف في عهد نابليون الاول بغير حق الفتح . ولما نمت الهزيمة على نابليون حاول اقتاع المؤتمرين بسان

يعاد لكل اسرة ما كان في ملكها ملوحا بحق الشعوب في تقرير مصيرها . نحن لم نترك على الشيوعية هذه البادئ الطيبة في كتابنا اسرار و وراء الستار (الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية كاتك تراهما) هذا الكتاب الذي اصدرناه سنة ١٩٥٨ في اغاب زيارتنا لسلطانشاد السوفيتي والصين الشعبية ، ولكننا اتركنا عليها امورا أخرى ، وانتقدنا نظام الحكم السياسي ، وتسويفه ممارسة الاستعمار البطين ، في غفون محاربة موسكو للاستعمار . (٧) عندما انسحبت جيوش شان كاي شوك عام ١٩٤٤ من الجبهة اليابانية لتتأخر الشيوعيين الصينيين في مناطق الحدود استمر الاتحاد السوفيتي على تأييد شان كاي شوك عملا بيمينائ الموت وعدم الاندفاع العقود بين روسيا والصين عمام ١٩٣٧ ، وكذلك في ايران حيث نخلت موسكو عن حكومة اذربيجان الشيوعية عام ١٩٢٦ فسقطت ، ثم لم تقم روسيا باية دعابة جديدة في الشرق الاوسط ، اوفي اي جزء اخر من اسيا حتى الحرب العالمية الثانية (نيويورك مند ، ثورة اسيا ، ١٩٢٢)

القانون الدولي ، في مصير العالم فضلا عن مصيرها ، لان المجموعة الافريقية في جمعية الامم أصبحت تعد أكبر عدد من أمة مجموعة أخرى اقليمية . وبالتالي فـلـان الكتلة الاسيوية - الافريقية أضحت أكبر كتلة في الامم المتحدة بانضمام المجموعة الافريقية اليها .

وقد تعرضت وزارة الخارجية الهندية لهذا الموضوع بتقريرها الذي وضعه الرئيس نهرو على مئذنتي مجلسي البرلمان يوم ٢٩ آب ١٩٦٠ ، وقالت :

« ان التطورات السياسية التي حدثت في البلاد الافريقية خلال السنوات الماضية قد غيرت خريطة القارة ففي اوائل سنة ١٩٥٠ كان في افريقية أربع دول مستقلة فقط ، هي مصر ، واليوبيا ، وليبيريا ، واتحاد جنوب افريقية . وكان ما تبقى من افريقية تحت الحكم الاستعماري لدول غرب أوروبا بصورة ، او باخرى .

« وكانت الدول المستقلة تسفل تسع مساحة القارة الافريقية البالغ قدرها ١١٥ مليون ميل مربع ، كما كان عدد سكانها اقل من ربع مجموع عدد سكان القارة . وما حل شهر اغسطس ١٩٦٠ حتى كان الوضع قد تغير سر تقريبا تاما : ففي التاسع من هذا الشهر بلغ عدد الدول المستقلة في افريقية مشرين دول يضاف اليها ثمانية دول أخرى محددا لاستقلالها عام ١٩٦٠ - ١٩٦١ . وتبلغ مساحة هذه الدول ثلثي مساحة القارة ، كما يبلغ عدد سكانها ١٧٨ مليون نسمة من مجموع سكان القارة البالغ ٢٢٠ مليون نسمة (٣) »

والواقع ان الدول الأربع التي عددها هذا التقرير في مصاف الدول المستقلة مصر ، واليوبيا ، وليبيريا ، وجنوب افريقية ، وان كانت تتمتع بالحكم الذاتي في سنة ١٩٥٠ الا انها ما كانت تخرج من نطاق مناطق النفوذ الغربي . زد على ذلك ان دولا أخرى افريقية احسرت استقلالها في سنة ١٩٦٢ ، وفي مقدمتها سيراليون وتنجينيسا والجزائر واوغندا ، وان دولا أخرى مثل كينيا ونياسالاند تحدد موعد استقلالها في عام ١٩٦٣ .

وهذه المفاجأة التي جرت في مدى عشر سنين ، والتي لم تقتصر على تحرير افريقية ودخول دولها اعضاء في جمعية الامم ، بل جعلت كتلتها اقليمية أكبر مجموعة في هذه الهيئة كانت انقلابا في الأوضاع العالمية السياسية لم يتحدث عن مثلها التاريخ قط ، اما وان هذا الانقلاب قد وقع في عصر السرعة التي افناها فان غرابته تبدو خفيفة في نظر المعاصرين لان السنة أصبحت الآن بمقدار مائة سنة مما كانوا يعدون .

فكيف تم هذا الانقلاب العجيب ؟ هذا موضوع لا يزال يبرا ، لم يقع نظري على مقال تناولته بالذات ، ويرجع ذلك الى حداثة عهد الانقلاب ، قرايت ان اسد الفراغ بالاستناد الى تتبعاتي الخاصة ، وبالإفادة مما دونته في مذكرياتي في غضون مراحل النضال ضد الاستعمار .

ومن المفيد الإشارة هنا الى ان هذا الانقلاب لم يتم الا بتضافر العوامل الغربية مع الجهود الشرقية وان العوامل الغربية كانت هي الاصل في هذا الانقلاب والجهود الشرقية فرع . وستحدث هنا عن القسم الاول من العوامل الخارجية على ان نستكمل الحديث عن الباقي منها في مقال لاحق ، ثم نستعرض العوامل الداخلية .

افكار والاحداث الرئيسية

ان الانقلاب الجديد العجيب الذي شهدناه جميعا ليس هو وليد احداث معاصرة فحسب ، بل يعود ، في اسبابه الجوهرية ، الى افكار وحوادث قديمة وحديثة وقعت في ديار الغرب المستعمر . اجل وكما ان نواة القضاء على الاستعمار نبتت في نفس الزمن الذي ترعرع فيه الاستعمار ، اذ كانت الثورات العقائدية الغربية مصدرا للثورات الوطنية الاسيوية والافريقية ، فان الحروب التي نشبت بين الحلفاء واليهين المحور هي التي عادت الطريق لنضال الشعوب المستعمرة هذا النضال الذي حقق لها امانها الوطنية . وهذه الاشارات التي تبدو وكأنها احتاج ستحاول ان نرفع عنها القباب حتى تبدو طبيعية غيرعجيبة.

الثر الثورات العقائدية

كانت الشعوب الأوروبية حتى القرن الثامن عشر تعتبر ملكا الحاكمين والاقطاعيين ، وكانت بريطانيا العظمى وفرنسا على صراع مستمر حول الاستئثار بالزعامة العالمية ، واما أمريكا الشمالية فكانت مقسمة الى ثلاث عشرة مستعمرة انكليزية .

ولما نالت هذه المستعمرات في اواخر ذلك القرن ثورتها الاستقلالية كانت باريس تغذي هذه الثورة بحكم عداوتها للنمسا ، وبهذه المساعدة استطاعت أمريكا ان تحسرت استقلالها سنة ١٧٧٦ بعد حروب دامت ست سنين .

وهذه الثورة وملابسها ونتيجتها كان لها فـسـى الاوساط الأوروبية اثر بارز في بحث مبدأ القوميات ، وحققا في تقرير مصيرها . فاما ان شبت الثورة الفرنسية بعيد ذلك ، ووضعت دستورها سنة ١٧٨٩ في هذا الجو العابق بغير المبادئ القومية حتى أضرت حق الشعوب في اختيار مصيرها ، ومبدأ حق الافراد في التمتع بالحرية والمساواة والاخاء .

وقد حرصت حكومة الثورة على مراعاة مبادئ دستورها ، فلما فتحت حكومة الكفسيون مقاطعات سافوا ، وكتيبة نيس ، والضفة اليسرى من نهر الرين ، والبلجيك عملت الى استفتاء سكانها مستثنية من ذلك الطبقة الارستقراطية فاختاروا الالتحاق بفرنسا .

ولكن ما ان استأثر نابليون الاول بالسلطة ، وبسم لسه لاحظ حتى طرح هذه المبادئ جانبا ، وشرع يهز بحق الشعوب في تقرير مصيرها . ولكن الحظ لم يرافق نابليون حتى النهاية . فقد انتهت الحروب الأوروبية بفشله ولما عقد المؤتمر الدولي لتسوية الشؤون الأوروبية حاول

الأفريقيون الرجوع الى مبدأ الشعوب فسي يغريهم مصيرها وطالبوا بالتزام الاستفتاء (٥) فرفضت الدول المنتصرة هذا الاقتراح بحجة ان هذا الاستفتاء هو من مخلفات الثورة ، وانهم انما يعملون للقضاء عليها .

وكانت اسيرة برنسوك - هانوفر ، التي استوت على عرش لندن سنة ١٧١٤ ، منصرفة الى توسيع مسدى استعمارها ، ولتأمين زعامتها على البحار ، ولما ادرست امنيتها بالقضاء على نابليون راحت في سبيلها بتحقيق اهدافها ، وداست على مبادئ الثورة الافريقية . وجرى مجراها سائر الدول الاوروبية . وما كانت كل هذه الدول تذكر المبادئ القومية ، وتعمل بها الا في فضايا السلطنة العثمانية . فكانت تنصير للعناصر الشائنة عليها ، وتؤيد مطالبها استنادا الى حق الشعوب في تقرير مصيرها . وكادت هذه المبادئ الانسانية تسمى نسيا منسيا لولا ان الولايات المتحدة الاميركية التي لم تكن تفكر كثيرها بالاستعمار ، تفردت باحتضانها : فقد وضع توماس جيفرسون (١٧٤٣-١٨٢٦) ، وهو ثالث رئيس للجمهورية ، وثيقة الاستقلال التاريخية مقررا فيها « حق الانسانية على الحياة الحرة على اساس المساواة ، وحقه بالثورة ضد الطغاة » ثم ايد الرئيس ابراهيم لنكون هذه المبادئ ، وقال : « ان الحق في الثورة حق مقدس جدا وهو حق نعتقد بأنه سيؤدي الى تحرير العالم » .

ثم لما ثارت امريكا اللاتينية على نابليون الاول ايدىها مونرو (١٧٥٨ - ١٨٣١) الرئيس الاميركي استنادا الى هذه المبادئ ، وكان شعاره « امريكا للأميركيين » . غير ان هذا الشعار اصبح شرعة للولايات المتحدة من المبادئ التي قضت عليها بالتزام العزلة عن السياسة العالمية . وهذه العزلة افسحت المجال امام الدول الاوروبية للتفاهم فيما بينها على اقتسام افريقية ، غير ذكرة اية مبادئ انسانية ، وان تحكم ارجاءها بمقتضى شرعة الغاب اسوة بآسيا التي كانت قد وقعت من قبل فريسة بين ايديها . وقد اجتمعت هذه الدول في مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ ، وكان الحافز لها للاجتماع الخوف من ان تؤدي شهوة التوسع الاوروبي الى نشوب حرب لا تبقي ولا تدرك وبجرة قلم واحدة وضعت خريطة جديدة لافريقية ، وتقاسمتها فيما بينها ، ولكن هذه القسمة لم تكن عادلة في نظر ألمانيا وإيطاليا ، فعاد الاحتكاك الذي كان بينهما وبين انكلترا وفرنسا الى ما كان عليه قبل مؤتمر برلين ، واشتد حتى انبثقت منه شرارة اشعلت الحرب العالمية الاولى . وهذه الحرب فضلا عن انها ذكرت المتحاربين بمبادئ حقوق الانسان والجماعات فآخذوا يلوون بها امام الشعوب المستعمرة فانها ولدت ثورة كبرى كان لها الاثر الطيب على اخراج هذه المبادئ في الدعايات المرفوعة الى حيز التحقيق . واعني بها الثورة الحمراء بروسيا التي انطلقت ابتداء من يوم ٢٥ تشرين الاول ١٩١٧ . وقد

انتصر الثوار وعلى راسهم لينين ، واستولوا على الحكم ، وانهجوا بقيادة الحزب الشيوعي طرقا جديدة لحياة جديدة لم تكن معروفة من قبل .

فالشيوعية فضلا عن تأييدها مبادئ الثورة الافريقية وتأييدها وثيقة جفرسون بما فيها من حق الثورة على الطغاة ، وذلك في خارج بلادها ، فانها جاءت تدعو الى اخوة عالمية شعارها السلام ، ومدارها المساواة بين العناصر دون اعتبار للالوان والاديان اسوة بالمساواة بين الافراد دون اعتبار للدرجات والطبقات (٦) .

وقد اصاب الشيوعية بهذه المبادئ البرافة المحببة قلوب المحرومين والمظلومين ، وهم معظم افراد العالم وجماعته ، واصابت من النجاح ما لم تدرك جزءا منه الثورة الافريقية . ويرجع الفضل في ذلك الى ان الشيوعية كان من ورائها دولة ترعاها وتتخذ من مبادئها الخلاصة سلاحا لها ماضيا في الصراع بينها وبين الدول التي تسميها بالراسمالية .

وقد انتصر المعسكر الشرقي على المعسكر الغربي في هذا الصراع ، وكان من اهم اسباب ذلك ان موسكو القيمة على الشيوعية تركتها تمشي من ورائها دون ان تتظاهر بتأييدها ، وكانت تتخلى عنها احيانا في سبيل اكتساب القلوب التي تريد ان تكسبها (٧) . وهي مع ذلك كانت جد صريحة على تطبيق المبادئ الشيوعية حيال الشعوب المناهضة في سبيل استقلالها ، فتبث لمساعدتها في انشاء ثوراتها وبعدها . وتنفذ لتأييدها في المحافل السياسية ، فكان لكل ذلك ما كان من الاثر في القضاء على الاستعمار . وهذه الثورات ذات المبادئ الانسانية التي ذكرناها

كانت للشعوب المناهضة في سبيل التحرر ، بمثابة مستندات سياسية ووثائق تلوح بها وتستند اليها في غرضون كفاحها للاستقلال ، وكذلك كانت بالنسبة للدول التي ايدت تلك الشعوب . ولكن الاسباب التي كانت كالدلائل في تهديم صرح الاستعمار فهي تعود الى الحربين العالميتين الاولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، والثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ اللتين لم تبلا جغرافية الكون فحسب ، ولم تغيرا التوازن السياسي الدولي فقط ، بل حملتا الدول على اثاره شهوة الاستقلال في نفوس الشعوب المستعمرة ، وحفزتا بالتالي هذه الشعوب المتأللة للاستعانة بالثورات في اعقاب الحربين بغية ادراك امانها الوطنية ، حتى اذا نشبت الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي واتخذ المعسكر السوفيتي من انتفاضات الشعوب المستعمرة سلاحا ماضيا له اسفر النضال عن العثور على الاستعمار صريحا في المعركة الحاسمة .

وهذه الناحية الهمة في تاريخ التحرر البشري سنسلم بها في مقالنا التالي .

محمد جميل بيهم

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي
من القردة الوثقى في لندن



قد فرقت بين معنى (المدينة) ومعنى (الثقافة) واخشى ان لا يجد الكثيرون مبررا لهذا التفريق . ولكن الذي حدا بي الى ذلك ان التراث الاغريقي يجب ان لا يعد اساسا للمدينة الغربية وان كان اساسا للثقافة الغربية . وقد جلب انتباهي الى هذه النقطة الاستاذ هاردي في كتابه عن اساسات الفكر الحديث ، فقد انكر هذا الاستاذ ان يكون التراث اساسا للمدينة الغربية ، لان الفلاسفة اليونان ، سقراط وافلاطون وارسطو ، الذين كان لهم اكبر تاثير فكري في الغرب لم يكونوا في الحقيقة دعاة للعلم النظامي باجمعه ، بل انهم دعوا الى عدم دراسة الحوادث الطبيعية والظواهر العملية واستنتاج القوانين العلمية منها بحسب اسلوب الاستقراء او الاسلوب العلمي وقد ذكرت شيئا من ذلك في مقال سابق ، واريد الان ان اتناول الامر من ناحية ثانية .

كانت الفلسفة اليونانية القديمة تبحث في الطبيعة وفي تفسير الكون ، كفلسفة ديموقريطوس ، ثم انتقلت الى الطور المثالي ، كفلسفة افلاطون ، ثم انتقلت الى طور الشك كفلسفة برواقراط وكان مع الطبيعيين فلاسفة مثل فيثاغورس يخالفونهم في اختيار افضل السبل للوصول الى الحقيقة . فالطبيعيون كانوا يطلبون الحقيقة في دراسة الطبيعة ودراسة الظواهر الطبيعية ، وكان الفيثاغوريون يقولون بالاعتماد على الرياضيات والفكر المجرد ، وهنا انقسمت الفلسفة اليونانية الى فلسفة

طبيعية من جهة واحدة والى فلسفة رياضية او جدلية من جهة اخرى . وكان سقراط من اول الفلاسفة الذين انشقوا عن الفلسفة الطبيعية وانضموا الى الفلسفة الرياضية . وكان افلاطون رياضيا ، فلم يتأخر عن الاقتداء باستاذة . فكانا يعتقدان ان العلم الرياضي هو افضل العلوم لانه لا يعتمد في صحتة على الحواس ، بل يمكن معالجته ومحاكمته بالعقل وحده . ثم ان العلم الرياضي مستقل عن الخبرة الحسية من وجهين : الاول انه يبحث في مسائل عقلية مجردة والثاني انه ثابت محقق بالذهن بعكس الامور العملية الحسية التي تحتاج الى تحقيق عملي حسي لا يركن اليه . ويتضح ذلك من

علم الهندسة بين العلوم الرياضية ، فان الهندسة تبحث في الخطوط مثلا ، ولكن هذه الخطوط يجب ان تكون مثالية لمالية على صورة لا يدركها الا العقل ، وجميع الخطوط التي نرسمها ، مهما دلت الاقلام دقة والعناية فائقة ، لا يمكن ان تكون الا شبيهة بالخطوط المثالية وقريبة منها لا غير . فالخطوط الموجودة في الطبيعة خطوط غير صحيحة ، ولا يمكن ان تصل الى درجة الكمال التي عليها الخطوط الموجودة في المدن . اذن للاشياء صورتان : صورة موجودة في الطبيعة ، وصورة موجودة في العقل المجرد . والصورة العقلية هي الصورة الاصلية والمثالية ، والصورة الطبيعية نسخة غير مضبوطة عن الصورة الاصلية . فالطبيعة هي مكنز الصور الناقصة الغير الصحيحة وعدم الامثلة هو مخر الصور الكاملة الصحيحة . وقد تصل الصور الطبيعية الى درجة الكمال المثالي اذا بلغ التحسين فيها حد النهاية ، كالخط التقريبي في الهندسة التحليلية الذي لا يلتقي مع الخط الاصيل الا في النهاية . ومعنى ذلك كله ان الاعتماد على الصور الموجودة في الطبيعة يؤدي الى الخطأ ، والاعتماد على الصور المثالية هو السبيل الوحيد للوصول الى الحقيقة . فيجب اذن العطف على التفكير وحده ، واستخلاص الحقائق بطريقة المنطق والتأمل الفكري . والصوفيون يطلبون من اجل الوصول الى الحقيقة ان يرقى جسم الانسان ويرفع تفكيره حتى يستطيع امتصاص الحقائق العلوية .

فهذا الانصراف عن دراسة الطبيعة مباشرة وهذا الاشتغال بالتفكير المجرد وحده كانا عاملا مهما في تأخير العلم النظامي قرونا عديدة ، وابعاد الناس عن البعث العلمي . وهذا راجع في الاغلب الى فلسفة افلاطون واولا وارسطو ثانيا ، تينك الفلسفتين اللتين سيطرنا على الافكار قريبا من الف سنة وادنا الى تلك النتيجة المحزنة . وهنا اريد بهذه المناسبة ان التفت في البحث قليلا الى فلسفة القرون الوسطى في اول عهدها في القرن الرابع ، حينما كانت لا تزال تحت نفوذ الفلسفة اليونانية التي كنا في بحثنا آنفا . وزعيم فلسفة القرون الوسطى في اول العهد في اوربوا هو القديس اغسطين (٣٥٤ - ٤٣٠) وكان في فلسفته تابعا لافلاطون ، وشرح فلسفته بصورة موجزة فاتي بمثل رياضي . لناخذ هذه المعادلة الحسابية البسيطة : $2 + 3 = 5$ هذه حقيقة ثابتة لا نزاع فيها ، مهما كانت انواع الاشياء التي نختار منها العدد ٢ والعدد ٣ ، فالج مجموع هو ٥ لا يتغير . فالاشياء المحسوسة مهما تغيرت لا تغير في الحقيقة الثابتة وهي ان $2 + 3 = 5$ ، فهي حقيقة يمكن ان نسحبها مستقلة قائمة بذاتها ولا تعتمد في وجودها على الحواس . وهي ايضا حقائق لا تتغير ولا تبدل : مستقلة عن الحواس

الوسطى . ولذلك اعود فاقول أن التراث الاغريقي كان من اسس الثقافة الغربية اكثر من ان يكون من اسس المدنية الغربية .

وهنا يتساءل القارئ : واين موضع الفهماء من ذلك لا وهل يبقى للفهماء مكان في هذا العالم اذا استعوت المدنية على اتجاهها الصناعي الاختصاصي العلمي الدقيق الضيق في الوقت الحاضر لا هذا سؤال من اهم الاسئلة التي تتعرض للجواب عنها كثير من الكتاب والمفكرين ، وهو يتعلق بموضوع حيوي بالغ الاهمية ، وهو مستقبل هذه المدنية ومستقبل الثقافة معها في العالم اجمع . وقد يكفي ان نقول ان الاتجاه العام هو ازدياد المدنية اي ازدياد العلم النظامي والفن الصناعي (تكنولوجيا) وازدياد التخصص الضيق ، وتناقص الثقافة من دين واداب وفنون ولغة وغيرها . ومعنى ذلك ازدياد العلماء الطبيعيين وتناقص المثقفين ، ومعنى ذلك ايضا تناقص المفكرين الاجتماعيين لعدم مقدرة هؤلاء مع تراخي الزمان من الامام بنواحي العلوم المختلفة والاحاطة بطرف من كل منها حتى يتسنى لهم تكوين فكرة فلسفية جامعة . وكان هذا الامر سهلا على الحكماء في ايام العرب وغيرهم ، لان الفيلسوف او الحكميم كان حينئذ محيطا باكثر العلوم والمعارف الموجودة ، فكان باستطاعته ان يشملها بنظره ويجمع بينها في نظريات فلسفية عامة . ولذلك فسان انقضاء عصر المثل السياسية او المذاهب السياسية المثالية في العصر التاسع عشر لم يترك للفهماء دورا مهما يأخذونه في هذا العصر الذي هو عصر الاهتمام بالراحة المادية ، ويتوقر الحاجات على نطاق يكون اوسع فوسع . ثم ان هذا العصر هو عصر العلم والاختصاص والخبرة ، اي عصر تجزؤ المعرفة . واذكر في هذه المناسبة قولا للمؤلف (ول ديورنت) في كتابه عن تاريخ الفلسفة وهو ان العلماء في الوقت الحاضر يعرفون اكثر فاكثر عن اشياء اقل فاقول ، وان الفلاسفة واصحاب النظريات يعرفون اقل فاقول عن اشياء اكثر فاكثر . وقد اصبح الاهتمام منصرفا الى الحقائق دون الفهم ، والى المعرفة دون الحكمة ، واتسع الفارق بين العلم والحياة . واصبح رجال الحكم لا يفهمون رجال الفكر ، ولم يستطع الذين يريدون ان يعلموا فهم الذين يعلمون . فكان الجهل قد اتسع نطاقه في هذه البجوحة من العلم . واصبح الرجل العادي بين حاذق وقاذف : بين كنهه العلم الذين يتكلمون كلاما غير مفهوم وبين كنهه الدين الذين يمتون به بأمال لا تحقق . وعاد الامر الى ما كان عليه الحال في القرون الوسطى حينما كانت المعرفة وقفا على عدد محدود من الناس وطبقة خاصة . وفي هذا المازق يقف المفكرون والفهماء في حيرة لا حول لهم ولا طول . وشرقتنا العربي لا يزال بعيدا عن هذا الاتجاه ولكنه سائر في هذا الاتجاه ولا مناص .

وثابتة . ولا توجد هذه الا في الفكر ، بل هي التي تسيطر على العقل ، ولكن العقل لا يخلفها ولا يغيرها ، بل هي موجودة من الازل كانتا نزلت في اللوح المحفوظ . ولكن السؤال الذي يرد على البال هو انه كيف تسنى للعقل ان يصل الى هذه الحقائق الفكرية المستقلة الثابتة وهو بطبيعته عرضة للتغير وللخطأ ؟ والجواب عن ذلك فسي راي القديس اوغسطين هو ان الحقائق من هذا النوع تعتمد في وجودها على مصدر علوي واحد وهو الله ، فوجود هذه الحقائق لا يكون الا بوجود الله ، او بعبارة اخرى كما في الاسلام ، ان الله هو الحق . ويتخذ القديس اوغسطين مقدره العقل البشري على اكتشاف الحقائق السرمدية دليلا على وجود اله سرمدى . بقيت نقطة اخرى وهي كيف اننا نتحقق من ثبوت هذه الحقائق ، مع العلم بان العقل نفسه معرض للتغير والخطأ . وجواب القديس اوغسطين عن هذا السؤال ان الشعور بالتحديق من صحة الحقائق التي يتكشفها العقل مصدره (الشعور الرباني) . وهذا النور الذي ينعم الله به على كل انسان مهما دنت حالته الروحية والاخلاقية ، يمكن العقل من ادراك ثبوت الحكم وضرورة صحته . ويساعد هذا النور على ادراك درجة الاشياء والمعاني من حيث مقايضة بعضها ببعض ، كان يدرك العقل مثلا ان شيئا اجمل او اقل جمالا من شيء اخر بالقياس الى مستوى مثالي . والاشياء بحسب نوعيتها مستويات مثالية ، وهذا ما تورد افلاطون في فلسفته المثالية ، وقال عن وجود مثل عليا ليست الاشياء المحسوسة الا صورا ناقصة عنها . وكان افسطين يؤمن بهذه الفلسفة الافلاطونية ، ولكن ارجح الفلاسفة الافلاطونية الجديدة بانه قال ان المثل العليا موجودة في العقل الرباني ، وهي المعيار او الدستور الذي يسير عليه الخالق في خلقه للاشياء . وهذه النظرية الاوغسطينية كانت موضع جدل وخلاف بعد ذلك ، ولكن الفكرة العامة بان العلم نور من الله عرفت ايضا عند المسلمين ، كما قيل :

شكوت الى وكيع سوء خلفي فارشدني الى ترك المعاصي واخبرني بسان العلم لسور . ونسود الله لا يهدي لعاصي فهذه النظرية الفلسفية في القرن الرابع لم تساعد على نشوء العلم التجريبي او الطبيعي لانها مبنية على نظرية افلاطون في المثل العليا . ولم تساعد نظرية توما الاكوين في القرن الثالث عشر ١٢٢٤ - ١٢٧٤ - على نشوء هذا العلم ، ولو انها استعملت المنطق الارسطي ، لانها كانت تعتمد على النقل والتزليل اكثر من العقل ، كما بينت في مقال سابق . ومن هنا يتبين ان التراث الاغريقي كان اثره في الغالب من الناحية الثقافية وليس من الناحية العلمية الطبيعية التجريبية بحسب الاسلوب العلمي المعروف ، وبحسب قواعد الاستقراء ، واستنباط الاحكام من الظواهر والحوادث وليس بحسب الطريقة المكوسة ، وهي تطبيق الاداء المتخذة عن غير دليل عملي على الظواهر والحوادث ، كما كان يجري في القرون

اوتار متقطعة

شعر : شريف خزندار

ترجمها عن الفرنسية سعد صائب

نجني... نجنا يا الهي

فوضت غوارب اليم دعائم بيتي الهنيء السعيد
وانثت تفشي روحي بطحلب اسود داو
نسجت العنكبوت كفن الاحياء
وسملت عيني كيما تلذع فيهما انارا
انا اعمى ، رهين مخبئس للحقلة الطويلة والقصيرة
احيا في امسي باحثا عن غدي الثابت والمتغير
استحالت المرأة التي تلح علي في خدر الكاس
الى فرس بحر ، وعادت تمثالا
واضحى جسدها الذي عراه البلى ممزقا
تحت وهج شمس لاذعة
مرقا طويلة ننته .

شروء

اشرد في غيمات الشجن
الزائرة بالنجوم
وادع هيلوي تموج في الكون
الذي ابدعته امس مساء
البهان الالهائية

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

نفثت زهرة النسرين رضاب الندى
فنضب من الخياز
الذي امسى بتلظى من كل جانب
واهتاجت نفسه على العدم
كيما يهوي في الثرى
يواري عن بغض البشر
من اودى بهم الردى .

ابتغي ان اشيد داري
فوق حيز من الارض
في بقاع لا تخوم لها
حلت من بؤس وقتال
ضاما قوتي الى قوة اخوتي
ساليا الفيحات
التي ابدعها الهرب .

دمشق

عينان نجلاوان

عيننا ليلى النجلاوان
اعينا الفراغ
الذي سوته القيثارة في الليل
من ذرف عبراتها
مرق القلق المتفرد نياط قلبي
الذي بذرته القيثارة
وصنع الكرب من عروفي المجتثة .

سعد صائب

اللوحة الاولى

موسى : لقد فعل .

سليمان : كيف تتمرّد على اوامري ؟
الرسول : لقد طلبت اليه التمهّل فسي
سيره الى دمشق ، واتّباعه ان الوليد على
فراش الموت ، ولن يمكث طويلا حتى يذهب
الى بارته . وابلقته رفقتك ليتأخّر بفسدة
ايام في فلسطين ليتسنى لك ان تقيس جميع
الغنائم التي جاء بها من الاندلس ، ولكنك
ركب راسه ، وامن في عصيانه ، وابتلى الا ان
يغذ السير الى دمشق .

سليمان (في غضب شديد) : وهكذا
عصيت امرى ايها الفاسق .
موسى : يا سيدي ... انتي عيد مأمور ،
وفد امرتي اخوك الخليفة الراحل بالاسراع
في العودة الى دمشق ، ونفقت امره لان الله
امرنا ببقائه ، وطاعة رسوله ، وطاعة اولي
الامر منها .

سليمان : انك تيرد عصياني لي .
موسى : انا عيدك الطمع يا امير المؤمنين .
سليمان : انك بارع في تمييق الكلم .

.. ادخلوا طارق بن زياد .
(بعد منهيات يدخل طارق بن زياد بقماعته
الفارعة ، وبنيتة الوثيقة ، وعيينه اللتين
تتقدان ذكاء وحزما)

طارق : السلام عليك يا امير المؤمنين
ورحمته الله وبركاته .

سليمان : وعليك السلام يا طارق بن زياد
(الى موسى) هذا البطل احدى شعباك
.. لانا نفست عليه فتح الاندلس واضطهدته ؟
موسى : معاذ الله ان اكون قد اضطهدته .

طارق : تذكر يا موسى بن نصير انك
خرجت من ماردة تريد طليطلة ، واسرعت
لاستقبالك مرحبا بك ، والتطينا في موضع من
كورة طليطلة .. وترجلت عن فرسي عندمنا
ربناك اعظاما لك .. فما كان جزائي منك على
بلائي في سبيل املا كلمة الله ؟ لقد
قمتني بالسوط .

موسى : لانك خالفت امرى .
طارق : لم اخالف لك امرا .. ولكن
يجب ان تعلم ان القائد الحاضر في المعركة
غير القائد الغائب عنها .

موسى : ماذا تقصد بهذا ؟
طارق : لقد مسك الحسد لا يبر الله لي
من فتح عظيم ، فامرني بالتوقف حسى
واوائيت ليكون لك هذا المجد العظيم . بيد
انني وجدت ان العدو مراوغ ، وقد يودي بنا
اذا لم نتابع حذرك ، وتابعت مسيري غائبا
فانصا ..

سليمان : ألم ينتزع منك الغنائم والاموال ؟
طارق : بلى يا امير المؤمنين .. لقد
انزعها لنفسه .

سليمان : واين هي يا عدو الله ؟
موسى : قدمتها لك جميعها .
سليمان : ومائدة سليمان ؟
موسى : انها يحوزتك يا امير المؤمنين .

سليمان : ورجلها الرابعة ؟
موسى : وجدها بثلاثة ارجل ، وصنعنا
لها رجلا رابعة من الذهب .
سليمان : لقد احتفظت بها لنفسك ايها

الفسر .
احد اشرف الشام : ما هذه المائدة يا امير
المؤمنين ؟
سليمان : تحدث عنها يا طارق .

طارق : ان هذه المائدة متسوية السى
سينتا سليمان بن داود صلوات الله عليه .
وكانت ملوك القوط تعظمها كثيرا ، فقد كان
اهل اللعية من القوط اذا مات احدهم
يوضون بالمال للتكاثلي حتى اذا اجتمع قسم
كبير من هذا المال صافوا من اللات الصمخة
من الموالد والكراسي من الذهب تحمّل
الشمامسة والقسوس فوفوها الاناجيل في ايام
الواسم والايادى ، وكانت في طليطلة تائق



ولكن .. هذا لا يغضني .. سائقتم منسك
افطع انتقام .
موسى : وهل هذا مكافاة لي على جهادي
في سبيل الخلافة والاسلام ؟
سليمان : ايلا ان نمن علينا ثابته بجهادك
الزعيم .

موسى : انا لا امن ..
سليمان : (مقاطعا) واين الاموال التي
احتجتها ؟
موسى : لم احتجن شيئا .

سليمان : لقد ابحت لنفسك الاموال التي
افادها الله على المسلمين ..
موسى : علم الله .. انني لم اجاهد لاجل
الغنائم .. لقد جاهدت لاعلاء كلمة الاسلام .
سليمان : الاسلام ليس بحاجة الى جهادك
.. لقد نصر الله دينه قبل ان تدب على
هذه الارض .

موسى : وهل انا الا غيد من غييد ؟
سليمان : اين خبات الاموال ؟
موسى : قدمتها جميعا لامير المؤمنين .
سليمان : نابى الا ان ترى كذبك بام عينيك

(سليمان بن عبد الملك في قصر الخلافة بدمشق
وحوله بعض اشرف الشام . يدخل عليه
موسى بن نصير فاتح الاندلس .. شيخ
مهيب كلال الشيب راسه .. ورغم الثمانين
التي بلغها ظل محتفظا بقامة مشدودة ، وعزم
قوي ، ولباس شديد .)

موسى بن نصير : السلام عليك يا امير
المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته .

سليمان بن عبد الملك (يشدوه بنسوة) :
الحمد لله الذي مكنتني منك يا عدو الله .
موسى : يا امير المؤمنين جئت اسلم عليك
بالخلافة .

سليمان : اخرس يا عدو الله .
موسى : الرحمة يا امير المؤمنين .
سليمان : لا رحمتي الله اذا رحمتك يا
عدو الله .

موسى : (كانه يحدث نفسه) وهل اتسا
حقا عدو الله . انني من التابعين ، ورويت
عن نعيم الداري ، فعمده الله برحمته ،
وافئيت حياتي في الجهاد ، ودوخت الفرس
بعد حروب ضارية ، وكسرت جماع البربر ،
وفتحت الاندلس ..

سليمان : وهل تمن علي بما افاد الله على
المسلمين من فتوحات ؟
موسى : اني لا امن .. ولكنني استجدي
رحمة امير المؤمنين .

سليمان : لا ابالي الله اذا ايقنتك .
موسى : ان قلب امير المؤمنين لا ينبس
الا بالعطف ، ورحمته تسع كل شيء .
سليمان : امير المؤمنين لا يرحم العصاة

الفاسقين .
موسى : وهل انا عاص فاسق يا امير
المؤمنين ؟ لقد افئيت حياتي في خدمة الخلافة
والاسلام .

سليمان : كيف سوغت لنفسك عصيان
اوامري ؟
موسى : حاشاني ان افعل يا امير المؤمنين .
سليمان : او تكلب يا موسى ؟

موسى : اني اقول الصدق يا امير
المؤمنين .
سليمان (الى حاجبه) : ليدخل رسولني
الى موسى . (ملتقا الى موسى) لا ابقياني

الله اذا ايقنتك .
(يدخل الرسول) .
الرسول : السلام عليك يا امير المؤمنين
ورحمته الله وبركاته .

سليمان : وعليك السلام . ايها الرسول
الامين ألم تلق موسى في فلسطين ، وتنقل
اليه امري ؟
الرسول : فلت يا امير المؤمنين .
سليمان : ماذا تقول يا موسى ؟

المولود في صنعها من الذهب الخالص المرصع بالدر والياقوت والزمرد ، ولم تر الاين في مثل روعتها وبهاثها ، ولقد غشها بنفسي .
موسى : ان الذي غشها يا امير المؤمنين ، وفدتها لكم .

طارق : ان امير المؤمنين يعلم يقينا اني انا الذي غشها ، وسرفتها انت مني .
موسى : او تهمني باماني يا طارق ؟
طارق : اين رجلها الرابعة اذن ؟
موسى : صامت ايان الفتى .
طارق : لم تضع يا موسى . . ولكنني استغفها ، واحتفظت بها لانني علمت انك ستعفيها لنفسك امام امير المؤمنين .
موسى : انك تسرف في الخيال يا طارق

بن زياد .
سليمان : لقد قدمها طارق لي . . ايها الحاجب اتني بها .
(بعد هتافات يدخل الحاجب حائلا رجل مائدة من الذهب الوهاج المرصع بالدر ، وفاخر الجواهر تاكل الاصرار ببريقها)
سليمان : اريت يا موسى ؟ انها خير دليل على ذلك .
موسى : (متحالا) يا امير المؤمنين .
سليمان : اخرس . . لا انطق الله .
طارق : لولا ان المهني الله بانزاح هذه الرجل من المائدة لاتصر موسى عند امير المؤمنين .

سليمان : الم يطلبها ؟
طارق : فعل يا امير المؤمنين . . واهرت على انها صامت .
موسى : الرحمة يا امير المؤمنين . .

سليمان : لا رحمتي الله اذا رحمتك .
طارق : يا امير المؤمنين . . لقد كان بين اسراي حاكم قرطبة ، ولقد هم موسى بقتله ليتزعم فضل اسره مني ، ومن مقيت الرومي بالسكوى لامير المؤمنين فارادع ، وعجلنا بالسر في مدققت لشكوه لك .
سليمان : سيكون انتقامي منك عظيما يا موسى بن نصير . .
موسى : ارجو ان تكون سابقتي في خدمة الاسلام والخلافة شفيعة لي عند امير المؤمنين .
سليمان : (صارخا) خذوه . . وقمعوه بالسياط . . وادمو رجليه بالقيود .

اللوحة الثانية

(يزيد بن المهلب في قصره . . يدخل عليه موسى بن نصير شاحب الوجه غائر العينين ، رث الثياب ، زري الهيبة ، يتوكأ على عصا .
موسى : السلام على الهادي .
زيد : وعليك السلام ورحمة الله

وبركانه . . تغفل بالجلوس يا موسى .
موسى : ما ارق عليك ايها الامير . دعني واقفا . . انني لم اعتد الجلوس منذ زمن بعيد .
زيد : لا بد ان تجلس .

موسى (يتهاك على مفعد) : ما اجمل الجلوس بعد طول الوقوف والتطواف .
زيد : اني ارثي لحالك يا موسى .
موسى : ما قدر كائن ايها الامير .
زيد : اضرع الى الله ان يشمك برحمته .
موسى : وانا ادعوه ليل تهاجر ليسرع بقبض روعي لارتاح من هذه الاوصاب التي نهال علي من كل صوب .

زيد : كل شدة الى التفراج . .
موسى : الا شديني . . فهي كل يوم فسي تزايد . .
زيد : لا نطق من رحمة الله .
موسى : ان الله سبحانه وتعالى قد نسيتني .

زيد : اين حجاجك يا موسى ؟ ان الله لا ينسى احدا من عبيده .
موسى : استغفر الله . . (بعد هتافات) ايها الامير كنت قد القيت عليك بنفسي عندما كنتني امير المؤمنين ، وقد علمت اني خرجت من السجن بفلسك ورجائك . . فهل انا الان حر . . لانفرغ الى عبادة ربي .
زيد : لقد خفف عنك امير المؤمنين بعضي

الشر . .
موسى : ماذا تفني ؟
زيد : لقد من عليك باطلاق اسراحتك من الحبس .
موسى : وبعد هذا . .
زيد : اولا . . اريد ان اسالك فاصصف لي .

موسى : سل عما بدا لك .
زيد : لم ازل اسمع عنك انك من اعفل الناس ، وعرفهم بمكائد الحروب ، ومدارة الدنيا ، فقل لي : كيف حصلت في يد هذا الرجل بعدما ملكك الاندلسي ، واقيت بينك وبين هؤلاء القوم هذا البحر الزخار ، وتيقنت بعد البرام ، واستصعابه ، واستغفلت بالادا انت فتحها ، واستملكك رجالا لا يعرفون غير خيوك وشرك ، وحصل في يدك مسن الخدات والاموال والماعول والرجال ما لو اظهرت بالامتناع ما اقيت تنكف في يد من لا يرجحك . . لم علمت ان سليمان ولي العهد بعد اخيه ، وقد اشرف على الهلاك لا محالة ، وبعد ذلك خالفته ، واقيت بيدك السي التهلكة .

موسى : يا بن الكرام ليس هذا وقت تعديدي . . اماسمت : اذا جاء العين غشى على العين .
زيد : ما صعدت بما قلت تعديدا ، لا

تكنيتا ، وانما قصدت تلقيح العقل ، وتنبية الرأي ، وان ادرى ما عندك .
موسى : اماري الهدهد يرى الماء تحت الارض من بعد ، ويقع في الفخ ، وهسسو بعرأي عينه ؟

زيد : صحيح اذا جاء القدر عمى البصر .
موسى : الم يرض عني بعد امير المؤمنين ؟
زيد : ليس كل الرضى .
موسى : والله ايها الامير لو تركني فسي الاندلس ، وابتعدنا جميعا عن هذه الصفاير لكنت الان اعطيت كلمة الله في ارجاء الدنيا .

موسى : لقد وضعت خطتي لاجيء الشمام من ناحية القسطنطينية ، ولو انقاد الناس الي اقتديهم فتح وقع بهم رومية . . ولكن قلب امير المؤمنين تغير علي لا لذنب اترفه .
زيد : (يبدو على وجهه الالم) يا لبرؤ الاسلام في بعضي خلفائه .
موسى : كلمة حق .

زيد : ان خليلنا سليمان تكب ابطال العرب في غير سبب ظاهر ، فقد عصمنا بقتية بن مسلم الباهلي فاتح بلاد الترس حتى حدود الصين ، وبمجد بن القاسم التلغفي فاتح السند والبنجاب . . وهذا انت فاتح الاندلس ، ومدوخ افرقيبا تلقى نفس المصير .

موسى (يبكي بكاء شديدا)
زيد : لماذا هذا البكاء يا موسى ؟
موسى (يحاول ان يتجعد) لا تنسى ايها الامير ابني عبد العزيز خليلي في الاندلس .
زيد : رحمه الله . . لقد كان من الابطال الاشواص ، ولقي نفس المصير .

موسى : هل تصدق ايها الامير ان القوة تبلغ في انسان ما يافته في سليمان بن عبد الملك ؟ لقد كنت في سجناتي اتلو القرآن غنما دخل علي السجناء ، وفتحت خرفة ورمي راسي ابني عبد العزيز بحجوري . .
(يشتد بكاء موسى ، وبشاركه يزيد فسي البكاء)

زيد : صبيرا جيليا يا موسى .
موسى : وانني لي الصبر ، وقد فدت فرقة عيتي عبد العزيز . اللهم ان عبد العزيز كان تقيا تقيا طاهرا من الشوائب ، ونصيب نفسه للجهاد عوالمه كلتمك . . اللهم اشملهم برحمتك ، واسبع عليه رضوانك .
زيد : لقد اسرفوا في اتهامه .

موسى : قتلوه صواما فوما .
زيد : اصحبح انه نصر .
موسى : وهل تصدق اراجيفهم ؟
زيد : نعموا انه نصر بدافع من امرائه ام عاصم .

موسى : اكاذيب واضاليل . لقد كان عبد العزيز راجع العقل ، كبير الايمان

زينة صوفية

فلي عليل ..
 وجه الحبيب
 ودواء نظره ..
 يا سالي فلي سلام
 يا سادتي ، عفوا اذا اخطأت في حق المقام
 فالعفو من شيم الكرام ..
 واتنمو اهل الكرم ..
 اني عبرت ، اليكبحو بحر الندم
 اني فنيته بداتكم حتى العدم
 حتى العدم ..
 الوجد عذبني وحرق مهجتي امل الوصول
 امل اعيش عليه في شوق الي يوم التبول
 يا عابر الصحراء كم تشوكم نيران الطريق
 ولكم يذبك اللغأ
 علل فؤادك بالامل
 واسرع الي بشر الشراب
 واشرب فقد عز الشراب
 ونظف يا بدر السماء
 ابدا تحرق في الغشاء
 ابدا نطل على الحياة
 من برجك العلوي للارض الحزينة

وجه الحبيب
 ابهى واسطع من قدر
 واعز في شرع الوصول من القدر
 لكن - يا مولاي - لي املا ، وقبلي من وصل
 ولكل مجتهد نصيب ..
 وانا غريب ..
 وبقرينكم وطني ، واهل شريفتي ، والواصلون
 اغمست في ملح القناعة لقمتي
 وملا من بحر التدامة جرتي
 ودفعت في درب التوجع خطوتي
 فمتني الوصال
 ومتني اثال
 واحسرتاء على السنين الضالعات
 واحسرتاء ..
 واحسرتاء ..
 واحسرتاء على الشباب
 لو ضاع قبل بلوغنا
 ما تشبهه فاقوسنا
 واحسرتاء ..
 واحسرتاء ..

عبد المقيم عواد يونسف
 مصر الجديدة

يهم . واني واق انهم ما كانوا يستطيعون
 ان يخلدوا من راسه شعرة لولا هذا القدر
 التليم .

يزيد : لقد كان رحمه الله بظلا عظيما .
 موسى : ايها الامير .. لقد انى الله
 هيبتنا في قلوب الاعداء ، ولكن امير المؤمنين
 ابي عليا ان تعلي كلمة الله في العالم ..
 وفعل بنا ما فعل .. اما كان الاحجى به ان
 يدعنا نفتح الامصار ، ونؤثل الامجاد ، ونرفع
 راية العرب في كل صقع وناد .
 يزيد : هذا كان اولي حقا .

موسى : اني راو لك حادثة حدثت لسي
 لتحكم على الخشية التي ملا بها الله فلوب
 الاعداء منا .. عندما حاصرت مدينة ماردة
 الحصينة .. كنا نياس من دخولها ، وعسدت

يزيد : وزعموا ان ام عاصم اوحت اليه ان
 يتخذ ناجا كملوك القوط السابقين ، وانصاع
 الي ارادتها .

موسى : انها اكذوبة ليستروا جريمتهم .
 يزيد ، وقالوا ، انها طلبت اليه ان يرغم
 العرب على السجود له ، وجعلته يتخذ لقر
 عمله بابا قصيرا يضطر الداخلون اليه ان
 يظاظوا رؤوسهم .

موسى (منهكما) : ولماذا قتلوه .. ما
 اشد جرائمهم على الله .

يزيد : ولهذه الاسباب اوعز سليمان بقتله ،
 فانقض عليه خمسة من كبار العسكريين ،
 وضربوه .

موسى : ايها الامير قتلوه ، وهو يصلحي

استطاع بكياسنه ان يوفق بين جميع الطبقات ،
 ومزج بين العرب والبربر الفانجين ، واصحاب
 البلاد الاصليين ، ونزوج بامرلة اللريق ملك
 الاندلس القوطي السمساة ايجيلونا ، واللقبية
 بام عاصم . وهدهم من هذا الزواج ان يكون
 قدوة لرعيته في تحقيق هدفه العظيم . لقد
 ادرك بنائب فهمه ان السلام لن يتم الا اذا
 تقارب الشعبان : الفانجون والسكان الاصليون
 ليسرغ دعائم الفتح .. فهل في هذا كفر
 ايها الامير ؟

يزيد : كلا يا موسى .
 موسى : ولم يكتفوا بقتله ، بل اتهموه
 بالصبا في دينسه ، وهو الآن عند احكم
 الحاكمين ، ولا بد ان تكون الجنة مثسواه
 لعظيم جهاده وايمانه .

الى الحيلة ، واعطيت اهلها الامان ، ودعوتهم الى السلم .. فجاءني بعضهم ، ودخلوا على في اول يوم ، وزاوي ابيض اللحية والراس ، وكنت في الثمانين من عمري ، وجاءوني في اليوم التالي ، وكنت قد صبت راسي ولجيتي البناء ، فصبوا من حبرهم ، واعدوا يوم الفطر ، وكنت قد سوت لجيتي ، فازداد عجبهم ، وقالوا لقومهم : انا نفاكسل انبياء ينطقون كيف شاورا ، ويتصورون في كل صورة احبوا . كان ملكهم شيخا ففسد صار شابا . والراي ان نعطيه ما يريد ، فلا طاقة لنا بخرجه . وهكذا تم لنا النصر .

يزيد : الحرب خدعة .

موسى : ما اشد الامي عندما الفان بين بلاني في الفتوحات ، والحالة الاليمية التي وصلت اليها ..

يزيد : شهد الله اني بذلت جهودا عظيمة لترقيق قلب امير المؤمنين عليك سماء يمسح كلومك ، ولكنه ابي ..

موسى (في ياني شديد) ابي ..

يزيد : لقد ذكرته بجهادك العظيم ، وكنت له .. انه عيد من عيسيدك .. هيه اخطا ، فازجو ان تمن عليه بالمعفو وما زلت به في رجاء وضرعة حتى رضي ان يخفف عنك . موسى : رضي ان يخفف عني . يزيد : امي باطلاق سراحك من السجن .. ولكن ..

موسى : ولكن ماذا ايها الامير ..

يزيد : لقد رضي ان يهب لي دمك ..

موسى : وماذا يريد بعد ؟

يزيد : قال لي : انه قد اشتعل راسه بما تمكن له من الظهور ، واتقياد الجمهور ، والتحكم في الاشبار علسي ما لا يمحوه الا السيف ، ولكنني لن ارفع عنه العذاب حتى يرد ما غل من مال الله .

الى التاشيرين والمؤلفين

في ليبيا نونس الجزائر المغرب

العراق الاردن السعودية

ان مطبعة القريب على استعداد لطباعة وتعبير مختلف الطبوعات من كتب واطالس

خابروها على العنوان التالي :

مطبعة القريب

بيروت - شارع هوفلان - ملك البديوي

موسى : يشهد الله اني دفعت اليه كل الاموال .. ولا املك درهمها اقتات به . يزيد : اخرينه بهذا ، غير انه زعم انك تحجن المال لنفسك ..

موسى : يا رب .. لماذا خلقتني ؟

يزيد : يريد منك الف الف دينار ..

موسى : ماذا نقول ايها الامير ؟

يزيد : الف الف دينار ..

موسى : يا رب اين اجدها ؟ انا الذي لا املك قوت يومى ..

يزيد : ساتحمل عنك بعضها ..

(موسى بن نصير .. لا يسمع ..

وتنهائى ، ويقع مقشيا عليه)

اللوحة الثالثة

(موسى بن نصير يعانى وطاة المرسفي التقييل في وادي القرى . لقد خذله الجميع سوى مولى له بقي وفيما امينا ولازمه)

موسى : اتني احس بان روحي تكاد تفارق جسدي من ثثرة الامي .

المولى : لقد فسدت ذمعا بهذه الحياة .

موسى : لا يد لكل مصيبة مهما عظمت من نهاية .

المولى : اما مصيبتنا هذه ، فلا ارى لها اي مخرج .

موسى : ارادة الله .

المولى : اتني اطوف معك في احياء العرب لنسأل الصحنين بعضي المال لنشبعه لنسبي الموكلين فيسي تعذيبك ليخفوا عنك بعضي العذاب .

موسى : واحسنا .. ان جدي العالسر اسلمتني الي هذا اليوس الشديد .

المولى : ايها الامير .. لقد رايتنا ايسام الفتح ناخذ الاسلاب من القصور ، فنفسل منها ما يكون فيها من الذهب وغيره ونرمي به ، ولا تأخذ منها سوى الدر الفاخر .

موسى : واصبحتا الان تطوف على احياء العرب ، فواحد يجيبنا ، وكثيرون يهرون منا ، ولربما رحموننا ، فاطفونا درهمنا او درهمين ، فكم هي فرحي عظيمة عندما كنت اضعهما في يدي لادفع بها الي سليمان بن عبد الملك .

المولى : اتريد الحق ايها الامير ؟

موسى : وتتاديتي بالامير ايضا ؟

المولى : لقد اصبحت اكره هذه الحياة الخالية من كل راحة ... ملكت الطواف في احياء العرب والاستجداء .. اتني اسوق الى حربي .. واريد ان استمتع بترف المدن ، وحياتها اللينة ..

موسى (مكفهر الوجه) وهل تريد مفارقتي ؟

المولى : بلى .

موسى : انتقل انت هذا ؟

المولى : لقد اخلصت لك ، وتبعك في كل مكان حتى كنت قدامي ، وصافلت انفاسي ، ودمي جسدي من التعب .. الست بشر ؟

لا يحق لي ان ارتاح ؟

موسى : اتسلفني ، وانا في هذه الحالة ؟

المولى : لم يعد في طاقني ان اصحبك .

موسى : ارحمتي .

المولى : اذا بقيت معك يوما اخر مت غما وفجرا . اما بكنيني ما لاقيت من غناه ؟ ان لنفسي على حقا .. وانا مفارقتك من غد .

موسى : انا ترى الدماء يظنكي ؟ لمسن تتركني في هذا الوادي المظفر ؟

المولى : وماذا تريدني ان افعل اكثر مما فعلته ؟

موسى : اوسل اليك ان تبقي معي رحمة بشيخوتي الغانية .

المولى : لقد اسلمك خالقت ومولاه ، وهو ارحم الراحمين .

موسى : (تهل الدموع من عينيه) صدقت .. صدقت .

المولى : اتني ذاهب من غد .

افعل ما تشاء .

المولى : يمز علي ان افارلك .. ولكن ما جيتي ، والتعب قد فراني .. وهذه الادوية الفقراء لا يرضي .. الا لمن الله الجد العائر .

موسى : يرفع يديه الى السماء) اللهم يا ارحم الراحمين .. انقذني من هذا العذاب الذي ينصب علي .. ان رحمتك وسعت جميع الكائنات فافض روحي .. وخذني اليك .. كفاي عذابا وتشريدا .. انت تعلم

يا رب .. اتني لم افرق اي منكر .. وامليت حياتي عابدا فالتا غازيا فارنا كتابك الكريم ، راويا حديث رسولك .. خلصتني يا رب .. وارضمتني ..

(يحس موسى بخدر لا يسري في افضائه ..)

ثم يتابع : ايها المولى الوفي .. اتني لا اعرف كيف ازجي لك شكري .. ليوافك الله .. وايرحمك .. انت حر منذ هذه الساعة .

(يوفى التماسي جفونه .. فيستسلم الى نوم عميق .)

المولى : ما انسى الحياة .

(ويستلقي ، ويفطفي نومه .. ويستيقظ مع الشمس ، ويدنو من الامير ليوقلقه ، ويودعه . ولكن روح الامير كانت قد صعدت الى بارئها تشكو ظلم الانسان للانسان .)

المولى : (وهو يحفر القبر ليوارى سيده) ما انتف الحياة .. حقا انها حقيرة .. مما دامت هذه نهاية البطل .

محمد حاج حسين

طرفوس

آمنت باسمك

من ملحة بعنوان « ميلاد المسيح »

رجمتك بالقيب الظنون وتساءلت عنك القرون
ولفقت حقب اليك حوالها ... ورنث عيون
شفلت بآيتك الخواطر : ما عساك ؟ ومن تكون ؟
المشركون المرجفون تحيروا ... والمؤمنون
قوم يقولون ابن داود ، وقسوم ينكثرون
كهوت على الشبهات ابتك التي لا يفقهون
فتنتهم الدنيا الفرور فخلهم يتخطون ...

هذا الوليد وفي عيون الكون شيء من رؤاه
يستعذب التجوى اذا طفرت ترددها الشفاه
محرايه الكون الفسيح مداه ان شاء الصلابة
انى مشى سارت على درب الشقاء به خطاه
لا مال ، لا سلطان ، لا قربي ، ولا نعمى وجاه
في ساحه ذل الطفلة ومرغ الصيد الجباه
آمنت باسمك يا وليد الحق ، يا روح الاله

آمنت باسمك يا منار الرشيد في دنيا الضلال
تهو لك الافلاك حانية وترنو في ابتهاال
سبحان من المي على المهد السكينة والجلال
والسا المفازة عينة وحيا الوليد بها الكمال
غير السن الدنيا فمالت نثوة من حيث مال
الكون اطرق خاشعا ونطامت شم الحبال
ونلفقت دنيا بخيرها التلهف والسؤال ...

قد رحمت تدعو في حياتك للمحبة والاخاء
في عالم لا يتبيح به الضعاف الاقوياء
الكل في نهج الحياة وشرعة الباري سواء
متراحمين ... فلا طفلة ، ولا عبيد ، ولا اماء
ضل القطيع اليوم درب الخير وانقطع الرجاء
تاهت خطى في الارض تسعى ليس تهديها السماء
لا تهد من احببت ... ان الله يهدي من يشاء
ميلادك انطلقت به الامال باسمة المحيا
حفلت به الدنيا والفت فيه معنى سرمديا
جبريل روح قد تمثل للورى بشرا سوبا
بشراك يا اما جباها السله مولودا زكيا
من تحتها في المهد راح يكلم الدنيا صبيا
سبحان من آناك آيته وكنت بها حفيا
وسلمت يوم ولدت ، يوم تموت ، يوم البعث حيا

لندن

سعيد العيسى

من « العروة الوثقى »

تدفع نظير المشاهدة ، أو التبرك أن كان من أبناء الشرق من يميل الى السفرة المحموده ، وياخذ نفسه بالاطلاع على آثار الاولين ، وكانت الدار التي يقع فيها هذا الاثر قد طارت شهرتها في افاق الارض ، حتى لم يبق في كثير من أيام السنة ، من تغلق دونه الدار الحبيبه الواثقه . وكان الناس يحسدون هذا البلد على ما اوتيته من فضل ، وما شرف به من نسب . فالطرقات اهلـسه والاسواق عامرة والارض لا تخلو من زائر عارف ، او طارق مستفهم عن الحشود الوافدة والحجيج الذي لا ينقطع . بغية رؤية العين ، او اللمس المستطاب على مصحف خضبت صفحاته بدماء عطرة هي دماء عثمان بن عفان التي سالت وهو يردد قول الله جل شانه : « فسيكفيكم الله وهو السميع العليم » .

ولما كانت اسرة الاحوق ، تعرف تلهف الجماهير على المشاهدة ، وانجذابها الواعي ، لذلك عملت على ان يكون تلهفها لا يقتر ، ومشاهدتها لا تمل ، ففتحت دفني المصحف على هذه الآية الكريمة ، امعانا في العطف ، وجلبا للزائرين من كل فج ، حتى كان يخيل للمشاهد للدم الغالي ، انه سكب لتوه ، وسال ليومه ، وان كانت قد مضت عليه اجيالا ، وغبرت عليه قرون واحقاب .

غير ان الزمن كفيل بالتفعية ، وتعين بضياح قيمة الاثر ، مهما كان جليلا ، او له في حياة الامة ما يجعلها بعض عليه بالتواجر ، فكان من جانب الاسرة الاهمـال لنقله المورد ونظير الزمن ، والدفع الذي اطاح بكل شيء حتى هذا التراث ، وكان الاستيفاظ من جانب حكومات خذل عركته الكفة ، وعملت على البقاء في سياسة ناعمة واهمال متربص للظفر بهذا التراث التواروي الذي اعمله اصحابه ، وبات في طي النسيان .

وبدأت المساومات تجد حينا ، وتعتثر احيانا ، وتنسى سنين الى ان ارسلت هذه الاسرة تعرض على بعض الحكومات من بيتاع هذا الاثر باي ثمن ، لاسيما وقد انقطع موردها او كاد ، وبات ابتؤها يسامون على هذا الشرف حتى بيع باقل ثمن ، وفقد مصحفنا النالـد كما فقد خليفة المسلمين من قبل ، هذا بيد ائمة ، وذلك بيد ناعمة !

ومن العجيب ، انه كان في مقدمة العربيين عـلـسي اقتناء هذا المصحف الحكومة البريطانية بما لها من سياسة ، وما يبداه من سيطرة ، وكانت المفاوضات تجري في جو يعوزه التيقظ الى ما في هذا الرمز من تجلة ، وما يحويه من عظمة ، ولكن العوز وسوء الحال كانا الدافع الى بيع السماح لهذا الاثر المستباح .

ومما لا شك فيه ، ان الحكومة البريطانية كان حرصها اشد من حرصنا نحن على هذا الاثر ، وكانت نظرتها الى اهل اجل من نظرتنا نحن واسى ، فوضعت في المتحف البريطاني ، وهو مكان معد لمرض هذه النوادر ، ومحجة



ابو طالب زيان

مصحف عثمان في البهنسا

بقلم ابو طالب زيان

في البهنسا وهي قرية من قرى محافظة البهنسا في الجمهورية العربية المتحدة ، اسرة ذات مجد تاريخي عظيم ، توارث ابنائها قرونا عدة ، ائرين عظيمين ، احق بالرعاية واخلق بالمحافظة .

ففي عام واحد وثمانمائة للهجرة ، تنزلت من مجلس القضاء الاعلى من مكة وثيقة تحمل نسب اسرة الاحوق الى امير المؤمنين : عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ، ونصف قضاء شرعيا لجد هذه الاسرة الاعلى بدارالرافي ، مما جعل ابا بن عثمان يقد الى البهنسا ، ويطلب ميراثه عن ابيه من اشياء هذه عدتها :

الف ومائة ناقة وجمل ، ومثنان وستون دينارا ، وعبدان سودانيان ، وجارية حبشية ، ومصحف مخطوط عتيق .

على ان اسرة الاحوق ، قد اعطته نصيبه من الميراث ، وهوضته عن مصحف ابيه الذي تعهدته بالرعاية ، واحاطته بالتجلة الى ان زال حفاظها له ، وملكيته لهذا الانسر الجليل .

كانت اسرة الاحوق التي تسكن البهنسا لا عمل لافراد اسرتها ، ولا كافل لهم سوى هذه الضريبة التي

نزيهة حب ..!

عهد الهوى ما بيننا
يا حسن عهد متقضى
فالدكريات مثيرة
كانت لنا الدنيا مراحا وهي طويح
أفكتنا
نلهو بها متعاقبين
كأنما الدنيا لنا
والآن مات الشوق في الأحداق بيل في قلبنا
لا العيين نقريني ولا
حس العيون تنكرت لي
وأنا الذي اشتدتها
وبه ففنى التشومون وردوه ملحننا ...
والآن أصبح كل شيء
ونفير الماضي القريب
لا ما التفتنا في الحياة
وبنا الهوى نحن ابتدى

رياض معلوف

زحلة - لبنان

القوار الذي سال فوق هذا الورق العتيد وتلك الصفحة
بعينها التي غفلت دم الشهيد وهو يتلو آيات الله ، وما
يعلم ما يأتي به القدر ، وما تخيئه له الأيام !
التي لا تأمل في هذه الطنافس التي فرشت بها ارض
الحجرة ، يرى الفن العربي الاصيل ، يشع من خلال هذا
التناسق الذي ازدان به المكان . فالاشعة النفسية التي
تفنن فيها الصناعات ، وما تعكسه من انفعال تثير في النفس
مختلف الاسئلة ، وشتى الاحاسيس ، يقف امامها المشاهد
من شتى البقاع في حيرة من امر هذه الاعاجيب التي
يضمها هذا المتحف الفريد . والتصميم الزخرفي الذي
افتن فيه الفن الهندسي وما طعم به من سدل على
الحوائط هي كل ما يتفرد به المتحف من بين متاحف العالم
في البناء والتنسيق والزخرفة والطلاء الهاديء الجميل ،
والفن الموحى بالجملة والاحترام .

اننا حين نستنزل الرحمان على ماضيها التالذ ،
ونتحسر على سيادتنا في التاريخ ، نذكر ايماننا التي عشت
بهذا المجد وايدينا التي اهملت ، واثرتنا الذي زال عنا
دون وعي واكثرنا الا ان يكون لنا من دون مصحفنا
ما نفخر به ونعتز بغيره ، لكن ليس فيه ما في دم عثمان
الشهيد على مصحفه العتيد .

ابو طالب زيان

القاهرة

للاثرين من كل حذب ، فضلا عن تصميمه الذي يستعد
الفن ان يلتقي به ، ويبلغ ذروته من حيث العرفان
والتنسيق والاشاعة ، مما جعل الزيارة لعل تنقطع والوقوف
اليه لا تمل بفيه المشاهدة والاطلاع على هذا الاثر التاريخي
الفد الذي قبع سنين في بيت له مجده ، واسره لها
تاريخها هذه القرون التي مرت دون ان يجيش في نفسها
صلتها بارفع نسب ، ويحرك ضميرها فيدفعها السبي
الحرص والذود عن مصحف عثمان الشهيد الذي توارثته
جيلا بعد جيل وخلفا عن سلف .

ومما يبعث على الاستغراب ، ان تكون الكثيرة
الكثارة من زوار هذا المتحف من الذين كان تحت يدهم
هذا المصحف وعلى بعد كيلو مترات من اقامتهم ، وكانوا
لا يفكرون في الذهاب اليه للمشاهدة او الاطلاع على
دم عثمان الشهيد ، او العمل دون انتقاله الى مكان يكلف
كثيرا من التفتات كان نظرهم اليه قد تغيرت ، وشوقهم
قد ابتعث ، وحنينهم الى هذا الزاد قد اصابه التعجل ،
فبات يسعى وراء هذا الاثر المفقود !

يشهد الزائر لهذا المتحف عن يمينه منظرا عجيبا كله
السحر بما عكس عليه من اشواء ، وما احبط به من
رموز هي غاية ما يمتنى المرء ان يستأني امامه ساعة او
بعض ساعة : متكا مستطيل تحيط به زخرفة مطرزة
تجمع آيات مذهبة تضرب الى الحمرة اشارة الى الدم

مؤتمر طرابلس وثورة صيدون

بقلم عيسى ميخائيل سابا

على براق الفكر، عد الفقري الى العصور الغواير، وسر
بعين الزمن المنصرم وماش سيف البحر المتوسط جنوبا،
فتظفر بصيدون مدينة فينيقيا، وهناك حط المسير،
والق عصا الترحال، « لا السير في الاطمويل » واشهد
العظمة والتضحية، واشدد الحرية المطلخة بدماء الابرياء،
وقل سلام على الارواح الطاهرة السابحة في سماء لبنان
الجميل، جبل الاسود والنور.

ولا تنس ان تقول: بش الخونة وبش الظالمون،
وبش الطامع وبش المستزفون دماء الجيلة الابرياء،
وقبل ان تاوي الى فراشك ردد: القوة، والقوة ولا تخش.
والقوة كانت منذ البدء ولما نزل قسطاس العدل،
ولا عدل مع الضعف، والويل ثم الويل لمن فقد القوة،
وقد انزعامة والجاه وقديما قيل « السمك الكبير ياكل
السمك الصغير » ورحم الله الشاعر الفرنسي « لافنتان »
القاتل: « الحق لا قوى وهو الفضل دائما ».

واذا ما تدبرت هذا القول، ازدد العظمة الكاذبة
المعفرة الجبين تحت اقدام الفاتح القوي واعلم انها عظمة
كاذبة تزول زوال سحابة صيف، وخير منها ثم خير منها
النار تذهب بالاخر واليابس، بالطفل الرضيع والفقير
اليافع والعناء المشوقة القوام والشجعان، والفتنة
ولا تنس ان الحرية التي يمنحها المستبد الفريب
العاني هي قيد في اعناق العبيد الالاء، الذين يفرحون
بسلام الذهب تلمع على الصدور.

هناك ماش العصور واهبط مدينة فينيقيا القديمة
« صيدا » وقد ظهرت فيها آثار تعلي عليك من خبر الإيام
ما كنت تجهل وكان طي الكتمان، وما زالت الارض تحفل
باخبار الاندمين ولا يظهرها الا الزمن والمنقبون.

وعد بي الى مؤتمر طرابلس الفينيقي وانتظر ما
تبعث به « المدن الثلاث » طرابلس وقد انعقد فيها مؤتمر
فينيقي السنوي، وان انت عدت الفقري الى الورداء الى
العصور الغواير وتصفحت الوجوه فما تقرأ على تقاسيمها
غير بغض الفرس واحتقار عمالهم.

صيда او صيدون تغلي وترعد وتزدب واجدة على
ظلم الفرس المستبدين وقد طمع الكيل، تنتظر انشارة
الاعيان المجتمعين في المدن الثلاث « طرابلس » واذا الخبر
يحمله جماعة من الفرسان برا وآخرون بخرا. وما هو
هذا الخبر؟

الخبر عظيم، ترعد منه الفرائض، والوطن عزيز
والاهل كرام وان جاروا، والبيت حبيب كريم وقديما قيل

فيه « يا بيتي يا بيتي يا مستر غيوباني فيك انا وفيك
اقوم وفيك امد جرياني ».

جاء الخير وما هو لا الثورة، الثورة، الويل للظالم،

الويل للفرس. انتشر الخير، خير العصيان، وتخطى
صيدون الى ماجاورها، واذا فينيقيا بأسرها جنود مجنده
تدافع عن حريتها وتطلب استقلالها، والتصرف بمقدارها.

غضب في البر وغضب في البحر، في السهل والجبل.

تهدى كل شيء واندمعت نيران الثورة، فذهبت
بحياة مرازبه الفرس وعمالهم، غقت على الروض المكبي،

وتداعى قصر ممثل الفرس « احشوريش » الثالث قاتل
اقاربه من العائلة المالكة، ليبس له الزمن ويستقل بالتاج منفردا

اتصل الخير بحامية الفرس المراقبة في سوريا
وفييقيا، فجاءت لتخضع فينيقيا اللبنانية الثائرة فماذا

رات؟ رأت تارا وحديدا فصغت على قفاها صقعة انبتقت
من صدها شجرة الحرية، ورفعت راية الاستقلال

المزركشة بدم الصبايا والشبان. ولكن الى حين.

احشوريش الثالث ملك الفرس في قصره ينعم بين
حظياته يشرب الخمرة المعتقة من مسطار فينيقيا التي تدر

لينا وعسلا ورحيقا لذة للشاربين والاكليين، واذا البريد
يصل بها قليب جبينه وازال سروره، وأمر بالجيوش

فخرجت الطويل وصفت العساكر، وسار يطلب صيدون
الثائرة العاصية.

جاء صيدون، والخنادق حول سورها فحضر
الحصار وحاف « تبتيت » ملكها المغر الجين تحت اقدام

ممثل الفرس، فأرسل الاعوان يطلب. الصالح ويقدم
مخطوطة آلة « الإبقاء على حياته وحياة ذويه. » فقتل

الفرس الاعوان، وقبضوا على « تبتيت » وشهروه. وما
ابقوا على حياته. واصبح خبرا في بطون الأناار والكتب.

واتصل الخير بالجند وعرفوا خيانة ملكهم فجمعوا
جموعهم واضرموا النار في المدينة وفي المراكب المراقبة.

وهناك وسط الهيب شهدت « عشتوريم » بسمة
الصبح ونجمة القمر الفينانة، محلوقة الشعر تبعث

الصيحة تلو الصيحة داعية الى النار، فاحتقرت المدينة
يمن فيها في السنة ٣٥١ ق م ودخلها احشوريش الثالث

قاعا صفصفا، ونعم الفرس ظاهريا يارض فينيقيا بسلام
الخير والخير والارز والصباغ الارجواني مدة ثماني عشرة

سنة بقلق واضطراب وسلمت تاجها صافرة بعد ذلك الى
الفاتح المكدوني، اسكندر الكبير، وادواح البرهه من ابناء

صيда « صيدون » توحى في مطلع الفجر، وفي انحجاب
النور قول « عشتوريم » الجميلة « النار النار ولا السدل

والعار» الى ابناء صور ليصعدوا في وجه المكدوني الجبار،
فكبدته اعدايا وخسائر رددتها الاجيال ولما نزل تقول:

هذه اثارنا تسدل علينا فانتظروا بعدنا الى الانبار

عيسى ميخائيل سابا

صراع بين الجسد والروح

من ديوان شاطئ العمر يصدر قريبا

ابي اخي الحبيب رمزي خليل اهدي هذه القصيدة فقد شهد مولدها مندخمسة عشر عاما

الجسد

ورعشة احلامي ، وخفق مزاهري
أؤكد نفسي في ظلام المفادير
يفتش ، في الاوهام عن طيف عابر
يردد توتيلي دخان الجاسر
نهزبل اشباح تسريل نبالهري
لاسمع همس الصمت بين اليبادر
وابقي كسير النفس بين الدياجير
ونوبة مضبول ... واوهام شاعر

الى العالم العلوي ... لست بقادر
يفضل ... دعيتي... لست آخر كافر
وامضي بدنيا الناس صلك المشاعر
لنفس من الافداس ... او ظهر طاهر
واسخر من طيف الملاف الطاهر
تموّل مسير الركب نحو المظاهر
يقوض كما يهوى بدون اواصر
لاتحض للاجبال ... كل المسافر
الى العالم العلوي ... لست بقادر
يفضل ... دعيتي... لست آخر كافر

دينني للامي . وسود خواطري
أعيش بوادي الطين بين عشيرتي
فما أنا بالنشوان في عالم الرؤى
ولست بقدسي ... ولست بكاهن
ونست بروحي القصيد .. ولا أرى
ومأ أنا بالساري على (رفرف) الدجى
واذبح (فجر النور) في (هيكال السنا)
لهذا ضلال في الحياة وجنسة

ستمك روحي ... لن أتابع رحلتى
دينني... دعيتي .. لست اول راهب
دعيتي ... أعب الكأس صفوا مذاقها
أزهد كالمجنون . من غير حرمة
أدوس قلوب القانيات مقلتها
أرى الثبل عجزا ، والتورع تكسفة
وأرذل فكري خلف كل عقيدة
طليفا علي رغم العجوة والفسفة
ستمك روحي... لن أتابع رحلتى
دعيتي ... دعيتي... لست اول راهب

<http://Archivebeta.Sakhr.com>

الروح

لتفعل اوصار الاسي من هوادري
الى العالم العلوي .. قدس المصادر
وقليك خفاق بشستي المشاعر
تعاف نداء الطين ... لحن المواهر
نفسه حنايا النفس... في السرائر
ففرط طليفا بين هذي الازاهر
غزاء جسدود التاعسين الفواير
نراه جليبا خلف هذي المظاهر
رياح .. مزجة بقدرة قصادر
حدائق تشوى بالوردود النواير
وصمت على هام الطلول الخواير
يجففه كل اليانبات الزواير
ويشي يعرس الكون صوب القباير

يعود الى الاكوان ... عمودة ناشر
فتمصو على لحن من البعث غامر
اله قدير خلف هذي المظاهر
ففرط طليفا بين هذي الازاهر

نعال لاهامي . ونور منسابسي
نعال ... ولا تغلذ الى الطين. ترقي
فنيك من الاسرار كل محجب
وفيك على (رغم التمرد) نفحة
وفيك من الرؤيا ظلال مشعة
خلقت لدنيا الروح والحق والهوى
وصل طويلا بالعموع فانهما
ولنش عن السر الكمين فريسا
بحار... وامطار... وسحب نسولها
نخيل واشجار .. وعشب مخضل
طوبور على الافنان تشدو طليقة
خريف على الاعراس يأتي مصوحا
ويشر ربح الموت والعزن والباي

وياني ربيع بعد هذا مشعشا
يعيد اليها روحها ... وسناها
لغش عن السر الكمين فساته
خلقت لدنيا الروح والحق والهوى

عبد العزيز الدسوقي

القاهرة

كانت السيارة الكبيرة - ولنسمها حافلة - مكتظة بالمشافرين مسن مختلف الألوان والأحوال والأعمار .. وقد انطلقت تسبح على سطح الطريق المزفت بقوة ونشاط ، كأنها الزورق الحربي ، يمدح صدر الموج رافع المقدمة كالطائر بعضه في الماء ، وبعضه في الهواء .

والطريق بين دمشق واللاذقية بطبعته طويل ممل ، ولكن المسافرين ذوي الأعصاب الحساسة أشد الناس شعورا بطوله وأملاله ، عندما يضطرون الى امتطاء هذه الحوامل . وذلك لتضارب أمزجة الركاب وما يتأني عنه من فوضى مزعجة ... فهناك من يطيع له الفناء فينتقل على هواء ، يصب الحانه كيفما اتفق في أسمع الباقين ، دون أن يفكر برضاهم أو غضبهم .. وهناك المشغولون ببطونهم ، يتخذون مسن هذه الرحلات الطويلة فرصة للتزويد بأنواع الأطعمة ، فما هي إلا أن يستقر بهم المقام في جوف الحافلة حتى يتفرغوا للتقم والخضم ، لا يباليون بما يحملون أناف الآخرين ولا يبايهم وليسوا قليلين أولئك الذين تغلب الصفراء على أمزجتهم ، فما يكادون يحسون حركة السيارة حتى تنقلب أمعاهم لتتدلف بما تحتويه من قديم الطعام وحديثه ! .. وأثناء ذلك ينطلق ضجيج المدايع الذي لا يعرف الراحة ، ليشغل كلا من هؤلاء عن نفسه وما حوله .. أشبه ببطول وثني الهند القدامى ، عندما يحتفلون بأحراق امرأة تريد للحاق بزوجها ، فيشحنون الفضاء بدوي متواصل ... يكفي لإبعاد صوت الضحية واستغاثاتها عن أسمع الجمهور المحتشد .

ولعل الصيدلي (.. ١) كان أشد ركاب هذه الحافلة ضيقا وساما ، وهو معذور في ذلك ، إذ كان يسبب وضعه الصحي أحوال الجميع الى الهدوء .. فقد له أن لا يجد إليه

سيلا . وقد زاد طينته بلة هذا الجار الأرمني الذي القاه سوء الحظ بجانبه فجعل رحلته كالعاب الضخم قضي عليه أن يرنح تحته سبع ساعات متتاليات ! .. فهو أولا نصف سكران ، قد نسجت أنفاسه من حوله غطاء كثيفا من الروائح الفاسدة لا يستطيع منها فرارا .. وأثم فضله بذلك القوط الذي جثم في حجره فمسا يكاد ينقطع عن المواء .. ولو شاء أن ينقطع لما أتبع له ، لأن الخواجا قره بت - وهذا اسم صاحبه - لا يطيع له أن يفقد صوته ، فهو لا يبرح يشد أذنه ، أو يقرص ذيله ، أو يدغدغ صدره ، لينصرف عمن

ثورة القطط

بقلم محمد المجذوب

الخير إلى الصراخ الكبير .. ولا بأس أن يؤدي ذلك إلى أحوال الصيدين وعشرين مثله . ما دام قره بت يجد في هذه اللعبة سلوى تخفف عن نفسه بعض وعناء الطريق ! .. وكان مستحيلا على (.. ١) أن يتدخل في حرية القطط وصاحبه ، فضبط أعصابه ، وحاول أن يشغل وقته من هذه المزعجات بالتدخين والقراءة ، حتى قاربت الحافلة مشارف اللاذقية . وهناك التفت الى جاره السعيد يقول له : أن فطك جميل .. وأنسى جدا .

وأجاب قره بت : تبأ تبأ . لذلك أحبه ، وأحمله أينما ذهبت .

قصة

وجعل (.. ١) يداعب جلد القوط وهو يقول : اليس له اسم ؟ - اسمه أروك ..

- اسم جميل .. والعجيب أنه يشبه بعض اسمي .. أن اسمي (أناتول باروك) .. ومن أين جئت بهذا القوط اللطيف ؟

- من كسب .. ألا تعرف كسب ! أنه صيف جميل جدا .

- الداعي غريب جوال لي مكتب تجاري في اللاذقية .

- ونعم (.. ١) أن يخرج كلامه بطريقة توهم السامع أنه واحد من التجار الأعاجم .. ثم تابع : كم يساوي مثل هذا القوط عندكم ؟

- لم ادفع ثمنه .. وهو مولود في بيتنا .. وإبوه وامه وأهلهم كلهم أئدنا من زمان

- وهل في كسب كثير من هذه القطط ؟

- تبأ .. كثير .. وأتم اليس في بلادكم كنت ؟

- قليل .. وهي غالية جدا .. ومقدسة .

- مكسدة ! .. - نعم كثيرون عندنا يبعدهونها .. وكثيرون يربونها لحراسة البيوت ، ولرافقة الأطفال .

- أجب .. ومن أين تأتون بها ؟ - نشترها من اليابان بأعشار

عالية جدا .

وسكت قليلا ثم تابع : هل في وسعك أن تؤمن لي مئة قط بسعر مناسب .. خمس ليرات لكسل

واحد مثلا ؟

- خمس ليرات ! انت تشتري ؟ - نعم .. هل تستطيع الاعتماد عليك ؟

- وبرقت أسارير قره بت ، إذ وجد نفسه فجأة أمام غنيمة باردة .. ولم يملك أن قال : أنا مستند

لذلك ..

ولم يشأ (.. ١) أن يفوت الفرصة فاستل محفظته ، واستخرج منها

ورقتين بقيمة عشرين ليرة دفع

بهما الى قره بت قالنا : هذا ما لدي من النقود الان ، خذ كسلفة من المبلغ .. وبعد شهر واحد تستطيع الاتصال بمكتبي هاتفيا .. اكتب اذا شئت رقم ٩٤٢ شارع الهافانا .. كنت اود مراقفتك الى كسب لترتيب الامر معك ، ولكني مضطر الى الغياب عن اللاذقية طوال هذه الايام ، فعليك انت بتجميع اللقط المطلوبة ضمن افاص .. ولا تبخل عليها بالغذاء اللازم ، وساحاسبك بكل التكاليف ..

ولم يبق ما يحصلون دون اتهمام الصفقة ، فضم قره بت النقود الى جيبه .. ووضع توقيعه على السند الذي كتبه السيدلي بتنظيمه للاتفق وعند مدخل المدينة فارق (..) صاحبه وهو يؤكد عليه بان لا يحدث مانع يحول دون تسليم الصفقة في موعدها المقرر .. ثم قال له وهو يهز يده : مسيو قره بت ارجو ان تنسى اسمي .. وقال قره بت مستهمل .. انه امانول .. باروك .. حسن ... اذا نسيته فسيذكرك به قطك العزيز .. ان فيه حروف اسمه نفسها .. ودعا .

وباشر قره بت عمله الجديد منذ وصوله الى كسب .. فصنع اول قفص ، وجعل مكانه على سطح الدراج الحجري ، وبدا باصطياد قطط الجيران واحدا بعد اخر .. ثم اتبعه بالقفص الثاني ، وبات عليه ان يطلب القفص من الاحياء الاخرى بعد ان استنفد ما خوله ، وهذا يعني ان يستعمل المال للحصول عليها ، وهكذا اضطر السي اداه الثمن ..

لقد افتتح السوق بنصف ليرة للقط الكبير ، وربع للصغير ، فعلا القفص الثاني او كاد .. ولكن السعر ما لبث ان تحسن ، اذ اضطر الوسطاء ان يدفعوا بدورهم ، فلم يعد العمل مربحا الا اذا زاد هسو في سوية الاسعار .. وكان متعلدا

عليه ان يتوقف عن مواصلة الطريق بعد ان قارب نصفه ، لذلك رضى برفع العمولة حتى استقرت على اربعة اضعاف المستوى الاول ..

على ان المشكلة لم تقف عند حدود المال .. بل أصبحت له مصدر عناء لا يطاق ، واول مما واجهه من هذا العناء المعارك التي أصبحت ضرورة لا مناص منها في تلك الاقفاص .. انها معارك مشابهة رهيبة كثيرا ما تجري فيها الدماء وتزهق الانفس .. وهي لا تعرف ميقاتا معينة ، فقد تقع في الصباح او الظهر او الليل ، فتحرم اهل البيت كلهم ان يتذوقوا طعم النوم وما اكثر ما اقحمته معارك مشابهة مع جيرانه ، كان من حقها ان تجر الكوارث ، لولا تدخل اولاد الحلال ، ولولا صلات القريب التي تربط بين قره بت ومعظم اولئك الجيران ..

ثم كان عليه ان يعني بتدبير الغذاء اللازم للبقاء على حياة القفص .. الامر الذي لم يخطر اهميته ببساطة قط قبل مواجعتهم

وقد كان ذلك من اجل ان العمل ، حيث كانت فضلات البيت مع بعض الاسقاط كافية لتوفير حاجة الدفعة الاولى .. غير ان الحاجة ما لبثت ان اخذت في الزيادة المركبة اطرادا مع زيادة الحيوانات، حتى اصبح منذ القفص الثاني ، ولا عمل له سوى السعي للحصول على الفضلات والاسقاط سواء من عند الجزائين او من صفائح القمامة ! .. وطبيعي ان هذا يكلفه الكثير من المال ، يدفعه اجورا للاحداث الذين وجدوا في هذه المهمة وسيلة جديدة الى دخل ميسور ..

واستهلكت هذه الاعمال جهود قره بت جميعها ، فلم تدع له مجالاً لخدمة حقله . ولولا المجهود الذي بذلته زوجته وصغارها في العناية بتلك الاجرة لتعذر عليهم ان يبيعوا صندوقا واحدا من ثمراته .

واستجاب الله دعاء قره بت ، فوافته نهاية الشهر قبل ان يوافيه الاجل .. وفي صباح ذلك اليوم راح يندق على قططه من الطعام اكثر مما عودها .. لانه اراد ان يسلمها الى صاحبها الجديد مملوءة البطون .. ولم ينس ان يملأها من الماء بما يفيض عن حاجتها ايضا لتكون ارضى لنظره ..

ووقف بعدها .. ويعيد عدها ، فلم تزد على سبعين قطا ، بينما هي في دفتره لا تقل عن الخمسة والثلاثين . ومع ذلك فقد شكر الله الذي اشفق عليه فحال دون موتها .

واخذ قره بت طريقه الى اول هافا .. واستخرج من جيبه الداخلي ورقة مطوية بعناية ، ولما استوثق من الرقم ادار منبه الجهاز ، وطلب وصله بمكانه .. وراح ينظر ..

وطال الانتظار ، فاعاد الطلب ، ثم اعاده واعاده ، وفي كل مرة يتلقى الجواب الواحد : انتظر .. وبعد ساعات من الانتظار ، وعشرات من الطلبات ، واملء مندبل من العرق الحار .. وارتفاع محموم في نبضات القلب ، تفضلت موظفة الاتصال فاخبرت قره بت ان لا وجود لرقمه في مركز اللاذقية ، وان ليس في البلد مكان اسمه شارع الهافانا واخيرا ان سجلهم لا يعرف انسانا اسمه امانول باروك !

وعاد قره بت الى داره في شبه دوار ، لا يكاد يعرف طريقه لولا هدي العادة . وكان التور قد بلغ اشدّه في اعصابه ، فما هي الا ان صار الى السطح حتى شرع بهوي بالفأس على عوارض الاقفاص واحدا بعد واحد .. حتى اتى على الاربعة جميعا ..

والندفعت اسراب القفص الذي ثورة جامحة .. ثورة السجين الذي فوجيء بسجنه يتهدم على حين غرة ،

ابنتي عائدة

وكانت في الثانية من عمرها

ما انت الا عائدة
اشرفت كالنجم بدا
في حلة الحسن التي
قنصت الباب الوري
سلاحك ابتسامة
نقية ، بريئة ،
ملائك الطهر لها
يا لك من عابثة
مدللة هائلة
وتسرحين في الحمى
لم تتركي في الدار من
الا وقفت عندها
تستطلعين امرها :
غردت كالطير شدا
فردد البيت صدى
بيت ابيك جنة
كم ليلة احببتها
والقلب مني واحف
اذ انت قد ذلت الفنى
هل وافت بطفلة
حتى اذا تلت الشغل
شاع السرور والرضا
بسوركت يا بنيتي
وليهنأ الوالد قد

بنت الحياة الخالده
يجلو العيون الهاجده
رفلت فيها واحده
مثل «ديانا» الصائده
تغزو القلوب الجامده
على السماء شاهده
غايطة وحامده .
طائعة معانده
مدنية مباعده .
قائمة وقاعده
شاردة ووارده
باحثة كالرائده
ما سرها ، ما الغائده ؟
على القصور المائده
تلك اللحون الخالده
وانت فيها السائده .
والعين بقطى ساهده
والنفس حيرى واجده
من الحياة الهاجده
على السرير راقده
وقعت ووارده
زان الوجوه الكامده .
رمز الحياة الصاعده
نال المنى والوالده !

بغداد

مير بصري

ولم تكن القطة بأقل توترا من
قرهيت ، فما هي الا ان وجدت نفسها
حرة التصرف حتى تدفقت في كل
اتجاه ، لا تدري اين يجب ان تسلك ،
ولا اين تقف .. فاذا ببعضها يقتحم
الدور ويضطدم باصحابها وبعضها
يهاجم الحوائث من نوافذها
وابوابها ..

وتدافع الناس يرقبون هذه
الثورة المجنونة في غمرة من

الدهشة .. وهم يتساءلون عن
السر الذي حفز قره بت على اطلاق
سبيلها بهذا الشكل المزعج !
وبلغت ثورة القطة ذروتها حين
اقتحم كبيرها احدى الحائثات ،
وقفز لتوه الى احد الرفوف ، فانقلبت
بحركته بعض قناني الخمر ، وما
ان لامس صوت تحطيمها مسمعه
حتى دفعه الرعب الى متابعة القفز
من رف الى اخر ! ثم لم يفادر الحانة

حتى اوشك ان ياتي على جميع
ما فيها !

وكان طبيعيا ان يساق قره بت
الى السجن ريثما يحدد القضاء
مسؤوليته عن هذه الثورة .. ولعلها
المرّة الاولى التي يفارق داره لقياب
طويل .. دون ان يصطحب قطه
الجميل !

محمد المجنوب

اللاذقية



تقولا يوسف

الكاتب محمد أمين حسونة

بقلم تقولا يوسف

كان صديقنا الكاتب، الصحفي، المؤرخ، الناقد، محمد أمين حسونة - من فئة الكتاب الذين وفقوا حياتهم على خدمة المجتمع وإصلاحه بأقلامهم .. فظل يجول ويصول زهاء ثلاثين عاما فسي الميادين الواسعة المكشوفة التي يخلو فيها الاستشهاد .. ولم يخرج الى الميادين المحدودة التي يتعارك فيها الافراد ويتصاربون، محتفظا بكرامته، مترفعا عن الزج بقلمه فيما يوقعه عن تاديبه ورسالته، وتحقيق مبادئه ..

وقد نشر الكثير من البحوث والمقالات، والاقتصاص والروايات، والتعليقات والتفادات فسي معظم المصنف والمجلات العربية التي عاصرها .. وخلف من المطبوع أربعة عشر كتابا مؤلفا، وخمسة مترجمة - غير ما ترك من مخطوطات لم تطبع، ومقالات في الصحف والإذاعة لم تجمع .. وغير ما كان يطويه في صدره من آمال وبرامج اختصرها الموت يوم ٢٨ من أكتوبر عام ١٩٥٦ في حادث الطائرة المشؤم .

وكان « حسونة » من أوفر كتابنا حظا في باب الصداقة والمعرفة الشخصية مع جل الأدباء العرب والمستشرقين المخلصين - بحبهم وبحبهم، وبكثافتهم وبكاتبونهم .. ويحفظ في مكتبته عددا من رسائلهم الخاصة، ومؤلفاتهم المهداة،

واستطاع بهذه المعرفة ان يكتب عن آثارهم وبؤرخ لحياتهم في كثير من الصدق والانصاف .. ولطالما كتب في المجلات عن تلك المؤلفات بتوقيع مستعار دون تلفيق للوفائع او طعن في الكرامات . ثم جمع من ذلك سجلا عن الادباء المحدثين واعمالهم ، لم يشأ طبعه قبل مراجعته وانجازاه فلم ينشر .. كما استطاع ان يرشد غير العرب مسس الكتاب الى آثار ادبائنا ليكتبوا عنها .

ولا يفهم من ذلك انه كان في نقده الادبي بمدح كل من لا يستحق المدح ، ويضع الندي موضع السيف .. وهو القائل في فصل عن « اساليب النقد » بكتابه « ساعات الصمت » المنشور عام ١٩٤٥ ..

« ... وما اراني فسي حاجة الى ان اقول ان جميع المقياس (النقدية) عندنا مقلوبة رأسا على عقب ! فكل ادب او متادب يعرف ان حركة النقد سبقت تطهير النهضة الادبية واكملها . وبدلا من ان تكون غايته النقد تربية ثقافة الذوق والشعور عند جمهوره القراء ، انقلب النقد الى نوع من الثرثرة والهديان ! والى مقالات ماجورة لا يقصد بها وجه النقد وحده ، ولا وجه الادب وحده ، وانما يقصد بها الى شيء تملبه الموجدة ، وبوحي به الثرور وسؤ التقدير .. » !

اما الناقد المخلص لفنه ، فهو في رايه : « الذي يترفع عن المتجارة بعيوب الكتاب ، ويربأ عن ان يتخذ وسيلة للنيل من المنقود ، واطفاء شهرته ، وإذاعة مساوئه .. وعليه ان ينزعه عن الغايات والمطامع وأن يكون أقرب الى روح الكاتب منه الى شخصيته . فكل من امتلكا غيرية هذا الروح مجردا عاريا ، ويطلق عقابه من اي اسار يوقعه ، فلا يشغله سوى غرض الفن والعقيدة ، وتطبيق قواعد النقد . »

وبدا حسونة حياته الادبية باكرا - قبل ان يبلغ السابعة عشرة .. فاخذ ينشر فيها بين ١٩٢٥ - ١٩٢٧ شكولا من التعليقات الاجتماعية، والنبد الادبية، يهدف بها الى اصلاح بعض مواطن الضعف في المجتمع ، ويوزعها على شتى الصحف الدورية الصغيرة التي كانت تصدر بمصر في ذلك الحين . فهو في عام ١٩٢٥ يكتب بجريدة « القلم » عن المعارض ، وعن تطهير العاصمة من الفساد .. وفي مجلة « التيارات » عن كتاب المسرح الفرنسي .. وفي « الحادي » و « العروسة » و « الف صنف » والمدفع وغيرها - ملاحظات وتعليقات ، واختص جريدة « الوقت » التي كانت تصدر يومذاك في بلدته « ميتغمر » بالكثير من كلماته ، ومن ذلك : اختيار الزوجة و « اخلاق الشباب » حديث عن الشيخ محمود ابو العيون وغيره ..

كما كتب في صفح : النبل ، وكوكب الشرق ، والبلاغ والمقطم ، والفنان ، والمصور .. ثم اخذ بعد ذلك ينشر مقالاته في السياسة الاسبوعية ، وبحر ابواب النقد

الادبي في « ابي الهول » والصبح ، وروزا اليوسف اليومية .. وفي الهلال والمقطف والجامعة .. ونشر في مجلة « دنيا الفن » فصولا عن المسرح وكتابه .

وكان آخر مطافه محررا في مجلة التحرير ، وبجريدة الجمهورية عند تأسيسها - كما كان مدبرا لقسم الصحافة والنشر بالقوات المسلحة بالقاهرة - وهو آخر مناصبه .. ومن هذه النقذات والمقالات ، والاقتصيص والتعليقات - المعترشة في نحو عشرين جريدة ومجلة - مما يحمل توقيع الحقيقي او توقيعاته المستعارة - فيما بين عامي ١٩٢٥ - ١٩٥٦ ، وكذلك اذاعاته العربية والفرنسية ، ومحاضراته العامة في الاندية - لم يجمع غير القليل الذي نسمته مؤلفاته النقدية .

وفي عام ١٩٣٠ نشرت لمحمد امين حسونة قصة طويلة في ثلثمائة صفحة باسم « مصر الحرة واشبال الثورة » - وكان في الثانية والعشرين من العمر ، شهد في حياته ثورة ١٩١٩ وما تلاها من احداث سياسية واضطرابات اجتماعية ، وراح يصور انعكاساتها في هذه القصة ، ويضيف اليها من نفسه الشابة الشائرة آراءه في الإصلاح والتحرر .. وتدور وقائع القصة حول حب نشأ بين شاب مصري مرتبط بالتقاليد القومية ، وبين فتاة اوروبية شئت على تقاليد منحرفة ، وشأت ان تقاسم حريتها التي الفتها ، في وسطها الجديد .. فكانت صورة الصراع بين التقاليد ، وقصة صراع البلاد لسطرة الغرب ، واطماعه الاستعمارية .. وكان ان وضع المؤلف لروايته هذه شعارا : « دولة الظلم ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة » .. وقدم لقصته : صديقه الكاتب محمد زكي عبد القادر ..

وما لبث ان انبعاث عام ١٩٣٣ بمجموعة من اقتصيصه ، وضع لها عنوان : « الورد الابيض » وقدمها محمود تيمور وكانت المحاولة الباكرا الثانية للكاتب في ميدان القصة . وقد نشر معظم اقتصيص هذه المجموعة قبل ذلك التاريخ في بعض الجلات .. ولهذا جاءت مرآة تعكس المجتمع في تلك السنوات يوم كان يتخبط في احوال الاحتلال والافطاع والاستغلال ، وكان الكاتب يعيش هنا في مناهة عاطفية وفوضى اجتماعية ..

ولم يتطرق حسونة في هذين المؤلفين القصصيين في الرومانسية الشاكية الباكية ، كما كان يفعل الكثيرون حوله ، بل كان يلجأ كثيرا الى الواقعية ، كما عرض عددا من اللوحات البارعة لمناظر الوداع - فتجد في اقتصيصه « الواحة » صورا مصرية لاسوان والاقصر والانار القديمة والصحراء .. وفي قصة « المرأة الجديدة » لوحة لطيفة من لبنان .. وفي « القروب » صورة من الريف المصري

.. وهنا وهناك مناظر لشتى صور الجمال الطبيعي في مصر .. ثم هناك الصور الاجتماعية لحياة الفساق والمراقص والقهوات - الحياة المترفة الفارغة التي كان يحياها بعض طبقات الشعب آنذاك .. وفي المقدمة التي كتبها محمود تيمور لمجموعة « الورد الابيض » يقول :

« ... والانسان يشعر لأول وهلة بعد انتهائه من مطالعة هذا السفر الطريف ، انه امام صورة من تلك النزعات التي تجيش في قلوب ادياء التجديد ممن تأثروا بالادب الغربي ومذاهبه المتعددة ، والذين يتزعمون دائما الى التخلص من العيش في كنف الادب العربي القديم ، ويطمحون الى اقرار ادب مصري له طابعه ومميزاته الخاصة - ادب يوافق روح العصر ، ومزاجنا القومي . »

ثم يصف تيمور اسلوب الكاتب ، « .. ولا ننسى اخيرا ان للاستاذ حسونة سهولته القريبة في كتابة القصة ، فلا تحس وانت تقرأه باي تعمل او اجهد ، بل تشعر بحبه لفنّه ، من تلك العاطفة الصادقة التي تغمر اقتصيصه . واسلوبه السهل بعباراته السلسة وكلماته المنتقاة تعطينا خير مثال لتطور الاسلوب في العصر الحديث .. »

وكان عهد حسونة القصصي الثالث ، قصة « رواية » التي ظهرت عام ١٩٥٦ - وكتبها قبل عام ١٩٤٨ ، نم فيها لمسابقة القصة الطويلة التي اقامتها وزارة التعليم ففازت بجائزة .. وتعد هذه الرواية عملا فنيا ناضجا .. وفي قطعة حية من صميم الريف المصري ، تصف بعض عاداته المتأخرة ومقايده السافلة .. واطالها فلاحون وفلاحات فقرأه من شحاي الجهل والاستغلال حين كانت ترضى العزلات ، ويبيع الدجالون والمشعوذون فسادا . واسلوب هذه القصة سلس خال من كل زخرفة او تعقيد ، ولقبتها لا يشوبها عنف ، او انفعال بل هو الهدوء دائما والبساطة .. وما دام الاسلوب هو الانسان ، تكل ما كتب صدقنا حسونة يتم عن طبعه الهادي الوديع الطيب .

ولم تكن القصة ، الميدان الوحيد لقلم حسونة ، فهو كاتب منوع الانتاج كما سلف .. ونراه في ادب الرحلات يصدر عام ١٩٣٦ كتابا باسم « وراء البحار » اودع فيه مشاهداته في رحلة قام بها عام ١٩٣٥ في ربوع النمسا والمجر ورومانيا وتركيا واليونان .. وجمع فيه بين الذاتية والموضوعية ، وبين مزاج الاديب الفنان ، والباحث المدقق في تطورات الحضارة ، الراغب في نقل ما ينعش بلاده ، من تراثها ..

وسافر ثانية عام ١٩٣٦ الى سورية ولبنان ، وانتقل هناك بالادباء والصحفيين ، ونشر في صحفها الاحاديث ، وقام برحلته الاخيرة الى سورية عام ١٩٥٦ وكان يسجل الكثير من مشاهداته ومقالاته في مقالاته وتقداته .

وله في باب الدراسات النقدية ثلاثة كتب عن ثلاثة

ما يلائم ميوله . ففي فجر شبابه كان يدرس الجبرتي والتاريخ القومي والعالمي .. ولما كان موظفا بمصلحة السكة الحديدية بالقاهرة وضع كتابا « مصر والطريق الحديدية » - وهو كتاب تاريخي طبع عام ١٩٣٨ - ولكن اهم كتبه جميعا كان مؤلفه عن « كفاح الشعب من عصر مكرم الى جمال عبد الناصر » - الذي ظهر جزؤه الاول عام ١٩٥٥ بعنوان « الوعي القومي » ، والثاني عن « الوعي الثوري » (١٩٥٥) . وكان يعد للطبع جزئين آخرين عن « الوعي السياسي » و « الوعي الشعبي » ، ولم يمهله القدر لاختراجهما .. ولو كملت هذه الاجزاء جميعا لكان لنا منها تاريخ قومي عظيم القيمة ..

فقد كان من رأي المؤلف ان تاريخ مصر الرسمي لا يمثل الشعب على حقيقته ولا يسجل كفاحه وجهاده وجنوده المجولين الذين صنعوا التاريخ ، بقدر ما كان يسجل حياة الملوك والقائمين .. وكان اخر مقالة له ظهرت بعده (بمجلة الهدف - نوفمبر ١٩٥٦) يقول : - « ما هي عناصر التاريخ القومي الذي يدرس للنشأة في مدارسنا ومعاهدنا العلمية ؟ انه مجموعة من توارىخ الغزاة والقائمين ، الذين سطوا على ارضنا واذلوا اجدادنا . اما تاريخ ما سجله اجدادنا على صفحات الحياة فلا يزال مطمورا في اغوار الماضي ، مطموسا في المجهل السحيق لا تنفض عنه غبار الاجيال ، فقد كان من هم الحاكم ان يطوى الحقائق ، ويبرز الوقائع ، ويحسم المؤرخ على تجاه الشعب ، صانع التاريخ ، وبيتسده الخوارق ، الشعب الذي هو محور الامور وروح المائل ، لم يصور المؤرخون حياته وكفاحه وجهاده ، وانائه من الظلم ، وانتفاضاته في وجوه الفاسبين ، وانما سودوا اسفارهم بامجاد زائفة نسبت الى الحكام الاغراب ، وهي في مجموعتها تلقى في تشويه .. »

وسجل حسونه ايضا ، تاريخ الثورة المصرية في ٢٣ يولييه ١٩٥٢ في كتابه « ٢٣ يولييه - ثورة التحرير » ... كما سجل جلال اعمالها في كتابه : « جمهورية مصر عامها الاول » المطبوع عام ١٩٥٤ وكتاب « جمهورية مصر في عامها الثاني » عام ١٩٥٥ وقد ترجم الى بعض اللغات الاجنبية ..

وقد ولد محمد امين حسونه بمدينة « ميت غمر » - بمحافظة الدقهلية في نوفمبر ١٩٠٨ . واستشهد - كما سلف - في ٢٨ من اكتوبر ١٩٥٦ .. وكان اكبر اخوته من والده - المرحوم امين حسونه التاجر ببيت غمر - وبدأ تعليمه بمدرسة ميت غمر الابتدائية ، وبمدرسة الرقايرق الثانوية . ثم التحق بمدرسة المحاسبة والتجارة المتوسطة بالقاهرة في اكتوبر ١٩٢٦ ..

من كبار الادباء الغربيين ، جمعت بين الدقة والابحاز - اولها كتاب عن « بيراندلو » - الكاتب الايطالي - نشر عام ١٩٤٩ ، وثانيها كتاب عن شاعر الثورة المجرية « بيتوني » ظهر عام ١٩٥٥ ، وثالثها عن الشاعر الفرنسي « بوديلير » ، وديوانه « ازهار الشر » وقد طبع عام ١٩٥٧ - وفي الكتابين الاخيرين مختارات كثيرة مترجمة عن الشعراء .. وكان اختياره للتعريف بشاعر المجر موقفا ، لانه الشاعر الحر الذي انضم الى احرارها ، وحارب من اجل تحريرها واستشهد في ساحة القتال وضاع بها قبره ..

ويدخل في هذا الباب النقدي ، كتابه « الباب الذهبي » - ١٩٤٤ - الذي ضمنه بعض ملخصات القصص العالمي - ومنها روايتا « الينبوع » لشارلس مورجان و « الدكتور ابراهيم » لجون نيتل .. وتوالت مقالاته الادبية في السياسة الاسبوعية ، والهلل ، والمقتطف والجامعة ، والرسالة والحديث بحلب والهدف .. ونقده للكتب وعرضه للحركة الادبية بمجلات الصباح ، وابو الهول ، وللحركة الفنية في « دنيا الفن » - ولما اختير محررا بمجلة التحرير ثم بجريدة الجمهورية : نشر مقالات عن نظام اسرة محمد علي ومخازي الحكم البائد .. كما نشر بمجلة المصور في عيد ٢٣ يولية ١٩٥٦ « وثائق الخائن محمد سلطان الخديوي توفيق » .. وكان قد جمع من ابحاثه النقدية خمسا وعشرين مقالة احتواها كتابه « ساعات الصمت » للشور عام ١٩٤٥ - تحدث فيه عن اساليب النقد ، ومستقبل القصة ، والرمزية ، والفن للفن ، والادب الماجن ، واحرار الفكر ، ثم دراسات عن محمود تيمور ، وجيوفاني بايني ، ودانوتريو ، وبوين ..

والى جانب نشاطه القلمي ، كانت له جولات ادبية واجتماعية في الاذاعة المحلية وفي برنامجها الثاني .. كما اذاع بالبرنامج الاوربي اذاعات فرنسية عن ثورة مصر وامجادها ..

وكذلك ترجم اربع روايات مطولة طبعت في فترات متباعدة وهي « هنري الرابع » لبييراندلبو (١٩٢٧) و « الاستاذ كليئوف » لكسبرن برامسون (١٩٤٣) و « الحب والموت » لبييراندلو ١٩٤٧ ثم رواية « الينبوع » لشارلس مورجان ١٩٥٥ - وكان قد ترجم الروايسة الاخيرة قبل طبعها بعدة سنوات ، وكتب لها مقدمة خافية عن المؤلف وفنه .

اما ما ترجم من اللغات الاوربية من مختارات الشعر والنثر ، مما تضمنته بعض مؤلفاته ، فشيء كثير ، ومن ذلك اشعار بوديلير وبيتوني السالفة الذكر .

ويبدو ان مطالعته للتاريخ والكتابة فيه ، كانا اكثر

ويوغلافيا والأردن وسوريا ...

فإذا كنت قد جلست مرة في شقته الصغيرة العلوية التي لم يبدلها مدى ثلاثين عاما - بشارع كفر الزيات بمصر الجديدة - - وحيث عاش مع زوجته وتواضعه الطفلتين ونجته الضابط البحري اليوم ، وفي تلك القاعة الهذلة ذات الجدران المكسوة بالآلاف الكتب وصور الأدباء ، وقد استلقى شاردا على « فويل » في هدوء عجيبي والغليون بين شفتيه ، وبين لحظة وأخرى يوافقك على رأي أو يضحك لكنته ، فلا شك أنك ستعجب كيف تأتي لهذا الشاب الساكن الوديع ، أن يصدر عشرين كتابا بين مؤلف ومترجم ، وبعد الطبع خمسة .. وأن ينشر فسي -شرين جريدة ومجلة تلك المئات من الاحاديث والابحاث والاقاصيص والشذرات ، وأن يطوف بكل تلك الاقطار والبلدان ويتردد على عشرات الادبية والصالونات ، والقهاوي والاجتماعات ، ويشهد ما لا يحصى من روايات السينما والمسرحيات .. رجل عاش حياته بالعرض لا بالظول .. وودعنا في هدوء ايضا ولما يبلغ الثامنة عشرة والاربعين .. فهو يقول :

« عقيدة احرار الفكر ، هي التضحية الصامتة ، والانطلاق من قيود التعصب الاعمى ، وتطهير الافلال ، التي عاقت مصر عن الاخذ بأسباب التقدم . وهم من اجل ذلك يشقون ويكابدون ، ويتحدون قوى الجهل ، وجيوش الضلال ، ليشقوا لامتهم طريق النور ، ويقودوا ابنائهم الى حياة اقدس واظهر من حياتهم . ولكن هؤلاء الاحرار القلائل يعيشون غريبا في اوطانهم . اذ ليس في محيطهم من يفهم لغة ادراجهم ، ولا من يقدر مواهبهم وقابائهم . »

بقي ان نعلم ان لمحمد امين حسونه مخطوطات لم تنشر ومنها : الجزء الثالث من كتابه « كفاح الشعب من عمر مكرم الى جمال عبد الناصر » ، ومجموعة اقاصيص بعنوان « سلطنة » .. ورسالة عن الكواكب نشر منها مقالة بمجلة التحرير .. وكتاب عن الادباء المعاصرين ومؤلفاتهم .. ورواية باسم « رجل المعجزات » .. ومقالاته وبحاله واذاعاته البعثة ولم تجمع بعد .. ثم رسائله الخاصة التي تبادلها مع ادباء الشرق والغرب . لقد اصفه مجلس بلده « ميت غمر » يوم اطلق في سبتمبر ١٩٦١ اسمه على شارع صالح ببيت غمر - وسمى « شارع الشهيد محمد امين حسونه » - وهو الشارع الذي ولد فيه ، وفيه بيت العائلة القديم - كما اطلق اسمه على المدرسة الابتدائية المشتركة ببيت غمر .. واليوم ايضا تقرر اطلاق اسمه على شارع مستجد في الحي الخامس بمصر الجديدة .. وبقي شيء واحد في اعناقنا لهذا الصديق الاديب الشهيد ، هو ان نجتمع آثاره المخطوطة ونعني بنشرها ..

الاسكندرية

نقولا يوسف

وانشاء وهو طالب بالزقازيق ، جمعية للتمثيل سماها « جمعية هواة التمثيل » - ألف لها بعض الكوميديات الصغيرة ومنها « شاهدها تطلع نعلين » و « خازوق مفرى » .. كما انشأ بمدرسة التجارة بالقاهرة فرقة اخرى للتمثيل والموسيقى (نشرت صورتها بمجلة الصباح في عددها ٣٠ مايو ١٩٢٦) وعندما سمع بوفاة سعد زغلول طبع نشرة بتوقيع « لجنة الطلبة ببيت غمر - عنهم : محمد امين حسونه » دعا فيها الى اشتراك جميع اهل المدينة في حفل يقام في ساحة مولد النبي ببيت غمر ظهر يوم الجمعة ٢٦ أغسطس ١٩٢٧ - وكان الطالب حسونة بين خطباء ذلك الحفل ..

وكان قد اتخذ من القاهرة مقره الدائم في العمل والسكن بقية حياته . لا يفارقه الا في رحلاته داخل البلاد وخارجها ، متابعاً قراءاته وكتاباته ، مجتهدا في تعلم اللغات الاجنبية ، على صلة دائمة باهل القلم من كتاب وصحفيين .. واذكر في باب هذه الصلات الادبية الواسعة النطاق ان المستشرق المجري دكتور عبد الكريم جرمانوس كان يستشير حسونه في شؤون الكتاب العربي الحديث . وان الكاتب السويسري جون نيتل كان يستوضحه بعض العادات المصرية في خلال تأليفه لرواية « الدكتور ابراهيم » - بناحية عين شمس .. وان بيته الصغير بمصر الجديدة كان يعرفه الادباء القادمون من السودان وسوريا ولبنان ، وسائر الاقطار العربية .. وانه كان يقع عليه اختيار القيادة العامة لرافطة البعثات العسكرية التي زارت مصر بعد الثورة كبعثات

صدر من دار الكتوف

غسطينو

او ماسة الراهنة

الكاتب الايطالي المبدع :

البرتو مورافيا

ترجمة : جورج مصرونة

دراسة عميقة الغور ، دقيقة التفاصيل في قالب روائي جذاب . ايضا معضلة من اهم واخطر المعضلات الاجتماعية في مختلف انحاء العالم ، ببيان مشرق ، وديباجة في منتهى اللمعة .

الثن : ليران لبنانيان

اعتراف

فؤاد الخشن

خلده - لبنان

ملاعب للحب .. كم احبها
خلف الخيام ، الملك الضليل
تؤنسه النجوم بارتعاشها
يشدو له التخيل !

وكم احب الليل ، في صمت العراء ،
عمر
الماضي الزمان
وقربه صبيحة كثيرة الدلال
والاهل نام عنهما والقمر !

كم كنت يا حبيبي رائعة
في ذلك الصباح
هناك في شرفتنا المفتوحة الذراع



أريد يا حبيبي الصغيرة
أريد ان اعترفا
بانتي متم
بروعة العينين ...
بالشفاه

بحسبك الالهى
بانتي احب في عينيك ان اجدا
احب ان اضيعا
في روعة البحار
ابحث عن جزيرة
مرصودة على يدي بحار
مغامر بهيم بالضياح
مستهتر برهة الاعماق والدوار !

اشاء ان يقلني شرابي
لشاطيء زمردى
يخضنتي ..
يسكرني بوضه المفرد
تفتح لي اصدافه الهائلة الغنية
عليها ...
تمنحني دورها النقية !
أريد من عينيك : بالاهداب ان اغترفا
لأنا كثيرة
لألسنا نادرة صغيرة !

أرد ان تتيه في الكروم
في ليلة رفاقة النجوم
اداعب الانامل الشمعية التدبة
انشق العبير ، في غيبوبتي ، من عنق
منظر بالزئبق
والخال ، قرب الثغر ، يا اميرتي

أريد ان امحوه
بالقبل اللاهبة المثيرة !
أريد فوق ان انا
أوشوش البرعمة المكتمة
انير في كمامها جهنمه
انركه في قلبي ...
في لهفة مشتمة !

فالليل يا فانتني ..

للرياح

اذ عبثت اكفها بضيق
قد خبا الكتوز والطيوب
ونفرت من شعرك الطويل
غديرة ترف في الجبين
تلثم العينين بالحنين
فانطلقت صرختك المنغمه
نذر غنجا مسكرا

تنت في غنتها انوته
لتلثم الرياح في شرفتنا
رباحنا الخبيثة
لانها تجرات ولعبت
بثوبك الشفيف

بشعرك المهمل الجميل
العمر يا حبيبي هنيئة جميلة
يا حلوة العينين يا اميرة !
وبعدا سنعبير الحياة
للضفة المظلمة الكثيرة
لعالم اشباح غريبة

فلنتغنم فرصنا السالحة القليلة
ولتترتف من خمرة العيون والثفاء

ناذ يقول الساهرون بعدنا
في ليلة عاصفة في الريف
انغامها تساقط الثلوج .. والمطر
ورقصة النيران في « الكانون » ...
والسمر

لله كم احبها شاعرها الفتون
كم احب زئبقى عنقها
وروعة العينين والانامل الطرية
وكم احبني حروفها الدافئة الضياء
واللهيبا

واهد مفوا غريبا ؟

واذ يردد العشاق شعرا
في موسم العبير والزهر
هناك في حقولنا ..

في غابنا الظليل
نبعث والربيع من جديد
نعود للحياة في نشيد !

من رسالة الى ولدي

هذه سطور فيسثها من رسالة مطولة

كتبتها الى ابني البكر فيبل ان يرى النور

بقلم عبد الفني المطري

اننا انسانان جديدان ، نثقكم ولثري في الحياة كلمسا
صحبناه . وهو وحقك يا بني الحبيب اوفى صديق
عرفت ، لم يغير بي يوما ، ولم يخن ودي مسد عرفته .
ابدل القليل من اجله ، فيبدل الكثير من اجلي . ما سألته
النصح يوما ، الا محضني اياه ، ولا استوفضته امرا الا
افادني ، وافاض في فائدتي . لم يعن علي بخير اسداه
ولا نظر الي نظرة فيها كبرياء .

هل عرفت ايها الحبيب ، صديقنا الغالي ، السدي
اصطفيناه واحبيناه ، فاصطفانا واحبنا ، وغالي فسي
الاخلاص وبذل الخير والفائدة ؟ اخالك قد عرفت انسه
الكتاب القيم الثمين .

قلت اني وامك لن نضيع دقيقة واحدة من وقتك ،
لاننا نكره اضاعه الوقت ، ونستعمل ما حيننا لكي نستفيد
من هذا الوقت ، فاذا ما قدر لنا ان نزول قبل ان نكبر
او اتبح لك ان تستقل براك في الحياة نحاول ان يكون
الوقت صديقك الوفي ، لا تغدر به ولا تقتله كما يفعل
الاخرون ، في المقاهي والملاهي ودور السينما . ليكن
الوقت صديقك . لا تقتله ولا تقاذه ، لانه مادة الحياة
الاساسية . وكما يجني الانسان على نفسه ، حين يمد
يده ليعادي اجدر شيء بالصدقة . ليكن وقتك صديقك
افد منه بالمطالعة ، وبحيث ما يعود عليك بالنفع ، واستعمل
النور السبي منه في لهو بريء تروض به ذهنك وعقلك
وتحت به تفكر على مواصلة العمل النافع لك ولوطنك
وامتك .

في تلك السبعين في زمن لهوه اكثر من جده ، ووسئل
اللهو تجاذبك ذات اليمين وذات الشمال . دذا لم نأوم
اغراءها صنعت واضعت . وما احب ان تكون عدوا للهو
والمرح ، ولكني افضل ان تأخذ منهما بمقدار ، او ان
تجعلهما كلعك الطعام ، كثيره يفسده ، وقليله يفتقده
لدته .

انك ستعيش في عصر ، لا قيمة فيه الا للمادة .
فكثيرون لا يحترمونك الا من اجل مالك . وبعضهم لا ينس
عليك السلام الا من اجل المال ، واحتراما لذهيبك ،
وتقديرا لعبقريته الوهاجة .. لقد بات المال كل شيء
في هذا العصر ، يترامى الناس على الموت من اجل جمعه .
بعضهم يسفح كرامته في سبيله ، وبعضهم يسرق ويدبح
سمعه وماضيه ومستقبله من اجل الحصول عليه ، لا يبالى
— ان فاز به — بالسمعة ، ولا بالماضي او بالحاضر
والمستقبل . وبعضهم يقتل اخاه او اباه او يسرق صديقه
او شريكه ، ويضحي بكل شيء . من اجل الغاية ، التي
يعتقد انها تبرر الوسيلة ..

عبد الفني المطري

دمشق

... الامانة ، والخير ، والضمير ، والوفاء ، والحق ، كلها
صفات نحبها ونتوق اليها ، ونثني على من يتحلى بها ..
ولكن عالمك الجديد — يا حبيبي الذي لم تكتمل عيني
برؤيته بعد — تنكر لهذه الصفات واتكرها ، واخذ
باضدادها فاستبدل الامانة بالخيانة ، والخير بالشر ،
والضمير بتبيل الحس ، والوفاء بالغدر ، وحب الحق
بعبادة الباطل ، حتى بات الاخذون بالشق الحسن من هذه
الصفات ، ضالعين مضيعين في تيار الكذب والنفاق
والخيانة ، والغدر ، والباطل ، ولكن ما عليك يا ولدي .
لا تياس ولا تقط ، مهما رايت في غلك من شرور وادم ،
ومهما صادفت من تنكر للخير والحق والجمال ، ولساب
الصفات الكريمة . مهما رايت من ذبوع تلك الصفات .

لا تياس ولا تقط ، بل افعل الخير ، وقل الصدق ، وادع
الى الحق ، وتحل بالامانة ولو بقيت وحده . واذا وجدت
واحدا في غلك يقدر امانتك وصدقتك ودعوتك الى الخير
والحق والجمال ، فثق انك واباه ستستقران في النهاية .
وستجدان التأييد والنصر والاحترام والتقدير ، حتى من
خصومكما .. حتى من انصار الكذب والشر والخيانة
والنفاق . فالخلق الحسن ، والصفات الكريمة ، مهما قل
المتحلون بها ، فانها تظل ابدا المثل الاعلى ، والهدف
الاسمى ، الذي يدعو اليه المصلحون ، وينتحلله اصحاب
المطامع . وغاية ما ادعوك اليه ، ان تغدر بذرة الخير والحق
والجمال حتى ولو كنت وحده في مجتمع ينكر كله الخير
والحق والجمال .

بني الغالي : ستبصر عينك الجميلتان النور ، بعد
ساعة ، او ساعات ، وثق اني وامك العزيرة ستعني بك .
وستبذل قصارى جهدها في تربيتك وثقيفك . وقد
اعدنا ، منذ كنت جنينا ، اسما لطيفا لك ، سواء كنت
ذكرا ام انثى ، ونسقنا لحياتك برنامجا فيه كل الخير
والنفع لك . وفي جملة هذا البرنامج ان لا نضيع دقيقة
واحدة من عمرك سدى ، لاني وامك نكره ما يسمونه
باللاف الوقت او قتله ، ولنا صديق مشترك نقتصد من
اوقات سمرنا ولهونا ليخلو كلانا اليه ، فيحدثنا اطيب
الاحاديث ، ويرفه عنا اجمل ترفيه ، ونحس في صحبتته

الطبيعة في شعر الرصافي

بقلم خضر عباس الصالحي



انفعل الشاعر معروف الرصافي في تجاوبه مع الطبيعة، فوصف مفاهاها الجميلة في العديد من قصائده التي اودعها هواجسه وبامانه، وصورها تصويراً غنياً بالابداع والخيال والجمال، وعاش لحظات رائعة، ينساب مع خواطره واحاسيسه المشحونة بقياس الكثرة التي تعكس البساطة والتجسس النفساني بما في عالم الطبيعة من لوحات فنية ومشاهد مثيرة، لها تأثيرها العميق في نفس الناظر عبر اقسام نائية من الخيال الطليق، فقال :

الا ان الطبيعة ذات حسيين بجل عن التقاضي والتفكاشي
فلك حبيبة لا يسد منها وان غسل الرقيب لأم واشي
تصل جمالها وانظر اليها والا عشت في صدا العناشي

وفي هذه الليل، ونحت السكون الشامل، بينما كان الرصافي ينتزه على جسر مود (يسمى حاليا جسر الاحرار) وهو يتطلع الى البحر الذي بدأ يسكب اشعته الفضية في امواج دجلة الحالم الوديع، حتى استثار هذا المنظر الاخاذ عواطفه المكبوتة، ومشاعره الدفينة، فقال :

ولقد وفقت بجسر (مود) عشية واليدبر في افق الافلا تلالا
والليل يلمس من سماء مظارفا منها جني يدجلة اذنبالا
امسا النسيم فقد جرى منظرنا وحكى بطب هيوهه اذيلا
وجين دجلة قد صفا مائلنا فحكى السماء مائلنا وجمالا
فحسبت نفسي في السماء مشاهدا نحي يدجلة للسماء مثالا
ورابت من فوقي السماء حقيقة ورابت من نحي السماء خيالا
فكأنما انا في السماء منق طورا اسفود ارة الصيالا

لله ما شاهدته من منظر يده الكتيب كشارب جريلا
حلت جوانبه بكسل بدعسة فرها جمالا واستقل جريلا
حتى تغيل الجانبين جميعها قامت له بحفاوة اجسالا

وحينما كان يصطاف على شاطئ « البسفر » في تركيا استلقت نظره الامواج الزاهية التي تبيت بها الريح، فقال :

وفي البحر تجري موجة اثر موجة كجري طموح الخيل اذ تنوقس
وتزيد أعلى السوج حتى كأنه فهاب الى اطرافها التلج بخلس
كان رباح الجسو عند هيوهها تقى وهذا الموج في البحر برقص

وفي قضاء « الاعظمية » بينما كان الرصافي يستروح النساء المعبية، وهو يتجول على شاطئ دجلة الخضراء، كانت الشمس في النزاع الاخير، لتجث للربوب، وترسل آخر اصوافها الشاحبة الرعشاء، فاهتز لهذا المشهد المائج بالفتنة، فقال :

نزلت تجر الى الفروب ذيوسلا صفراء تشبه عاشقا ميتوسلا
هتز بسن يد الخيب كسائها صب لاملل في الفرائش علبلا
وغدت بياضى الافق مثل عرابة عطشت فابتد صفرة وذيوسلا

غربت فابتت كالشواظ مفيها شفا بعاثية السماء هويلا
شقق يروع القلب شاحب لونه كالسيف صمغ بالدا مسلولا
كالغود ظلت بسوم ودغ اليها ترسو وترفع خلفه المتديلا

لم آنس قرب « الاعظمية » موفي والشمس دائية تريد افسولا
ومن البين ارى مسروج مزارع ومن الشمال حدائق ونخسلا
ودراء ذاك السزوع راعي ثلة رجعت زوم السى الراح ففسولا

وفي قصيدته « وفقة في الروض » تدب روح الربيع الطليق في اعراف الطبيعة، فتشبع في السخاء والحوية والدفء، وتكسي الارض الجدياء بالحناشش والاعشاب والبرج، وتتفتح براعم الاشجار، وتتأود مخلفات الازراء الزاهية في فم الهضاب، وعلى منحدرات التلال ... وفي ذلك الروض الباسم اذ كانت النافورة تنثر قطراتها المائية الغفوسة بالانوار البراقة، ترنحت اطلاف الرصافي الشاعسر الرقيق الاحساس، للتلهب الشموه، الجنت الفكر في عالم اخضر رفاف ... فقال :

ناح الحمام وفرد الشحورق هذا به شجن وذا مسرور
في روضة تنجي الشوق تفرق الماء في جنبها خربور
عاه قد انعكس الصفاء بوجهه وصفا فلاح كاته بسور
حيث الفوم عن التسيب موائل فكانهن مصافح وخمسور
مثلت بها الاغصان وهي منابر ولت بها الخطباء وهي طيور
للرجز المطول ترسو اعين فيها ويسم للراح لغسور
وكان محض الشيق وحسونه في الروض زهر الباسمين يسور
شجع نوبل في زجاج احمر فغدا حواليه الفرائش يدور
وتروى من بفسد بها فسورة في الجو بفق ساؤها وبفور

يحكي غصود الماء بها اخذا صفدا عمود الصبح حين ينير
نادت لول ان رابت صفاءه والنور فيه مفلل مكسور
هل ذاك زوب الماي بجمدا صاعدا ام قد تجسم في الهواء النور
تتألق الطوار في اطرافها فكانما هي لؤلؤ منشور
تجسل فيها النور حتى قد ترى فوس السحاب لها بها تصور

لقد زهد الشاعر معروف الرصافي في ايامه الاخيرة بالنديا ومباهجا، وانقطع الى حياة التأمل، وجنح بكليته الى وصف الطبيعة، واصبح دائم التطلع للافاق البعيدة، ومضى خياله البراع فصور مفاان الطبيعة، الطبيعة التي ستبقى يتنوعا ذخارا للشعر، فابديت صورا تأملية رائعة، تسم بطفرة الماني، والتعابير الرفرافة، وتفيض بالاحاسيس الرقيقة، وتخلل بالالوان والروى والصور السديسة، وتتدفق بالانلاط الشعرية الثرية بطاقات كثيفة من الماني الجميلة الساحرة ..

انها صور في كل الجمال والروضة والسر، اخرجها في الظل، بدع، طربة في شكاها، جديدة في مفسونها، تزخر برقة الفلف، وجمال الكنى، وتسيل حلوة وعلوية، ونموج الاحساس الشاعري المتدفق التائر المائل ...

ان قصائده في وصف الطبيعة تعد من بئاع الفن الجميل، يجسد فيها الماني فيلبسه نوبا رائدا من الخيال والماعطفة والشعور، وتنساب في شرايينها موسيقى عذبة، فهزني وتثير مشاعري بصورة غريبة، وبمثل القاريه من سحرها ...

ان هذه الصورة والالوان المستوحسة من مناظر الطبيعة الخلابة ستظل خالدة ابد الدهر ...!

خضر عباس الصالحي

بغداد

التوافق بين الحضارة والتنمية الاجتماعية

بقلم محمود الحسنية



يستطيع المرء ان يتجاهل حقيقة الاوضاع التي ادت الى بلورة النظم العملية فسي جوانب الشخصية ، والى تقدم اجزائها ، التي يعرفها باسم العلوم الاجتماعية ، وما نالته في ميادين المعرفة ، الا انه لا يزال يشهد المزيد ، من حل الغاز كثيرة ، واسئلة تطرح عليه ، في موضوع طبيعة الانسان وسلوكه .

لذلك ركزت الانثروبولوجي الانتباه، على فهم اعماق، المشاكل الاساسية، التي تعترض طبيعة الانسان، وسلوكه، وعلى توضيح شامل، لمعالم الحضارة ... واستعمل علماء القرن العشرين مقاييس ، في تخطيط وتحديد هذه الماهية ، كالوراثة ، والتقاليد الاجتماعية ، والبيئة ، والتطور ، وكيفية اعداد التآكل الانساني ، لنوع الحياة الراشدة ، بالاضافة الى زيادة المعرفة ، بعملية التورث الحضاري ، والامام بما يؤول الى كل تطور وفكر انضمت لان الحضارة معرفة تكمن لدى الافراد من بني الانسان . ننقل من جيل الى جيل ، وتعالج في طرقها حلول المشكلات ، القائمة بين العالم الخارجي وعالم الانسان الذاتي .

ولا بد للمرء ، من ان يميز ، بين المجتمع وشخصية الحضارة ، بدراسة تحليلية ، تبين مدى نموه ، ونموها في الوجود ، مؤكدة ان تطوير المجتمع ببناء الشخصية ، ظاهرة انسانية ، ترتكز على العلم ، والتقدم المادي ، والاخلاق . وطبيعي ان يميز ، ان تكوين الانسان ، من الحدود المادية ، يقوم على عناصر كيميائية ، توجد في الحيوانات ، ومن الوجهة البيولوجية يتصل بكائنات الطبيعة الحية ، وفي اطار النظرية التطورية ، يتضمن مستوى الاداء الوطني الشاري في الجسم الانساني ، امكانات ، تميزه عن الحيوانات ، وتبين تفوق قواه ، في النظام العقلي ، والروحي . وان اتصال الكائن الانساني بغيره من نوعه ، هو احد الشروط الضرورية ، للكسب الذاتي ، اما الانفصال الجسمي ، او الاجتماعي ، والحسي ، لا يساعد على تحقيق ذلك الكسب ، بل يجعله امرا مستحيلا . فالبناء النفسي ، يعتمد اولا وآخرا ، على الخبرة الاجتماعية ، كوسيط يتفاعل مع افراد آخرين ... وحيث ان البناء ، الذي تمثله العلاقات المنظمة ، للافراد المكونين لها ، هو تحقيق لقدرتهم ، على

التوافق الاجتماعي ، عن طريق التعلم ، فالتحليل يبين ان المجتمع ، انما يعتمد ، على العمليات النفسية ، وان دوام اي نظام اجتماعي ، لاي وقت ، رهن بتغيير اشخاصه ، يتطلب جهودا ووسائل ، تحته على العمل ، وترعاه بطرق معينة ، كما وان عملية التنشئة الاجتماعية هي الجانب النفسي ، المرافق لعملية النضج السياسي ، تتكامل معها ، وان اختلفت في النهج والاسلوب . ويتطلب الكيان النفسي ، للوجود الانساني ، مستوى من التكامل ، مع قدرة من التنظيم ، والتوجيه ، تستوعب معرفة العلاقات المتداخلة ، بين العقل والمجتمع ، والحضارة .

وفي بناء الشخصية الفردية ، من الوجهة النفسية ، يبدو ان الافكار النظرية ، التي تراقبها في مراحل التطور ، تضطر الفرد ، على التفكير في تنظيم ذاته ، بطريقة خاصة ، وتوجه نحو التشكيل النفسي ، والعلاقات المتباينة ، في تنظيم الشخصية ، وفي الفروق السلوكية . وحسب نسلط العقل ، على الفكرة الشاملة ، من ان الافراد هم وحدات المجتمع ، وحملة الحضارة ، نستطيع ان نسرى بوضوح ، اكثر ، التحديد الذي يفرض ، على هذا النوع من التفكير ! .. حيث تحل الافكار البناء ، محسب التصور القديم ، في المجتمع ، عند اي تحليل اجتماعي ، ويبدو لنا الشخصية ، بانها نمط من سلوك معين ، بواكب ترات خاصة ، في وسط اجتماعي ، دائم التنظيم لدى الفرد ، يصاغ قوى الشخصية ، على تحديد الاجتماعية ، في مختلف المواقف ، غير ان السلوك ، مهما كان مطاوعا ، ليس هو نفس الشيء ، الذي تدفعه شخصية فاشخصية ، تؤول خلف السلوك ، داخل الفرد ، وهي نتاج قادر ، على البعث ، في الوعي الذاتي ، وفي البيئة الاجتماعية ، لذا يجب ، ان نعتبر ان خبرة العالم ، في نطاق ادراكي مشترك ، هي العامل الرئيسي ، في تكامل الحضارة ، وتنسيقها ، بين المجتمع والشخصية ، وان التأثيرات المثبتة ، من العوامل الحضارية ، تزيد الانسان ادراكا ، في استيعاب الوظيفة الاجتماعية ، وتفهما ، يشمل الاتجاهات الحضارية ، اذ عندما يتعلم امرء ، سلوك حضارة معينة ، باتقان ، ويدرس لغتها ، فذلك ليعي انماط تلك الحضارة والعلاقات الدقيقة ، الملمة بها ، دون ان ينتمي اليها ، وحقيقة دراسته فيها موضوعية ، يندفع اليها يشفق ، باحثا عن قواعدها ، منقبا عن تاريخها ، لا ليعيشها ، بل لياخذ عنها ، ويكتسب منها ما يوافقه ويشبع نهم حسه القومي ، عبر حدود افقه ، وادراكه ، وتوافقه النفسي لها . واي اتجاه ، في مفهوم اية حضارة ، يرمي الى الكشف عن الاساس البنائي ، والوسائل المميزة لحياة انسان ، والى الاخذ بمعالم بعض الحضارات العريقة ، في رسم مع طبيعة المفهوم ، والنمط الحضاري .

قد يكتب المرء الحضارة ، عن طريق التعلم ، في

عملية التنشئة الاجتماعية ، كما يكتبها بواسطة علاقات ،
 مختلفة ، أو بالسعي وراء حاجات شخصية ، أو
 سامية . إذ ليست الحضارة التي يعيشها الفرد ،
 شيئاً منفصلاً عنه ، ولا عن التنظيم الذي يسوّدي إلى
 الحياة الجماعية ، وإنما هي تعبير ، عن توافق ، لمجموع
 أكبر ، يحمل في ذاته القدرة ، على هضم ما يستوعب ،
 من رغبات تستهدف كماله ، وتربية أجياله المتعاقبة .

وكل حضارة ، لا تعتمد على تنظيم مميز ، لمجموعة
 من الأفراد تختفي ، وتضمحل ، لأنها تحمل في ذاتها عناصر
 الانحلال ، والزوال ، وأن نفسية الحضار ، تقوم بتغييرات
 مركزة ، في شتى مناحي الحياة ، على أنماط حضارية جديدة
 معتدلة ، تضمن التوافق ، في العادات والاتجاهات والأهداف ،
 وتلم بعمليات الأفراد ومشاكل الجماعات وما ينشأ عنها ، من
 تفاعلات معقدة ، وعوامل كيفية ، لا تتلاءم بمسافة ،
 وزمان .

وإن نموذج بناء الشخصية ، الذي يعده الفرد المعيشة
 الجماعية ، في مجموعة من الحدود الحضارية ، لا يعسده
 لتوافق ناجح ، إلى أقصى الحدود ، ومع ذلك ، فإن لدى
 الجماعات القدرة ، على تنظيم الشخصية ، التي تساعدهم
 تحت ظروف إنسانية ، ووطنية ، في أن يتوافقوا . .
 وعلى هذه الوقائع النفسية ، تدخل المجتمعات ، في مرحلة
 التطور الحضاري .

ويقول الأستاذ ايفانز بريتشارد
 Evans Pritchard
 كل إنسان ، يمضي في تصريف شؤونه ، وفق نظام
 خاص له ، من الحياة الاجتماعية ، ومع ذلك ، فالتناسق
 يعرفون نوع السلوك المطلوب منهم ، ونوع السلوك المطلوب

من الآخرين ، فيوجهون نشاطهم ، بإداء مركز ، نحو القيم
 والنظم المختلفة ، ويقررون مصيرهم ، وما يناسب
 أقرانهم ، ضمن مجتمع ، له شكله ونمطه ، حيث يمكننا
 أن نعتبر ، أن الفرد ، قادر على الوعي الذاتي ، وعلى
 الوعي بعلاقات الذات ، وأن قدرة الإنسان ، تتميز ،
 في فهم مقتضيات ، توافق الطرق الاجتماعية ، والحضارية .
 وأن الوعي بالذات ، متداخل في الموقف الإنساني ، كما
 يتداخل البناء الاجتماعي ، في مداميك الحضارة .

وبهذا النظام المؤدي إلى نقل ، أو وصل العالم
 الحضارية ، لا يستطيع المرء ، تأدية رسالته بعيداً ، عن
 ممارسة معاني القيم الجماعية حتى ولو ركزها على قواعد
 فنية من العلم ، ومن التقدم المادي . . . بل يجب أن يبقى
 في عملية التنشئة ، صراع الكبت ، والخوف ، والمحبة . . .
 ويرافق كل تطور جماعي ، توافق كلي ، في تأدية الرسالة
 الحضارية ، فخصيصة الفرد ، والمجتمع ، والحضارة
 وحدة ، تؤدي رسالتها ، كوحدات متكاملة ، في ميدان
 أوسع ، من الحقيقة الإنسانية ، ومجموعة الفنون التي
 تربي الذوق ، وتمتع الاحساس بالجمال ، في رؤية
 أدائها واستعمالها .

وهكذا تلتقي التنشئة الاجتماعية ، مع شخصية
 الحضارة ، المنشودة بتلاقي مختلف تيارات العلم ،
 والفن ، والتقدم المادي ، فتتبر الواعي الذاتي ، وتقوي
 فيه الحس الإنساني ، على نمط ، تسوده الحرية والأخلاق
 وتوافق فيه القوى المتفاعلة . .

محمود الحسنية

رؤى الاماني

عبرت بي ما بين شك وظن
 وأفواف ما بصوغ التجنى
 وجبين مهدهد بالتمنى
 لهوى شاعر وإبداع فن

كلما هدهدت رؤاك الاماني
 بين رؤياك يا اعز رؤى العمر
 بين عينين تلهماني شعرا
 بين ما فيك من تلف انشئ

واعرضت يا مدلسة عني
 كان يغفو في خافقي المطمئن!

كم قرأت الهوى ينظرك الولهى
 وتباعدت كي تشيري هياما

صقر بن سلطان القاسمي

الشارقة

ويعطّر أصول حياته .

وعمل في الحقل الصحفي ، فترك مقالات وقصائد متنوعة الأبواب في جرائد النار والحربة والبرق والمعروض والاحرار والاصلاح .. وفي مجلات العرفان والمعارف والفجر والمرآة الجديدة وبيت لحم ... كما انه راسل عدة صحف عربية كانت تصدر في المهجر ، منها مرآة الغرب والتريد وبقطة العرب والوطن .. وجاء ما كتبه ونظمه شاملا النقد اللغوي ومختلف شؤون الادب والسياسة والاجتماع والاقتصاد والتشريع والتوجيه الوطني والخلقي .

برع في الخطابة الى درجة انه لقب بشيخ المنابر . وله خطاب وافرة في النثر والشعر . والف عدة تمثيليات منها : الاعرابي ، الامير بشير الشهابي ، المملوك المشارد ، اسير القصر ، علي بن ابي طالب . ووضع عدة محاورات مدرسية . ونشر كتابا في النقد اللغوي وعشرات الاقلام اسماء « كتاب المنذر » . وترك مقالات تناول فيها النقد السياسي والاجتماعي ، وكانت بعنوان « حديث نائب » .

هذا الانسان تعلق بالوزن والقافية منذ صغره . فترض لعدة فنون شعرية دفعته ، فيما بعد ، ان يكون لنفسه مكانة معروفة بين شعراء جيله ، وان لم يوفق فسي جميعا .

طرق باب الرثاء . فكان لا يرثي الا الاشخاص العزيزين على قلبه ، والذين يتركون فراغا بعد مماتهم لا يسد بسهولة . وكان يعرف عليهم دموعا حري ، ويذكر صفاتهم الحميدة ، وخدماتهم الوطنية والاجتماعية والادبية . يقول في رثاء الرئيس حبيب باشا السود :

ولو بدا بين ايدي الناس معجزة سمعت بذاتي السهم في قلمي
ولم يكن ما يلقون من ذلك الخطيب بلبنان ما يلقون من ذلك الخطيب
وقد ذكرنا آيات منطقته العذب هوى كهوى الطيوس فارتدع قومه
ولم يك في برديه شيء من العجب عظيم سما واحتل اعلى ذرى العلى
وحزم ولفظ فاض من صدره الرحب سماح والهدام وابن عريكة

وفي رثائه الشيخ ابراهيم اليازجي ، وقف يتحدث عن معجم الرجل ، ويعدد آثاره ، وسهره على سن القواعد وتهذيب اللغة وتقويم اصولها :

ولو بدا بين ايدي الناس معجزة لاصبحت معجزة العرب تنهزم
دو العارف من تياره اقترسوا وفي حصى علمه الضافي قد ازدهوا
نغرسا والفساد وهو يتسقم تغرسا والفساد وهو يتسقم
حتى غدت عنده الكتاب تحنك حتى غدت عنده الكتاب تحنك
وبغضه ليس يعرف وجهها صمم وبغضه ليس يعرف وجهها صمم

وفي باب الوطنيات وضع انتاجا قام على النضال ، والارشادات ، والمطالبة بالاستقلال التام ، والسيادة الكاملة والحرية المطلقة . اسمعه يقول في قصيدة نظمها في اول آب سنة ١٩٢١ ، دعا فيها ابناء وطنه ان يهبوا وبطالبا وباعطائهم الاستقلال الكامل :



ابراهيم عبده الخوري

شاعرية ابراهيم المنذر

بقلم ابراهيم عبده الخوري

كثيرون هم الادياء الذين وضعوا ، ايام الحكم العثماني والانتداب الفرنسي ، قصائد ومقالات جاء معظمها بتصور احداث هذا الوطن ، والازمات التي تعرض لها بشعبه ، والمضايقات التي كانت تفرضها عليهم السلطات الحاكمة آنذاك ... وكان الشيخ ابراهيم المنذر احد هؤلاء . وقد خلف ادبا كان للوطنيات فيه والاجتماعيات او فر نصيب . لقد كان عنده ميل اصيل الى طرق دولتي النثر والمنظوم منذ دراسته الابتدائية . وقد رافقه هذا الميل طيلة حياته .

ففي حياته التعليمية مثلا ما انفك يعد الابحاث والمحاضرات ويضع القصائد . ورغم انشغاله بالقضاء والمحاماة ، ورغم تقلبه في عدة مناصب حكومية حساسة ، فانه لم يدع مجالا الا وكتب فيه كتابات بقيت صورة صارخة للمجتمع اللبناني الذي كان يشن تحت نير العبودية ، ويرزح تحت ظلم الاستبداد . وطيلة سنيه النيابية ما كان الا سياسيا لامعا ووطنيا حرا ومناوئا للانتداب الفرنسي وداعيا الى الاستقلال التام .

خدم الشيخ ابراهيم المنذر العديد من الجمعيات الخيرية ، ونادى بتوحيد مناهج التربية والتعليم ، وبوضع المعاهد الاجنبية تحت اشراف وزارة التربية اللبنانية . ودعا الى إلغاء الطائفية . وطالب بالتجنيد الاجباري وباعطاء المثبرين كامل حقوقهم . كما انه ناصر الادب بكل قواه ، لان الادب يعمل على بقاء الامة . انه يعزز مكانته

ويقول في قصيدة « الجهاد حياة » :

من جد فاز ومن خاتمه همتيه هوى وما خاب في القصار عدا
فلا تكونوا اذا في الجبين فكتم جنى على السرور يوم الروح ابطاء
وجه كلامه الى الاثرياء ، فطلب منهم ان يقدموا
المساعدات للفقراء ، ويساهموا من جيبهم الخاص في فتح
المدارس بعدما أصبح انتشار العلم ضروريا :

ايها الاغنياء صونوا حاكمكم وانثروا العلم واضدوا كل يتم
ايها الاغنياء جسدوا والا فقصفم الديار لا بد بنقصم
ان عرش الفني ، وهو عقيم ولئن طال عهده ، يتعظم
واهتم بالفتاة ، فطالب بتهديبها ، وتثقيفها ، وارشادها
حتى تصبح انسانة نافعة في المجتمع ، تتحسس مشاكله ،
وتعي واجباتها تجاه افراده :

هدبوها اذا اردتم علاها بغير التهذيب لن ترفعوها
هدبوا خلفها ورفقوا نهاتها وادرسوا قدرها ولا تمولوها
اما اذا انحرفت هذه المخلوقة عن خط الفضيلة ، فمن
الافضل دفنها :

واذا لم يكن من العار بسد فحياة الفتاة ان تدفونها
وفي ايامه كثرت الهجرة ، فثالم اشد الالم وهو يرى
لقدات اكباد من عندنا يترون الوطن الام قاصدين بلاد
ناحية .. نائية ، لا يعلمون اذا كانوا سيعودون اليه ثانية :
الي لاسف ان التي بقي وطني يسارعون لهجر الشرق انفسارا
شبه الازار بهم من فقر دارهم وعلقت لهم الايام الطفارا
وبعد ، ماذا يستنتج من هذه الايات التي مرت امامنا ؟
يستنتج منها انها جاءت نابضة بالاحاسيس الانسانية .
فلا عجب ، ان صاحبها ما كان يضع القصيدة الا بعد ما يشعر
الاحساس كيانها . فتأتي عامرة بالمعاني ، عدا ان اسلوبا في
غابة الجزالة ماشاها .

قد لا يكون الشيخ المنذر حظي في شعره الشهرة التي
نالها في نثره . على انه بطل في دولة المنظوم شاعرا جابها
شاعريته صروف الايام بعناد وصلابة .

ابراهيم عبده الغوري

اعلنوا في

الاديب

المجلة التي تتناولها الاوساط

الاكثر استهلاكا لجميع الحاجيات

نادوا بالاستقلال ابتداء الوطن ونمسكوا بالحق واطرحوا الزين
فقد ملأنا ونسد بنا الزمن والى الورد نسير لا تنفد

ثم طالبهم ان يعتدوا عن دروب السياسة الفاسدة
التي تعمل على فصل البلاد ، ودب بذور الشقاق والخلاف
بين انبائها . يقول :

ودعوا السياسة انها من اصلها فسدت ولم ترح نحن لوصنها
ما بين توحيد البلاد وفصلها تقني البلاد وليس من يترحم
ويقول في قصيدة بعنوان « تحية الى لبنان » :

يحييك من يقضي الخطوب عن العجم ويستل للجلى الفنا والتواغيب
يحييك من يردي عداك ويتفني عاك ولا يخشى الردى والعواقب
يحييك اهل الارض طرا لانهم راوك نعيم الارض تلو الكواكب

وخاطب الشاعر الدول العربية ، فدعاها الى تبني
الخلافات فيما بينها ، والعمل لتوحيد كلمتها وتطويع
الحياة في ربوعها :

احرار هتفي البلاد اقتدا بكل همم ابي جيسور
ورفعوا النفوس باغما لكسم ولا تحسثوا في حفسير الامور
ولا تنصروا غير كل كريم يكون لنا منه نثار ونسور
وصنونا الخافل من كل نقص وضمو اللباب وخلصوا القشور
وجدوا بفسير لثيل الاماني فما فاز بالنجح غير الصبور

ونظم قصيدة ميمية بعنوان « الامل الهادي » خاطب
فيها دمشق ، فذكرها بمجدها الخالد ، وعزتها الشامخة
عندما كانت عاصمة الخلافة ، وتحدث عن ازدهار اللغة
على ايدي اقطابها واعلامها الاقدمين . ولكن الازدهار هذا
لم يدم ، وهناء ايامها قد ولى ، وبكى قوادها لاصابة
العلم فيها بنكسة ولضياع كرامة بنيها :

لا العلم زاه ولا روض الحمى نفر ولا كرامة لابن الشام في التسام
وراحت اللغة الفصحى تقول لنا تكتم بعد ذلك المجد اعلامي

ولتحية جمعية « العروة الوثقى » وضع قصيدة
استهلها بالقاء السلام على ارواح الشهداء ، واكد ان
استشهادهم في سبيل بلادهم هو خلودهم بالذات . وبعد
ان يذكر كرامة افراد هذه البلاد وشجاعتهم وصدقهم ،
يختتم قصيدته محببا للجمعية :

وما هي في عرف النهي غير غرسة لبان الهدى نغذى وماء الندى تقى
وكل امرئ حر الغلال مهذب يحيي معي جمعية العروة الوثقى

وهناك باب الاجتماعيات ، وقد اهتم به الشيخ ابراهيم
المنذر اهتماما بالغا . فما كان يضع قصيدة اجتماعية ،
الا وتراه يتوخى من ورائها تقديم الارشادات للجيل
الطالع ، فيطلب منه ان يتحمل المسؤوليات ، ويتحمل
بالعلم من عندنا وقوا حياتهم على الجهاد وسطروها
باحرف من نور ، ويهتف بتاريخنا الحافل بالامجد
الطيبة :

ليس يكفي ان نرى تاريخنا ضاربا في فمة المجد قبابا
بل علينا القدوة التلى بمن ملأوا الشرق جهادا وظلما

مكتبة الاديب



بنت المم

مجموعة مسرحيات - تأليف فوزي الميلادي - ١١٠ صفحة - قطع كبير - سلسلة الكتاب الماسي - مطبعة الدار القومية للنشر بالفاخرة .

سمعت الأستاذ فوزي عبد القادر الميلادي لأول عهدي به في إحدى احتفالات الاسكندرية يعاقب وينفذ ببراعة واعجاب ، فسلست عنه ، فعرفت انه احد كبار القاتولين في الجمهورية العربية ، فهو مستشار لامع الكلمة والمكانة معا ، ولم اعجب ان ذلك لتفوقه التقني في مضممار البيان ، فالادب والقانون صديقان ..

ثم اخذت اقرأ مسرحياته الكثيرة التي ينشرها في الصحف الادبية المرموقة او يجمعها في مؤلفات تصدر عن كبرى دور النشر في وادي النيل ، فكتت ارى فنا من الادب المسرحي يأخذ مكانه في المكتبة التشيلية ، وهو ان يجمع الى دقة الملاحظة وعمق النظرة اشراق البيان وضوح الصورة يذكركم بملكته الخطابية النفاذة ، ولست اقول هذا الكلام وحدي ، ولكنني استمع الى اراء الاساتذة عظم ابائهم ومحضود تيمور ومحمد فريد ابو حديد وصديق شيبوب ، وهم من اعلام الادب في مصر ، فاجد نناء جما معللا محلا في مقدماتي جيدة والاعجاب بتميزه ، نزل على ان الحق لا يعدم انتصاره من المصنفين ، وكنت اضنى ان يقصر الاستاذ نشاطه الادبي الكتابي على التشيلية فحق الله ما اريد واخذت اطالع الان في مجلة الرسالة فصولا من النقد الادبي يكتبها المستشار القصاص النافذ الاديب .

وسأعرض الان الى مجموعة (بنت المم) لا من حيث الحوار والاسلوب ، فقد اطال الكاتوب في فن الاسناد ، ولكن من حيث الهدف الاصلاحي والمغزى الاجتماعي ، ولست اريد بذلك ان ازر من يتجهون بالنقل للفن وحده ، ولكنني اقول ان اكثر مسرحيات الكتاب ذات هدف توجيهي مع ابدائها الفني وتنظيمها الطائر ، واذا اكتمل لظافر الباهر صورة وفسيحة الملامح بارعة اللال فالقد استحق التنويه وفتح المجال للكلام .

وفيل كل شيء اقول ان الكتاب في طبعته الاولى مهدى الى توفيق الحكيم رائد المسرحية العربية العملاق ، واكثر قلتي ان الاستاذ الميلادي يحاول بهذا الاهداء الشرف ان يعبر عن احترامه لرائد في ادبنا واستفاد من طريقته ، وانا بكل صراحة اجد تاثير توفيق الحكيم في انتاج المؤلف واضحا ملموسا ، ولست اعني بذلك انه تأثر بالاسنداء والاحذاء فهذا ما يرتفع عنه الفنان الوهوب ، ولكنه تأثر الاستشفاف والاهام ، فالرجل يعرف جو توفيق وسبحانه ثم يحاول ان يخلق جوا فنيا كجوه يستمد وجوده الادبي من ذاته الشخصية لا من فرائده الدراسية ، وقد وفق الى ذلك توفيقا يستحق الثناء ، حتى ليكحل لن يقرأ مسرحية المخادع مثلا انها من صنع توفيق ! لان براعة الملادي في رسم مظاهر الملق والتناقض ، واتحاد الرؤساء الى ميول المرووسين

تحت تأثير المنافع المتبادلة ، والاخذ المشترك مع ما يجري وراء ذلك من عوامل السدس والوقفة ومحاولة تشويه الحقائق ، وانمسية المعائن وتجسيد القايح وكثرة التخرس والافتيات . كل ذلك قد برع فيه الميلادي ببراعة الحكيم ، وقد افادته خبرته القانونية في احكام الحكم ، واناقن الجزاء ان استطاع ان يجز حسن المخادع الى كتابة استنائه من الشركة ثم يدفعه الى استلام مكافاته عن رغبة واختيار بل عن بهجة وانشراح ، حتى اذا فقد اسلحته القانونية في الاتجاه الى القضاة يادر اعلان فصله من الشركة فصلا كان موضع الارتياح مسن القراء .. لانه اعطى الجزاء الرادع لانصار الانتهازية ممن يحاولون ان يكونوا فوق الرؤوس لا عن طريق العمل والجد بل عن سراديب التناق والتدليس والاحتيال ..

اما المسرحية الاولى من مسرحيات المجموعة فثاقفة اجزل النفع لمن يهتمون بالتحليل النفسي ، ويرجعون ببقايا العفد والركبات السي اصولها الحقيقية ان يفلتون الشكوك الموهونة ، والتخرصات المحملة من ضباب الفلق والحيرة الى ضياء الجزم واليقين ! والعق ان مسألة الثقة الثامة في محيط الاسرة تحتاج الى تدعيم راسخ بر دل عاصفة تهب !! وقد لمس الزوج شكوك زوجته فهدها التفكير الى استشارة طبيب حاذق يكشف دواء عجيبا للصلص ، هذا الدواء يتناولوه الزوجية والزوج معا ببراعة فائقة جمعت المؤلف بسير بالعلاج سيرا طبيعيا فهو يلا الجو باعدادات مربية وينطق من المفاجآت ما لم يكن يتوقع ، ولكنه في النهاية يصل بالامرة الى السلام حين يتعاطى الزوجان معا نصيبهما المقدر من السائل العجيب ، ثم يسفر الدواء عن سلامة النية فيؤكد انس الحب ويهدئ شمس الصفاء الى مساء حائلة تلبت بالقيوم ، وكانت تسلط الصواقي فتندل بالفناء !!

هذا العلاج النفسي البارع يتطلب ذخيرة قوية من الخبرة الحية ، ويعتمد على ملاحظة بلغة نفسي اليها وفرة الدراسة ، وطول المران ، وقد حكى لي بعض من قرأ هذه المسرحية من الاصدقاؤها انها صادفت موضع الارتياح من اسرته ان صورت مشكلة حقيقية ، واعطت الزوجية جرعة قوية ذهبت بشكوكها الموهومة لهابا رجع الى البيت بالصفاء والولام .

وقد اعتمد الكتاب في بعض مسرحياته على المفارقة العجيبة التي تقلب الامر راسا على عقب ! والمفارقة في يد الكاتب الفحل عمل طوي عابت يدعو الى السخرية ولكنها لدى كاتب اصيل كالاستاذ فوزي الميلادي عمل بارع يستدعي الإعجاب وبخاصة اذا كانت تلي حصادات بعيدة لا توهي بالنتيجة لدى من يسيرون بالامور في طريق تريبس لا نهزه روعة المفاجأة او تحيده به تشوؤ الخيال ، فمسرحية غروس من السمة تعمد في اصالتها القوية على المفارقة الثائرة حين تقرر الامور في خاطر القاري على نحو يختم ان تكون « دولت » غروس الصد ، فتسج احلامها الزاهية سعيدة وفسيحة وتجلو بخيالها الحالم مسرع فارساها المتطرر ، بينما تقع نادية في ظلام نفسي داس متسرع ياسها المرير تجرعا بئرا بالترق وينفذ بالقصة خلف القصة .. وتسير الامور في هذا الطريق حتى تاتي المفارقة فتصحب السعيدة الحالسة يالسة شاكية ، وتصير نادية غروس المتصة وذات العظوة المشتهة .. كل ذلك من واقع الحياة الصادق ، وكم في الارضي من مفارقات ذات غرائب واعاجيب . ولا ينبغي ان نفلن عن حقيقة هامة هي ان اكثر كتاب المسرحية يتعمقون المفارقة فتاتي انهم باهتة شوها ما مفارقات هذه المجموعة هي مفارقة الواقع الصادق الذي تظهره الحياة في كل زمان ومكان ، ومن هنا كانت موضع التقدير . واذا ان هذه المسرحية بالذات

لدها البرنامج العام لإذاعة القاهرة فكان لها صداها العجيب .

ولتلقى مسرحية حرم المليونير مع مسرحية غريس من السماء فسي روعة المفارقة وبراعة المشاهد وحلاوة الحوار ولكنها فوق ذلك تصوري ماسي إنسانية صارخة ، حين نعرض عليك ما تعانیه الزوجة المثقة الرقيقة حين تصطدم بزوج غايب ، لا مؤهل لديه من ذكاء علني وأدبيلقي نفسي أو أزان خلقي ، وكل ما يعتصم عليه نروعة متوقفة ، ينتظر بهما وهو والده على شوك كبير ، وهو من ضيق الفته في غرور قائل يعكس امامه واقع الحياة رأسا على عقب ثم يرميه الى هوة الانحلال فيستهنر ويعبت ويسرق ويدلس ! كل ذلك يبرأى من زوجته المثالية ويسمع !! ثم تأتي المفارقة البديعة حين ينصر هذا العابت نفسه فيجد انه فقير معدم بعد موت أبيه اذ كتب جميع امواله لزوجته الجديدة وولسده الصغير ! لقد اقدمت على تلخيص هذه المسرحية في سطور وأنا اعتقد ان تلخيص العمل الفني يشوه ، ويوهي به ! ولكنني من ناحية أخرى اقدم شيكلا للقاء ، ليعتصموا استطاع الأستاذ فوزي ان يجري به من وفقات الدم وان يكسوه من جمال اللون ووضوح الملاح يهبه مسن نشاط الحياة ، وقوة الحركة ما يجعله واقعا ملموسا يراء الناظر بارتياح واعتجاب ..

اما مسرحية بنت العم فقد كانت مسك الختام في هذه المجموعة الممتازة ، وبها سمي الكتاب وإن اشير إليها بتسهي لآرلة للقاء ، شوقه كاملا لحياتي ! وحسبي ان اشير الى انها كسابقتها قد قدمت في البرنامج الإذاعي بالقاهرة منذ سنوات ، وثالث تقدير الكاتين والمعلقين . وقد اعراف ان للاستاذ الميلاي قصصا ومسرحيات مخطوطة كثيرة ، وقد طبع له عدة مجموعات مثل زيزي هام والزوجة الأخيرة وللمسرحية يعمل على اسعادنا بطبع ما لديه قصة وثقدا ، ففراؤه المستبشرون يتربقون على شوق واحتفاء .

الفيوم

محمد رجب البيومي

التيارات المعاصرة في النقد الأدبي

دراسة ادبية - تأليف الدكتور بدوي طبانة - ٤٨٨ صفحة - مسن الطبع الكبير - مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة

من أهم ما نمتاز به نهفتنا الفكرية المعاصرة ظهور كتب « اصول » لها طابع الشمول والاسراع والدراسة المستوعبة ، كان طابع الإزاقات في فترة الثلاثينيات والاربعينات مقالات مجمعة ربما تعمل طسابع النقد والعرضي ولكن تنهضها الشمول والاستيعاب . اما الدراسات الجديدة التي تشمل طابع مرحلتنا الفكرية فسي المستينات فهي العمل الكبير الواعي . ومن أبرز الامثلة على هذا اللون من الدراسة كتاب الدكتور بدوي طبانة الذي صدر هذه الايام باسم « التيارات المعاصرة في النقد الأدبي » .

ففي اكثر من ٤٠٠ صفحة من الطبع الكبير استطاع هذا الكاتيب التايه ان يلم الماما شاملا واغيا بتطور النقد في الارب العربي المعاصر ، معنيا بعصر على وجه الخصوص ، مستعرضا في دراسة علمية هادئة مدعمة بالادلة والاسانيد والوثائق هذه الحركة الضخمة في محاولة للاجابة عن سؤال ما زال يشغل الباحثين من مؤرخي الادب ودارسي تطور النقد . وهو : « هل استطاع النقد المعاصر ان يؤدي رسالته في التقدير الصحيح للامال الادبية التي تعرض لها ووضعا في موضعها الصحيح بين آيات الفن الادبي . وهل استطاع ان يعقب غايته الكبرى في توجيه الادب نحو اهدافه المثلى التي يشدها وان يكون معينا حفا

لجمهرة الابداء ، يرسم لهم خير السبل لتحقيق غايتهم في الفن ؟

وجملة قوله في الاجابة على هذا السؤال هو : انه رغم ان نقادنا قالوا كلمة الحق فاشادوا بما يستحق الاشادة وزيقوا الصفح والترديد في كثير من الوان الابد ، ورسوموا بقدمهم المنهاج الواضح ان يربدون الافادة والتوجيه ، الا انه يبدو ان الهوى لا يزال طائفا على الكثرة الكثيرة منهم ، بل ربما زاد قنانيه في هذا الزمن الذي يدعو كل شيء فيه الى التشتت بذابل الموضوعية ، وربما كانت ذائبة المعامرين اشد فراوة من ذائبة القدماء ، فكان نناء ونساء ولكن نناء على الاسماء لا على الاعمال ، وكان قبح وانكار ولكنه ينصب على الاشخاص اكثر مما ينصب الانار النقدية على كثرها وتنوع مؤلفيها لا تصلح ان تكون اصلا ثابسا المستولي على البشر في تمجيد ما لا يستحق تمجيدها . وما ليس صاحبه في حاجة الى التمجيد ، وانما هو غريب من الملق الرخيص ، كما تراه في انتقاص ما لا يوجب الانتقاص ، وما قد يكون صاحبه في امس الحاجة الى التشجيع وفتح الطريق امام بواكيره التي تبشر بمستقبل زاهر وحياة فنية خصبة .

وقد عرض الدكتور بدوي طبانة لمعارف النقد فاشار الى ان تلك الانار النقدية على كثرها وتنوع مؤلفيها لا تصلح ان تكون اصلا ثابسا يرجع اليه في نقد الادب المعاصرة ، لانها اثار متباينة بسواء كل منها اتجاهها خاصا ، وينظر الى الاعمال الادبية من زاوية خاصة . والسبب في ذلك ان الابداء انفسهم قد تباعدت اتجاهاتهم وتباينت مناهجهم ، واختلفت مبادئهم ومناهجهم ، وعنده انه لم تقم عنفنا مدارس ذات مناهج او عالمين ادبية متكاملة ، فلم يستطع هذا العصر ان ينتج عمال موحدة او تقاليد متشابهة في ادب مجموعات من الابداء ، ومن عوامل اضطراب النقد التحزب والتكتل حول بعض اعلام الادب الاحتفاء بهم ، وانما يباسيها للظرف بعض الافراض المادية والمنافع المئوية ، حتى تعدت في حياتنا الادبية الجماعات التي تقوى صفوها وتقف في وجه جماعات أخرى تنافسها على السيادة ، وقد تناصها العداوة ، فهو في الحقيقة تجمع لاسلام الاسلاب وتوزيع الغنائم خسية ان نظفر بها جفافة متناوئة .

وبالنسبة لثقافة الابداء ان اغلب النقاد غلبت عليهم الثقافة الاجنبية وان هذا الفرق لا يستحسن من الادب الا ما اثر من الاجانب الذين عرف ادبهم . واحسب بما ركب قيمهم نقصان ان لا ادب الا ادبهم فهو مثله الاعلى الذي يقبس عليه كل ادب ولذلك وقف على ما عند الاجانب من اصول النقد ومناهج الادب ، فلا يعرف غيرها ونسرا يحاول ما استطاع ان يقض من تلك المعايير العربية التي لا يعرف عنها قليلا ، ولا كثيرا ، محاولا تحكيم مقاييس غربية في الادب الذي الفه ادباء عرب ، عاشوا على ارض العروبة واستقوا بسماها .

وعنده ان هذا الفرق من النقد الذين بما بكل ما حسوا اجنسيه يحاول تحكيم الراء النقدية المتغيرة التي خلفها ارسطو ، وبحساول ان يوازن بين الادب العربي والادب اليوناني موازنة تنتهي الى الحكم بتفضيل الآخر على الاول ، وهذا يبين مدى نظرف هذا الفرق في اتجاههم عند تقدير ادب اولئك النقاد على الرغم من تبايناهم منه . وعنده ان هذه الطيقة اليوم من النقاد هي اعلاها صوتا ، وذلك بسبب عاملين : اولهما تكافؤ افراد هذه الطيقة وتكتلهم لصد التيارات المتنافسة التي تمثله الطيقة الاولى ومحاولة تخيئة اصحابها عن ادبياتهم وادبهم ، ومن المشاركة في اي لون من الوان النشاط العام في دراسة الادب ونقده ، وثالثهم لانتعاش السيادة في هذا المجال بومسما في فجر من زمانه ايبية وغير ادبية ، وتمثلت المقام الادبية في الترويج لبعاصتهم ، وكسب الشهرة والذويو الصيت في البيئات الفصحى وغيرها في فهم اعضاء الحائلف واصحاب الادوات وهم الحكومون في المسابقات الادبية ، وقد فرم ذلك حتى اصبحوا يتكلمون في كل شيء يدخل في دائرة تخصصهم في فن الشعر وفن الكتابة وفن القصة .



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ليطون : | الادارة : ٢٢٣٨١٩ ٢٢٣٨١٩ Direc. : 23819
| المنزل : ٢٢٥١٣٩ ٢٢٥١٣٩ Dle. : 225139 Tel. :

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البر اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

كما يتكلمون ويكتبون في جرة غريبة في شؤون السياسة والاقتصاد
والاجتماع . . . وغير ذلك مما لم يخلقوا له ولم يعدوا أنفسهم لدراسته
وعلاجه . . .

ولم يعد امر هذا الانحراف في النقد غريبا فقد اشار اليه كل
باحث منصف وقد عرضت له الشاعرة نازك الملائكة حين قالت ان النقاد
العربي اليوم يقف وقفه الخشوع والتقديس امام النقد الاوربسي
ونظرياته الواحدة ، وكان ذلك النقد نموذج في الابداع والعقيدة لا
يمكن ان يصله الفكر العربي الا بالتقليد والاقتياس والنقل ، وفي
غمرة هذه العقيدة الواهمة اغلق النقاد العربي الباب على منابع الفكر
الخصوبة والموهبة في ذهنه ، ونسي هؤلاء ان النقد الاوربي يتحدر
من تاريخ منزل اعزلا ناما عن تاريخنا وكيف نتاح لنا ان نطبق
اسس ذلك النقد الاجنبي على شعرنا الذي يتدفق من قلوب غيسر
نلك الغلوب وعصور غير تلك العصور .

واشار الدكتور بدوي ان لادابنا العربية شخصيتها المستقلة ، وان
النقد الذي يصلح لشعرنا يختلف بالضرورة عن النقد الاوربي .
وان نأتانا ما يكادون يقرأون البيوت ورنشازدن وبرادلي وفساليري
حتى يحاولون ان يطبقوا ما يقولون على الشعر العربي مهما كلفهم ذلك
من تصنع وتصفه وجور .

واشار الى ان الاداب الاوروبية ثروة ضافية اذا واجهناها مخازير
ولكنها تكون من سقط المتاع اذا نقلناها وتصنعنا لها .

ومن اهم ما عرض له الدكتور بدوي طبائفة من مقال النقد المعاصر
« طابع الذاتية » : وعنده ان السر في اخفاق النقد الادبي الحديث
في تحقيق غايته والوصول الى اهدافه هو صفة بالذاتية وانغلاق النقاد
ايه اداة لاتباع شهواتهم في التلذذ من خصومهم من الادباء الذين
لم يستطيعوا ان يبلغوا مبالغهم من القوة او القدرة على الابداع
او يحفظوا ما حققوه من اسباب الشهرة يدعوه الصيت .

وكان ذلك سببا من الاسباب في حركتة انطباع منافسيهم التي
الظفر يمثل ما ظفروا به من العناية وبدلا لصيت في الحياة العامة
فلم يجدوا من الوسائل ليحقق مآربهم سوى تصويب سهام النقد نحو
خصومهم ليستفولهم من عيالهم ويحولوا منازلهم بدافع الخسد او
الطموح . كما اتخذ النقد سلاحا للتلذذ من الخصوم والتشهير بسهم
والحط من اقدارهم اخذ وسيلة للتثوية والاشادة بالانصار والاولياء
ومن تم تخطى النقد عن منهجه في التقويم والتمييز .

واشار الدكتور بدوي الى ما كان من اثر للمصحافة في النقد وهو
دور مشهود « هو بالنقد واساليبه الى الخفيض » فالمصحافة هي
التي اذكت اوار الممركون اشعلت نار العداوة واتارت الاحقاد بسين
الادباء ، وهبطت بالفلهم وفنتهم ذلك الهبوط الذي شهدته الحياة
لادبية مما قل ان تجد له نظيرا في حياة الادب والنقد .

كما عرّف « للسياسة الحزبية » ودورها في اشغال هذه الفئسة
واذا كان نازها فقد كانت لا تتورع ان تتفرع الى غاياتها من الحط من شأن
الخصوم وزعماء الاحزاب المتأونة باحث وسائل السباب ووجدت من بعض
الادباء والاقلام خير معين على تحقيق هذه الغاية . .

وهكذا كشف الدكتور بدوي طبائفة في صراحة ووضوح عن « أزمة »
النقد المعاصر ثم واصل في افاضة وعمق تصوير انجازات النقد المعاصر
ونقد الافراسي الادبية ، وتحدث عن لغة الادب وصورة الادب ونقد الماتاني
الادبية والم الما واسعا شاملا بكل ما صدر من آثار ومؤلفات في مجال
النقد الادبي على نحو لم يسبق اليه من ناحيتي الشمول والعمق الفني.
ولم يكن الدكتور بدوي جديدا على الميدان وهو الذي عني بدراسات
النقد الادبي منذ شبابه الباكر ، حين بدأ كتاباته في الادب والنقد
والشعر في صحف البلاغ والاهرام والدمستور ومجلة ابولو والنهضة
الفكرية منذ عام ١٩٢١ .

غير انه منذ عشر سنوات كتب مؤلفه الاول في هذا المجال (دراسات

في نقد الأدب العربي (مقدمة لاجاه ظل يغوي ويعيق حتى اوفى على غايته في كتابه الاول هذا الذي تقدمه اليوم .

وقد عني بال نقد الادبي منذ مطالع الادب العربي القديم حيث تناول اشهر النقاد ومناهجهم واناهزم من الجاهليين الى اليوم وفي خلال ذلك تناول بالدرس شخصيتين من ابرز شخصيات النقد الادبي هما : ابو هلال العسكري وقدماه بن جعفر .

والدكتور بدوي جهود ضخمة في ميدان الادب من ابرزها مؤلفاته : البيان العربي والسرقات الادبية . ومعلقات العرب . وعلم البيان . والمثل السائر في درب الكاتب والتمسار ومقدمة في التصوف الاسلامي . وفي خلال اقامته في العراق خلال ست سنوات اتبع له ان يكتب دراسة ادبية عن معروف الرصافي (شاعر العراق) وبيئته السياسية والاجتماعية ، كما ألف كتابه : « ادب الراء العراقية » حيث تناول بالدرس الادب النسوي والتعريف بشواهر العراق .

والدكتور طيابه باحث يتميز بالصدق والصراحة والوضوح وفلسه اجمع النقاد على أنه يستعرض شخصياته في اصالة ويقول ما لها وما عليها .

وقد احس منذ مطالع شبابه بالابحار الصادق بالعروبة واللغة والعقيدة ولا غرو فان دار العلوم هي «مدرسة فكرة» لها طابعها وسمتها وقد عاش خريجوها مجاهدين في سبيل المثل العليا والقيم ، وكانوا وسطا بين جمود المدارس القديمة وبين اندفاع المفكرين الثمانيين بالفكر ، وقد ولد عام ١٩١٢ ببلدة الشهداء متوفيه ، واحس منذ مطالع دراساته بالبرغبة في التعبير عن النفس فقال الشعر ونشر منه قصائد متعددة في ابولو والنهضة الفكرية ثم اتجه الى النشر فكتب في مطالع كتاباته : الشعر القصصي ونصيب العرب فيه) وذلك حوالي ١٩٢٢ في البلاغ .

ثم تحقق له ان يعمل في ميدان التدريس عام ١٩٢٨ وان يتولى التدريس في معهد المعلمين بالمرافق بين عامي (١٩٤١ - ١٩٤٧) وكانت له انشطاعات عربية في خلال اقامته بالمرافق عكفت فيها على العروبة والقومية والوحدة واتبع له ان يكتب دراسة مختصة بمصادفة عمن « الرصافي » حدد بنشأته هناك من الحكومات البائدة ، فقد سلك الرصافي خطما للفرع العراقي والعراقيا وحاربها لحكومة نوري السعيد وكان الدكتور طيابه معظما فقال فيه كلمة الحق التي عجز كثيرون عن قولها منصف لهذا الرجل وقد دارت بينه وبين بعض كتاب العراق مساجلات في هذا الصدد .

وليس كتاب (التيارات المعاصرة في النقد الادبي) هو اخر انتاج هذا الباحث النابه ، بل له مؤلفات اخرى ما تزال تحسب الطبع في مقدمتها (معجم البلاغة العربية) ودراسة عن الصحابي بن بباد . وليست دراساته هذه بالدراسات الخاصة او التمهلة بعمله في دار العلوم ، بل هي على مستوى الدراسات العامة الشاملة ذات الاسر الكبير في مجال الفكر ، ولا اعتقد ان باحثا يكتب في النقد الادبي يستطيع ان يتجاهل او يستغنى عن كتابه الذي نحن بصدد (التيارات المعاصرة) .

وهو في جلته ختوة في الطريق الذي تجري فيه النهضة الفكرية المعاصرة من العمل للموسوعات والابحاث الكبرى التي تسم بالشمول والدراسة المستوعبة الجادة .

القاهرة
أنور الجندى

فانسون الاجراءات الجنائية

تأليف الدكتور محمود محمود مصطفى الاستاذ بكلية الحقوق جامعة القاهرة - الطبعة الثالثة ٩٦٦ صفحة - دار ومطابع الشعب بالقاهرة

في الفكرة وأنا اكتب هذه الكلمات ، جملة مؤلفات في شرح قانون الاجراءات الجنائية (١) رقم ١٥٠ لسنة ١٩٥٠ وما ادخل عليه مسن تعديلات . وقد تصدبت لهذا الكتاب ، لانني قد درسته وأنا طالب بقسم السياسات بكلية الحقوق . اذا فهو كتاب مقرر على الطلبة ، أي انه كتاب موجه وأنا اعتبر من يتناول بالنقد او العرض مثل هذه المؤلفات ، انما يقوم بعمل طيب . وبالنقد تكمل للكتاب اصالته في التوجيه ، ويظهر ما غاب من ملاحظه من فائره .

ومؤلف الكتاب هو الدكتور محمود محمود مصطفى العميد الاسبق لكلية الحقوق جامعة القاهرة واستاذ قانون العقوبات وقانون الاجراءات الجنائية بها .

وفيما يلي ما بدا لي من خواطر أثناء قراءة الكتاب :

(١) اول سمات هذا الكتاب انه انتاج عمل وليس انتاج هواية . وبالتالي فهو انتاج له اهمية عملية في حياة المؤلف . وأنا اصدق بالهواية التي يمارسها المرء خارج نشاطه الاساسي ، وليست الهواية المرتبطة بالعمل . ومن امثلة الهواية التي يمارسها المرء خارج نشاطه الاساسي مشاهدة المباريات ، وارتداد السرم ، ولعب الجولف . ومثل الهواية المرتبطة بالعمل متابعة رجل العلم للابحاث في فرع العلم الذي تخصص فيه في حرارة وعنف (٢)

لاني سمات هذا الكتاب انه احتفل باحكام محكمة النقض وهي هيئة عليا تشرف على تطبيق القانون وتفسيره . وبذلك اكتمل للنص القانوني الشروح لملامحه عند التطبيق ، وهي ملامح اصلية لان احكام النقض بنت الخبرة الواسعة والثقافة العميقة ، وهي ملامح ثابتة لان احكام النقض تضمن مبادئ قانونية مستقرة ، وقد افاد المشرع هذا الاستقرار بضمائم تشريعية . فمن على انه « لا يجوز لمحكمة الموضوع في جميع الاحوال ان تحكم بعكس ما قررته الهيئة المختصة للمواد الجنائية بمحكمة النقض » (٣) . ونص المشرع اشرع على انه لا يمكن نقضه للنقض مما لا احد دوائره المدول عن مبدأ قانوني قررته احكام سابقة ، بل يلزم على الدائرة ان تحل الدعوى التي نظرها في اول انظر المحكمة بجمعته للنقض فيها(٤)

(٢) بمقتى القانون رفع الدعوى الجنائية تارة على شكوى من المجني عليه ، وتارة على طلب ، وتارة على صدور اذن . ومن احوال تقيسد

(١) قسم المؤلف الموضوع الى عدة كتب مسبوقة بقدمة تناول فيها جملة موضوعات منها نظرية البطلان ، وتطبيق قانون الاجراءات بأثر مباشر ، وعلاقة قانون الاجراءات بقانون الرافعات وتناول في الكتاب الاول الدعوى الجنائية والدعوى المدنية شتدت عن من له الحق في رفع الدعوى الجنائية ، وفي المدي عليه في الدعوى الجنائية ، وفي اسباب انقضاء الدعوى الجنائية . وبالنسبة للدعوى المدنية تناول عناصرها ، وكيفية مباشرتها امام المحكمة الجنائية وامام المحكمة المدنية . وتناول في الكتاب الثاني الاطوار التي تمر بها التهمة ، فتحدث عمن الضبعية القضائية ، وفي التحقيق الابتدائي ، وفي الاختصاص والتنظيم القضائي وتشكيل المحاكم وفي التحقيق النهائي . وتناول في الكتاب الثالث طرق الطعن في الاحكام ، (المعارضة والاستئناف والنقض واعادة النظر) . (٢) ارجع كتاب الطرق الى السعادة . تأليف برتراند راسل وترجمة عادل سلامة الفصل الخامس عشر الخاص بالهوايات الخارجية . (٣) ارجع القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٥٦ المادة ٤٤ فقرة ٢ . (٤) ارجع المادة ٢/٢ من قانون نظام القضاء . وكتاب قواعد اختصاص المحاكم المدنية في القانون المصري تأليف الدكتور جميل الشراوي ص ١٠٠ للفصل الخاص بتبرين المحامي المدنية وتنكيلها . (٥) انقض ١٩ أبريل ١٩٥٥ مجموعة احكام النقض من رقم ٢٦٠ ص ٨٥١ ، (٦) ١١٤ من قساوون الاجراءات الجنائية .

التيابة بالحصول على إذن الجرائم التي يتهم فيها أعضاء البرلمان والجنائيات والجنح التي تنسب إلى القضاة .

وقد ورد في الفقرة ٧٧ في ٩٤ في الفرع الخاص بتوقف ورفع الدعوى على إذن أن عضو البرلمان يحاكم متى رفعت حصانته أمام المحكمة المختصة من حيث النوع والمكان . هذه العبارة وردت في غير موضعها الطبيعي . فقد وردت تحت عنوان الجرائم التي تقع من القضاة بينما يجب أن تكتب تحت عنوان الحصانة البرلمانية .

(٣) ورد في التحقيق النهائي (المحاكمة) فقرة ٣٢٨ أن محكمة النقض قضت بأنه لا يلزم أن يوقع التهم على الإقرار الصادر منه والمتبث بمحض التحقيق ، ما دام المحضر موقعا عليه من المحقق والكتاب .

ورأي أنه يلزم توقيع التهم إلى جانب توقيع كل من المحقق والكتاب أسوة بالشهادة حيث يلزم توقيع المحقق والكتاب والشاهد (٤) وفي مقال المأثرة بين الشهادة والإقرار تبدو أهمية الإقرار وخطره فالشاهد إذا كان شاهد أتيق فهو بلسن التهمة بغيره ، وإذا كان شاهد نفي فهو يدفع التهمة عن غيره . أما الإقرار فهو أن يقر الفرد على نفسه بارتكابه فعلا معينا . فالأمر أن نستلزم توقيع الشاهد كضمان لصحة أقواله فكيف لا نستلزم توقيع المتهم المعترف كضمان لصحة أقواله هو أيضا .

(٥) وأخيرا فقد ورد على غلاف الكتاب أن المؤلف هو استبسان فانون المقويات والإجراءات الجنائية . وقاري هذه العبارة إذا لم يكن من درسي القانون يلهم منه أنهما قانونان واحدا ، بينما الصحيح أنهما قانونان وكل منهما له دابته المستقلة وبالتالي يلزم استبدال العبارة السابقة بالعبارة الآتية (استلا قانون المقويات والإجراءات الجنائية) أو استلا قانون المقويات وقانون الإجراءات الجنائية . وقد رأيت الإشارة إلى هذا الخطأ أنه ذهني وليس طباعي . فقد ورد في الطبقات السادسة والسابعة والثامنة على التوالي .

أحمد شفيق عطوي
باحث قانوني
بمؤسسة تعميم الصحاري

القاهرة

محمود تيمور وفن الاقصوصة العربية

تأليف فتحي الإيباري - ٢٠٨ صفحة - الدار المصرية للطباعة والنشر بالاسكندرية

إنه أعري بفن الاستاذ محمود تيمور أن يثير فضول النقاد وأن ينشأهم إلى بحثه وتحليله لأن فن تيمور هو الفن الاصيل الخالص في القصص العربي . وقد نشط تيمور له لجهته منذ مطلع صباه حتى اليوم فأنه من القصص الطويل والقصير عدا وقراءه فيها عام الاقصوصة واحدة متوسطة من النوع المعروف عند الأفرنج باسم « نوفيول » وعنوانها « الاطلاول » إذا لم نخفي الذاكرة . وهي قصة ذات ثلاثة علسى أدب الاستاذ تيمور من حيث وصفنشوء العاطفة في نفس فتى ارستقراطي التربة ، ومن حيث اعتمادها على نظرية فرويد عن النقل الباطن فسي نظور حوادتها .

وقد أقبل النقاد فعلا على دراسة فن الاستاذ محمود تيمور القصصية منذ سنين وظفرت الكتبة العربية بكتاب « محمود تيمور وادب القصص العربية » للاستاذ زويه الحكيم » و « قصة محمود تيمور » للاستاذ أنور الجندي » و « محمودتيمور الأدب الإنسان » بقلم الاستاذ

صلاح الدين أبو سالم . وصدر أخيرا كتاب « محمود تيمور وفن الاقصوصة العربية » للاستاذ فتحي الإيباري ، هذا فضلا عن الفصلو العديدة التي ظهرت في مختلف الصحف والمجلات لدراسة كتب تيمور عند ظهورها . وقد اكتفيت بما كتب بالعربية ولم أشر إلى ما كتب عنه في مختلف اللغات الأخرى بعد أن نقلت قصصه إليها .

وإذا كان كتاب « محمود تيمور وفن الاقصوصة العربية » أحدث الكتب التي ظهرت عن محمود تيمور فإنها ليس أقلها شأنا ولا أصغيتها مادة . وقد نحا فيها المؤلف الأستاذ فتحي الإيباري منحى خاصا غير الذي قصد إليه الكتاب الذين تقدموه في معالجة هذا الموضوع وأن كان قد اتقى بهم في العديد من التفاصيل والإحكام .

استهل الأستاذ الإيباري كتابه بفصل طويل عن « القصة والادب العربي » عالج فيه كيفية نشوء القصة من الحكايات الخيالية والإوهام الشائعة وتطورت حتى استوتت في شكل ملاحم - وهو النوع الأول من القصص - ثم تطورت القصص الستارة ثم انتقل إلى القصص السريبي ونحى مما قاله الأستاذ تيمور فيهما في كتابه « الادب المفساد » وانتقل بسين العصر الجاهلي والنهضة والحديثة بعد أن اتصل الشرق بالغرب . وكانت القصة في المغرب نفسه خاضعة لتأثير تطور المدنية وانتفاع هذا الفن بالاكشافات العلمية وقد استرحت اداب الغرب على الشرق العربي حين أخذ ينهض نفسه الحديثة ، وأصبحت الصحف العربية حلقة الاتصال تنقل إلى قرائها آتيا الغرب الآديبة وأفكاره في الادب بعد تلقيهاش الآراء السياسية والنظريات التي انتشرت في الغرب من الحكم ونظمه ونواعه ، ممسا أحي إلى التشار تنقليد الأفرنج بين العرب وفيام بعض المصلحين بتوجيه النقد الحريز إلى هذا التقليد . ويستمر الأستاذ الإيباري في بحثه فيذكر كيف انشئت مدرسة الألسن سنة ١٨٢١ وكيف ونش رفاغسه العظيمة بالترجمة ، وكذلك فعل محمد عثمان جلال وانتقل فجأة إلى المتفولوي وما ترجمه من الفرنسية وآثر بواسطته في بعض التففوس . وعلقه كان الأخير أن يشير المؤلف إلى أن اطلاق كلمة « ترجمة » على ما كتب المتفولوي في تجاوز كبير . وقد أشار إلى أنه لشخص أكثر مما غرأ حرقيا . ولكنه اغفل أن المتفولوي كسان يجسهل اللغة الفرنسية نياما وأنه كان يكتب مايرجس له . ولذلك لم يكن اختياره للكتب صاغا ما نقل له منها اختيارا ذاتيا ، بل كان مقبسا بشخصية صاحبه الذي دله إلى تلك الكتب .

ولست أذكر ما ذكرته للحظ من قدر المتفولوي فقد كان المتفولوي ادبيا كبيرا وكاتبا كبيرا مترق العبارة . ولعل أسلوبه الجميل ساعد على ذبوع كتبه بين القراء أكثر مما ساعدت مادة هذه الكتب . ولا ينكر أحد مكانته بين أبناء عصره والجيل الذي لاده ، وإن كانت « التلرات » و « الفمراة » قد أصبحت اليوم منسية . ولكنه كان حريا بالاستاذ الإيباري ، وهو الناقداالمدقق - كما نعرف عنه وكما يظهر من كتبه - أن يوسع نطاق بحثه في ترجمة القصص قبل الحسرب المالية الأولى ، ولا يكفي بذكر المتفولوي وحافظ ، وهما على مقامهما في عالم الادب والوجدان اللذان لم يترجما ترجمة صحيحة لجهلهاش اللغة التي كانا يتقلمان عنها .

وينتقل الأستاذ الإيباري إلى عصر النهضة فتجده يجعل حركة ترجمة القصص الغربي باحثة ترجمة سريعة تجارية في الطور بسين العربيين والماليين ، في حين أننا نترجم مثلا أن روكامبول وفهمسوس دوماس وغيرها نقلت في عصر وطبعته فيها ، ونعرف أن نقول رزق الله كان يصدر مجلة قصصية باسم « الروايات الجديدة » . وذلك قبل الحرب العالمية الأولى وكذلك عندما يذكر المجلات التي أرت فسي الشباب بعد الحرب العالمية الأولى بفعل « السياسة الاسبوعسية » التي تقدمت المجلات التي ذكرها وكانت في طليعتها .

وقد احسن الأستاذ البياري الحكم حين ذكر ان القصة المصرية الحديثة عند نشأتها مرت بمهدين عهد « حديث عيسى بن هشام » الذي اميز بمعالجة مشاكل عصره الاجتماعية وغير الاجتماعية على طريقة قديمة ثم عهد « محاكاة القرب » كما فعل محمد حسين هيكل في قصة « زيب ». وفي هذا العهد ظهر محمد تيمور الذي جمع بين الثقافة الغربية والثقافة الفرديية واخذ يدعو الى انشاء « ادب مصري مبتكر يستملي وحيه من دخيلة نفوس المصريين وصميم البيئة » ووجد الاقصوصة احسن السبل لتحقيق دعوته وكتب اقصيص جمعت فيما بعد في كتاب بعنوان « ما تراه العين » ولكن الشغلة التي حملها محمد تيمور سقطت من يده ميكرواذا توفي الى رحمة ربه في عثسون شبابه ، وفي الوقت الذي كان يرجي منه فيه الخير الكثير للادب العربي المعاصر . ولكن تلك الشغلة لم يخذل عنها بل انقضا شقيقه محدود تيمور فرفعا عالية واستمال ان يصل بذلك اللهب الى جميع البلاد العربية وان يحفر من الاقصوصة من تقاليد القرب ، وان يجعلها محلية بحتة وان يركز فيها على اسس متينة.

ثم يسترسل الأستاذ البياري في حديثه عن محدود تيمور فيعرضا به في اسرته ونشأته وايندا معالجة النضة ومطامعها وسرد العواطف التي دفنتها الى الاستغلال بالادب وعمارته فن القصة ، وبين العواطف التي تفاعلت في نفسه حتى جعلت منه الانبي الكبير الذي تقارده ورائد في القصة الذي تعجب به .

وقد استقى تيمور الهامه من مختلف المصادر ، من الاسطورة المصرية ومن الرث ، ومن عامة الشعب ، ومن الاساطير التي راها يعيشون وتحزن . وقد وصفه مرة الدكتور زكي مبارك كيف يسير في شوارع القاهرة ساهم اليه مشرد النظر في حين لا يفوته اذارة او اشارة مما حسوسه . اما الأستاذ البياري فقد راح يبحث عن مصادر الهامه بحث التسلية الدقيق في الاساطير المصرية ثم انتقل الى المصادر الحديثة فقال ان عالم الاساطير الذي استحوذ على قلب تيمور قرة من الزمان لم ينجس الى القناع فقد استيقظ من تلك الاحلام لتقع قتاة على شيء جديد ولست ادري مدى مطابقة هذا للواقع فليست الاساطير المصرية هي التي جعلت من تيمور القاص الكبير الذي نعرفه بل ان العالم الكبير الذي كان قد تكون وانتج هو الذي استفاد فيما بعد من الاساطير التي فرا عنها ، كما استفاد من مراثيه وتجربته في عصره .

ونحاول الأستاذ البياري اقصيص تيمور على ضوء بعض المذاهب الادبية الكلاوفية والرومانسية ، ثم ينتهي من بحثه الى ان تيمور لم ينبع مدها معينا من المذاهب الادبية الشائعة في كتابة اقصيصه . ثم اخذ المؤلف يورثنا بفن تيمور ويحاول ان يبين تطور فن القصة عند تيمور حتى وصل الى هذا التمام في الفن الذي نشده في قصصه . واستعان على ذلك ببعض القصص التي تبين كيف بدأ تيمور معالجة الفن قلنا مضطريا ثم صار فيه الى بعد من التفوق ولعلنا كنا نرى في الاساتذ المؤلف القدير ان يأخذ احدى الاقصيص التي أعاد تيمور كتابتها من مرة فيدرسها في مختلف اشكالها لتبين تطور الفن على فلم تيمور . وكذلك كنا نود ان يفصل في الاسلوب ونصفيشيه من التماثل الذي ظهر في كتاباته الاولى الى هذا الاشراف الذي نشده اليوم فتنظروا على ونمحصه خلاص العجايب .

ونشيا مع هذه الفكرة كنت اود لو ان تبت مؤلفات تيمور في آخر الكتاب ان اوفي مما هو عليه وخاليا من شكل الاعلان الذي اسرح عليها . فالباحث يود ان يعرف جميع كتب تيمور ومختلف طبعاتها وتاريخ صدورها ليستطيع ان يعدها اذا ما شاء استعمال البحث في تطور التاليف القصصي عند تيمور .

ولكن هذه الملاحظة وما تقدمها من ملاحظات ليست في حقيقتها انتقادات بالمتى المعروف لهذه العبارة ولكنها خطرات من يدهن فارد

تمزعت مثلي يود ان يباغ انتاجنا الادبي اقصي حد من الكمال . ولعل القاري يبين من خلال ما تقدم اعجابي بكتاب « محمود تيمور وفق الاقصوصة العربية » وتقديرى للذات الذي تكلف مؤلفه الاستناد فتحي البياري في تاليفه . والأستاذ البياري من ادباء الاسكندريسة الشباب ومن نقادنا النابهين ، ويعتبر هذا الكتاب باكورة مؤلفاته ، وهو الجزء الاول من مؤلف يقع في ثلاثة اجزاء عن تيمور وسيخصي الجزء الثاني بفن القصة والمسرحية عند تيمور والجزء الثالث بالاحصيات والمقالات . فنرجو له ان يصادف في الجزآن الاخيرين نفس التوفيق الذي لقيه في الاول وان يوفق بنفس الشاء الذي تزفه له بمناسبة هذا الكتاب وهو به حري .

صادق شميوب

الاسكندرية

هــجـيـسـر و سـرـاب

مجموعة شعرية - احمد دحدح الخليفة - صفحة ؟ - مطبعة ؟

انا حريص على ان اتابع بشغف واهتمام كل ما يصدر عن بلاد الخليج العربي من اتاج ادبي وفكري ، لانه حلقات متممة لسلسلة النهضة الفكرية المعاصرة في البلاد العربية .

وانا ارقب بين الحجة ما يصدر عن ذباه البحرين منذ انه بعد منذ فارت اشعار المرشي وابحار الادبية القيمة في اشعر المعاصر ، ويعد شاركتاني المجلة العزيزة المحببة « صوت البحرين » .

والصديق الكريم الاساتذ ابراهيم حسن كمالا بوفونه ان يشيع شوقي الى الاطلاع على هذا النتاج نياحا ، فهو يمدني في القبة بعد القبة بما يصدر من جديد عن هذه البقعة العزيزة من الوطن العربي . وفي الهام الاقصيص افضل باهدائي ديوان الشاعر احمد محمد الخليفة للمسمى « هـجـيـسـر و سـرـاب » وباستيعاب وشوق قرأت ديوان

الشاعر هذا وجيبه في ؟ ان اهتمامات الشاعر - كاهتمامات كل الشعراء - تدور حول نفسه اولا ، وحول مجتمعه تالبا ، فاذا بحثنا عن ذاتية الشاعر ونسأله كيف عبر عنها ، رابنا عنديا من القصائد تتحدث عن الشاعر نفسه بطريقة مباشرة .

فانتاجية الديوان ومفوضته الاولى « انا » وقصيدته الثانية « انا والشعر » وقصيدته اخرى في الجزء الاخير من الديوان يتناول « اللحن الاخير » - كلها حديث مباشر يعرف الشاعر الى القاري ، ويكون الخطوط الجملة لصورة الشاعر كما يرى نفسه . فهو تواق الى الحرية ، معز بنفسه ، وبفوقه ، وهو شاعر شدة الحب ، نواك مشتاقا ، بترام بالحياة والناس . وهذا التساؤل من شأنه ان يصل بالقاتن الى احدى التين :

اما ان يتمد على القيم والناس والحياة ، واما ان يتزوي ويتسرك لهم حياهم الى حياة افضل قد يجدها في العزلة وبين احضان الطبيعة وذلك شأن شاعرنا الرفي .

ان القصيدة الاولى « انا » تحكي عن حبه للحرية ونفوره من الخضوع : نشأت حرا ابي النفس بدفنتي حيا لعلى اهاوي التيه والعطب اذا رايت من الدنيا محاربيسة شهرت في وجهها سيفا من اللهب ومن بين نفسه يوسسا الى احد فاته ليس مفسدودا من العرب وعن شاعريته تحدثنا قصيدته الثانية « انا والشعر » :

انا والشعر توامسان ولكن كم يرانسي وكم سقاني التحيما

ليس لي عنه مهزرب فإذا ما سرت عنه إليه رمت الرجوعا
أنا لن أشتكي من الدهر بؤسا في حياتي ولو شربت الدموعا
غير أنني لا أرتقي القيم في العيش ولا أقبل الأذى والخنوعا
والأديب الصحيح يحيا أيبسا وأثير الآله يسألي الخنوعا
وفي قصيدته «اللعن الأخير» التي قالها وهوى سير المرء،
ومن غشائها وقرؤها يبدو التشاؤم، ولكن الشاعر رغم تشاؤمه
يبدو متمسكا بالحياة، نافعا على من يرضون الهوان في سبيل الترف
ورغد العيش :

أنتي عشت في الحياة كثيرا حتى أتت مرأى الهوان
والذي يبقى الرغادة في العيشن يلقى السورى بروح جبان
يشرب القيم في خضوع ويجشو ركاما في معابد الأوثان
كيف يرضى الأديب في الدهر أن يحيا على الأرض ميت الوجدان
وفي الديوان كذلك فصائد تحدث عن الشاعر ولكنه حديث غير
مباشر، يبدو ذلك في قصائد التملات وأحداث النفس، التي تنفع
منها تشاؤم الشاعر بوجرمه، وزردة بين السأم، وإرادة الاعتزال،
والهروب إلى عالم خيالي مجنن، ويظهر ذلك بين سطوره، وعساى
رؤوس قصائده، ففي قصيدته «حجر» يقول :

حرت في هذه الحبيابة فلم أعلم إلى أي ملك أنسا سائر
قد سئمت الحياة ما بين قومي وتجنبت فزاهم والمساخر
أنهم في ضلالهم يتناقضون بجعل على طينهم الآثار
فأبيت الشيطان استهبط الإلهام من جواها البديع الساحر
ثم يعمق في حلم رائع، يعيش فيه سرا من العذاري، يقلبن
عليه، ويفتن له .. أحلاما وبعدا يتناسدن إلى السماء ويبلغن
للحسرة والامتن :

وإذا في فوق الترى والمصدارى سابعات إلى التجوم الزواهر
صاعدات إلى السماء وقليبي في هبوب الأسى قبل الشاعر
طينة الأرض للتراب ولم تخلق لتحيي مع القياد الطاهر
ثم يتلو ذلك عدد من القصائد ثم يسماها وعساها عن هذا
الإنجاء، مثل «الأمال الضائعة» و«الرب الفاسد» التي يغضب
فيها السراب قائلا :

أنت مثلي على الحياة مضاع وكلا من دهر في كتاب
غير أنني بأخادع الركب في أرضي مضاع وبين جمل صحابي
والقصيدة التالية مباشرة عنوانها «ضياع» :

أحببت دنيا الليل وهي كئيبة وكزمت أقصواء النهار الساطع
أنا شاعر مل الحياة لأنني عشق الخيال وعاف صدق الواقع

فإذا ابتعد الشاعر قليلا عن ذاته الخاصة رأينا يفتنى بالحبيب،
وحبه شغاف محترق، يشد الخلوة والانفراد بحبيبه بين أحضان
الطبيعة بعيدا .. بعيدا عن دنيا الناس :

نعال لي في الروقي عند الرضا هذه دنيا الزاهير لست
نعال لي لا عسايل بيننا ما حولنا غير نجوم الفلسك
كل الروابي منك مفتونة بهش بالظيب لتستعجبك
أغسل منها في البياض أ غشت من البشرى لتستبذك
أغار حتى من نسيم الصبسا أن حرك الفتان أو قبلك

ثم هو يهيم بالشراب والفنقة حتى يتنقل من لعبت والمجون
إلى الجنون :

حسنا أنسى شاعر في السوم أحبابا والظنون
فإذا فسمت ففوق صدي في جنون فاعلمبرني
فسم الشاعر الحساس منهم قديما بالجشون
وشعر القول عند الشاعر دقيق النسخ، غلب المعنى، حلو النغم،
يرى من التكلف يكاد من البساطة يتنزل إلى الكلام العادي بلا إسفاف:

ما أرى صبيدا من المرمر للفنسة معقيل
وقها حوا وشعرها كسواد الليل مرسل
وعيونها سحرها الطافي من الرحمن مبتل
وفقت بي حيرتي خلسف الزوايا انسايل
أن أعصبي من فنتها لا تحصيل
فإذا تلت الشاعر إلى مجتمعه، واستمع إلى هدير الضمب العربي
الزاحج، أجندته هموم الوطن، فلم يملكه إلا أن يندمج في غمار
الكفاح، وأن يقسم صوته إلى صوت شعبه، في البحر موطنه
المحدود الذي يقول فيه متزايقوه :

سأنتي : أنت يسا شاعر من أي قبيل
ثم أفصت لي فأذني حسنها الطافي غليلي
قلت أنني من بسلاد كرت بالمستحصيل
من ربى (البحرين) دار الفز والجسد الأصيل
من بسلاد المر والبرولر والنخل القليل
أنا من قوم الأكلوا البحر في الرنج الهول

ثم في الوطن الأكبر شغلته مأساة فلسطين، فإطلق شعره هدبرا،
يستحث الهمم ويغوص في غمار التاريخ .. تاريخ مة عزيزة متفجرة على
يد صلاح الدين، ثم أمة مفرقة شتية الأهواء تهملكتبة، ويريد أن
تسامي بالكتابة لتتصر على نفسها، ولكن تشاؤمه يغلبه، ويعتصر
قلبه أن يده مقلولة لا تستطيع إغاذ الوطن الشهيد الضعيف :

يا فلسطين مد غرثك الأعادي عسا رأينا الأعراس الأسماس
كم شكاكة غمت بتجنبرني حتى إذا فمت ضيعتها الهمام
كعسا فلت أجنلي طيفك العالج فامت نور في العزم السام
فإذا رجسلي المسماة في القيد وجرحي مسسا ضميده البلام
وفي الجزائر يقول من قصيدة «الأرض الملهية» :

عجب الجزائر قد تنزى الثرا يسعد ما شاد البقي الإهم
وزيل من صنع البسلاد أرفعا بانست بقوت حياست تحكم
شعب شقى إلى الخلود طريقه ويبد مجد جدوده ويؤهم
من عجب البسلاد أرفعا بانست بقوت حياست تحكم
سماورا على جثث السحاي في النجى سلا يده الشامت وعظم
تترجل التاريخ من المسافه ليسجل المجد المؤئل عنهم

وأخيرا إذا كانت موضوعية الديوان قد شغلنا عن فنته، فلا
يفوتني أن أتى على السلامة والقوة اللتين أسمت بهما معظم قصائد
الديوان، فالنغم الحاد، والكلمات العذبة، والظلال الرفافة تسود
قصائده الغزلية والتاملية، والجرس العالي، والكلمات الهادرة تظفي
أرض المعركة في قصائد الحماسة الوطنية، والهابة والجلال والصحنان
في شعر الرثاء :

ولك توفيق يبعد للشاعر، وإن كانت كل قصائده تقليدية فلا
فسر عليه، لأن الأظار ليس هو الهدف، ولكن ما في داخل الأظار من
عبارة، وما وراء العبارة من نبضات حية في هدف الشعر المعاصر .
ومع ذلك فنحن لن نتجمل الحكم على مدى توفيق الشاعر في
القصيد وغير القصيد من الأشكال الفنية للشعر حتى نرى مسرحيته
التي أعلن أنها تحت الطبع، نلمس مدى توفيقه فيها .

بقي أن أقول أن هذا الديوان يعتبر نغمة حارة في لحن الشعر
العربي الذي يتجاوب به الوطن العربي اليوم، وأنه خطوة في سبيل
انطلاق الشعر في الجنوب العربي للحاق بركب التجديد في الشعر
المعاصر .

ومن أجبنا أن نباركه ونشجعه، ونترقب مزيدا من الانتاج
لشعره الخليج العربي الناضج.

القاهرة

رضوان إبراهيم



- صفحة - طبع في لبنان - (لم يذكر اسم المطبعة)
- الى شمس - مجموعة شعرية - قبلان مركزل - ٦٤ صفحة - (لم يذكر اسم المطبعة)
 - هنا اعدم الاسلام الرسامالية - نايف محمود نور الدين - ١٨٦ صفحة - مطبعة الاديب في حلب
 - من قراءات الاجداد - ترجمة عثمان نويه - تقديم وتعريف عباس محمود العقاد - ١٢٦ صفحة - منشورات مكتبة الانجلو المصرية (٩) - مطبعة مصر بالقاهرة
 - العمل للمتولين - تحرير جمعية تعليم الكبار الامريكية - ترجمة زهير حنا بختيت - مراجعة وتقديم العميد سيد عبد الحميد موسى - ٨٨ صفحة - منشورات دار القلم بالقاهرة - مطابع دار القلم بالقاهرة
 - جبهة اشعار العرب - نايف ابي زيد محمد بن ابي الغضائيب القرشي - ٣٦٨ صفحة - حجم كبير - منشورات دار صادر ودار بيروت ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة)
 - الامثال الشعبية في قلب جزيرة العرب - نايف عبد الكريم الهجيمان - في ثلاثة اجزاء - الجزء الاول - ٣٩٢ صفحة - الجزء الثاني - ٣٦٨ صفحة - الجزء الثالث - ٣٥٢ صفحة - حجم كبير - مطبعة دار الكتب ببيروت
 - سفينة حنان الى القمر - قصص قصيرة - نايف ليلى بعلبكي - ١٩٢ صفحة - منشورات المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة)
 - البستاني والبلقاء هومروس - نايف البندوي المثلث - تقديم عبد الرحمن شهبازي - ٢٢٤ صفحة - حجم كبير - منشورات دار المعارف بالقاهرة - (لم يذكر اسم المطبعة)
 - الطبيب الصغير - قصة للاولاد - نايف ادفيك جريديني شينوب - الفلاف بريشة فاروق البقيلي - ١٥٢ صفحة - منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر ببيروت - مطابع سميا ببيروت
 - الساعة والانسان - مجموعة قصص - نايف سميرة غزام - مصمم الفلاف وضاح فارس - ١٢٠ صفحة - منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر ببيروت - مطابع سميا ببيروت
 - وموت الياهم - رواية - نايف حامد دمنهوري - ٣٢٨ صفحة - منشورات دار العلم للملايين ببيروت - مطابع دار العلم للملايين ببيروت
 - دوحة الوزراء في تاريخ وفائع بغداد الزوراء - نايف الشيخ رسول الكركولي - نقله عن التركية موسى كاظم نورس - ٣١٢ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكتاب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد - مطبعة كرم ببيروت
 - خطرات فكر - نايف سعد صائب - تقديم الدكتور ابراهيم الكيلاني - ١٤٦ صفحة - منشورات الفن الحديث العالي (٩) - (لم يذكر اسم المطبعة)
 - رسائل في حضارة اليوس - نايف ندره اليازجي - ١٤٤ صفحات مطابع الف باء ، الاديب بدمشق .

- المشرق - مجموعة شعرية - « ابو سلمى » عبد الكريم الكرمي - ١٣٨ صفحة - طبع في دمشق - (لم يذكر اسم المطبعة)
- في المايو وبورنيو الشمالية - نايف عبد الرحمن ابو قوس - ٢٢٨ صفحة - مع صور - منشورات دار الوطن بحلب - مطابع جريدة الوطن في حلب
- الاسطورة في حياة الشعوب - نايف المحامي عبد القادر عياش - ٢٢ صفحة - حجم كبير - طبع في دير الزور سورية - (لم يذكر اسم المطبعة)
- العالم ليس غلا - نايف عبد الله القصيمي - ٥٨٠ صفحة - حجم كبير - مطابع دار الفهد (٩)
- دراسات في العقائد : الرسامالية ، الاشتراكية ، الشيوعية ، الصهيونية - نايف احمد الشيباني - ١٦٠ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكتاب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد - (لم يذكر اسم المطبعة)
- علي والفلسفة - نايف محمد جواد مفتية - ٢١٦ صفحة - منشورات دار الكتاب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد - (لم يذكر اسم المطبعة)
- زهرة في الوحل - قصة - نايف مرغريت مونداد - (لم يذكر اسم المترجم) - ١٦٤ صفحة - منشورات دار الكتاب العربي ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة)
- اغراء - مجموعة قصص - نايف حسن فتحي خليل - تقديم محمود نيمور - ١٦٠ صفحة - منشورات مؤسسة الطبوعات الحديثة بالقاهرة - مطابع دار العهد الجديد للطباعة (٩)
- الراحل - قصة - نايف مظهر اللوحي - تقديم احمد سويدان - ١٣٦ صفحة - منشورات مركز الطبوعات المسيحية ببيروت
- ... وارتفع الستار - ٩ مسرحيات - ترجمة سمير شيبخاني - ٢٤٤ صفحة - منشورات دار السمير للطباعة والنشر (٩) - (لم يذكر اسم المطبعة)
- هذا العصر المتغير : نظرات في واقعنا وواقع الانسانية - نايف فلسطين زريق - ١٩٢ صفحة - منشورات دار العلم للملايين ببيروت - مطابع دار العلم للملايين ببيروت
- نظام المشاركة او حقوق العمال واصحاب المال - نايف انور حداد دبلومه في العلوم الاقتصادية والمالية - ١٤٨ صفحة - منشورات دار الريحاني ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة)
- قصص من الياس المشتاي : قصائد من - سليم مركزل - ٦٤

مجلة الهدى في سمر

الخص في الحديث عما « اسهم به المؤلفون العرب في الملة سنة الأخيرة في عام النفس» وحين نعرض حديثنا على سورية ، نقول انه لا بد لنا من ان نتعرف بشيء عمن الوصف السريع لحال سورية العلمي والثقافي والاجتماعي في تلك الحقبة من الزمن .

ما كاد الحكم العثماني يتخلف في سورية اثر هزيمة الاتراك في الحرب العالمية الاولى حتى اعلن استقلال سورية ونودي فيصل بسن الحسين ملكا عليها وسمي الاستاذ ساطع الحصري - اطل الله بقائه - وزيرا للتربية والتعليم ، فكان اول ما عني به اعادة تنظيم التعليم عامة ودور المعلمين خاصة ، وكان طبيعيا ان تعتمد عنايته على الدراسات التربوية والنفسية ذات الاهمية المعروفة في اعداد المعلم وهذا هو العلم الاول من معالم الطريق .

لم اجتاح جوش غورز سورية بعد معركة مسالون المشهورة واضطر الملك فيصل لترك البلاد وبدأ عهد الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان لينتهي حتى عام ١٩٤٥ عام جلالاته عنها . وخلال هذه ايدة كانت سورية تحت النفوذ الثقافي لفرنسا تعمل بظلمها التربوية وتقريب مناهجها وتحضر معادها ومربيها في جامعاتها ومؤسساتها وترجم من كتبها ومراجعتها وتلفت اليها في كل ما يتعلق بالتربية والعلم والاعلام . ولا بد لنا قبل الانتقال الى المرحلة التالية من ذكر ملاحظتين هامتين في هذا الخصوص : اولاهما : ان سورية بوصفها جزء من الملة العثمانية كانت متأثرة بالنفوذ الثقافي الفرنسي من قبل الاحتلال الفرنسي ، واتاه الحكم العثماني بل والنشاء العهد القيصري . ولتلتبعها : ان سورية ما زالت متأثرة بالثقافة الفرنسية وذلك بسبب ان الكثيرين من مثقفيها واهل الفكر فيها من الذين درسوا في الجامعات والاعداد الفرنسية من زوالا في مراكز القيادة الفكرية سواء فسي الجامعات السورية او وزارة التربية والتعليم او دور المعلمين او سواها من المؤسسات التربوية السورية .

هذا وبعد الجلاء عن سورية ونحرها من النفوذ السياسي الفرنسي انفتحت الى المناهل الثقافية العالمية المتعددة فاوفقت الى كل مسن الكترا وامريكا وايكيا وسويسرة و الاتحاد السوفياتي ، شمسنا بالاضافة الى ما اوفدته الى بيروت والقاهرة .

ولا بد لنا هنا من التنويه باستخدام سورية للاستاذ ساطع الحصري مستشارا تربويا ليعمل على اعادة تنظيم التعليم فيها وترسيخه في فضاء عربية تتسمج مع واقع البلاد من جهة وواقع العالم فيسيخ البلاد العربية الاخرى من جهة ثانية ، كما لا بد من الاشارة الخاصة الى انشاء عدد من الكليات في الجامعة السورية (جامعة دمشق اليوم) عام ١٩٤٦ ، من بينها كلية للاداب فيها قسم للفلسفة وعلم الاجتماع يهتم بالدراسات السيكولوجية ، ومن بينها معهد عال للمعلمين (كلية التربية اليوم) يهتم بالدراسات السيكولوجية ، فيما يهتم به .

والن فاعلم الثاني من معالم طريقنا هو عهد الانتداب الفرنسي على سورية والبرامات السيكولوجية التي تمت اثناءه .

اما المعلم الثالث فهو عهد الاستقلال الذي امتد منذ الجلاء الفرنسي عن سورية يوم ١٧ نيسان عام ١٩٤٦ حتى اعلان الوحدة وما تم فيه من انشاء كليات جامعية جديدة تعنى في جملة ما تعنى به بالدراسات السيكولوجية على النحو الذي سنحاول وصفه فيما بعد .

واما العام الرابع من الحقبة وما تلاها من توحيد للتعليم الجامعي بين الاقليات السورية والمصري ومن تديري في التعليم الثانوي واعداد المعلمين وانشاء المجلس الاعلى للاداب والفنون والعلوم الاجتماعية .

ومهم بالتسمية للمعدين اللذين تليسا الانفتاح من رغبة الاستعمار

من اعمال الحلقة الدراسية في اسهام علماء العرب في العلوم النفسية والاجتماعية . (الجامعة الامريكية ببيروت - ديسمبر ١٩٦٢)

الدراسات النفسية في سورية

بقلم الدكتور فاخر عاقل

رئيس قسم علم النفس بجامعة دمشق

شيء من التاريخ

معلوم ان مؤرخي علم النفس يعتبرون ان عام ١٨٧٩ ، وهو العام الذي انشأ فيه الفيلسوف ، عالم الغزياء وعالم النفس ، اللاتني فونت المخبر الاول لعلم النفس في مدينة لايبزغ في ألمانيا ، يعتبرونه العام الاول في عمر علم النفس الحديث .

ومعلوم ان هذا الاعتبار لا يعني - بطبيعة الحال - ان علم النفس لم يكن موجودا قبل هذا التاريخ . فعلم النفس قديم قدم قدم الانسان على وجه هذا الكوكب ، ذلك بان الانسان منذ ان وعى هذا الكون ثم وعى نفسه واشبعه طرح على ذاته اسئلة من ذاته وعن حوافه فكان علم النفس .

واذا كان لا يعنيها هذا ان تفصل في كيفية انماج علم النفس بالفلسفة وبقائه في كتبها حتى وقت متأخر جدا ، فإنه يعنيها ان فكر بان علم النفس - مثله في ذلك مثل غيره من علوم الانسان - ما يشب عن طرق الفلسفة الى اف خريات القرن الماضي ، وهذا هو السبب الذي حدا بعورخي علم النفس الى القول بان انشاء مختبر فونت السيكولوجي كان بداية تاريخ علم النفس الحديث .

ومرة اخرى اذا كان لا يعنيها في مقامنا هذا ان تسهب في وصف العوامل التي ابقت علم النفس في حجر الفلسفة وذكر الاسباب التي ادت الى بروج خارج هذا الحجر ، فلا اقل من ان ننوه بان هذا المروج انما كان نتيجة طبيعية لتقدم العلوم البيولوجية والفيزيولوجية مما حدا للعلوم الانسانية امكانية تبني طرق واساليب اقرب لطبيعة الانسان واقدر على تمكينه من دراسة ذاته ومجتمعه وحواله .

واذا كان هذا حال علم النفس في بلاد العرب التي سيقطنها النفسية فانه من نافلة القول ان تشير الى ان علم النفس - بمعناه الحديث والعلمي المحدد - لم يكن له وجود في بلاد العرب قبل هذا التاريخ . على اننا لا بد لذكرون بان النهضة التعليمية في بلادنا السورية العربية انما ترجع الى مطلع هذا القرن العشرين حين حاولت الحكومة العثمانية اقتباس النظام التعليمي الفرنسي والتأجيل التعليمية الفرنسية وادخلت التعليم الحديث الى بعض اجزاء وضعها الفرنسية بما في ذلك سورية ، وما تلقى ان كان علم النفس انك نصيب مسن العناية والرعاية ، وما تلقى ان سورية قد اسهموا فيه درسا او بحثا او حتى ترجمة واقباسا بقليل او كثير . وعلى كل فاذ كان ثمة شيء من هذا القبيل فانه لم يصل الى عامنا مع الاسف .

والن فلا بد من ان يقتصر بحثنا هذا على الفترة التي امتدت من بعيد الانتداب الفرنسي على سورية حتى وقتنا هذا . ولا بد لنا قبل

الفرنسي ان سورية حاولت امرين : اولهما : التحرر من النفوذ الثقافي الفرنسي ورودود مصادر العلم في بلاد اخرى تتراوح بين الشرق والغرب، ولقد كان شأن علم النفس في هذا شأن باقي العلوم . وثانيهما : الالتقاء مع الاتجاهات التربوية والعلمية والثقافية في البلاد العربية الاخرى ، ولا سيما مصر والعراق ، وبطبيعة الحال فان علم النفس لم يشذ عن هذا الاتجاه .

ولو كان لنا ان نستخلص بعض الحقائق مما قدمنا من وقائع ومما يتصل بعلم النفس لاجلنا ما نستخلص فيما يلي :

١ - حتى آخر الحرب العالمية الاولى لم تكن الدراسات السيكولوجية في سوريا شيئاً مذكوراً .

٢ - انتهاء الانتداب الافرنسي كانت الدراسات السيكولوجية محصورة في المدارس الثانوية ودور المعلمين وكانت مطبوعة بالاطابع الفرنسي .

٣ - بعد الاستقلال امتدت هذه الدراسات الى الجامعة السورية وحظيت بعناية كلياتين هما كلية الاداب (قسم الفلسفة والاجتماع) وكلية التربية . ولقد اخذت هذه الدراسات تآثر بالآثرات الاخرى ولا سيما الاكلوسكوبية ، كما بدأت تتفاعل مع الدراسات الماثلة في البلاد العربية .

٤ - بعد الوحدة امتدت هذه الدراسات الى كليات اخرى وكلية الطب وكلية التجارة وقامت عليها لجنة التربية وعلم النفس في المجلس الاعلى للاداب والفنون والعلوم الاجتماعية . وفي هذه الاثناء ازداد التواصل بين الدراسات السيكولوجية في سورية ومثيلها في مصر .

خصائص ومميزات

على ضوء ما اسلفنا نتقدم الان لتبين خصائص الدراسات السيكولوجية التي تمت في سورية ومميزاتها . على اننا نحب قبل الشروع في تعداد هذه الخصائص والمميزات وعلايلها ان نذكر بان هذه الخصائص تشمل اتصالاً وثيقاً بواقع سورية في الماضي والحاضر ولا سيما واقعها الاجتماعي والثقافي والتعليمي ، وسنحاول ان نوضح ذلك فيما يلي :

(١) معظم الكتب والمؤلفات السيكولوجية في سورية - ولا سيما في العهد الذي سبق الاستقلال - وضع لغايات تعليمية وبصورة خاصة لتعليم علم النفس في القسم الثاني من البكالوريا السورية وفي دور المعلمين ثم في الصفوف الثانوية التي كان يدرس فيها علم النفس (على اعتبار ان هذه الصفوف اختلفت احياناً) وفيما بعد في الصفوف الجامعية من الكليات التي تهتم بتدريس علم النفس .

ومن حق علينا ان نوه هنا تنوعها خاصاً بكتاب الاستاذ الدكتور جميل صليبا (علم النفس) الذي بدأ طبعه منذ مطلع الثلاثينيات وظهر بشكله النهائي عام ١٩٤٠ ، ذلك بان هذا الكتاب كان اول كتاب حديث في علم النفس يظهر في سورية ويتناول بالبحث المفصل الدقيق الشامل كل ابحاث علم النفس المتعارف عليها آنذ ، ولان مؤلفه الدكتور صليبا بعلمه الفزير واطلاعه الواسع ونضله وتفقيه العلمي ، شق طريقاً في التأليف السيكولوجي وطرح للتداول عدداً من المفردات التي كانت مقبولة والتي ما زالت باقية في الاستعمال بوصفها خير ما يمكن التعبير به عن المفاهيم السيكولوجية العلمية الدقيقة .

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا بان كتاب الاستاذ العميد الدكتور صليبا كان بداية تاريخ علم النفس الحديث في سورية - على الأقل - واليه يرجع الفضل في كل تقدم تلاه ، كما ان كل المشتغلين بعلم النفس فيما بعد هم لثلاثة الدكتور صليبا اول تلامذته ، امد الله في عمره وابقاءه للعلم والفلسف .

(٢) كان التأليف خلال كل هذه الفترات اقباساً وترجمة وتلخيصاً وتنسيقاً مستمداً من مراجع اجنبية معظمها افرنسي - ولا سيما في الفترات الاولى - ثم افرنسي او انكليزي او اميريكي فيما بعد . ونحن لا نجد في هذا عجباً او غرابية ، ذلك بان هذه المؤلفات وضعت - كما اسلفنا - لافراض تعليمية وفي مراحل ثانوية او معادلة لها (دور المعلمين) .

واذا كان صحيحاً انه مضى حتى الآن سبعة عشر عاماً على انشاء كليتي الاداب والتربية (العهد العالي للمعلمين سابقاً) فان انشاء هاتين الكليتين لم ينتج عنه اكثر من ارتفاع مستوى التأليف ، اما البحوث المتبعة ، والدراسات السيكولوجية فلم يكن اليها سبيل لاسباب منها ان الغاية التعليمية بقيت هي السيطرة ، ومنها انشغال الاستاذ بالركض وراء لقمة العيش لانخفاض مستوى الرتب الجامعية ، ومنها ان الدراسات السيكولوجية كانت وما زالت ملقحة بالدراسات الفلسفية او التربوية ، ومنها عدم توفر المختبرات والجو العلمي ، ومنها عدم توفر الاختصاصيين وغير ذلك من الاسباب والمبررات .

(٣) قام بعض السوريين ببعض البحوث السيكولوجية لكن ذلك قد تم في الجامعات الاجنبية ولقاية الحصول على الشهادات الجامعية والدرجات العلمية ، ثم عاد اصحاب هذه الشهادات الى يتهتمهم التواضع الفيسرة وانشغلوا عن البحث والتجريب والبحث عن موارد تقيم اودهم واود عيالهم وقديما قيل (يجب ان تسبح لتتسلف) .

(٤) معظم المقالات التي كتبها الكتاب السوريون في علم النفس انما كتبت للتأريخ والمادي ولذلك فهي سطحية سريعة وبسيطة ، على ان بعض المقالات - وهي قليلة العدد - التي كتبت كانت من مستوى رفيع نسبياً - وقد نشرت في مجلات اختصاصية او شبه اختصاصية .

والملحة في هذا ما قدمنا من اسباب في الفقرة السابقة من جهة - وعدم وجود مجلة اختصاصية واحدة في العالم العربي تنشر البحوث السيكولوجية وتشكلها من جهة اخرى .

ان الحياة الاجتماعية والثقافية في العالم العربي عامة والجهورية السورية خاصة ومستوى الفأراء العربي لا تساعد حتى الان على وجود مثل هذه المجلة وما حدث « مجلة علم النفس » التي اصدرها الاستاذ الدكتور يوسف مراد لم اضطر لايقاها بخاف او مجهول .

(٥) ولو اردنا ان نجمل ما قلنا من الكتب والمقالات والبحوث السيكولوجية السورية قلنا انها تفتقر بعدم الاصاله والابتكار وتسم بالثقل والترجمة ولا تقوم على اساس من بحث او اهتمام بالمشاكل المحلية وانها تعتمد على الاقتباس والترجمة ، وهي - بعد - اقرب الى النظر منها الى التطبيق العملي .

ومما يجدر ذكره هنا هنا هو ان سورية لا تقيم الا مختبراً واحداً لعلم النفس موجوداً في كلية التربية بجامعة دمشق وهو مختبر ناقص وفقير ومهمل لاسباب ذكرت بعضها فيما سبق واسمك عن ذكره ببعضه الاخر .

(٦) يفتقد النافذ في هذه الكتب والمقالات والبحوث الاتجاه الرياضي الاحصائي المعتمد اليوم في الدراسات السيكولوجية الحديثة ولا سيما في البلاد الانكلو سكسونية .

ولعل السبب في ذلك ما قدمنا من تأثر الدراسات السيكولوجية والدارسين السيكولوجيين في سورية بالافكار والطرائق الافرنسية التي كانت - الى وقت قريب - تقيم علم النفس الى الفلسفة وتعتمد فيه على النظر اكثر من اعتمادها على العمل والاختصاص .

لكن من الملاحظ ان هذا الاتجاه قد بدأ بالتلاشي وان المؤلفات السورية بدأت تسير في الاتجاه العالمي .

(٧) ليس في سورية عيادات نفسية او محطون نفسيون او مراكز للتوجيه المهني او التربوي او النفسي ، ولم يدخل علم النفس بعد مبادئ الصناعة او التجارة او الجريمة او الجيش . ومن هنا كان انزوال علم النفس عن الحياة وبعده عن التطبيق وعدم اتصاله بالجمهور السوري .

(٨) ولعل اتكى ما في الامر ان عنابة المشتغلين السوريين بعلم النفس تراثهم القومي في ميدان اختصاصهم مفقودة ، واذا كنا لا نحتاج الى التنويه بالتراث العربي الغني في الدراسات النفسية مما تزخر به كتبنا الفلسفية القديمة فاننا نأسى الحاجة الى توجيه عنايتنا واهتمامنا ناشنا الى هذا التراث الضخم في هذا الميدان السيكولوجي الهام والعمل على احيائه والتعرف عليه والتعريف به وهو واجب يترتب على كل مثقف عربي في كل حق من حقول المعرفة .

(٩) لا يحتاج الناظر في نتائج السيكولوجي الى جهد عظيم او ذكاء شديد ليلاحظ ان علم الاختصاصيين بعلم النفس في سورية لا ينظمه ناظم ولا يجمعه جامع ولا يوجهه موجه ، فلا جمعية ولا منظمة ولا مجلة ولا مؤسسة تهتم بعلم النفس وتجمع المشتغلين به وتنسيق جهودهم وتوجه تعليمهم .

(١٠) يلاحظ ان الكثير من المفردات والمصطلحات السيكولوجية التي يستعملها السوريون خاصة بهم غير معروفة في البلاد العربية او غير مقبولة فيها .

والواقع ان سورية في هذا ليست بأسوأ من غيرها من البلاد العربية ، ولكن يلاحظ ايضا ان الكتاب السوري والمجلة السورية لا يصلان الى المدى الذي يصل اليه الكتاب او المجلة المصريان او اللبنانيين مثلاً .

هذه اذن بعض الملاحظات السريعة التي توضح خصائص الانتاج السوري في علم النفس قدمناها على سبيل المثال لا على سبيل النقص .

قدر وتعليل

في الخصائص والميزات التي ذكرنا اشارات كثيرة الى اسباب هذه الخصائص وعمل هذه الصفات ، بيد ان شيئاً من التكرار والتفصيل قد يكون مفيداً من اجل مزيد من الايضاح وتنهيد بعض المقترحات . (١) ان شك في هذا التراث السيكولوجي في سورية - بامكانه المحدودة وظروفه الراهنة وغاياته الضيقة - نهض بواجبه ووفى بالتزاماته . لقد وفر للتلميذ كتاباً وللقارئ العادي اطلالاً وللمدرسة المتخلفة توسيراً وللجمهور نوعية .

وما كان لهذا العمل وللثبات به - وحالهم على ما وصفنا - ان يقوموا باكثر مما قاموا به .

(٢) لاشك في ان التنصت انفاض الذي يتصف به هذا العمل هو اماله البحث الاصيل المبكر في حاجات البلد واحوال البيئة وواقع الجمع . لكن المستوى الذي كان يتم فيه هذا العمل فسي الماضي ، نعم في المدارس الثانوية ودور المعلمين والراحل الاولى من التعليم الجامعي (دون تخصص) ، نقول ان هذا المستوى - بالاضافة الى الاسباب الاخرى التي نوناه ببعضها لم يكن يسمح باكثر مما تم .

(٣) الكتب العربية تشكو قفراً مدعفا في المراجع السيكولوجية التي يستطيع التلميذ والقارئ والباحث العرب ان يعتمدوها فسي التوسع في علم النفس ودخول ميادينه المختلفة ، واذا كان الذنب فسي هذا لا يقع على المشتغلين بعلم النفس في سورية وحدهم فان تبرلهم من هذا التقصير امر غير ممكن .

واذا اضفنا الى هذا ضعف طلاب الجامعات العربية بما في ذلك الجامعات السورية واللغات الاجنبية مما يعيقهم عن الرجوع الى المصادر

الاجنبية وضعفنا يدنا على سبب اخر من اسباب تاخر الدراسات النفسية في البلاد العربية عامة والجمهورية السورية خاصة .

(٤) ليس في البلاد العربية كافة - بما فيها سورية - مجلة او نشرة دورية مخصصة للدراسات والبحوث النفسية . صحيح ان الكثير من المجلات العربية - ومنها السورية - تعرض على نشر بعض المقالات السيكولوجية ، وصحاح ان الكتاب السوريين يسهمون في هذا اسهاماً بيئاً ، لكن الصحيح ايضا ان عدم وجود مثل هذه المجلة يعني المقالات والبحوث التي تشر في مستوى القارئ العام غير الاختصاصي .

ان الجين قد حان لوجود مثل هذه المجلات الاختصاصية في المستوى العربي الشامل على الاقل ، ولعل منظمة كالجامعة العربية وادارتها الثقافية تنتبه الى مثل هذا النقص .

وفي كل الاحوال فان من واجب الجامعات السورية والمجلس الاعلى للاداب والفنون والعلوم الاجتماعية ومن ورثاتها جميعا الحكومة السورية ان تعمل على توفير مثل هذه المجلة .

(٥) تقتقد المدرسة السورية الخدمات السيكولوجية التي تتوفر لسواها من مدارس العالم ، فليس في سورية دوائر (اختبارات) لذلك او مقاييس للقدرة والشخصية والمواقف ، كما انها خالية من اية عيادة تربوية مدرسية او نفسية . ولا يحظى فيها الطالب الشكل او الطفل العمر او الولد المتخلف بأية عناية سيكولوجية .

ثم ان الاحتفالات السورية ما زالت مختلفة من حيث الاسس العلمية التي تقوم عليها عن مثيلاتها في البلاد المتقدمة .

(٦) لا نعيد الصناعة او التجارة او المحاكم ، بما في ذلك محاكم الاحداث والمضاجيعات ، او الجيش او سواها من المؤسسات السورية من خدمات علم النفس اطلاقاً ، ولعل الاتي من ذلك ان محاولات خاطئة شالة مثقلة تقصوم في بعض هذه المؤسسات وحتى في المدارس والمؤسسات الاجتماعية غيرة الصلة بعلم النفس والافادة منه وهي - شهد الله - بعد ما تكون عنه .

(٧) تترجم الكثير من الكتب السيكولوجية في سورية في نفس الوقت الذي تترجم فيه في البلاد العربية الاخرى وفي هذا جاذب فاعل وعمل غير مثر ، لاسيما وان الناشر السوري اعجز عن ان يستطيع منافسة الناشر المصري او اللبناني ومن هنا كان واجب الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية الاشراف على تنسيق حركة الترجمة هذه وتنظيمها بحيث توفر الجهود وتستغل خبر استفلال بدلا من هدرها عن طريق الاندواج في العمل .

(٨) ينخرج الكثيرون من الاختصاصيين بعلم النفس من جامعاتهم وينخرطون في حياتهم عليها وقلة الدخل وعوامل التثبيط الاخرى فتخمد فيهم قدرهم على البحث ويهملهم الى الانتاج واهتمامهم بالباحثة والابتكار . ومما له دلالة المقيمة ان الكثيرين من كيمسار الاسانفة والاختصاصيين بعلم النفس ينصرفون عن عملهم ويخونهم ابتغاء المعيش الكريم الذي لا يوافي لهم في محيطهم العلمية .

وهذا بيضاف الى اسباب - ذكرنا بعضها - لتساقط جديدها على حفظ الانتاج في مستوى ذني لا يشر بنهضة اصيلة وتقدم سريع .

(٩) الناشرون العرب وفي جملةهم السوريون يحكمهم سلطانهم التجارية لا يشترطون من الكتب السيكولوجية هذا اذا نشروا - الا الكتب التي تزجج ، وهذا هو السبب في انكشاف السوق بالكتب الجنسية وكتب الزواج السعيد وكتب تقوية الشخصية وقوة الذاكرة الخ. الخ. اما الكتب الجديده فلا القارئ يرغب فيها ولا الناشرون يخطر من اجلها ولا الحكومات تعينها .

(١٠) لا تتوفر في معظم الجامعات العربية مستلزمات البحث

العلمي ومتطلباته وشروطه ، ولا تنشأ سورية عن بقية البلاد العربية في ذلك . ولا بد في هذا الصدد من التنويه بانفتار الكاتب العربي في علم النفس لكثير من المفردات والتعابير القابلة للمعاني الواردة في اللغات الأخرى .

ثم إن البيئة السورية لا تسمح حتى الآن - ومع الأسف - بالبحث العلمي الموضوعي في كثير من المجالات .

حول واقتراحات

يجعل بنا - بعد الذي قدمناه من وصف وتحليل وفرد وتعليل - أن نتقدم ببعض الاقتراحات التي نعتقد أن فيها حولا لما يعانيه علم النفس في سورية من وهن وتأخر .

على أننا نحب قبل أن نمضي في سرد هذه الحلول والاقتراحات أن نشير إلى أن ما قلناه عن سورية ينطبق إلى حد يفل أو يزيد - من بلد إلى بلد - على كل بلد عربي . ونحن أن المشاكل في بلادنا العربية متشابهة والأوضاع متماثلة ولذلك نالحول متقاربة .

وفي رأينا أن مسؤولية الحال السيء الذي يشكو منه علم النفس - في سورية خاصة وفي البلاد العربية عامة - تقع على عاتق جماعات ثلاث هي : (١) المتشغولون بعلم النفس (٢) واقع المجتمع (٣) الحكومة .

وإذا كان لا يعنينا مقامنا هذا أن نحدد نصيب كل منهم من المسؤولية وواجبه في العمل السريع ، فإننا نحب أن نشير - مرة أخرى - إلى الحلقة المفرغة التي نلاحظ في مثل هذه الأحوال : مجتمع متأخر يعرقل التقدم ويحدد من قدرة القادة على العمل لتقدمه ، وقادة يكبلهم مجتمعهم وظروفه الراحة بقيود لا يعطون على الإنفاذ منها ، وحكومة (هي جزء من المجتمع) تعيش في مناهات مشاكلها الماجلة فتعجز عن الالتفات منها إلى مهمتها في القيادة والقيادة والبلع .

ومن هذه المقدمة السريعة تنتقل إلى ذكر بعض الاقتراحات التي نحمل - فيما نحسب - بعض الحلول للمشاكل التي ذكرنا :

(١) لا بد لتقدم الدراسات السيكولوجية في سورية من توفير عدد كاف من الاختصاصيين بمختلف فروع علم النفس ، وذلك عن طريق إيفاد العدد الكافي من البعثين إلى البلاد المتقدمة في هذا العلم . كما لا بد من جعل علم النفس تخصصا مستقلا في الجامعات السورية بتصرف إليه الطالب ويتمتع فيه وتوفر على الألام بمبادئه . ولا بد كذلك من استحداث دراسات عليا فيه .

وقد يكون من الضروري في أول الأمر الاستعانة ببعض التخصصيين الأجانب الذين يستطيعون أن يقدوا خطوات العاملين المحليين ويعينونهم على وضع أسس بحثهم .

(٢) لا بد من توفير إمكانات العيش الكريم للمتشفلين بهذا العلم بحيث يستطيعون الانصراف إليه والحدب على دراساتهم وتجاربهم دون الحاجة إلى التفكير في الغذاء والكساء والدواء وما إليها .

(٣) لا بد من توفير أدوات البحث ووسائل الدراسة من آلات وأدوات ومختبرات ومراجع علمية أجنبية ومجلات وسواها .

(٤) لا بد من توفير الجو المناسب للبحث العلمي بما في ذلك حرية القول والفكر والعمل . ومن الأهمية بمكان في هذا الخصوص تعاون المنظمات والمؤسسات والمعاهد العربية فيما بينها لا سيما وأن المشاكل السيكولوجية في العالم العربي واحدة أو متشابهة إلى حد بعيد جدا .

كذلك من المهم اتصال الباحثين العرب بالباحثين الأجانب بقطع النظر عن جنسياتهم ومواطنهم (وفيما لا يضر المصلحة القومية بالطبع) وذلك بآلية الوصل بين الدراسات العربية والدراسات العالمية .

ولا يفوتنا هنا التنويه بأهمية إيجاد منظمات عربية للدراسات السيكولوجية تعمل على دراسة المشاكل المتصلة باختصاصها وتعاون فيما بينها على إيجاد الحلول وتبادل الخبرات . ولعل أهم ما يجب أن تعمل عليه في البداية إيجاد لغة سيكولوجية عربية مشتركة .

(٥) لا بد من إعادة النظر في طريقة أعداد المتشفلين بعلم النفس في الجامعات والمؤسسات العربية . لعل كان هذا الأعداد متجاها في معظم الأحوال وغالب البلاد العربية نحو مهنة التعليم ، لكن ميسادين علم النفس التسعة دوما وضرورة هذا العلم لكثير من حقول العلم والعمل وأخرجه في أمانا هذه من المدرسة إلى القيادة والعمل والتجوال الجيش والحاكم ومؤسسات الإعلان وإصلاحيات الأحداث وسواها ، ولذلك فقد أن الأوان لكي تعمل المؤسسات العربية على خدمة جميع هسده الميادين ، وأن تشير طريقة أعداد الاختصاصيين بعلم النفس بحيث يستطيعون مواجهة المطلوب منهم وينهضون بأهمها الملقاة على عاتقهم .

ومن نافذة القول أن نذكر بأن إعادة النظر في الأعداد معناه إعادة النظر في البرامج والمتاهج المتبعة في هذا الأعداد .

(٦) ويرتبط بمادفنا في الفقرة السابقة امر هام جدا وههو

توسيع مجالات العمل أمام التخصصيين بعلم النفس والإفادة منهم في مختلف الميادين التي يستفاد منهم فيها في كافة أنحاء العالم المتمدين اليوم .

ونحب أن نشير هنا إلى حلقة مفرغة أخرى يدور فيها علم النفس في بلادنا العربية في الوقت الحاضر . أن معظم جامعاتنا لتفت في تجسيرها للتخصصيين بعلم النفس إلى علمهم التعليمي فيخرجون

فيك انترا

(ش.م.٠)

يتقدم من زبائنه الكرام ومن جميع المواطنين

بأحر التهاني بعيدي الميلاد المجيد ورأس

السنة الجديدة ، سائلنا الله أن يعيدهما

عليهم باليمن والبركات .

دار الكاتيب العربى

لتأليف والترجمة والنشر

ببيروت - مكتبة علم الحرام - ص ٢١٥٧

هاتف ٢٤٠١١٨ - ٢٤٠٥٦ - ٢٤٠٥٧

العالم ليس عقد

وأخيرا صدر هذا الكتاب الجديد الضخم

من قلم الأستاذ عبد الله القصيمي

قد يخالف القارئ المؤلف على بعض
قضايا هذا الكتاب

قد يقضب ... قد يصاب بالذهول

قد يشور ... قد يلعن

ولكنه حتما سيستز ... سيستز تفكيره

ووجدانه وكل طاقاته

يستشعر فيه كل رواسب التاريخ

بشخص بالزهلان عقلا عربيا فدويه

وبالاعجاب لانه قد كتب باللغة العربية

وبالاعتزاز لانه صدر عن بلد عربي

من فصول الكتاب : هل الثورة

عقاب للحضارة ، ادعو الكتاب الى

الانتحار ، الدكتاتور اعلى مراحل

الاستغلال والرجعية ، حينما يصبح

التفكير شاهد زور الاخلاق تخترعها

الارباب ، وتستثمرها الناب ، القاء

خز عالمي ، منطق الكون ومنطق

الانسان ، القانون الخالق ، العبقرية

المفسدة .

يطلب من دار الكاتيب العربي

ومن جميع المكتبات

الثمان : ١٠ ليرات لبنانية

عاجزين عن القيام بأي عمل سواء ويكون من جراء ذلك ان تبغى
المبادئ الاخرى مغلفة في وجوههم !

اما لو راقق اعدادهم لمبادئ العمل المختلفة وعي المسؤولين لامكانية
الافادة منهم في غير ميدان التعليم فان الطوق المصروب حولهم يتكسر
وتتسع امامهم الافاق فيغيثون ويستفيدون .

(٧) ويتصل بهذا ايضا التشايع لمعلم النفس التطبيقي ولا سيما
في مجال الصناعة ، ولعلنا لا نأتي بجديد اذ نذكر بان كل تقدم صناعي
لا يرافقه توجيه واختيار مهنيين وتطبيق لعلم النفس على الصناعة تقدم
يبنى ناقصا .

ونحن اذ نشير الى الصناعة فانما نذكر مجالا واحدا من مجالات
عديدة الخنا الى مفتحتها .

(٨) على اننا لا نحى ان تترك هذا القسم الاخير من حديثنا قبل
الاشارة الى واجب المشتغلين بعلم النفس العرب في سعيهم الى الارتقاء
بأنفسهم واعدادها الاعداد اللازم للتهيؤ بالهمة الشاقة المتوجبة عليهم .
واذا كان صحيحا ان المواقف كثيرة والوانع خطيرة والظروف شاذة
فانه صحيح ايضا ان الفصور تلغ تبعث - في جملة من تقع عليهم - على
المشتغلين بعلم النفس ذواتهم .

اما بعد فهذه محاولة حال علم النفس في الجمهورية السورية حاولت
مخلصة ان نصف هذا الحال وان تذكر الخصائص والميزات ، وتنبه
بالدوافع والاسباب وتقرر الحلول والمخارج ، وهي وان تناولت سورية
بالحديث لكنها - في الواقع - كانت توميء الى كثير من مشاكل علم
النفس في البلاد العربية وخصائص وطرق التقدم به .

هذا وقد ارفقتنا بهذا الحديث فوائده مفصلة عن المشتغلين بعلم
النفس - ممن نعرف - ومؤلفاتهم ومقالاتهم ووجوههم .

(تأليف مجلة الاديب لعدد نشر الملحق المرفق بهذا البحث الذي
يبلغ صفحاته ضعف هذا البحث وذلك لتفصيل المجال) .

ونحن وان كنا لا ندعي لهذه الفوائده الكمال والاخاطة فاننا نرغم

- مخلصين - اننا بلدنا في سبيل كونها على هذا الشكل القبيح

نستطيع من جهد . واذا كان من واجبتنا ان نشوه ها هنا بالتعاون

المشكور الذي من به علينا القسم الاكبر من الزملاء فلا بد لنا من ان

نشير - لتحقيقه وتقرير الواقع ويوصف هذه الخاصة مظهر من مظاهر

حال علم النفس في وقتنا الحاضر - الى ان بعض الزملاء احجم عن

التعاون وضم الالذين وحجب المونة لاسباب نعرف بعضها ولا نعرف

البعض الآخر .

لم ان من واجبتنا ان نشير الى كثيرين من المشتغلين بعلم النفس

من ختموه وعملوا في حقله مددا متفاوتة ولم يخلفوا وراهم السرا

مطبوعة ، الامر الذي يمتنا من ايراد اسمائهم في فوائدها ولكنه لا

يعفينا من ذكر اسمائهم او اسماء بعضهم على الاقل من مثل : الدكتور

خالد شايلا والاستاذ المرحوم سعيد البحرة ، والاستاذ عبد السلام

العيسى والاستاذ الدكتور كامل عياده ، والمرحوم الاستاذ حبيب

الانطاكي ، والاستاذ عبد الكريم زهور ، والاستاذ اديب الجعفي والدكتور

جميل محفوظ ، والاستاذ انطون المقدسي ، والاستاذ احمد القادري

وسواهم . ولعل جعلنا هو الذي حال دون تعرفنا على انارهم كما اننا

لا نشك في اننا لم نذكر اثار جميع من ذكرنا بعض اثارهم ولهم تؤكد

ان السبب الوحيد هو عدم المعرفة .

وخاتما فان من دواعي سرورنا ان نتقدم بالشكر الجزيل الى جميع
من اعانوا على القيام بهذه الدراسة وساعدوا على اخلاها شكلها
الحاضر .

فاخر عاقل

دمشق



الحياة وبدوات الوجود الصاعدة

تمر بالإنسان ساعات أو أيام لا يجد فيها طعما للحياة أو معنى لها . ومع ذلك ففرصة الحياة في مجموعها غريزة للبدية عند أكثر الناس . وقد يصدق ذلك على مرحلة الشباب في حياة الإنسان أكثر مما يصدق على المراحل التالية . ويفكر المرء في سر تركيب الحياة على سطح هذه الكرة الأرضية أو خارجها ليربط بين الحياة على الأرض وبين ما تكون قد جاءت منه ، فيرتد الفكر حسرا لا يفتح له مغلق . فهذا الكون الذي يصل إلينا الضوء منه بعد مليون سنة أو ملايين من انعمائه من نجم فيه ، كون هائل غير مفهوم ، دع عنك مصدر الحياة فيه . ومع ذلك فنحن هنا ، والقضاء على الحياة أمر يعز على الأحياء .

فمن خصائص الحياة أنها تنشط وتندفع وتتكاثر وترتفع . لكن فيها سر نشوئها وتجديدها ، فلا تميل إلى التلاشي والعدم .

ومن خصائص هذه الحياة أيضا ، كما وجدناها على الأرض ، أنها إيجابية النزعة راقية الرغبة تنتعش بالاندفاع في هذا الاتجاه وتخبو بالمقاومة المضادة في الاتجاه العاكس .

وأكثر سر خفي على كثير من الناس هو هذا ، فالحق والخير والجمال قيم وإن تغلبت عليها أكثر الأحياء إلى الآن في فترات الحياة المتطاولة « قيم » الانسانية والسياسة والكتب . فإن الحصة الناجحة ، إذا صح التعبير ، هي اندفاع الحياة البشرية على وجه الأرض إلى إتمام ، كما أتبع تنوع تفوق أجيالها من مكان مدة تطول أو تقصر ، فإذا هو ينشئ من مكان آخر يقرب أو يبعد .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

والحياة على الأرض فيما يبدو كل متكامل . فلذة الإنسان تأتي من الاكتفاء البدني كما تأتي من الاكتفاء العقلي . ومظاهر الحياة المنبثقة عن هذا متعددة الجوانب ، ولكن التوازن بينها مطلوب . فإذا رايت الجيل يندفع يوما نحو اشباع حاجات البدن أو المادة فلا تثبت ان تجده قد ازور عن ذلك إلى اشباع حاجات النفس أو العقل ... الخ . والذي يترأى لنا أنه كلما مال أحد بالحياة إلى السطحية والسرعة ، انعطفت بعنف عما قريب بعدت ، وكأنها التيار المتدفق حول من مجراه . والنزعة دائما نحو الأفضل والأكمل والأعلى . لكن الحياة مبصرة تستهدف هدفا ساميا ، فإذا اتجه جيل أو فرد بعارض هذه النزعة بدا عليه ما يفرح ويزعج ويعوق ، وإذا اتجه معه انسابت الحياة مشرقة رضية تنطوي على ما فطرت عليه من التقدم والرفي .

على ضوء هذا يسهل تحليل الظواهر الخطرة في حياة الجيل العربي الجديد . ومع أننا لا ننتقص التطورات الجديدة في اجزاء بارزة من العالم العربي ، فإننا نلاحظ ، أننا إنما تتم على أيدي أفراد قليلين يعانون ما يعانون من شرود فئات من الجيل « الصاعد » وشذوذا وكفرانها . وسمات هذا الجيل ادهى وإلغى في بعض البلاد « الراقية » . ويكفي مثلا على ما أقول الوجودية والتجريد .

أما الاتجاه الإيجابي الذي اشرت إليه ، والذي سيقضي على بدوات الشذوذ الحاضر والكفران ، فقد صادفت إشارة إليه في مطالعاتي مؤخرا في كلمة جميلة للمؤرخ الفيلسوف الأميركي ول ديورنت (وهو في الثمانين من عمره) تصلح تمة وتبسيطا لما شرحت . قال الكاتب :

« أن الأمم الأغلب من ادبنا وفلسفتنا الاجتماعية بعد عام ١٨٥٠ إنما كان صدى للثورة على السلطة ، ثورة الإين على أبيه ، والتلميذ على معلمه . ولقد شاركت ستين عديدة في تلك الثورة الفردية ، ولست نادما على ذلك ، فإن وظيفة الإنسان هي ان يدافعوا عن التجديد والحريه ، ووظيفة الكبار ان يدافعوا عن النظام والتقاليد ، ووظيفة المتوسطين في الاعمار ان يتخذوا سبيلا وسطا بين هذين . أما الآن وقد بلغت الكبر أنا أيضا ، فاني اتساءل عما إذا بلغت الحرب التي خضتها مدى أكثر مما يجب . نريد أن نقول متواضعين ، ولكن معلنين ، أننا نقاوم الفساد في السياسة ، والختل في الأعمال ، والخبانة في الزوجية ، والفسق في الأدب ، والخسونة في اللغة ، والخلط في الموسيقى والخواء في الفن » .

فهد العسكر الشاعر الثائر

بقلم فهدري فلعجي

والإحاد، ولا غرو فالعبد عن البلاد التمدنة وعدم الاختلاط
برجال مفكرين وعلماء مخلصين، ووجود أذئاب ينسبون
للعلم بهتاناً وزوراً، كل ذلك من العوامل القوية لبقاء القديم
على قدمه، وتأخر الشعوب في ميدان الكفاح، وقد ظلت
الكويت تلك المدة الطويلة وأهلها يتخبطون بجهلهم الدامس،
فكانوا يرون الصغير في العلم كبيراً، والحقير في الأدب
عظيماً .. »

لقد كان من البديهي، وهذه حالة الكويت الاجتماعية،
أن يصطدم الشاعر النازع إلى التحرر، ببيئته ومجتمعه،
وقد نشأ عن هذا الاصطدام أن اتهم الرجل بالزندقة
والخروج على قواعد الدين. وكان منه أن رفع لواء التحدي
بشيء من الإنفلاتية، فعكف على الخمرة وبعبها ويتبشيرا
عمومه وإحزانه النفسية، مازجا سلافة الخير بأكسرها
الشعر، مناجيا الليل، مساهرا كوكبه الوضاء الذي إن لم
يلمحه بصره فقد كان يحياه بصيرته :

صورت في فوح الصباه حزاني
وبيت في غلس اللغلام أرسلها
يا ليل صافحت بكواكي الصدور وما
فجئت أشكو إليك الرجفين وهم،
يا ليل والروح عطشى وهي هائمة
يا ليل والنفس فرقى وهي حائرة
يا ليل والجن سهرى وهي داعية
يا ليل حبسني وصدري ملؤه فهد
فكم به مستوحى روحى الزواء وقد
يا ليل أين الكرى بل إن طيفهم
وكم هفت وصيبت نفسي إلى حلم
خلم يعرف على لآل ميمهم
يا ليل الخمر لا شئت بذلك أدر
وانفج بها كبدا نهب الجوى، وآتى
فكم على صونها النفسى من صور
ورحت استعصرى الماسى فاطرنى
حتى سكت على ذكرها أفتنية

ويقول الأستاذ أحمد الشرباصي : « يعتبر فهد العسكر
مثلاً لمرحلة الانتقال من الشعر القديم إلى الشعر الحديث
في الكويت، ويعتبر رجلاً فنياً زاد غليانه في مجتمع معروف
بالهدوء والمحافظلة فقفذ بحميمه، فكان منه الخير الذي
صاحبه بعض السوء . وكان فهد ثورة عنيفة عارمة في وجه
التقاليد والعرف والعادات، وليس هينا في مثل بيئته أن
يتحدث شاعر عن الجمال كما تحدث، ولا يصف السلاف
كما وصف، أو يهاجم الموروث كما هاجم .. »

ويقول عبد الله زكريا الأنصاري في الكتاب الذي وضعه
عنه : « ومدرسة فهد العسكر تمتاز بالتحرر الفكري،
والثورة على التقاليد والعادات، والسير بالشعر إلى الحرية
المطلقة التي لا تعترف بقيود، ولا تؤمن بالمحالفات على

» يتابع الكتاب بهذا الفصل سلسلة من الإبحان عن أدباء الخليج
العربي، ويسره أن يتلنى من أبناء هذه المنطقة الفنية كتابات، آثار
أدبائهم وسير حياتهم وكل ما يساعد على الفاء الثور على تلك الطافات
النسبة والمواهب المجهولة .

رافق البؤس فهد العسكر في حياته وبعد مماته، وكان
حرماته بعد أن أمحى ظله عن صدر البسيطة أشد من
حرماته وهو على قيد الحياة .. إذ امتدت الإيدي القاسية
إلى بنات أفكاره فأخذت أنفاسها حاكمة عليها بالإعدام
حرقاً .. وهكذا أكلت النار خير ما في الشاعر، ولم تغفل
من الإعدام إلا وريقات قتال احتفظ بها أخوانه وخلاته ..

ولد فهد عام ١٣٣٢ هـ، وتلقى دروسه الأولية فسي
المدرسة الإجمدية في الكويت، ولبت في تلك المدرسة
قريبة عشرة أعوام، ثم اتجه بقلبته شطر القريض يعب من
معين فرسانه السابقين حتى أسلمت له القافية . ولما كان
المجتمع الكويتي آنذاك في بدء نهضته فقد اتجه صوب
المملكة العربية السعودية، متزوذاً بخريدة من بنات أفكاره
أشدها العاهل السعودي الملك عبد العزيز، فطرب لها
أشد الطرب، وأحازره عليها، وعرض عليه وظيفة فسي
القوات المسلحة . ولكن حامل الراغ أبى أن يكون في خدمة
السيف، وقال للملك :

أنا من حملة الأقالام لا من حملة السلاح !
ثم عاد إلى مسقط رأسه في الكويت يعيش من يسار
والده، ولكن لم يلبث أن فقدوه وبدد ما احتجبه من المرات
مما كاد يسيء إلى علاقته بأخوته . وكانت نالته الاناني أن
كف بصره، ثم أصيب بقرحة في فكه كانت من أسباب
وفاته، وفاضت روحه إلى بارئها عام ١٩٥١ .

لقد شب فهد العسكر على التمسك بأهذاب القديم
والجنوح إلى التفكير الديني، ولكنه ما لبث بعد فترة يسيرة
حتى انطلق في مضمار التحرر، ودخل مرحلة جديدة من
حياته الأدبية جعلته يمس بشباً يراه سائر أطراف الحياة،
فكتب إلى جانب الشعر الوطني والقومي الخمريات
والغزليات، والمجتمع الكويتي كان ما يزال في أول مراحل
حياته الجديدة، مطبوعاً على التزمت، وفي حالة اقرب
إلى الجمود، وقد صوروه أحسن تصوير مؤرخ الكويت
الأول عبد العزيز الرشيد الذي قال فيه :

« كانت الكويت إلى ما قبل عشرين عاماً غارقة في بحر
الجمود، منغمسة في حمأة التأخر، ولا أثر للحركة العلمية
والفكرية فيها، وكان الشاعرين أهلها إذ ذاك مبادئ الفقه
والعربية والخط المتوسط والحساب البسيط، وما عدا
هذا من العلوم العصرية والمشاريع النافعة والآراء الحية
فليس لها أثر بينهم، ولو وجد شيء منها إذ ذاك لنفروا
منه ومن أهله النفور العظيم، ولرموا متعاطيه بالزندقة

الأوضاع الموروثة . بل إنها أحيانا قد تشد شدوذا ظاهرا في طرفها وأنذافها إلى هدم الحدود التي أوجدتها البيئة وأبقت عليها المحافظة على التقاليد القديمة . . . وكان لهذه المدرسة أنصار وخصوم ، لكن أنصار محدودون ، أما الخصوم فأكثريّة ساحقة . ولا شك أن مدرسة شأنها الثورة على القديم ، والهجوم على التعصب ، والطرف في طلب تغيير الوضع ، في بيئة محافظة متمسكة بتقاليدها وعاداتها متعصبة للموروث من هذه التقاليد والعادات ، لا شك أن هذه المدرسة ستحدث خصوما كثيرين ، وأعداء يتحينون لها الفرص للقضاء على البعده التي تنادي بها ، فليس من اليسير على المرء أن تأتيه لترده عن أمر من الأمور التي ألفها بالقوة والبأس ، وليس من الهين على الإنسان أن تشنيه عن آراء شب عليها وتشربتها روحه ، بجرة قلم ، ولا سيما إذا كان أكثر هؤلاء الخصوم من الذين تتفقوا نفاة تتيح لهم الاطلاع على تطور الحياة ، ومعرفة معنى الحرية الفكرية » .

ويبدو أن أم الشاعر كانت في صف متاوثيه ومعارضيه ، ما تفك تنحو عليه باللائمة ، وتعين الدهر عليه ، وأن تلك التي تثر كيده شعرا يفيض بتقدّيس هواها قد اجتوته ، بعد أن دب المرض في أوصاله ، وبعد انقضاء نور باصرته . ولذا كان سجين الدنيا ، سجين داره ، سجين الإسمه واشجانه ، بجار بالشكوى ، رازحا تحت ثقل الهوى ، يأكل قلبه الشك ، ويرين على نفسه شبح الشاؤم ، ويعبر عن مأساته في قصائد من أروع الشعر وأسماه ، كقصيدة القصيدة التي يخاطب أمه في مطلعها بلغة موقنة :

كفي السلام وعليني
وتناهيت كبدي الشجون
وأفغني الساء العباد
أين التي خلقت لتها
أماه قد غلب الأسى
الله يا أماه في
حطيت روحي بالعتا
أنا شاعر ، أنا بالى ،
أنا من حيتني في حبيبه
أنا ناله في غيبه
ضافت بي الدنيا ديني
وأنا السجين بقر داري
بهزل جسمي ، يا فراري

فالشكوى والي
فمن مجري من شجوني
فمن مفيني من معني
ني وبانتت بجنوني
كفي السلام وعليني
توقفي لا تعاليني
ب فامسكتي أو ذرني
أنا مستهام ، فاعلديني
أه من حر الحنين
شبح الردى فيه قريني
أشعب الماضي ديني
فاسمعي شكوى السجين
بالتجصد ، بالفقون

ولكن كأس الشاعر ما زالت مترعة ، ملأى ليس من بنت الكثرة ، وإنما من أكسير الإله وعصارة المصاب التي الهبت منه الفؤاد ، وعلقت بخاطرته هواجس شعرية في عالم الطبيعة سقسقة الجدول ، وتفتح الزهر ، وحفيف الفصون ، وخطور الريح ، محاكاة لروض شباب الشاعر أيام كان يرفل في صباه تلك الروضة التي لم تستسق الغمام وقد اخضر بها فنن الأيام ، إذ يعيش الشاعر بفردوس هواه ونعيم حبيبه :

فومي اسمعي يا بنت جاري
شكوى العجيس المسجير
شكوى صريع الكناس كما
لله مسلا في وكا
إسمام كنا والكواش
والسعد ختن والصبا
لا روضه استسقى السما
وزمام من اسواه في
لا تشكي بريح السعد
فيذاك بتجنيح اللسي
من جننار خسوده
وأفاح نفر ، كم نطمت

علما أن ما نطلمه الشاعر من أكابيل غار الوطنية يكاد يلوي غار شعره الغنائي الذاتي على ما فيه من نسيم الحيوة ونضارة الحياة . وكما كانت صورة الوطن مختلطة في مخيلة ابن الرومي برؤى ذكرياته ، وأيام طفولته وشبابه ، وفرحه ومرحه ، ومجئلى صباه ، ونوار شبابه ، حيث يقول :

وطن قضيت به النشبية والصبا
وليس توب العيش وهو جديد
فكذلك في صورة الوطن لدى شاعرنا الكبير ، على أن الوان ريشة ابن الرومي على عظمتها ، وعلو كعبه في عالم القريض ، تبدو باهتة إذا ما قيست بالوان شاعرنا وصوره في هذا الميدان .

وما دما قد قرنا صورة الوطن لدى شاعرنا القديم والحديث ، يكون تشبيها صحيحا واقعا متصفا إذا ما نقلنا لوحة الطبيعة التي جادت بها ريشة ابن الرومي بوصف قوس قزح في مكانها في محراب الوجود إلى هيكل النفس ، وردودها خطوطا وظلالا لهواجس الشاعر ، وأحلام عرواه ، وملاحقها ، فإذا هي صورة الوطن لدى شاعرنا المصاصر :

ولهنا قد طبع الحنين بدهته
صور منجبة برششة وهمه
تفري ، وتدبر في الخيال وتقبل
ببلى ، بقص رؤاه وهي تؤول
ودنت ففساد بقصها فتقبل
وهناك ملعبه ، وهذا المنزل
ومضى وراح بقصها فتقبل

وتتم هذه اللوحة باستجلاء مستقبل الوطن ، بأسما مهالا ، أغرودة في فم الزمن ، على تجهيم واقع الشاعر وشجابه ، ويندفع بجليل حلمه ، فأذا عنه طيف الشكوك ، عائشا خفقات قلب اليقين ، في رعشات روح المجد ، مترجمة إلى أهازيج عرس الطبيعة :

نشوان إذ صفى بان خياله
والوحد برقص في قرارة روحه
فشاد له ناي ، وغنى شاعر ،
ونساءت أم ، وذكر والد ،
استغرت اخنت ، ونادت طفلة
دنيا من الأوام ، غاب سوية
متفالا لا الياس يعرف مدخلا
صرع الشكوك يحزمه ويقيه

فاسمعه يا هذا يحيي موطننا في جانبيه له المقام الاول :
وطني فديتك، عش ودم واسام وطب فعباتم السلام القريب ستهمل
والجد ياسمك يا ربوع مسيح ، والفر بهنق ، والزمنا بهل
ولكن صورة الوطن لم يتزلفا شاعرنا رؤى حالمة فقط ،
ولا الوانا زاهية فحسب ، وانما تختلط كذلك بهزير
ذكرياته ، نتيجة لما يصدم الشاعر الحر في بيئة محافظة
هي بمثابة السحن لطليق روحه :

وطني وايت بك الشباب ، وكل ما ملكت يميني
وفيرت فيك مواهي ، واستنزفت غللي شؤوني
وكسرت كاسي بعد ما ذابست باحتالي لعوني
وسكنيتها شعرا رثيت به منسى الروح الحزين
وطونتها صفحا غننت بها ، وما انا بالفتنين
ورجعت صغر الكف ، مغلوبا على سر دفين
فلا انت يا وطني المدين ، وما هزارك بالمدين

وحديث الشعر الوطني في قوافي فهد العسكر حديث
ذو شجون وصور مختلفة، منها الزاهي الخاطر بحل الامل،
ومنها القاتم الكثيف الظلال ، كما رأينا ، لكن خير صوره
للوطن والمواطن ما قدسيتها روح الشهيد ، وباركتها جراحه،
في ذلك الجندي الذي يعرف انه سائر الى حتفه ، طارق
باب منيته ، لكنه يمضي غير هيب ولا وجل ، لا يعرف
التردد والتخاذل والانتكاس ، تراقص في مخيلته اشباح
رؤياه ، لان ما يعالج في اعماقه من الشوق فوق ما تتصور ،
اكبر مما تطيقه شحنة روحنا التي هي من طين وماء ،
وليست روح الشهيد الاقدس جدوة التكيف في الغراء
آية من آي السماء ، واذا كان في المستطاع كبح انفس
الاعاصير واعنف التيارات ، فهيات هيات الجهاد نفس
واحد من ضرام الشوق الذي يجتاح روح الشهيد ذلك
لان المجد هوا ، ومن كان المجد هوا ومثله الأعلى ، اندفع

الى حومة الصراع فغالب الموت وقهر الفناء ، ونوى خالدا
في تربة وطنه الحبيب :

ودع الامل والحمي والمقاتي مدنف القلب في هوى الاوطان
سمع الحق حين نادي : الم يا ن ؟ فلباه غير ما متواني
وهفت روحه الى مديح الحق وزف القربان للميدان
حيث اخوانه ، وكم جمع الميدان شمل الاخوان بالاخوان
باسم للروى ، وكم اطبق الجفن ، فطقت بظرفه الوستان
ولاشباح وجده رفصات تحت اضلاعه على الخلفان
وفرام الانشواق في جانبيه يتلظى على اعنز الاماني

عشق المجد ، والهوى فكرة تنمو وتسمو بالروح والوجدان
يتخطى الصعاب غير مبال بزفير الآلات والنسيران
وزفير الحديد في اذنيه شمو فيثارة ، ورجع شان
وانسين الجرحى وحترجة الو نى هتاف ، لا عاش كل جبان
وزيد الملاح في ثورة البسم نشاطا ، مهسارة الريسان

اي ياس كباسه حينما ن ر بوجه الاعداء كالبركان
نسوة زلزلت قلوبا واروا حا فباء العدو بالعدلان
ان للحق صولة نصرع اللطم ، وتسودي بالقبي والظفبان
وجنودا ندمهم قوة الله ، وبراعهم بعين العنان
وجلالا مله النفوس تجلى بثبات الشيوخ والشبان
وجمالا جواء اسمي وسام رصمته الجروح بالرجان
اسميا ابن الحركة البكر ، ابلغ ت ، فان يهدموا فانت الباني
ان قضائد فهد الوطنية على قلتها ، من الخزائد النسي
تصور كل هاجسة من هواجس الانسان الحر الشريف
الثاني عن وطنه حينما لالهيه ومرابعه ، او الدائد عنه
المكافح دولة كفاح المجاهدين الابرار ، ولو جسم الوطن
وانطلق بلمة الشجاعة والحنين لم ينطق باروع وابدع من
قوافي فهد ..

قدري قلمجي

المدرع النازع

وبجلو ظلام الشك نور يقيني ؟
فسارت سفينتي خلف كل سفين
وسابق الى شط الرجاء حنيني
تسع كاصواء المنارة دوني
فاغرقت ابناسي بغيش شؤني
تهب رخاء بعدد طول سكوني
وبرسو على الشط الامين سفينتي !!

سلامه خاطر

ايرسو على الشط الامين سفينتي
نشرت شرع الصبر والرج سائني
الا يا نسيم البحر داعب شرعها
اشارف احلامي على مرقا الهوى
ولكن امواجها من البين رعنتي
روبدك يا نفسي فيما رب نسمة
وتدني رجاء عز صبري حيلاه

القاهرة

حدودك الشمس

القيت في ذكر المفترب اللبناني كرم الراسي الذي آثار بلدته بالكهرياء والعلم
وهو صاحب اكبر معامل للورق في البرازيل .

* * *

هيهات ترضى بغير المجد مطلباً
وانما انت عزم طاول الشهباء
فحيثما اشرفت اطلعت مغترباً
طبيعة الخير ان يعطي وان يهباً
الا ليجري على آفاقها سحباً
الا ليسكب في اكوابها حباً
حيناً وحيناً يكون الوابل اللججاً
الا لانك كنت الممرع الغصيباً
للارض حتى يصيب الضر والعطباً
واحقر الجود يعني الغم والحرباً
ورب بدرة مال افسدت ارباً
ان يستحيل الدجى في كفه لهباً
وطالب مال من يترك ما طلباً
ولكن سددت الى عرش النهى سباً
فما اعزك معطاء ومكتسباً
اما تدفق في بطحاتها صباً
ان تشمد الخير مرجوا ومرتباً
الا لانك تهوى العلم والادباً
صحائف الوحي تنلو الآبة العجا
وملهم اسكر الدنيا بما سكباً
غنى جمالك مشبوب الهوى طرباً
وشيد العلم في اكنافهم قيباً
للدود عن ارضها ما ناعب نعباً
قوافل تشكى الظم والوصباً
مناهل العز لاج النجم او غرباً

للمجد ما انت ضاق الانق او رحباً
لبنان لست الهضاب الشم ساقية
حدودك الشمس لا بيد ولا اكمل
اعطيت لا تبقي اجرا ولا بدلاً
فما تدافع موج في شواطئها
وما تنائر طل في ازاهرها
طبيعة الخير ان ينهل فهو ندى
فتى المكارم لم تنسب لدوختها
ما حيلة الفطن ان تهوى الثعالبه
ما انبل الجود يعني كل تضحية
فرب لقمة عيش نغصت شعيباً
فتى المكارم حسب الهوى عافية
كم مدبح زكوت بمالك ظلمه
يدان للفصل الذي يذلل عكلاً
اعطيت افضل ما تصبو النفوس له
سجبة «الكرم (١) الراسي» على شمم
فتى المكارم اقصى ما يواد بها
ما سددت مصنع قرطاس على اجم
لم يفجع الفباب ان حولت ايكته
سيان في شرعها شاد على فنن
خمائل «السقي (٢)» كم من شاعر غرد
ابناؤك الصيد من عز القريض بهم
هم «التواهي (٣)» طارت كل ناحية
«عيون (٤) لبنان» طاب الورد فارقتي
قد آن للركب ان يطوي الشراع الى

وديع ديب

(١) اسم القصيد . (٢) ابل السقي . (٣) اشارة الى شاهين بك مكاريوس احد رجال الصحافة العربية ابان النهضة في مصر وهو من البلدة ذاتها . (٤) يقصد بها مرجعيتي .

.. بعد العصر . الشمس تمق وتقم
بسرعة . ولون الرمال الاصفر يغمق .
وقبل ان تسقط الشمس . تزداد
البرودة . والمغلف الاسود لم يمد
يبلغ في تدفئة جسمي . وصغر
البروجي . وجاءوا . الغبار فوق
الوجهي . الدماء تنزف من جروحهم
وقفوا صفوا متהלكا . جاء الضابط
النوبي . وقف بعيدا عن الصاري .
سار بجانب السياج ودار نصفدورة
واقتربت منه . شددت نفسي تمام ؟
تمام . وانصرفوا . وصرفت الريح
في الغناء . واهتز النخيل . وشوش
السف . واصوات همس تبعث من
المبنى والنوافذ الضيقة في الجدار
الضخم المرتفع . بقع سوداء مربعة .
والسما بها نجوم كثيرة تلمع . فسي
كل مكان . وفي الشمال ثلاثة نجوم
على خط واحد اراهم كل ليلة .
وسكسة في الظلام . وصوت اقدم
اقتربت . ويد وضعت فوق كفي .
ما كل اليوم لم تكن عاديا ؟ غفست
طرف شاربي واشتت بطرف اصبعي
الى السياج . واسوار السلك . ما
واكتشاك الجنود . ازداد عددها . ما
هي التي ازداد عددها ؟
هذه الاسوار يا حضرة الضابط .
ابدا كما هي . بل انها لا لزوم لها من
نقله يهرب من هنا ؟؟
هل تحمل يا باشجاويش السياج
هي هي كذلك الاسلاك والاكتشاك .
لقد ارتبنا تماز الرمال يا حضرة الضابط
حتى الهواء به سلك شائك مفتت . ياه
.. يبدو ان اشرافك على طابور قطع
الحجارة بد ارفعك . لن تقف اللبلة
في العراء ستكون نوبتك داخل عنبر
الدور الاول . ولم ارد . ولينسي
اجيته . وبقيت في العراء . الصمت
في الخارج عميق مخيف . بارد .
لكنه افضل من هذا القبر . واصوات
النائمين . وكل شيء هنا جديد .
وهل اري العنابر لاول مرة ؟؟ ياه
كائي لم اعش فيها قبل ذلك ابدا .
من السقف المغلف بالعنكبوت حتى

الارض المبلطة ببلاط كبير مربع يفصله
عن بعضه شقوق يملؤها التراب
والحشرات . والحجرات . والنوافذ .
حتى الهواء الذي يدخل صديري .
مسامير . اسياح . ثقيل كالجيل .
ولا احد منهم مستيقظ . كل المساجين
نيام . نيام . النهار كله يديون في
الجيل .. لا .. كلنا نذب في الجبل
.. لم اقبل هم ؟؟ .. الفرق ..
بمسكون بغؤوس ومعاول .. ونحن
بكرابيج وبناقد .. اعمل يا ولد انت
وهو .. اعملوا يا كلاب .. يا .. يا ..
وما الذي جرى لك يا باشجاويش ؟
الجو خالق والهواء فاسد .. والعراء
افضل . وما الفرق ؟؟ صحيح . ما
الفرق ؟؟ حتى السماء هنا سجن .



رقم جمال الفيثاني
http://www.yousang.com

.. يا اولاد الكلب صوته منخفض .
العنبر الا مرات . في احداها . كان
هذا الصباح المعلق . يرسل ضوءا
اقوى مما هو عليه الان . ناموا كلهم ..
وبين الحين والحين تزحف الى صديري
رغبة في ايقاظهم جميعا . واروح الى
الممر الضيق الفاصل بين الزنانات ..
اصحوا .. اصحوا يا اولاد الكلب ..
عد ..

وتصرخ الحناجر المتسلخة ..
واحد .. اثنين .. ثلاثة .. اربعة
.. سبعة .. عشرة ..
.. يا اولاد الكلب صوته منخفض .
عد انت وهو من جديد . احتى تصل
اصواتهم الى درجة الصرخ . ناموا
.. وينامون .. وتصلص القيود .



وتزوغ العيون الصفر . اصحوا ناموا .
ناموا . اصحوا .. يا باشجاويش .
لماذا فعلت ذلك ؟؟ تسلية ؟؟ العنبر
فيه ستون زنانة . وكل زنانة بها
خمس . والانفاس فاسدة . واصوات
شخير تغلو موتي . وفي آخر مرة
صرخ شاب في رقم عشرة . صراخه
مزعج . صرخ . صرخ . اعملوا
معروفا .. انا اموت . الخراج
رائحته تنشأ لا تطاق . اعملوا
معروفا .. اموت .. خرجت من فمه
الفاظ كثيرة لا معنى لها وبدا وجهه
الصغير مزعجا منفرا وسقط الكتاب
الازرق نادى امه واباه . ونظروا
كلهم من القضبان . لم يتكلموا . عندما
لتعذّب زميل لهم لا يتكلمون . يصمتون .
لكن صمتهم خطير . الصمت الفاصل
بين البرق والرعد . وجاء العساكر
واخرجوه وضربوه . انا ركلته .

وعندما انظر على ظهره .. آه ..
وجهه الى السماء . الخراج في عنقه
اختلط بالدم .. خوخة كبيرة متعفنة
.. آه يا باشجاويش .. كالفضل
الصغير . وجهه طيب بريء . بريء
والله . رغم العين التي تحولت الى
كثة زرقاء . لون النوتيا . آه .. وانا
لي طفل . بعيد . تفصلني عنه الرمال
والاكتشاك . ولا اراه الا مرات . القلعة
بعيدة عن الناس والبيوت والكلاب .
والقطط . حولي الزنانات . والسياج .
والاكتشاك . وجدران القلعة القديمة
الضياء . والحجرة التي حبس فيها
الشباب بغيره . واخرجوه . وضموه
وكوموا فوقه كمية رمل . وحجر .

انت مثلهم يا باشجاويش ..
.. آه ..

مثلهم يا باشجاويش .. آه ..
منهم .. منهم ..

لن اخرج . برد . والقلعة تظهر
كثلة هائلة من السواد . وكشاف
الكشك ينبعث منه نور . نار . تمسح .
تلمس . الرمال والسياج . والمبنى .
انا مرهق . وهم مرهقون لا . كلنا
مرهقون يا باشجاويش ؟؟ لا .. لن
أوقفهم .. لن اتسلى . وسلسلة

صراخهم انذار . عذابهم .. تهديد
يا باشجاويش ..

.. البرد والريح في الخارج .
ولو وقت فوق املى برج في القلعة .
وصحت مناديا اولادي .. هل تحمل
الريح صوتي اليهم ؟؟ سميت الصوت
قبل ان يصل اليهم . وهل وصلت
صرخاتهم الى اطفالهم . عندما جلدتهم
.. تاك .. تراك .. تاك .. فوفوفو ..
مجاري دم . خطوط حمراء . طويلة .
مقاطعة . اللحم يطلع في الكرياج
وقد اسافر لاري امراتي . والتقي
بطفل من اطفالهم . هو لا يعرفني .
وانا لا اعرفه ولكنه لو عرف اننسي
مزقت لحم ابيه ؟؟

.. الاين مرة اخرى . صوته
مرتفع . يتالم . لا . لكن . فلاذهب
.. صيحة من الزنانة العليا ..
- من يتالم ؟؟
الصدي . وصمت . حتى الصوت
هنا مسجون . ولن امره بالسكوت .
والمر بارد والبعض استيقظ ونظر
من خلف القضبان . الظلال غامقة .
بسنده زملاؤه ..

- اهو مريض جدا ؟؟
يلتفون . الدهشة في عيونهم .
آه .. آه .. يا ضحايا .. يامسكين
.. يا موتي ..
- الا يمكن استدعاء طبيب .. انه
يحضر ..
- طبيب ؟؟ الان ..

- نعم يا باشجاويش ..
- الان .. الان ..
وهو تالم ولن اقدر على ايقاظه .
الصباح ؟؟ والام ؟؟ واذا جاء الطبيب .
اخرجوه . ويخرجوه . وكالجزائر
يفصح . وزجاجة مكروكروم . ولفة
قطن . الطبيب ؟؟ والضابط ؟؟ والبرج .
والسماء السوداء . وبرد الصحراء
نار . والسياح والسلك . والمفاتيح
والصليل والتعب . وبالامس وضعا
زيتا في الاقفال . وتندور المفاتيح
بسوالة . وينظرون . والبلدة .
والجبل . والاولاد . والضابط يقول
لي في ليلة صيف . خطيبتى لم ترسل

- هل تعاني الما .. ما لك ؟؟
يستدير . وجهه تحت شعاع
الصباح الملق في الطرقة . هو بعينه .
امرني الضابط في الصباح ..
اجلده خمس جلدات
وفي الطريق نظر الي .. لم يصرخ
عندما ربطناه الى الخشبة . رأسي
وعرفني . فمه مفتوح . بجواره
كتاب . هل منطري مغز ؟؟ يحلق
ملعورا ..

- سبعة . رقمي سبعة ..
- آه سبعة ..
الصدي وصراخ الشاب . منظره .
دجاجة فوق عتقها سكين محمى .
صحا كل من في الزنانة . همهمات .
واحد يتكلم في الزنانة المجاورة .
وانا لماذا صرخت سبعة ؟؟
ياه .. هل تخاف يا باشجاويش ؟؟
الصيحة تفرقع ؟؟ يرتجف يتراجع
ويلتصق بالجائط . لا اريد ضجة .
قد يأتي الضابط التوبجي . لن
اصبح . فليس هناك خطر . ويجب
ان ابتعد . وقع الخطرات عيني .
والخفاء ثقيل . واعدو الى مكان .
ولن امشي في الممر بين الزنانات .
القضبان القليلة . والجدران العالية .
وفوقها ابراج . وحولها سلك . اسلاك .
وكشافات . ثم صحراء . ولا شيء .
المبنى الضخم يضمنا كلنا . انا في
الممر . هم بالداخل . انا متيقظ .
هم نائمون . انا في ثياب صوفية
سود . وهم في زي السجن الاسود
الخشبي . على ظهر كل منهم نمرة
وحول عتقي نمرتان من الخساس .
نمرتي . وهم لا يرون نساهم . وانا
لا ارى امراتي اولادهم . ولا اولادي .
.. كلنا في القلعة .. كلوت .
الجدران الاربعة . والممر رحى وجئت
فيه مئات المرات . والسلسلة في
يدي . تصلصل . وترن . والعيون
تذبل كل يوم . لكن شيئا خليا يا
باشجاويش . كالنقرة . كلوت .
يطل منهم . من كل جزء في اجسامهم
حتى من الهواء الذي يحويهم . كثير
منهم صرخوا .. يطلبون الموت . لكن

المفاتيح بها اكثر من مائة مفتاح . لن
اهزها . فليناموا يا حزمة المفاتيح .
ليثني اترك . ومرة واحدة فارقتك
فيها . الهواء غثيف . الصاري يبتز .
ساقوا شابا . وربطوه . والكرياج له
سبع شعب . وطابور المساجين يقف .
ليروا ..

صاح الضابط .
صرخ الضابط .
يدي ترتفع وتخفض .
مجاري دم تتفتح على ظهره
العريض ..
سقط الراس .. سقط الراس .
تطلع المساجين . استداروا لبعدها
عن المنظر ..
دارت العصي فيهم .. والكرياج
.. والحياد ..
ولم ينظروا ابدا .. ابدا ..

جلدت الشاب يا باشجاويش .
ومات الشاب يا باشجاويش .. وطبعاً
حزن اهله يا باشجاويش ..
آه يا باشجاويش . لم .. لم ..
يا باشجاويش ؟؟

.. عواء . صوت عواء . يدوي .
ينبعث من جوف الصحراء . طويل
عيني . تخطو فوق الرمال . آلاف
الذئاب . وفي القلعة الف ثعبان ..
وعقارب .. ثعابين طويلة منتفخة
العنق . لسانها مشقوق . بلدي لا
تعرف الثعابين الكبيرة . هناك شمس
حقيقية . وخبز ساخن .. وفرن
يبنى الطيني . وامراتي . الاولاد
كبروا . نسيت صوتهم . من مدة لم
اسافر . وهناك السهر لذيد . خص
اليوص . وبراد الشاي والفحم .
والوقد . واللبليل . والهدوء . هنا
.. الصمت موت . خوف . اصفر
كرسم .
... صوت ..

.. صوت اثنين . من اي زنانة ؟؟
امشي بحذر . من اي زنانة ؟؟
الثالثة ؟؟

انبعث مرة اخرى . سائظر من
القضبان . وعيناي تريان في الظلام .
شخص ملتصق بالجدار . يتالم ..

صرع

بين عقلي وبين قلبي صراع
ينصت القلب للنداء فيهمو
يسأل العقل كيف يمضي، فيأبى
رب اني ما بين عقلي وقلبي
فحياتي قصيرة عند قلبي
وحياتي قبيحة عند عقلي
ناه في مهمه الحياة مسيري
بين عقلي وبين نفسي العليله
حرت فيه محاولا تعليله
وهو ظمان ، كي يبسل غليله
رائد العقل ان يكون دليله
تائه ضل في الحياة سبيله
واراهبا بعين عقلي طويله
واراهبا بعين قلبي جميله
بين عقلي وبين نفسي العليله

سعيد العيسى
من « العروة الوثقى »

لندن



ARCHIVE

لي خطابا . واطمنه . ويبر راسه .
والصمت الحثير . والليل السجين .
حتى الليل والنهار والزمن كله فسي
سجن . مع اللامة يا حضرة الضابط .
اختفى الظل . وبالنهار . قال اليوم .
الليلة عندك خدمة في العنبر الكبير
.. انت فقط .. لا يا حضرة الضابط
.. انا .. وهم .. وهم .. وانا ..
يحرصوني . وأحرصهم .. ها ..
- كله يصحى .. كله يصحى ..
اصحوا .. اصحوا ..
- اي شيء جرى ؟؟
.. اصحوا ..
- ما الذي حدث ؟؟
- مستعد ؟؟
- اصحوا .. اخرجوا .. اخرجوا
.. اخرجوا .. الابواب مفتوحة ..
فارقوا هذه القلعة البغيضة . اذهبوا
.. اذهبوا ..
اجري . ضجة . ما الذي حدث .
الابواب تفتح . امتلا المر .. تعالى

اصحوا . كلهم خرجوا تمايل المصباح .
كلهم . فتح باب العنبر . دقعة هواء
بارد من الخارج ..
- من هنا .. من هنا ..
- ماذا حدث ؟؟
- اي شيء جرى ؟؟
البرد . السياج . والابراج .
القلعة منتصبه . تسخر ؟؟ مدعوره؟؟
تضحك ؟؟ اللعنة يا قلعة الجس ..
الساحة خالية . الفناء بارد . اجري
خالي . امراني واولادي واولادهم ..
صفارة عميقة كثيية باردة . الكشافات
توجهه كلها الى الساحة . صغير .
صغير .
اي شيء فعلته يا باشجاويش ؟؟
ساجري لن يوقفني احد . ساعبر
السياج . والصحراء . وكل شيء ..
- قف يا باشجاويش .. قف ..
أمرك بالوقوف ..
من ؟؟
الضابط فوق البرج .

لا .. لا .. لا .. لن اقف .. انزل
واجري . انت الآخر سجين .. سجين
.. آه اجري بمفردي طاح .. طاح
.. طاح .. الزلط والرمل يتناثران
تحت حذائي ..
- قف ... ف ..
- لا ... لا ..
الصدى . الصوت . الليل .
القلعة الشاملة ..
ديوس محمى . حية . ظهري .
آخر . آخر . دبابيس . والنحة
التراب . ياه .. الزلط كبير . كبير
جدا . الزلط غير صلب . يتمتع .
والارض تنزل وتهبط وتهبط وتنزل
وتتروح وتجي وتروح الى السوق ولا
سماه وارض فقط ولا انحرك ولا
ابراج ولا جدران وحفرة باردة مظلمة
مائعة حريرة ولا قلعة ولا جدران ..
حتى هم .. ذهبوا ذهبوا .. كلهم .

جمال الفيثاني القاهرة

طبقة الفهما

بقلم حسن الكرمي

من « العودة الوثني » في لندن

مضوغاته ، وأصبح النقد واسطة تحول بينه وبين الاتصال بصاحب المصنوعات الأخرى . والشيء المصنوع بالآلة ينطوي على قوة بشرية ، ولكن هذه القوة قد انسلخت عن الإنسان . وأصبح النقد عبارة عن القوة البشرية المنسلخة لان ما لا اقدر على عمله بنفسي ويقوتي الخاصة استطيع ان اعمله بواسطة النقد . وبالتقد يمكن شراء كل شيء ، وبه يمكن استغلال القوى البشرية والتحكم بها . وهذا هو السبب في ان الثورة البلشفية في اول عهدها قررت ابطال التعامل بالنقد لانها ارادت ان تكون العلاقة بين الانسان والانسان علاقة مباشرة .

ومعنى ذلك ان الانسان يخلق في حياته اشياء او أنظمة تنتقل اليها نواح من قوته وآماله وافكاره فتصبح تلك النواحي منسلخة عنه ، ويصبح هو فاقد لها الى ان يصبح كالقشرة التي لا نواة فيها ولا ثمرة . ومن ذلك مثلا ان الزعيم في مجتمع ما هو بمثابة الاب في الاسرة على رأي (فرويد) وابناؤه ، غير ان فكرة الابوية انسلخت وحلت في الزعيم وصار الزعيم ينظر اليه من افراد المجتمع كما ينظر الى الاب من افراد الاسرة . ثم ان فكرة (الدولة) فكرة منسلخة عن الانسان ، صار الانسان ينظر اليها نظرة التقديس والاحترام ، كما فعل الفلاسفة الالمان في القرن التاسع عشر بتأثير هيكل (١٧٧٠ - ١٨٢١) وجعلوا من الدولة شخصية مثالية مقدسة ، واعتبروها غاية في نفسها . بدلان من ان تكون واسطة كما كان الاغريق يعتقدون .

ولكن الانسان في معظم نواحي حياته يكون في حالة انسلخ عن محيطه سواء بالفكر او بالفعل . نلتخذ مثلاً مثالاً للمسافات (والابعاد) الى الارض وكيف تغلب الانسان عليها . فانه كلما كانت هذه المسافات والابعاد أطول وأبعد من ان يغلب عليها الانسان ، كان الانسان اقرب الى بيئته ومحيطه وجماعته ، ولكنه كلما تقلصت المسافات والابعاد وثلاثت بفعل وسائل النقل الحديثة وخصوصا السيارات والطائرات كان الانسان ابعد عن بيئته ومحيطه وجماعته وأصبح متجافيا عنها ، وتباعد ما بينه وبين الارض التي يعيش عليها وانسلخ هو تدريجيا عن العالم . هذا الانسلخ عن العالم هو العلاقة الفارقة للعصور الحديثة في العالم الغربي ، وهو في رأي (ماكس فيبر) العامل الاصلي في وجود الرأسمالية . ومع ان (ماركس) لم يقل هذا الانسلخ عن العالم ، غير ان جل اهتمامه كان منصرفا الى فكرة انسلخ الانسان عن نفسه او انسلخ الشيء المصنوع او غير المصنوع عن طبيعته في العصر الصناعي الحديث . فهو يرى مثلا ان الحطب في الاصل هو للوقود وليس له الا مزية الاستعمال على هذه الصورة . ولكن حينما يصبح الحطب سلعة يباع ويشترى ينسلخ عن طبيعته وينتقل الى مجال التبادل التجاري ويكون كالتقد الذي يشتري به اي شيء . والغريب ان (ارسطو) اشار الى هذه النقطة بعينها في كتابه (السياسة) فقال ان الحذاء في الاصل

كلمة (الانسلخ) او (التجافي) التي كررت ذكرها في المقالات السابقة لها تاريخ من حيث اشتقاقها وتطورها في الاستعمال . فهي مشتقة في الاصل من معنى قديم لا يزال على ما هو عليه في الفرنسية والاسبانية بمعنى (الجنون) ، وذلك ان الانسان اذا انسلخ عن عقله او اذا انسلخ عقله عنه صار مجنونا . ولا يستعمل هذا المعنى في اللغة الانكليزية الا عند الاشارة الى طبيب الامراض العقلية المختص بمعالجة المجانين . غير ان الكلمة اكتسبت في الاستعمال الفلسفي معنى جديدا حصرها في النواحي الاقتصادية والاجتماعية بما في ذلك الناحية السياسية والناحية الدينية ايضا . واول من استعمل الكلمة في هذا المعنى الفلسفي الجديد الفيلسوف (فختي) و (هيكل) في اوائل القرن التاسع عشر ، ثم اخذ (ماركس) هذا المعنى واستعمله في نظرياته الاقتصادية والاجتماعية . والمعنى الجديد ليس له علاقة بالجنون من حيث هو . وانما علاقته بحالة نفسانية اجتماعية يكون فيها الانسان بعيدا عن الشعور بنفسه بسبب انغماسه في بحر خضم من الحياة الميكانيكية المعقدة وتوزيع نشاطه في الجاهات متباعدة تفصل بينه وبين نفسه ومجتمعه وثقافته الجماعية ، فهو من تخليه عن شخصيته تخلى عن روابطه مع الاسرة والبلدة والبلد ، وأصبح كالمهاجر في بيئة غريبة من ناحية نفسانية ، يعيش ، كما قال (ريزمان) ، في هجرة عن داخلية . ومما زاد في الابتعاد والتجافي عن القيم الشعبية والمفاهيم العامة في الثقافة والعادات كثرة الانحراف والامعان في الحياة الميكانيكية . فالانسان في الماضي كان يصنع الشيء بنفسه من مواد يستحصلها بنفسه ، ويبيع ما يصنعه في مقابل شيء آخر يصنعه غيره بنفسه من مواد استحصلها بنفسه ، فكانت الصلة بينه وبين ما يصنعه هو وبينه وبين الصانع الآخر صلة وثيقة مباشرة عن طريق الاحتكاك الدائم والتعامل المستمر بدون واسطة او حائل ، الى ان اهتدى الانسان الى الآلة الحديثة فصار يصنع الاشياء بها بدون ان يباشر هو هذا الصنع في جميع اطواره ونواحيه ، وصار لا يتبادل الشيء بشيء آخر مع شخص آخر ، بل صار يعتمد على النقد يشتري به ما يريد بدون ان يعرف الصانع ، وصار هو يبيع ما يصنعه بالآلة عن طريق الاسواق والدكاكين بدون ان يعرف الى اين تذهب مصنوعاته وفي اي يد تقع . فهو قد تجافى وتباعد عن

هو للاستعمال ، فإذا دخل في سلك التبادل التجاري انفصل عن حقيقته أو طبيعته الأصلية . وسنعود الى هذا البحث في مناسبة أخرى ان شاء الله .

ولكن من أهم مظاهر الانسلاخ والتجاني مظهر المفكرين والفهماء في معالجتهم للمجتمع الذي يعيشون فيه أو في موقفهم منه . ويدخل في عداد هؤلاء الإنبياء والمصلحون الدينيون والاجتماعيون ، وكذلك الثوريون والقضويون . ويدخل فيهم أيضاً على سبيل المثال ، المزدكيون في فارس والماتونون للتعصيد في زمان لوثر وأهل النسوية في بريطانيا في زمان كرومول ، بل وأهل التسوية في أوائل العهد الاسلامي ، وكذلك الشعوبية في زمان الحكم العربي وغيرهم . ف هؤلاء جميعاً منسلخون عن مجتمعهم اما فكراً واما اجتماعياً ، ومتنبذون أو متبذون عنه . وهم جميعاً ناقمون على احوال زمانهم يريدون تغييرها على نحو ما قال الشاعر العربي :

إذا لم يكن للمرء في دولة امرء نصيب ولا حظ فعننى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير أنه برحى سواها فهو يهوى انتقالها
وقد أشرت في مقالات سابقة الى جماعة الطوبويين أمثال افلاطون في كتابه (الجمهورية) الذين ارادوا اصلاح المجتمع وتغييره بمجتمع من نسج الخيال . هؤلاء لم يكونوا بوجه عام واقعيين عمليين ، وإنما كتبوا ما كتبوه تنزيهاً للفكر وتسريحاً للخيال ، ولذلك لم يكن لكتاباتهم اثر كبير في تغيير مجتمعهم ، وأكثر ما يقال عنهم هو أنهم كانوا يتلون بهذه الكتابات عدم رضاهم عن المجتمع وينقمون عليه فحسب ، ولم يوجدوا نظاماً عملياً قابلاً للتطبيق ، واكتفوا بإيقاظ مثالي خيالي لم تكن الظروف مهيئة لقبوله ، على عكس المفكرين والفهماء في فرنسا في القرن الثامن عشر والمفكرين والفهماء في روسيا وغيرها في القرن التاسع عشر . فالطوبويون أقرب شيء الى المفكرين والنظريين ، أو هي حين ان دعاء الثورة في فرنسا وفي روسيا أقرب شيء الى الفهماء ، هم والإنبياء والمصلحون .

ولمعة انسلاخ آخر مهم ، يتجلى في الوقت الحاضر في مجال الفكرى . فان تشعب العلم واتساع رقعته أدى الى الاختصاص في ناحية معينة شيقة . والشخص المختص في مجاله الضيق هذا مفرغ بحكم الضرورة ان ينغمس في بحثه ويغور فيه ، وبذلك ينقطع عن العلم بصورة عامة ، ويصبح كما لو انه عامل في معمل كبير ليس له من المعرفة بذلك المعمل الا ما يتراءى له من مجال عمله الضيق ، أو هو كأحد العميان الخمسة أو الستة الذين لمس كل واحد منهم جانباً واحداً من البقل وخرجوا بأراء مختلفة عن حقيقة ذلك الملموس الواحد ، أو هو على حد قول العبارة الانكليزية المأثورة عن الشخص الذي لا يرى الحرش بسبب اشجاره . وقد كتب في هذا الموضوع كتاب كثير وثددوا النكير على هذه الحالة ، وخص بعضهم نظام الدكتوراه في الجامعات الحديثة بنقمتهم هذه ، وقالوا ان هذا النظام

يجعل الباحث أضعف اتصالاً بواقعه وأعمى في التباعد والتجاني عن المحيط . ويزيد في هذا التجاني ان المختص عن طريق الدكتوراه أو غيرها يرى في نفسه شخصاً مختلفاً عن بقية المتعلمين الآخرين ، ويضع نفسه فوق موضوعهم . فكان هؤلاء المختصين يؤلفون طبقة ارفع وأعلى من طبقات المتعلمين ، ويجرهم ذلك الى الاستقلال بهذه الطبقة والترف عن الطبقات الأخرى ، كأنهم فوق الجميع . ويلاحظ هذا الوضع بصورة أبرز من غيرها في البلاد العربية مثلاً أو البلاد الحديثة العهد بالعلم والثقافة . وزاد في تجاني هذه الطبقة عن المجتمع ان الثقافة التي اكتسبوها كانت من معين غير العين الوطني . ثم ان الاهتمام الزائد بالشهادات الجامعية وشهادات الاختصاص أحدث نوعاً من الانسلاخ ، ناصح العلم بتمثل بالشهادة أكثر من أن يتمثل بالعلم نفسه ، وصارت الحالة شبيهة من حيث الانسلاخ بالحلب الذي انتقل من مجال غرضه الأصلي وهو الاستعمال الى مجال جديد في التبادل التجاري ، أو هي كمالة الحذاء في رأي ارسطو . وقد لاحظت الكثيرون ان الاختصاص للدكتوراه في اللغة العربية كثيراً ما يزهد المختص باللغة العربية نفسها ، لان هذا المختص بانغماسه في البحث ، وخصوصاً في جامعة اجنبية وعن طريق لغة اجنبية ، لا يقيم كبير وزن للغة العربية نفسها فيخرج من بحثه وقد نسيتها ، واذكر بهذه المناسبة صدقاً لي كان يدرس للدكتوراه في الفلسفة ، فقد كان يقول ان دراسته للدكتوراه الستة الهندسة .

ومن الطوبويين الذين كتبوا حديثاً عن ناحية الاختصاص عدم بين المفكرين الكتاب الانكليزي (لاسكي) والكتاب الاسباني (اورتيكا اي كاست) . فقد كتب الاول عن محدوديات الاختصاص وكتب الثاني عن بربرية الاختصاص . ومن جملة ما قاله لاسكي ان الاختصاصي يكتسب صفة العناد والمكابرة ولا يخجل بالأراء الجديدة ، وأورد على ذلك امثلة عديدة منها مقاومة اطباء لفكرة (جنر) في التطعيم ، ومقاومتهم لآراء (باستور) . وهذا بالإضافة الى موقف الازدراء الذي يبقه الاختصاصيون من غيرهم ، على اعتبار ان الذي ليس له اختصاص ، عن طريق الدكتوراه وغيرها ، يجب ان لا يعتمد برأيه . فهم بذلك الموقف يعوّدون بنا الى العهد السابق حينما كان العلم كهنه وعرفاء الذين كانت يبداهم مفاتيح المعرفة يحرصون عليها من تطاول المتطفلين . ويقول لاسكي ، كما ذكرنا آنفاً ، ان الاختصاصي يرى من الامور ناحية محدودة ويريد ان يحكم عليها من تلك الناحية الضيقة ، بدون توازن وتناسب في الحكم . وهذا على العكس من علماء القرون الوسطى بين العرب وغيرهم ، حينما كان العالم ملماً بجميع نواحي العلم ، يرى الاشياء من نواحي مختلفة في الوقت نفسه . ويقال ان الشيخ ناصيف البازجي مثلاً لم يترك علماً الا تمرس به ، جرياً على عادة القدماء . وهذا يذكرني بقول ارسطو الذي قال ان الضيف

يحكم على الوليمة حكما احسن من حكم الطباخ عليها .
ويذكرني ايضا بالحكمة التي تطوي عليها عادة الانكليز في
عرض الامور على اللجان لدرسها ومناقشتها ، خوفا من ان
يتترك الامر للاختصاصيين وحدهم ، لان الانكليز من عادتهم
ان ينظروا الى الاختصاصي نظرة الريبة وعدم الاطمئنان .

اما الكاتب الاسباني (اورتيجا اي كاست) الذي كتب
عن بربرية الاختصاص ، فانه يتكلم عن اختصاص العالم
النظامي أو العالم الطبيعى ، ويقول ان هذا العالم بدأ من
اول العهد بالعلم الموسوعي الشامل ، ثم اخذ يتخلى عن
ناحية بعد ناحية الى ان انحصر الآن في مجال ضيق منزو
عن المجرى العام . فالعالم في الوقت الحاضر يعرف ركنا
ضيقا من الدنيا ، ويجهل سائر الاركان الاخرى منها ، فهو
جاهل في وسط هذا الخضم الزاخر من العلم ، وابعده ما
يكون عن فهم المجتمع الذي يعيش فيه فهما شاملا . وعلى
ذلك فانه لا يصلح ان يقود حركة اصلاحية او ان يتخطى
في سلك الفهماء ، ولا سيما لانه باع نفسه لغيره واصبح من
جملة العمال الذين يتناولون اجورهم ويعيشون على هذه
الاجور ، ويحرصون على بقاء الحال على ما هو عليه خوفا
من ضياع هذه النعمة الاستغلاية التي يرتعون فيها . فهم
منسلخون عن المجتمع لا يتفاعلون معه ، ولو ان تنساج
اعمالهم يؤثر بالواسطة في هذا المجتمع .

ويذكر الكاتب الامريكي (هولتز) في بحث عن العلم
النظامي الحديث والتقاليد الفكرية ان الهوة قد اتسعت في
الوقت الحاضر بين العالم النظامي والمفكر أو المثقف ، وبينه
وبين الباحث في القضايا الانسانية عامة . ويرى ان هذا
التفكك في الولاء بين العالم والمفكر والمثقف ، اذا تقاضينا
عن الفهماء ، من ابرز معالم المدنية الفاسدة . ومن فاته
ان يقضى على تماسك المجتمع ويزيد في الانسلاخ والتباعد
عن هذا المجتمع ، وخصوصا بين العلماء وغيرهم . ثم ان

الشخص العادي قد اصبح في حيرة من امره ، بعد ان فقد
ما كان يعتقد به من آراء عامة ، دينية وغير دينية ، عن
حقيقة هذا العالم ، فهو شقي الرحى : (١) لا يفهم الغاى هذا
العلم الحديث ، و (٢) ليس بينه وبينها صلة ولا يربط له
ان يفهمها . والمفكرون اشد حيرة من الشخص العادي ،
لانهم لم يعودوا قادرين على الاحاطة بخفايا العلم الحديث
ودروبه ، وقد اقلت الزمان من ايديهم الى الابد . ويدعو
(هولتز) الى العمل على تصحيح الهوة بين العالم النظامي
من جهة وبين المثقف من جهة اخرى ، حتى يكون في الامكان
عند الحاجة ايقاف هذا التدهور ، قبل فوات الوقت .

وقد خلق الانسياق في دروب العلم الطبيعى من جهة
ثانية ردود فعل في مجالات عديدة ، واخذ البعض يدعوا الى
العودة الى الايمان والسلاطين ، والبعض الآخر الى فكرة
الوجودية . وفي الدعوة الاولى انصراف عن مخاطر العلم
الحديث وتهديداته لحياة البشر بالمقنبلة النووية ، وفي
الدعوة الثانية احتجاج على تحويل الانسان الى شيء كغيره
من الاشياء تتداوله الحياة الصناعية الحديثة بدون ان يكون
له حول في تكييف شخصيته والتحكم بها . وقد عبر بعض
الوجوديين عن ثورته على العقل بان العقل اصبح ميكانيكيا
آليا ، وقال (كيركفور) وغيره من الوجوديين ان العقل
الحديث مخطئ في نظريته الى الانسان بانه كائن مفكر
نحسب . فالوجودية في القرنين التاسع عشر والعشرين
احتجاج صارخ ضد العلم الحديث الذي يتصرف بالانسان
ككل او انه شيء خال من الاحساس بنفسه . والفرق بين
هذا الاحتجاج الوجودي واحتجاج (ماركس) ان ماركس
احتج ضد سوء استعمال الانسان اقتصاديا واحتج
بكره لغيره . وفي الدعوة استعمال الانسان نفسانيا . ولا ريب
ان (ماركس) و (كيركفور) من جماعة الفهماء .

لندن

حسن الكريمي

عنكبوت ضوء

واكثر ... عبر فراغي المطير
الجناحين همت ، وكادت تطير
اظن ، وصوتك ذاك السرير
يعود لنعري بلون الصخور ؟
وقلبك كان الصغير الصغير
جراحي العتيقة كيلا تنور ؟

لما جئت في ظلمات الحرير !!

علي الزبيق

تجئين في ظلمات الحرير
وجدان قلبي ممدودة
تجئين .. خطوك انعم مما
نعود ؟ جديدا بلا ذكريات ؟
كبرت . وقلبك اكبر صار .
وما لي الون حتى الهى

شتائية الجسم .. لو تذكرين

حلب



أبو طالب زيان

الأمديون في التاريخ العربي

بقلم أبو طالب زيان

جهده في فهم الشعر ، وطول باعه في نقد المنظوم ، وأثبت فيه المأني المشتركة والخاصة بين البحراني وإبي تمام ، مما جعله يقف على قمة النقد ، ويعد على رأس النقاد في الربط بين المأني التي دارت بين الشعراء ، وتناجحت كثيرا بين الشعراء الذين اختارهما الحسن ، ونشرهما في تحد ظاهر ، واستجابة لداعي الثقافة ، وإظهار المعرفة . ومما تجدر الإشارة إليه ، أن الحسن الأمدي لم يكفه أن يفضل غيره بكتاب يحسب له في النقد ، حتى لا يعاب عليه قصوره في ميدان لم يرتده إلا هو ، فامتد قلمه إلى قدامة بن جعفر في كتابه : « نقد الشعر » ليبين غلظه في الفهم ، ويرتاب في سلوكه للبحث ، ويفند بالمعالجة العلمية هذا الغلط ، ويظهر هذا الإرتياب في كتاب يسلكه في عداد الناقدين ، غير كتابه في : « تفضيل شعر أمسيء القيس على الجاهليين » و : « فقلت وأفعلت » ودنوانه المنظوم في مئة ورقة ، وهو حبيب صبور قلة قليلة ممن يهمهم الاطلاع أو يحرون وراء البحث المستطاب .

أما الحسين بن سعد بن الحسين الأمدي : أبو علي ، فهو لغوي متضلع وعالم بالنحو ، وشاعر قد لا يدخله المشتغلون بهذا الفن في عداد طائفة الشعراء المبرزين ، وأن كانت له تلك المحاولات التي حاول بها الانتظام في هذه الصفوة الخفية في دنيا الخيال ، أو المعنية بالزجج والاختلاط ، ولد ونشأ بأمد ، وانتقل إلى بغداد والشام ، واستوطن أصبهان إلى أن مات بها .

حاول الحسين بن سعد أن يترسم سيرة الحسن بن بشر في شتات بحث ، وقوة استقصائه ، وغوصه في العلوم ، ورواه عنه أرجاء المعرفة لا سيما وقد ولد مثله بأمد ، وشافه الذين أخذوا عن الحسن ، وأدرك مركزه في ديار بكر ، وتناء الناس على معرفته فضله ، مما جعله يتمنى أن لو أدرك سلفه ، وعرف مجلسه وأخذ عنه ، فيكون خير خلف لخير سلف ، غير أن الإيام التي عاجلت بانتها رسالة الحسن بن بشر ، أرادت أن يكون الحسين بن سعد ، بدء عهد حاول امتداده ، وعمل على وصله ، إلا أنه قصر دون ما يريد ، وكأ ولكن ما تعسر أو استكانة أو خمود ، فاستعبد الجهاد ، وركن إلى البحث ، إلى أن برز إلى الوجود ولكن كان كالشعلة بجانب المصباح ، إلا أن هذين الأمديين وأن انفق بحثا ودراسة ومفاضلة واستقصاء وعملا شعرا بعد لهما ، أو يحسب عليهما ، فقد جاء الأمديون الثلاثة الذين أتوا بعدهم واشتركوا جميعا في رسالة واحدة ، وعمل بعينيه ، مما جعلهم ينفردون على من تقدمهما بالبحث والمناظرة والإحكام الفقهية ، والتراث الناضج ، والبحث المستوعب .

فعل في محمد بن عبد الرحمن : أبو الحسن البغدادي الأمدي ، كان فقيها حنبليا ، ببغداد الأصل والمولد ، نزل نقر أمد بديار بكر في عام أربع مائة وخمسين من الهجرة وتوفي به ، وإليه كانت نسبته وشهرته وعمله في التأليف

شغل الأمديون فترة في التاريخ العربي ، تزيد على ثلاثة قرون ، كانوا فيها العلماء الجادين في مختلف أنواع العلم ، الحاذقين لشتى ظروف المعرفة : لغة وأصغرا ونحرا وفقه . فقد ولد الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي في أمد ، وتوفي بالبصرة في عام ثلاثمائة وسبعين من الهجرة في أمد ، وتوفي بالبصرة قبل أن يأتي سميه : الحسين بن سعد إلى الدنيا بأعوام ، وأن كان قد ولد مثله بأمد ومات بأصبهان . غير أن الحسن بن بشر ، كان عالما بالأدب رابوة ، وأن كان له شعر لا يسلكه في عداد فحول شعراء عصره ، أو الذين تقدموه أو أتوا بعده في علو الكعب ، أو السبق الوصول .

والواقع أن الحسن ، كان يمتاز بعلمه الذي شجن به أذهان أهل عصره في كتبه الكثيرة التي ينفرد بها إذا عقدنا موازنة بينه وبين الأمديين الذين ساروا سيرته ، ونسجوا على منواله في اللغة والأدب .

كان : « المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم والقابهم وأنسابهم » من الكتب التي يدل فيها الحسن بن بشر كثيرا من الجهد والوقت ، ليكون أثرا باقيا له على مدى الإيام . فقد عني فيه بجمع أسماء الشعراء وبذل أقصى الجهد في التفريق بين كناههم والقابهم ، وحدد الألقاب التي اشتهر بها كل واحد على سبيل البراعة ، ودقة الموازنة والاستقصاء العلمي .

على أنه قد أردف كتابه هذا بكتاب آخر ، أفرغ فيه كل

العودة

يا اخوتي الصغار ، ها انا قد عدت
يلفتني الصمت
لكن عندي املا ، لم يطفو الموت
يا اخوتي الصغار

عنيتكم يفرها جيتكم الي
قد ختمت ان لا اعود
ها هنا ، باي شيء
قد ختمت علي
يا اخوتي الصغار

لكني ابيت .. ابيت من بعيد
وكان لي اكثر من
الف اخ .. والف بيت
في الوطن الجديد
يا اخوتي الصغار
وفي الدروب .. في النظام
في سفري البعيد للسلام
ميرت بالذئاب .. وبالكلاب !
لكنني امنت بالاياب
امنت بالاياب .. يا اخوتي الصغار

همزج

ناصر بوخييم

والواقع ان سيف الدين ، كان له من طول المعاناة والاضطهاد والتنقل ، ما جعل نجمه يسقط بعشرين مصنفاً في الاحكام ، ومختصر ، وجملة كتب ، منها : « ابكار الافكار في علم الكلام » و « لباب الالباب » و « دقائق الحقائق » فضلاً عن تلاميذه في كل صقع نزل به ، الذين وعوا منه ، واخذوا عنه كثيراً من اصول الاحكام ، ومشوا بها بين الناس ينشرون رسالته ، ويلقون احكامه ، ويستنطقون قضاياه ، ويشيدون بذكره ، ويترحمون على ايامه ، وذوده عن تعاليمه ، واضطهاده في سبيل كلمته ، الى ان كان عام سبعمائة واربعه عشر من الهجرة حينما ظهر على مسرح الحياة : علي بن احمد بن يوسف بن الخضر : زين الدين الامدي ، وهو خامس الامديين الذين شغلوا هذه القرون الثلاثة في التاريخ العربي ، واليه يرجع الفضل في بناء العقل ، وتحرير كتب الاحكام من المفارقات والمغالطات ، فكان مولده يآمد ومسكنه وفاته ببغداد . وهو من اكابر الحنابلة : فقهاً وصديقاً ومهاجراً ، اصيب بالعمى وهو في صغره ، الا انه كان آية في قوة الفراسة ، وحدة الذهن وتعبير الرؤيا ، عارفاً بلغات كثيرة ، اخصها : الفارسية والتركية والمغولية والرومية ، احترف تجارة الكتب وجمع كثيراً منها ، وكان كلما اشترى كتاباً اخذ ورقة وفلنهما فصمما حرفاً او اكثر من حروف الهجاء لعد ثمن الكتاب بحساب الجمل ، ثم يلصقها على طرف جلد الكتاب ، ويجعل فوقها ورقة تثبتها ، فاذا غاب عنه لثمته مس الحروف الورقية فقرأه !!

على ان هذه الحرفة لم تمنعه من البحث والتصنيف ، ولم تمنعه من مواصلة الكفاح في مختلف مناحي العلم ، ونسب البحوث والاستنباطات . فهو اول من حاول عمل الحروف البارزة ، وجعل منها حقيقة بعد ان كانت املاً يراود الذين فقدوا نعمة البصر ، ووضع بين ايديهم المصباح المضيء ، والنور الذي يشع وسط الظلام ، فيبلا هذه النفوس ، ويمسح عنها ما علق بها من شوائب ، وما ران عليها من صدا ..

غير ان مما يؤسف له ، ان هذا الامدي الكبير ، الذي كان خاتمة الامديين بما صنع والف وبحث ، لم يبق له من آثاره الخالدة ، وتضائيه المتعددة الا كتابه : « جواهر التبصير في علم التعبير » وهو مطبوع طبعة غير متقنة ، مما جعله يتأخر على الاقتناء ، ولا يحرص على البحث عنه الباحثون المغمومون . والواقع ، ان خير ما يقدم الى العربية ، ويكون اعز لبنة في صرح الضاد ، ان يعاد طبع هذه الكتب ، فهي اجل من ان تهمل ، او تصاب بالضياع ، او يعفى عليها النسيان ، فهي تسجيل لفترة نضج من العلم والكفاح ، عزيز على الزمن ان تتوارى ، او تظوى فلا يعلم عنها الباحثون في شتى اقطار الارض ، الا ما يسجله المؤرخون من احصاء او سرد لمجرد التصنيف او الاسماء ، او الحساب المستقيم .

ابو طالب زيان

القاهرة

وجلوسه للمحاضرة والدرس مما تمخض عنه : « عمدة الحاضر وكفاية المسافر » في الاحكام الفقهية ، وهو في اربعة مجلدات ، تعمر بها المكتبات العامة ، وتشغل ركنها هاما من اركان المكتاب الخاصة ، التي يحرص اصحابها على الاطلاع على مذهب احمد بن حنبل واحكامه ، والموازنة بينه وبين استاذاه محمد بن ادريس الشافعي الذي كان عمدة له ، ومرجعاً في جميع الاحكام والتفاريع والمعاملات .

على انه كانت هناك فترة انقطاع بين الامديين : على بن محمد ابن عبد الرحمن البغدادي ، وعلي بن محمد بن سالم التغلبي تجاوزت المائة عام ، كان الناس يتشوقون خلالها لآمدي آخر ، يصل ما انقطع ، ويعمل على اتمام رسالة من سبقه بحثاً وتأليفاً وسفارة ، حتى كان عام خمسماية وواحد وخمسين من الهجرة ، حينما ولد على ارض آمد بديار بكر : سيف الدين الامدي ، غير انه تعلم في بغداد والشام وانتقل الى القاهرة ، فدرس فيها واشتهر ، وحسده بعض الفقهاء ، فتعصبوا عليه ونسبوه الى فساد العقيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة ، فخرج مستخفياً الى حماة ومنها الى دمشق ، حيث توفي بها .

واقرا عليه رسائلك ، لاطلب اليه ان يطلقك لي » .

وفي الصباح حين خرجت من الدار ... لم يبق في ذهني شيء .. وبقيت اياما كثيرة لا اذكر .. حتى وجهها ..

ذات مرة احببت ان استعبد ملامحها في راسي .. فتشت عن الصورة .. فلبت كبسي راسا على عقب .. ولم اجد لها .. حاولت ان اذكر شيئا من وجهها فلم استطع .. تراها كانت تخمن انها ستلقاني في مطرحي .. جامدا كصمت مهدم .. حين تلتفت ؟ ومع انني احسست بالاجحار ... وهي تركض تحت قدمي .. افان ضعري كان مستريحا تماما ... وانا اركض وراء سيدة متزوجة .

ماذا لو انها لم تكن تقصد مكانا ما ؟ ... لو ان الدرب يطول .. حتى لا ينتهي !! ...

ان استطعت ان اقول لها كلمة واحدة ... ولن اقدر ان انظر في عينها ... وبالرغم من اني اعلم جيدا انها ستقف فجأة لتفرح احد الابواب .. فيفتح لها وتدخل ... دون ان افان على ان اقول لها : « مع السلامة » ... فقد مضيت اركض وراء سيدة متزوجة ...

لو كان لي امرأة ... وضعت يدي في يدها ... وانطلقنا نتمشرون في احد الشوارع ... وبرز لي فجأة شاب .. راح يفرق زوجتي بنظراته .. ويركض وراءنا .. من رصيف الى رصيف ... فما عساني كنت افعل لسه ؟

لقد اختطفوها مني ... من قال اني لن اتزوجها ، كنت ما ازال طالبا في المدرسة ... يوم سرقوها من عيني ... وانا لا انوي ان اخطف احدا ...

كنت لي ذات يوم: انها لن تتزوج غيري ... واذا ارغمتها اهلها ان تقسم الي صدرها رجلا لا تعرفه . فانها

اماكنها .. ومضت تركض معها .. الناس يمضون من حولي .. انا ضائع على طرف الرصيف ... وهي وراء العربية تسرع .. كانها ذاهبة الى موعد .. لا يمكن تأجيله .. لا زالت الصورة لدي .. في درج طاولتي .. ومنذ ايام بعيدة .. لم اعد اخرجها لاضعها امامي على الطاولة وانغيب وراءها ساعات طويلا .. كنت اظن ان القصة قد انتهت عندما قالت لي ان الخسائم سينتقل بعد ايام الى اصبعها اليسرى ...

قلت يومها .
- هل اجيئك برسائلك وصورك ؟
- قالت :
- لا ... دعها معك ؟
- قلت :



بقلم نصر الدين البحرة
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- الا تخافين ان اريها لزوجك ؟
- قالت :
- انك لن تفعلها .

ولم افعلها ... غير اني صحت ذات ليلة .. ولم يكن قد مضى على في فراشي اكثر من ساعة .. اشتعلت سيكارة وجلست امام النافذة ... ادخن وابكي بلا دموع .. وقمت الى الطاولة .. فاخرجت رسائلها ... واسندت صورتها على مجموعة من الكتب ... « كان شعرك مرفوعا الى الخلف .. من وراء اذنك ... وكان يزيتها قرط مدور صغير . قررت وقتها ان اذهب الى زوجك ..



خيل الى انها نبتت في الشارع .. وحين التقت نظرانا احسبت انها عادت الي من عالم بعيد .. مغشى بالضباب .. لا زالت ملامحها هي نفسها .. كما احببتها منذ ثلاثة عشر عاما ، والبسمة اللطيفة .. المشرقة في عينيها .. ما يزال القفا حوتا .. كان رزم الايام المطوية .. لم تمسه .. كانت تدفع امامها عربة صغيرة .. فيها طفل وليد .. والى يمينها سار زوجها وهو يداعب شاربيه .. وعن يسارها كانت بنية صغيرة تنسبت بعقود العربية .. وتحث خطواتها لئلا تقصر ..

« اين كنت يا حبيبة ؟! يمكن ان تغيبك دمشق عني طوال ثمانين سنوات ؟! »

اعرف البيت الذي تسكنه ، ولقد حاولت كثيرا ان امر به عليها تظل من الشباك الملقق ابدا .. ظننت اني لا بد القاها يوما ترتب اصص الزهر على الشرفة .. وحسبت انني سارها وهي تعبر العتبة الى الزقاق .

« كثيرا ما اظلت درويبي .. لامسر ببابك .. وكنت ارى الشبايك ابدا مغلقة .. وبابك غارق في صمت موحش .. كانه ليبت هجرة اهله .. لم استطع ان امسح نظراتي بك وامضي .. كان قلبي يخفق كنجم يطلق برق له لأول مرة .. ماذا لو تفقير .. لننصاف ؟! »

وددت لو جمعت الناس في الشارع .. تميت لو اسدل ستارا كثيفا على العيون لاضمها الى صدري .. واضيع بين السحر ..

عندما يميل الدرب مع المنعطف لتغيب بعيدا وراء المنحنى .. فان اللهفة التي تشملي ستحرقني .. تماما كما رايتها اول مرة ..

« كنت تشدين كتيك بيديك الى صدرك .. وتضمين شعراتك البنية بمنديل اخضر .. اردت يسومها ان ادنو منك .. لاهمس في اذنك بجمع الكلمات التي غلت في صدري .. » اشعر ان حجارة الشارع قامت من

عيناه

مهدة الى البير ادب

ستتجسر .. ستقطع شربانها
بزجاجة ...

« لماذا تنظرين الى الوراء يا حبيبة
.. ايمنسن ؟ لم نعد
صغيرين ... »

او ان احدا انتبه الى انني امسر
وراءها .. فلا بد انني كنت سافرك
في بحار من الخجل ... قال لي
الحلاق أمس :

— تمشى الشيب في راسك .
وما برحت امني تذكرني :

— كبرت .. متى نزوجك ..

« كنا نلتقي على سطح البناية التي
تسكن فيها صديقك ... فاتكىء
على طرف السور وانت قربي .
واغمس نظرائي في الافق البعيد ..
كانت دمشق تبدو من تحتنا ، عند
الاصيل .. شاحبة ... واطراف
المآذن الملونة باشعة الشمس الغاربة
... كانت تظهر كعالي سوارى
الراكب في آخر البحر ... وسفوح
قاسيون الجرد .. كانت تتشابه في
ملل ... ورفيقتك تشاغل عنا بنسج
قطعة صوف بضارتها ... في حين
تخالسنا النظر بطرف عينها .. »

ما كنا نتصور وقتها ... اننا
سنلتقي ، كالفراة .. وبمضي كلانا
... كان ابادينا لم تتشابهك ...
وكانني لم اضمها يوما الى صدري ..
ولم اعد اراها .. كان الرصيف
انشق وطواها .. فمضيت الوب
عنها .. كطفل فقد امه في الزحام .
منذ لحظة كانت امامي ... لم يكن
ضروريا ان تنظر الي وتحترق عينها
في اعماقي ... كنت اتنى لو اسمع
صوتها .. لو انها تدوس على قدمي
بشدّة وتقول : عفوا .. ومع لسانها
لم يتحرك .. فقد كان يرصيني ان
اشعر انها تسير امامي ...
فوق هذه الاحجار كانت تدوس
بقدميها .. وهننا مع منعطف الطريق
التفتت فظنرت الي كأنها تقول :
مرحبا ..
ايمنسن ان اراها ثانية !!!؟ ..

دمشق نصر الدين البحرة

عيناه نبعها حكممة
سلكا سبيلك في الدني
« سيرين » انت على المدى
كنا جميعا « عولنا »
النجم يرشد فلكننا
والجسم مسرح روحنا
كتب المصير فصولها
انظر هنالك في الضحى
من شاعر سال الوجود
ترك الصدى عبر الصدى

عينان ملؤهما السما
غيم افاء عليهما
لولا رفيف الحب في
كحلا جمال ملائك
قدحا الخلود ، لما ظفرت

وبراءة وبصيرة
درب النهى يا غادتي
غنيت لحن غواية
نسري البحار لغاية
نمضي لغير نهاية
كل بلعب رواية
تظارها في دهشة
نورا اتى برسالة
« لن » وظل بحيرة (١)
في نظرة وبفكرة

صفعوا وعمق نقاوة
وانجاب بعد مظيرة
حدقين عند حبيبة
وتظلمنا في فريحة
ولا سمعت برحمة

http://Archivebeta.Sakhrit.com

زكي الحاسني

دمشق

عيناك

مهدة الى البير ادب

ابدا يشع جمال نفس
دنس ولا عيب ورجس
ونوره اشعاع شمس
رمد ، يعنني وحسي
وفي الصباح وحين تمشي
بها غنى عن كل مس
في « الادب » بكل كاس
لصاحبني ولي الناسي

بولس غانم

عيناك مرآة بها
لم تفتحنا حيننا على
بل شعنا يهدي « الادب »
افديهما عينين من
ودواء عينك في الغدو
نظرات عطف لا ينتيك
وتناول الادب المصفي
سبحان من كتب الشفاء

القاهرة

نجيب نصار

بقلم البدوي المثم

دورا هاما باجتهاد - الرجل المريض - الى جانيها ، فجاهر براهه ، ونصح ببقاء تركيا على الحياد وهو راي الكثرة من حكماء العرب في ذلك العهد وعلى راسهم المرحوم سليمان البستاني وزير التجارة والزراعة والمعادن فسي الدولة العثمانية ، الذي استقال من الوزارة دفعا عن رايه ، وان تعذر - الحياد - فلتنضع تركيا بدعا بيد الانكليز لانهم اقرباء في اسطولهم البحري عكس المانيا التي كانت تملك طرادين في البحر المتوسط في ذلك العهد ، والاقتناع الى الانكليز ليسول ارتباط اجزاء الدولة العثمانية بعضها ببعض .

كانت آراء نصار التي نادى بها منافية لرغبات المسؤولين العسكريين من الاتراك من جهة والسفير الالماني في الاستانة والقنصل الالماني العام في حيفا من جهة اخرى ، وحاول القنصل الالماني العام اقناع نصار بالكف عن الحملة التي شنها على الحلف الالماني - العثماني لكنه ابي الدفاع عن سياسة تؤدي قومه في صميم مصالحهم فاندفع في تحذيرهم لما يحاك لهم في الخفاء من مؤامرات ودسائس ولما بات جهود المسؤولين من الاتراك والامان بالفشل اتهموا نصارا بالخيانة ولسان حاله ينشد مع الشاعر قوله :

«حسبهم نصحي بمنعرج السوى فلم يستبينوا النصيح الا ضحى القد

ولكم تمنى نصار ارجاء الحرب العالمية الاولى ريع قرن ليتمنى للعرب التمرس في السياسة وتنظيم مجتمعهم واشاعة روح الجندية في نفوس ابناءهم ، واعتازا بتاريخ امته صف روائتي (نجدة العرب) و (وفاء العرب) وقد شكل لاجرة في الناصرة وحيفا عام ١٩١٩ وفي هاتين الروايتين صور عادات العرب وتقاليدهم ونخوتهم وهدفه تعريف بني قومه ، في سائر امصارهم ، بما كان السلف الصالح من مبادئ سامية واخلاق رفيعة ،

الى الناصرة : وضيق الاتراك وحلفاؤهم الخناق على نصار فادرك خطورة الموقف وآمن بالوشايات التي تحاك له في السر والعلن ، فتوارى عن الانظار وقصد اصدقاءه في الناصرة ربما تهدا الزواجع ضده ليتسنى له الوقوف امام محكمة عرفية دفعا عن نفسه ، وكان غنيا بالاصدقاء والانصار الذين ساعدوه على الفرار والاختباء في منازلهم وفي طليعتهم المرحوم كامل قعواري الذي فتح بيته في وجه الضيف الكبير والرحوم توفيق الفاوم والرحوم الشيخ وجيه زيد الكيلاني الذي كان يشغل في العهد العثماني منصب شيخ الاسلام في جزر القلبيين ، والذي اكد لجمال باشا (الصغير) اخلاص (الشيخ مفلح الفسائي (١) للدولة العثمانية بعد ان كان الباشا يحمل الحقد والكراهية لنصار .

الى شرق الاردن : وشعر نصار بأنه يعيش في دوامة من القلق والاضطراب فراح ينتقل بالخفاء في بعض المدن والقرى الفلسطينية الى ان اتبع له الوصول الى شرقى الاردن فنزل على صديق له اكرم وقادته وعرفه على عشيرته

(١) اسم مستعار اختاره المرحوم نجيب نصار لنفسه ، ولد ١٩٦٥ ونوفي ١٩٤٨ .

ولد المرحوم نجيب نصار في - عين عتب - بلبنان ويمم طبيا ليعمل صيدليا في المستشفى الاسكتلندي وغادرها الى حيفا لاحقا باخويه الدكتور اسير نصار طبيب الاسرالية الانكليزية وبراهيم نصار صاحب (فندق نصار) بحيفا

وفي (جارة الكرمل) جاهد نجيب جهاد المؤمن بربه ، الفخور بعربه ، وكان اول من تنبه الى الخطر الصهيوني المحدق بفلسطين والعالم العربي ، فنبه العرب الى طاعون البشرية ، وتميز ببعد النظر والثبات على المبدأ ، ولم تلن له فتاه في مناجزه الاتراك وفضح اهداف الصهيونية العالمية ، فجرد قلما عنيفا كرسه لمقارعة الخصوم والتنديد باصحاب النوايا السيئة .

وليدعم نصار القول بالعمل ، وليسجل صرخاته المدوية على القرائس اسس في حيفا عام ١٩٠٨ جريدة باسم « الكرمل » وحاول اولا التوفيق بين العرب والترك نقاديا للفرات التي تهدف الصهيونية العالمية والاندول الغربية السائرة في فلها الى احداتها في هيكال - الرجل المريض - واجازا على اغراءات الصهيونية للمسؤولين الاتراك ببلابيل الدناير وعشرت الحسنات واقناعهم بقبول قيام دولة اسرائيل - في فلسطين قلب العالم العربي اذ في قيساما مزابا للاتراك لا يحصرها عد او يحصيها حساب منها :

١ - سطر العالم العربي وتفتيت وحدته ،
٢ - فصل فلسطين عن مصر وسورية ولبنان والعراق وسائر الاقطار العربية ،
٣ - الحيلولة دون اتصال العرب ببعضهم ببعض جوا وبريا وبحرا ،

وفي كل عدد من اعداد (الكرمل) كان نصار ينبه الى الخطر الصهيوني المحدق ببلاده ، فتعددت حملاته ، وتعلالت صيحاته ، على صفحات جريدته لكنها لاقت السخرية والاستهزاء ، اذ لم يصدق العرب ان اليهود الذين ضرب عليهم الدلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله سيقومون في فلسطين ، المخوفة بشقيقاتها العربية دولة تحمل اسم - اسرائيل - ومن فرط سداجة عرب ذلك العهد لقب الكثيرون نصارا بـ « مجنون الصهيونية » وهم يجهلون ما يخفي هذا القلب وراءه من هزؤ واستخفاف برجل كان عالي الهمة ، حصيف الراي ، ذكي الجنان !

وقبيل نشوب الحرب العالمية الاولى تآثر نصار بالاحداث السياسية العالمية خصوصا بعد ان لعبت السياسة الالمانية

بقوله : « تخاصم ضيفنا مع اهله فجاءنا ليشترى فدائين يعناش منها ! » .

ولما شعر نصار باكتشاف امره اخذه صديقه الاردني وعرفته على احد رعاة الغنم وسأله ان يعتبر (الشيخ مفلح الفساني) ودبعا لديه ودعة في عنقه ، واوى - مفلح - الا ان يقاسم الراعي عمله فقام برعاية الغنم على اكمل وجه ، وذات يوم فوجيء بنفر من اصدقائه قادمين من الناصرة ، واخبروه بان اعز اصدقائه هناك سبق الى الديوان العربي بسببه ، وهناك جائزة مالية لن يرشد اليه او يقبض عليه . اخذ (الفساني) في تقليب الامر على اوجه شتى ، واخيرا قرر تسليم نفسه كرها منه بان يسمع ان اعز اصدقائه يلقى الهوان والعداب بسببه ، فانضم الى ركب اخوانه وعادوا جميعهم الى الناصرة وهناك استسلم لقائمقام الناصرة المرحوم فوزي ملكي الذي دهن لعوده نصار ، وعلى الفور تشكلت هيئة للاستطلاع بادرت نصارا بالسؤال عن تقيبه تلك المدة الطويلة ، فاستعان بالحكمة القائلة « غيب عن العين ينسك الفكر » وطلب نصار مقابلة جمال باشا (الصغير) فكان له ما اراد ، وعندما سأل عن تقيبه طيلة ثلاث سنوات اجابه (الشيخ مفلح الفساني) جوابا صريحا هو كرهه الصهيونية ومقاومتها بكل قواه ، ولهذا السبب كثرت اعداؤه وشاته نولد القلم الذي اصابه ، واستشهد بقصة عمر بن الخطاب الذي جلد ابنه امام جمع من الناس حتى فارق الحياة لاختلافه بالرأى لم يتزوجها .

واضاف الشيخ مفلح الى هذا قوله : « في عهد عمر بن الخطاب ، الكبير بعدله ، القليل برجائه ، كان خصوم المسلمين ينهزمون امامهم وفتوحات العرب تتسع ، وفي عهدهم يجوس العدو الديار ، رغم كثرة عددهم واتساع رقعة ملكهم ! »

وما ان اتم نصار عباراته هذه حتى انهمر الدمع من عيني (الباشا) لفرط تأثره بهذه الكلمات ووعد بانصافه ودفع كل اذى عنه .

وفي اليوم التالي سبق نصار مخفورا الى دمشق واودع سجن الديوان العربي وهناك لاقى صنوفا من العذاب ، وكثيرا ما فكر بالانتحار بواسطة مسمار مثبت في غرفة سجنه ، غير ان توصية جمال باشا (الصغير) به احدثت اثرا حسنا في نفوس سجانيه ، فعاملوه معاملة حسنة ، وعند متولاه امام المجلس العربي تليت عليه النهم العديدة فارتعد (الفساني) لدى سماعها ، ودافع عن رايه بصراحة وسئل عن رايه في الدعوة لوالاة الترك للانكليز في الحرب العالمية الاولى وما كتبه يوما في الكرمل : « يبقى الانسان حرا في اجتهاده ، حتى تدخل حكومة بلاد العرب ، فيجئند يتربط عليه ان ينطق بلسانها ، ويسرى بعينها ، ويسمع بأذنبا » فاجاب رئيس المجلس العربي بان رايه هذا كان نتيجة اجتهاد كالكثيرين الذين يؤيدون مخالفة

الانكليز ، وذكر انه كان يؤثر سياسة الحياذ اذا كان ذلك ممكنا !

ورفعت الجلسة وعاد نصار الى غرفته فقرر العين وبعد مرور ايام جاءه (الشاوش) وطلب منه ان يختار الغرفة التي يريد بها وهو حر في سجنه ، يحدث من يشاء ، فاختر غرفة كان يقضي فيها ساعات وحده في مكافحة العمل بعد ان يخلع ثيابه ويلتف بعباءته .

تكررت جلسته محاكمته الى ان بلغت اثنتي عشرة وفي احداها زجره احد الجند وهو في طريقه الى المحكمة ، وضربه بعقب بندقيته ، فمشى موجوعا ، وبعد ان فرغ الرئيس من استنطاقه خاطبه (الفساني) بقوله : « الى متى يا سيدي الرئيس تحصروني وتعودون بي تحت حراسة جند يسوقوني بالحرب والبنادق ؟ الص انا ؟ امجرم انا ؟ اخائن انا ؟ ان في كل كلمة خطنها يميني تتجلى آيات الاخلاص لقومي وولتي وحكومتني ، فلما ان نخرجوني بالكافة وتحاكموني طليقا واما ان تحكموا علي وتريحوني من التشهير بي والهوان والعداب ! »

اجابه الرئيس بقوله : « حتى جمال باشا يعجز عن اخلاء سبيلك بالكافة نظرا للنهم الموجهة اليك ، وهنا اعتذر (الفساني) لانه دخل المحكمة متأثرا وطلب رفع الجلسة فكان له ما اراد !

وبعد اسبوع تلقى (الفساني) نيا براءته مع مئة سجين عربي وعلى اشراف طاب مقابلة جمال باشا (الصغير) وشكره على موقفه الشرف في قضيته وتسلم منه توصية بعدم التعرض له وهو في طريقه الى الناصرة التي دخلها ليلقي في استقباله اخلا احيوه ، واخوانا اكرموه ، وشبانا اكبروا وطنيته .

بعد الاحتلال البريطاني : وبعد ان خفقت الراية البريطانية على ربوع فلسطين اسس نصار عام ١٩١٨ (الحزب العربي) في الناصرة وبمم نابلس ليؤسس فيها فرعا لحزبه فتصدى له الحاكم البريطاني وارغمه على العودة الى الناصرة مشيا على قدميه ، وبذلك انطلقت اولي الشراوات معلنة الحرب على بريطانيا واتخذ من (الكرمل) مسرحا لتفجعات قلمه اللاذع فجاهر بعدائه للصهيونية العالمية ودعا عام ١٩٢٠ الى تأسيس مكاتب للدعاية في عواصم اوربا فضحا لنوايا الصهيونية واقناعا للسلاسة المسؤولين بان صداقة العرب خير لهم وابقى .

وبعد ان استبان العرب سياسة الانكليز الرامية الى تهديد فلسطين وتقديمها لقمة سائفة للصهيونية شدد حملاته على بريطانيا وحارب سياسة « فرق تسد » التي جنتحت لها (لندن) مقرررة مصر الشعوب .

نصار وعرا : وفي عام ١٩٢٢ اعترف شاعر الاردن المرحوم مصطفى وهبي التل او قل (عرازا) (ووجد فيه عيا شاملا ونظرا ناقبا وميولا تشبهه ، الى حد بعيد ، ميوله ،

غيرتي

*

انتحني الا اغار وانت لى امل انتصار
لكن لانك طيف احلامي واغنية التهاجر
لكن لانك تروني .. ادعوك في لهف الصغار
واظل من لهفي اغار .. فانت .. انت هوى منار

بكوي وملمه الحرير .. وانت تمسح بالخير
فاني .. ونفث دربي الفيضان بالورد النسيم
وبداك سلسلتا هواي روى نوم بها العطور
ونتحنى الا اغار ، وانت همس كالغريب

اغلا يغار الزروق المحروم من شط النجاة ؟
اغلا يغار شواطئ سرفت اهازيج المياه ؟
اغلا يغار معذب .. مثل الحياة بلا هوا ؟
ونتحنى الا اغار وانت لى دفء الحياة

ان طال ليل الشوق والتبريح والدعم العصى
ان طال ليل الساهرين على صدى امل خفي
وعدا الفياض على الهلال الفسف في الاقلاق
فلسوف يصرح فجري الوستان اذ تنحو على

ويصوي السمات ازارها تعيش بجحري
ويغريها بيليك مالدني لتتمتع لهفتي
وفيت خلف هوى جديد .. رحت قلب صفحتي !!
اسيت سكر لى .. تبت هواي .. حبي .. نوبتي ؟

ارفق بقنديلي الذي يرتج كالقلب الجريح
بيدي لعابا شاحيا .. عصفت به انفاس ريح
فترنعت ومضانه .. كالطير .. كالطير الذبيح
وانا اشيعه بصمتي .. بالدموع .. ولا ابوح

واذا سكوت .. رجوت .. ابكتك الجليد .. نهيتني
واذا لجأت اليك استجدي رضاك .. عصيتني
وبرغم ذاك ارش دربك بالشذا والسوسن
وبرغم ذاك نتحنى الا اغار .. ظلمتني

القاهرة يوسف حسن نوفل

وليس في جريدته (الكرم) جراحة في الذود عن الحق
وسيفا مصلتا على الباطل وصراحة لا تشوبها غمغة في
تحذير العرب من الصهيونية البغيضة والطائفية المقيتة !
واخيرا عن لـ (عرار) و (نصار) ان يبشرا بالقومية
العربية ، ويحذر من العلاج الاجنبي ، فزارا الناصرة عام
١٩٢٢ لهذا الغرض ونصحا فئات فيها ان تشرك سياسة
الانجار بالدين .

وفي عام ١٩٢٤ شد كلاهما الرحال الى مدينة الكرك
وشرعا في الدعوة للوحدة العربية ومناجزة الاستعمار
والتحليق بالوطن عن كل مهاترة واسفاف ، ومما قال نصار
في هذا الصدد :

« ان الطائفية بذرة شريرة بلدها الاستعمار ليرتكز في
سيادته عليها والتحكم بمقدوراتنا عملا بسياسة « فرق تد »
فلنعبد الله أولا ، ولنصل للوطن ثانيا ، فليس الانبياء
ولا القرآن والانجيل بحاجة الى شجار باسم الدين ، فالدين
لله والوطن للجميع !

ان من اهداف الاستعمار اثارة التفرقات الطائفية في
بلادنا ، وللقضاء على هذه الروح الخبيثة ينبغي توحيد
المذاهب الاسلامي والمسيحي في بلاد العرب ، وبما ان
المسلمين العرب يؤلفون الاكثية الساحقة لذا يجهل
بالمسيحيين العرق اعتناق الاسلام وهو دستور عربي جعل
رايته النبي العربي الكريم القائل : « الخلق كلهم عيال الله
فاحبهم اليه انفعهم لعياله » .

وانشد (عرار) بلسان - ابي محمد - مارون عبود :
انجيل (عيسى) او كتاب (محمد) سيات عنيني في (العروبة) محبتي
ان كان (عيسى) للسلام يقودني فكلاد (احمد) للسلامة مرشدي
(خوري الكنيسة) لا يقول لنا اسعوا والعنني ينهي عنه (شيخ المسجد)
فصلام يقودن الضلال بقولهم هذا (مسيحي) وذاك (محمدي) !!

وفي عام ١٩٢٣ علا صوت (نصار) محذرا قومه من بيع
الاراضي لليهود ، وعندما افلس من صراخه كتب مخاطبا
اياهم باله وحرارة : « لقد فني قلعي ، وبع صوتي وانا اكتب
اليكم بالامتناع عن بيع الاراضي ولكني الان اقول لكم بانني
اعرف تماما ان الكل منكم يباع من الباب حتى المحارب ...
لكن يا هوه ... اكراما لله ، اكراما لانبيائه ، حفظا على
شرف نساتكم ، حفظا على اطفالكم ، اذا كنتم تصرون على
البيع ، فيبيعوا على الاقل في الداخلية ولا تسلموا الشواطئ
لاعدائكم لان دولة يهودية ستنشأ هناك ، وستصبح متكا
للاستعمار وخنجرا ساما في شاكلة العرب » .

وعلى الاثر تجددت الحملة عليه واقلقت جريدته مرات
وسيقنت زوجته (ام فاروق) للسجن وفي عام ١٩٤٠
اقلقت السلطات البريطانية جريدته نهائيا فكتب آخر كلماته
« وداعا يا عرب ، الى جو اقل اختناقا ! ولجا الشيخ
مفلح القسائي الى بيسان عند انسيائه آل وبيه الى ان
قضى نحبه مخلفا تاريا حافلا بالجرأة والجهاد والتضحية
في سبيل عقيدته وقومه .

ومات (ابو شفيق) ياسا من الامة التي تحذر منها ،
مكررا كلمة الفيلسوف المرحوم شبلي شميل : « انا من امة
لو عرفت ان الشتيمة تنفعني لفضت بها علي ! »

البديوي المثلث

عمان



محمد رجب البيومي

ملكة فرعونية بقدرتها الشعب

بقلم محمد رجب البيومي

منذ عشرين عاما قوات قصة (كفاح طيبة) التي اصدرها الاستاذ نجيب محفوظ اذ ذاك، تصور بها مرحلة من مراحل الجهاد المصري حين هب الوطنيون ثائرين على اليكسوس الدخلاء ، وقد ابدع الكاتب كعادته في تصوير المواقف واستيعاء الحياة حتى حبيب لنا ان نميز بين الفسنة والفسنة الى قراءه التاريخ الفرعوني لنقتبس من روايته الخالدة ما يبعث العقيدة في نفوس الشريكين بعامة والمصريين بخاصة ! وكان مما اثار اعجابي بين شخصيات القصة مواقف الملكة الكبيرة تيتي شيري ، فقد سجلت من خالده الاعمال فني مشاعر الكفاح ما يجب ان يدرسه المعينون بتاريخ المرأة على تناسل الاحقاب فليست بأقل اطلاقا من حثيوت صاحبة الذكر المدي في تاريخ الفراعنة ! وكنت اظن ان ريشة القصص الفئان قد بالغت كثيرا في تجسيم مواقف الملكة ، اذ ان من حقها ان يضيف الى اعمالها ما يبرز بعض المعاني التي يحرص على ترسيخها ، فله ان يسد بخياله بعض الثغرات التي تنفرج كثيرا في مواقف التاريخ لا سيما اذا تجددت القصة عن عهد غامض لا تضيئه غير اعداد التقاب ! ولكني حين رجعت الى المظان المختلفة في التاريخ الفرعوني رايت للملكة من الجادة والرفعة ما يضعها الموضع الذي اختاره المؤلف لها دون تزديد او اختلاق ، واقر بمرجع لدينا الان هو الجزء الرابع من كتاب مصر القديمة الذي اخرجته المؤرخ الاثري الكبير الاستاذ سليم حسن فقد حفظ لها مكانها الصحيح في دراسة منهجية تعتمد على الآثار الملموسة ، وتستند الى الحقائق المشهوده فهي ابداع

ما تكون عن خيال الفنان ، وتحليق القصاص ! والمدهش حقاً ان هذه الرواية الزعيمة كانت من سواد الشعب ، ولم تنحدر من نسل الملكات كغيرها من زوجات الفراعين وذلك يفسر عدم وجود اسمها في قائمة (ارباب القرب) التي حفلت بذكر الملوك والملكات من النسل الملكي الخالص ! حيث كان مباحا للملك ! اذ ذاك ان يزوج اخيه وبعض محارمه دون اعتراض ، ولن يضرها ذلك في شيء بل اضاف الى المعاني الانسانية دليلا على ان الرئاسة لا تنحصر في افراد دون اراد واين كليوناته منها مثلا ! وهي ذات النسب الصاعد في شجرة المالك والاقبال ! وقد كانت غانية فتفتح صيدها لكل غاز فاتح لا ملكة تقدر مكان القيادة في دولتها المنظمة الى الاستقلال ، ولعل ما يبرز مكانة هذه الملكة العظيمة ما سجلته الآثار من حديث حفيدها البطل احمس عنها فقد تعاطفه ما قامت به من نضال ورأى ان ينقل تابوتها من طيبة الى حيث تحتل معبدا مقدسا وهرا ساقا في العراة المدفونة بالصعيد ، ولن يكون ذلك نعر مجاهدة ذات نضال ، وها هو ذا يخطب زوجته الملكة نفراتري - فيما نقل الدكتور سليم حسن ص ٢١٤ ج ١ من موسوعة مصر القديمة - فيقول « اني كنت افكر في والده الذي ينفي لان جلالي يرغب في إقامة هرم لها ومخرب في جبانة العراة المدفونة بمثابة اثر لها ، تقدر بحيرته ومؤسس ثرواته وتقرس حوله الاشجار وبعد بالرجال الذين تحبس عليهم الاراضي ذوات الماشية والزروع ، وسيكون لها كهنة خطايين ، وقراء مزلون يصرف كل وانجبه نحو المعبد وصاحته » .

ثم ياتر باشاة ذلك كاله ، ! واحمس بعد هو بطل الانحلال والارباب اليكسوس فهو درى بما قامت به جديته من اعمال ! وستحادل الآن ان تخلص دورها في هذا المجال .

لقد زحفت كتاب اليكسوس في اواخر القرن السابع عشر قبل الميلاد على مصر كما نزحفت السيول الجارفة ما تذر من شيء اتت عليه ، نامعت في البلاد قتلا وتدميرا واستطاعت بالقوة الفاشمة والطفان المدمر ان تقتصب الدلتا غصبا ، وان تنجح جنوبا الى منف وهرموبوليس . ثم وجدت من وسائل الرفاهية وطيب العيش في بلاد النضرة والغصب والجمال ما حبيب اليها الدعة والراحة فاوقفت الفزو وشرعت تنهل افانوق السعادة مما يتلاطم حولها من خير وثراء بعد ان كانت في صحراء مجربة لا تجد ما يسك الا بغير الجهد اللبغ ، والعناء المرير وكانت « انريس » عاصمة المحتلين الانص بها صولجان الحكم ومقر الادارة وبها معبد الالههم المعبود « سيت » .

اما الفراعنة من اصحاب الحكم الشرعي في البلاد فقد فروا الى طيبة كانوا في تنازع وتقاتل رغم ما دهمهم من كوارث الاحتلال واهوال الرعاة ، وكان على عرشهم امير ضعيف خائر يتربع كرسية الواهن في مهبط الرياح ، الا ان القدر ساق اليه زوجة ذكية حازمة هي الفتاة الرائعة « تيتي

قد سيطرت على الموقف سيطرة اليمية فسقط «سيكنز»
 الباسل سرعيا وفرت فلول الكتائب المهزومة الى طيبة تحمل
 الى «تيي شيري» البيا الرهيب، ولك ان تعجب لصاحبة
 هذه الاعصاب القوية، فقد تلقت نعي ولدها الحبيب بنيات
 وصبر وسكبت دموعا لم تكذ تساقط حتى مسحها فسي
 اباة وكبرياء ثم جمعت اصدقاءها الاقربين وقررت تعيين
 حفيدها الامير «كاموس» ملكا بعد والده وأشارت بالرحيل
 الى الجنوب لتجد اهلها هناك فسيحيا لهاهب والاستعداد
 ودخلت الجيوش المنتصرة طيبة وارتفع علم الهكسوس في
 بلاد عزيزة لم تعرف الضيم والاستخذاء! وذاق المصريون
 مرارة اليمية من تحكم الغاصب واستهتاره بكل مقدس
 مرموق بينما اخذت الحمية تتأجج وتضرم في نفوس
 المهاجرين الى الجنوب فاقسمت تيي شيري ان تمتنع عن
 كل متعة ورفعة حتى تعود طيبة الى اصحابها الامجاد
 وأشارت على كاموس فاخذ يستخدم من رجال طيبة اعوانا
 يلودون به فتسربت اليه وفود كثيرة من ذوي الحفيظة
 والاباء، وفي سهول الثوبة وبين ربوعها الموحشة نهضت
 عمليات التدريب على قدم وساق ونشط المصريون نشاطا
 رهيبا في اعداد العجلات الحربية وتهيئة
 الرماح والقيس وبناء الاسطول المصري، وكان منظر الام
 المقدسة رافعا عجبيا اذ تطوف بين الجموع مشجعة ملهمة،
 وقد استأثرت عواطفهم الدينية استشارة فهاورة عامرة
 فذكرت لهم ان معبد الاله آمون قد اقل طيبة الى الابد،
 وان معبد «سيت» الاله الهكسوس اصبح عامرا الاقا يوفود
 المحتلين من جميع الرعايا ودمعاه الاوابا ممن يملكون الغناد
 القوي والاباء والشرف والانسانية والوفاء!! وقد بالغت
 الام المقدسة في حديثها فذكرت ان ارواح الشهداء تزعمها
 في منامها مطالبة بالنار، وان الاله آمون نفسه قد جاءها
 عدة مرات بدعواها الى الانتقام، وبعدها بالنصر السريع!!
 وكان لكل ذلك اثره العجيب فاندفعت النفوس في سباق
 جنوني الى التاهب للتضحية والاستبسال، ولم تفضل عشر
 سنوات حتى كانت كتائب الجنوب تزحف الى الشمال في
 عزم واصرار... وكان الهكسوس لا يتوهمون عودة للفراعة
 الاصليين، بعد ان تركوا الديار ولادوا بالقرار، فرك اكثر
 المحتلين الى الدعة ووجدوا في طيبة ملاذا لبيهة ومرادا
 للنعم والصفاء، فلم تعد سيوفهم تحشد استعدادا لموقعة
 حاسمة او موقف رهيب حتى اخذتهم جيوش كاموس اخذا
 وببلا، فالتبتهت عيونهم على الخطر المحدث فجأة، كما
 ينتبه النائم من مرقد، فيجد النار تحيط به من كل مكان!!
 واخذت مدنهم تتساقط كاوراق الخريف مدينة وراء مدينة،
 ولا نعتي بذلك انهم احجموا عن المقاومة والدفاع بل بذلوا
 جهدا جاهدا لم يصاحبه لدى المصريين من حفيظة
 وغضب، فرجحت كفة الوطنيين وتسربت الفلول المهزومة
 متراجعة نحو العاصمة في الشمال وفي اكبادها غيظ

شيري «فادركت ما يحيط بها من المزعجات، وصرفت
 جهدها الجاهد على صغر سنها - في تثبيت الدعائم
 ومحاربة الدسائس حتى قوي مركز زوجها «طاو» وتدخلت
 هذه التدخل في تعيين الرؤساء واختيار الاكفاء، مما اكسبها
 منزلة قوية ومكانة مرموية في النفوس، وحين فاجأها
 الموت باخطاف زوجها العزيز لم تجزع ولم تهين بل اسندت
 الحكم الى نجلها الصغير «سيكنز» وقاومت الدسائس
 بكل قوة وايمان، وقد ادركت بذكائها المالح ما للقوى
 الشعبية من تأثير فعال في توطيد الملك فانجبت الى الشعب
 تشاركه باسائه، وتخلط بآبائه في المعابد والمواسم سامعة
 مستشيرة حتى اجتمعت حولها القلوب وسميت «الام
 المقدسة» فكان ذكرها الذائع عطرا جميلا ينفج الافواه
 والاسماع، وقد وقفت وراء نجلها العزيز تذكى حوقده
 النائرة على المتصمين، وتؤكد له ما يعاينه المصريون من بلاء
 ذرع في الدلتا تحت كابوس المحتل البغيض، وتدعوه الى
 تعبئة الكتائب واخذ الالهة لتصبح مصر جميعها في يد
 ابنائها الاكرمين، وكانت تذهب الى معبد آمون فتقابل
 الكهنة وتدعومهم الى اذكاء العواطف بالقبض لهؤلاء الدلاء
 حتى اصبحت طيبة مرجلا يغلي بالسخط والانتقام والسنة
 تجار بالنار والحفيظة!

وكان القدر كان يهيئ لذلك البركان النار ان يتفجر في
 مدى قريب فقد جاءت رسل ملك الشمال «ابو قيس»
 عظيم الهكسوس تطالب ملك الجنوب «سيكنز» باثياء
 جارة تعتبر امانة قاسية للمصريين، فهو يدعو اولا صاحب
 طيبة ان يتزع تاجه من فوق راسه اذ لا يليق بمصر ان يرفع
 بها تاجان مختلفان، احدثها في الشمال وانابها في
 الجنوب، ثم يطالب ثانيا باثياء معبد لاله الهكسوس
 «سيت» في طيبة متناسيا ان معبد الاله آمون ملاذ
 الارواح وموضع المهابة والتقدس، ثم يشتد ثالثا فيطالب
 بديع تماسيح البحر المقدسة لان اصواتها تشرذ نومه اذا
 اغفى في القلام، وواضح ان الوضوح ما بهذه المطالب
 الجائرة من استهانة واستهتار فهي تطعن القرامة الوطنية
 في الصميم ثم تزيد فتنتهك القداسة الدينية انتهاكا ترخص
 بازانة الارواح، وتسيل دونه الدماء، وقد اجتمع المصريون
 على رفضها رفضا حاسما جريئا كان موضع الدهشة لدى
 السفراء، وخلا الملك الشاب بوالدته الحازمة فاذكت
 عزيمته وأشارت عليه بحشد القوى الجبارة استعدادا
 للمعركة الهيبية، اذ لا يعقل ان يسكت ابو قيس امام هذا
 الرفض الصريح، وكان ما توقعتم «تيي شيري» ان
 يكون، فلم يعض غير قليل من الوقت السريع حتى زحفت
 سيول الهكسوس على طيبة، وتوجهت الكتائب لللاقاتها في
 ميدان فسح يجمع بالعجلات الحربية ويمتلئ بالخيول
 والحراة ودارت معركة رهيبية بذل المصريون فيها دماءهم
 رخيصة هينة وابدوا من ضروب البسالة ما كان موضع
 الحيرة والاندعاش، الا ان الكثرة الكاثرة في الجنود والآلات

المسافر

•

كانت الطائفة تهتز وتزعج
كان ينتظر
كان يكتب
دعما انحدرت ، فصحبها بكم قميصه
عندما انطفت فتاديل اشبيلية
رحل مع الليل والنجوم
فالت له امه : وداعا !
لوب الطائفة الأزرق
شرارات ابدية وابواب مغلقة
فراشة ليلية
تواجه النصف المظلم من القمر
فالت له امه : وداعا !
عندما كانت اشبيلية تحضر
والفتاديل تنطفئ
صيحة تنطق وزجاج يتحطم
من يبيكي تحت نافذة الليل الطويل ؟

الربع مصعب الجدران
قوداما يا اشبيلية
كان الفلاس العربي ينهض من فوق الانقاض
حاملا مفتاح بيته السليب معه
فالت له امه : وداعا
وها هو ذا يعود
الرباع الاربع والليل والنجوم
كان يكتب
فأشبيلية لا تزال بعيدة

هند نووي

القاهرة

يتضرم وبين آماقها دموع ساخنة تتساقط حزنا على المجد
الداوي والعرش المنهار !!

ترى هل سألت الايام « تيتي شيري » بعد حرب ونزال !!
ان القدر يعد لها كارثة مروعة خطيرة تعصف بالاشداء من
بني الانسان فكيف بالسيدات المرهفات !! لقد حملت لها
الابناء مصرع حفيدها « كاموس » في معركة رهبة انتهت
بظفر المصريين وانتصارهم الميمون !

ووقفت الام الحزينة تتلقى النبا الصاعق للمرة الثالثة
وتذكر كيف ذاقتم مرارة العذاب حين مات زوجها « طاو »
ثم كابدتها اليمه محرفة حين صرع ولدها « سيكنز »
وها هي ذي تكاد تنزع متساقطة حين يصدمها مصرع
حفيدها الباسل « كاموس » !! يا للرياح العاصفة اخذت
تلاطم حول دوحة عميقة الجذور مرتفعة الغصان فتميل
بها ذات اليمين وذات اليسار ، الا انها لم تستطع ان تنتزع
قوتها الكامنة في اعماق التراب ، هكذا كانت الام المقدسة
تمتابل وتفرغ الا ان قدمها راسخة ثابتة لم تزل ، فاعتصمت
بشجاعته الخارقة ونادت بالامير أحسن حفيدها الثاني
ملكا شرعيا على البلاد وزوجته اخته « نفارتاي » وكان قائدا
شجاعا نشأ في شجيج الكتاب ورئيس الآلات فواصل
الزحف منتصرا ميمونا حتى وصل بكتابه الطافرة الى
« انابريس » عاصمة الهكسوس ، واعتصمت بأسوارها
الحصينة وارباجها الشاهقة فحاصرها ثلاث سنوات متتالية
لا يجد اليأس الى قلبه سبيلا حتى نفذ ما بها من طعام
وشراب وانذع الحاصرون مستبشرين الى قتال احمق
باطش فذارت عليهم كؤوس الموت وتلقمهم سيوف المصريين
من كل مكان وفر نفر قليل الى فلسطين حيث كانوا اول
عدهم فتعقبهم احمس في كل مكان ونظروا الوادي من
الدخلاء ، وعاد النيل يجري رائق الصفحة سائغ المشرب
صافيا هنيئا لابنائته الاوفياء !! وقد تم النصر النهائي في
حلقات متعاقبة بدات « ببيكنز » وختمت بأحمس وقد
ظلت تنتقل حلقة حلقة في يد الام المقدسة فتباركها وتؤيدها
وتهديها الطريق المستقيم !!

سعدت تيتي بالنصر وقد ذاقتم حلاوته الهنيئة ، فركنت
الى الراحة الهادئة وعكفت على القراءة والعبادة في خريفها
الشاحب ، وكانت تشعر بلدة منتشية حين ترسل عينها
في فضاء طيبة فتجدها متحررة ثم تجول بخاطرها في
آفاق الشمال الحبيب فتلمس برد الراحة حين تعلم ان
الهكسوس قد رحلوا الى غير عودة واخذت تنتظر الموت
لتنلغ ولدها الاول سيكنز وحفيدها العزيز كاموس ما
احرزته من نجاح وتوفيق !! وقد هبط عليها في امسية
هادئة فاسلمت الروح راضية مرضية واحتفلت البلاد
بتوديعها الى مقراها الاخير احتفال المقدر العارف فاقم لها
قبر ومعبد في طيبة ثم دفع التقدير حفيدها احمس الى
بناء معبد آخر لها في ابيدوس ولم تفض خمس سنوات على
رحيلها الفاجع حتى هاجت شجون احمس على فراقها

وانتفضت عليه احزانه من جديد فحاول تهدئة شجونه
الثائرة فاقام حديقة غناء وغرس الاشجار الباسقة واجرى
الماء في ربوة عالية ، ثم بنى حرما واقام معبدا ثالثا لفقيده
العزيرة !! لنظ尔 مجال الذكرى وموضع الاسوة والاعتبار ،
وقد عصفت الايام بالهرم والحديقة والمعابد الثلاثة وبقيت
الذكرى العاطرة شذى ينفع الاجيال ونفعا يمتع الزمان .
محمد رجب البيومي

القيوم

لما ترددنا في اختيار شكسبير .. وصديق الكاتب العظيم في قولته هذه ، فالهند طارت من الامبراطورية البريطانية ، وبقي شكسبير مفخرة الانكليز الخالدة ، ودرة جامعة الشعوب التي تتكلم الانكليزية ، بل هو اروع تراث للانسانية في كل زمان ومكان تهلل من عبقرية النور والهدى ، وتزداد معرفة بالنفس والحياة .

ولا يخالف احد الشك في ان المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود كان عبقرية فذة شمع نورها في دنيا العرب ، فعلايتها بالعظمة الشاذة التي بهرت العالم ، فتوفر عليها باحثون كثيرون من مختلف الامم الغربية والشرقية يجلون اسرارها ، ويسهبون غورها ، ويستنطقون امجادها ، فالعبقرية ليست ملكا للامة التي تنجبها ، بل هي تراث وضيء للانسانية تقبس منها الحكمة في سيرها نحو غايتها المثلى .

والجزيرة العربية انتظرت الف عام حتى جاد الله عليها بهذه العبقرية المتقدة ، المتعددة الافان والالوان ، فالملك عبد العزيز اسس ملكا عظيما يعزيمته الجبارة ، وشيده على اسس راسخة من الحب والتفاني ، ووحده الجزيرة العربية التي كانت تتوزعها امارات متناكرة متناحرة ، تضطرم بها فتن هوجاء عصفت بكل جليل وخير ، وذادت عنها الامن والاستقرار ، وشعت هذه العبقرية فوحدت الاجزاء المتبثرة وساد الامن حتى اصبح مضرب المثل في العالم ، ومع الرخاء جمع الناس ، وامنوا الى يومهم وغداهم ، وعاد للاسلام غايي مجده ، بعد ان احيت سنته الشريفة واستمعادت الجزيرة مجيها عندما كانت متارة تهدي العالم الى الحق والخير ، والواقع ان عبقرية الملك عبد العزيز لا حدود لها نفلت في غوص وعمق الى جميع الوان الحياة : الحرب ، والادارة ، والسياسة ، والحكم الرشيد ، والفكر النير ، ومن طبيعة العبقرية ان تسبق زمنها ، فعندما اعتمدت الدول العربية خوض حرب فلسطين نصحبهم باقتصار الحرب على اهل فلسطين انفسهم ، ومدهم بالمال والعناد والرجال .. ولم تنفخوا بهذه الكلمة الائمة .. وها هم الان يعودون الى هذا الراي الصائب بعد عشرين سنة من النكبة والمحنة ، يعملون على خلق الكيان الفلسطيني لاسترداد حقنا السليب المهيض .

وامتازت هذه العبقرية بالرحمة الشاملة ، والحب الانساني الذي لا نخوم له ، فقد كان لا يسعده مثل الرخاء الذي يعم شعبه ، وكان يردد باستمرار : اذا لم يثر الشعب في عهدي ، فمتي يثر ؟ ولهذا كانت خزائنه للشعب ينفذ عليه خيرها الوفير ، وباسم الشعب وهب الكثير من قصوره الملكية لتكون مدارس ومستشفيات . ولهذا عندما انتقل الى رحمة تعالى لم يبق احد في المملكة العربية السعودية الا ونف قلبه دما على ملكه الراحل .

ومن الطبيعي ان تعرف هذه العبقرية حق العبقرية ، وتكرم الفن والفكر ، وتعرف قيمتهما الحقيقية التي هي



محمد حاج حسين

الملك عبد العزيز والعقاد

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

كان فرانسوا الاول ملك فرنسا اذا اجتمع بفقاه اطفال الملك معه ساعات يجاذبه الحديث ، ويستمع الى آرائه ، ويستنطقه اسرار فنه ، ويستمتع بروية العبقرية العظيمة فيه ، بينما الوزراء في الخارج ينتظرونه ، يحرقون الارم على هذا الاهمال ، ويستخطون على الملك الذي فرغ لهذا الفنان حتى كاد يساهم . وذات مرة عالتوه باحتجاجهم الصاخب على هذا الاهمال المزري ، فهم لا يفهمون كيف يؤثر عليهم الملك هذا الاديب الذي يفرغ له دحنا مديدا من الزمن . وتفجرت ضحكة الملك مرئاة ، وقال : انني استطيع ان اخلق بمرسوم مئة وزير .. اما العبقرية ، فهي من صنع الله .

هذه السطور المضئية في تاريخ هذا الملك العظيم هي اروع ما في سيرته الشامخة ، فقد ظلت باسعة فني تفر الخاود تتناقلها الانسانية مزهوه بها ، كتراث ساجد يشدو لعظمة الفن والفكر ، وسبق بها فرانسوا الاول الى الدفوة من العظمة المتألثة ، فعظمة رعاية المواطف ، وحدادة الفكر على الله ، وتمجيدهم تمجيد للعبقرية التي يجود بها الله على الانسانية بين الفينة والاخرى ليطرده سيرها نحو التقدم وتبلغ غايتها من الرقي المشهود ، وعظمة كل امة لا تقاس الا بما تنجب من افئاذ الفن والفكر ، فهم الذين يزنبون مفرقها باكاليل الفار . يقول كارليل في كتابه الابطال : لو خرينا بين شكسبير والهند - وكانت درة التاج البريطاني آنذاك

اليه العقاد والفرحة تبرز من عينيه ، وتومض في أعماقه لهذه اللغة الكريمة التي اضافها الى تكميله السابق الذي كان اسعد لحظة عبرت في حياته . ونهض جلالتة يستقبله ، والإشمامة الكريمة تنير وجهه الطلق . وطلق العقاد زنجي شكره العميق على هذا التكريم العظيم الذي كان اسعد لحظات حياته ، ويعتبره ارقى وسام يمكن أن يناله انسان . وتحدث جلالتة بصوته الرزين العميق النبرات الذي ينفذ الى اغوار القلوب مديدا اعجابه بالعقاد ، وحده عن عبقريته محمد ، هذا السفر الجليل الذي استمتع به ، ودعا له بالخير .. ثم قال : انني اغبطك على عملك .. واتمنى لو كنت مجرد طالب علم انقطع اليه .. انني افضل هذا على الملك .

واردف جلالتة بعد قليل : اذا سقطت ورقة من شجرة اخاف ان يحاسبني الله عليها . ان مسؤوليتي عظيمة ، فجميع افراد الشعب في عهدي ، وارجو من الله ان يساعدني برحمته حتى لا اقصر في حق احد منهم . انني اخاف الله الذي امتحنني بهذا الملك لخدم خلقه .. ومن هذا ترى ان المسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقي تنوء بها الجبال .. ولهذا انت اوفر حقا مني .. ان الانقطاع الى العلم اجمل عمل مفيد للانسانية اذا اخلص حامله النية لله وعمله . ومسار الإعجاب بالعقاد .. انه يرى بعينه ، ويلمس يديه الحكم الصالح الذي دعا اليه الاسلام ، والذي كان هدف الخلفاء الراشدين الذين نظروا الدنيا بما فيها الجميلة . وعندهم الذي اصبح ارووع درس تلقته الاجيال تشييد الحكم على أسس العدالة والحق والخير . وجاء احد الخدم يحمل قايكة ، واصاب جلالتة منها السيسر . وكان يقدم منها للعقاد بيده الكريمة ، حتى اذا ما انتهيا من تناولها حمل الخادم ابريق ماء ، وصب منه على يدي جلالة الملك . وبعد ان انتهى من غسل يديه ، اخذ جلالتة الابريق ، وعطف على العقاد قائلا : تفضل .. اغسل يديك .

وبهت العقاد .. الى هذا الحد وصلت الرعاية الكريمة؟ وتعثرت الكلمات في فمه ، وهو يقول : يا مولاي . ارجو ان تعفيني من هذه الرعاية الزائدة . ان هذا الخادم يستطيع ان يسكب لي الماء .

واستبسم جلالتة ، وقال : لا .. يا استاذ . انني سعيد في سكب الماء على يديك .. انني اكرم فيك العلم .. اسمى ما في الوجود .

واعتذر العقاد ، ولكن جلالتة اصر ، وعنا اخيرا للرغبة الخيرة .. والخجل يتعثر به ، وبغمغم بشكره الوافر لهذه الرعاية التي انت فوق ما يتصوره انسان .

لقد ارتفع جلالتة في هذا الى دنيا تنوح بالالسق والروحانية الباذخة ، وهو في هذا العمل النبيل احيا سنة السلف الصالح عندما كانت الامة العربية تبهر العالم في لآلأ مجدها . وقال ابو العيلاء - وهو عالم اعمى - تعشيت

جوهر الحياة ، والاساس الذي تركز عليه ، وموقفه مع الاستاذ العقاد رحمه الله آية على هذه العظمة الروحية التي يهت العالم بسناها .. وهذا الموقف الانساني النبيل ارووع للفن والفكر ، وهو قمين ان يعرفه كل اديب عربي ليدرك ان الملك الراحل بلغ في تكريم الفكر تكريما بلغ القمة ، ولم يبق فيه زيادة لمستزبد .. فمما لا شك فيه ان اولئك الذين يخضلون مهجهم في سبيل الحق والخير والجمال في امتنا العربية يعانون الكثير من الجحود والتكران والازورار حتى اصبح الفكر يتعثر في خيبة مريرة .

لقد روى لي الاستاذ عبد الغفور العطار الاديب السعودي الكبير انه عندما دعا ملك مصر السابق فاروق جلالة الملك عبد العزيز لزيارة مصر اودع الى مكة المكرمة بعض شرف لترافق جلالتة في رحلته الميمونة ، تضم بعض الوزراء ، ورجال الحاشية ، برئاسة الامير السابق عبد المنعم . وكان بين افراد هذه البعثة الاستاذ عباس محمود العقاد . وكان الملك عبد العزيز قد قرأ كتابه عبقريته محمد ، فاعجب به ، ودعا له بالتوفيق .. ولما تشرفت البعثة بمقابلة الملك عبد العزيز ، وقدم له افرادها .. وجاء دور الاستاذ العقاد .. وبمجرد ان سمع جلالتة اسمه فوجئت البعثة بجلالة الملك عبد العزيز يسارع الى الانحناء للعقاد قبل ان يتحرك له المجال للانحناء والتحية .. ودار رأس العقاد .. وهو في حلم ام في حقيقة ؟ ما هذا التكريم الرائع الذي يلاقيه من اسد الجزيرة الذي طبق صيته الخافقين ؟ وبهم عليه الامر لاول وهلة .. ثم تيفظ على الحقيقة .. ان اسد الجزيرة يمنحه تكريما لم يعهده من قبل ، ويقره بالحب والاحترام اكثر من جميع افراد البعثة التي اتردح فيها الوزراء والباشوات من اصحاب الدولة والمعالى . وعظمت الحقيقة الباهرة الاضواء مرة ثانية عندما تطفف جلالتة ، فدعا الى الجلوس عن يمينه ، بينما جلس رئيس بعثة الشرف الامير عبد المنعم عن يساره . وراح جلالتة يرحب به في حرارة ، وبطري مواعبه الادبية المتنازة ، وفكره النير ، والعقاد في ذهول ، والباشوات في عجب شديد ، وعندهم ان المجد نقاس بالالاقاب ، والوزارة .. فاتهم ان العبقريته تنزع بطبيعتها الى العبقريته ، لان عظمتها مستمدة من الله ، وعظمتهم آتية مستمدة من المراسيم التي تبدها مراسيم اخرى ، فتعود الى ضالتها الاولى .

وانطلقت السعادة تغمر الاستاذ العقاد لهذه الرعاية الكريمة ، وهو الذي لاقى العنت الكثير ، فاضطهد ، وسجن ، وآذوه حتى كادوا يجرمونهم لقمعة العيش .. وما هو اسد الجزيرة بقدر عليه كل هذا الاحترام والتكريم ، والرعاية والحب . وادرك ان جلالتة يكرم في شخصه الفكر العربي الذي كان يعاني في تلك الفترة الاذى والجحود من اولئك الذين يقبضون على مقاييل الحكم في بلاد العرب .

ولم يقتصر اسد الجزيرة على هذا التكريم الحافل ، ففي اليوم التالي ارسل بدعوه لجلسة خاصة في قصره ، وخف

انعام جريحة

ولا نعلم ماذا نسمي لها الايام ...
واتنا زهرة نامية في شجرة الحياة العجيبة
اجعل كيف جئت ولا اعلم عن مصيري شيئاً!!!

الببل الذي عرف الزهرة في الربيع
وانتني بظفها اللذيد
ففتني الزهر والمطر وانشد الهوى والحنان ..
هذا الببل ماذا تراه بفني
اذا احرق الصيف زهرته المفصلة وطواها
النسيان !!!

سيذبل العمر يوما وترجل فسا عن هذه الحياة
فمن ينثر فوق فيورنا ازهارا للذكرى والوفاء
من يحرق دموع الحسرة وبطلق تنهدات
المأساة !!!

اطلقت هذا الصباح حمامة بيضاء من قلبي
كانت الشمس لم تستكمل زينتها بعد
وعند الفصحى رجعت الحمامة بدم جديد
وكأنت الشمس قد صبغت جناحيها بلون
الذهب ...

قال البحر لرمال الشاطئ:
من اين آيت بلونك الذهبي البراق ...
ردت الرمال : من اعطاء لون سماء الربيع
ولون العيون ولون الينابيع الصافية ...

سليمان عواد

دمشق

ان نداء مجهولا يفرق في قلبي
كصفود الزرق يخفت على الوجيل
الى بلاد تفرق في بحر من الغمرة والياسمين
ونسبح سكرى في ضوء شمس عجيبة
نرى يتاح لي السفر
ام ابقى هنا طرا كسير الجناح
اجتر الام غررتي وعذاباتي البربرية ...

حديثي الصغيرة ، انبكين لغرافي الابد
لغراق شامرك القريب الذي غداك اروغ اغانيه
وهو في قمة عذابه وذروة الامه ...
ساسافر غدا ، كفجري شمر
يا حديثي الصغيرة وساذرك كلما ضحك
وجه الربيع
وكلما حقق في قلبي جناح ...
الوداع ... الوداع !!

فطرات الندى الحائلة صباحا
فوق الورد والفسان الشجر
اين اخفت .. من اخذا عن امها
ولربها تنظر لوعة والى
فطرات الندى الحائلة ...
يقولون ان عاشقا خيبتا خطفها في عرسه
الشمس
منجها الى بلاد البحر والقيوم ...

الزهرة النامية على اقصان امها
تجهل اليد التي دفعتها الى النمو والازدهار

وهو يصغي لهذه القصيدة بقلبيها الامير الصغير في نبرات
اخاذه ، والقاء رائع ، لا يتعثر في كلمة ، ولا مخرج حرف .
وخرج العقاد من القصر الملكي مشيعا بالحفاوة ، ونسي
عينيه يريق .. ان السعادة تشرق في اعماقه .. وقربحته
في نوران شديد ، ونفسه في انفعال مزدحم ، وقلبه في
وجيب .. ان جلالة الملك في تكريمه للفكر بشخصه قد
سما الى عالم يوم بالصحو والاشراق والخلود والعظمة
التي تتقاصر امامها جميع العظمت التي عهدتها البشرية ..
وها هي ربة الشعر تحترم في اعماقه ، والشعر يضطرب
في جنباته ويتلجلج على لسانه .. فهذه العظمة الانسانية
الريقة لا يعبر عنها سوى الشعر الرائع ..

محمد حاج حسين

مكة المكرمة

ذات ليلة عند المأمون ، وبعد ان فرغنا من العشاء ، صلب
احدهم الماء على يدي . وقال لي المأمون : اندري من صب
لك الماء يا ابا العيناء ؟

قلت : لا . يا امير المؤمنين ؟
قال : انسا .

قلت : هل فعلت هذا يا امير المؤمنين تكريما للعلم ؟
وجاء بعض انجال جلالاته ، وكانوا صببة صفارا وقدمهم
للعقاد ، وقال جلالاته مزهوا بهم : انني اريد ان تعلموا ،
ويتعمقوا العلم ليخدموا بلادهم . ثم سألهم : هل احد منكم
يحفظ شعرا للاستاذ العقاد ؟

وتقدم الامير مساعد ، وانشد قصيدة « عودة الربيع »
للعقاد غيبا وكان قد نظمها منذ ثلاثين سنة ، وطرب العقاد ،

الدباب لا تزال تعوي والعراء قد ستر
خلف الظلمة . الثورة المجنونة تبعثر
نفسها هنا وهناك ... تمزقني .

وسادتي المتكورة تنام في صمت
تحت راسي المشتعل ، ويسداي
المعكوفتان تطقان بيباس على هذه
الكومة الساخنة ... أحاول أن الملم
أشلائي لاصنعها من جديد ... لارتفعها
وان لم تعد صالحة لارتدائها . ولكن
هي أشلائي وحدي ، فيجب أن
ادفنها بنفسي .

الكسل يركلها برجله ، وآخرون
يدوسونها مسرعين ، وأنا أتعثر بها .
أحاول أن ألقها بمخاطمي الناعمة
الثمينة لأدفنها بعيدا ... ولكن
تعود مقرورة ، وأغلق عليها خزانسي
لتنخرها ... وتكتم تحت أقدامي
تنظر الي بدهشة .

لا ... لا لم يعد لي قدامان كالآخرين
تقوسان على حملي عندما أتعثر .
والطويل تفرع الوبنا ... تحاول أن
تهدهدي كي أنسى العثرات . يعود
مواؤها يعلو ويعلو فيأخذني الدوار
وإندفع في الصهريج .

الثورة المجنونة تغرد بأعلى صوتها
تأولح لي ، والحلبة لا تعد لسيحها كما
ظننتها وأنا أسير نحو ذلك الدوي .
الكل يستقبلون أعراسهم بفرحة وأنا
أسمع زغاريد ماتمي .

الآنني قد حطمت سلاسلها ...
ستطير من أبراج الفضيلة ... من
السجون الذهبية . كل شيء داخلها
قد أبله الصمت .

أصوات الأقدام على السلم الخشبي
... تشدني قليلا ، وجرس الباب
يدق . يدق بعنف ، فنحت الباب
لأجده ... هو على الباب .

عينها خاويتان لا تبحتان عن شيء ،
ويدها الخيلتان لا تزالان مستقرتين
في جيوب سترته الباهتة ... بلا
رغبة .

خطاه لا زالت كالخيالي تسير
متحافلة ، وكلماتنا تخرجان هما كل
تحيته .
ويدخل لأغلق الباب وأرتمي على

السري ، ليعود الاخطبوط بهصري ،
والثورة المجنونة تعربد في داخلي ...
تقدفني بلا رحمة ، وأتشبث بوسادتي
الصغيرة . وهو لا يزال يجلس على
الكرسي .

عيناه لم تعد خاويتين . لقد غرقنا
في الصفحات الطويلة العريضة ...
حيث السلم الموسيقي لسيمفونية
شهرزاد ، والخيطود النافرة
بدأت تتناثر أمام عيني وأحاول أن
أركز بصري . ولكن لا تزال تتناثر .
يودي لو أصرخ ... لو أنهض
لامزق الصفحات كي لا أراها مرة
أخرى . لأبكي على فديك ... لأذيب
أعوامي العشرين دموعا على سترتك
الباهتة . لاستجديك من أجل عشرين
ربيعا لم تورق ، أنني أراها تذوي



بقلم غالب جراد

http://Archive.betaskrit.com

خواء عينيك تجوبهما علها تعثر على
نظرات ذلك المسكين الجائع ، والذي
يتلهى بكسرة خبز . يلغظها ليعود
بلوكها من جديد .

أشجاري لم تعد يههما أن يقطفها
أجير يستاني . ولكن لا أريد أن أصلي
في محرابك المزين بكل ما تشتهييه
نفسي .

كلماتك لم تعد تغريسي لأجلس
أمامك كطفلة ترمق صرحك العالي
بخشوع ، وانت تحدثنا عن الموسيقى ،
لم أعد أشعر بعذوبة وجودك .

انت لا زلت تذكر الدور ، فالمرح
لم يهدم بعد ، والستارة لم تسدل .



أنني لا أزال أراك عندما تقدمت
نحوي ، وعيناك كما هي خاويتان .
لتدعوني إلى الأوبرا ، لم تكن تقصدني
أنا بدعوتك ، ولكن الوقتين القابعتين
في سترتك تبحتان عن شرك ،
ووجدته بعد أن انتهيت من عزفي
على البيانو . لقد صفقت لي بحرارة
كذلك صفق لي آخرون في قاعة
الجامعة الفسيحة .

يا صغيري لا تنادني بالبلهاء .
كنت أعرف أنك دعوت شخصي الذي
كان يعرف ، وليس أنا الفتاة الجميلة
الأنيقة .

كنت أعلم ذلك ... ذهبت معك .
لا أتركك القول بأنني قد وجدت متعة
في ذلك .

كنت تعلم الكثير عن الموسيقى .
لقد حدثتني عن كل شيء ، عن
دافنتشي ... وموزارت تقارن بين
عظمة لوحة ، وروعة لحن . كنت
تحدث كانهم يقفون أمامك ، لقد كنت
قاسيا معهم . كم تمنيت لو أنك لم
ترفع صوتك في وجهيهما . لقد
أعدت أن أنظر لهما بخشوع ، ولكن

كنت أذكرك أنني معك وأنا أمامي ،
ولم يعد بي حاجة لأنظر حولي برهبة .
والثقيان مرات ومرات . كنت كل
مرة تحدثني تارة عن رسام وتارة عن
موسيقي ، لقد كنت لطيفا معي لقد
أشعرتني بأنه يمكن لفتاة العشرين أن

تتحدث بصوت مسوع عن العاقرة .
وسرنا معا نفتح أبواب تأملاتك ،
ولم تكن تتخني عندما تدعوني لأسبقك
قليلا حتى لا أذكر أنك مدت لي يدك
لتصافحي ... كانت تأملاتك أكبر
مني ، وأنا تلك الفقيرة أحلم بسعادة
القصور ... وأن كانت تأملات .

لقد عرفت كل قلاعك وأحدها بعد
الأخرى وقدماي يقطع عليهما جذائي
القديم ... يودان لو يستريحنا .
عرفت أيضا الطريق إلى غرفتك
الصغيرة . حقا لم تكن قلاعك
الفسيحة المظلمة . القوضي تنتشر

فيها ولم يكن هذا إلا ليزيد إعجابي
بك . فدعني كله بدا يخلع لونه

رعدة في العيون الخضراء

نحن هنا في شاطئ أخضر
والجو ، بالأحلام خصب ، ثري
فلنتشر الشراع ، فلنتشر
نرسوبه فانس ولا تدع
أحلى من الناه في الأبحر ؟

خاطره ، طيب المدى الأخضر
يعب من خمر الهوى المسكر
رفافة ... ان يلتفت تخطر
تغم في عطائها الأوفر
يدكي به نار الهوى المسمر

من عالم حلو السني خير
عنايه في المناه ، .. شوق بري
مع الصباح المسفر ، المسفر
والاحلام والدفء اللذيذ الطري
عن سر خلق الشاعر العبقري

على العيون الخضراء .. ما أروع
ما أروع النسيم على زروق
أدغم في الشوق لها الهوى
أحيا على أطرافها ، انتشي
هي العيون الخضراء أين المدى

محمد حسن الأمين

يا زورقي أبحر ، ولا تحذر
نحن هنا ، والريح مخنونة
نحن هنا ، والصحو يغري بنا
وبعدها لو لم نجد شاطئاً
فانما العمر مته ، وهمل

وابحر الزورق وارتاح في
وراح يجري والهوى زاده
يرنو فما في الأفق الا رؤى
تشرب عيناه سنى زوها
وينتشي ، والكون من حوله

وعاد من رحلته زورقي
عاد وفيه للضياع الذي
يحلم بالعودة ، باللقى ،
مع الزرع الحلو .. والصحو ،
مع المدى الأخضر يحكي له ..

شقراء - لبنان

لينحول الى جديد قائم ... يمكن ان
يصبح شيئا .

لقد بدا فراشي الوتر يلدغني
باشواكه . كنت احن الى حياة لا
تزيفها القطع الأنيقة المبعثرة هنا
وهناك في أرجاء غرفتي ... لم اكن
أجد هذا في غرفتك ومع هذا كنت
استأذنت مرة كي ارتبها ... ارتب
غرفتك المتواضعة ، وانت تجلس على
الكرسي القديم تنظر بصمت الى صورة
معلقة قد تراكم عليها الغبار . أعيد
لها النظام بحذر كي لا أوقظك من
صمتك .

شهور ستة والراهبة لا تزال في
صومعتها تعبد . لا تنظر الا في بهو
ديرها المغم .

اصداء العالم الخارجي لم تكن
مسموعة لديها ... وحدتها صمتها .
لقد كان يلذ لي ان اطوف معك كل
تلك الصوامع ... وانسا لا ازال
بعباس راهبة .

اعوامي العشرين تدق عليك بعنف ،
وانت لا تزال مستلقيا ، تقوم لتستقبل
الطابق . لقد اسكرك الربيع واعادالى
وجهك لونه . وعيناك المبهورتان
تسهران بالدمس لأول مرة . واعطيتك
كل شيء لم اكن بين يديك الا انى
تتأوى بفرحة ، لانها وجدت نفسها
تعطى بسخاء . كنت أمل ان اعطيك
الى الابد . وان اذيب ثلوجك . ان
كل جوارحي نادتك بانها تحبك . نعم
لقد احببتك وانيت لم تعد الا ان
تستقبل زائريك ، لتدخلهم في البرودة

القائلة ، ليستجدوك بعض الدفء .
ولكن يا سيدي لم يعد بي حاجة لان
تفلق على صومعتك . لم يكشف لي
توبك الاسود الا عن ذلك المذهب
الذي يسكن في غرفة ضيقة ، والذي
يملك صدفة وجه بريثا . العصفور
البائس قد ساقته قدامه لان يحط
على شبائك . وزبدك المتعالي قد
غمرني ، ولكن الدفء يعم الوجود ،
وتلوجك لم يكن تحتها الا طين متخ .
بعدها تبعني الى مسكني . حاولت
ان تغير انوايسك باخرى جديدة .

وانت الآن تجلس امامي على الكرسي
... وعيناك الفارقتان في الصفحات
الطويلة العريضة ، تحاولان ان تخرج
لعا . ولكن لم يعد بك حاجة لذلك .
ثورتى المجنونة تناديك لتدفعني
اليك . لارتبي مرة اخرى في حلك .
وتفغر فاك وانا اصرخ في وجهك .
أذهب الى الجحيم . عد الى
كهونك . لن يتبعك احد . لقد هزل
الحوت . لن يعطيك شحما تحرقه بعد
اليوم .

غالب جرار

الدماغ

ومعلوم ان اللغة الفرنسية ما برحت منذ القرن الثاني عشر ، لغة الطبقة المثقفة في مقاطعة « الفلاندر » ، اذ كانت قصور الامراء واشباههم - في العصر الوسيط - المراكز الحقيقية للادب الفرنسي ، تكس من ادباء ساعدوا على صياغة النثر الفرنسي ، كجماعة « هونوييه فرواسار » و « الجماعة الفلمندية » . وكس من مؤرخين اسهموا في كتابة التاريخ امثال : « كولان دوهينو » و « جيهان لوترومو » و « شاستولان » . وكان لهم جميعا فضل لا يجحد بواهم مكانا مرموقا في الادب الفرنسي . كما حظي « جان لومير دوبيلج » في ختام القرن الخامس عشر بشهرة اديبية واسعة لا في بلجيكا وحدها نحسب ، بل وفي اوربوا كذلك ، اذ كان يحق رائد الشعراء الفرنسي كليمان مارو الذي اتسم شعوره بفرض من المسامرات السائفة . وفي القرن السادس عشر دارت احاديث ومجالات - بخاصة في اللاتينية - وفي اللغة الفلمندية اكثر منها في اللوالبية بعثت النشاط الادبي في بلجيكا فكان « ماريكس دو سانت الدوفوند » ينظم اغلب اهاجيه السياسية والدينية ، حينما بالفلمندية واحيانا بالفرنسية .

يسد اثنا لنحفظ ان ثمة ركودا حقيقيا عم بلدان الاراضي المنخفضة الكاثوليكية - خلال القرن السابع عشر - من جراء حربها الاهلية ، وحروبها مع الدول الاخرى ، لم تستطع الاقالات منه الا قبيل نهاية القرن الثامن عشر ، اذ لم يبرز خلال هذه الحقبة الطويلة - اي اديب او شاعر مرموق ، اذا استثنينا « اميرلنيو » الذي كان يردد قائلا : « انا نمساوي في فرنسا ، فرنسي في النمسا ، واحدها او الاخر في روسيا » . بالرغم من انه كان اوروبيا اكثر منه بلجيكيا . .

واذ رغبت الامبراطورة « ماري تيريز » - في ذلك الحين - بدعم الفنون والاداب في الاراضي المنخفضة

النمساوية فقد اسست في بروكسل عام ١٧٧٢ مجمعا للعلوم والاداب ، اقتصر على قبول الاساتذة والعلماء واستثنى غيرهم ، وظل كذلك حتى عام ١٩٢١ حين انشئ « المجمع الملكي » فانضم اليه شعراء وادباء . وحين تم الاستقلال السياسي عام ١٨٣٠ لم يعن في بداية الامر بالنهوض بالادب ، بل لم يعا به ، اذ لم يكن من الممكن تقرب بزوغ نهضة في تلك الحقبة ، لذلك لم نر للحركة الادبية اي نشاط ملموس الا حوالي عام ١٨٨٠ على اثر ظهور مجلة « بلجيكا الفانس » التي اصدرها الشاعر « ماسكس والثر » وبوسعا لتحديد ظهور شعراء كثر خلال الحقبة التي تلتها امثال : « فان هاسيلت » و « دوستاسار » و « الكروسيين » و « بوتفان » وان لم يؤبه بهم ، لخلوهم من الاصالة ، وضعف موهبتهم الشعرية . .

اما كتاب القصة من امثال : « فان بيميل » و « غريسون » و « دورول » وبخاصة « شارل دو كوستير » و « كاميل لوبوييه » و « اوكاف بيزم » فقد كان لهم اعظم الاثر في دعم نشاط مجلة « بلجيكا الفتاة » بما اتجه من روائع القصص : مما ادى الى ظهور مدرسة اديبية عرفت باسمها ، حمل لواءها مع هؤلاء القصصيين ، الشعراء خضعوا بعنف لتأثير « بودلير » والشعراء « البرناسيين » الفرنسيين ، وكان في طليعهم الشعراء : « ايفان جيلكان » و « البير جرو » و « فالريجيسل » و « فرناند سيفيران » ولا بد لنا من ان نضيف الى هذه المدرسة ذاتها - خلال تلك الحقبة - بعض ادباء كان لهم وزنهم وفي مقدمتهم « هنري موبل » . . .

اما الحركة الرمزية في بلجيكا فكان تأثيرها واضحا اشد الوضوح ، لا سيما وان العديد من شعرائها لعبوا في هذه الحركة دورا هاما جدا امثال : « اميل فيرهان » و « شارل فان ليربرغ » و « البرت موكل » و « غريغوار ليروي » و « ماسكس

السكامب » و « موريس ماترنك » ولعل مجد « ماترنك » كمجد الشاعر « فيرهان » لم يشمها في تحطى الحدود البلجيكية ، بل عبرها مسرعين في سهولة ويسر . .

ولقد امتاز « ماترنك » عن خديته « فيرهان » بآثاره المسرحية وبحونه الفلسفية اكثر منه كشاعر رمزي ، وغدا في نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، احد كبار الوجوه الادبية الالامعة ، وفي طليعة الكتاب في العالم « ومن المفكرين الاعلام ، ومن اقدر مفسري الروح الحديثة ، وممثلي الادب العصري ، وكتبه ملائ بالتأملات الجميلة ، والخواطر الحسان ، ولكنه لا يرمي بها الى التحليق في الجواء العالية ، والانتقال الى العوالم الاخرى السامية ، بل يريد ان يكشف لنا عن طريق السعادة في هذه الارض ، وهو يحاول ان يتسلخ لنا الحكمة العملية التي تعبنا على صدمات القدر ، وعثرات الحظ ، وتجعلنا نتصر في المعركة ، او على الاقل تهون علينا مرارة الهزيمة ، وغمرة الالم » (٣) . . .

وليس من شك في ان « ماترنك » كان ينطور تطور « فيرهان » حوالي سنة ١٨٩٠ منتقلا من الرمزية المنهدة التي كانت سائدة في مؤلفه : « مشاتل دافئة » وفي مسرحياته الضاغطة مثل « الاميرة مالن » و « المكفوفون » . الى واقعية شعرية تعمد طبيب الحياة ، وطهارة القراء والبسطاء . لكن عبقرته كانت تحلق في اجواء اعلى ،

(١) محاضرة الفيت في المركز الثقافي العربي بدمشق . (٢) انظر : معجم القرن العشرين مادة بلجيكا - ص ٦٧٢ . (٣) انظر : الوان من ادب الغرب - تأليف علي ادم ص ٢٣٠ طبع دار المعارف بدمش . (٤) انظر : الدراما تأليف اشلي ديوكس ترجمة محمد خير ص ٥٨ . (٥) انظر : الادب المائنان للدكتور محمد فنيهي هلال . (٦) انظر : تاريخ الادب الفرنسي في القرن العشرين - تأليف بيسر هنري سيومن - ترجمة تيبه صفر . (٧) انظر كتابنا « الشعراء رمزيون وشعراء معاصرون » ص ٨٢ - ٨٤ - منشورات عويدات ببيروت .

وتشعر شعورا أقوى بالأسرار ، وتهم دائما بمؤالفة الموت ، وبالرغم من أنه اختار المحاولة الشعرية ، والحوار المسرحي في مؤلفاته « كنز التواضعين » و « الحكمة والقدر » و « حياة النحل » و « الطائر الأزرق » فقد احتفظ دائما بخاصة شعر متكم ورقيق حتى اضطلع أحيانا ، وكانت صوفية تالیه الكون تستفيد هنا من تعبير متواضع وكان وعيها متيقظا بكبح جموح الشاعرية بشكيمة كاتبة باطنية ، لان الشقاء والموت والتعيب بلایا لا مفر منها ، في دنيا لا تبقى على شيء ... لقد استلهم « موريس ماترنك » روحا جديدة تنسجم بها بلجيكا ووطنه الاصلي ، وتمتاز مسرحياته الاولى مثل مسرحية « بلياس ومليزاند » بمعالجتها الشعرية لموضوعات اسطورية ، ومسرحية « مونافانا » التي حاول فيها ان يعطي قیما اخلاقية جديدة للعوامل الدرامية التقليدية ، ولكنه كمؤلف درامسي لم يظهر قوة متماسكة (٤) ...

اما مسرحيته « بلياس ومليزاند » التي ظهرت عام ١٨٩٢ فقد ذاعت شهرتها واحتلت مكانة مرموقة لا في الادب المسرحي فحسب ، بل وفي الادب القارئ كذلك اذ اجمع الباحثون على ان « ماترنك » استعار موقفين من مواقف الشاعر الفارسي « الفردوسي » في ملحنته « الشاهنامه » التي يعود تأليفها الى اواخر القرن الثاني واول القرن الحادي عشر للميلاد ، وحسبنا ان نورد ههنا المواقف المتشابهة في المسرحية والملحمة ، لنتعرف على اوجه هذا التشابه ... يروي « الفردوسي » في الموقف الاول ، بكور القائد « طوس » مرحا الى الصيد على زقاء الديكة مع جمع من رفاقه ، واذ هم يوغلون في قلب الغابة ابصروا فتاة فاتنة الخدين ، رائعة الحسن ، في طلعة كالبلدر ، وقامة هيفاء كتجر السرو ، فيبتدريها « طوس » بالسؤال قائلا : انت يا ذات الطلعة الفاتنة والقد الالهيف ما الذي

اتي بك الى هذه الغابة ؟ وتجببه الفتاة قائلة : عاد ابي امس في جنح الظلام ثملا من حقلة عرس ، وما ان رآني صحتي تولاة الغضب فانهل علي ضريبا ، ولم يكتف بذلك ، بل استل خنجرنا ماضيا اراد به قتلي ، فويلت الاديبار فرارا ، اهيم على وجهي لا الوي على شيء » ثم راحت الفتاة تقص على « طوس » قصة هربها ، وما حملته معها من مال وفير ، وتاج ذهبي سلبه الحرس منها بعد ان اسوعوها ضربا بقراب السيف . ثم يسروي « الفردوسي » في الموقف الثاني ان البطل « زال » ذا الشعر الفضي الذي ربه العتاء فوق قمة جبل ، كان يهوى الفتاة « رودابه » ذات الحميا السحري ، وفي احد الايام مضى « زال » الى قصرها ، ولم يكن قد رآها من قبل ، فاطلت عليه « رودابه » ذات العيون السود ، والحدود الوردية من احلى شرف قصرها التي وقف تحتها « زال » فاضاعت بطلعتي الهبة الشرف كلها وابتدت الارض كالباقة من سنا خلدتها فلم ما عمت ان حلت غداثر شعرها المجنونة من المساء ، وتبعها في هوى عذريتها من القصر حتى بلغت وجهه فغمزته ، وراح يوسعها لثما وتقبلا فكان صدق يسمع من القصر ... اما في مسرحية « ماترنك » فتمة موقفان يشبهان ذينك الموقفين اللذين اوردهما « الفردوسي » في ملحنته . نرى في الاول الامر « غولو » يعثر وهو يصيد في الغابة الفتاة « مليزاند » وهي وافقة تبكي وحيدة قرب شاطئ بحيرة ، فيبتدريها الامر بالسؤال عن سبب بكائها ، وعما اذا كان قد نالها احد بشر ، فتجيبه قائلة : بلى ... فيسألها : من ؟ فتجيبه : الناس كلهم ، ويسألها : وما الشر الذي نالك منهم ؟ فتجيبه : لن اجيبك لعجزني عن الجواب ، ويسألها : من اين اذن اتيت ؟ فتجيبه : لقد هربت .. لقد هربت .. ويسألها بعد ان يلمح شيئا بتلا في ماء البحيرة .. وما هذا الشيء الذي

يتلأ ؟ فتجيبه : انه الناج الذي منحني اياه ، وقد سقط مني وانا ابكي ... فيهتف : تاج ؟ ومن منحك هذا التاج ؟ ثم يهم باخراجه ، فنصع به محذرة : دعه .. دعه .. لقد زهدت فيه ، وان الموت لافضل عندي من وضعه على مفريقي .. ونرى في موقف آخر من المسرحية « بلياس » العاشق المقيم وهو يعصي الى البرج الذي تقيم فيه حبيبته « مليزاند » وما ان يبلغه حتى تطل عليه من احدى شرفاته وتحني راسها اليه فترتمي غداثر شعرها الطويلة المسترسلة حتى تبلغه من اعلى البرج ، فيهتف : « ان غداثر شركك تهبط الي يا مليزاند ، وما هي ذي تغمرني فأمسكها بيدي ، والتمها بشفتي ، واضعها بين ذراعي ، وانثرها حول عتقي ، ولم اذ من قبل مثل غداثرك يا مليزاند .. انظري .. انظري ما هي ذي تهبط من اعلى البرج تغمرني حتى قلبى .. انما ترتعش وتهتز وترن في يدي رفيف اجحة الطيور الذهبية » ..

هذان هما الموقفان المتشابهان ، وليس من شك في ان « ماترنك » قد استعار موقفين من « الفردوسي » وانه قد تأثر به كذلك ، ولا تنسح المجال هنا لشرح الطريق التي سلكها « ماترنك » الى الشاعر الفارسي ، وبيان اليون الشاسع بين الموقفين في ملحمة الشاعر الفارسي ، وتوضيح الطابع الشخصي لهذا الكاتب فيما اقتبس ، وحسبنا اننا ضربنا المثل على استعارة

(٨) انظر : اميل فيرهان - حياته وانساره بالفرنسية - لستيفان زفاغ ص ١٥ . (٩) انظر : مقدمة : قصائد مختارة لامييل فيرهان في كتابها البير هومان . (١٠) ولد « فيرهان » في ٢١ من ايار ١٨٥٥ في « سانت اماند قرب افرس » ولفى حياته تحت عجلات فطار في « روان » من تشرين الثاني ١٩١٦ . (١١) انظر : تاريخ الادب الفرنسي في القرن العشرين - ص ٤٢ - ٤٣ . (١٢) انظر كتاب : « من اصطلاحات الادب العربي » ص ٨٩-٩١ للدكتور ناصر الحسني - طبع دار المعارف بصر . (١٣) انظر : الشعر في نصف قرن - الجزء ٥ ص ٢٢٤ ، اصدرته منظمة اليونسكو

كانت اجنبي من شاعر اجنبي آخر (٥) ، وهو امر شائع منذ القدم في آداب الامم ، ولم يكن قط بدعا فيها ...

ومهما يكن من امر فقد جاء تمثيل هذه المسرحية عام ١٩٠٢ بمرافقة موسيقى «ديبوسي» ممعرا بالنص والاوركسترا ، عن رمزية متطورة باتجاه كلاسيكية خافتة متنوعة باطنية، توحى باهوال قصية ، وبآمال مبهمه . وكان ثمة اتجاه مماثل ظهر في ديوان الشاعر « فان ليربغ » « اغنية حواء » حيث تشيد النفس التي تختطف باكتشاف الاشياء يلجس باستمرار تصميم الشاعر الفرنسي « مالارمي » على الا يمسها ، تاركا القارئ دهشا على حدود فردوس متوج ملون ، وسمسمات ذات نور متالق بالاشعة ، واشكال تشبه الاحلام ... (٦)

اما الشاعر « اميل فيرهان » فهو اعظم شاعر بلجيكي نظم في اللغة الفرنسية ، ولقد طغت عليه الرمزية ، غلب الحقيقة الاولى التي استلهم فيها الواقع ، ولكنه لم ينفرد قط في حياته ، ولا اغرب في رؤاه ، بل ظل ابدا مصوبا نظريته نحو الحياة الواقعية ، بقي اليها وعب منها ، فوصف الحياة العائلية الهائلة الرضية ، حيث يشترك في افراحها واتراحها كائنات حيان متحابان اشد الحب واعقه ، وتغنى بجمال وطنه وسحره ، ومجد انتصارات هذا الوطن . كما جلا حياة المدنية الحديثة ، بكل ما فيها من صخب وضجيج وقسوة وطفان الآلات الضخمة على جهد الانسانية الخالد ، السائر ابدا على وقع انغام الفرع والداب نحو حياة اجمل ، ومستقبل افضل ، وان رؤاه هذه لبيدعا كلها احساسه العميق الصادق بالحياة ، ويشيرها ايمانه القوي بمنهجها ..

ولقد اتاح له غنى خياله الذي جارى فيه الشاعر « فيكتور هيجو » تحقيق الحوافز الغرية التي تثيرها فيه الحياة . ويبدو ان الواقع قد

تفاعل فيه تفعلا لا حد له ، وان اية فكرة ، ما ان تراود خياله الخصب ، حتى تبرز على حين غرة بشكل صور او لوحة حية ..!

اجل ! ان كل شيء يحيا لدى هذا الشاعر البقري حتى المجردات ، وان كل شيء له عنده غاية وهدف ، حتى الجوامد ، وان كل شيء يتلون فيه بلون حياة عتيقة صاخبة تثير اعجاب قارله ، وتبعنه على الدهش ... ان هذا الشاعر الواقعي العجيب ، هذا الملمم الجريء الذي ابداع الاساطير قد ظل ابدا واقفيا مفرقا اشد الاغراق في واقعيته ، دقيقا لطيف الرؤى شغافا ، معنيا بوضوح الاشكال وسهولتها ، وجلاء الاسوان ودقتها وانقائها وتقائها . ولعل جل جهوده كفنان عبقري قد مالت به الى اكتشاف ينابيع ثرة في اللغة والشعر ، كانت جد ضرورية للتعبير عن فنوع الحياة وتقدمها . وقد استطاع بمفاهيمه في استعمال الكلمات الجديدة ، وبكتراثه احيانا قواعد الاعراب ، ان يسجل على النثر والخطبة الصورة التي تلمس بخاطره ، ويرسم اللوحة التي تروى في ذهنه . وما توانى قط عن توسيع الشعر الحر الذي يتكلم اشد الملائمة ودق شعوره العتيق ، وفيض احساسه الزاخر ، والذي اجاز له التعبير عن الدافع التواق للحياة الاجتماعية التي شغف بها وروا اليها وهام بها . ومن ثم فقد دنا بغض امتداد الهامسه الشعري وتقاله من « العروض العادي » ، مفسحا للشعر المجال ، تاركا له القدرة على التعبير كما يحىء دون تعمل او ارهاص . وان ابيات قصائده القور مليئة بالحركات الواسعة ، زاخرة بالاحاسيس الحية التي تستثير رؤى القارئ وتغريه وتوحى اليه بالحالات النفسية الفائرة ، مما يؤكد لنا ان قوافيه تسي في دمه ، وهو يستلهم ربة الشعر اذ يقول : « حين افرع الى النظم بلهفة وتوق ، فان اقطار جسمي تهتر وتالم وتنثني ، وتمشي الاوزان في

عضلاتي واعصابي » .

هكذا نرى « فيرهان » شاعرا بلجيكا المبدع الذي تغنى بالحياة عامة ، قد وهب من لدنه الحركة الرمزية دفعة جديدة الى الامام ، فتأثر به حوالي ١٩٠٥ الشعراء الذين جاؤا بعده ، وانتشروا « المدرسة الاجتماعية » وابدعوا « التعبير المباشر » عن الحياة الاجتماعية التي عاشوها بعمق ، كما عاشها « فيرهان » وخاضوا غمارها بوعي وحسب وحنان ، كما خاضها وخرج منها ظافرا (٧) .

ظهرت لفيرهان اولى مجموعاته الشعرية عام ١٨٨٢ بعنوان « الفلمنيكات » ثم تالت عبر السنين ، فنشر عام ١٨٩٢ « العقول المسحورة » و « المدن المتشعبة » عام ١٨٩٥ و « السمات المضيئة » و « التائق الشامل » عام ١٩٠٦ و « الايقاع المهيم » عام ١٩١٠ و « فلاندر بكلمها » و « السهول » عام ١٩١١ - يقول « فيرهان » في قصيدة له بعنوان : « حين تغمض عيني :

حين تغمض عيني .
قبلهما طويلا ، لانهما سيؤثرانك
بكل ما يوسعهما ادخاره من غرام مشبوب

في نظرتهما الاخيرة ، ومن قدتهما
الاخيرة !
وفي وهج اللهب الخامد
احني لتوديع عيني ، وجهك الحزين
كيما تنطبع وتخلد فيها صورتك
الفريدة

التي ستحرقان عليها حتى القبر !
ليتني احس قبل ان يغلق اللحد
بيدينا نتحدثان على سريرنا الابيض
التي

واشعر بخدك يستريح لآخر مرة
على الوسادة الشاحبة
قرب جيبتي

واما مضيت اثرها بفؤادي بعيدا
فؤادي الذي يحتفظ لك
عبر الارض الصلدة الموات
بلهب قوي

فسيشعر الوتي بوقة هذا اللهب!! ..

ويقول في قصيدة له بعنوان :
العمل
انا مضن بالكلمات ، مضن بالكتب
التي توهم العزم
ابحث في قرارة زهوي
عن العمل الذي ينقذني ويعتقني .

الحياة ، انها هناك ، عنيفة ، خصبة
تنهش في سرعة جنونية ، دروب
العالم الكبيرة .
في الضوضاء والغبار
وقد تعلق الاقوياء بذوابتها
ونهبوا متكين عليها وعلى ولبانهم
فتراهم من معجزة الى معجزة
يتسلقون الجبال ، عبر المطر والريح
في اقدام وتراجع .

العمل !
انا عليم بمثوله في الهواء
ماساويا ، فوق سماء عاصفة .
باسطا ذراعيه المخرجتين بالدماء ،
مرسلا صيحاته الجنونية
ومنهم من يحلم به ، اصم ، سحيق
القرار
كبحر
اذ يذف قراره الامواه ويعيدها .
انا عليم بانهم ياملون لقاءه مسريلا
بصمت ساحر ، بورود واماويل .

انا عليم بانهم يطلبونه في كل مكان
اما انكمش الالم ، وجنت النهاية
جنونها .

انا عليم بانهم يعاودون البحث عنه
طوال الليل ، حتى مطلع الفجر
ثم لا يلبثون ان يبصروه واقفا على
عتبة

زهوهم العذب الرائق .
الحياة في صيحتها او في صمتها ،
الحياة في خصامها او في وئامها ،
مع الحياة ، مع الموت ،
الحياة فظة غليظة ، الحياة عسيرة
قاسية ،
انها هناك ، طي قطبين من البلور

الابيض

حيث يتندع المرء دربا بطينا
انها هنا ، في الفرة او في الضغينة
التي تند من الجبل الصاعد ، ومن
شوق الانسان اللاعج ،
انها خلال او اذي البحار وهولها
فوق شواطئ ليس فيها من ينقر عن
الهول ،

انها في الغابات ذات الازهار المنعم ،
الذي يزين جبال افريقيا وجزرها ،
انها حيثما ينمو كل جهد
من ايماء الى ايماء ، صوب اللانهاية ،
حيث تستاصل العبقرية التأويل
صارخة بالاعمال ، مبدية الاسباب
اذ تعد لوثبة المعالقة المقصين .

انا مضن بالكلمات ، مضن بالكتب ،
ابحث في زهوي
عن العمل الذي ينقذني ويعتقني .

اني ابتغيه ثوبا عنيدا
جليا نقيا ، كتلة تلج جميلة ،
لا يهتدي رجل ، ولا تساوره خديعة ،
جلدا باولئك
الذين لا يرفعون الزهر الصامت
يعلمون المطر .

اني ابتغيه مخضلا بماء مقدس
يطهر الانسانية وشمولها
مديدا للجميع كل ما يعتمل به صدره
من نقاء قلب
مجنيا عنه في اوج سطوته
حدود طيبته .

اواه ! انه يحيا ويحيا ويحيا ،
ويحس بانه الاحسن
قياسا الى نهاية كل ما بمنعج في قلبه
من غيرة ،
انه يحيا اشد وضوحا ، منذ ان
يمضوا فاتحين ،
ويحيا اعلى علوا ، منذ ان يعانده
الحظ
قبيس التسع ، ويوهن من قوة
الساعدين ،
انه يحلم ، وعيناه تقتحمان كل ما

سيصنعه ،

من نقاء ، من كبر ، ومن بر هؤلاء
الكنعانيين
الذين سيدفون مع ذلك حتى نهاية
الجهد المقدس ،
اواه ! انه يحيا ، ويحيا ، هائما
في هذه الساعات من الوحدة السامية
حيث تستعر الرغبة ، وتنتعش
الفكرة
مع امانهم المجنونة ، ووجودهم
العظيم .

انا مضن بالكلمات ، مضن بالكتب
ابتغى اخرا السيف الذي يشحد
ظفري في المعصية .

واحلم ، مثلما يصلون ، بجميع اولئك
الذين يبرزون ابطلا كانوا ام آلهة
حيال افق الاسرة البشرية
وكانهم اقواس غمام عجيبة
ليقيموا فوق ممالك
البؤس والضغينة ،
اشراقات سلوكهم الحسن
نافذين في رود ومهل حتى اعماق
المعايد ،

حيث يتغنى الجمهور
- على غرة - ان يحب ، يتغنى ان
يعرف
المعنى الجديد الذي فرضه وجودهم
بقوة
على الغاز القدر

كما يكون روحه على مثال صورتهم
بينما يتصارع الكهنة والحكماء
ويتناحرون بضريرات نصوص ميتة
عندها تشاهد الالفاظ المسلحة
وهي تسود الصراع والمآثر
بارزة تصعد فوق الجباه
رنانة تسود الصيحات
كصاعقة وذهب
تحلق بعيدا فوق شهرتهم :
عندها كذلك ، يعافها اولئك الذين
يدنون ارواحهم
بمواقف ذكرياتهم القديمة ، ويقبضون
السيف اللاهب
وابئين صوب المستقبل !...

هكذا غنى « نيرهان » الشاعر
 الفريد الذي لم يلبث ان غدا وحده
 بين شعراء جيله ، ناعما اجزل النفع
 لمعاصريه ، ملانسا لهم كل اللامعة ،
 والذي ما كان ليشق عليه ان يستلمهم
 مزهوا جمال وضرورة الاشياء والناس
 من حوله ... هذا الشاعر الحليق
 الذي افزع كل ما لديه من طاقة ،
 ليحلل الوثام ، ويحقق الانسجام بين
 رقة قلبه ، ورهافة حسه ، وعمق
 وجدانه ، وبين ما يمثله مما يصدر
 عمن يحفون به ويتجاوبون معه ،
 والذي لم يكن ايقاع قصائده الا صدى
 حنون لما تردده الحياة ، فكان خلق
 قلبه كان ميزانا يزن وقع خطى عصره
 العجلى المترنحة ، وكان دم معاصريه
 يجري في عروقه لم يزد قط مسا
 انت به المثالية القديمة ، لانه شاء ان
 يبعد عنها مثالية جديدة .

وهكذا عاش « نيرهان » الانسان ،
 الكريم النفس ، الذي عرف نظام
 الاشياء ، فسكنت نفسه الى كل شيء ،
 عرفه او اتصل به ، بسهولة نفهه
 اياه ، ويسر استجابته له . فكان حب
 الحياة الذي تغفل في كيانه ، وشمل
 جسده القوي ، وعالق روحه المنهبة
 ... وكان حب الحياة هذا مكثه من
 تتسائل الاشكال والتماذج الاشده
 تباينا ، والتي جربها بنفسه ، فوجد
 حتى في تباينها سعادة وهناءة ، فكان
 بها سعيدا هائلا (٨) .

ولكم كان جميلا من القدر لو انه
 ادرك غنى حياة هذا الشاعر الانسان ،
 او الانسان الشاعر ، فابقى عليها .
 ولكنه هو الذي ظل قابضا عليها بكفه ،
 ما عثم ان القى بها في طرفة عين ،
 تحت عجلات قطار فحلطمها شر
 تحطيم (٩) . وما ان دوى نبالالماساة
 في ارجاء العالم المتملدين ، حتى اخيم
 الوجود على معاصريه ، واران احيى
 على وجههم ، وكاد الجزع على فقد
 يلم بهم ، والياس يعصف بنفوسهم ،
 بل كادوا يضيقون ذرعا بالقدر لولا
 انهم تفلتوا فالتفوا آثار شاعرهم الجتنى
 بين ايديهم ، وكانها تعبر لهم عن

اطمئناتها ، بأنه مائل امامهم ، يشاركهم
 معها افراحهم واتراحهم ، او كانها
 تؤكد لهم ، ايمانها العميق ، بأنه سيظل
 حيا في وجدانهم ، كما هو حي في
 وجدان البقاء (١٠) .

من الواضح ان الادب البلجيكي
 في اللغة الفرنسية ، لم ينقطع منذ
 عصر الرمزية عن النماء ، بل ظل في
 قرن واحد مع الادب الفرنسي ، حتى
 بدا وكأنه فرع من فروعه . ولئن
 تراوحت مميزاته بين الامتداد حينما
 والهبوط احيانا الا انه امتاز بخير
 الصفات التي عرف بها الادب الفرنسي
 بوجه عام « وهي دقة التعبير وسلاسته ،
 ووضوحه واشراقه ، مع رشاقته
 المسات والتزام الاعتدال ومجافاة
 القل والاسراف » . وبوسعنا ان
 نذكر اشهر كتاب القصة البلجيكيين
 امثال اوبس دولاتر ، وجورج غارنييه ،
 وهوبرت كرانز ، وموريس دوزمبيو ،
 وادمون غليسنر ، وهوبرت سترني ،
 وبلاش روسو ، وهنري دافينيون ،
 وجورج كيريس ، وفرانس هيلين ،
 وكان هؤلاء
 ومن اشهر من الشعراء امثال :
 جان دومينك ، وجورج مارلوي ،
 وجول دولايك ، وتوماس برون ، وبيلير
 نوتومب ، وموريس كوشيه ، واوسيان
 كريستوف .

ومن اشهر من النقاد وكسب
 البحوث امثال :

دومون ويلدن ، وجورج رانسي ،
 وفيلمان فان دنوش ، وموريس
 ويلموت ، وفيرنس جيفرت .

كما اشتهر من كتبا المسرحية :
 غوستاف فان زيب ، وفونسون ،
 وبوشلر ، ومغرنت دوتيرم ، وشارل
 دوماسي ، وكروميلنك . .

تلك هي المراحل التي مر بها الادب
 البلجيكي ، والوجوه الادبية النيرة
 التي جهدت في دعمه بمواهبها
 وعطائها الخصب منذ ظهوره الى
 الوجود حتى عصرنا الحاضر ، وهي
 التي فرضت وجودها على الادب
 الفرنسي ذاته وهي التي دفعت

مؤرخيه مرغمين على اكبارها ، وعدم
 اغفالها عند تاريخهم لادبهم ، وتخصيص
 مقام لها فيه ، بخاصة الشعراء الذين
 كتبوا باللغة الفرنسية وواصلوا بعد
 سنة ١٩٠٠ الاندفاع الرمزي الكبير
 في بلجيكا ، وليس ادل على ذلك من
 اعتراف جيري هنري سيمون في كتابه
 القيم « تاريخ الادب الفرنسي في
 القرن العشرين » بمزنتلهم واسلمهم
 في افناء الادب الفرنسي اذ قال :
 « ليس من شك في انه كان يوجد
 بين المذهب الجمالي الاثري لسنة
 ١٨٨٥ ، وبين جو بلاد الفلاندر ،
 انسجام طبيعي ظهر في قصائد وقصص
 « رودناخ » و« مسرحيات » « مارلنك »
 الخيالية فما كتبه هذا الاخير تحت
 عنوان الاميرة مالن سنة ١٨٩٠ ، وما
 كتبه الاول تحت عنوان : بريح المائنة
 سنة ١٨٩٢ ساهما مساهمة واسعة
 في تعميق الخيال الرمزي الذي كان
 خاصا اذذاك بعدد قليل من القراء .
 بيد ان العبقرية الفلمنكية لم تلبث ان
 وجهت المذهب الرمزي في اتجاهين
 بدلا من نزعاته الاصلية ، ففرته من
 مظاهر الاشياء ، واعادت اليه اطاره
 المادي او الاجتماعي ، ثم شغفه من
 العدمية المظلمة ، ومن الكتابات المريضة
 لكي تنفخ فيه روح التفاؤل وتغني فرح
 الوجود ، وحتى عظمة وجمال الحياة
 العصرية » (١١) .

وتمت وجه الف الغرب النظر اليه ،
 والاعجاب به ، بعد ان شاقه سحر
 غثائه ، وراقته غدوية النغم الذي
 يصدر به ، اذ لاسم الاثفدة التي
 آدها عبء الآلة « وحرك النفوس التي
 ملت سماع ضجيجها ، فبعت شجائها
 على مصرع الانسان ، وتوقيا الملح الى
 نشدان الطمانينة والهدوء ، كيما يعيد
 الغرب ما افتقده من قيم ، ويؤكد
 رسالته في المحبة والاخاء .

ولست اشك في ان الشاعر
 « جورج لانز » هو هذا الوجه النير
 الذي تالق لا في سماء الادب البلجيكي
 تحسب ، بل في العالم الغربي كذلك ،
 بما عرف عنه من اخلاص لموهبته ،

وتفان في نشر دعوته ، وخصب في عطائه الشعري ...

جورج لانز

قيل انه ولد في مدينة « لياج » في شهر آذار من عام ١٩٠٠ وان اسمه اقترن بشكل وثيق بظهور الشعر الحديث في بلجيكا ، وانه في اعتنائه « المدرسة المستقبلية » ودعوته لها يشبه خديته الشاعر « موكل » في اعتناقه الرمزية والدعوة لها ... « المستقبلية حركة ادبية اوروبية ، أعلنت انفصالا كاملا عن الماضي ودعت الى صور جديدة للموضوعات والاساليب ، لتواكب روح العصر الجديد الناهض ، الذي عرف الآلة والطائرات والمعامل الاوتوماتيكية ، والسرعة الهائلة . وقد بنى معتقوه هذه المدرسة ، التعبير ، من احدى قصص « مارتيني » . وتغلقت هذه الحركة وانتعشت بفلسفة « نيتشه » و « سوريل » و « برغسون » ولكنها نشطت وفوت على يد « فيليبس توماسو مارتيني » الذي ولد وعاش في الاسكندرية ، وكان ينظم باللغة الفرنسية . واصل عام ١٩٥٠ مجلة « شعسر » التي كانت لسان حال الشعراء الكبار النحسين « الدالين » اصبحوا قادة المدرسة المستقبلية فيما بعد . وانبعثت المستقبلية كحركة ادبية حين اصدرت جريدة « فكلرو » بباريس في ٢٠ شباط ١٩٠٩ « بيان المستقبلين » وقد تخطى هذا البيان الابد والقف ، وجاء بنظرية سياسية تهدف الى الاعتراف بفلسفة « نيتشه » و « سوريل » وآرائهما لاسباب فومية . وذهب الى ان الحرب هي العلاج الوحيد للمشكلات البشرية . وقد وجد المستقبليون في « الفاشية » ما ادى بهم الى اعتناقها واعتبارها مواكبة لفلسفتهم . ولهذا تبناها الحكم الفاشي في ايطاليا رسميا . بيد ان « مارتيني » لم ينعم طويلا ، فسرعان ما تخلى عنه اصحابه الرواد .

لقد هاجمت المستقبلية اصول

الحضارة الاوروبية المعاصرة ، وكانت لا تقيد كثيرا بالقواعد والمعارف الموروثة ، ولكنها بالرغم من هذا وجدت لها انصارا كثيرين من فناني اوربا وادباؤها . وتأثرت بها كثيرا من الحركات الفنية فاقترنت اصولها كالحركة « التكعبية » في الرسم والمدرسة « التعبيرية » و « وما فوق الواقعية » . وانتشرت « المستقبلية » في روسيا قبل الثورة الشيوعية فانقسمت الى مدرستين تسمى الاولى « المستقبلية الذاتية » التي كان يقودها « ايكور سيفريان » الذي سيطر على « سان بطرسبرغ » بنحو المشوه ، وبغلو عباراته وتحذلقه .

وسميت المدرسة الثانية « التكعبية المستقبلية » وكان من انصارها « فلاديمير ماياكوفسكي » الذي نشر عام ١٩١٢ مع بعض اصحابه بيانا سموه « صغعة على وجه « ذوق » الجمهور » وقد تبني هذا البيان ما سبق ان نشره « مارتيني » عام ١٩٠٩ ، ولا بد ان تذكر ان « ماياكوفسكي » حاول التماس من تديبه تديرا بامد الثورة الشيوعية (١٢) من هنا نلوك ان من احسن اعادة النظر في كل ما ينضبط بصوراث الشاعر « جورج لانز » اللغنية التي تخيلها عن السعادة والبؤس ، والحب ، والمجد والجمال ، وان كنا نلاحظ ان ثمة علما يموت وعالما يولد لدى هذا الشاعر ، ومع هذين العالمين تولد قصيدة تبدو بواكيرها وكأنها نبوءة من النبوءات التي تراءى ذهنه ، كما نلاحظ انه لم يلبث ان جعل من نفسه معلما وهاديا ، اذ امضى زهاء عشرين عاما (١٩٢٠ - ١٩٤٠) يناضل في مجلة « المنتخبات » من اجل الاداء الحديث في الفنون كافة ، وقد كان لهذه المجلة من شمول التأثير ما رددت اصداؤه انهاء العالم .

ان « لانز » على حد تعبير « روبر فيغير » يشعر بعنف ، ان واجب « الشاعر المحتم » هو واجب الحضور المنفتح على العالم ، وواجب الاصغاء كذلك .

وهو في مجموعاته : « الروح المزدوجة » و « خطر الموت » و « سر اوربا » و « قصيدة معجزة وجودنا » او قصيدة « المدينة التي تحلق فوقها الاحلام » يشعر - فيما وراء الوان الحية البهيجة - بشيء من الوتر الذي يدع القارئ واعيا فجأة خطورة مصيره كما يقول « كارم » .

ان « جورج لانز » لم يتوان قط في « بياناته الشعرية » عن التامل في فنون عصرنا ، مع علمه « بوجود طلاء فسوفوري غريب يغفل احقر الانبياء ، فكان الشعر لم يكن لديه سوى ما للاشياء المألوفة من صفات خارقة » . وحسبه انه يحتل اليوم في الادب البلجيكي مكانا مرموقا بل مكانا منفردا لم يجاراه فيه شاعر . ولقد اصدر العديد من الكتب والبحوث ، كما نشر دواوين شعرية تعبر اصدق تعبير عن مذهبه الشعري ، ضمنها نظرت الى عصره ، واودع فيها خشيته من انهيار القيم الانسانية التي كان العالم يؤمن بها ، فانت الآلة تضع كل ثقلها عليها لتطحيمها ، مما جعل الانسان الغربي حائرا مغلوبا على امره ... ومن اهم اثاره الشعرية دواوينه : « هنا » اصدروته عام ١٩٢٠ « جماعة الفن الحديث » في لياج و « قوى العصر » صدر عام ١٩٢٤ « الروح المزدوجة » صدر عام ١٩٢٧ و « جسر » اصدروته عام ١٩٢٩ مجلة « الثقب » و « خطر الموت » اصدروته عام ١٩٣٤ مجلة « المنتخبات » و « عواصف جناح فرنسا » اصدروته عام ١٩٣٥ مجلة « ماشي الحال » و « قصيدة نهاية المدن » اصدروته عام ١٩٣٧ مجلة « الحكمة » في باريس . و « سر اوربا » اصدروته مجلة « المنتخبات » عام ١٩٣٨ ، و « قصيدة المدينة التي تحلق فوقها الاحلام » و « قصيدة معجزة وجودنا » (١٣) ..

واليكم نماذج من شعره اخترتها من بعض دواوينه ، تمثل مذهبه ، وتدل على اتجاهه الشعري الذي آمن

به ، ودعا اليه ، وناضل من اجله ،
 فاستطاع بما له من مكانة مرموقة في
 الادب البلجيكي ، وبما منح من موهبة
 شاعرية فذة ، ان يحوز رضاء النقاد ،
 ويحظى باكبر حظوة لدى متذوقي
 الشعر في العالم ...

ثمة في ديوانه « سر أوروبا » تطالعا
 « قصيدة عابسة » يقول فيها :

البرد شامل ،
 ساج ، داج .
 ليس في قلب النبات
 ولا في كبد السمك
 ولا في غور المدائن
 ولا فوق القولاذ .
 هوذا عنف القطيعين
 ونبل الجليد
 وحمال الماموث النسي .

 هي ذي البنادق كلها
 وقد جمدها السلم .

لم يك ذاك البرد
 اليقظان عند تخوم السرعة ،
 لم يك ذاك البرد
 الذي يتقدم الانسان
 ويقتفي اثره ...
 انى لي ان اشرح لكم
 ان الشتاء يحكي
 مدية ذرية
 حدها مرهف
 كأنه نور ..

 ما عساي ان اردوي لكم عن هذا البرد
 الذي ينثال من القضايد العصماء ؟

 ان كل امرئ اذ يعجز عن ادراك ما
 هو خير منه
 يعتمد على الدفء الارضي
 فيدأب
 هذا الدفء
 زاعما
 انه هو ذاته هذا الدفء
 مع قليل من هذه الآلات ،

الموضوعة بجلاء
 كأنها الصوى

ومع كل هذا الدفء المبكر
 الذي يبعث فيه صيحة السعادة

كان وجه الجحيم
 لم يبد البتة

فوق آفاقنا بأسرها
 على هيئة مدفع ...

ونقرا في ديوانه « قصيدة معجزة
 وجودنا » قصيدة المستقبل والضحك

التي يقول فيها :
 بشيء من الفقه
 نراهم يمشون متجهين
 صوب المبادين المقدرة لهم
 المدن وتمائيل المستقبل .

ان يكتنفهم شجر
 فذلك شيء رائع حقا .

وليس من شك
 في انتشار نوع مرايا
 بهذه اللغة الدقيقة التنظيم
 اذ لا شيء يقف حاللا
 دون سرى هذه الاجرام المتحركة

الحكي
 فلا جد يقفنا

ولا يدركنا
 ولا نظارتنا

ولا ما عز علينا من مال
 وما ذخراؤه

من نفائس وتذكارات
 ومن ايااد صديقة ، ومن بسمات ،

لا شيء يقف حاللا دون مسراها .

الا ان هذه القطع من الاساطيل
 ومن مدن حديثة

ومن شجر وتمائيل
 هذه الجحافل الجرارة من المحركات

المتقنة الصنع
 تحرر الغافلين ، وتعنت الغافلين

تحررهم وتعنتهم من رقة القلق الذي
 تشيره احلام قديمة .

ثمة مدن

ثمة شجر وتمائيل

ثمة حيوات آلية

هي اجمل من العيون وابهى !

اما انت ، فما ان تدنو دنوك الاكيد
 حتى يضح الاطفال بالضحك سمعاء

هائئين .

وان ضحككم

هذا الضحك ذاته

هو الضجة الاشد غرابة

التي دوت

في ارجاء الكون ...

كما نقرا في هذا الديوان نفسه
 « قصيدة الى اجمل معرفة » يقول

فيها :

الدار غافية

فوق الراية

دافئة

سعيدة لانها دار .

يكتنفها من كل جانب

في الحقول

قوم يخالون

ان الحجر البري ينمو ببطء .

هكذا تعم العالم

صورة حلوة مأكرة

يتيه المرء في اكتشافها

ولكم يهلك

في بعض الاحيان

من التمتع بها .

اما نظرتنا نحن

فانها حزمة من نارنا

وهي غاية في الاتواء

غاية في انهاء القوى

وانها لتضعف في اجواز الفضاء

الذي يرقص

ثم يرقص

وكانه ساحر

حتى لكان نجمة في السماء

تسهم في هذا الفرح

وهو امر ليس من العسير علينا

فهمه ..

انها تدور ،
في فلك دفته
في فلك برده
في فلك عيئه
وهي سعيدة هائنة
كالدار ...

مغلقة بين ذراعي :
سفوح اودية
ترآخي جليد
ضحك غابات
تتجلى كلها امام بهرة البحار ؟

ما عساي ان اعرف في غير هذا المكان؟
غير وجوه الكون
وقد تكدست من حولي

وكانها ذخر غريب
تكدست بازاهرها
التي تستافها اليهم
تكدست باجنحتها
بمدنها

بصيحاتها

تكدست بالانها
وحتى ببعض بنادقها

التي شدت الى موتها الحديدي ؟
يقولون : « اممكن هذا ؟

ان تغزو خفايا الكون وامزاجه كلها
احيانا

قطيع رعب

يكشف اطفالا صفارا وانمي القضاة
يتلون مع الزمن كلهم فجر يطالع ؟

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrith.com

ارجو ان اكون قد وفقت بعرضي
الوجيز لمجمل الادب البلجيكي قديمه
وحديثه .. وان اكون قد نهيت
الاذهان الى ما فيه من الوان وقسم
جمالية : ومن تجارب خصبه اسهمت

كلها في الادب الغربي ، وغدت القوة
الكيفية له ، والطاقة الفعالة لديه ، ولا
مشاحة في ان ادبنا سيفتني ويخصب،

ان نحن الفتنسا الى هذا الادب ،
واولينا بعض ما نولي سواه من عناية
واهتمام . لا سيما ونحن مقبلون
على تثبيت دعائم نهضة ادبية حديثة،
تتطلب منا جهدا في البناء ، لا يقل
خطورة عما نبذله من جهود في سبيل
التقدم والرفي ...

ان اي لون من الوان الادب مهما
كان شان هذا الادب - تخصه الامة
وحده بعنايتها لن يعوض عما تفتقده

من آداب الامم الاخرى ، وان خير ما
في الاخذ ، هو ما يبعث على التجديد
والنماء ، وما يثير الانفعال في الاخذين
به ، لروعته وجماله وعمقه ، وما
يشحن التجربة ، ويخدم اغراض
الحياة ويسهم في دعم قيمها ، ولن
يزدهر ادب امة قط الا في حين هذا
الاخذ الذي يحيا ان لقيه ، ويموت
ان فارقه ...

ان ادباءنا ومفكرينا مدعوون اليوم
الى الاضطلاع بهذه المهمة ، مضطرون
الى الاطلاع على ثقافات الامم وآدابها،
واقباس ما يتفعا منها ، وما يدفع
عجلة تطورنا الادبي والفكري الى
الامام ، ويمكننا من ابداع ادب خاص
بنا ، نطبعه بطابعنا ، ونسمه بسماننا
وليحذروا من الكبرياء بثقافتهم ،
والخوف عليها ، لان الامم اذا اخذتها
هذه الكبرياء « فذلك دليل على
امرئ : فاما ان يكون تثقفا حديثا فلم
تعتده ، واما ان تكون ثقافتها قد
احدثت نحو التخلف فتحاول ان
تنكر التخلف والعجز - حتى عن
نفسها - ونحجبه بستر من التفاخر
بالمآجد الماضية . « ولست اشك في
ان دور كبريائنا بثقافتنا وخوفنا
عليها ، سيجعلنا رهيني محبين من
كبرياء وخوف لن نستطيع منهمبا
فكاكا ، ولن نقدر على تحقيق غاياتنا،
وبلوغ اهدافنا ، وحسينا عبرة ما قاله
شاعرنا « المتنبى » :

ولا فنى حاجته طالب
فؤاده يخفق من رعبه

ومهما يكن من امر فان ثمة سورة
من النشوة بلدانا نخبرها في نهضتنا
الادبية والفكرية الراهنة ، وكاني الملح
اليوم فجرا جديدا يبرز لتحرير ادبنا
وفكرنا ..

تحريرهما من خوف الكبرياء
ومن كبرياء الخوف ...

ربما "هجر" يكون من خوف هجر
وفسار" يكون خوف فسار

سعد صائب

دمشق



حسن فتحي خليل

الشاعر هاينريش وغرامه العجيب

بقلم حسن فتحي خليل

ولم تخل حياة هاينريش - كغيره من العباقرة - من قصة غرام ، ولكنه كان غراما عجيبا شاذا أثر في حياته اثرا بالغا . فلقد حدث يوما ان حل الربيع ضيفا على باريس ، فداعت السمات الرطبة اكمام الزهور المتفتحة المنتشرة في كل مكان ، وانبعثت الضحكات من قلوب العذارى عالية مجتجلة ، وساد المرح كل شيء .. حين وفقت ماتيلدا ميرا في واجهة محل بيع الفوازير تحاول وضع باقة من الزهور في مكان لائق بها ..

كانت في جمال الورد المزدهر بين يديها ، لا تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها ، سعيده ، مرححة ككل ما يحيط بها . وجالت بعينها فلاحقت شبابا وسيما يدمن النظر اليها ، ومع انها قد اعتادت مثل تلك النظرات من امثاله من الشباب ، الا انها احسنت فجأة بالدم يتصاعد الى وجنتيها النضرتين ، وبلااضطراب يسري في جسدها المدن .

وكان هاينريش حينئذ شابا انيقا في نهاية العقد الثالث من عمره ، جميل الطلعة ، ازرق العينين ، جعد الشعر ، رقيق اللماع ، ينطق طابعه بالذكاء والمرح . وما ان دلفت ماتيلدا الى المحالوت حتى تبعها الى الداخل وطلب منها رؤية بعض الفوازير : ثم سألها :

هل يملك والدك هذا المحالوت يا انستي ؟

— كلا يا سيدي انه ملك لخالتي .

— هل انت باريسية ؟

— كلا يا سيدي .. انا من الفلاندرز ، وليست لي خبرة بالمدن بعد . فلقد نشأت في الريف .

وتأملها .. كانت تفوق كل من عرفهن من قبل جمالا وذكاءا وعذوبة الوجدان يسألها :

— ما اسمك ؟ انا هنريش هاينريش ، معروف في المانيا ، ولربما سمعت شيئا عن عمي المليونير هاينريش في هامبورج . فهزت رأسها وهي تعد له الفوازير الذي اشتراه ، ثم قالت : — اني ادعى ماتيلدا ميرا ، ولا اعرف شيئا عن الدنيا بعد . كانت هيفاء غزيرة الشعر ، ولكن اهم ما لفت نظره هو عينها الواسعتان ، وضحكاتها المرحية ، وحرارتها الرشيقية ، ولقنتها اللطيفة ، وصوتها الموسيقي الهاديء .

وحدث نفسه : انها من الطراز الذي كنت ابحت عنه دائما ، لقد مللت هؤلاء النساء اللامعات الخادعات ، اما هذه فهي فتاة غرة ساذجة تبدو وكأنها جنية من جنيات الخيال . ودخلت خالتها ، وما ان حاولت تأنيب ماتيلدا حتى رانه ففرقتة . كان معروفا في باريس بأسرها كما كانوا يعرفون عمه المليونير .. فتوفقت ولم تنبس ببنت شفة . وهكذا ترك هاينريش مجتمعات باريس وجعل يتردد على هذه الفتاة في حالوتها تحت سمع وبصر خالتها ، ولكنه سرعان ما اكتشف انها كانت قاصرة الذكاء ، شرهة محبة للبذخ عادية الصفات .. ولكن اهم ما يميزها هو جمالها الفاتن .. واذا به يصفيح اسير هواها واحس انه لا يمكنه

هنريش هاينريش شاعر الماني موسيقي الالفاظ ، ولد عام ١٨٠٠ ، وبدأ حياته في هامبورج يعمل في مصرف عمه . ولكنه كان فاشلا مما اضطر عمه لان يرسله الى بون للدراسة القانون عام ١٨١٩ ، وحينئذ بدأت تظهر بوادر نبوغه الادبي .

وانتقل بعدها الى برلين حيث عكف على دراسة اعمال كبار الادباء والشعراء حتى تمكن من نشر اول مجموعة شعرية له بعنوان « النبوغ » عام ١٨٢١ ، ثم كتب بعض الماسي التي لم يكن النجاح من نصيبها . وظل مواظبا على دراسة القانون حتى تخرج عام ١٨٢٥ . ثم انتقل بعد ذلك بين لندن وميونيخ وإيطاليا . واقام بعدها في برلين وهامبورج .. ثم استقر اخيرا في باريس عام ١٨٢١ ، ولكنه مع ذلك كان يزور بلاده من حين الى آخر .

وقد استقبل في باريس استقبالا طيبا من كبار الكتاب والادباء مثل جورج صند وموسيه وهيجو .. وتفرغ للتأليف والكتابة في الصحف .

وكان في بدء الامر يتناول مرتبا سنويا من عمه ، ولكن لما تقطعت بينهما الاسباب وهو في باريس منحتة الحكومة الفرنسية معاشا سنويا باعتباره لاجئا سياسيا ، كغيره ممن يعملون في الاكثار الثورية وكان نصيبهم الطرد من المانيا . وكتب وهو في فرنسا اشهر كتبه . وفي عام ١٨٤٨ اصيب عموده الفقري بمرض اتعبه طويلا ، الا انه لم يمنعه من مواصلة التأليف .

فضحك صديقه . ولكن كل ما فعله هاني ازاء تلك
الاهانة البالغة هو ان خرج واشترى لها ببغاء آخر سماه
كوكيت رقم ٢ . وكان في هذا العمل اكبر الغراء لزوجته .
وكم حاول ان ينقنها ، فقد كانت امية تجهل القراءة
والكتابة ، خاصة وانهما كانا يخططان بالطبقة العالية في
باريس ، فالتحقت بأحدى المدارس لمدة عام واحد ولكنها لم
تحصل من العلم سوى القليل ، ولما غادرتها لم تحاول قراءة
كتاب واحد بعدئذ ! ولم تلق نظره حتى على كتبه التي
تحتوي اشعاره الخالده .

وكان هو يقول : « لا بأس في ذلك ما دامت ترفن في اذني
ضحكانك المرحه وما دمت لا تهجرتني » .
فتحبه : « انا لن اهجرك ابدا ، لقد اشتريتني بمالك ..
اليس كذلك ؟ لن انظر الى رجل آخر ، ومهما كانت معاملتك
لي فنن اهجرك » .
— واذا انا هجرتك ؟
— سأقتل نفسي .. فلقد ارتبطنا مدى الحياة .

ولم يصدق أحد شيئا من ذلك . كان كل اصدقائه
ينتظرون نهاية لهذا الزواج . فلم تكن ماتيلدا غبية متلافة
فحسب ، بل ان الشراسة كانت من اظهر طباعها ، فكانت
تزميه بالاطباء وحضيوه احيانا . وكان يضربها كأنها
طفلة . ولكن سرعان ما ينهي كل شيء بينهما بالصلح فيقدم
لها احدى هداياه .

وهكذا بدأ يحسان — بمرور الوقت — بضائقة مالية
أفتراسا لها اشرف السيد . فاصطحب هاني زوجه لثرى عمه
الويس ، ولكنها لم تقول في نفسه منزلة حسنة فلم يهبها
شيئا . ومع ذلك كان هاني ما زال ينتظر ان يرث ذلك
العم الذي ما ان ادركته المنية حتى اكتشف انه لم يترك
سوى ستة عشر الف فرنك لا غير ، فخارت قواه واغمي
عليه ، ولما افاق كان يبكي اسفا وحزنا لاول مرة في حياته ، اذ
كان معني ذلك هلاكه وبؤسه ، فلقد خاب امله واثر فيه
ذلك ، وكانت صحته منهكة من فرط اغراقه في عمله .
وتجمعت هذه المؤثرات اذا ما يفقد اثره وحيوته ، فلازم
الغرائز ولم يتمكن من مفادرتها .

واشفق عليه الجميع في مرضه .. اصدقائه ، واهله ،
وصديقه كاميل سيلدن التي كان يحبها حبا افلاطونيا ،
والتي كانت تفهمه وتتذوق شعره وتقدره ، والتي كانت
تقضي كل وقتها بجانب فراشه .. ولكنه كان مع هذا كله
يطلب رؤية ماتيلدا في اصرار .

وكانت هي ما زالت محتفظة بروعتها وشبابها وجمالها
وضحكانها ، ولم يكن صدى حبه العميق لديها سوى الشفقة
فحسب .. الشفقة التي كانت تهيه اياها في غير مبالاة .
وكانت تمرسه في عدم اكتراث كأنما تشرف على تمرير
شخص غريب عنها ، وحين تنتهي من واجباتها نحوه تسرع
هي وخالتها مرتدية ابهى ثيابها التي اشتراها لها وتخرج
لتبدر تقصوده التي جمعها بالكسد والجهد في المسارح

ان يمر يوم دون ان يطيل النظر اليها ، او يستمع الى
صوتها وجلجلة ضحكانها . وكان المعروف عنه ان عواطفه
منقلة لا تستقر على حال ، الا ان الغريب في الامر انه وجد
في تلك الفتاة النافية مثله الاملي !

ولما كانت الفتاة من عائلة طيبة ، فقد تقدم الشاعر الى
خالنها يعرض عليها الزواج من ماتيلدا .

فكانت : سافدة مساعدة لها قيمتها لدي ، ولكن ..
فاجابها : اني امك الا كثيرا من النقود ، وابيع اشعاري
بشعر ياب بآسديني ..

وانتهت الصفقة فدفع ثلاثة الاف فرنك وتزوج من
ماتيلدا . وتعرض بذلك لسخرية اصدقائه الذين كانوا
يتساءلون ترى كم من الوقت سيدوم هذا الزواج .. فهي
لا تملك اية لمحة من لمحات الذكاء .

ولكن هاني كان مندعما في حبه كما لم يفعل في حياته
من قبل ، وكتب الى امه واخوته في المانيا يصف زوجه :
« انها تملك اتقى قلب .. وهي طيبة كملوك » .

وجلجلت ضحكات ماتيلدا في جو المنزل ، والقبت
الاشعار التي كتبها لها هاني جانباً .. ارق اشعاره وامدقها
عاطفة ، واشترت ببغاء اسمه « كوكيت » . وكره هاني
الببغاء لسامته ، تلك الجلبة والفوضى والصخب التي
كان يملأ بها المنزل .

وكان يحتج على وجوده دائما فتذهب احتجاجاته في
غمار ضحكاتنا الرنانة .

ولم تكن مضايقاته مرجعها الى الببغاء فحسب . بل ان
زوجه كانت لا تلقى بالا الا نظافة المنزل او ترتيبه . كما
كانت اكلة نهمه ، بخلافه هو الانيق الذي ينتقي طعامه في
دقة ، وكانت تبذر نقوده ذات اليمين وذات الشمال .
ونلت هاني حوله فاذا بالراحة والصفاء اللذين كان
يشدهما في منزله انما هما مجرد سراب ما دام هناك ذلك
الببغاء يعكر عليه دائما صفو السكون بصراخه المتوالي .
وقال له احد اصدقائه : « لن يمكنك احتمال ذلك ..
لماذا تهجرها ؟ » .

فاجابه : آه ! لو امكنتي ان اخلص من الببغاء فحسب .
كان ما يشعر به اعظم من الكراهية .. انها الغيرة التي
طغت على مشاعره وغزت قلبه ، فان ماتيلدا تحيط الطائر
بالمزيد من عواطفها التي تحبسها عنه هو .

وامكنه بمساعدة صديقه ان يدرس السم في طعام
كوكيت . وما ان علمت هي بذلك حتى صرخت وولولت
في ضيق قائلة :

لقد اصبحت الآن وحيدة لا يؤنسني احد في هذا العالم
القاتسي .
وكانت ما زالت تبكي وتصيح وتتشج حين سالها هاني
في حزن :

« اولست انا بجانبك ؟! .. الا تشعيرين بوجودي ؟ »
فصرخت : « انا لا اشعر بك .. » .

والمطاعسم !!

واحتمل هاني آلامه التي لم تتمكن هي ابداً من فهمها أو تقديرها في شجاعة وصبر .

ولم تكن تعطف عليه أو ترق له ، بل مما زاد الطين بلة انها كانت دائماً تكرر قولها : « لقد اشتريتي بمالك ، وأنا ملك لك دائماً » ثم تتعالى ضحكاتها مجلجلة .

وكان هو ما زال يحبها في عاطفة متأججة تكسح كل شيء في طريقها ، ولكن عقله - مع ذلك - كان يراها على حقيقتها .. يشرستها وتفاقتها وخشونتها وغباوتها مما كان سبباً في انصراف اكثر اصدقائه عنه لسوء معاملتها لهم . ولما نصحوها ان تكون اكثر رفقاً به وهو رجل على شفا الموت .. ضحكت .. ولما أخبروها ان زوجها يتألم من صخب الببغاء وضجيجها أجابت « ولكني احب الطائر العزيز ، ولقد اهدانيه هو نفسه ! »

ولكن الرجل المفلوج كان يقتصب إشمامة ، فان اكبر ما يخشاه هو ان تهجره زوجته التي يهيم بها . ولما اشتد به المرض استأجرت له ممرضة لتعني به واحجمت هي عن رؤيته اكثر الاوقات .

ووهبها كل ما يملك من نقود ، فاشتريت رداء حريزياً جميلاً بالتمن الذي حصل عليه من بيع كتاب يشتغل على اجمل اشعاره . وكانت ضحكاتها تتعالى وهي تشاهد المهرجين في السيرك ، بينما كان الالم يفرى جسده زوجها في فراشه وبجانيه كأميل سيلدن . وبقيته الوحيدة كانت كأميل تخلص له وتحيه حياً عليها ، كانت تمرضه وتقف بجانيه تغمره بآرق عواطفها ، وتفق شعره تغديره كبيراً . ولكنه مع هذا كله كان يطلب رؤيته بببغاء الببغاء كأميل في حزن واسى وهي تقول : « هلا أفيدك أنا في شيء يا صديقي ؟ »

فيهمس : « أنا اعرف ما الذي ستقولينه .. حقيقة انها لا تساوي شيئاً ، مستهتره غبية جاهلة شرسة جامدة بلا قلب .. نعم .. نعم .. اعرف كل ذلك .. ولكني اشتريتها منذ زمن بعيد ، وكل منا يخلص الآخر - كما ترين - الى النهاية .. انها تثير حياتي وتبعث فيها الجمال » .

ولما كانت منيته كان يهمس بشعر من نظمه وهو يهدي ويقول :

فوق فراشي نبتت شجرة
تفرد فيها البلاليل الصغيرة
منشدة اغنيات الحب .. والحب فقط ..

فتطرق سمعي حتى في احلامي ..
ثم همس الى الممرضة قائلاً : انظري اذا كانت زوجتي هنا .. فالتزل ساكن .

وبحثت عنها الممرضة فلم تجدها .

فقال هاني : هل الببغاء هنا ؟

- نعم .. انه في القفص .

- اذا فهي لم تهجرني بعد .

شهداء

شهداء .. ضعي الكاس جانبا كفى ضياعا
عيشاك الزرقاوان اغروروكا بدعمة حلوة
وشغاك الدافئان تفسطرب فيهما كلمات المجاعة
ضعي الكاس .. فالحياسة ليست للضياع
العصر ايسام حلوة وليال هائلة رافعة
انرعي مباحج الحياة من كاس الزمن الكبير
في بقعة وشوة ، فالنشوة للمحظوفين
هذه الفتنة نام بين خصلات شعرك العريدة
انها نام حالة على كتفك البلسوري
وحين تسميتف تطل على برعمن حنون للاثونة
الصارخة

انها ابيات شعر متثور لم ينثر بعد
شهداء ... ضعي الكاس جانبا كفى ضياعا
التقسيم الصاخب يهز كيانك هزوا
ودخان الفافات يكاد يخنق صوتك النغم
عودي الى الطبيعة لحظة لتعودي زهرة ندية
فالجمال لا يعرف الحدود ولا التقاليد
والحسن يعسد في مخواب الحقيقة
والانسان الخسر هو الهدف الاخير

هانيديلبرج علي حسن قدققي

ولم تكن قد هجرته حقيقة ، بل كانت مخلصه له على طبيعتها

وقال زوجها : « نحن نعيش في سلام ..
انها الوحيدة التي تعزيني وتستوهني » .

وكان الجميع يشعرون بالكراهية الدفينة نحوها ، حتى ان الممرضة لم ترض ان تخبرها عن الوقت الذي سعدت فيه روح زوجها الى بارئها ، وكان ذلك في يوم من ايام فبراير الباردة عام ١٨٨٦ .

وعاشت بعده ثلاثين عاما ، كانت هوايتها جمع الطيور والحيوانات المختلفة ، وكانت ما تزال تاكل في نهم كماداتها ، ومع ذلك كانت محفظة بجملاتها الذي اسرت به زوجها الشاعر الراحل .

ولم تتزوج ثانية بعد وفاته ، كما لم يهف قلبها لاحد غيره . واصيبت بسكتة قلبية في ذكرى وفاته عام ١٨٨٢ فماتت لساعتها ، ودفنت معه في قبره ، ولكنهم لم يحفروا سوى اسمه فقط على شاهد القبر .

وهكذا اجتمع الحبيبان بعد فراقهما الطويل ، جمعهما القبر اخيرا ، واذا بها في ممانها تشاركه شهرته كما فعلت ذلك في حياتها .

وكان من بين مخلفاتها مجموعات من شعره كانت سببا في خلود اسمه .. ولكنها لم تكن قد قرأتها ابداً !

الاسكندرية حسن فتحي خليل

غوته

بقلم سميتيفن سبندر

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

المختص المنعزل . ان دراسة الوقائع واستخلاص النتائج منها مهما تكن ، والامعان بطريقة مجردة في المجهول ، والتشكك فيما هو سري غامض ، كل هذه الامور كانت بالقياس اليه كقرا ، كما كانت كذلك لمعاصره ولهم بليك الذي اختلف عنه كل الاختلاف .

« عرف » غوته الكثير من العلم بيد انه مقت اكثر مناهج العلم تقديمية . ومع انه لم يتعرف على بليك ، الا انه كان على وفاق معه في تحرير نيوتن . (يقول بهذا الصدد) : « كشفت الضياء في صفاته وحقيقته ، وجعلت من واجبي النضال دونه . أما الحزب المعارض ، فقد عمل ما في وسعه لظلام الضياء ، لانهم يعتقدون بان الظل جزء منه » . وقد جاء ذلك في رسالة لغوته الى ايكيرمان سنة ١٨٢٤ وبهذا (القول) لوح بنظريته في الالوان . وفي هذا ما فيه من شعور بان المنهج النيوتني في البحث المجرد ما هو بعد ذاته الا عمل من اعمال الشيطان . اي انه كان من واجب العلم البحث عن تعابير واستعارات في الطبيعة تبرهن على الوحدة المستكنة في كل جزء من اجزائها . توقع غوته من العلم كالدن سواء بسواء توكيد عقيدته الاساسية : « كل الاشياء تشابك وتنسجم في كل كامل » .

توقف غوته من نيوتن بظهوره بأنه اقرب الى الشاعر الحديث في ازمته حين يواجه نتائج ومناهج الاختصاص العلمي، منهالي ليوناردو ذي الذهن الاحيائي (٢) الشامل، الذي كان يعتبر العلم امتدادا الى عالم الاشياء وهو في هذا يمثل التشكلات والاختراعات التي تمت على يده في فن الرسم . أما اختراعاته (٣) فكانت اميل الى محاولات السير باليمن في عصرنا هذا ، السيطرة على مناطق جديدة من مناطق التجربة لتنضم الى الخيال . وفي ذلك كان بعيدا عن البحوث العلمية الحديثة .

صحيح ان منابر غوته وخياله قادته الى اكتشاف علمي مهم على الاقل ، بشر بنظرية دارون في التطور . لكن هذه الحال تؤكد العضلة الراهنة التي تواجهنا فسي حياتنا ، اعني ان الشعر بحاجة الى العلم ، كاحتياج العلم الى الشعر . ومع ذلك يكاد يكون مستحيلا رصد ذهن حديث يستطيع الجمع بين ايمان شاعري كامل وتشكك علمي شامل .

وفي عشية عصر الاختصاص ، رأى غوته اهمية التركيب والتوحيد مستبعدا الاختصاص . وما كتابته وحياته الا انعكاس للانسجام الذي انجزه في تصرفه ومسؤوليته وعمله ووجوده . وقد عبر عن هذه الحقيقة حين اضاف على شعره سمة السيرة الشخصية ، وهذا ما فعله بقصته (الانساب المختارة) عندما قال : ان كل سطر فيها حصيلة تجربة من تجاربه .

انا لا اعني بالاختصاص « العلم » المجرد ، بل اعني الاندفاع من مركز جميع فعاليات الذهن الحديث ، للتوكيد على تلك الخصائص التي تميزها عن غيرها من الفعاليات . كما يكاد يبدو محتما ان تتناثر الفنون والفيض العقلي في

يوصف غوته احيانا بأنه آخر انسان ظل محتفظا بسمتا عبقرية النهضة (الاوروبية) . وعلى التحقيق يصح له الادعاء بالشمول والكونية . فهو شاعر بين الامراء ، وكيف لا وهذه الصفة تنطبق على الاستقراطي الذي حكم ولاية وايمر الصغيرة ، اذ هي ماثرة من ماثره . فضلا عن كتابه (فاوست) ، فقد كان سياسيا اداريا وعالما دارسا . وكان - في معتقداته - انسانيا (Humanus) يتاصر اغلب الاوقات العالم الوثني ضد العالم المسيحي ، مع اهتمام بالغ متهوس بالمسيح وبالايمان اللذين تجاوزا الكنائس الى الاديان الوثنية القديمة والشرقية الحديثة .

نحن ميالون لاعتبار أي من بلغ ريمان شبابه قبل الثورة الفرنسية ، اعتباره من عهد منفصل عن عهدنا هذا ، وقد كان غوته في الاربعين من عمره سنة ١٧٨٩ ، اي في اندلاع الثورة الفرنسية . ونصف حياته يقع على تقويم الفاضل الزمني الذي يحدد المهدن القديم والحديث . ومع ذلك لغوته يبدو كاتباً حديثاً يعالج المشكلات الخاصة بصنعة شاعرا في العصر الراهن . وبذلك يتركز بلاغته في الثورة الفرنسية الذين وضعوا كيان عصرنا الذي نعيشه . انه يسحر الذين يقعون تحت تأثيره لنجاحه الكبير في محاولته لدمج الفكر والمعرفة المعاصرين في بوتقة واحدة ، وهذا ما لم يستطع غيره منذ زمنه . واذا كنا نحسبه العبقرية الشاملة « الاخيرة » فذلك انه كان آخر انسان في وضع يستطيع فيه ان يعاول الدمج والتوحيد بين الفكر والمعرفة . أما بعده ، فان المعرفة والاخترع وحصيلتهما الاختصاص - ازدادت زيادة سريعة بحيث اصبح من العسير نصب جسر على البرزخ الذي يفصل بين العلم والشعر ، ومع ذلك وبسبب من تأثير غوته ، ظل هذا الهدف هدف (الفكتوريين المقام) (١) وبدلا من ان نقول انه كان عبقرى النهضة الاخير ، يصح لنا القول اذن : ان غوته كان الانسان العصري الاول والاخير والكمال ، كان شاملا ، سالم الذهن والجسم ، جامعا بين ادوار الشاعر والسياسي والعالم . هذه الوظائف التي تعشرت على اثره ، وانفصم عقدها لتشغل كل منها مكانها الخاص بها .

ومع ذلك ، ففكره المتعدد الجوانب بدلت عليه بعض التحديدات في القرن الثامن عشر فضاق الحال بذهنه الشاعر الغصب حين واجه مناهج البحث التحليلي

عصر يسيطر فيه على حياة البشر النضال من أجل السلطة في السياسة ، وجبروت الصحافة والإختراعات العلمية . ومثل (الحياة قصيرة والفن طويل العمر) ، مثل معاد لدى غوته . ولم يعرف احد خيرا منه أن ظروف الزمان كانت تتطور بطرائق غير ملائمة لتطور الفن .

وكل شيء في حياته بعد بلوغه الخامسة والعشرين ، يبدو بهما بالقياس إلى تحدي الظروف . والطريقة التي واجه بها هذا الأمر ، كانت هي نفسها تحدياً للكتاب اللاحقين الذين واجهوا الوضعية نفسها حديثاً . وتوماس مان وحده هو الكاتب العظيم الحديث الذي شعر بتحدي هذه القدرة الحسنة . وكتاباته عن غوته تستدعي إلى الدهن مناجات هملت إلى شبح والده .

وعجز الكتاب اللاحقين عن اقتفاء أثر غوته في ربط الحياة الشعرية بالعلم والإنجاز الذاتي ، يؤكد أهدافه توكيدا . والاختيار المقصود ، عن سبق إصرار ، يشمل حتى إيمانه بضرورة السير على منوال كل ما هو كامن في الوعي ، (فتراه) يطعم بأدراك غرائزه في أوقات تكاد تكون عمية ، متنبعا مسالك خارجية عن نهج تطلوه ، معتزفا بالخطأ ، مظهرا - في حصيلته عمله - أن ما بدا خاطئاً غامضاً ، خرجا عن الصدق ، يمكن أن ينخرط فيما توصل إليه من حرج جلي ، وهذا ما كان يتم بوضوح في الخامسة .

يتفق غوته مع بليك في الذهاب إلى : « أن ما ندعوه شراً ليس إلا الجانب الآخر من الخير . » وكان يمكن لبليك أن يرى في مفسوفيليس (٤) ما رآه ووصفه بليك - ملئاً

هذا الذي كان على حسب كلمات بليك « من حرب الشيطان بغير علم منه » وهذا قول كان يمكن أن يشرح صدر غوته . أما التغيير الذي طرأ على حياته غوته بعد أن أصبح وزيراً للدولة ، وكلاسيكياً موضوعياً ، فقد يصح اعتماذه لنسج قصة مألوفة عن رجل عبقرى ، بعد فورة شبابه وقبوله للوظائف العامة ، وتسلمه لمنصبه الرسمي ، لولا احترامه لمبدأ دعاء . د. ه. لورنس بـ (آلهة الظلام) تلك الآلهة التي جلبها غوته معه إلى حياة وإمبر ، الحياة التي بدا عليها الاحترام الظاهر والسخرية العميقة . أن التبدل هذا واضح بين القسمين الأول والثاني من فاوست . فالقسم الأول يعني بالعالم الذاتي الذي يتجلى في اكتشاف فاوست لنفسه عن طريق السحر . أما القسم الثاني فيعالج العالم الموضوعي الذي فيه يكون الماضي والدين والفن والعلم الأولى في تفسير الطبيعة البشرية بخلاف الهواجس الدائبة .

وما السحر إلا أداة فاوست الذاتي في البحث عن نفسه . على حين أن الرعب والظلام وإسرار العالم الكلاسيكي وقوى ما فوق الطبيعة و « أمهات » القسم الثاني من الدراما - في غرايتن - هذه الأمور هي التي تكتن من صورة الحياة أعظم مما يفعل الإفراد ، وهذا سر يجعل أعظم هؤلاء أدوات للخدمة الرفيعة .

شخصية مفسوفيليس شخصية من القرون الوسطى يتشامل شأنها بسبب العظمة الربعية التي يتسم بها سكان فاليرغشتاخ (٥) . وكما هي الحال في القسم الثاني من المسرحية التي استغرقت حياته العاملة بأكملها ، أحاط غوته حياته المتأخرة بقوى موضوعية مقبضة عن نفسه الشياطين والسحرة وإغراءات المرحلة الأولى من حياته . فاصبح بعد الانعزال الذاتي والرومانسية والذاتية علائم مرض حديث ينشئ للشعراء مناجزتها . ومن هنا كان استيأؤه من الرومانسيين . وفي هذا الشأن يحدث إنكرمان قائلاً « كل العصور التي هي في انحطاط وانحلال عصور ذاتية . ومن جهة أخرى فجميع العصور القديمة لا بد أن تكون موضوعية . أن عهدنا عهد رجعة ، ولذا فهو عهد ذاتي . لا نرى هذا في الشعر حسب ، بل في الرسم فضلا عن أشياء آخر . وعلى الضد من ذلك ، فكل جسد سليم ينبغي أن يوجه من الداخل إلى العالم الخارجي . » ولا شيء أبعد عن رأي غوته في الشعر من تعريف كيتس لـ « شخصية الشاعر » بصفتها « لا ذات » و « لاهوية » لها وباعتبار الشاعر « أبعد مخلوقات الله عن الشاعر » كما أن غوته لا يتفق حتى مع الاستثناء الذي افترضه كيتس لتعميمه هو نفسه ، وهذا الاستثناء يظهر في « الصمو الورذورتي (٦) أو الأناي ، الذي يقوم بذاته ويصمد بنفسه . » أما أثنائه غوته فكانت دفاعاً عن القرية ، وهي أقصى ما تكون بعداً عن الانانية .

وإن قرأنا في غوته في الشعر هو على طرفي تقبض مع رأي المدرسة الرومانسية . بيد أن هذه التقابض قد تتلاقى في بعض النقاط . ومن تلك (النقاط) رأي كيتس في أن الشاعر يلج في كل شيء إذا ما أباد ذاتيته ، فهذا يتفق مع رأي غوته « بأن كل جهد سليم ... يوجهه من الداخل إلى العالم الخارجي . » لكن كيتس يؤكد على الشخصية الثقافية ، التي تستطيع من خلال حساسيتها أن تدخل في طبيعة الشمس والقمر ، أما غوته فيؤكد على الشخصية الإيجابية التي تدخل إلى العالم مواجهة إياه بقم موضوعية أخلاقية وشعرية . ومن هنا يعمل كيتس على جعل الشيء الموضوعي ذاتياً ، ويعمل غوته على جعل الشيء الذاتي موضوعياً .

كان موقف غوته ولا يزال موقفاً انعزالياً في تطور الشعر الحديث . فمفند زمنه وإلى زمننا هذا تتلاطم أمواج الطبيعة الرومانسية على صخرة هذا الرجل ، ومشهد هذا التلاطم مشهود مؤلم ، إذ يرى غوته تحت ضوء باهت . وقد استغل كثيرا رفضه للاهتمام بهولدرن وكذلك بروده في رسالته الشهيرة إلى كلايست . ومع ذلك فليس من الضرورة حتما الدفاع عن غوته بصفتها شاعراً ، حيال نقده باعتباره إنساناً . لأنه لم يستطع أن يشمل بعطفه شعراء آخرين ، لمواقف كان يعارضها بنفسه بغير شفقة ولا رحمة . ذلك لأن حياته هي الثمن الذي دفعه لشعره ، وتلك الحياة ذاتها كانت أعظم

الوحيد على هذه الظروف يمثل في القبول الحازم اليقظ لحالة الشاعر . إذ لم تعد البراءة محتملة وأصبح الوعي هو كل شيء .

ان حياة غوته نفسها تصور تبدل موقفه من إبداع بريء الى وعي مطرّف وضرب من العزلة الابدائية التي هي ليست « هروباً » بل وحدة اقتضى أن يكون مكانها في مركز الاشياء الخارجية . لم يمس اي شاب الشاب غوته في حساسيته وثاقانية مشاعره وفورة مزاجه « فقد كان كله حيوية وقوة من اخصص قدمه الى سمت رأسه ، فضلاً عن قلبه المغمى بالمعطف والروح النارية ، ذلك القلب الذي يخلق باجنحة النسر » كما وصفه هاينه (اما هيردر فقد وجده « خفيفاً بعض الشيء كالعصفور ») . وقد أثر في معاصريه كأنه روح العبقريّة الجسدية ، ومركز « العاصفة والانفداع » . ان كتاباته في ذلك الوقت ، واعتائيه الاصولية المباشرة العجيبة وذهب (اورفاوشت) الابريز والنار الشكسبيرية في (فونز فون بريختن) كل هذه الامور لا تزال تنقل اليها باكورة غوته في فورته وانتفاضتها - حتى ولو راينا شيئاً غريباً في ان تكون (قرتز) مدعاة (مودة) لانتحار الشباب .

جرب غوته - في شبابه - المرض الروماني ، وتعلم من ذلك انه داء كاد يدفع به الى حافة الانتحار والقفوط وحتى الجنون . ان الرجل الذي نظّر الى ماضيه ، في اواخر حياته قال بأنه لم يعرف اسبوعاً قط بغير ان يكابد فيه عذاباً ، وبالرغم من صحته الجيدة كان عرضة لنوبات مرض - ولما عاش معظم ايامه قريباً جداً من الانحلال تحت ستر من الغربة المتناهية . اما القوة التي سيطرت عليه ، اما التصميم الذي صهر حياته ، فقد كانتا تمثلتين في القفوط .

ان اهم الحوادث في حياة غوته هي تسنمه منصب الوزارة على يد كارل اوغست « امير » وايمر سنة ١٧١٥ وسفرته الاولى الى ايطاليا بعدد ثمانين سنة ، وعلاقته الغرامية بشارلوت فون شتاين التي يرجع عنها الى السنين الثمانين عشرة الاولى في وايمر ، وصادقته مع شلر التي بدأت سنة ١٧٩٤ وهي التي انقذته من العزلة الشعرية حتى وفاة شلر ، اما اعظم حدث خارجي اثر في افكاره فهو الثورة الفرنسية بغير شك ولا ريب .

وما ان تم توظيفه في وايمر حتى غير الشاب الروماني لون جلده ، فلم يعد شخصاً تدفعه رياح (العاصفة ...) بل أصبح موجه معصيه الذي وجه بدوره شعره .

وبهذا التبدل اخذ يعمل بحبه نحو المثل الكلاسيكي الاعلى . وتوضيحاً لسفره غير المعلن عنه الى روما كتب الى شارلوت فون شتاين بأنه لم يستطع - سنين عديدة - ان ينظر الى اي مؤلف لاتيني او صورة من ايطاليا بغير تالم وعذاب . ثم ان السفارة الايطالية اعانته على التغلب على الازمة الروحية التي تسبب توظيفه في بلاط وايمر في

اعماله في الختام . الم يصف عمله الادبي بعده سيرة ذاتية طويلة ؟ اما (قرتز) والقصائد المبكرة فكانت تعبيراً عن الحياة الرومانسية الذاتية ، غير ان حياته بعد الاربعين كانت اكثر فاكثر موضوع شعره . ففي البدء كتبت حياته شعره ، وبعد ذلك كتبت عظمته حياته .

ليس يكفي ان اتحدث عن غوته لجرد توبيه شاعراً . فاذلي نعتي بكلمة (غوته) لا يتضمن شعره ونثره حسب بل قوته الحسنة وما يعرف بحكمته . ان عظمته تكمن في انجازه بجعل نفسه موضوعاً ، واليوم حين يقول المرء : « غوته » فهو يعني حصيلة اشياء مهمة عظيمة - منها الشعر او النثر ، ومنها ما يتصل بتصرفه في الحياة كاعماله الهيدونية (V) وتضحياته في الوقت نفسه . وهذه الامور كلها تكون صورة تشبه ملحمة عظيمة لم يدبها انسان بكلمات حسب بل باعمال منبثقة من دمه ولحمه .

ذلك انه الخ في جعل تطوره غاية طبيعته الثرة ذات الوجه المتعددة . وهذا ما نجد صعوبة في قبوله منه ، بسبب اعتيادنا على ربط التضحية بالزهد . فانجاز التضحية من خلال تحقيق الذات بالاصرار على السعادة بغير التفات الى خلال الذات والشقاء ، والمحافظة على الوجود الذاتي بغير هدر له وتنازل عنه امور غريبة كل الغرابة عن مفهومنا للاخلاق البيوريتانية المنتصرة .

قد يسوّنا ان نعلم بالمثل الذي كان يكتنه غوته لمراي الجثث او زيارة الموتى ، او قيامه بما في استطاعته من قدرة لتجاهل العذاب الذي كانت تكابده فوجهه على فراش المرض ، او قطعه لصلاته باجائه حين يكون تلك الصلات مهددة لاستقلاله . ومع ذلك لا بد من قول هذا الثمن الذي يجب ان ندفعه من اجل « غوته » . ولدي فهم عظمته علياً ان نرى انه هو نفسه دفع الثمن ، على ادراكه انه لما كان يفعل .

يقرن اسماء عادة الى العبقريات الشاعرية شكسبير ودانتي - وهو تمة لهذين الآخرين ، واسمه على الشفاء الكثيرة اللاهجة به . ومع ذلك فما اقل الوشائج التي تربط بين الشاعرين الآخرين وبينه ! يقس غوته هذا البرزخ حين يتحدث ايكزمان عن شكسبير قائلاً : « ذلك النتاج البريء الهادي السائر في نومه ، الذي بواسطته يمكن ازدهار كل شيء عظيم ، لم يعد محتمل الوجود . ان مواهبنا موضوعه امام الجمهور . والنقد اليومي في خمسين مكان مختلف بما يعقبه من شائعات يحول دون ظهور انتاج سليم . ومن لا يسمو عن هذا كله . ويعتكف على نفسه بالقوة يضع . ان ضرباً من الثقافة النصفية ، يجد طريقه الى الجماهير ، من خلال لهجة المجلات السلبية الرديئة ، في نقدها او في تقديرها » الجمالية » وهي للمواهب الخلاقة ضباب مؤذ ، وسم منحدر من الاوراق الخضراء المزرقة الى اعماق العروق والانساع ، وهي التي تحطم شجرة الابداع . »

ان الظروف الحديثة تجعل الشاعر يعي ذاته ، والرد

غوته ان يحظى بهذه العزلة التي أئتمنت من اخضاع تصرفاته كلها - حتى مسرانه وعواطفه ، اخضاعها الى تأثيرها في شخصيته وعمله . وبسبب ما صنع بنفسه وما ابدعه ، حق له الاعاء بالنسamy في النضال أثناء الحروب النابليونية ، والامتناع عن تأييد التحمس الوطني الألماني . انه رأى في نابليون اداة للقدر ينفذ هدفا لا يختلف كثيرا عن هدفه . وقد دنع السورة الفرنسية باعتبارها نهاية الثقافة الأوروبية التي كان هو جزءا لا يتجزأ منها .

ومع عمق امثال غوته وحكمه ، ينبغي التفريق بين تلك التي يتجلى فيها الذكاء ، وبين تلك التي تكتنفها نغمة ، طريقة « ذهبية » في رؤية الاشياء ، وهي التي تعاو على منازعات العالم . وهذه الحكمة الموسيقية المرتبة وغير المرتبة تؤثر في موسيقى شعره وفي نثره ... انها تشد مناقشاته الجدلية بعضها ببعض في مناظراته ، تشدها بسبب اعظم من الاسباب التي قد يتحدث عنها ، في الفن والتاريخ والنضال بين الخير والشر ، مع استعلاء على الاشياء الغائبة . وهي التي تمهد لما يدعوه غالبا بفكرة الادب العالي . وليس هذا الادب بالقياس الى غوته برج بابل او مؤتمر لاونسكو ، انما هو يعني اجتماع الازهار وتأييدها لانفاقات مشتركة في (حفل) الادب ، في تسام على المنازعات المالية . ولعل هذه الفكرة تماثل ما دعاه اندريه مالرو (الفكر الخيالي) لكل الازمان والثقافات حين تلقى (روافده) في ذهن حديث .

وهذه النغمة التي تكتنف بعض اجزاء (ولهم مايستر) وجزءا من الاعاني والقصة الاسطورية (نوفيل) هي التي صلبت عليها طليها في نغمها من تخوم الادب الى موسيقى موزارت ومناظر جيورجيويني الرعوية . هنا حكمة ليست من ضرب الامثال ، انها غير منفصلة عن الرؤيا الشعرية ، وهي التي تشع في احسن ما كتب غوته اشعاعا ذهبيا معجبا .

ثم ان هذه الحكمة تعود بنا الى حياة غوته في انتظامها وحتميتها . فكان اللقاء مع شلر ذا بداية باردة بعض الشيء ، لان كلا منهما شعر بان الشاعر الآخر « خصمه » و (مع ذلك استمرت الصداقة بينهما) اذ رأى كل منهما في صاحبه تكلمة له في الفكر والحياة - وهذا لم يكن مجرد

- (1) بالنسبة الى عهد الملكة فكتوريا (1817-19) المترجم . (2) بالنسبة الى نهضة الاحياء الأوروبية المترجم . (3) القصود بها اختراعات غوته ، المترجم . (4) هو الشيطان الذي يلعب دور البطولة في مأساة (فاوست) لقوته . المترجم . (5) لم اعثر في معجم (اوكسفورد الشامل) على معنى لهذه الكلمة ، لكنني انقها تعني الجحيم بالفرنسية . المترجم . (6) بالنسبة الى الشاعر الكاتيزي الروماني الكبير وريزورث ، المترجم . (7) هي فلسفة السمات الجنسية والتلذذ العاطفي ، المترجم . (8) برايبوس : اله التناسل ، ايروس : الحب ، واله الحب ، معجم اوكسفورد الشامل . (9) قراء هذا البلد ، يعني الكتاب اكثرنا طبعاً ، المترجم . (10) الحكم الإلهي الصوفي ، المترجم .

انارتها . لقد تقبل الخدمة العامة والمسؤولية في العالم من اجل ان يوجه روحه ، لكن مهام رجل البلاط الإداري لم تسمح له بوضع أسس غير رومانسية ، هذه الأسس التي لا يستطيع اكتشافها الا بالذهاب الى مركز العالم الكلاسيكي . اكتشف غوته في سفرته روما فنكلمان ، روما الاغريق . وقد تأثر بروناتيل وبالاديو والسما الإيطالية والمناظر الطبيعية . و (مراني روما) التي وضعها تربط بصورة معجبة بين اكتشاف العالم العتيق واستسلامه الى مثل هذا العالم الوثني وبين النقد الاجتماعي الناصجة .

انه استقر على ما صمم عليه ليس بسبب من أزمة موقفه ومهامه في وايمر التي ساعدته السفرة الإيطالية على حلها ، بل ايضا بسبب صلته بالمرأة التي كانت مركز حياته العاطفية والروحية مدى اثنتي عشرة سنة . كانت شارلوت فون شتاين تكبر غوته بسبع سنين ، وهي زوجة موظف في البلاط ، وام سبعة اطفال . هذه المرأة كانت موضع اهتمام غوته عاطفيا خلا سني رجولته الناصجة .

ليس المهم انها « استسلمت » له ، بل المهم ان هزيمة غوته الى روما كانت نتيجة لما تبقى من صلة رقيقة اكتنفها الخيبة والاخفاق . وفي روما تبد الطراز العالي من الافكار وشرع يحيا حياة جديدة فيها للنسرات الحسية قيمة لا غبار عليها من استحياء واحتشام . وهناك كتب قصائد كان فيها برايبوس مهما اهمية ايروس (8) . ولغة بيت في (مراني روما) يصف فيها اضطجاع بين احضان خليلته الإيطالية وتقره يسده الحرة على ظهورها انعام القافية السادسة . لقد انعش جذور شعره بقراره من توهده وإيمر الى خلاصة روما .

لم تستطع شارلوت فون شتاين ان تغفر لغوته سيقته تلك . والواقع ، انه حين عاد الى وايمر وجد برودا في استقبال معظم اصدقائه . ووفاء منه الى الرغبة الجنسية الجامحة التي صيها في حياته ، اتخذ له خليله ، فتاة صغيرة في بيته ، تدعى كريستيانا فليوس ، وقد أصبحت بعدئذ زوجة له .

ان غوته مشهور بـ (حكمته) ولحد ما تطفئ سمعة (حكيم وايمر) على سمعة الشاعر . وحين ذكرت . س اليوت ملاحظته المشهورة : كان ينبغي لغوته ان يكرس نفسه لوضع الامثال على منوال لاوشوفكو ، انما كان يعبر عن عدد لا بأس به من القراء (9) فيما توصلوا اليه من نتائج ضمنا .

ولسمعة الحكمة شيء من البرود يصيب الشاعر بتأثيره . ومع ذلك تحكمة غوته أصيلة وليست من نوافل راسد محفوظ ، يستطيع ان يكون حكيماً متى ما شاء . انها اقرب ما تكون الى الصوفي : ذلك الانسان الذي كرس حياته بأسرها الى ضغط المبادئ الحية التي تباعد بينه وبين العالم بضرب معين من العزلة . ومن مكانه في مركز العالم استطاع

مصادفة سعيدة بل أسوة حسنة من الانسجام . انه كان جزءا من عمل عظيم استل الفضائل من الظروف .

كانت نظرة غوته الى الحياة نظرة ارسطوقراطية في اساسها . فاعتقد بان احسن من يحكم هو الملك المستنير . ومع ذلك آمن بان الملوك ينبغي لهم خدمة الشعب ، ولقد انتقد اولئك الذين لم يفعلوا ذلك . وقد خدم (غوته) كارل اوغست دوق ساكس - وايمر - آيزناخ - وكان في خدمته تلك صريحا في تقدمه ونصحه . كما رأى في الثورة الفرنسية نهاية الطبقة الارستوقراطية .

ومع ذلك عد وجوده مستعدا من الشعب وتشكى لإكرام بانه لا شيء ابلغ في الاساءة الى فهمه من تسميته الساحرة « صديق النظام القائم » وقد احتج على ذلك وقال : انه ولو يكره الثورات لكنه لا يحسبها اخطاء الشعوب بل اخطاء الحكومات .

لعل اعداء غوته السياسيين ، بمعرفتهم لمقتله للاحرار (اللبراليين) ومساندته للرقابة على الصحف لا يتكفون بهذه التفسيرات الذاتية . . . اما فلسفة الشاعر السياسية فكانت تعبيرا عن حاجته للتقاليد في جذورها العميقة الضرورية لعمله من جهة ، ومن جهة اخرى فهي تكمن في ولائه لمسؤوليته باعتباره عضوا في حكومة الامارة . ان فكر غوته - في مستوي عميق من فاوست - مفكر سياسي ملهم ، وضع ملاحظات عن النضال في الحياة ، اقتبسها وناقشها الماركسيون مؤخرا ، وهؤلاء ، لو كانوا في عهده لعدوا من اعدائه . والدبالكتيك - في فاوست - اقوى من الشعور بالخير والشر : ذلك بان العمل ينبغي ان الكفاح بين القوى التاريخية المتناقضة . يقول كارل ماركس بهذا الشأن في كتابه (الشاعر غوته) : « يعرف غوته ، ان

الانسان - حين يعمل - يكون - في اساسه - بغير ضمير . فكم من الاعمال التي يعدها التاريخ عظيمة تستطيع الوقوف على قدميها امام حكم الاخلاق ؟ وعلى الذي يريد الا يجترح خبطة على عمل . والانسان التاملي وحده هو الذي يستطيع الحفاظ على تقاوة روحه . هذا هو التناقض الذي لا مفر منه المفروض على الوجود الانساني ، وهو افترض ما يكون على الانسان العملي في الوقت الراهن . ذلك انه حين يصب قوته في خطئه واعماله ، ينسحب ابعاد فاعده من محيطه الذي كان فيه . وما يعد هنا انجازا ونجاحا يعد امام محكمة الاخلاق خيانة وانما . وهذه هي مأساة فاوست ايضا . »

وفي عصر عاد فيه الشعراء الى المعتقدات المسيحية لتكون ركيزة ليمانهم وزمرا ينسجون على منواله في اشعارهم ، واذا ما عجزوا عن ذلك وجدوا الضرورة تقتضيهم كما هي الحال مع بيتس ، ان يبنوا تقالما ميثاقية خاصة بهم - وفي مثل هذا العصر يبدو شعر غوته (ضعيفا) اذا هو يعاني العايب الروحية التي طالما استهجنها في (اللبرالية) في اخلاقها وغيبياتها . انه في عوز الى المعتقد الديني ، ومع ذلك كان يستغيث بالله ، اما بالقياس الى

الطبيعة فكان من دعاة وحدة الوجود ، ومن عباد الجمال ومحبي اليونان . وكان في الامور العامة سليم الحس والادراك ، وكل المحاولات لبناء عقيدة استنادا الى آراء غوته لا بد لها ان تنتهي الى نوع من الحركة الدينية العالية تشبه اليثوصوفية (١٠) .

لا جدال ان فاوست عمل عظيم ، ولكن الى م تستند ادعاءات شعر غوته الفئاني ؟

لهذا السؤال عدة اجوبة ، واحدها ان هذه (الاجوبة) تستفيد من الحفظ السعيد ، فها شاعر اوتي قدرا عظيما من القوة والدكاء والسيطرة على اللغة الالمانية التي كانت فريدة بين اللغات الاوروبية في القرن الثامن عشر باحتفاظها بمناطق عظيمة لم يكشفها الشعراء بعد . ومن هنا الطرافة والطراوة والحساسية التي نجدتها في لغة غوته ، وهي خواص الادب في الاقطار الاوروبية الاخرى ، قبل ذلك العهد باربعمئة سنة .

ثم ان لغوته حماسة سامية وسطوة (في الاداء) وسهولة في التعبير . والوحيد من معاصريه ، الذي يقارن به هو بايرون في حيوية ادائه وقوته ، في احسن ما كتبه وهو (دون جوان) . اما غوته ، في خيره نتاجه ، فهو اعظم من بايرون ، بأسلوبه مضمونا وشكلا . وكان ذهنه بالطبع ، أكثر إثارة للاهتمام واحسن اطلاعا ، وأكثر ثقافة من بايرون ، لانه اوتي من الوقت ما استطاع فيه ان ينضج تمام النضج . وقد سبق غوته بعض شعراء القرن العشرين (كمزرا باوند مثلا) في محاولة التقنية ، بحيث استطاع جعل الشعر الحر والكتابة الخالية اصدا لاشكال وموضوعات كلاسيكية . وهو أكثر نجاحا في تحليقه في اجواء الروح الكلاسيكية ، بقصيدته (بروميثيوس) و (غزرزن دير مينشهايت) من الشعراء الكلاسيكيين المعروفين .

ثم ان اتفاقات اخرى اثارت غوته ، فكان نتاج هذه الاتفاقات مؤثرات لا مثيل لها لعبت دورها في لغته نفسها . ومن تلك (المؤثرات) (الديوان الغربي الشرقي) المعجب لا باعتباره نقفا مجموعة كما فعل فيتزجيرالد (بعمر الخيام) فهو (يختلف عن ذلك كل الاختلاف) انه ذفر الخيال الى الروح الثقافية الماضية التي تنتشق مآثر العالم الشرقي المكتشف ، ومع ذلك تقوى غوته الابلية الى الشيوخوخة ومشاعر وروحه العصرية ، تجعله ينقل الى الماضي دما جديدا يجلبه ابن ما يشاء الى الحياة العصرية .

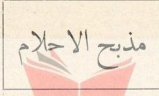
يستطيع المرء ان يستمر في الاضافة والاستزادة من ادعاءات غوته في العظمة (فهو غالبا) تلقائي طريف كروبرت برنز ، وقصائده الوسمية تضفي لمسات حية على العمل الادبي الضخم الذي كان اعترافا نابضا بالحوية في تعبيره عن سيرة حياته .

يوسف عبد المسيح ثروة

بغداد

- بابا ، خلني الى النافورة
 ذهنسه مشغول بفكرة استرجاع
 نقوده المسلوقة على المائدة الخضراء .
 - بابا انا اسم يسبق لي رؤبة
 نافورة .
 يخرج سرعاً ويصفق الباب بشدة .
 تستمر الصغيرة في مكانها وتلتهم
 في زرقة عينها اوائل الدمع ثم
 يعشي الحزن صاعداً قلب امها المتأهة
 لتصرف زوجها .
 - لا تبك يا حبيبتي ، انا اخذك .
 تنفخ الفرح في قلبها وتهرع الى
 امها تقبلها .
 - اجلي المشط لامشط شعرك .
 - انذهب بالسيارة .
 - لا تمنشي افضل
 - ماما .. ام تشاهدي نافورة
 انت ايضا ؟
 -
 - ماذا تشبه النافورة ؟
 - تشبه الدوش
 - لا يسقط الماء علينا ؟
 - لا ابدا .
 تحاول تكوين فكرة واضحة عن
 الدوش الكبير في ذهنها الصغير
 .تحرك يد الام تغفر الذهب الناعم
 وتثبه في بحار حلم للمستقبل .
 الا هي احفظها .. واجعل السعد
 رفيقها .. آه ستغدو موظفة ويخطبها
 مهندس يضمني معها في سيارة اتيقة
 وياخذني لزيارة الحسين .
 - ابو جواد ، الا تاخذ ابنك الى
 الطبيب .
 - اخذه غدا .
 - لكن الطبيب قال ان عليكم ان
 تاتوا به مساء الخميس .
 - غدا اخذه ، الليلة الجمعة ولا
 يصح اضاعه الفرصة .
 ها هو يعبر الجسر يسوق سيارته
 الجديدة .. عيناه ترقبان الناس على
 الارصفة .. يسير الآن مطمئناً ليصطاد
 راكباً .
 طاط طاط .. طاط طاط ..
 - تكسي تكسي
 - نعم
 - عند سينما هوليد
 - هذه التي قرب النافورة ؟

- نعم هي
 - ٣٠٠ فلس
 - لا كثير
 - لم اطلب كثيراً
 - يتعمد الراكب
 - كم تعطي ؟
 - ربع دينار
 - تفضل اصعد
 ها ... الآن يأتي دور السرعة
 والاحلام النهارية المتعبة الفنائج
 .. الركاب كثيرون والرزق على الله ..
 عندما اسند كل الانفساط اشتري
 سيارة اخرى اضع فيها سائقاً .. يا
 الله سندوق عندها طعام .الراحة
 بالانفلات من بيتنا العتيق .
 الصغيرة اللحظة مدهوشة برؤية



بقم عزي الوهاب
 ARCHIVE
 http://Archivebeta.Sakhr.com

السيارة ما زالت مخضبة بدم
 انضحية التي ذهبها في (السيد
 محمد) فكان احمران على زجاجتها
 الامامية .. هي في حوز امين اذن
 ولا داعي لتخفيض السرعة والاقدار
 بيد الله .
 العائلة الصغيرة سعيدة بالنظف الى
 النافورة ،
 الام تتابع المظهر الملون مستعيدة
 ذكريات الصبا .
 الصغيرة الذهبية الشعر مسلوقة
 الارادة ترجع الى الخلف ليرى النافورة
 من بعيد يتبعها عقلها الصغير دون ان
 يسير لها فرصة التفكير بانها في شارع
 عام .
 السيارة الجديدة تدور في الساحة
 .. السائق يهتم بالنافورة ولا يفكر
 باحتمال وجود طفلة ذهبية الشعر
 يعجبها رؤية النافورة من بعيد ولاول
 مرة .
 تنركها امها لتفرق في ذكريات
 الصبا ، يهملها ابوها ليثار ممن هزمه
 في القمار .
 القدر اللعين يمتطي ظهر غيمة
 سوداء يلهو بنسا .. دما تحركها
 اصابعه العجيبة
 يشجع الصغيرة بالتوغل في قلب
 الشراوع
 يفرق الام بسحر الاحلام
 بغري السائق بزيادة السرعة
 يحفر الاطارات لشرب دم دافي ..
 ثم ...
 آه .. ثم تاتي الخاتمة في لقاء
 الاحلام
 دم الصغيرة الاحمر باقة اكف
 مشوشة على الاطارات الجديدة .
 آه يا نحن ...
 سريعا نمضي ضحايا لعبة القدر
 اما النافورة المدللة فهي باقية في
 مكانها بظل الغيمة السوداء تدفع في
 ابيض ناصعا لتحيله الانوار رذاذا
 ملونا يعبر عن سرورها بنجاح اللعبة
 ولكي تبرهن على انها لم تتأثر بما
 حدث
 لم تسمح لاي لون بالتغلب على
 باقي الالوان .
 عزي الوهاب
 كربلاء



توفيق الفكيكي ، فهو هنا يؤلف على طريقة الجمع والتصنيف ، وهو هنا يمزج اللغة بالادب والتاريخ والشعر ، على حين نرى كتابا عن (النخل والتور في العراق) للاستاذ عبد الوهاب الدباغ العراقي بطبع سنة ١٩٥٦ ، ونرى كتابا آخر عن (التور قديما وحديثا) للاستاذ جعفر الخطيب بطبع في العراق سنة ١٩٥٦ ، ونرى كتابا ثالثا بعنوان (النخل في تاريخ العراق) للاستاذ المؤرخ العراقي عباس الزعزاعي .

ولا شك ان هذه الكتب وعشرات غيرها في القديم والحديث كانت من المصادر التي رجع اليها الاستاذ توفيق الفكيكي ، فقد سجلها في نيت مراجعته بنهاية الكتاب ، ولكننا لاحظنا انه فانه بعض المصادر الهامة لاستكمال بحثه ، فهناك في المراجع القديمة كتاب « نهاية الارب في فنون الادب » للتوسري المصري الموسوعي الشهير ، حيث نجد في الجزء الحادي عشر من هذا الكتاب الصمغ فضلا طويلا في (النخل وما قيل فيه) يبلغ بضع عشرة صفحة ، ولا شك ان به فوائد لم ترد فيما جاء في كتاب الاستاذ الفكيكي ، وهناك في المراجع الحديثة رسالة جليلية بعنوان (النخل في مصر) كتبها الباحث اللبناني الدكتور محمد بهجت وكيل وزارة الزراعة المصرية سابقا بالاشتراك مع توماس وليم براون مدير قسم البساتين بمصر سابقا ، وتكاد تكون هذه الرسالة هي الكتاب العلمي الوحيد في النخل عامه ، ونخيل مصر خاصة . وهذه الرسالة على ما فيها من علم ونبسات وفسولوجيا وامايرال نباتية كان يمكن ان يزيده لزود الى كتاب الاستاذ توفيق الفكيكي لو انه اطلع عليها .

واهتمام الاستاذ الفكيكي بالنخلة وادبها عامه يفسره لنا ذلك المركز الممتاز الذي تحتله العراق في زراعة النخل والتساجح العالمي ، ففي العراق اكثر من ٢٢ مليون نخلة على حين نجد ان بلدان النخل في العالم كله ٨٧ مليونا ، فلهذا السبب الهامة للاتجاه العالمي توضع لنا سر اجزاء الاستاذ الفكيكي في النخلة وادبها . على ان الموضوع في ذاته طريف وممتع ، فان النخلة بجمرة كريمة ، مباركة ، نافعة ، جميلة الشكل ، بأسفة الزوام ، فكانت في شكلها كائلافة او الروحة ، وفي استقامتها كالنصارى ، وفي نفعها كالروحة ، وفي الوان بلعها ، ونظام سفلها ، وتنضيد طلعها مصدر الهام لكثير من الشعراء في الجاهلية وفي الاسلام حتى يومنا هذا . ولم نعد ان نجد في ديوان العرب شعرا في النخلة لآدمي القيس والنابغة ولبيد واحيحة بن الجلاح وبشر بن ابي خازم والفرزدق وابي نواس وعبد الصمد بن المثلث ، بجانب شعر للمعاصرين والمحدثين من امثال جواد الشبيبي والرضاوي وعلي الصغبار ومحمود الجبوري والمهمي الجواهري وغير شاعر السياب ونازك الملائكة ، ومحمود حسن اسماعيل ، وعلي محمود طه ، ومحمد هارون العلو ، وعبد العزيز عتيق ، وعلي الجارم ، ومحمد الاسمر ، ومحمود غنيم ، ومفدي زكريا الجزائري وغيرهم من ان يتسع هذا القلم لذكرهم .

وقد رجع الاستاذ توفيق الى دواوين هؤلاء الشعراء ورصدها كذلك في نيت مراجعته التي زادت على مائة وستين مرجعا ، وهو عدد كبير قد لا يؤمن عنه القارئ في ذكر الكتب ونسبتها الى اصحابها ، وهو ما حدث فعلا ، فقد ذكر في صفحته ٢٠٦ آيات الشاعر محمود غنيم في الريف وجماله ونخيله ، ثم ذكر في الاساس انها من ديوانه « اللهب المقدس » ، مع ان هذا الديوان هو للشاعر الجزائري الثائر مفدي زكريا . وفي صفحة ٦٦ ذكر في الهامش - كما ذكر في جريدة المراجع - ان كتاب « المعجازات النبوية » للشريف الرضي تحقيق محمد عبد الفني حسن ، وهو فاضل لم يكن لي حظ المشاركة فيه ، فان الذي حققته هو كتاب « لتفخيص البيان في معجازات القرآن » للشريف الرضي ، اما المعجازات النبوية فم تحقيق مرحوم الاستاذ محمود مصطفى ، وبمناسبة المراجع

شجرة العذراء : يصورها أدب النخل

تأليف توفيق الفكيكي المحامي - ٢٤ صفحة - حجم كبير - مطبعة الارشاد ببغداد

هذا كتاب يسر المكتبة العربية ان تستقبله وان تفني به ، فانه من الكتب المتخصصة في موضوع واحد ، نلهم من اطرافه وتجمع ما قيل فيه وما كتب عنه لغة وتاريخا وادبا وشعرا وصفة وخاصة . فعمدنا في التراث العربي كتب ورسائل في النخل ، والقين ، والابل ، والسيوف مثلا . وقد كان عمدا كتب ورسائل في النخل اصاغ الزمان اكثراها ، كتاب ابي زيد الانصاري البصري المتوفي سنة ٢١٥ في الثمر ، وكتاب ابن الاعرابي في صفة النخل ، وكتاب ابي نصر الباهلي المتوفي سنة ٢٢١ في الزرع والنخل ، وكتاب ابي حاتم السجستاني المتوفي سنة ٢٥٥ في « النخل » ، وكتاب الفضل الفصبي في « الزرع والنبات والنخل والوانع الشجر » .

وقد بقي من الكتب والرسائل في النخل بضعة سلعت من عادات الزمان ، كتاب الاسمي المتوفي سنة ٢١٦ في « النخل والكرم » ، وقد نشره الاب لويس شيخو اليسوعي بمعاونة المستشرق هنري في الجمعية التي اسميها (البلفة في شذور اللغة) وكتاب السجستاني الذي نشر في صقلية سنة ١٨٧٢ م بعتابه مستشرق ايطالي مع التعليل عليه . وكتاب ابن سيده في النخل ، وهو قطعة من معجمه الموضوعي العظيم : « الخصص » .

فاذا جامنا اليوم الاستاذ الباحث الدوب توفيق الفكيكي العراقي ليقدم لنا بحثا متكافلا في ادب النخل ، فانه بذلك يصل ما قطع من كتابه الرسائل الخاصة ، ويبلغ بنا في مائتوات ادب النخل الى ما قيل فيها حتى اليوم ما بين منظوم ومنثور .

والحق ان القارئ العربي اليوم قد نمجعه الحياة او تشغله عن الرجوع الى نطاق ادب النخل في كتب اللغة والادب والتاريخ والمعارف والاسمار والطرائف واللغة والحديث ودواوين الشعراء ، فان كثرة كثرة من ادب النخل موزعة على عشرات من امهات المراجع والدواوين ، ولكن قارئ اليوم لا يستطيع ان يرجع اليها او يقع عليها . فاذا جاء اليوم مؤلف مكب على البحث والتفكير ليخرجها لنا من بطون هذه الكتب ، فانه في الحق قد اسدى الى جيل اليوم خدمة جليلية بجمعه ادب النخلة ما بين دفتي كتاب واحد مبوب مقسم ، يرجع اليه ، ويستأنس به ، ويعول عليه .

والحق ان سلسلة البحث في ادب النخل لم تنقطع في الفكر العربي وكيف تنقطع والعرب شهودون الى هذه الفرسه الكريمة باوناد واسباب ؟ فقد ذكرها كتاب الله في غير موضع ، ومنها قوله تعالى : « والنخل باسقات طلع نفيد » ، وقوله في سورة مريم « وهزي اليك يدك فتنال نخلة تساقط عليك طينا جينا » ومن هنا سميت النخلة : شجرة المطراء ، واختار المؤلف ذلك الاسم عنوانا للكتاب . ولقد الف بعض المحدثين والمعاصرين في النخل من نواح غير التي كتب فيها الاستاذ

دار الكتب العربية

للأنايب والترجمة والنشر

تسبوت - بمائة عشر ألفاً - ص. ١٥٧

هاتف ٢٤٠٥٠٦ - ٢٤٠٥٠٧

صدر في منشورائها :

انعام وتنظيم المدن العربية

تأليف الدكتور المهندس سايا جورج شير

كتاب فريد في موضوعه ، يفتح افاقاً جديدة

امام المهندسين العرب والمتقنين عامة

الثنى ٥٠٠ ق.ل.

سلسلة الوجود الكبرى

محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي

تأليف ادنر ليجوي

ترجمة الدكتور ماجد فخري

استاذ الفلسفة في الجامعة الامريكية

تحليل رائع لصور المفاهيم الكبرى في تطور الفكر العام

وأثرها في تحول الحياة العقلية والاجتماعية

الثنى ٨٧٥ ق.ل.

المثل الاعلى للحضارة العربية

تأليف الدكتور محمد يحي الهاشمي

جولة شاملة في تراثنا الحضاري ، يقوم بها كاتب بحالة جمع في نفسه

موضوعية العلم وذاتية الابد والوقوف العميق على تراثنا الغالد

الثنى ٢٠٠ ق.ل.

اساق الفن

تأليف الكسندر البوت - ترجمة جبرا ابراهيم جبرا

رحلة ممتعة الى افاق الفن تقرب لنا العوالم البعيدة القريبة ،

عوالم نحائي الكهوف الاولى ومثالي اليونان ، عوالم فن الرباة

عند العرب والقوط ، عوالم بيكاسو والفن الحديث

الثنى ٢٥٠ ق.ل.

واصحابها نرى الاستاذ الجليل الفكيكي قد يذكّر في المتن اسم الاديب او الباحث دون ان يشير في الهامش الى اسم مرجعه . وقد يكون للباحث اكثر من كتاب ، فذكر اسمه دون اسم مرجعه لا يفيد شيئاً اكثر من ان يعنى الباحث . ففي صفحة ٥٥ استشهد الاستاذ بكلام للدكتور احمد محمد الخرافي عن بعض مشاهدته للتخيل في بلاد العرب ، ولم يذكر لنا اسم الكتاب ، وهو : (افاني الطبيعة في الشعر الجاهلي - مطبعة نهضة مصر) .

وجميل جداً ذلك الفصل الذي عقده الاستاذ المؤلف عما قيل في اجزاء النخلة من اللغة . فهو احياء لمجم التخيل الذي يكاد يندر ، ولو انك سالت توريا اليوم عن اجزاء النخلة او سعفها وكرها وجارها وعرجونها وبلعها لما عرف من ذلك الا نادراً ، وتختصر هذه العرفة في المعجم العامي ، اما الصريح فنذر من يعرفه . ولهذا فرحت كل الفرح بهذا الفصل الذي رجح فيه المؤلف الى « المخصص » لابن سيده ، والى « الافصاح » للإستاذين حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي . ولكن شاء الله ان لا يجي هذا العمل على نعامه ، فقد اجتمع عليه عاملان افساده وقلا من الافادة به : اما اولهما فترك الصيغ بالحركات او الحروف فاصبح القاري لا يدري ان كانت هي « الكباة » من النخلة بضم الكاف ام بكسرها - والصواب طبعا الكسر - كما اصبح القاري لا يدري صيغ كلمة « الكرب » - وهو اصول سعف النخلة - فقد يقرؤها القاري - وهو معذور - على غير وجه : بضم الكساف او فتحها او كسرها ، وبضم الراء او فتحها او كسرها او سكونها ... والصحيح طبعا : الكرب بفتح الكاف والراء . واما ثاني العامل فهو ذلك التعريف المطبوع الكثير الذي ضاع معه وجه الصواب في القراءة الصحيحة لفردات لغة التخيل . ولو ان الاستاذ الفكيكي - وهو الخريص على لغة العرب - رجح الى صيغ المفردات بالشكل كان من صميمه هذا عمل لقوي جليل له قيمته ونه خطرته في اراء الكتاب وازراء القاري بحصيلته لفوسه مضبوطة في ادب التخيل ، كما نجد مثلا في كتاب « نهاية الابد » وفي كتاب « الافصاح » الذي يمكن ان نطمئن اليه بحق ، وان نستشير حق بعورنا البحث عن لفظة مطلوبة .

ولقد كنت على نية ان احمي هذا الانايب التي وقع فيها تحريف مطبعي ، ولكني رايت ان الاحصاء لا يأتي عليها ، فهي فوفه ... ولهذا اكتفيت بهذه الاشارة ، وان كان الاستاذ الفكيكي قد وضع في ذيل الكتاب جدولاً بالفاظ والصواب ، الا انه - على طوله وتكرره - لا يسد خلا ، ولا يقوم عملاً .

والحق ان كثرة الاخطاء المطبعية والتعريفات في مثل هذا النوع من الكتب مما يقل معه وجه الانتاج بها والافادة منها ، فهي عون على اضطراب القاري وتضليله : اكثر مما تفيده في الجمع والتحصيل ، لانه تحصيل بلا تعقيل ولا تدقيق .

ولقد سرت اخطاء الطبع من المعجم اللقوي للتخيل الى شعر التخيل كذلك ، فجاد اكثر ما في الكتاب من شعر النخلة مشوها ، او مبتورا ، او مكسورا .

ففي صفحة ٩٦ هذا البيت للشاعر العراقي عبد الفتى آل جميل : ان رعى الله نفس لم يرد مورد القذى وتصدى وفي ظل الهجر ظليها وكلمة « ان » في اول البيت زائدة طبعا ، والصواب حذفها . وفي صفحة ١٠٤ هذا البيت لابي نواس :

كأن بك فوق الجسر متنهبا على جواد قرب منك في الحب والصواب : كأنني بنوئين اثنين حتى لا يكثر الوزن .

وفي صفحة ١٢٦ هذا البيت لايحيه بن الجلال :

يلوموني في اشتراء النخل فو مسي وكلهم يعسذل

وهو مكسور وصوابه :

يلومونسي في اشتراء النخيل ل قومسي وكلهم يعسذل

وستكتفي خوف الاطالة بذكر ارقام الصفحات التي جاء فيها الشعر

ومن أخطاء الطباعة الكثيرة في هذا الكتاب - على الرغم من جودة الورق ووجودة الشروف وجودها - ما وقع في بعض الصفحات كاملة ، حتى انضمت أولها باواخرها ، وبداخلها اعجازها مع هوادها ، فلا تعرف الخطأ من غير آخر ، ولا بداية من نهاية ، ولا سطر من سطر . ومثال هذا ما وقع في صفحة ١٢ . ص ١١ (جرن التمر في الجرين : أي في التريد - السطح - من جرن ، الذي يصعد عليه لأصلاح الخفة ولفظ (نماها) وهذا كلام لا معنى له ، والصواب ما جاء في ذلك في الصفحة نفسها : (جرن التمر في الجرين : أي في التريد - السطح - ومن المجاز : ضرب الإسلام بجرائه أي : ثبت واستقر) . فانظر كيف حل سطر مكان سطر ، أو حذف في عمالة السطر ووضع مكانه سطر آخر ، فجاء مفصولا بها متناحلا لا معنى له .

ومن قبيل الاضطراب في التقن ما جاء من الاضطراب في احداث الهوامش على صلب الكتاب، فانها في اكثر من موضع مختلفة غير مقبولة ولا جارية على افسارها. ومن ذلك الحالة رقم ٢ في هامش صفحة ١٤٢، ففقدت التدقيق في هامش صفحة ١٢٧ حيث نقل المؤلف كلاما جيسلا للاستاذ الدكتور محمد صبري في النخل.

نقد وقت في هذا الكتاب هفوات وهفوات كما نود ان نبهدها هنا ، ونزحه عنها ، فان كتابا في اللغة والادب والشعر لعربي ان يطرح على اكثر الوجوه سلامة وقد وقيطها وصحة ، حتى مع الاستدانة ، وليمصح الكتاب عند النقل ، وبضمن الاستدانة به ، ولكنها هفوات كان ليرفع نصيب كبير في احداها ، وان كان ذلك لا يبعث المؤلف من مسئولية ، ولا دفع من كاهله عيها ... على ان ذلك لا يبعث ان نقول ونكرن ان الكتاب ضمن طرف جدا في موضوعه ، وان نقيسه جملتيه على بعض القائله منه ، وان فيه من جهد المراجعة والمطالعة ومراجعة المصادر ما لا ينكره الا كالمكرن ان الاستاذ الفاضل العام الياحيث توفى الفكيكي قد جمع لكاتبه جنيدا ضخما من المصادر ، وقد قرأها بلا ريب ، واخذ منها مادة طيبة لكاتبه ، وربط بين القديم والحديث والماضي والحاضر ، والشعر والنثر ، والمعارف والطرائف ، انظر الى الفصل الذي يقده عن «الكنى والاقاب وباشخل والتعريف» وهو فصل مهم طرف ، نجد فيه اساءة : بون بخلان ، والنخالي ، وديو نخيلة ، وتيسير ، والتمار ، وعرجون ، فمن سمي باسم «نخلة» والد الشاعر اللبناني الياحيث توفى نخلة ، وجد اشعاره الراسم والادب والاشعر اللغوي العامر الاستاذ رشيد نخلة ، ومع لقب بعرجون - وهو من اجزاء النخلة - الشاعر محمد بن عبد الله بن عبد الواحد . على ان الاستاذ الفكيكي قد فاته ان يشيرنا الى الاستاذ الفاضل المصري العامر صادق عرجون صاحب كتاب عثمان بن عامر وغمر من الكتب .

ومن الفصول الطريفة في الكتاب ذلك الفصل عن أثاره التخل لحسين الشعراء . ومن الشعراء الذين أثاروا التخله أولوج حنينهم إلى أوطانهم وأحبائهم ومرايع صباهم وشبابهم ، ومرايع الوهم : الحسين بن علي النخعي ، والنخعي صالح التميمي ، ويحيى بن أحمد الأبرجي من القدامى ، والشيخ محمد علي الغفوي ، والهندي الجواهري ، وعباس الملا ، ومحمد علي الدمايني من المعاصرين .

ومن الفصول المهمة كذلك تلك الفصول عن النخل في مقامات الحراري، ومقامات بدیع الزمان الهمزاني، والف ليلة وليلة، فهي امتداد لما جاء في هذا الكتاب الثمين عن النخل في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف وفي الشعر العربي في القديم والحديث.

بقيت لنا كلمة نعاتب أو ندعاب بها صديقنا العلامة الباحث المحقق الأستاذ المعامي توفيق الفكيكي فقد ذكر في البحث الوجيز عن عدد النخل في العالم ان في مصر ١٤,٨ مليون نخلة ، وان بالعراق اكثر من

[illegible]

محمد عبد الفنى حسن

9

فيما عثرت عليه في مكتبة الآثار العراقية ، بالمتحف العراقي نسخة
نقشية من ديوان « سعد الدين بن عربي » العائلي الطائي . (٦١٨ هـ -
٥٦٦) ، نجل العالم الاندلسي الصوفي الشهير الشيخ الأكبر محي
الدين بن عربي . (٥٦٦ - ٦٢٨) . المتوسد تربة جبل قاسيون بدمشق
مع ولده الشاعر .

ولقد نوه عن هذه المخطوطة صاحب الإبداعي الأدبية المسكورة البهانة الأستاذ (كورنيس عواد) عضو المجمع العلمي العراقي ، والأمين العام لمكتبه الخلف العراقي في روايته عن المخطوطات الأدبية التي نسفها النار .

وإني الآن ساع بأحياء هذه المخطوطة وتحفيقها . لأن الشاعر صاحبه
لم يدرس من خلال مخطوطة ديوانه ، إلا بمقالة متفصلة كان قد نشرها
الباحث الفخوري صلاح الدين المجد ، منذ سنوات في مجلة (الثقافة)
القاهرة . كما نشرها المشرق الكبير العالم الألماني (بروكلمان) بذي
لثمة (ناربيغ الدريي) .

أن عمر هذه الطائفة يدلّ إلى المئة عام . تملكها صاحبها المرحوم (الأسطواني) المتوفي في سنة ١٢٩٦ هـ . وقصائدها ليست تسير على نظام الألف الهجائية . وتزخر بأسماء أصحاب بعض الحرف والصنائع ، التي كانت يمدّش في عصر الشاعر . كما أنها تضم قصائد وجدانية لطلقة منها في مطلع الديوان قوله :

عفی الله عن ینیک کم سکت دما
اکل حبیب حنا رق مجبة
هینا لظرف بات فیک مسهدا
تکعت فیک لاسک مالکی
ومن غرب المصادفة ان تكون وفاة الشاعر عام سقوط بغداد بایندی
التي : وندف جوشم علی الله : العرب ١٩٥٦ !!

وارغب ان اذكر في هذه التجميع ان الاستاذ الامير الجليل السيد جعفر الحسيني الامين العام للتجميع العلمي العربي يمدني بـ رجب برسالة اجمع لنا في احياء ما يتعلق بهذا الموضوع ونشره ، وكل ما له علاقة بالتراث العربي . واعدنا بعض صفحات من مخطوطة الديوان مصورة بالليزر وفهام هي كل ما لدى التجميع يمدني .

فلاستناد الامين الكريم الوافر من الشكر ، والكثير من التقدير لهجه
 الاعضاء الافاضل من اسرة الجمع المحترمين .
 نعوذ تعالى ان يبيي لنا الفرض ، ويسفنا بالقرور الحسنه ، لنقوم
 باحياء ما له صله (تراث الاندلس العربي) . ونخرج ما انزوى من
 مقاييذ الغزوان والتسيان . من جليل ما ابقاه ابنناؤ من خالد اثر ،
 ومن بلس الشعر والنثر .

محسن جمال الدين

بغداد

سلاسل الماضي

رواية - تأليف نزار مؤيد العظم - تقديم الدكتور عبد السلام المجيلي -
٢٢١ صفحة - حجم كبير - مطابع ابن زيدون بدمشق



ظلمة حديشا

هذه الرواية يعتبر صدورها - بصدق وإخلاص - لبنة جديدة في صرح مجيئنا الروائي السوري، على غلة المحاولات التي سبقت «سلاسل الماضي»... ومع الأسف فإن هذه المحاولات - منذ ربع قرن حتى اليوم - لا تكاد تبلغ أصابع الدين، وأبرزها وأوفرها نجاحا محاولات الدكتور شكيب الجابري؛ نهم فوس فزح، قدر يلهو، وداعا يا ألعيا، والدكتور عبد السلام المجيلي: باسمه بين الدموع، ومحاولات أخرى موضوع هذه الرواية يدور حول الصراع العنيف بين جيل محافظ على القديم، ملتزم جاذب العادات والتقاليد، وجيل منطلق متحرر من قيود الماضي وسلاسله. أنها قصة «نبيل» الشاب الذي أحس فتاة من مذهب آخر، متحررة من التقاليد، تقود سيارتها بنفسها، وتسافر وحدها من بلد إلى آخر، وتمشي عارية البحر والدراريين، مؤمنة بحق المرأة في المساواة والحرية والانطلاق. لقد أحب هذا الشاب «مادلين»، وحاول طويلا أن يوفق بين تحررها والتزامه، ولكنه باء بالفشل، وأرغم كراهها في النهاية على التخلي عن صاحبته.. وهكذا تعظم جناحا كيويبيد على سفرة التقاليد والعادات. ولعل من أبرز فشل جيل نبيل ومادلين، أن الفتاة استسلمت لخطيئها في فترة الحب، استسلاما شبه تام، وهذا الاستسلام مدعاة لفشل معظم زيجات الحب في شرقنا المحافظ، الحرص على العادات والإخلاص.

أبرز ميزات هذه الرواية بساطة السرد، وصدق الرواية، حتى لتكاد أحداثها ووقائعها تنادي في كل صفحة بالصدق والواقع. إننا نكاد نحس بأن أبطال الرواية يعيشون بيئنا، بل نكاد نراهم ونلمسهم لوضوح الصور والظلال، وكثرة الإصواء التي القاهها المؤلف الأستاذ نزار مؤيد العظم على البطيئ الشابين، في حين ظل باقي أبطالها يعيشون كالأصباح، أو كما يقول المصورون، ظلت صورهما باهتة مهزوزة. أما أسلوب الرواية فغاية في الصفاء والتلفظ، يستحق عليه المؤلف الصدق كل نهضة، لا سيما في عصر ضعف فيه اللغة، وضياعت الركائز، وانتشرت العامية والسطحية. على أن سلامة اللغة دفعت أحيانا بالمؤلف إلى بعض التثاق، وهي على كل حال أفضل كثيرا من الركائز، وضعف الأسلوب، وميوعة الإنشاء.

بعد هذا أحب أن أقول أن الأستاذ المؤلف الفرط فسي الحشو والاستطراد، وفلما نمر صفحة أو حادثة في الرواية دون أن يستغنى ليميد رابا سياسيا أو يعاق على حداث، أو يبدي ملاحظة ونقدا حول موضوع. وكل تعليق أو رأي أو استطراد يستغرق صفحة أو صفحتين. وكان باستقامة المؤلف الأدب أن يختصر مئة صفحة - على أسير تقدير - من روايته دون أن يمس جودها، بل لربما زادها قوة وروعة بهذا الحذف الجسيم.

ملاحظة أخرى حول بعض أبطال الرواية أحب أن أشير إليها، هذه الملاحظة تتعلق بالفتاة القروية الشفراء «وفضة» التي اتفحت غرقة بطل الرواية بعد منتصف الليل ورأودنه عن نفسه، فاطهر تعففا وطهرا لا مزيد عليها، حين امتنع عن مبادلتها عاطفتها وجها، وهو السدني يعيش في القرية، يعاني مرارة الحرمان والظلم إلى الجنس، أن هذا التعفف «الجيب» يجعلنا نؤمن بأن الأستاذ المؤلف يريد أن يصور الإنسان - في هذه النقطه بالذات - كما يجب أن يكون، لا كما هو، مستسلم لشهوته، خاضع لنداء الشيطان.

بعد فإن اقدام الأستاذ العظم على أخراج روايته هذه بثوبها اللين، وجعلها الفسخ، وطباعتها الفاخرة - في هذا الظرف - يعتبر نصيحة ومغامرة نرجو لها النجاح من أعمقنا، ونهنته عليها من صميمنا. دمشق

عبد الفتي الطري

- الترويح فن وزيادة - تأليف ه. دان كوربن - ترجمة سعيد حشمت والدكتور حلمي إبراهيم - مراجعة عادل طاهر - تقديم محمد علي حافظ - مصمم الغلاف محمد طلعت المصري - ٥٧٦ صفحة - حجم كبير - منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة - مطبعة مؤسسة طباعة الألوان المتحدة بالقاهرة.
- تشيد الرخام - مجموعة من قصائد النثر - نقولا قربان - الغلاف من تصميم المؤلف - ١٢٦ صفحة - منشورات دار الروائع بيروت - مطابع الغرب بيروت.
- الانصافيات - مجموعة شعرية - عبد القدوس الانصاري - تقديم الشيخ هاشم دفتر دار المدني - ٦٨ صفحة - حجم كبير - مطبعة الانصاف في جدة.
- خيول من رمد - مجموعة قصص - تأليف محمد زهير الباشا - اللوحات بريشة مدروح قسائل - ١٥٢ صفحة - مطبعة سميراميس بدمشق.
- قلعة الرواة التاريخية وصلتها بالهجرات العربية القديمة إلى أوروبا - تأليف محمد معروف الدواليبي - ٨٤ صفحة - مع عدة لوحات ورسوم وخرائط أثرية - منشورات مكتبة لبنان بيروت - شركة أبي رامي للطباعة بيروت.
- اصباح الفجر - مجموعة شعرية - خليل فاخوري - تقديم بولس سلامة - ١٤٤ صفحة - مزين بالرسوم - مطبعة دار الكتب بيروت.
- مسرحيات مولير - ترجمة احمد الرفاعي - ٢٢٨ صفحة - منشورات دار الكاتب العربي بيروت ومكتبة النهضة ببغداد - مطابع الدق (٩).
- التصوف في نهضة - تأليف محمد بن احمد عيسى العلياني - ١٢٠ صفحة - حجم كبير - مطابع الاصفهاني وشركاه في جدة.
- فنون - مجموعة شعرية - صفاء الحيسدي - مصمم الغلاف واللوحات الداخلية بدیع باباجان - ١٢٨ صفحة - دار مطبعة التمدن ببغداد.
- نحاتات شعرية في العزة الوطنية - مجموعة شعرية - التقي حبيب عبد الله بركات - تقديم الشيخ عبد الله العلياني والآب حنا فاخوري والآب بولس نجم - مصمم الغلاف والرسوم الداخلية حسان حامد - ١٢٤ صفحة - مطابع جوزف سليم سبيلي بيروت.
- روما وامبراطوريتها - المجلد الثاني من تاريخ الحضارات العام - باشراف موريس كروزيه - تأليف اندريه ايجار وجانين اوبوايه - ترجمة يوسف اسعد داغر وفريد داغر - ٩١٢ صفحة - حجم موسوعي مجلد بالفتاش - مع لوحات وخرائط - منشورات عويدات بيروت - مطابع دار الارشاد للطباعة بيروت.
- بيوت والتألفة البيضاء - مجموعة شعرية - هشام الكرمي - ١٢٨ صفحة - مصمم الغلاف رضوان الشهال - منشورات عويدات بيروت.
- الشركة الداخلية للطباعة بيروت.
- قصائد وبرامج وطنية - مجموعة شعرية - صفاء الحيدري - ١٣٦ صفحة - مطبعة الهرباب ببغداد.

حين يقول :

من الهيف لو ان الغلاخل صيرت لها وشعا جالت عليها الغلاخل
ومبعت السخيرة انه احال الرشاقة بفنه الخيالي الى
منظر يشير الاشفاق والمرارة وكيف تعد رشيقه من بجول
الخالخل (وهو حلية الساق) على كشحها ؟ ا تكون جميلة
من بدق خصرها عن ساقها ؟ لا شك ان مثل هذه الاحالات
لا تمثل الحقيقة ولا تبين عن جمالها ، بل الاصح انها تمسحها
وتشوهها ، فباي موازين النقد يسوغ للفن ان يقدر هذا
التزوير ؟!

وما قصدنا ان تكشف عن سخافة المبالغة والاحالة في
التعبير ، فقد يكون ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغى ان
نزيد فيه بيان ، وانما قصدنا ان تكشف عن مواطن من
التعبير بدق الفرق فيها بين الاحالة الكاذبة وبين الایهام
وهو لون رابع من ألوان التخيل الادبي .

فاذا كانت الاحالة ضرا من التزوير ، ولونا من الخيال
يفرب في تصوير الحقيقة ولا يبلغ من امتاع النفس شيئا
فان « الایهام » في الشعر لون قاتن من سحر الخيال فيه
صدق التعبير وخلابة التأثير .

وقريب من الاحالة نوع من الخيال المصنوع يبدو فيه
الكلف ولا يرمز الى اهتزاز الشعور وهذا اللون الاخير
يشارك مع المبالغة او الاحالة في الكذب والتزوير والبعد
عن التأثير وذلك مثل قول بشار في الجمال الواعد :

بنت غير ولات فسمت بين فغن وكتيب وففن
وملحة الشاعر القاتنة لا ملاحه فيها ولا فتنه فالصورة
هنا لا تكشف عن احساس بالجمال ، وليس وراء هذا

الخيال المصنوع جميلة صورت في رشاقة الففن وامتلاء
الكتيب وجمال القمر ، ولا ندعي ان الشاعر هنا يبالغ ،
وانما الحق انه يكذب ويتكلف ، والمبالغة والكذب صنوان ،
وهل تراك تشعر بأسر الجمال في دمية من حجر البست
ثيابا مزخرفة ؟!

ولكن تشعر حقاً بالروعة في هذا التصوير الخيالي عند
ابي نواس ، اذ لا نملك الا ان نشعر نحوه بانجذاب وتعاطف
يقول :

مقسومة فيه ملاحظته ما بين مجتمع فيه ومفتقر
فاذا ما بدا اقتات محاسنه فسرا اليه اغنية الحدق

ومصدر الجمال هذا الایهام الذي حيرنا في ملاحه
الجميل ، وليكن ما رآه ابو نواس ساحر الطرف او رشيق
القوام ، او فاحم الشعر ، او ما شئت من نعوت الجمال
وليكن مبعث فتنه الشاعر شيئا معينا من صفات الجمال ،
ولكنه لم يشأ بفنه الرائع ان يحدد لنا شيئا من ألوان
الجمال ، بل اوهمنا ان الملاحه قد جمعت وتفرقت فني
هذا الموصوف ، فكل ما فيه جميل رائع ، فحيثما قلبت
بصرك اخذك نوع من السحر الطائفي حتى تلوي العنقب
نحوه مرغما ؛ واي سحر هذا الذي يجذب الاحداق مراغمة
واضطراب كما تجذب الخيل وتلوي بالاعنة ؟!



محمود محمد سليمان

الخيال بين الاحالة والایهام

بقلم محمود محمد سليمان

من طبيعة الفن الشعري ان يزخرف صور الخيال ، ولكن
مناط الاجادة في خيال الشاعر الصوق وتفسير الحقيقة
تفسيرا مقبولا نحس فيه النصاعة والوهوب ، بل ان الخيال
الخيال سمت المبالغة ابعدا عن الحقيقة ، وتزايلت الصلة
بين التصوير والفكرة التي يوهننا الشاعر احساسه بها
فيفقد تعبيرة حرارته ، ويخجو بربقه والره فني النفس ،
ويتهاوى الشاعر حين يبدو التزوير في حديثه ، وتصبح
صوره التي الف شتاتها كالمدي الجامدة لا حس فيها ولا
روح .

ولا يقصد الفن الشعري التعلق بالخيال لذاته ، وانما
ليكون معوانا على تصوير الحقيقة وتبينها ، وان الحقيقة
التي يتناولها الشاعر لاعر علينا من تهاويل الخيال ، فاذا
احسنا تعاقب الشاعر بالافتكار الواضحة في الدهن
واستهواه زخرف الخيال عن رعاية الفكرة والمبالغات التي
يزدهي بها الشعراء ، فليست في حقيقتها الا ضرا من
التزوير ، وتبجحها بالانفعال العاطفي الكاذب لا يثير النفس ؛
اكان ابو تمام حربا ان يبلغ من نفوسنا ادنى تأثير بهذا
البيت :

ونكفل الابتام عن آياتهم حتى ودنا اننا ابتام
انه لم يفعل اكثر من تلبس الحقيقة في ثوب من الاحالة
الكاذبة ، فالحقيقة اننا لا نود البتة طمعا في رعاية ينسجها
خيال سقيم ، ونحن لا نملك الا السخيرة من تصويره
الرشاقة بهذه الصورة التي احتفل لها كل الاحتفال وذلك

كيفما تشاء وتقف مشفقاً على الشاعر : هل انحله الهوى
هل اذابه الوجد ؟ الشواقفة تعيسم وسلام ؟ ام زفراته
جحيم والآم ؟

يقول المازني في حصاد الهشيم شارحاً فكرة الإيهام
في البيت السابق :

ليس بالشاعر حاجة الى ان يسرد لنا اوصاف الجميل،
وان يذكر لنا ما لون عينيه وكيف حمرة خده ، ونضوج
صدره واعتدال قوامه بل يكفي ان يقول مثل هذا البيت
لتعلم اننا هنا نقرا من جمال نتخيله وفق هوانا ، ولا
نحتاج الى صورة قد تكون اقل مما تصورناه فيخيبل املنا.
ويفتح علينا هذا الكلام فرقاً آخر بين الاحالة والإيهام في
الشعر ، فالذين يتخذون الاحالة اسلوباً في التعبير يتعلقون
بالاوصاف الحسية عادة ليضخموها او يولدوا منها صوراً
كاذبة تبث السخرية والإبتسام . هذا ابو الغلاء المعصري
يركب متن الشطط والغلو حين يزعم ان سهيلاً لحمرته
الواضحة قد ضرجته بالدم سيوف الإعادي وان قد بكت له
الشعرين رحمة وشفقة فيقول :

وسهيل كوجنة الحب (١) في اللون وقلب الحب في الخفان
فرجته دم سيوف الإعادي فبكت رحمة له الشعرين

والاحالة قد انست الشاعر التناسق بين البيت وقربته
سهيلاً في حمرة كان كوجنة الحبيب في اللون فكيف
تخضب بالدم من سيوف الاعادي ؟! اي دم واي سيوف ؟!
وكيف يسرع في العقل ان يطمع النجم بالسيف ؟! اليس
الخيال الذي تواضع عليه الناس ظلاً للحقيقة ؟ اليس رمزاً
لاحاسيس وكاشفاً عن فكرة ؟ فاي فكرة واي احساس وراء
هذا الكذب ؟!

ليس الخيال مهارة لفظية او صفة عقلية انما هو في
مزيته الفنية هتاف الشعور وظل العاطفة .
ولم ينقص شاعراً كابن الرومي شيء من ادوات المبالغة
التي يعتمد عليه كثير من الشعراء حين قال في وصف
وحيد المغنية :

اهي شيء لا تسام العين منه ام لها كسل ساعة تجديد

لانه بطريقة الإيهام التي اخنأ اليها - قد نسح مجال
التخييل ، حتى اتنا لنقف بالتخييل عند المثل الاعلى للجمال ،
ولم يتورط الشاعر في تحديد مفاتيح الجمال فيجعل العين
نرجساً عمماً ، والشعر ليلاً فاحماً ، واللوحه دنياء واطراف
الاصابع صيغة الشعراء وطريقتهم التي اعتادوها
في التعبير ، وانما اطلق القول اطلاقاً في فتنة الجمال ،
ودل هذا على صدق الشاعر وهو يتحدث عن اعجاب
بالجمال البارع فلا طريقة التشبيهات التقليدية ، ولا طريق
ما فوق عليه التشبيهات من المبالغات المقوتة - بعض
شيئاً في الدلالة على الصدق .

ومما زاد تعبير ابن الرومي براعة استعماله اسلوب
الاستهزاء مفتاحاً لشعوره المتعجب المسحور بهذا الحسن
الطافي فاسلوب الخبر « هي شيء لا تسام العين منه ولها

ولا نقول ان تعبير الشاعر مبالغة فالمبالغة مذهب في
التعبير مختلف جد الاختلاف عن هذا الفن الرابع ، وآية
ذلك انه لا تلحظك بادرة شك في صدق الشاعر ، ومن اين
يأتيه الكذب وقد اطلق الوصف اطلاقاً ، واهمنا بشيوع
الحسن في هذا الجميل الغريب ، ونحن نطلق وراء هذا
الوصف الخيال يتفق من فنون الحسن ما شاء له القصي .
وفي الاحالة يجمع خيال القارئ في شوط بعيد ممتد
ولكنه ينتهي الى خيبة امل ويأس يبعثان المرارة والالام
يسبب بعد الصلة بين الحقيقة والخيال ، ولا بد ان تكون
الصلة قوية بين الحقيقة المصورة والخيال ليحس القارئ
بالسعادة والتأثر ولا يتحقق ذلك بالطبع في الاحالة التي
نفصح لنا مدى الخيال فاذا ما رجعنا الى الحقيقة التي
صدر عنها الخيال شعرنا بعقم الفجوة بين الخيال والحقيقة
وتصلطم النفس بالفراغ وتلمس التزوير والكذب فتصاب
بنوع من الالم والامتعاض ، وينعكس التأثير المقصود من فن
الشاعر وخياله .

اما في الإيهام فنحن بنجوة من هذا التأثير العكسي ، اذ
اننا نتخيّل ما نتخيّل مما قدر الشاعر فاذا ما استدعنا الى
الحقيقة التي صدر عنها الشاعر وجدناها امس رحماً
بخياله ، واذني تعاطفاً الى فنه فنشعر بالتمعة والسرور !
ولعل الإيهام الذي يطلق المجال للتخييل السليح بعيداً عن
الكذب والاحالة هو مبعث السحر في قول البارودي برني
زوجته :

فلا انتهت فانت اول فكري فلذا اوتيت فانت آخر ذاتي
فلما شعرنا هنا قد اوهمنا بان يذكر زوجته في كل وقت
من ساعات الليل والنهار نقول : واهمنا ولم يعبّر بها بوضوح
ولو انه فعل لما بلغ من التأثير شيئاً وقد وضع الحدود التي
ينطلق منها الوهم : اليقظة وبدا المنام وهو لا يفنا مشغول
الخطر بين هذين الطرفين ، واذا ابتدأ منامه تزود بذكرها
ليعيش احلامه الهنيئة على هذه الذكرى! هل اوهمنا الشاعر
حقاً انه لا يفنا يذكر زوجته في كل لحظات الليل والنهار ؟!
واكثر ما نرى اسلوب الإيهام في شعر الفحول ومن ذلك
كشتره في شعر ابن الرومي لانه نمط من التعبير الصادق
الأكثر ، ومن اولى من ابن الرومي من الفحول في استخدام
الخيال الصادق المؤثر يقول :

ليس فيما كسيت من حلل الحسن ولا في هواي من مستزاد

والإيهام هنا واضح فمحبوبته قد كسيت من حلل
الحسن لباساً ، لا تتصور فيه زيادة وقد بلغ هواه بها مبلغاً
لا يتطلع الى ابد منه ، وتقف متسائلاً : ماذا عسى ان يكون
هذا الحسن ؟! وماذا عسى ان يكون هوى الشاعر ؟! والى ان
تقف على بيان يشفي النفس الحائرة تكون قد قطعت
اشواطاً بعيدة متقللاً بين مفاتيح حسن يشغل به خيالك ،
وقد يستبد بك الخيال حتى تمثل لنفسك صورة من
الحسن ربما لم تدرك في وهم الشاعر نفسه ، ولكن حسب
الشاعر ان فتح لك ميدان السعادة واللذة تمرح فيه بخيالك

كل ساعة تجديد « يحقق الإبهام المقصود في التعبير ،
ولكننا بعد في حاجة الى الاستفهام الذي يبعد الشاعر عن
فتنة الادعاء وعلى هذا النمط من التعبير بطريقة الإبهام
يقول أيضا في مغنيته :

ذات وجه كاتما قيل كن فردا بعدما بلا نظير فكأنما
ومتى ما سمعت منها فشدو يطرد الهم منك والاحزان
هي حلبي اذا وفدت وهي دروي ومنيني بقلاسا

وبأوضح ان هذا التعبير بعيد عن أسلوب المبالغة ، ولا
يمكن ان يلبس بها ، بدليل أنك لا تستطيع ان تعقب على
الشاعر بالكذب ، ولا تلمح في حديثهشارة التزوير .

❖

وقد استعمل القرآن الكريم أسلوب الإبهام لتحقيق
التأثير المقصود في الوجدان .

ومن ذلك قوله تعالى في الحديث عن شجرة الزقوم :
« انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس
الشياطين » . وفي هذا التشبيه اطلاق لخيال السامع وراء
شناعة الصورة التي يمكن ان تكون رأسا لشیطان ، والناس
لم يروا الشيطان مثالا للعيان ، وإنما تركز في طباعهم ان
صورة الشيطان قبiche شنيعة ، تبلغ إبعاد الحدود في
ذلك ، فإذا قرن طلع الزقوم الى رأس الشيطان تخلص
الخيال وراء صور قبiche لكل من طرفي التشبيه وبذلك
يتحقق التأثير المقصود من الرجز والتخويف ، يقول
الجاحظ :

ليس ان الناس رأوا شيطانا قط على صورة ، ولكن لما
كان الله تعالى جعل في طباع كل الامم صورة ، ولكن لما
صور الشياطين واستسماحها وكراهيتها ، وقد أجرى على
السنة جميعهم ضرب المثل في ذلك - رجس بالابحاش
والتنفير والإضافة والتقرير الى ما قد جعله الله في طباع
الاولين والآخرين ، وعند جميع الامم على خلاف طباع
جميع الامم وهذا التأويل اشبه من قول من زعم من
المفسرين ان رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن (٢) .

ومن كلام الجاحظ يستبين ان اتخاذ الشيطان مثلا وهو
لم ير من احد - سر الجمال في التعبير فإذا قد تأصل في
طباعنا تبع الشيطان فليكن لخيالنا الحرية ان ينسج
خيوط هذا القبح كما يشاء . ويستقيم هذا الفهم مع طريقة
القرآن البانية التي تبلغ التأثير والنفاذ الى القلوب بروعة
اليقان .

ومن أمثلة الإبهام في أسلوب القرآن قوله تعالى في
وصف سدرة المنتهى :

« فغشاها ما غشي (٣) » وليست موسيقى الازدواج
هنا هي التي حددت التعبير بهذه الصياغة فالإبهام ههنا

ضروري لسبين : ان الوصف التفصيلي لا يحيط بحقيقة
الموصوف وتأتيهما ان الطريق الطبيعي للتعبير المؤثر ان
يطلق مجال التخيل فسيحاً للسامع فيبلغ من ذلك ما يريد .
والنفس الانسانية مشوقة الى هذا الانغاض او الإبهام ،
لأنه يتناسب مع غريزة التطلع والتشوق الى المجهول ،
والمشاركة في كشف السر عن هذا الخبوء ، وفي أسلوب
الإبهام يسرح الخيال وراء أشواق النفس المتطلعة الى
المجهول ثم يستقر الى الحقيقة فيعتنقها سعيدا ، وليست
المبالغة التي يصطنعها الشعراء من هذا الطراز . اطلق
خياالك وراء صورة المثني الماحلة في هذا البيت :

ما كنت احسب قبل مولدك ان ارى رضى على عنق الرجال تسير
نحن نفهم ان يشبه الرجال بالجيلال رزاة فكيف يسوغ
خيالنا ان يرى جيلاً محمولاً على اعناق الناس ؟! أراد الشاعر
ان يرتقي بالفكرة على جناح هذا الخيال الجامع فانطج بها
ولم يبلغ من غايته مطلباً ، ولنتصور ان مدحج المثني قد
بلغ من الرزاة والتشبيث في حساب الامور الحد الذي لا
مطمع فيه لسواه ، ولكننا لا نطبق الادعاء لفكرة بهذا الخيال
القريب ، ودعنا نراجع هذا الخيال في هدوء : جيل محمول
على اعناق الرجال يسرون به ، اذا كان الشاعر يعني من
وراء هذه الصورة : ان الرزاة والوزانة قد حملت على
أعناق الرجال فقد فهمنا ما يعني الشاعر ، ولكن ليس ذلك
بهاية المشكلة ، فقد بقي في مخيلتنا هذه الصورة الغريبة ،
وسنبقى غريبة حتى نجد توافقاً ونسباً بين الفكرة التي
غناها الشاعر وبين الصورة الغريبة التي ألقت تمثيل
الفكرة ولن نجد هذا التوافق اذ لا صلة بين الصورة الملققة
بها وبين ما أراد الشاعر من فكرة ، فليت شعري ما الذي حدا
بالشاعر الى هذا التصوير الغريب ؟!

الواضح انه شيء آخر غير الصدق الفني وهكذا تجني
الإحالة على البيان ! شتان ما بين أسلوب الإبهام في جماله
وتأثيره وبين أسلوب الإحالة في خدامه وتزويره ، وإذا بدا
للتزوير الغاير التباس ما بين الاسلوبين فقليل من التامل
يكشف الفرق الواضح بين طريقتين في التعبير . فالإبهام
أسلوب الاحساس الصادق لا يفتك بلهجة تزوير ، ولا
يدخل الى النفس بتلفيق الصور المصنوعة وانت من هذا
الاسلوب في اقواف موشاة من رونق الخيال البديع ولا يضيقك
هذا الاسلوب من الحقيقة المقصودة بالتعبير ، ولا عن النفس
الشاعرة في اصدق خلجاتها الشعورية .

ولست في حاجة الى ان ازيد الإحالة بيانا باكثر مما
اقول على هدى المثل السابق انها صنعة الدهن وتزوير
الشاعر ، مهارة لقلية لا تعني بالبيان التأثير بقدر ما تهتم
بالصناعة للخداع والتزوير ، ومن اجل ذلك وجدنا في
أسلوب القرآن الكريم نماذج الإبهام ولم نجد المبالغة او
الإحالة اذ لا قصد فيها ولا تقدير .

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

✱

حتى انه يقال ان فلسفة سارتر هذه ما هي الا تكيف وتحويل لافكار « هابيكير » . ولم تنحصر الفكرة الوجودية في فترة ما بين الحربين العالميتين في ألمانيا وفرنسا وحدهما، بل كانت موجودة في اسبانيا قبل الثورة الاسبانية على يد الفيلسوف الاجتماعي « اورتيكا اي كاست » وفي ايطاليا على يد « جوفاني جنتيلي » وعلى يدي « نيقولاوي برديايف » و « ليو تشستونوف » الروسيين .

فخبة الامل في المدينة الحديثة ادت الى هذه الافكار التشاؤمية وامثالها . اما العامل الثاني وهو تأثير الثورة الصناعية ونظام التبادل التجاري في المعيشة الاجتماعية فقد ادى ، كما قلنا في مقال سابق ، الى تفكك الروابط بين افراد المجتمع وادى ايضا الى الشعور بالقرية والوحشة ، وهو الشعور الذي سميناه بالانسلاخ او التجافي . وهذا التفكك في المجتمع الغربي يرجع في اول امره الى القرن السابع عشر ، ثم استفحل امره تدريجا حتى وصل الى ما هو عليه الآن . ويسر هذا التفكك ، كما يقول « تونيس » و « ريزمان » ان الناس اخذوا يتحللون من تقاليدهم وروابطهم الاجتماعية القديمة ، بل انهم انتقلوا من طور كانت افكارهم ومشاعرهم الداخلية هي التي تسيروهم الى طور انفسحو اية يدورون بوامل خارجة عن انفسهم تسوقهم رغما عنهم يدور ان يكون لهم قدرة على مقاومتها . ويجدر بي ان اشير هنا الى شيء تطوري من هذا القبيل احدث اليه في الولايات المتحدة الفيلسوف « جورج سمل » (1858 - 1913) . فقد نبه هذا الفيلسوف الى ان كل مدينة تطوي على نزاع بين المعيشة والقوالب التي تصير اليها هذه المدينة . وتفسر ذلك ان الفكرة ، بعد ان تكون مجردة ، تتخذ قابلا خاصا بها حينما تطبق على شكل نظام اجتماعي . والقالب ، الذي كان في اصله فكرة مجردة ، يصبح عند التطبيق الفعلي قائما بذاته ، يصبح مع تراخي الزمان منفصلا عن الاصل ، بل ان القالب يصبح هو الاصل وتصبح الفكرة الاصلية هي الفرع . والامثلة على ذلك كثيرة . نأخذ مثلا (الروتين) الاداري في الدوائر الحكومية ، فان هذا الروتين كان في الاصل عند وضعه وسيلة لتسهيل العمل ، فلما ترسخ واصبحت له قواعد ونظم خاصة انقلب الى سلطة قوية يخضع لها كل موظف ولا يحيد عنها قيد انملة ، فكأنها احكام منزلة لا تجوز مخالفتها ، ولا يجوز استعمال العقل والمنطق بشأنها . والحكام القضائية هي من هذا القبيل . فان هذه الاحكام اوجدت في الاصل بقصد احقاق الحق لا غير . ولكنها حينما تأسست ووضعت لها انظمتها وشكلياتها وصار لها كيان معقد ، طفت هذه الانظمة والشكليات على الغاية الاولى ، وصارت القضايا في هذه المحاكم تقرر على اساس الشكليات ، بحيث ان القضية احيانا قد تبوء بالضرر اذا لم تستوف شكلياتها ولو ان الحق معها . ومن ذلك ايضا ان النظام الديمقراطي النيابي

ذكرت في مقال سابق نظرية « تونيس » في (الجماعة) و (المجتمع) وفي الارادة الطبيعية والارادة الاختيارية . واريده الآن ان اتمم البحث في ذلك مع ابحاث اخرى متعلقة بالموضوع عامة ، وبالانسلاخ خاصة . ويجدر بي هنا ان اشير بادئ الامر الى ان الحالة التي وصل اليها الانسان في العالم الغربي من ثورة على المجتمع عند المفكرين والفهماء كانت نتيجة لعاملين : الاول عامل فقدان الثقة بالتقدم والمدينة ، والثاني تأثير الثورة الصناعية ونظام التبادل التجاري في المعيشة الاجتماعية . فقد كان الانسان في الغرب يؤمن بالعلم ايمانا وثيقا ، ولا سيما بعد القرن السابع عشر ، ويعتقد اعتقادا جازما بان هذا العلم سيوفر له جميع وسائل الرفاهية ويمكنه من السيطرة على الطبيعة وعلى محيطه سيطرة تامة . واخذ المفكرون يرون في تقدم العلم فرصة ساحقة لايجاد عالم سعيد كان الكتاب والفلاسفة يحملون به حلما . ولكن الحرب العالمية الاولى وما الحقته من دمار وتقتيل بفعل ما توصل اليه العلم الحديث من مخترعات فتاكة مهلكة ، بدون ان يكون في نفوس زعماء الامم ما يردعهم عن هذه الموبقات ، خلقت في الاذهان رد فعل شديد ضد هذا التقدم وهذه المدينة . واخذ المفكرون على العكس من المفكرين السابقين ، يرون في هذه الحالة الجديدة موطن هلاك وفناء للعالم التمدن . وخرج امثال شينكلر ينادون بالتشاؤم بمستقبل العالم الغربي ، ونفروا من هذا التقدم وراوه فيها تقدما نحو فناء الانسان او انحطاطه . ثم لما جابت الحرب العالمية الثانية ، وكانت اشد فتكا من الاولى ، تقوت هذه العقيدة التشاؤمية في نفوس المفكرين ، وظهرت الفكرة الوجودية باجلى مظاهرها في كتابات « سارتر » الفرنسي بصورة خاصة ، وكانت هذه الفكرة رد فعل شديد ضد هذه المدينة الوحشية ، تدعو الى ان يهرب الانسان من محيطه وان يهتم بنفسه . ولم تكن الوجودية من صنع سارتر في فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية ولا من صنع المفكرين الفرنسيين في الصي اللاتيني في باريس ، ولكنها كانت ، كما قيل ، هدية من ألمانيا المغلوبة الى فرنسا الغالبة في الحرب العالمية الاولى ، بل كانت في الحقيقة اقدم من ذلك . فقد نشأ في ألمانيا بعد الحرب العالمية الاولى مفكرون متشائمون دعوا الى فكرة الوجودية وكان على راسهم الفيلسوف العظيم « كارل ياسنيرز » . وتبعه فيلسوف وجودي آخر هو « مارتن هابيكير » كان له اكبر الاثر في فلسفة « سارتر » الوجودية،

ولا يسافر على قدميه ، ولا يستعمل النقد ، كالذهب والفضة وغيرها ، في مبيعاته ومشترياته ، ولا يخط ملابسه ، ولا يأكل الا في القاهي والطاعم ، واكثر ما يملكه عبارة عن اسهم في شركات قد تكون بعيدة آلاف الاميال عنه او حسابات في البنوك تتمثل بارقام ومجموعات حسابية ، ويقضي اكثر اوقاته في التساوي والطعام والفنادق ولا ياتي الى بيته ، ان اوى اليه ، الا للنوم ، ولا يخاطب الناس وجها لوجه بل بالمراسلة والتلفون ، ويفضل السفر بالطائرات للسرعة وتقريب المسافات ، ولا يقيم في بلده او قريته اكثر الاوقات بل ينتقل الى مدن او الى بلاد اخرى ، ولا يكتب بيده بل بالالة الكاتبة او بالاملاء ، على سكرتيره او سكرتيره ، ولا يحارب بالايدي او بالسيف وجها لوجه بل بالبنادق او بالصواريخ من امكنة بعيدة هذه الظور جميعها وغيرها قد وسعت الهوة بين الانسان ومحيطه ، ولا عجب اذا وجد الانسان نفسه غريبا في هذا المحيط . ومما زاد الامر استفحالا ان الشكوك قد تسربت الى حقيقة هذا العالم المادي ، لان العلم الحديث قد اثبت ان الشيء الجامد كما نحسه ونراه ليس جامدا في الحقيقة بل هو عبارة عن ذرات متباعدة تسير في الخلاء ، بل ان هذه الذرات ليست الا شحنات من الطاقة ليس لها جرم تقدر ان تسميه ماده بالعلم المعروف . وتطرق الشك كذلك الى صحة ما يتوصل اليه العلم من النتائج لان هذه النتائج مبنية على مشاهدات الانسان واختباراته وهذه بدورها قائمه على حكم الحواس . ولكن الحواس لا ترينا ولا نشعرنا بالحقيقة ، كما يتبين احيانا من رؤيتنا لقضيب مغموس نصفه في الماء ، فان هذا القضيب يرى موجعا ، او كما يتبين احيانا من اخلاف درجة الحرارة لشيء ما اذا لمسناه وكانت يدنا باردة او كانت ساخنة ، او كما تصور وجود اشياء تحت تأثير الوهم لا يتصورها غيرنا اذا لم يكن تحت هذا التأثير . ونفسر العقل للظواهر الطبيعية لا يكون تفسيرها صحيحا بطابق الحقيقة بذاتها اذا كان هذا التفسير معتمدا على الانسان وعلى مشاهداته واختباراته وحدها لان هذه المشاهدات والاختبارات عرضة للخطأ بسبب خطأ الحواس . فما هو المقياس الذي يجب ان نتخذه ونعتمد عليه للوصول الى الحقيقة ؟ وهل الاشياء التي نراها ونحس بها موجودة خارج العقل حقيقية ، ام ان العقل يفسل بحسب تركيبه الفسيولوجي يصور لنا حقيقة غير الحقيقة الاصلية كروية القضيب في الماء ؟ واذا كان تفكيرنا يؤدي بنا الى خيالات ليست حقيقية ، فكيف يصح لنا ان نعتمد على هذا التفكير ؟ وهل نتخذ الرياضيات ، كما يريد « ديكارت » الفرنسي ، معيارا نحكم به على صحة استنتاجاتنا ؟ وهل الحقيقة نسبية ، تختلف باختلاف الاشخاص ؟ وهل تعتبر الشيء حقيقيا اذا وافق الغرض وخدم المصلحة كما يقول اصحاب الفلسفة العملية ؟ وهل للاشياء وجود في حد ذاتها ام انها موجودة في الذهن فقط ؟ هذه الاسئلة وغيرها لم تزل

لم يبق على حالته الاولى من البساطة وقربه من الغاية الاصلية ، كما كان عند العرب في دار الندوة او عند اليونان القدماء ، بل تعدد وتشابك ، وجاء البرلمان او المجلس النيابي بانظمته الانتخابية المتشعبة وقواعده نسي الجلسات والمناقشات ، حتى اصبح غاية لا واسطة ، واصبحت الحياة البرلمانية صنعة قائمة بذاتها يطلق عليها احيانا اسم الصنعة البرلمانية . حتى ان العبادات الدينية ، في رأي « سمل » ، قد تصبح قالبا قائما بذاته وتنتهي الغاية الاساسية من هذه العبادات . واذا كنت انتي اشتر الى ذلك في مقال سابق .

ومما شئ آخر له علاقة بهذا الموضوع ، وهو الصلة بين (العارف) و (المعروف) . فان العلم النظامي القائم على التجربة والشهادة لا يسمح للعارف بان يتدخل في تفسير الظواهر الطبيعية عن طريق ميلوه وعواطفه الشخصية الخاصة ، ويحضر على ان يتبعه الباحث ما امكنه من نفسه حتى لا تكون نتيجة البحث متاثرة بالعوامل النفسية ، بل تكون موضوعية مجردة من تأثير هذه العوامل . وقد اشد هذا الاتجاه الى ان وصل الى ذروته في فلسفة « اوغست كونت » الفرنسي (١٧٩٨ - ١٨٥٧) ، ثم تبع ذلك رد فعل عند « برغسون » الفرنسي (١٨٥٩ - ١٩٤١) و « هيرل » الالماني (١٨٥٩ - ١٩٢٨) وعند ارباب الفلسفة العملية مثل « بيرس » و « وليم جيمس » الامريكيين . وامتد الشك في فائدة التحقيقات العلمية المجردة الى الشك في صحة احكام العقل نفسه ، بتأثير فلسفة « بولكري » الانكليزي (١٦٥٨ - ١٧٥٣) في اول الامر وفلسفة « كانت » الالماني (١٧٢٤ - ١٨٠٤) من بعده ثم تأثر « هيرل » (١٨٥٦ - ١٩٤٠) المتساوي . ونشأ من كل ذلك ثورة على العلم النظامي من حيث انه يوسع الشقة بين (العارف) و (المعروف) ويجعل الانسان كالالة المسجلة التي لا عمل لها الا ضبط المشاهدات والوقائع بصورة اوتوماتيكية مجردة عن الشعور والحياة ، ونشأ ايضا من ذلك كله ثورة على الفكر والمفكرين ، وعلى العلم النظامي نفسه الذي اوجد ، على الرغم من فوائده للانسان ، وسائل كثيرة يهدد بها الانسان بالدمار والهلاك ، في الوقت الحاضر . وانضم الى زمرة الناقمين على الفكر جماعة الوجوديين ، وفي مقدمتهم « هايدكر » ، الذين فسروا هذه النعمة وشرحوا اسبابها وتكلموا عن وجود الانسان غريبا في مجتمعه الغربي الحاضر . ويقول « هايدكر » ان الانسان في الوقت الحاضر يعيش بلا مادي ، ويعيش ايضا غريبا عن نفسه ، فلا بد له ، اذا اراد ان يسترجع نفسه ، من ان يعود الى الاشياء ويتصل اتصالا وثيقا بالحياة الملموسة وينخرط في معتركها ، والمعلم الذي يرمي اليه « هايدكر » هو ان معيشة الانسان اصبحت بعيدة عن الاحتكاك بالاشياء كما هي ، لان هذا الانسان لا يعيش كما عاش الانسان الطبيعي : فهو لا ينام على الارض ، ولا يأكل بيديه ، ولا يقطف الثمار بنفسه من الشجر ليأكلها ،

فبد الضحية

الطرف كم ابدي وكم شرحا
فصح الهوى ما بيننا فصحنا
ان التفتل في الهام خرافة
لا تصح فيه خاب من نصحا
كم ليلة فلسفيها في متعة
للفجر حتى ديكه صدحا ...
هي ليلة كل الليالي دونها
هي فرصة .. وبها الهوى سحنا
والليل كم حزن الهوى في جتجه
لولا .. كان الحب مفتحا ...
نام الحبيب على يدي متعنا
قبلته .. عند الضحية فصحنا ...
ومضى وخلي القلب ينهش الانى
من بعد ما قلبي به فرحا ...

زحلة رياض معلوف

موضع النزاع والجدل حتى الآن منذ ان وضع افلاطون
نظريته المثالية وفرق بين عالم الفكر وعالم الواقع . ولعل
افلاطون بفلسفته هذه هو السبب الاصيل في هذا التخييل
الفلسفي . ولكن النتيجة التي وصل اليها العقل الغربي في
هذه المناهضة الفكرية هي فقدان الطليعية والثقة بالعقل ،
والاعتقاد بان الحقيقة في هذا يكون لا وجود لها . حتى ان
العقل النظامي نفسه يؤمن الان بانه لا وجود لشيء اسمه
يقين تام ولا لشيء اسمه دقة وضبط . وما القوانين العلمية
الطبيعية الا تقريبات ، بعيدة عن ان تكون قوانين مطلقة ،
وانها اشبه ما تكون بالتوسط الحسابي لكميات عديدة ، فان
كل كمية منها تكون قريبة في قليل او كثير من هذا المتوسط
ولكنها لا تكون اياه .

فهل الانسان ، حتى في حياته العلمية ، يعيش في عالم
غير حقيقي ؟ وهو اذا اعتقد ذلك ، فماذا يعمل ؟ هل يرجع
الى الدين ويؤمن بوجود قوة روحية غير القوى الطبيعية
الجهولة الحقيقة ؟ ام يرجع الى نفسه التي هو منها واليها
فيؤمن بوجودها وحدها ، وينترك ما يقوله العلماء عن هذا
العالم الخارج عن نفسه ؟ ام انه يقبسل بما تعطيه اياه
حواسه من صورة عن هذا العالم ، ويصرف النظر عما دون
ذلك من الصور التي وراء الطبيعة ؟ وهل يثق بعقله وحده
ام يثق بالروحيات فقط ؟ - هذه الاسئلة وغيرها من هذا
القبيل هي التي تتنازع الانسان في الغرب منذ زمن بعيد ،
ولا تزال حتى الان بدون حل مرنوق به . ومصدر هذه
الحيرة الفكرية جميعها طبيعة الشك التي انطبع عليها العقل
في الغرب منذ زمان بعيد . فقد كانت الفلسفة اليونانية

في اول عهدها مادية ثم صارت مثالية روحية ثم انقلبت
الى فلسفة شكية انكارية . ولكن ظل العقل ميزانا للافكار
وحده . ثم جاءت القرون الوسطى في اوربا وسيطر فيها
النقل دون العقل ، ثم جرت محاولات للتوفيق بين الشيتين
وانتهت بالفشل ، وجاءت النهضة والاصلاح الديني وتحرر
الانسان من السلطان المدني والسلطان الديني . وفي القرن
السابع عشر تقدم العلم فامن المفكرون به وعكفوا عليه دون
نظر الى شيء آخر . وجاء العصر الثامن عشر فانتسح نطاق
التفكير العقلي واصبح العقل مقياسا لكل شيء ، وعرف هذا
العصر بعصر العقل . ولكن طبيعة التشكك في كل شيء
حملت الفلاسفة على الشك حتى في العقل . وجاء
الفيلسوف « كانت » فهدم سلطان العقل المجرد ، وهدم
بذلك آخر معقل للفكر البشري . ووقف الانسان حائرا لا
يدير على اي شيء يعتمد ولا بأي شيء يثق . ولكنه اراد
ان يجد لنفسه سلطانا ما يركن اليه بدلا من العقل المجرد ،
فانقسمت الفلسفة في القرن التاسع عشر الى شقين :
احدهما مثالي روحي والاخر يقيني مادي . وارتفعت هذه
المثالية الجديدة بانكارها فوق العقل ، وانحطت اليقينية
الجديدة بالفكر الى ما دون العقل واعتمدت الوقائع الطبيعية
المجردة . ونادت المثالية بفكرة تحرر العقل تحررا مطلقا ،
ونادت اليقينية بخضوع العقل للطبيعة . وحلقت الاولى
في عالم الخيال ، وغاصت الثانية في عالم المادة . اما
الانسان فقد وجد نفسه معلقا بين الطرفين ، وصار يتنازع
اعلاما . مايل الى الاطلاق والتحرر من كل قيد ، وعامل
الانصياع والاذعان . ووجد انه اصبح فوق الانسان ودون
الانسان في الوقت نفسه . ومن هنا كانت الازمة الفكرية
التي ورثها هذا القرن ، وجاءت الجدل على ايدى
اتباع « هيكل » والالهامية على يد « برغسون » فاضعفتا
قوة المثالية واليقينية ، وعادت الفلسفة الى ما كانت عليه
من التخييل والحيرة .

وجد الانسان الغربي نفسه في هذه الغمرة من التخييل
وعدم الاستقرار النفساني في القرن العشرين ، ووجد انه
بعد ان طلق سلطان الدين من جهة وسلطان العقل من جهة
اخرى اصبح في ازمة روحية متعقدة . وسيطر عليه الخوف
من جميع الجهات على مصيره في الحاضر وفي المستقبل .
ولو انه بقي متمسكا بتقاليده لانتجا اليها ، او انه بقي مؤمنا
بالعقل لاتصاع اليه ، او انه بقي مرتاحا الى التقدم العلمي
لركن اليه ، او انه بقي متصلا بمحيطه اتصالا وثيقا لم
ينسلخ عنه لاوى اليه . ولكنه وجد نفسه كما لو انه في
يوم القيامة ، وقد انهار من حوله كل شيء . فلم يبق له
الا ان يهتم بنفسه حتى ينجو . في هذه الحالة الفكرية
العصيبة وفي هذه الازمة النفسية المطبقة نشأت فكرة
الوجودية .

لندن

حسن الكرمي

بالأمور الكبيرة فنقف موقف ملاحى خريستوف كولومبس حين اجفلوا من امتداد اليم الفسيح ، المجهول ، اللانهائي . .

خوفنا من انفسنا

والباعث الثاني هو اننا نخاف من نتائج التقدير الصادق ، ونسيء الظن « بالتقييم » الصريح . فلإنسان الذي قد يتاح لنا ان نلقاه او نصادفه - هذا المخلوق الذي هو انا - ربما يكون مختلفا في الحقيقة عن المخلوق الوهمي الذي اوجدناه وابدعناه في مخيلتنا يصدم زهونا وغرورا ويستثير مشاكل النظام او التأديب التي تؤثر عدم مواجهتها . وهذا الشخص الوهمي ، الذي ليس له كيان او وجود ، والذي نطابق به انفسنا ونثبت به شخصيتنا له في الغالب بعض المشاركة مع الذات الحقيقية التي نستعين بها ونزودها ونخشي معرفتها . بل ان اكثرنا لا يمكن ان يميز او يتحقق من نفسه اذا التقى في الطريق بذاته الحقيقية او اذا لبي دعوة من نفسه لتناول طعام الغداء حيث يدور خلاله حديث ودي .

اسباب اخفافنا

ان هذا الشخص الزائف ، غير الحقيقي ، الذي يقوم مقام الذات ان هو الا تحقيق لرغبة طفلية . اذ يشمر الفرد بالحساس بالنقص وشعور بالدونية فيشرع في رسم شخصية خيالية خالية من الخطأ ، معصومة من الضعف ، وليجادل في خلق هذا الشخص الوهمي لا يعالج بآلة حال مركب العقل وانما يعرضه عنه بعض الشيء ويهيئ له سبيل الهرب من الواقع الملي بالفشل والنفور ، والشقاق والكراهية والمرض والضعف وغير ذلك من صفات يمكن ان يقع اللوم فيها كلها على عوامل اقوى خارجية ، او حوادث عريضة . وهذا الشخص الخيالي الذي نعرفه كما نعرف انفسنا لا ينبغي ان نلومه ! يا له من مسكين ! لقد اسىء فهمه . . والناس لا يعرفون قيمته ولا يقدرونه حق قدره . . انه سيء الحظ دائما ، والعالم كله ضده . . مع انه لو امكن ان يمزق هذا الوهم او هذا الشيء المرسل بالوهم وعاد الى الذات الحقيقية ، لوجد ان كل هذه الاسباب كائنة فيه وكلها يمكن علاجها .

وهذه الحالات الخارجية كلها ان هي الا تجسيم لذاتنا اي انها تجعل للشيء جسما وتجعله مرئيا لنفسنا الذاتية . فنحن الذين نخلق حطنا . ونحن السدين نبني عالمنا . وشهرتنا او خمولنا ، سعادتنا او تعاستنا ، نجاحنا واهيبتنا او اخفافنا وقصورنا ، كل هذا في ايدينا نحن . . انها ليست نتاج الحظ او البخت او المصادفة ، وليست احكاما لارادة مقدسة ، وانما هي نتاج قانون مقدس - هو قانون العلة والمعلول - والعلة يجب ان يبحث عنها فيك انت ! . . ان هذا لجدا قاس عسير . ولكنه في الحق مبدا اصيل ،



عبد العزيز جادو

هل تعرف نفسك ؟

بقلم عبد العزيز جادو

ان اكثر الناس يعرفون عن الآخرين اكثر مما يعرفون عن انفسهم . . وانهم ليستطيعون ، بقدر معقول من الدقة ، ان يلمسوا نقط القوة والضعف في اصداقائهم . ولكنهم مع ذلك لم يحاولوا اطلاقا تحليل ما فيهم من قنوط وقصور وعجز وامكانيات .

والرجل العادي يعرف عن سيارته اكثر مما يعرف عن نفسه . فهو اذا وجد ان سيارته لا تسير كما يجب يشرع فورا في دراستها ليعرف السبب ويصلحه . اما اذا كانت الآلة البشرية لا تؤدي عملها كما يجب ولا تقوم بوظيفتها كما ينبغي فالوهم هنا يقع كله على الدهر او الزمن او الحظ او البخت او القسمة والتصيب او الوراثية او البيئة ومن ثم يكون الاستسلام والاذعان للامر الواقع . مع ان اسباب سوء الصحة والاخفاق والتماسة والعجز - كحقيقة واقعة - يمكن معرفتها والتغلب عليها كسبب اختلال السيارة سواء يسواء .

وهناك باعثن رئيسيان ترجع اليهما معرفتنا القليلة جدا عن انفسنا . الباعث الاول هو حيرتنا الشديدة امام تعقيد الشخصية وحدقتها في تضليلنا والاحتيال علينا ، وتفاعلها مع عوامل كثيرة منها : الوراثية ، والعاطفة ، والتحيز وتأثيرات تجارب الطفولة ، وغيرها مما يبدو وكأنه واجب معقوت او فرض كريه لا امل منه في ريادة او استكشاف هذه الامعاق السحيقة فنحن نجفلس مرتعين من عظم الاتساع الذي يواجها ومن عدم القدرة على الاضطلاع

قويم ، سليم ، لا مطعن فيه !.. فمن الاشياء المرغوب فيها والتي لا تخلو من اللذة والبهجة ان نلوم شخصا آخر ، ولكن هذا لا يوصلنا الى شيء ولا تكسب منه اي شيء . فاذا نحن كشفتنا عن الاسباب والعلة التي فينا وحدنا مكانا وبيننا موقعنا ثم صرحنا هذه الحالات وقومناها فسنبحصل على نتائج باهرة .

ان الآخرين لا يدرون شيئا عن هذه النفس الوهمية . انهم يرون النفس التي لا ندري عنها شيئا . انهم ربما يخفون في رؤية امكانياتنا واهليتنا وما خفي فينا من سمو وعظمة ، ولكنهم على علم ودراية تامة باخطائنا وضعفنا وغرارتنا وشذوذنا وخواصنا الظاهرية .

وانت اذا كنت تملك عملا وكنت تجد انه لا يسير وفقا لما ينبغي او كنت ترى انه لا يبشر بالخير كما كنت تامل ، فانك لا تتوانى عن تحليله كي تكشف موضع الخطا والخلل فيه . فلماذا اذن لا تحلل نفسك ؟..

ان اول فائدة لمثل هذا التحليل هو ان الفرد يعرف تماما مكانه في الوجود ، على وجه البسيطة . فيجب ان يسأل نفسه دائما : لماذا يكون وجودي في الخليقة ؟ هل انا مجرد شافل لمكان شاغر في موقف « الاوتوبيس » ، او هل لحياتي مبرر او مسوغ ؟ ما برنامجي وما طريقة تحصيلي وهديني في الحياة ؟ وتجاه هذا الهدف هل حققت تقدما حقيقيا في خلال فترة معينة في الاثني عشرة شهرا الاخيرة مثلا ؟ واذا لم يكن ذلك ، فما الذي وقف في طريقي ؟..

ان كل حياة يجب ان يكون لها هدف معين ، محدد ، والغالب ملء بالنساقين مع التيار على قدر الامكان . انهم يدلفون الى الحياة بحالة بائسة بائسة تستحق الرثاء . لياليهم لا تتردد فيها اغنية العمل الفذ الذي يرضي النفس . هم راضون قانون بان يملأوا فراغ يومهم بالاستمتاع بساعة نزوة طائشة ، ما دام لديهم المكان الذي يتوبون اليه ، وينامون فيه . انهم مجرد حيوانات تساق الى حيث لا تدري .. يحيون حياة لا معنى لها ولا طعم ، دون ما هدف يستهدفونه او غرض يقصدونه .. انهم كالسفينات تتقاذفها التيارات وتعصف بها الانواء ، دون ان يكون لها قائد او رباب .. ليس لهم مرفأ يهتدون اليه ، او ملجأ يلجأون اليه ، او بصيص من أمل ينير لهم الطريق السوي .. ليس لهم نهج او هدف او ارادة تقودهم او تدفعهم بعيدا عن التيارات المائتة التي تعترض طريقهم - وتهديهم الى الممر الذي يقود الى مرفأ الامان والسلامة والاطمئنان .

هل لحياتك هدف ؟

يجب ان يكون لحياتك تصميم هندسي . ويجب ان يكون العمل والدراسة واللعب في كل يوم من ايامك موجها الى تحقيق هذا النموذج الذي رسمته لنفسك فتقدو الحياة

ذات غرض وذات نفع . وبغرينا الهدف فيجذبنا الى احسن واعظم الجهود ، ويستحثنا على الجليل من الاعمال وينير فينا الهمة الباسلة والعزيمة الصادقة التي تليق بكل بطل شجاع .

هل تعرف نفسك ؟.. ما منهاجك ؟.. وما هو التقدم او النجاح الذي حققته في سباقك او جهادك في الوصول الى الهدف ؟.. واذا لم تكن حققت نجاحا ، فما السبب ؟.. ان تحليلك لنفسك سيساعدك في الاجابة على هذه الاسئلة التي لها اهمية اساسية في توجيه حياتك توجيها سليما لائقا ، وفي تنظيم ميولك واهتماماتك ونشاطك اليومي تنظيما سديدا ..

ونمة فائدة عظيمة اخرى للتحليل النفسي هي انه يساعدنا على اظهار اخطائنا ، ويكشف لنا عن مواطن الضعف فينا . اي نوع من انواع الناس انا حين اظل مستعرا في خداع نفسي ، واقف « ساخرا مستهزئا بنفسي ؟ » واذا اطمنا اللثام عن ومض الحقيقة الساطع فما اكثر التقائص والعيوب ظهورا ووضوحا ؟ وما الذي يجعلني ادفع الناس متي بدلا من ان اجتذبهم الي واستميلهم لي ؟ ولماذا اخفق في حين اني خلقت لاجل ؟.. ولماذا اراني تمسا ، شقيا ، غير موفق في حين انه يجب ان اكون سعيدا ، ناجحا ، موقفا ؟..

فلننظر مليا الى بعض الاخطاء الشائعة التي نعاتي منها الكثير ، والتي قد يكون السبب في اخفائها وتعاستنا ونحن في غفلة عنها او غير متنبئين اليها :

الاول هذه الاخطاء هي الانانية وحب الذات . وهؤلاء الذين يعلقون من الشعور بالنقص او الدونية بهمهم جدا - من باب التعويض - ان يعلقوا اهمية على الذاتية ، فتجدهم في حديثك معهم يتكلمون بحماس عن انفسهم ، عما يحبون وما لا يحبون ، وعن تجاربهم واصدقائهم وانجازاتهم . واذا غيرت الحديث وحولته بعيدا عن ذاتيتهم تجدهم بكما لا يتفقون ، صما لا يسمعون . وتجدهم دائما يسرفون في استعمال الضمير الشخصي : « انا فعلت هذا ، انا عملت ذاك ، انا قلت هذا ، انا احب هذا ، وغير ذلك مما ينقل على الاذن سماعه » ..

ان من يصطلي بشمس الملق الذاتي ، انما يصطلي وحده . اما الرجل الذي يكسب الاصدقاء ويحقق تقدما ويحرز نجاحا فهو الشخص الذي يبدو عليه من سماته كانه غافل عن نفسه غير متنبه اليها . ويوطن النفس على الاهتمام بصدق وشوق الى الآخرين . انه يجيد الاسغاء ويحترم آراء الآخرين وافكارهم . ويعظم الكبير ويقدره ، ويعطف على الصغير ويسانده . وهو يسعى جهده ليجد ويساعد

- (١) التراكزية : تغيير فلسفي معناه (التركيز على الذات او الآثا) وهي تفعل ان (تترك) . (٢) الاستيطان : التخلص عن باطن الشيء . (٣) العصامي : الرشي باختلال الاعصاب .

وبعاون ، ويتحدث بخير عن الآخرين . فهو على العموم محبوب من الجميع .

دع حياتك تفيض الى الخارج

تجنب التراكيز (١) اي لا تكن انانيا . وحاول ان تعرف نفسك ونفهم مقدار قوتك ومدى ضعفك .. ثم دع الحياة تنساب منك الى من حواليك . ولا تكن مستبطنا (٢) . ولا تقف ما ليس لك به علم .. ابن علما من الميول الرحيبة والاهتمامات الفسيحة ، والرغبات العريضة .. انشء مع الآخرين علاقات طيبة تنطوي على الاخاء والحب والمودة . واسع الى مد يد المساعدة والعون الى كل محتاج . وجاهد في ان تجعل الدنيا من حولك اكثر رقة واكثر لطفا واكثر ادمية ، لتغدو اكثر جمالا مما كنت تراها ..

والانفعالية او اثاره الاحساسات والعواطف من الاخطاء الانسانية المتفشية بيننا ، فنحن بدلا من ان نتقنع بالهدول عن احد المواقف ، نميل الى المقاومة بطريقة عاطفية ، لا عقلية .. ونحن محكومون ايضا بارائنا المبصرة واهوائنا ومخاوفنا ومشاعرنا السلبية .. اما العواطف الحقيقية ، السليمة ، التي لا زيف فيها ، واما الحب والتآلف والعطف والحنان والابتهاج ، وتقدير الجمال ، والانسراح بالفضل وعرفان الجميل - فهي من مباحج الحياة ، بل هي شلى الحياة وعرفها الفواح . وحتى هذه الصفات ايضا تحتاج الى ان تتخلق وتمتزج وتتجاوب مع الادراك والحكم والدوق السليم . واما الانفعالات السلبية ، والغضب والتلق والحد والغيرة والبغض والاكثاب - فهي تسم نتائج الحياة وتؤدي الى الشقاء والبؤس والفاقة والارذل والافاق . والتعيب ضعف آخر عند كثير من الناس . فنحن كثيرا ما نتسرع في الحكم على الآخرين وادانتهم حتى في تلك الاخطاء التي تقع نحن انفسنا في ارتكاب معظمها .

والثرثرة والشائعات الكاذبة لا تنتشر ولا تسمع الا عن طريق نفوس مريضة الى نفوس اخرى اعياها السقم والتفاهة وجمع بينها التشابه في الاذواق .. والثرثرة نوع من انواع التعويض . فنحن اذا علمنا بضعفنا ومرض انفسنا نبادر في السعي الى هدم الآخرين بالحكم الخاطيء المؤذي سواء بالقول او بالفعل حتى يمكننا ان نفضل نفوسنا الانيمية فيفيض دافق من الشعور الراضا وبالثبته الذاتية . هذا الشعور الذي يجب ان يجعلنا نشعر على الاقل بان همسنا الفاجر المشين وهمساتنا الخسيسة قد وورت في التراب واندثرت في الرغام .

وتأكد ان النمام او الواشي او كاشف المساويء اما هو متعصبا للخطا الذي يقتصر به من الآخرين . بل انه تعصبي (٣) مسكين ، غليل ، يعاني رغبان مكبوتة .

فاذا كنت احد تلك السور او الكواسر الادمية التي تقع على الجيف ، فكن قاسيا اشد القسوة مع نفسك . وأقلع

عن هذه العادة المرذولة . اقطع الحديث وقف في نصف الجملة وغير الموضوع . واذا انت لم تستطع التحدث جيدا عن شخص غائب فتحاش الكلام كلية . ولا تساء الى الآخرين بالتحدث عنهم بالسوء فتلطيخ سمعتهم وتلوث شخصيتك وتجرد نفسك من الادمية ومن كل الخصال الحميدة ، ومن المثل السامية ، وتهبط بنفسك الى مستوى الشخص الذي تلمذ وتستقبحه .

تجنب ذلك النوع الوبائي الضار وهو عدم التسامح الذي يقودك الى الشعور بانك قد جعلت من نفسك رقبيا على عادات الآخرين وافكارهم وآدابهم وسلوكهم وتصرفهم .

دع الآخرين يعيشون على ضوء ذاتهم وفي جوههم الخاص .. حسبما يشاؤون . وكن في نفسك فليكن من الاعمال والشؤون ما فيه الكفاية لتوجيه حياتك . وتقدر ما يتأهل الشخص الآخر مثله العليا ، تستأهلها انت ايضا . ومن الغباء وعدم الدوق ان تحاول اكراه الآخرين على احترام آرائك او ان تفرض عليهم صفاتك وتصرفاتك او معتقداتك . لنعش ونترك سوانا يعيش لتطول اعمارنا وتكون ايماننا موصولة ببريق الرقة واللفظ ورائحة الحلم والاناة الذكيفة ، وعطر التسامح والسماحة .

ابحث عن ذاك الفضلي

ان هذا التقدير الذاتي الذي استحكك عليه ، وهذا التقييم الصحيح للنفس والرفع من شأنها يخدم غرضا آخر ذا أهمية .. انه لا يكتشف عن اخطائنا التي نسعى جهدنا الى تصحيحها والاصلاحها فحسب ، ولكنه يكشف ايضا عن الامكانيات المغمورة للنفس والروح من اجل حياة ارحب واخصب واكثر وفرة واعظم سعادة .

ان في ذاتنا الخفية قوى يمكنها ان تعرفنا الى اسمى مراتب التحصيل .. وانه لترقد في ذواتنا اللاشعورية مخازن واسعة ومستودعات غنية بالكنوز الذهبية والبخائر النفيسة . فاذا نحن استطعنا ان نبلغ هذا الحد من الكمال في الحياة وبرزانه او حولناه الى تعبير عن النصر والظفر امكننا ان نصل صعودا الى المجد ونرتفع الى حياة خسبة رغيدة .

ان الصحة والسعادة والشهرة والقوة والانجاز والعمل الفذ والنجاح والانتصار - يمكن ان تكون لنا وملكتنا - فيبدور هذه الاحتمالات والامكانيات موجودة في طويتنا .. في ذات انفسنا . فلنبحث جادين عن هذه الذات العليا ونتوجه بها منطلقين تجاه الحقول الخضراء ، والحلائق الغناء ، والمروج الفيحاء .. الى قسم الوجود الشمسية المتوجة هاماتها باكالييل الغار والانتصار .

عبد العزيز جادو

الاسكندرية

في ذكرى الشريف الرضي

الدكتور عبدو مسوح

وقربهن على الادواء تريقاقي
خميري العناقيد من الحاظ احداق
احس سورتها تري باعماقني
على حنين من الانغام رفاق
فقد وجدت بها حبي واشواقني
فهام في زورق الاحلام خفاقي

عند الصلاة وانت الحارز الوافي
انت التساييح في افواه عشاق
لكل صب رهيف الحس ذواق
تمجد السحر في لمات خلاق
قبل النور اغناقا باغنفاق
وجيد الصباة في اعطاف مشتاق
دل القصور بآعنا ب واوراق
يا قلب مهوى مجالتي وآفاقني

غفو الرضي (٢) اذا ما غوى غوى
لا غرو ان غرقت بالدمع آماقي

نطوي منانا .. الا سقيا لارماق ؟
مرت كحلهم من الاحلام الاق
يوما من العمر او كنا بمرآق

رعيا لعهد وتذكارا لميثاق
هذي عيوني اهرق ماءها الباقي
حسرى ونفس حبيب ذات اشفاق
من مدمع كياه النهر دفاق
على كريم نوى بالكرخ (٥) غيداق
يجبك صوت باجلال واطراق
الست تبصر اطباقا باطباق ؟
واسلمتها الى صيحات نفاق
وقد تجلوا لنا آيات اشراق :
في نفحة العطر تروي طيب اعراق
وتنشر الجمر في اغنا ب امداق
يوم الفاخر منا كل سباق
عزت متون شواطئها على الراقي

مراسف القيد كاسي ايها الساقبي
فامرر ولا تسقني خمرا معتقة
هي العيون .. وحسبي انني ثمل
لولا هواها لما غنيت قافية
كانها جمعت من كل جارحة
وكم رنوت الى امواج ناظرها

بنت الشواطئ (١) انت الثغر ثلثه
وانت عين بلادي .. انت مهجتها
تبارك الله اذ سواك محبة
هذي البلايل قد جاتك منشة
وكم تمايل اغصان مفوفة
والنسيم احاديث يث بها
وللقواني اذا ما ملن من طرب
هذي مغاني فؤادي قد عرفت بها

انما الموكل بالاهدا ب احرسها

مرابع الانس .. والايام مربعة
ايمن المواعيد نزعها بمهجتنا
نحن الوفيون ما خنا اجبتنا

يا اشعر الناس غنى وجده وبكى
ومن اعار الى العشاق ادمعه (٣)
اعلها تطفئ النيران في كبد
« ورو » « غورا » (٤) ودارا في بطاح « منى »
وقفنا جعلت عيوني لا اذن بها
واليوم ان تسال الاجداث قد درست
ماذا انتظارك في الكبان تسالها
مرت عليها عوداي الدهر ماحية (٦)
ويح الرياح .. ففي الاضلاع مرفدهم
في بسة الصبح .. في اشفاق مقلته
في دفقة الماء تروي حقل قريتنا
في ذروة الجبل المهوب بحرسه
في روعة البحر والامواج هادرة

يوم الوغى بين لبثات واطواق
جماجم القوم من تحطيم سمحاق
في فتية من سيوف العرب حذاق
خطف الويفض على وجنات براق
وهج الآليء في ياقوت اطلاق

هدير سبيل من الفرسان دقاق
كتائب الموت في انياب اشتدق
تستعطر الهام في ضربات ذلاق
ان ليس للعلاج في «القدموس (١٢)» من راق

الى سماعك انني جدّ تواق
عن «راس شمرا ترى (١٤)» أم فعل علاق ؟
روح البطولة لا نزاوت افتراق
ويبددون الجهل اكبارا لاختلاق
عسى نزعج من ظلماء ارواق

عشتها رغم تهديدي وايراني
وكم خيال لها في العلم طراقي
انا الحب وها رحلي واعناني
فلمست ارجو بدنيا الحب اعناني

وهل لشمسك من صد وافراق ؟
انما القليل تخفف بعض ارفاعي
بعباء ماء حكى معقول ارباعي
بالعطر والراح تشكو عبء اوساق
يظلمت ليل ليل اصباح واعناني

في السهوريات ان صاحت مزغردة
في السباحات وقد ادمت حوافرها
في ثورة الحق قاد الزحف «صالحها (٧)»
اذا تنادوا اليها الهيجا حسبهم
وللدماء على اعلى ترائبهم

يا يوم «نبحا (٨)» وقد سارت جحافلنا
«وشيح بدر (٩)» وفي «صهيون (١٠)» اذ اطلعت
خضنا الممارك والادواء ظلمة
حتى اثينا ربي «سلمى (١١)» نظمناها

هات «ابن هاني (١٣)» حدث عن مفاخرنا
ماذا تسر لك الامواج هامة
ام الاولى ركبوها الابحار تمضدhem
هم علموا الحرف حيا في عطائهم
هم الاساطين نحيي اليوم ذكرهم

شطآن قومي ما احلى عرائسها
احيت دفين اشتياق كاد يقتلني
قال الرفاق: اليها .. قلت: والهي
ان كان غري يرجو الدهر يعتقه

غاب «التفرلق (١٥)» هل بعد السماء على ؟
ويا نسيم نعيم في دنى «كبت (١٦)»
ويا «صلفه (١٧)» كم ذاويت اثنية
لك المحائب نحدوها محولة
بها طيوب من «المياس (١٨)» نغزلها

عبود مسوح

حمص

- (١) اللاذقية . (٢) اي الشريف الرضي . (٣) وايب عتي فطلما كنت من قبل امير الدموغ للشعاع (الشريف الرضي) .
(٤) الخفيف والنفا والمصلي والغور ومتى « اماكن ردد الشريف ذكرها في شعره كثيرا . (٥) توفي هذا الشاعر الشريف في بغداد يوم الاحد في السادس من محرم ، وقيل صفر . ودفن في داره بخلق مسجد الابيارين بالكرخ . ثم نقل رفاتة الى مشهد الحسين بركلما . فدفن عند ابيه . الفيداي : الكريم . (٦) وما لبثت داره ان غربت ودرس قبره . (٧) صالح العلي . قائد معظم الاعمال الثورية التي قامت على الساحل السوري . بدأ جهاده ضد الفرنسيين منذ اوائل عام ١٩١٩ حتى نهاية عام ١٩٢١ . أثبت انه قائد عسكري ناجح . نظم لورته احسن تنظيم وابعدوا عن الغايات المادية . (٨) قرية « نبحا » غربي وادي العيون . دارت فيها معارك قاسية بين كتية مشاة كاملة مدعومة بالمدفعية من الفرنسيين وبين جماعة الشيخ صالح العلي . كانت نتيجتها انسحاب القوة الفرنسية . (٩) كانت حملة الفرنسيين الثانية على « الشيخ بدر » بتاريخ ٢ شباط ١٩١٩ وقد صد الوطنيون هذه الحملة . (١٠) منطقة جبل صهيون . هاجم المواطنون الحامية الفرنسية في مغفر (بانبا) . وقد استبسوا بالهجوم على هذا المخفر لمدة اسبوع كامل حيث وصل القتال بينهم الى حد الالتحام عدة مرات . (١١) بعد معركة (بانبا) بنقل حدثت معركة قرية « سلمى » . وقد كانت القلبة فيها للوطينين . (١٢) في ٣ آذار ١٩٢٠ زحف رجال الشيخ تجاه بلدة القدموس وطولوا حاميته لمدة ايام مما اضطر الحامية للتسليم . وكان لاحتلال القدموس اهمية كبرى لانها كانت الجيب الوحيد الموجود للفرنسيين داخل جبال العلويين (استقينا هذه المعلومات عن المعارك من كتاب « ثورات الحق ولفاء الاحرار دار التحرير العربي .. دمشق) . (١٣) راس ابن هاني . وهو قرب اللاذقية . (١٤) تل « راس شمرا » او « اوغاريت » تبعد مسافة ١١ كيلومترا الى الشمال من مدينة اللاذقية . فيها ولدت اول ابجدية في التاريخ . يرفي عهدها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد . ثم توزعت في العالم لتصبح فيما بعد اساسا للحضارات . (١٥) (١٦) (١٧) اماكن اصطيف قرب اللاذقية غنية بصنوبرها وارزها وسنديانها وعلوها الشاقق ومناظرها الخلابة . (١٨) متنزعة على العاصي في مدينة حمص .

لست ادري ماذا اصابني .. كان شيئاً تمزق في داخلي .. اطلق على خناتي .. غرفت تكاد تضيق بي .. يبدو انها صفيرة جدا .. لم اكس ادري ذلك من قبل .. احس اني اخنق .. واهرع الى النافذة .. النافذة الوحيدة فيها .. السماء بدأت تنفض رذاذاً .. وانشق طويلاً .. طويلاً .. تشعبت رثي برائحة تراب بلل .. توقف المطر قليلاً .. ها هو يعود .. عجيب امرها سماء بغداد هذا العام .. لاول مرة يستمر فيها تساقط الامطار الى هذه الشهور .. لكاني بها تلعب مناورة معي ..

كسل يدب في مفاصلي .. وقشعريرة حمى تسري الى اطرافي .. واتوجه نحو الروزنامة واعد : - خميس .. جمعة .. سبت ، احدى .. ها هو اسبوعي الاول يمر .. الشوق يعلو صراخه في اعماقي .. لكنني ساخره .. منذ متى اكون صريحة شوق ! انك تهربين .. لا داعي لهذا فقد تنسيني يوماً .. سانساه يوماً .. كم هو ساذج .. لا يدري ان حبه جرتومة تشعبت في عروفي .. سرت .. جرتومي .. استقرت تحت الجلد .. سنسيني يوماً .. وهل انسى ان الارض فلكا تدور حوله .. الساعة الحادية عشر .. زئبن التلفون ثانية .. لا .. لا .. لا .. لن اذهب .. لا يمكن لالة صغيرة تافهة ان تستعبدني .. اعصر كيف اروض ارادتي .. ساسحقها ان كانت لا تريد ان تحميني تحمي عيني من التطلع الى دونه .. تحمي يدي من القبض على سماعة التلفون .. تحمي اصابعها من ادارة فرصة التلعب .. واتوجه الى الباب اتأكد من انه مغلق .. ثم ارتمي على سريري .. وادفن راسي تحت الوادة حتى ينتهي الزئبن .. يبدو ان امي ردت عليه .. ارتداء سرى في جسدي .. واغلق التلفون .. اشعر كمن انتهى لتوه من معركة .. هذا يومي الثامن ساصمد حتى النهاية ، والا ستكون نهاية بحق .. لا اريد

حيا كهذا يدمرني .. يسحقني حتى العظم .. عاصفة تهب والريح تصفر .. اصطلق الزجاج وتبعثرت بعض الاوراق في ارجاء الغرفة .. الهواء الرطب يريحني .. مددت ذراعي اتناول كتابا بجانب راسي .. ديوان شعر .. فتحت صفحته الاولى : - مطر .. مطر .. مطر .. بين يدي اسطر فيها مطر ، وفي الشارع ينهمر المطر .. وفي اعماقي مطر .. وانهمض واغلق الكتاب بانفعال وارميه على الارض ، فتزلق واستقرت تحت الدواب : - السياب وامطاره .. فليذهب الى الجحيم .. يبدو ان كل شيء يعاكسني . اغلقت النافذة واسدلت الستارة فساد الغرفة ظلام



بقلم سهيلة داود سلمان
http://Archivebeta.Sakhril.com

ثم اشعلت زر الصباح .. وغدلت استلقي على فراشي . حذر يسري في مفاصلي وافكار متسللة تلح علي .. تتوالى في ذهني كشريط سينمائي .. اول لقاء لي به كان في يوم مطير .. خرجت مع من خرج من قاعة الشعب اثر انتهاء ندوة ادبية عقدت هناك .. الساعة تقارب التاسعة مساءً .. الجو بارد جدا .. والسماء كتلة معتمة .. وقفت في انتظار قدوم باص المصلحة وبعد قليل هبت رياح عاصفة اعقبتها امطار غزيرة .. كان هناك كشك يبيع المربات والصحف .. فاسرع الجميع يحتمون



بظله ، ولكأت انا حيث لم يبق مكان قدم .. وفي ظل هذا الكشك الخشبي الصغير وفي طرف كهذا رايت له لاول مرة .. انفسح لي مكانا الى جانبه وهو يقول : الفريق يتعلق بقشة ، وهانحن نتحنى بما لا يكاد يحمي .. وضحك .. فرغمت اليه عيني شاكراً ، ابتسم له بدوري .

في الطريق والباص يسير بي تنبّهت الى انني كنت اسرح منذ فترة فلم اتبين كم قطع بي وكم مضى من الوقت وانا فيه .. رفعت اصابعي امسح الضباب عن الزجاج انظر الى الطريق فاصطدمت بصورتي .. الظلمة تسود كل شيء والامطار تضرب الزجاج بعنف والباص يترنخ .. فلتفت حولي افقش عن الجاني استنجد .. فهالني ان اجد جميع الركاب قد تركوا الا واحدا يجلس في الجانب الآخر .. وفي المقعد الاخير رايت الجاني بغط في نومه .. فاحسست قشعريرة اذ لم اعتد ان اكون وحدي في مثل هذا الجو وفي هذا الوقت . حينذاك سمعت صوت الركاب معني يقول : لا زالت امامك ثلاث مناطق حق تنزلي ... التفت حيث كان . قال وهو يبتسم : لقد اصعبت الطريق ، اعرف ذلك ، الحق معك فالرياح شديدة والظلمة حالكة .. وانا نفسي قبل هنيهة كنت افكر باننا كمن نجلس في مركبة فضائية لا في سيارة تسير على الارض .. زال خوفي انه الرجل الذي انفسح لي مكانا قبل قليل . يبدو انه كان براقبي وادرك اني كنت ارتعد خوفاً ، فشعرت بالخلج . توقف الباص للطلعات ثم واصل سيره ، واصطفقت بايه بعد ان عبات كمية من الهواء البارد اصطدمت بوجهي .. سمعته يقول : لقد كانت ندوة ممتعة .. اذن لقد كان هناك .. سألته : هل كنت خاضراً ؟ البرد يكاد يجمد اطرافي ، كنت اجلس خلفك مباشرة .. انا لا توفتني مثل هذه الندوات .. واشعل سيكارة فشعرت بالدفء .. ووجدتني اتطلع فيه بامعان ..

صوته عميق .. فيه بحة غريبة ..
كان رشحا اصاب حنجرتة انه يوقظ
الانتباه اليه .. عيناه حالكتان ..
ووجهه قاس .. اثر جرح عميق في
اعلى خده الاسير .. حاجباه معقودان
فوق ارنبة انفه .. يتكلم دون ان ينظر
الى مخاطبه وظل ابتسامته تحرف
شفتيه بعض الشيء .. كل شيء في
وجهه يوحى بالغموض ، ويبعث في
النفوس بعض خوف كاثي رايت هذا
الوجه من قبل ولكن اين .. يبدو انه
احس اني اتفحصه .. ما اقباني ..
ماذا سيمتد .. هذه عادتي لو ارتكها
فكلما تعرفت الى وجه جديد اطيّل
التطلع اليه ، ادرس ملامحه وكأنني
ارسمها .. طبعي هذا سيسبب لي
متاعب يوما ما .. سمعته يال : انك
تتساءلين اين التقينا من قبل .. لقد
التقينا في مكتبة المعهد البريطاني
فانا دائم التردد هناك وجوها يهيء لي
مجالا للدرس .

اسبوعان مرا .. فقتست عنه
انظاري في كل زاوية من المعهد
المكتبة .. الصالون .. الحديقة ..
تساءلت لعله يتقطع على المجيء اليه ..
بعد ايام قليلة سيبدأ امتحان الكورس
كنت اجلس يوما وصديقتي في
الصالون حين دخل .. حيائي وهو
على الباب .. لست ادري ما اصابني
.. كان دلوا مملوءا بعباءة ساخنة صب
على راسي .. اخيرا لقد جاء .. ورايته
يتوجه نحونا وتناول صديقتي كتابا
واستاذنا بالجلوس وأشار الى الخادم
وطلب شيئا لثلاثة .. حتى لم يسألنا
ان كنا نطلب شيئا آخر .. وتكلم مع
نفسه .. الشاي يبعث الدفء ..
واشعل سيكارة وقطب حاجبيه ..
انا اتفحصه منذ برهة ، هذا الرجل
كانه يحمل هموم الدنيا على كتفيه
يتكلم معنا وانظاره معلقة في لشيء ..
.. مسحة كآبة في عينيه كأنه فكف
دموعها لتوه .. في تلك الامسية
عرفت ان اسمه (اميل) وانه من
فلسطين لم يبد ذلك من لهجته ..
قالت عائدة : كلهم يقولون ذلك انه

صديق اخي وهو طالب بعثة . وقالت
ايضا سألني عنك اكثر من مرة اعتقدت
انك تعرفنيته ، سرحت مع كلماتها
سأل عنك اكثر من مرة .. لم تقولي
لي ذلك من قبل يا عائدة ..
اكاد اختنق .. يوما ما ساموت ..
(اميل) سيعيش بعدي وساكون
ذكرى عابرة .. امرأة مرت في دربه
.. ولكن من يدري فقد يموت قبلي
.. ان اعلنت الحرب مع اسرائيل
سوف يدخل غمارها .. وربما
سيموت او ربما سيعود الى امه انا
مشوئا .. وعسدد .. ماذا لا ..
شيء سوف لن يتوقف الكون ..

وبقوة واحدة نهضت وسحبت
الستارة وفتحت النافذة .. الامطار
خفت .. لتتشد فاتها لا تهمني ..
سوف ارتدي ملابسى واخرج .
توجهت نحو الدواب فواجهني المرأة
.. بشرتي شاحبة .. اتفياخ في
اجفاني .. هكذا تسير حياتي هذه
الايام .. ارق في الليل وسرجان في
النهار .. متخرا التي ازدادا اسطفاقا
ترى كم تتسبب وتؤني .. لو رايتني
(اميل) بهذا الشكل لنتم على شيء
.. اميل .. شر عميق مظلم
سيحلي هشيئا .. لا اريد ان
اكتشف مجاهله .. منذ اليوم ساكون
انسانة اخرى ..

وتناولت مشطها .. سرحت به
شعري ودفعت خصلاته الى الوراء
خلف اذني وثبتها بدبوسين .. سنابل
قمع مفبسة .. وانثشت اطرافسي
وسقط المشط من بين اصابعي ..
كنت هناك .. اطالع في المكتبة ..
احسست من بهمي خلقي فالتفتفت
فاذا به : هل لي ان امتلك شيئا من
وتك ؟ .. لا بأس .. وللمت
الصفحات انه دائما الامر التاهي ..
وانا ظله .. وسرت الى جانبته
شممت الرائحة صوف بلل تفوح من
سترتة فسألته : هل المطر ينهمر ..!
اجابني : ينزل قليلا ثم يتوقف ..
هيا تجلس في الحديقة فقد زارتنا
الربيع هذا المساء .. وسمعته يقول :

كنت مارا لمحتك من الخلف قلت : هذه
السنابل المفبسة لا يمكن ان تكون
لغيرها . تطلعت اليه استفهم . قال :
اقصد شعرك .. ! يتغزل بشعري
وعيناه في الفضاء كاني لم اكن موجودة
معه . - قلت : هذا تشبيه غريب
وسحب مقعدا قرب طاولة وقدمه لي
واسترخى على اخر ومسد ساقيه
واردف : انها صورة زنيته في اعماقي
طلما احببتها .. صبيا يحمل حزمة
من سنابل قمح في حقل حصاد ..
الحقل بدا شاسعا مشجوا .. وعاقفة
مفبسة تفكره والطفل ينوء بحمله
والحزمة في يديه بدت بهذا اللون ،
واشار الى شعري .. وتوثبت نظراته
كانها الشر وزم شفتيه .. بدا غريبا
جدا .. حيران شرس يتطلع الى
فريسته .. وفجأة استسلم .. رقت
نظراته وانفجرت شفتيه عن ابتسامه
طفل .. ثم القى راسه على ظهر
الكرسي وتابع : - كنت اقف طويلا
كلما ارتقيت السلم .. احلم اني ادخل
الحقل اساعد الصبي في حمله ..
كان في مثل عمري والحقل المفبر كان
عالي الواسع تعدو فيه احلام طموحي
.. ثم غادرتنا بيتنا .. اخرجنا من
حيفا والوطن كله .. ورق صوته ،
كانه ينتحب في صمت .. واوهمت
اننا سنعود اليه بعد ايام .. وممرت
الايام .. والصورة ماساني الضغيرة
.. اما الماساة الكبيرة .. واينسم ..
ابتسامته المعودة .. بدأت ادرك سر
غموضه . وامتدت يده فوق المنضدة
وسحقت اصابعه عقب سيكارة ونظر
الي وضحك : - هل تعجبك قصتي
هذه ؟ .. واستقرت عيناه على شعري
.. لاول مرة تتركز نظراته .. تمنيت
ان اركي راسي على كتفه وانتحب
حتى يحف دمي .. سألته : - هل
لك اخوة ؟ .. - لي اخ في لبنان
واخت تعيش مع زوجها في الجزء
المحتل من فلسطين .. هل تصلكم
اخبارها ؟ .. - منذ سنتين فقط عن
طريق الصليب الاحمر .. لا يزال
يتطلع ، نظراته عميقة فيها شوق

بالامس

وكنيت بالامس سرورا ومبتسما
ولستيسخ اذا ما شمتها السقا
في حب غانية لا تشكي السما
وتسكب الشعر في كاساتنا نفا
وتدفن الامس لا تحيي به الندما
لم تجتنبه ولم ترهب له السا
حتى مع الحزن قد علمتنا الكراما
وكنيت لتستقبل الامم مبتسما
طيفا من الحزن في سيمالك مرثما

قال الصديق : ارى في عينك الاما
تهوى العيون وتجري خلفها طريا
كم ذا رايتك مشغولا بواقية
تبني من الوهم افلافا منقصة
وتلعثم الهم لا تشكو مرارته
تقدس الجرح مشافلا للوقت
تستقبل الحزن يا هذا وكسره
كم قد اتيتك من الایام نازلة
لكنتي اليوم قد شاهدت واعجبي

لكن كفري الذي شيدته انهدما
وكنيت احسب ان التفرد ما علما
ونم وجهي وجاش الدمع ثم هما

نعم لقد كنت سرورا ومبتسما
اودعت امل قلبي عند غانية
لكن شوفي اليها شف عن ولهي

يا شاعري غنتي اهواك مبتسما

فالت تداعيني الا جئت محتدما :

رأغب طلبات

حمص

« كل شيء راح وانقضى » .. وهديل
حمامة في اعلى المزراب بلل افراخها
المطر .. ايقاع منسجم ..

انتفضت على قسرع في بابي ..
وصوت امي تقول : « ماذا تفعلين منذ
ربع ساعة وانا انادي .. هيا انزلي ..
المائدة جاهزة وابوك ينتظر » .. ليس
للانسان في هذا البيت ان يتنفس هواه
بطريقته .. ابوك ينتظر .. ابني يحمل
قطعا لامعة فوق كتفيه .. وبحسبنا
جنودا في نكته .. وتناولت على عجل
ثوبا ، ارتدته ونزلت السلم فقرا ..
واجهنتي المائدة وابي واخوتي .. لم
انظر الى احد منهم .. انهم غير
موجودين .. وانحرفت راسا نحو
الباب .. فتحتة وجرفتي الشارع ..

سمعت امي تصيح: سلوى.. سلوى
الى اين في هذا الجو ؟ لوحت لها
من بعيد : - الى الحلاق .. ساقص
شعري .. ومن هناك الى السينما
مع صديقاتي ..

سهيلة داود سلمان

بغداد

لا زال المطر ينهمر والمرأة تواجهني
راسي يؤلمني وشعري يتقل كتنني
.. ستايل تمنع مقبرة .. لو تكون
.. مسوى حزمة شوك .. منذ متى
.. تستعديني سائر لتفسي منك ..
ساجلك وتبيد لاقدام النساء في
صالون الحلاق ، هذا المساء .. والان
ساقيم لك حفلة توديعية .. تحت
المطر .. وسحب الدبوسين والممنه
كله في مقدمة راسي وتوجهت نحو
النافذة .. واخرجت راسي .. راسي
كله حتى العنق .. مطر .. مطر ..
مطر .. ليت اليباب كان حاضرا معي
الآن .. اذن لاسمعه لحنا رافعا
لقصيدته .. المطر نفذ الى كل جزء
من راسي .. وبلل صدر قميص النوم
واوجهت المرأة ثانية .. الماء يتساقط
من شعري على البلاط .. قشعريرة
تسري في ظهري .. سامرشي لشي
ساكر اغلالي .. لن يقيدني كسبي
بعد الآن .. انا كما انا .. وخلعت
قميصي وتناولت منشفة .. سمعت
لحنا حزينا يصلني من المقهى القريبة
من بيتنا متقطعا مع زخات المطر ..

وووجدتني اتعلق بشفتيه .. انه يريد
ان يقول شيئا .. ليته يصمت لا
اريد ان يتكلم .. آفاقي صحراء ..
اهيم فيها سعيدة لا اريد لها اشجارا
تورق ولا جبالا تخضر لا اريد لها
ربيعا يزهر لن يكون لي معه شان ..
اني اخافه .. هذا الذي اسمته امه
« اميل » .. امرأة غريبة عني منذ
متى تسلم الى قلبي ..؟؟ وتكلم اخيرا!
لم اكن احلم ان امرأة ما ستشغلني
يوما .. وسكت .. شوق يطل من
عينيه .. عيناه تكاد تلتهمني .. انا
اخافه .. عنيف .. سيدمرني جبه
.. رجل شاذ .. وتابع : بعد اشهر
ساغادر بغداد سامكت هناك ثلاثة
سنتين .. فان كنت .. منذ لحظات
وانا انظر فوق المنضدة اعد قطرات
المطر .. تضاعفت السرعة امتلات
المنضدة .. تاه علي الحساب .. فان
كنت .. فان كنت ماذا ؟؟ لا اريد
ان يكمل ساقط جملة .. انتقطعت :
لننهض .. فقد بللنا المطر ..
لم يبق سوى بضعة ايام وسيغادر
.. ساغيب عنه حتى ذلك الحين ..

صقر الشبيب شاعر النشأوم

بقلم فكري قلعي



كان فهد العسكر يمثل روح الشباب في الادب الكويتي ، فان صقر الشبيب هو بلا منازع شيخ شعراء الكويت .. وشاعرنا هذا عصامي شق سبيله بكثير من الجهد والصابر وعلى بأساء الحياة وضرائها ، نشأ في أسرة رقيقة الحال ، يعمل فيها والده صائد سمك ، وقد اراد لابنه ان يسلك نهجه في الحياة ، ولكن نور بصره انطفأ وهو في السابعة من عمره ، فعمد الفتى الى ان يكون صائد لآلء آبن منها كنوز البحار ، ولم تكن السنوات القليلة التي قضاه في كتائب الكويت والبحرين بكافية لتعليمه وتنقيفه ، فانزوى في منزله بعد ان فقد والده وقد فدحه الالم والكآبة والوحدة ، واكب على دواوين المعري والمثنبي من الاقدمين ، وحافظ وشوقي من المحدثين ، يخرن بذاكرته مسن فنون القول ما يلتقي مع واقعه التمشي على صعيد واحد ، فكان تلميذا للمعري في نقد المجتمع وارسال نظرات في الحياة . وقد نعم الشاعر فترة من حياته بكشف الشيخ سالم بن مبارك الصباح حاكم الكويت الاسبق ، ولكنه عاد فانسحب الى بيته على غرار استاذة رهبين الحسين ، يشكو جور زمانه الذي كسر منه الجناح ، واسلمه للاحزان والاتراح ، تكرة في مجتمعه هو منه في اعلى ذراه لآلء الامم

يقولون لسي يا صقر مالك والفا من الكف عن طير القريفي على وكر اذا لم تحلق في فضا الشعر صائدا طيور معانيه فما انت بالصفير وما علموا ان القادير قد رمت جناسي عن قوس الحوادث بالكر الى الله اشكو اتني في معاشي بروني من الاصا كالواو في معرو وكثيرا ما تكون آراء الشاعر كرجع الصدى لآراء شيخ المعرة ، فاذا قال المعري :

اذا قال فيك امرؤ مالا تحبه فصبيرا بليء ود العدو اليك يقول شاعرنا الذي اكتب بنار مجتمعه :

ومالي من ميث حين ادفو
كناي يبتكم ذلبي خبيث
فان يفسبكم نصحي واتي
ستقولوني كما اتني قديما
حيثا سير نصحكم اليكم
... سائل من فلوكم مكانا
ولو اسمعتوني اليوم فولا
واجهر بالدعاء الا مغيثا
ومن ذا يرجم القلب الخبيثا
لكم بالفتى لم امزج حديثا
بحيل الصبر ممتصا حديثا
فسروا بلاذية لي حيثنا
اذا اتجاب الكرى عنكم دميثا
جرير قبل اسمعه البعيثا

يتابع الكاتب بهذا الفصل سلسلة من الابحاث عن ادباء الخليج العربي ، ويسر ان يتلنى من ابناء هذه المنطقة الفنية بالكفايات ، اثار ادبائهم وسير حياتهم وكل ما يساعد على الفاء الثور على تلك الطافات النسية والواهب المجهولة .

فرب نصيح اقوام شتيم اصاروه لخدمهم وريثا
وكما شكا المعري من مزيفي فقهاء زمانه ، الرافعين راية الدين عن غير حق ، والذين ليسوا في حقيقتهم الا ظلية لغنائم ، ودعاة شقاق ، ومتسربلون بحلل الربا التي لا تخفى على بصير المعرة الذي عرف كيف يصلهم نار الانتقاد بامثال قوله :

اتما هذه المذاهب اسيا ب لجلب الدنيا الى الرؤساء
فامهم نال الامارة بالخنا وتقيم بصلانه يتصيد
توهمت يا مفردك انك دين علي بين الله ما لك دين
كذلك يشكو شاعرنا سليل روح المعري ، من سلالة اولئك المتلبسين مسوح الدين كذبا وبهتاناً :

علمت بانحاء القوم فوتا لما فيه لطمكم غلاله
فادبتم وتلم القوم خلفا لتحطوا بالديق وبالخاله
وبلستم خادكم كتابا به اسم الدين مسيلة غلاله
اعند اولي العمام من كتاب به قد خصم رب الجلالة
فهم يتلون دون الناس آيا الى فيج الشقاق به استماله
تولف من جميع الخلف مالا يخاف سوى الالباء اشتعاله
وكما قال المعري بالجبر في قوله :

تفنون واللك الحرك دائر وتفقدون وتفضح الافدار
وتقول :

ما يختاري ميلادي ولا هرمي ولا حياتي ، فهل لي بعد تخيير
يقول صقر الشبيب في كأس القدر :

احس كغري طمعا غير عالم كغري ايفاء سر تجريري الكاسا
فأخذ مضطرا ، والبرد مرغما ويصبح بالاسرار جهلي كما امس
ويشرح الشاعر قصة وجود الخليفة ناظرا اليها من هذه الزاوية : زاوية الجبر ، لان الانسان لا يمكن ان يرضى لاعتقائه الشقاء ، ووجودهم ، في عرف الشاعر ، هو فحوى الشقاء وسر اللآء :

امحب اولاده الوالد المسكين ، ام كان مقيما اولاده
ان يكن والد البنين محبا فلماذا قد فك باب الولادة ؟
وهو باب ملهم منه الى الدنيا تمنى في وجهه ايباده
افيرى الحب ان ينظر المحبو في شك من الشقاء استعاده ؟
ان يكن حافدا يريد انتقاما فلوهم ماذا نما احضاده ؟
انما يعتقد الحقوق على من قد راهم بين الوري اضداده
وينوب في عالم القيب لم يا توا يامر يسوء منه فؤاده ..
والن ليس عن هوى او لبغى رام ذو التسل نسله واراده !

واذا كان للحياة وجهها الباسم وجهها البوس ، ولطمعها الحلو حينا والمر حينا آخر ، فان صقر الشبيب لم يعرف منها غير الجوانب المدملة ، ولم يدق غير المرارة والشقاء ، مما اسبغ على نفسيته وباتتالي بعد شعرة ظاهما تشاؤميا ، ونقمة على المجتمع ، وزهدا في عثرة الناس :

فالوا اعترلت الناس قلت لهم جروا علي العزات صنوها
لوا مخالفتي البرية لم يكن فليس للؤبان الهوم خروفا
في هذه العزلة ، وهذه الغربة ، وهذا الحرمان ، عاش مغمورا ومات منسيا شاعر كبير لم يعرفه ولم يصغ الى شجو قلبه الجريح الا قلة من الاصدقاء المخلصين .

فكري قلعي

اسطورة

اطفأت الشمس الالاقه
احرقت الارض الخلاقه
واقامت بين امانيه
والهوه حبا .. وصداقه
فاضل البحر سفينه
وابتلع الموج حبيبته !

يوما .. والعالم ذهلان
والافق الدامع غيمان
اصفى .. فرأى طيرا يحدو
فيصيح الاخضر .. والصلد
اصفى .. لخربير في الجدول
فرأى الاسماك به تشمل

اصفى .. فاذا كل غناء
يتبعث حياة الاحياء
فأفاق .. وردد : سافني
شعرا .. للبحر .. وللجن ..

من يدري .. فلعل شكائي
تعطفها .. فتد فثائي

واذاب مع الليل شموعه
واراق مع القجر دموعه
ومشي في التوك .. وللتوك
وغفا في القمه .. والدرك
وجثا يستاف جراحاته
ويلوب بكل عذاباته

ويهز الموج بكفيه
ويقبل حتى عينيه
ويغني .. ويضيء الدنيا
انفاما تحلم باللقيا

فانشق البحر عن الحلوه
تبحث في الشاطئ عن غثوه
فالغثوه .. ردتها حره
لفتاها .. ما اجمل شعره

القاهرة محمد احمد العزب

اشواني فرط عناقيدك
ودموعي زفرة تنهيدك
فيحق عذابات قيودي
وبكل جراحاتي .. عودي
رشي خطواتك في مرجي
فالزورق ضل مع الموج

ويقال بان الاعصار
والجن .. وليل الانهار
اطفأت الشمس الالاقه
احرقت الارض الخلاقه

واقامت بين امانينا ..
والهوه حبا وصداقه

في المرقا .. خف مثقوب
وجراح تعوي .. وندوب

وقميص مهترئ شاحب
وكتاب مفتوح راسب
وخيال يبكيه الموضوع
لغريب ابصر لم يرجع
وهناك رسائل مكتوبه
بدموع الطلل المسكوبه

احرقها شوك .. وجفاف
وشواطئ تبكي وضفاف

وشكاة رباب رعاف
يحنو لاساه الصفصاف

معناها .. حط هنا شاعر
في يده قلم .. ودفاتر

وفتاة تحمل شبابه
تأود عشقا وصبابه

غناها الشاعر احلامه
ومضى يهديها انفسه

وبكل ضراعات ربابه
وشوشها احلام شبابه

اغفت .. واراقت في فمه
شفتيها .. نارا في دمه

لكن الظلمه .. والاعصار
والجن .. وليل الانهار

لهم ذوق قبل ان يكونوا من اعلام اللغة . فقد كانت دار الكتب تزخر بالراجع ، ولكن التحقيق العلمي المخطوط لم يكن متاحاً على النحو الفني الرفيع ، واذا كان تصويب الاسلوب واللغة هو « المظهر الاول » لتحقيق المخطوط فان القدرة الادبية والدوق الفني هما « المخبر الاساسي » للعمل .

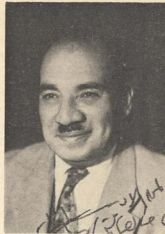
اذن ، كيف استطاع ابراهيم الابياري ان ينقل خطواته في هذا الطريق المخوف ، لملحمة من لمحات مطالع حياته تعطينا الدلالة ، كان الطالب ابراهيم الابياري من ابناء طنطا يسكن قريباً من المسجد الاحمدي ويتردد على « دكان العطر » ، كل اصيل ، فيلقى هناك صفوة العلماء ، يتحدثون في الادب ، ويتطرحون الشعر .

وكان العطر ، وصاحبه الشيخ سماعة ، على باب السر ، كان ندوة للعلماء ، لا يبيع صاحبه الا زجاجات الفل والياسمين والورد ، والشيخ سماعة نفسه مثل من امثلة الدوق في لباسه الانيق ، وسماعة وجهه ، واشراق نفسه ، في هذا الحمى حيث تشرق العاطفة الروحية ، وتعمد حلقات الذكر ، ويتحدث العلماء ، وعند دكان العطر ، تكونت الصورة الاولى للدوق في نفس الشاب الذي شغل نفسه من بعد بتحقيق المخطوطات فبلغ فيها الدروة ، واستطاع ان يقدم عشرات من الاجراف الرائعة في خلال ثلاثين عاماً ، لم تكن كل جهده وعمله .

ولم يكن دكان العطر ومجلس العلماء فحسب ولكن كانت هناك مكتبة الشيخ محمد كامل البهي الازهري الذي تعلم الحقوق الفرنسية ، شيخ الحنفية ، وصاحب المكتبة الخاصة ، وشيخي الدكتور احمد تركي وزير البحث العلمي ، رفيق طفولة الابياري (4) حيث كانت الكتب القديمة تجمع عند الشيخ كامل اكوما ، فلا يجد من تعتمد عليه في ترتيبها غير تركي والابياري ، اما تركي فكان ينفر من الكتب الصفراء ويتطلع الى الانابيق ، اما الابياري فقد عشنش وافرخ في ظلال هذه المكتبة ، فهو مشغول بها طوال نهار اجازته الصيفية يقرأ ويرتب ، ولا يصبر على ان يعود الى بيته ليلاكل ، فيجمل معه رغبته وادامه يناوله في المكتبة ، هنالك انبث له فرصة الحياة ، فرصة التعرف الى مئات من الكتب القديمة والامام بالمرجع وامهات التراث . فلما انبع له ان يدخل دار العلوم كان الطريق قد فتح فعلا الى الافق الذي اختاره له القدر .

وفي دار الكتب مضى الابياري يعمش ويرقم ويحقق ، واعتمدوا عليه قبل ان يدوله على الطريقة ، ولكنه استطاع بدارته القوية ان يصمد للعمل ، وان يصل ، ميون الاخبار ، الاغانى ، مسالك الانصار ... فقه اللغة للثعالبي ، السيرة لابن هشام ، التبيان للعكبري في شرح ديوان ابي تمام ، المعجم لابي هلال ، ديوان عبد المطلب .

ومع السقا وشاكر وعبد السلام هارون مضى في الطريق : الحيوان للجاحظ ، ديوان المعاني لابي هلال العسكري ، ومع



انور الجندي

ابراهيم الابياري

بقلم انور الجندي



قلما يتحقق لكاتب او باحث ان يعرف طريقه الحقيقي منذ الشوط الاول ، ويسير فيه منذ الخطوة الاولى ، فيعمقه ويوسعه ويعطيه من ذاته وشبابه وجهده حتى يصبح علماً عليه ، كما حدث ذلك لابراهيم الابياري . .

الشاب خريج دار العلوم عام ١٩٢٩ اول من شق طريق التحقيق العلمي المخطوط العربي ، في وقت لم يكن هذا العمل ميسوراً او متاحاً للمثقفين من ابناء المدرسة الحديثة ، ويوم كان قاصراً على فئة قليلة من علماء الازهر وبعض السوريين من تلاميذ المستشرقين .

ليست هي المصادفة على كل حال التي اتاحت له ان يعمل في مطالع حياته بالقسم الادبي في دار الكتب مع احمد زكي العدوي وعبد الرحيم محمود ، والا فقد كان في استطاعته ان يحول طريقه ولكنه التقى في هذه الفترة برجلين كان لهما اثرهما في تعميق خبراته ومواصلة طريقه في هذا العمل : هما محمد كرد علي واحمد امين .

وقد اتسعت هذه المدرسة من بعد ودخلها الكثيرون ، واصبح تحقيق المخطوطات فنا وضع قواعده الاولى رجال

كبير ، هو امتداد طبيعي وتطور حقيقي للمفاهيم القائمة في اعماق النفس ، والتي كانت صورتها الاولى هي « تحقيق النصص » ذلك انه لا بد من اجل بناء ثقافى حقيقة لهذه الامة من عمليين هما :

— تطوير اللغة وبعث التراث ، ولا قومية عربية بغير لغة ، واللغة لا تبدأ الا اذا كان هناك معجم ، فالعجم هو كتاب البدء في اللغة ...

وذلك هو العمل الذي بدأ يحققه في مجاله الجديد في وزارة الثقافة ، ومؤسسة البناء والنشر حيث يلي منصب المستشار . وقد تندرج بالمعاجم الى خمس مراحل من مجال الالفاظ كما تنطق وكما تشرق ، وكما تترادف ، وكما تداعي المعناسي .

— وكذلك تبلور فكرة « تحقيق النصوص » عنده الى عمل كبير في مجالات ثلاث :

الادب والتاريخ واللغة فلا ادب بغير نص ، ولا تاريخ بغير وقائع ثابتة ، ولا لغة بغير فن ... فما الذي يمنع ان تبرز موسوعات ثلاث تستوعب كل منها عصارة ما هنالك من تراث على نحو يقضي على التكرار والتعارض . ذلك ان اغلب كتبنا القديمة مخطوطة ومطبوعة تتكرر في الاصول والاوليات ثم تتوسع في مراحل فلا ضير اذن من القضاء على هذا التكرار والتقاء الاجزاء الجديدة حلقة بعد حلقة في موسوعة تتفق مع روح العصر ، وتقدم عصارة غير مكررة ولا مقلدة ولا متعارضة بما يحقق للمتلقف العربي الجديد حاجته وفق روح العصر مع المحافظة على تلك الثروة المراسية من تراثنا وفكرنا القديم المتجدد المتطور .

وهكذا تبدو الصورة الآن في ذهن الرجل الذي بدأ العمل منذ ثلاثين سنة في ميدان تحقيق المخطوطات ، كمسورة حية نابضة لعمل كبير ظل يتكفئ مع الزمن وزادته الخبرة والاتصال بالمجالات الفكرية المختلفة في داخل الوطن العربي وخارجه ووجه وتبلورا ، ولا عجب في ذلك فان « ابراهيم الايباري » تلميذ اصيل للمدرسة الفكرية التي صنعتها (دار العلوم) في بلادنا ، وهي المدرسة التي تحررت من قيود مدرستي التقليد في صورة الجمود ، والتجديد في صورة التطرف ، وهي التي خلقت ذلك التيار الوسط النابع من اعماق هذه الامة ، وقوامه امتزاج المحافظة بالتجديد على نحو لا جمود فيه ولا تطرف ، والذي يبرز من بعد في مجاله البناء حين دعا الى قيام قاعدة اساسية للفكر العربي قوامها ملامح واضحة لتخصيبنا وقيمنا مع فتح النوافذ للثقافات المختلفة التي تضيف الى شخصيتنا قوة وحيوة وتدفعنا الى مسيرة التطور والنهضة العالمية دون ان نفقد كياننا او نكون تابعين او مستوردون او ضالعين .

انور الجندي

القاهرة

لجنة احياء اثار ابي العلاء ، ومع احمد امين ، ومع لجنة التأليف ، كان ابراهيم يعمل في قوة وحيوية ، ويجري في طريق كان هو من الدين عبوده اصلا .

غير ان طريق تحقيق المخطوطات لم يلبث ان تفرع وتوسع فانصل بالتحقيق اللغوي من خلال عمل كبير هو المعجم الكبير الذي شارك فيه مع طه حسين ومرواد كامل وحسين يوسف .

وفي خلال هذا العمل الفكري كان الايباري يعمل بالتعليم حفيظا بان يظل في القاهرة فعلا فلا يفرسه الحصول على الدرجة في ان يسافر الى اقاصي الصعيد ، حتى لا ينقطع عمله الثقافي ، فلا يلبث ان ينشئ حصة مكتبية قبل ان تفكر فيها وزارة (المعارف) . ثم يجعل موضوع الانشاء عصارة كتاب من المؤلفات ، ثم لا يلبث ان تنشئ ادارة لتحقيق التراث في ادارة الثقافة ، صغرة حيية الى جوار ادارة الترجمة فيتولاهما ، ولا يقف عند التحقيق والبحث اللغوي ، فيكتب في تاريخ العرب والاسلام عددا من المؤلفات : مغيب دولة ، ميلاد دولة ، كافر الاخشيذ ، صلاح الدين .. هادفا في هذا الاتجاه الى مفهوم واضح في نفسه ربما اشار اليه في مقدمات هذه الكتب ، فهو يريد ان يبرز مكانة مصر في العالم العربي ودورها الذي لعبته في تجميع هذه الامة ، وما لعبت في سبيل ذلك من جهد صبرت عليه واستعملته مضحية في سبيل حماية لواء العروبة ، يقول « ارايتني حين اتناول هذا الحديث اجعل الراي هادفي والتاريخ وسيلتي » وكأنما اراد ان يجعل من الحقائق التاريخية وسيلته الى تدعيم رايه واتبانه .

وهو في هذا « مواطن يحب الخير لاصحابه » وهو الذي وجد ظفرا فرح به واذا وجد ضعفا ساءه ، وهو يريد ان يشرك قومه في كل ما يجد .

ثم يتاح للايباري في سبيل تعميق فكره ورسالته ان ينشئ معهدا اسبانيا للدراسات الاسلامية في مدريد . ويشرف عليه (١٩٥٠ - ١٩٥٣) فيجد مجاله في العمل الكبير للفكر العربي الاسلامي ، حيث يبدأ في تعليم العربية للاسبان وهي ليست بعيدة عنهم ، ثم يبدأ في عمل قاموس اسباني عربي ، عربي اسباني ، ويجري تحقيق نصوص اندلسية ، واتشاء مطبعة ، وحروف تصب في مطبعة بولاق وعمال من المغرب يتولون جمعها ، وبدا يشرق فكر جديد في اسبانيا يكشف عن الثقافة العربية الاسلامية والناس هناك عرب في صميم قلوبهم حيث تضم لغتهم حتى الآن بعد كل التصنيفات التي جرت ١٤ في المائة ، ووقفت حركة التعريب العاتية في وجه هذا العمل وتجمد المعهد من بعد ، ومهما يكن من نتيجة التجربة فانها اضافت الى نفس « المحقق العربي » امدادات جديدة دفعتها في طريقه الواضح في نفسه : طريق « المدرسة الوسطى » مدرسة البناء على الاساس ، ثم اذا هو يعود وقد كون فكرة من عمل

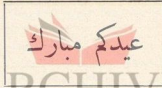
غدا ..
وتكبر فرحته . يشعر بها تملأ المكان
حتى يغيب بها . يقول لنفسه من
جديد :
العيد بعد ساعات . بمجرد ان يمضي
الليل .

يكرر ذلك لنفسه كأنه يؤكد لها ما
تحلم به من زمن بعيد .
مرتان في العام - العيد الكبير والعيد
الصغير - يأكل فيهما كثيرا من
الحلوى . من شتى الاصناف غير
الجيدة دوما .. انما في بعض الاحيان
كان يغوز بقطعة او اثنتين ، مما يراه
معبا في قلب فضية وزهية وملونة .
اما (الشوكولاته) فهذه حلوى بعيدة
المال ، كما يكون شراء بنطال جديد
او حذاء لامع ولو مجرط صندل
ازرق .. ويذكر انه فاز مرة بقطعة
واحدة سقطت من احد الاطفال . كان
يلهو بها في شرفة منزل يقابل كوخهم .
كان طفلا يرتدي البنطال الصغير
والحذاء الناعم ويضع في قبة قميصه
ربطة حمراء على شكل عقدة . ويذكر
ان الطفل اخذ بضحك منه بصوت
عال وهو يراه بهجم على قطعة
الشوكولاته ويغفر بها . لقد خاف ان
ينزلوا اليه وينزعوها منه . لقد كانت
تستحق عناء استعدادتها ، فهي كبيرة
بحجم الجوزة . بغلفها قشر من
الفضة .. اطبق عليها بشدة ثم خاف
ان تذيبها حرارة يده فاسقطها بجيبه
ولكنه لم يستطع الا ان يسحبها
بيده . واقعد مكانا قصيا .. واشغل
كل فكره بتلك القطعة العزيزة التي
تستقر في جيبه . وتجبر كيف ياكلها
.. لقمة واحدة يشمها في فمه . ام
قطعة قطعة . ام يذيقها بلسانه حتى
يصل الى حشوها ..
- تبا للمطر سحرمني غدا من
اشياء كثيرة ..

قال لنفسه وهو يصغي من جديد
لنقر المطر على سقف كوخهم . قدر
ان الساعة قد جاوزت الثانية عشرة .
وكانت الربيع وهي تقفح المنافذ
الكثيرة تحرك الخيالات الهزيلة التي

يرسمها مصباح نغفي خفت اضاءته
كبنود ساعة كبيرة .
ديك الجران لم يصح بعد . والليل
رداء اسود ثقيل يبدو ان احدا لن
يرفعه ابدا .

فكر ان يذهب الى الخارج ليري
بنفسه سبب هذا التأخير انما منعه
البرد المترص خارجا بلضع دقائق لم
يستطع بعدها المقاومة فقفذ الدثار
بعيدا وقام مسرعا شادا اكمامه واعلى
بنطاله متقافزا على رؤوس اصابعه
الى الباب ففتح ببضع مستقبلا زخة
مطر على وجهه . ولم ير شيئا . حتى
زخة المطر احس بها دون ان يراها .
الرداء الاسود ما زال ولكن ديك
الجران بدا عمله . عاد الى الفراش .
جلس عليه القرنصاء ورفع الدثار



تقلم محمد نديم
<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

حتى رقبته مستندا الى الجدار
بظهره ..

لقد بدا العيد ..

ابواه بجانبه بغطان في نومهما
وثلاثة اطفال صفار في اقصى المكان .
هو في العاشرة . اكبر الاولاد .
وابوه عامل بناء يعمل يوما ويتعبد
الكوخ عشرة ايام . انهم فقراء . سمع
ابويه بردداتها دوما . ودون ان يشرحا
له كان يعلم ما يعني ذلك . كان للفقر
معنى واحد لديه .. هو عدم احتفالهم
بالعيد . لقد اشترى ابوه البارحة



قطعة كبيرة من اللحم . وقد رددت
امه اكثر من مرة ، انها ستصحو مع
الفجر لتطبخها .. ولكن ذلك لن يغير
من الامر شيئا . ابن الكعك ٤ .. ان
رائحته تعبق منذ ايام في كل مكان ما
عدا كوخهم . ابن الحلو .. كل اب
عاد وتحت ابطه اكياسا منه . الا
ابوه . حتى الثياب . سيحتفل بالعيد
بنفوس البنطال الصفي المرفو في عدة
مواضع والذي يلعب به منذ اشهر .
وحذاءه لم يعد له بلطن . ان الماء
يببل قدمه دوما .. خاصة والمطر لا
ينقطع . وكان وصول تفكيره الى
هذه النقطة ما جعله يفيق قليلا
ويرسل بصره من خلال النافذة
الصغيرة . كان الفجر يمسح الدنيا
ببطء . ولم يسمع لزخات المطر وقعا
.. حتى انه رأى فجوات زرقاء خلال
السحاب الداكن .

قامت امه فجأة . وهي تفرك
عينيه :

ما لك جالس . ما زال الوقت
ياكرا .

لم يجب . وتابعها بعينه وهي
تتحرك حوله . ثم لم يعد يفعل ذلك .
عاد الى افكاره يغور معها ..

كالعادة . سيدور على بيوت الحي
كلها . شامخها واطائها . لن يصطحب
اخاه الصغير كما وعده البارحة .
سيعيقه ذلك كثيرا . سيكون وحده .
يطرق الابواب وفمه يتحرك بألية :
عيدكم مبارك ..

يعرف جيدا كيف ينطق بها .
وكيف يقف مؤدبا مرسلا عينيه من
تحت جفونه المسبلة . يرمق صاحب
اليه التي تمتد اليه وبها قطعة الحلو
.. وما اكثر ما يكون صاحب اليد
ولدا مثله .. مثله له ساقان ويدان
ووجه . انما يرتدي بنطالا وحذاء
ومقيصا لهفتدة . وشعره مقصوص ،
مدهون ومصفف . وجيبه عامرة بنقطع
التقود الصغيرة وعلى فمه بقايا الكعك
والشوكولاتة .

وتحس الشرة قروش التي
اعطاها له والده البارحة ليشتري بها

ما يريد - كما قال ابوہ - سيضيفها الى الاربعين قرشا الاخرى التي وفرها دون ان تشعر به امه من بيع الكعك لاطفال الحي صباحا . ستصبح خمسون قرشا يذهب بها الى السينما مع اصحابه .

الفجر يبدو واضحا ، وثمة مدفع يدوي من بعيد يعلن عن العيد .. قام من فراشه ورائته ان يقترب منها وفي عينيه سؤال . قال لامه وهو يعقد ما بين حاجبيه :

اماه .. هل نحن فقراء لاننا لا نستطيع تقديم الحلوى للاولاد ؟

هزت رأسها ايجابا وهي تلقي ملحاحا في اناة اللحسم . عاد يقول وهو يواجهها :

وهل تكون فقراء لو كان باستطاعتنا تقديم الحلوى للاولاد ..

هزت رأسها نفيا . فعاد يدور حولها دون كلام . انما كان غارقا في التفكير ، ولم تعرفه امه اهتماما .. ولا حتى عندما انطلق فجأة من الكوخ الى الحي الساكن .

كانت الشمس ترسل اول اشعتها خلال غمام متناثر . اما الطرق فكانت مبلولة تنائر فيها البرك الموحلة تنع منها رطوبة جعلته يرتعش وهو ما يزال في اول الدرب الضيق . تلفت حوله فلم يجد احدا من الاولاد . تبسم سعيدا .. لن يغادر الاولاد بيوتهم

ولا حتى بعد ساعة .. سينتهي قبلها مما قرر ان يفعله .. توقف فجأة وقال لنفسه :

لنبدأ بهذا البيت .. قرع الباب وهو يخرج من صدره كيسا نظيفا من الورق :

عيدكم مبارك .. قالست امرأة وهي تفتح الباب مندهشة :

ما شاء الله .. ما زلنا في الليل . - عيدكم مبارك ..

لم تجد ما تفعله الا ان تسرع الى عتبة الحلوى فتسقط منها قطعتين في يده وتشيعه بنظرة استفهام وهي تراه يركض مبتعدا لا يلبوي على شيء ..

لم ينظر الى القطعتين . ولم يفكر ان يضع واحدة منهما في فمه رغم تحرقه الى ذلك . اسقطهما في الكيس وهو يتوجه الى باب آخر موصله ..

عيدكم مبارك .. وباب ثالث ورائع .. وعيدكم مبارك .. والكيس يزداد وزنه في يده . اتعد كثيرا ان يشعر بالحب وطلعت الشمس وأخذت الحركة تدب حوله الا انه لم يفتل ان يجترى ويبيده مسدس يفرقه في الهواء . وجد نفسه امام دكان فتح منذ دقائق . سارع الى صاحبه يصيح به : اتبعني عتبة اضع فيها هذا الحلو .

واشار الى الكيس . قال البائع وهو يلقي اليه بعلبة من الموى الملون : - اتنفع هذه ؟

- بكم - بلا مقابل ..

اخذتها منه وابتعد عنه راكضا دون ان يفكر بان يشكره ..

وصل الكوخ ودفع الباب ووجهه يقطر سعادة وعرفا . كان ابوہ والصفار متحلقين حول رقعة من الشمع يتوسطها اناة اللحم وتناثرت حوله الارغفة وعروق البصل الاخضر . صاحبت الام وهي تجلس ايضا :

اين كنت يا شقي .. هيا تعال وانخذ مكانك فاننا لم نبدأ بعد .

قال وهو يمسح عرقه : لست جائعا .

وافرغ ما بالكيس في العلية . وفرك يديه سرورا وهو يراها تمتليء بقطع الحلو . قالت امه مندهشة :

من اين اتيت بكل هذا . اقرب منها وقال وهو يهز العلية وكلامه يتدافع من خلال لسانه :

اماه .. لم نعد فقراء . سنقدم الحلو للاولاد .

لم تفهم شيئا مما يقول . وقبل ان تصبح به ثانية كان صغيران زربان يقفان بباب الكوخ ومد احدهما رأسه وهو يقول بصوته المعطوط :

عيدكم مبارك .. سعى اليهما بالعلبة ومد بها اليهما فأخذ كل واحد منهما قطعة وانصرف ..

وما اسرع ما اخذ الاولاد يتوافدون كان نفرا انطلق يدهم على هذا المكان . ولم يعد يشعر بشيء حوله . حتى ولا بأبويه . لم يعد يشعر بأنه زري الثياب يمشي الطين في حذائه . ولا بالحمى وهي تصعد الى رأسه بعد ان لفحته رطوبة الصباح الباكر . كان يماؤه احساس واحد .. بانه لم يعد فقرا . انه يقدم الحلو للاولاد كما يفعل كل الناس .

القاسملي - سورية محمد نديم

الشعر العربي في المهجر الامريكي

دراسة ونقد

بقلم وديع ديب

استاذ الادب العربي في الجامعة الامريكية سابقا

منشورات دار ربحاني للطباعة والنشر في بيروت

عادل زعيتر

بقلم « النبدوي الكاظم »

وبعد ان ترجم خمسين صفحة وثيف تنأهى اليه من صديق له مقيم في باريس أن كاتباً عربياً سبقه الى ترجمة الكتاب، وفي نيته دفعه الى المطبعة العربية فكفّ - عادل - عن اتمام الترجمة وشرع في ترجمة (روح الاشتراكية) وبعد ثلاثة شهور فرغ من مشروعه وانسمت ترجمة الكتاب هذه بالسهولة والسلاسة وروعة الاسلوب !

وتطلع - عادل - الى كتابين آخرين بقلم - لوبون - هما (روح التربية) و (روح الثورات) فكفكف على ترجمتهما شعوراً منه بأن امته العربية في أمس الحاجة الى لقاح اجتماعي جديد، وبعد عام أنهى - عادل - عمله الجبار هذا بالإضافة الى دراسته الحقوق وقد انهاها بتفوق من جامعة باريس عام ١٩٢٥ .

الى الارض المنيهة : وبعد ان تلقى - عادل - شهادة الحقوق بيمينه عاد الى فلسطين ليحمل رسالة قومية شاقة، وليتولى الدفاع عن وطن مقصوب ، وشعب مغلوب .

وتطلع المصلحون البريطانيون الى عربي كفء يسندون له متصباً رفيعاً في - معهد الحقوق بالقدس - فوقع اختيارهم على الفقيه الواسع الاطلاع - عادل زعيتر - فقبل بدوره حمل الرسالة ايماناً منه بأن عليه حقاً لأمته ، وتولى يدرس الفقه الدستوري والدولي والاقتصاد السياسي والمالي والقانون البريطانيون الى عربي كفء يسندون

دفاعاً عن الاحرار : وفي عام ١٩٢٩ اندلعت نار الثورة في فلسطين وتلتها بعد عام اضطرابات عصفت بالبلاد عصفاً، وفي عام ١٩٣٣ اجتاحت ارض السلام ثورات عابية مهرها عرب فلسطين والقطار الشقيقة ارواحاً ودماءً خاضت السورول والبطاح - وكان - عادل - في طليعة المحامين الذين كرسوا أنفسهم للدفاع عن المتهمين - ومثل نابلس -

مستقل رأسه - في كافة المؤتمرات الفلسطينية ، وفي - اللجنة التنفيذية - وعالج قضية بلاده ، وهي الظلم قضية ردوها اتسمت بالحكمة والحصافة وبعد النظر على كتاب - حاضراً الاسلام - للسر اثير واكهموب - أحد المتدربين السامين بفلسطين - وعلى - وندل ولبكي - في كتابه « عالم جديد » !

ناسك الصومعة : ويشس الوطني المؤمن من العدالة التي ارادها لأمته ، ومن الظلمانية التي تمنأها لموطنه ، فهجر لتدريس في - معهد الحقوق بالقدس - وعاد الى قواعده في - نابلس - متفرغاً للترجمة على انها مصدر هوائيه ، وعاش بين شوامخ الكتب معالجا الادب والسياسة والاجتماع بقلم الفكر الناضج ، وزود - الخزائن العربية - بعيون وأمهات لم تعرفها من قبل (ام اللغات) في كافة عصورها !

(١) في ربيع عام ١٩٢٠ قد هذا المؤنر العربي الكبير في دمشق واباع الاشياء المتخيون - فيصلا - ملكاً على سورية ، وكانوا من جميع الاقطار الشامية الداخلية والساحلية والجنوبية . (٢) من مقال (كان جامعة ومجمعا) للاديب الاسناد ودع فلسطين .

مولده ودراسته : رأت عيناه النور في - نابلس - المدينة التي تميزت في العهدين العثماني والبريطاني بشبابها المثقف الواعي ، وأتم فيها دراسته الابتدائية ، ونال شهادة الإعدادية من سلطانى بيروت ودرس الآداب في سلطانى استانبول وكان الاول في سائر مراحل دراسته .

في حقل الجندية : ويوم كانت الحرب الاولى متاجحة اللظى دعي - عادل - للخدمة العسكرية فعين ضابطاً احتياطياً عام ١٩١٦ ، وما ان اعلن الناصر الاول - الحسين بن علي - الثورة على الإنزال ، ودعا العرب شيباً وشباناً للانخراط في صفوفها حتى هرب من الفرقة التي انتسب لها ، مجتازاً - جبل العرب - في طريقه الى - أبي اللسن - للانضمام الى الأمير فيصل بن الحسين ، قائد الجيش العربي الشمالي ، وفي طريقه لقي المصاعب والأحوال ، وكان من الموت على قيد أنملة ، لكنه تمكن من الوصول الى المعسكر العربي . ولما شعر رؤساؤه بهربه وانضمامه الى المطرودين العرب حكموا عليه بالاعدام غيايباً !

من دمشق الى باريس : وانتهت السورة باندحار الترك وانتصار العرب وحلفائهم وفي عام ١٩١٩ مثل - نابلس - في - المؤتمر (١) السوري - الذي عقد في دمشق .

وفي عام ١٩٢٠ احتل الفرنسيون دمشق فأبى الفقيده الخلود الى الفراغ والجده فبأرجها ، مع نفر من اخوانه الاحرار الى باريس وانتسب الى - كلية الحقوق - في جامعة باريس ، وفي مدينة النور هذه لقي - عادل - الفكر الكبير غوستاف لوبون فاجبه وهام بآثار قلمه ، خصوصاً ما تناول فيها حضارة العرب .

اول الشوط : كان المرحوم فتحي زغلول - شقيق المغفور له سعد زغلول - اول من نقل الى العربية كتابي (روح الجماعات) و (سر تطور الامم) للسلامة الفرنسي لوبون ووعد في الثاني بأن ينقل الى العربية كتابين آخرين للعلامة الفرنسي الانف الذكر هما (روح السياسة) و (روح الاشتراكية) لكن وفاة - فتحي - حالت دون ذلك ، فخطرت للفقيده زعيتر - ان يحمل بمفرده هذا العبء الثقيل ، فيقوم بترجمة الكتابين ، فكفكف على قراءتهما في باريس بعد قراءتهما في الاستانة وبأدب اولاً الى ترجمة (روح السياسة)

الفاهرة

ما من احد

من من هنا الا وتوهجت روحه بالفسق

ابتها المرأة

ابتها الكلمات التي لم تجتثها فؤوس الحطابين

ما من احد من من هنا

الا وعلفت في اهدابه زهرة الياسمين

كل الكلمات التي لم يلقها احد بعد

فاتتها ذات العيون الصليبة

وهي تجتاز حدائق غسق العالم الاخير هذا

الغابات مفعمة بالحياة

والكلمات تغرق كالزمن

يا لها من موجة ،

نوظف هذه الجيرات الفارقة في الدخان

سنطلق يا اميرتي

سنطلق في سفينتنا البيضاء

الى حدائق التعمان

وستبقى على اهداب بعض كلماتك

خلوة نور العالم

وانين هذا الفسق الذي يلف القيل

القاهرة

هند نوري

الم توسط ، كليوباترا ، بسمارك ، نابليون ، ابن الانسان ،
الحياة والحب (لاميل لودفيج) ابن خلدون وفلسفته
الاجتماعية (ليونول) ، اصول الفقه الدستوري (لايسمن)
الغزالي ، ابن سينا ، مفكرو الاسلام (جزءان) (لكرادوفو) .
« كان (٢) عادل زعيتر جامعة وحدها ، ومجمعا وحده ،
كان في سياق دائم مع الزمن ، يخشى ان تنطلق روحه الى
بارئها قبل ان يتم برنامجه المرسوم في الترجمة الموسوعية .
كان من الخوارق والظواهر ، فمثل عادل زعيتر ظاهرة لا
تتكرر في كل قرن من الزمن !

فالرجل الذي يترجم لوبون ولودفيج وروسو ومونتسكيو
لا يمكن الا ان يكون صنوا لهؤلاء جميعا ، يحاكيهم في المعرفة
ومحيط الفكر ، ويفضلهم في اتقان فن لا يحسنونه ، هو
الترجمة ، ويتفوق عليهم بتخيره في لغات متعددة كلها
كالمحيط في انساب ارجائه ! »

قال لي الشاعر الكبير الاستاذ عادل القصبان في يوم
اربعين الفقيه - عادل زعيتر - :

« كان يقضي ايامه في مطابع - دار المعارف - مصححا
- بروفات - الكتب العديدة التي يصدرها باستمرار او في
الفندق الذي ينزل فيه مترجما كتباً جديدة ... ومن
الانصاف للحقيقة ان اقول لك ان الاستاذ زعيترا كان يعمل
في اليوم الواحد اثنتي عشرة ساعة بلا انقطاع ولم اعرف
في الشرق او في الغرب كاتباً يبذره بشاطئه وجيويته
وظاقتة ! » .

لقد اقي - عادل زعيتر - رسالته الثقافية لامته في
صديق واخلاص واعلم صرحا مرمدا من ترجمات روائع
التفكير الغربي . ولهم - امام المترجمين عمل العين اذ كان ياتي
دولة جبارة ، ذات اساطيل جواراة !

ذات يوم خاطب المفكر الاجتماعي الكبير - جان جاك
روسو - سادة جنيف عن دور - المواطن الصالح - وعن
الرسالة - التي يضطلع بها ويؤديها لامته بقوله :

« ايها السادة ! بما انني اعتقدت انه لا يستطيع غير
- المواطن الصالح - ان يقدم لوطنه من التكريم ما يمكن
قبوله ، فاني عملت ثلاثين سنة لكون اهلا لان اقدم اليكم
تحية عامة ! »

ولو جاء - عادل زعيتر - في العصر الذي عاش فيه
- روسو - لاشار الى - ابي عمر - بسبائنه وقال لكهنا
المعرفة واعلم الكلمة :

« هذا هو - المواطن الصالح - الذي ملا كل دقيقة من
دقائق عمره بالعمل الصالح البناء ! »

رحم الله (ناسك العلم) الذي عاش دهره بين الحبر
والسورق !

وتعمد الله (راهب الفكر) في افياء نعيمه ، وقد لفظ
انفاسه الاخيرة بين الحبر والورق !

« البدوي المثلث »

عنان

ولتدرك اية خسارة فادحة اصاب سهمها قلب -الضاد-
بوقاة - عادل زعيتر - هاك اسماء الشوامخ التي سلخ في
نقلها بقلمه الرصين البليغ نلت قرن من الفرنسية الى
العربية ، فجاءت هрма من الموسوعات الكبرى :

روح الشرائع (جزءان) (لونتسكيو) العقد الاجتماعي ،
اميل والتربية ، اصل التفاوت بين الناس (لروسو) ،
كنديد او التفاؤل ، الرسائل الفلسفية (لولتير) ، حديقة
ابيقور ، الالهة عطاشي (لاناؤل فرانس) ، تلملك (لفلون) ،
ابن رشد والرشدية ، حضارة العرب ، حضارة الهند ،
روح الجماعات ، السنن النفسية لتطور الامم ، فلسفة
التاريخ ، روح التربية ، حياة الحقائق ، الاراء والمعتقدات ،
روح الثورات والثورة الفرنسية ، روح الاشتراكية ، روح
السياسة ، اليهود في تاريخ الحضارات (لغوستاف لوبون)
مجالى الاسلام (لحيدر باسما) حياة محمد (لاميل
درمتم) تاريخ العرب العام (لسيدبو) النيل ، البحر

التعبير الصائب .. » .

فأنتسم صاحبي وهو يقول : « ما شاء الله .. انك أصبحت واعظاً في غيبتني أذن ، من أين لك هذا ؟! من أين هذه الحكمة كلها يا أخي ؟! ولكن ، لا بأس عليك .. ومنك نستفيد .. » .

واستأنف حديثه ليخبرني عن رحلته ، كيف بدأت من مهجرة ، الى ان أعاده الله سالماً الى وطنه ، وكان مما قاله : « قبل سفري بيوم واحد ، فاجاني اصحابي هناك بحفلة رائعة ، يودعونني بها ، فاضطرت ان اعتذر لكل من (اوعدهم) في ذلك المساء ، واستمرت الحفلة الى ساعة متأخرة من الليل ، أصبت فيها من الطعام والشراب ما سبب لي توجعاً ، ولكن الله (اشفاني) منه مع الصباح .. وكان موقف الوداع مؤثراً بيني وبين اصحابي هناك ، وخاصة حين كنت ألوح لهم من النافذة ، وقد انطلقت بنا الطائرة على (المدرج) - بتشديد الراء - الذي سارت عليه في طريقها الى التحليق .. » .

وقلت أعقب على حديثة : « الحمد لله على وصولك اليها بالسلامة ، وأما اصدقاءك الذين اعتذرت اليهم ليلة الاحتفال ، فأنك لم (توعدهم) من غير شك ، لان الانسان (يوعده) أعداءه حين ينفرهم بالشر ، وأما الاصدقاء فانه (يعدهم) وذلك ما فعلته أنت بالتاكيد ، لان (الوعد) للصديق ، و (الوعيد) للعدو ، وشاهد ذلك قول الشاعر :

وانك ان (اوعدتني) او (وعدتني) لغلف (ايعادي) ومنجز (وعدي)
وأما الاله (الحيفك) ، فهذا ما لست أتمناه لك ، ولا تمنناه أنت لنفسك ، لان الانسان انما (يشقى) على الموت ، حين يصيب في النزاع الأخير ، والذي حصل لك ان الله (شفاك) من المرض ، وله الحمد والشكران ..

وبقيت الثالثة ، وما هي بثلاثة الاناني انشاء الله ، وهي قولك ان الطائرة سارت على (المدرج) - بتشديد الراء - وهذا ما لا يمكن ان يكون ، لان (المدرجات) وهي قاعات ذات درج ، لا تكون الا في الجامعات ، او في الساحات العامة ، والطائرة انما تسير فوق (مدرج) - بفتح الراء فقط - فتدريج عليه متسارعة ، وهي في طريقها الى التحليق ، وذلك هو الصواب دون سواه .. » .

ورأيت صاحبي عند هذا الذي يمسك بكفني يهزهما . وهو يقول : « أروك .. كفى .. كفى .. انك تغفرت كثيرا عما اعرف .. وسوف لا أحدثك بشيء ، حتى لا تظهرني امام نفسي غريباً عن اللغة التي احببتها .. » .

فقلت وأنا اودعه متصرفاً : « لا عليك .. انما هي هفوات تقع فيها جميعاً ، وان الدالة بينها حملتني على ان اصوبها لك ، وانت حر في ان تأخذ بها او ان تدع ، فليس لي عليك سلطان اقترك به على ذلك .. » .

فقال وهو يكاد يستدير بكفنه ليمضي : « لا بل نأخذ بها جميعها ، حتى لا نتعرض عند الكتابة أو الحديث ، لمعتقد مثلك .. ! »



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

الحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية

منك .. نستفيد ..

لقنيت بعد طول غيبة ، وكانت قد حجبته الغربة على حبيبتي فلم اسمع عنه خبراً ، ولا تلقيت منه اثراً . وكان صديقاً وفيّاً ، ملا حبه جوانب نفسي ، وارتفعت بيني وبينه الحجب ، فلا تحرز ولا تكلف ، منذ كنا ارباب طفولة ، ورفاق صبا ، وزملاء حذائة في مقاعد التعليم ..

وكان سلامه علي معيراً عن بالغ لهفته ، وصادق مودته ، وعظيم شوقه . وكنت ابادله التحية بمثلها ، حين امسك بيدي الاثنين يشدهما معنفاً ، وهو يقول :

« كتبت اليك اكثر من مرة ، ولكني لم (استلم) منك جواباً علي ما كتبت ، فإين صداقة العمر بيننا ؟! اني لن انسى لك هذا الجحود !!! » .

قلت : « اما أنك ارسلت الي كتيباً ، فهذا ما لم اره مطلقاً ، ولعلها اضلت السبيل ، او لعلك لم توضح العنوان عليها . واما أنك لم (تستلم) الجواب ، فهذه خطأ وصواب ... والصواب فيها انه لم يصل كتاب منك اجيبك عليه ، والخطأ ان الكتاب (لا يستلمه) احد ، وانما (يستلم) الحاج الى بيت الله الحرام الحجر الاسود ، فيقولون فيه :

(طاف بالكعبة ، و (استلم) الحجر الاسود ..)
اي : قبله ، وانت لا تفعل ذلك بالكتاب حين يصل اليك ، وانما انت (تستلمه) ، اي : تتناوله بيدك ، وهذا هو

اتدري ماذا اتمنى ؟!

قالها وفي سمات وجهه ابتسامة خالصة ، وعيناه تحدقان في ذلك البعيد اللامتلئ ، كأنما هو يستجلي صفحاته ، ويتبين ما في خفاياه ..

قلت : ومن أين لي ان اعرف ماذا تمنى ؟! وهل انا اعلم الغيب واستقرىء خوافيه ؟!

اجل ، من أين لي معرفة ذلك ، وهو مكتون بين طوبايا نفسك ، هات اخبرني انت ، فلعلني اشاطرك مثل هذا التمني !!

قال : ان الذي اتناه يسير هين ..

اتمنى ان ينطوي جانب الزمن ، فاصبح ذات يوم ، واذا انا اشاهد في بلدي مثل ذلك الذي ابصرته في دنيا الغرب ، وملا آفاق نفسي اعجابا واستحسانا ..

اتراك تصدق لو زعمت لك ، انهم هناك يتركون اوعية الحليب على ابواب منازلهم ، فيأتي البائع يضع فيها القدر الذي تعود ان يضعه ، ويدعها مكانها تحت انظار العابرين من السابلة ، لا يفكر احدهم ان يخلسها من مكانها ، كما لا يخطر على قلب ذلك البائع ، ان يقش في النوع ، او ينقص في الوزن ..

وما افرى .. كيف تصدق ذلك لو قيل لك ، وبائع الحليب عندنا ، تنظر اليه بملء عينيك ، وتراقبه بكاسة جوارحك ، ومع ذلك فهو قد يخدعك بالوزن ، او يقينك بالثمن ، او يشعل النوع ..!

ولذلك لا تغالي كثيرا .. حين تزعم ان هنالك الكثيرين من مثل بائع الحليب ، ممن يتصلون بربات المنازل ، ومعهم ما يحتجن اليه في حياة الاسرة مع صباح كل يوم .. ترى .. هل يأتي ذلك اليوم ، الذي نبلغ فيه هذه الامنية ، ويتحقق هذا الحلم ، ام تمضي بنا قافلة الزمان ، ونفوسنا تتفطر حسرة وتلفا ، على ان نبلغ مداه ؟!

قلت : ان العابرين اكدوا فيما اترعهم ، ان الانسان لم يبشر صنع شيء مما صنعه ، الا بعد ان انتقده ، والحت به الحاجة اليه ، وما دنا فتقد امرنا من الامور - كأننا ما كان هذا الامر - فانا بالقوه من غير شك ، في يوم من الايام ، قرب هذا اليوم ام بعد ..

ولسوف نبدأ مقدمة الشوط من منازلنا ، على نحو ما صنع اولئك القوم ، نبداه من الاسرة ، كيف يجب ان تنشئ هذا الزرع النامي من اجيالنا الصاعدة ، فتدله على مواطن الخطأ والصواب ، وتفرس في اعماق نفوسهم الوازع والراصد في ان واحد ..

وعندها ، يأتي احدهم ما يأتي ، ويدع ما يدع ، بوحي منهما دون سواهما . وبذلك وحده نصل الى المدى الذي طالما هفت اليه الابصار ، منذ جرى على لسان شاعرنا القديم حين قال :

لا ترجع الانفس من شيها ما لم يكن منها لها .. زاجرا !!

انك محطوط في تفاؤلك ، اذا ما توهمت ان كل ما تسعى اليه سوف يكون في متناول يدك ، او يجب ان يكون في متناول يدك ، لا يحول بينك وبينه حائل ؟! ..

متى كان هذا في حاضر او غابر ؟! متى كان يتهيا للناس ان يحيلوا الى واقع ، ما تمتد اليه آمالهم من احلام وتمنيات ورفائب ؟! اجل ، متى كان ؟!

انهم لم يصلوا الى ذلك في يوم من الايام ، ولو كانوا قد وصلوا اليه ذات يوم ، لما قال قائلم :

ما كل ما يتمنى الرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن وانهم لو وصلوا اليه ، لخسرت الحياة اكثر ما فيها من مباح ، واقتصد المكافحون عندها حلالة النصر ، بعد مرارة الكفاح ، ولم يتطلع الكادحون الى روعة المفاجأة بالنجاح ، بعد الفشل المتعاقب في الكثير من التجارب ..

ان دروب الحياة لم تكن في يوم من الايام ، مغروشة بالورود ، معبدة مسالكها ، موطاة فيها الاكتاف ..

ومن أين لها ان تكون على هذا النحو ؟! ان فيها الورود القضة الندية ، الى جانب الشوك والحسك والسعدات ، وان فيها السهل الوطيء المهد ، الى جانب العقبة الصيرة الكداء ، وان فيها المعبر الامن للسالكين ، الى جانب القياقي الموحشة الرهيبة ..

وعلى هذا فالخير لم يكن خيرا ، الا حين قام الى جانبه الشر ، والنجاح لم يعرفه احد ، الا بعد ان عرف الى جانبه الفشل ، والامل والتفاؤل ، لم يعرفهما العارفون ، الا ليجعلوا منهما بلسما للياس ، وعلاجا للشكوى ..

ولولا ذلك : لما رايت الجندي في ساحة المعركة ، حين ترجع كفة خصمه ، وتعصف من حسوله رياح الهزيمة ، يشب في موقفه ، تشبثا منه بخيط واهن من الامل ، قد يبذل حياته تمنا لتحقيقه ..

ولما رايت الطالب ، بعيد الكرة مثنى وثلاث ، وهو يصرف ليله بكامله ، مكبا على دفاتره وكتبه ، مواليا ذلك سنة بعد سنة ، وقد هون عليه ان يتحنل الكثير من اوزار الفشل ، ما يلوح له من بارقات الامل بالنجاح ..

بل لما رايت العالم في مخيره ، يبذل الكثير من الجهد ، وهو يوالي تجاربه كرة بعد اخرى ، متحملا من مرارة الخيبة ، ما تضيق به النفوس ، وتتدخل عنده العزائم ، وذلك كله طمعا في ان تطل عليه المفاجأة ذات يوم بحلاوة النصر ، وبشائر الفوز ..

فما لك لا توطن النفس اذن .. على ان تعمل ما تعمله ، وانت ترقب له مثل ذلك من عواقب ؟! اننا جميعا لا نملك الا ذلك ، بل ان من سلفوا قبلنا مروا بمثل هذا من غير شك ، فأوحى اليهم ان يقولوا : « على المرء ان يسعى .. وليس عليه ان ينال .. » !

احمد خليفة .. في ذمة التاريخ

وكثيرا ما زرته في مكتبه ، فالح من حسن تصرفه للامور ، ما امتلي به اعجابا ببني وبين نفسي ، فاجدني اردد :
« ان الفضل في ادارتك الحكيمة هذه ، انك ارتقيت الى هذا المنصب ، مبتدئا من هناك ، من البيئة المتوسطة بين ابناء الشعب ، فلم يتسرب الى نفسك داء الغرور ، ولا احسبت بنقص عوضته بالتعالي المصطنع ، والشعور الزائف بالعظمة .. ! »

وكانت النكبة ، وخرج ابناء فلسطين من بلدكم ، فاذا هو محاضر في دار المعلمين بحلب ، وكنت آنذاك محاضرا في دار المعلمين بدمشق ، والتقينا ذات امسية في منزلي ، وكان معنا آخرون من زملاء العمل في دار المعلمين بدمشقية ، وكان موضوع حديثنا : (اعداد المعلمين كيف يجب ان يكون) ، وتسلم هو زماء الحديث ، وتناول مثالا بيئي عليه استشهاده من شعر شوقي يقول فيه :

حماستان .. في الهجاز حطنتا .. على فسن
وبدا يقرب الشعر ويشرح ، يعطي بذلك نموذجا للمعلم كيف يجب ان يعلم طلابه الصغار ، وتناول الكلمات واحدة اثر واحدة ، حتى وصل الى كلمة (حطنا) . واخذ يدلل على ان الشاعر لو اراد ان يستبدلها بسواها لما استطاع ، فما يؤدي المعنى على حقيقته غير هذه اللفظة دون سواها ..

واستمر في حديثه ، وانظار الرفاق شاحصة اليه حتى انتهى . ثم قال وهو يتسم : « اعذرني اذا انفردت في الحديث ، ولعل سبب ذلك حرفة التعليم .. »
واشهد صادقا اني ما اعجبت ببراعة معلم ، مثل اعجابي ببراعته في ذلك اليوم ، وما اراني مغاليا لو قلت انني لمحت في واجبه ، اني لمحت في احدى مناسبات المؤتمرات ، ذلك ..

واستدعي الاستاذ خليفة من سوريا ، ليشترك في تنظيم شؤون التعليم في ليبيا ، فاستجاب لذلك بدافع من شعوره العربي الصادق ، وعاد من هناك لينتقل الى حقل جديد عليه ، هو حقل البنوك والمصارف ، فتولى البنك العربي ، ثم البنك الاهلي السعودي وكلاهما في القاهرة .
وحين عقد مؤتمر الكيان الفلسطيني ، لم يتخلل الاستاذ خليفة عن حضوره ، ولم ينس المؤتمرون ان يقدروه قدره ، وذلك حين اسندوا اليه رئاسة لجنة (التوعية والتربية) .

رجل علم وتربية وادارة ..
عمرته ذات يوم ، ونحن نغادر المدينة الملعقة بالخضرة في اعالي كنعان ، (صفد) الجميلة الخالدة ، ووجهتنا (البيت المقدس) ، ليعود كلانا الى عمله هناك ، وجلسنا في مقعد واحد ، تبادل اطراف الحديث طيلة الطريق .

ولست في حديثه سعة اطلاع ، وبعد افقه ، وطبيبة نفسه . واعجبني فيه براعة فائقة في الحديث ، واستعداد فطري للمرح وخفة الظل ، وحديثي خلال ذلك - والطريق طويل - عن ذكرياته في (صفد) ، ومغامراته مع الاحداث من اترابه في وادي الطواحين ، ووادي الليمون ، وسفوح الجرمق ، وقمة كنعان ، وفي عين الزيتون ، ورجوم الصوان ، وعين الحمرات ، وعند مسالك الطريق الى (عكبرة) .. وكان معظم اترابه آنذاك من البارزين في (صفد) ، او ممن اسندت اليهم المناصب الرموقة في حكومة الانتداب .

وتكررت بيننا بعد ذلك لقاءات ، فاجتمعنا في المؤتمر الثقافي الذي اقامته جامعة الدول العربية في (بيت مري) في لبنان ، وجلسنت معه في اكثر من لجنة واحدة ، فكانت له فيها المواقف المشهودة ، وكثيرا ما كان يناظر ويحاور ، فيفهم اولئك الذين يعارضونه في الراي . ولعل الاحياء ممن كانوا معنا في تلك اللجان من وفد فلسطين ، امثال الدكتور اسحق موسى الحسيني ، ومعالى الاستاذ موسى ناصر ، والاستاذ رفيق التميمي ، والاستاذ وصفي العيتاني ، والاستاذ رفيق البلابيدي ، وسواهم .. لعل هؤلاء جميعا ما زالوا يذكرون مواقفه بموذلك ..
وما نسيت فلن انسى جلسة في احدى مناسبات المؤتمرات ، اجتمعنا بعض البارزين من وفود الدول العربية ، امثال بهجت الانري من العراق ، وعز الدين التنوخي من دمشق ، ومحمد سعيد العريان واحمد حسن الزيات وعبد الوهاب عزام من مصر ، وكيف كانوا يفيضون بالثناء عليه ، وهم لا يتكلمون اعجابهم بمواقفه ..

واجتمعنا معه بعد ذلك مرات ومرات ، فكتا معا في دورتين متعاقبتين من دورات كلية الاذاعة ، التي كانت تنظمها دار الاذاعة الفلسطينية ، ويشرف عليها مسؤولون لهم اقدارهم وخبراتهم ، وتصرفهم الحكيم ، الذي ترفعوا فيه عن الاحقاد الصغرة ، فاستغلوا كل جهد ادبي اثبت وجوده في البلاد ..

وكان ما يقدمه الاستاذ احمد خليفة في هذه البرامج ، جهدا فكريا قيما ، يجد من اقبال الفئة الواعية ، ما يتجاوب صدها في رسائل كثيرة ، كانت تحول اليه من دار الاذاعة ، وعلى زاويتها اليسرى : « كلية الاذاعة - اعرف وطنك » .
وكان ذلك هو عنوان المادة التي يقدمها مساء الثلاثاء من كل اسبوع .
ثم عرفته مفتشا للمعارف في (مدينة القدس) العاصمة،

مكتبات انطوان

فرع شارع الامير بشير

تقدم الى القارىء

جميع الكتب العربية القيمة

المغامر

لاني مغامر اجهده الرحيل والسرور
مهنته الطواف في البحار
فتبت حزن السيف والقيثار .
لاني بحثت عن نهاية نفرحي
عن مدن لا تطرد الزوار
اذا اتوها عندما يقترب القمر
مجللا بالصمت والسواد
لاني وددت ان اكون في بغداد
اقبية في شقة الياقة
نفازل الخفيرة في عيون شهزاد .
لاني بحثت عن امرأة تشعني
هاربة من سطوة السلطان
في شفتيها اثر والبلان
والشمس والنبيذ والغاة
اضمت ما احمل من اسرار .
لاني وددت ان اسير في المطر
وان افوض في دجى البحار للفرار
مهرجا في سلم الزمن
اسرف في مقالي ، لانس المحن
اشواق بحار الى زوجته ،
في اول الربيع .
لاني بحثت عن حقيقتي في خيمة الاحزان
تجربة التاريخ في قصائدي
اشرعة منفيين من دولما ريان
سقطت فوق ركبتي زاحفا ،
تخفني الدموع
لانيدي من حيثما انتهيت .
لاني سموت فوق جسر عالي القديس ، اسأل
الجموع
عن سرها لعلمها اهتنت وما اهتديت
سقطت بين البحر والصحراء
اضمت حذي السيف والقيثار .

بغداد فاضل العزاوي

آراءه بصراحة وامانة وتجرد ، وهو يطمح ان يتفرغ يوما
لطبعه مع كتابين آخرين ، أحدهما سجل فيه صورا حية
عن مأساة فلسطين ، اودع فيها مشاعره واحاسيسه، ومهد
لها بدراسة تاريخية شاملة ، تكمل بها عناصر الموضوع .
والثاني جمع فيه محاضراته التي القاها خلال دورتين
من دورات كلية الإذاعة في فلسطين ، التي كانت تجربتها
دار الإذاعة هناك ، وكان يقدمها تحت عنوان : « اسرف
وطنك » . وقد يكون هذا هو العنوان الذي اختاره لهذا
الكتاب ..

وأما الثالث فهو مجموعة محاضراته الادبية والاجتماعية
والتاريخية ، التي كان يلقيها في مختلف الاندية الثقافية
والرياضية في فلسطين ، والتي كان قد اذاعها من دار
الإذاعة الفلسطينية ، وإذاعة الشرق الأدنى ، وإذاعة لندن .
وقد المح بعد حديثه هذا الى انه في سبيل اعداد او
جمع كتاب رابع ، يتناول فيه تاريخ فلسطين بوجه عام ،
وتاريخ (قلعة صفد) بوجه خاص . بحيث يورد تاريخ
بنائها والذين توالوا على حكمها ، والاحداث التي وقعت من حولها .
وما ادري اين يبلغ به المدى من ذلك الكتاب ، ثم لا
ادري الى اين وصل في اخراج كتبه التي اوردت ذكرها ،
فقد القطع اللقاء بيننا ، منذ غادر دمشق الى ليبيا .
ذلك هو الاستاذ احمد خليفة .. رجل العلم والادارة
والثربية ، الذي ابقى لنفسه من الذكر الحميد ، في فلسطين
وبسوريا وليبيا ومصر ، ما يخلد ذكره في اطوار القلوب .
والذي انتب بجهده وتوجيهه ورعايته ، من الفراس
الثمينة ، بين اجيالنا الصاعدة ، في كثير من مدن فلسطين
والقرب ، من يلهجون بالثناء عليه ، ويكون له التسجيل
والاحترام والتقدير ..
يا اخي ابا العبد .. يا ابا الرجل الطيب ..
ان من حقل على المسؤولين في كل بلد عربي تركت فيه
اثرا من آثار جهلك وجهادك ، ان يشاركو في تابينك ،
وذلك تقديرا منهم للعمل المخلص ، وتكريما للعلم والمعرفة
والكفاءة عند احياء ذكرك .

اجل ، يا ابا العبد .. ان من حقل على هؤلاء المسؤولين ،
ان يساهموا في الاشادة بذكرك ، فقد بذلت عمرك بسائر
ايامه ، تكرسه من اجل صالح المجموع من حolk ، وعملت
مخلصا في بناء الجيل الصاعد ، فكنت بناء مبدعا ، لا تدخر
وسعا من اجل ان يتالع في افتائك ، وتحكم في بنياتك ..
ابا الاخ الراحل .. انك اصبحت اليوم في ذمة التاريخ،
ومن حقل على هذا التاريخ ان ينصفك ، وان يذكر لك ما
انت له اهل من التكرام ، والتقدير ، ما دام يحتسب لكل
عامل مخلص ، ما ينجزه خلال مرحلة العمر من اعمال ..
يا ابا الكافح الباسل في ميدانك ، برحمك الله ..

محمد سليم رشدان

عمان

وكانت للاستاذ الراحل آثار قيمة ، بين ادب وبحث
وتاريخ ، وذلك عدا الكتب المدرسية . وقد نشر الكثير من
ابحاثه هنا وهناك ، في الجلات الفلسطينية، مثل : (المعمار)
في حيفا ، و (الخميس) في يافا ، و (الشباب) في
القدس . والجلات الادبية والترتوية والثقافية ، الصادرة
في سوريا ولبنان والقاهرة ، وكان يحتفظ بها جميعا .
وأما محاضراته القيمة ، فقد التي الكثير منها في الاندية
الثقافية ، والرياضية ، في القدس ونابلس وطولكرم وحيفا
وعكا ، وصفد ، وإذاع الكثير منها في محطات القدس
والشرق الأدنى ولندن .

وكان قد حدثني ونحن في دمشق عن كتاب يعده عن
تجاربه التعليمية وابحائه التربوية ، وقد سجل فيه

لاخراج القرش .. ولكن .. ولكن ليس هناك قرش ، واخذت تفوس بيدها في جيبيها الوحيد ، محاولة ان تدخل اصابعها الرنيعة في اركانها التي بدت عميقة جدا في ذلك الوقت ، ولكن ليس هناك قرش .. وخرجت يدها فارغة منكسرة ، وانقلب وجهها ، وشابته صغرة ، فاخذت عينها الصغيرتان تجولان حولها على الارض ، واصابها شيء من الخجل ، ولم تعد تقوى على رفع راسها والنظر الى «عم متولي» . وكان هو يقف خلف الواجبة الزجاجية ، يتأملها وعلى شفثيه ابتسامة خالية من اي ضيق وسألها :
 - ايه .. في ايه يا «كاميليا» ؟
 تسأل سؤاله الى اذنيها ، فبدأ صوته بعيدا جدا عنها ، وتعلمت في وقتها ، ولم ترفع راسها وهي تجيبه بصوت منخفض مخنوق :
 - القرش وقع مني .
 فابتسم قائلا :
 - وما له .. خديها برضه ، وبكره ابقى هاتي قرش ثاني .

ترددت ، واخذت تتأمل قدميها الصغيرتين ، وكانت قد لصقتهما ببعض ، وهمت ان تجري .. انها تريد ان تختفي من امامه ، ولكن «شيكولاتة العفريت» ؟ ما الذي ستقوله لامها؟ وارتفعت ذراعها اليمنى طويلة ناحلة خجلى ، وامتدت عبر الواجبة ، وكانت تنظر من تحت جفنيها الى يده ، وتناولت الشيكولاته ، وارتسمت على شفثيها ابتسامة ، ووضعت مرسعة .

حينما ابتعدت عن الدكان ، عادت الى مشيتها الطبيعية ، ولكنها كانت اقل حياة مما كانت عليه من قبل . اخذت تتأمل الشيكولاتة ولكن منظرها لم يكن كما كانت تعتقد . بدت ثقيلة ، ورفقها الحمراء داكنة كثيبة ، عليها صورة شيطان اسود تتطاير من عينيه شرارات صفراء . كان هذا المنظر قبل ان تشتريها ، او بالاحرى ، قبل ان تأخذها هكذا دون مقابل ، تبدو لليلة ، وشكل ورقتها جميلا ،

هؤلاء النسوة وهن يخطرن في احذية كعبها عال . وحين اقتربت من الدكان ، توقفت قليلا ، وفكرت في العودة ، لقد خشيت ان يراها وحدها «عم متولي» ، فيخبر «عم علي» بذلك . الا ان رغبته الاكيدة في الحصول على الشيكولاته ، جعلتها تدفع بصورة لا ارادية اليه . وقفت امام باب الدكان ، واخذت تتأمل كل انواع الحلوى المروصعة في العلب الصغيرة والبرطمانات . فوقعت عينها على العلة التي فيها مرادها ، فانطلقت لسانها مناديا :
 - عم متولي .. عم متولي .

كان «عم متولي» يجلس في الداخل ، على كرسي وامامه آخر قد مد عليه ساقبه . وكان في افغاء ،



بقلم مصطفى ابو النصر
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فما ان اخترق الصوت اذنيه حتى فتح عينيه في شيء من الدهشة ، ثم قام متشاقلا ، فوقعت عيناه على «كاميليا» وهي واقفة خلف الواجبة الزجاجية :
 - اهلا وسهلا ، ايه اللي جابك دي الوقت ؟

لكنها لم تهتم بالاجابة على السؤال .
 - اديني شيكولاتة العفريت .
 دفع الضلفة الزجاجية ، وامتدت يده الى العلية ، وكانت هي تتأملها من الخارج . وحين انسحبت يده بواحدة ، ادخلت يدها في جيبيها



وقفت «كاميليا» على حافة الرصيف في الشارع العمومي ، وفي عينيها فرحة تكاد تغرق من بين جفونها . وكانت لها ضفيرة واحدة على ظهرها لا تفتأ تتحرك يمينا وشمالا ، وكانها تشارك صاحبها الفرحة . وكانت عينها تدوران في سرعة تجاه السيارات المندفعة في جنون . وكانت ترتدي فستانا ابيض ناصعا قصيرا جدا ، يكاد يشبه في تفصيله فراشة قد نشرت جناحيها فوق زهرة . واذا بدات حركة السيارات تخف قليلا ، حتى شدت من نفسها وبدات في التاهب للعبور على وجه السرعة . دارت رقبته في الانجهاين بسرعة ، ثم انطلقت تجاه الرصيف الآخر وكانت في جريها السريع الضيق ، كقطعة صغيرة يطاردها كلب كبير مسعور . وعادت تنظر مرة اخرى الى السيارات ، يعين فيها تحد كبير ، ثم واصلت سيرها بخطوات قصيرة ، هي اشبه بالقفز منها الى المشي ، وفي راسها انمية ما زالت تدور فيها منذ ان غادرت البيت .

طلبت ان تشتري «شيكولاتة العفريت» ولكن امها رفضت في اول الامر ، ثم لم تلبث ان لانت امام الحاحها ، فاعطتها قرشا ، وحذرتها من عبور الشارع .

راة «كاميليا» نفسها ، حرة في الشارع الواسع ، والناس من حولها . وهي تعلم تماما ان هذه الشيكولاتة تباع هناك ، في دكان صغير بجانب مدرستها ، انها المرة الاولى التي تخرج فيها وحدها بدون «عم علي» ، البواب ، وليس ذلك فقط ، لقد عبرت الشارع ايضا . وهمت ان تصيح من الفرحه ، ولكن وجودها بين الناس جعلها تكتف فرحتها ، فخرجت على شكل حركات غير متزنة من ساقها .. وكما تذكرت انها عبرت الشارع وحدها ، شعرت انها كبيرة .. كبيرة جدا ، ككل هؤلاء السيدات اللاتي يسرن وحدهن . ولاول مرة تدرك الفارق الضخم ، بين حجمها الذي يشبه العصافير ، وبين

في عالم الخطيئة

لنسون ، تخرج بي مرفدي
وفيد الكنان ، وسر القصد
الى اللانهايات ... والسرمد
وعمر ، كعمر الدجى ، اكعد
السموات ، للعالم الاسعد
وما شئت يوما ، فلي موري

اخي .. لي هنا ، في المدى الابد
فتيمتني فوق عمر الزمان
طليقا ، شرودا ، خيف الوشاح
بقلب شقي ، وروح اسبي
فاحمل سري الى فوق فوق
فازرعه في كروم الاله

معات ، الى العالم الاسود
على دريها الاوعر .. الاجرد
ظلالا .. ظلالا ، بلا مقصد
بها اصبع من يد في يد
اليها هوى ، ميهما ، في غد
بها ، في انتظار ، بلا موعد
شير الى اللسن ، لا ترفد
رؤى الامل البهيم المقعد

واهبط .. اهبط بالاحرف الدا
كهوف من الصمت ، ناه الزمان
يجسر عليها ظلام الوجود
بها غير ناس ، بها اذرع ،
بها بعض ساق ، كافى تلف
بها اعين ، غايرات ، بها ما
بها الصمت ، الصمت كالعاصفات
تسيم بدنيا ، بلا شيء ، الا

الى جانب الدرب ، لا تهدي
الزمان ، يروح ولا يفتدي
وما فوق للامس المجهد ؟
ضبابا ، ونيه بلا مرشد
الفوق ، يا نفسها ، اصعدي
هوى واعشا لقد ارغيد

ونهد هيئة اتسالة
يكاد يمر عليها ركاب
الى نصف فوق ترى عينها
ضباب يلف بأطواله
واكتب ، اكتب بالنور في جهنم
ويا ظن ، كن في خفايا القمير

وتعلمنا اهلها في غد
الى اللانهايات ، والسرمد
ويا اسمها مت ، فلترفد
واللحد ، والسم
تفر من عودها الاجرد
وما شئت يوما فلي موري

وتحمل اهلها فكره
وتبني الى فوق احلامها
ونور ، ونور كدفق اللحون
لقد عاشك الياس ، والسم
ولكنها اليوم تبني ، فينبعث العمر للنور ، للمولد
واحمّل سري الى فوق فوق
فازرعه في كروم الاله

بسام جندي

حمص

وظلت ضفيريها الوحيدة حائرة على
ظهرها حتى تباعدت السيارات ،
فاندفعت جارية الى الرصيف الآخر ،
وكانت يدها تطبق في حرص وحذر
على قطعة الشيكولاته .

مصطفى ابو النصر

القاهرة

تريد العودة الى منزلها ، وفكرت في
وضع الشيكولاته في جيبها ، ولكنها
تذكرت القرش ، فاطبقت عليها
باصابعها بشدة . وكانت في هذه
الرة ، اكثر ثباتا ، واخذت رقبتهما
تلتفت يميننا وشمالا : السيارات
الجنونة تطلق امامها كالمقاريت ،

وهذا الشيطان يبدو اضحوكة تبعث
في نفسها السرور . واخذت تجول
بعينيهما في الارض باحثه عن القرش .
ترى اين سقط منها ؟ . وتذكرت
قفزاتها السريعة وهي تعبر الشارع ،
لا بد انه اندفع من جيبها . . ووجدت
نفسها تقف نفس الموقف السابق ،

قصة اكتشاف الكونغو

بقلم الدكتور جمال مرسي بدر

في

القرن الخامس عشر الميلادي كانت امجاد البرتغال البحرية تتابع في الطريق الى ذروتها التي بلغت بعد قليل حين طاف بارتالوميو ديزاب بالقارة الافريقية مكتشفا رأس الرجاء الصالح وحين اتم بعده ماجلان رحلته البحرية حول الكرة الأرضية .

ومن خفايا التاريخ التي تفوت الكثيرين ان للاكتشافات البحرية البرتغالية صلة بالصراع بين العرب والافرنج حول الاندلس ولئن لم يكن ذلك الصراع سبب تلك الاكتشافات فقد كان مناسبتها ونقطة البداية فيها على الاقل فيما يتصل بالشواطىء الافريقية التي كانت حتى ذلك الحين مجهولة من العالم الغربي .

ذلك ان يوحنا الاول ملك البرتغال (1385 - 1433) بعد ان تمكن من اجلاء العرب عن اقاليم مملكته رنا بصره الى الشاطئ الافريقي الذي كان قاعدة عرب الصدة الافريقية (المغرب الاقصى) في الغارات التي استمروا يشنونها على البرتغال فقرر يوحنا ان يؤمن ظهره باحتلال مدينة سبتة المواجهة لجبل طارق على الشاطئ الافريقي فارسل اليها في سنة 1415 حملة تمكنت من احتلال المدينة وكان على رأس تلك الحملة الامير هنري الابن الاصفر للملك وهو الذي عرف في التاريخ باسم « هنري الملاح » لاهتمامه بالاكتشافات البحرية وتشجيعه عليها وتنظيمه لها رغم انه هو نفسه لم يركب البحر الى ما وراء سبتة .

وحين احتل هنري الملاح سبتة لم يكن معروفا من شاطئ افريقيا على المحيط الاطلسي سوى جزء صغير ينتهي عند مكان يقع في منتصف المسافة بين الدار البيضاء واغادير كان يعرف عند البرتغاليين باسم رأس ناون ومعنى هذا الاسم « لا » : لا ملاحه فيما وراء هذا المكان وليس بعده الا المجهول الذي تحفه المخاوف والاحطار . والواقع ان المحيط الاطلسي « بحر الظلمات » كان عند الملاحين حتى ذلك العهد موطن اسرار لا تصل الى كنهها عقولهم ومظنة هلاك لا ينجو منه الا من سلم الله ونسجوا حوله من الحكايات والاساطير ما يعنه في النفس الاحساس بالرهبة والخوف من المجهول ، ومن ذلك ما كان شائعا في ذلك الوقت من ان المحيط الاطلسي الى الجنوب من ذلك المكان تحتاحه الزوايا والاعاصير العاتية التي تعترض سير السفن بل ان مياه المحيط في تلك الاصقاع الجنوبية تغلي

وتغور بسبب حرارة الجو حتى يتقلب بحر المحيط الى مستنقع تتصارع في مياهه الضحلة وحوش خرافية تتهدد السفن واهلها بابشع الخوف اذا ركبوا القور الى تلك الجهات .

على ان الامير هنري وقد تملكه حب الاكتشاف لم يكن بالذي تقف في سبيله تلك المخاوف او ينكص على عقبيه امام تلك الاساطير فبدأ منذ سنة 1420 بوجه الحملات الكشفية الى الشواطىء الافريقية جنوب ذلك الحد المعروف ولم يكن نصيب اولى تلك الحملات من النجاح بالقدر الذي كان مرجوا فقد اقتضت على اكتشاف جزيرة « ماديرا » وبعض الجزر الاخرى القريبة من الشاطئ الافريقي على ان هنري استمر في ارسال رجاله جنوبا سنة بعد سنة متعزضا في ذلك لانقضاء اهل الحسل والعقد في مملكته البرتغال الذين كانوا يرون تلك الحملات غير ذات جدوى ويعتقدون ان الشواطىء التي كان يريد هنري اكتشافها اقاليم صحراوية جرداء جعلتها اشعة الشمس المحترقة غير قابلة لسكنى البشر .

على ان هنري كان له رأي آخر وكان مدفوعا في التمسك براهيه بدوافع ثلاثة حب الكشف والطمع في ثروة تلك الاقاليم لم خدمة الكنيسة بالوصول الى تلك الاقاليم الجنوبية التي كان يقال ان المسلمين قد بسطوا سلطانهم عليها وانهم على صلة تعامل وتجارة مع سكانها .

ورغبة من هنري في تأمين اكتشافاته المحتملة ضد اية خائفة من دولة مسيحية اخرى ارسل الى البابا مارتن الخامس سنة 1456 سفيرا يعرض عليه امر الاكتشافات التي يزمزم الامير القيام بها اعلما لكلمة الدين ويطلب منه ترسوفا يعطى مملكة البرتغال الحق المطلق بلا مناس ولا شريك في كل الاقاليم التي يتم اكتشافها فيما بين افريقيا والهند وقد عاد السفير الى اميره وفي يده المرسوم البابوي المطلوب .

تتابعت الحملات البحرية بعد ذلك واحدة وراء الاخرى وكانت كل منها تتراد الشواطىء الافريقية وتلقي مراسيها في جهات غير اهلة بالسكان ثم تعود ومعها نماذج من نباتات تلك البقاع واحجارها ولكن ذلك لم يكن ليرضي هنري الذي كان يهيم ان يثبت ان الاقاليم التي يريد اكتشافها مسكونة باقوام تستطيع بلاده ان تتاجر معهم وان تبشرهم بالدين المسيحي وتضمهم الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية ، غير ان ذلك لم يتيسر الا في سنة 1481 حين تمكنت الحملة التي كان يقودها انطونيو جونز الفيس من اقتناص رجل وامرأة من سكان تلك الاقطار الافريقية وعادت بهما الى البرتغال عودة المنتصر وكانت تلك بداية تجارة كنيسية كانت تبشرها سفن البرتغال مع الشواطىء الغربية لافريقيا تباع لاهلها منتجات البرتغال وتعود محملة باقمات من الافريقيين يبيعهم رقبيا لاهل البرتغال من النبلاء والاغنياء ، وفي سبيل حماية هذه التجارة حصل هنري من البابا الخامس في سنة

١٤٥٤ على مرسوم بابوي آخر يكفل للامير احتكار التجارة مع شواطئ افريقيا الغربية من سبته الى سيراليون .
على ان الحدث الاكبر في قصة هذه الاكتشافات وقع بعد وفاة هنري الذي مات في سنة ١٤٦٠ بل بعدها بزمان طويل في عهد الملك يوحنا الثاني حيث كان قد اتم ارتياد الشواطئ الافريقية حتى خط الاستواء فارسل الملك فسي سنة ١٤٨٢ احد رجاله « ديوجواكون » (وتعريب اسمه بعقوب الكلب) على رأس ثلاث سفن لاستكشاف الشاطئ الغربي لافريقيا جنوبي النقطة التي كانت الاكتشافات قد وصلت اليها حتى ذلك الحين .

تجاوزت سفن « ديوجواكون » خط الاستواء وسارت في المحيط بازاء الشاطئ الافريقي الى الجنوب اياما طويلا الى ان شوهد لون المياه الزرقاء وقد ضرب الى الحصرة وخطاتها نباتات واخشاب فلم يشك البحارة البرتغاليون انهم على مقربة من مصب نهر عظيم فهل هو الفرع الغربي للنيل ؟ ذلك ان جغرافيين ذلك العصر كانوا يعتقدون ان لنهر النيل فرعا يسبب في المحيط الاطلسي فلما اكتشف مصب نهر السنغال ظن انقوم انه هو فرع النيل الغربي ثم انتقلت هذه الفكرة الى نهر النيجر عند اكتشافه . والآن دارت ظنون القوم حول نهر الكونغو الذي وصل البرتغاليون الى مصبه للمرة الاولى في هذه الرحلة ، وقد استحوذت هذه الفكرة الخاطئة عاقله بالاذهان الى ان بددتها نهائيا الاكتشافات الكبرى التي اماطت اللثام في القرن التاسع عشر عن منابع النيل واثبتت انه لا صلة لنهرنا العظيم بالانهار الافريقية الاخرى التي تقصب في المحيط الاطلسي .

القي ديوجواكون مراسيه عند مصب النهر الكبير ولم يحاول هذه المرة التوغل في الداخل او الاستكشاف باهل البلاد بل اكتفى بإقامة عمود من الحجر كمادة البرتغاليين في كل الاقاليم التي يكشفونها ، ونقش عليه ما يلي :

في سنة ٦٦٨١ من بدء الخليقة الموافقة لسنة ١٤٨٢ ليلاد سيدنا المسيح امر الحاكم العظيم القوي الملك يوحنا الثاني ملك البرتغال باكتشاف هذه الارض وباقامة هذا العمود بواسطة ديوجواكون حامل الدرع في قصر الملك .
وقد جرت على هذا العمود الاتري احداث تستطرد اليها قبل ان تغادر « قصة اكتشاف الكونغو » ذلك ان البولنديون حطموه في احدى غاراتهم على تلك الشواطئ في سنة ١٦٤١ فاقبح مكانه بديل له لم يكن حظ في البقاء اكثر من حظ سابقه اذ تحطم تحت ثيران مدافع الانجليز في سنة ١٨٥٢ وتوجد الآن في متحف ما وراء البحار بلجيونية قطعتان من العمود الثاني البديل هما البقية الباقية منه .

لم يطل ديوجواكون المكث عند مصب النهر بل بادر بالابحار جنوبا فوصل الى نقطة على شاطئه اتجولا الحالية اطلق عليها اسم رأس لوبو واقام فيها عمودا نائيا تسجيلا لاكتشافها باسم ملك البرتغال ثم نشرت فانتهت اشروعها البيض ذات الصلبان الحمر واقلمت على عجل الى البرتغال

لتزف الى ملكها بشري الاكتشاف السعيدة .
قوبل نيا اكتشاف مصب النهر الكبير باهتمام زائد فسي البرتغال اذ كان معناه امكن التوغل في داخل البلاد عن طريق النهر ومكافاة لديوجواكون على نجاحه رقاها الملك من رتبة حامل درع الى رتبة فارس ثم وجهه في سنة ١٤٨٤ في رحلة ثانية الى نهر الكونغو الذي كان البرتغاليون يسمونه آنذاك نهر العمود - نسبة الى العمود الحجري المنقوش المقام عند مصبه - والذي كان اهالي البلاد يسمونه « نزادي » (وهي كلمة تعني البحر او كل تجمع ضخيم للمياه) وقد حرّف البرتغاليون ذلك الاسم الى زاير وقد ظل نهر الكونغو مدة طويلة يعرف بهذا الاسم الاخير لدى الاوروبيين .

كان مع ديوجواكون في رحلته الثانية عدد من رجال الدين الكاثوليك اذ كان الغرض معقودا هذه المرة على الاتصال باهل البلاد ولذلك اصطحب معه كذلك بعض اهالي غينيا بقصد الترجمة بين اهل الكونغو وبين البرتغاليين .

وصلت السفن البرتغالية الى مصب النهر ودخلته صاعدة وسرعا ما شاهد ركاب السفن جماعة من اهل البلاد على شاطئ النهر لم يكن يبدو عليهم اي مظهر عدائي لهؤلاء الدخلاء القادمين من بعيد فتوقفت السفن ونزل اهل غينيا الى الشاطئ للتفاهم مع الوطنيين ولكن تعذر ذلك لاختلاف اللغتين على ان اهل البلاد لم يترددوا في الصعود الى سفن البرتغاليين وانتشار النبا زاد عدد القادمين منهم من هتفي النهر لشجاعة هؤلاء الرجال البيض وسفهم الكبيرة وامكن بعض القوم اولي خبر ان يفهم عنهم البرتغاليون ان لهذه البلاد حاكما كبيرا يقيم على مسيرة ايام في الداخل في بلدة تسمى « مانزا الكونغو » (ومبازنا تعني في لغة اهل البلاد مدينة او مقر الحكم) وان ذلك الحاكم يحمل لقب (ماني كونغو) بمعنى صاحب الكونغو او ملك الكونغو .

عزم ديوجواكون على ارسال البشرين المصاحبين له الى الملك في عاصمته وشجعه على ذلك ما لمسه من شعور اهل البلاد الطيب الذين كان استقبالهم له بعيدا كل البعد عن مظاهر العداء فسار البشرون محملين بالهدايا الى الملك ومعهم جماعة من اهل البلاد وكانت الرسالة التي يحملونها هي انهم موفدون من قبل ملك كبير على بلاد بعيدة اسمها البرتغال وان ذلك الملك يعيش في سلام ووثاق مع باقي الملوك وانه يرغب في ان يوطد بينه وبين ملك الكونغو اواصر الصداقة وان يدخل معه في علاقات تجارية بعم نفعهم الطرفين فضلا عن دعوى الملك وقومه الى الدين المسيحي والانصواء تحت راية الكنيسة الكاثوليكية .

وصل الرسل الى عاصمة الملك التي تبعد عن مكان رسو سفنهم ثلاثمائة كيلومتر فاستقبلهم الملك احسن استقبال وسر بهم اياما سرور وتعجب هو وقومه من لونهم الابيض وملابسهم الغريبة وظلوا في ضيافته اسابيع طويلة وكلما طلبوا الاذن بالرجوع استبقاهم لسروره من محبتهم

بوجه خاص عودة رجاله سائين مكرمين وقد قصوا عليه عن بلاد البرتغال وعن بلاط ملكها من القصص ما انشرحه صدر الملك كما سمع منهم ما حدثوه به عن عقيدتهم الجديدة ووقع ذلك منه موقعا حسنا حتى انه عزم على اعتناق المسيحية وقرر ارسال احد اعيان مملكته ممن كان قد سافر الى البرتغال مع ديوجو كاون سفيرا من قبله الى ملك البرتغال يطلب منه ايفاد رجال الدين المسيحي في ارجاء مملكته .

وحيث كان ديوجو كاون من سفارته الى حيث كانت سفنه راسية عند مصب النهر وجد عنده سفن زميله بارتولوميو دياز وقد عاد مظهرًا من رحلته حول افريقيا التي اكتشف فيها رأس الرجاء الصالح وقد رأى القائدان البحريان ان يستكشفا نهر الكونجو فسارا فيه الى ان عاقتهما الشلالات القريبة من موقع مدينة مانادي الحالية فكرا راجعين ولا تزال حتى الآن على صخرة بشاطئ النهر قرب مانادي نقوش تسجل باللغة البرتغالية تاريخ هذه الريادة واسماء بعض من اشتركوا فيها .

ابحرت سفن كاون ودياز معا نحو لشبونة ومع اولهما صغير ملك الكونجو الى ملك البرتغال وهي اول سفارة افريقية الى خارج القارة حمل لنا التاريخ اخبارها وبها افتتحت صفحة الاتصال بين اوروبا وافريقيا السوداء ، ذلك الاتصال الذي بدا سلميا وتجاريا ثم انقلب بعد قرون تسلطا واستعمارا عانت منهما بلاد القارة السوداء ما عانت الى ان بغت عليها شمس الحرية من جديد في عصرنا هذا الحديث .

جمال مرسي بدر

ليوبولد فيل

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

حتى ظن ديوجو كاون انهم هلكوا او انهم اسرى عند الملك ولما كان لا بد من عودته الى البرتغال فقد رأى ان يأخذ معه عددا من اعيان اهل البلاد الذين كانوا يزورونه على ظهر سفينته كرهائن ضمنا لعودة مبعوثيه الى الملك فاقبل ذات يوم بعد ان احتبسهم في السفينة وانهم ممن كان على الشاطئ من قومهم انه عائد بهم سائين بعد خمسة عشر هلالا .

وهكذا انتهت رحلة ديوجو كاون الثانية الى الكونجو وعند وصوله الى لشبونة تلقى الملك يوحنا الثاني اعيان الكونجو المساجين له بمظاهر الحفاوة وسره انهم بدأوا يفهمون اللغة البرتغالية ويتكلمونها وان لديهم استعدادا طيبا لتقبل الدخول في الكاثوليكية وظل هؤلاء في بلاط ملك البرتغال شهورا طويلا وتمت مراسم عمادهم واطلقت عليهم اسماء مسيحية جديدة وكان تصرفهم فاتحة لانتشار المسيحية في وسط افريقيا السوداء .

وفي هذه الاثناء كان البشرون الموجودون لدى ملك الكونجو قد نجحوا في اطفاء نار غضبه على البيض الذين خطفوا اعيان رعاياه اذ اكدوا له حسن نوايا البرتغاليين وضمنوا له عودة رجاله في الاجل المضروب او قريبا منه فلما وصل ديوجو كاون الى الكونجو في رحلته الثالثة سنة ١٤٨٧ لم يكن استقباله الودي يختلف عما كان في المراتب السابقة .

في هذه الرحلة الثالثة كان على ديوجو كاون ان يتوجه هو نفسه الى عاصمة ملك الكونجو سفيرا من قبل ملك البرتغال وقد تقبل الملك هذه السفارة بقبول حسن وسره

عتاب ...

ودعي يسيل بوجنتيك
امساء من حاجبيك
ان اشحت بنافريك
البكي صدى في سمعك
مع الهوى ... الا اليك

فما بنامى مقلتيك
والقلب تشعل ناره
اذميتيه بالمد لما
نغشى يكون لظافقي
ما ملت عن حبي اليك

بانـه « الفالي » لديك
وقد بكى وجدا عليك
وايسط لميدك راحتك
القى مصري في يديك
بالسحر كحل مقلتيك
بغفوة في ساعديك
ودائع في قبضتيك ...

اكدا تعذب من خلقت
فد حن من شوق اليك
رحمك لا تك فاسيا
انا غائب ؟ لا والذي
انا غاضب ؟ لا والذي
ادركت اسرار الوجود
انا والفؤاد وما ملكت

سعيد العيسى

من « المرأة الوثقى »

لندن

أروة كبيرة تركها لزوجها وأولاده من بعده .

جلس روبنشتين إلى البيانو وعزف سيمفونية جديدة عنوانها « العاصفة » .. وتوالت الإنشام ، وإذا بالسيدة ناديفا تجد نفسها مندفة للانتباه إليها، تتابعها في تطوراتها وتحس معها بالمشاعر العميقة التي تزخر بها . وما أن انتهى روبنشتين من العزف حتى سألته عن اسم المؤلف ، فأخبرها أنه صديق له يدعى تشايكوفسكي ، رجل نحيف ، خجول ، عبقري في حوالي السابعة والثلاثين من عمره ، يعمل مدرسا للموسيقى بالمعهد ، نال الشهرة التي كان ينتظرها في موسكو ، إلا أن موارده المالية قليلة تقف حائلا بينه وبين التفرد للفر الذي يجيده ونبغ فيه .

وأبدى رغبته واستعداده لأن يأتي به ليزورها ويقدمه إليها ، إلا أنها رفضت ذلك فهي تخاف الوجه الجديدة ، ولا تختلط بعد وفاة زوجها إلا بأصدقائها القدماء فقط . وجعلت تقول أنها إنما تعجب بالموسيقى فقط ولا يهمها معرفة المؤلف نفسه . ومع هذا فقد خرج روبنشتين يومئذ والسرور يملأ جوانحه ، فقد أمكنه أن يحصل على ما كان يرجوه ، إلا وهو أعجاب تلك السيدة واهتمامها بموسيقى صديقه الخجول ، المحتاج إلى المادة لتعينه في حياته ، فلقد أمكنه أن يلاحظ قوة تأثير هذه السيمفونية التي عزفها عليها .. كانت قابعة في ركنها ، يبدو عليها كأنها وقعت فجأة في قبضة هوى قوي جارف .

والعجيب أنها كانت يومئذ في الخمسين من عمرها ، امرأة متمردة الانشام تفقد عليهم كل حبا وعطفها ، ولكنها كانت ما تزال محتفظة بجملها ورشاقها ، بالرغم من تلك الملامح من الخلق الرقيق التي تشاهها فتزدها جمالا ، وهي رقيقة العاطفة موهبة الحس ، شريفة ، ليس لها سوى أولادها توليهم عنايتها ، فلم يلحق بسمعتها أي سوء ، ولم تتناقل الالسنه عنها سوى الخير كل الخير .

ولكن روبنشتين لم يياس ، خاصة بعد أن لاحظ ذلك الاهتمام منها بموسيقى صديقه ، وحدث نفسه أن نقودها يمكن أن تعين تشايكوفسكي وتشق أماله الطريق ، فما زال بها حتى أخبرته بأنها ستكتب إلى صديقه ، وما زال يتكرر رجاؤها إلا يحضره إليها ، فأخبرها أن تشايكوفسكي أيضا رجل خجول بطبعه يعزف هو أيضا عن الوجه الجديدة عليه .

وما أن انفردت ناديفا بنفسها حتى كتبت إلى تشايكوفسكي تعرض عليه شراء بعض مؤلفاته الموسيقية ، فأرسل إليها ما تطلبه . كانت تستمع إلى موسيقاه في جو مشبع بالعاطفة . أنها تبعت فيها احساسات نبيلة تجعل قلبها ينبض بخفقات اللذة ، تشجعت دائما ودفعت له الكثير . وإذا بع هو أيضا يضع كل عواطفه فيما يرسله إليها من القطع الموسيقية ، وهي تشعر بذلك ، ويزداد أعجابها حتى تشعر أخيرا أنها قد أحبت الموسيقى والرجل الذي ألفها ، ولم يعد في طاقتها أن تفرق بينهما .



حسن فتحي خليل

تشايكوفسكي وغرام العجيب

بقلم حسن فتحي خليل

هو بيتر البتش تشايكوفسكي موسيقار روسيا الكبير ، ألف الكثير من قطع الباليه والسيمفونيات وغيرها من فروع الموسيقى ، واشتهر اسمه في الخافقين ، ولكنه للأسف نال هذه الشهرة الواسعة بعد موته .

ولد عام ألف وثمانمائة وأربعين . وحاول دراسة القانون في شبابه ، لولا أن شجعه الموسيقار المشهور انطون روبنشتين على دراسة الموسيقى لما رأى من ذكائه وفطرته ما يشير بنبوغه فيها . ولما أتم دراسته عين مدرسا للموسيقى وتاريخها بمعهد موسكو للموسيقى ، وكتب خلال هذه الفترة الكثير من قطعه الموسيقية .

ولقد قاسى تشايكوفسكي في حياته الكثير من المتاعب ، فتزوج عام ألف وثمانمائة وسبعة وسبعين ، ولكنه سرعان ما انفصل عن زوجته بعد ذلك مباشرة ، فآثر هذا الحادث في حياته وأورثه الشقاء كما أورث صحته العلة .

ولم تكن موارده المالية لتكفل له التفرد التام للتأليف ، إذ كانت تشغله أمور حياته ، ولكنه ما أن وجد الفرصة المواتية حتى استقال من وظيفته وتفرغ للموسيقى .. حين وضعت السيدة فون مك ثروتها رهن مشيئته .. ولهذا قصة طريفة غريبة في موضوعها ، فريدة في نوعها تبدأ كما يلي :

كان الموسيقار انطون روبنشتين يوما في زيارة للسيدة ناديفا فون مك بقصرها ، وهي امرأة ثرية ، كان زوجها يقوم بإنشاء الطرق الحديدية في أنحاء روسيا ، فجمع بذلك

الخالد .. اما اذا التقينا فلن نشعر بنقصنا سوى شخصين في هذا القطيع البشري المسكين العنسى القاني » .

واشتمل حبه لها ، وتألقت عاطفته نحوها ، فظهر ذلك جليا في موسيقاه ، بينما كانت ناديفا فون مك سادرة في احلامها . لقد كرس كل حياته لتتلقى صوره وخطاباته وموسيقاه ، ونسيت كل شيء ، حتى فلذات كبدها اصبحوا مجرد خيالات واشباح تراها من بعيد ، فهي تشعر ذاتما انها تسبح في النور .. نور تلك العاطفة النقية الطاهرة التي اخذت بمجامع قلبها .. ومع هذا كله فان رغبتها في لقائه كانت تضعف على مر السنين .

وتوهجت عبقرية تشايكوفسكي ، ذلك الرجل الخجول الدقيق الاحساس ، فكان يؤلف ، ويؤلف مستوحيا محبوبة التي لم يلقها ، والتي جعلته يعيش في جو خيالي غريب يتابعه خطاباتها اينما ذهب ، تلك الخطابات التي اذا ما تأخر احدها سرعانا ما يستحوذ القلق على نفسه ، فلا تهدأ الا بعد ان تصله كلماتها فتزول بردا وسلاما على قلبه ونفسه ... فيقوم هو الآخر ليكتب اليها وليبادلها كلمتي « اني احبك » التي زخرت بها خطاباتها الاخيرة .

والغريب انه مع هذا كله .. لم يرغب احدهما في رؤيته الآخر !

لقد اكتفى كل منهما بهذا القدر الذي رأى فيه منتهى سعادته ، هو يوحى اليها بعواطفها النبيلة .. وهي تلهمه موسيقاه الخالدة .

وكتب له ناديفا يوما تقول : « لماذا لا تذهب الى ايطاليا ، اليس هو حلم كل العشاق ان يكونوا متقاربين في ايطاليا؟ » . كانت تملك (فيلا) جميلة في فلورنسا ، ولما ابدي موافقته ، ذهبت اليها واستأجرت له مثنى صغيرا بالقرب من ممتلكاتها واعدهت له .. ونظمت الاثاث وخاصة البيان ، والخدم والزهور ، واشرفت بنفسها على كل شيء ، محاولة ان يستوفي كل سبل الراحة التي ترجوها له ، ثم كتبت اليه لدعوه لذلك المثنى بعد ان انسحبت هي الى فيلتها .

ودخل تشايكوفسكي مسكنه الجديد ، كانت الزهور تملأ جوانبه ، وقد فاح عبقها فعلا نفسه وخياله بها وبمحبوبته .

ومع انهما كانا يعيشان متقاربين الا ان احدهما - مع ذلك - لم ير الآخر ، غير انه كان يلد للسيدة فون مك احيانا ان تضع خمارا رقيقا على وجهها وتنتقل في الظلام بالقرب من مثنوا لتشاهده من بعيد مكيا على البيان يؤلف موسيقى حبه اليها .

وظلا على تلك الحال الى ان حدث يوما ان كانت تجتاز الطريق بعربتها ، فاذا هي امامه وجهها لوجه ، فملكتهما الدهشة والحرية . ولكنها عرفت كيف تنقذ الموقف ، فكل ما فعلته ان هزت رأسها اليه في ايماءة رقيقة ، ثم تابعت العربية سيرها في سرعة ، وظل هو في مكانه جامدا ..

واذا نظرنا الى تشايكوفسكي وجدناه هو الآخر لا يرغب في رؤية تلك السيدة التي تشجعه باموالها وتوحي اليه بموسيقاه . وتفهم روحه كما لم يفهما احد من قبلها .

ولقد سأل روينشتين يوما : « لماذا لا تحاول رؤيتها ؟ » . انها ما زالت رشيقة بالرغم من سنها ، ولا يمكن ان تفصح تماما في خطاباتها عن شعورها نحوك » .

فاجابه قائلا : « اني اضع فسي موسيقي مجموعة احساساتي وشعوري نحوها » .

بينما كانت هي تقول اذا ما وجه اليها نفس هذا السؤال : « انا لا اريد اكثر من ذلك ، ففي موسيقاه كل ما اطعم فيه من عاطفة » .

وامتلت احيائها بالاحلام التي كانت تراودها في شبائها ، وازدهر الجمال والحب في قلبها كلما تنصت الى موسيقاه . ولقد اعترفت لاصدقائها القليلين الذين كانت تختلط بهم ان تلك الموسيقى التي توحى هي بها الى تشايكوفسكي تؤثر فيها تأثيرا بالغا ، حتى انها لم تعد تهتم بأي شيء عداها في حياتها . لقد امتلأ قلبها بتلك العاطفة حتى سالت في جوانب نفسها وحياتها ، فركزت كل اهتمامها فيها وتركت املاكها الى وكلائها يديرونها ، واولادها الى مربيتهم ترعاهم ، وهجرت اصدقاؤه القدامى ، وضعت كل ما تملك من نقود تحت تصرف ذلك الموسيقار الذي كان يقبلها شاكرا ويجد فيها الفرصة التي كان ينتظرها منذ زمن طويل لينصرف انصرافا تاما لفته الرفيع .

ولقد الحت عليه مرات ليرسل صورته اليها ، تحقق رغبتها وارسلها اليها ، وجلست تشاهدها ، وانما وجدته الهادي بعيني العميقتين اللتين تتوقدان ذكاء وعبقرية .. رأت ذلك الرجل الذي يخاطبها بانغامه الخالدة ، فيبعث فيها العواطف التي ما كانت تصدق ان قلبها ما زال في قدرته ان يخفق بها .

ولما طالت هذه الصلة الروحية بينهما اذا به يسألها يوما في خطابات حبه اليها « متى سنتقابل ؟ » ولكنها كانت تؤجل ذلك دائما ، لقد وجدت السعادة في هذه الصلة الغريبة فحسب ، وهي لا تطلب المزيد من ذلك .. كفاه هذا ... »

وهي تكتب اليه بعد الحاجة : « ارى الا موجبا للقائنا ابدا » . ولم يتأثر هو لذلك ، فهو ادري الناس بها وبخلجات نفسها ، وما من احد يمكنه ان يفهما كما يفهما هو ، واعذارها وحججها تجد كل القبول لديه ، فهي تقول : « انها تلقاه في موسيقاه ، وما الذي يمكنه ان يقوله لها اكثر مما تعرفه وتحس به من تلك الموسيقى ؟ وكيف ينسني لها ان تعبر عن عاطفتها نحوه ببضع كلمات جامدة تافهة .. ؟ كلا .. دع كل شيء كما هو ، ففي دنيا الموسيقى تتحرك .. ونلتقي .. ونشحدث في حرية ، وكأنا نعيش في النعيم »

ذاهلا حائرا ..

ازداد ثقلها به بعد هذا اليوم ، لقد احسبت ان حبه لها لم يصبه الضعف او الزهن بالرغم من رؤيته لها ، كان ما يزال يجد فيها امرأة احلامه ، كانت عواطفه نحوها تحيي فيها نضارة جمالها التي كانت في طريقها الى الزوال . قبل هذه السنة الروحية الغريبة .

ولكن نشاء المصادفة احيانا ان يقع نظر كل منهما على الآخر ، ومع هذا لا يتقدم احدهما للقاء الآخر . فقد حدث يوما ان كانت تجلس في مقصورة باحد المسارح وكان هو يجلس في الصالة ، فراها كما رآته وتعلقت عيناهما ببعضهما ، ولكنه لم يصعد اليها ومع ذلك فقد انحصر اهتمام كل منهما في الآخر ولم يشعر بما جرى على خشبة المسرح .

وكانت هي من جانبها تحس بوطء السنين التي تسليخ من حياتها وتطلع في حيرة الى الفترة القصيرة الباقية لها ، ولعل ذلك هو السر في انها لم تكن تطمع في المزيد من السعادة بلقائه ، خوفا من ان تفقد بهذا اللقاء روعة ذلك الحب العجيب الذي يلا عليها حياتها فتفقد بعده كل شيء .

وعاد الى روسيا فاتبعت معه نفس الطريق التي سلكها في إيطاليا ، ادعت له مسكنا في ممتلكاتها بالقرب منها وعاشا يفران من لحظات حياتهما الهائلة .

ويوما مدته لزيارة قصرها بعد ان غادرته هي ، ليرى الحجرات التي تجلس فيها وهي تحلم به وتنخيله ، وليرى الاماكن التي تحتفظ فيها بصورة وخطاباته وتوسيقاه .

وهكذا عاش ذلك الغرام الفريد ما يقرب من عشرة اعوام . وكانت ناديفا فون مك قد تعدت الحلقة السادسة من عمرها واصبحت جدة ، فقد انجبت ابنتها ثمة لطيفة ، بينما كان تشايكونفسكي قد بلغ الخمسين عاما تقريبا . وكان الناس يتسبسون في دهشة من ذلك الغرام الذي لم يروا مثله من قبل ، حتى حفيدتها الصغيرة حاولت يوما ان تجعل عربيتهما لتلتقيان في الطريق ، فما ان وقع نظر ناديفا عليه حتى ارخت خمارها على وجهها فتملكه الخجل واستدار ثم ارسل اليها يعتذر ويقول انها كل حياتها .

والحقيقة ان تشايكونفسكي ، ذلك الرجل الذي قاسى من القدر بمقدار في شبابه ، عوفضته الحياة به لم يكن يعلم به من السعادة في ذلك الغرام الشاذ ، الغرام الروحي النقي الطاهر .. ولكنه كان ما يزال يصر على الا يرى محبوبته ، مكتفيا بما يعمل في نفسه من شتى الاحاسات والشاعر الغامضة التي توحى اليه فيرسلها انعاما تتجاوز في نفسها .

غير انها حين احسبت يوما بقرب سقوطها في هوة الفناء ارسلت اليه تدعوه ليتحدثا معا .. ولكنه رفض !

وعلى ذلك كان يلوح للجميع انه حتما ستكون لهذا الغرام نهاية سعيدة ، وان النجاح ممن نصيب ذلك الازواج

الروحي . ولقد كان يمكن ان يتحقق ذلك حقا لولا ما جilt عليه المرأة من نزق وطيش مهما تقدمت بها السن ، فقد هدمت بيديها ذلك التمثال الذي كان يرمز الى الخلود ، وطوحت بذلك المثل الكامل الذي كان يعجب به الجميع .

فقد اصيب احد ابناء ناديفا بمرض خطير ، واذا بها تستيقظ من غفوها فجأة ، وتنظر حولها . لقد اضاعست عشرة اعوام من حياتها وجزءا كبيرا من ثروتها . في سبيل حلم .. مجرد حلم .. وتركت اولادها وواجبها وكل شيء .. واستبدلت بها تلك الثورة التي جرفتها فجأة .. وفي غمرتها كتبت اليه خطابا قاسيا تلقي فيه كل اللوم عليه ، وتتهمه بأنه قد حطمها وافقدها ثروتها ، وان كل شيء بينهما قد انتهى .. انتهى الى الابد !

فكتب اليها يقول : « انها الان وقد فقدت ثروتها كما تقول واصبحت مساوية له ، ولم تعد المادة حائلة بينهما فعليهما اذا ان يتبدلا حبا حقيقيا عميقا ، فكل ما تبقى من حياته هو ملك لها هي فحسب » .

ولكنها اغلقت كل شيء دونها وابنها الذي كان يعاني سكرات الموت ، ورفضت في اصرار ان تكتب او ترى او تتحدث الى الرجل الذي شغل حياتها وقتا طويلا .

عصف الحزن بنفسه ، ولم يجد بدا من ان يسافر الى باريس لكي ينسى ويسلو ذلك الغرام الذي كانت نتيجته جرحا عميقا في قلبه وفي نفسه .. وهناك بدا تكتب سيمفونيته الخالدة التي اطلق عليها « السيمفونية السادسة » .

بداها في فبراير عام الف وثمانمائة واثنين وتسعين وانهاها في أغسطس من نفس العام ولقد كتب اجزاها الاولى في الاربعة ايام فقط ، كانت الانعام تملأ راسه ، والالم والحزن يطغيان على روحه . لقد بداها دون اي ترتيب موسيقي خاص ، وتركها لغزا لا يدري احد ما يقصده بها . انها تتحدث عن مجموعة متباينة من العواطف والاحاسات والمشارع التي كانت تتضارب في نفسه بعد هذا الحادث الذي اثر في مجرى حياته .. تركها لسمور سامعيها يكيّفونها حسب ما تتجاوز به انفسهم مع نعماتها وماتوجيه اليهم من عواطف شتى .

وعاد تشايكونفسكي الى روسيا عام الف وثمانمائة وتسعين ، ولكنه اصيب بالكوليرا التي انتشرت باؤها في روسيا ذلك العام ، اذ شرب كوبا من الماء دون ان يغليه ، ولا يدري احد ان كان قد تعمد هذا او انه لم يغطن الى ذلك حقا .. ولحقته المنية فاستراح من آلامه وشجونته .. بعد عشرة ايام فقط من عزف سيمفونيته السادسة في دار الاوبرا الروسية والتي كتب له من بعدها الخلود .

وهكذا انتهت قصة حبه .. غريبة كما بدأت .. زهرة بلا جذر ولا ثمر ..

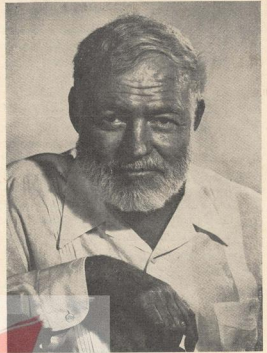
حسن فتحي خليل

الاسكندرية

الحياة ، اذ كانت حصيلة اليأس والعداء ، كما ان بصيرتها انتقلت من عذاب الجهاد . ومع ذلك فلا يمكن ان توجد الا بتقية نفسها ، ولا معنى لها اذا لم تقض بالحق والصدق . ان الكاتب لا ينجح اذا لم يثبت تفوقه على الظروف ، وهيمته باعتباره فنانا تكمن في نزاهته وشجاعته وارادته على احتمال المكاره . ان رؤية همنغواي للحياة كما حدثنا منها جون بيل يشوب هي ضرب من المبالغة المستمرة . « لما كانت الارادة لا تستطيع شيئا حيال الظروف ، فالخيار غير موجود ، ولذا فالامور التي ترتضيها الحواس جيدة ، وما عدا هذا السجل مسن الرضا ، فكل شيء يخضع لتخفيض من قيمته على ايدي الطبيعة القاسية بغير رحمة . » والشئ البارز فيما يخص همنغواي من اول الامر ، انه لم يصاب عوده في نطاق هذا القانون الجامد ، او انه لم يعترف بذلك .

ان خلفية اول قصصه (في زمننا) تمثل آخر حد من حدود قوته في شيغان ، تلك المقاطعة الجبلية ذات الغابات والبحيرات ، وهو يبدو ازاءها ذلك الشاب الفضولي المقلد الشفتين ، الصعب المراس ، القلق الجاف ، فضلا عن قليل من الكآبة . وهذا الصبي المتجهج (في زمننا) له ذهنية اخلت مكائنها الثابتة ، بعد ان افعمت خشونة وتعبا بكتابة دقيقة . وقصص شبابه هذه التي وضعت في قبالة رتبة الحرب وشروطها ، قدمت قيمة متساوية الى القارئ عن رعب غابات مشيغن واهوال الحرب ، وتلك امور تلخص ثقافة همنغواي بأسرها . واهمية (اي أهمية القصص) تكمن في عدد القضايا التي ظنها الشاب همنغواي قضايا مسلما بها حذرا ، لانها كانت استجابات مضغوطة لحيط وحشي ، استجابات بدت مناسبة للجميع . وكما ان الحرب في (وداع للسلاح) تبدو اقل اهمية من المشاعر التي اتارتها ، كذلك المناظر الطبيعية لا تعني شيئا الا للشباب الذي تعلم ما تعلم منها (في زمننا) . كان نقد المجتمع بالقياس الى همنغواي يتخذ طابعا عميقا ، في العقد الثاني من عمره ، طابعا جعله يتصور الحياة شيئا مغرقا في التجريد ، ولذا فهو بنسب القيمة غريزة غير مأمون الجانب عادة . انها (اي الحياة) نتيجة ملازمة للامال العنيفة والنوازع الميكانيكية : فهي تمثل وحشية الرجال في غابات مشيغن وذلك الزوج الهندي الذي يقطع حنجرته بعد مراه زوجته وهي تمزق جدار بطنها بسكين لتستخرج وليدها ، ووحدة المراهقين وزهورهم الملامم السكر الذي يقطع الطريق جيئة وذهوبا . ونحت الذكريات المحلية التي تشوبها صور قطع اطرق ومصارعة التيران ، تحت كل ذلك تكمن الحرب .

« جلس لك ازاء جدار الكنيسة ، الى حيث سحبه لينجو من نار الرشاش الملعب في الشارع . ساقا البارزتان متخادعتان . لقل قصيدتي في العمود الفقري . كان وجهه وسخا يتقاطر منه العرق ، على الرغم من ان الشمس



ارنست همنغواي

همنغواي .. خلاصة عمل

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

لالفريد كازن

تطورت قدرة الجيل الضائع على ايدي ارنست همنغواي فاصبحت اطراف انواع النثر الفني في العشرينات وادقها مقصدا . فما عناه اي . اي كومنغر بكتابه العظيم (الفرقة الهاللة) الذي يتناول الحرب ، جعل الفرد الانساني الذي عاش ما بعد الحرب ، بصفته جنديا في اول الامر ومواطننا اعتياديا فيما بعد ، وفنانا الآن ، جعله سخرية الكون الخاصة . وكما كتب وندهام لويس مؤخرا فان بطل همنغواي هو ذلك الانسان الذي « جرت الامور معه على هون . » اما الحية بالقياس الى همنغواي فقد غدت - بالدرجة الاولى - مهمة تقتضي الحفاظ على الذات بالحفاظ على فن الانسان والعمل على تجديده . فكان الفن هو الغاية القصوى ، ولعله هو مولد الدافع الوحيد . وفي مجتمع انصب على الفرد (بسهامه) لا تصبح فيه المعاناة محتملة الا بالمحافظة على الذات ، وبدا يمكن للمرء ان يبنيه عن شجاعته . فالكتابة لم تكن تسلية ، بل طريقة من طرق

وحده ويهدوه ، وهو الذي حقق السلم المنفرد . اما العصيان فكان الملاذ الاخير للفرد الذي اصطاده في الحرب ، على حين ان العصيان المزمع هو الملجأ الامين للفرد في حالة العدوان الخفي بين الحروب التي يسميها العالم سلما . ومن هنا فلاحم الموت أصبحت قصة الحياة الاساسية ،

فالبطل الجديد هو مصارع الثيران في الفصل السابع من (في زمننا) . لما شرع في القتل كان كل شيء فسي الاندفاع نفسه . نظر اليه الثور وجها لوجه ببغض وكره . سحب السيوف من تضاعيف الجراب وبالحركة ذاتها صرخ في وجه الثور بعد ان فحسه جيدا : تورو تورو ، فهجم الثور وكذلك فعل فيلانا ، وبلحظة أصبحا كلا واحدا . « اما لطف المصارع اللذي ، الذي هو في احسن حالاته ، عاطفة ذوق ، فهو ليس الا ذلك وحسب . وحتى ذلك اللطف قد يصبح مدعاة للشفقة والرأفة ، كما هي الحالة في المصارع العجوز في « الذين لا يغلبون » اما ما عدا ذلك فالهزيمة والفساد والانهاك تتكالب بانتشار واسع ، وكذلك الزواج في (تلج كروس كنتري) والرياسة في (عجوزي) ... والاكلة الفاشية في (Chi Ti Dice la Patria) ؟ ونصل ذروة خيبة الفن في القصة القصيرة مرة (الثوري) وهي قصة شاب ثوري تعذب على ايدي البيض في بودابست عندما انهار النظام السوفييتي هناك ، ثم وجد ابطالاجيميلة عام ١٩١٩ . « لقد آمن بالثورة العالمية ، على الرغم من هتفارياسا . »

« سأل وكيف هي الحركة في ايطاليا ؟ . »
« قلت (روبة جدا) . »

« فقال ولكنها يستحسن . انكم تملكون كل شيء هنا . انها البلد الوحيد الذي هو موضع ثقة لكل امرئ . وستكون نقطة انطلاق لكل شيء . »

وحين نشر همنغواي هذه القصص الاولى سنة ١٩٢٥ ، كان في السابعة والعشرين من عمره ، لقد كان نجما طالعا لـ (مستقبل ايد) كما ذكر لكن ستيفن في سيرته - في المستعمرة الادبية الامريكية بباريس - وبخلاف معظم كتاب « الجيل الضائع » لم يتردد (همنغواي) على الجامعة ، بل نراه بعد اكمل دورة من المدارس الخاصة - يأخذ بتلاييب العمل وهو لما يزال مراهقا في (كاتساي ستني ستار) وهي صحيفة شهيرة بادب مخبريا . وقد عمل في نقالة للمرشي في الجبهة الإيطالية قبل دخول امريكا الحرب ، فبحرح هناك وابدى بطولة استحق عليها (صليب البحر) وبعد ١٩٢١ سافر سفرات طويلة بصفته مراسلا اجنبيا . كتب همنغواي بعد ذلك بسبع عشرة سنة في نشره الهائم في (الموت بعد الظهر) قائلا : « في الكتابة بجريدة ما ، تقول ما حدث ، وبهذه الحيلة او تلك تنقل الى القراء عاطفة يتضافر عليها عنصر الوقت لتكون اهلا لتقرير معين عن حوادث يوم من الايام . اما الشيء الحقيقي ، اي عاقبة الحركة والواقعة اللتين صنعتا العاطفة ، هذا الشيء الذي

أضاءته . وكان النهار حارا جدا . وفي ظل البيت رقد نساويان اثنان ردتتهما الاخيرة بين الانقراض . وعلى قارعة الشارع موني آخرون . اذارك راسه بعناية ونظر الى رينالدي وقال : سيد رينالدي . سيد . لقد صنعتا انت وانا سلما (صلحا) منفردا . »

فوجه بطل همنغواي الضيق ، الذي يصبح ، من خلال مراحلته المختلفة ، شبيها بوجه آل كابوني ، انما هو وجه عقد من الزمن ، وهذا ما يظهر في سيماء سلسلة متتابعة من الجنود ومصارع الثيران والمكتشفين وقطاع الطرق ، والثوريين الاشقياء ، وهو ما بدا جليا واضحا على بطنه اعقبه ذمول مباشرة ، فالحياة شأنها شأن الحرب ، في مرحلتها الاولى ، ثقيلة متجهممة خالية من النعمة ، وهذا هو الموضوع المثار في انتهاك حرمة ليكس كوتس من قبل خادمها الاجير . ثم تصبح الحرب سلسلة من المتناقضات الهزلية .

« كان الجميع سكارى . كان كل افراد الكتيبة سكارى ، وهم يسرون في طريقهم وسط الظلام . ظل الملازم راكبا حصانه بين الحقول ومتحدنا اليه : انا سكران . اقول لك يا عيني انا سكران كثيرا ، ان السفر في ذلك الطريق مضحك . »

ثم تصبح القضية برمتها قضية قدرة ، شلة من الاجنئين في الوحل ، والمطر مستمر لا يتقطع وامرأة تحمل طفلها . « ظل المطر يهطل طوال فترة اخلاء المكان من السكان . » ويتجميع الالهوال الصارخة ، امكن التوصل الى المرحلة النهائية ، حيث النهاية كانت قساوة خادعة شائنة . « كنا في الحديقة بوموز . جاء بكلي الشاب مع حارسه من عبر النهر . الالماني الاول الذي رايته تسلق حائط الحديقة . انتظرنا حتى ان وضع ساقه على الحائط ثم رميناه . كان مدججا بالسلاح فاخذته العجب كل العجب وهذا ما ظهر عليه ، لكنه هوى الى الارض . ثم جاء ثلاثة آخرون فرميناهم جميعا . وهكذا جاءوا كلهم . » ان قيم همنغواي الخاصة اعلنت بوضوح في القصة الموسومة بـ « وطن الجندي » حيث كتب « اكتسب كريس القرف بالقياس الى التجربة التي هي حيلة الكذب او المغفلة » .

ان المثل الاعلى لدى همنغواي ظهر للعيان بمقارنة الحياة بالحرب ، وانتقاص احدهما على حساب الاخرى . واصبحت الحياة مظهرا آخر للحرب ، فعالم همنغواي هو حالة من الحرب المستمرة . فالجندي يفسح المجال لمصارع الثيران ، والمتنوب من الحرب يعطي مكانه الى الثوري المتعبد ، وهكذا يمتزج جشع الحرب مع عنف الرياضة وفسادها . ولا يبقى شيء غير كبرياء الفرد الذي لا يطاوله مطاول وغير ارادة الاستمرار والحاجة للكتابة بغير « افتراء او مغفلة » . لقد تمكن بصفته جنديا على المحافظة على انزائه بتمرده

يصمد أمام الزمن سنة أو عشرين ، أو إذا واتى الحظ وذكرته على الدوام ، فهو ما كان سائرا خلفي ، وقد عملت جاهدا للحصول عليه . »

ان بحث همنغواي المضي عن « الشيء الحقيقي » جعل الناس يشيرون اليه بالبنان بباريس قبل نشره (في زمننا) . وفي بواكير هذه السنين ، باهتمامه بالشعر وتجاربها بعبثه مراسلا للآزمة الأوروبية ، تلمس طريقه نحو نشر جديد ، نشر لا ينبغي ان يكون امينا كل الامانة في عرض الحوادث ومتطلبات الكلام الدارج حسب ، بل لا بد ان يطالب ذاته بمرونة اصيلة وسرعة بديهية . وما اراده كما قال في (الموت بعد الظهر) كان نشرًا دقيقًا اشد دقة من النشر التقليدي ، ومن هنا ، نشرًا قادرا على احداث تاثيرات لم يسبق لها مثيل . واراد ان يرى « الى اي مدى يمكن ان يحمل النشر اذا كان المرء جادا وله قدر من الحظ . اذ ثمة بعد رابع وخامس وهما ما ينبغي الحصول عليهما . . . انه اصعب من الشعر . والنشر وحده الذي لم يكتب قط . لكنه يمكن ان يكتب بغير حيل وبغير خداع ، بشيء لن يفسد بعدئذ . ومع ذلك فما كان يرمي اليه ، على ما اشار اليه ف . ومانيس كان الشعر الطبيعي الذي عرف به ثورو . يعود نسب همنغواي السطحي بصفته فتانا ماهرا في النشر الى معلميه الاولين جير تروود شتاين وشير وود اندرسن اللذين علماه الامانة والاخلاص اللازمين . اما جير تروود شتاين فكانت اعرق تاثيرا من اندرسن ، في جعل اذنه ارفع حاشا لتلائق انغام الكلام الطبيعية . ومع ذلك ، فان سلالته المعقدة كانت ابعد منهما ، حتى اتهدم في التقاليد الغلورية (١) في الضبط والدقة . »

انه لم يرغب في كتابة « نشر ارستقراطي » وقد شاركه في امتعاضه ذلك كل من جير تروود شتاين واندرسن ، لانهما كرها الظواهر ولانهما كانا يبحثان بجد عن الصدق العميق في النشر ، الامر الذي علمه ، ولا شك ، الابتعاد عن الزرئية . انه لم يرغب ان يقول « الصدق في نشره حال استنارها » حسب ، بل اراد ان يستهدف ذلك الصدق التصوري الوضاء ، الذي ابدعه كاتب مثل ثورو من امانته المالية لدقائق تفاصيل الحياة كما راها ، بالاستناد الى الكمال الجسماني والتسامي الى طبيعة تشابه طبيعته . ان ما رغب فيه كان ذلك الاحساس باللطف ، اي « عاقبة الحركة والواقعة » ذلك الاحساس الذي يبلغ الاجز فيحرق كل رمز خفي في كل واقعة تلمس وتسجل .

وهذا الامر هو الذي فصل اساسا بينه وبين جير تروود شتاين واندرسن . لم يكن اندرسن مهتما اهتماما جوهريا بـ (الكتابة) ، اما جير تروود شتاين ، التي اعانت كل شخص في العالم ما عدا نفسها ، فلم تهتم بشيء اهتمامها بالكثافة . ان اسطورة همنغواي التي احتضنها همنغواي نفسه في العشرينات ، ونقت الاعتقاد بانها كان علميا تماما ،

وحشيا في خياله ، مستوعبا للاشياء ببرود . لكن لا شيء كان اكثر زيفا من هذا الامر . فقد قدم لرؤيا الحياة - على صغرها - فنا رفيعا ، ولذا فمن المهم قياس الرؤيا وتأمين الفن . اما سذاجته الظاهرية فقد كانت في الحقيقة صراحة مثالية وقدرة نابية على التعلم من كل مصدر محتمل . وبصفته فتانا عاملا كانت له قابلية لفهم دروس الآخرين بصورة معجبة ، حتى بدا كأنه يستطيع نقل عاطفة جديدة الى كل شيء يلمسه . حقا ، لقد تعلم بصورة تدعو الى الإعجاب ، الى حد فرض المبالغة على ما استعاره (من الآخرين) . ليس الشيء المهم في تربية همنغواي الادبية هو ما تعلمه من نشر منسج من جير تروود شتاين مؤلفة (ثلاث حيوات) ولا استخدام البساطة من عزرا باوند

و (ستوديوهايت) باريس الادبية الكوزموبوليتية (٢) التي عرفت بعد الحرب . لكن هذه الامور اعانته لتكوين شخصيته الخاصة . وعلى الرغم من الدين الذي بذمته لـ (هكليري فين) - قصة مارك توين - الذي يعده اعظم كتاب في الادب الامريكي بأسره ، فلا صلة اساسية له بأي ثقافة سبقت - في وجودها - الحرب (٣) . لقد تعلم ببارون من يوب ، بيد ان همنغواي تعلم في محيط ادبي لم يتذكر سنة ١٩١٣ . وحتى الثورة الادبية التي عيشته فيه وريثها باعناوة طليعة رائدة في تلمذته على (بيكاسوها) (٤) وفي كلمه (الحديث) ذي الهجة التي يستعملها سكان المنطقة المعروفة (Midwestern) من الولايات المتحدة (٥) لم يمتص السيطرة عليه والادعاء به . اذ حالما تعلم همنغواي مبادئ الشعر وحيلها ، حل من نفسه شخصية ادبية ، وهو الذي كان ريفانيا وجديدا ومراسلا اجنبيا في حين من الزمان . لقد ابتلع اطلالا جديدا من الشاب الغندور الذي انهارت احلامه بصورة رومانسية بعد الحرب ، انه ذهب في طريقه الخاصة بحثا عن « الشيء الحقيقي » .

وفي تطلعه غير المنقطع للكمال الواسي من خلال الاسلوب ، في هذا يبرز همنغواي .

وكما كتب مؤخرا : المرء يستخدم - في ذكر الحوادث - « هذه الحيلة او تلك » والحوار هو ارفع انواع الحيل . لكن « الشيء الحقيقي » ، نبض فنه ، كان بالقياس الى همنغواي ، الحق في مزج الواقع بالرمز ، والتحويل الكامل للسياق الطبيعي الى استئثار للحركة الضرورية - تلك الحركة التي تمزج مختلف مراحل الوجود الراهن - من حب وحرب ورياضة - وتضفي عليها لطفًا شاملا . وهنا اجتمعت لديه التجربة والاسلوب .

ان الانسان يكابد الوحشية والرعب في الحياة ، بما تعانيه احساسه ، وبما تسر به هذه الاحاسيس احيانا . ونصر الفنان يكمن في نقل المرة والمعاناة الى الآخرين بصورة كاملة . انه يستطيع الان السقوط على الاحساس بالاساءة الدليلة الباهتة ، التي يشعر بها معظم الناس في وجه الحوادث . وباعطائه بعدا جديدا لوصف الواقع

تشرق (ايضا) بالقياس الى الموضوع الرئيس ، وعلى ذلك فقد ضاعت تلك الفترة وتبعثرت .

اما العشاق في (وداعا للسلاح) فهم تجريدات عاطفة غنائية كما قل آدمون ولسن . لقد ابدع همنغواي عالما خاصا به ، اكثر بهاءا من الحياة اجتماعيا ، لكنه لم يكتب عن الناس الذين يعيشون في العالم ، بل كان يتداول قيما عتيقة ، فيدفع شخوصه بين قطبين ، فمن تمجيد مرتجف للنفس الى خيبة ملقطة . ان ما احبه اشد الحب كان اثاره شبح الدينونة .

وبعد ذلك جاءت قصة (الموت بعد الظهر) واسطورة همنغواي . وكان لهذه الاسطورة ما يبررها من اسباب ، لانه كان عليه ان يعيش طبقا لشهرته . لكن الاسطورة اصبحت مغرقة بل رخيصة ، وذلك حين اخبرها همنغواي دليلا للسلوك الشخصي وسبيلا للعقيدة . حدث ذلك ، في الواقع ، حين اصبح هو اشر شخصوه . ثم اصبح عمل همنغواي تعبيرا عن هذه الاسطورة على اثر ظهور (الموت بعد الظهر) حينما كانت هذه الاسطورة استجابة مذهلة لعمله . ذلك بان الاحساس بالرجة والمضائق اللتين احدثتهما قصصه الاولى ، تحولتا الآن الى فصاحة عالية مستכלية ، يحدث همنغواي السيد العجوز في (الموت بعد الظهر) قائلا : « لقد فقدت كلمائنا مفعولها باستخدامنا الواهي لها . » مستدلا بنفسه على ذلك . لكن المرأة تسأله « واذن اليس عندك دواء ؟ » فيجيبها « مدام ، لا دواء لاي شيء في الحياة . » ان الموقف الظاهري على مستوى معين ، يصبح ضحكا مكبوتا في مستوى آخر . اما الاراضي الحيلة التي يقطنها التسكعون التوافة في (الشمس تشرق ايضا) فهي اكتشاف مأساوي لمعرفة الذات ، وادانة الحياة كما يراها هؤلاء . اما لهجة همنغواي ، وفي هذا الوقت ، فتصبح عتيقة بعض الشيء . « والى هنا بشأن الاخلاق . ان ما هو اخلاقي هو ما تشعر بالراحة بعده ، وما هو لا اخلاقي فهو ما تشعر بالضيق بعد حدوثه . » .

وبمرور السنين يصبح المرء معتادا على همنغواي في صورته طرزاناً قبالة طبيعة (غارية) او الرياضي المول في (تلال افريقيا الخضراء) وهو يحرق متجهما في العديد من الحيوانات التي قضي عليها ، على حين يغدو الاسلوب المشهور اكثر ميكانيكية والجمال متسببة والفلسفة فلسفة طفولية ذاتية ، والمسررات اشد ياسا وقنوطا . ذلك ان معظم افراد الجيل الضائع قد سافروا الى مناطق اخرى تشرق الاهتمام والاستطلاع .

ثم اتخذ همنغواي ملاذا اخر له في (Esquire) حيث كتب فيها مقالات مزج فيها بين تقارير تتحدث عن صيد السمك وبيانات فتنة تنال الاسلوب والحياة الفاخرة . وبعد ثماني سنين من نشر (وداعا للسلاح) حين فقدت اسطورة همنغواي بريقها بتلاشي العالم الذي شجعهما باطراء فارغ ومباهة ، كتب همنغواي (الذين يملكون والذين لا

اطيعي يمكن من الحصول على ملجأ يقية الاضطراب الذي هو نصف رعب الحياة . وقد صور ذلك تصويرا رائعا يعزجه عالمي الحرب والسلام في (في زمننا) . اما موضوع العزلة الشاملة وسط الحرب التي يرن ذكرها في الفقرة الاولى من (وداعا للسلاح) والتي ادرت تعبيرها الكلاسي في التراجع الذي جرى في كابورتيو ، حيث يجري النهر ، ويسير الجنود في صف طويل صاحب ، حيث يقتل الضباط على ايدي الحرس ، هذا الموضوع يتلاشى في الظلام بكليته وكذلك يبرز المنظر (الرابع) في (الشمس تشرق ايضا) وذلك حين يجلس روبرت كوهن مع جيك واصدقائه ، في مدرج مسابقة الثيران ، فهو يبدو منظرا ذليلا اول وهلة ، قبل ان يجرح الثور في الحيلة . وفي كل حال يجد الحيوان الكامن في الانسان مفتاحه وما يوازيه في حادثة من الحوادث المحيطة به ، وبذا تصبح الواقعة عاطفة متجسدة . واذا لم يكن من الميسور نيل « الشيء الحقيقي » دائما او الاحتفاظ به بعد التمكن منه ، فثمة اشكال آخر من اشكال النعمة : ومنها مسرات الشراب والمضاجعة والمطارد الرافض بعصية قبالة توره ، وعواء الصيد ، واحساس الطبيعة العاطفي التي تسمح للانسان ان يكتب جملة مثل هذه (في سيدك لطيف الساوي لا ينبغي ان تكون بينها ، والا فما ان تجل حتى ان تنصب عليك انصبابا ، بعضها تطير صعدا ، وبعضها تنحدر الى اذنك في ازبل وبمقدار لم تر له مثيلا من قبل ، وهي تمر في الهواء . »

فاذا كان الفن تعبيرا عن الشجاعة ، فالشجاعة - في احسن احوالها - لها ميزة الفن . اما الشجاعة هذه التي هي فخر الزهرة التقليدية والمهارة حتى في (لن تدق الاجراس) فيمكن وراها احساسا بالطبيعة الشلولة ، طبيعة متجمدة في عزلة من الرعب . وبعد ثورو ، ونسي الادب الامريكي بارسه ، لم يستطع اي كاتب ان يكون بمستوى حساسية همنغواي حيال الالوان والمناخ ومعرفة الطاقة البدنية ، في الحر او البرد ، معرفة الجسم المفكر المتحرك بين معالم الطبيعة ، هذه المعرفة دعاما آدمون ولسن « دقة باروميترية » . وكانت هذه الدقة مبعث سرور الصياد والفنان ، وبخلاف اشباع هذه الرغبة ، لم يهتم همنغواي بباي قيمة اخرى . فاما قيم ملقطة او انتهاكات مطلقة .

وقد اثبتت عدمية همنغواي العتيقة كل العنف ، في حكاياته وقصصه الاولى ، ان رغبته في تعبير مثالي في الفن كانت السمة البارزة لرومانسي عاطفي ، خابت ظنونه خيبة عميقة . ومن هنا كانت فجوة شخوصه شديدة الدرامية ، لا تشوبها شائبة ، وانعكاسا شفافا جدا . ان الرموز التي استخدمها همنغواي لتبيان احساسه بعثت العالم ورميه ، كانت دائما ارجح اهمية من الشخصوس المجسدة للعواطف ، التي كان (الناس) يشعرون بها بصفتها عواطف متجسدة اخذ منها الانهيار ماخذه . وكذا حال المترين في (الشمس

يملكون) وهي قصة كتبها بهوس ، تظهر ما فيه من توتر جديد وقلق . ومع ما فيها من ميلودراما (٦) ، فلم تكن رخصة القيمة ، ومن الغريب ان نلاحظ انها اول قصة انشأها من امريكا . فالسكاري الكوزموبوليتيون الفارغون الذين ياكلون قلوبهم معا ، والنقل المستمر للمشاهد الى ملقا او باريس او الغابات الافريقية ، كل ذلك خير دليل على ان همنغواي اصبح ظفرا امريكيا اصيلا ، غريبا وبين اهله في كل جزء من اجزاء العالم . لكن (كي وست) جاء فحل محلها ، شأنه شأن باريس سنة ١٩٢٥ حين كانت تفر العالم المتفسخ . ومن طريق (كي وست) عاد همنغواي الى الوطن ، و (كي وست) هذا هو الرمز الحي لامريكا في ازمتها : انه الضغينة العميقة الصحابة الخسيسة التي تتناوب بين الانقراض الشريفة ، انه صيادو الاسماك والثوريون الكوبيون والمحاربون القدامى والمدمنون على الخمر ، والشباب المتأقون ذوو الازرار الذهبية والمواطنون الجائعون ، والساحل الابيض العظيم الذي يبنى بكل خير

ان همنغواي الذي ادرك مفهوم الحياة من الحرب العالمية الاولى لا شيء سوى لكي يتحطم في الحرب الثانية ، من طريق الفزع العالمي والحرب الاهلية الاسبانية ، همنغواي هذا وجد في عذاب الناس رجعة (وحشية) لم يستطع بطله تحلها الا بكبرائه البايرونية والشعور بحالة التهمة (٧) بيد ان هذه الازمة لا يمكن احتمالها بمجرد تصميم فني ، اذ ان كل جيل وقس في شبكتها ، وتحولت كل مراحل الثقافة المعاصرة والاخلاق بواسطتها ، حتى اسبانيا محبوبته ، قد نالها الخراب من جراء ذلك .

فمن المناسب لهمنغواي طبعاً ان ينتقي في الثلاثينات بطلين له هما قرصان « الذين يملكون » لا يملكون » والجاسوس العالمي في (الطابور الخامس) فقد ارتحلا من (بلاك فرايدي) الى ميونيخ وظللا غير مهتمين بالابادة الاجماعية ! لقد كان يسمى في هذين الكتابين للثور على شيء ما لا يتبينه جيدا ولا يستطيع ابرازه بثقة . وكان محتما على هاري مورغان وفيليب ان يعثلا الفردية العذبة القديمة التي رنت الى الاخوة الانسانية وسخرت منها في الوقت نفسه . ومن هنا اصبح بطل همنغواي حصيلة جميع ابطال همنغواي مع مبالغة ، لكنه لا شيء بعد ذاته . كان الصياد المراسل لـ (اسكواري) وعمل الاستخبارات الروسية في اسبانيا - فوجد نفسه مخيرا بين الجمهورية الاسبانية وفنائة فاسارية ، كان من رجال العصابات القلعة ، انه فعل ذلك لان همنغواي اراد القتل في تلك الآونة ، وكان من رفاق السفر المشوشين ، وحين سمع الميليشيا تشد (بانديرا روسيا) في فندق فلوربيدا المحطم قال : « ان احسن الناس الذين عرفتهم ماتوا من اجل ذلك الشئ . » ومع ذلك فان فيليب في (الطابور الخامس) لم يكن من احسن الناس ، انما كان كجاك بارنز العنثي الذي استخدم قتل الفاشست تعويضا عن عاهته ، وكذلك الامر مع

الفاشست الذين لم يكن واحد منهم حقيقة واقعة .

ومهما يكن من امر فقد حاول همنغواي ان يستعيد صحته ، وقد نال ما اراد في اسبانيا بشكل ما ، وجدها في القصة القصيرة القريدة (الرجل العجوز على البحر) وقد ارسلها برقيا من برشلونه في نيسان ١٩٣٨ . (وما قاله بهذا الخصوص) في مقدمة (الطابور الخامس) « احتاج الى العديد من المسرحيات والقصص لشرح نبل قضية الشعب الاسباني وكرامته ، ولن يكتب احسن هذه النصوص والمسرحيات الا حين تكون الحرب قد انتهت . » ان « الرجل العجوز على البحر » ليست تمهيدا لـ « لمن تدق الاجراس » حسب ، بل هي سجل لاحسن ما تعلمه همنغواي من اسبانيا ، واشارة الى ان همنغواي قد وجد مثله الاعلى المألوف ، وجده صافيا مشعرا مرة اخرى ، من خلال استشهاد جماهير الشعب الاسباني . ففي تراجع القوات الموالية للحكومة ، التقى ضابط اسباني باحد اللاجئين من سان كارلوس ، رجل عجوز كان يعني بشماني حمامات وعزتين وقطة ، لكنه عزل عنها جميعا كما فصل عن شعبه نفسه بسبب تقدم الجيوش الفاشية . فسأله الضابط الحكومي : « اعندك عائلة ؟ » اجاب العجوز : « كلا ، ليس عندي غير الحيوانات كما قلت . طبعاً سيكون وضع القطة حسناً . لان اي قطة تستطيع ان تجد معيشتها . لكن لا ادري ما سيحصل للاخرين . » واستطرد الضابط سائلا : « ما هي السياسة التي تعنتها ؟ » فاجاب العجوز : « لا حياة عندي . انا في السادسة والسبعين . وقد سرت انني غير كياومنت الى الان . احسب اني لا استطيع ان امشي اكثر من هذا » .

ولكنني من مثل هذه الروح كتب همنغواي (لمن تدق الاجراس) وهي عمل رومانسي عميق الاصاله ، استطاع الوفاق مع المثل الاعلى في الختام ، كما بعثر آثار الموتى بهذا حماسه ، بحيث ان صورته للحرب الاسبانية كانت دراسة لشجاعة الملحمة اكثر من كونها دراسة للشعب الاسباني . اما المثالية التي كانت متجمدة في انحرافها ، ساخرة بذاتها ، تنخر هذا الشيء او ذاك ، فقد أصبحت مثالية غنائية غير حيابة ولا وجلة ، لفست حب روبرت جوردان واماريا وقوة بيلار وشجاعة الانصار واخلاصهم ، وغنى اللغة الاسبانية ولودعيتها ، لغتها في نشيد من الاخوة

- (١) بالنسبة الى غوستاف فلوبر ، الكاتب الفرنسي الشهير ، الترجمة .
- (٢) المثالية التي لا تنفد القيود الوطنية او القومية ، الترجمة .
- (٣) القصد بالحرب - في هذا الشأن - الحرب العالمية الاولى ، الترجمة .
- (٤) بيكاسو الثورة الادبية ، بما عرف به من سرالية وفن جديد في الرسم ، الترجمة .
- (٥) من كلام الترجمة .
- (٦) البليودراما حكاية تكتنفها مبالغات مهزلة شجيعة ، الترجمة .
- (٧) البايرونية ، بالنسبة الى الشاعر الانكليزي الشهير اللورد بايرون ، وحالة التهمة هي حالة جميع المسيحيين الذين لم يخلصوا من الخطيئة على اليد السيد المسيح بواسطة كفارته ، الترجمة .
- (٨) جون دون من مشاهير الشعراء الانكليز ، وقد اقتبس همنغواي منه عنوان كتابه ، الترجمة .

الانسانية . « كل الانسانية من وضع مؤلف واحد ، وهي كتاب واحد ، فليس من انسان يستطيع ان يكون جزيرة منفصلة بذاتها » وليس من شيء يمكن ان يكون امريكيا اكثر من قصة حب روبرت وماريا ، وليس من قصة حب يمكن ان تكون اشد تجريد تعبير لشقة الكاتب الامريكى في الحياة واحترامه لاوروبا . والظاهر ان همنغواي ادرك تقديرا جيدا للانسانية في اسبانيا ، وعلى الرغم من ايمان بحوم دون الكاتوليكي الذي قدم له العنوان (٨) يبدو ان الوحدة (الانسانية) الحميمة التي تسعى اليها جاهدا ، والشجاعة المطلقة النقية والنعمة الوفيرة ، كل هذه اصبحت وحدة عمل وصدام وحب ، وحدة فيها فرح وانشرار .

ومع ذلك فان (لمن تدق الاجراس) هي بين اقل اعمال همنغواي شأنا . فشخصها الرئيسية ليست حقيقية على الاطلاق ، وبصفها سجلا للدراما الانسانية الاجتماعية التي تمثلت في الحرب الاسبانية الالهية ، لا تعدو كونها سطحية زاهية بغير عمق . واذا ما قارن المرء هذا العمل (الادبي) الذي يصور هدايته الطامحة ، ببلاغته وتقديراته وزهو الرومانسي ، قارنه بالاقصوصة الرائعة المفردة (تلوح كليمانجارو) لاتضح ان التوكيد على الحياة في القصة مع عاطفتها توكيد صادق ، فهي تتحرك في داخل نفسها ، على حين ان دراسة الخراب والموت في الاقصوصة دراسة درامية رفيعة تدق على احسن اوتار همنغواي .

وعالم همنغواي لا يزال عالم الموت حتى في (لمن تدق الاجراس) اما الاشياء العظيمة فيه (اي في العالم) كما شاهد المعرفة التي سبقت نهب القبة الفاتية ، فتجري على وفق عنف مدبر ووحشية هما طابعا اسلوبه . لكن الحرب الاسبانية - في جوهرها - ليست غير مدرسة لتثقيف روبرت جوردان - « انها جزء من ثقافة المرء . وستكون ثقافة كاملة حين تضع اوزارها . اما « انا » همنغواي فلا تزال مركز الوجود ، لانه وحده القادر على الانتقال من الحرب الى ماريا بهذا سهولة في عبور النور ، وهو الوحيد الذي يبدو اقل رجولة حين يستطيع الدخول في تجارب الآخرين ، من هؤلاء الملعونين المهتمكين في ذواتهم المعروفين ، من الجيل الضائع ، الذين لا يستطيع بيارون ان يلعب دورا ثانويا بين ظهراتهم . وبطل همنغواي لا يزال « هو الرجل الذي تجري الامور معه على هون » الحرب شيء يحدث لروبيرت جوردان - والشباب اللامع يحسب حياته جزءا من الخراب . وعلى ذلك فان قصة (لمن تدق الاجراس) ليست واقية بالمرام ، وبخاصة بالقياس الى همنغواي ، لانها تطبيق متوتر غير اختياري لقرئته الفوضوية ورؤياه التصفية الرائعة للحياة ، على عالم جديد من الحرب ونضال واسع لا يتلذذ به ولا يطمح به همنغواي بالابعد .

ومع وجود الرغبة والامل الطموح ، فليس اشد زيفا من الاعتقاد الشائع بان همنغواي اراد الطواف حول الدائرة الفوضوية القديمة . وكما عاش روبرت جوردان كان في

الحرب بمفرده ، كذلك فهو يموت وحيدا ، منتظرا مجيء العدو ، وهذه هي حال احد الانصار ، فهو يموت فريدا ، كما اراد يوما ما ان يصنع صلحا منفردا ، اما بقية ابطال همنغواي ، فمع تكرر ذواتهم ، فهم لا يؤثرون في غيرهم الا اقل تاثير . ان تكرار الذات والموت الفردي وجدنا من قبل وكان ذلك حسنا . حسنا حين يكون الصياد وحيدا بين التلال ومصارع الثيران قبالة ثوره ، وطائر السلوى يحوم في الهواء . حسنا حين تستطيع جبر تروود شتانين ان تعلم شابا ليكتب جملا « كاملة » وحين يكون انتصار الفن مساويا لتكرار الحياة . حسنا حين يستطيع العالم ان يبدو وكقصة من قصص همنغواي ، و « الانا » رمز خيبة الامل والكبرياء العنيفة في عالم رائع نسي مرضه ، والجمل كاملة تملأ الظلام . فلم يكن مهما ان يكون الفن طريفا رائعا ، بينما الحياة تحت نسيجها النفيس ، مظلمة عارية . ذلك ان ادب همنغواي هو واحد من الانتصارات النصيفية العظيمة ، فقد اثبت نفسه فنانا عصريا منتصرا من الذين جاءوا الى امريكا ، ومن اهم البديعين الثريي الاعجاب في تاريخ الخيال الامريكى . لكن اذا لم يكن الامر مهما حينئذ فهو مهم الآن - لا لان كل ما هو حسن رائع عند همنغواي قابل للفناء ، بل لان عمله مستقر ساكن لا استمرارية حقيقية فيه ، ولا شيء من النضج الاساسي يكتنف روحه وهو ما اثرته دائما بصيرته الشاعرية ، ان الامر مهم الآن لان تاثير همنغواي اصبح مسألة تاريخية . وسكون الامر مهما دائما وبخاصة لهؤلاء الذين يتفهمون ما جلبه الى الكتابة الامريكى ، والذين يدركون ما في ادب همنغواي من نجاح امريكى ملموس ، والذين يشعرون بعطف واحترام ، ان هذا النجاح يخص عالما عنيفا ضيقا محليا - لا يتفوق عليه مطلقا .

كان لهمنغواي تاثيره الواسع على الكتابة في الثلاثينات ، من جهة التقنية وحتى الاخلاق . وبصفته فنانا ذا اسلوب ومهارة ، كان مثلا جذبا للشباب الذين جاءوا الحياة بعده ، وباعتباره واضع مذهب الكتابة الامريكى العنيفة ، يبرز تاثيره العظيم في قصص الثلاثينات ، وهذا ما جعله - بالتوكيد ، في الصف الاول من المؤثرين في الرواية الاجتماعية اليسارية اكثر مما يعترف به الكتاب . وليس غير درايزر من له شيء من سطوة همنغواي على الرواية الامريكى الحديثة ، في فترة اسبق ، ومع ذلك كان درايزر مثلا للشجاعة والصراحة في النضال من اجل الواقعية ، واسلوبه لم يكن كاسلوب همنغواي من حيث قوته الاتقانية ، في تاثيره في جيل باره تاثيرا صنيغ اقاربه بصياغه ، بينما هذا الاسلوب بدا في الصحافة الامريكى ذات الخداع الكثير والصدق القليل . ان همنغواي هو الاله البرونزي لكل التجربة الادبية المعاصرة في امريكا .

يوسف عبد المسيح ثروة

بغداد

سُئمت من هذه السطور التي تمتد أمام عيوني .. حروف صغيرة ناعمة مسكوبة بنظام .. لكنني سُئمتها .. مللتها .. لم اعد اعي ما تقوله .. ما تهمة لي .. تركتها ملقاة بلا مبالاة على طاولتي الخشبية المربعة الشكل القديمة .. والقيت نظرة على امرأة مفلستي : مجرد نظرة لا تعني شيئا وخرجت .

موقف الاوتوبيس يقع قرب بيتي . تظله شجرتان عاليتان .

وتمر عشر دقائق وانا لا ازال انتظر . الحر لا يرهقني فانظر ياويني لم اتحرك خلال هذه الدقائق العشر . ظللت جامدا أخاف الشمس ونارها . وانفتح الباب وهو يزار بألية . لم يكن حولي سوى امرأة واحدة يكوها السواد .

الصيف قاتل وحره قاتل . الصيف مجرم . وهي يكوها السواد . الحذاء اسود . الصيف قاتل وهي ترتدي معطفا طويلا - المعطف اسود وحجابا اسود كثيفا لا ترى من خلاله الا عيوناً ضبابية . قد ترى نورها بثقب الحجاب . وقد لا ترى تركتها تصعد قلبي . ربما كانت هذه عادة بلهاء قد سكنت لاشعوري .

وراح الاوتوبيس يتبختر في الشارع العريض الخالي . الشمس تلمع فوق الاسفلت الاسود ونارها تغلي . والشبابيك الزجاجية ترتفع بصوت كزيم مزيج . الآلات والمقاعد كلها تنفض . وليس هذا غريبا علي فلولاها لما عرفنا شيئا اسمه الاوتوبيس . خمس دقائق اخرى مرت . الجايي لا يزال يلوك كلاما مبهما مع السائق . كان يدخن واللوحة البيضاء يرصعها سواد فيه وقار .. تقول احرقها : التدخين ممنوع .

اعترائني شيء من الرعب . والتقرؤ . افواج من العمال . ربما عشرون . ربما ثلاثون . ربما اكثر . احتشدوا في هذا الموقف . عمال ؟ اقصد بناؤون .

القبائر يتطاير . غبار ابيض .

والمعال فوق اكتافهم وفي ايديهم صرر حمر وخضر وصفر . وجوه بيض كلسية تلمع فيها آثار اسوداد الدقن والنوارب .. كانها اطلال كنيسة .

الصيف قاتل والحر قاتل . لفحة .. او شال - رخيص يلف رقابهم ورؤوسهم . سراويل منقوخة بالهواء الفارغ تتدلي كذيول خرفان شرقية سمينة : ذيول دهنية .

وتدائعت الامواج . تضاربت . علا رذاذها وانتشر بملأ الفراغ . وتلاشى السكون : هرب من الثقوب .

— يا ابو صطيف ..

— يا ابو حميد ..

— يا ابو محمد ..

كل يحدث الآخر عن عمله في يومه



بقلم منقول ناشد

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

او عما تناوله من طعام او كيف سيقي ليته :

— نروح نقعد في القهوة مدة ساعة وبعدنا نروح على السينما .

كان شابان يتحادثان .. شابان من البنائين .

لا يزال الرذاذ الابيض يصبغ الجو . عيوني وانفي اتحدث في عمل واحد : الابتعاد عن الرذاذ الابيض .

المرأة الملقعة بالسواد تبدو غريبة في هذا الوسط الابيض . لكنها لا تلتفت لا تصفي الى الاحاديث النافعة التي تدور بين هؤلاء . ولا تضحك او



تبتسم لتلكات يلقيها الشباب منهم .. ربما تبتسم .. واخفى السواد تبسما .. دفته في اصعاقه .

الرعب - التقزز .. الشعور القريب بهما يعاودني . لم ؟ اني اخنق .. الهواة : بدأت احس بالمعنى الرائع لهذه الكلمة . لم اكن اتهرب من ان يجلس عامل بناء شبابه المظلمة بالعبار قربي وانما كنت اخنق رغم كل شيء . كنت ارى نوعا من اللذة في التجسس في التقاط الكلمات ، التي تفلتن شفاء العمال البنائين . واحس بنشوة تسري في عروني واناخالطهم وان كنت اخنق . اليسوا بشرا ؟

الاوتوبيس يقف من جديد . جراد اسود ينتشر على طول الطريق . سمعت باب الاوتوبيس يزار بألية .. صرخ البعض :

— الله واكبر . وبك تركب كمان ناس . الا يكفي . رايحين نخنق .

وازداد شعوري بالاخفاق اني فعلا اكاد اخنق . لكن الجايي يابى-وكانه انساني الطباع - الا ان يلتقط الجراد الاسود . موجة الجراد الاسود كلها . نساء ملفوطة بالسواد . والصيف قاتل . والحر قاتل . اربوعون طفلا وطفلة يابديهم زجاجات حليب وسخة ملونة بعضها .

الولوات تروح وتجي بين شفاة الحريم الخبأة تحت السواد . وضحكات خفيفة تفرقع .

سد الباب كل امرأة كانت تلف بين يديها طفلا رضيعا او طفلين . وربما تخفي اخاله لم ير النور بعد . وتحت قدمها يرحف اثنان .. ثلاثة .. ربما اكثر كل امرأة .

— اف : شو ما في ذوق ؟ اخنقنا . حاول الجايي ان يهدي من اعصاب العمال . الابيض يعانق الاسود . يتخافتان يتدافعا .

— معليش . معليش . معمل الاولاد

— ويقصد المستشفى - وقف عن الشغل اليوم والنسوان طالعين منه .

نعم معمل الاولاد قد اغلق ابوابه . لم تولد اليوم امرأة .. لزيارتها ..

ولم يعد يوزع زجاجات الحليب .
فلينصرف الحريم .
صبيا .. حلوات يخفي حلاوتهن
حجاب كثيف اسود . كالليل طويل .
ظالم . مظلم .
السواد .

شباب . زهور يلوث الكلس الابيض
شفاههم ووجوههم وتجاعيد جباههم .
البياض .
ويلتقي الانان . بيتسمان .

تزرد نكات وتعليقات تنطلق من
شفاه الشباب الابيض . تضحك لها
العجائز ببلاذة ثم يعودون لاحاديثهم :
العائلة كيف حالها ؟ العمل .. العشاء .
ما هو اليوم يا ترى .. وغدا ..
والمصروف .. والريح ؟

— قوم واعطي محلك للحريم ..
مو عيب عليك ؟

— مين يبعطي مكانه للحريم ..
يدخل الجنة .

— اتفضلي يا ست .

— لا .. والله خليك مستريح .

— معلش .. اتفضلي . حلفنا
والله العظيم .

بيتسم — كلهم يردون لها الف
إبتسامة . تثقب السواد لتصل الى
شفاه الحلوة . الى عينيها .

تراحمت في راسي الافكار . من
سود . وبيض . لقد تمركز الحريم
في المقاعد .. واستحل اماكن الرجال
.. والرجال يخجلون من الحريم لذا
نهضوا وتقدموا بمقاعدهم هدية
وقربانا .

قليات .. لم يجدن مكانا .
بعض الشيوخ الكبار . التعب والارهاق
لا يزحزحهم عن مقاعدهم . وانا .
كنت لا ازال جالسا . انا الوحيد الذي
كنت ارتدي بنطلونا وقميصا
كالادميين .

تقدم شاب ابيض منهم . تقدم
نحوي . قال لي بوقاحة وجرة .

— قوم يا سيد . قوم عيب عليك .
الحريم واقفين وانت قاعد . وتناعبت
الاصوات . منطلقة خشنة من حناجر
خشنة . موجة بيضاء تغلبي .

قلبي يضطرب .. ارتجفت . شعرت
برطوبة تسري في جيبتي : تتحول
الى ماء بارد يسيل فوق حقوني .
واحمرار اصفر يرسم فوق تقاطيعي .
شعرت به يجرحتني . تكلمت الاصوات
والصرخات كلها في حزمة خشنة
تدعوني لتحقيق امل . نظوت الى
الحريم الاسود .. الى اللواتي لم
يجدن مقعدا خاليا .. صبيا ..
تتجاوز الواحدة منهم العشرين سنة .

وانتقلت عيوني الابتسامات الساربة
بين عيسون الصبايا .. والشباب .
الابيض والاسود . يلتقي الانان .
بيتسمان .

هذا كله لم يدم لحظة . اقتلعتني
من مكاني الخجل . والموقف الحرج
وحزمة الصرخات المنطلقة من الحناجر
البيض الخشنة .

— قوم يا سيد . قوم عيب عليك .
وازدادت الابتسامة اتساعا — على
ما يبدو لي — على شفاه الصبايا
المتلفتات بالسواد . وهزلت ادفع من
يقف في طريقي ولا اسمع التهم
الملصقة بي . اسرعت الى الامام
وزعقت في وجه السائق :

— هو .. هوب .. بدي انزل .
كانت لا تزال امامي عدة مواقف
اخرى لاصل الى البناية — المكان
الذي ساقصده . ورغم ذلك نزلت
بسرعة جنونية . والقاني الباب الامامي
الى الشارع .

السكون . الصمت الحزين . نسمة
من الهواء الساخن تلمح وجهي ازداد
غيفا . واتابع طريقي سيرا على قدمي
وجملة تلهث على شفتي .
قاتل الله الحريم .

منتر ناشد

القاهرة

صلاة قلب

هوى الهى الرؤى يورق .. في ارقى .. وفي دمي يخفق
ملون الرفات .. مغرورفا ... نسي غفوتي للاؤه تشرق
اغيب عبر الحلم .. في دثلة .. شوقا .. وفي موجاته اغرق
اغنية خضراء .. هيمانة .. يبعث نسي ايقاعها المطلق
اليك يا من عشت في حيرتي .. بحبه الراعش .. لا انطق
ارفعها صلاة قلب له .. عبر ليلاليه .. هوى شيق
يحلم لو في عمره برهة .. يرف في ظلك او يخفق

احمد امين

كهرج — انكلترا



رائد الثقافة العامة

أيسر الوسائل الفعالة في التثقيف الذاتي

تأليف كورنيلوس هيرشبرغ - ترجمة : محمد يوسف نجم ، عيلة حجاب ، عبد الرحمن باغي ، عبد الرحمن اللبان ، سميرة زمام ، وصلي حجاب
- ٥,٨ صفحة - منشورات دار الكاتب العربي بيروت - المطبعة (٩)

للمطالعة طرفها المثلى ، اختيارا للعادة ، واستيعابا لها ، ومقباسها الحياة العملية ، وما ادخله الفرد على ذاته من تطوير ، ان النفس في المعرفة ، لا يعني اكثر من فقدان الذات ، ومن نتائجها اللغوي ، وفي عالمنا العربي نفس في الثقافة . ومن اولى نتائج السطحية والاعمى ، والقرور المرفوق بالتعصب ، وكما هو معروف لا يمكن للجاعات ان تخرج متقنين ، انها ترشد الى الطريق القويم في بناء الذات ، وباريخ عبارة العلم عامة يدغم تلك الفكرة ، اما السبيل الى تلاقي ذلك النفس في الثقافة ، فهو معرفة الطريق الذي يوفى الزمن ، ويرشد الى الجدير بالمطالعة من بين ملايين الكتب التي افرقت السروق ان الفرد يرى نفسه في الآخرين وهو مقياس لفرد آخر والجماعة مقياس للفرد حيث يتم التنقيله ، على صوة معرفته التي كونها من مطالعته للوقفات القيمة التي توفر في كل زمان ومكان . ومن بين الكونيات التي عاجلت موضوع التثقيف الذاتي ، هيجد في الاعمال والنقائات الجامعية ، اذا نوفر المؤهلات ، رائد الثقافة الامامة المؤلثة كورنيلوس هيرشبرغ والذي استطاع تقديمه مع انه قدم نفسه في مستهل كتابه ، بأنه لم يكن اكثر من فرد نوفرته عنده الرغبة المطالعة ، فخلقت منه صاحب تجربة ، ولقب بأنه رجل مثقف . اما كتابه فقد احتوى على فصول في التاريخ واهميتها والادب والفنون ، وكيف يصبح المرء ادبيا وكاتبا ، وكيف يجب ما تعود الكثير على مقته من فروع المعرفة الرياضية والفيزيائية واهمية كل ذلك في الحياة العملية ، وله وفقات تطول وتقصر حسب اهمية الفصول ، واول فصل كان في التاريخ .

وفي حفل التاريخ يقف المؤلف وفقة طويلة عملية مدعومة بالشواهد يتحدث فيها عن اهمية التاريخ وكيف ولماذا يجب ان نقرأ كتب التاريخ ، وشواهد مستقاة من تجربته الخاصة ، ويشعر المطالع له بأنه يعيش تلك التجربة ، وياديه قد لا تروق ياديه ذي بدء لكثير من القراء ، الا انها ضرورية حيث تشكل حلقة من سلسلة يجب ان نصلح باحد اطرافها لنصل الى بدايتها ونهايتها ، ودراسة التاريخ متأنية مما يجب المرء ويؤثر مطالعته لكل فرع من فروع المعرفة التي لها صلة قريبة او بعيدة بالتاريخ ، نظرا لترايط الاحداث ، وصلة كل منها بالآخرى ، مؤلفة شبكة المعرفة ، ان اي نوع من اسواع المعرفة وفروعها والتي يشعر المطالع بالراحة والرغبة والتجاوب في اقتناء آثار حلقها تقود الى نوع من التاريخ قد يكون قريبا حديث العهد او بعيدا من فرسان غابر الزمان . والمؤلف يوضح من وجهة نظره ما يجب ان يقرأ ، ومعتمدا على الفكرة القائلة ، ان التمتع والراحة واللذة ، وحاجة تحريك العقل والبدن من الوسائل الناجحة لطالب المعرفة الرافق في تقصي حقائق ما يعجب به ،

وبذلك يتمكن من ان يوفى لنفسه الرنة وسرعة السلام واتزالة العقبات الكشادة التي تعترض سبيله خلال فترة امتداده الزمنية .

حين نطالع ما نشعر بحاجة اليه ، وان كان لا يوفى التمتع والراحة المؤقتة نجد فيه نوعا من اللذة دون شك غير تلك التي نوفرها الرغبة في المطالعة ، بعيدا عن الاتراء شان الدراسات المدرسية ، أعني الرغبة الذاتية والحث الذاتي المطالع على انمام ما بدأ بمطالعتة ، في اي زمان ومكان يستطيع الفرد الملم اماما متوسطا ان يصبح مختصا ، وان يكون من نفسه دائرة

معارف يجهد متواضع وزمن قصير ، يمكنه من الاجابة على كل سؤال يعبر مخيلته ، لان التاريخ لم يكن في اي وقت ارقاما ووقائع يجب ان يكون لها خصائص وميزات الصورة الفوتوغرافية . انه التجربة الانسانية المعروضة بالتجربة الذاتية التي تؤلف الجديد الذي يسمى رداء تطوير نفسه ، ومن تقوده الرغبة في المطالعة ، ولا وجود لفكرة الاتراء في ذاكرته حول ما يقرأ ، والذي لا يسمح لتامله ان تمتد الى صفحة جديدة قبل استيعاب التي امام نظايره وهو يطالع ما يشعر بعيل نحوه سيميل الى نتيجة مرضية ، وينام راضيا من نفسه على الاقل ، ان المعلومات التي التي تقود الى بعضها بعضا وتجذب بعضها الى الذاكرة وليس المطالع ، وعلى المطالع اشراك نفسه ومخيلته دون سطش في عمل الذاكرة ، يقرأ ويقوم بعملية الربط والتوحيد بين المعلومات دون ارقاع ، وهو سريعا ما يصل الى مستفاه من وراء المطالعة ، لقد تحدث المؤلف بساهل ولم يسدع شائودة او فاردة الا احصاها ليختم حديثه بهذه العبارة : « الدرب مفتوح امامك فاصبح حاملا لدرجة الدكتوراه في التاريخ لا اقساها جامعية ولا امتاء صناديق ولا عمداء ولا واجبات بيئية ولا اباحت فنية كل ما في الامم مستنان من المطالعة الشيعة في امتع موضوع في الوجود ، قصة الانسان ، فحسنا نحن » ١١٤ .

اما في حفل الادب الذي يبرقه بقوله « سيجمل الادب لدي في ثنابا هذا الكتاب بدلولي الى نفسه وسبيل على في الكتابة حيث يكون الكتاب معنيا لا بما يقول بل بالطريقة التي يقولها » ١١٨ لتابع حديثه محددا موضوعه الاساسي بقوله « انما موضوعي التربية الثقافية الخاصة حيث يكون القارئ هو المعلم ولا بد من ان افترض من ان لدى القارئ الرغبة في معرفة هذه الامور » ١١٩ .

وإزاء كثرة فنون الادب لا يترك الحيرة تسرب الى نفس القارئ . حين يقول « وبعض فنون الادب تسترعي اهتمام الانسان وتغلب التمتع اليه حتما وعليك ان تعلم بطريقة التجربة انني ايسر عليك مثلا » ١١٩ ليسرد من وجهة نظره ملاحظاته التجريبية التي سلكها في تثقيف نفسه ، ان الآراء التي يدلي بها حول الرواية والفن الادبي الحديث ، والتشعر والمسرحيات تتبع من انه كان دائما يسعى جادا الى تثقيف نفسه بمطالعة دراسية والارتفاع الى مصاف الكتاب الذين يطالع لهم ، والكتاب دون شك قد بذل جهدا في اتناجه ويطلب منا جهدا لفهمه والارتفاع الى مستواه ، ان المقارنة التي يجدها بين مختلف ما كتب تحت اسم الادب ، تجربة حية تزخر بالحياء ونفيس حيوية . وباستطاعة معظم القراء اقتفاء اثر خطاه ليصحبوا على مستوى رفيع من المعرفة يساعدهم على ادخال الرضي والمطابينة الى نفوسهم ويؤمن الراحة الى عقولهم .

وبعبارة رشيقة فياضة بالراحة والتمتع بنهي المؤلف اهم فصول الكتاب بقوله « وبهذا ينتهي الجزء الهام في هذا الكتاب ... فلذا استلمت ان نفعل شيئا وفن الخطوط التي عرضت لها حتى الآن فانك قد بلغت سؤالك » ١٢٢ .

اما الفن الذي كرس له فصلا مستقلا شأنه آخر عنده ، فهو يعتبره اكتسابا للتقنية واستعمالها لها ، وحين تنسب المعرفة وثقت استعمالها ،

العالم ليس عقلا

تأليف عبد الله القصيمي

قال الأستاذ ميخائيل نعيمة إن كتاب «العالم ليس عقلا» للأستاذ عبد الله القصيمي هو أعظم كتاب صدر في اللغة العربية على اختلاف العصور!

ويضيف الأستاذ نعيمة: «أني أقول ذلك بالرغم من أن هذا الكتاب يناقض مبادئ مناقضة تامة...»

وتلك هي عظمة الكتاب

فقد يخالف القاريء المؤلف على بعض قضاياها

قد يفضض .. قد يصاب بالذهول .. قد يتغير ..

ولكنه حينما سيهتز

سيهتز تفكيره ووجدانه وكل طاقاته

سيهتز فيه كل رواسب التاريخ

سيشعر بالزهو لأن عقلا عربيا قد وهبه وبالأعزاز لأنه صدر عن بلد عربي .

يطلب من دار الكاتب العربي في بيروت والمكتبات الكبرى

الثمن ١٠ ل.ل.

دار الكاتب العربي

للتأليف والترجمة والنشر

بيروت - بناية عمر الخيام - ص ٣١٥٧

هاتف ٤٩١١٨ - ٤٩٠٥٦ - ٤٩٠٥٧

يستطيع الفرد ان يقدم على خطوات اخرى اكثر نفعا في سبيل ارتقائه .
وإذا كان اكتساب المعرفة يحتاج الى جهد فان استعمالها يحتاج الى جهد ممزوج بالمهارة ، والحياة مكنت كل فرد من ان يلم ولو بمقدار من الطائفة لتتوارى الفنون . وفي اسبغ الاحوال يدهش ، او يدخل الى نفسه الإعجاب وهو يشاهد نتاج فنان . وبذلك يكون قد تقدم خطوة نحو الإمام للآلام كليا بالنتائج الفنية من موسيقى ونحت وتصوير ، وأؤلف في هذا الفصل يعاول أن يثبت أن بمستطاع كل فرد ان يكون فنانا وذاقة للفن ، وهو لا يفسح من الشروط التي يجب توفرها اكثر من الرغبة والجلد تجاوبا مع ما يستأثر باعتناقه وبقوى القبول والراحة لدى نفسه ، في ميدان هذا العالم الرحب الذي تعيش في خضمه وهو محبوب عنا بالاهمال والتفاس وعدم الثقة .

وفي ميدان الرياضيات نجدد بجند طاقته الى ادخال الطمأنينة الى تلك النفوس التي نغرت لكثرة ما سمعت من لفسط حول الرياضيات ، والعلوم الطبيعية . واعتبرتها وفقا على نثر اقل من الفيل من المواطنين اذ يقول « ومع ذلك بين هذا الفصل في وقت مناسب للقاء السبل الى نشر المعرفة الرياضية بين الجميع ... ونبني ان يطالع هذا الفصل بعناية خاصة اولئك الذين يوفنون بانهم ان تكون لهم صلة بالرياضيات اذ انني يثبت بوضوح ما يكون اسلوبه في دراسة هذا الموضوع » ٢٩٨ .

بعد بسط تجاربه وخبرته ومدى ما كان يكتنه من كره لهذا الفرع من فروع المعرفة ، والذي تسرب الى نفسه يوم كان يدرس الحساب وبسبب بوضوح كيف اصبح يتقن افند النظريات الرياضية بما فيها النظرية النسبية التي اعتبرت خطأ بانها وفقا على المختصين في هذا الميدان . لقد تخرج صعدا في سلم الرياضيات التي ادخلت على حد قوله الى نفسه متعة لم تدخلها مادة اخرى من المواد المحببة الى نفسه ، وهو اذ يبسط الطريقة يذكر اهم وافضل الكتب التي يجب ان يقرأ في هذا الميدان شأنه في بقية الفصول ، وكما فعل حسين عالج موضوع الطبيعيات من فزياء وكيمياء وسواهما وما قاله في ميدان الرياضيات « ان قيمة الرياضيات بالنسبة للتشرد المصبي هي في ما تصفرك الى عمله ان انت قررت دراستها فهي نوع من التشرد بل هي نوع الكلال كامل من الذات ومن كل ما يلقى الذات » ٢٦٦

وفي حقل العلم والفلسفة لا يقل جهده عن باقي الفروع ، وأني اترك هذا الفصل مع غيره امام القاريء ليقيس بنفسه على هذه التجربة القانية التي اوصلت صاحبها الى مرتبة يجسد عليها من لعن الكثير من الناس ممن لا يفتانوا يتحدون من رغبته في زيادة معرفتهم ويتشددون بمختلف انواع البربر والاذعار . فاني اولئك الذين يبعثون عن ذواتهم اقدم هذا الكتاب الذي زادت صفحاته من الخصامية وترجمته نغية من الاختصاصيين فجمع التجربة والخبرة ليعسها فيماتول كل طالب معرفة .

عبد الكريم حاج قاسم

الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين

تأليف كامل السوافيري - ٦٥٠ صفحة - منشورات مكتبة النهضة بالقاهرة - الطبعة (١)

عاش الأستاذ كامل السوافيري خادما لقضية فلسطين بنفخ عنها بدعه وماله وقلمه ، وقد امتلأت صحف الاطفال العربية بمقالاته المثلثة ، وابحاثه الهادفة كما استمتعت ندوات القاهرة واداراتها لمحاضراته السياسية والادبية بشأن فلسطين ، حتى اصيبت فقيتها شغلا الشاغل وهمه المفضل القيس .

والصور والإساليب ، وقام بدراسة مقارنة بين الألفاظ العربية اعلن فيها بكل صراحة مجموعة من شعراء عصر الكبار في الدور الاول لم يحسوا بالنكية احساسا جازا مثلها فحافظ وشوقي والمغاد والكاشف ونسيب والهرادي والقباياتي والجارم وغيرهم لم يكونوا عندما يتوقع لهم كل عربي من انتقال ! والحق ان الدور الاول لم يكن يشير في منطق هؤلاء بجديده الصهيونية وشريها ، وكل ما خيل لهم ان شرائد مستغفرة من اليهود تتعاضد لتحميهم محتومة ! ثم اشاد بشعراء سورية اذ اعلن انها تقف في مقدمة الألفاظ الكبار الاستاذ احمد محرم ما وصووا اليوم بالتفسير ! ومن عاش منهم حتى يتبين خطر المأساة تفجر خاطره ساخن التمسرح ودامعه كالقنطار والجارم ، ولو ان شعراء سورية اذ اعلن انها تقف في مقدمة الألفاظ العربية التي تزهوا المحنة هزا عنيقا في دورها الاول ، وذكر من بين شعرائها خير الدين الزركلي وبديو الجبل وعصر ابا ريشة وامجد الطرابلسي لم نتي بلبلان فجعلها نالبة لسورية وذكر من رجائها فؤاد الخطيب والحواني وطمران ولت بالعراق .. ومهما يكن من هذا التفاوت لقد سارت البلاد العربية جميعها بعد هول المحنة في مستوى واحد من الصبغة التي ليتفرغ على نافذ ما ان يلمس تفاوتا غريبا في عمق الاحساس ولوعة الاعمال وان لم نسا تفاوتا بالغا في القدرة الفنية والطاقات الشعرية والاتجاه الادبي ، فذلك ما لا يمكن انكاره في رسالة ادبية تعتمد على الدرس والتعليل .

وفد اكرمني الاستاذ كامل فاختار بعض فصائدي في ما اختار ، ولوهو حالي ان الذي وقع في يده من انتاجي قد نظمته وانا طالب ، وتاريخه في الجلات يشير عن ذلك ، فلذا كنت انا غير راض عن اتجاهه الفني فهذه سبلة الحياة ان اذ انقضاء الدهر بتوالي الايام هو الذي يبعد بيني وبين وفائده التي ليكف منه موقف التجريح واللام ، وهو تجريج رحيم عاطف ، واحال بعض من اختار لهم الاستاذ بشاركوتني هذا الاحساس ! وقد رأيت في مجلات الحديث عن هذه الرسالة القيمة ان اردك الاستاذ كامل الوافدي يتحدث عن منهجه اذ يقول في مقدمة الرسالة : «وعلى الرغم مما قرأت من مصادر لا استطع ان ازعم انني قرأت كل الشعر العربي الحديث الذي استوحى فلسطين ، او استوبج جميع مادته ، ولم تقتني منه قصيدة ، ولم يند عني نصي ، فهناك من غير شك تصور لي يتج في الافلاح عليها وبخاصة في القرب العربي وليبيا ، ولكنني افرد حقيقة لا مجال للشك فيها ، وهي انني اطلمت على اكير مقدار من الشعر الذي استوحى فلسطين خلال زمن بحثي ، وان حظ شعر ابناء فلسطين كان اوفر واكبر من حظ شعر ابناء الألفاظ العربية ، وانني بذلت جهودا فضنية في جمع مادة هذا الشعر ، واخذت اجيل النظر وامعن الفكر فيما جمعت درسا وتحليلا وموازنة ونقدا واحتكاما الى ذوي الادبي الخاص ، ومن خلال هذا الدراسة توصلت الى اصدار احكامي على التمسرح .

ودراستي للامدة الشعرية وذوقي الادبي الخاص هما اللذان اوجبا الي تبخير التصوص التي عرضتها على اعتبار انها اقوى القصد والاجودها لتعبرا عن عواطف الشعراء واحساسهم وانغلاهم وبجوانبها ، ولطالما اقصيت الساعات ، وانا اوازن بين طائفة من القصاص تناولت حادثا سياسيا بذاته او جانب من جوانب المحنة لاختيار اجودها ، وكنت افقد هذا الموقف نفسه من الشاعري الواحد لاختار اجود ما قال اذا كثر عدد القصاص التي استوحى فيها المحنة .

وكنت اجمل الشعر الجيد في نظري هو الهدف لا الشاعر ، ولذلك لم ندفعتي شهرة الشاعر وجدها لاختيار شعره ، ولم يمنعتني منه شهرته عن الاختيار له ، وبصدق هذا على شعراء فلسطين كما بصدق على شعراء الألفاظ العربية » .

هذا منهج الاستاذ ، وقد طبقه كما استطاع ، وانا لترحو ان تسال رسالته الجامعة بعد طبعها الاثني ما هي جديرة به من التقدير والذوبوع .

الفوم : دار الملمات

محمد رجب البيومي

لذلك كان طبيعيا ان تكون رسالته الجامعية التسي نال بها درجة الماجستير من كلية دار العلوم عن موضوع حيوي يتصل بفلسطين ، ففتونها « الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين » ، ومن عرف ان الاستاذ السوافري يشغل باله بالند الادبي طيلة حياته اشتغاله بمأساة وطنه ، فقد ايقن ان الكتاب يتحدث في ميدانه الاصيل سياسيا وادبيا .

اجل ، سياسيا وادبيا ، لان الرسالة مزيج من السياسة والادب على نحو لا يدعو للتعراض ، فقد ظن بعض الكاتين من نقادو الكتاب في الصحف ان السياسة قد احتلت حيزا كبيرا في موضوع لبابه الادب الحضي ، ولو ان السياسة اقصمت افهاما كان لهذا الاعتراض وجهته المغلوقة ، ولكنها جاءت تهييدا لكاشفا لبواعث الشعر ودواعيه ، فهي الشعر بمثابة المسرح من التمثيلية ، ولن يقدر قارئه القصيدة على تفوقها دون ان يعلم بواعثها الكامنة .

والجميل حقا في موضوعات السياسة انها لا تلم بالالاع المشتهر الا يبرح حين تعرض لادوار سياسية هامة يجعلها الجبل المعاصر ويعلمها غير معروف اطلاقا ، فجاء الاستاذ كامل يكشف عنهما التقاب ، فيبحث عن معادير دامية وفت في اربابها مختلفة دعد وعد بلقور ، ونسر الى ابطال مجهولين بذلوا دماءهم حيثة رخيصة ، وضاعت بطولتهم في خضم التسيان ، حتى كشف عنها الاستاذ كامل ، وهو يبحث عن قصيدة غالبة ، او مرثاة مجفوة في بطون الاسرار .

والبحث عن قصائد النكية كان مشكلة كبيرة حقا ، لان مئات الجرائد والمجلات في الشرق العربي بجمهوريات وممالك واماراته وفي المهجر الامريكي قد انتخبت لم توجه المأساة لمئات الشعراء او الافلام ، وهذا غير الإرفقات الخاصة القائمة بذاتها ، التي تصف المحنة في ملحمة او مسرحية او رواية ، وغير ما ادع في الاذاعات العربية دون ان يسجل في مجلة او كتاب ان ذلك قد قرأ المؤلف ان يبحث عن متناوب الشعراء في الشرق والغرب وان يرسل الكثيرين منهم ليقيم على ما نقدهم ، وقد يتابع الرسائل مثني وثلاث رباع لشاعر واحد علم عن انتاجه كون ان يصفه ويثقف ، واولا يبره المبالغ في استطاع ان يواصل البحث في شعاب متفرقة متباعدة حتى اهتدى الى كنز خفي .

وبعد ان جمع ما شاء الله له ان يجمع ! فراء اوزين لم يجمع واختار ووضع التخطيط الادبي لمنهج الكتاب ، ولو ترك لنفسه العنان لكثنت رسالته في مجلدات ولكنه كطالب يفتحن في رسالة جامعة ، وقد وضع نفسه في اطار خاص ، يبحث لم تستطع اللجج المتراكمة ان تظفي بعابها الدافقة على منهجه ، ولئن اغفل بعض الشعراء المجيدون فهذا لا يعيب رسالته في شيء ، كما لا يجوز ان يقضب بعض هؤلاء ممن اعلموا عنايتهم للكتاب في بعض الصفح ، لان الرسالة ليست جمعا تحشد فصوله دون خطة ، ولكنها تنتخب من الشعر ما يمثل اتجاهها خاصا يعنى الكتاب يابرازه ، وقد كان الاستاذ كامل واسع الصدر في تقبل جميع المذاهب الشعرية من كلاسيكية ورومانتيكية ومن واقعية ورمزية وخيالية ، وحسبه ان يشير الى خصائص كل مذهب في تعليق وامضى ، تاركا للقارئ ان يسمع نفسه الاذنين من همام ترحم به المائدة ، فلذا رضى عن لون وجد طلبة ، واذ عاف لونا فليما رغب الشعب والمستمتع والنازه !!

يقسم الباب الاول من الرسالة حديثا تحليليا عن الصهيونية العالمية والثورة العربية ويعد بلقور وكفاح فلسطين القومي في الدور الاول من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٣١ وفي الدور الثاني من سنة ١٩٣٢ - سنة ١٩٣٧ وفي الدور الثالث وما يليه من الادوار حتى يصل الى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ليهدد بذلك لا قيل في هذه الادوار ذات الحوادث الجسام من حار التمسرح ودامعه ، ويتحدث عن شعراء كل قطر على حدة ، ويقسم لشعراء مصر والقسام اخرى لشعراء سورية ولبنان والعراق واليمن والحجاز والكويت والبحرين وحفرموت والسودان وليبيا وتونس والجزائر ومراكش والمهجر مينا ان هذا الشعر في كفاح عرب فلسطين فاذا فرغ من هذه المتاذج تحدث حديث النافذ عن الموضوعات والافكار والمواطف

عبد الوهاب البياني
في قمة نتاجه الشعري

النار والكلمات

« اعتقد ان « النار والكلمات » من احسن دواويني لاني استطعت فيه ان استعيد صوتي الاول »

عبد الوهاب البياني

« طائفة من قصائد هذا الخلاق العلي هي ذات صياغة عالية البديهة ، ان جاز تزويق الكلمتين - خمرة ، نقول ، لم يكب متلفا احد ، مع انها من وطنك ، من نفرد شعبك ، ارضك وسمائك »

سعيد عقل

« السنوثة السمراء التي ظلت تهيم في الافاق البعيدة سبع سنوات طوال ، وتطلق الجناح في سماءات غريبة النجم والشمس ، وتلث بلا نسب ، وراء التجربة والربيع والفياع ومطالع الفياض ... اس عادت ، وقد نبت الامل الاخضر على مقراها وحطت الحقيقة »

احمد سويد

« تفلتاك اشهى من نغمة الريشة الواثقة على لوحة تختيب خلف فعاشتها الواف المواعيد .. اغنى من نغمة النجمة على بساط من الفروز الاسود »

نزار قباني

« البياني شاعر اصيل من اولئك الشعراء الحليين الذين كان تجددهم تلبية لدواعي المحتوى الجديد ، وليس سعيما وراء بدعة او حذقة »

ناظم حكمت

الشمس : ٢٥٠ ق.ل.

د. ا. الكاتب العربي
لتأليف والترجمة والنشر

بيروت - بتاية عشر اكتوبر - ص.ب. ٣١٥٧

هاتف ٢٤٠٥٧٠٠ - ٢٤٠٥٧٠٠

في رحلة طويلة خلال البحث عن « معالم الادب العربي المعاصر » منذ فجر النهضة الفكرية العربية التي بدأت قبل منتصف القرن التاسع عشر حتى اوائل الحرب العالمية الثانية (١٨٤٠ - ١٩٤٠) تبدو معالم شخصيات متعددة من افكار والوطنية والكتاح السياسي والاجتماعي والادبي. هكذا بدأ الاستاذ انور الجندي كتابه ليتحدث عن احمد زكي الملقب بشيخ العروبة ويزيح الستار عن هذه الشخصية العربية التي اسس عليها ستار من التسيان خلال ربع قرن مضي من السنين ، ولمعري ان المؤلف قد بذل جهودا جبارة في التحقيق والتفقيب وقد اعطى اكثر من سبع سنوات حتى تمكن ان يجمع اشتاتا من المقالات المبثورة في بطون المجلات والصحف ليصنع منها كتابه هذا الذي وضعه بين ايدينا والذي سلط انواره الكشفية ليزيح الغممة التي افترقت في لججها طيلة الخمسين عاما الماضية .

وال المؤلف بالرغم من قلة المصادر التي لديه فانه لم يترك كبيرة وصغيرة الاحصاءا وقد كان منصفا حقا في كتابه هذا ، اذ ذكر محاسن الرجل وصاوده ، فقد انصف احمد زكي بانه بذل جهده وماله في خدمة العروبة والاسلام وكان الى جانب مصطفى كامل يؤيده في مواقفه وفي خطبه واقواله واعماله ، حتى اذا ما اזור الخديوي وتخلى عن مصطفى كامل وسار بركاب الانكليز واخذ يكتل بالقوى الوطنية كالحزب الوطني نرى الشيخ احمد زكي يلقب ظهر المجن ويسير في ركاب الخديوي ويحيل نحو الانكليز لان كفهم اصبحت هي الراجحة ، ويقول المؤلف في صحيفته (٢٥٥) « وكان احمد زكي قد جرى في هذا الخط الجديد مع الخديوي الذي اسبح له الحال الى تشييل مصر في المؤتمرات الدولية وحقق له رغبته في العمل الفكري الذي احبه ... الخ ... »

لقد بذل احمد زكي جهودا مشكورة في مؤتمرات المستشرقين فقد مثل الحكومة المصرية وفتنذاك في اربع مؤتمرات عام ١٨٩٢ في لشدة و ١٨٩٤ وفي صيف ١٩٠٢ في هيمبورج و ١٩١٢ في اينا ، وكان يحفظ ويتحدث في هذه المؤتمرات وقدم مخطوطات قديمة منها عشرة كتب قديمة نالها وصحفا ، وستة كتب من تأليفه .. وكان موضع تقدير العلماء والباحثين في هذه المؤتمرات حيث كانوا يحيطون به ويوجهون له مختلف الاسئلة كما ذكر المؤلف الفاضل في صحيفته ١٠٤ .

والنسي الذي استرعى انتباهي في هذا الكتاب هو ان المؤلف في صحيفته ٢٧ قد شط عن الموضوع وراح يتكلم عن اخ احمد زكي وعن نزاهته وعن استقالته الخ ... مما هو خارج موضوع هذا الكتاب ، ولعل السبب الذي حدا بالمؤلف الفاضل الى ذلك هو ان اخاه (محمود باشا) هو الذي كلفه وتولى تربيته منذ الصغر فراح يسرد لنا بعض مآثره ليدلنا على ان احمد زكي قد تأثر بتربية اخيه الاكبر الذي يزيده بثلاثة عشر عاما ، ولا ادل على ذلك انه كان يكن له الود والاحترام والتقدير ويعتبه بقوله : (والدي الشقيق) .

ذكر المؤلف في اكثر من موضوع بان احمد زكي لامر ما يكتم امه فاستطاع الاصل ولم يخفينا عن السبب في ذلك ، وكان لا بد للمؤلف ان يدلي برأيه في هذا الموضوع ويستنتج مما فراه والم به من مواضيع عدة عن السبب الذي حدا به ان ينكر اصله في حياته . ويستبان لنا مما قرأناه في هذا الكتاب بان احمد زكي قد اصيب بمرض نفسي هو حب الظهور ، ولا ادل على ذلك من سفرته بالآخرين كالدكتور زكي مبارك وغيره كما ذكر المؤلف في صحيفته ١٩٤ وقوله في صحيفته ١٩٢ « عني وعني وحدي خلدوا التبا الصادق فعندي وعندي وحدي الحجة الصحيحة والبرهان الناطق :

ظهر حديثاً



ودع كل صوت غير صوتي فأنسي أنا الطائر المحكي وغيري هو الصدى
ولقد كثر المؤلف هذا البيت في صحيفة ٢٧١ أيضا .

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه هو ما ذكره المؤلف في صحيفة (٢٢٢)
حيث قال : « ولقد كان سمي (أحمد زكي) في سبيل التبريز والشهرة
دافعا إياه إلى اندفاعات سريرة عاطفية وعصبية متعددة شمالا وبعينا ،
إرشاد لرغبائه ونظما إلى الحديث عنه .

ومن محاسنه أنه يرجع إلى الخطأ ويعترف فيما إذا أخطأ ويعتبر
ذلك فضيلة كما جاء في صحيفة (١٨٨) وهو عند الدكتورين طه حسين
وزكي مبارك أول مصري عرف بالبحث العلمي .. صحيفة (١٨٦) .
وقد عني بالفتنة الكتب النادرة كما هو شأن البعثة العراقية الاستاذ
عباس المزاري المحامي الذي تعتبر مكتبته ثالث مكتبة بعد مكتبة الرحوم
الإب استئناس الكرمل . ومن أعمال أحمد زكي العظيمة التي يسجلها
التاريخ بعماد الغفر أنه أوقف مكتبته للخدمات العامة في حياته وبذلك
غرب أدوع الإمتان في التفسحة ونحر حب الذات في سبيل المصلحة
العامة وعسى أن يقتدى به استاذنا عباس المزاري أمد الله في حياته
بالحجرات أحمد زكي فيوقف مكتبته ليفتخر من متاعها العلماء والأدباء .
ومما يؤخذ عليه المؤلف بعض التكرار وتسذكر على سبيل المثال لا
الحصر فقد جاء « عني وعني وحدي خذوا الخبر الصادق » في صحيفة
(٢٩) وجاء نفس الكلام في صحيفة (١٩٢) وكرد في صحيفة (٢٧١) .
ذكر المؤلف في صحيفة (٥٠) أن أحمد زكي نفى أن تكون رسائل أخوان
الصفاء من تأليف الجبريلي ولكنه لم يذكر من هم هؤلاء أخوان الصفاء
الذين اختلف المؤرخون في رسائلهم والذي أفرقه أن هؤلاء جماعة ظهروا
في القرن العاشر واتخذوا البصرة مقرا لهم ولهم ٥٢ رسالة من مؤلفيها
أبو سليمان المقدسي ، وأبو حسن الزنجاني ، والنثر جوري ، والموفي
وزيد بن رفاعه .

جاء في صحيفة (٢٢٧) صدر البيت :

« أن الرزايق لما قام فلها » والصحيح :

« أن الرزايق لما قام فلها » تصورت أنها صارت شواهدنا

وفي الختام نقول ما قاله (مرجليوت) لكاتبته من زيادة عندما زارته

في كسفورد « أن حياة زكي باشا متشعبة مبثرة بقوفا التنظيم » .

أن بعض الهنات الهينات التي وقعت في نياي هذا الكتاب لا يمكن

فقد هذا السفر العظيم الذي احتفنا به مؤلفه الفاضل الاستاذ أنور

الجندبي وقد استطاع بالجدد الشاق أن يعقب حياة هذا العالم النابه

لوجه العلم والذي يستحق عليه الثناء لانه موضع الإعجاب والتقدير .

بفداد
عبد الخالق عبد الرحمن

صدر حديثاً ديوان

مرقاً الذكريات

لشاعر هلال ناجي

يطلب من :

دار الاندلس - بيروت

المكتبة المصرية - بغداد

● الفداء أو الشهيد سعيد عقل - تأليف فاضل سعيد عقل - مصمم
الغلاف ميشال ح. عقل - ٢٢٤ صفحة - منشورات العقل (١) - مطابع
المشي برون التيبال (٢)

● رامونا - قصة - تأليف هيلين هنت جاكسون - ترجمة حسين
القباني - مصمم الغلاف مدحت سعد - ٧٠ صفحة - حجم كبير -
منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة - مطبعة المعرفة (٢)

● اصدا من الحكمة - اشرف على تحريره وليام م. دافنيتور ،
اشرف على ترجمته وقدم له حسن جلال العروسي - مصمم الغلاف
أحمد منيب - ٢٢٨ صفحة - حجم كبير - منشورات مركز كتب الشرق
الاسقط بالقاهرة - مؤسسة طباعة الألوان المتحدة بالقاهرة .

● الشئون التزلية للناشئات - تأليف إيلين جونز وهيلين برنهام -
ترجمة اسماء جودة - مراجعة نظيرة نقولا - تقديم دولت الصمد مصمم
الغلاف طلعت العمري - ٥٠٠ صفحة - حجم كبير - منشورات مكتبة
النهضة المصرية بالقاهرة - دار ومطابع الشعب بالقاهرة .

● التخطيط المتحرك من العلم والتأليف - تأليف لوزي بارش وإيلون
واسكين - ترجمة عثمان عبد العزيز فريد - مراجعة الدكتور وبيب
سيمان - مصمم الغلاف عاطف زكي الله - ٢٨٠ صفحة - مكتبة الانجلو
العصرية بالقاهرة - (لم يذكر اسم الطبعة) .

● سترال التليوتات - تأليف نومي بوكهيم - ترجمة أحمد كمال
عواد - مراجعة وتقديم أحمد زكي محمد - ٥٢ صفحة - مصور -
منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة - دار القومية العربية
للطباعة (٢)

● بدور الحب والخير - قصة - تأليف حسن حمام - ١٧٢ صفحة -
منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت - (لم يذكر اسم الطبعة) .

● صفة والادب - تأليف عبد الوهاب ملا - الغلاف بريشة المؤلف -
٢٦٤ صفحة - مطبعة دار الفكر بدمشق .

● فن الكتاب المرحي : للسرحة والإذاعة والتليفزيون والسينما -
تأليف روجر م. بسفيلد (الآن) - ترجمة وتقديم دريسي خبشة -
مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي - ١٦٢ صفحة - حجم كبير -

منشورات مكتبة نهضة مصر (٢) - دار القومية للطباعة (٢)

● مختارات من القصص القصيرة - تأليف فرانك ر. ستوتون - ترجمة
صبيح الجبار - مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي - ٢٨٠ صفحة

- منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة - مطبعة المعرفة (٢)

● التقرير إلى آباء التلاميذ - تأليف روث سترانج - ترجمة الدكتور
أحمد خليفة بركات - مراجعة وتقديم محمد السيد روجه - ٢٢٨ صفحة

- منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة - مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر بالقاهرة .

● مزيد من البحوث المتمعة للعلماء الصغار - تأليف جورج بار -
ترجمة الدكتور أنور محمود عبد الواحد - ١٨٨ صفحة - منشورات
مكتبة نهضة مصر (٢) - المطبعة العالية بالقاهرة .

من نوعه يكفل لها تشذيب قواعدها ، بعد أن أصبحت هذه القواعد شجرة قديمة الزمان تنتظر مقص يستأنس بحكيم عليم ، إلى ذلك الجنب يجب أن يكون لها من العلم الحديث ضمانة تؤمن لها بقاها في مستوى اللغات الحية الراقية .

ولعل أول ما نفتقده هذه اللغة ، في معلم قواعدها ، أن يكون هو نفسه غير مبتلى بمركب النص التانسج عن تشعب المذاهب والاجتهادات وكثرة السماع والخروج على القياس أو عنه في هذه القواعد .

ومتى برىء المعلم من هذا الداء انفتحت أمامه سبيل المعرفة بالأهم وبالمثل من هذه القواعد . ومتى عرف ذلك استطاع ، هو وحده ، أن يستبعد ما لا يفتي وأن يبقي ما لا غنى عنه . فإذا اتكشفت لك دروب هذه المعرفة ، يا أخي المعلم ، فاعتمد لها اطمئنان الواعي مهمته نفسها ومعرفيا ، فالطالب يقرأ في لهجة معلمه ونبرات صوته أكثر مما يقرأ في حروف كلماته .

فعليك إذن ، أنت ، المعلم الحديث ، أن تستحدث لنفسك لغة طيبة وكلمة حية ، مستبعدا الموكك العتيق مسن التحايد التي لا تعني من التحديد ، في معناه الثابت ، شيئا كثيرا ، مستبدلا الأمثال على هذه التحايد الباقية كأنها منجزات من مخلفات أزمنة لم يكن « للمتفكرين » فيها عن عمل يصرفهم عن « عبقرية » اللف والدوران حول القاعدة المحنطة .

ولا أحب أن أدخل في عرض هذا الزوغان عن متن القواعد إلى الهمش والسماع ، بل اعتمد هذا القول المختصر المختصر في الطول الذي يقال في هذا الصدد : « المعلم هو الكتاب الحي اجمالا . وهو قاعدة القاعدة في تدريس العربية ، به تكرة وبه تحب ، به تصعب وبه تسهل . من أسلوبه في تدريسها وانطلاقه لسانه فسي فصيح تعبيرها ، ولياقته في اعتماده المتون الصريحة روحا لا نسا ، وتطبيقا لا حرفا ، في هذا كله تجد القواعد العربية طريقها إلى العقول الناشئة بشيء من الوضوح والسهولة .

لنشر بعض الامثلة على هذا التيسير :

١ - في تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف يجب أن يتدارك المعلم تعريف الاسمية في نوعها : الذات والمعنى فيشدد على كثرة اعتماد الصفة موضوعا بالعربية وعلى انزال هذه الصفة منزلة المسند مرة والمسند اليه مرة أخرى . وربما كانت هذه الصفة تتناول المنزلتين في آن واحد . ومن فائده صناعته الاشتقاق فقد بقي غريبا عن العربية .

٢ - الاعلال . هذا الاعلال متاه الطلاب وحجر العثرة في طريقهم إلى القاموس ، لماذا لا نسميه « دار التجميل » في العربية ، ابداً بالفكرة التي كان من اجلها؟ ولماذا لا نعين الطالب على اعتبار هذا المدعو اعلالا انه مجرد



نسيم نصر

هذه اللغة ...

بقلم نسيم نصر

منذ ان راجت سوق المعرفة وامتدت فوق الشرق العربي افاق العلم الحديث ، اخذت الحاجة إلى مراقبة التطور الحضاري العام ، تلح على بلدان هذا الشرق أن يخلصوا من لغتهم أداة طيعة للتعبير عن مختلف جوانب الحياة الحديثة ، وأن يعودوا بها من مآهاتها الحرفية إلى جواد الكلمة العبرة في امانة ووسر ووضوح .

وفي سبيل هذا التجديد الذي لا بد منه كانت طلائع المحاولات والآراء في فجر الانبعاث شغلا شغلا لبعض كبار اللغويين من امثال احمد فارس الشدياق والشيخ ابراهيم اليازجي ، والتي ما تزال قائمة ، في قلب هذه النهضة الحديثة ، على همة بعض المتفهمين في فلسفة اوضاع اللغة العربية وقواعدها ، من امثال العلامة الشيخ عبد الله العلايلي والدكتور انيس فريخه والمحامي يوسف السودا والشاعر سعيد عقل وغيرهم ممن القوا في هذا السبيل . ولكن جديد هؤلاء المؤلفين الكبار ، على ما فيه من خصب وتوليد وبث حياة ، يبقى ملكا للمطالع والمناظر إلى هذه اللغة في غير مسؤولية طالب أو مسؤول عمن درس . بينما تستمر حاجة المدرسة الحديثة إلى كتاب القواعد الحديث قائمة لم يظهر فيها حتى اليوم ، مما يفي بحاجتها لمواكبة اللغات الراقية في طريق التطور والنمو والعطاء .

قال ان يتو ف اللغة العربية مجمع لغوي او ما هو

الكافي لترويض اللسان على النطق الفصح بالحسرف العربي ، ولا تعمل على تذخير الذاكرة كما يجب بالمفردات العربية . وكثيرا ما يصل الطالب الى أعلى الصفوف الابتدائية ، وربما الثانوية ، وهو لا يحسن قراءة مقطع شعر أو نثر قراءة فصيحة تتناغم فيها المعاني والألفاظ فينطق واضح .

ولقد ثبت بالاختبار الطويل ان مهمة معلم العربية في المدرسة الابتدائية توشك ان تنحصر في سعيه الى تنحية اللغة العامية ، قدر المستطاع ، عن لسان الطالب الابتدائي ، وان يعرّنه على كتابة العبارة في شيء من السلاية والوضوح ، في تعاريف قصيرة متكررة . ولكي يؤتي جهد المعلم ثماره يجب ان يحسن اختيار كتب القراءة اذ على حسن هذا الاختيار يتوقف توجيه الطالب الى نوعية من التعبير والتفكير مرضية .

ولا بد في هذه المرحلة ، من اعتماد القراءة المشوقة الى جانب القراءة الهذبة . فالطالب الصغير لا يستغني عن مقومات الخيال التصويري الى جانب مقومات الفكر التقريري ، لينمو المركب الانساني نموا متناسبا الاجزاء متالسف العناصر .

وهكذا تساعد اللغة على تنمية الطالب في معانيه الانسانية بفعل الانصباب على القراءة بلذة المستفيد . اما المرحلة الثانوية فقوامها من متناولات اللغة العربية اعانة الطالب على تنمية قدرته على التحليل ، وقدرته على الاستنتاج ، وقدرته على ضبط اعصابه ليبلغ اخر هذه المرحلة سنا سوي : يستوي عنده المنهج العربي وغيره من المناهج ، نسبة ما عنده من الطاقة الطبيعية والملكات المكتسبة في سنوات التعليم الثانوي

نسيم نصر

إبدال أو حذف ، تسهيلات للنطق باللغة العربية في أسر ما يكون من الصوت اللين . مع تصويب النظر الى ان هذه الاحرف الثلاثة المعروفة بأحرف العلة هي « احرف صوت » تأتي تمديدا لهذه الحركات المصوتة .

٣ - المفعول به لفعل محذوف ، وهو الاسم المنادي أو المختص أو المحذر منه أو المخرى به أو المستثنى . فإذا كشفنا الطالب عن بلاغة الإيجاز وعن عامل المفعولية البادي معنى ان لم يظهر لفظا سهل فهم هذه الوجود من الاختزال التعبيري البليغ .

هذا قليل من كثير من مواطن النظر في تيسير القاعدة العربية تيسيرا لا مساس له بجوهر اللغة وإنما يتناول اعراضا ترسبت فجعلت قواعد ، غير ان هذه القواعد لا تتعدى تشویر اللغة الى ليابها .

ولئن كان طالب مدرسة الامس قد وجد في هذه القشور مادة صالحة للماء فراغه المدرسي ، وللاشتغال باللغة كفاية لا كوسيلة ، فان طالب المدرسة الحديثة يضيق بها صبرا ، ولا يستطيع ان يستوعب « اراجيز الصرف والنحو » ومطولات التأليف فيهما « كعلم » لانيما بعد ان فرض عليه قدر تحصيلي موسع منوع ينتهي به الى شهادة ثقافة عامة اسموها « بكالوريا » . وهكذا تزداد يوما بعد يوم ، حاجة طلابنا في مدرسة عصر السرعة ، الى حل هذه العقد اللغزية التي أصبحت قواعد بمرور الزمن على تسميتها كذلك .

ومما يزيد في مشقة تعلم هذه اللغة ان المدرسية الحديثة ، على الرغم مما تحاول من اعتماد المبادئ والمفاهيم التربوية والتعليمية الحديثة ، أخذت تعتمد على الحصة الزمنية التي يجب ان تكون من نصيب اللغة العربية . كما انها ، أي المدرسة الحديثة ، لا تعبر مرحلة التأسيس ، أي المرحلة المعروفة بالابتدائية ، الاهتمام

دنیا من الالام

وبقيت استمدي روى الصمت
بمسارح الاحزان والموت

اثوب يخفي مديدة ودما
منى .. ففصت مهجتي اما

متدفق ، ينساب ، في جسدي
لدم ياطش جبهة الابد

فاذا انسا بمسارح الكون
عمري بكل لوايح الحزن

عبد الرحمن عبد الله

أوصدت ابوابي ونافذتي
فاقلنتي بجناحه ، وكبا

مر الزمان على منحصر الا
ايصرت فيها قطرة نزت

ونظرت مسرورا الى جرح
فضمده ونظرت مكتشبا

وفتحت ابوابي ونافذتي
دنيا من الالام مثلها

واد مدني - السودان

انا ووطني

افسر سمائك لم امدد يديها
بعدت عليك ، لم تبعد عليا
ولست على سواك به خفيا
فلا تقوى على نظرك اليها
وبي ترنو الى الدنيا مليها
لتبهر كل شيء بي جليها
عققت بذاك ام كنت الوفيها
كانت كنت ارضعها نديها
ولا تكفر بروحك وهي فينا

سكنت ذاك يا وطني ايها
قربت من السماء ، فان تجدني
مطل ضحاك للدنيا مكاني
كانت فوق جفنتك مستقر
كانت فوق عيني ، لا تراني
اتحرك لا تبصرني ولكن
علوت على علاك فهل تراني
رباك الشم غدت كبريالي
فلا تكسر ايسارك في عروقي

سمعت الهس من جفني دويها
لتدعها جرفتها به ايها
تفجر من حجرها سخيها
واطلق منها نفعا شجيها
اترجمني لثرائني صبيها !!
وعلى صفاك منك فينا
لمن عرفني صفت لغريها
وما اكثرت منك ايا ايها
برفتها وغدت اصفريها
لما عنت حكمه وشمعت غيا
فدعني منك يا انسي غيها
بان تلقني به في ممعها
بالبان الخلو طلع الجاني عليا
ويقني كنزك القالي خيها :
ونجمتك ليس تبصره سنيها !!
ويليس زهره النامي حليها
ومني لم لذل شفاك ربيها
كما عنت على الكاس الحميا

صمت ولو انتك بعض حسي
لأوسع للتبوع ، فبان ليله
وكم من صخرة دحرت نبيع
فلذوب قلب فسوها حنيها
كبرت عليك يا وطني ، فماذا ؟
فدعني واقفا في في نفسي
اتيا القار الفني عن الخلسي
عبدت من الطبيعة فيك امها
فسموت علي فاحضنت نبوي
وبان الفرك بكمها لغني
فها انا سائر في هدي امي
ولا تخجل اذا اعياك امير
فان البسر لا يناء خنمي
الكشف في الوري عن كل كنز
وترصده للتجوم بكل افق
للم من ربيك كيف يزهره
ميلانك فانتشت دنياك مني
وما عني عليك بذاك الا

اصبح به افق يا ليل هيا
فحصت عليك حلمها عقرها
خلعت بانها سجدت لديها
بغيري ان ختمت لها حيا
بوجه علاك ، بل انا حيا
ولا اسقيه فورة مدمعها
لصهره ويظفره نقعها
فسالت من فهي لا مقتعها
وفيك كما سكنت سكنت فينا
فحببي ان اكون بك الحفيا
وابقي فيك يوم اموت حيا
وحقك ان تجل وان تحيا

جفاني ليلك الالهني نديا
اذا قصت عليك به الحكايا
تقاضي التجوم له كاني
تسامخ بي لدى دنياك واخشع
تسراني الله لا جفنا حيرا
اجل هواي عن نزوات قلبي
التي ادبي رجعت بدمع جبي
فدسل كم دمهة لست بياني
ميلانك وامتلات بك امتوازا
ونم اسالك بي فظ احتفاء
ولا يغميك حتى الموت عني
وليس عليك لي ما عشت حق

فارس سعد

الواجهات الزجاجية ، ولكن لم يكن من السهل الشعور على عتبة بسين الصب والدمى التي لا تحصى . وبين الحين والحين كانت تبرز لنا واحدة بين الاواني الفضية ، او في وسط معرض للمواد الفولكلورية .

وتبتسم لنا فتاة شقراء شعرها مشدود الى عنقها، وتقول : « معذرة ! » وترفع الى علو يديها لوحا دوارا . ثم تتابع قائلة : « ليس لدينا غير هذه » . هنالك علبتان موسيقيتان . وتفتح احدهما حالا ، فتساعد منها موسيقى عذبة جدا ، غير ان الطباعة الانجليزية على الغلاف تمثل صيادين يتودون كلابا بالناود . وفي احدى الزوايا بين الاعشاب طير حجل يحتضر . كلا ، ليس من الممكن ان نجب هذه العلبة . ثم تعرض البائعة العلبة الاخرى على انظارنا الفاحصة وتقول : « لعل هذه افضل » .

ويوصفونها بلطف في متدليل صغير، ثم تعضي تتحدث عن مزايها هذه العلبة وتلك ، منبهة ابانا السني خصائصهما ، وتقول : « هكذا تجري التمتعة ، على هذا النمط » ، وتجذب الدودة الموسيقية لكل منهما بحيث تعملان معا بضع دقائق . وانه لاسر جدا ان نصفي الى الموسيقى في وسط هذه الثروة كلها : حتى الان وهي تتوقف عن الكلام بسبب الموسيقى ، تكشف عن طبع دمث وديع ، فهي منهية دائما للاصفاء الى كل من يقترب نحوها . وهنا تعرض امكانيات لا خبير لها لانتقاء هدية . وبينما نطرح من حساب مواضعنا الحسكة العلبة الثانية ايضا لانها على شكل القلب ، تقول الفتاة : « اكيد » . ثم لتلا تجرح حساسيتنا بضيف قائلة : « ان ما لدينا من هذه العلب الموسيقية قابل لانها لم تعد من موضة هذه الالام » . وبجراة اكثر قليلا تقول هذه السيدة المنتهية الباردة ان من الافضل ان تنتقي للهدية متدبلا حريريا للرأس، اواسطانة موسيقية، او ترانزيستور . ثم تعرض علينا كل

الذي يشيره العاين . وتفتح النافذة دفعة واحدة، وبعد ان تنفخ ملء رئائنا نرتدي المعطف، ونلف حول ذاتنا واعنائنا الشمال الحريري ، وبحجة عدم معرفتنا شيئا سوى الوقت الذي نحن فيه نقذف بانفستنا في المدينة المصابة بالدوار ، كسماك تبحت عن الماء . كذلك يفعل الناس عندما يشعرون بالسامة . وفي احد هذه الالام يحدث لاحدنا ان لا يعود يشعر بانه يافع ولا طفل ، فيتلفت حوله فانظا كما لو كان ينتمي الى انسانية منسية . ونحن هنالك ، بعيون جافة لا تعرف التعب ، نلق نجوما ونلصق على الورق نفاثاتنا المألوفة .



الكتابة الإيطالية ورجينا انيزليني
ترجمة عيسى الناعوري
http://Archivebeta.Sakhril.com

اما في ذلك النهار فاني لم اكس افكر في طفولتي ، فقد كانت بالنسبة لي عمرا بعيدا غير حقيقي . وما كان ليخطر ببالي قط ان يكون ما يزال في شيء من الخوف القديم ، او من سهولة التعجب من كل الاشياء ، تلك السهولة التي لا تصدق . لقد بدت لي تلك الفكرة غريبة ومجردة من الاهمية . وكان قد طلب السني ان ارافق احد الاشخاص الى المتاجر ، وكان الغرض من ذلك انتقاء هدية : علبة موسيقية ، لصديقتة عزيزة بعيدة . وانصرف همي الى النظر في

ذلك احساس يمر بالمرء في العشية التي تسبق احد الاعياد ، فكان الزمن يستطيع ان يهييء لنا دفعة استراحة نستمتع فيها طمأنينة لا نستطيع تحديدها ، فننطلق في خيالات مبهمة ، ونشعر بالحرية العميقة حتى في حركاتنا العادية جدا او المتوسطة الاهمية ، كوضع شيء في مكانه ، او تقليد صفحات كتاب .

اما اذا كانت تلك العشية هي التي تسبق عيد الميلاد فان ما نحس به عندئذ هو الشوق القلق ، فلدينا امور مشتركة نهتم بها ، كتهنية هدية مثلا، الا اننا نخلع على ذلك اليوم وعلى تلك الهدية اهمية عظيمة . ان تلك انهدية ، كالنجمة التي تعود عبر الاف السنين الى هناك في فلسطين ، يجب ان تصل اليها مقلقة ، وبكامل كهنتها وجمالها . فماذا اقول اذن اليوم ؟ ان جميع اسرار الميلاد مكشوفة لي . منذ سنين عديدة كانت لي هديتي : وكانت تبدو لي في ذلك الصباح قريبة الى جانب السرير ، وقد احضرها لي احد الناس سائرا بقدمي حافيتين خلال الليل لتلا يلقف منامي . كانت تلك الليلة متمادة في الطول ، وكانت بيضاء جدا ، الا انها سرعان ما توارت في عتمتها وفي سرها دون ان تخلف شيئا آخر .

انه لعمر مختلف كل الاختلاف . واني لانظر الى السماء ولا افكر في اكثر من اماكن تغطية الارض بالثلج قبل المساء ، فذلك المشهد الناصع البياض ضروري لي ، وان لم يكن ممكنا ان اتبين من خلال نافذتي ضوءا خافتا يثير كوخ بيت لحم ، بل ارى بدلا منه شعلة متوهجة من الانوار الكهربائية .

والان انني ارى في احدى غرف القصر المقابل لي شجرة سرو تتدلى من اغصانها قصبات طويلة وكرات من زجاج منقوش . وبين الفينة والفينة يتوقف بعض الاطفال لحظة امام الزجاج، ويخيل الي انني اسمع حتى هسهسة السرو عندما يحركها الهواء



الحب القاتل

للعلبة ثمن ، او هل لها اسم ، او حلم
- ولو لبضع ساعات - قائم على
العدم ، او على عالم معمر ؟ من
يدري ! - ويقول الصوت ان العلبة
مبيعة ، ولكن في وسعنا ان نراها
بكل تأكيد . انها اصيلة ... وها
نحن نسمع اغنية لطيفة تأتي من
بعيد . فتيات الفيشا يمضين نحو
النهر ، نحو مكان ليس فيه موت ،
حيث الحياة بين تزاويق الفراشات
ليست انقل وزنا من الشخصاش
المنحني تحت السماء ، او من
الفحكات التي تنغز الرياح . كيف
لا نشعر بالهزيمة ، ونستغرق في
التأمل الصامت ! لعلك تفكرين في من
كنت تودين ان تهدي اليه هذا الصوت،
اما انا فافكر في نفسي ، لكن بجميع
اشواق المخلوقات التي مضت في
اعماقي ، في غمرات السعادة
والتعاسة - لا فرق في ذلك ! - لقد
كان الزمن ايضا حكاية فريدة ، مظفة
بهذه الموسيقى التي تتباعد ، وتترتب .
وهذه العلبة الموسيقية هي ابشرا
اذا لا مثل لها في التغلب على
المصير المتساوي المفروض على البشر ،
على من كانوا رفاقا لنا فيما مضى
ولكنهم لم يعودوا اليوم من اصدقائنا .

ان من العسير ان نعود الى واقعنا
الآن بخطى غير واقعية ، وان نبتهد
عن هذا الجو بعد ان داعب غناء هذه
العلبة احاسيسنا .

وعدنا الى الآلة الموسيقية الحمراء ،
تلك امينة لنا : لقد استسلمت
ببسر وسهولة الى اليد التي اخرجتها
من محبسها ولقتها بالورق لفا محكما
بين شريطين مقفولين . وفي الهواء
ظلت تتصاعد انغام العلبة الاخرى
مثلثانية في هدير سرمدى . لقد
كانت الطفولة ما تزال معنا الهمة
حثة ، فتحت لنا زاوية من النور
على طفولتنا . وفي تلك اللحظة كانت
قد اطيقت علبة الموسيقى اليابانية ،
وتوقفت عن ترجيع انغامها الحلوة .

عيسى الناعوري

عمان

واكثر يا مناي بعريس
وداعبت الشفاه بقلبتين !
مخضبة بشمس المشرقين !
طلعت به عيوني طعنتين ! ...
فجردنا على كخنجرين ...
وها اني رفعت انسا اليدين !!

احبك ملء قلبي ملء عيني
شعورك غابة كم تتهت فيها
شفاهك غيمة بنت العشايا
ويقتلني قوامك وهو رمح

سللت المقلتين للذبح قلبي
فها انسي انا سلمت حالا

رياض معلوف

زحلة

هذا في الدنيا الذي رفض ، واي
مهرجان ! - ترتفع انغام الفالس
نمساوي - يا لالاف لسان في التلم
فيما من التلم في الفالس ...
اقرب منه اذني ؟

كم مضى من الوقت ؟ لقد مضى
منه ما يكفي لكي تتراكم الثلوج على
جانب الطريق ، وهناك اناس يرتدون
الان مشيمعات من البلاستيك لتقيهم
زخات المطر والثلج ، والوحل منتشر
في كل مكان . ونحن نترك خلفنا انغام
موسيقى تانغو ونمضي تحت الثلج
بسرعة واسى ، وبغضب ايضا لانه
لم يخطر لنا ان نبتهه ، اعني ذلك
الفالس النمساوي في العلبة . وبينما
تتناثر الانوار دون رجاء في طريق
ضيقة من احياء المدينة القديمة المهجورة
اذا بها تبرز امامنا ... ! انها علبة
موسيقية يابانية ! وعليها بطاقة
صغيرة مكتوب عليها بضع كلمات في
وسط القماش العتيق ...

ونسمع صوتا بخاطبنا - وهن
يمكن ان يكون غير ذلك ؟ ثم هل

ما في واجهتها زجاجية من ذلك .
وتنظر البنا بلطفها الذي لعلها كانت
تتحلى به في ما مضى - لا اقول
هذا بمعنى ان الناس كانوا من قبل
اكثر لطفا منهم اليوم ، بل لانها هي
نفسها ليس لديها السرعة المألوفة
حين نعيد وضع اشياها وتحسن
عليها ، وتغض عنها الغبار ، وبالتالي
تلمس عالمها الخاص اللصمة الاخيرة
- ونظرنا هذه لا تخلو من الخيبة ،
فكانما تريد ان تقول لنا ان ما نفكر
فيه لا يسهل تحقيقه ... ولكن اي
علبة موسيقية ؟ واين ؟

لعلها في واجهة زجاجية اخرى .
في متجر اخر ، حيث تعرض على
انظارنا مجموعة من الاشياء غير
المخصصة للبيع ، موضوعة هناك
منذ لا ادري كم من السنين !
وعدنا فوضعنا املنا الوحيد في
علبة حمراء مصنوعة من جلد مغربي
جيد . انها لفحة ، ومن علبتها
تنبعث حرارة لبيب في مدينته ، ومن
قلبها - وهل هناك ما هو اجمل من

العوامل التي أدت الى تحرير آسيا وافريقيا

بقلم محمد جميل بيهم

سجنارب من اجل حقوق الامم الصغيرة ، وحرابتها .
ثم اوضح هذا الرئيس ، المخلص للمبادئ الانسانية ،
اسس السلام التي يريد ان يحققها بعد نهاية الحرب
وذلك برسالته الشهيرة التي وجهها الى مجلس الشيوخ
في ١٨ / ١ / ١٩١٨ ، والتي تضمنت مواده الاربعة
عشرة المعروفة .

غير ان الدكتور ويلسن كان في واد ، والطفاء في
واد . فلما وضعت الحرب اوزارها وتم لهؤلاء الانتصار
الشهود كان مثلهم كمثل القوم الذين وصفهم القرآن الكريم
بالآية : « واذا غشيهم موج كاهطلل دعوا الله مخلصين له
الدين ، فلما تجاهم الى البر ، فمتمهم مقتصد ... »

وقد قلبى الدكتور ويلسن دعوة حلفائه المتحيرين . وجاء
الى باريس واشترك في مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ . ولكن
حاول عبثا اقناعهم بان يقرر المؤتمر المبادئ الاربعة عشر
التي كان وضعها كأسس للسلام . على انه وان لم ينجح في
هذه المحاولة فقد اصاب نجاحا في ناحية اخرى كان المرحلة
الاولى من مراحل تحرير الشعوب . فقد كان هذا الرئيس
حرصا على قيام جمعية للامم بعد نهاية الحرب تشرف
على تحرير العناصر . وقد اعرب عن رايه هذا في خطاب
القاه بنيويورك يوم ٢٧ ايلول ١٩١٨ قال فيه : « وعندي ان
تأليف جمعية الامم وتعيين الغرض منها تعيينا صريحا يجب
ان يكون جزءا من الصلح نفسه ، بل اهم جزء فيه . » فما
وسع الحلفاء الا مسابقة امريكا في هذا المطلب واقتراده ، في
مؤتمر الصلح ، تأليف عصبة الامم هذه العصبة التي وان
لم تستطع الاستقلال عن نفوذ الحلفاء من بعد الا انها
وقفت موقف الحكم في القضايا السياسية العالمية .

وقد اتيج لي ان اشهد بنفسى احد موافقها هذه حينما
ابرتت اليها بوصفى رئيسا لجمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية
شاكيا من القضية الافرنسية لاقدامها على حل المجلس
التباي اللبناني سنة ١٩٣٢ . فقد نظرت عصبة الامم في
دورها وقتئذ الى هذه الشكوى ، وطرحتها على الكنت
روبير دوكه الممثل الفرنسي المناقشة (١) .

والى هذا فقد كان لهذه الحرب ، ولاشتراك امريكا في
مؤتمر الصلح مائة اخرى في تقدم قضية تحرير العناصر .

(١) انظر تفصيل ذلك في الجزء الثاني من كتابي « قوافل العروبة
ومواهبها خلال العصور » صفحة ١٠٤ .

كانت الحروب حتى القرن الحاضر حروبا موضعية تقع بين
دولة ودولة فيكاد العالم لا يشعر بها . ولكن القرن العشرين
شهد ما لم يشهده الناس من قبل : حربين عالميتين ماذا
عسانا نقول عنهما وقد عشناهما اذا كان زهير بن ابي سلمى
وصف قتالا بين قبيلتين بقوله :

وما الحرب الا ما علمتم واذتم وما هو عنها بالحديث المرجسم
على ان الذي يهمننا في الموضوع ما كان لهاتين الحربين
من العواقب في القضاء على الاستعمار .

الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ - ١٩١٨

اشتكت الدول الاوروبية بحرب طاحنة جعلت المسكونين
الحلفاء والمحور يتطلع كل منهما الى المزيد من الانصار
خشية سوء المصير ، وقد بسمت الحرب في السنين
الاولى لمانيا زعيمة المحور فصق الحلفاء وهم اركسان
الاستعمار ، وراحوا يظلقون الوعود الخلافة في اجزاء
المستعمرات ، كما تطلق الصواريخ الان ، ويستعملون شتى
الاساليب لاسترضاء اهله . وتوجهوا بانظارهم من ناحية
اخرى شطر امريكا بغية اخراجها من عزلتها .

لقد كان من الصعب زحزحة واشتغل عن شريعة مونرو ،
خصوصا وانها كانت لا تزال تنحس بمبادئ وثيقة
الاستقلال التي وضعها الرئيس جيفرسون . ولكن الحلفاء
واليهود وراهم ، في اوربا وامريكا ، لم يمشوا بل طفقوا
بضربون على الوتر الحساس حتى قضاوا على معارضة
الرئيس ويلسن ، وقضاوا بالتالي بمعاونته على معارضة
الكونغرس ، وجروا الولايات المتحدة الى الحرب . وكان
مدار دعوة الحلفاء لامريكا بدور حول الدفاع عن بلجيكا
والسرب ، وتحرير العناصر في تركيا والنمسا وبقسا
'ابادي جيفرسون التي كان يتبناها الرئيس ويلسن .
وفي يوم ٢ نيسان ١٩١٧ ، ذلك اليوم الذي صوت فيه
الكونغرس على دخول الولايات المتحدة الحرب ، وجه هذا
الرئيس رسالته الثانية الى الكونغرس ، وقال فيها بطبيعة
قلب :

« ان القانون شيء اعلى من السلام . ولذلك سنحارب
دفاعا عن المبادئ التي كانت دائما اثم من حيات قلوبنا .
سنحارب من اجل الديموقراطية ، وسنكفل للذين اذلمهم
الاستبداد الحق في ان يكون لهم راي في توجيه حكوماتهم .

ذلك بأن الدول المنتصرة لم تستطع ممارسة العادة التي كانت مألوفة من حيث استيلائها على بلاد العدو المحتلة ، بل اضطرت للعدول عن هذا الأسلوب إلى سلوك طريقة جديدة أطلق عليها اسم الانتداب وكان على درجات ثلاث معقدة أن الغاية في هذا الانتداب اعداد تلك البلاد للاستقلال . وكانت كل دولة منتدبة ترفع إلى عصبة الأمم سنويا تقريرا عن القطر الذي يقع تحت انتدابها . وهذه الانتدابات وإن اساء المنتدبون استعمالها حتى حولوها إلى استعمار من نوع جديد ، إلا أنها ، في الواقع ، جاءت من حيث القانون خطوة شطر الاستقلال ، كما أنها ، فتحت بابا مرجع أعلى ، وهو عصبة الأمم المشرفة على الانتدابات كانت البلاد المنتدب عليها ، تدخله كلما اضطرت للشكوى .

وأما المآثرة الكبرى لهذه الحرب فقد صدرت عن تكوثر الحلفاء بوعودهم للشعوب دون مبالاة ، ذلك التكوثر الذي كان حافزا لها للانتفاضة انتفاضة المارد ، وتلقى الضربة اثر الضربة فتزبدتها هذه الضربات حماسا . فاذا بالحقيقة التي مرت بين الخريبن العالميتين تسمي حقبة صراع شديد بين المستعمرين المتغنين على مصيرهم ، وبين المستضعفين اللطولين على أمرهم الذين يشهدون الحياة الحرة . تلك الحياة التي يحلمون بها ، والتي وعدوا بها .

الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥

تنفس الحلفاء الصعداء بعد انتصارهم على المحور في الحرب العالمية الاولى ، وظنوا بانهم ادركوا هدفهم المنشود بتأمين حياة الاطمئنان . ولكن الضغط يؤدي إلى الانهيار ، فقادا بالمانيا التي هدمتها الحرب تنتفض من تحت اقالها ، ويرز إلى الميدان هتلر المارد الجبار على رأس النازية ، وإذا بإيطاليا التي سحقها الحرب أيضا تنتفض ، ويتنصب موسوليني على رأس الفاشستية حالما باعادة عظمة الرومان . فعاد الصراع بين الفريقين ، كرة أخرى ، إلى اوروبا وعاد إلى اسوء مما كان عليه قبل الحرب العالمية الاولى . ثم تخفى هذا الصراع عن حرب عالمية ثانية كانت اشد هولاً من الاولى . وكان هتلر يحسن الدعايات ، مما حمل الحلفاء على ان يأتوا بأحسن منها .

ولكن الشعوب لم تعد تصدق الوعود الخلابية كما من قبل . فكيف العمل والحرب الثانية شرعت تسم لبرلين وروما منذ اولها ؟ ان الخطر الشديد اذا احاق بالانسان يوقف ضميره ، ويوحى اليه وسائل الخلاص . وربما كان الحلفاء ، وقد احاق بهم الخطر الشديد وقتئذ ، فكروا بالخلاص ، ولكنهم إذ يعرفون ان الشعوب لايحسن الظن بهم على اعتبار ان المرء لا يبلغ من حيز مرتين فقد فكروا بشارك واشتغلن في الوعود الجديدة . فاذا بالمشايخ الاطلنتي يداع في الافاق موقعا من فرانتلان رزوزلست وونسون تشرشل بتاريخ ١٤ آب ١٩٤١ بعنوان : « المبادئ

المشتركة لكل من بريطانيا العظمى والولايات المتحدة في السياسة الوطنية التي يبنيان عليها مستقبلا افضل في العالم » . وقد جاء في المادة الثالثة من هذا الميثاق ما يلي : « احترام حق جميع الشعوب في اختيار شكل الحكم الذي تود العيش في ظله ، وترغبان في ان ترعا حقوق السيادة والحكم الذاتي معادة إلى الذين نزعتم منهم قسرا » . واذا بوعود أخرى كلها اغراء تنشر في كل مكان . وعلى كل لسان .

ولقد انتهت الحرب العالمية الثانية على حسب ما كان يبشر به تشرشل في غضون الشدة . انتهت بنصر الحلفاء أيضا ، وانتصب الميزان بعدها . ففي كفة منه شعوب تذكر بالوعود وتطالب بتحقيق امانيها القومية ، وفي كفة أخرى دول تتردد مشفقة على مصيرها أن هي تخلت عن مستعمراتها ، وحرمت بالثاني من استيلائها واستثمار ما اقامته فيها من منشآت وشركات ، ولولا ان تبدل التوازن السياسي (ستاكيو) ، حول الزعامة العالمية السياسية ، بعد الحرب العالمية الثانية ، من حوزة انكلترا وفرنسا إلى قبضة امريكا والاتحاد السوفياتي لما رجحت كفة الشعوب الحكومة المظلومة .

الانقلاب في التوازن السياسي

انتهزت انكلترا وفرنسا وامريكا وانصارها على المانيا وايطاليا واليابان ومؤيديها ، وكان المفروض بعد ذلك ان يزيد هذا الانتصار الكبير كلا من لندن وباريس عظمة على عظمة الشعوب المظلومة الاولى . ولكن الامر جاء على عكس ما هو منظر . فهانئ الاميرطوبرتان اللذان كانتا قبل الحرب تعتبران في المرتبة الاولى ، بين الدول ، بل في ذروتها انحدرتا ، من بعد ، إلى المرتبة الثانية ، وعانتا من عواقب الحرب ما عانته الدول الخاسرة حتى لم يعد في استطاعتها الوقوف على ارجلها الا بالاستعانة بعكاز اميركي . واذا بدولتين جديديين كانتا من قبل في شبه عزلة عن اوروبا تحتلان مكانهما ، وتصححان دونهما في مقام الصدارة ، واعني بهما الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي .

وهذا الانقلاب في التوازن السياسي العالمي كان له اثر بالغ في صعيد تحرير البشر من الاستعمار . ذلك بان هاتين الدولتين ، اللتين احتلتا الصدارة في العالم مكان اعظم امبرطورتين مستعمرتين ، وان كانتا تختلفان كسل الاختلاف من حيث المبدأ الاجتماعي ، إلا انهما كانتا ، على وجه عام ، متفقتين على مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها . وقد تلقا على وجه عام لان موسكو كانت تحرض على ان يطبق هذا المبدأ خارج البلاد التي تدور في فلكها ، ولان واشطن والمربطة بالحلف الاطلسي كانت رغم مبادئها السياسية الطيبة تضطر لتأييد المستعمرين حلفائها مرعاة لاماني هذا الحلف ، فتبدو وكأنها كبيرة المستعمرين .

أحلام الفجر

واعلها بالدهن شائلة الفكسر
توهمتها حال الكرى ليلة القدر
فاحسنت ان الصدر ماج على الصدر
في الامل الخلو التوج للتفسر
شعوري فانهل الرصين من الشعر
في الحب في وصل الحبيب وفي الهجر
غداة رمت سهم القطيعة والقدر
ولقلب دقات تم عين السر
تسيل على الخدين في مدع يجري
دموع الاسى حتى سكنت الى الصبر
الى الصدر في وجدصموت على الاثر
اسائل نفسي : اين ليلى ؟ فلم ادر !
اد اسلفتنا للششات يد الدهر
ظليقن في جسو الحياة من الاسر
وليت حيالي كلها سنة الفجر
تقلبت بالوصل العفيف على الوزر

تظوف بي الاحلام في سنة الفجر
تمخضت الايام عن فجر ليلة
وظوفني من طيف ليلاى ساعسد
وسى فدى فاما فولعت فيلسفة
وانفاسها مسكية النثر انمشست
فرست اناجها وافشن موعربسا
واشكو هواني يوم شط مزارعسا
ولدمع في بث الشكاسة حرارة
وما منطقى في البث الا لواعسج
فهدت بنانا كالحرير وكفكفست
ولما ناعهدنا ومالت تضمستي
فالعيتني فسوق الفسراش بمفردني
غداة على الدنيا ، غداة على الهوى
فما الحب الا خافسج جنب خافق
الا لست احلام الحياة حفاق
وحسبي من طيف الحبيبة اني

سلامه خاطر

القاهرة



وكان محور السياسة الروسية في هذه الحرب الباردة يدور حول مخطط مثبث التواحي قوامه الدعوة الى السلام، المنافسة الاقتصادية ، وتأييد الشعوب في نضالها ضد الاستعمار الغربي .

والواقع فان تأييد الاتحاد السوفياتي للشعوب التي انتفضت ، او ثارت على الاستعمار ، وذلك بالمال والاختصاصي ، وفي المحافل السياسية لم يزد لها نشاطا وحماسا فحسب ، بل ان هذا التأييد الذي جاء في ظروف هي في اشد الحاجة اليه كان حافزا لها ، رغم خوفها من الشيوعية ، للانحياز الى صف موسكو ، وان بررت هذا الانحياز بزعمها انها تقف موقف الحياد .

وهكذا فان الثورات والحروب ، وما نتج عنها من تبدل الافكار في أوروبا ، وتبدل التوازن السياسي مهدت كلها الطرق ، ومهدتها لتحرير العالم المستعبد ، ولكن هذه العوامل الملائمة كان يمكن ان تذهب هباء منثورا لو ان الشعوب المغلوبة على امرها ، لم تبادر الى سلوك هذه الطرق بعزم وثبات وتضحية ، مكتسبة الفرص المؤاتية . وهذا ما ستحدث عنه في مقالنا التالي ، الذي نستعرض فيه نضال الشعوب في سبيل الاستقلال . » وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى » .

محمد جميل بيهم

والواقع ان هذا العرج من قبل واشنطن وهذا الاستثناء من قبل موسكو وان مدا في اجل الاستعمار الا ان قيام هاتين الدولتين مقام الامبرطوريتين المستعمرتين في صعيد زعامة العالم ادى خدمات كبرى للشعوب المناضلة في سبيل التحرر ، خدمات ما كانت لتبرز لو ظلت لندن وبساريس تسيطران على مقدرات العالم ، كما كانتا قبل الحرب العالمية الثانية .

وهذا الانقلاب في التوازن السياسي الذي وقع فسي اعقاب هذه الحرب رافقه انقلاب اخر في مجرى الصراع القديم بين الشرق والغرب ، فبعد ان كان الصراع يدور بين آسيا واوروبا اصبحت روسيا في لغة السياسة زعيمة الكتلة الشرقية ، بينما اضحت الولايات المتحدة الاميركية زعيمة الكتلة الغربية . وكما كان لهذا الصراع من فوائد في اجهاز على الاستعمار ؟

نشبت بين الكتلتين حرب باردة ، ولكنها ، في الواقع ، كانت حربا حامية طالما هددت العالم ، ولا تزال ، بالخراب الياب . وقد سال سائل برناردشو وذلك قبل تقدم علم الذرة الهيدروجينية ، واكتشاف الصواريخ ، عما سيستعمله المتحاربون في الحرب العالمية الثالثة من الاسلحة ، فقال « لا ادري ، ولكنني على يقين بانهم سوف يعودون فسي الحرب العالمية الرابعة الى استعمال العصي والحجارة » اشارة الى الخراب .

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من العروة الوثقى في لندن

* * *

قرأت في احد اعداد مجلة « اكونتر » اللندنية مقالة للاستاذ برنارد لويس بعنوان « الشرق الاوسط ضد الغرب » ، وهي فصل مأخوذ من كتاب له بعنوان « الشرق الاوسط والغرب » . وقد لاحظت من قراءتي لهذه المقالة ان انتشار الثقافة الغربية في بلاد الشرق الاوسط احدث في بادئ الامر انكماشاً عنها مدة من الزمان ثم اقبل العرب والمسلمون عليها حتى اتقنوا تدريجاً عن مصادر الثقافة العربية الاسلامية ، ثم تجاوزوا عنها . وكنت اطلقت على هذا الانصراف عن الثقافة الاصلية كلمة (التجافي) المعروفة الآن في الاصطلاحات الغربية وغير الغربية بكلمة Attention في مقالة سابقة نشرت في هذه السلسلة . وهذا التجافي معروف في اوروبا منذ القرن التاسع عشر ، وخصوصاً بين رجال الفكر والشعبيين ، وقد امت الى ذلك في نهاية ذلك المقال . واذا وسعنا عصر النهضة في اوروبا بانها عصر تحرر الفرد العاقل والعصر السابع عشر بعصر التنوير ، والعصر الثامن عشر بعصر الرجل الطبيعي ، والعصر التاسع عشر بعصر الرجل الاقتصادي والسياسي ، فان العصر العشرين هو عصر التجافي وعصر انقضاء عرى الاتصال بين الفرد وماضيه ، مما ادى الى فقدان الفرد طمأنينته النفسية ونقطة الارتكاز التي تقيه من التلوح في مهايي الفوضى الفكرية وعدم التبعية الثقافية .

والتجافي في العصر الحاضر له نواح مختلفة . منها اولاً التجافي عن الماضي . فان الانسان يكون انساناً بالعنسى الصحيح اذا اجتمع فيه الماضي مع الحاضر ، حتى اذا قلعت منذ جلدور الماضي اصبح كياناً اجوف وقد نفسه وشخصيته بل ان استعمارها بالماضي يجعله يثور على الحاضر عند الحاجة ، واذا فقد ذلك الماضي فقد قدرته على الثورة وقدرته على الابداع والتغيير والاصلاح المثالي .

ومنها ايضا التجافي عن المكان والوطن ، فقد كان الانسان في الماضي يثبت هويته بالانتماء الى مسقط راسه ، كما كانت عادة الادباء والعلماء العرب اذا انتسبوا . وكان هذا التعلق بالوطن حينما كانت وسائل السفر والتنقل غير ميسرة عليه الان . اما اليوم فقد زالت الحواجز والحدود بين المواقع الجغرافية ، وزالت معها روح الانتماء وطبيعة التحيز في منطقة دون اخرى ، وادى ذلك الى انسياسك الناس في بوتقة واحدة لا يكاد المرء يجد بين انسان وآخر

فروفاً كالفروق التي كانت توجد بين الناس في العصور الماضية .

ومنها ايضا التجافي عن الطبيعة ، لان الانسان في هذه السنين اصبح منقطعاً على الاحتكاك بالطبيعة من ارض ، ونبات وحيوان وبرد وحرارة ، وذلك كله بسبب التطور الصناعي اولاً وانجراف الناس نحو المدن . وشاهد هذا التطور حتى في اللغة المستعملة ، فاللغة عموماً في اوائل عهدها تأخذ معانيها من الطبيعة ، وتكون امثالها وحكمها اقرب الى الحيوان والنبات والظواهر الطبيعية . ولكنها بتقدم الانسان صناعياً وابتعاده عن الاحتكاك بالمخلوقات غير الانسان تفقد هذه الخاصية المميزة ، وتصبح خالية من تلك العبارات والتشبيهات القائمة على صور الحيوانات والنباتات والظواهر الطبيعية . ولندكر للتدليل على ذلك مثلاً او مثالين . فالعرب ، اذا ارادوا ان يصفوا شيئاً بالتعقيد قالوا : اعقد من ذنب العنب . ولكن من منا الان يستعمل هذا التشبيه الا في ما ندر ؟ وقس على ذلك .

ومنها التجافي عن الاشياء ، او عن الاملاك الثابتة الغير المنقولة . ومعلوم ان الانسان في الماضي كان يعتمد في توطيد كينونه على الارض والبيت قبل كل ذلك . اما الان فقد استبدل الانسان ذلك باسمه فسي الشركات او بالاموال المستثمرة في المشروعات المختلفة ، بل انه استبدل ذلك بسيارات او آلات . وزاد من شدة التجافي هذه في بعض البلاد الغربية اقبال الشباب خصوصاً على شراء السيارات والتنقل فيها من مكان الى مكان .

هذه بعض فواحي التجافي الذي يمتاز به العصر الحاضر في العالم كله ، لا فرق في ذلك بين شرق وغرب . ولكن اخطر هذه النواحي تجافي الانسان عن ماضيه ، وهذا اول ما جرى في البلاد العربية بعد انتشار الثقافة الغربية ، ولا شك ان النواحي الاخرى اخذت تفعل مفعولها ايضا في هذه البلاد ، وسيؤدي كل ذلك الى تحلل الفرد من كل الروابط وانفكاكه من الصلات الثقافية الاصلية ، فيزداد فردية على فرديته . وقد يصيبه ما اصاب الفرد الغربي الذي اصبح اشبه ما يكون بريشة في مهب الريح ، يخاف من حرته ويقلق على مستقبله ، ويقتطع من ان يكون لحياة مغزى له قيمته . ولبيت الفهماء والمفكرين في البلاد العربية يتعظن بهذا الدرس ، فيسعون منذ الان الى ايجاد دعائم تمسك شخصية الفرد من الانهيار . وافضل ما يعمل في هذا السبيل ، كما ينصح « روبرت نسبت » في كتابه « كميونتي اند باور » هو تقوية روح الجماعة . وينصح الشاعر الانكليزي البيوت للادباء ان يوطدوا دعائم الثقافة الغربية عن طريق تقوية اسس هذه الدعائم ، وهي التراث الاغريقي والروماني والمسيحي ، وهذا ، بالقياس ، واجب على الادباء العرب ، وخصوصاً الفهماء والمفكرين منهم . ولكن كيف يتسنى لهؤلاء القيام بهذا الواجب ، اذا كانوا هم انفسهم قد اصبوا بمرض التجافي واتقطع حبل الوصل

رحيل السنو نو

حينما نصف ارباح الغرب
وبواري الصيف في ريس الزمن
ترك الاوكار بالدمع الدرب
في ميون ، علقت ارض الوطن...

... واذا ما شيعت اوكرها
وقدت تنساب في بحر الفضاء
حملت اشواقها تذكراها
صور الفجر ، واحلام المساء...

كيف تنسى ، كلما ذكرها
خاطر يطر في تلك الجسر
حيث شادت في الامالي وكرها
وفقت فيه اسابيع العمر...

... يا طورا خشيت برد الصقيع
رافقت سربك اشواق القل
عاودينا ان نذا العلو الربيع
وبدا البرعم والقصم اكتمل...

لنتقي بعدد فراق وشينات
في الحمى اهل هوى ، او اصدقاء
خفتت قلبا فينا نسيمات
فشدت ارواحنا لحسن الوفاء...

محمد شمس الدين الحامي

فانه يقسم المفكرين الى ثلاثة اقسام : (١) المفكرون الادويون ، وهم العلماء النظاميون الذين يوفرون لنا بابحاثهم العلمية الاداة او الادوات للتحكم بالحيط . (٢) المفكرون المنظومون ، وهم الفلاسفة ، وفلاسفة العلم النظامي ، ورجال الدين واصحاب النظريات القانونية . (٣) المفكرون المهومون وهم الزعماء الدينيين كالانبياء والشعراء والادباء والمؤرخون ورجال البحث في الموضوعات الانسانية ، الذين يؤثرون في المجتمع بآرائهم التي هي اقرب الى الالهام . ويقول المؤلف ان المجتمع يكون مجتمعا له مميزاته بكونه مبنيا على اسس فكرية وثقافية ، ومتى كانت هذه الاسس شاملةقمة كان المجتمع ايثم وادوم ، لان اختلاف الاسس الثقافية في مجتمع ما تحدث فيه توترا يفسخه ويفككعراه . ولذلك فمن واجب المفكر ان يحاول ايجاد اسس فكرية ثقافية جامعة تضم اطراف المجتمع وتوحد بين جوانبه واجزائه وتخفف من حدة التوتر الداخلي فيه . وهذا يتطلب من المفكر ان يكون محايدا بين جانب وآخر في هذا التوتر ، حتى يتمكن من ايجاد تلك الاسس الفكرية الثقافية الجامعة.

حسن الكرمي

لندن

مايتمهم وبين ثقافتهم ؟ والذي يظهر لي ان الفهماء والمفكرين في البلاد العربية قد تخلوا عن هذه المسؤولية ، بل عن كل مسؤولية ، كما جرى لامثالهم من الفهماء والمفكرين في البلاد الغربية . وتفسير ذلك ان تجزء الاختصاص في البلاد الغربية لم يدع للفهماء مجالا واسعا يجولون فيه ويبحثون القضايا الفلسفية الشاملة ، بل حصر كلا منهم في حيز ضيق منعزل عن الحيز الاخر ، وبذلك انحصرت النظرة وضائق . هذا من جهة واحدة . ومن جهة اخرى فان جماعة الفهماء التي كانت معروفة في القرن الثامن عشر في فرنسا وفي القرن التاسع عشر في روسيا قد دخلها اناس ذوو اتجاهات فكرية مختلفة ، ودخلها ايضا مفكرون ومثقفون وادباء لا ينتمون في الحقيقة الى جماعة الفهماء كما عرفناهم ، وانما دخلوا في غمار هذه الجماعة بسبب تنوع العلم والمعرفة وازدياد عدد المتعلمين من فلاسفة وعلماء طبيعيين على اختلاف انواعهم وادباء وكتاب وصحفيين وتقاد ادبيين واساتذة جامعات ومعلمين في الجرائد وفي الاذاعات وغير ذلك . وبهذا اختلط الحابل بالنابل وصار الكتاب في الوقت الحاضر في الغرب يستعملون كلمة (انتليجنشوال) (مفكر) بدلا من كلمة (انتليجنسيا) . ثم اختلفوا في من يجب ان يطلق عليه كلمة (مفكر) من بين هذا الجيش العرمرم من المتعلمين ، واختلفوا ايضا بالطبع في تعريف (المفكر) . وقد قرأت فصلا طويلا في كتاب للاستاذ بير عن هذه النقطة ، ذكر فيه المؤلف امثلة عديدة من التعاريف التي اوردتها المؤلفون لكلمة (مفكر) . ولا اريد ان اضيع وقت القارئ في تربية هذه التعريفات لو ذكرتها له ، ولكن الذي لاحظته ان جملة المؤلفين التي يظهر ان كلمة (انتليجنسيا) قد استبدلت الان بكلمة (انتليجنشوال) ، ولو ان الاستاذ ريمون آرون يستعملها كثيرا في كتابه « افين المفكرين » . اما انا فساظلل استعمالها بالمعنى الذي شرحت في اول مقالة من هذه السلسلة ، ولكنني ساستعمل كلمة (مفكر) بمعناها العمومي ، اي بمعنى الشخص المتعلم الواقف على الماضي والحاضر والقادر على ابداء الرأي كتابة وخطابة بلغة ادبية . واذكر بهذه المناسبة ان الاستاذ مونتغمري وط من جامعة ادنبره في سكوتلندة ، صاحب التأليف عن النبي والاسلام ، اف كتابا عن الغزالي بعنوان « مفكر مسلم » ، صدره بفصل عن وظيفة المفكر . وعرضه في هذا الكتاب ان يجيب عن سؤال مهم وهو : اذا قبلنا بان مجرى التاريخ تقررده احد بعيد العوامل الاقتصادية والمادية ، فلماذا تكون قد تركنا من دور لعبه الفكر الذي بضاعته الابتكار والاراء ؟ ولا يفرق المؤلف بين الفهماء (انتليجنسيا) والمفكرين (انتليجنشوال) ، بل يعتبرهم جماعة او طبقة واحدة وان اختلفوا فيما بينهم . والفهماء او المفكرين في نظر المؤلف هم بمقام العوامل الروحية في الامة ، لانهم هم حملة الاراء والافكار التي يقوم عليها كيان الامة . ومع ذلك

سرعان ما مضت الأيام .. الأ شهر
ثم .. مضى عام .

حبها يزداد وينمو وهي تستعيد
حياتها البهية اليومية .. أمها
الطيبة الحليمة العظيمة النشطة
والتي نرعاه وظلها باجنته الحب
والحنان عكس والدها .. التاجر
الصارم الفارع الطول الشديس
النحافة والجهامة والعبوس ال ..
ماذا تقول ؟ يخيل لها انها لا تقدر
على البوح حتى بينها وبين نفسها
ان تقول القتر البخيل .. تسمع
خالها كثيرا ما يردد لامها .. قائلا
انه ربح أموالا طائلة وله رصيد لا
يستهان به في البنوك ومع ذلك ..
ثم تتحجر صوته غصة عندما يشير
الى الصحف التي امامهم وهو مدعو
الى الغداء . العجيب ان والدها
لم يزرقا بغيرها ومع ذلك فهي
تتوق الى ارتداء اللباس الانيق
الزاهية الالوان الغالية الثمن والى
طعام ترى يسلما بعد ذلك الى ناعس
العافية والصحة .

اذن .. فان بيتها لم يكن احسن
البيوت وبودها ان تنتقل الى بيت
آخر من صنعها وحسب مزاجها ..
وقد عرفت شريكها واختارته وميزته
ووضعت في حنايا قلبها واغلقت
عليه .. في اول صباها غازلها ابناء
الجيران .. خفق قلبها خفقان
الزهور والاعجاب وارضى ذلك
غرورها .. اما الان بعد ان اكملت
العشرين من عمرها فقد احسنت
وعرفت ما هو الحب .

مرة .. وفي خلال العام الاول ..
تذكر ان الشركة قامت برحلة الى
ضاحية .. وبعد ان رافقها نيسل
الى ناحية بعيدة اسم اليها .. انه
احيا وقد اعلن عن عاطفته بكلمات
رقيقة حالة لا تنساها وتستعيدھا
كثيرا في خلوتها ..

همس اليها وهو يرشق فسي
شعرها السبط الفاحم ورده بيضاء :

هذا الشيء الدفين الذي لا نراه لكننا
نحسه يضي على النفس العكاسات
تسلما الى اجواء عليا حالة .. بعضها
يصنعه غرورها وبعضها بيته فينسا
الاخرون .

وارتدت هبة الى الواقع مسرة
اخرى عندما وجدت انها فسي
طريقها الى ركوب القطار الذي
يوصلها بعد ساعة اليه .. واختارت
ركنا منزويا من المركبة واطلت من
النافذة وشاهدت القفول الخصبة
النضرة وتنفست نفس الراحة ثم
اغضت عينيها ، الى ثوان ، وفتحتها
ثانية لتستأنف استعراض الصور .
كانت تقضي في الشركة جبل



بقلم هدى جاد

ARCHIVE
http://archive.net/

اجبت عملها .. مما قربها الى
رئيسها وزميلاتها .. اذا
اطلقت ضحكة فهي من قلبها واذا ما
غضبت فانحت من اغضبيها بكلمات
رقيقة موجهة ترجمه اليها .. اكثر
محبة وتمسكا بها .

انها بسيطة ... صادقة .. طيبة
اما هو فماذا تقول ؟ كان منطويا ..
ومع انطوائه كان يخرج حديثه ناعما
منمقا مهذبا .. فاذا ما غضب -
وهو شيء نادر - لا يثور .. لكنه
يقطب حاجبيه ويقضي .. ولا يكلم
احدا .. حتى نفسه .



أقلت آخر نظرة الى خيالها فسي
صقال المرأة .. وابتمت .. انها
الآن في اوج زينتها وحسنها ...
كان ذلك دأبا دائما عندما تخرج
للقائه .. اما الان .. اليوم ...
فيجب ان تتزود باشياء اخرى اعرق
وابعد مدى .

اغلقت باب حجرة نومها برفق ،
هذه الحجرة رفيقتها .. التي
تيها - وخاصة في الامسيات
لواعج قلبها الفتى الحار .. ثم
ابتمت للمرة الثانية .. حيثاما
وبكلمات رقيقة قالت .. ادعي لي
يا امي ثم رفعت يدها الرقيقة
الحلوة وابتمتها تزداد اتساعا
.. اعرف .. اعرف انك احيانا
بل وكثيرا ما تقومين من نومك
لتدعين لي .. لكنني اليوم ...
اليوم بالذات ارجو ان تتجهي الى
ربك ليشد ازرعي وبخيتي .

وتحار الام الطيبة ثم ترسم
ابتسامة على محياها المضيء ...
ابتسامة وجلة نائمة فتسالها ما هو
الخبر يا ابنتي ؟

فتقول الابنة بعد ان تقرص وجنة
امها : اولا تعرفين ؟

وحينما يستقبلها الشارع بضججه
وثأه .. تلوح امامها بعض الصور .
بعضها لوحات تفتت هي نفسها
في رسم شخصها ومزجت باناملها
القلقة الحارة بعض الوائها .. وحلا
لها ان تفاخر ببعضها .. اما بعضها
الاخر والذي كانت تريسد ان
تضيف اليه او تحذف منه بعض
الشاهد والالوان فقد اقتعت نفسها
بان هناك من اترابها من يعيش بلا
صور ولا الوان ..

اوائل هذه الصور .. انها بعد
ان حصلت على شهادتها الجامعية
والتحقت بشركة - متوسطة ذبوع
الصيت - عرفته .. نبيل .. لم
يكن اوسم الزملاء او اكثرهم طولا
او عذبا .. لكن كان فيه شيء

هبة .. تعلمين اني احبك .

تذكر تماما ان اهدائها الطويلة
رفت ثم نحت يوجها بعيدا وقلبيها
يخفق وابتناسمتها الضيقة يزداد
انسائها .. فامسك بيدها واكل
حديثه وهي شبه مخدرة : مرتبسي
يكاد يغطي مصاريقي .. اريد ان
ااهي لك عشا لا يكفي الحنان والحب
لاقامته - ثم اشار بكتله يديه - بل
المادة .. المادة يا هبة يجب الا
نستعين بامرها .. نستطيع ان
ننجب ونحزن غير هيابين - و ...
وبأحلامها ومشبوب خيالها تذكر
انها اجابته قائلة : اتریده صبيبا ام
بنثا ؟

فيقبل يديها خاشعا .. ويجيب
بضحكة خافتة : تقصدین اول
الطابور ؟ لن تكتفي باقل من اربع .
رجعت في بيتها في ذلك اليوم
.. وهي سعيدة مرتاحة البال
مطمئنة الى نوايا حبيبها .. وقد
انصرم العام الاول .. وال .. ثاني
وها هما في منتصف العام الثالث
تقدم الى ابيها الكثير من الشباب
.. والرجال .. المتوسطي العمر ،
ودافعت عن نفسها مرارا بحجج
بعضها مقنع وبعضها واهي وقد
سبب ذلك مشاحنات كثيرة بينها
وبين والدها .

وفي يوم .. من بداية العام
الثالث .. فوجئت بان نبيل قد
انتقل الى فرع اخر من الشركة
بعرتب مضاعف .. خالجه مزيج
من شعور الجور والكتابة .

تيقنت ان السبب في تأخير
ارتباطهما في طريقه الى الحل ...
لكنها لم تستطع ان تقنع نفسها
بانها في استطاعتها التعود على
فراقه .. لقد الفت فراق امها
وابيها .. حتى وقت الظهيرة ..
لكن حبيبها وتوهم زوجها كيف
تستطيع ان تؤدي عملها دون ان
ترفع راسها من امام اوراقها لتتزوج

بنظرة - ولو عابرة - من محبها
كيف تستطيع ان ترجع الى بيتها
دون ان يصاحبها ويحميها نفسي
الطريق من ضجيج المارة والعربات
كيف تستطيع ان تبدأ عملها اليومي
دون ان تلقى عليه بشية الصباح ؟
عندما كانت تستقبلها امها -
وقت الظهيرة - كانت تسألها هل
تفبرت مواعيد الرجوع ؟
لانها لم تعلم انها بعد - ارهاق
العمل - تسير مسافة ليست
بالقصيرة حتى تلقى به وهو خارج
من محل عمله الجديد .



هدى جاد

في اول الامر .. هاله تصرفها
المندفع .. الوفي .. ثم - بمضي
الوقت - استمره واخيرا ، مله
وزهد فيه .

وقد احسنت هي بذلك وراجعت
نفسها وقالت وعزتها تضيقها وبعض
الام يوغر قلبها : لعلي ترخصت .
وراضت نفسها على الا تراه الا اذا
رغب هو في ذلك .

ثم عاشت .. كالالة تعمل ..
كمحتزة تجري وراء لقمة العيش
والغريب ... الغريب انه من

خلال فترة فراقها .. بدأ اول
يحادثها بالتليفون ثم - تدريجيا -
قلت الكلمات .. واخيرا كادت
تنقطع ..

لكن من بضعة اشهر حدث ما لم
يكن في الحسبان .. لم تعرف
محبة الاب وقدر مكانته الا عندما
نهشت جسمه الامراض .

لقد اسر الطبيب الى امها مجدرا:
زوجك وهب عمله كل صحته .. لم
يعد فيه الا انفاس تتردد .. تلزمه
الراحة التامة .. لكن حتى هبده
لا استطعت التكهين بنتيجتها .. هذه
الفترة لا تستطيع ان تنسها ...

فقد منحتها الشركة اجازة طويلة ..
وفي اثنان مرض ابيها تقاربت
روحاهما .. تذكر تماما احاديثه
الابوية الحنونة المتقطعة .. الصادقة
التي بادلها اياها بشقة .. لكن
متى ؟ بعد فوات الاوان ، فالمرض لم
يعمله كثيرا حتى قضى عليه .

وها هي الان .. تشارك امها
بيتا حزنا .. ينقصه سعال الرجل
وصوته الاجش .. تركت عملها
نهائيا لتستقبل حياة جديدة .

ثم نهشت .. يا لها من صور ..
تلك التي استعادتها .. القطار
يقترب من المحطة .. ضجيج الركاب
يعلو ويصخب .. تفتح حقيبة
بدها وتمسك بالمرآة الصغيرة
لتستوق من انقائها وان غبار
الطريق لم يطف شيئا من زينتها .
وتسير في طريقها اليه .. الى
نبيل ، لكن الصور في هذه المرة
تتخذ شكلا اخر .. انها تذكرها
بلوعتها وكدها وانها هي الصادقة
الامينة المخلصة في حبها .. لم
تجد في صدر حبيبها شيئا ...
احاديثه عذبة طلية لكنها تريد الشيء
الاخر .. هذا الجمال تمسكت ان
بصدر من قلبه لا من لسانه .. ليست
مثله .. تجدد فن الحديث بخلوته
وتتميمه .. فهي بسيطة تستطيع

ان تقول له بسـ اـجـة .. لماذا لا تفتح قلبك كله على مصراعيه لادخله واكتشف ما فيه ؟ انني املك على كل خيايا نفسي .. ماذا اكلت اليوم وما الذي ساشتريه وما الذي اتفقه وما الذي سادخره وصدقتي هذه تقول لي هذا الكلام وخالي ينحنني بكلمات جوفاء لا معنى لها . اما انت فلا تفعل شيئا الا ان تطري جمالي .. هذا الذي سيزول في يوم من الايام فلا تجد شيئا تحددني عنه ..

انها تخيله يكرس لها نفس الابتسامات ونفس التعليقات . وسرعان .. سرعان ما تشاهده عن بعد .. يجلس في شرفة الكاريتو الذي تواعدا على اللقاء فيه . النظارة القائمة تما وجهه فلا يبقى من لاملحه الا جزء من الانف والحواجب .. اما فمه وجهته فهي تراهما بوضوح .. تمشي بخطى متلدة وتحس بخفقان قلبها .. هذا القلب عذبا واضناها واسلمها - ليالي كثيرة - الى ارق لا دواء له .

تصنعت الرزاة وقالت : كيف حالك ؟ بعد اليها كلتا يديه .. مسلما ويقول : كم افتقدك يا هبة ؟ تريد ان تستوضحه قائلة : لماذا لم تسال عني وانا امرض والدي مع انك تعرف بيتي ؟ تسترد نفسها وتجب : شكرا . بتامل مجيهاا الجميل ويقول : كنت افئلك لن تحضري فقد تاخرت كثيرا ..

وقول لنفسها : لعلك نفوتت علي في ذلك التاخير .. بعد يده ليمسك اصابعها .. وعندما تحس بالتيار الكهربائي يرتجف بدننها وتمالك نفسها فتمسك حقيبتها تعبت بها . بدورها تتامله ثم تعقب لنفسها : لست اوسم

الرجال ولا اتفهم ولا اخلصهم .. لماذا احببتك كل هذا الحب لماذا .. لماذا ؟

يراقب صمتها ولا يدري بلواضع نفسها فيبداحدثه الحلو قائلا ثلاث سنوات وانا انتظر تلك اللحظة .

تحس هي بقوتها .. التسي استمدها من دعوات امها واعتراقات ايها .. فترفع راسها وتقتصب ابتسامة .. ثم تسلم نفسها الى صمت جديد .

يعاود غزوه .. ما اجملك يا هبة .. ما اجملك .

وفي الحال تذكر حديث ايها الطاعن في اوله .. الواضح في اخره .

لقد فتح لها مغاليق قلبه وقال : اعرف يا ابنتي انك تحبين زميلا لك بالشركة اسمه نبيل زميلكما الاخر رؤوف اطلعتني على اشياء كثيرة .. انه كايبي فقد كان والده .. رفيق طفولي لك لا تعلمين .. وان علمت لا تريد ان تدركي .. نحن هكذا ندفع أنفسنا لانتا نريد ان

نحطم ما صنعناه بايدينا لقد ابتدعت لنفسك نموذجا رائعا لغتي احلامك وتصورتيه في نبيل ومعا ساعد على انماء خيالك رفته .. التي تحمل في طياتها الخداع .. والنفاق هذا الشاب يلاحق النساء التريسات يعرف انك وحيدتي وان لي مدخرات كثيرة وطالما انا على قيد الحياة لن تملكي شيئا .. انه ينتظر موتي .. لقد سال عن كل صغيرة وكبيرة مما سيؤول اليك واسر بكل ذلك الى رؤوف ليس هذا فحسب .. فقد سبقك الى اخرات - واستعدى لهذه المفاجأة - تزوج بعصهن وخذع ووزر واستولى .. الان .. اخفتي قلبك يا هبة ولا تهبيه لهذا الافاق .. كل صرامي وجهادي .. كان من اهلك ولم يبق لي كلمة الا .. سامحنني ، لكن صوني ثروتي

وهيها لن يستحقها .. تعيد تاملاتها الى وجه الحبيب التامع وتقول : ماذا كنت تقول يا نبيل ؟

يسمع نبرة جديدة في صوتها فيصفي اليها ويتعجب لكنه يقول : ألم يحن الوقت كي تزوج ؟ الا تذكرين وعدي ؟

تلملم افكارها ثم تدفعها مرة واحدة وتقول : في فترة فراقنا .. لماذا لم تسال عني وعن مرض والدي والاسباب التي دفعتني لترك الشركة - ثم ترفع يدها - بالله عليك لا تقل انك كنت مشغولا .. فكل انسان يعمل .. له اوقات عمل وفراغ .

اريد ان اهمس لك بكلمة اخيرة .. هذه الفترة التي تقبعت فيها عنك غسلت قلبي .. وشفتي وعرفتني من انت ؟ لعلني الخامسة التي اقتحمت حياتك .. اليس كذلك ؟ نعم ورتت يا عزيزي ثروة طائلة لكنك لن تقاسمني اياها .. لانك مخادع .. متناق .

ويروع الشاب فيسألها مهجور الانقاس : ما الذي دهاك ؟ ما هذه الاتهامات ؟ هل جئت ؟ ... ثم يرجع ثانية لنعمته - هل نسيت غرامنا .. وعدنا .. ألم اهلك الحب ؟

وتجب : نعم اهديتني اياه باقات باقات ..

والان لم يعد لدي ما اقله .. يؤسفني ان اخيب ظنك فاصبح في فترة وجيزة متيقظة شافية من حبك .. ثم تدبر له ظهرها خافية ما في قلبها من لوعة وما في نفسها من مرارة وما في عينيها من دمع محتبس ..

تسير .. وتسمع اسمها يردده صوت مشحوق هبة .. هبة .. هبة .

القاهرة هدى جاد

قلعة الحصن

وتأشبت أسوارها كعريين
أركانها فوق الذرى بمكين
تاج الفخار يشع فوق جبين
شان القرين ملوحاً لقرين
عرضت لها وتهزها بيمين
متشوقاً لضحية بخنين
راياتها نشرت حدار كعيين
مجنونة فني عاصف مجنون

رفعت دعائهما بصدق يقين
ربضت بأعلى ذروة وتوطدت
قامت على رأس الجبال كأنها
وسمت مشارفها تشير إلى الهوى
وتكداس تلمس ذيل كل سحابة
في كل ركن دونها وقف الردى
نشرت بيارفها كان سفينة
مخرت مصفقة الشراع وزمجرت

بلسان صدق كالنهار مبين
في منطق حلو البيان أمين
وتراه يوجز تارة كضنين
مكيونة وأنى بكل نمين
جرت البلاغة دونه بمعين
غير الإشارة عن أسى وشجون
والقول بطويء لبوه كدفين
ومن الغرائب لم تحط بجفون
عين لعراف كثير ظنون
لوساوس عرضت وبرج اثنين
سحب طواها عاصف بيمين
عصفت وفرت بعددها لكون
لجوارح فني عارض مسنون
فلق الصباح يشب ملء عيون

أحجارها التاريخ قام محدثاً
يروى جلال مآثر لمسائل
تلقاه آونة يفيض بشرحه
أن طال اشفى في الصدور حزانة
وإذا بمختصر جرت القافلة
ومن العجائب لم يكن استبانة
ما ينطق التاريخ لبين بخط
حصن إمارته النية عينها
يستطلع القدر المحيق كأنه
أو أنه عين العصور تشوقت
تجري الليالي دونته وكأنها
وجحافل الأيام ومضة بارق
حصن تسامى عاليها كعمشش
شاخ الزمان حياله وشبابه

ساحابها يوماً بكر قرون
غرر الضحى في عينها كدجون
كبرا ولم تطرق براس حزين
والدمع ملء أذائع وجفون
جمع البيان وشف عن مكنون
ما لا ينال مفرد بلحون

وسعت مدارجها القرون ولم تضق
وتشابهت أيامها حتى غدت
صبرت على شظف الزمان ومره
واستعصمت بسكونها من عزة
ولرب صمت من شجي موجد
صمت الكتيب ينال من نفس الفتى

عدنان مردم بك

دمشق

من افعال الحلقة الدراسية في اسهام علماء العرب في العلوم النفسية والاجتماعية (الجامعة الاميركية بيروت - ديسمبر سنة ١٩٦٢)

الدراسات السيكولوجية في مصر

بقلم الدكتور يوسف مراد

دكتوراه الدولة في الاداب من السربون
استاذ علم النفس بجامعة القاهرة سابقا



الدراسات النفسية في مصر المعاصرة (١٨٧٥ - ١٩٦٢) نشطت في السنوات الاخيرة نشاطا ملحوظا ، واتسعت ميادين تطبيقاتها في التربية وفي الاختيار والتوجيه المهني وفي الارشاد النفسي . ولكي نقدر بصورة دقيقة سرعة هذا التقدم ، ولكي تكشف عن مدى اسهام علماء النفس العرب في البحوث السيكولوجية ، يجدر بنا ان نعود الى اواخر القرن التاسع عشر واولائل هذا القرن ، وان نتتبع الخطوات الاولى التي مهدت السبيل للدراسات النفسية التجريبية وان نربط بينها وبين الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت بالبلاد .

وبما ان علم النفس في صورته العلمية التجريبية لم ينشأ في اوروبا ، وفي ألمانيا خاصة الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فانه يصبح من المؤكد الا نجد للدراسات النفسية في الشرق العربي اثرا يذكر حتى بداية القرن العشرين . غير اننا سنحاول الاشارة الى الجهود الاولى التي بذلت لنقل بعض المعارف السيكولوجية الى القارئ العربي وادخال مبادئ هذا العلم في مناهج الدراسة في معاهد المعلمين .

وبما ان التسمية العربية التي نطلقها على هذا العلم الناشئ وهي « علم النفس » هي الترجمة الحرفية للفظه سيكولوجيا ، تثير اللبس في اذهان العامة فتجعلهم يخلطون بين الدراسات السيكولوجية وما يسمى بالبحوث الروحانية ، فانه يجدر بنا ان نشير بايجاز الى المفهوم العلمي لعلم النفس وذلك بذكر الخطوات الاولى الرئيسية التي اوتت الى نشأة علم النفس بوصفه علما تجريبييا .

وبفضل هذا التوضيح ستفعل الاشارة الى كل ما يدخل في دائرة البحوث الروحانية ، اذ انها لا تمت باية صلة الى البحوث السيكولوجية العلمية ، وكل ما في الامر انها قد تكون موضوعا للبحث من حيث هي ظاهرة سلوكية تدخل في دائرة البحوث التي تتناول الخيالات والاهوام والهولوات وعمليات الايحاء الذاتي والايحاء الجماعي وما

اليها من الظواهر الذاتية (١)

يرى بعض مؤرخي علم النفس الحديث ان الدراسات السيكولوجية لم تدخل طورها العلمي التجريبي الا منذ عام ١٨٦٠ عندما نشر فخر في مدينة ليزر في النمسا كتابه « مبادئ السيكوفيزيكا » ذي دراسة العلاقة الكمية بين المنبه والاحساس او كما يقول المؤلف « العلم الدقيق للعلاقات الوظيفية او علاقات التبعية بين الجسم والعقل » (٢) وكان فيسر قد سبقه في دراسة العلاقة بين المنبه والاحساس غير ان فخر هو الذي صاغ قوانين فيسر صياغة رياضية . والخطوة التالية في تدعيم الاسس التجريبية للدراسات النفسية حققها عالم الماني آخر هو فوننت « ١٨٣٢ - ١٩٢٠ » عندما انشا في جامعة ليزر اول معمل لعلم النفس التجريبي عام ١٨٧٩ . وقد اشار منذ عام ١٨٦٢ في كتابه عن نظرية الادراك الى منهجه في دراسة علم النفس اذ يقول ، ان علم النفس يبدأ بالاستبطان ولكنه يستعين بمنهجين مساعدين هما اجراء التجارب والتاريخ الطبيعي للجنس البشري (٣) . وهو اول من تحدث عن علم النفس التجريبي ، واكد بعكس ما كان يذهب اليه هربارت ان المنهج التجريبي قابل للتطبيق في الدراسات السيكولوجية . وقد اقام الدليل على ذلك في كتابه « علم النفس الفسيولوجي » (١٨٧٤) . ثم في سلسلة البحوث التجريبية التي اجراها هو وتلامذته في معمله والتي نشرت في مجلة « الدراسات الفلسفية » التي انشأها فوننت عام ١٨٨٢ وهي اول مجلة مخصصة لنشر البحوث السيكولوجية .

والاثر الثاني في تاريخ علم النفس من حيث هو علم اخضاع دراسة الاحساس والادراك للمنهج التجريبي والتعبير عن النتائج بطريقة كمية ، ثم جاءت الدراسة التجريبية لعمليات الحفظ والتذكر مع ابنجهاوس (١٨٥٠ - ١٩٠٩) وتطبيق منهج الاستبطان التجريبي على العمليات العقلية العليا في جامعة فريزبورج بالمانيا باشراف كولبيه (١٨٦٢ - ١٩١٦) . وقد قام ببنائه في فرنسا وودودوت في الولايات المتحدة الاميركية ببحوث مماثلة . ونشطت في فرنسا الدراسات في ميدان علم النفس المرضي مع شاركو ورينو وجانيه ، وفي انجلترا في مجال الفروق الفردية مع جولتن هذا فضلا عن

نشرت الاديب في عدد يناير ١٩٦٤ « الدراسات النفسية في سورية » بقلم الدكتور فاخر عاقل . وعلى اثر نشر هذا البحث وردتنا عدة رسائل من القراء يطلبون فيها متابعة نشر سائر التقارير التي بحثت في الحلقة الدراسية المذكورة . ولما كان بحث الدكتور يوسف مراد من اهم ابحاث الحلقة فقد اترنا نشره في هذا العدد رغم طولته الذي حال دون نشره في باب « جوهل الاديب » . وبما يذكر ان الدكتور يوسف مراد تقرر عليه الحضور الى بيروت ، وقد اتفق ملخصا لهذا التقرير نيابة عنه الدكتور سيد بدوي استاذ الاجتماع بجامعة بيروت العربية .

الدراسات التي تناولت سيكولوجية الحيوان والطفل .
عند انتهاء القرن التاسع عشر يكون علم النفس قد دعم
أسسه العلمية التجريبية بإنشاء المجلات والعامل وأصبح
يدرس في الجامعات الأوروبية والأميركية بوصفه علما
يحتا كسائر العلوم الأخرى ولم تبدأ حركة التطبيقات
السيكولوجية إلا في القرن العشرين (٤) .

أما في مصر فالمحاولات التي بذلت في عهد محمد علي
لنقل العلوم الحديثة ونشرها كانت معظمها محصورة في
دائرة التعليم المتخصص لخدمة الجيش ، فتعمدت
المدارس العسكرية . وكان الغرض الأساسي من إنشاء
مدارس الطب والصيدلة والولادة والطب البيطري
والزراعة والهندسة تخريج الفنيين الذين تحتاج إليهم
الالة العسكرية التي أنشأها محمد علي (٥) وباستعراض
الكتب التي ترجمها الشيخ رفاعة بك الطهطاوي وتلاميذه
الذين تخرجوا في مدرسة الآلن ، يتضح لنا أن معظمها في
الفنون الحربية والهندسة والطب وبعض كتب الجغرافيا
والتاريخ . أما العلوم الإنسانية والفلسفة فكان حظها
ضئيلا ، نذكر منها : (٦) .

كتاب قلائد الفاخر في غريب عوائد الأوائل والآخر ،
تأليف دينج وترجمه رفاعة بك - طبع سنة ١٢٤٩ هـ .
كتاب تاريخ قدماء الفلاسفة ، ترجمه رفاعة بك ، طبع
سنة ١٢٥٢ هـ .

كتاب المنطق ، تأليف دي دومارسي ، ترجمه رفاعة بك
طبع سنة ١٢٥٤ هـ .
كنز البراعة في مبادئ فن الفلسفة ، ترجمه خليل
محمود ، طبع سنة ١٢٥٤ هـ .
تربية الأطفال ، تأليف كلوك بك ، ترجمه مصطفى رسي
الجركي ، طبع سنة ١٢٦٠ هـ .

أما التعليم العام فكانت حالته سيئة ، فبخلاف
الكتائب لم يكن في سنة ١٨٦٣ في القطر المصري سوى
مدرسة ابتدائية ومدرسة تجهيزية ، وأخذ التعليم
العام ينشط إلى حد ما بعد أن أعيد فتح ديوان المدارس
في سنة ١٨٦٣ وبدأ الاهتمام بتعليم البنات فأنشئت
المدرسة السننية للبنات في سنة ١٨٦٧ ، ولأعداد المعلمين
أنشئت مدرسة للمعلمين باسم دار العلوم لتخريج معلمي
اللغة العربية في سنة ١٨٧٢ ومدرسة المعلمين النورمال
لمعلمي العلوم والرياضة والآداب سنة ١٨٨٠ ومدرسة
المعلمين التوفيقية سنة ١٨٨٨ ومدرسة المعلمات السننية
سنة ١٩٠٠ .

ولم يكن علم النفس من بين المواد التي كانت تدرس
في دور المعلمين ، وحتى علم البدياجوجيا لم يبدأ
بتدريسه إلا منذ عام ١٨٨٦ ، ولم يظهر اسم علم النفس
في المناهج إلا سنة ١٩٠٦ ، ولكن كجزء من مواد التربية
لا كعلم مستقل له ورقة أسئلة ودرجة خاصة في الامتحان
فكانت أسئلته ودرجته تدخل ضمن أسئلة التربية

وورقتها ، وكان نصيبه في خطة الدراسة ضئيلا جدا لا
يتعدى درسا أسبوعيا واحدا في السنتين الأخيرتين (٧) .
وقبل أن تنتقل إلى تطور الدراسات النفسية في القرن
العشرين ، نتوقف قليلا لالقاء نظرة على بعض ما نشر في
الربع الأخير من القرن التاسع عشر في مجالي التربية
وعلم النفس .

وأول كتاب يسترعي نظرا هو : « كتاب المرشد الأمين
للبنين والبنين » تأليف رفاعة بك رافع الطهطاوي ، الطبعة
الأولى بمطبع المدارس الملكية ، سنة ١٢٨٩ هـ ١٨٧٥ م ،
وعدد صفحاته ٣٩٥ ، ويحتوي الكتاب على مقدمة وسبعة
أبواب وخاتمة تتناول الموضوعات الآتية :

مقدمة في بيان تربية الأطفال من الذكور والإناث وفيها
أربعة فصول .

الباب الرابع في ذكر الوطن وتمدينه وبيان أعظم
المخلوقات وبيان فضائل الذكور والإناث وفيه ستة
فصول .

الباب الثاني في الصفات المشتركة بين الذكور
والإناث والمخصوصة بأحد الفريقين وفيه أربعة فصول .

الباب الثالث في التعلم والتعليم وفيه تسعة فصول .
الباب الرابع في ذكر الوطن وتمدينه وبيان أعظم
أسباب ذلك التربية والتعليم واستكمال المعارف والتصميم
وفيها سبعة فصول .

الباب الخامس في الزواج والنسري وما يتعلق بذلك ،
وفيها ثمانية فصول .

الباب السادس في أسباب عمارية البيوت والمنازل وما
يتعلق بها على وجه خاص وفيه خمسة فصول .

الباب السابع في عموم القراءة وحقوق بعضهم على
بعض ، وفيه أربعة فصول .

خاتمة حسنى فيما يتعلق بحفظ الصحة التي هي
للإنسان أعظم منحة وفي شذرة من كلامه صلى الله عليه
وسلم .

يتضح لقارئ هذا الكتاب أن مؤلفه لم يكتف بذكر
أخبار الأقدمين وآرائهم في طبيعة الإنسان وآداب النفس
والشريعة ، بل أعتمد من حين إلى آخر على ما حصله من
معارف أقتضت إقامته بباريس وبغضل ما ترجمه من كتب .
فهو يرى أن التربية تنقسم إلى قسمين ، حسنة ومعنوية
وأن لتغذية الطفل ثلاثة أنواع من الغذاء مختلفة الموضوع ،
تغذية الجسم ، ثم التغذية المعنوية بالإرشاد والتأديب
والتهذيب ، ثم التغذية العقلية بتعليم المعارف والكمالات .
ورأيه في العلاقة بين التربية والذكاء متفق مع حقائق
علم النفس التربوي ، إذ يقول « ثم أن التربية لا تفيد

الضبي الذكاء ولا الإلمعية فان هذه الصفات هي في الأطفال
غريزية طبيعية وأتما بالتربية تنمو العقول وتحسن
الإدراكات فإذا ربي المربي عدة أطفال مختلفين في الذكاء

« فالقريحة اذا هي القدرة على الخلق والإبداع و » الجمع بين اطراف التصورات والتصديقات المتفرقة » ، ويؤيد المؤلف ان نتائج القريحة تكون عن ارادة واختيار لا بالصدفة والاتفاق .

وبقية ابواب الكتاب تتناول التربية الوطنية ثم سيمولوجية التوافق في الزواج والحياة داخل الاسرة . والكتاب الثاني الجدير بالذكر خاص ايضا بالتربية ، وهو كتاب البيداغوجيا العلمية اي هداية الاطفال تأليف الشيخ حسن توفيق ، مدرّس اللغة العربية في المدرسة الشرفية ببرلين ، جزءان ، ٦٦ ، ١٥٤ ص ، الفاهسة ، الطبعة الاولى ١٨٩١ - ٩٢ ، وقد اعيد طبعه وظهرت الطبعة السادسة في سنة ١٩٢٥ .

وموضوع الجزء الاول من التربية العلمية ، وينقسم ثلاثة : لنام ، علم الجسم ، علم النفس ، علم الاخلاق . ويشمل القسم الثاني الخاص بعلم النفس اربعة ابواب :

١ - في النفس ونسبتها الى الجسم . ٢ - في التصور النفساني ، التفكير ، التذكر ، التخيل ، التنبيه - تعديل في الانا والنحن . ٣ - في الاحساس النفساني ، الاحساسات الصورية ، الاحساسات المادية . ٤ - في القطع والارادة النفسانيين . خاتمة ، في ملحوظات في نشأة الطفل من حيث الجسم والنفس .

بلاط ان بعض المصطلحات غير دقيقة ، فلا وجود لاحساس صوري بحث او لاحساس مادي بحث ، والمتصور هو القريحة بين « عاطفة » و « احساس » ، اذ ان مشير العاطفة المباشر ليس المنبه الحسي الخارجي بل تصور ذهني ، في حين ان المشير المباشر للاحاساس هو المنبه المادي . ومما هو جدير بالذكر اننا نجد نواة لموضوع هام من موضوعات علم النفس الاجتماعي عندما يتحدث المؤلف عن الانا والنحن ، كما انه يجب الاشارة الى الملحوظات في نشأة الطفل من حيث الجسم والنفس ابتداء من سن السادسة وهي سن دخول المدرسة .

اما موضوع الجزء الثاني فهو في فن التربية العملية ، فيتحدث اولاً في طرق التعليم العام ثم يتناول طسرق التعليم الخاصة بكل علم من العلوم الالية ، علم الدين ، اللغة الوطنية ، التاريخ ، الجغرافيا ، الطببيعات ، الحساب الهندسة ، الرسم واخيراً الرياضة البدنية . ثم تعديل في لعب لاطفال .

اما اول كتاب يحمل اسم علم النفس ويعالج موضوعاته مستقلة عن تطبيقاتها التربوية فهو « كتاب علم النفس » للشيخ محمد شريف سليم . وقد ألفه صاحبه في سنة ١٨٩٥ ، ولكن الكتاب لم يطبع الا عام ١٩١١ عندما تقرر تدريسه لمدارس المعلمين والمعلمات . ويحتوي الكتاب على تسعة عشر فصلاً ترتيب موادها شبيه بما نجده في كتب علم النفس المدرسية « التقليدية » . فيبدأ بالتحديث عن

متحدتين في التربية لا يقدر المربي ان يتوصل الى تربيتهما في الذكاء بل يختلف ذكاؤهم باختلاف استعدادهم العريزي من ٢ ثم يقول : « افترض من التربية تنمية الصغير جسداً وروحاً واخلاقاً في ان واحد يعني تنمية حسياته ومعنوياته بقدر قابليته واستعداده » . ص ٣ .

ويؤكد رفاعة بك ضرورة قيام الام نفسها بتربيته اولادها ، وينصح بان تكون تربية الاولاد على حساب احوال البلاد ، اي اذا كانت زراعية او تجارية او بحرية ولكن بالاضافة الى هذه الخصوصيات يجب ان « تلاحظ اعراف العمومية التي تشترك فيها الامم والملل » . ص ٧ .

ويبدى المؤلف اعجابه بنظام التربية لدى اليونان فيصف تربية الاطفال عندهم ويقول يلزوم تعميم التربية كما كان يفعله حكماء اليونان قديما ويرى ان « السبب الاعظم في تسرة فحول الرجال وكبراء الإبطال في بلاد اليونان في اسام جاهليتهم انما هو كان بعد احسانهم تربية الاطفال » ص ١٦ .

والواقع ان قراءة هذا الكتاب ممتعة حقاً فموضوعاته متنوعة وهي ليست محصورة في دائرة التربية ، فبعضها يدخل في نطاق علم النفس العام عندما يميز المؤلف بين « حقيقة الانسان من حيث ناطقته وسانن الحيوانات » ، ثم في علم النفس الغارقي في دراسته للفروق بين الذكور والاناث ، ثم علم النفس التعليمي وهو موضوع البسباب الثالث في التعلم والتعليم ، ولا يوفنا هنا ان تشير الى ان رفاعة بك هو اول من دعا الى العناية بتعليم البنات وقد عالج هذا الموضوع في الفصل الثالث وهو « فسي تشريك البنات مع الصبيان في التعلم والتعليم وكسب العرفان » .

ويعزم في الفصل السابع من هذا الباب الثالث بين الروح والعقل والقريحة . والروح هي اصل الحساسة والحركة والاحساسات والادراكات والشهوات و « كنهها مفيد عن البشر لا يعرفون حقيقته ... وهي مشتتة على اصل فعال يحمله على العمل او الترك تبعاً لما تدركه من الملاعبة وهذا اصل الفعال هو الارادة التي تحمل على الاختيار فتختار ما يليق لها من اسباب السعادة ما تظنه كذلك » . اما العقل والقريحة فهما من « متعلقات الروح » وتعريف رفاعة بك للعقل يذكرنا بتعريف سبيران لالعالم العام في حديثه عن الذكاء والعقل قوة تدرك جميع العلاقات والمباينات ، « ويقدر ادراك الانسان النسيب والعلائق بين الكائنات التي حوله تكون جودة عقله على حسب قوة هذا الادراك » ص ٨٤ . واذا كان العقل « حاداً ذكياً متوقفاً يخترع ويبتدع كان قريحة .. وقد يتصف الانبياء بسعة العقل ولا يكون متصفاً بالقريحة اذ كسل منها ممتاز عن الاخر لان القريحة دائماً نشطة شغالة فعالة ولادة متصورة بخلاف العقل ولو متسماً » ص ٨٥

أساسي للتمييز بين التذكر ومجرد التخيل . وأهم الموضوعات التي تناولتها هذه المقالات الأربع هي ، علاقة الذاكرة بالوظائف الفسيولوجية ، وصف عمليات الذاكرة ، اضطرابات الذاكرة وأمراضها ومنها « الأفازيا » وهي فقدان القدرة على فهم اللغة واستخدامها ثم وسائل تقوية الذاكرة .

وفي عدد يناير ١٨٨٥ ، مقالة عن العقل ومقره من الجسد ، جاء فيها أنه لا توجد علاقة بين ادراك الحيوان ونقل دماغه النسبي ، أما مقر العقل فهو الجسم السنجابي ، « اذ ان نقله المطلق والنسبي هو في الانسان أكثر منه في غيره من كل أنواع الحيوان ، فبين العقل والجسم السنجابي نسبة ثابتة » (ص ١٩٨) .

وفي عدد يوليو ١٨٨٥ ، وكانت إدارة المقتطف قد انتقلت من بيروت الى القاهرة ، مقالة بعنوان « كم ذاكرة لك » . ونتيجة البحث بان « الذاكرة ليست قوة واحدة بل انها مجتمع قوات كثيرة مختلفة وضعا وطبعيا » (ص ٦١٣) لا تزال متفقة مع الدراسات الحديثة .

وفي عددي يونيو ويوليو ١٨٨٦ مقالان يتحدثان اول عن الفزيولوجيا وهو علم يزعم انه تعرف به قوى الانسان العقلية وأمياله الادبية من شكل راسه الظاهر ... اما علم القرائة الذي كتب فيه العرب واليونان من قبلهم فيشبه علم الفزيولوجيا من بعض الوجوه ولكنه اقرب الى علم الفسيولوجيا . ثم يستعرض المقال وظائف الدماغ من الناحية النفسية وعددها ٣٥ ، كما ذكرها منشى الفزيولوجيا ، الدكتور جال . أما المقال الثاني فعنوانه « فساد الفزيولوجيا » يوجه فيه الكتاب سبعة اعتراضات لعلم الفزيولوجيا المزعوم وذلك بالرجوع الى حقائق في تشريح الدماغ ودراسة وظائفه وعلاقة القوى النفسية بوزن الدماغ .

ويقف منشأ المقتطف موقفا نقديا صارما بصدد بعض الظواهر الغريبة التي عادة ما تدفع العامة الى تأويلها تأويلا خرافيا يتنافى مع الروح العلمية ونعني ما يدور حول التنويم المغناطيسي وجولان التام ومناجاة الارواح . فقد جاء ذكر التنويم المغناطيسي اي الهنوتيزم في عدة مقالات تذكر منها الهنوتزم وذوول الادراك - اكتوبر ١٨٨٤ ، ص ١٧ - ١٩ . وجولان التام - سبتمبر ١٨٨٦ ، ص ٧٠٥ - ٧١٠ . والنوم المغناطيسي - صحيفه وفاسده - فبراير ١٨٩٢ ، ص ٣٠٩ - ٣١٤ .

وهذه المقالة الاخيرة جديرة بان نتوقفنا قليلا لاهميتها العلمية سواء من ناحية منهج العرض او النتائج . وقد جاء في مستهل المقالة ما يلي : « وقد كان من نصيب المقتطف من حين نشأته ان يقرر الحقائق وينفي الاباطيل ، وكان في جملة الاباطيل التي اقترح عليها نفيها ما ينسب الى التنويم المغناطيسي من الخوارق والى اهله من معرفة

القوة الطبيعية والاحساسية والفكرية . ثم ينتقل من دراسة الشعور الى الادراك الى الحفظ والتذكر وتداعي المعاني ، ثم الى الخيال وانتزاع المعاني وتعميمها والحكم والتعقل ، اي من العمليات العقلية الاولى الى العمليات العقلية العليا . ثم يأتي الجزء الخاص بالوجدان واليول والعواطف ، ويسميها الشيم ، واخيرا الارادة والمعادة والاختيار . وفي عام ١٩٠٠ نشر كتاب « المباحث الحكمية في احوال النفس وتربية القوة العقلية » ١٤٠ ص تأليف محمد رافت نصار الحائز لقب بروفيسور من كلية برلين وهو يحتوي على ثلاثة ابواب ، الباب الاول في المعرفة ، والباب الثاني في الاحساس ، وهو يقصد الحساسات الوجدانية من لذة وألم والميل الى الشيء او عدم الميل اليه ، ورغبة او نفور . والباب الثالث في الارادة والحركات وعلاقة الارادة بالشهوات .

وتستند معالجة موضوعات الكتاب الى المنهج الاستبطاني ويلاحظ تأثير الفلسفة الالمانية في بعض الفصول مثل « أهمية التعقل بالنسبة لادراك العالم الخارجي وبيان ما قاله الفيلسوف كنت في هذا المقام » .

نشر الوعي العلمي في الدراسات النفسية

نلاحظ انه حتى بداية القرن العشرين لا نجد فيما نشر من كتب علم النفس والتربية اي اشارة الى البحوث الحديثة ، كما ان النزعة السائدة كانت ادوية وفلسفية رينيه . غير ان هناك محاولات بذلت بتقديس بعض موضوعات علم النفس الحديث في إطار علمي وفي جو من النقد المدعم بالاسانيد التجريبية والعقلية لاكتشاف نقصد المقالات التي نشرت في مجلة المقتطف منذ انشائها في بيروت عام ١٨٧٦ ، ومعظمها بقلم منشى المقتطف ، يعقوب صروف وفارس نمر . وفيما يلي اشارة على سبيل المثال الى بعض هذه المقالات وأهم ما جاء فيها .

وفي عدد يوليو ١٨٨٢ مقالة عن « التخييلات والخيالات واسبابها » والمقصود بالتخييلات الخداعات الحسية نتيجة خلل في الحواس ، وبالخيالات تخيل محسوسات لا وجود لها لعل في الدماغ . واسباب التخييلات والخيالات اختلال في كيفية الدم او كميته الدائر في الدماغ وخاصة في السريزين البصريين .

وفي مجلد السنة الثالثة (١٨٨٣ - ٨٤) اربع مقالات عن الذاكرة . ويقابل الكتاب بين تعريف الاقدمين للذاكرة وتعريف المحدثين لها . فالذاكرة حسب التعريف التقليدي هي « قوة من قوى النفس تذكر ما تدركه القوة الوهمية من المعاني وتحفظه » . اما في علم النفس الحديث فالذاكرة « قوة بها تسترجع النفس ما ادركته من المعاني وصور المحسوسات وبها تعلم انها قد ادركته قبل ذلك » (ص ١٩٤) . والعلم بسابق الادراك شرط

ومن المحاولات التي بذلت لمحاربة الاباطيل والمعتقدات الخرافية في مجال العلاج الطبي كتاب « طب الركة » (٩) تأليف عبد الرحمن اسماعيل ، أحد التخرجين في مدرسة القصر العيني ، الجزء الاول ١١٢ ص ، طبعه اولي ١٣١٠ هـ . / ١٨٩٣ م . والجزء الثاني ، ٤٥ ص ، طبع باسم مؤتمر المستشرقين العاشر الذي سلتتم في مدينة جنيف في سبتمبر ١٨٩٤ .

وفي حديثه عن التمايم والاحجية ، عن الربوط وانزاع وما اليها من الوصفات والاجراءات العلاجية والحالات الشاذة يؤكد المؤلف دور الوهم والايحاء الذاتي في احداث بعض الانار الغريبة التي يعزوها التفكير الخرافي الى الجن والعفاريت .

ولبيان تأثير « الوهم والانفعال العصبي النفساني » ذكر المؤلف بعض الامثلة منها حالة شاهدها بنفسه ، « كنت في استيالة القصر العيني ذات يوم في محل اجراء العمليات اذ حضر شاب مريض باقلا لا تستدعي العمل اكثر من عشر دقائق ولكنه وجل من ألم العملية فلم يقبل الا بشرط ان ينجح فاحضرت آلة التخدير بالبنج وجعل المشتغل بذلك يوجهه انه اخذ مقدارا كبيرا منه وانه سيخضع تخديرا شديدا فلم يعض قليل من الزمن حتى نام نوما عميقا وفقد الشعور بالكلية كمن استنشق مقداراً عظيماً من البنج مع ان الطبيب لم يشمعه تقطة واحدة منه » . (ص ٧)

وفي مجال علوم النفس المرضي والطب العقلي ، نلاحظ ان المؤلف في مقالاته المتقطعة ، يجب ان نذكر الكتاب الذي كان يدرسيه الطلبة كلية الطب قبل ان يصبح التعليم في مدرسة الطب باللغة الانجليزية في عام ١٨٩٨ ، وهو كتاب « اسلوب الطبيب في فن المجاذيب » تأليف الدكتور سليمان نجاني ، مدرس الامراض العقلية بمستشفى القصر العيني ، ١٦٢ ص ، ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ م .

تلقى المؤلف علوم الطب في باريس و وضع كتابه في الطب العقلي وقام بتدريسه لطلبة القصر العيني ثم كان يذهب مع الطلبة الى مستشفى المجاذيب في بعض ايام خصوصية لاعطائهم الكليника على مرضى المستشفى .

ويقول المؤلف في المقدمة انه استخدم لفظ « جنون » لان معناه يعم فساد العقل ماديا كان او ادبيا ، مكتسبا او خلقيا ، عن يقين علم لا عن ظنون . ويقدم لنا تعريفا اوليا للجنون بأنه تغير مخي ناشيء عن تكدر وظائف العضو المذكور تكدرا ماديا ادبيا .

وفيما يلي بعض ما جاء في حديثه عن الفسيولوجيا المرضية للجنون .

« درجة التعلل مرتبطة بكبر وصغر المخ ويشترط مع كبره ان يكون رصينا اي متزايد الثقل وكثير التلايف وبناء على ما ذكر يكون كثير الفتوة من الجوهر السجاني

الغيب » ، ثم يعرض الكاتب ملخصا لمقالة للدكتور هارت الذي مارس التنويم المغناطيسي اكثر من اربعين سنة وقد اثبت الدكتور هارت الحقائق الآتية : اولاً ، لا يوجد سائل مغناطيسي (٨) . ثانياً ، لا يوجد اتصال روحي خفي بين عقل المنوم وارادة المنوم ، فيكفي المنوم ان يعتقد بان المنوم يريد تنويمه سواء كان المنوم مرعبا لذلك او غير مرعبه . ثالثاً ، اذا وقع المنوم تحت سلطة المنوم وضعت ارادته فقد ينفذ اوامر المنوم في الوقت الذي حدده وقد يرتكب الجرائم التي يوحى بها اليه .

وجاء في عدد ابريل ١٨٩٢ في باب المناظرة والمراسلة رسالة من مرفص حنا بالارسالية المصرية بباريس موضوعها : « التنويم المغناطيسي وعلاقته بالقوانين والمحاكم » (ص ٤٧٣ - ٤٧٥) ، يتحدث فيها عن تأثير التنويم المغناطيسي في الدعاوي المدنية وتأثيره في الدعاوي الجنائية ، فيستأهل هل يجوز للمحاكم ان تستعمل التنويم لاكتشاف الحقيقة من المتهم او مشاركيه ، والجواب كلا ... لان قانون العقوبات يمنع استعمال الطرق التي تكون سببا في نزع حرية المتهم التي تخوله الدفاع التام ، فلا يحق للمحاكم ان تنزع من المتهم حرية المدافعة عن نفسه (ص ٤٧٤) ... فليس من العدل الاعتماد على التنويم لتحقيق ... الجنايات لانه قد يبرىء المذنب ويذنب البريء ... ولا بد من مقاومته لانه يسهل الفسح وشهادة الزور وارتكاب الجرائم ويزيد اعتاب المحاكم وقضاة التحقيق (ص ٤٧٥) .

ومن الاباطيل التي حاربها المقتطف « يعرف بالتنويم الاوراح » . فقد نشر في عدد مارس ١٩٠٦ مقالة بعنوان « مناجاة الاوراح » (ص ٢١٣ - ٢١٥) كتحقيق لادعاء مستحضرى الاوراح وبيان حيلهم في خداع الناس ، ومن الحقائق التي قررها « ان الوهم يتسلط على بعض الناس ولو كانوا من كبار العلماء حتى يصيروا يتخدعون بما لا يتخدع به غيرهم » .

ونستختم كلامنا عن المقتطف وعن الدور الهام الذي قام به في نشر اساليب التفكير العلمي وتوصيل كثير من المعلومات السيكولوجية التجريبية الى القارئ العربي بذكر المقالة التي نشرت في عدد فبراير ١٩٠٦ عن ادراك الحيوان (ص ١٣٦ - ١٣٩) ، في هذه المقالة وصف دقيق لتجارب العالم الاميركي ادورد تورنديك (١٨٧٤ - ١٩٤٩) على مجموعات من القطط والكلاب والدجاج توضع في قفس بعد تجويعها ٢٤ ساعة والطعام في خارج القفص ويلاحظ سلوك الحيوان للخروج من القفس بفتح بابيه اما بسقطة او زر او خيط او بها كلها معا . وفيما يختص بالدجاج كان يضعها في مكان محصور ويقيم حولها الحواجز . ومن الفروق بين الحيوان والانسان « ان الحيوان لا يستطيع ان يحضر الماضي في مخيلته ولا ان ينظر الى المستقبل » .

والخلايا العصبية اذ بدون برأيها لا يثنى ترايسد
المعقولة » . (ص ١٠) .

« ان المخ متجانس التركيب فكل جزء من اجزائه متمتع
بمجموع خصوصيات الكل ومن ذلك يتأتى التعويض
الوظيفي بين عناصره . هذا رأى بعضهم ويرى البعض انه
غير متجانس التركيب ... » . وهنا يذكر مراكز الحركة
والحواس المختلفة (ص ١١) . والواقع ان مشكلة تركيب
المخ شغلت علماء التشريح والفسيولوجيا منذ جال
وفلورنس حتى يومنا هذا . والعالم فلورنس الذي حارب
آراء جال صاحب نظرية الفريولوجيا هو الذي اشار الى
التعويض الوظيفي بين عناصر المخ ، غير انه لا يقول بان
المخ متجانس التركيب ، بل يذهب الى ان للمخ وظائف
نوعية ووظائف عامة . فيجانب الفعل الخاص بكل جزء
من اجزاء المخ ، يجمع هذه الاجزاء فعل مشترك .

وعلى كل حال فان المؤلف حريص على ذكر المشكلات
كما كانت تناقش في عصره . ثم يقول في ص ١٣ ،
« الفرق بين نصفي المخ (اليساري واليميني) يفسر
الهوسة بانواعها وحالة الازدواج الشخصي ونجد مثل
هذا الرأي عند بيير جانيه وعند برجسون لتفسير بعض
اضطرابات الادراك والتذكر . ثم يذكر حقيقة هامة خاصة
بالافعال المنعكسة العليا يقول ، « المخ اسوة بالتخاع
الشوكي متمتع بالفعل المنعكس او تبادله الفعل . الفعل
الشوكي المنعكس يحتاج في كل مرة الى تأثير جديد حتى
يتم فيه التبادل الوظيفي بخلاف الاول فتمتع بخاصية
الحفظ وخاصة التذكر » . وهذه الافعال المنعكسة الخاصة
القائمة على الحفظ والتذكر تشبه ما يعرف اليوم بالافعال
المنعكسة الشريطية ، اي المكتسبة ، اي القائمة على الحفظ
والتذكر .

وبعد ان ينتهي المؤلف من عرض فسيولوجية الجنون
المرضية يقدم تعريفا اخر للجنون بأنه « حالة غير طبيعية
للعقل تتصف بتكرار كل من قوى الحس والعقل والارادة » .
وفي حديثه عن الاسباب على العموم يعيز بين رتبتين ،
اسباب مهيئة واسباب متممة . ثم يستعرض خطوات عمل
الطبيب ، التشخيص ، المدة ، الانتهاء ، الانذار ، نسجم
المعالجة . والمعالجة تكون واقية او شافية . وتكون واقية
باتباع شروط صحيحة من حيث التربية والمعاملة والتعود
والتهديب بالنسبة الى الاطفال . ومن انواع المعالجات
الشافية المعالجة الادبية او المعنوية منها العزلة ، حسن
المعاملة ، تشفير المرضى باشغال متنوعة غير متعبة .

وعندما يتناول تصنيف انواع الجنون فانه يقسمها
اربعة اقسام : القسم الاول - الجنون الغير معسوف
الصبرات المرضية لحد الان ونحته الجنون الفارتي وانواع
الهذيان الجزئي (مثل التعذيب ، الجنون الدباني ، جنون
الشك ، مانيا المشروبات الروحية) والمانيا والمالبخوليا .

القسم الثاني - الجنون النيفروزي ونحته الاستيري
والصرعى والخوري . القسم الثالث - الجنون الديباتيزي ،
الجنون النقروسي ، والروماتيزمي والدربي والسرطاني
والزهرى . القسم الرابع - الجنون الخلقي ، ببساطة
العقل او ضعفه وسخافته والبله والكربنيسم والجنون
الفوتوري .

يلاحظ على هذا التصنيف ان المؤلف لم يشر فسي
امراض القسم الاول الخاص بما نسميه اليوم حسالات
الذهان الوظيفي ، الى الجنون المبكر وهذا امر طبيعي ،
اذ ان تاريخ نشر الكتاب سابق على البحوث التي قام بها
كربيلين فيما بين ١٨٩٣ و ١٨٩٩ والتي ادت الى تقديم
صورة تأليفية لمختلف البحوث التي دارت حول اهم اعراض
هذا المرض والتي اشار اليها في كتابه الاول في الطب
العقلي المنشور عام ١٨٨٣ ومن المرجح ان الدكتور سليمان
نجاتي لم يطلع على كتاب كربيلين وان كان مطلعاً على اهم
المحاولات التي بذلت قبل كربيلين لتوضيح معالم الجنون
المبكر مثل بحوث اسكيرول ومويرل وكالبيوم .

ويلاحظ كذلك انه يذكر ضمن ما يسميه الجنون
النفاوذي الجنون الصرعي . وهذا فعلاً ما كان متبعاً في
اواخر القرن التاسع عشر ، ثم فصل الصرع عن مجموعة
امراض العصاب عندما تبين ان الصرع عضوي النشأة لا
نفسياً . والمقصود بالجنون الخوري هو على الأرجح
النورينسيميا لا الميكساليا وهو العصاب الذي شخسه
بيير جانيه لان العقل الجديد لا ينتشر استعماله الا في
اداء التمرين المعنويين . والمحاولة التي قام بها الدكتور
سليمان نجاتي لتقديم مادة الطب العقلي الحديث باللغة
العربية جذيرة بكل ثناء لانها كانت المحاولة الاولى والاخيرة
حتى اليوم وذلك نظراً لغاء التدريس باللغة العربية في
مدرسة الطب ، قاصح التعليم بالانجليزية منذ ١٨٩٨ .
وكل ما نشر في الطب العقلي حتى اليوم بحوث جزئية في
الامراض النفسية والعقلية وفي وسائل الوقاية والصحة
النفسية كما سترى فيما بعد .

وقد ظل تدريس علم النفس في مدرسة المعلمين
الخديوية ودار العلوم ومدرسة المعلمات السنية مجرد تمهيد
لتدريس اصول التربية العلمية والعملية . وهذا واضح
من الكتب التي ظهرت في الربع الاول من هذا القرن .
وكان يقوم بتدريس علم النفس من التربية مدرسون
مصريون غير مختصين يحملون شهادة مدرس ابتدائي من
انجلترا ، امثال علي عمر صاحب كتاب « هداية المدرس »
والشيخ محمد شريف سليم ، مؤلف كتاب « علم النفس »
الذي سبق ذكره ، والشيخ محمد حسن حسين الغمراوي ،
صاحب كتاب « الفرائد وعلاقتها بالتربية » . ثم تولى
التدريس بعدئذ في المعلمين الخديوية والمعلمات السنية
اساندة انجليز غير مختصين وكان الكتاب المقرر : « احاديث

أخرى ولكن الجانب الذي يمكن مشاهدته ودراسته تجريبيا هو الجانب السلوكي ، أي التعبيرات الجسمية فالهمة الرئيسية هي تفسير المظاهر السلوكية سواء أطلقنا على الخوف باسم الانفعال أو الغريزة . وبهذا الموقف يهدف وليم جيمس بدون ادنى شك للمدرسة السلوكية على الرغم من اعتماده الكبير على الاستبطان في وضعه الرائج لجري الشعور .

هذا الاتجاه السلبي أزاء النظريات المختلفة هو الطابع السائد لكتب علم النفس التي نشرت في الربع الأول من هذا القرن وقد انتقلت مادة هذه الكتب إلى الكتب المختصرة التي وضعها مدرسو الفلسفة في المدارس الثانوية عندما بدى بتدريس علم النفس والمنطق في عام ١٩٢٣ ، وهذه الكتب ليست جذرية بالذکر لأنها مجرد تكرار لكتب سابقة ، وظلت متخلفة عن علم النفس كما كان يدرس في الجامعة مما خلق مشكلة تكيف الطلبة المستجدين في الجامعة للأسلوب الجديد لتدريس مادة علم النفس .

نجد أن كتاب أمين مرسى قنديل « أصول علم النفس وأثره في التربية والتعليم » جزءان ٢٦٨ ، ٢٣١ ط ٢٤ سنة ١٩٢٩ - يمتاز بشمول موضوعاته وبمعالجتها بصورة واضحة وناقشة الآراء المختلفة مدعمة بنصوص مع ذكر المراجع . ومما يسترعي الانتباه هو عدم اكتمال المؤلف بالمراجع الإنجليزية وذكره لكثير من الفرنسية . ولأول مرة نجد عرضاً منظماً في فصول مستقلة للجهاز العصبي (من ١٠٧ إلى ١٥٧) ولوضوع اللاشعور ، والتعب ، والذكاء وقياسه ، وتجد طبعاً فصلاً طويلاً عن الفرائز (من ١٥٨ إلى ٢٣١) .

ومن الكتب المدرسية الكبرى في علم النفس كتاب في ثلاثة أجزاء اشترك في تأليف الجزء الأول منه حامد عبيد القادر ومحمد عطية الإبراشي ومحمد مظهر سعيد . أما الجزء الثاني والثالث فمن تأليف حامد عبد القادر ومحمد عطية الإبراشي . وسيطول بنا المقام أو شرعنا في ذكر جميع محتويات هذا الكتاب الشامل وستكتفي بذكر الملحوظات الآتية :

يحتوي الجزء الأول فصلاً في المجموع العصبي ، ثلاثة فصول في الفرائز والنزعات العامة ، وتتناول الفصول الثلاثة الأخيرة : دراسة الطفولة ، والمراهقة والبلوغ - العقل الفردي والعقل الجمعي - ثم المامه بالتحليل النفسي ، وربما هي المرة الأولى التي يرد فيها عرض موجز للتحليل النفسي في كتاب مدرسي .

ويناقش الكتاب محاولة إرجاع السلوك الفريزي إلى سلسلة أفعال منعكسة « الفعل الفريزي أعلى مرتبة من الفعل المنعكس ... الإنسان ليس - كما يقول الماديون « العوية » في يد الظروف وتحركه كيف يشاء ، ولا آلة تؤدي عملها بطريقة آلية كما يقول الآليون » .

إلى المعلمين عن علم النفس بقلم ستانلي هول . وتولاه في دار العلوم استاذة من خريجي الدار الحاصلين على دبلوم في التربية من كلية اكستر بإنجلترا أمثال مصطفى أمين وعلي الجارم مؤلفي كتاب « علم النفس وأثره في التربية والتعليم » . ثم تولى التدريس في المعلمين العليا استاذة من خريجيهما الذين حصلوا على درجة بكالوريوس من إنجلترا كاسماعيل محمود القباني وأمين مرسى قنديل مؤلف كتاب « أصول علم النفس وأثره في التربية والتعليم » . وتلاحظ في هذه الكتب ظهور نظرية الفرائز كما قال بها مكيدوجل غير أن عرضها جاء سطحيًا وأحياناً مشوها . فكتاب الفيراوي في الفرائز وعلاقتها بالتربية (٢٤٣ ص) ط ٤ ، ١٩٢٥) يحتوي على أربعة مباحث :

المبحث الأول : الغريزة والعقل - المبحث الثاني : المنع وخلاياه وعلاقتها بالتعليم . المبحث الثالث في موضوعات شتى في علم النفس مثل التعليم والملاحظة ، والحفظ والذكر والخيال والعقل والوجدان وتداعي المعاني والميول والعوامل المؤثرة في الأخلاق . أما المبحث الرابع فيبحث في الفرائز وأنواعها ، وتلاحظ في هذا المبحث خلطاً بين الفرائز والانفعالات فيتحدث المؤلف عن غريزة الغضب مثلاً . والكتاب بوجه عام خليط من المعلومات المبسطة ومن الحكم والنصائح والقطع الأدبية . ولا يوجد أي ذكر لمرجع ما .

ويحتوي كتاب مصطفى أمين وعلي الجارم « علم النفس وأثره في التربية والتعليم » (٢٨١ ص) ط أولي (١٩١٥) على فصل طويل في الفرائز وقصيد ذكر آراء بعض علماء النفس دون ذكر المراجع . نجد أن هذه الآراء المذكورة لذاتها دون الربط بينها ودون إعادة صياغتها داخل إطار واحد من التفسير . فقد جاء مثلاً في صفحة ٦٥ في الحديث عن الفرائز : « ولقد حلل الاستاذ لوب عدداً كثيراً من الفرائز وأثبت أن كل واحدة منها مكونة من حركات منعكسة ، ومن المرجح أن كل الفرائز كذلك » وكان في إمكان المؤلفين مناقشة هذا الرأي في ضوء نظرية مكيدوجل مثلاً أو في ضوء التجارب التي أجراها العالم الأميركي جنتنجر للرد على نظرية لوب .

ثم يرد ذكر جيمس ونظريته في الفرائز والانفعالات . ويجب أن نذكر هنا أن الخلط الذي وقع فيه المؤلفين في مصر بين الغريزة والانفعال يرجع إلى جيمس نفسه إذ نراه يتحدث طويلاً عن غريزة الخوف في الفصل الخامس والعشرين من كتابه « موجز في علم النفس » غير أن وليم جيمس يشرح لنا سبب هذا الخلط ، وهذا ما لا تجده في الكتب العربية . ففي مطلع الفصل الرابع والعشرين وموضوعه « الانفعال » يتحدث وليم جيمس عن العلاقة بين الانفعال والغريزة ، أي بين جانب الشعور والوجدان من جهة وبين جانب النشاط الحركي والسلوك من جهة

ومحاضرات الأستاذ حسين رمزي هي بمثابة مدخل الى دراسة علم النفس اذ ان موضوعاتها تلتخص في النقط الاربعة الاتية : ١ - علم النفس والفلسفة (ص ١٠ - ١٦)
٢ - الروح والنفس (١٧ - ٤٣) ٣ - تطور علم النفس (٤٤ - ٥٦) ٤ - تعريف علم النفس وموضوعه ومقاهيمه (٥٦ - ٧٤) .

والمراجع التي يذكرها المؤلف فرنسية وإيطالية وكتابين المائتين مترجمين الى اللغة الفرنسية هما كتاب لوب في ديناميكية ظواهر الحياة وكتاب انجهاوس في علم النفس . ومعالجته لموضوعات الكتاب قريبة جدا مما نجده في الكتب المدرسية الفرنسية في الفلسفة وعلم النفس . ولم ينهض تدريس علم النفس بحيث يدفع بدارسيه الى البحث والتأليف فيه بصورة شخصية اصيلة الا بعد انشاء معهد التربية وإيجاد البعثات الى الخارج من خريجي مدرسة المعلمين العليا وما حل محلها بعد الفائها من معهد التربية وكلية الاداب للتخصص في علم النفس .

في ١٩ سبتمبر ١٩٢٩ صدر مرسوم بقانون يقضي بإنشاء معهد تربية - للمعلمين وذلك بناء على التقرير الذي قدمه العالم السيكولوجي السويسري والخبير في التربية كلايارد في مارس ١٩٢٩ عن انشاء معهد لعلوم التربية . (١١) .

واشترك اسماعيل القباني (١٨٩٨ - ١٩٦٣) في البحوث التي قام بها كلايارد وعند انشاء المعهد عين استاذ التربية الجزئية كما عين الاستاذ محمد مظهر سيمون استاذ علم النفس وكان قد عاد من إنجلترا حيث كان موفدا منذ عام ١٩٢٥ للتخصص في الدراسة الجامعية لعلم النفس . وقد اهتم اسماعيل القباني بصفة خاصة باعداد الاختبارات لقياس الذكاء وتقنينها محليا واليه يرجع الفضل في خلق حركة القياس السيكولوجي وتكوين تلاميذ اكفاء .

ان فكرة القياس العقلي لم تكن جديدة في مصر عندما شرع اسماعيل القباني في اعداد الاختبارات ، غير انه هو اول من اقام هذه الدراسة على اسس علمية سليمة . وقد يكون من الطريف ان نذكر المحاولات الجزئية التي بذلت في هذا المجال . فلدينا اولا الكتيب الذي نشره احمد فكري عام ١٩٢٠ بعنوان « الطريقة المبكرة لقياس العقول - قانون ثقف به على درجة ذكاء الاطفال في كل من ادوار اعمارهم - ٣٤ ص - » وبه مقدمة تشرح النشأة النفسية للطفل وكيف يربى . وهو اول كتاب عربي ظهر من نوعه لا يستغني عنه والدون ومربون . ومن بين مراجع المؤلف كتب لكبار علماء النفس امثال ، برزوينيه وتورندينك وسيرل بيرت ، غير انه من الواضح ان المؤلف لم يستفد البتة من المراجع التي ذكرها سوى انه ترجم بتصرف اختبار بينيه - سيمون من سن ٣ الى سن ١٢ ، وقدم

وقد جاء في مقدمة الكتاب ان علم النفس كان مقصورا على مدارس المعلمين والمعلمين وكان يقتصر تطبيقه على ناحية التدريس فحسب ، بل درس بالقسم الادبي الذنوي وطلبة القسم الاعدادي من كلية الحقوق ، ولكن دراسته لا تتجاوز المبادئ العامة . ثم درس علم النفس بعد ذلك بشعب التخصص للمحققة بكلية الازهر وكلية اصول الدين التي كتب هذا الكتاب بكليتها ولقد وعد مؤلفو الكتاب بكتابة كتاب في علم النفس التطبيقي . وفيما يختص بالناحية التطبيقية الخاصة بالاختبارات لم يشر مؤلفو الكتاب الى ضرورة اعداد فئة من الاختصاصيين والنفسانيين للقيام بتطبيق الاختبارات وظنوا ان في امكان المدرسين والنظار القيام بهذا العمل فقد ورد النص التالي : « ولكي تسهل الاستفادة باستعمال هذه الاختبارات سنضعها ثم نشرح طريقة استعمال كل اختبار على حدة مع كيفية تقدير الدرجة حتى يتمكن المدرسون والنظار من استخدامها والانتفاع بها » .

اننا وصلنا الان الى ابواب مرحلة جديدة وهي التي تبتدأ سنة ١٩٢٩ بإنشاء معهد التربية وتخرج الدفعة الاولى من طلبة كلية الاداب قسم الفلسفة . ولكن لا بد اولا من الاشارة الى انشاء الجامعة المصرية الاهلية في ١٢ أكتوبر ١٩٠٦ . وقد استمرت حتى انشاء جامعة فؤاد الاول في ١٩٢٥ . وكانت الدراسة في الجامعة المصرية القديمة مقصورة على الاداب والتاريخ والفلسفة . كما ان القيت فيها محاضرات في التربية وعلم النفس . فقد كتب لبيبة هاشم ، صاحبة محررة مجلة فتاة الشرق ، في عام ١٩١١ شرح محاضرات في التربية ، كما القى في عام ١٩٢٢ - ٢٣ الأستاذ حسين رمزي « محاضرات نفسية تتضمن ابحاثا اولية لدراسة علم النفس » .

والاستاذ حسين رمزي وهو خريج مدرسة الحقوق الخديوية قد اوفدته الجامعة المصرية الى اوربوا سنة ١٩٠٩ الى جامعة فورينو بايطاليا . فالتقى فيها علم النفس وعلوم الامراض العقلية ، اسبابها وتشخيصها ومعالجتها وعلوم اخرى مرتبطة بها من الوجهة النفسية ثم تطبيق هذه العلوم على انواع المجرمين والجرانم . وبعد عودته من اوربوا قام بتدريس علم طبائع الانسان الجنائية في قسم العلوم الجنائية .

وقد نشرت مجلة القضاء الشرعي المحاضرات التي القاها في علم النفس خلال السنة الدراسية ١٩٢٢ - ٢٣ (٧٤ ص) . وفي قائمة الكتاب يتحدث المؤلف عن حرية الفكر وعن التعصب وبعد التعصب دللا على وجود مرض عقلي خفي لدى المتعصب . (١٠) « فالمتعصب اسير فكرة او عاطفة استبدت بسائر الافكار والعواطف ولا تتحمل المناقشة والبحث ولا تطيق ان تعيش بجانبها لحظة مسا عاطفة او فكرة اخرى تخالفها خطأ كانت او صوابا » .

تعليمات مقتضية وكان يعتقد خطأ أن المدرس دون تدريب سابق في إمكانه تطبيق الاختبار والحكم على ذكاء الطفل . وقبل ذكر فقرات الاختبار أورد مقدمة غاية في الإيجاز عن العقل لدى الطفل من السنة الأولى حتى العشرين وكل هذا في عشر صفحات من القطع الصغير . ومن ص ٢٧ الى ٣٠ ذكر المؤلف اختبارات أخرى مثل اختبار التنقيط ولكدوجل لقياس « دقة الانتباه وضبط العضلات » ثم اختبار قوى الحفظ والذاكرة بواسطة جهاز العرض السريع . وأخيرا أشار الى اكتشاف عجيب ، كما يقول ، وهو استعمال الكهرباء في « تحويل الأغبياء الى نجباء » .

وبعد عام ١٩٢٠ لم نثر على أي بحث في اختبارات الذكاء حتى عام ١٩٢٧ عندما نشرت المتطوف في عدد أغسطس ١٩٢٧ (ص ١٥٦ - ١٦٣) مقالة في « مقاييس الذكاء » ثم تلتها مجلة التربية الحديثة : « اختبارات الذكاء بقلم الدكتور أمير بقطر ، أبريل ١٩٢٨ ، عدد ٢٤ ص ٢٤٦ - ٢٥٦ » .

وفي ١٩٢٨ نشر الدكتور حسن عمر كتابه « مقياس الذكاء » (ط ٢ ، ٢٣١ ص ١٩٢٩) والمؤلف طبيب غير متخصص في علم النفس وما ذكره عن نتائج التجارب التي قام بها للمقارنة بين ذكاء المصريين وذكاء الأمريكيين على موضوع شك . غير أن كتابه يعطي فكرة عن مقاييس الذكاء المختلفة من « فردية وخاصة وجمعية » وهو يقصد بالخاصة الاختبارات العملية او الأدائية مثل اختبار بنيتز وباترسون ثم تأتي ترجمة اختبار استانفورد - بينيه من سن ٣ الى ١٨ وقد أرفق بالكتاب المجموعة المصورة . تلك كانت الحالة عندما بدأ اسماعيل القباني نشاطه العلمي وشرع في اعداد الاختبارات ووضعها . وقد علونه عدد من تلاميذه ومن زملائه وفيما يلي بيان بأهم أعمال القباني :

أعداد اختبار استانفورد - بينيه للذكاء (تعديل ترمان ١٩١٦) وضع اختبار الذكاء صوريين وقتن محليا . وضع بالاشتراك مع د. محمد عبد السلام احمد اختبار استانفورد للحساب من صوريين وقتن محليا . وضع اختبار الذكاء الثانوي وقد أسهم د. محمد عبد السلام احمد في تقيينه . وقد تم تقيين الاختبار محليا على أساس فئات الأعمار على عينه كبيرة ممثلة من طلبة المدارس الثانوية وأولى جامعة . وهذا الاختبار مبنى على الاختبارات المعتمدة علميا بالنسبة الى صدقه أو ثباته وله قوة تنبؤية كبيرة فيما يختص بالنجاح المدرسي . وفي ١٩٤١ اشترك القباني في اعداد اختبارات الذكاء الحسية وهي مقتبسة من أسبيرمان مع مجموعة من أعضاء هيئة التدريس هم د. عبد العزيز القوسي د. محمد عبد السلام احمد ، د. رافت نسيم ، عيسى شلتوت

ونجيب غالي فرج .

وكذلك اعد القباني اختبار الذكاء المتوسط واختبار الذكاء المصور للأطفال والقي في نوفمبر وديسمبر ١٩٣٤ ثلاث محاضرات في قياس الذكاء نشرت في عام ١٩٣٨ (١٠٤ ص) ١ : ما هو الذكاء ؟ ٢ : كيف يقاس الذكاء ؟ ٣ : بعض نتائج قياس الذكاء فسي المدارس الابتدائية بالقاهرة .

ومن أهم مؤلفاته : سياسة التعليم في مصر ١٩٤٣ ص - ١٩٤٤ ، دراسات في مسائل التعليم ٣٧٢ ص - ١٩٥١ ، التربية عن طريق النشاط ١٧٠ ص - ١٩٥٨ ، دراسات في تنظيم التعليم بمصر ٢٩٨ ص - ١٩٤٨ .

وانشا في يونيو ١٩٤٨ مجلة « صحيفة التربية » وهي تصدر عن رابطة خريجي معاهد التربية بالقاهرة . ويتولى الآن رئاسة تحريرها د. عبد العزيز القوسي . واسماعيل القباني هو صاحب فكرة الفصول التجريبية التي قامت على أساسها المدارس النموذجية ، كما أنه حارب نظم التعليم التقليدية التي تهتم فقط بتدريس المعلومات دون تثقيف عقل التلميذ وتنمية قوة الابتكار وروح النقد فيه ، كما أنه اخذ على نظام الامتحانات العامة جودها واقتصرها على اختبار قدرة الطالب على الاستظهار فحسب . وقد تحدث د. محمد عبد السلام احمد عن بحث اسماعيل القباني لهذه المشكلة في كتابه « القياس النفسي والتربوي » المجلد الاول ، ١٩٦٠ من ص ٦٠٠ الى ٦١٠ .

بعض الخارج للتخصص في علم النفس

سبق ان ذكرنا ان أول طالب أوفد الى الخارج للتخصص في علم النفس هو محمد مظهر سعيد فسي يناير ١٩٢٥ . وكانت الجامعة التي تخرج فيها هي جامعة برمنجهام بانجلترا .

ونلاحظ ان كل الذين أوفدوا من خريجي المعلمين العليا ثم من معهد التربية وعادوا للتدريس فسي معهد التربية ، كانوا من قسم الرياضة وأودوا الى انجلترا ، واتجهوا في رسائلهم وأغلبها في علم النفس التربوي - الى استخدام الطرق الإحصائية والتحليل العاملي بصفة خاصة .

اما بعثات كلية الاداب بجامعة القاهرة ثم بجامعة الاسكندرية وجامعة عين شمس للدراسة السيكولوجية فكانت ترسل الى جامعة باريس حيث يختلف نظام الليسانس والدكتوراه عما هو في انجلترا وسوف نرى أوجه الاختلاف بين التيار الفرنسي في ميدان السيكولوجية . ثم أوفدت بعثات الى الجامعات الأمريكية حيث تميل الدراسة الى الجانب المهي أكثر منه الى الجانب الأكاديمي ونستعرض الآن الرسائل الجامعية مع إشارة وجيزة الى موضوعها ونتائجها العلمية كلما أمكن ذلك . (١٢)

يتمثل في الرسائل الجامعية والبحوث التي استخدمت فيها طريقة التحليل العاملي لمعالجة نتائج الاختبارات المختلفة للكشف عن قدرات عقلية أولية نقية أو عن بعض سمات الشخصية . ولم يكن هذا الاسهام مقصورا على الحركة العلمية المحلية ، بل كان ذا طابع دولي .

ومن العوامل التي ساعدت على بعض هذه الحركة منذ أكثر من ٣٠ عاما واستمرارها حتى اليوم ان عددا من البعثات في علم النفس التحق اصحابها بالجامعات الانجليزية وجامعة لندن بصفة خاصة ، حيث كان يقوم بتدريس علم النفس عالمان جليلان هما : شارلز اسبيرمان وسيرل بيرت وهما من رواد حركة التحليل العاملي ، وقد حدث من جهة أخرى ان هؤلاء المبعوثين كانوا متخصصين في الرياضة مما سهل عليهم تعميل الاساليب الرياضية والاحصائية في معالجة لبيانات والنتائج ، هذا بالإضافة الى ان الطلبة المبعوثين كانوا موفدين من قبل معهد التربية للمعلمين ليعودوا رسائلهم في علم النفس التربوي ، والاطلاع على كل ما يعمل في مجال الاختبارات والقياسات السيكولوجية وكيفية الاستفادة من الاختبارات في التوجيه التربوي والمهني .

ورائد هذه الحركة في دراسة القدرات العقلية هو د. عبد العزيز القوسي . ويرتبط اسم القوسي في الاوساط العلمية في الخارج بمجموعة الباحثين الذين كشفوا عن القدرات الكلية ، ويرتبط بصفة خاصة بالعامل المكاني (ق) الذي اكتشفه عام ١٩٣٤ عندما كان يعد رسالته للدكتوراه تحت اشراف اسبيرمان وتلميذه استيفنس في جامعة لندن . ونشرت الرسالة عام ١٩٣٥ بعنوان : « بحث في العوامل باستخدام اختبارات تتضمن الادراك البصري للمكان » .

ولكي نقدر اكتشاف القوسي للعامل (ق) حق قدره يجب ان نذكر ان اسبيرمان ظل حتى اواخر حياته متمسكا بنظريته المعروفة بنظرية العاملين (العامل الممتص والعامل الخاصة) ولم يسلم بوجود العوامل الطائفة مثل العامل اللفظي والعامل المكاني الا بكثير من الحذر والتحفظ . والسبب الذي من اجله لم يهتد سبيرمان وتلامذته حتى ١٩٢٧ الى وجود العوامل الطائفة هو صغر العينات التي كانت مستخدمة في البحوث . ويرجع الفضل الى اثبات وجود العوامل الطائفة بوجه عام الى سيرل بيرت منذ ١٩٠٩ ثم الى استيفنس والقوسي والى اثبات وجود العامل المكاني بصورة قاطعة الى القوسي وحده .

وفي ١٩٣١ توصل استيفنس باستخدام ٧ اختبارات لفظية و٨ اختبارات غير لفظية على عينة مكونة من ١٠٣٧ تلميذة عمرهن يتراوح بين ١٠ و ١٢ سنة ، الى اثبات وجود عامل طائفي لفظي والى احتمال وجود عامل طائفي آخر من طبيعة ادراكية مكانية في الاختبارات غير

محمود مظهر سعيد : ١) رسالة درجة البكالوريوس في الاداب (فلسفة وتربية) ١٩٢٦ وموضوعها عرض لمفهوم أفلاطون للنفس البشرية كما ورد في كتاب الجمهورية .

٢) رسالة درجة بكالوريوس في العلوم (علم نفس ورياضيات عالية) ١٩٢٦ وموضوعها : طريقة دائرية جديدة لتعلم الشعر « تجمع بين الطريقتين التقليديتين » الكلية والجزئية .

٣) رسالة درجة ماجستير في العلوم (علم نفس وتربية سنة ١٩٢٨ وموضوعها « مذهب سيكولوجية الملكات » وتتضمن آراء فلاسفة اليونان والعرب وعلماء النفس المحدثين في الملكات العقلية وتنفذ مزاعم الاقدمين في ان الملكة قوة طبيعية تعمل بصفة عامة .

٤) رسالة أعدت للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة (علم النفس سنة ١٩٢٩ موضوعها : « الطبيعة النوعية للذاكرة الالوان والاشكال . والبحث طويل يقع في ٢١٥ صفحة وفيما يلي بعض النتائج الخاصة بذاكرة الالوان كما جاءت في البحث الذي قدم في المؤتمر الدولي الحادي عشر لعلم النفس الذي عقد في باريس عام ١٩٣٧ وكان وقتئذ الاستاذ محمد مظهر سعيد رئيس قسم علم النفس في معهد التربية واستاذ علم النفس المساعد بجامعة الازهر . يقدم الباحث نظرية العاملين لتذكر الالوان ، وتنفذ فيها وتنقد كما هو مستقل عن العامل الممتص ، فهناك عامل عام يشترك في جميع العمليات التي بها تذكر لدى اسبيرمان ، وعوامل يعمل كل واحد منها مستقلا عن الآخر ، ولا يتم الربط بينها جميعا الا بفضل العامل العام .

ان نظرية العاملين في تذكر الالوان كان مصيرها مصير نظرية العاملين لاسبيرمان التي لم يبق من شكلها الا على الشيء الكثير . ومع ذلك فان بحث محمد مظهر سعيد جدير بالذكر من الناحية التاريخية خاصة وان البحوث التي تتناول موضوع تذكر الالوان نادرة للغاية . هذا ولا يغفرتنا ان نزه بالجهود الحميدة الموفقة التي بذلها الاستاذ محمد مظهر سعيد لادخال تدريس علم النفس في كثير من امهات وتثنية الاذهان لاهمية علم النفس . وهو يقول في تقريره : وبعد جهد شاق وكفاح مرير نجحت في ادخال علم النفس في كلية اصول الدين بالجامعة الازهرية ، ١٩٣٠ ، والمعهد العالي للفنون المسرحية ١٩٤٥ . والمعهد الصحي العالي ١٩٤٦ وقسم تخصص التدريس بكلية اللغة العربية ١٩٤٠ ، وقسم تخصص الضباط بكلية الشرطة ١٩٥٠ الى جانب الدراسات الصيفية في علم النفس المدرسي الفنون والصنائع والزراعة ، وبرنامج اعرف نفسك ، بالجامعة الشعبية ١٩٤٩ .

بحوث التحليل العاملي للقدرات العقلية

ان جانباً كبيراً من اسهام علماء ج.ع.م. السيكولوجيين

اللفظية . وكذلك في بحث آخر لبراون واستيفنسسون نشر عام ١٩٣٣ إشارة بعيدة إلى احتمال وجود عامل طائفي مكاني . وفي هذه الأثناء كان القوسي يقوم ببحثه بتطبيق ٢٦ اختباراً ، منها ١٥ اختباراً ذات طبيعة مكانية على مسا يبدو وتمانية اختبارات مرجعية لقياس العامل العام ، وذلك على عينة من ١٦٢ تلميذاً من سن ١١ إلى ١٣ عاماً . وقد انتهى القوسي إلى نتائج حاسمة تؤكد وجود هذا العامل وأطلق القوسي على هذا العامل اسم العامل (ق) وقد تبني مؤكداً بعد أن كان موضوع احتمال وتخمين فحسب . وأطلق القوسي على هذا العامل اسم العامل (ق) ، وقد تبني جميع علماء النفس الانجليز هذه التسمية ، في حين أنه يشار إلى العامل المكاني في بحث ترستون بالحرف (اسر) وسيربط فيما بعد فرنون (١٩٥٢) بين العامل المكاني والعامل الميكانيكي ، ويشير إلى هذه المجموعة بالحرفين ق - م .

ويفسر القوسي العامل المكاني بأنه القدرة على سهولة استخدام التصورات البصرية التي تسمح بنقل الأشكال في المجال الذهني . ويعتمد في تأويله هذا على تحليل العمليات التي قام بها الأشخاص المختبرون والتي وضعوها بعيد بعد تتبعها استبطانياً . وستأتي بحث ترستون وإيمست مؤيدة للتأويل الذي وصل إليه القوسي . وقد حلت فيما بعد أن حاول بعضهم التمييز بين العامل المكاني وعامل التحليل البصري الجسم كما سيصنع عالمان مبرلين آخرون في عام ١٩٥١ هما د. محمد عبد الهلام أحمد والدكتور فؤاد البهي السيد .

وحيث أن القوسي اعتمد في تحليل نتائج الاختبارات طريقة أسبيرمان ، فإنه يوافق أسبيرمان موافقة جزئية في أن الاختبارات المكانية تقيس أيضاً صورة أولية للعامل العام .

وبعرض الدكتور القوسي مراحل بحثه والنتائج التي وصل إليها وما استنبعت هذه النتائج من بحوث أخرى قام بها علماء اجانب وعلماء عرب امثال محمد عبد السلام وفؤاد البهي ومختار حمزة وبركات وخيري مرسى . وذلك في البحث الذي القاه في باريس في يوليو ١٩٥٥ أثناء انعقاد الحلقة الدراسية الدولية عن التحليل العاملـي وتطبيقاته ، وعنوان البحث « اتجاهات الأبحاث في القدرات المكانية » وقد جاء ذكر اكتشاف القوسي في كثير من المراجع الأجنبية مثل كتب فرنون وترستون وأوليسرون (١٩٥٧) ، وجيلفورد (١٩٦٠) .

ومن الوجهة التطبيقية فقد اثار العامل المكاني اهتماما كبيرا ، إذ أن الاضطرابات التي تقسم لها قيمة تنبؤية في مجال التربية والمهن الصناعية . وفيما يلي بعض النتائج العملية التي توصل إليها القوسي بالاشتراك مع سلامة وهنا :

١ - أن العامل (ق) يظهر بصورة واضحة ومميزة فيما بعد السن الحادية عشرة . ٢ - لدى تلاميذ المدارس الصناعية التطبيقية اختبارات أثبات اليد والتآزر اليدوي لا تقل أهمية عن الاختبارات التي تقيس القدرة على النجاح المدرسي . ٣ - أن القدرة على التصور المكاني لها أهمية بالغة في الرسم . ٤ - أن العوامل المكانية والميكانيكية أكثر تنظيماً وتأكيذاً لدى مجموعة طلبة الهندسة الجامعيين (المدرسين عنها لدى مجموعة غير المدرسين ٥ - أن أفضل الاختبارات المكانية لقياس القدرة الهندسية لدى المجموعة المدرسة هي الاختبارات المكانية ذات البعد الثالث واختبارات تذكر الأشكال الهندسية .

ومن البحوث التي تدخل في هذا النطاق والتي تدعم وجود القدرة المكانية ، بحث الدكتور محمد خليفة بركات والذي تقدم به لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن تحت إشراف سيرل بيرت وموضوع البحث : « تحليل الثغرات الرياضية عند تلاميذ المدارس الثانوية - ١٩٥١ » .

وقد قام بتطبيق ١٣ اختباراً على ١٦٠ تلميذاً و ١٦٠ تلميذة وتوصل إلى أن النجاح في الرياضيات يتطلب العامل الاتية : العامل العام ، العامل العددي ، العامل اللفظي ، العامل المكاني . وقد اتضح أن القدرة العددية ناحيتين : تتعلق الأولى بالعمليات الرياضية التي تتطلب الاتقان والسلسلة ، وتعتمد على الذاكرة والافراز التي تتطلب والثانية تتعلق بالتفكير الرياضي وحل المسائل ، وهي تعتمد على الاستدلال .

وإضافة إلى ما تقدم ذكره ، فإننا نرى للدكتور مختار حمزة فيسلي الناخر الدراسي في الرياضة في المدارس الثانوية ، وهو البحث الذي نال به درجة الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٥١ من جامعة ليدز بالانجلترا (١٤) ، وكانت العينة مكونة من طلبة المدارس الثانوية اختير منهم ١٣٦ تلميذاً عادياً و ١٣٦ تلميذاً متخلفاً في الرياضيات بين سن ١٢ و ١٤ عاماً ، وكانت بطاريتها تتكون من ٢٢ اختباراً ، منها ١٩ اختباراً في القدرة الرياضية صمم منها ١١ وثلاثة اختبارات تحصيلية واختباراً للدكاء .

وتتلخص النتائج فيما يلي : - انخفاض مستوى الذكاء لدى مجموعة المتأخرين بشكل جوهري . ٢ - كانت مجموعة المتأخرين اضعف من العاديين في القدرة الرياضية . فيما يخص باستخدام الأرقام وفهمها والتصور البصري . ٣ - أضعف أن بعض الافراد في مجموعة المتأخرين يتمتعون بذكاء عال وقدرة رياضية جيدة . ٤ - أن أعلى نسبة مئوية للتأخر كانت في مادي الحساب والجبر مما بوحى بأن هاتين المادتين تتطلبان بعض القدرات اللازمة للنجاح في الهندسة ، أي أنه يجب التمييز بين كل من القدرة العددية والقدرة المكانية أو بمقابلة أدق القدرة على التصوير

البصري للأشكال الهندسية . ٥ - وقد ظهر عامل آخر غير عقلي خاص بالعمل لمادة الرياضة .

ان العبارة التي استخدمها د. مختار حمزة في بحثه هي التصوير البصري والسؤال الذي يمكن طرحه هو ، ما ذا كانت القدرة على التصور البصري قدرة بسيطة او قدرة اولية يمكن تقسيمها . وقد بين د. فؤاد البهي السيد في رسالته للدكتوراه عام ١٩٥١ عن العوامل المعرفية في القدرة الهندسية ، ودراسة في القدرات المكانية ، ان القدرة المكانية تنقسم الى قسمين : المكانية الثنائية ، والمكانية الثلاثية ، كما بين ضرورة التمييز بين القدرة الهندسية والقدرة المكانية .

وفي السنة نفسها اي ١٩٥١ كان د. محمد عبد السلام قد توصل الى تقديم حل حاسم لمشكلة كثيرا ما كانت مثار الجدل والتساؤل بين علماء النفس منذ عصر السير فرانسيس جالون ، وهي مشكلة القدرة على التصور المجسم . هل التصور البصري للأشياء وتصور حركة الأشياء قدرة واحدة كما ذهب الى ذلك جيلفورد وآخرون فسي تقريرهم السيكلوجي الخامس عن السلاح الامريكسي عام ١٩٤٧ . فقد توصل عبد السلام الى التمييز بين القدرة على تصور البعد الثالث ، والقدرة على المعالجة الذهنية المكانية ، والقدرة الاولى لاتضمن تصور الحركة ، وفي حين ان القدرة الثانية تتضمن تصور الاشياء فسي المكان وتحويلها . كما بين ان قدرة المعالجة الذهنية ليست قاصرة على العلاقات المكانية كما كان ينظر بل تدخل في حل جميع المسائل الفكرية من تفكير لفظي وعمليات حسابية وتفكير مجرد وقضايا منطقية وغير ذلك . كما كانت هناك حاجة الى التعديل والتغيير في ترتيب عناصر الموضوع او المشكلة ترتيبا يسهل معه ادراك العلاقات بين عناصر المشكلة ومن ثم اكتشاف الحلول .

وهذه القدرة على المعالجة الذهنية التي اثبت عبد السلام وجودها بانباع طريقة التحليل العائلي هي القدرة نفسها التي وصفها الجشططنيون ، عندما تحدثوا عن اعادة بناء المجال ، غير انه يوجد فرق بين التصورين ، فلدى عبد السلام نحن بصدد الجشططنيين تؤدي العوامل الموضوعية الدورة الاكبر في تغيير بناء المجال . ومما تكن من امر فمن الطريف ان نسجل ظاهرة تدعيم الحقائق التي توصل اليها باستخدام الطريقة الاكليتية تدعيما تجريبيا رياضيا .

وقد استخدم عبد السلام في بحثه ثلاثة عشر اختبارا طبقت على ٢٢٩ طليدا . وقد وضع الباحث خمس اختبارات منها اثنان لتصور البعد الثالث واثنان للمعالجة الذهنية وقد استخدم القسم السيكلوجي في سلاح الطيران الاميريكي هذه الاختبارات في ابحاثه بعد استئذان واضعها . وقد اهتم الاستاذ جيلفورد بصفة خاصة بالنتائج التي توصل اليها عبد السلام وبعمال المعالجة الذهنية على

وجه الخصوص نظرا لما له من اهمية نظرية وعملية .

وقد نشر النص الانجليزي لجزء من رسالة الدكتور محمد عبد السلام احمد في « الكتاب السنوي في علم النفس » الذي اشرف على اصداؤه الدكتور يوسف مراد ، عام ١٩٥٤ ، من ص ٢٣ الى ٨٨ ، طبع دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٤ .

ومن البحوث القيمة التي قام بها علمائنا ، بحث كان له اثر بعيد في الاوساط العلمية في الخارج ، اعني الرسالة التي تقدم بها السيد محمد خيرى مرسى لثيل درجة الدكتوراه من جامعة لندن في ١٩٥١ وموضوعها « مسؤوليات العمليات العقلية المعرفية (١٦) » . وفيما يلي ملخص البحث كما جاء في ص ١٨٤ من الكتاب السنوي في علم النفس ، ١٩٥٤ .

« تلخص المشكلة التي يرمي البحث الى فحصها في تقسيم العمليات المعرفية تقسيما يتفق مع طبيعة هذه العمليات واختلافها بعضها عن بعض من حيث النوع ودرجة التعقيد ، وقد اجري لذلك بحث تجريبي على ١٦٦ ولدا بين العاشرة والحادية عشر واستعمل فيه عشرون اختبارا لعمليات عقلية تدل الملاحظة النفسية على ان كلا منها ينتمي الى مستوى من المستويات العقلية تحت الاختبار ، وقد حلت النتائج التجريبية بالطرق الاساسية في التحليل العائلي ، وانضغ ان التقسيم الذي رجحه هذا التحليل يتم في خطوتين : في الخطوة الاولى تنقسم العمليات الى طائفتين هما المجموعة الفكرية والمجموعة العملية ، وفي الخطوة الثانية تنقسم الاولى الى العمليات الالغابسية والعمليات الالغابسية . وتنقسم الثانية الى العمليات التي تنتمي الى المستويات المختلفة .

في الرسائل التي سبق ذكرها كان يقوم بالاشراف امسا اسبيرمان او سيرل بيرت ، والان تنتقل الى اد نيبورا في اسكتلندا حيث يقوم بتدريس التربية استاذ اشهر فسي ميدان التحليل العائلي هو جود فرى توسون الذي اشرف على الرسالة المقدمة من زميلة القريب للحصول على الدكتوراه في الفلسفة في ديسمبر ١٩٤٩ . وكان موضوع رسالته « التحليل العائلي للقدرة العملية وعلاقتها بالاستعداد العقلي العام والسمات المزاجية والتحصيل الدراسي . وهو اول بحث من نوعه يحاول تحديد طبيعة القدرة العملية وتحليلها الى مكوناتها ، فمنذ ان اكتشف الكسندر العالم العملي ف باستخدام اختبارات ادايسية غير لفظية والبحوث التي تجري لمعرفة ما اذا كان لهذا العامل اصاله تميزه عن العامل الميكانيكي او عامل القوي اي العامل المكاني . فافضح ضعف العلاقة بين (ف) و (م) ، في حين ان برانس في بحثه عام ١٩٤٠ ارجع العامل ف الى العامل المكاني . وفي ١٩٤٩ نشر ايمث بحثا ينتهي فيه الى القدرة العملية تتضمن العامل العام

والعامل المكاني .

وفي نفس السنة توصلت الدكتوروة رمزية الغريب الى نتائج هامة تؤيد بعضها ما توصل اليه ايتم . فقد طبقت على عينات من تلاميذ وتلميذات المدارس الثانوية والصناعية حوالي ٢٠ اختبارا منها ٧ اختبارات عملية غير لفظية ، ثم طبقت هذه الاختبارات العملية على عينة عشوائية من الفلاحين والعمال .

وقد اسفر التحليل العاملي لمعرفة الارتباطات لعينات التلاميذ عن النتائج الآتية :

١ - قدرة عقلية عامة . - قدرة على ادراك العلاقات الآتية :

١ - قدرة عقلية عامة . ٢ - قدرة على ادراك العلاقات المكانية . ٣ - قدرة على سرعة الادراك (شبه بعامل ب لثريستون) . ٤ - قدرة تحصيلية معرفية .

ب - ان هناك علاقة كبيرة بين القدرة العملية والاستعداد العقلي العام ، وليس من الصحيح ان هذه القدرة لا تتطلب قدرا لاساسية من هذا الاستعداد العام .

ج - لم يؤد التحليل الى عزل قدرة خاصة متعلقة بالسمات الزاجية .

وقد اهتمت الدكتوروة رمزية الغريب ببحث التواحي التطبيقية للقدرة العملية في التوجيه الدراسي لاختلاف انواع التعليم الثانوي ، وتوضح ذلك مجموعة الاختبارات التي اعدتها منذ ١٩٥٩ وقد اعدت في ١٩٦٢ اختبارات الاستعداد العقلي بالرحلة الثانوية والجامعية .

اشرنا في عرضنا لبحث الدكتوروة رمزية الغريب على المشكلات التي اثارها العامل العملي ف لالكسندر ، ومدى علاقته بالعامل الميكانيكي والعامل المكاني . ونود ان نشير الى بحث حديث جدا (مايو ١٩٦٣) يتناول بالدراسة التجريبية والعاملية القدرة الميكانيكية وما تتضمنه من عوامل ، قدمه محمود عبد القادر لكليّة الاداب - جامعة عين شمس « قسم الدراسات النفسية والاجتماعية » .

لنيل درجة الماجستير في علم النفس ، تحت الاشراف العلمي للدكتور السيد محمد خيرى مرسى الذي سبقته الاشارة الى بحثه . وهذا البحث الذي يرتبط بالكثير من صلة بحوث الدكتور القوسى عن العامل المكاني والدكتور محمد عبد السلام عن عامل المعالجة الذهنية ، جذبر بكل ثناء كما انه مبعث فخر للدراسة الجامعية في ج ٢٠٤٠ . لانه لاكتفي بان يكون في مستوى قوى البحوث السيكولوجية التي تجرى في الخارج ، بل في نظري يفوق الكثير منها ، وذلك للاسباب الآتية : اتساع ثقافة الباحث مع تعمقه في موضوع تخصصه ، وضوح فسي عرض الابحاث السابقة التي تناولت الفكاك الميكانيكي وما يتعلق بها من قدرات طائفة او خاصة واتخاذ موقف الناقد المنصف ، الجهود الضخم الذي بذله في عدد ادوات البحث

من اختيارات وتحليلات للاعمال الميكانيكية المختلفة، مناقشته العميقة لمفهوم الصدق وقيمتها النسبية ، وبالإضافة الى براعته في سيطرة الافكار العلمية والمعالجة الذهنية العقلية للمشكلات ، يجب ان نذكر افاقته في استخدام ادق الطرق في التحليل العاملي ، وحسبنا ان نذكر ان تطبيق الاختبارات وعددها ١٩ على ٢١٢ تلميذا ادى الى استخراج ١٧١ من معاملات الارتباط عولجت عامليا ، بعد عدة مراحل اجراء ٣٧ عملية تدوير ادت الى الكشف عن تسعة عوامل متعامدة بيانها فيما يلي ص ٢٢٥ - ٢٢٦ من الرسالة .

١ - الاستدلال الميكانيكي . ٢ - المهارة « للاصابع واليدين والذراعين » . ٣ - السرعة الحركية « التأخر بين حركات اليدين والذراعين وحركات العينين » . ٤ - السرعة الادراكية للعلاقات المكانية . ٥ - العامل المكاني الاول وهو التصور البصري الثلاثي لبعدي أي القدرة على لف او نقل الاجسام والاشكال تصوريا من مكانها او وضعها الاولى الى مكان او وضع جديد بناء على تعليمات محددة بذلك . ٦ - ذاكرة الاوضاع المكانية . ٧ - العامل المكاني الثاني (التصور البصري الدينامي) ويمثل المعالجة او الحركة البصرية في تنظيم او ترتيب عناصر المشكلة ، واعادة تنظيمها من زاوية جديدة حتى يسهل فهمها . ٨ - عامل الاتزان ويمثل القدرة على دقة وثبات حركات اليد مع تحريك الاصابع واليد حركات ارادية بسرعة ودقة الى اهداف معينة حسب تعليمات المحددة . ٩ - البقايا .

يجب هنا التعليق على العامل السادس وهو عامل ذاكرة الاوضاع المكانية فان استخلاص هذا العامل يعتبر تحقيا عامليا خاصا بالفرض الذي توصل اليه الباحث من تحليل العمل الذي اتضح منه ان معظم الاعمال الميكانيكية تتطلب قدرا معيناً من تفكير الاوضاع المكانية ، هذا بالإضافة الى ان هذا العامل لم يظهر في اي دراسة سابقة ويعتبر بحق اضافة جديدة لمكونات القدرات الميكانيكية .

ولا يتسع المقام للاشارة الى جميع نتائج هذا البحث القيم ، وحسبنا ان نشير في النهاية الى الجانب التطبيقي ، فقد تمكن من تكوين بطارية كاملة لاختبار القدرات الميكانيكية لمن تتراوح سنهم بين ١١ و ١٤ سنة من المذكور تتمتع بخصائص البطارية الجيدة وتتكون من ٩ اختبارات تقيس القدرات السابقة بصور دقيقة في ١١ دقيقة ، وتستخدم في مجال الاختبار والتوجيه المهني بالنسبة لجميع الحرف الميكانيكية التي توجد على مستوى الجمهورية . كما يمكن تشخيص جوانب الاضطراب التي تحدث في مرحلة بعينها من العمل او التدريب بناء على المفهوم الجديد للصدق كما وصفه الباحث . وكذلك يمكن تحديد الدرجات الفاصلة التي يمكن ان تقبل او ترفض على اساسها العمل

في عمليات الاختبار بناء على مستوى الكفاية المطلوبة للمعلم المختارين .

قدمنا فيما سبق عرضا سريعا لاحدى الحركات العلمية الهامة التي قام بها علمنا وهي الدراسة التحليلية العامية لبعض القدرات العقلية . (١٧) . وقد دفعنا الى تقديم هذا الموضوع حركة البعثات العلمية التي اوفدت الى انجلترا حيث كان الاتجاه السائد فسي للدراسات السيكولوجية التحليل العاملي للقدرات العقلية ، و يترتب على نتائج هذه الدراسات من تطبيقات عملية في وضع الاختبارات .

وستتناول الان عرض اهم البحوث السيكولوجية تبعاً لمختلف ميادين علم النفس بعد ان نصف بايجز وضع الدراسات النفسية في كلية الاداب الجامعية .

عند انشاء كلية الاداب عام ١٩٢٥ تضمن برنامج الدراسة في قسم الفلسفة مادة علم النفس وكان يقوم بتدريسها اساتذة فرنسيون وظل الامر كذلك حتى ١٩٤٠ عند عودة يوسف مراد من البعثة بعد حصوله على ليسانس التعليم في الاداب ١٩٢٣ ودبلوم الدراسات العليا ١٩٣٤ ودكتوراه الدولة في الاداب مع التخصص في علم النفس يناير ١٩٤٠ من جامعة باريس .

وكانت كلية الاداب قد اوفدت ضمن بعثاتها الى باريس للتخصص في علم النفس مصطفى زبور الذي نجح في الجمع بين دكتوراه الطب والتحليل النفسي والذي سيقوم كما سنرى بدور رئيسي هو وتلاميذه في اقامة حركة التحليل النفسي على اسس علمية سليمة . انشاء اول قسم متخصص للدراسات النفسية في جامعة عين شمس عام ١٩٥٢ .

وفي هذه الفترة ايضا كان يدرس في باريس عسرت راجح الذي قدم لجامعة باريس اول رسالة في علم النفس الصناعي للحصول على درجة الدكتوراه ، والسيد خلف الدكتور زبور فسي تدريس علم النفس بجامعة الاسكندرية بعد ان تولى الدكتور مصطفى زبور رئاسة قسم الدراسات النفسية والاجتماعية بجامعة عين شمس .

فيما كان تدريس علم النفس في معهد التربية متأثرا بالاتجاه الانجليزي ومرتبيا بالاهتمامات التعليمية والتربوية كان الاتجاه الفرنسي هو السائد في التدريس الجامعي ، ثم انضم الى هذين الفريقين فريق ثالث مكون ممن اتوا دراستهم العليا في الجامعات الامريكية فانضم بعضهم الى كلية التربية وكلية البنات وكلية الاداب بجامعة عين شمس وعين احدهم في كلية الاداب بجامعة القاهرة .

ولا بد هنا من الاشارة الى ان ما يميز الاتجاه الفرنسي في علم النفس عن الاتجاهين الانجليزي والامريكي . ان

تدريس علم النفس في الجامعة الفرنسية تغلب عليه النزعة الاكاديمية التي تهتم بعرض النظريات وتناقل التجارب ومناقشتها وربطها بالتيارات الفكرية والفلسفية وهي تهدف الى اعداد مدرسين لا الى تكوين مهنيين ، اما الجانب التطبيقي والمهني فهو من اختصاص معهد خاص هو معهد القوي للعمل والتوجيه المهني . اما تدريس علم النفس في الجامعات الامريكية فانه وان كان لا يهمل الجانب الاكاديمي ، يتجه بصفة خاصة نحو الاعداد المهني سواء في مجال تطبيق الاختبارات او الارشاد والتوجيه والعلاج النفسي . والدراسة الانجليزية وسط بين الفرنسية والامريكية وهي اكثر اهتماما بتطبيق الطرق الاحصائية وبمحاولة اقامة الدراسات الخاصة بالخصية وبالسلوك الشاذ على اسس موضوعية ودقيقة .

لا شك ان في هذا التميز شيئا من التصنع لانه من السهل ان تبين كيف ان الاتجاهات الكبرى في الدراسات السيكولوجية ممثلة جميعها في انجلترا وفرنسا وامريكا ، غير ان التمييز الذي نقتحره يؤيده الى حد كبير التيارات المختلفة في البحوث النفسية وبصفة خاصة في رسائل الماجستير والدكتوراه التي قدمت للجامعات في العشرين سنة الاخيرة .

والان نعود الى حديثنا عن اهم الرسائل الجامعية التي قدمت للجامعات الفرنسية .

في ١٩٢٨ قدم عزت راجح وهو من خريجي مدرسة المعلمين العليا بـ « رسالة بعنوانها « المهارة اليدوية في مجال التوجيه المهني » والحصول على دكتوراه جامعة باريس باشراف الاستاذ الدكتور هنري قالون . ومضمون الرسالة بحث تجريبي احصائي يقوم على اجراء اختبارات للمهارة اليدوية وتحليل النتائج تحليليا علميا . وقد استهدف البحث هدفين اولهما اعداد بطارية من الاختبارات المتنوعة للتأكد من العوامل المختلفة التي يحتمل ان تغلوي عليها المهارة اليدوية ، ثم استخدام هذه البطارية لاغراض التوجيه المهني ، اما الهدف الثاني فهو الاستفادة بهذه البطارية لمعالجة بعض المشكلات المعلقة والتي لا تزال موضع خلاف بين علماء القياس السيكولوجي فيما يتصل بموضوع المهارة اليدوية . وقد اسفر البحث عما يأتي :

- ١ - عدم وجود مهارة يدوية عامة ٢ - وجود خمسة عوامل طائفية مستقلة هي :
- أ - سرعة الاصابع والرسح . ب - سرعة حركة الذراع
- ج - ثبات اليد والذراع - د الدقة في التصويب الى هدف هـ - التآزر بين حركة اليدين .
- ٣ - ان قياس المهارة اليدوية في مجال معين يجب ان يتم باختبارات تحليلية .
- ٤ - ان الاختبارات اليدوية المركبة اصدق في التمييز بين الافراد من الاختبارات البسيطة .

ونفسيره .

وموضوع الرسالة الكبرى وعنوانها « بزوغ الذكاء » دراسة مقارنة بين السلوك الحيواني وسلوك الطفل الرضيع مع الافتراض بان القوانين ذاتها التي تفسر سلوك الحيوان تفسر أيضا سلوك الطفل الرضيع ، ثم محاولة الذهاب بهذا الفرض الى اقصى حدوده حتى يتفجر الاختلاف الجوهرى بين السلوكين وهذا الاختلاف يتمثل في اللغة وما يتضمنه اكتساب اللغة من قدرات عقلية تنقص الحيوان .

وكان الفرض الثاني الذي حاول الباحث التحقق من صحته هو التوازن القائم بين تطور الجهاز العصبي وتطور السلوك الذكي وتشمل هذه الدراسة مراحل الترفى في المجالين العصبي والسيكولوجي من الاميا الى الشامبانزيه الى الانسان وقد تبين خلاف هذه المرحلة الطويلة ، كيف كان مدلول الذكاء يتطور ويرتقى من مجال التكيف البيولوجي الى مجال التعليم الحسي الحركي ثم السى مجال السلوك الرمزي العقلي المجرد .

وسمة الذكاء التي نطلقها على فعل من الافعال لا تتضح الا بالقياس الى السلوك الكلى . ويتميز هذا السلوك بانه قصيدي ، موجه نحو غاية ، وهي الغاية التي تعين وسائل تحقيقها . ومبدأ كل نشاط موجود في الكائن الحي ذاته والمنبه الخارجي ليس الا وسيطا يسمح للزغات بان تعبر عن نفسها ولهذا السبب يمكن التحدث عن تعدد الدلالة الذى المنبه الواحد .

وبحيث ان اهتمام الذكاء مرتبط بدرجة التمايز والتفاضل التي تكون قد وصلت اليها الوظيفة الاستطلاعية لعضاء المستقبل فان اول بادرة للذكاء تظهر عندما يكتب المنبه الخارجى صفة الاشارة عندما يكون غير ملائم للتفريغ المباشر للتوتر الذي احذته تنشيط الحاجة او النزعة او الميل او الدافع على وجه العموم ، وفي هذا الكف المؤقت للدافع وفي هذه الصفة الاستباقية للمنبه ما يميز الفعل الذكي . والشعور من الوجهة الوظيفية هو توقع اتمام خبرة اعتمادا على ما يحويه الموقف الراهن من امارات . وكلما كان تبلور النزعة مبكرا ، اي عندما لاتزال بعد غامضة وغير متعينة ، او بعبارة اخرى كلما كانت درجة عدم اتمام الخبرة عالية في اللحظة التي يصبح فيها الشخص شاعرا بالمشكلة التي عليه ان يحلها ، زاد مدى تنوع وتعين التفاصيل في مجال سلوكي اكثرت امتدادا ، كما تثرى مجموعة انماط التوافق الممكنة . وفي الذكاء الحيواني تكون درجة عدم اتمام الخبرة صغيرة في اللحظة التي يواجه فيها الحيوان العقبة او الصعوبة . وكلما صغرت هذه الدرجة ضاق مجال يواجه فيها الحيوان العقبة او الصعوبة . وكلما صغرت هذه الدرجة ضاق مجال الذكاء وانحصرت القدرة على التجريد في حدود ضيقة - فالحلول الممكنة التي تعرض للحيوان تتميز بدرجة

٥ - ان العسر - وهو استخدام اليد اليسرى - يزداد بنمو الطفل ، وان الطفل البطيء لا السريع هو الطفل الاضطرب في اغلب الاحوال ، اي الذي يستخدم كلتا يديه بنفس السهولة .

وقد اهتم د. عزت راجح منذ ١٩٦٠ بتدريس علم النفس الصناعي بجامعة الاسكندرية فانشأ في ١٩٦٠ معملا لتدريب تلاميذ السنة الرابعة الذين يدرسون مادة علم النفس الصناعي . والمعمل مزود بطاغة من الاجهزة والاختبارات المستوردة من الخارج وبمكتبة خاصة . كما انه نشر في ١٩٦١ ، كتابا في علم النفس الصناعي مسن ٥٠٤ صفحة . وفي ١٩٥٤ نشر بحثا في الكتاب السنوي في علم النفس موضوعه :

« الاختبارات السيكلوجية في انتقاء طلبة الجامعة » ص ٨١ - ٩٦ .

وفي يناير ١٩٤٠ حصل يوسف مراد على دكتوراه الدولة في الاداب من السربون . ويقتضى الحصول على دكتوراه الدولة في الاداب اولا على ليسانس التعليم في الاداب وعلى دبلوم الدراسات العليا ثم تقديم رسالتين للدكتوراه احدهما رئيسية والثانية مكملة .

وكان موضوع رسالة الدبلوم « سيكولوجية الجهد من عهد الفلاسفة اليونان حتى الدراسات التجريبية في القرن العشرين » وهي منشورة وتقع في ١٧٠ صفحة وتحتوي على سبعة فصول . ويتناول الفصل الاول مفهوم الجهد في الفكر اليوناني واللاتيني وتعتمد الدراسة بوجه خاص على تحليل شتى المصطلحات اليونانية اللاتينية التي تتطور معناها حول مفهوم الجهد والمنفعة والرافعة الروحانية والتشقق والجد وما اليها . ويعالج الفصل الثاني مفهوم الجهد في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ثم يخصص الباحث الفصل الثالث لعرض راي الفيلسوف مين دي بيران في الجهد اذ ان مفهوم الجهد هو المحور السذي تدور من حوله نظرية مين دي بيران في الشخصية وفي نشأة الشعور بالانا . ثم يستعرض الفصل الرابع التفسيرات المختلفة التي تناولت الشعور بالجهد في القرن التاسع عشر . ثم يعود الباحث فيخصص فصلين احدهما لعرض نظرية برجسون في الجهد العقلي والثاني لشرح نظرية بير جانييه فيما يسميه بسلوك الجهد (١٨) اما الفصل الاخير فيدرس العلاقة بين الجهد والعمل .

اما رسالتا دكتوراه الدولة في الاداب فقد استغرق اعدادهما وطبعهما اربع سنوات ونصف . وراى الباحث ان يخصص الرسالة الكبرى لموضوع فسى علم النفس الحديث والرسالة الصغرى لاحياء جانب من التراث العربي في الدراسات النفسية . ومن الموضوعات التي كانت تستأثر باهتمامه دراسة الشروط العضوية للجسيمية للنشاط النفسي او للسلوك كما يحاول علم النفس وصفه

كبيرة من التنظيم والتعيين وتترك مجالا صغيرا صعبا جدا لاختيار جديد لاحق .

ويتميز ذكاء الطفل عن ذكاء الحيوان في أن بلور النزعة يتم تمهيدا لاختيار عن طريق المحاولة والخطأ وذلك فسي غيبة المنبه الخارجي . ففي إمكان الطفل أن يستبعد الخبرة قبل أن توجد في مجال الإدراك .

ويتوقف السلوك الذكي على مرونة الإدراك وقابليته مجاله للتشكيل وإعادة بنائه بحيث تتاح فرصة الاستمرار السريع . وما يقال عن مجال الإدراك يقال عن مجال المعالجة الذهنية ، فكلمة كان الفشل موضع تفكير بدلا من أن يكون موضع معاناة تكون درجة الذكاء أكبر .

وأخيرا يسير تقدم الذكاء وارتفاعه نحو درجات أكبر فأكبر لعدم تعيين الاشارات والرموز التي يميزها الشخص أو يتفقدوها أو يستخدمها ، نحو تحرير أكبر فأكبر من القيود المكانية والزمانية ، نحو تدعيم القدرة على الكف والتوقع والاتفاف والاستباق والاختيار .

ومن خلال تتبعه لارتفاع الجهاز العصبي فسي الانواع الحيوانية من اللا فقريات الى الفقريات ، ودراسته للمراحل التي يمر بها النمو الحسي والحركي والانفعالي والإدراكي لدى الطفل انضغح للباحث مدلول عملية التكامل كما أشار إليها هو جلنجر - جاكسون وشرنجتون في إنجلترا ثم موناكوف ومورج في فرنسا وسيستخذ يوسف مسراند عملية التكامل المحور الذي سيبني حوله نظريته الأساسية في الحياة النفسية ويصوغ القوانين العامة التي تفسر ارتفاع الحياة النفسية . أن نقطة البداية عندنا في دراسة الشروط البيولوجية والفسيولوجية للسلوك الفردي ومن رآه أنه لا يمكن فهم الإنسان إلا إذا فهمنا أولا طبيعته الحيوانية ، كما أنه لا يمكن فهم المجتمع إلا إذا فهمنا أولا طبيعة الإنسان الأفراد . ولا يعني هذا أن يوسف مراد ينزع في تفكيره نزعة تحفيزية بإرجاع الإنسان إلى الحيوان والاجتماعي إلى الفردي ، بل على العكس من ذلك فإن منهجه التكاملي ظفروفي في نزعته يسلم بوجود مراتب تصاعدي من الوجود بحيث تحفظ كل مرتبة حيوانية كانت أو نفسية أو اجتماعية ، بتوحيدها واستقلالها الذاتي .

طبعت هذه الرسالة عام ١٩٣٩ وتوقفت في يناير ١٩٤٠ . وقد اشرف على البحث الأستاذ هنري ديلاكروا ثم بعد وفاته الأستاذ بول جيبوم ، وقد قال عن الرسالة في تقريره أن من بين مميزاتها أنها تقدم لعلماء النفس الفرنسيين حقائق ونتائج تجريبية هم للأسف يجهلونها . وقد أعيد طبع الرسالة في ١٩٥٥ ونشرت في مجموعة يشرف عليها الأستاذ هنري بيرون في « المكتبة العلمية الدولية » ، قسم العلوم الإنسانية فرع علم النفس . وقد أصبح كتاب د . يوسف مراد « بزوغ الذكاء » من الكتب التي تذكر في المراجع الأساسية لكتب علم النفس للطلبة

الجامعيين . وقد استشهد ببعض ما جاء فيه الاستاذ هنري بيرون في موسوعة علم النفس - فصل سيكولوجية الحيوان - وجان فيو في كتابه عن سيكولوجية الحيوانات وكذلك العالم الهولندي بويتنديك . وفي كتابه عن ذكاء الطفل وتفكيره عدل جان بورجاد رايه في طبيعة الذكاء في الطبعة الثانية من كتابه عام ١٩٤٢ ص ١٥٤ .

ويشير فيو في ص ٧٧ إلى التمييز الذي اقامه يوسف مراد بين السلوك المكتسب عن طريق التعلم والسلوك المكتسب الذكي ، أي العلاقة بين التعلم والذكاء وهو موضوع الفصل الرابع من كتاب بزوغ الذكاء . كما أن فيو في حديثه عن تعلم الفأر اجتياز المتاهة يرجع القاريء إلى الفصل السادس . وفي خاتمة كتابه يذكر فيوس ١٢٥ - ١٢٦ نصا مقتبسا من كتاب د . يوسف مراد في التمييز بين ذكاء الحيوان وذكاء الإنسان .

وكان الغرض من الرسالة الثانية لدرجة الدكتوراه الدولية في الاداب احياء جانب من التراث العربي في الدراسات السيكلوجية . وكان اقرب موضوع للدراسات الوقعية المرتبطة بالعلاقة بين الجسم والنفس ما يتصل بطم الأمزجة أو الطباع وما تفرع عنه من تأويلات وتكهات فيما هي بطم الفراسة وهو علم الفيزيوجنومونيا لدى اليونان . وقد وفق الباحث إلى الكشف عن نص لسم بشر اللامام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ في علم الفراسة ، فوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة جامعة كمبريدج ونسخة ثانية في قسم المخطوطات في مكتبة لندن كما أنه اعتمد على صورة فوتوغرافية لنسخة مخطوطة موجودة في مكتبة أبا صوفيا في اسطنبول ، وقد حقق النص العربي التعليقات الحديثة على النص . وقدم للنص والترجمة بدراسة وافية عن تطور علم الفراسة منذ عهد اليونان حتى يومنا هذا في أربعة فصول من ص ٧ إلى ص ٦٧ . ويتناول الفصل الاول موضوع الفيزيوجنومونيا وتطورها في الغرب في القرون الوسطى .

وفي العصر الحديث ، مع الاشارة إلى العلاقة بين بعض القضايا في علم الفراسة ومبادئ نظرية الشجلاط من جهة ومبادئ السوكية الحديثة من جهة أخرى . وبالعالم الفصل الثاني موقف علم الفراسة من سائر العلوم في تصنيف العلوم كما نجده لدى الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد والاكفاني وطاشكوبيرز زاده والحاج خليفة .

أما موضوع الفصل الثالث والرابع فهو عرض لكل ماكتبه اليونان والعرب في علم الفراسة وقد تطلب العثور على كل ما كتبه العرب في هذا الموضوع زيارة المكتبات الفنية بالمخطوطات العربية فقد قضى الباحث أكثر من سنة في التنقيب والبحث في مكتبات باريس ثم لندن وكمبريدج واوكسفورد في إنجلترا ولندن فسي

هولندا وبرلين وميونخ وجوتا في ألمانيا .

وقد وفق أثناء بحثه في المكتبة البودليانية في اسفورد الى الكشف عن مفقود كان مستترا تحت اسم غريب هو « مذهب الكلدانيين لابن وحشية » . وهذا الكتاب المفقود هو الجزء الثاني من كتاب مطالع الانوار في الحكمة لسراج الدين محمود ابن أبي بكر الازمعي - ١٢٨٣/٦٨٢ - اما الجزء الاول فهو في المنطق وكان من الكتب المانورة تناوله بالتعليق والتوضيح تسع وعشرون من الشراح منهم قطب الدين التختاني الرازي - ٧٦٦-١٢٣٤ - والجرجاني - ٨١٦/١٤١٣ - وقد طبع على الحجر في طهران عام ١٢٩٤ هـ .

ولم يذكره الحاج خليفة في كتابه « كشف الظنون » من اسامي الكتب والفنون « اذ ان النسخة الوحيدة منه قد انتقلت الى اوروبا قبل ان يبدأ الحاج خليفة رحلته في المكتبات العامة والخاصة .

وهذا الكتاب الذي يعالج موضوعات الفلسفة الاولى والفلسفة الطبيعية والالهية جدير بالنشر لانه يقارن بين آراء ابن سينا وردود فخر الرازي . غير ان النسخة الموجودة في اسفورد ، وهي النسخة الوحيدة حسب علمنا ، نسخة ناقصة ومكونة من جزء قديم - عشرورقات - يحمل على هامشه تعليقات بعضها لمحمود بن عبد الرحمن ابن محمد الاصفهاني الشافعي - ٧٤٩ / ١٢٤٨ - والجزء الثاني حديث الكتابة لا توجد شرح على هامشه . وقد رحب المستشرقون ومؤرخو العلوم ببحث في يوسف مراد في علم الفرائض عند العرب وقد تلقى المؤلف من مؤرخ العلم جورج شارثون خطابا يشي فيه على قيمة الرسالة وقد جاء ذكر الرسالة في مجلة إيريس لتاريخ العلم والفلسفة في عام ١٩٤١ وفي الجزء الثالث من كتاب جورج سارثون « مدخل الى تاريخ العلم » .

وقد ظل د. يوسف مراد معنيا بالتراث العربي وكتابته في مبادئ علم النفس العام هو الكتاب العربي الوحيد الذي يستشهد فيه المؤلف بنصوص عربية اما قديمة لابن سينا والغزالي وكبار اطباء العرب او حديثة لكبار ادبائنا امثال طه حسين والعقاد وتيمور . وسنرى فيما بعد كيف ان مفهوم التكامل وجه بحث د. يوسف مراد سواء في المقالات التي نشرها في مجلة علم النفس التي انشأها عام ١٩٤٥ وفي الكتاب السنوي لعلم النفس عام ١٩٥٤ بعد توقف المجلة عن الصدور ، او في دراساته لسيكولوجية الفنان والفنون الجميلة .

وننتقل الان الى رسالة الدكتوراه التي حصل عليها مصطفى زبور من جامعة ليون عام ١٩٤١ وموضوعها الافازيا والعسر الدماغى . وقد نشأت فكرة هذه الرسالة بوضفها توجا للدراسات الطبية التي قام بها الباحث

كاساس لما يهدف اليه من التخصص في الدراسات النفسية - من الرغبة في دراسة مشكلة يلتقي فيها بوضوح العضوي والنفسى أي مشكلة الافازيا ، أي فقدان القدرة على استخدام اللغة وفهمها ، وما يكتنفها عادة من أعراض الاجنزيا والابراكسيا . وبكون د. مصطفى زبور في اتجاهه هذا مخلصا للتقاليد الفرنسية في الجمع بين الثقافة الطبية والثقافة السيكولوجية كما ان فالون ومع استاذتنا بيبير جانييه وجورج ديما وهنري فالون وجورج بوايه واندريه اومبردان كما هو الامر كذلك اليوم مع اندريه لاجاش وجولييت بوثويه استاذة علم النفس في السربون . ورغبة تضيق نطاق البحث حتى يتاح تعمق المشكلة اختار الباحث مشكلة الافازيا الصليبية التي يبرز فيها خلل النظرية الميكانيكية عن المراكز اللغائية فسي تفسير اضطرابات اللغة بوجه خاص واضطرابات التفكير بوجه عام .

وقد استفاد الباحث بدراسته الفلسفية السابقة من ناحية ودراسته في علم النفس الفسيولوجي من ناحية اخرى لاقامة الدليل على وجوب النظرة الديناميكية في هذه المشكلة ، تلك النظرة التي سبقه فيها هنري هيد ، ج فرومان وغيرهم . وقد انجز الباحث هذه الرسالة تحت اشراف احد استاذة النيورولوجيا البارزين وهو ي. فرمان ، تلميذ بانسكي واحد رواد التفكير النقدي الدينامي في الطب العصبي - النفسي . وسنعود الى الحديث عن أعمال د. مصطفى زبور في بحثه عن الحركة الجشطلتية النفسية فسي الشرق وتنظيمها وتنميتها .

ومن الحاصلين على دكتوراه الدولة في الاداب من السربون - فرع علم النفس - د. صلاح مخيمر ، استاذ علم النفس بكلية المعلمين بالقاهرة ، د. سامي محمود على مدرس علم النفس بكلية الاداب ، جامعة الاسكندرية ، والاثان من تلاميذ د. دانييل لاجاش المحلل النفسي واستاذ علم النفس المرض بالسربون .

كان صلاح مخيمر ضابطا بالجيش واشترك في موقعة العلمين وكان من ابطالها واضطر الى ترك العسكرية بعد ان فقد بصره واحدى ذراعيه فالتحق طالبا بقسم الفلسفة بكلية الاداب جامعة القاهرة وكان من المتفوقين ثم سافر الى باريس والتحق بالسربون وحصل على دكتوراه الدولة في الاداب - فرع علم النفس - عام ١٩٥٧ وتعد رسالته اسهاما قيما في الدراسات الخاصة بعميان الحرب وفيما يلي تلخيص موجز عن أعماله .

في عام ١٩٥٣ قدم رسالة للحصول على دبلوم الدراسات العليا باشراف د. لاجاش وموضوعها : نظرية الجشطلت وعلم النفس الاجتماعي وهي محاولة للامتداد بالتصورات الجشطلتية الى مجال الحقيقة النفس اجتماعية . ومن

من افتقاده الاشكال والالوان والاضواء بعد ما تكون قد اصطبغت اiban البلوغ بالصيغة الجنسية التي تحيل عالم المراهق شيئا يختلف تماما عما كان عليه . ويقدم هذا الباب أيضا صورة لانتظام الجديد الذي يتحقق في عالم الجمال الجنسي عند النخبة من المكفوفين وذلك عندما يتحقق لهم الانزواء ما يتيح لهم ان يفتحوا للاكتانيات الجديدة التي هي في معظمها لمسية حركية . اما الباب الثالث والاخير فينصب على المجال الزوجي والاسرى ويستند الى مفاهيم التحليل النفسي في رسمه لنمط الفتاة التي تنجذب الى الاعمى بصورة عامة والى اعمى الحرب بصفة خاصة . وهذا النمط ، نمط المرأة المنافعة ، يفرض على المجال صراعات بعينها قد تجعل من الحياة الاسرية جشططنا اجتماعيا مقلوب القيادة او متشابوب القيادة قبل ان تبلغ صورتها الثقافية السوية .

وقد واصل د. صلاح مخيم جهوده في سبيل رعاية المكفوفين فاشملهم فاناش عام ١٩٥٨ مجلة « الكفيف العربي يتحدث » ونشر الكتب الالية :

١ - المجال الفيزيائي والمهني للكفيف ، ٢٠٠ ص ، ١٩٥٩ ، ومعلم بقماس المصطلحات الخاصة بالتاهيل ٢٠٠ تاريخ تاهيل المكفوفين ، ١١٠ ص ، ١٩٦٠ . ٢ - الانمساظ الانفعايلة للمكفوفين ٢٧٤ ص ، ١٩٦١ . والناسر للكتب الثلاثة مكتبة الانجوط المصرية بالقاهرة .

٣ - حلمي محمود علي على درجة دكتوراه الدولة في الاداب ، قرع علم النفس من السرون ١٩٥٨ . وكان موضوع الرسالة الرئيسية « الاسقاط والطرق الاسقاطية » وقد اشرف على اعداد الرسالة الدكتور دانييل لاجاسن وهي تتناول مشكلة الاسقاط في متروها النظري وفي علاقتها بالطرق الاسقاطية المختلفة ، وركز الباحث اهتمامه حول اختبار بقع الحجر لرورشاخ واختبار فهم الموضوع وانتهى الى عرض نظرية في الاسقاط اساسها التحليل النفسي والمنهج الفيومينولوجي وعلم النفس التجريبي تحقيقا لفكرة لاجاسن في « وحدة علم النفس » .

اما الرسالة الصغرى فكانت باشراف الاستاذ جان بيابجه وهي عرض نقدي منظم للدراسات التي يبداهها « بروتر ويوسمان في العلاقة بين الادراك والدوافع » ، وهي تضع في النهاية خطوطا عامة لتفسير نتائج البحث التجريبي تفسيريا نظريا شاملا .

والدكتور سامي محمود على عضو الجمعية الباريسية للتحليل النفسي والرابطة الدولية للتحليل النفسي ، وستعود الى ذكر اعماله التعليمية الاخرى عند الحديث عن حركة التحليل النفسي في ج.ع.م .

وبقي لنا ان نشير الى رسالة دكتوراه في علوم التربية قدمت الى جامعة جنيف في سويسرا ، هي الرسالة التي

التقط الهامة التي ناقشها الباحث اوجه الاختلاف بين نظرية الجشططت ونظرية المجال كما قال بها كيرت ليفين وانتهى الى اثبات عكس ما هو شائع وهو ان ليفين ليس من الجشططتيين . وقد وصف د. لاجاسن هذه الرسالة بانها « عمل جد جاد ، دسم ، منهجي وشخصي » .

وفي ١٩٥٧ قدم صلاح مخيم رسالة دكتوراه الدولة في الاداب وكان موضوع الرسالة الرئيسية : « التكيف الانفعالي لمعاني الحرب » وهي تقع في ٣٠٠ ص تقريبا ، وكان المشرف د. لاجاسن . ويحاول الباحث في هذه الرسالة رسم المنحنى الانفعالي الذي يسلكه العمى في سيرة من العصاب الصدمي الذي يستثيره الى هذه الصورة او تلك من صور الاستقرار الانفعالي التي تنتهي اليها . ولكن هذا الرسم لا يقدم صورة نمطية جامدة دائما هي علاقة مثالية تعتبر الحالات الفردية العيانية مجرد تجسيدات متباينة وتشكيلية متنوعة لها . وهكذا فان وحدة العلاقة المثالية تتكرر في الحالات العيانية . ولقد استعرضت الرسالة من الناحيتين التاريخية والفنية مختلف الطرائق التي استخدمت لتأهيل عيان الحرب وخاصة منذ الحرب العالمية الاولى وثناء الحرب العالمية الثانية في المعسكرين الغربي والشرقي . والفكرة الاساسية في هذه الرسالة انما تنحصر في استجداء الطبيعة الخاصة لعملية التكيف ، ثم ما كان من خروج على هذه التحويلات الاخيرة . فالوحدة الكلية من التوافقات الفيزيائية والمهنية بوجه خاص والعاطفية والجنسية الخ . . والى هذا التمزيق التسمسي لوحدة العلمية الكلية انما تنحصر في العمل ، « من الخارج » مع ان عملية التكيف شأنها شأن كل تربية او اعادة تربية لا بد وان تنطلق من الداخل ، وحين يبلغ منحى التطور الانفعالي نقطة بعينها ، عندها وعندها فقط يستطيع الكائن ان يفيد من الامكانيات الخارجية او يستخدمها او يستعيض عنها ببدائل لها . وفي هذا كله تظل القدرات مجرد وسائل يفيد منها اولا الشخص وفقا لاجاهه من نفسه ومن ثم من الحياة باحياها وانشائها .

اما الرسالة المكملة او الصغرى فموضوعها « المشكلات الجنسية لاعمى الحرب » وتقع في ٢٥٠ ص تقريبا تحت اشرف الدكتوروة فايفز بوتوتيه ، استاذة علم النفس بالسرون . وهذه الرسالة تعد بحق محاولة جديدة في الغرض الذي وجهها وفي الوقائع التي استندت اليها . ويرسم الباب الاول الخطوط الرئيسية العامة للمجال الجنسي وقت الحرب . اما الباب الثاني فيتبع التغيرات التي يستثيرها العمى في المجال الجنسي ويسير معها الى نهاية مختلف مشابها الممكنة . ولقد كشفت الدراسة عن الاهمية البالغة لدور التجنيس في عملية الابصار . ذلك ان العمى يستمد اغلب ثقله وينهل امر احباطاته

اعدها د. سيد غنيم تحت اشراف جان بياجيه عام ١٩٥٩ وموضوع الدراسة التجريبية تتبع سير الخداع البصري الهندسي في مراحل النمو المختلفة .

انتبهنا الان من ذكر علماء النفس الذين يمثلون الاتجاه الفرغنسسي وهو يمثل بصفة خاصة فسي مجال علم النفس الكوفي والمقارن د. يوسف مراد وفي مجال التحليل النفسي والتفكير الفينومينولوجي د. مصطفى زبور ، ود. سامي محمود علي . وتود الان استكمالا لعرض الاتجاهات المختلفة الاشارة الى اهم رسائل الدكتوراه التي قدمت للجامعات الامريكية ، وقد سبق ان ذكرنا احداها عند حديثنا عن التحليل العالمي للقطرات العقلية وهي رسالة د. محمد عيد السلام احمد . كما اننا سنستوفي الحديث عن بقية رسائل الدكتوراه التي قدمت للجامعات الانجليزية وذلك عند حديثنا عن الانتاج العلمي في العشرين السنة الاخيرة في مختلف ميادين علم النفس .

ملحق عن نشاط مراقبة الاختبارات النفسية والاشراف الاجتماعي بمصلحة الكفاية الانتاجية والتدريب المهني بوزارة الصناعة .

لما كان من الاهداف الاساسية لوزارة الصناعة رفع الكفاية الانتاجية لكافة مصادر الانتاج على مستوى الجمهورية كلها ، انشأت الوزارة مصلحة الكفاية الانتاجية لتحقيق هذا الهدف ، ثم انشأت المصلحة مراقبة خاصة بالاختبارات النفسية ١٩٥٦ وكان عملها قاصرا على اختيار اصالح العمال والتلاميذ الصناعيين المتقدمين للتدريب في المؤسسات الصناعية المختلفة وغير الصناعية التي توجد في جميع انحاء البلاد ، ثم اتسع نطاق عملها بعد افتتاح مراكز التدريب المهني للمهن المختلفة .

وعلى هذا كان لا بد للمراقبة الجديدة ان تواجه كل هذه الابعاء عن طريق تحليل جميع الحرف التي تتضمنها كل هذه المراكز ، ثم تصميم بطاريات الاختبارات المختلفة التي تقيس هذه المهن . ويرجع الفضل في تطوير هذه البطاريات ، بل في تصميمها وتفتيتها الى مجهودات د. السيد محمد خيرى استاذ علم النفس المساعد بجامعة عين شمس والخبير الفني في المصلحة والى الاختصاصيين النفسيين الذين كانوا يعملون معه . وقد اتسع نشاط المراقبة في ايريل ١٩٦٠ ليشمل الاشراف الاجتماعي .

وكان لزاما على المراقبة بناء على التوسع الكبير في افتتاح مراكز التدريب المهني سواء كان للتلمذة الصناعية او للتدريب السريع - كان لزاما عليها ان تقوم بالابحاث السيكولوجية والاجتماعية المختلفة لتطوير وسائل الاختبار والتوجيه النفسي والاجتماعي . بيد ان الاهتمام

الاكبر في هذه البحوث كان قاصرا في بادى الامر على الاختيار المهني من حيث هو الوسيلة العلمية الدقيقة لاتقاء اصالح التلاميذ والصناع للمراكز المختلفة النسبي تتفق مع استعداداتهم ومهارتهم المختلفة ، كذلك تتفق وسماهم المهنية والشخصية .

ولقد ابتدئ بالدراسات الخاصة بتحليل العمل ، فترجمت كثير من استمارات تحليل العمل الانجبيسية واستخلص منها استمارة تتفق وطبيعة الظروف والبيئة المحلية .

وكان الاستمرار تحليل العمل في المراكز المختلفة والمؤسسات الصناعية ايضا الفضل في تطوير استمارة تحليل العمل حتى وصلت لصورتها الحالية ، وهي تعادل تقريبا نفس استمارة مكتب التوظيف الامريكي من حيث ان لها كتيب تعليمات خاصة بخطوات التحليل وتعرف بمفاهيم الاستمارة واجزائها المختلفة ، كما ارفق بها ايضا قائمة بتعريف السمات او الخصائص الجسمية وشروط العمل وظروفه بناء على احدث الدراسات التي تمت في مجال القدرات العقلية والسمات النفسية في الخارج حتى تكون عملية التحليل موضوعية ومقننة .

ويمكن ان نقول الان بان لدى المراقبة تحليل شبيهه مفصل لمعلم الاعمال والحرف التي يتدرب عليها التلاميذ في مراكز التدريب المختلفة واهم هذه الاعمال هي :

- ١ - الحرف الخاصة بصناعة واصلاح السيارات ٢ - الحرف الخاصة بالاعمال ٣ - الحرف الخاصة بالكهرباء ٤ - الحرف الخاصة بالنسيج ٥ - الحرف الخاصة بالزجاج ٦ - الحرف الخاصة بالجلود ٧ - الحرف الخاصة بالبناء ٨ - الحرف الخاصة بالطباعة .

وبناء على التحليل السابق لهذه الاعمال ، امكن للمراقبة من تصميم مجموعات متعددة عن بطاريات اختبارات الحرف المختلفة ، على اساس ان كل اختبار منها يقيس قدرة او مهارة مهنية ككشف عنها التحليل ، وبين ان العمل يتطلبها او انها اساسية للنجاح في هذا العمل . واول هذه الاختبارات واهمها هي بطارية اختبارات حستري المعادن - وهي تعتبر من اقدم البطاريات المستخدمة في المراقبة واكثرها تقنيا ، حيث ان المراقبة تجري عليها بحونها الاحصائية والتجريبية من ١٩٥٧ حتى الان ، حتى تستكمل تقنيها النهائي . ولقد مرت هذه البطارية وغيرها من بطاريات الحرف المختلفة بعمليات التقييس والتجريب المختلفة من تحليل وحدات الاختبارات التي تتضمنها ، وترتيب اسئلتها حسب مستوى صعوبتها ، وتقدير ثبات كل فقرة وصديقها ، وحذف الفقرات غير المميزة من كل اختبار وتقدير الزمن النهائي للاختبار في صورته الجديدة ثم تقدير ثباته وصديقها بالطرق المختلفة . بعد كل هذا ضمنت بعض الاختبارات التي تقيس

قدرات معينة مع بعضها على انها بطارية واحدة تقيس القدرات والساعات المهنية المطلوبة لحرف معينة ، أو لعمل معين .

يشمل التدريب على حرف التسيج ويمكن قبول الصانع الذي سنه أكثر من ١٥ سنة ، حرف الماد ، ويمكن قبول الصانع الذي يزيد سنه ١٩ سنة ، وحرف البرهارة أيضا والحرف البناء . وجميع هذه المراكز تشترط في المتقدم أن يجيد القراءة والكتابة - وتهدف من هذا النظام الى رفع مستوى الكفاية الانتهائية للعمال الحاليين . للعمال الجدد لتؤهلهم لان يكونوا عمالاً ممتازين .

بالنواحي الانفعالية والزاجية والشخصية المختلفة ، ويكتف عنها بواسطة المقابلة الشخصية ، اذ يعمل في المراقبة اكثر من عشرة اخصائيين نفسيين درب معظمهم على فنن المقابلة وطريقة اجرائها وتقييم الفرد عن طريقها .
ويقع معظم التركيز في المقابلة المهنية على السمات الخاصة والسمات العامة ، وهو ما يعرف بالانفعالية العامة والثبات الانفعالي والواقعية في مجابهة مشاكل الحياة ومدى تحمل المسؤولية ، بالإضافة الى حسن التصرف وقبول الذات واحترامها .
وتوجد خاصة لتقييم هذه النواحي باوزان خاصة ، استثمارا للمقابلة الشخصية .

كما تؤكد على عملية الاختبار وعلى العوامل الاجتماعية او البيئية ، لانها تلقى اقلوى على كثير من ظروف التربية التي مر بها الفرد وتساعد في التنبؤ بمدى نجاحه مستقبلا في مهنته وتؤكد فيها العوامل داخل المنزل مثل الحالة الاقتصادية والظروف والمعاملة المنزلية ومشكلات المنزل وتوافق الفرد فيه ، والعوامل التي توجد خارج المنزل كالعمل او المدرسة والنشاط الاجتماعي وتقضية اوقات الفراغ . . الخ ، وتوجد استثمار خاصة بذلك تعرف باستمارة الحالة الاجتماعية .
واكثر ما نهتم في عملية الاختبار ، هو تكامل جميع البيانات عن الفرد في كل متحد من الناحية الكمية والكيفية بحيث يتضح لنا طبيعة الفرد من جميع الجوانب المختلفة حتى يتسنى مطابقتها للمهنة المناسبة .
وببتدئ برنامج الاختبار بما يعرف « بكشف الهيئة » للتعرف على مدى الصلاحيه واللباقة الشخصية المتوقعة للحرف المختلفة - طول - نظر - سن . . الخ - ، وبعد النجاح في كشف الهيئة تجري الاختبارات العقلية - على نوع الحرفة - ويبدأ عادة باختبارات الورقة والقلم ، فاذا نجح فيها بنسبة معينة حسب تقدير النسبة الحرفية وحاجة المراكز - يسمح له بتطبيق الاختبارات العملية والشخصية ، فاذا نجح في كل منها قبله في المركز المتقدم له .

نشاط المراقبة في غير عمليات الاختبار المهني

تنقسم المراقبة الى ثلاثة اقسام رئيسية ، القسم الاول ويعرف بقسم الاختبارات النفسية ، وهو يقوم اساسا بعمليات الاختبار المهني وتحليل العمل ، القسم الثاني ، وهو قسم البحوث النفسية يقوم اساسا بتصميم الاختبارات وتقنياتها واجراء البحوث المختلفة عليها وعقد الندوات الخارجية والاشتراك فيها وحضور المؤتمرات العلمية والقيام بجميع الابحاث الميدانية المختلفة . والقسم الثالث خاص بالاشراف الاجتماعي ، ويتضمن الاشراف الاجتماعي والرياضي في مراكز التدريب المهني وقس المؤسسات المختلفة التي يتدرب فيها طلبة السنوات النهائية في هذه المراكز . هذا بالإضافة الى تنظيم النشاط الترفيهي ،

وتتبع الحالات الاجتماعية وتحولها اذا استدعى الامر الى الاخصائيين النفسيين في المراقبة . ويقوم القسم ايضا بصرف المعونات المالية والقيام بالتوجيه الاجتماعي اللازم لبعض التلاميذ واولياء امورهم . وتقوم الاقسام المختلفة جميعها في بعض الاحيان متعاونة في عملية التوجيه الفني والاجتماعي بالنسبة لبعض الحالات او بعض المراكز التي يظهر فيها اي مشاكل اجتماعية او تربوية .

وبالإضافة الى ذلك تقوم المراقبة باختيار التلاميذ والصناع المتقدمين الى المؤسسات المختلفة في القطاع العام ومراكز التدريب فيها .

اهم البحوث التي قامت بها المراقبة

قامت المراقبة منذ انشائها بتنفيذ كثير من البحوث السيكولوجية والاجتماعية . اذ بالإضافة الى بحوث تحليل العمل وتصميم الاختبارات المختلفة واستخراج معاييرها المختلفة وتقدير معاملات ثباتها بالطرق الاحصائية المعروفة ، قامت ادارة البحوث باجراء دراسات مختلفة على هذه الاختبارات لتقدير مدى صدقها التجريبي سواء اكان ذلك بالطريقة التنبؤية او بطريقة العمال الحاليين . كما بذلت كثيرا من المحاولات لتحديد محكات مناسبة ترجع اليها في دراسات الصدق المختلفة ، كان اهمها ، النجاح في برنامج التدريب المختلفة سواء اكانت نظرية او عملية . ولقد اكدت هذه الدراسات صدق بعض اختبارات البطاريات المختلفة ، وعدم صدق البعض الاخر - وهو الذي تقوم بتعديله او تغييره ليرفع من الصدق على بطاريات الحرف المختلفة .

كذلك يقوم قسم البحوث بعمل البحوث العاملية المختلفة على البطاريات المتنوعة ، وقد ركز اساسا على بطارية المعادن وامكن استخراج مجموعة عوامل مستقلة بطريقة الجمع البسيط لسيرت ، واهم هذه العوامل يعرف بالذكاء الميكانيكي العام ، والقدرة المكانية ، والقدرة العملية ولقد اكدت هذه الدراسات ان معظم اختبارات بطارية المعادن تقيس قدرات مستقلة نوعا وغير متداخلة مع بعضها الا في حدود ضيقة .

كما تم اجراء اكثر من بحث على المقابلة الشخصية لتطويرها ومحاولة توحيد اساليب اجراء اكثر من بحث

الاعلان في الاديب

يبقى عرضة للنظر شهرا كاملا

بعلم النفس وأصول التربية والتعليم ومبادئه الأساسية ،
ولهذه البرامج فاصرة على مصلحة الكفاية الإنتاجية فقط .
وهي دورية منتظمة ، خصوصا بالنسبة لمعهد تدريب
المدرسين التابع للمصلحة .

كما قامت أيضا بالاشتراك في المؤتمرات الدولية - مثل
مؤتمر التلمذة الصناعية الدولي - لدول حول البحر
الايض المتوسط ، وقدمت فيه بحوثا خاصة بالاختيار
والتوجيه المهني في مراكز التدريب العربية . واشتركت
أيضا في مؤتمر تنمية الإنتاج البشري الذي عقد في أغسطس
١٩٦٣ في الإسكندرية وقدمت فيه بحوثا عن علاقة
الاختيار والتوجيه المهني بزيادة الانتاج البشري
وتطويره .

سنة ١٩٥٩ . دليل عام ١٩٦٣ تحت الطبع عند كتابة هذا التقرير .
(١٢) اعتمدنا في العديد من الرسائل على إبيانات التي وصلتنا
ردا على الخطاب الذي أرسلناه إلى المشتغلين بعلوم النفس في ج.م.ع .
هذا بالإضافة إلى إطلاعنا الشخصي على بعض الرسائل كلما تيسر
لنا ذلك .

(١٣) نشر البحث في مجلة علم النفس الإحصائي التي تصدرها
الجمعية البريطانية لعلم النفس عام ١٩٥١ . وتوجد خلاصة بالغة
التوفيق في مجلة « صحيفة التربية » عدد مايو ١٩٦٠ .
(١٤) نشر ملخص 'رسالة بالإنجليزية في عام ١٩٥٢ .

(١٥) انظر : الدكتور فؤاد البهي السيد : القدرة العددية ، الطبعة
الأولى ١٩٥٨ ، ص ١٦٦ ، ص ١٢ .

(١٦) نشر بالغة الإنجليزية في مجلة علم النفس البريطانية القسم
الإحصائي - عدد نوفمبر ١٩٥٦ والمجلد العربي في الكتاب السنوي
في علم النفس ١٩٥٤ ص ١٦٣ إلى ١٨٤ .

(١٧) هناك بحوث عاملة أخرى تتناول التفكير الإبداعي وسمات
الشخصية وإعدادها سيأتي ذكرها . وكان بودنا أن نعرض للبحث الطريف
المبكر الذي قام به د. فؤاد البهي السيد في محاولته البرهنة على أن
القدرة العددية ليست وحدة متماسكة لا تنقسم إلى قدرات أبسط
نها . وقد توصل في بحثه إلى تقسيم القدرة العددية إلى ثلاث قدرات
عددية بسيطة هي : ١ - القدرة على ادراك العلاقة العددية - ٢ - القدرة
على ادراك التماثلات العددية - ٣ - القدرة على الإضافة العددية .
والبحث مثال نموذجي في عرض خطوات المشكلة ومراحل حلها .

ولكن هناك سؤال تثيره القدرة الخاصة بادرار العلاقات والتماثلات
العديدة وهو خالص التمييز بين الشكل (أي عملية ادراك العلاقات
والتماثلات مهما كانت بسيطة الأطراف) ، والفهم (وهذا هو العدد
وقد يكون غير العدد مثل رموز وأشكال أو غيرها من العمليات الحسية
من الفاعلية) . وحيدا أو اسبب المؤلف في توضيح هذه المشكلة أكثر
إن الإشارة البسيطة التي وردت في ١٧٤ من كتابه إلى احتمال
التشبه بين التكوين العمالي للقدرة العددية كما أسفر عنه البحث ونظرية
العمال لاسيرمان .

✽ الدكتور فؤاد البهي السيد : « القدرة العددية » من سلسلة
« أبحاث تجريبية مصرية في علم النفس » ١٧٦ ص ، دار الفكر العربي ،
القاهرة ١٩٥٨ .

(١٨) نشر هذا الفصل في مجلة علم النفس ، المجلد الخامس ، العدد
الثالث ، فبراير ١٩٥٥ .

القاهرة
يوسف مراد

على المقابلة الشخصية تتعلق بسن المقابل وخصائصه
السيكولوجية ، كما تتوقف على مدى ما حصله من تدريب
وخبرة وقراءات مختلفة ، وأن كل مقابل له نمط معين
في التقدير يختلف عن غيره من المقابليين اختلافا كليا .

وبعد اجراء برامج التدريب موحدة للمقابليين ، أمكن في
البحث الثاني أنبات تقارب المقابليين مع بعضهم في كل من
اساليبهم ونمط تقييمهم للأفراد .

هذا بالإضافة إلى البحوث الأخرى المتعلقة باختبارات
الشخصية ، مثل اختبار زانلو واختبار التوافق المهني
وبعض الاختبارات الفردية .

وفيما عدا ذلك تقوم المراقبة بأعداد برامج لتدريب
المشرفين والمدرسين من الوجهة السيكولوجية وتمهينهم

(١) انظر مجلة علم النفس ، المجلد الأول ، العدد الأول يونيو ١٩٥٥ ،
ص ٩٨ - ٩٩ « علم النفس يبرء من »

(٢) مما هو جدير بالذكر أن فخر (١٨٠٠ - ١٨٨٧) لم يكن نشاطه
مقتصرا على علم النفس التجريبي . فقد بدأ حياته العلمية بدراسة
الطب وأصبح استاذًا لعلم وظائف الأعضاء ثم لعلم الفزياء ، وله مؤلفات
في الفلسفة وعلم الجمال .

(٣) نتاول فؤدت هذا الموضوع في كتابه سيكولوجية الشووب الطيبة
الأولى سنة ١٩٠٠ والطبعة الخامسة سنة ١٩٢٠ في عشرة صفحات .

(٤) لم يرد ذكر « علم النفس التطبيقي » في طبعة ١٩٠١ لقاموس
بولون في الفلسفة وعلم النفس .

(٥) انظر ، أفضاء على تاريخ التعليم في مصر ، الباب الثاني ،
ص ٣٠ ، أعداد محمد توفيق فخاخي ، إشراف ومراجعة الدكتور إبراهيم
حافظ ، مركز الوثائق والبحوث التربوية بوزارة التربية والتعليم ،
القاهرة ١٩٦٢ .

(٦) حركة الترجمة بصهر خلال القرن التاسع عشر - تأليف جلال جبر
دار المعارف بصهر ١٩٢٦ ، ص ٥٥ و ٦٧ .

(٧) من تقرير أرسله البنا الأستاذ محمد مظهر سعيد ، عميد تفتيش
علم النفس والاجتماع والفلسفة والتربية بوزارة التربية والتعليم سابقا .

(٨) لاستيعاد فكرة السبيل المقطبي استخدم القطط للغة « استواء »
ترجمة لهينوتزم في مقالة عنوانها « السواء بالاستواء » في عدد يوليو
١٩٠٩ (٦١٧ - ٦١٩) . وقد اقترح كاتب هذا المقال للغة « نوا »
بلا من « التواء المقطبي » .

(٩) ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية في عام ١٩٢٤ جونودور .
(١٠) ثلاثون سنة بعد كتابة هذا الكلام القي الدكتور مصطفى زيور
في ١٠ فبراير ١٩٥٢ بدار الحكمة تحت إشراف الجمعية المصرية للصحة
العقلية معاصرة عالج فيها بأسباب ونمط وفي ضوء التحليل النفسي
موضوع التعصب واعتبر التعصب غربا من الأمراض النفسية فهو يقول
« فالتعصب إذن يعني من موقفه كسبا ، غير أن هذا الكسب لا يختلف
عما يتعصب العصابي من سلوكه الشاذ ، أي أنه كسب وهي ناقص يوت
على صاحبه فرصة حل أشكاله خلا ريدا وأفعيا مجيدا . انظر ص ٣٠٠
من مجلة علم النفس المجلد السابع فبراير ١٩٥٢ ، نص محاضرة
الدكتور مصطفى زيور : سيكولوجية التعصب ، (٢٥٥ - ٣٠٠) .

(١١) راجع ص ٤٨ - ٥٦ من التقرير العام الذي رفعه لابرايد إلى
وزارة المعارف العمومية المطبوعة الإمبرية ١٩٣١ و ٧٢ ص زائد جدول
وردان بيتانين . للوقوف على تاريخ معهد التربية ثم كلية التربية
والاقسام والتماهج راجع دليل كلية التربية جامعة عين شمس - طبعة

ليالي

الليلة الاولى

ما الذي يفتح او يخلق بابا دون باب . ؟
ما الذي يجعل انسانا من الناس شقيا ؟
والذي يسقي على درب النجوم
زهراتي ياهوم ؟

الليلة الخامسة

هكذا .. فصل خيالي في مساء !
ياخيال الشعراء ..
لوق مرآتي سنى طيف حبيب
وعلى سمعي نداء لا يؤوب ..
ويكفي دفء كليها يلوب ..
فاحببوا طيف اسأها وجنوني
صور الاثنياء غامت في عيوني
كف عني يا خيال الشعراء ..

الليلة السادسة

عندما يستدل في الليل ستار
عندما ناوى الى العشى عصفائر النهار
وعن الاتصال .. يتزاح القناع
يتعري العاشقون ..
يتنادى الساهرون ..
انطلق فوق قار
ياخصصار ..
اخترق ..
ارزق خلفا فاع !! ..
فارفعيني يا مساء ..
فانا المصلوب في قبض الهواء
واتثرني في مآهات الفضاء
واسقيتها يا فتاتي
دربني بالفضياء
ان في لوردك ينبوع صفاء ..
خورة الامل تزيق حياتي
يا حياتي واقفر لي نوراني ..
انها اتسى ما في ذكرياتي ! ..

الليلة السابعة

مرت الليلات .. لا ادري مسير الكلمات ..
يا اراجيح الليالي
جفت الانسان في حقل خيالي ..
فاعصني يا ربح اني لا ابالي ..
سار في ايام شرابي او سرى فوق الرمال
فعمى الفد .. وعينها .. وشدو الصفحات ..
فاعصني يا ربح اني لا ابالي ..

فتحي سعيد

القاهرة

ما ترى سر الشقاء ؟
ما الذي يعلل عينا ببكاء
ما الذي ينثر صغرا في الطريق ..
ويغف الثورة العمياء في جوف العروق ؟
ما الذي يصبغ اشباح الاسبى في مقلتين ؟
اي سر ضم سرا مهجتين ..
ياعيون العاشقين ..
ما الذي يسقي على درب الهموم
زهراتي ياتجوم
ما الذي يفتح للانسان او يخلق باب ؟
والذي يكحل عينا دون اخر بصباب ..
ياصاحبي الشاعرين
ما الذي يدفع هذا خلوتين
في طريق الحائرين
خطوة كانت نقيه صحاب !!

الليلة الثانية

ما الذي يجعل انسانا من الناس شقيا ؟
من هنا .. يملك ميزان المطايا ؟
اي نهر يتدفق ..
اي فكر يتمزق ..
اي خندق ؟
تتوارى في سراديب دجاة
لما لاامري لعيني المرابا ؟
وارى وجه الحياة ..
ليبنى ما كنت يوما ادنيا !!

الليلة الثالثة

فكرة تمسح اغتاب العجيين
بي اشتياق للنجوى وحسين
والمنى زحم ابعاد عيوني
وجموع الشك تغفل بقيتي
ما الذي يهوى برامي ان يقول ؟
مرت الليلة .. لا ادري مسير الكلمات ..
فلمني يعمه في نور الورد ..
ار يهذي اي شيء في السطور ..
صفحات الفكر تندى بالفرق
آء ما اضيق تلك الصفحات
آء لو نفس اعصابي دموع ..
عني اكتشف ما خلف الفضلوع ..
عني ادري مسير الكلمات ! ..

الليلة الرابعة

ليبنى اعرف للفرز جوا ب ..



محمد رجب البيومي

أمير طامح يحلم بالملك

بقلم محمد رجب البيومي

تغيرت الدنيا في عين المنذر ، منذ ثار عليه ريابه ، وأخذ ينظر الى الملك كعب ثقيل يضغط عليه بكله . وكثيرا ما خلا الى نفسه ليسرح بخواطره في هوم حياته ، ومشكلات بيته ، وليتساءل : اي نفع لي في ملك موهوم تقوم حوله الدسائس والسعابات ويستطيع فرد كزبد بن حماد ان يؤيده او يهدمه ان شاء ؟ ان جميع اهل الحيرة يعتقدون ان زيدا صاحب الفضل الاول في بقائي بالخورق ، وانهم ليلتفون حوله مدعنين طامعين ، وكأنه يعصب راسه بتاج معنوي يجذب اليه الارواح والقلوب ! ثم ما فائدة تاجي الذهب الذي اضعه الان خزيان غصيان على رأسي ، دون ان يكون له تأثيره المهرب والسماعه الاخاذ كما كان لتيجان اجدادي من المناذرة الاولين !! لقد بدأت استشعر حثدا خافيا تنسج خيوطه متتابعة في قلبي حول زيد ومكانته ! والرجل كما تشهد الحقيقة لم يسلف الى غير الحسن الجليل ، فقد حفظ حياتي الى حين ، وحفظ اسمي بين اسماء الملوك كذلك الى حين ، وكان في يده ان يقول كلمة واحدة فاطيح واهوي الى حيث هوى عمرو المسكين !! هل استطيع ان اغير طينة الادمية في كياني فانسي ان الرجل قد اخذ مكانتي ، بين الناس ، وانه يتمتع باكبار الاكاسرة ، واهل الحيرة تمتعا يوزني بطمأنته ، ويتركني ، على مثل الشوك قلقتا وضجرا ، بل ان المتجردة نفسها وهي زوجتي الابيرة لدى تحدثني عنه وكأنه رئيس يامر فاطيح ، ومن

يدري لعلها تتخذ من اطرائه مادة دسمة لاهاتي حيث لا استطيع ان ارد اهانة مجترى ياتي بحرايه المسمومة من ناحية زيد !! هل اعتف عليها فاعارضها القول في غلظة ! نها ستسكت حينئذ سكوت الهائز المتهمك ، وستنظر الى ضعفي وهو اتي شامته عابثة !! لقد تورطت كثيرا حسين اقدمت على اغتصابها ، ولا اقول زواجها ، فهي عني بمنأى شاسع لا تستشعر حنان الزوج بل تعدني سيفا مصلتا على شباها الريان ، وتتمنى في اصماقها ان تحين ساعتها فتفتقدها الا قدر من بلاء كربه ، اي نعم ارضيه في احضان الخورق ، وسلطاني صوري ، وزوجتي شامته ! والمرض يلوح لي بالوت من حين الى حين ...

تلك بعض احاديث المنذر بينه وبين نفسه ، وتلك بعض خولجه عن زيد وعن المتجردة ، ولو اطلع على سرائر الناس لعلم ان ولده النعمان بن زيد من المتجردة معا في بحر هائج الافكار ، فهو لا يفكر يفكر فيهما تفكير المستغرق الدروب ، وما له لا يفكر في زيد ، وقد لمس نفوذه الطاقسي بين الناس عند البلاط الكسروي في فارس ، انه لا يستطيع ان يرتقي الملك بعد ابيه الا اذا كان زيد ظهير الامين ولن يتاح له ان يزدان بالتاج في الخورق الا اذا رضى عنه ذلك الرجل الحكيم ، ثم اين هو من التاج اذا لم يظفر بمعونة قوية تاتي عن طريق زيد ! وهو القصير الارش الديميم ؟ يجوز ان تقع عين كسرى على خلقته الشائنة ، ودماسته المستكرة ثم ياذن له بالجاه والوصولان عن طواعية واختيار ، واخوه الاسود بن المنذر يفرع العين ويبهز النفس بشبابه الريان وقوامه الخطي ، وجبته الالامعة ، وطلعته الرائعة ومنطقه الفصيح ! ما له يغرب في الامل وابوه المنذر نفسه قد فاتح الاسود في توليته الملك من بعده ، على مرأى ومسمع من النعمان دون ان يجول بخاطر لحظة واحدة ان هذا الارش القصير الديميم ممن يجوز ان تسند لهم اعباء السلطان !! لا بد من معجزة حق ، ولعل الافدار تيسرها عن طريق زيد بن حماد ... ثم يتناسى الملك لحظات ، ويمضي به خياله الى المتجردة الفاتنة الطروب !! ان تقاليد المناذرة تقضي ان يرث الملك زوجات ابيه بعد وفاته ، ولئن حل الكروه بالمنذر لتصحيح المتجردة زوجة للملك الجديد ، ولعلها في ما بينها وبين نفسها تحلم بالاسود اخي ، فهو يرضي شباها البارغ صباحة وجه ، واعتدال قوام ، ووفرة قوة ، بل لعلها تعد ايام الشيخ المريض لحظة لحظة لتنتقل راضية قريرة الى احضان الاسود فتتسى في صباحه الوضي ظلاما حالكا تعيش فيه مع المعجوز المريض ، ان زيد بن حماد لو رضى عني وآثرني بانتجائه لوضع على رأسي التاج ولوصلني بالمتجردة دون ابطاء ، وقطع كل لسان يسمي بالاعتراض ؟ كيف السبيل الى قلبه المتبع ؟ لا بد ان اغزوه من ناحية الدين ، فلك التي تحوطني بانتباهه ، وتؤثرني بعطفه وتشجيعه وتجعله يفتخر ما بخلفتني من تشوبه ، وسأنهض الى منزله بالصباح فاستميله ببعض الحديث !!

كانت ليلة حافلة يمثل هذه الهواجس المتضاربة لدى المنذر وابنه المتطلع الطموح حتى اذا اشرق الصباح، نهض النعمان من مكدته نشيطاً موفور العافية وتناول طعامه على عجل، ثم اصطحب من لباسه وشنائه، وركب جواده الاشهب ميمماً وجهة زيد، فسال عنه في تلفه، فأخبر انه يتعبد في بيعة العباديين منذ الفجر، ودعى الى النزول بالبيت حتى يقدم بعد حين، نخار لحظة لا يدري بماذا يجب ؟ ثم صمم على ان يشخص اليه سريعاً في البيعة، وسيكون المكان مناسبة طيبة لتداول الحديث، وما هي غير لحظات، حتى دلف الى مجلسه، وتوقع زيد من صاحبه ان يحدثه عن جديد لا يدريه من امر المنذر، اذ ان اسراعه بالمجيء الى هذا المكان في غير وقت الزيارة ومحلها، يؤذن بضرورة عاجلة تتطلب البت السريع، ثم نظر الى النعمان فوجده يطرُق براسه دون ان يبادر بالقول، فأحب ان يمهّد له سبيل الكلام فسأله في بشاشة : كيف حال المنذر اليوم ؟ فرد النعمان يخبره عن هداوته واستقراره ثم رفع اليه بصره ليقول :

لم آجئ اليك ايها السيد الجليل لتتحدث عن الملك او السلطان، ولكنني هرعت لاسكت قلقتا ياخذ على مسالك الطمانينة والثبات، وليس في الحيرة جميعها من يأخذ بيدي الى التجاة الامنة سواك، واني لارجو على يدك اليقين فنظر زيد متعجباً وقال في هدوئه المنزّه، افصح عما يجول بخاطرنا يا نعمان، فنحن في منزل شريف هذا به النفوس، وتستريح الخواطر المزعجات !!!

فصعد النعمان زفرة حارة من صدره، كانه يعالج همماً دائباً يملؤه بالهيب وقال في ألم مصطعب : وهل المنذر خواطري ؟ وهيج توارثي غير هذا المنزل الشريف الذي نسمد به الان، لقد فكرت يا سيدي كثيرا فيما نحن عليه معاصر العرب ومثنية تقادس الاصنام، فرايت البلاهة البلهاء في عبادة حجر اسم لا يدي فلتاً، ولا يملك مضرة او انتفاعاً وكنت اضحك من نفسي ومن قومي حين نتهاك جميعاً على تقديس صخور بكماء نتحتها الماعول تاروق تحطمها تارات، ثم اجلت بصري في عبادة الجوس من اهل فارس، فلم ار النار المشعلة في بيوت العبادة جدوى عظيمة تدفع بها الى التقديس والتأليه، وقلت في نفسي كيف يستجيز كسرى العاقل الحصيف ان يسجد لنار يوقدها بيده متى يشاء، ثم يطفئها ايضاً بيده حين يريد، ولم اجد فارقاً ملموساً بين النار التي يؤلهها الجوس، والاصنام التي يقدسها العرب، وظلت امواج الدهشة تغمرني بطوفانها الجياش، فتجعلني ريشة في مهب ريح تكباء ... ثم فكرت فيكم معشر النصارى من ابناء الحيرة فارتكسم تقصدون رباً سميعاً بصيراً عاقلاً يرى مدب النمل فسي الظلام، ويسمع حركة الدودة المتقلبة في باطن الفراء، فقلت في نفسي ان كان هناك من رب يعبد على وجه الصواب فهو رب زيد بن حماد !! وظللت الليالي الطويلة افكر في امري،

واسأل عن وجه السداد في طريقي، حتى قوي عزمي على مكاشفتك، واني لاعلم اليك نصرانتي لاهدا من شجونتي العاصفات !! فنظر اليه زيد كالماخوذ بما يسمع وقال : ان في بعض ابناء المنذر لعقلاً، وكنت يستن ان اجد فيهم من هو على شاكلتك من الصواب والسداد، وها هو ذا املني المتجدد يكشف ضباب اليأس الحائر عن عيني، غير اني لا ادري كيف تواجه اباك وقومك بدائك الجديد، اسمع يا بني ان التاريخ يحدثنا ان النعمان الاول بن امرئ القيس قد مال الى تفكير مثل تفكيرك فخذله بنوه وعشيرته، ثم لبس المسوح وترك الخورنق، وهو الذي اشرف على بنائه، وكلف « سمنار » فشاده على احسن مثال، اجل، لتسد لبس المسوح وترك الخورنق فاراً بدينه الى الفلوات فلقى الله على دين المسيح، ولا احب لك ان تجهز بما تعتقد، فيخذلك الخاذلون، وليس لك من الملك والسيطرة الا ما يسكت عنك الالسة ويخرس الافواه، ولكن دعني افكر في امرك وسيجيء اليوم الذي تظهر فيه على الناس، فتجهر بمعتقدك في متعة من سلطانك ومعقل من سلاحك الحصين !!

فتجاهل النعمان ما سمع ! وكانه غير عابء بما يشير اليه الشيخ الجليل، واراد بقول : ولكن اخلاصني النصرانية يدفعني الى ملازمتك، فهل تتفضل بالسماح لمثلي في الترداد عليك متى اريد ؟ فصاح زيد، اما في البيعة فلا، كيلا يغلظ احد السي معتقداً النبل والاعلى في المنزل فانت كوايدي عدي تحضر متى تشاء ومن يدري لعلي بعد ما علمت من شرف تفكيرك وجلال دينك اتمنى بمرآك عنه في اغترابه النازح، وسفره البعيد !!

قال النعمان ستراني كثيراً يا سيدي منذ الان، وسأحرص على كنتم امري كما اشرت، وان شئ على ان اخفي الحق واظهر الباطل، ولكن شأني بيدك تصرفه حيث تريد ! ثم نهض مستأذاً فصافحه زيد، واحتضنه وقبله، وخرج النعمان وفي نفسه امل، وفي خاطره حديث تعود اهل الحيرة ان يروا النعمان بن المنذر دائم الشخصى الى منزل زيد بن حماد، فكانوا يفسرون زيارته المتكررة على انها تادية لرسائل كثيرة من الملك اليربى الى صدقيه الميمم على يد ولده النعمان، ولم يكن من المستغرب في انظارهم تكرار هذه الزيارات، فزيد رئيس قومه، ورسول كسرى تاتيه كما تاتي المنذر سواء بسواء، بل ان نصارى الجزيرة العربية، يرون فيه عربياً ماجداً بلوذن بجاهه ونفوذه فما تلم بأحدهم ملمة في مكانه القصي الا نزح لزيد يستعينه ويستهديه، وقد استطاع النعمان ان يفرق اقطار نفسه من جهاتها المختلفة، فهو يوقفه على آماله الواسعة في نشر المسيحية، ويستجيب الى توجيهاته ويعدها غنيمة كبرى يظفر بها دون الناس، وقد ألم بدقائق الصلات بين زيد والبلاط الكسرى فعرف ان حاشية الملك العظيم تضعه

موضع الاجلال ، وتعهده رجل فارس في الحيرة ، ومك ودت ان تلبسه التاج لولا تأبیه ، ثم ادرك ان عدی بن زيد الشاعر العربي يأخذ مكانته الجبيرة في الايوان ، فهو الذي يكتب الرسائل ، ويرفع امور الحجاب ورجال الحكم ان يسماع العاهل الكبير ، وعلم النعمان عن طريق زيد ان عدی سيقوم بسفارة قريبة من لدن كسرى الى امپراطور الروم ، وسيمر في طريقه بالبحيرة ليرى اياه ، ويقضي معه ساعة من نهار ، ثم اسمعه الاب الجليل ما كتبه عدی اليه في ذلك وقد حدد اليوم والوقت ، فاعمل النعمان فكره الطامح ، ورأى ان يظهر امام عدی مظهرا يدينه الى قلبه ، ليكون هو الاخر عونا له في مستقبل امره متى حان ، وكتم نيته هذه عن زيد ، حتى حان موعد زيارة عدی ، فاعد موكبا حافلا من جنود الحيرة ، ليقدم بهم الى استقباله ، وملا صفاف الدبر بالاعلام ، واذن في الناس ان القادم الوافد لا يمثل نفسه ، ولكنه رسول كسرى الى المنذر !! وكان لعدی من المكانة في الحيرة مثل ما لايه ، فمعلم الاهلون بمقدمه حتى نشطوا الى صفاف الدبر ، مشتركين نسي موكب الاستقبال ، وقد دهش الاسود بن المنذر لتصرف اخيه ومبالفته في الاحتفاء على نحو غير مهود ، واسرع بقلبه لالفا مستنكرا ، فافهمه في لباقة كيسة ان كسرى قد كتب الى المنذر بضرورة استقبال رسوله كما يستقبل الملوك والامراء وانه قام بهذا الاحتفاء على مضض كربة ، ولو استطاع لعصف بعدي وايه ، ولولا ان المنذر نفسه يلزمه بزيارة زيد كل يوم ما تحمل مثله التردد على سوتة لا يحمل التاج ولا تجري في عروقه دماء المناداة من آل النعمان ، وقد اطمأن الاسود الى حديث اخيه ، وهرع ليكون في طليعة المستقبليين وازف الموعد ، فرأى عدی ما اذهله من الحفاوة وراعة ، من الاهتمام بما لا عهد له به قبل الان ثم اصططحه النعمان الى الخورنق فسلم منفردا على ابيه المنذر ، وانكاف الى منزل والده زيد ، ليعبر له عن دهشته البالغة لما قول به من الاحتفاء ! وكان النعمان حريصا على ان يلازمه حتى في مخدع ابيه ، ولم يجد زيد من الفضاضة ما يدفع به النعمان عن مستتر حديثه ، وقد اصبح موضع ثقته ، ومناط امله في نشر النصرانية ، فاستقبل ابنه عدیا بوقار الشيخ وحنان الاب ، وشد على يد النعمان شاكرا جهاده الصادق في الاحتفاء بولده ثم حلق في وجه عدی ليقول له بمسمع من النعمان .

انسا يا ولدي تعرف عن النعمان بن المنذر ما يعرف الناس من حزم الامير وعلو همته وكماله ، ولكنك تجهل اعظم شيء عنه ، تجهل انه على دين اباك من العباديين ، وقد اراد المجاهرة بمعتقده ، قامهله الى يوم قريب يستطيع فيه ان يخدم دين الله ، فنظر عدی نظرة المتعجب وسال في دهشة : ومتى تم ذلك يا ابنا ؟ فاسرع زيد يقول : لقد خالطت الامير وكاشفته فعرفت ان النصرانية تتردد مع النفس في رثيته وتجري مع الدم في شرايينه ،

ووالله ما دفعه الى استقبالك اليوم في مثل هذا المشهد الرائع غير ما يعثر به من نصرانيتك ، ثم ارفع صوت زيد بنيرات تنبى عن الجدل وهو يقول :

واعلم يا عدی ان المنذر مريض طريح فهو هامة اليوم او غد ، ولئن حل به ما يحل بالناس ليكون النعمان وحده بين اخوته الاثنى عشر موضع التزكية والتأييد ! فارتفع صوت النعمان يقول في انفعال متكلف ، لا اريد ان اشغل نفسي بالسلطان فيعوقني الملك عن خدمة النصرانية ، وهي مأملي العزيز ، ولكنني اوثر التفرغ لها بعيدا عن الحكم واعبائه الثقال ! فتدارك زيد يقول في غلظة : مهلا يسا نعمان ، اراك لا تدري شيئا عن حقيقة امرك يا بني ، ان المسيحية تحتاج الى قوة عانية تزود عنها كل طفيان ، ولن تكون هذه القوة لغير ملك مطاع !! فاسرع عدی يقول هو ذاك دون نزاع ! فصاح النعمان ولكني وهبت نفسي للمسيح لا للسلطان !! فتبسم زيد وهو يهتف : وماذا تصنع في السيد المسيح اذا رغب ان يكون تابعه مليكا يظهر دين الله!!

فأطرق النعمان دون جواب، وتشعب القول كل متشعب فانطلق عدی يتحدث عن سفارته الى بلاد الروم ، ويوضح خفايا العلاقات السياسية بين كسرى وقيسر ، حتى اذا مضى بعض الوقت في مثل ذلك ، نهض النعمان مستائنا فاحتضنه زيد مقبلا ، وصافحه عدی مصافحة حارة اذ ضيق على يده مؤكدا حبه واهتمامه ، وقد فهم النعمان من مصافحته اشياء كثيرة لعل اهمها لديه ، انه اصبح ساعده الايمن في بلاد فارس وان الفوز منه على خطوات القوم

محمد رجب البيومي

صدر عن دار الكتوف

عسطينيو

او ماسة المراهقة

للكتاب الايطالي البديع :

البيرو مورافيا

ترجمة : جورج مصروعه

دراسة عميقة الغور ، دقيقة التفاصيل في قالب روائي جذاب . ايضاح معضلة من اهم واخطر المعضلات الاجتماعية في مختلف انحاء العالم ، ببيان مشرق ، وديباجة في منتهى السلامة .

الشن : ليرنان لبنانيان



شيخ المنطة الشري

محبوبا من مواطنيه
دائم الدأب والعامل

لإعداد ذوبه ومحبيه ..
وكان بطبيعة عمله يتلقى الأوامر من

الرؤساء الفرنسيين ، فلقد كان
موظفا ، وكجميع الموظفين في بلاده

يخضع للقيادة الفرنسية العليا ، التي
تدخلت في جميع شؤون البلاد ،

واستولت على جميع الإدارات
وفرست المكاتب والمدارس والمعاهد

وسعت السعي الحثيث لتقليب
الأوضاع ، وتبديل التقاليد والعادات ،

وتخضع لأوامرها ونواهيها كل فرد
من الأفراد .. ففرنسا لم تأت للبلاد

لتبقى زمنا تخرج وترتكها لاهاليها ،
ان غايتها محدودة واهدافها روفة

فكل أملها ان يبقى مصير الـ سلال
المستعمرة والمحمية بين يديها تنهى

وتأمر فيها بما تشاء .. كل الويل
من يتجرأ ويرفع أصبعه للاعتراض ،

وبطالان بقوميته المفقودة وحريته
المسلوبة ، ويسمى للتخلص من هذا

الضغط والاستعباد .. ففرنسا لا
ترك لئله هذا الإنسان الحق للتجول

في أنحاء البلاد وسرعان ما تعمل
لإتهامه والتبض عليه بتهمة المروق

والخيانة ، وترجعه في أعماق
السجون أو تأمر بإعدامه فيجب ان

يبقى كل شيء خاضعا لإرادتها ،
الموظفون والتجار والعاملون ، وحتى

النساء والأطفال .
هؤلاء الأطفال الذين تسلمهم

في مدارسها صفارا لتعلمهم تاريخ
فرنسا ومجدها ولغتها ، وتحاول

ان تنسيهم تاريخ أجدادهم وأصول
لغتهم وتجعلهم مترنسين بكل معنى

الكلمة .
ومن العجيب ان تستمر فرنسا

بوفير المال .. لقد أدى ضغطها
الشديد في آخر الأمر للانفجار ،

وتألبت جموع الشعب ضدها ، وحمل
المجاهدون السلاح ، ليقاوموها

مقاومة عنيفة ، وبنقوا منها موقف
النذ للند ، وبجأهروها بشق عصا

الطاعة والعصيان .
ولم تعد هذه المرة قواتها العتيبة

ولا مدافعها ولا طائراتها .. كانت
الثورة التي تاججت في الصدور

زمتا طويلا ثم انفجرت اقوى من
الحديد والنار : وكل ما تملكه فرنسا

من وسائل ومعدات حربية .
وأصبح أغلب الموظفين بخدمون

ظاهريا مع فرنسا ولكنهم لا يتفكون
موقف بطولي



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhr.it.com

وتقديم المساعدات للثوار سواء كان
مالا أو عتادا أو معلومات .. فليس

هناك كبير ولا صغير ، غني أو فقير ،
لم يقف مع الثوار قلبا وقالبا ، ولم

يتمن لهم النجاح والانتصار من أعماق
فؤاده ..

ولم يخرج عن هؤلاء المواطنين
الإحراج الا قبضة من شعفاء النفوس

الذين اغروهم المال والجاء ، فوضعوا
مستقبلهم ومصيرهم في يد فرنسا ،

وخافوا ان يفقدوا ما كسبوه في
عهدهما من مال وعتاد ، وانضموا اليها

يظهرون لها المحبة والاخلاص والولاء
فصية



.. والشيخ مداح لم يكن من
هؤلاء ، كان يقوم بوظيفته نهارا ،

ويتظاهر بطاعته للأوامر الفرنسية
العليا ، وفي نفس الوقت كان يمد

الثوار بجميع المساعدات فسي
الخفاء ..

وقد عرف الثوار اخلاصه لهم
واسرعه لمعاونتهم ، فكانوا لا ينفكون

من طرق بابيه لطلب شتى الحاجات
حين ينأى الناس ويجلب الكون

الظلام .. ثم اخذ حذرهم بتضائل
شيئا فشيئا ، فاصبحوا يردون

عليه ليتناولوا القاء أو العشاء
عنده ، بعد ان كانوا يرسلون من

يحمل من عند الشيخ مداح بعض
الواد اللازمة .

وكان في الامكان ان يسداوم
الشيخ مداح مد اخوانه الثوار بكل

ما يحتاجون اليه من طعام أو كساء ،
لولا وشاية أحد مأموريه شاء ان

تسبغ عليه فرنسا حمايتها ، وتعزل
الشيخ مداح من منصبه لتوليته

مكانه مشيخة المنطقة ، فيتمنع
بالعلم الذي كان يتلمظ من اجله

لسانه في الليل والنهار ، ويحقق
المطمع الكبير الذي يجول فسي

خاطره ويعكر عليه صفو منامه .
عرف الحاكم الفرنسي ان منزل

الشيخ مداح أصبح ماوى وملاذا
للثوار ، فارسل في طلبه وهدد

بإلقاء القبض عليه وخلعه من منصبه ،
وتقديمه للمحاكمة بتهمة الخيانة

العظمى ، والتجنس لصالح الثوار .
ولكنه بعد ان تهدد وتوعد وضرب

المنذبة بقبضة بده عدة مرات ، غير
فجأة لهجته وقال للشيخ مداح : انك

رجل طيب يا شيخ مداح .. عملك
دائما متقن ونظيف ، ولم تصدر أية

شكاية ضدك من السكان لحد الان .
لا شك ان الثوار مهدوك بالقتل

اذا لم تخضع لرغبتهم ، ولم تفتح
باب منزلك في وجوههم كما القوا ان

يفعلوا مع كل من لا يخضع لإرادتهم
.. انت تعرف يا شيخ ان فرنسا

ولمحت فوهة مسدس مصوبة اليها من النافذة ، فشحب وجهها شحوبا شديدا ، وجعلت الكلمات فسي حلقها ، ولكنها حين رأت المجاهدين يكادون يضعون اللقمة الاولى فسي افواههم وهم ينظرون اليها بتعجب واستغراب ، صاحت بصوت أجش : لا نأكلوا من هذا الطعام ، انه مسموم انه مسموم ، لقد سمعته لكمسم الاعداء .

انسحبت الايدي والتفتت الرؤوس نحو الصالحة الشاحبة الوجهه ، وظهرت على جميع الالوجه علامات الدهشة ، وفي نفس اللحظة امتدت يد من النافذة الخابئة وسمع صوت رصاص يدوي في الفضاء ، فسقطت الزوجة على ركبتيها ، ثم انكفأت على وجهها ، فاسرع الحاضرون لتجدها وخرج البعض للبحث عن الجاني فتحت الجريشة فيها ، ونظـفـرت لزوجها نظرة طويلة ، واشارت بيدها الى المجاهدين وتمتمت :

حياة هؤلاء اغلى من حياتي وحياتكم فاعتبر بهذا يا سي مداح ، ولغلت النفس الاخير .

يفطن احد لما حاق بالثلاثين فسي منزله . في امكانه ان يقول ان هناك بدا خفية هي التي وضعت السم في الطعام المد للثوار بعد ان انتبه المستعمرون لزياراتهم المتكررة لداره ولن يشك فيه احد . واذا ابسسى فهناك الجواسيس الذين سيضعهم الحاكم لمراقبته ، وسيعرفون كل حركة من حركاته وكل تصرف من تصرفاته .

اخبر زوجته وابنة عمه بجليسة الامر ، فنصحته بان ينذر الثوار في الحال ، وان يتحمل عاقبة انفساء السر ، فليس في المستطاع ان يضع السم بيده لآخوانه المجاهدين مهما كانت الاحوال . وبقي الشيخ مداح حائرا متعذرا لا يستقر على حال .

وفي اليوم الثاني افتتح منزله خمسة عشر نائرا للعلواء ، ولم يدري اية قوة شيطانية دفعت لذر بعض المسحوق على الطعام ، انه لم يخش المستعمرين حين قيل المجاهدين في دارة وقدم لهم مساعدته ، فكيف يغيب الخوف في قلبه الان بعد ان علم الحاكم بشأنه ؟ فبعد ناكه انه اذا لم ينفذ الاوامر فيسحكم عليه بالاعدام وستعرض زوجته وولده الصغيران للعدلة والهوان . انه لم يفكر كثيرا حين ذر ذلك المسحوق ، كان يدرك فقط انه اذا لم يفعل ذلك فيعرض بعائلته كلها للهلاك : واخذ ينظر لطبق الكسكي المزين بقطع اللحم والزبدة الطرية ، والخضر المتنوعة بعينين باهتتين ، وحاول ان لا يفكر قط في الامر ، لا مناص له من قبول ما حكم به المستعمرون والا فستذهب حياته ضحية رخيصة وستنشئت شمل عائلته ويكون مصيرها الخراب والدمار .

مد المجاهد الاول يده وهو يتمتم بسم الله الرحمن الرحيم وتهيماً الجميع للاقتداء به ، واذا بزوجـة صاحب المنزل تقف امام الباب وهي عارية الوجه تصيح : لا ، لا لا نأكلوا

كريمة عطفو مع موظفيها الشيطيين وهي ذات قلب كبير لانها تسامح من يعمل ضدها تحت عوامل التهديد والارهاب .. ستبقى في منصبك ، بل ساطلب ترفيتك وازيدك ثروة وعلو مركز رغم ما صدر منك ، وذلك اذا اقمتم بما اطلبه منك خير قيام .. العمل الذي ستقوم به بسيط جدا ولا يحتاج لاي جهد . ساعطيك نوعا من السم لا طعم له البتة ، تضعه في طعام الثوار الذين ياتون لمنزلك ليلتهموا طعامك ويزرعوا مسحوك ورقادك .. الامر سهل جدا كما ترى انهم كلهم يأكلون من طبق كبير وانت تقوم على خدمتهم كعمادتك دائما مع ضيوفك .. ما عليك الا ان نذر قليلا من هذا المسحوق على الطعام وبذلك نقضي عليهم بدون بارود ولا نار ، وسترى كيف ستكون مكافأتك اذ ذاك .

يحضرون لعندك بالعشرين والثلاثين نفرا ، فيا لهم من اناس همجين لا يدركون ما يسيبونه لك من تكدير وازعاج ، وفرك يديه قائلا : انها لفكرة رائعة اليس كذلك يا شيخ مداح ؟

ولم ينسب الشيخ مداح خلال هذا الحديث الطويل ولا بكلمة واحدة اذ لم يجد ما يقوله لدحض التهمة المنسبة عليه وجميع البراهين تؤيدها ، فلا بالصمت وتظاهر بالتفكير ، وحين مد له الحاكم بعليبة المسحوق ، اخذها بطريقة آلية ووضعها في جيبه ومد له الحاكم يده مصافحا وهو يقول : انني اترك عليك للقيام بالمهمة على احسن وجه .. سأكلف شرطيا سريريا لمراقبة جميع الحوادث وبالاخص التصرفات التي ستصدر منك ..

ولفظ العبارة الاخيرة بلهجة جافة باردة ، خيل للشيخ مداح ان فحيح الانعام اخف وقعا منها . انه اذا قام بالمهمة كما يجب ، فسيعلو مركزه ويرتفع شأنه ، ولن

ناجية ثامر

تونس

الى الناشرين والمؤلفين

في ليبيا تونس الجزائر القرب

العراق الاردن السعودية

ان مطبعة القرب على استعداد لطباعة وتوزيع مختلف الطبعات من كتب واتصال

خابروها على العنوان التالي :

مطبعة القرب

بيروت - شارع هوفلان - ملك البدوي

مكتبة الاديب



احاسيس وأنطباعات

تأليف اميل شوقي - تقديم الدكتور سهر القاسمي - ١٧٦
صفحة - منشورات مكتبة الهلال بالقاهرة - مطبعة ؟

اعرف الأستاذ اميل شوقي منذ بضعة عشر عاما ، شغله الشاغل مشكلات مجتمعه ووكده ان يزجي آراؤه الى المسؤولين نشدانا للصلاح والاصلاح والخير والفلاح . وهو لا يقنا بظلمتنا بكتف في اثر كتاب يسجل في كل منها خطايره المرحرات العريجات في نواحي العمران الانساني واسباب العرفان ووسائل انتشاره . ولئن صبح لنا ان نطلق على اميل شوقي اسما من الاسماء فصل على هذه وانطق على حقيقته ، فليس لمة ما يناسبه الا اسم «الثقافة الاجتماعية» الذي يرى المايبب فيشير اليها بكل ابهامه ، ويمس الامراض فيتمس لها ظليبا ، ونظر الى المستقبل نظرة المثالي المتوثب ، والمساخي الى بلوغ عالم مثالي من نسج افكاره ومن تصميم خياله .

يبد ان اميل شوقي قليل الثقة في نفسه كثير الاعتماد على غيره ، ولعل سبب ذلك خشية من ان يجاهر الناس برأي يصدى اجهلهم وينسب مدركاتهم . وهو لذلك يفرط في الاقتضى والاستشهاد ، ويسوق آراء غيره قبل ان يحتفل بآرائه هو ، ويؤزم كتبه بالبيانات المتفائل يستلها من مصادرها وينسبها الى اصحابها ، حتى اذا اطمأن الى انه مستند الى ركيزة متينة انطلق منها يرسل آراؤه ذات اليمين وذات اليسار في جلبة وصخب وتكرار يتلوه تكرار .

والكتاب الجديد لاميل شوقي يتحدث طائفة من الموضوعات في جبهة من القضايا ، واكثره يبالغها علاجا صخيفا سرعا متعبا من فاجحة على ان القاري مترقق به ، مطمئن من ناحية اخرى الى عقيدة راسخة فيه هي انه انتهى من بحثه الى ايمان بالفكرة ان تترزع التواصب ولعله كذلك يرى ان المسائل التي يبالغها وينتهي منها الى ما يعليه عليه رايه هي من البديهيات الامرات ، فلا تغبل نقاش ولا تحتمل جدلا .

وبهنا بوجه خاص من هذا الكتاب فصوله التي تتناول شؤون الثقافة ، فهي اقرب الى ميولنا وادنى الى اهتمامنا من غيرها من ابواب الكتاب .

فللأساذ اميل شوقي مشروع ثقافي خطف له ، بقي منه جعل الكتاب في متناول اليد الشعبية على صعيد عربي ، وتشجيع ذوي الجس الرفيع والملكة الكامنة من الادياب الناشئين على ابراز مواهبهم وبلجيه ما استتر من بواعت الماهم . واول ما يلحظ على هذا المشروع روح التسفائل المطلق التي تسيطر عليه وظلته ، ففي اعتقاد الكتاب ان عشرة الاف نسخة من اي كتاب يمكن بيعها بيسر في السوق العربية . وهذا تقدير لا تعرف له ظلا من الواقع في دنيا الفكرية ، لان اروج الكتب لا يكثر من كتابات تتواضع فلا تتجاوز الافا لثلاث في طبعتها الاولى ، ولا

تتف الا بعد عشر سنوات في القليل ، هذا اذا احسن عرض الكتاب والدعاية عنه .

ثم ان الأستاذ اميل شوقي يريد للاديباء الناشئين ان يعرجوا الى الجو الادبي بشهادة من الهيئات الرسمية موقعا عليها من اللجان الرقابية التي يترجها ، وهذا مخالف لتاموس الحياة الادبية فليس منطوق دنياه . فلا نجيب محفوظ مر على امثال هذه اللجان ، ولا عرج عليها على احمد بكثير امين او احمد امين او طه حسين او غيرهم . فكل هؤلاء عولوا على انفسهم في القام الاول ، وفرضوا عقيرتهم على الناس ، فطال انتظار بعضهم حتى نال التقدير العام ، ووافي التقدير غيرهم في فترة غير طويلة .

وفي ظننا ان هذه اللجان لا تلحق اديبا ولا تنشي موجبة . وخير للاديب وللاديب نفسه ان يسلك الادب الطريق المألوف ، وهو طريق المحاولة والاجتهاد ومعاودة المحاولة من انشغال الاجتهاد حتى يتجح في افق الجوا الادبي بالموافق التي تكاملت له والحديد الذي اتى به .

فمن شأن الادب ان ينمو نموا طبيعيا حرا ، وليس من شأنه ان ينمو في محاضن ويخضع لاشراف دقيق . ولو اشترطت مثل هذه اللجان الرقابية في الحياة الادبية عامة ، لا كان هناك ادب مهجري ولا كانت

هناك مواهب بين الطالعين من الادياب في بلاد العرب اجمين . ولنستسا نرى بعضا من اجراء المسابقات ومنح المكافآت للماثلين فيها من الادياب ، ولكننا نرى اشد الياس ان لا يكون للاديب باب ضيق يفت عليه زيد وعبيد من الناس ، فلا يفرح الى التور ادب الا بعبور هذا الباب بعدد نيل رضا هذا الزيد وذلك العبد .

ولست اعلم شيئا مما يقال عن انشاء بنوك للثقافة او بنوك للادب ، فهذا تقليد لا يستقيم مع طبيعة الحياة الادبية ولا مع طابع المثقفين بالادب . ودع عنه ان هذه البنوك تحتاج الى موظفين تدبر رايهم من المصروفين الى الكيفية لم السعة ، وهؤلاء اولئك يستنزفون بعونياتهم اموال البنوك دون ان يفيد منها الادب او الادياب ، بل لعلهم يجرانهم ومعاملاهم في الأوراق والاستثمارات والطبائ يحولون الحياة الادبية الى سوق ليس بينها وبين عكاظ شبه .

والذي نراه من طول مراية للحياة الثقافية ان الكتاب الجيد يخرق الاسوار جميعا وينخطى العقبات جميعا ويؤذي رسالته بغير « بركة » اللجان وتزيكات كتاب المتقدم . كما ان الادب الاصيل ان يعدم وسيلة لتأثيل منزله في الجماعة الادبية ولا يكره الكارون . لان الاديب الحق الوائق من نفسه المعتز ياديه السكن من ادائه لا يمكن ان توصد في وجه الابواب . وهي ان اوصدت مرة ، فلن توصد الى اخر العصر ، وكل الادياب بلا استثناء طرفوا ابواب الناشرين في مطالع حياتهم فخرجوا من القفر الى مستهدف الاصواء ووقفوا بفانهم المتصوفة والدفاهم الثابتة امام الانواء من كل اتجاه . فالشاعرية المتدفقة تكفر ببركات اللجان وتزيكات الموظفين وفروض البنوك الادبية والثقافية المتكررة . وهي قادرة على ان تاتر بانر نفسها وتقتصب الإعجاب اقتصابا . وهذا صحيح كذلك بالنسبة للروائيين والنقاد والباحثين الجادين الذين تشهد لهم اعمالهم بما كمن من مواهبهم وصح من ملكاتهم وعز من معطياتهم . « فيفتح الله » في هذه البنوك واللجان وانسابها لان الادب لا يقال له كن فيكون ولا يعطى رخصة كرمصة فالسعد السيارة بعد امتحان لا يخلو من جبر خاطر وعانة كليل وإغالة بالتي

واذا تركنا هذا الموضوع الثقافي جانبا ، ونظرنا في سائر فصول كتاب « احاسيس وأنطباعات » نظرة عامة الفناء مشرقا ومغربا في ان، يتحدث

عن البهارسيا والتلفزيون، وعن رحلات غزو الفضاء واستنابات الأرض وإزالة السماك والكفور (أي القرى)، وعن التعليم والسيد البيدي ورعاية الأحداث ... الخ. فهو كتاب قوامه شذرات منثرات متناثرات يعسر على القاري أن يلتصق بينها جامعة إلا أن تكون جامعة العرض الصغرى على المئات.

ولئن كانت هناك نصيحة غالية تشير الأخوة الأدبية بإزجائها السي أميل شوفي، فهي أن «التي الشياطي الامعاء» ولا يتبع بالها عند الشاطيء المسحاح، وأن توجه بكل جهده إلى الدرس المفصل والبحث العميق والتماجد الموصول بدلا من العرض الخافط للقضايا التي تشغل ذهنه، وبذلك تستقيم لخوارفه أركان العلم، وتصبح الرسالة المنهجية من فضائل مؤلفاته ومصفاته.

ولا ريب في أن اميل شوفي يكافح في ميدان الادب والفكر برأيه المسطور وقلمه المسنون وسعيه الحثيث، ولكن الكفاح في سبيل الغايات اليميدات أنبل منه في سبيل الاهداف الفريات. ولهذا ندعوه بالبحاح أن يطلق لخوارفه المئات، ويرسلها ارسالا غير مسبق بقيدو الكتابة الصحيحة المعجلى، وأن يتوافر على موضوع بعينه يستوفيه غثابة ويوفيه تحجيسا ويؤكد به ذاته الادبية تأكيدا يقطع على المتقولين طرهم ويقنع اعمه الابواب التي ما زالت مثقلة بالاراج. فالتأليف غير التحرير، والبحث غير الخاطرة، والادب غير الصحافة، وعمق الشعور غيسر الاحاسيس. فليكن بالفتائم من الاور والجلال من الاعمال، ففسد تجاوزت دور الخوارف، وشببت من طوق الانطباعات، وتفق بان الرأي الخمر خير من الفطر، وأن الأرض السمكية الثرية خير من الأرض الرقيقة الطبقات.

وحسبنا أن احاسيسك وانطباعاتك اخلاصك في القصد، ونصوبك الى الهدف ومحاولاتك النهوض بالجماعة، وحياتك بمحبة الاوطان.

القاهرة

وديع فلسطين

مأدحة الجلاء

لعامر محمد بحيري - صفحة - ؟ مطبعة

اصدر عامر محمد بحيري ملحمته الثالثة « الجلاء » وبذلك وضع نفسه في مكان واضح من مجال تجديد الشعر العربي المعاصر وقد كان طبعيا ان يتجه الشعر العربي المعاصر الى « الملحة » بعد ان كتب شوفي وحافظ وطهران قصائد طويلة . وفي مقدمة من تناولوا هذا اللون احمد محرم حين نظم ملحمته « الايام السلاية » التي ظلت سنوات طويلة لم تنشر حتى اتبع لها هذا في ذلك العام .

وكان عامر محمد بحيري في مقدمة من حمل هذا اللواء ومضى بسره طويلا، حتى نظم ملحمته الشعرية « امير الانبياء » في ١٢٠٠ بيتا، ثم اتبعها بملحمته « ايزيس واوزيريس » فملحمته « الجلاء » . ويظهر عمل عامر محمد بحيري في ميدانين كبيرين : في الملحم وتجديد العروض . وقد كان عمله هذا في خلال ثلاثين عاما خليقا بان تلقى اليه نظرة فاحصة، فعامر بحيري منذ عام ١٩٢٢ بدأ يعمل على تجديد الشعر، حتم عليه هذا الانجاه دراسته للشعر الانجليزي في مقدمة شمس شكمبير، وغارته بيسر حيات شوفي التي ظهرت في هذه الفترة وشغلته كثيرا، حتى انه بدأ ينسج على متوالها في محاولات (بائدة) .

ولم يغير له ظهور مجلة «بولو» في ذلك التاريخ، فرصة لنشر منظوماته ونقوده، ولم يلبث ان اصدر عام ١٩٢٦ مجموعة شعره الاولى « البيت الذهبي » تحمل طابع التجديد الذي اخذ نفسه به .

كان اتجاهه في التجديد .. ينصب على مضمون الشعر في وقت واحد، وكان تجديد القالب يمثّل في ادخال اوضاع شعرية جديدة، اظهارها الاصماء الرباعية والثمانية والتساعية التي اخلاها من بعض الشعراء، وبخاصة تساعية « اموند سينر » وثمانية « بيرن » .

ثم جرت محاولته فيما بعد لادخال نظام (السوتنه) وهو يتكون من ١٤ شطر اديبا وسماه « الاصدحات » لـ ١٤ سمة من قرب الجرس الصوتي بين الكلمتين العربية والانجليزية، ولا تؤديه كل منهما من معنى اللحن والفساد .

وشغل عامر بحيري في اهم ما شغل به من فكرة تجديد الشعر، بتجديد العروض، فقد لاحظ ان بحور الشعر العربي تنقسم الى قسمين: بسيطة ومركبة، بينما بحور الشعر الاوربي مثلا كلها بسيطة : ومعنى البحور البسيطة ان البيت يتكون من نغمة واحدة متكررة نحو : مستغان، مستغان، مستغان، .. (في الرجز) و : متغان، متغان، متغان (في الكامل) و : فوول، فوول، فوول (في المتاركة) .

وفي البحور المركبة ان البيت يتكون من نغمتين مختلفتين، تكرر واحدة ولو الاخرى : نحو فوول، متغان، فوول، متغان (في الطول) ومستغان، فاعل، مستغان، فاعل (في البسيط) وفاعل، مستغان، فاعل، (في الخفيف) .

يقول : ولما كنت قد تبينت تمام التبين ان الشطر في الشعر انمسا هو البيت نفسه، وان البيت المعروف في قصائده العربية والمكون من شطرين مسا او النوع من الشعر المزدوج وذلك يظهر بوضوح اكثر من البيت الاوربي الذي يسمنه سطر اى بيتا كما يظهر بوضوح ايضا عند ترجمة الشعر الاوربي، الى شعر عربي - وهو ما عاجله - فيقع العين للارد في البيت الاوربي حينئذ في شطر واحد من الشعر العربي لاذ في ذلك رأيت ان اول واجب نحو تجديد العروض العربية، وجعل الشعر العربي يستوعب الموضوعات الكبيرة كاللحاح والمجربات، انما هو في الرجوع الى هذه الحقيقة وهي ديدت الشعر العربي الى شطر واحد بدلا من شطرين، لداعيها خصوصا مع الزمام القافية فسي الشطر الثاني على طول النصيب، مما كان مثار الشكوى من جهود الشعر العربي، من حيث الماني والموضوعات، على ايدي شعاع الشعراء، وادباء الشعر على مر العصور .

غير ان حمل الشطر واحد في العربية لا يكفي لانه لا يزيد عادة على ثلاث نغيمات بينما هو في الشعر الاوربي خمس او ستة لذلك رأيت ان السب وضع للبيت العربي الجديد هو ان يتكون من خمس نغيمات في البحور البسيطة .

على ان ما حاولته فعلا هو النظم في خامسات البحور البسيطة، وان كان النظم في سداسيات البحور المركبة ممكنا، الا ان الاول ايسر منه، واتسب لوضوح القصة او الملحة .

وبعدي عامر بحيري رايه في محاولات التجديد في الشعر العربي وخاصة من حيث العروض التي ظهرت في الفترة الاخيرة (عام ١٩٥٠ وما بعد) . فيقول :

ان كان المقصود بها تطوير الشعر العربي فعلا، والخروج به من حيز الجعول الى حيز الرزنة والانطلاق والاستيعاب، وان كانت تتفق كذلك مع بعض القواعد، الا انها في اكثرها بحاجة الى تصحيح وتقوية، ومن مآخذ في هذه الحركة تعظيم النغمة الواحدة واختيار الجحسور الضعيفة وعدم التقيد بالقافية او افعالها، مع ضعف الاسلوب غالبا، مما يجعل هذا النوع، حتى الان اشبه بالترجمة الشعرية لشعر اوربي، منه بنظم مبرك، ولو رويت فيه بعض الفروقات من تكامل التفعيلة واستقامة البيت والاضمار على قوة القافية، مع الامانة بالاسلوب الذي هو روح العربية وديانها، لكن من شيء قريب مما ذكرته الان . وبني على دراسة مستتابة واعية، امينة على تراث العربية الجيدة، وترونها اللقوة والوسيلة الخالدة !

وجهان للخطيئة ... وقصص أخرى

تأليف سعد حامد - ؟ صفحة - ؟ مطبعة

الغان الشاب سعد حامد قاص موهوب ينتج - منذ سنين عديدة تروى على الخصلة عشر عاما - في صبر ودأب غير ناطر الى الطريق الذي يقف إصرار الشباب فيجعلهم يتجهون ذات اليمين وذات الشمال بحثا عن الشهرة من أي طريق ... فهو مخلص لغته متواضع دعت عسكب النفس وفوى الملائقة نافذ البحر نائب البصرة في حجل وحبساء وطفولة عذبة، فهو على الرغم من فائته الفارغة، وشعره الناعم الاسود وعينيه الواسعتين النافلتين تحس طفولة خضية فاضرة في وجهه، وهذا ما جعل نفسه ثرة غزيرة ووجدانه غصا ، لم تحد الايام نفسه، او ترك الاحداث تدوي في قلبه، ولذلك تجدد دائما في رفا وسعادة بعب الناس جميعا .. لا يشكو ولا يتبرم رغم تجاهل الناقدين لجموعاته المديدالت التي خرجت الى الوجود .

واخر مجموعة اصدرها منذ سنة ١٩٥٨ كانت (نيار الحياة) ولقد هزني هزا عبقيا وجعلتني اعيش مع ابطاله حيواتهم وكنت ناثرا لتجاهل النقاد هذا الاثر النفس على كثرة ما يدفون الطويل ويحرقون البخور امام اعمال فجة لم تستكمل بعد تفصيها ... وكان سعد بنظر الى في ابتسامة ويقول : « يا عم خيلها ع الله المهم نتج » وكان فعال يتكشف نفسه ونفرا ويتأبر ويكتب ... حتى اصبح راهبا في دير الاقصوسية وعندما اصدرت الدار مجموعة له «وجهان للخطيئة» فرح فرحا غامرا واسماء وجه بنور عقيق .. وعرفت سبب فرحه .. فهو يعتقد ان هذه السلسلة نشر على نطاق واسع وطبع اعدادا كثيرة لذلك فهو سعيد ان فته يسجل الى هؤلاء الناس انه يؤمن بالناس ويعجبهم ويتناول مشاكلهم في رحابة عميقة وانسانية مفهومة ..

وقلت له : ما فائدة هذا النشر ما دام النقاد عندما لا يحفلون بهذه الاعمال الفنية الجادة . وقال لي والبسمة تلو شقبي «يا عم سيبك» المهم ان اول كلمي وامضي هذه الروح الخلسة المخلصة وهذه الامم للخطيئة والخطيئة مع موجبة اصيلة واطلاع شتى متواصل كونت (سعد حامد) الغنان وجعلته يتميز عن كثير من شبائنا الذين يتكئون القصصة بميزة هامة .

فهو يعنى بفنه ويتفقه ويهذب من كل شائنة ويجيد بناء الاقصوسية بناء محكما عضوا له بداية ووسط ونهاية ويتطور والاحداث تطورا حتميا بحيث تقضي البداية الى الوسط والوسط الى النهاية في نمو عضوي مقنع مترايب .

ولفته مشرقة عذبة موحية حتى لنسني انه يكتب بالالفاظ وانما يبني بناء عضويا رشيقا .

ولفته بارعة ذكية تقوض الى اعقاب النفس البشرية دون ان تخرجها او تؤذيها .

فهو لا يرضى على نفسه هدفا ، بل يترك ذلك بنوع من داخل العمل الفني ولذلك لا تخلو قصصه من كثير من القيم الوطنية والاجتماعية . وهو قادر على نقت الحرارة والحياة في الاشياء التافهة البسيطة

فتخرج من بين يديه عملا فنيا بدعيا يهوج بالصور والاوان والظلال ... وهذا راجع الى رفاقته الفنية وحدة تنبيه الفني . وفيه ميزة هامة بارزة في كل اعماله .. هي الانسانية .. الانسانية العميقة المضيئة. وهذه طبعية الحال ليست دراسة موضوعية جادة وانما هي انطباعات تتسم بكثير من حبي للغان سعد حامد ويؤثر عليها بعض التأثير موقف الناقدين من هذا الغنان المفضل المتأبر . ولكنني اعتقد مخلصا ان (سعد) لو اتبعت لفته دراسة موضوعية متأنية لاتقصته ولجعلته يأخذ مكانه في الصفوف الاولى مع قصاصينا الموهوبين .

هذا بالنسبة لتجديد العروفي عند عامر بحيري، اما بالنسبة لدوره في الملاحم والسرحدات فقد ذكر انه ناثر بمرسحات شوقي وشفل بها الى حد كبير، كما راح منذ مطلع حياته يترجم من مسرحيات شكسبير فترجم من العاصفة وماكبث والتولويون وكليوباترا وغيرها ..

كما قام بمحاولات خاصة منها « ماري انطوايت » ، « الجبل الجديد » « الرسالة العمدل » ، « خالد بن الوليد » ، « الامين والمامون » .. وله محاولة لم تتم عن فتاة السويس .

اما الملاحم فلهذه انها هي اليدان الذي لم يجد في حليته من شعراء العربية فارسا ، رغم ما هو موجود فعلا في ادبنا القديم من قصص شعري ومن ملاحم اغلبها ثري ، يتقمن في انائه ابيانا من الشمسر تمثل حوارا بين الشخصيات .

وقد دفعته دراسات للقصص الشعرية في الادب الانجليزي الى تجربة مثل هذه المحاولة على نحو يختلف عما فعله شوقي الذي يرى عامسر بحيري انه اكفى ينظم التاريخ (كما فعل في تاريخ العرب والاسلام) اما هو فكان ينجح الى القصص الغنية الخاصة ، واستطاع في خلال السنوات المتواليه منذ عام ١٩٦٦ الى كتابة الساحرة ، يوسف الصديق، الحماة البيضاء، ايزيس وازوريس، امير الانبياء يقول «ان هناك فرقا كبيرا بين نظم التاريخ، ونظم القصص المستكملة لقواعد الفن القصصي وشرائطه ، وبالرغم من ان بعض محاولاتي، ربما بعد من نظم التاريخ، مثل ملحمة « امير الانبياء » التي كان جلال موضوعها وشخصية البطل فيها، ممسا يدعوني الى الاقتراب ما امكن الى حوادث التاريخ، بل الى تحري الصحيح للحمة دون الموضوع، الا انني في محاولات نظم الملحمة بضفة خاصة، كنت اهدف الى نظم القصص الشعرية الفنية ما امكن ذلك . »

ثم كانت المرحلة الطبيعية بعد ذلك في تطوير عمل عامر بحيري ان يتجه الى عمل كبير ضخيم في تاريخ مصر كتصه الجلاء، فهي عنده قمة في الحالات التي مر بها في تربت وصبر ، فقد سنوات طويلة ، وقد نظمها في بحر مبتكر، لا يبعد من اصول القروفي العربي، ولا تكاد تختلف عن طائزها في القصص العالمية الكبرى . وقد بدأت الملحمة منذ بدأت نذر الحرب العالمية الثانية، عندما تصدر شبائنا الجميلة البشيرة وتعرضوا لارصاص الانجليز، وتساقط منهم الشهداء، وكيف انطوت هذه الحركة ولم يلبث الشباب ان جدد حركته، وكانت الدعوة لا تعتمد على الاحزاب، وانما تعتمد على منطق القوة، بدأت هذه الحركة في داخل الجيش، وبدأ الشباب التحمس في داخل الجيش وخارجه بتصيدون جنود الانجليز، افراوا وجماعات، وبدأت تنتشر خلايا هذه الحركة التحررية الكبرى التي انتهت بقيام الثورة ١٩٥٢ ثم كيف تولدت احداثها فسي اعلان الجمهورية، وتحقيق الجلاء وتأييم الفتاة .

وهي مع انصاليها بالتاريخ القريب فقد نظه تعلق نحو فني متحرر من كل القيود واللازمات، افرادها جميعا من خلق المؤلف، وليس فيهم شخصية واحدة لها نظير في الوجود الخارجي، اعطت صورة صادقة للجمعية في مصر وضورت فعلا بعض افراده وبرزت جوانب من حياتهم، كما صورت الحياة الجامعية في مصر، وبعض مشاكل المجتمع، وحياة الريف والدينة .

وبيل هذا العمل في جعلته على استمداد عامر بحيري في رسالته التي آمن بها ، والتي لم يتحول عنها على الرغم مما لقي من اغراء الا انه آخر الاخلاص رسالة الشعر مدى الحياة ثم اخذ في تطوير هذه الرسالة حتى شملت القصص والملاحم والمسرحية، وقد لقي في سبيل هذا الانجاء خصومة شديدة ، وتأخر بين الصفوف على حد قوله ، لولا ايمان بالله وبالرسالة التي وهب نفسه لها .

أنور الجندي

القاهرة

بين الكتب الهامة التي صدرت عام ١٩٦٣، كتاب (فصحة القرحة) تأليف الدكتور منذر الدفاق . والكتاب دراسة علمية طبية اجتماعية لمرض القرحة الصدية الانثى شربة في جهاز الهضم ويختص بصفة اجتماعية خاصة تجعله في مقدمة الكتب الاجتماعية التي تعالج الانكسار الطبى لبعض مشاكل المجتمع وامراضه .

ولعل اهم ما يجدر التأكيد عليه في كتاب (فصحة القرحة) هو التحليل الاجتماعي الذي نقرأه لهذا المرض الهضمي الهام، وكيف يتسبب لنا ان القرحة الهضمية هي مرض يقدمه المجتمع لافراد، وهو ما يجعل كتاب الدكتور دفاق درسا اساسيا في علم الطب الاجتماعي .

والذي نستطيع من قراءة الفصول العديدة للكتاب ان هذا المرض الهضمي هو نتيجة انعكاس مشاكل المجتمع في جسم الانسان وتوضعا في نقطة معدنية او اثني عشرية سميت قرحة هضمية . وهذه العلقة الشائعة موجودة منذ قديم الزمان بدليل ان اركاتس المجتمع ومشاكله الداخلة من الالم نفسية ذاتية واضطرابات عصبية جسمية لم تيسر ولم تتغير منذ اقدم العصور ... غير ان المعرفة في هذا المرض فسد تطورت كثيرا بالوسائل الطبية الحديثة واصبح من السهل كشفها وتشخيصها وعلاجها بالشكل المفيد .

واذا ما تصفعا بعض ابواب هذا الكتاب ، ذي الطبع الاثني الملو ، وجدنا فيه الكثير من الفصول التي تتطرق الى اسباب القرحة الاجتماعية والى ان القرحة مرض المجتمع ... ثم نطالع الكثير من الفصول الاجتماعية الهائلة التي اثارها القرحة الهضمية لدى اصحابها فنسرد بطلا ما اكاد عليه المؤلف بان هذه الشكوى الهضمية تعود في اصلها الى اضطراب في تجارب الانسان ازاء مشاكل المجتمع الذي يحفسته ، والنسرد الذي فرض عليه والهموم التي تحيط به .

ولذلك كان من الضروري جدا على كل طبيب معالج، معرفة القصة الاجتماعية العميقة التي كانت وراء انطلاق القرحة اذ ان معرفة هذه القصة وسرورها من صاحبها المريض، يخلف كثيرا من عنا صفاتها الداخلي ويشرح بعض الانطلاق القوي للكتب النفسي الصامت الذي هو اشد ما يسبب فوارق القرحة والامها . فتأكد الطبيب على معرفة القصة الاجتماعية التي ولدت وكونت القرحة ضرورة علمية اساسية في توجيه الشفاء .

ونقرأ في فصل (القرحة . مرض المجتمع) فصلا اجتماعية حزنسة بالسة تدلنا على مدى دور المجتمع في بعث القرحة ... ولا بد لنا ان نرصد على سبيل المثال القصة الحزينة للشبح المعزج الذي جاوز السبعين من العمر وقد فسد لمؤلف مراحل القرحة التي اصيب بها منذ خمسة عشر عاما، وكيف انه قد فقد اولاده الذكور ونجم عشر في سن يتراوح بين الثالثة والثامنة عشر ... وكان الابن يعيش بنجم سنوات ليמות ... ويشرح الموت بنجم من الله ... ثم كان ان بقي له ولد واحد بلغ سن الثامنة عشرة ، ثم قضى الشاب الوحيد في حادثة سيارة، وعندما لم يتحمل الاب المفجوع، ذو الجهاز العصبي المضطرب على مدى السنين ، هول المفاجعة بعد ان فقد ابناؤه التسعة ، فظفرت القرحة لديه ...

وكان من مظاهر اليأس الايدي لهذا المعزج ان بقي له بنت واحدة زوجها لصانع يعمل في التول (نسج) واشترط على صهره الجديد ان يظن معه في البيت لانه لا يطق ان يرى ابنته الوحيدة تفساد داره اليائسة لتظن مع عرسها بعد ان فجع بالولادة العشر ، وقبل ان يقاسم الصهر داره وان يشترك معه في اللقمة لدى ان ابنته لم تقادر بعد ...

ان هذا المريض الفقير المعزج المفجوع الذي جاء الى المستشفى ، يشكو من قرحة مزمنة لديه بعد هذه النكبات المتتالية ليثبت بشكل

ومع ذلك فتجب ان نرى في هذه المعالجة وجهها من وجوه في (السعد حامد) وهو الانسانية، وهي واضحة في كل فصله تقريبا ... وفي القصة الاولى (وجهان للخطيئة) نرى هذه الانسانية، فالمرأة الخاطئة في نظره ضحية ظروف . ورغم انها عارضت في زواج بطله من ابنتها التي كان يحبها لا يتجر لها بالكره بل يحبها هي الاخرى ويعلمنا تتعاطف مع الاب والفتاة بل وتحب معه الالم الخاطئة ، وقصة «فتاة في الحديقة» فيها هذه الانسانية فجميدة هذه الفتاة البريئة المسكينة التي وقعت في شرك شاب واخطأت ... يتبع لها ان تتلقى في الحديقة برجل مسع ابنته وتزوج له بسرعا وبذل ان يستحق هذا الرجل من قبلها ويقر بدعوا الى ان تذهب معه الى البيت فقد ماتت زوجته ... ويتزوجها وتلخص النصة بهذه الصورة يسوقها تسويقا كبيرا لان الفتاة بقدرته ورهافة مشاعره، وقدرته على الإيحاء والرمز يجعلني احب هذه الخاطئة واحب الرجل الذي تزوجها واحب الفنان واحي فيه انسانيته .

انه يصور موقف الرجل بعد ان سمع قصتها ويربط بينها وبين ابنته الصغيرة التي ماتت امها : « ربت عليها في حنان وقال : يا بنتي كل خطأ يصير احسلا » . ولهم الرجل كل شيء واحس بشيء حساد يقوس في احسانه وشعر انه سيخون وكانه في هذا مقام فاسد الهواء ... الا يحتمل ان امر ابنته هذه الصغيرة البريئة ذات يوم بمعنة كالحنطة التي امر بها هذه الفتاة، فتسقط وتحطم وتنتشر من ماس ثم يعطف عليها ويغفل لها « يا ابنتي انا مرت بمعنة قاسية هانت زوجتي من سبعة اعوام وتركيت لي هذه البطة وعشت بعدها في وحدة مريرة لكنني تحملت وعشت من اجل هذه البطة » ثم يومه الكاتب بامادة معيرة ويرمز رمزا وثيقا لارتباط الرجل بهذه الفتاة ... فيقول: «وعندما قاما ليقدرا الحديقة كانت طفلة قد نامت فحملها على كتفه لكن الفتاة قالت له : دعني احملها حتى البيت .

» - وحملت الطفلة وسارت الى جانبته « وهنا يوحى لنا الكتاب بكل شيء فالقصة قد انتهت واحسنا نحن بحب انساني دقيق يترشحنا لهذا الرجل الذي انقل هذه الفتاة ... وفي المجموعة كثر من حشد اللغات الانسانية العميقة المتنوعة وحسنا هذه الاشارات العابرة لتكون تحية للفنان الصديق سعد حامد ...

عبد العزيز الدسوقي القاهرة

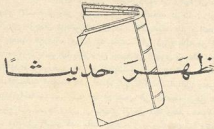
قصة القرحة

تأليف الدكتور منذر الدفاق - ؟ صفحة - الطبعة الهاشمية بدعشق

الدكتور منذر الدفاق من دمشق عضو المجتمع الامريكي لامراض جهاز الهضم وعضو الجمعية الوطنية الافرنسية لامراض جهاز الهضم وعضو الجمعية اللبنانية لامراض جهاز الهضم ونائب رئيس الجمعية العربية في دمشق ، وهو يعمل الآن كرئيس لشعبة الامراض الباطنة في مستشفى دمشق، وقد فاز مؤخرا على جائزة العلوم الطبية من المجلس الاعلى للعلوم في سوريا .

ويختص الدكتور دفاق بنشاط علمي طبي تدل عليه الدراسات الطبية العديدة التي يقدمها في المجالات الطبية العلمية العربية والاوروبية والامريكية بالإضافة الى ابحاث اجتماعية عديدة تقراها له في كثير من مجلات العربية وقد طالع القراء في (الاديب) عدة ابحاث له .

وكان اخر ما قدمه الدكتور دفاق كتاب «قصة القرحة» الذي هو اول كتاب طبي يؤلفه طبيب عربي ويحاول فيه ان يبرز الناحية الاجتماعية التي هي اساسية في تكون المرض .



قاطع خطأ النظرية القرية القديمة التي كانت تقول أن القرحة مرض الحضارة ... فالقرحة ليست بمرض الحضارة إنما بمرض الضدمات العصبية والنفسية والاجتماعية .

وإذ يتحدث المؤلف بدقة وتفصيل عن القرحة وأعراضها وأسبابها واختلاطها واشتراك معالجتها ، نراه يخصص فصلاً كاملاً عن مسؤولية الطبيب الكبيرة من الوجهة الطبية والاجتماعية فسي أقامة تشخيص القرحة، ويدعو إلى التروي والتأكيد قبل إطلاق هذا التشخيص الذي يوجب على المريض المصاب قبول بعض الترتيبات الخاصة في حياته الاجتماعية . ولذلك فقد أبرز الدكتور الدقاق في مؤلفه أهمية المعالجة الاجتماعية للقرحة وهي معالجة ذات شقين ... شق طبي وشق جراحي ... أما المعالجة الاجتماعية الطبية فهي تقضي أن يكف المريض أوضاعه الصحية والاجتماعية وفق أصابته المرضية وهي تقضي أيضاً بأن يغير المريض الكثير من طباعه وعاداته ... أما المعالجة الاجتماعية الجراحية .. فهي التي تدفع بالطبيب أن يوصي بالمداخلة الجراحية إذا كانت حالة المريض الاجتماعية لا تسمح بتحمل نفقات المعالجة الطبية وإذا كانت مهنته تتأثر من توارد نوبات القرحة بفواصل متقاربة فتعطله عن العمل .

وإذا كان المؤلف قد عمل كثيراً على إبراز أهمية الناحية الاجتماعية في الإصابة القرحية فمثل المجتمع مسؤول عن انطلاق القرحة وعمن تكسها نائبة إذا ما شئتم

ولا أدل على ذلك من قصة البقال الدمشقي الذي عاث شرباً فسي طولته وقد ظلمت أمه ثم نبذه والده في منتصف الليل طالباً منه أن يترك الدار ويؤمن حياته بنفسه ... وعاش الطفل المسكين أولاً تتجولا بنفسه في الشوارع الاجتماعية ... ثم يطبل له أن يتزوج ... فيقع على فتاة تعيش معه تسرفه وتنقل ماله إلى أهلها ويرزق منها أولاداً ويطلبها ... ويتزوج سواها ... ويعيش في قلق دائم بين أهله الأول وقد قست عليهم الزوجة الجديدة وبين حياته الزوجية الثالثة المرتبة من خلال هذه الحياة المعالية المركبة براجم البسبب شاكياً من قرحة انثى عشيرة .

ولا ينف دور المجتمع عند انطلاق القرحة بل يتعداه بنفس النسبة إلى حالات نكس القرحة ... وأوضح دليل على ذلك قصة السيدة التي عولجت عام ١٩٥٥ لقرحة وشفيت ... ثم عادت عام ١٩٥٨ تشكو نائبة من نكس حاد، وذهبت بعيداً في شكواها فأوضحت أنها كانت تعيش في صدام مستمر تحت سقف واحد مع جاراتها ... وأن مصادفة عنيفة جدا أوجبت الانفصال عنها، وعادت القرحة ولكن نزفاً قد رافقها في هذه المرة ولم تنفع فيه المداواة لإيقافه وكان استئصال اللحم الأكبر من المعدل من خلال المداخلة الجراحية السبيل الوحيد للشفاء الطبي كما كان الانفصال عن جاراتها السبيل الوحيد للشفاء الاجتماعي .

ونقرأ في الكتاب شروطاً طبية واجتماعية تصمن شفاء نوبة القرحة ومن أهم العناصر الاجتماعية لهذا الشفاء نظام مهني وفكري يخلو من الإجهاد العقلي والجسماني وراحة فكرية من خلال عطل سنوية منتظمة والإبتعاد عن التعقيدات المعاطفية والتلازم مع ضرورات الحياة في حدود الاستعداد .

إن هذا الإطار الاجتماعي الذي نقرأه بشكل مفصل يحل لنا الوجه الطبي والأساسي لمرض الشفاء النفسي ، ولما كان مثل هذا التحليل يقدم لنا أوسع صورة عن واقع هذه الأمة الهضمية فإن ظهوره بلغة إنجليزية، الإنكليزية أو الإفريقية، بالإضافة إلى اللغة العربية أمر ضروري لبيان مدى تقدم المعرفة الطبية في شرقنا العربي .

مختار طرشه

دمشق

- شعراء حمص : أخبارهم وأثرهم - تأليف أحمد الدرويش - الجزء الأول - ١٢٦ صفحة - مطبعة النجاح بحمص سورية .
- الحصول على الإعفاء والاحتفاظ بهم - تحرير جمعية تعليم الكبار الأمريكية - ترجمة الدكتور سعيد محمد غنيم - مراجعة وتقديم الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل - ٨٤ صفحة - منشورات دار القلم بالقاهرة .
- سويسرا : شعبها والرفاه - تأليف ليبيان براجدون - ترجمة كمال الملاح - تقديم الدكتور عبد العزيز فريد - مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي - ١٥٨ صفحة - مع صور - منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة - مطبعة مصر بالقاهرة .
- قصة الكهرباء - تأليف ماي وبرا فريمان - ترجمة الدكتور محمد أحمد فخر - مراجعة وتقديم الدكتور أنور محمود عبد الواحد - مصمم الغلاف أمين لبيب رزق - ٨٤ صفحة - مصور - حجم كبير - منشورات مكتبة الإنجلو المصرية بالقاهرة - (لم يذكر اسم المطبعة)
- معرض القبة السماوية « الإبلاتيريم » - تأليف لويس وولف - ترجمة الدكتور عثمان شبيب فراج - مراجعة أحمد زكي محمد - ٥٢ صفحة - مصور - مطبعة مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة - (لم يذكر اسم المطبعة)
- الاقتصاد الريفي - تأليف الدكتور محمد رياض والدكتور كوتز عبد الرسول - ٥٢٩ صفحة - حجم كبير - منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة -
- سوزان - مجموعة شعرية - حسن عبد الله القرشي - ٩٦ صفحة - مطابع دار العلم للعلايين ببيروت .
- التخلف المدرسي - تأليف التدرية لوغال - ترجمة يمين الأصغر الإمام - ٢٠٨ صفحات - منشورات عويدات ببيروت - مطبعة سميا ببيروت .
- سلمو - تأليف غوستاف فلوير - ترجمة سامي الرياشي - طبعة ثانية منقحة - ٢٥٢ صفحة - حجم كبير - منشورات عويدات ببيروت - مطبعة سميا ببيروت .
- تاريخ الحضارات العام - بإشراف موريس كروزيه مقش المصارع العام في فرنسا - المجلد الأول - الشرق واليونان القديمة - تأليف التدرية إيجار وجانين أوبوايه - ترجمة فريد م. دافر وفؤاد ج. أبو ريحان - ٧٢٦ صفحة - مع لوحات وخرائط - حجم موسوعي - مجلد بالقاهرة - منشورات عويدات ببيروت - مطابع دار الإرشاد للطباعة ببيروت .
- تمثيلات كلية ودمنة - تأليف إبراهيم عز الدين اسماعيل - ١٨٤ صفحة - منشورات دار الكتاب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد - (لم يذكر اسم المطبعة)
- الدبلوماسية عبر العصور - تأليف هارولد نيكولسون - لم يذكر اسم المترجم - ١٢٦ صفحة - منشورات دار الكتاب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد - (لم يذكر اسم المطبعة)

جولة للدكتور محمد صقر خفاجة في سمر

رحلة الإبطال

بقلم الدكتور محمد صقر خفاجة

قاربهم حماسا ودفعهم دفعا الى الرحيل مع البطل . فجاءوا اليه من ارجاء اليونان وشرعوا في تقطيع اشجار الصنوبر من جبل بليون وعلمهم ارجوس صناعة السفن فصنعوا سفينتهم وسموها باسمه ثم دشنوا ارجو وارسلوا الى اليب واقفلوا من ميناء افيثيا من تساليا وغربوا في عرض البحر متجهين نحو المشرق . وهكذا بدأت رحلة الارجو...

لقد كانت مفامرة شاقة واجهتهم فيها صعاب وصافقهم احوال واعترض سيبلهم عاقلة وشرار ونساء متوحشات صارات ، ولكنهم قابلوا ايضا حسناوات رائعات عوجريات فائتات وعرافين صادقين وملوكا اسخياء . وهذا وصف لبعض الاحداث التي جعلت رحلتهم مقرب الامثال تقنى بها المتشددون وخلصها الشعراء ..

كانت جزيرة لمتوس اول مرفأ نزل به هؤلاء القتيان ليستريحوا من وعاء الطريق فراعهم ان الجزيرة لا يقطنها الا نساء دفعتن الفرة الى قتل الرجال جميعا ما عدا ملكهن الذي اتقدته ابنته بان وضعت فسفي صندوق وجعلته يطفو فوق سطح الماء حتى حمله اليه بر النجاسة . ولكن من القريب ان هؤلاء المتوحشات اكرمن وفادة الإبطال وزودتهم بالؤلؤ وودعتهم بنفس الخلافة التي استقبلوا بها .

وغادر ياسون ورفاقه الجزيرة ، ودخلوا بحر بريونش (مرمرة) نسم جنحوا الى شاطئه ونزلوا يترشفون في المروج وعندما انصرف هولاس ، صديق هيراكليس ، بلا جرنه ماء غلبا فوجد ينشوعا صافيا بين الكلا الاخضر واليلاّب المزهّر ، في وسطه ثلاث حوريات ، زرق العيون .. واقترب القلام من النبع وانحنى ليملاّ اناءه ، فاسترن اليه وانعلقسن بذراعه فسقط بيتهن بصرخ ويكي . فاخذن بلافتنه وبيرن له عن اعجابهن بهما . ورغبتن في الاحتفال به ، وهكذا اخفى هولاس الى ايد ، لكن صديقه هيراكليس ام يلق على غيابه صبورا فاثارت ثأره . وانطأ ينفوس في ارجاء الكفة بحثت عن حبيبه وبصيح مناديا « هولاس ! هولاس ! » والصبي يحببه من جوف الماء بصوت خافت لا يبلغ مسامعه .. واستبيحت هيراكليس الرغبة والامل في العثور على حبيبه واخذت نزار وبشيت يخبث بين الاشواق المتشاكبة كالاسد الفساري الذي يتطلق من عرينه اذا سمع صوت ظبي في الجبل .. واحمرمرا على العشاق! ثم ذا من الشقاء تحمل هيراكليس . اضناه السير في الجبال ولم يعد يفكر في ياسون ولا في رحلته . وتاهبت ارجو للرحيل وامتلأت بمن كانوا فيها وانتظروا عودة زميلهم الذي هب حيث حملته قدماء ودفعته ثورة جنونه والله الحب يمزق فسؤاده ..

ووصل الإبطال ارض ثوبيا التي كان يحكمها الملك اموكوس وهسو رجل صلب فقد غلبت القلب ، لا يستريح الى الاجاب ولا يرحب بالرفاء الذين يقدون الى ملكته ، بل كان يتعدهم في اللامكة والمارعسة ويؤذو عليهم دائما لانه كان كالمعلل الضخم قوي البنيان مغلول الصلوات .. فلما رأى بحارة ارجو ، اغظ لهم القول وامطرهم وبلا مسنن الشتم ، وعندئذ التبرى له ببولوبوكيس اللامك اليوناني الخفيّر والصارح الذي لا يقهر .. وجعل منه منارا للسفيرة واعطاء درسا قاسيا وعلمه كيف يكرم السفيف القرباء ..

بعدئذ اتجهت السفينة الى ساحل طرافيا ونزل البحارة ليسالوا العراف فيستون عن مصير رحلتهم ويعرفوا منه شيئا عن الصعوبات التي ستواجههم . فحذرهم من الاطراء التي تحف برحلتهم وعلمهم كيف يتجنبون الاخطار بصقوف بلانكتاي عنه مدخل بحر بوكسينتوس (البحر الاسود) حتى لا يكتب عليهم الهلاك كما كتب على الذين من فيلهم ونصمهم قاتلا : « عندما ترقون هذه الصخور ، اطلقوا بعامه ورايوها » فان مرت من بينها سائلة اتفخوا اثرها واجتازوا الصخور وسوف تنجون

هذه ليست أسطورة من نسج الخيال بل قصة لها اصل تاريخيسي ابطالها جماعة من شباب اليونان ، ذاع صيتهم في غابر الزمان حين قاموا بأول رحلة بحرية في تاريخ الافريق ، فابعدوا من مدينسة يوكوس في تساليا ، ومغروا عياب البحر باقدم سفينة صنعوها في بلادهم وسموها « ارجو » . وبعد ان فاسوا الاحوال وتعرضوا للموت فافسوا ارض كولخس على الشاطئ الشرقي للبحر الاسود ، واقتصبوا من ملكها ايتيس الفروة الذهبية ، واحضرها الى يوكوس اطاعة لآوامر بيلياس صاحب السلطان ومقتضب العرش والصولجان ... هذا ملخص القصة رواها ابولونيوس الروسي الشاعر السكندري في « الإرجونويكا » أشهر ملاحم الادب اليوناني في العصر الهلنستي .

كان ايسون يحكم ولاية يوكوس ، ثم خرج عليه اخوه بيلياس وخامه عن العرش واقتصب ملكه ، وبعدئذ اصبح ايسون لا يترك الا في مستقبل طفله الوحيد « ياسون » فقرر ان يبعد الى البر البرية العظيم « كيرن » ليهذب ويربيه وينشئه على الشجاعة والاروسية . وبني في صدره كرها عمقا لئلا يراه ، ومرت الايام وشب الفتى وضمع على العمدة التي يلده ليسترد ملك ابيه من بيلياس الذي لم يشأ ان يبل فاعتد من قرد اخاه اذا جاهد نبوه من الوحي تعذر من « صاحب التمسسل الواحد » ولم يكن هذا الشخص الا ياسون الذي وجد عند عودته السى يوكوس عجوزا شطواء فلما اقرب منها وهي قابعة بالزبر من نهسر اناوروس طلبت اليه ان يعملها على ظهره ويساعدها على اجتياز هيدا السيل الجارف ، فاجابها الى طلبها واخذ يبدعها وشق طريقه في الماء وبينما هو يتقادم التيار الدنفق ، فند احد تدمل ، ثم خرج من النهسر سائلا ذهب الى يوكوس . وما ان دخل المدينة حتى لفت الانكسار

قائف القوم حوله وسالوه من يكون . فاطاعهم على كل شيء وطلبس اليهم ان يرشدوه الى قصر بيلياس . وهناك قابل الملك المقتصب الذي اراد تجد رؤيته وادركه الخطر الذي تهدده ولكن سرعانا ما استجمع قواه ورحب بالضيف . فلما عرف انه يهبط ابن اخيه نقاهر بالفرح وتقدم نحوه وعانقه وقال : « تعالى يا بني ! خذ من تريد من بئناسي الثلاث ووجهنا لثرتي ونحكم من بعدى ! » ورد ياسون في همدوء : « لقد جئت يا عماء لاسترد ملك ابي ، وخير لنا ان نحكم الى العقل . احفظ بالثروة كلها فاننا لا اريد منها شيئا ولا اطالب الا بعرض ابي » . فانتمسعه ان يستلمه صفراء وقال : « لك ما شئت يا بني اذا اجزت هذه المهمة . ان تعيد الفروة الذهبية الى ارض الوطن ، وتعني عمك من هذا المبدء الخليل فانت ترى ان شيخوختي تحول بييني وبين القيام بهذا العمل الشقي . ووافق الشاب الجريء على طلبه واقبل على الشروع ليحققه حتى يقدف اسمه ويصبح اشدوية في كل الزمن .. وطلب ياسون الى عمه ان يعيد برسل من لديه يطوفون بشتيايب الافريق ويخونهم على الاشتراك معه في هذه الرحلة ، وملاّت هيسرا

وتصلون ارضي الخوص في امان . اما اذا هلكتم اليمامة فعودوا ادراجكم ولا تفكروا في الحصول على الفروة الذهبية لانكم لن تصالوا اليها ابدا » .
والتمت السفينة وعمل البحارة بتضيعة الغرامات الاين عندما اقتربوا من تلك الصخور ، فشققوا طريقهم بينها سالين ثم اجتازوا البحر الاسود ومروا بارض الامازونيات الحاربات وتجنبوا الاشتباك معهن ، ثم القوا نظرة على جبال القوقاز حيث شاهدوا بزمينوس مكيلا في اغلالسه مشدودا الى صخرة عالية يتنقل عليه نسر وبهش وكفى
لكنهم لم يتوقفوا عن السير وتابعوا رحلتهم حتى وصلوا ارض كولخس .
وعندئذ هتف بهم ربان السفينة قائلا : « هلموا لقد بلغنا غابتنسا ؟

هذه قصور ايتشيس وهذه اراضيه ! ولكن يا ترى اين توجد الفسفرة الذهبية !! وكم من مشقة سواجاه قبل الاستسلام لهذا ؟ » فرد عليه ياسون في جرة وقال : « لا نخافوا شيئا . فسوف اذهب الى الملك وحدي . وسوف اتحدث اليه في ادب يجب فهذا خير من القتال » .

واجبه ياسون مع رفاقه الى قصر الملك فاسرع هذا الى القامق ورجب بهم واصدر اوامره باعداد الموائد الفاخرة وبعد ان اكل الاطبال وشربوا ساهم من هم ومن اي بلد انوا ، واجابه ياسون قائلا : « اتنا جميعا من بلاد اليونان جئنا نطلب الفروة الذهبية ، ونعرض عليك خدماتنا مقابل ذلك ، ففتح على اثم استعدادا لقتال اعداءه ونحني ديسبارك ففاجأ الملك بكلامه لانه كان لا يحب التدخل في شؤونه ومع ذلك فقد كتم غيظه وقال « انني لا اكره الاطبال ، وسوف اعطيك الفروة الذهبية اذا اتيت شجاعتكم وقمتم بما سبق ان قمت به . فقد استقلت ان اشد الى الحرات ثورين ، اقدمهما من البرنز وانالساهما من لهيب النار ، وسيطرت عليهما وحرت خلا من ارضي وبردت فيه انسان تين كانت تبيت في الحال رجالا مسجلين اصنامتهم فورا حتى لا يستغل امرهم . هلموا الذي قمت به . وما زال الثوران غندي من منكم يريد القيام به ؟ لانني لن اعطي الفروة لشخص اقل مني شجاعة » وكان الامتحان درعيا واجتيازه مستحيلا لانه فوق طاقة البشر ، لذا لم ياسون الصمت بركة ثم قال : « قليت الهمة رغم شجاعته . وسأقوم بها حتى لو كان الموت نصيبي » . وعندئذ تسلمت الاميرة ميديا لى الزائرين فوقع بصرها عليه وفي نفس اللحظة رماها ايزولس اليهم فاضاب اعماق قلبها فاشتعل فؤادها نارا وذابت روحها اسي وتصيب جينيسا عرقا واضطربت اضطرابا شديدا ، فلم يجد بدا من الانسحاب اسي لفرقتها حتى لا يفضح امرها . ولكنها تابعت البطل بافكارها ، وتخلينه امامها وطلعت تامل جماله وتسريه في الغاظة .. هل احبته من كل قلبها فكيف تركه بلقي حننه وجحائها بدونه ليس له معنى ؟

وفرت ميديا ان تساعده جنيها بان تعطيه مهرها مسحريا اذا مسح به جسمه وفاه من كل شر ، فلا يصعب شيء في الوجود ، وارسلت ايسن معها الى ياسون يخبره بعها ويؤكد له انها تخلص له ، ولن تخلى عنه ابدا ، وانها تريد مقابلة في اتو . وقابل ياسون فرحا لسماع هذا الخبر وهرع لالقائها فلما راته ميديا خارت فواها وغشى بصرها ، ووفقت جامدة ووقف ياسون امامها وقال : « كيف اصف نيك وكيف اصور حبك لك ؟ انك املئ وحياتي » . فاقتربت منه وهي صامتة ثم اخرجت من صدرها غلبة فضفية فيها الزهر الوافي والظلمة البهية ولكنها تقول : « خذ هذه ، ولك روجي ان طليتها » ثم شرحت لسه كيف يستخدم هذا السحر ثم قالت له : « والان يجب ان اعود اسي النصر ولعلكم تذكروني عندما ترجع سالما الى بلدك لانني سأذكرك دائما » .

وسج البطل جسمه واسلخته بالزهر فاحس بقوة خارقة تدب فيه جملته يصمد للثورين كأنه صخرة عالية تقاوم امواج جارية . واصمهما ابعاد بعد الاخر ولوى راسهما الى ركبتة ثم شدعها الى الحرات وسط هتاف المخرجين الذين اذهلتهم شجاعته .. وفيض ياسون الى الحرات وحرت الحقل وانجز ما طلب اليه وهكذا انتصر البطل وحزن الملك ، وبدا هذا يدبر للابطال مؤامرة تمنعهم من اخذ الفروة الذهبية . ولكن ميديا

انتقلت قرارا حاسما ، وصممت على ترداد اهل الوطن والرحيل مع الجيب البطل ولما ارخى الليل سدوله تسللت من القصر وذهبت الى ياسون في السفينة فانزمت عند اقدامه ونوست اليه ان يأخذها معه الى بلاد اليونان واخبرته ان يذهب في الحال لاخذ الفروة ، وطلبت اليه ان يقادر هذه البلاد فورا حتى لا يتعرض للهلاك . وابتدت لسه انها سوف تسحق الاقي التي تحرس الفروة لتقيه شرها .. وحملها ياسون في السفينة التي انتهت نحو اقدامه الفروة المقدس غيبت علفا وهناك توجه ياسون الى الشجرة واخذ الفروة العجيبة ، ثم اسرع الى السفينة واخذ مكانه بين زملائه الذين جلسوا الى مجازيهم واتخذوا سيبلهم في البحر عجا .

ولكن اي طريق سلكوا ؟ وبأي ارض نزلوا ؟ هذه امور ما زالت غامضة ، اختلف فيها الرواة وحار فيها المحدثون اما عن حب ميديا لياسون وزواجها منه وكيف انتهى ، فاليك قصته .

لما عاد البطل الى وطنه اعان زواجه واصطحب زوجته الى كورينثه ، وهناك افادها وعاشا عيشة راضية ، واتجيا وطنين وقصيا في هذا البلد عشر سنوات كلها مسعدة وهناءة . ثم خان ياسون عهده وغدر بعجبيته فهجرتا وتزوج غيرها ، فاصرت على ان تنقم منه اشد الانقام ولم لا ؟ لقد احبته من كل قلبها . فمناجاة خالت اهلها وهجرت ونظما ، وكانت تعتقد انه سيخلص لها مدى الحياة ولن يتخلى عنها ابدا حتى تنسى ألم الاغتراب وعذاب الفصير ، لكنه هجرها وتزوج غيرها فحين جئتها وجلست تكرر في الانتقام منه فصممت على قتل منافستها . وحيات بثوب جميل ولبثه بغير ميت ، ثم وضعت في صندوق وكلفت ولدها ان يبعدها ويقدمها هدية لزوجها ايبهيا ، فطعها به اليها ، فلما ارادته اشتعل جسمها نارا واصبحت رمادا في لج البصر ، ثم كبرت ميديا في مضير ولدها وفرت الى اتركها ان يسير معاملتها او يعين في اذلالها وقالت : « لقد اعطينتها الحياة وسوف اذيبها كاس الردى .. اياي والبرود للاندام على ذنبهما ولن افكر في حب لهما بل سأتسى اسي اوما سأتسى ذلك برهة ثم استسلم للاحزان » . وهذه نرجسة لبعض آيات من مستحبة ميديا الزالفة التي نظها يوريندس العظيم ليعطف جفها الموقر وانساها البقيض .

ميديا : ال ليت صاعقة من السماء تشق رأسي فائدة العيش بعد ذلك ؟ وبهي وبهي! فليطوني الموت ويخلصني من تلك الحياة البغيضة! الجوقة : أي زبوس : اينها الارض ايها النور ! هل سمعتم هذا الصوت الحزين الذي تردده تلك الزوجة البائسة ؟ اينها الطائشة ! اي حب لزواج هذا الذي يدملك اليك الهلاك ؟ انك تسرعين الى حافة الموت لا تطلبي هذا فاذا كان الفراق الجديد قد سخر حزنك ، فلا تعصبي جام فصبك عليه ، ولا تسرفي في البكاء من اجله وسوف يقتض لك زبوس منه .

ميديا : اي زبوس العظيم وانت يايمس الجلييلة ، اشهدا على ما اعاني من هذا الزوج البقيض بعد ما ارتبط معي يايمس الإيمان .. ليتنسسي اراه يوما مع عروسه وقد تزفت اوصالهما اربا اربا بعد الاساءة التي تجسرا على الحاقها بي ، يا ابتاه ، يا وطناه الذي هجرته بعبدك ذبحت اخي .

يا للعار ، واي عار ! لقد اصبحت وحيدة لا وطن لي ، اهانتني زوجي بعد ان اختطفني من ياد قريب فليس لي الا ان ام ولا اخ واقارب اقيم بينهم لايصد عسني مصائبني .

ياسون : كثيرا ما ادركت ان القصب الشديد شر مستطير . لقد كان يوسعد ان تقيم في هذه البلاد وتسكني في هذا القصر لو استجبتي من خطب طاهر ، لربيت البسادة اصحاب التهود هنا . كذلك مستطيرين من هذه الارض نتيجة لتهودك في اللام الذي لا اكثرت له اربا فيمكنك ان تقولي دائما ان ياسون احسن الناس . ولكن اغتري نفسك سعيدة

الحظ اذا اكفى الملك بتيك عقالا لما صدر منك ضد أسرته . ولقد بدلت قصارى جهدي لآخف من حدة غضبي ، وغبة مني في بئالك هنا . لكن حقاك لم تنته عند حد ، فلم تكفي من سب الحاكم ، فحق عليك النبي من هذه الدبار ، ومع ذلك فاني لا أخفي من اصدقائي في هذه اللحظة نفسها ، و هالدا جئت الآن لاهتمامي بمسيرة ، ابتهاج المرأة ، فانسا لا اريسه ان تطرد مع ولدنا وانت في حاجة الى مال او عون . فالتني بجر كثيرا من الولات فاذا كنت ترحبني لمن اريد منك سوا ..

ميديا : ايها الوفد الخسيس ! فانا لا اجد اذرع من الشاتم اسم بها جيئنا ها انت ذا تاني الي باغض الناس الي نفسي والي الالهة والي الخلق اجمعين ليس من الاقدام ولا من الشجاعة ان تواجه اصدقائك بعد ان اهتتم . اما الواقعة فهي ابعش الرذائل الانسانية . ومع ذلك فغيرا فقلت بميجيك لانني اروح من نفسي عندما اؤذي بالتشائم اي زيوس ! لماذا جعلت للناس علامات واضحة تعرفون بها على الذهب الخالص من الزائف ولم تدفع الرجل الفاسد بعلامة تميزه ؟ (ثم تدخل ميديا القصر بعد ان صممت على قتل ولدتها)

الجوقة : يا ارض شهدي ! ويا اشعة الشمس التوهجة ، انظري الى هذه المرأة القاتلة قبل ان تدق ولديها الردي وبديها ، اذهب اذن ، ايها النور ، اذهب واكبح جراح هذا النفس الطائشة واكتب العجاسة لولديها ، واظرن من القصر روح الغضب التي ابتغلتها الهة الشر .
الولدان : (داخل القصر) هـ

رئيس الجوقة : اسمع صراخ الفلايين ؟ اسمع ! يا لك من امرأة بائسة شقيسة .

احد الفلايين : (من الداخل) ويحي ؟ ما العمل ؟ الي اين اهرب من يد امي ؟

القادم الثاني : (من الداخل) ادري يا شقيق العزيز ! اننا حضا من الهالكين .

رئيس الجوقة : يا لك من مسكينة تصمة حل فد قلبك من صخر ام حديد حتى تقتلي ولدك ، نعمة احمالك واولدة كيدك !

ميجيك صديق خجالتك

القاهرة - (الاهرام)

حصارة كاملة دفنت تحت الانقاض

تحولت مدينة سكوبية اليوغوسلافية في ٢٦ تموز (يوليو) الماضي الى ركاب رهيب من الخراب ، وبات ٢٠ ألف نسمة من سكانها بلا مأوى . كما اتى الزلزال على حياة ٢٠٠٠ نسمة ، في الساعة التي كانت نطل فيها شمس ابرار جديد من تموز . انها مدينة حديثة انقلعت عن الحياة ، مدينة كانت اغنياء مقدونيا التي يشهدا الشبان والشابات ، نصلا بولشيه العريضة وارضتها القائمة على صفاف الفرار . ولا بد من شاعر وكثير من الجهود والتضحيات لاعادة الحياة الي مدينة ميتة وارجاعها الي مرتبتها كمدينة نائلة في يوغوسلافيا .

هذا وسوف يبقى قسم كبير من سكوبية غير قابل للحياة : قسم ن يعرفه الجيل القليل الا من خلال كتابات المؤرخين الذين شهدوا الكارثة . هذا الجزء هو سكوبية القديمة « سكوبية التحف » ، سكوبية القائمة على سفلة الفرار الشمالية باقائها النحوية ، وبلادها ، وجوانبتها التركية ، وصافيتها ومنازلها الصغيرة ذات الهندسة الخاصة . هذه المدينة القديمة التي قاومت عوامل الطبيعة على مدى اجيال بعيدة ، لم تقدر هذه المرة على الصمود . ان كثيرا من الاسرار التاريخية والثقافية التي كانت تشكل ثروة وطنية ذات قيمة كبرى ، تحولت الى ركاب من الخراب . وتحت القناني متحف الاسرار القديمة ، انظروا كثير من التفتيشات التي تعود الى ما قبل التاريخ وولائق تعود الى الفسريون الوسطى . ومجموعات ادبية ذات طابع خاص ، ومختبر لحفظ الآثار وعدد كبير من اللوحات الجدارية . مع العلم بان بناء المتحف التاريخي الذي كان

يحتوي على ثروة من الوثائق التي تعود الى ايام ثورة الشعب المقدوني الوطنية ، قد يهدم برمه وطمر تحت انقاضه العديد من اللوحات الزينية ، والمتحولات والمختبرات والرسوم وغيرها ، نخص بالذكر المتحولات التي تمثل « جارية يتوف » الشهيرة والتي تعود الى الالف الثالث فيسبل المسيح ، والتي تعطلت بالرغم من وجودها داخل صندوق حديدي ، وايقونة القديس يوحنا التي تعود الى القرن الثالث عشر والتي قدرت قيمتها ١٨ ألف دولار .

كذلك قلعة - كال - التي كانت تقوم منذ اجيال على سفلة الفرار الشمالية وتغطي على المدينة جمالا قد سقطت برمتها . مع الإشارة الى ان الخطر الذي لا يزال يهدد ، حسب رأي الجيولوجيين ، هذا الجزء من المدينة ، قد يذهب بما تبقى من القلعة ، في حال الزلازل الترسية ، ويجرف معه بقايا متحف الاسرار القديمة وبقايا بناء معهد صيانة الآثار التاريخية والثقافية .

وبالمثل لم ينح من الممار خان كورشمولي القديم . وبانهيار هذا البناء انقرضت قيم ثقافية وتاريخية وهندسية وكثير من قطع الاسرار القديمة التي كان هذا البناء يخر بها بالإضافة الى مجموعة قيمة من الحجارة الكريمة .

اما المكتبة الوطنية والجامعية التي تشتمل على ٥٠ ألف مؤلف ومجموعة وصحيفة قديمة اتهارت ايضا . مع العلم بان هاتين المكتبتين كانتا تستملان على قاعات وغرف عديدة مفروشة باحدث الاناث .

هذا ولم يسلم من الزلزال مبنى دار الاذاعة والتلفزيون بالرغم من حداثة بناؤه وماتنته . مع الإشارة الى ان حركة المرحح والابواب والباليه والمسرح الوطني سوف تتوقف لفترة من الزمن نظرا للعطل الذي من به ينال المسرح .

تلك الابنية التي تعود الى العهد التركي - كان سولي خان ودبو لسيلر خان وجموع - كاسراليات - السلطان مورا ومصطفى باشا - وخيام دوت باشا التركي وربة غازي بابا قد هدمت او تعطلت بصورة بالغة بالرغم من ان هذه الاسرار كانت تلفت نظر الكثيرين من السائحين الاجانب الذين كانوا يزورون المدينة .

ومن بين الابنية التي انهارت او تعطلت دور السينما والمتنشآت الثقافية « مقدونيا فيلم » ومعهد الافلام الثقافية والترتوية وغيرها من المعاهد الماثلة . هذا ولا تزال مطمورة حتى الان نسخ عشرة افلام من القياس الطويل و ١٦٧ من القياس القصير - من انتاج فسادران فيلم بالإضافة الى الات التصوير .

ان سكان سكوبية ومجموعة شعب مقدونيا يأسفون على ما منيت به جامعة سكوبية من خسائر . فهذه الجامعة التي انشئت بعد استقلالها ما احتلت المركز الثالث بعد جامعة بلغراد وجامعة زغرب . مع الإشارة الى انها كانت تضم ١٦٠٠٠ طالب و ٧ معاهد و ٨٠ مختبر ومختبر للاعمال التطبيقية والابحاث العلمية . جميع هذه الابنية أصبحت اليوم خرابا ، بينما تم ايضا ما يقارب ٨٠ و ٩٠ ٪ من مجموع الابنية المعدة للجامعات ولم يعد من المختبرات والمعاهد واجهزها الا الذكري .

اضف الى هذا بان العهد الصولي لغة المقدونية قد فقد جميع التسجيلات والواد القوية التي تعود الى الخمسين سنة الاخيرة ، وان مجموعة من الافراس القديمة التي يملكها معهد المياه والارحاج قد فقدت اندارت بأكملها . كذلك ذهب الزلزال بحياة عدد كبير من اساتذة جامعة سكوبية ومعاونيه .

اما الخسائر في هذا الميدان فتقدر استنادا الى الاحصاءات الرسمية التي اجريت حتى الان ب ٢٠ مؤسسة ثقافية ، بينها المراكز الثقافية والابنية الخاصة بمجموعات الغناء والرقص الشعبي المقدوني والاوركسترا فيلارمونيك ووكالة حفلات موسيقى الجهورية ، ومسرح الاغليبيات الوطنية ، ومسرح الاطفال والشبان ودور النشر « كولسورا » و « بروسستو دلو » . في الواقع ان زلزال سكوبية قد هدم الاساس المادي لثقافة كانت في بداية عهد انطلاقتها .

الثالث الحضاري

بقلم موسى سليماني

البيت ، المدرسة ، الدولة ثلاثة تؤدي في النهاية الى نتيجة ايجابية واحدة هي ايجاد المواطن الصالح .
البيت ، المدرسة ، الدولة منفردة ومجموعة يجب ان تستهدف هدفا واحدا ، وتسعى الى معنى واحد لتبلغ الغاية الواحدة وهي : خلق المواطن الصالح . البيت والمدرسة والدولة ثلاثة محركات في جسم الامة ينضو قويا متى كانت الامة صحيحة سليمة فيؤدي واجبه الانساني على خير ما تكون التادية ، وبمعرض بمرضها ، ثم يموت بموتها وبمحي كانه ليس هناك امة وليس هناك وطن ، وليس هناك مواطنون .

البيت والمدرسة والدولة تفتقر لتتلاقى ، ويعمل كل منها في اتجاه لتعود تلتقي على صعيد المواطنة الصالحة وهي غاية الغايات في سيرنا الحضاري .

هذه الاقاليم الثلاثة التي تؤول الثالث الحضاري والتي ترتكز عليها مدينة القرن العشرين ، والتي بها تكون الامم ما تكون ، وبها تصل الى ما تصل ، وبها تلعب ما تلعب ، وبها تفرض نفسها على العالم ، وتذيق من غذائها ، تسقيه من رحيقها ، ينتشي على الرائحة السخية من آدابها ، يهتدي في السحيق العميق من فلسفاتها ، هذه الاقاليم الثلاثة للثالث الحضاري في العالم ، كيف حالها في لبنان ؟ وهل هي سليمة معافاة ؟ وهل يهيا لها المناخ فتملا رتيبها بالطيب النقي من الهواء ، وتؤدي دورها في بناء لبنان حضاريا وعلميا واجتماعيا على خير واروع ما يكون البناء ؟

البيت والمدرسة والدولة - ثالث الحضارة العشرية وثالث كل حضارة ، كيف حالها في لبنان ؟

البيت اللبناني

كثيرا ما يقع الانسان فريسة بين ما يريد او ما يريد الوصول اليه ، وبين ما هو في الواقع .

ونحن في لبنان كثيرا ما نتمينا وما زلنا نتمنى ان يكون لنا البيت الهنيء السعيد الدائم !

حققة من الناس ، من اطايب الناس لا تتجاوز المليونين عدا ، تريد ان تعيش في اعشاشها المعلقة بين البحر والجبل - هائلة مطبنة ، تعمل مع العالمين لخيرها وخير الانسانية جمعاء ، مسهمة ، الى حد كبير ، في خلق الوطن الهنيء السعيد .

بيوتنا اللبنانية نريدها متحابية في سبيل الخير العام ، متآلفة على الحب والعطاء ، فكيف نرضى ان تدب بين افرادها البغضاء ، وان تنقسم على نفسها الى فئات واحزاب ؟؟

والاسرة اللبنانية مرآة صادقة عن المجتمع اللبناني ، ومصدر خصب تستمد منه المدرسة اللبنانية غذاءها ، ودعماء قوية من دعائم البلاد ، فكيف نرضى ان يكون وجه المجتمع وجها مشوها ؟

وكيف نفسد غذاء المدارس ونسممه ؟ وكيف نقبل ان تنهار دعائم الوطن واركانه ؟ والاسرة اللبنانية اركانها ودعائمها . لها ربها وربتها ، ولها بنوها وبناتها . ولكل منهم شخصيته المميزة ، ولكل منهم تفكيره الخاص ، ولكل منهم ذوقه وآماله والامه ومشاكلاته .

ولكنهم جميعا يقومون بدورهم بدقة ودراية . جميعهم يؤدون دورهم بنظام وانسجام . فالاحترام متبادل ، والحب سائدة ، والغاية تتوحد في طلب الخير والسعادة للجميع .

الحرية مكفولة ولكنها لا تعني الفوضى . والاستقلال الذاتي صفة حميدة تصبف بها كل فرد من افراد الاسرة ، ولكنها لا تعني ، بحال من الاحوال ، الانقسام والتفسخ .

ولكي تصف الاسرة بمثل هذه الصفات عليها ان تفتح على العلم ، وان تقبل على الحضارة تفرف من معيها . فكيف نأمل ان يكون لنا مجتمع عالم متحضر ، يسهم في ركب الحضارة ، يأخذ منها ويعطي ، يفعل بها ويفعل ، يؤثر ويتأثر ، ونحن ما زلنا نشكو الامية في اكثر من مكان في لبنان ، في اكثر من منزل ، في اكثر من مدينة ؟ فلنقلع عن التبجح ، ولنبتعد عن الادعاء ، فنسكت عن التفتي باسطورة الاشعاع الفكري والتراث الثقافي والتكثف الحضاري وامثال هذه الكليشاهات الرنانة الطنانة على غير طائل ، نخلق فينا وفي اولادنا مركبا من التعاطف الفارغ لقلوبه ، نمضف مضفا والعالم ، عالم العلم والاختراع والابتكار والاكتشاف ، عالم الذرة والصواريخ الفضائية يسير سيره الصاروخي يشق الغشاء ثقبا ، يذله ، يكتشف اسرار ، ويعود بنا ليجدنا على ما كنا عليه من التفتي بالامجاد الماضية .

لا ادري كيف ندعي العلم وطبيبنا ما زال يعالج بعلاج ليس من وضعه ، ومحاميننا يدافع بشرائع ليس له في تشريعها يد او رأي ، ومعلمنا يعلم ولا يتقن ، ولا يربي ! بل كيف ندعي العلم وكتابنا العربي ، مهما علا وغلا ، ومهما ارتفع شان كاتبه وسما ، لا يتعدى بضعة آلاف من النسخ توزع في هذا العالم العربي الطويل العريض الذي يبلغ ثمانين مليونا وزيد ! وبعد هذا ندعي اننا علماء ، وان الاسرة اللبنانية مصدر

وحي واشعاع ، ولكي تستطيع الأسرة اللبنانية ان ترفق وتثقف عيونا ان نوفر لها المال . والاسرة اللبنانية في اكثريتها الساحقة ، فقيرة معدمة لا مجال بفتح امامها وبها للعمل والتحصيل .

لقد ارتفع المستوى المعيشي في لبنان ، بعد الحرب الأخيرة ، ارتفاعا فاحشا وما زال أخذًا بالارتفاع دون أن يرافق هذا الغلاء ارتفاع في الدخل . فكيف نطلب الى الشعب اللبناني أن يقبل على العلم يوفره لإنائه وبناته ، وهو الى لقمة العيش ، وسد جوعه أحوج والزم ؟

وأخيراً نحن شعب على الأخلاق الحميدة، ربينا، وفي ظلال الأديان المساوية الروحية نشأنا، وعينت أجوراً البنيانية بفحات روحية لا أسفى لا أروع، ولن نسجم، وهذا بعض تاريخنا، أن تتفصح الأسرة اللبنانية مثل هذا التفسخ الشين، وإن نرضى أن تصاب الأسرة اللبنانية بمثل هذا الشلل، ومثل هذا الانحلال الخلقي العسب يدب في طوايا الروح فيذلهابا وبعدها عن الكرام!

قد يكون لنا مفهومنا الجديد للإخلاق ، وقد تكون لنا ، ونحن نرافق الركب الحضاري ، فلسفة جديدة في فهم الإخلاق ، فلا نعتبر من الأخلاق في شيء ، التمسك بالقديم ، فقط لأنه قديم ، وإن نعش بنواجذنا على كل ما وصلنا من أباينا وأجدادنا ، فقط لأنه من الماضي الماضي مهيب مقدس !

مثل هذا التفكير ليس من الاخلاق في شيء ،
لقد طغت الاسرة اللبنانية بعض تقاليد السخيفة ، كعبلة
ليست على شيء من الاصلية والطيبة ، كما ان هناك عادات
عتيقة ، عفنة قيدت نفوسنا ، وعبلة الرومانسية في
ابنائنا ، ونحن ما زلنا نعتبرها من تراثنا الاخلاقي في
الصميم ، مثل هذا التفكير يجب ان تقالعه عنه ، كما يجب
ان تتخلص من كل هذه القيد السخيفة التي تفرض
نفسها على العيلة اللبنانية باسم الاخلاق والاخلاق منها
سراء !

ولكننا من ناحية ثانية ، لا يسعنا ان ندعي ان التخلص من بعض تقاليدنا الموروثة ، وطرح بعض العبادات الاسطورية العفنة جانبا ، يعني الانقلاب في خضم الزلزلة، الارتعاش في احضان الفوضى ، والتهاوت على كل ما هو غريب عنا ، بعيد عن بيئتنا ، لا يلائم ارواحنا ، ولا يتفق وامرنا !

الاسره اللبنانية منفتحة ومحافظة : تنفتح على الجديد
من علم الغرب وادابه وفلسفته وفنونه ، وتحافظ على
الجميل الرائع من خلق عربي اصيل ... وما اغنسى
تراثنا اللبناني به !!

المدرسة اللبنانية

اما المدرسة فهي الاقنوم الثاني من المثلث الحضاري الذي نعني به . وهي تقوم بالدور الرئيسي في تثقيف

العقول وصلتها وتوجيهها الوجهة الصالحة .
والمدرسة هي المختبر تحل فيه النفوس ، نفوس
الطلاب والطالبات ، وهي اللجأ الآمين ، تأمن اليه وإلى
الاستئصال به الأرواح المتعطشة إلى حبة من علم ، وهي
العين نستقي جميعنا من مائه الروحي الغزير ، وهي
الهيكل يتعبد فيه بتجده وتضرع ودأب ، كهما المعرفة
وطالب الحقيقة !

والمدارس في الامم الراقية هي مصانع للرجال ،
تزودهم بالتغذية من العلم ، والعميق من المعرفة ، والناسع
من الحق ، والخير من الجمال ، والرحب الرحب
من الحرية .

والمدارس هي أساساتها والقائمين على شؤونها وتسييرها ، سلاحهم العلم الصحيح ، هدفهم الخدمة الخصة .

والمدارس ترجب وتتسع ، وتكبر وتشمخ بالناس
الغايات وشموخها ، وصلاح الاهداف وتاصلها . فكلما
بعدت الغاية وعمقت ، كلما اجادت المدرسة في خدمة
الامة وكومت . وكلما تاصل الهدف وسما وبعد ، كلما
اجادت رسالة المدارس خيرة صالحه .

والمدارس تقوم بعلاقات اساندها بعضهم ببعض ، وعلاقتهم بالادارة والقائمين عليها ، كما تقوم بالروابط الروحية والاجتماعية تربط بين الاستاذ وتلميذه ، وبين المعلمين عامة والمسؤولين في المدرسة من ناحية ، وبين اولياء الطلاب والطالبات من ناحية ثانية .

هذه الروابط وشائج روحية تشد هؤلاء وأولئك ، بعضهم إلى بعض ، فيستد البنيان ويعمق ويتراص !

هذا قليل من كثير يطلب تطبيقه في مدارسنا اللبنانية لكي تحسب مدارس نموذجية . فالى اي حد توافرت لنا مثل هذه المدارس ؟ وكم هو عدد المدارس التي تستطيع ان تؤمن لنفسها ولاساتذتها وطلابها جوا رحبا من الحرية الفكرية والصفاء الذهني ، والمحبة والاخاء ؟

وكم هي المدارس التي تقوم فيها ، بين الاولياء على
شؤونها ، وبين اهالي الطلاب العلاقات المتينة التي تؤدي
لخير الجميع ؟

وكم من مدارسنا اللبنانية تسعى الى غاية وطنية وقومية واحدة ؟ ونهدف الى « اللبنانية » واضحة صحيحة واحدة ؟ مثل هذه الامور الحيوية وغيرها كثير ، حان ان نضع موضع البحث ، وان يعنى بها القائلون على شؤون التعليم والتربية في لبنان مع المواطنين في البلاد . ذلك انه يستحيل على مدارسنا اللبنانية ان تؤدي رسالتها التربوية على وجهها الصحيح الكامل الا اذا كانت منسجمة بعضها مع بعض في مفهومها للتربية والقومية والوطن .

وهنا يجيء دور الدولة وهي الاقنوم الثالث في تالوثنا الحضاري:

الدولة اللبنانية

والقانون *

على الحكام ان يعدلوا في الرعية لتكون الرعية رعية
والا فهي قطعان من السائلة وهم جزاؤون !
والدولة تؤمن الحقوق لاصحابها افسرادا كانوا ام
جماعات .

للدولة على الرعية حقوق يجب الاتنهاون في طلب
تنفيذها ، كما ان على الدولة واجبات نحو الرعية يجب
ان تؤديها لاصحابها بلذة ونراة .

يهمنا ، وقد ذكرنا بعض هذه الواجبات ، ان نضيف
اليها مساعدة الدولة ماديا ومعنويا للمعاهد والمدارس
القائمة ، عن الدولة ، برسالة التعليم والتربية .

ان العلاقة بين المدارس اللبنانية عامة وبين الدولة
تكاد تكون معدومة . وهي علاقة من الواجب ان تكون من
اشد العلاقات قوة ومناة .

كذلك للمواطنين على الدولة حق الرفاهية الاجتماعية
والعيش الهنيء الرضي .

لنا على الدولة حق الاكل والشرب والسكن واللبس
والنور والماء والكهرباء واشياء اخرى لا حصر لها ولا عد ،
تعرفها الدول الراقية معرفة صحيحة وتعرف انها المبرر
الاساسي لوجود الحكومات . وهي عنوان الرقي لكل
دولة تحترم نفسها .

فان نحن من كل ذلك ؟

واين الدولة من تنفيذ كل ذلك ؟

واين المدرسة من تنفيذ ما عليها والقيام بواجباتها ؟

واين العائلة اللبنانية من كل ما اشرنا اليه وما لم نثر ؟
لعلنا لم نهم بهذا العلاقات الوطيدة بين الاسرة والمدرسة
والدولة ، وما لم يتح للعائلة اللبنانية ان تنشأ وتجا في

مناخ صاف حر ، والمدرسة ان تعمل في جو انساني
رحب خير ، وللدولة ان تحكم بالنخبة الممتازة علميا ،

وسياسية ، وضميرا ، فتستطيع ان تشرف اشرفا فعلا ،
وان توجه توجيهها حكيما ، ما لم نسع جميعا ، اسرة ،

ومدرسة ، ودولة الى العمل المشعر الايجابي البناء ، يشد
الواحد منا الاخر ، ويسند الواحد منا الاخر ، ما لم يفهم

حاكمنا انه خادم لعاملنا ولفلاحنا .

ومعلمنا انه اب رؤوف حنون للطالب الذي بين يديه ،
وما لم يفهم الطالب ، والاب ، والاولاد ، وجميع

المواطنين انهم يعيشون لهذا الوطن اللبناني كما يعيشون
لانفسهم ، وان عليهم حقوقا مقدسة نحوه ونحو المجتمع

الذي يضمهم انشاء احباء الى قلبه ،

ما لم يفهم كل منا ما له وما عليه ، اي ما لم نتقشف
الثقافة الصحيحة الواعية ، فلن يكون لنا هذا المثلث

الحضاري الذي تنم به الامم الراقية ،

ولن نستطيع ان ندعي اننا بلد العلم والاشعاع ...

لن ادخل في بحث عميق لمفهوم الدولة في ظل النظام
الديمقراطي الذي نتم به في لبنان .

ولن ابحث في السلطات ، على اختلافها ، التي
تستمدّها الدولة - بالمفهوم العام لهذه الكلمة - فتحكم
بموجب هذه السلطات في الناس بالعدل والقسطاس .

ولكنني ، من ناحية ثانية ، لا بد لي من ان اذكر ، ولو
باختصار ، بعض ما يجب ان تقوم به الدولة نحو رعاياها
تبريرا لوجودها ، وتثبيتا لهيئتها . ويجيء تأمين العمل

لجميع المواطنين في مقدمة هذه الواجبات .
لا يمكن ان يعيش فرد في مجتمع ديمقراطي ، اشتراكي

يهدف الى التقدم والرقي ، وهو لا يجد امامه عملا يقوم
به ليسد من ريعه ، جوعه وجوع عياله .

ان لاسرة اللبنانية حقا طبيعيا على الدولة التي نطيعها
ونحترمها ، وهو تأمين العمل الصالح لجميع افرادها

ليتمكن كل منهم ، منفردين ومجتمعين ، من تادية واجبه
نحو نفسه ، ونحو عائلته ونحو المجتمع والوطن اللذين

يعيش فيهما .
والدولة يجب ان تكون عادلة فلا توزع خيراتها ونعمها

على قوم ، دون آخرين . العدالة الاجتماعية اسس من
ما في هذه الكلمة من سعة ورحابة . لقد ارضينا ، في

لبنان ، ان نعيش في مثل هذا المناخ ، مناخ الحرية .
ولقد اخترنا الديمقراطية نظاما للحكم النقيض ، على علاته ،

راضين مسرورين ، ونحن اعلم الناس بما في تناقض
وعمل . ولكنه مع ذلك ، يبقى في اعيننا النظام الافضل
والنظام الامثل لان جوه جو الحرية والاطلاق هو ...

والدولة يجب ان تكون عادلة فلا توزع خيراتها ونعمها
على قوم ، دون آخرين . العدالة الاجتماعية اسس متين من

اسس المجتمع . بدونها لا يصنف المجتمع بين المجتمعات
البشرية الراقية . ان اهم شرط من شروط المجتمعات

الراقية الشعور الفردي والجماعي بالهدوء والاستقرار .
ولن يهدأ الفرد ويستقر وهو يرى انه غير منصف في

حياته ممن هم اولو امره والمسلطون عليه بحكم الشريعة

الاعلان في الاديب

يبقى عرضه للانظار شهرا كاملا

هنا اربع واربعون سنة في معاناة الحب ، ومشاركة القوم مايعون وما لايعون .

وان يتم التكريم في هذا المعهد بالدات فطيمى . ان لصوت الشاعر هنا اصدا لا تنتهي ، ولخياله ما لا يغب . جاءنا يوما ابو شبكة ، ونحن في اول الشوق السسى الاب ، وكشفه تنتفضان كالمعاد وقال : ان معهد الرسل يدعوني الى مهرجان ادبي ويطلب الي قصيدة ، لكن مشاغلي لاتدع لي مجالا . ثم غاب في خياله الى عالم بعيد ، وتابع قبل ان يسمع منا ردا ، واخذ يقول : لبنان ، هذا الفنى الالهي ، موزع على الهضبات ، ما المال ؟ ولبنان جمال ، وعلم رسالة ، وهؤلاء الرسل العلماء برسون قواعدهم في اجمل بقعة من الدنيا ، وما كساد يتوقف هنيهة حتى فاجاته بقولي : ولم لاتلبي الدعوة ؟ فقال مستغفما : وماذا تعني ؟ قلت : غن هذا الذي قلته الان ، والقصيدة جاهزة . واول مرة رايته يقتنع بهذه السهولة ، واذا به على هذا المنبر يقول نظما ما قاله بالامس نثرا ، وكانت بانيته الشهيرة :

لبنان ، اغنى كنوز الارض ما تهب على ثراك الندى في شمسك الذهب ما قيمه المال والنفيا اذا اكتمت هذي السهول وشحت هذه الهضب لبنان اولك الدنيا وآخرها الدنيا وبعدلا ااق ولا شهب

كتب عن ابو شبكة الكثير ، ودرس شخصه وادبه الى حد ان كاد يخرج عن طوق الواضيع ، فترانا نحسن لفرط الرقة بقول الجديد فيه ان نطلع من اوهاما على ما ليس من حاله . فيما اسلم العود اليه كمثل رابع بلا رسم ولا تخطيط ، وبما اطسرف ان تتالوا لما تشاء الخاطرة .

انا الساعة انظر اليه ، ولا احده . عندما يذكر هذا الشاعر نحس باننا مضطرون للمقاومة .

فالرجل مقتحم سادود الفيب وما تل امانا .

ان العاصفة لم تهدأ على جبينه ، واسارة الرفض لم تبارح شفتيه ، والخيال الرسم على عينيه لم يستقر بعد ، وقامته المنصبة لم تزل صراخا الى العنقوان والتبل .

على اننا فقط نسمع صمنا رهيبا من مثل ذاك السدي يحيط بالغائبين الكبار .

لم يولد في هادي الاكفاف ، ولعله اعد منذ البدء ليكون للدنيا لا لارض بذاتها . لقد ابصر النور بعيدا في اثناء رحلة لاويه ، وماكاد يستقر به القام حتى قتل ابوه ، فيالسواد لف مهده ، وبنا لتقمة على الدنيا بدوها في الهد ونهايتها في الاربع والاربعين .

تستوقفي في الشاعر تلك الثورة العارمة الناهضة على مباديء وقيم ، والتي اجتاحت كيانه وادبسه حتى دلت قوامهما .

* القيت في الحظة الخطائية التي اقيمت في معهد الرسل بجوئيه بمناسبة الذكرى الـ ١٧ للشاعر الياس ابو شبكة .



الياس ابو شبكة

ابو شبكة... ملامح وذكريات

بقلم انطون فازان

الشعراء في بلدتهم غير الانبياء ، انهم يكرمون . وهذه المنطقة الجبية على تلقيها عبر التاريخ « بالعاصة » ، ما اضطهدت يوما نبيا ، ولا جافت من ايثانها عيقريا . واذا كان لا بد من فداء لتستقيم النبوة فحسب الشعراء ما ذرفت عيونهم من دماء .

ان صليبا رسم على مهد كل قصيدة ، وهجرة قامت بعد كل تبشير ادبي ، واضطهادا رعى كل قيامة شعرية ، الا كفاهم مشاركة في الفنى العلوي .

قد تنطفئ الشمس ، فيهول الامر عندنا ، وقد يسود القمر ، فتلاء الصدور رعبا ، ولكن ساعة يموت الشاعر تمر بنا لحظة من كابات الجمعة العظيمة . عفوك اللهم ، لا بد من قوم يقربون منك ، ومن اقرب اليك من الشاعر ؟

ان يكرم ابو شبكة في منطقته فهذا الف سبب ومعنى . لعل اقلها هبة التراب الذي ضم رفاته ، وشوق الدروب الى وطء ظله ، والهفة الاكمام الى تسرع عينيه ، وقيامة المخلج الى مواكب اطيافه . فوق كل ذلك تمسك اخوانه وانتزاعهم شاعرهم من يد الاساطير ، على ايمانهم بالخلد واهله .

هنا اربعة واربعون ربيعا اقتطعت من الفصول وشبكت تمر على الزوال كما الارزة الخضراء بين الزروق والمخلج .

واتسجاما مع روحه المتمردة نراه معجبا بالمعسري
وشعره وهو الناقم الضاري ، ومتاثرا بالتوراة وهي من
العنف بالمكان الاول .

صادق حتى الموت ، ماتلون وجهه الا اثر حمى ، ولا حتى
راسه الا ليقبل عتبة الهيكل .
ما درس ولا تخرج ، بل تثقف على حبه ، وتخرج في
المه ، فما اعظم ثقافته ، ونعمت الشهادة !
لقد طالع صفحات السماء ، فكانت ابيانه وسع الافاق
عراضا .

ابحر في الحياة بمجاذيف من اجنحة ، فعاش فسي
الشعر ، لاله ولا به .
غنى على ايقاع انساني ، فتحت له القلوب . وبينما هو
مواكب جيله لامس المشاركة الانسانية الواسعة .
ما انفرد عن قومه ، على غنائته الظاهرة ، بل مد الوليمة
وفتح شباهه ونادى .

على انه وهو في خضم الحياة واهوالها ظل مشدودا
الى هذه التقوى العالقة بالجبل ، فالتقى الله على كثير
من مفارق الحياة .
انما في اديبه صفحات صاحبة صحو الصلوات على افواه
العابدين .

ادب ابو شبكة ادب غد ، تنبعث منه طلائع ، لاهداء .
خلا من برودة التماثيل ، فهو ادب حار ، تكاد تحترق
الشفاة على حروجه . وماذا من مرآة فتحت كتابا من كتبه
الا وعدت امتحح الدم عن يدي .

لقد تغيرت بالقبول النضج الديموي .
سبحانك اللهم ، لقد شرعت لنا القداصات الواثمة .
لم يتح له دفته الشعري ان يتلذذ بالبراهات الجمالية .
على ان اديبه افتتح على اولي الازمات الخائفة ، يقرأونه
فيشعرون بانهم خدما ، وارتضوا .

فيا شاعر « الافاعي » من فليك « نداؤك » وممن
عروك « غلواؤك » وعزك « الى الابد » .

ان مواء الهادي في الزوق بين شجرات اللوز ومعرشات
الدوالي يظل يؤتي للشفاة من التخاذل ، ولطلب الزبد
من المغنوان ، والكثير من الكرامة ، ويؤتي لسماحك تلقن
الاطيار كيف اراد الله ان يكون الفناء .

منذ سبعة عشر عاما ، يوم بلغنا غياك شعرنا نحسن
الشباب باننا نقفنا كثيرا من شبابتنا . لكننا نعود على
ذكرك فنستعيد بعضا مما فات .

يا لمر الشاعر ، بعيد الى الهم وبذكراه ما انتزعته
غياهه !

انطون قازان

هذه الثورة لها مقلبان : داخلي حميم ، وخارجي واقعي .
لقد نشأ ابو شبكة في زمن مضطرب وببيئة قلقة . وما
كاد يبلغ الحادية عشرة من عمره حتى اندلعت الحرب
الكونية الاولى . ثم شاء القدر ان يدرك ، على قصر حياته ،
الحرب العالمية الثانية .

اضف الى ذلك ذكريات من القلق الموروث عن احداث
الجيل في الجيل الماضي ، ثم تسرب حركات التحرر
الفكري الممتدة من مبادئ الثورة الفرنسية ، الى قيامة
احمد فارس الشدياق على التقليد في « السابق على
الساق » الى ثورة جبران والريحاني ، الى دور الصحافة
في النهضة السياسية ، كلها عملت على تهيئة الجو الملائم
لانفجار تلك النعمة الكامنة في صدر الشاعر .

اما ذلك القلب الداخلي الحميم فهو ان الشاعر اوتي
عنفا في الاحساس غربيا ، وقوة ذاتية نادرة ، وتشنج
عصب لايني ، وحرق هوى وارهاق نفس كبيرة ، فكانت
كلها ابو شبكة الشاعر .

لقد نار منذ عهد الطفولة ، فكان الولد المتمرد .

طرد من المدارس لعصيانه . ان حادثته مع استاذته الارب
الباس الحايك مشهورة . ففيما كان يشرح قاعدة اعراب
اعترضه ابو شبكة ووصف الشرح بانه خطأ في خطأ .
فاحتدم الجدل وكان ان طرد الولد . واغلب الظن انه
كان محقا في اعتراضه والا لولج الامر بغير الطرد .

هذه الثورة المتأصلة في نفس الشاعر لم تعمل الايام الا
على اذكائها . فاذا هي تمرد صارخ على ماض وحاضر
و آت .

انه تمرد القلق المضيق ، فغربة ، وخيبة ، وغيب .
هذا التمرد شهادة جيل كامل كان ابو شبكة خير من
احسن مأسيه وشجونه .

نار ابو شبكة على التخاذل والفش والرياء والفس
والحسد ، ودعا دعوة صارخة الى تقديس الكرامة
الانسانية .

انني اعشق فيه ذلك العناد في مقاومة الدهر ، وتلك
الصلابة حتى امام الموت ، وتلك الشمم اللباني العريق
الذي مانتازل عنه مقدار ذرة ، وتلك الكبرياء لا على الناس
بل على الايام وصروفها ، وذلك الاخلاص للعدالة ، وتلك
الجرأة التي لاحد لها في قول الحق والدفاع عن الحرية .
انها لعمري رسم رائع للشالية اللبانية ، وسعي صادق
لتركز عرش الانسان في الزمن .

لقد آمن ابو شبكة بلبنان حتى العبادة فجوار هذا
الخليج في نظره نصف الدنيا .

اما انتقاداته لبعض رجال السياسة في ذلك الوقت
فمشهورة بجرانها ، وكان يوقعها بتوقيع مستعار هو
« الشاطر حسن » والشاطر حسن هو الذي قبض على
الاربعين لصا في قصة « علي بابا » المشهورة .

ملحمة بهاردي

نظمت في لندن عام ١٩٦٣

ثرىا ملحن

الدور الاول

تجمد كل شيء في
طريقي
أرى صخرا على صخر
يعبد
وبحرا في محيطات
يفرور
فاصرخ في كياتي هل
يؤوب
تعود لي الحرارة في
عروقي
أنا في سكرة اهذي
وروحني
وعقلي في يعني في
شمائي
أنا من ؟ من أنا ربي ؟
وهل يبقى السؤال بلا
جواب ؟
أتركني الامامي في
جبال ؟
أروح ، اجيء دون صدى
خيالي
وقلبي بارد ، صخر
الاهاب ؟
وهل ربي تعود مع
الليالي
فتعلو فوق همامات
المعالي
ونبحث عن جديد في
الكهوف
لبنني بيتنا فوق
الحدود
ونجني عزمنا دون
القيود
وتقطف اقحوانات
ونرعى
وراء الغيب نسال عن
حياة

مددت يدي احسن دمي
وعيني
اسائل كل امامي
وامسي
واسجد فوق رابية
وصخر
أناجي النجم في الغيب
أناذي
أناذي ، بح صوتي من
ندائي
فلا عيني تحسن ولا
دموعي
ولا عصبي يبرن ولا
أروبي
أنا من ؟ من أنا ربي ؟
ظلال ؟
ومن يعني في ربي ؟
فلا ؟
أنا في ربي في ربي
فعودي

واين صداي يا ربي
وحسي
أينسى الرمش عيني في
الضباب ؟
أينسى العمر دربي في
القباب ؟
أينسى الحس اني في
جهاد ؟
وذااتي فوق احلامي
تطير
واحلامي مجنحة
تطول
وموج غيب موجات
يعود



الدور الرابع

حديثي ذو شجون في الاماسي
وقلبي في نهار في اشتغال
تناجيني الخطى دوما بهمس
يتاذيني صده مع الاماسي
وبعضي ، كل بعضي في سجود
وعيني ، كل عيني في مثالي
اراه معي ، اراه بلا دليل
فيرقص كل بعضي في احتيال
فاغدو فوق هامات السؤل

★

ورحت مع الصدى الوي بغاب
وابحث عن سمائي عن ترابي
ولبت كهيبة دون اكتساب
وجدت حصي على شط الضباب
يتيه بلا اله في اضطراب
ورحت ابحت عن ترابي
واهتف يا بلادي يا بلادي
بلع كان لي كل البطاح
رايت جبالنا قبل الضباب
يجلها اله بالفلاح
كطفل ، رحت المو بانسراح
حيات الورود مع الاقاحي
والشم ذرة قبل الرواح
واهتف يا بلادي يا بلادي
احس كان قلبي كالقصاد
فاشرب من عذاب من ملاح
واخسر فوق ذرات الصباح
امرغ هدب عيني في الجناح
فيصعد ذكرها هب الرياح
اطرقها بحلقات الاقاحي
واهتف يا بلادي يا بلادي
اموت فدي لحبات التراب
وارفع ريشتي خط العباب
واحفر جاهدا عزم الشباب
فلن ارضى بديلا من حروفي
ولن ارضى بديلا من ترابي

ثريا ملحق

يفجر ذرة مثل الجبال
وبعضي غب بعضي في الرياح
تعادوني شجوني بالسؤل
وبعضي صاعد فوق الروابي
وبعضي هابط تحت الدوالي
بهم ، يطير بي عبر البحار
فلا يصحو كانه في انفصال
تقلقني تحركني

حكايا

اراه في سعودي ، لا ابالي

فلا وجه

ولا عقل شبيح

ولا فن

غريب في اكتمال

ويجذبني حينن للفضاء

ويجذبني حينن للكمال

اوحد كل شيء في دماي

فتصبح مرتعا ، عين الجلال

احوم كما اشاء مع المراعي

احوم كما اشاء مع الخيال

كانك يا الهي في بلادي

فقط تحيا ، وترفع في الجمال

ووجهك نونا عبر الطريق

وقلبي كقلبي في الضلال

احن اليك ربي في الضباب

احن اليك ربي في ابتهالي

واركع في سجودي كل يوم

فلا وجه اراه سوى الجلال

وعن قدر عجيب لا
يجيب

نعود بلا غد نسعي
لامس

يسروح بلا غد او لا
يسروح

الدور الثاني

●

وها صوتي صده مع القيود
يمعد مع البروق مع العود
يحطم كل موجات بقايا
وابحث عن بقايا كل شلو
ورمسي يابس ، صلب المزاج
اعاتبه

فلا يرضى عتابي
ادخره

فيعض في الروابي
زرعت الحب في ترب البراري
نما رزعا ، زها فوق التلال
يبدو الانس في كل الدبار
الى ارض ملفحة بغبار
وترفع راية فوق العماد

يدي ، قلبي
وكل دمي

تماري

تراقص باسقات في الاعالي
وتدعو وحدة بين الانام
تمر بي القيوب فلا ابالي
واسحو ، اين رمسي ؟ اين قلبي
زرعت الحب في حقل يباب ؟
ففارت نسمة حيري الاياب
وكم كانت ضياعا في الضباب
انصحو دون هزات الحياة
فتأبى ان نعود من السراب ؟

الدور الثالث :

●

يلع علي شيء في كياني

العوامل التي أدت الى تخرر آسيا وافريقيا

بقلم محمد جميل بيهم

بشبكة من الفولاذ لا مفر منها ، ولا سبيل الى اختراقها ؟
ثم هم ما ان شرعوا يتندرون بالخطر الاصفر بعد انتصار
اليابان حتى عدوا الى تدعيم هذه الشبكة بطريقة اخرى
من الصلدة ؟ وجيند كاد الياس يستحوذ على
النفوس لولا الصوت الذي ارتفع من بلاد العرب قائلا : « نحن
لها ، نحن لها . »

العرب يشقون الطريق لاستقلال آسيا وافريقيا

كانت القضية العربية اقليمية لا تعدى حدود السلطنة
العثمانية حتى اذا نشبت الحرب العالمية الاولى فوجت
هذه القضية من الاقليمية الى مستوى القضايا العالمية ،
واعترفت الدول بها كقضية سياسية . وكان ذلك سنة
١٩١٦ حينما قبل الشريف حسين امير مكة اهروض التي
طرحها عليه لندن بوعدها العرب الى القتال تحت علم
الاستقلال . (١) .

حقا ان الحلفاء لم يفوا بعد الحرب بما عاهدوا عليه
شريف مكة ، ووعدها به العرب ، بل تقاسموا بينهم تركية
السلطنة العثمانية من بلاد العرب على شكل جديد مسن
الاستعمار ووصفه بالانتداب الا ان عملهم هذا بالإضافة
الى وعد بلفور ، اشعل جذوة الحماس في نفوسهم ، ودفعهم
الى التضال في سبيل الاستقلال .

وكان الحلفاء قد قسموا بلاد الشام الى مناطق ثلاث :
سوريا ، ولبنان ، وفلسطين . وكان من نصيب سوريا
ولبنان الانتداب الفرنسي ، ومن نصيب فلسطين الانتداب
البريطاني اسوة بالعراق . وكانوا قد سمحوا للامير فيصل

- (١) وقد بدت بادرة اخرى بعد ذلك جاء فيها اعتراف آخر
بالقضية العربية قبل ان تحز بلاد العربية استقلالها . وكان ذلك
حينما جمعت فلسطين شمل العرب حولها ، واصبحت لديهم بمقام القافية
في القضية . وجيند لم يسع لندن الا الاعتراف بهذه الكتلة التراسية
فدعتها سنة ١٩٢٩ الى مؤتمر المائدة المستديرة بلندن للبحث معها
في الحلول ، فكانت هذه الدعوة اعتراضا اخر بهم وبمصاصيهم .
فوافق العرب وموالياهم خلال العصور الجزء ٢ ص ٢٤١ لصالح القتال
(٢) العرب والترك في المراع بسين التشرق والفرب ص ١٧١
(٣) تيبورمند في ثورة اسيا ص ١٣٤ T. Mende, la révolte de l'Asie

ثم يتسن لاوروبا بسهولة ان تبسط سلطانها على آسيا
وافريقيا وتحولهما الى مستعمرات ومحميات وانمسا
واجهت في سبيل ذلك اشد المصاعب ، وبذلت اوفر
الاموال ، وذلك رغم ما اعدت من قوة ، وضحت من رعايا ،
ورغم ما استعانت به من سياسة المصانعة ، والتغريق ،
والوعود البراقة . ومع كل ذلك فان اوروبا واجهت
ايضا في اوائل عهد الاستعمار انتفاضات وطنية في كل
مكان وواجهت ثورات تحاول طردها من تلك البلاد المغلوبة
على امورها . وما ثورات الامير عبد القادر في الجزائر
والامير شامل بروسيا ، وسامووري في غينيا ، والمهدي
بالسودان ، وما ثورة مسلمي الهند ١٨٥٧ التي تاذت نطيج
بانككترا لولا استعانتها بالسلطان عبد المجيد العثماني ،
وغيرها من الثورات الا امثلة حية على الانتفاضات العربية
ضد طغيان الغرب . بل يمكننا ان نعد في جملته هذه
الامثلة حرب الافيون بالبين ١٨٣٩ - ١٨٤٢ ، والحرب
الروسية - اليابانية . وفيما عدا هذه الحرب القسرية
نشتت في مطلع القرن الجاري كان الكفاح يؤدي الى تثبيت
اقدام المستعمرين فيما وقع تحت سلطتهم بسبب تفاوت
القوى ، ثم يقضي الى اخفات الاصوات المتحررة .

واما انتصار اليابان على روسيا بعد انتصارها على الصين
١٨٩٤ - ١٨٩٥ فقد كان له اثر كبير في ايقاظ الشرق
المتامل . كان هذا الانتصار بمثابة الناقذة التي اشرف
منها الشرق على رحاب من الامال اذا دار في خلدته منذ
ذلك انه يستطيع ان يتحرر اذا اتبع خطوات اليابان فسي
نهضتها للعدية . واني لا ازال اذكر ، وانا طالب في الكلية
العثمانية ببيروت ، كيف ان الاساتذة كانوا يتخذون من
انتصار هذه الدولة الشرقية على دولة القياصرة عميرة
كانوا يلوحون بها امامنا بغية ايقاظ الهمم شطر التقدم
المنشود .

وكانت طوكيو في غصون فرحها الجنوني بالانتصار
وبعده تنادي عاليا « اليابان لليابانيين » فتزداد اذنانها
في الشرق مشفوعة بالابتهاج ، ويتساءل مفكروه : لماذا لا
يكون لنا مثل هذا الشعار ؟

ولكن انى لهم ذلك والمستعمرون طوقوا آسيا وافريقيا

نار في كل مكان على المستعمرين . ففي سنة ١٩١٩ ثارت مصر وليبيا ، وفي عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٤١ ثارت العراق وفي عام ١٩٢٥ ثار الزيف المراكشي ، وفي سنين ١٩٢١ و ١٩٥٤ و ١٩٥٥ و ١٩٥٦ تواتت الثورات في تونس ، وفي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ و ١٩٢٧ كانت ثورة سوريا الكبرى ، وفي ١٩٢٩ و ١٩٣٦ و ١٩٣٧ ثارت فلسطين وفي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ و ١٩٥٦ ثارت المغرب ، وفي سنين ١٩٥٤ الى ١٩٦٢ واثت الجزائر حرب التحرير ، وفي ١٩٥٥ و ١٩٥٦ انتفضت المحميات الانكليزية في جنوب اليمن ، وفي عام ١٩٥٧ اعلنت عمان ثورتها على مسقط والانكليز .

فكان القرن العشرون ، خلال فترة من الزمن تقدر بثلاث هذا القرن ، يتحدث عن العالم العربي وهو اذا يشرف عليه لا يرى في رحابه الا اسلحة مشرعة فسي وجه الاستعمار وثورات ملهية كانها كتلة من ابراج افاعت البترول المضية في الليلة الظلماء . ثم اذا قرا انباءه في السنين الاخيرة لا يقرأ الا اخبار الاستقلال اثر استقلال تحرزه تباعا امصاره . فقد استقلت ليبيا ١٩٥٢ فمصر ١٩٥٦ ، وتونس والمغرب ١٩٥٦ فالسودان والعراق ١٩٥٧ والجزائر ١٩٦٢ (٢) .

هذا وقد حدث تغير ملحوظ في موقف السوفييت باسيا منذ عقد مؤتمر بالطا سنة ١٩٤٥ بنية التفاهم بينهم وبين حلفائهم في الحرب الاخيرة على شؤون العالم . فاك بان موسكو اعربت منذ ذلك التاريخ عن رغبتها في الاقادة من الحالة المتفجرة التي خلقتها تلك الحرب ، فحاجت الشيوعية بعد اولئك المشغولين باسيا بتعاضدهم وفقرهم ، بدمهم بالنعيم ملوحة بالازدهار الذي ادرکه القسم الاسيوي من الجمهوريات السوفييتية ، وتشير اليه على انه مثال رائع لتقدم اقتصادي كبير امكن تحقيقه دون اللجوء الى العون الخارجي ، وهي في تلك الدماوات كانت تعتمد اعتمادا قويا على الاحزاب الشيوعية المحلية ، فاذا بفريق منهم يقبلون على الشيوعية اكثر من نصف القارة الاسيوية (٣) واذا باسيا كلها تقريبا تقبل على التعاون مع موسكو ، وترفع بمساعدتها عن رقابها اغلال الاستعمار . فاستقلت اندونيسيا سنة ١٩٤٥ ، ثم الهند وباكستان ١٩٤٧ ، وارتمت الصين الشعبية في احضان الشيوعية في عام ١٩٤٧ ، وهكذا دوليك ، فتساقطت بذلك بقية حلقات سلسلة الاستعمار . وشرع الاتحاد السوفيتي يدغدغ احلام افريقية السوداء في سبائها المعيق ، بينما كان استقلال الامصار العربية في شماليها يعفر التردد من اجلها لليقظة والمطالبة بالاستقلال ، وبينما كانت بطولات حرب الجزائر مهمازا في خواصر ضعاف النفوس برهن لهم على ان قوة الايمان هي اشد من قوة النار والحديد فاذا بهذه القارة تنتفض ، واذا

بن الحسين ، الذي دخل سوريا فاتحا في تلك الحرب ، بان يتولى حكمها باسم والده الذي اصبح ملكا بمكة ، فذاق السوريون خلال ذلك ، ولاسيما بعد ان باع المؤتمر السوري فيصلا ، وتوجه ملكا على سوريا ١٩١٩ ذاقوا لذة الاستقلال ، وتمتعوا بنعمة الحرية . ولقد كنت عضوا في هذا المؤتمر ، وشاهدت بنفسي كيف كانت سوريا ، وفرتها الكبرى ، كانها بركان تقفي في قلبه الحمم . ولما غدر الحلفاء مرة اخرى بالعرب ، وتخلوا عن سوريا ، وتركوا الافرنسيين يحولونها بالقوة ، انفجر هذا البركان بين قوم لم يغدر بهم فحسب ، بل ذاقوا لذة الاستقلال ، فكان عهد الافرنسيين بسوريا عهد مشاكل وثورات اخذت بعضها برباق البعض الآخر . والجدير بالذكر هنا ان السوريين ، في نضالهم الباسل ضد الانتخاب ، ما كانوا يقفون عند حد النضال للاستقلال ، بل كانوا يتعدون هذا المطلب الى نطاق الدعوة لاستقلال العرب انما كانوا ، والى الوحدة العربية الكبرى . وقد اتبع لي ان اشاهد ايضا مدى حرص السوريين على قضية الوحدة العربية . فقد جئت دمشق خلال ذلك على رأس وفد للهيئة الوطنية بلبنان التي كانت تعارض تقسيم بلاد الشام فجئنا قصد المفاوضة مع اقطابها السياسيين من اجل توحيد الجهود ضد هذا التقسيم . وفي الجلسة التي عقدت في بيروت الامير طاهر الجزائري ، ودار النقاش فيها حول الموضوع نهض الاستاذ عفيف الصلح واعلن : « بانهم انما يعملون من اجل الوحدة الشاملة ، واذا انصرفوا عنها الى الوحدة السورية فيشعرون بانهم انحدروا عن مستوى ملهم الاعلى » .

واني وان كنت لم اقتنع بهذا الراي استنادا الى القادة الحكيمه : « اعمل لنفسك ثم لاخيك » فقد قدرت فيهم هذا الاخلاص للمبدأ الذي نشأ عند العرب منذ نشأت القضية العربية في العهد الحديث . على ان المؤتمرين قرروا في النهاية عقد مؤتمر في حصص للدراسة الاقتراح مع اخوانه اللبنانيين ، ولكن السلطة تداركت الامر واعلنت موعدا للانتخابات ، فصرفتهم عن هذا المؤتمر .

هذا ولقد اتمر كل من نضال سوريا فيما بين الحربين العالميتين وبعدهما ، ونضال لبنان الاجماعي بعد الحرب العالمية الثانية فاستقل البلدان في عام ١٩٤٦ . وكان هذا الاستقلال بمثابة سقوط الحلقة الاولى من سلسلة الاستعمار التي كانت تطوق عنق العالم العربي ، بل كان هو واستقلال اندونيسيا سنة ١٩٤٥ فاتحة عهد الاستقلالات المتواليه في اسيا وافريقيا .

فقد كان العالم العربي في القرن العشرين اول الشعوب الاسيوية - الافريقية طلعا للاستقلال ، فبالاضافة لاشهاره السيف ، واعلانه الثورة بلسان شريف مكة سنة ١٩١٦ ، فلما غدر الحلفاء بالعالم العربي لم يهن ولم يستكن بسل

بالمستعمر الذي صال هناك وجال يشد الرحال ، وينسى المال .

التضامن الاسيوي الافريقي يحسر ظل الاستعمار

وكما كان العرب قدوة لساثر الاقوام الاسيوية - الافريقية بمبادرتهم الى التحرر من الاستعمار فقد كانوا كذلك اولهم في التفكير بحاجتهم الى مؤسسة تجمع بينهم فتعاونهم في غضون كفاحهم ، وتكون رمزا لوحدهم ، ومنسقا لجهودهم بعد الاستقلال . ومن هنا نشأت جامعة الدول العربية في عام ١٩٤٥ .

وفي ذلك العام ذاته عقدت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية مؤتمر دبرتن اكس ووقع في سان فرانسيسكو خمسون دولة على ميثاق جمعية الامم المتحدة ، وكان بين الموقعين على هذا الميثاق سوريا ولبنان ومصر والعراق والعربية السعودية .

ومنذ قيام هذه الجمعية شعر ممثلو الدول الاسيوية الافريقية ، التي تجمع بينها الامم والاماني ، بحاجة ملحة الى التكتل حيال تكتل ممثلي دول الاستعمار ، ومحاولتهم الهيمنة على جمعية الامم ، فالفوا في نطاق جمعية الامم الاسيوية - الافريقية في اذار ١٩٥٢ وقد اضطلعت هذه الكتلة باعيام الدفاع عن الشعوب افرادا ومجموعات ، وحملت لواء مبدأ التحرير ، وتهديم الاستعمار .

وفي الجلسة التي عقدتها هيئة الامم المتحدة في ٢٤ ايلول ١٩٥٨ فوجئ بما لم تكن تاليف سماعة من افريقيا وذلك حينما نهض وزير خارجية الجبهة وطلب بضم حقبات ترفع الدول المستعمرة ايديها عن هذه القارة ، وان تترك لها حقها الطبيعي بممارسة حريتها واستقلالها ، وحينما انتصب واقفا مندوب غانا وايد زميله في الكتلة الاسيوية - الافريقية بكل حرارة .

وقد تكاثر عدد أعضاء هذه الكتلة تباعا حتى اصبح الان يزيد عن نصف أعضاء جمعية الامم الذين بلغ عددهم الان ١٠٦ أعضاء فكانت لها بهذه الكثرة صفة الكلمة المسوعة ، وبمساعيها قررت هيئة الامم تاليف لجنة لتصفية الاستعمار ، وجاء هذا القرار بمثابة اقرار منها بحق شعوب العالم في المساواة ، وفي الحرية والاستقلال . وكانت الدول الاسيوية- الافريقية لا تتكل على ما ترجوه من خير من لدن كتلتها المذكورة في هيئة الامم فحسب ، بل ان شعورها بان مشاكلها متشابهة ، وان الخطر الاستعماري لا يزال يهددها على صورة جديدة كانا يبعثان فيها روح التضامن ، ويحملانها على التكتل ، لذلك كان اول عمل قامت به الهند ، في اعقاب احرارها الاستقلال عام ١٩٤٧ ، دعوة جميع بلاد اسيا لمؤتمر عقد في دلهي ، وخضت موسكو الى حضوره . واختمرت من بعد فكرة التكتل بين الاسيويين والافريقيين فاذا بمؤتمر باندونغ باندونسيا

يقعد في نيسان ١٩٥٥ فكان فاتحة المؤتمرات بين القارتين . . ولقد اعتبر هذا المؤتمر حدثا تاريخيا فدا ، ليس لانه كان يمثل أكثر من نصف عدد سكان العالم فحسب ، بل لانه رسم مخطا جديدا لسياسة اسيا وافريقيا هسي سياسة الحياد الاجابي ، وجاء نواة للكتلة العالمية الثالثة التي قامت من بعد الى جانب الكتلتين الشريفة والعربية . وكان نجاح هذا المؤتمر حافزا للدول الاسيوية الافريقية للتنادي الى عقد مؤتمرات اخرى مشتركة . فعقد بالقاهرة مؤتمر تضامن الشعوب الاسيوية - الافريقية مرتين في سنتي ١٩٥٧ و ١٩٦٠ ، كما عقد فيها المؤتمر الافريقي الاسيوي سنة ١٩٥٨ ، فضلا عن مؤتمرات اخرى للشباب ، ولرجال الثقافة والاقتصاد حتى كانت مصر محور هذا التكتل . وكانت موسكو لا تتخلف عن كثير من هذه المؤتمرات ، وعن انتساب الغرض فيها لكسب العلوب . ففي مؤتمر تضامن الشعوب الاسيوية- الافريقية الذي عقد ابتداء من ٢٦ - ١٢ - ١٩٥٧ ، قال ممثلها في معرض دراسة الشؤون الاقتصادية : « قولوا ما الذي الذي تحناجون اليه فنتساعدكم ، ونرسل بعذر استطاعتنا الاموال اللازمة وذلك على شكل قروض ، او مساعدات دون اية شروط . »

وعدا هذا المؤتمر الاسيوية - الافريقية فقد شهدت افريقيا مؤتمرات اخرى خاصة بشؤونها ، وكانت هذه المؤتمرات تضع الخطط المشتركة لتأييد دولها المثقلة ، والتعاون بينها - والتحرير الشعوب الاخرى ، وتأمين استقلالها ، وحسن التنويه باحدها : مؤتمر الكونغرس غانا ١٩٥٨ . مؤتمر الرابطة الافريقية بالقاهرة ١٩٥٨ . مؤتمر كوناكري عاصمة غينيا ١٩٥٩ . مؤتمر مونروفيا عاصمة ليبيريا ١٩٥٩ . مؤتمر تونس ١٩٦٠ . مؤتمر الدار البيضاء بالمغرب سنة ١٩٦١ . مؤتمر اديس ابابا ١٩٦٣ .

وهذه المؤتمرات كلها بالاضافة الى جامعة الدول العربية ، والكتلة الاسيوية - الافريقية في جمعية الامم المتحدة كانت من جهة خير مساعد للشعوب في نضالها للاستقلال ، وكان من جهة اخرى افضل مؤيد لمسودل المسئلة خلال الامرات الاحدا التي ما فتئت تواجها من لون الاستعمار .

وهكذا فان غرسة المبدأ التحرري الانساني التي نبتت في القرن التاسع عشر في حقل الدول المستعمرة ، وترعرعت بمخلفات الحريين العالميتين اللتين نشبتا بين المستعمرين انفسهم ، ان هذه الغرسة الطيبة وجدت بعد ذلك رعاة لها في الداخل والخارج فاعطت ثمراتها الطيبات . « اذا اراد الله امرا يسر له الاسباب . »

محمد جميل بهيم

تعريف : بيير ماريا روسودي سان سيكوندو ، كاتب إيطالي صقلي ، ولد في مدينة كالتانيسيتا - في أواسط صقلية - عام ١٨٨٧ ، وتوفي عام ١٩٥٦ ، اشتهر بأعماله المسرحية أكثر مما اشتهر بغيرها من أعماله الأدبية الأخرى ، ولكن كان له مكانة مرموقة كذلك في القصة الإيطالية المعاصرة من أشهر آثاره الأدبية والمسرحية رواياته : « الهرب - وبونينتينو » ومسرحياته : « القناع والوجه - بين الملابس الراقصة - والحلقة النائمة - ولانزارينا بين السكان » وغيرها .

الترجم

عندما قفزت اورسولا من عل عن السياج المرتفع إلى الأرض المحروشة التي يفتح عليها باب حانة الجبر القديم خيل إلى الذين كانوا داخل الحانة أن كيس بطاطا أو شيئا من هذا القبيل قد سقط هناك . ثم ان كيس البطاطا قد نهض وجعل يمشي ، وعندئذ انفجروا جميعهم في الضحك .

كانت ثياب اورسولا مرنخة بالجر وملوثة بالوحل ، فهي تبدو منتفخة من الماء . وقالت وهي تدخل الحانة ما الداعي إلى هذا الضحك ؟ اتسنى أمشي منذ أول أمس ، وقد تلقيت بطوري كل المياه التي اندلقت من السماء .

— يبدو أنك لا تخشين الماء ، ولكنك تجئين الآن لتشربي النبيذ .

— النبيذ والخبز ... فمن شاء منكم ان يقدمهما لي ...

فرد أحد الثلاثة الذين كانوا يشربون قائلا : آه ! هذه أزمنة صعبة لا تسمح بمثل هذا الترف . على كل حال ، كأس واحدة .. نفعلي ها هي

فاجابت اورسولا بعد ان تناولت القدر بيدها : أريد أيضا كرة خبز رقطة جيمون ...

وفي هذه اللحظة ظهرت صاحبة

الحانة خارجة من المطبخ ، فناداهما واحد آخر من الثلاثة قائلا : آه ، أيتها الأنسة صاحبة الحانة هيل سمعت ؟

فاجابت السيدة جلتروده وهي تنشف يديها بالبريول : أنني أسمع حينما تقدم النقود من الطلب .

فضحك الثلاثة ، ولكن في تلك الأثناء ظهر ميكلا نجلو صاحب الحانة وراح يصرخ بان العمل لم يتقدم في ذلك النهار . لقد بلغت الساعة الحادية عشرة وما تزال الفسارخ الستة لم يتف رشها بعد ، مع أنه كان يجب ان تكون الآن على المشواة

رحلة حب

للكاتب الإيطالي روسودي سان سيكوندو

ترجمة عيسى الناعوري

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وان تكون السلطة قد قطعت من البستان ، ونظفت جميع الصحن والآواني الموجودة في الخزائنة ، ومرت المكواة على ذئبة من أغطية الموائد .

الساعة الواحدة والنصف يجب ان يكون كل شيء جاهزا .

فسال واحد يقرب أحدي الموائد : وليمة كبرى ؟

بالتأكيد ، رؤساء ورشبات ، وبنائو المصنع القائم على قم النهر . فقالت اورسولا ، وما تزال الكأس في يدها : هل استطيع ان اقتصرح عليكم شيئا ؟

قصة

شيئا ؟

فاجاب ميكلا نجلو ومخشونة : ماذا تريدين ؟

اقوم هذا النهار بخدمتكم : فانتف ريش الفراخ ، واكوي أغطية الموائد ، وأغسل الصحن ... ولقاء ذلك تقدمون لي قطعة جيمون !

— اذا كان هذا فقط فساقدم لك الحساء ايضا .

وتم الاتفاق . وقدم لاورسولا صحن حساء ، وكسرة خبز وقطعة جيمون . فجلست عند ركن أحدي الموائد وراحت تلتهم الطعام بنهم شديد . غير ان الثلاثة الذين ثار بهم الفضول لم يتركوها بسلام .

— من أين تجيئي حتى يصيبك مثل هذا الجوع الشديد ؟

داول أمس كنت ما أزال فسي بيدوني فوق كامايوري

— في جبال الالب الابوانية ، كل هذا البعد ؟

— نعم ، هناك نعاما .

— وقد اجتزت ليفرونو ؟

— لقد اجتزته .

— على قدميك طوال المدة ؟

— وكيف إذن ؟

— واين تريدان ان تذهبي ؟

— إلى روما .

— أنك تمزحين .

— كلا لست أمزح

— وما الذي يمنحك القوة ؟

— الذي ينتظرنني .

— ومن هو هذا ؟

فراح الثلاثة ينظرون في وجوه بعضهم البعض كأنما يريدون ان يضحكوا من جديد ، ولكنهم لم يجروا على ذلك ، فالتفتوا من جديد إلى اورسولا يفحصونها بانظارهم ، وغمز أحدهم رفيقيه بعينه ثم هز رأسه متعجبا . وصمت الثلاثة دليلا على اشتراكهم في الفكرة عينها . جميلة جميلة جدا ! بالنور الذي يشع من عينها !

وعاد أحدهم يقول ، ليستحثها على الكلام : هل ينتظرك حبك ؟ أنسا لا

نداء الشوق

يرف على خاطري المجهود
بقفز فؤادي الجريح الصدي
على عالمي الموحش المرعب
كفجر ينير دروب الفند
رؤى مع الوصل في موعد
ليمرح في ظله السرمدي
طيف فتنى شاعر اغيد
وترنيمه العاشق الاوحد
ويهفو الى الحلم المسعد
فيزهو بعطر المنى مشهدي
لذكرى هوى ظل لم يولد

غدا سوف يأتي الربيع الندي
وتزرع ورد الهوى كفه
وتشرق احلامه الفانسات
وتبزع انواره المشرقات
تلون ازهاره الضاحكات
يفيء اليه جناحي المهبض
وتمرق عبر الخيال البعيد
ويهمس فيها مراح الشباب
ويخفق قلبي لضم الوجود
تداعبني ساحرات الجمال
وتلمع في خاطري السانحات

فبت غريق الاسى المزبد
شربدا بلا امل رغبند
تفجرها شعبل الاكبد
سببهم في عالمي الاسود
تعظم اغلاله في يدي
وعاصفة الالام الاكبد
على صولة في الدجى اهتدي
تفطر خضر السنى مقصدي
من الفكر الفر في معبدي
فيدكو هوى بعد لم يخمد

جفاني الرقاد بصمما المساء
وامخر وحدي خضم الضياع
عذابات روحي والامها
غدا : ان فجر الاماني الحسان
غدا : ان سجن العذاب الرهب
وينجاب عني غمام الشجون
غدا : سوف وفدا جميع النى
وافتح قلبي لنور الحياة
واستلهم الصور الرائعات
غدا : في سفوح الربى نلتقي

خضر عباس الصالحى

بغداد

فقال ميكلا نجلو الذي كان من
عادته ان يقتبط بالاشياء الغامضة :
— لماذا ؟ هل تسافر الى روما ؟
فاجاب الثلاثة من مائدتهم :
ستسافر الى روما لاجل الزواج .
— فهتف ميكلا نجلو عندئذ وهو
يستقبل اورسولا في المطبخ :
— مرحى ! مرحى للعروس !

عيسى الناعوري

عمان

ستكونون مسرورين من عملى ايها
السيد .
ثم تناولت المبلغ الصغير السندي
قدمه لها الرجال الثلاثة الكرماء
ومضت الى المطبخ .
— ميكلا نجلو في المساء حينما
تنتهي الفتاة من عملها ، اعطها
انت ايضا مبلغا ما واعنها على ركوب
قطار الساعة الحادية عشرة الذهاب
الى روما ..

نصدق ذلك .

— لا تصدقون ؟ هذا لسؤ حظكم
ولكن من هو الذي ينتظر فتاة
سيئة مثلك ؟

— لست في نظرة فتاة سيئة
ولكن في روما نساء معطرات ،
انثيات ...

— هذا دليل على ان جميع تلك المعطور
والاناث لا تملأ عينيه .

— لا بد انه الان قد نسيك ، فانت
اذن تقومين برحلة لا جدوى منها
— نسيتي ؟ ساريكم الان .

ودفعت باحدى يديها الى داخل
صدرها واخرجت منه ورقة رسالة
مطوية عشر طيات وواحت تنشرها
بطء ، ونظرت اليها باشفاق ورقة
ثم قدمتها لاحدهم على المائدة ، فراح
يقرا : « حبيبتي اورسولا ، لقد
كافحت كثيرا لاشق لنفسي مكانا
واخيرا تمكنت بفضل الله من
العثور على عمل بستاني في قصر
احد السادة ، ابنتك اليك بانتينين
وعشرين ليرة ، عليك بهذه الليرات
ان تجيني الى روما حيث سنتزوج ،
بحمد الله . المخلص : « فنتشزو »

فقال الفتاة : هل تصدقون الان ؟
— بكل تأكيد ، فالرسالة تتحدث
بوضوح ، ولكن لو كان لديك بدلا من
انثين وعشرين ليرة اثنتين وثلاثين
لكان في وسعك على الاقل ان تاخذي
القطار مسافة من الطريق .

— صحيح ولكن الصعوبة هي في
العثور على من يعطيني عشر ليرات
اخر .

فراح كل من الثلاثة ينظر في وجه
الاخر . وكانما تفاهمت انظارهم ،
فراحوا يبحثون في جيوبهم حتى
جمعوا مبلغا ضئيلا .

وظهر ميكلا نجلو على باب المطبخ
وقال للفتاة : مستعدة ؟

فجرت اورسولا بقية كاسها
ونفضت قائلة : مستعدة ساشتغل
بهمة اربعة اشخاص وعند المساء

مشيئة كسرى هي النافذة المحتومة ، فلا مدعاة للتباغض والتحرش ثم قال « وعلينا ان نظهر من المحبة والمودة والعطف على انفسنا امام الناس ، ما يرفعنا عن التنافس والتصارع مما يعود باوخم العواقب على مكانتنا في العرب والايوان ، فاذا وقع اختيار كسرى على احدا - كائنا من كان - فلا بد ان نسارع جميعا الى تعظيمه ونحيته ثم نلقي عليه سلام الملوك بمرأى من كسرى ومسمع فنصبح به « آبيت اللعن » ايها الهام ، ونقف دونه ولا نتخطاه ، فاذا البسه كسرى التاج ، وهم العقد بالانقراط استاذنا منه بعد ان نستاذن من كسرى ، فيرى احترامنا له وتبجيلنا اياه ...

ولن اقول ذلك ثقة انني صاحب الامر فلا واللات ما اعلم سببا واضحا يربطني بعاهل الفرس ، ولكني اخذ الحيطة لكم ونفسي ان ياكلنا الناس شامتين اذا دب بيننا التناذب ورجعنا متباغضين !!

ورأت الحيرة في الصباح مواكب الامراء تصطف في روعة وعظمة على ضفة السدير لتنتجه باصحابها الى المدائن عاصمة فارس ، واستعرض الناس روائع اتيقة من الرواد والجاه والشباب والتعيم والفتوة . اذ ان كل امير من اولاد المنذر قد خرج على قومه في احسن ثيابه ، واجملها ، وقد اسطقى لنفسه نفرا من اصدقائه ، ينضمون بجيادهم الملهمة حول جواده ، فيؤنسون طريقه ، ولا يألونه توصية واستعدادا ، ولكن ما للنعمان فيغرد ادونهم بلباسه البدي الطيظ ، ولا يصططع غير صديقه عصام بن شهيد ! ان الناس ليرمقونه في قماته ودمامته والذين مشفقين : وان الاسود اخاه ، ليرى ذلك في عيون القوم فيقول في نفسه : ما كان اغنى النعمان عن الاسهام في سباق يشينه ويرجع عليه بالازدراء ، ثم يوزع لصديقه الحميم عدي بن مريتا ان يذهب الى عصام بن شهيد فيقترح عليه ان يعرقل خطو النعمان حتى لا يسوء الى عائلته العريقة بظهوره الخشن الكريه ، ويعضي عدي فينادي عصاما بمرأى من النعمان ، في اخر موكب الامراء ، ثم يهمس في اذنه بما في نفسه ، فيبتسم عصام ابتسامة مفتضبة ، ويقول ان احد عشر اميرا سيخفون ، ويغزو امير واحد فلا ضرر على النعمان ، اذا شارك عشرة من اخوته مصيرهم المرير ! ويظهر عدي انه اقتنع ، ويرجع الى الاسود فيخبره بما سمع فلا يجيب

وما اسرع ما انتهى الطريق بالفتية الاملين ، فلاحت اضاء « المدائن » امامهم في غسق الليل تعلن مجدها الباذخ ، وسلطانها الفريد ، وتراعى امام العيون لهب النار يتودد في المبدع المجوس ، فيبغت في النفوس رهبة غامضة ، تزداد وتعنف في عين الطارء الغريب ! ثم يبلغ عنقا حدا لامثيل له حين يجد مئات الاساورة ومئات المرازبة يتقدمون الشعب طائفين حولها في خشوع رهيب ، اما القصر الابيض فقد بهرهم فخامة بناء ، وجلال رونق ،



محمد رجب البيومي

كيف أصبح النعمان ملك الحيرة

بقلم محمد رجب البيومي

في صباح يوم مشرق جاء كتاب السرى الى الحيرة في استدعي ابناء المنذر جميعا الى حضرة ، وكأني يخوفون ان يستند الامر الى غير آل المنذر بن ماء السماء فطمأنهم كتاب كسرى على بقاء التاج في يدهم ، وان قل كل امير على نفسه ، اذ ان صاحب الايوان لم يعين احدا ، فيربح الاسرة من خطر المنافسة والتنازع ، وليته فعل !

وبدا كل امير يستعرض افخر ثيابه ، والمع سيوفه ، ليظهر في سمع رائج ياخذ بالباب البلاط في فارس ، وكان احرصهم على الزينة ، واشدهم تدافعا على العناية والاكتمال هو الاسود بن المنذر ، اذ انه عند نفسه وعند الكثيرين ممن يعرفون اولاد المنذر عن دراسة واختبار احق اخوته جميعا بالتاج !! وكان من الغريب لدى الناس ان ينصرف النعمان عما يهتمون به من الاختيار والاستعداد ولم يكن تعليل ذلك صعبا على اخوته ، فهم يعتقدون واهمين انه قميء ضئيل شائه الجلد دميم المنظر تقتحمه العين وتزدريه ، وان اللباس الفاخر سيجعله ضحكة هزاة بين الاخوة ، ولو انصف ، لتخلف عن الحضور فلا يتيسر لكسرى ان يرمقه شزرا باحتقار واستخفاف ، على انهم لم يهتموا به حضر او غاب ، ولكتهم عقدوا بالخورنق مجلسا فسهم جميعا ، وقام الاسود ليتحدث ، فذكر انهم ابناء اب واحد ، ولان يتولى احدهم زمام الملك في الحيرة خير من ان يصيروا سوقا كالناس ، واذا كانت

وردحا من الزمن ، حتى اذا حان ميعاد التفريق عرف كل امير بيته من القصر ، فحف اليه على أمل ، وكلهات عدى لاتباح اذهانهم جميعا فهم عليها حراس حراس .

لم ير الامراء طيلة حياتهم مشهدا كمشهد كسرى في قاعة الذهب بصدر الابوان فقد كانوا يظنون الخورنق اعظم بناء عرفه الناس ، وقد قتل جدهم الكبير النعمان الاول ابن امرىء القيس بانه « سمنار » كيلا يستطيع ان ينشئ سواه لاحد من البشر ، اما ابيض المدائن هذا الذي يدخلونه على كسرى فمما لا يتصوره العقل ، او يقع في روع بدوى من العرب وجود مثله في دنيا الاحياء ، لقد بهرهم بهو العرش بما يتلألا في ارجائه من ذهب لامع تتراقص من حولة السنة الثائر ، فترمي انعكاساتها على النضار باسعة تأخذ الانصار ، اما عظمة اليا ساسان فلا تبدو رائحة باهرة كما تبدو في قاعة الذهب بالذات ، انهم امام سلم من الذهب الخالص ترتفع درجاته عشرا حتى تصل الى مقعد كسرى في صولجانه ، وقد جلس العاهل العظيم وحده في ارتفاعه الشامخ يحدج اتباعه بعيني الصقر ، وقد بدا تاجه الذهبي فوق جبينه الفضي كما لم يبد تاج على مفرق انسان ! وهو ينظر في غير اكرات الى زواره الوافدين ينحنون في طريقهم اليه من بيتا بهو العرش حتى يصلوا الى قاعة الذهب فيسجدوا مقبلين لانيمن وهم لا يرفعون رؤوسهم حتى ينتهي من اصدار امره بما يريد ، فيخرج الزائر متحنيا كما قدم دون ان يتأمل طرفة الملك !! لا لغرسة الملك في جبروته وعظمته بل في الوجهة الكاذبة ، واستغلالة البغيض ، ان عليا بن ابي طالب الموهوب ليدرك في نفسه سخف هذه المظاهر فيطوي ضلوعه على احتقار كظيم ، ما ابناء المنذر فلم ينفخوا هذا المبلغ من عمق احساسه وسعة مداركه ، فقاموا بهراميس الاستقبال خاشعين لالدين ، وقد نظر كسرى الى موكبهم من عليائه ثم اخذت عينه النعمان في مظهره الزري فوقع في نفسه حيث يريد ، واصدر امره الى ترجمانه باحتجازه ، وخرج الامراء دونه فلم يظنوا انه احتجاز ملك وتكريم ولكنه اعتقال تسفيه وتوبيخ ، وتاديب وتراعى لاختيهم دم النعمان وقد تفرق مدهورا مظلولا اذ تجرأ على الموت في مثل هذا المظهر البغيض ، ولم يطل بهم الانتظار ، فقد خرج الترجمان باخيه ، فصحبهم معه جميعا الى خوان الملك ، وصاح بهم : انتم اضياف كسرى فلهما الى طعامه هاتين وطلق ينظر مرآهم في القضم والهضم ، فوجد الادب المحتشم لدى الجميع غير النعمان فقد اكب اكباب جالغ شره طمعاً : حتى استخيا منه اخوته مشتمزين ، ولم يعلموا انه حاز بذلك ثقة كسرى ، وان الترجمان سيجعل ماكله الشرة اداة تفصيل وترجيح هكذا تجمع كل الروايات التاريخية : وهو امر عجيب في بلاط متحضر كبلات كسرى ! وقد قال في نفسه لقد صدقت فراسة العاهل البصير حين احتجز هذا الاكول

وبهجة حدائق ، وعظمة ايوان ، فاذا دخلوه مستأذنين راوا درجات السلم من الرخام المرمرى تمتد عالية مرتفعة ، وطيوب الرياح والقرنفل والياسمين تفعم اركان باريج حبيب ، والاحراش في ملابسهم الحمراء ، وسبو فهم البيض يقفون على الدرجات المرتفعة متباهين ، فاذا انتهوا الى حيث يقصدون تقدم اليهم عدى بن زيد نائب البلاط الكسروي في استقبال العرب ، فانلقمهم تحية العاهل وتكرهية ، واخذ يبالغ في الاحتفاء بهم مبالغة نادرة ، ولكنه تجاهل النعمان تجاهلا كان مدعاة التناغم بين الاسود وفريق من اخوته ولحمة النعمان الحصيف دون ان يكثر ، ثم قال عدى ! انكم ستقابلون كسرى في بهو التاج غدا مجتمعين . وسيدخلكم ويسالكم عن طريق ترجمانه الانمين ، ثم يمرن بين يديه وتأكلون على مائدته ، وللمقابلة العاهل وحديث ترجمانه الانمين وتناول طعامه مرايسم خاصة مدونة لدى ، وسافرؤها عليكم واحدا واحدا ، بترتيب السن كيلا يتقدم امير على اخيه ، ثم سأل عن استهم فتقدم اليه الاسود ، فاصطحبه الى الديوان العربي ، واظهر من الشياشة والترحيب ما اقع الامير انه الاتير الحبيب ، ثم قال له في ملاطفة اذا تقدم لك الطعام فكس مهلبا رقيق امام ترجمان الملك ثم اسالك هل تضمن للملك ولء العرب واجب بالايجاب ، فاذا قال لك هل تضمن ولء اخوتك وتعاديهم من اجل كسرى فلانطعه وقل في اعتزاز اتنا ابناء رجل واحد ، ونحن لا نقف متحاربين فيضحك علينا الناس ، ثم تابع عدى حديثه يقول : فان ذلك وحده مما يرفعك في عين الملك دون قول سواه ، فشكر الاسود شكرًا حارا ، وخرج وفي قلبه من المحبة له ما يعجز عنه اليبان ، وتوافد الاخوة واحدا واحدا فسمعوا ما سمع الاسود ، ونضحوا بما انتصح به فخرجوا شاكرين منتهجين ، حتى كان النعمان اخر داخل عليه ، فشد على يده في اهتمام وهمس في اذنه « لقد خدمت اخوتك جميعا من اجلك يا نعيم ، وظن ان عصاما رسولك قد ابلغك ما اريد ! فظفر النعمان نظرة متضائلة خاشعة وكأنه امام كسرى نفسه لا امام عدى بن زيد وقال عرفت كل شيء يا سيدي العزيز !

فابتسم عدى وسأل وماذا عرفت : فقال النعمان هانذا قدمت في ثيابي الخشنة كما امرت ، وساكن بعنف وغفلة كما اوصيت فاذا سألني الترجمان لم أعبا ياخوتي وصممت على حربهم طواعية للمليك .

فتألق وجه عدى بالزهو والاعتزاز ، وقال في ثقة المظمن : غدا سيوضع على راسك التاج : فنفض النعمان ليدرس يديه ، فتمنع عدى ، وأبى ثم قال له في خفة : انتم فرحتم نعيم : فان غدا قريب ، فرد النعمان هو ذا كباسيدي ولن اتنى صنعك ما حييت !

وخرج منكس الراس يصطنع الحسرة والانقباض ، فانضم الى اخوته ، وخف اليهم عدى هاشا باشا فجعلوا يتسامرون

القبور ! وليس بينه وبين الملك في الحيرة الا ان يجب على السؤال الأخير !
فلما فرغوا من طعامهم بدأ الترجمان بأستهم وهو الأسود فسأله .

هل تضمن للملك ولاء العرب ؟ فعجل بالإيجاب فأتبع يسأله وهل تضمن ولاء اخوتك وتقف امامهم من اجل كسرى ؟ فقال الأسود في تخاذل : نحن أبناء رجل واحد ولا نقف متحاربين فيضحك علينا الناس ! فابتسم الترجمان في دهاء ، وصرفه متلفعا ، واخذ يستدعي اخوته واحدا بعد واحد ، فلا يجد لديهم غيرا ما وجد لدى الأسود ، حتى قدم النعمان في النهاية فسأله هل تضمن ولاء العرب للملك : فصاح بصوت مرتفع اضمن ولاء العرب جميعا وقد بذلت دمي في خدمة الملك ، فاتبع يسأله وهل تضمن ولاء اخوتك ، وتقف امامهم من اجل كسرى فصاح النعمان في اندفاع : ان لم أقدر على اخوتي فانا اذن سأعجز عن الجميع ، واكون قرة العرب اجمعين !! .
فهب الترجمان رأسه متعجبا ثم قاده الى قاعة الذهب فأكب على البساط عند الدرجة الاولى من السلم ساجدا متقبلا ، فرمى له كسرى بالتاج من مرتفعه قاله الترجمان اياه ، وخرج به الى الديوان العربي ، حيث ينتظر عدي ، والنعمان ليؤكد بملك نفسه من الفرحة والابتهاج وان قلبه على غلظته وفظافته ليدق في فلوعه كالطائر المحتاج ، وان

التاج لتلاحق حتى يلحظ عدي تغيره واحتياجه قسعة .
جارت التهمة والططيف ، فاذا استعاد هدوءه وقا الى ثباته طلع اليه الترجمان ليقول في نصيح وتوجيه اعلم ايها الملك الناشئ ان كسرى قد استهان بالانذر من مصر عمرو بن هند ، ومنه تحزب اهل الحيرة على ابيك المنذر ، حتى اعتزم ان يجرد جيشا من الاساورة يجاوز الانبي عشر الفا من الجنود ، فيغزو بهم دياركم ويهدم منازلكم ويخربكم ، ثم يقيم حاكما على الحيرة من ابناء فارس فتد شئته في الاعراب ، ولكن عدي بن زيد هذا ، قد اقترح عليه غير ذلك ، وقال ان بني المنذر من يستطيعون الحكم في غير ضعف او خذلان ، واوعز مصرع عمرو بن هند وفشل المنذر الى اسباب لارتجع الى ضعف الحاكم او تدهوره ، وها انت قد وضعك العاهل موضع الاختيار

فعلبك ان تظهر ما يرفعك في الايوان ويعليك ! انت وحده السؤل عن صد غارات الفساسنة في الشام ، وعن قمع اعتداءات المقيمين من لصوص البادية وقطاع الطريق ، على القوافل وارباب التجارات ، وان كسرى ليعلم في الاعراب حبا للسلب والنهب والاغارة ، وما اقام مملكة الحيرة بجانب ملكه الا لتقفن هؤلاء موقف القهر والتأديب، وسمندك بما تريد من السلاح والذهب ، ونحول لك ما يرضيك من السيطرة والجاه ، وها انت ذا تقدم على امتحانك الاول ، وستصلنا انبؤك في اوقاتها كما انت ابناء النعمان الاعور والمنذر الاول ، والمنذر الثاني والمنذر الثالث وعمرو بن هند والمنذر الرابع من ابائك واجدادك ، وهي لدينا مسطرة في الديوان العربي ، وان شئت قرأنا عليك منها ما تريد ! .

فتطلع النعمان يقول : سيعلم كسرى العظيم عن كل حسن جميل ولست اجعل ما كان عليه ال المنذر في امامهم الاخيرة من ضعف وانهاير ، وقد بحث فيما بيني وبين خاصتي الاقربين عوامل ذلك وادركت ما يجب ان ينهض به الملك في الحيرة عوامل ذلك وادركت ما يجب ان عن شيء سابق يرفعه الترجمان الى الملك العظيم ولكن اعالي مستصلا سريعا متحدة بما يرضيه ويغيبه وانسا بعد عبده الطميح ! .

قال الترجمان قم الى عمك ظافرا منصورا ، فقد اقررت عيني بك ، وارفع الى مولاي ما لمسته فبك مستهدا بعدي ، فيؤرك في البلاط وحاميك واولاده ما طمع ال المنذر من الملك في شروى تغير !

ثم نهض فنهض النعمان ، وخرج مع عدي الى اخوته ، فكان منظر التاج على رأسه مدعاة الدهول والارتباك في انفس الجميع ، اما الاسود فقد وقع على الارض مقشبا عليه ، ونهض اليه اخوته يسعفونه وينشلونه فصاح بهم : النعمان في غلظة واعتداد :

هيهو اخاكم ، واذهبوا امامي مسرعين الى الحيرة ، فاصل كالعتاد من تقاليد المناذرة بعد سبعة ايام في موكب الاساورة لاراكم جميعا في استقبالي مع المحتفلين على شفة السدير ، وقد أخذ على مولاي عهد ان اكل بكل متعذر من اخوتي قبل ان اكل بالابعدين .
وساد الصمت لحظة لحظة قصيرة فانبرى النعمان يقول :

لقد صار عصام بن شهيد حاجب القصر من الان ، وسيحمل اليكم منه ما يخصكم من متاع ، وهو وحده صاحب الاذن في الخورتق فاذا شئتم بعض الامر لدى فاستأذنوه ليجيب بما يشاء !
ثم انصرف النعمان الى الديوان مع عدي وعصام ، ليقضي ايام الضيافة السبعة في البلاط .

الاعوان في الاديب

يبقى عرضة للانظار شهرا كاملا

وفي مقال اليوم سأتناول أديبا موهوبا من السلسلة
المفقودة له مكانته الرفيعة في الادب الفلسطيني المعاصر
هو المرحوم بولس شحادة !

والداه ومولده ودراسته : والده - المرحوم شحاده
ابو جريس ، تلقى علومه في مدرسة الصليبية الارثوذكسية
بالقدس ، ووالدته - حنة بنت المعلم جريس ابي عبدالله
وقد اشتهرت بذكائها وظرف حديثها وروعة نكستها ،
وتميزت بالشجاعة والرجولة وكرام الضيف !

مولد المترجم له : ولد المرحوم بولس شحاده سنة
١٨٨٢ في مدينة رام الله وتلقى علومه في مدرسة
صهيون الانكليزية بالقدس ، وبعد ان نال شهادتها الثانوية
انتسب الى كلية الشباب « الكلية الانكليزية فيما بعد »
وتلقى الادب وفقه اللغة من المربي العربي الشهير المرحوم
نخلة زريق ، وكان التعليم اول عمل ناوله الفقيدي في مدرسة
الروم الارثوذكس بفزه ، وفي عام ١٩٠٧ نقل مديرا
للمدرسة الارثوذكسية في حيفا ، وما ان جلبته السياسة
الى رحابها حتى افخرط في حزب الاتحاد والترقي وكان
من اعضائه البارزين المتطرفين فسي فلسطين .

وفي مناسبات وطنية وقف الفقيدي ذات يوم في ساحة
الجريزة بحيفا ملثما بالعلم العثماني والتقى خطبة حماسية
دعما فيها العرب الى تحطيم اغلال وفك القيود والانفتاح
من استبداد الطورانيين ، وطالب بسقوط عبد الحميد
الطاغية وزبائنه فحكم عليه بالاعدام فقم المسؤولون بالقبض
عليه لكن اصدقائه غره تمكنوا من تهريبه الى القاهرة .
وفي القاهرة عاش خطيب الامة المشرقة حتى اعلان
الدينونة العثمانية وسقوط عبد الحميد ، وكتب فسي
طائفة من الصحف مقالات قيمة عالج فيها التربية والتعليم
ونشرها في المقتطف وعلق عليها الدكتور يعقوب صروف
بقوله : « انها خير ما كتب في هذا الباب ! » وخلال
وجوده في مصر ربطته بالمرحوم انطون الجميل صاحب
الزهور وبالفقيدي فيلكس فارس صداقة عميقة الجذور وكان
يحرر في المؤيد والهلال والزهور .

بعد الدستور : بعد اعلان الدستور العثماني عاد الفقيدي
من مصر الى فلسطين وعين معلما في المدرسة الارثوذكسية
بحيفا وفيها تعرف بالمعلمة ديدة قمرى كريمة القس سليم
قمرى فخطبها واقترب بها ، وفي عام ١٩١٠ نقل مديرا
للمدرسة الارثوذكسية في بيت لحم وظل يديرها حتى اعلان
الحرب الكبرى ١٩١٤ وفي هذا العام عين كاتباً عسكرياً
في بئر السبع ، وبعد فترة قصد « جنين » - من اعمال
فلسطين - وعين مساعداً صيدليا وعمل مع شقيقة الدكتور
نقولا شحاده الذي اختير عهد ذاك طبيباً لبلدية جنين
ومستولا عن مستشفى الجرحى العثماني هناك وفي عام
١٩١٨ فجع بقرينته « ام عزيز » وواراه التراب في قرية
ام الفحم من اعمال قضاء جنين .
في حقل الصحافة : ما كاد الفقيدي يخرج من الكلية



بولس شحادة

بولس شحادة

بقلم البدوي المثلث

تمهيد : هال صديقي الثابه الواعي الدكتور ناصر الدين
الاسد وافزع ، ان يواجه مؤرخ الادب الفلسطيني المعاصر
فراغا في ادب - الفردوس المفقود - ليس من السهل
املاؤه ، وحلقات مفقودة يعتمد على الكاتب المصور عليها
وربطها باخوانها !

والباعث على هذا الفراغ السحيق ان الذين تصدوا
لتاريخ الحركة الادبية المعاصرة في فلسطين اهلوا هذا
الجانب اهمالا غفويا ... وكان من اليسور تقادي هذا
النقص المحوظ لو ظلت فلسطين في ايدي اصحابها العرب ،
اذ بعد ان اغتصبها علوج الصهيونية وزبانية الاستعمار
ذهبت المكتبات العربية ، عامة وخاصة ، وولت مذكرات
الساسة وحلقة الاقلام في ايدي الغزاة ، وبذلك اتسع
الفراغ ، وتبعثرت حلقات السلسلة !

ورغم اليأس الذي ينتاب حامل القلم ، والالم الذي
يعتصر فؤاد الباحث المثق ، ورغم تحط الصادق وانعدام
الوسائل ، استطاع العامل الصامت المؤمن الدكتور ناصر
الدين الاسد ان يصنف كتابا قيمة ثلاثه هي :

- ١ - الاتجاهات الادبية الحديثة - في فلسطين والاردن
- ٢ - الشعر الحديث - في فلسطين والاردن
- ٣ - خليل بيدس - رائد القصة الحديثة في فلسطين
وفي مقالات متباعدة الازمان نشرتها « الاديب » الكبرى
بقلمي استطعت ان اصور بضع حلقات من السلسلة
المفقودة في فلسطين والاردن ، ورائدي الحكمة المأثورة
« ما لا يدرك كله ، لا يترك جله ! » .

عرب فلسطين اذا هم ثابروا على سياستهم السلبية في معالجة قضية الوطن الكبرى ، وفي عام ١٩٢٥ أسس مع اخوان له حزبا سياسيا معارضا باسم الحزب الوطني وكان يرأسه الشيخ سليمان التاجي الفاروقي .

ومن الانصاف للتاريخ ان نقول : كانت للفقيد يد طولى في اختيار الشيخ كامل الحسيني مفتيا للقدس واختيار شقيقه سماحة الحاج امين الحسيني رئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى وذلك بتأثير الاستاذ شحاده على صديقه السر وندهام ديدس اول سكرتير عام لحكومة فلسطين ، لكن شاب صداقته الحاج امين شيء من العداة نتيجة لتحوله السياسي .

نماذج من شعره : جنح الفقيد منذ فجر صباه الى الادب والشعر ، ونظم عشرات القصائد في سن مبكرة ، ويوم كان معلما في عكا اقترحت مجلة الهلال على الشعراء تعريب قصيدة انكليزية ، وعينت للفائز الاول جائزة مالية مقدارها عشرين جنيها مصريا ، وفي الموعد المحضروب كان الاستاذ شحاده الفائزة الاول ودونك قصيدة الفائزة بعنوان « لا يدق الناقوس في ذا المساء » :

ترقب الشمس في غمان المساء
فأله الله بالسنا والثناء
كجبال المسكوك والاسراء
وعليها من الجبال جلال
وعلا وجهها الشجوب اضطراب
نظرت شموس لندن وهي تعشى
فلا وجهها الجبال فنوط
لم كانت بذلة وانكسار :
على السرى في القفاوخي النور
وانسيري قلب الكتيب المعنى
ان لي في السجن صبا جيبيا
سجنوه ظلموا ولم يرحموه
يعرج الجناني امنا مطمئنا
ظلمات السجن يا شمس اضحت
هكذا تحكم التوايس في الار
ذكرت ذلك الكلام وقسالت :

ايها الخادم اللطيف رويدا
ارحم من في السجن يات يولسا
وتنجن عسلى وارث لحصالي
فحببي في السجن يلقى ردا
هكذا تآخذ التريسة مج
فاذا كنت في زمانك صبا

ايها الفادة التي لا تحسائي
عشت ما عشت خادما مستقيما
يذهب الرء للخلود ويبقى
واجبي سنيني ومجدي وفجري
فهنيئا كل من قام بالوا
هكذا اذلت الثرى مطمئنا
قد خلتنا الواجبات فاذا اك
هكذا ادخل الثرى مطمئنا

الانكليزية بالقدس حتى شرع يرأسل عدة صحف عربية وكانت مقالاته تحت عنوان « اشواك وازهار » في جريدة لسان الحال البيروتية من خير ماكتبه في فجر صباه . وبعد ان وضعت الحرب العظمى اوزارها وخمدت نامتها جاء القدس واصدر فيها جريدته مرآة الشرق باللغتين العربية والانكليزية ، وصادر العدد الاول منها فسي ١٧ ايلول ١٩١٩ فكانت اول صحيفة عربية صدرت في فلسطين بعد الاحتلال البريطاني . وفي عام ١٩٢٣ اقترنت بالادبية الراقية السيدة ماري صروف من مواليد بافا وقصد عرفها بمقالاتها التي كانت تنشرها مرآة الشرق وفي عام ١٩٢٩ اغلقت حكومة الانتداب هذه الصحيفة الجريئة الى اجل غير مسمى لنشره قصيدة من نظمها دعا فيها الشبان العرب الى الثورة على البقي ، والتمرد على الطغيان ، فجز في نفسه هذا الجواز الصارم فلا بداره مغلوبا على امره الى ان لحق بربه !

في معارف فلسطين : وبالإضافة الى عمله الصحفي المرقع عين استاذ للتاريخ والادب العربي في المدرسة الرشيدية بالقدس خلال سني ٩١٩ - ١٩٢٢ .

من اناره القلمية : وفي عام ١٩٢٤ صنف كتاب « تاريخ القدس » بالاشتراك مع صديقه الدكتور خليل طوطح وفي عام ١٩٢٤ عرب عن الانكليزية رواية « حسن » وهي في الاصل بقلم أحد قناصل بريطانيا في بيروت ، فسيها الفقيد في قالب تمثيلي موق ومثلت هذه الرواية على مسرح جمعية الشبان المسيحية بالقدس ووصلت ريعها لمدرسة بيت لحم الوطنية لمؤسساتها الفيدرتية شفيو .

الحقل الوطني : من البديهي ان يجلب النشطاء الوطنيون هاوي الصحافة الى هيكلها فيدخله طامعا مختارا ، فكان الفقيد عضوا بارزا في اللجنة التنفيذية الفلسطينية برئاسة المرحوم موسى كاظم الحسيني وكانت تتألف من ٤٨ عضوا ، وظل يعمل فيها بلا انقطاع خلال سني ١٩٢٦ - ١٩٣٨ .

وانتخب الفقيد عضوا في المؤتمر العربي الفلسطيني الاول المنعقد في القدس وعضوا في المؤتمر العربي الفلسطيني الثاني الذي حظرت حكومة الانتداب عقده في فلسطين لكن المترجم له ونفرا من اخوانه العاملين في الحقل القومي اعتبروا مؤتمرهم الثاني منعقدا في فلسطين واتخذوا مقراتهم في دمشق .

وانتخب صاحب مرآة الشرق عضوا في المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث المنعقد في حيفا وعضوا في المؤتمر الخامس المنعقد في نابلس ، وتميزت صحيفته مرآة الشرق بانها كانت مسرحا لآلام المعارضين الفلسطينيين ، وتميز صاحبها بالجرأة ونقد العاملين في الحقل الوطني ، وكانت سياسته تقوم على اساس « خذ وطالب » فقاله من جراء معارضته عنث كثير ، وندج مقالات في صحيفته تنبأ فيها بالمصير الاسود الذي ينتظر

سفعت ذلك الكلام فسالت
وأصاب الفؤاد منها خلق
وترادى لها السجين قبلا
وتجلى روح الحبيب لديها
وعلى من الصياء وشباح
ونعى الحياء في وجنتها
وأشارت إلى السجين ولسات
أيها الخل عش هنيئا معافي
ودنت ساعة القضا فمادت
وغشى الكون والانس سكون
وتوارت في البحر شمس المالكي
وأمدت ذات المفاف بفكر
ففتحت سلم الكتيبة ففرا
ولسان النافوس قد أمكنه
خطر واللسان في قبضتها
حين دق النافوس شيخ أصم
منظر له من مثال
مثله قضا لندن يوما
غادرت قبة الكتيبة سكرى
وكروملا شاهدت من بعيد
وارنه الدماء في وجنتها
ثم فالت برقصة ودل
أصف عنه مولاي وارث لحالي
أيها القادة اذهب بسلام

ميرات المنيحة الجنيحة
تخفقو الذبيح وسبب الماء
فانما بين أرضها والفضاء
مكنا حاملنا بتدود الوفاء
فاستارت بنوره الوفاء
تشمسي الصهبا في الاعتفاء
بتشان وعزة وإبراء
لا يدق النافوس في ذا المساء
راسيات الجبال وسط العراء
سككون الأجسام بعد العاء
بعد أن ودعت نسي الأحياء
لم تلده فرائح التهرءاء
مثل فطر القباء في الصحراء
بيدها في القبة العلياء
مثل لمن يلحوق وسط الهواء
قد برته يد الفنى والبلاد
منذ سوى ربي بنسى حواء
فتفتى الداني بها والثاني
من دماء الجروح لا الصهءاء
فجرت نحيوه بلا انبطءاء
وارته تهشم الهيءاء
وانكسار ولهفة وعناء
يا معزي السالكين والبؤساء
لا يدق النافوس في ذا المساء

وفي عام ١٩٢٩ اقترحت الهلال على الشعراء ترجمة
أبيات انكليزية الى العربية فقال الأستاذ شجاده الحائري
ودونك الفائز :
تفتي العصر الجديدة ناسا
وتسير الدنيا فتفتق فيها
وفي عام ١٩٤١ ، والحرب الثانية مشتتة الظل ، نظم
قصيدة نورية ثلاثة أناشيد شجب قسي النشيد الاول
الديكتاتورية وأشاد بمحاسن الديمقراطية في النشيد
الثاني وصور في النشيد الثالث النصر على قاب قوسين ،
ودونك تلك القصيدة :

النشيد الاول

جلت بين الكواكب الزهر حرا
وتركت الربوع التي انجبتني
سائتي النجوم عما اتى بي
قلت يا زهر اني شاعر جئتلكو
ان في أرضنا الجميلة قوما
نخلو الفقر والغاية ديننا
فيبدوا الفكر واللسان بفعل
فناشوا الأبرياء من غير ذنب
تبدوا الدين والشرائع والأخ
اي بيت لم يتكوه خرابا ؟
جعلوا الأرض طقسا من حبيب
يا نجوم السماء هذا حديثي

وفعلت الفضا طيا ونشرا
ولسائي من الفواج سكرى
ولماذا أبكي بكسما مرأ
لاله السماء تكرا وفجرا
ملاها بؤسا وظلما وكفرا
شربوا الالم والدمارة خمرا
ورأوا في الحروب مجدا وفجرا
وأماوا الشعوب جوعا وفجرا
لاك والعرض والفضائل جهرا
اي أرض لم يتكوه خرابا ؟
واسالوا الدماء فيها نهرا
سكتبته دموع عيني درا

النشيد الثاني

ماجت الأرض والسموات لما
رن صوت الاله في الاذان

وتجلى الجبار في موكب التور
انساب السما والأرض والبحر
اتى رب العالمين جميعا
قد خلقت الانسان حرا تريبا
يسرح الطير في الفضاء طليقا
امر الناس بالآخا والسواة
ان في العدل نعمة وحياة
فل هو الحق قوة ليست القوة
واستمره في الامر قول صريح
أمرهم شوى بينهم هو شرعي
هكذا هكذا تعيش البرايا

ونادى بالقر والسلمان
مصدر الخير والهدى والعتان
ذا فؤاد في ذا وجدان
وفي حبرا على الانسان
وحب الانسان للانسان
وهو أس السجود والعمران
حقا ذا منهجي وبياي
يسير على مدى الايمان
راسخ في الانجيل والقرآن
بسلام وبطيرة وامان

النشيد الثالث

أيها الشاعر الكتيب تيسم
وتجلد اذا الصالح حلت
وترسم فاصغر ات قريبيا
سيود الخلاص لك فيقبل
وتفتي الاجيال اغنية النصر
يدل الربيع برقي بنسرا

ان بعد العصر الشديد ليسرا
كل ليل لا ريب يغيب فبرا
يعصر الخير في الختام الثرا
وبعصر السلام برا وبعرا
وتلو النشيد حمدا وشكرا
وتفوح الرياض طيبا وطريرا

وفي أخريات أيامه نظم « أبو عزيز » يرحمه الله
البيتين التاليين وقد اصطبغا بصبغة خيامية فلسفية :

سبحم الرباب يوما رفائي
وفرامني بطل في الأرض ذكرى

وقبل وفاته بأيام نظم الفقيه قصيدة بعنوان « قيثارة
الحب » منها قوله :

ايه فتفتي لك الكتب اواب
فازني سرمدنا نظم الحب
عاطفي الاوراق من اقليل حبي
واذا ما الطيور في الروى غنت
سكرك الزهر يسوم اودعت حب
وحياي قصيدة نسجتها

وروي يغيب بالانفاس
الى ان يغيب في احلامي
واقاني الاحزان من الامسي
كان في شدوها صدى الهامي
في نسايا الاوراق والاكسما
ربة الشعر في سكون القلام

نموذج من نشره : وفي ربيع عام ١٩٢٠ نشر الرحوم
شجاده مقالا في الهلال على صورة تأملات وخواطر ،
وفيه تناول عصبة الامم فلاقت تأملاته وخواطره استحسان
ذوي الاقلام الحرة والانكار النيرة ودونك بعض ما جاء فيه :
« ليست عصبة الامم الا حلما من الاحلام الجميلة
التي دغدغت ادمغة الرجال العظام فقد خلق هؤلاء بارواحيهم
في الملا العلوي ونسوا انهم عاشون على الأرض ، أرض
المطامع والفساد ! »

ها قد مر نحو الفين وأربعمئة سنة على نبوءة اشعيا
والعالم لم يطبع بعد سيوفه سككا وراحه مناجل ، بل
بعكس ذلك فان الآلات الجهنمية بلغت مداها البعيد ،
وهذه الآلات الفتاكة ترقى وتتقدم بارتقاء الانسان وتقدمه ،
وبين السلاح في العصر الحجري وبين المدفع والصاروخ
في العصر الحاضر من الفروق ما بين انسان الاول وابن
لندن وباريس ونيويورك وبرلين !

يوهنا الرومانيه

تدق اعماقي
يدبل اوراقي
لون احداقي
وشوش اشواقي

سحاب الوحده عبر الطريق
والغربة النكراء سد عميق
والهم مثل الليل ليل الغريق
في الفجر العاتي كموج صفيق

من اين يا حلوة ؟
ام امطرت ثروة ؟
وخالق النشوة
ونحن في شقوة ؟

سالت جاري الطو في حاننا
من اين جاء الحسن من ارضنا
يا باعث الرائع من شعرنا
ايجمع العالم في جنبنا

وسالت الحلوة في الكف
كما تسيل الخمر في الجوف
ومر ليل الحلو كالطيف
سرت من الحان الى جنبه
الشقيق طيباه
ارشيق انواريه

http://www.babbar.com

بالبحر جمع من اغاويدي
قبلته من كل اعماقي
لوعده ات
لكنه ما جاء في الموعد !

فأطبقت سحاب الوحده
والضجر العاتي

هلال ناجي

بغداد

كلما احتاجوا اليها !
هذه عجالة قلم صورنا فيها ادبيا ملهما من ادباء فلسطين
الاعلام الذين تنارت حلقاتهم ، وتطايروا حباتهم ، وهبها
ان ينظمهم عقد واحد او سمط موحد !!

البدي المشم

عمان

للساسة كلمات منمقة يخدرون بها اعصاب شعوبهم
وليست عصبة الامم الا من هذه الكلمات الجديدة التي
تتخدر بها اعصاب الناس الى ان لا يرى ساسة الطامع
فائدة منها فيفتشون في حقايبهم ويقلبون دفاترهم لعلهم
يجدون الفاظا اخرى يخدرون بها الامة ويحملونها على
الماعم ، وهم لا يعدمون مثل هذه الالفاظ المنمقة الخلاصة



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

إيمان .. وكفر

http://Archive.beta.Sakhrit.com

قلت : انك وضعتني بين من يحدون الناس بأقلامهم، وهؤلاء الذين أسير بينهم يحدونهم بالادب ، فلا يفيدون مما يحيط بهم من احداث ، اكثر من اقتباس مشهد او تنزاع صورة ، يتكئون عليها حين يكتبون ، ويفرغون فيها من جهدهم الفني ، ويسبقون عليها ثوبا من الخيال ، يجعلك لا تعيدها الى الواقع الذي حدثت فيه الا بصعوبة وجهد ، ومن اجل ذلك فهم لا يدخلون في مجال السياسة، الا اذا كان هذا المجال ركيزة يقيمون عليها صورة من صور ادبهم .. ، والادب - كما تعلم - يلزم جانب السلامة ، فلا يصطدم بأحد ، ولا يتخذ خصما يجابهه بخصوصته ، وانما هو يلامس اطراف الحقيقة ملاسمة طابعها الرفق والتودد واللين .

وكنت اصادف يوما هؤلاء الذين يدخلون معترك الاحداث ، ويعتقون المبادئ الحزبية ، ويندفعون في غمار هذا المعترك طاقة جهدهم ، ثم يتلفتون الى والى امثالي ، ممن لا يسبرون معهم ، فيتهمونهم بالجمود والتخلف .. بل ربما اسرف بعض المتحمسين منهم فانهموا من لا يسير في ركابهم بالانحراف .. وعدم الاتزان .. والعمالة .. وما الى ذلك مما يمتلئ به قاموسهم ..

وها هم اليوم يتراجعون عن سيرهم الجامع، ويتنكرون لذلك المبدأ الذي ساروا خلفه بدافع من العاطفة ، وناضلوا تحت رايته الى ما يبلغ حد المجازفة والتفريط ..

اجل .. انهم يتراجعون عن ذلك كله ، يتراجعون عن ايمانهم الصاير العنيف المتطرف ، الى كفر اهوج

فاين تريد لي ان اقف حبال هؤلاء ابعد من حدود ذلك القول المأثور : « اللهم حوالينا ولا علينا .. »

كلا يا اخي . انني لا ابيع لنفسي ان اجاوز ذلك الى اكثر من ان اقول : ما كان اغناهم عن ايمانهم ذاك ، ثم ما كان اغناهم من بعد عن كفرهم فيه !

وحين بلغت هذا المدى من كلامي ، قال صاحبي يؤمن على قولي :

« صدقت .. ما كان اغناهم عن ذلك الايمان .. وهذا الكفر ! .. »

ذو الوجهين ..

عرفته واحدا من آحاد ، طالما دفعتهم الحياة فسي طريقي ، و طالما دفعتمني في طريقهم فعرفتهم او عرفوني . وجمعتني به مصادفة ، وكان ذلك في مجلس عقدته احدي هذه المناسبات التي كثيرا ما تعرض في حياتنا ، وفيما نحن نخوض في مختلف القول ، دخل علينا رجل لم يلبث ان هب صاحبي يستقبله ، ويقدمه لنا بهالة من المدح والثناء ، ولم يكن في ذلك ما يلفت نظرا او يشير

جلست اليه - بعد غيبة طويلة عن مجلسه - اجاذبه اطراف الحديث على نحو ما تعودت ان افعل معه ، فاذا به يختزن كلاما كثيرا في نفسه ، فينطلق يتحدث به كأنما هو برخي عنائه جملة واحدة . ويقول فيما يقوله - وهو كثير - : « اين انت من هذه الاحداث التي ما فتئت تتصارع من حولنا ، فيحطم بعضها بعضا ، ويقوم احدها على انقاض سواه ؟؟ اجعل اين انت ؟؟ قل فاني متشوق لان اسمع رأي هؤلاء الذين يتحدثون الى الناس بأقلامهم وانت واحد منهم .. وان تواضعت ! »

قلت : عهائي بسؤلك انه عميق .. متشعب المسالك .. سائلك الدروب .. في كل متجه منه هابوة سحيق ، طالما افزعني ان اطل منها او اشرف عليها .. ولعله يتقذني من ذلك كله ان اندرع لك بان موقفي لا يجاوز حدود ذلك القول المأثور : « اللهم حوالينا ولا علينا .. »

قال : « وان هذا الجواب لن يسكتني عن ملاحظتك بالسؤال اياه ، فاين جوابك ؟؟ جوابك الذي يمسلا جوانب الحقيقة .. »

تساؤلا . ثم أنصرف الوافد عن مجلسنا ، فما كان من الملاح القمالي في مدحه الا ان نزل في ساحته ولم يترك عيبا الا ونسبه اليه . وقال لي قائل كان الى جانبي : افلا سألته اي قوله هو الصواب ؟ قلت : سوف افعل ذلك .. فامهلني ..

وسألته وما زلت اترقب اجابته ، ولئن اردت ان تعرف كيف كان سؤالي قدونك :

تلافي بوجه صديق حميم
فهذا (فلان) منتنى حل كسا
زكا فرعه فهو فد الرحال
ماتره فسوق علم العليسم
وان غساب اصبح دون الانام
يعيش على التماس عينا ثقيلا
فيا صاع اترك امر عجيب
فهب ان قولك عين الصواب
وفي الغيب تفعل فعل المعادي
ن رفيع العماد طويل التجاد
ورمز الكمال وفقر البسلاد
وفي قومه كم له من ايادي
يحاسب في الفول حر الهادي
ويذكر بالدم فسي كل ناي
ووصلك يفسحك صمم الجهاد
ففي اي وجهيك وجه الساد ؟

عند سدره المنتهى ..

رأيت هناك ..
بعيدا هناك وراء الاجيال ..
وهو يوغل في السير بين كثبان الرمل المتعاجة على رأس جيش جرار ، وقد اخذ منه ومن صحبه العطش كل مأخذ ، وتناقل عليهم من الحر الانعاس ما تخور له العزائم ، وهم يتجهون الى تبرك على حدود الشام ، ويرسلون الرسل عن يمين وعن شمال يستحثون لهم عن الماء ، وهم جميعا معلقون بخيط واحد من رجااء ، ما لم يرفع ما تقطعه ضراوة الياس ، فيبدو من ودائع شبح الموت يطل بوجهه البغيض ، ويقترب خطوة اثر خطوة .
وفجأة ، وعلى حين غرة يتكاثف فوق رؤوسهم ضباب ، لا يلبث ان يتعقد سحبيا يطرهم مطرا وابلا ، يستقون منه ما شاؤوا ، ويملاؤن اوعيتهم يتزودون بها لما بين ايديهم من مراحل الطريق ..

وتتجه انظار الجند الى قائدهم العظيم ، الى نبههم المرسل ، ليقولوا له : « انما هي معجزتك يا رسول الله .. » ولكن النبي الصادق الامين حاشاه ان يستغل ايماننا اوحت به مرارة الحاجة ، ويسكت على وهم اطمأن اليه اضحابه ، فبرد عليهم قائلا : « انما هي سحابة مارة .. »

ثم رأيت كرة اخرى ..
وبعيدا وراء الاجيال ..
رأيت يقف على حافة قبر صغير ، يوارى به طفله الوحيد ، الذي كان بسملة الرجاء بعد الياس ، اذ رزقه حين بلغ الستين من عمره . ولم يذهب به الجزء كل مذهب ، بل اعتصم بالصبر ، وسلم امره لقضاء الله .
وتشاء المصادفة ان تكشف الشمس يوم وفاة ابراهيم ، فتبهامس الناس فيما بينهم : « انما معجزة اكرم الله

بها بنيه .. » . ولكن النبي الصادق لا يقبل ذلك ولا يسكت عليه ، بل لا يمنعه ما هو فيه من هم وحزن ان يفتنم اجتماعهم للصلاة ليقول لهم : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا تخسفن لموت احد ولا لحياته ، فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله بالصلاة .. »

وطاطات راسي اجلا لا امام الانسان العظيم ، الذي بلغت عظمته الذروة والنهاية .. امام النبوة الصادقة التي تأنف ان تردى الى الدجل والتلفيق ، ونظل في سموها وارتفاعها تحارب الاباطيل ، وتقف عند حدود ما يطعن الى المنطق السليم ..

كان ذلك كله يمر تباعا في ذاكرتي وانا استعرض قصة الاسراء والمعراج حين اظلتنا ذكرها . قصة الانسان المختار الذي ارتفع الى المالا الاعلى « عند سدره المنتهى » عندها جنة المأوى ، اذ يفسى السدره ما يفسى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى .. »

رأى ذلك وحشد الناس عنه ، فكانوا بين مصدق ومكذب وكان حربا بمن كذب منهم ان يذكر له موافقه ، موافقه تلك التي حدثتك عنها ، وما اكثر مثيلاتها في حياته . وهيبات ان يصدر عن كان ذلك موقفه غير الحق ، وحاشاه ان يتحدث بغير الصدق ، حين يحدث الناس عن معجزة الاسراء والمعراج ..

معجزة السماء ..

هناك .. في « بيت لحم » ، على هضبة من هضاب الارض المقدسة ، اهل وجه المسيح الطفل ، فحمل الى الدنيا المولود . يظن الجحود بشرى السلام والمحبة ، واهل معه ضياء من الايمان ، اشرفت منه نفوس ، واضاءت بصائر ..

وهناك .. في الغار الذي آواه ليلة ميلاده ، والدمود الذي تلقاه بعد ميلاده .. هناك مكان تتجه اليه القلوب ، ويؤمنه الوافدون بظليون البركة ، ويلمتمون العبرة في موضع القدسية ..

ولكن ما سر هذا المولد العجيب .. وفي م يحيى الى دنيا الناس طفل من غير اب ؟ .. نعم . ما سر ذلك ! اتراه بعيد المثال ، لا تصل اليه الابصار ، ولا تحيط به البصائر ؟

انه لكذلك ..
انها معجزة السماء الى الارض ، وان الانسان قاصر بتفكيره الادمي عن ان يحيط بما في السماء من اسرار ، ولا عجب ، فمن اين المخلوق ان يلم بأسرار صنع الخلاق ؟ ! ..

من اين له ذلك ؟ !
وانى له ان يصل اليه ! ..

ملهمتي

الى الشاعرة الفتاة « س » التي نضرت فجر شبائي بالشذا والاربع
(من ديوان شاطيء العمر الذي يصدر قريبا)



وملأت من حان الاسى اكوابي
عبر الظلام فغال كل رغبتي
ربح الفناء ... ولدت بالحرب
كأس الدموع ، وعلم الاوصاف
واللحن يأتي من وراء ضباب
شجنى الريح .. ورجفة الاعصاب
شعري .. وهل في الكون غير ربابي؟

سربت بالاحزان فجر شبائي
ونثرت احلامي وكانت جملة
وتركت اصداء الخلود تنوشها
اقتات من زبد الهموم واحتمى
اهفو الى الناي الحزين منعما
وتثير احزان الفروب مدامعي
دنياي اشباح المغيب وعالمسي

واهز قلب الصب ... والمتعابي
واظن محروما ... من الاحباب
في قلبا يرود مجاهلي .. وخرابي
دونى - على الايام - كل حراب
من ملهم يحق علي اعصابي
دنياي بعد تجمي ... وضباب
يا للربيع بسحرة المنساب
يا لطلوع الفجر ... قدامك
وجدت فيك غداء قلبي الصابي

اشدو قابكي الطير في اعشاشها
واعيد للعشاق فجر غرامهم
ويعيش قلبي في الفراغ فلم اجد
وبقيت كالحصن المتيع تحطمت
وتعت من سحري الطويل مجردا
حتى رايتك في الحياة فاشرفت
ونقلت اعواس الربيع لعالمسي
واحلت صحرائي للجفافة الجفافة
وعرفت فيك الدين والدنيا معا



نور الوجود ... وروعة الحراب
مثل العقيق ... وفتنة العناب
ثم انشئ خجلا وراء نقاب
فيك الضلال .. وفيك انت صوابي
احببت روحا شع ملء اهبابي
قد هز اوتاري وفجر ما بي
وصحبت روحك بين كل كتاب
ارنو اليها بعد كل ايساب
ذقت الفراغ ... وذقت كأس عذاب
لا من لداتك ... لست من اترابي
يا روح احلامي وفجر شبائي

عينك كالبحر العميق رؤاهما
شفائك - يا دنياي - سحر هاديء
والوجه بدر راح يسبح في الرؤى
يا نور ايامي وقدس ملاعبي
انا ما عشقت جمال وجهك انما
قدست فيك الشعر فنا خالصا
وقرات كل قصيدة قد صفتها
وتخذلت صورتك الحبيبة قبلتي
لو كنت يا دنياي لي وحدي انا
لكن نفرنا عوائق جملة
حبي القصيد .. وحسب انك ملهمي

عبد العزيز الدسوقي

القاهرة

وقد اخذتها سنة من نوم وهي
جالسة .
قال لها الخادم - مخابرة لك من
بلدة بعيدة .

وسمعت صوت امها - كيف
انت ؟ ازعجك السفر ؟ كيف قضيت
ليلتك ؟
اجابت : - ليلة هادئة . نمت
جيда .

قالت الام - هل استعديت
للغصص ؟
قالت - لا يكن لك اي انشغال
بهذا الامر .

قالت الام - ساخبرك غدا .
قالت - الى الغد اذن .
قالت الام - الى الغد .

انها تسير في الغرفة ذهابا
وابايا . هذه الغرفة واسعة . اوسع
من تلك الغرفة . ثم ان ليس لها
نافذة تشرف على اسطحة مجاورة .
طلبت من صاحب الفندق ان يبدل
لها غرفتها باخرى فلم يتوان . يجب
ان تمام طويلا ، ان تعوض عن ليلة
امس . نافذة هذه الغرفة تطل على
الشارع ويمكنها ان ترى منها
الشاطئ البعيد وانوار القوارب .
قوارب الصيد . ارتدت قميص
نومها بسرور ودلفت الى الفراش
وشردت باصبعها على مفتاح النور ،
وفجأة تذكرت ، امادت النور الى
الغرفة . كيف لم تنبه الى هذا
الباب الزجاجي المظلي بلون الحائط .
ان هذا الباب معقول . اجل . ولكن
هذا الباب الى اين يؤدي ؟ الى سلم
بناية اخرى . الباب الخشبي هذا
يؤدي الى حجرة الاستقبال فسي
الفندق اما هذا الباب فالى اين ؟
لعل احدهم لديه مفتاح هذا الباب ،
هل تمام ؟ هذا غير معقول ابدا !

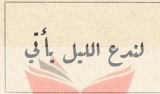
وفجأة دوى صوت وتلته اصوات
من الطابق الاعلى . من على يحدث
هذه الاصوات كلها . كأنها تسمع
صوت استغاثة ، امرأة تستغيث .

ضخم . كان يرفع المقاعد من على
الرصيف ويعيدها الى الداخل .
زوجته تفسل الكؤوس في المطبخ .
انه يصفر نسيدا .

امام هذا المقهى ، باب مربع ليلي .
يقف قرب الباب فتى اشقر الشعر
مورد الوجه معتدل القامة ، يرتدي
ثوبا ابيض ، كان هذا الفتى ينتظر
شيئاما .

من على طرفي الطريق سيارات
تنتظر اصحابها .
وهناك في الزاوية فتح للتو باب
وشدت يد تحمل اسوارا كتف رجل
سكان كان يمر .

اغلق صاحب المقهى مكانه ولحق



بقلم الأستاذ رينه عبودي
بوجهة في السطح اعلاه
الصحن . كان الرجل مهيب الطلعة
وسمات الصحة تبدو على وجهه .
اما زوجته فقد كانت امرأة متزنة
الى حد ما .
وبقي الفتى ينتظر . كأنه عروس
في ليل زفافها .

الحر لا يطاق لتغلق النافذة . ولا
يمكنها ان تمام والهرة السوداء تسير
ذهابا وابايا بخطواتها المخيلة .
اوراق مراجعة فحوصا ترقد فوق
السريр . غدا موعد فحصها .
واليوم اول يوم لها في المدينة .
موسيقا كتيبة تتوافد اليها . الهرة .
انها تنظر بياس .

وفي اليوم التالي حين قرع عليها
الباب كانت ماتزال على حافة السريр

فتاة تغالب النعاس في غرفة
فندق . سرير حديدي ، صوان
خشبي تجاري ، منضدة قديمة ،
مقعد واخيرا نافذة بقضبان حديدية
تشرف على اسطحة بناية مجاورة .
الفتاة تغالب النعاس خوفا من
الهرة ، هرة سوداء كانت تسير على
الاسطحة المجاورة وترمق الفتاة
في الغرفة .

اصداة موسيقا بعيدة كتيبة تاتي
من الشاطئ . الصباح في سقف
الغرفة ينير جدرانها بياضا عاربة .

غير بعيد عن الفندق حانة يكثر
فيها الدخان . امرأة في الاربعين
ترتدي ثوبا اخضر فاقع تصيح وهي
تمد ذراعيها : اقرب ، اقرب ، اقرب مني
اكثر .. المطر لا يتقطع عن الهطول .
الجمهور لا ينظر اليها ، ثمة كهل
اصلع يطرب للاغنية ويستعيد ابياتا
منها .

وغير بعيد عن الفندق ، كهف من
الكهوف التي يحفل بها شاطئ
المدينة ، كان يجلس فيه رجل فسي
الثلاثين يرمق الحائط . امرأة شابة
تقترب منه ، يهر رأسه نفيا . تبعد
هزيلة ، شاحبة متعبة ، الى غيره .
كان يدخن ، شارب رقيق اسود ،
شعره كذلك اسود ، حاجباه وعيناه .
لمس ذراعها العاري كشفه ، ظم يابه ،
فتلاشت فسي الدخان والضجيج .
دخلت للتو فتاة مشوقة القصد ،
تحولت العيون تمنع فيها النظر .
لم تكن شاحبة ، بل في مقتبل العمر ،
كانت ترتدي غلالة بياضا . كان
عليها ان ترقص للجمهور ولم تكن
تحسن الرقص كانت تدور فسي
الحظقة مع زميلات لها ، ببرود
الضم . الرجل ذو الشارب الرفيع
كان ينظر اليها طويلا .

وغير بعيد عن الفندق ، مقهى
صغير لاحتساء الجمرة . صاحب
المقهى رجل في الستين له كرش

غفران

وإذ بثوانيتها كأيامنا تعدو
إذا ما ذكرناها بحرفنا الوجد
وأقسم : أيام الشباب هي الخلد
فلما التقى جفن من يأسه البعد
بيننا فصورنا جد في محوها الهد
ولا دام من أنسابها ذلك الرند
أما أن للحجاب من غربة عود ؟
فيا ليت من نهواه في ليلنا يبدو

حبسنا ليلينا تطول ونمتد
رفيق الصبا عننا حياة هنيئة
يقولون : خلد الناس في المال والفتى
وكنا نرجي الدهر يجمع شملنا
إلا فائس الله الزمان فكلمنا
فلا بقيت نغمس نفيًا ظلمنا
أخي .. وبلاذ الله تفصل بيننا
نعيش على الذكرى ونفتات حلمنا

وفد نفع الأوداج من حننها العقد
وفد كثر الواشون وأرطعت « هند » ؟
فان شيع المرفسين هو العهد
وليس لبولوا زمان ولا بعد
ونعتني العشاق أني مرند
يؤرفني ذكر المليحة والفسد
نخيلت ذاك الصدر جملة النهد

وفاللة ... واللؤم ياكل صدرها
كفلا .. أما تنسى عهودا قطعها
فلنت : لربني أجرح الشجو والاسى
نموت ونحيا .. والاسى يبعث الاسى
وأخشي مقال العادلين - لقد سلا
وتكت إذا ما اهتز غصن بروفة
وان نظرت عيناي رمان أبكة

ويحيى أماتينا الصباصة والود
وأما غفرتم زاد في الطاعة « العبد »
وزندا لرد الكيد أن أحو الزند
فلم تغفل الحراس أو نرفد الجند
واتكم الملاجى واتكم القصد
وما قبلكم قبل ولا بعدكم بعد
واتم لنا المال المجمع والرند
وليس لنا الا التودد والحمد

أخيائنا .. انما نعيم بذكركم
فان تغفلونا نحن اسرى غرامكم
وكنا لكم حملا بدو من الحمى
وكانت عيونى في هوائم سواغيرا
وذهبي في الناس اني احبكم
وما لولاي ان يحل محلكم
واتم لنا روح وراح وسوسة
وتضع عنكم ان فكركم بقلبي

حصى

عبدو مسوح

لا ، أنها تخيل . كم هي الساعة
الآن ؟ الثانية بعد منتصف الليل .
كان عليها أن تنام مبكرة ، حين كان
الفندق يحفل بحياة كل يوم ، حياته
الرتيبة ، جلست تطالع بدل أن تنام
وها هي هذه الأصوات وها أن
الساعة تشرف على الثانية .. أنها
تشعر ببرودة غريبة ، تلفت حول
نفسها . لا يجب أن تترك النور
هكذا في الغرفة ، الباب زجاجي
ولو أنه مطلي بالدهان ، ومن يعلم ؟
الأفضل ترك الأشياء وكان كل شيء
طبيعي ومن الطبيعي أن تكون في
مثل هذا الوقت نائمة .

شدت على المفتاح وأبقته قريبا
من يدها تحت الوسادة . أن الأصوات
تعلم من حين لآخر . وقع أقدام
مسرعة . شيء برطم . أن خديها
حارنان ، أما يدها فباردتان . وهكذا
أقدامها . أخفت رأسها تحت
الشراشف أنها تريد أن تفكر بالجامعة
الصارمة التي دخلتها اليوم ،
بالأساتذة ، بالطلاب ، بالطلبات ،
بالمشاكل البروتوني في باحة الجامعة .
قال لها أحدهم - يبدو أنك
ليست من هذا البلاد ؟

أجابت بحياء - كلا
قال لها - لقد ظهر لي ذلك
سريرا .

ثم أضاف - إذا احتججت لأي
شيء هنا فانا في الخدمة . اني على
بصيرة من أمر هذه الجامعة - ولو
اني رسبت ثلاث مرات .

أنها تبسم لنفسها ورأسها تحت
الشراشف وفجأة ابتنت نفسها على
التفكير بأمور تافهة بينما هي تحتاز
خطرا الآن هنا في هذه الغرفة
ولهولها سمعت صغيرا طويلا كأنه
نداء ، ثم صغيرا آخر ثم بين كل
لحظة وأخرى . ما هذا الصغير ؟
ارتعشت . أفكارها تدور سريرا .
شفتها تتحركان بصلاة . والصغير
يختفي ثم يعود من جديد . كانت
تريد أن تنهض من السرير إلى
النافذة لتنظر ولكن شيئا ما كان

عادت متمهلة إلى السرير ولم تكد
تضع رأسها على الوسادة حتى
نامت .

وفي اليوم التالي لم تتردد عن أن
تقول لأمها .

- أجل قضيت ليلة هائلة ، نمت
نوما طويلا ولكن اعتقد بان الأفضل
لو بحثت منذ اليوم عن غرفة
استأجرها لدى عائلة ، عائلة
محترمة .

وحين أعادت الساعة إلى مكانها
من الآلة قالت تسخر من نفسها : لم
تحرري بعد يا فتاتي .

ريته عيودي

حلب

يقنعنا أن نظل حيث هي . وأخبرا
سمعت صوت سيارة تقف وصوت
ضحكات متتابعة ، فقزت من
فراشها هذه المرة وقد شجعتها هذه
الضحكات وركضت إلى النافذة .
قرب الرصيف حيث وقفت
السيارة كان شاب يعانق فتاة على
خدها وشاب آخر يودع صديقته .
وغير بعيد كان جماعة من عمال
البلدية يسكنون بمكانس وممسحة
ويصفرون لبعضهم البعض
ليجتمعوا .
كان الفجر قد بدأ يشق دربه إلى
السما والشاطئ البعيد يكتسب
زرقة .

لم تعد مهمة الكاتب اذن المتعة الفنية فقط دون ان يضمن عمله اية فكرة ، ولكن اصبح الكاتب يهتم بالعمل الجميل المتقن والفكرة التي يريد ان يوصلها الى الجمهور سواء كانت فكرة اجتماعية او اخلاقية او سياسية او فلسفية ، اي لم يصبح اخراج العمل الادبي في صورة جميلة هو الاساس دون الاهتمام بالاقتدار ... وهبل اهتمام الكاتب بفكرة معينة يشغله عن اتقان عمله ؟ بالطبع لا ، فدعوة الكاتب لاية فكرة اجتماعية او اخلاقية .. التي لا تشغله عن اتقان عمله واخراجه في صورة فنية جميلة متقنة . فالكاتب اليوم يحس بمسؤوليته وبالواجب الملقى على عاتقه ، ولم يعد مستساغا ان يتفصل الكاتب انفصالا تاما عن احداث مجتمعه ومشاعر افراده ، لم يعد مقبولا منه ان يقف مكتوف اليدين ، بل عليه ان يسخر قلمه لخدمة اهداف الجماعة وتحقيق مثلها « فنلذ اقدم العصور وحين كان الفن مرتبطا كل الارتباط بخدمة المجتمع والدين ، سادت النظرة الاجتماعية ، اذ لم يكن هدف الفنان منتجها الى التأثير في شعور الفرد وانما كان هدفه الاول التأثير في الجماعة لتحقيق اهدافها وتأكيد مثلها العليا » .



توفيق الحكيم

توفيق الحكيم بين الفكرة والحياة

بقلم ابراهيم عيسوي سفيان

فالمجتمعات اليوم في تطور سريع وتغير مستمر طبقا لظواهر الوجود ، وعلى الفنان ان يساير مجتمعه في تطوره . فما الفنان الا جزء من المجتمع ، ولقد عبّر الحكيم عن ذلك في اكثر من موضع في كتبه ففي كتابه فن الادب يقول : « كل ما نرجو وتامل الا يفرق الفكر يوما في ثورة المواجه فيحتفي من الوجود وبديب نفعه للناس جميعا ان يبقى الفكر دائما وان يكون خادما للجماعات في حاضرها ، حافظا للقيم العليا اللازمة لتطورها الواعية مستقبلها » .

والحديث عن الافكار التي يتناولها الفن ، الاكسار الاجتماعية والظلمة والسياسية والفلسفية يدفعنا الى سؤال : هل هناك علاقة بين الفن والفلسفة ؟ في الواقع ، هناك علاقة بينهما وهو ان كلاهما يبحث عن الحقيقة ، والحقيقة التي يبحث عنها الفن « هي الحقيقة العلمية او الفلسفية مفسرة تفسيراً يسهل على الناس استيعابها وفهمها وذلك بفضل ما ينطوي عليه الفن من صور والوان واشكال ، هي لغة الفنان ووسيلته في التعبير ، اي ان الفنان هو الكاس التي يذاب فيها المسائل الفلسفية حتى يمكن فهمها وتقريبها من العقول ، وهذا ما لجأ اليه كثير من الفلاسفة مثل افلاطون قديما وجان بول سارتر في العصر الحديث ، وعندنا توفيق الحكيم يتناول القضايا الفكرية في اتناجه الادبي في قالب مسرحي ولقد اشارت الدكتورة اميرة حلمي في كتابها فلسفة الجمال الى ذلك قائلة :

« وبذلك يكون الفن وسيلة للفنانين لتوضيح فلسفتهم الخاصة ونظرياتهم العلمية ففهم من يخدم بفننه فلسفة

رسالة الادب خدمة المجتمع والارتقاء الى العظمة التي تشدها افراده ، وتزداد اهمية في المجتمعات المتطورة حديثا فانها في ميسر الحاجة الى الادباء من اجل المساهمة الفعالة في بناء المجتمع وتثبيت اركانه ونشر مفاهيمه الجديدة بين افراده ، فاصبح الان دور الكتاب مهما ومسؤوليتهم خطيرة ويمثل ذلك في قول توفيق الحكيم « ان مهمة الكاتب في نظري هي تربية الراي ، وكل كاتب لا يثير في الناس رايا او فكرا او مغزى يدفعهم الى التطور او النهوض او السمو على انفسهم ولا يحرك فيهم غير المشاعر السطحية العابثة ولا يفر فيهم غير الاطمئنان الرخيص ، ولا يوصي اليهم الا بالاحساس المتدل ولا يمنحهم غير الراحة الفارغة ولا يفهمهم الا في التسلية والملاذات السخيفة التي لا تكون فيهم شخصية ولا تثقف فيهم ذهنيا ولا تربي فيهم رايا - لهو كاتب يقضي على نمو الشعب وتطور المجتمع » . ويستطرد الحكيم مؤكدا رسالة الكاتب « ان واجب الكاتب يحتم عليه ان يحدث اثرا سامي الهدف في الناس وخبر اثر يمكن ان يحدثه عمله في الناس هو ان يجعلهم يفكرون تفكيراً حراً ، ان يدفعهم الى تكوين راي مستقل وحكم ذاتي » .

يقتنع بها او نظرية علمية يحاول أن يوضحها خلال انتاجه، ولكن ليس معنى ذلك أن يكون الفنان مجرد ناقل ؟ ولكنه يخلق الفكرة خلقا جيدا يضيف عليها من ذاتيته واحساسه وبذلك تخرج لنا الفكرة جديدة ، وكلما كانت رؤية الفنان للواقع اوضح وتعبيره عن اصداها في نفسه اصدق كلما زادت قيمة العمل الفني » .

ولذلك كان الصدق الفني ضرورة هامة في العمل الادبي ، فالفن الرفيع هو الذي يثير فينا احساسا رفيعا بالقيم الاخلاقية والجمالية ، ولكن هل معنى ذلك ان يكون الفن اخلاقيا خلقا جيدا يصور الحسن دون القبح ، هناك اناس يرون أنه يجب ان يكون اخلاقيا واناس اخرون يرون ان الفن واجبه في تصوير الحسن والقبح ، واتفق في هذا مع توفيق الحكيم ولقد افصح عن ذلك بقوله « واني لاشد الناس تمسكا بحرية الفن ، وادراكا لقدسية هذه الحرية ، ولا انصور فنا لا يصور الرذيلة كما يصور الفضيلة ، ولا يبرز القبح كما يبرز الحسن » . وهنا يطالعنا اول مبدأ يؤمن به توفيق الحكيم وطبقه في انتاجه الاول . ان الحكيم يشعر شعورا بقلقه بمهمة الفن وبرسالته تجاه مجتمعه ويبدو هذا الاحساس في مقدمته لكتابه « المسرح المنوع » : « نحن اذن جيل مطالب بحمل مسؤولية كاملة ازاء الادب المسرحي ، لم تلتفت اليها الاجيال السابقة على مدى قرونه » . وهذا سر قلقه وشعوره بحاجة مجتمعه الى نوع معين من الادب ، فأخذ ينتج بغرض حتى يسد تلك الفجوة ويكمل ذلك النقص فهو يعبر عن ذلك بقوله في المقدمة السابقة « انا احاول في قلق جنوني ان اسارع الى ملء بعض الفجوة التي قد افسدت في قلوبنا ، وان اقوم في ثلاثين سنة برحلة قطعها الادب المسرحي في اللغات الاخرى في نحو القى سبعة » .

من هذا يتضح لنا الفنان الذي يؤمن برسالته ايمانا عميقا ، فانه يظل قلقا حتى يحقق الكمال لمجتمعه . وليس بعجيب على ادب مثل توفيق الحكيم ان نراه يعيل الى القضايا الفكرية . فهذا ميل غريزي في نفسه منذ فتح عقله وعرف طريق التراءة فقد قرأ وهو في سن الثامنة عشر كتابا لهربرت سبنسر ولامارك ، فهو يشير الى ذلك في كتابه « فن الادب ، بعد حديثه عن شهزدا وفكرة التطور » نستخلص من هذا ان هناك قدرا يدفع الشخص الى قراءة ما سوف يلزم له في عمله اذ ان طبيعة الشخص هي التي تميل به الى هذا اللون او ذلك من الوان الفداء الفكري ... ؟ ليس من السهل الجواب وان كنت اعتقد ان البذرة الاولى التي القيت في نفسي منذ الحداثة وقد فعلت فعلها في الخفاء ، واذا الحنين الى ذلك النوع من الكتب يعاودني من حين الى حين - بل لقد بلغ بي الامر حدا قد يدهش البعض ، فانا اجد اليوم عسرا في قراءة القصص، واجد اللذة في مطالعة كتاب

علمي » . ثم يستطرد قائلا : « بقي اولئك الذين اعنيهم واحب ان اقرأ لهم وهم في الغالب من طراز العلماء المعلمين بالفلسفة » من هذا يتضح نوع الثقافة التي يعيل اليها توفيق الحكيم والتي كان لها اكبر الاثر في انتاجه الادبي ... اذن الحكيم مفكر يحب الفكر فامتزج الفكر بطبيعته الفنانة .. فأخرج لنا عملا ادبيا فكريا في قالب مسرحي ، ولعل هذا النوع من الفن الذي يعتمد على الحوار يتفق وطبيعته الهادئة الميالة الى الایجاز ، وتتمس ذلك في حديثه عن المبل الطبيعي للحوار واتفاه مع طبيعة الانسان في كتابه فن الادب : الحوار اذن كالشعر ، استعداد طبيعي يعيل اليه اولئك الذين يعيلون الى الاقتضاب ذلك ان الداء الحوار الاطالة والحشو . كما ان قراءة الفلسفة كان لها الاثر في كتاباته المسرحية الا اننا لا نغفل استعداده الفطري وميله الطبيعي كفتان الى هذا اللون من الادب ، فهو قليل الكلام يعيل الى الاختصار والتركيز . ولقد وصفه الاستاذ يحيى حقي في « خطوات في النقد » في مقاله : « توفيق الحكيم بين الخشمية والرجاء » يذكرني هذا المقال بالسنة النهائية لي في مدرسة الحقوق . عام مضى بأكمله ، وليس ينبغي وبين الحكيم الا اقل من نصف متر ، ومع ذلك لا اذكر انني كلمته او حييته ، شاب نحيل نحيف ، اصفر الوجه ، يبرز العينين صموت ... » ولقد كان لقراءة الكتب الادبية العربية القديمة الاثر ايضا فلقد تشربت نفسه بما اسمعته به هذه الكتب من ايجاز ويتمثل هذا في قوله « المسرحية عندي اعتبار خاص ، ذلك ان الحوار يعاينني من ايجاز وتركيب هو القالب الادبي القريب الى سليقتي المحبة للنظام ، فالفن عندي نظام والنظام عندي هو الاقتصاد ، اي بيان بلا زيادة ولا نقصان .. ربما كانت هذه الطبيعة عندي ميراثا قديما ، من اثر روايت شخصيتنا العتيقة ، فالعرب كانوا يرون ، البلاغة فسي الايجاز » هكذا يتبين لنا استعداد الحكيم الفطري للادب المسرحي واحساسه كفتان يشعر بواجبه شعورا بقلقه ، وهذا الشعور يدفعه الى الاخلاص في فنه والاخلاص لمجتمعه فهو يؤمن بان الادب خادم للمجتمع ان مهمة الكاتب ليست في مجرد انتاع القاري بل في التفكير معه ، ما ارحس الادب لو انه كان وسيلة للو .. لا ان الادب طريق الى ايقاظ الراي .. لا اريد من الكتاب ان يربح قارئه ويلهيه ، انما اريد ان يطوي القارئ الكتاب فتباد متابعه » فالحكيم هنا يبين واجب الكاتب في المجتمع ، اذ يجب ان يضمن الكاتب انتاجه شيئا مفيدا للقاري من الناحية الخلقية او الذهنية ، المهم ان يقدم عملا مهما لا ان يقدم عملا اجوف تافها لا فائدة منه ، يجب ان يقدم عملا يعيش مع القاري بعد ان ينتهي من قراءته، ويثير في نفسه انفعالات شتى . وهذا يبين لنا اتجاه الحكيم في الفن فهو يؤمن بان الفن للمجتمع والقول بأنه

فنان مفكر ، ولعل الطابع الذهني الذي أتمت به أعماله كلها مما أبعد المسافة بينه وبين جمهور القراء . وذلك لأن المستوى الثقافي لم يكن قد ارتفع بعد . وباتى بعد ذلك اللغة التي يكتب بها هل يكتب بالعامية أم بالفصحى ؟ وهذه القضية جعلها الحكيم بحكمة الفنان الذي يحس بمسئوليته الفنية فقرأه يكتب مسرحياته بالفصحى العربية دون اغراب في اللغة ويكتب بعض مسرحياته الأخرى باللغة العامية دون اسفاف . والحقيقة ان توفيق الحكيم يشير بذلك قضية ما زالت تناقش حتى الان . وهي ، ما هي اللغة التي يجب ان يكتب بها ادبى ... ولكن فن ادائه وأداة الادب اللغة ، والفن عمل جميل ولا يكتمل جمال العمل الفني الا بالفكرة واللغة والمحافظة على بنائه سواء كان قصة او قصيدة او مسرحية . فلا يصح ان نقدم طعاما جميلا في آنية قذرة - ستعافيه النفس لا شك - والفكرة حسب العمل الفني ، واللغة توبه ، فهل يجب ان يكون الثوب باليا ؟ قطعاً لا . . . وانا ارى ان هؤلاء الذين يتحدثون الكتابة باللغة العامية انما يبحثون لهم عن مخرج يستطيعون منه التسلل الى الادب وبحسرون انفسهم في زمرة الادباء ويسمون ما يقدمونه ادبا لانه يرضى البسطاء السذج من الناس - وليست الكتابة بالعامية سهلة كما يتصور هؤلاء الذين يتنادون الى الكتابة بها - ولكنها تحتاج الى قدرة وبراعة في اختياري الالفاظ العامية السليمة الفنية وهذه القدرة لا تتوفر الا لعدد قليل من ادباءنا المتمكنين المالكين لاعة اللغة بالنسبة للكتابة الفصحى ، وللمتعبين بحاسة فصحى قوية بالنسبة للفنون الفصحى ، والثابتة ، والحكيم يحس بهذه المشكلة اساسا شديدا ولقد بدل كل جهده للتوفيق بين اللغة العربية واللغة العامية في مسرحية « الصفة » واذا نظرنا في اعمال الحكيم نجد انه قد كتب بعض مسرحياته باللغة العربية والبعض الآخر باللغة العامية مثل بعض مسرحيات جمعها في كتابه (السرح الموع) ، وبذلك نحسن ان الحكيم يحاول جاهدا في كل انتاجه ان يبحث عن الكمال في عمله الفني . ولقد اشار الاستاذ احمد مصطفى في كتابه توفيق الحكيم الى هذه النقطة « والحكيم لا يهتم كثيرا بالزخرف اللفظي وهو ينتقل بين اللغة العامية في بعض مسرحياته وقصصه حتى يعرض للحوار الذي يصور بعض طوائف المجتمع تصويرا طبيعيا ، وبين اللغة الفصحى الترافية حين يود ابراز الانكار العليا في عرضه للقضايا التي تتصل بالانسان ومصيره او باتجاهات ذهنية فلسفية . فهو من هذه الناحية في طبيعة الثوار من مفكري العصر على قيود اللفظ وصناعة الادب . فلابد عنه لا يلتزم الا بالكامل الفني ومراعاة مقتضى الحال » .

وقضية اخرى تناولها الحكيم ، هل يجب ان يهبط الفنان
بغنه الى الشعب ام يبقى في القمة ويتركهم يصعدون اليه

يميل إلى الفن للفن قول أرى أنه غير صحيح طبقاً لما
أوردناه من أواله - وهنا نقطة ظلت عالقة بذهن الجمهور
أريد أن أبينها وهي : أن توفيق الحكيم من أدباء السرج
العاجي الذين لا يكتفون في مشاكل الشعب - فهذه
القول خاطيء والسبب في هذه التسمية أنه كان ينشر
في « مجلة الرسالة » كلمات قصيرة بعنوان ثابت « من
برج العاجي » وكان يضمها أفكاراً وخواطر مختلفة
وظن بعض الناس من هذا العنوان أن توفيق الحكيم
متنزل عن المجتمع وذلك لما تردد في الأدب الفرنسي من
اصطلاح الأدب العاجي الذي يقصد به الفن للفن ، وهذا
التفسير بالنسبة لتوفيق الحكيم خطأ لأنه لم يكن يقصد
في تلك الكلمات أن يؤيد فكرة الفن للفن إنما كانت مجرد
عنوان لخواطر وأفكاره .

ولنتظر ايضا الى دفاعه في حديثه عن المسرحية وموضوعها الذي يختاره الكاتب فيقول « لهذا يتعين على المؤلف المسرحي ان يتخير من الاشخاص من تعقدت حياتهم الى الحد الذي يستطيعون معه ان تكون قلوبهم موضعا لتفاعلات مختلفة ونفوسهم مقهورة لطباع متباينة، مقهولة قادرة على التعبير والانفصاح ... ولقد كان مؤلف المسرح في القديم يتخيرون اشخاصهم من بين الملوك والامراء ، وعلية القوم ، يوم كانت الثقافة وما يتبعها من تعقد الحياة والمشاعر والفكر - محصورة فيهم ، فلما انتشر التعليم والتثقيف في العصور الحديثة وشمل اهل الطبقات المتوسطة في الحضار تعقدت بها الدلائل وتزوعت حياتهم وعواطفهم وعقولهم اتجه المؤلف المسرحي الى الطبقة الوسطى ينتقى من بينها الشخصيات ثم يتحدث في موضع اخر عن هذه المشكلة الحيرة التي قاسى منها كثيرا ، وتظهر واضحة في حديثه عن مبرزة الفنان امام بعض المشكلات التي تواجهها « كل هي مشكلة النظريات الاجتماعية والمبادئ السياسية التي تصادم اليوم وتتساجر في عالما الحاضر ، فاذا اراد ان يقيم مسرحه في محيط الملوك والتاريخ والفكر كما فعل شكسبير الانجليزي - فان التلاميذ يقولون له هذه الرجعية ... اين الشعب ... اكتب عن الفلاح والعمال والجوع والفقر ... وتبسط في لفكك وتواضع في تفكيرك ليغفك الدهماء ... لان الفن هو لهؤلاء .. فاذا اتجه هذا الاتجاه اتبرى له اخرون من المثقفين يقولون : هذا عمل لا وزن له في عالم الادب والفكر انه هو اسفاه يراد به الترقب الى العالمة .. اكتب للخاصة ما الفن الا لهؤلاء .. . والحكيم في حيرته هذه كانه يدافع عن نفسه ازاء ما اشيع عنه من ادياء البرج العاجي الذين يترفعون عن تناول مشاكل المجتمع . ولكتي ارى ان الفنان الاصيل عليه ان يتناول كل ما يدركه باحساسه من مشاكل مجمعة سواء كانت هذه المشاكل مشاكل طبقة خاصة او مشاكل الشعب او قضايا فكرة او سياسية - والحكيم

ولكن لا يلبث الحكيم ان يؤكد هذا المعنى فسي كثير من كتاباته ففي كتابه «تحت شمس الفكر» يقول «لذلك احب ان اقول لادباء العربية الحديثة . لا تخشوا مطلقا من الباس افكاركم الانوار العربية . على شرط ان يكون طابع هذه الافكار وروحها شرقيا مفضيا . وان يحس الفاري الاوربي اذ اعمالكم انه امام نفس غير نفسه وشخصية اذ هي شخصيته وان كان الرءاء ليس غريبا لان الرءاء ليس ملكا لاحد : انتملك الحضارة والحضارة وليدة الحضارات التي سبقتها .»

ويقول في موضع اخر « ان الفكر البشري ليس له حدود دولية انما هناك الزواج الخاص والطبيعة الخاصة التي تكيف تلك الثروة المباحة التي تنهل منها كل ثقافة وكل حضارة .»

وايمانه بقضية الانسانية مما دعا الغربيين الى الاهتمام بمؤلفاته . ولقد قال الاستاذ احمد مصطفى : « مما دعا الغربيين ولا شك الى تذوق بعض مؤلفات الحكيم والتعقيب عليها انه قد تناول فيها قضية العصر . وقضية الانسانية الخالدة في قيمتها العليا وفقا لمبادئه ومعتقداته . وهو في نظره اليها يقف على الجانب الآخر بالنسبة للفيلسوف الاوربي المعاصر جان بول سارتر زعيم المذهب الوجودي .»

والحكيم مع ايمانه العميق بوحدة الثقافة فهو يدعو الى حضارة شرقية متميزة الروح ويشير الى ذلك الاستاذ احمد عبد الرحيم مصطفى في كتابه « توفيق الحكيم » : « الحكيم يدعو الى ادوية لهذا الاتجاه نجده يساهم فيه ويدلي بدلوه فهو موسوعي التكوين الثقافي ، فلا يقف في مطلق العروة عند حد زمني او مكاني - له نظره في كل لون من الوانها سواء اكانت شرقية ام غربية ، قديمة ام حديثة .

ومن فن وادب ودين ، الى علوم طبيعية ومباحث ميتافيزيقية . لقد اخذ من الحضارة الغربية عصارة ثرائها ويعود فقيصيفها على الادب الشرقي دما جديدا . يرينا الجاحظ وابا الغلاء في نظرة جديدة ويخرج اشعب في ثوب فني حديث من الادب الشعبي الراقي . ويستلهم الف ليلة وليلة والقرآن والانجيل والمازيم فيخرج منها الوانا مختلفة ، شرقية الفلسفة والروح ، يليها جميعا نوبا جديدا من فكرة انسانية جديدة في اطار القوال والاماليب الفنية الحديثة .»

والحكيم شرقي يحب شرقيته ولا يلبث ان يتحدث عنها كثيرا ويدافع عنها ويفتح كنوزها ويبين مميزات التي تمتاز بها عن سائر البلاد وهي الروح ، تلك الروح التي يمتاز بها الشرقي عن الغرب المادي ، تلك الروح التي بحث عنها محسن في «عصفور من الشرق» وفي «عودة الروح» ولقد ردد كثيرا في كتابه «تحت شمس الفكر» في حديثه عن الادب والفن والثقافة «مصر هي الروح ، هي السكون ، هي الاستقرار» وهو يأمل دائما ان تمتزج

١٤ . والحكيم يرى ان الفنان يجب ان ينزل الى الشعب ويعرض فنه عليهم ويعبر عن ذلك بعد ان يقارن بين الدين والادب في كتابه في الادب ، « لا جدال اذن في ان الفنان لا يستطيع ان يبقى في القمة ، حبيس فنه ، منتظرا ان يصعد اليه الجماهير في جله الوعر ، يحملون المصاييح في ايديهم ويتصبب العرق من ابدانهم وهم يصيحون .. اين انتايها الفنان المعلق في السحب ؟ جئنا نبحت عنك فلقد ادركتنا بالقراسة ، اوبالحدس والتخمين ، انك في ذلك المكان فهل عندك رسالة تبليغنا اياها لا يمكن بالطبع ان يقع ذلك ولكن المقول ان ينزل ذلك الفنان حاملا رسالته تحت ابطه ليشمس الناس ..» وقوله هذا يبين احاسه برسالة الفنان ويبين انهمدرك تماما لما يجب ان يكون عليه الفنان من مشاركة في احداث مجتمعه وتجاوب مع افراده ولكن طابعه الفكري الذي يقبل عليه جعله يميل الى الوحدة والهدوء ويتضح ذلك في كتابه تحت شمس الفكر وهو يتحدث عن كيفية تمييز الحيوان للجمال « حسان بين مهرتين احدهما جميلة شهباء والاخرى قبيحة هزيلة عرجاء الى ايتها يميل ؟ ما ترددت يومئذ ان افول في ثقة واقتناع الى الجميلة يميل ، ماوجه الترجيح ؟ لست ادري ، وحذا التجربة فهي الحكم الفصل .» لكني يومئذ كنت افكر تفكيراً صرفاً في اسراج عاجية اعتمدت ان آوي اليها للتفكير الهادي .»

ولذلك كان الحكيم بعيدا عن الجماهير عندما ظهر كتاباته الذهنية التي تتطلب مستوى رافيا من التفكير لا يفهمه الا القليل ... ولكن اليوم بعد التقدم الثقافي والفكري المتسارع المموس اصبح الحكيم قريبا من العقول وبذلك نلنا ان ندرك ان الحكيم لم يضع نفسه في برج عاجي ترفعها منه ولكنه كرجل مفكر فانه يحب الوحدة والهدوء حتى يتمكن من التأمل والتفكير . والحكيم لا يؤمن بحدود للثقافة بل يؤمن بان الثقافة ملك للانسانية وليست وقفا على امة معينة وتلمس هذا في انتاجه فهو يميل الى الافكار الانسانية اي لا يميل الى الاقليمية ، وهذا صحيح ، فالادب هو اللغة التي يفاهم بها جميع البشر واللحن الذي يجمع النفوس الشاردة ويمثل هذا في قوله :

« فالثقافة ليست بضاعة مادية لامة من الامم وانما ثقافة كل امة ملك البشرية كلها لانها خلاصة تفكير البشرية جمعاء ... ثقافة كل امة تسوى على استئصال زهرات مختلف الشعوب على مر الاجيال فليكن ههنا جنى العمل دون النظر الى جماعات النحل » ، وهذا مما نحتاجه الان في هذه الفترة التي نعيشها من اجل بناء حضارتنا فنحن في حاجة الى الاخذ من كل حضارة دون افتعال الى الجنس . والحكيم يحدد في السطور الآتية ما يجب ان ناخذه من حضارة الغربيين فيقول : « ناخذ ما في رؤوسهم وتدع ما في انفسهم ، احسانا ملكنا واحساسهم ملكهم فالشعور طابع اصلي لا ينبت ولا يستعار ولكن المعرفة ملك مشاع ، ومتاع يتداوله الجميع .»

والادب قوالب أخرى مثل اليوميات (يوميات نائب في الأرياف) والاعترافات والرسائل « زهرة العمر » و«الرباط المقدس » ، والقصة الطويلة « عودة الروح » - وكلهما ألوان لم يعرفها الادب العربي من قبل على هذا الوضع الفني الذي عرضه .

والحكيم يحاول جاهدا نقل التيارات الادبية السائدة في أوروبا البنا حتى لا يتأخر عن ركب الحضارة المتقدم وحتى نستطيع ان نسير جنباً الى جنب مع أوروبا فكربا، ولا يسعنا الا أن نشير الى مسرحيته الجديدة « يا طالع الشجرة » وما تلاها بعد ذلك من مسرحيات نشرت في الصحف « رحلة القطار » و « رحلة صيد » وهي مسرحيات امتداد لمذهب « ياطالع الشجرة » وهو مذهب اللامعقول الذي حملنا الينا « مسرح الجيب » فكانت هذه المسرحيات تأكيداً لما رددته الحكيم من أنه يحاول ان يسد النقص الموجود عندنا في ادب المسرحية حتى نستطيع ان نلحق الغرب . والحق ان الحكيم عبقرية فذة ، فعقله عقل مفكر وروحه روح فنان ، وفي أعماقه شيطان الفن لا يفغل ولا يهدأ وسيظل يخرج لنا كل يوم جديدا حتى يحقق لمجتمعه الكمال وما يفنيه لهم من تقدم ورفي .

ابراهيم عيسوي سغفان

القاهرة

الروح بالمادة ، ويخشى تغلب المادة كما هي مسيطرة في الغرب . ولقد اشار الى ذلك في حديثه عن الانقياد للنظريات العلمية في كتابه « تحت شمس الفكر » : « الى هذا الحد يصل الانقياد الى النظريات ؟ من أجل هذا لا اريد التمكن للعلم حتى يجلس على عرش النقد دون شرك، احب طرائق العلم . لكنني أخشى نتائج العلم . فلترنفع بالروح قليلا . لست اريد ان اضع الروح تحت مضغ العلم ، رهبة مني ان يشقها فيجدها غلافا أجوف .. »

ثم يستطرد قائلا « اني كرجل من رجال الروح لا اريد ان اقول ان عقل العلم لا يكفي . ولا بد دون ادراك الجمال والروح من العودة الى القلب » .

فهكذا نرى ان رسالة الادب لديه لا تهدف الى نصرة الروح على المادة او نصرة المادة على الروح ولكن يجب المزج بينهما » .

ان توفيق الحكيم يمثل مرحلة من مراحل انطلاقنا الفكري وتطورنا الحضاري بما ادخله على الادب العربي من فنون جديدة ولقد اشار الى ذلك الاستاذ احمد عبيد الرحيم مصطفى في كتابه المذكور انفاً، « اما توفيق الحكيم - صاحب هذه الترجمة - فهو مجدد الاسلوب الفني في الادب الحديث ، ادخل عليه فن الحوار الذي استقر على يديه استقراراً دائماً في ادبنا المعاصر . كما اقر في الفن

شقيقة ARCHIVE <http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

للتفتا في ذات امسية
وأجسته يتشوق بالفتنة
وومض اعجاب تراءيته
في لمح عينها بعينه
قلت فتاني لا غراك الفسنا
كما عرا كل امانيه
رفيقة انت وللحزن في
صوتك احاسات حوريه
شقية انت فهل لي انا ؟
انا الشقي ؟ اعطيك ما فيه ؟
اني بذرت الحب هل تلقني ؟
من حب جبي بدر كفيه ؟
حقيقة انت ولكنني
قبضة اوهام سرايه
اني خيالي ، انا شاعر
اعيش اياما خياليه
وكل حياتي منتهى ماملي
اسطورة نفسي خرافيه
حصادي الشمر وللشعر في
قلبي جراح كالنظي حيه
لا تسأليني انت اجبتني ؟
بل سألني قلبي وعينيه !

حسن عبد الله القرشي

جدة

طبقة الفهم - ماء

بقلم حسن الكرمي

من العودة الوثقى في لندن



يسعني في هذا المقال ايضا الا ان اشير مرة ثانية او ثالثة الى الاساس الذي تقوم عليه المدنية الغربية ، وهو ، كما قلت ، على شقين : اثراث الاغريقي الروماني والتراث المسيحي . ولكل من هذين التراثين مميزات خاصة تفرق الواحد منهما عن الآخر . فقد اخذ الغرب عن الاغريق كثيرا من الاراء السياسية والاجتماعية ، ومن جملة ذلك القيم المطلقة في الحرية والديمقراطية وتحري الحقيقة وحب العدالة . ولكنه اخذ عن الاغريق ايضا حسب الاستطلاع العلمي والتعطش للتجديد وتغليب الحوادث والاحوال تعليلا منطقيا ، بحيث يتدفع الانسان الغربي في اتجاه يأخذه بعيدا عن نفسه وينقل به الى ما يخرج عن وجوده او كيانه الشخصي الحقيقي ، فيحصل بين ما يفعله في ابحاثه العلمية وتآملاته الفكرية وبين نفسه هوة او فجوة في اساس ما نسميه بالتجاذب . واخذ الغرب عن التراث المسيحي العقيدة الدينية والى ابدى السامية مثل المساواة والشفقة على البائسين والارامل والمساكين . وفي هذا التراث هو اخضاع المادة الى الروح ، واتباع الطبيعة بما وراء الطبيعة .

وهذا امر يتنافى مع الشق الاول من المدنية الغربية وهو روح التراث الاغريقي ، لان هذه الروح ترفض الخضوع لانتظمة ثابتة لا تتغير ، ولانها دوما تحب التحرر من القيود باستخدام العقل وتريد التغلب من الروابط والخروج على التقاليد . ومن هنا كان التوتر بين هذين المعنيين في كيان المدنية الغربية . ولكن ذلك لم يصل الى درجة شديدة . وبقي المجتمع في الغرب وحدة واحدة مدة تزيد على الف سنة . الى ان جاءت عصور النهضة ، وظهر فيها تأثير التراث الاغريقي ، فتحرر الفرد من سلطة الدين بل وسلطة الجماعة ، واخذ المجتمع ينبض بحياة جديدة ، وعادت اليه الروح الاغريقية وهي روح البحث والاستقصاء ، وتبين ان المدنية لا يمكن ان تبقى ركادة على حالها مدة طويلة بدون ان تنتعش من جديد وتنب فيها حياة التطور والابداع . واصبح المجتمع الجديد مجتمعا علمانيا بالتدرج ، ولم يعد بالنتيجة مجتمعا دينيا صرفا كما كان في القرون الوسطى . وفي القرن السادس عشر جاء الاصلاح الديني ، وحقق بذلك

مرة اخرى احد اهداف النفسية الاغريقية . وتلا ذلك قرنان من الزمان ، كان الرائد فيها هو العقل . واستعمل العقل في التخلص من كل سيطرة ، وفي استقصاء اسرار الطبيعة والكون بصورة عامة . وقد تكلمت شيئا كثيرا في السابق عن القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ولا سيما في فرنسا ، ولعل الفرصة تسنح لي للكلام عنهما بالتفصيل ، وخصوصا فيما يتعلق بمبادئ الثورة الفرنسية .

ويجدر بي هنا ان اعرج على نقطة تاريخية مهمة اشار اليها الاستاذ « سارطن » في كتاب له اسمه (تاريخ العلم والحركة الانسانية الجديدة) فالغرب تطلوا عن لاغريق علومهم ودرسوها وفهموها ، ثم نقلوها في ذورهم الى العالم الغربي ، فكانوا بذلك وبما ابتدعوه من علوم جديدة الباعث الاكبر على ظهور النهضة في اوروبا . وكان المؤرخون يقولون ان ظهور النهضة في اوروبا كان بسبب قرار العلماء اليها من القسطنطينية بعد سقوطها بيد الاربك ، فقلعوا من هذا الراي واخذوا يراي اخر وهو ان اوروبا تعلمت من القسطنطينية ولكن ما تعلمته من العرب كان اكثر بكثير . فاذا كان الغربي قد نقلوا العلوم الاغريقية ، فهل كانت مدينتهم مزيجا من التراث الاغريقي ومن الديانة الاسلامية ، كما كان الحال مع العالم الغربي ؟ واذا كان الامر كذلك ، فهل ظهر في تاريخ المدنية الغربية ذلك التوتر الذي ظهر في اوروبا بين التراث الديني والتراث العلماني ؟ يقول « سارطن » ان اهمية الاسلام الجديدة انه وفق بينه وبين التشرات الاغريقي وجمع الطرفين معا في مجرى واحد ، بعد ان كان المجري الديني الاغريقي والمجري الديني في واديين منفصلين . وهذه هي المرة الاولى في تاريخ العالم التي يصبح فيها الدين السامي والعلم الاغريقي متزجيين في عقول الناس باتفاق وانسجام . هذا ما يقوله سارطن ، ومعناه ان العرب في هذا الميدان وفي غيره قد جمعوا بين العناصر المتنافرة ووفقوا بينها حتى اصبحت متلائمة والدمج بعضها في بعض . وهذه عبقرية تكاد تكون مقصورة على العرب وخدمهم في التاريخ . وكثير من المؤرخين قد فاهمن ان يلاحظوا هذه الزية عند الفاتحين العرب ، فكانوا كثيرا ما يتكبرون على العرب انهم اوجدوا مدينة علمية عربية او انهم اوجدوا نظاما جديدا للدولة او اوجدوا طرازا من البناء والعمار خاصا بهم وهكذا . ونسوا ان العرب جعلوا كل شيء عربيا ، وان كان في الاصل غربيا اجنيا ، واستمالوا الاقوام المختلفة السى قبول ديانتهم ولغتهم ، واشترك معهم رجال هؤلاء الاقوام من فرس وهنود وسريان واقباط وبربر واغريق في بناء مدينة واحدة . وليس ادل على ذلك من امرين تاريخيين . الاول ان لغة اليهود ، ولا سيما العلماء منهم ، كانت اللغة العربية حتى القرن الثاني عشر . ومن ذلك مثلا ان كتاب

حسا ، ومن هنا اتسعت الفكرة حتى انتقلت الى النظرية الافلاطونية في الصور المثالية ومنها الى اساس الفلسفة في مجموعها تقريبا ، وهو التفريق بين الكون الكائن وبين الكون الظاهر . فهذه المقدرة العقلية في توليد الصور الذهنية المجردة كانت دائما تضع الفكر في حالة يكون فيها مجانيا لنفسه (Self-alienated) ومجانيا لوضعه الحقيقي فكان بذلك يبتعد عن نفسه الحقيقية ، ويبقى متبعدا مدة طويلة الى ان يزول التوتر فيرجع الفكر عن حالته المتجانسة . وعلى هذا كان القلق وعدم الاستقرار بين المفكرين والفهماء في اوربا الصفة الغالبة عليهم . فالمفكرون حاربوا السيطرة من دينية وزمنية حتى تحركوا منها . ونالوا للفرد حرية مطلقة تقريبا ، ونالوا ذلك كله باستعمال العقل . وبعد هذه العصور من التوتر وتحكيم العقل انقلب المفكرون على العقل واخذوا يستريحون في ساحة حكمه ، وخصوصا بعد الذي كتبه « كانت » الفيلسوف الالماني وبعد الذي اكتشفه العالم النفساني فرويد ، وبعد انتشار مذهب الوجودية . ثم ان الحرية التامة التي احرزها الانسان في صراعه طول تلك العصور اصبحت في الوقت الحاضر شيئا ثقيلا يشعر بوطأته الفكر الغربي في اوربا وشمال امريكا عامة ، ولا يدري ماذا يعمل به ، واصبح الان يسعى الى ربط الفرد بالجماعة ربطا وثيقا يزيد من قوة الجماعة وسيطرتها عليه . وكذلك الدين ، فان الانسان ، في عصوره الطويلة ، نوع عنه سيطرة الذي شيئا فشيئا اصبح لا يكاد يدين بشيء مهم . غير ان تجافي الانسان عن ماضيه ، وتخلله من التبعيد الاجتماعي والدينية ، وانسلاخه شيئا فشيئا عن تراثه وتقاليده ، جعلته مضطربا لا يقر قراره ، فالتجأ الى الدين مرة ثانية ليكون الدين سنداً له ومرساة في هذا البحر الهائج او التجأ الى ذاته واتقطع الى نفسه دون غيره ، كما فعل الوجوديون امثال سارتر او كما فعل الشخصيون (Personalists)

هذه حالة الرجل الغربي في الوقت الحاضر كما يصورها لنا المفكرون والكتّاب . واسرع الناس الى التائر بعامل التجافي في الغرب هم المفكرون والفهماء . وسنرى كيف كان تأثير هذا العامل فيهم في الغرب وفي الشرق ، بل وفي العالم اجمع . ولكن في الغرب اليوم حيرة وفي الشرق العربي حيرة مشابهة . فحيرة الغرب هي بين الاقبال على العلم الطبيعي وترك الدين جانبا وبين التمسك بالدين او بما يتبقى منه والتعايش سلميا مع هذا العلم . اما حيرة الشرق العربي فهي بين الاقبال على المدنية الغربية مع ثقافتها وترك التراث العربي جانبا وبين التمسك بهذا التراث او بما يتبقى منه والتعايش سلميا مع تلك المدنية .

حسن الكرمي

لندن

(دلالة الحائرين) للفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون ، وهو اعظم كتاب يهودي فلسفي في القرون الوسطى ، كان مكتوبا في الاصل باللغة العربية . بل ان كتب الصرف والنحو للغة العبرانية كانت مكتوبة باللغة العربية لا باللغة العبرانية . والامر الثاني ان اللغة العربية في اسبانيا ايام حكم العرب كانت لغة الناس عموما ، حتى ان احد سكان قرطبة من المسيحيين في اوائل القرن التاسع شكا من ان الذين يعرفون اللغة اللاتينية في مدينته لا يزيدون على واحد من الف ، لان الاكثرية الغالبة من السكان كانوا يتكلمون العربية ويتقونها ، بل ان كثيرين منهم كانوا ينظمون الاشعار فيها . وكان المفكرون والمتقنون من الاسبان في ذلك الوقت لا يعرفون الا اللغة العربية والادب العربي ولا يقتنون من الكتب الا الكتب العربية . وفي هذا العهد رأى احد اساقفة اشبيلية ان من النافع بل من الضروري ان تترجم التوراة والكتب المقدسة الى اللغة العربية ليس من اجل المسلمين بل من اجل افراد الطائفة المسيحية .

فالغرب في تاريخهم لم يخبروا في عهدهم ما خبره الاوروبيون من توتر بين شقي المدينة الغربية . ثم ان المدينة الغربية فوق ذلك لها طابع سيطر عليها من اولها الى اخرها ، وهو طابع اغريقي اصيل ، واعني بذلك القدرة على تجريد المعاني والصور الذهنية من الاشياء المحسوسة والحوادث الواقعية بطريقة التجريد الفلسفي . واعظم من خطأ هذه الخطوة وضع الحجر الاكبر في بناء التجريد الفلسفي هو سقراط ، حينما اكتشف نفسه ان الاسم الذي يدل على مسمى انما هو صورة ذهنية متنوعة من المسمى المحسوس الحقيقي ومن زوينة او التعرف به

صدر عن دار الكتوف

غسطينيو

او ماسة المراهقة

للكتاب الابطالي المبدع :

البيرو مورافيا

ترجمة : جورج مصروعه

دراسة عميقة الغور ، دقيقة التفاصيل في قالب روائي جذاب . ايضاح معضلة من اهم واخطر المضكلات الاجتماعية في مختلف انحاء العالم ، ببيان مشرق ، وديباجة في منتهى السلامة .

الشم : ليرنان لبنانيان

اجمل شيء في الوجود ان تشهد
ميلاد يوم جديد !
حينما يومض اول شعاع من
اشعة الشمس .

ويتولى ظلام الليل في هدوء الى
مضايق الجبال وثنايا الصخور ،
وخلال الاوراق الكثيفة ، ووششي
الاعشاب ، واشجار اللبان المتناثرة .
وتضئ شعاف الجبال بسمة
ودودة ، تقول لظلال الليل الرقيقة :
- لا تفزعني .. فهذه هي
الشمس !

وتثور امواج البحار ، وتعلو قممها
البيضاء ، ثم تنحني ، كوصيفات
البلاط ، يحين ملكتهن ، وينشدن
لهن :

- التحيات لك يا مليكة العالم !
وتضحك الشمس الطيبة لهذه
الامواج التي ظلت طول الليل
تطف .. وتطف ، وترتع ، وتلعب ،
وهي الان مشعة الرؤوس ، فسي
حظها الخضراء الجمدة ، وكلتها
المخملية تثور وتضطرب .
وتقول الشمس الفخيرة ، وهي
تعلو ، وتعلو فوق البحر :
- طاب نهارك !

طاب نهارك ابتها الامواج الفاتنة !
والان .. كفي واهدئي !
ان الاطفال لا يستطيعون ان
يستحموا اذا لم تكفي عن قفزك
العالي
يجب ان تكوني على علاقة طيبة
بكل من على الارض !
ليس هذا حقاً ؟
ومن ثنايا الاحجار تنطلق السحالي
الخضراء ..

ويناجي بعضها بعضا بلمحات
العيون :
- يبدو ان يومنا سيكون حاراً !
ففي الايام الحارة يطير الذباب
في تكاسل وتراخ .
فتنفخ السحالي لاصطياده
وابتلاعه .
وهكذا تاكل الذباب الجميل .
ان التهام الذباب الجميل شيء

الصباح

بقلم مكسيم جوري

ترجمها عن الروسية

رضوان ابراهيم

وفوقها يحوم النحل بلونه
الذهبي .
يحوم لانتصاص الرحيق الحلو
بشراهة .

وفي الهواء الدافئ تتجاوب
اغانيه الجماعية الجميلة :
« الحياة .. كم هي جميلة .

بفضل الشمس المجيدة
ينبوع الحياة !
بفضل العمل الشريف ..
من اجل تجميل وجه الارض »
وتستيقظ الحساسين ذوات
الصدور الحمر .

وتقف متارحة على سيقانها
الدقيقة .
وتفني كذلك اغانيها الهائلة
بسرور

ان الطيور تعرف اكثر من
لنسان
ان من الخير لها ان تعيش على
الارض !

والحساسين دائما هي اول من
يستقبل الشمس .

وفي روسيا النائية الباردة
يسمونها « تباشير الصباح »

لان الريش على صدور هذه
الطيور مصبوغ بالوان اشعة الصباح .
وعلى السنان تثب رؤوس القطط

المرحة الرمادية الصفراء ..
المشبهة لاطفال الشوارع الخباء

الذين يتصايحون بلا كلل .
وتمرق طيور السنونو في اثر

البعوض .
في امح البصر تنقش في مطاردة

البعوض .
كذلك الخطاطيف ذات السيقان

الحالكة السوداء ..
انها ترقق في سعادة وسرور ..

واجمل ما فيها اجنتحتها الخفيفة
السرعة .

وتترافض افصان الصنوبر ،
الذي تشبه اشجاره كؤوسا

متزعة بأشعة الشمس ،
كانها خمر ذهبية .

ثم يستيقظ الناس ..

ممتع جدا ..
للسحالي الشرهة اليايسة .
ان ولادة الندى تهز الاشجار
مداعية .
فتسبح تماما ، وهي تنحدي
الانسان قائلة :

« سحلي يا سيدي .
كم نحن جميلات ..
في مطلع الصباح ..
في كؤوس الندى ..
سحلي بالكلبات الصغيرة ..
الازهار .

جرب .. فهذا شيء يسير ،
ونحن بسيطات المظهر !
يا لها من مأكرة !
انها تعرف جيدا ..

ان من المستحيل على اي انسان
ان يصور بالكلمات جمالها الرقيق !
انها لتسخر مني !
فاخلع قبعتي ، وانحني اجلالا
لها ، وانا اهتف :

- كم انت لطيفة ! لطيفة جدا !
وكم انا شاكر لك هذا الشرف .
لكن .. لا وقت لدي اليوم ..
اما غدا .. فسأحاول .

وتنسم في زهو .. وتنجذب
نحو الشمس .
كي تفرم اشعتها قطرات الندى
المتساقطة على السورود والاوراق
متناقلة كقطع الماس .

انها تعرف اكثر من كل المخلوقات:
كم يعمل الناس الطيبون في
الارض .

قديما كانت لا ترى الا الصحارى
اما الآن .. فالارض كلها مليئة
بعظام الاعمال التي قام بها الناس .
قام بها ابائنا ، واجدادنا ، واجداد
اجدادنا .

صنعوا وسط المخاطر والمجاهل
كل شيء من اجل اطفالهم ..

كل ادوات اللعب ، وكل وسائل
الجمال على وجه الارض .

وكانت « السينما » مسن بين
الاشياء الخالدة .

حقا ! لقد عمل اسلافنا باتقان .
ومن اجل هذا غرسوا في نفوسنا

الحب العظيم للعمل واحترامه ..
بما خلقوا لنا من صناعاتهم التي

تملأ الحياة من حولنا ..
زعم ذلك لا يكف الاطفال عمن

التفكير في اسطورة : ماذا عميل
الانسان في الارض ؟ . انها اشوق

اسطورة في العالم !
وعلى اسوار الحقول تتألق

الورد ..
وفي كل مكان تتضاحك الازهار ..

ان الكثير منها قد يسدبل ..
ولكنها جميعا تظل تنظر لى

النساء .. الى الشمس الذهبية .
وحفيف اوراقها المخملية ينشر

عطرها اللذيذ .
والهواء الازرق الدافئ الملىء

بالعطر الهاديء يحمل هذه الغنية
الودودة :

ان ما هو جميل يظل جميلا ،
حتى حينما يسدبل .

ان ما نحبه نظل نحبه
حتى حينما يموت !!

وبعضى يوم .. !!
بعضى قائلا :

طابت ايامكم ايها الاطفال ..
لتكن حياتكم كلها اياما سعيدة !

رضوان ابراهيم

القاهرة

ميسون

ابتداء الشاعر دخلت في الظهور والدينا لا تسع فرحتها ويدها شهادة
نجاحها الدراسية فالارت مشاعر ايها وكانت هذه القصيدة :

ميسون يا بوح الشذا النشوان يا حلم الخيملة
يا همسة الشط الجميل يلبح بالنجوى نخيله
يا دغذغات البدر للامواج ... يا دنيا الطفولة
يا بنت خمس لم تجاوز غير اشهرها القليلة
اقبلت نحوي والشهادة بين انملك التحيلة
وفتتح النوار ففرك ... ضوع انسام عليه
- «بابا .. استطعني عروسا .. مثل احلامي جميلة !»
ميسون ؟؟ بل قلبي خذي .. ما قد يوجد .. ومستحيلة
ان شئت .. صفت لك اللآلئ .. من اناشيد الفضيلة
او شئت .. جمعت الازهار من بسايتني الفليلة
فتيسمت ... في تيهها اللاهي .. باسنان صقيلة
ومشتت الكلمات تعثر بالطفولة في سهوله !
« بابا انا عربية ... من ذروة المجد الاسيلة
ارضعتنا لبن العروبة ... فهي في دنيا اصيلة
ونذرنا مع اخوتي لحمى ... لكي نحمل سهوله
علمتنا ان لا نرى ... في ارضنا وطننا بديله ! »
- « يا بنت ابطال حموا ... لعمان رايات البطولة
مخروا البحار على شراع ... فلبوا فيها سيلة
بنشاه يا قبل الندى للزهر راعشة بليلة
يا اخت فاطم (١) في الزهور واخت فاطم (١) في الرجولة
عشت لذا الوطن الكبير .. وكنت في وطني «جميلة» (٣)

صقر بن سلطان القاسمي

الشارقة

- (١) اخت ميسون . (٢) اشارة الى ملحمة الشاعر (فاطمة) .
(٣) جميلة الجزائرية .

حينما تكبر ، وحينما تريد طبعاً
ان تتساءل ..

ولكنك الان قادر على ان تحب
الشمس منبع كل سرور وكل قوة .

فكن مرحاً خيراً - شاكاً شأن
الشمس الخيرة - من اجل الجميع .

لقد نهض الناس ، وها هم
يسرون الى حقولهم .

ويتوجهون الى اعمالهم ..
والشمس تطل عليهم ، وتبتسم .

ومن اجل هؤلاء كل الحياة ..
وكل العمل .

يستيقظ هؤلاء الذين يزينون كل
شيء في الحياة .

ويغنون ، ويثرون الارض .
ولكنهم .. منذ الميلاد الى الوفاة

يظلون فقراء .
لماذا ؟

انك لتتساءل عن هذا السر فيما
بعد ..

بين الشعر العربي القديم والشعر الحر

بقلم عبد المين الموحسي

في

كتاب السيدة « نازك الملائكة » قضايا الشعر الحر ، وفي الفصل الثاني منه تعالج السيدة الشاعرة ما سمته الجذور الاجتماعية لحركة الشعر الحر ، ورات الشاعرة ان العوامل الاجتماعية الموجبة التي جعلت الشعر الحر ينشئ كثيرة وانها ستحصى منها في بحثها هذا أربعة ، هي :

١ - النزوع الى الواقع ٢ - الحنين الى الاستقلال ٣ - النفور من النموذج ٤ - ايشار الضمون

وقد كان من الممكن ان تشرح السيدة الشاعرة هذه العوامل شرحا ايجابيا دون ان تتعرض بالاذى للشعر العربي القديم ، ولكنها وبالاأسف آثرت ان تسلك السبيل التي يسلكها اكثرنا من الضعاف من الناس الذين يريدون ان يبنوا مجدهم على هدم مجد الآخرين .

وكذلك صنعت نازك حين ارادت ان تمتدح الشعر الحر فحملت حملة قاسية على الشعر العربي التقليدي . ولو ان السيدة التي تحب الشعر الحر ذكرت ايجابيا بواث هذا الشعر لا وجدت ضرورة لمعالجة هذه الواث ، التي كان نصيب السلبية فيها اكثر مما كان نصيب الايجابية .

قات السيدة في معرض الحديث عن النزوع الى الواقع ما ياتي بالحرف الواحد :

« اما القيود التي تضيق آفاق الاوزان القديمة ، فهي تلوح للفرد المعاصر ترفا وتبديدا للطاقة الفكرية في تشكيلات لانفع لها ، في وقت ينزع فيه هذا الفرد الى البناء والانشاء والى اعمال الذهن في موضوعات العصر ، انه يكره ان يضيع جهوده في اقامة هياكل شعرية معقدة ، لها من الرصانة والهيبة اكثر مما يطبق ، ولعل الرصانة الشديدة ان تكون منفرة للذهن العامل الذي يريد البناء ، وذلك لانها تقيد الحركة ، والشاعر يريد ان يتحرك ويندفع ، ان مشاكل العصر تناديه وهو لا يجد وقتا لتصرف القيود وبطر القافية الواحدة ، ثم ان فروض العمل والحياة المنتجة تتطلب ان يخلق لنفسه اسلوبا اكثر حرية واقل هيبة وجلالا ، وهو في هذا ، اشبه بانسان يشتغل فلاحا ويضايقه ان يلبس ثيابا انيقة مترفة لانه يحتاج الى لباس بسيط يعطيه الحرية على الحركة والقدرة على العمل ، ولذلك انطلق الشاعر الحديث وخلق اسلوب الشعر الحر ببساطة اسلوبه خالوه من الرصانة . »

الا ما اسرع ما نسيت نازك الملائكة قولها قبل احدى

عشرة صفحة اي في الصفحة التاسعة والعشرين حين تقول ايضا بالحرف الواحد :

« الحقيقة ، اننا لو تأملنا قيود الاوزان الحرة لوجدناها لا تقل عن قيود اوزاننا القديمة ان لم تزد » بل ان نازك تقول في الصفحة (٢٨) اي قبل ثلاث صفحات فقط : « ان الشعارين نزار قباني وفدوى طوفان يكتبان قصائد بالاوزان القديمة وقصائد حرة فلا تقع اغلاط الوزن الا في قصائدهما الحرة . »

وهكذا لا تقل قيود اوزان الشعر الحر عن قيود الاوزان القديمة مرة ، ثم تكون قيود الاوزان القديمة وحدها هي التي تلوح للفرد المعاصر ترفا وتبديدا ، وهي التي تقيد الحركة مرة اخرى ، ثم يكون الشاعر الحديث لا يجد وقتا لتصرف القيود وبطر القافية الواحدة مرة ثالثة .

الا ما صدق المثل القديم حين قال : « حيك الشيء يعمي ويصم » بمعنى عينيك عما ترى ، ويصم اذنيك عما تسمع .

ولا تلبث نازك ان تحمل على الشعر العربي القديم الواحد ايضا :

« ولعل هذا الاحساس بالتلف والفراغ هو الذي يجعل الشعر القديم حافلا بالاجواء الثقيلة بالغنير ونسيم الصبا والسياب الحبرية تجرها قيات ناعمت لاملع لمن سوى الدلال ونوم الضحى ، ان الشاعر المعاصر - هو الفرد في مجتمع يعمل وينمي - يضيق بهذا الجو الكسول النعسان ، وهذه العمالية القروضة فرسا ، انه يريد ان يكون شعره مفكرا ، ايجابيا ، طويل العبارة ، فلا تسمح له بذلك الغنائية العالية في الابحر الشطرية ، وهو ينفر من هذه النبرة العاطفية الموسقة لانه لا تلائم نزوعه الى العمل والنشاط ، ومن ثم فهو يريد ان يحطمها ويخرج من قمقم الاحلام واوهام الف ليلة وليلة ، لقد وجد نسي الشعر العربي من هذا الجو المثقل بالجواري والحبر واشعة مصباح علاء الدين . »

وارحماته الشعر العربي القديم ما اشد ما يلقى من حملات يشنها عليه الغرب ، واشد منها حملات يشنها عليه انتصاره من العرب . . ان السيدة نازك بشطحة قلم واحدة ايضا جردت الشعر العربي كله من رجولته وفحولته ، فحملته مثقلا بالغنير ونسيم الصبا وذياب الحبر ، ونسيت نازك دفعة واحدة غبار المعارك عندما عنترة في سبيل بارق نيرة ، وفحولة الفرزدق عندما تدلى من ثمانيين ، وجيش بشار يزحف بالحصى وبالشوك وحماة ابي تمام ، وبطولة المتنبي يبنى الحدث والقنا تفرع القنا ، وموج المنايا حواها متلاطم ، ونسيت نازك دفعة واحدة ابا العلاء يأكل العادس وهو في محبسه ، ونسيت ابن الرومي يأوي الى الخان . . نسيت كل هذا وحملت كل يعيش في قمقم الاحلام واوهام الف ليلة وليلة ، ثم هي واصحابها من الشعراء المحدثين يريدون

ان يخرجوا الشعر العربي من قمم الاحلام ومن اوهام
الف ليلة وليلة .

الا ما اقرب الشعر العربي القديم من الواقع ، وما
اقرب الشعر الحديث الى الاحلام ، وان كان في الشعر
العربي القديم احلام كثيرة ، وفي الشعر الحر واقع كبير .
لما العامل الثاني الذي تذكره نازك من العواصم
الاربعة التي دفعت الى الشعر الحر ، فهو الحنين الى
الاستقلال - فقلت نازك :

يحب الشاعر الحديث ان يثبت فرديته باختطاط
سبيل شعري معاصر ، يصب فيه شخصيته الحديثة
التي تتميز عن شخصية الشاعر القديم .

ونحن نفهم هذا ونقره ، ان حرقة الاستقلال هذه
كما قالت ، تساهم الى حد ما في دفع الشاعر الحديث
الى البحث في اعماق نفسه عن مواهب كامنة .
ولسنا نجد اصدق من تشبيهها للشعر الحديث بما
قالته عنه حين قالت : يعني هذا ان حركة الشعر الحر
جدورا نفسية تفرضها ، وكان العصر كله اشبه بفلام
في السادسة عشرة يرغب في ان يعامل معاملة الكبار
فلا ينظر اليه وكأنه طفل ابدى .

امرك يا سيدي ، سنضف طرفنا عن صفك شعور
المراهقين ، وعن قصر تنانير المراهقات ، ونقول لهم ،
انتم لستم مراهقين ، انكم رجال مثل ماشيست الجبار ،
ونقول لهم انتم لستم مراهقات انكن نساء مثبيل
السعالى - سعالى الشاعر القديم - لقد صدقت نازك
في هذا ، وصدقناها .

ولكننا لا نصدقها حين تقول ان الشاعر الحديث
يريد ان يكف عن ان يكون تابعا لامرء القيس ، والمتنبي
والمعري .. ان الشاعر العربي احدث حين ينظم الشعر
على الاوزان القديمة ليس تابعا لاحد ، ان حقه في هذه
الاوزان كعربي مثل حق امرئ القيس والمتنبي والمعري
سواء بسواء بل لعل امرأ القيس نفسه لم يدع ملك
هذه الاوزان حين قال :

عوجا على ظل الديار لعننا نيكى الديار كما بكى ابن حزام
وكذلك فعل زهير بن ابي سلمى حين قال :

ما اراتنا نقول الا مسبارا او مسادا من فصولنا مكرورا
ثم لم يكن النظم على اوزان الشعر القديم - وهي
اوزان كثيرة - عبودية ، ولماذا يكون النظم على اوزان
الشعر الحر - وهي تكاد تكون نمودجا واحدا عند نازك
حرية واستقلالاً ؟

وتذكر نازك في العامل الثالث النفور من النمودج ،
وتقول : « من طبيعة الفكر المعاصر عموما انه يبتغى الى
النفور مما اسماه النمودج في الفن والحياة ، واقتد
بالنمودج اتخاذ شيء ما وحدة ثابتة وتكرارها بدلا من
تغييرها وتنوعها .

وتتطرق نازك الى رأي في الفن العربي مستمد من
رأي المستشرقين ، لا نستطيع نحن ولا نستطيع هي ان
تقرره بعد ان مزقه الباحثون في الفن العربي الاسلامي ،
ورأوا في الفن العربي مجالا رائعا قد تنقصه بعض الاشياء
التي يتميز بها الفن الغربي ، ولكنه كان تعبيراً صادقا عن
حياتنا وفكرنا وعقيدتنا ، وتطبق ذلك على الشعر القديم
فتقول :

كان الشعر او البيت يتخذ وحدة ويحافظ الشاعر
على عزلة هذه الوحدة مراعي المسافات المضبوطة بينها
وبين سائر الوحدات التي يكررها الى نهاية القصيدة .
هذا ما تقوله الشاعرة ، ولست اجد في كل ما
سمعت عن الشعر العربي اكثر تضليلا من هذا الكلام ،
واشد ظلما للشعر العربي منه .

مثل هذا الكلام لا يقوله واحد قرا شيئا من الشعر
العربي ، كيف تقوله شاعرة عربية كبيرة اطعت على
الشعر العربي كله او اكثره ، وهي تخطط لمقاييس جديدة
في هذا الشعر .

ليس صحيحا ما زعمته الشاعرة الكبيرة من ان نظام
الشعرون في الشعر العربي يفرض شكلا مقيدا بنمط
معين ذي طبيعة هندسية مضبوطة ولا ان القوال يفرض
شكلها على المادة التي تنضبط في داخلها ولا ان القصيدة
الطرية ذات الاطوال الشاعرة والمسافات المتناقعة تجعل
المادة التي يعالجها الشاعر هي الاخرى ذات مسافات
متناقعة .

كل هذا غير صحيح . مثل هذا الكلام يقوله النظمون
لا الشعراء ، ولان من يقرأ الشعر العربي والبحر
الواحد من هذا الشعر يلاحظ دون كبير
مشقة ان هذا البحر تختلف انقاسه واطواله
ومسافته باختلاف الشعراء اولا وباختلاف الموضوعات
ثانيا . ان لكل شاعر موسيقى خاصة داخل البحر الواحد
ومن اجل ذلك كنا نعرف الشاعر من انقاسه في الشعر
ان صح هذا التعبير قبل ان نعرفه من موضوعه او من
روحه ، خذوا قصيدة المتنبي .

على قدر اهل العزم تأتي العزائم ، وتأتي على قدر الكرام
المكارم ثم اقرؤوها بيتا بيتا ، الا تبون ان نفس المتنبي
في هذه القصيدة تختلف عن نفس أبي تمام في قوله :

كذا فيلجل الخطب وليفزع الامر ، فليس لعين لم يفس ماها عابر
ويختلف انفسان عن نفس أبي العلاء في قوله :

غدت عريض العقل والدين فالتني تسع انبساط الامور المصالح
تسلك هذه القصائد من البحر الطويل ومع ذلك فان
لكل واحدة منها نفسا خاصا ، روحا خاصة ، تدفقا خاصا ،
بل ان القصيدة الواحدة - قصيدة ابي الطيب مثلا -
تختلف بمساقاتها واطوالها من بيت الى بيت ، ولا كيف
تقرأ هذه الابيات :

هل الحدث الحبراء تعرف لونها وتعلم : أي السالفين الفيساليم
بتأبها فاعلى القنا بقرع القسا وموج التابا حوله متلاطم
وفلت وما في المسوت شك لوالفد كاسك في جنن الردى وهو نام
نمر بك الإبطل كلتي مزبسة ووجهك وضاح وتفرق باسم

إنا حين نشيد الشعر العربي - وافول نسلده - لا
نشعر بالتعبير نعرض علينا نفسها ، ولنا شعر بالمعاني
والمواظف ، وقد فرصت علينا نفسها وجهلتنا لون صوت
يتلونها ، ونفسهم وفعاثا وانطلاقا حسب تدفقها وتوهمها
ويعبرها ، إنا نشيد الشعر - هذا هو التعبير الذي نأ
يعضبه القدماء ، ولا نقرأ الشعر ، وخاصة لا نقرأه نحس
نعرف بخره إلا إذا تعمدنا ذلك تعمداً ، إذا كنا نتعلم
أعروض ، أو إذا كنا نعرض هذا الشعر على مدعيين
الإبحر لنعرف وزنه ، وليس البحث عن الوزن والبحر
استناداً للشعر ، إنا لا ندد نميز الشطر الواحد في تثير
من الأحيان حين نشيد الشعر في الشطرين .
رحم الله إجدندا لقد كانوا يسمعون أصوات
الشعراء من قصائدكم حتى حين لا يشدها هؤلاء الشعراء
كانوا يميزون نبراتهم حين يغروون شعرهم حتى إذا دنوا
غائبين عنهم .

« دخل رجل على داود بن يزيد بن حاتم ، وقال له
قدمت على الأمير يملح يسمعه فيعلم به تقدمي على
غيري ممن امتدحه فقال فلما افتتح القصيدة بقوله :

لا تدع بي الشوق أني غير معمود نهى النهر عن هوى القيد الإماليد
استوى جالساً واطرق ، حتى رأى الرجل على آخر
الشعر ، ثم رفع رأسه إليه فقال هذا شعرك ؟ قال : نعم -
أعز الله الأمير - قال : في كم قلته يا فتى ؟ قال : في أربعة
أشهر أبقاك الله . قال : لو قلته في ثمانية أشهر لكنت
محسناً ، وقد انتهكت لحدود شعرك وخمسل ذلك ، فإن
كنت قائل الشعر وهبت لك مائة ألف درهم والأحرمتك ،
فقال : أو الإقالة أعز الله الأمير ؟ قال : قد افلكت . قال :
الشعر لمسلم بن الوليد وإنا رأويته ، والوفاء عليك بشعره ،
فقال : إنا ابن حاتم ، أنك لما افتتحت شعره سمعت كلام
مسلم يناديني فأجبت نداه واستويت جالساً ، ثم قال
يا غلام : أعطه عشرة آلاف درهم ، وأحمل الساعة إلى
مسلم مائة ألف درهم » لقد عرف ابن حاتم شعر مسلم
حينما سمعه من الراوية الذي ادعاه لنفسه واستسوى
جالساً كأنه يجيب نداه ، لأن جرسه مألوف إلى أذنيه ،
ومذاقه معروف في شعوره ، لا يمكن أن يختلط عليه
بشعر سواه ، ولا يتجس أي شخص أو أي إنسان في
ادعائه أن ادعاه . »

هكذا كانوا يميزون الشعر ، ولم يدع واحد منهم
ولا يمكن أن يدعي واحد منهم أن الشعراء كلهم ينظمون
بحورا واحدة ف شعرهم كله ذو أطوال ثابتة ومسافات
متناسقة ، وكيف يمكن لشاعرة عربية كبيرة أن تقول

ذلك : ذلك ما لا أعرف له سببا ،

جدا لو عرضت الشاعر الأسباب التي دعته إلى
نظم الشعر الحر عرضا إيجابيا ، دون أن يهاجم الشعر
العربي عن جهل أو عن علم ، عن بساطة أو عن غرض .

جدا لو اكتفت بقولها حين قالت : قد يسروق
الشاعر الحديث أن تستوعب عبارة واحدة بيتين أو ثلاثة ،
وقد يجب أن يقف في نصف الشطر ويبدأ عبارة جديدة
تنتهي في نصف الشطر الثاني ، ذلك امر نفهمه قليلا أو
كثيرا ، ولكنه لا يهتم الشعر العربي كله .

بل إن القافية نفسها في الشعر العربي الأصيل
ليست امر يتقيد به الشاعر ، « أن القوافي تتساقب
السيابا وتنثال أنثيالا » هذا هو التعبير الجميل الذي
كان يستعمله القدماء عندما يتحدثون عن القوافي الثابتة ،
أنك حين تقرأ للشاعر العربي قصيدته لا تكاد تشعر بأن
هذه القافية تفرض نفسها عليه ، أو أن المعنى يتغير
بتغير القافية ، وقديما ضحك القدماء طويلا على يحيى
بن أكرم حين سمع قول الشاعر :

ولما نلت منها القنقاع متيسم أروح قلب العماري متيسما
فان تصبب قلب العماري طلالا صبا بالأيام قلب يحيى بن أكرم

تسأله : ويحك ما فعلت لك حتى أدخلتني قسي
شعرك ؟ فقال له : متيسم أقعدتكم على طريق القافية . كما
عندما كنا صغارا ، نكتب أغوافي على ورقة ثم نبدأ بنظم
الشعر - وكل قافية كانت تفرض علينا معناها ، وما أظن
أن السيدة اللاتكة كانت تقيس على شعرنا في طفولتنا شباب
الشعر العربي بل ما أظنها تقيس على شعرنا حتى قسي
شبابنا شباب الشعر العربي :

لقد كنا نعرف في كثير من الأحيان قافية البيت من
صدر البيت وكيف يمكن ألا نعرف القافية سلفا في هذين
البيتين لأبي فراس :

اساء فزادته الاساء حلسوة حبيب على ما كان منه حبيب
بعد على الواشيان ذنوبه ومن ابن للوجه الجميل ذنوب ؟

وتهدأ أعصاب السيدة نازك قليلا في حديثها عن
العامل الرابع ، وهو في رأيها إثارة المضمون على الشكل ،
وتحملها هنا على عصر الانحطاط ، ونحن معها في حملتها
عليه ونقول :

« ولقد جاء عصرنا هذا على أثر العصر المظلم الذي
غلبت فيه على الشعر العربي القوالب الشكلية والصناعية
الغارقة والأشكال التي لا تعبر عن حاجة حيوية ، ووجد
الشاعر الحديث نفسه خلفا لأجيال من الشعراء يكتبون
الالغاز والمهمل والتشطيرات ولزوم ما لا يلزم وكل ما يدل
على أنهم لا يريدون إيصال مضمون لازم معين إلى قرائهم ،
وإنما همهم أن يخلقوا أشكالا مجردة ذات قيمة ظاهريّة
وحسب ، وقد كان رد الفعل المباشر ، عند الشاعر المعاصر ،

ان يتجه الى العناية بالمضمون ويحاول التمهيد لمسئور القصور الخارجية .

وعلى الرغم من ان الشعر المعاصر منذ مائة سنة او تزيد خمسين قد تخلص من تأثير شعر عصر الانحطاط ، وان البارودي نفسه اتخذ من الشعر العباسي نماذجيه ، فان هذه الرغبة في ايثار المضمون على الشكل موجودة لدى شعراء العصر الحديث ، وان كنت اعتقد ان حركة الشعر الحر حركة لغوية شكلية قبل ان تكون حركة مضمون وموضوع ، ولست اريد ان اشرح وجهة النظر هذه في هذا المجال ، وفي اخر الفصل الثاني هذا ، وكان نازك قد افرت كل ما تؤمن به وما لا تؤمن به من حملات على الشعر القديم لا من حقد عليه فيما اظن ، ولكن من حب الشعر الحر ، كما تحب المرأة في العادة ابنائها وتجاهلهم احلى الاطفال ، اقول في اخر الفصل الثاني تعود اليها ، على قلة ما تعود ، نفس الباحث المحقق ، لا صاحب الهوى الامعى فتقول :

« وانه ليهما ان نشير الى ان حركة الشعر الحر ، بصورتها الحقة الصافية ، ليست دعوة لنبد الابحر الشعرية نبدا تاما ، ولا هي تهدف الى ان تقضى على اوزان الخليل وتحل محلها ، وانما كان كل ما ترمي اليه ان تبعد اسلوبا جديدا توقفه الى جوار الاسلوب القديم وتستعين به على بعض موضوعات العصر المعقدة ، ولا اظنه يخفى على علس المتابعين ان بعض الموضوعات تنتفع بالاوزان القديمة اكثر مما تنتفع بالوزن الحر ، ولذلك لا نرى وجهها تسر به ميل بعض الناشئة الى ان يكتبوا شعرهم كله بالاوزان الجردية غير ان التعطرف شيء مألوف في تاريخ الدعوات الانسانية والاجتماعية ، ونحسب ان كل حركة تبدأ منظر فاولا ، ثم ترتد الى الاعتدال بعد ان تشد بها التجارب وتصفلها الحاجة ثم اتنا على يقين من ان كثيرا من المغالين في استعمال

الشعر الحر سيرتدون في السنين القادمة الى الاعتدال والاعتزان ويعودون الى الاوزان الشعرية فيكتبونها بعض شعرهم .

اما اليوم فنحن في شيء من القلق على الحركة ، نقلقنا هذه المغالاة التي تصاحبها ، وتلك الحدة والعصبية التي يكتب بها بعض انصارها التحسين الذين حسبوا ان محاربة ادابنا القديمة جزء من اهداف الشعر الحر ، وكان من الممكن ، على الاطلاق ، ان نبدا نحن شيئا لم يساهم اجدادنا الموهوبون في تمهيد السبيل اليه منذ الف سنة ، والواقع ان حركة الشعر الحر لن ترسخ في تاريخنا حتى يدرك الشعراء الحديث ان تراثه القديم قد كان هو المتبع الذي ساقه الى ابداع الجديد ، ولعل انكر القديم والمغالاة في النفور منه مظهر من مظاهر ضعف بالنفس عند الامم ، وقد لا يكون غريبا ان يحس الفرد العربي ، في هذه الفترة من حياته ، بشيء من هذا ، واكتنا على ثقة من انه ، وهو سليل هذا التراث الخصيب ، لا يمكن ان يبقى في هذا المستوى طويلا ، ولا بد ان يسيطر على ابعاد نفسه كلها في المستقبل القريب ، واذ ذاك سيدو له الشعر الحر نقطة صغيرة في تاريخه الكبير ، وسيدرك اول مرة ، ان اوزانه التي ابتكرها قد بلغت مرحلة النضج وباتت جزءا حيا من تاريخه الادبي العريق .

ذلك هي الدواعي التي ارادت نازك ان تضعها على الشعر الحر ، وقد رأينا انها دواعي تعتمد ، وبلا لاسف ، على التحجج على الشعر العربي القديم قبل ان تكون ايضا حاجات نظر الشعر الحر الحديث ، ولكن الشاعرة تعود الى الانسحاب ، وليتها لم تتركه ، اذن كانت شاعرة كبيرة واباحة متجردة في آن واحد .

عبد المعين الماوي

دمشق

شوق

آه يا ظالم لو كنت معي !
ضمني الليل جرت في مضجعي
تلتقي حرقة في اضلعي
يا للقلب النازح المتقطع !

لست ارضى غير حمام مترع
ترجع الماضي ولو في مسمعي
فانقضى العمر ولما يرجع
قد دعوناك وان لم تسمع !

سعيد العيسى

من « العروة الوثقى »

هزني الشوق فأجري ادعني
عبرة داريتها حتى اذا
لم يردني البعد الا صبرة
اجفاء ، وصدود ، ونوى ؟

املا الجمام وائرعه امسى
واسكب الالحان سكرى عليها
خلته يرجع من بعد النوى
ايها الساقى اليك المشتكى

لندن

القوم يقرؤون...

بقلم مبارك ابراهيم

« مذكرات فيلسوف رحالة » للكونت هرمان الكسندر
كيرزلنج (المولد عام ١٨٨٠) ..

صاحب هذه المذكرات كاتب وفيلسوف اجتماعي عاش
في باريس وأنجلترا (١٩٠٣ - ١٩٠٥) وعاش في برلين
(١٩٠٦ - ١٩٠٧) وعاش بعد ذلك في أرض بيلطكا في
(استونيا) . ولما استصفت الثورة الروسية أملاكه ذهب
ليقيم في مدينة (دارمستاد) وهناك أسس مدرسة
سمها (مدرسة الحكمة) وكان ذلك عام ١٩٢٠ . ثم
أخذ يروج الاقطار ويلقي محاضراته في كثير من البلاد.
ومنها الولايات المتحدة الاميركية .

وصاحب هذه المذكرات عالم من العلماء الناهيين . وهو
يقول ان الذي حفزه على الارتحال والتطواف حول العالم
هي الرغبة في ان يعرف نفسه ويحقق ذاته .. وهو اذا
أشاد بمحاسن منظر عابر في بلد من بلاد الشرق الاقصى
او في إحدى الحدائق الغناء بولاية كاليفورنيا فانه يقوم
تلك الاشادة على ما يقوم بين تلك المشاهد وبين
مطامحه ورغباته .. وهو يشرع قلمه ليكتب فلسفة تتقار
وكانها إحدى القصص التي تحدثت في تلك الحياة
الباطنية .

واستهدفا لهذا المثل الأعلى نراه يزور سيلان والهند
والصين واليابان والولايات المتحدة ليقوم بدراسات
للثقافات الروحية لأقوام تلك البلاد .. وأول اثر سحري
يجمع بين غرابة الشرق وجماله قد ألم به وطاف بخاطره
وهو في سيلان .. وهو يقول :

ان وفرة النشاط العام الذي يتبدى في نمو الكائنات
في المناطق الاستوائية نمو يفوق الحد قد جعلته يعرف
سر شوق البوذي وتطلعه الى بلوغ مرتبة (الزقانا) او
مرتبة النعيم القائم على رضا النفس . وذلك كمثابة امن
يلوذ بها من ويلات الوجود . وقد قادته هذه الملاحظة
الى دراسة البوذية دراسة جادة دقيقة ..

وهو في الهند قد تأثر بالمثل الهندية الكاملة . وبالقيمة
العظمى لممارسة (البوذية) وهي التي تقوم على تدريب
الارادة بالترديد الدائم لعملية التركيز في ابعاد حدود
الاستطاعة وذلك لبلوغ مرحلة التهذيب الداني . وهو
يقول : - ان الحالة العقلية في حد ذاتها ، لا بُدَّ أن تؤدي
اليه هي - في نظر العقيدة الهندية - القياس الصادق

للخلق .. ثم يعضى فيقول : ان المعرفة لا تؤدي الى
النجاة فقط . ولكنها هي النجاة في اتم حالاتها ..
ان العقل الهندي يتسع لكل شكل من اشكال الحياة .
ولكل لون من ألوان الفكر . بوصفها اشكالا والوانا صالحة
في مراحلها الخاصة من مراحل الوجود ..

وفي مدينة (كلكتا) تعرف بالجماعة المحيطة بالشاعر
الكبير (تاجور) وكانوا كلهم من الفنانين والكتاب
والموسيقيين .. وهو يصف المثل الأعلى للكمال عند
الصينيين بأنه يمثل لونا من الثقافة الاخلاقية كما يمثل
لونا من الايمان بالتوافق الاصيل القائم بين المبادئ
الاخلاقية وبين العالم المادي . كما يمثل كذلك لونا من
الخضوع للربيع النظام الطبيعي للاشياء ، المنبعث من
هذه العقيدة .. وهو يقول : ان المرء يستطيع ان يكون
تقي السر تقاء تاما اذا كان تقي العلانية تقاء تاما ..

وهو يرى ان اليابانيين ليسوا مقلدين لغيرهم وانما هم
قوم اذكياء يستكشفون العالم متخذين سبيل الملامسة
بينهم وبين العالم الخارجي بروح من الوطنية الصادقة .
وهو ينظر الى المرأة اليابانية نظرتة الى اكمل امرأة في
عصرنا هذا ..

ومع انه ينظر بعين الرضا الى فلسفة الشرق التي
تقوم على التأمل والتدبر فانه يؤمن ايمانا عميقا بدنياميكية
القرب . ويسلم بان العلم التجريبي قد عمل في سبيل
تجريب الجماهير اكثر مما فعلت حكمة الحكماء . ولكنه
يعود فيسدي اقتناعه بان كل على فرد ان يجد في سبيل
بلوغ هذه من حيث معرفته لنفسه وتحقيقه لذاته ..

« رسائل الى مؤلفين طواهم الردي » ، للشاعر العام
الاديب الايقوسي « اندرو لانج » ١٨٤٤ - ١٩١٢ ..
يكفي للشئاء على هذا الكاتب انه شارك في ترجمة
الادبسية والابلاذة . وانه أسس جمعية البحوث
النفسية ..

وكتابه هذا يتضمن مقالات قصيرة تدور موضوعاتها
حول النقد ، وقد وجهها في سخرية رقيقة الى « الاعزاء
من النساء ومن الرجال الذين طواهم الردي » وكانوا في
حياتهم قد امتحنوا بمحنة التأليف .. وقد وجه رسالة
من تلك الرسائل الى الاستاذ « ايناك والتون » المتوفى
عام ١٨٨٣ . وصاحب الطرفة البديعة « الصياد الكامل »
وهو كتاب تدور موضوعاته حول الانهار واحواض
السماك ، وحول الاسماك وصيدها . وكان هدفه من
تأليف الكتاب الذي نشر لأول مرة عام ١٦٥٣ ان يعلم
الناس فن صيد السمك الذي برع فيه بطول الخبرة
والمرانة .. واتخذ في كتابه أسلوب الحوار . وادار
الحدث فيه بين مجموعة من صيادي البر والبحر
والسماء . وبين فتاة تحلب اللبن ، وبين آخرين .. وقد

http://Archivebeta.nl

القرى وعرف الفجر وصاحبهم ومشي في ركايبهم . ثم عمل مندوبا لجمعية الانجيل فظل سبع سنين يطفو في بروسيا واسبانيا والبرتغال ومراكش ، وهو يدرس لغة كل بلد من تلك البلاد ..

وفي عام ١٨٢٦ نشر ترجمة لاغان دنمركية . وفي عام ١٨٤٠ تزوج واستقر باحدى المدن بمقاطعة (نورفوك) وطاف بالحاء انجلترا القديمة . وكان يرحب بلقاء الفجر في مخيم اقامه بارض له فتوطدت بينه وبينهم اواصر الود . وفي عام ١٨٧٤ ألف قاموسا في لغة الفجر .. وقال كاتب من كتاب التعريفات : ان اشخاص كتبه مستقاة صورها من مصادر اسبانية . وحياة الفجر واساطيرهم صورة تنعكس منها ظلال على رجال عصره وعلى المثل الاخلاقية السائدة يومذاك ..

و « لافنجر » عنوان كتابه المسمى بهذا الاسم . صورته كاتبنا في صورة شاب جعل يومه نصفين فنصف في مخيم الفجر ونصف في ناد من اندية الفلسفة . وكان هدفه في هذا الكتاب ان يبين للناس عظمة الخالق وواسع رحمته ..

وكان يرى ان يشجع عمل الخير وان يشيع فسي الناس كل خلق كريم . وكان يطلق كلمات (العالم) و (الفجري) و (الكاهن) على اشخاص قصصه لجعل من كل منها علما على مختلف صنوف الناس . وكان يرمي من اصطناع الاساطير ان يعلم الناس المثل الاخلاقية العليا . أما كتابه (الزنجالي) او كتاب (الفجر فسي اسبانيا) فقد كان ثمرة من ثمار رحلته الى اسبانيا وقد قصير الحديث فيه على الفجر وحدهم . وسحر هذا الكتاب الذي تفيض جنباته بال نوادر والقصص يتمثل في الوصف الدقيق الامين ، فالفجري الاسباني - كما يصفه المؤلف - يختلف في نواح عديدة عن الفجري الذي يصوره الخيال القصصي ..

والمؤلف يصور الفجري في كتابه هذا صورة روعيت فيها الدقة والامانة . فهو يصور للقارى جراءة الفجري كما يصور فيه بؤس عيشه ، وكذلك هو يصور فضائله واخطائه . وهو يصور ولاء لاسرته . وحبه لاقربائه كما يصور غدره المتواصل المتمكن ..

وقد عقد في كتابه هذا فصلا عن الفجر في مختلف البلاد وصف فيه الفجري العالمي الذي هو ثمرة من ثمار الشرق المحاط بالاسرار ..

كذلك يصور المؤلف مظاهر الافة التي كانت تقوم بينه وبين الفجر . ويقول انه اتفق له ذات مرة وهو في مدينة « نوفيورور » الروسية ان نطق بعبارة واحدة من عبارات لغة الفجر فما لبث ان جاءه جماعة منهم تفيض نفوسهم بالبهجة وتنطق السننهم بعبارات التحية والترحيب .. ان حب (جورج بورو) للمغامرة وللعيش عيشا يجافي العرف وينافي التقاليد . وكذلك ولعه بتعلم

الغفره هذا الكتاب يلقب (الاب للصيادين جميعا) . وقد تتلمذ عليه كل من كتب في هذه الموضوعات بعد زمانه .. ويقول « اندرو لانج » في رسالته الى ايراك والتون : ان من عادتي اذا لقيت السكون بردائه وذهبت لصيد السمك ان احمل في حقيبتي كتابك اللطيف « الصياد الكامل » فهو يخطر ببالي ان اذا لم اغفر بسبكة اصيدها فاني اكون قد استمتعت بلذة قراءة هذا الكتاب البديع .. وفي رسالته الى (تاكرى) يقول : وانت اذا تكلمت جادا غير هازل فاني جمال ساحر في الكلمات واي جمال نادر في التعبير ينعم به ادبنا ولا يجده عند احد سواك .. وفي رسالته الى « ديماس » يقول : - ليس فسي الادباء الحديثة ما هو ابرع واعظم واحفل بالحنان والخير مما حوته رسائله ..

و « اندرو لانج » في كل رسالة من رسائله يبعث بحياته الفاضلة الى الكاتب الذي يتحدث عنه . وهي تحيات تتضمن الثناء على ابداع اثار ذلك الكاتب . وكل رسالة من رسائل « اندرو لانج » تفيض بالبهجة وتناي عن الغرور وعما يطيه الهوى .. ولكن تحت الصفحة الهادئة الساكنة ينساب النقد الدقيق انسيابا هادئا رقيقا ..

كتاب « الزنجالي » او « كتاب الفجر في اسبانيا » بقلم (جورج بورو) (١٨٠٢ - ١٨٨١) كتب اميل ليجوي استاذ الادب الانجليزي في السربون والمتوفي عام ١٩٣٧ يقول : من المناسب ان نعلم « جورج بورو » من الكتاب الواقعيين على الرغم من قصصه التي تتحدث عن الفجر وتقص اخبارهم . وتحمل القارى الى عالم يبدو كانه من عوالم الخيال .. وكتبه التي عنوانها (الانجيل في اسبانيا) و (لافنجر) و (سيد من الفجر) الاولى بها ان تسمى « مذكرات مسافر » او « لمحات خاطفة من ترجمة حياته بقلمه » من ان تسمى قصصا وروايات . ولست تجد كتابا من كتاب منتصف القرن التاسع عشر قد بلغ هذا بلغه (جورج بورو) من عدوية الاسلوب وجدته ، وحلاوة التعبير ورقته .

ولست تجد كتابا من معاصريه يتدفق مشاهد المخاطرات كما يتدفقها صاحبنا . فلقد كان (بورو) رجلا غريبا ذا شخصيتين ، تلقاه اليوم بروتستانتيا مترمنا . ينكر على الفجر عبادتهم للاوثان . وتلقاه غدا محبا للانطلاق والتحرر . وملاكما يجند للكر والوكر . ثم تراه بعد غد يصادق المشردين ويلف لفهم ..

وترجم كاتب لحياته فقال : هو كاتب ، وعالم بالالفات . تلقى العلم في جامعة (ادنبره) وكان يجيد سبع لغات ، منها لغة الفجر . وقد ترك دراسة القانون ليتفرغ لدراسة تلك اللغات . وقد طاف بمدائن انجلترا . وجاس خلال

اللغات هي امور قد سارت كلها تسالده بعضها . وعينه
في كل ما كتب ..

من كتاب « حياتي كرائد من الرواد » للجغرافسي
المكتشف السويدي « سفن هيدن أندرس » الولود
عام ١٨٦٥ : يتحدث هذا الرائد عن نفسه فيقول انه ولد
في مدينة ستوكهولم . وطوف في ارجاء فارس والعراق
(١٨٨٥ - ١٨٨٦) والحق بسفارة الملك اوسكار لدى
شاه الفرس (١٨٩٠) وارتحل الى خراسان وتركستان
(١٨٩٠ - ١٨٩١) واجتاز صحراء (جوبي) وبلاد
(التبت) ١٨٩٩ - ١٩٠٢ . وسافر في فارس الى
الهند عن طريق (التبت) ١٩٠٥ - ١٩٠٨ . وعمل في
بعثة صينية - سويدية (١٩٢٦ - ١٩٢٣) . ويقول
ان له مؤلفات اخرى غير هذا الكتاب منها « كتاب اسيا
من ادناها الى اقصاها » (١٨٩٨) . وكتاب « من
القطب الى القطب » (١٩١١) ، وكتاب « بغداد »
و « بابل » و « نينوى » (١٩١٧) ، وكتاب « يست
المقدس » (١٩١٧) ، وكتاب « جبل ايفرست » (١٩٢٣) ،
وكتاب « جيپول » مدينة الاباطرة (١٩٣١) . والقارىء
للكتاب الذي جعلناه عنوانا لهذه الكلمة يراه في الفصل
الاول صبا في الخامسة عشرة من عمره يقف على
رصيف ميناء « استوكهولم » يرقب السفينة « فيجا

Vega » وهي تدخل وعلى ظهرها العالم الجيولوجي
والرحالة السويدي البارون « نوردن شولد » ١٨٣٢ -
(١٩٠١) عائلته من رحلته المليئة بالاعطال التي تحسب
لاستكشاف القطب الشمالي . وسمع الهفافات التي كانت
الجماهير تستقبل بها الرحالة العائد . فثارت في نفس
الصبي الرغبة الملحة في ان يعود مثل هذه العودة في يوم
من الايام .. واتفق له ان سافر الى (باكو) على بحر
قزوين وهو في العشرين من عمره كعالم لولد احده
المهندسين السويديين ، فحولت هذه الرحلة انتباهه
الى اسيا .

ولما اتم مهمته انفق المال الذي كسبه في اعداد رحلة
الى ارض فارس والعراق فسافر الى بغداد ومنها اجتاز
الصحراء ، ثم عبر كردستان وغرب فارس الى مدينة
طهران ..

وبعد سنوات قلائل ارسله ملك السويد ليعمل مترجما
لبعثة خاصة بعث بها الى الشاه فتعلم هناك اللغتين
التتبية والفارسية . ثم اخذ يجد في الدرس حتى
استطاع بعد حين ان يحاضر ويكتب بالالمانية والانجليزية
والروسية ..

وبعد الفراغ من مهمته مضى قدما في رحلة تكتنفها
الاهوال ، اجتاز فيها بلاد القوقاز والعراق وفارس

وتركستان الروسية وبخارى حتى بلغ تركستان الصينية
.. وبعد عامين قضاهما في دراسة جغرافية اسيا خرج
في رحلة استغرقت ثلاث سنوات ونصف السنة جاب
فيها مساحات من الارض يزيد عن المساحات التي تفصل
بين القطبين .. وصادف في هذه الرحلة اخطارا واهوالا.
فنصدي له قطاع الطريق . وهبت العواصف الرملية
فكادت القوافل التي كانت تضعه ان تهلك من اخرها ..
ونظر ذات يوم فاذا به لا يملك درهما . وهو في بلاد
غريبة . ولكن ميون العناية كانت تلاحقه دائما . وكان
هو رجلا واسع الحيلة ، حسن التدبير ، قوي البنية ..
وفوق رمال الصحراء نفقت جماله كلها . وهلك نصف
رجاله من العطش ونجا هو واثناث معه من الموت باعجوبة،
فقد عشر ذات ليلة على غدير صغير من الماء كان قد خلفه
السيبل شرب واروى . وكتب له الحياة ..

اما رحلته الرابعة فكانت الى قلب اسيا . وكان ذلك
عام ١٨٩٩ ، وكان بعينه وبمده بالمال في هذه الرحلة ملك
السويد وقصر الروس .. وحاول وهو يستخفي في زي
حاج من الحجاج ان يبلغ المدينة المقدسة مدينة (لاهسا)
عاصمة بلاد (التبت) . وهو وان كان قد نجح في اجتيازه
بقاعا من ارض (التبت) لم تطأها من قبل قدم رجل
ابيض فقد صد اخر الامر عن الوصول الى المدينة
الحرمية ..

واخر رحلة استكشافية له في ارض اسيا قد بلغت
به مرة اخرى بلاد (التبت) وذلك عبر الجبال التي تناخم
الهند . اما طريقه في تلك الرحلة فكان طريقا يحيط
به الموت من كل جانب . اذ كان هو ورجاله يحاربون
العواصف الثلجية والبرد القارس حربا لا هوادة فيها .
وفوق ذلك فقد كانوا يعانون غصص الجوع وذلك بسبب
نفاذ الزاد .. ثم قامت في وجهه المعارضة السياسية من
جانب انجلترا والصين وروسيا فاعاقت تقدمه . ولكنه
على الرغم من ذلك قد استطاع ان يكتشف منابع نهري
السند ، كما اكتشف بقاعا غير مطروقة وهو مستخف في
زي راع من رعاة الغنم . ثم اذا به يقع بعد حين اسيرا
في قبضة اقوام (التبت) . ولكنه نجح اخر الامر في
بلوغ ارض الهند وعبر هو ورجاله الحدود التي تقوم بين
(التبت) والهند فوق سلك بحري يمتد فوق مضيق
مائي بعيد الهوى .. وكان الرجال والخيل والكلاب
والصناديق تجر كلها فوق حوامل خشبية .. ومن مدينة
(سمل) احدي مدن الهند سافر الى اليابان حيث احتفت
به الجامعات احتفاء بغرق الوصف . كما كرمته الجمعيات
الجغرافية والملوك والاباطرة .. وبذلك تحققت له رؤيا
صباه ...

مبارك ابراهيم

القاهرة

توارث الشمس خلف السحب الداكنة
كمادتها منذ ثلاثة أيام مضت اشتدت
فيها العاصفة ، وأحالت الجزيرة
الصغيرة الى بحيرة تتخللها مساكن
الخشبية المتواضعة التي يسكنها
الصيادون .

كان الصباح بلا شمس ...
والصغار قد صنعوا من قطع الخشب
قوارب صغيرة .. وصاروا يلهون
بها في الطرقات التي أصبحت خلجانا
بحاول كل منهم ان يتخذ من ابيه
صورة تتفق مع خياله الضيق ،
وامكانياته الضعيفة .

و « مرسى » الصبي الهادي
الوداع ينتقل بين الصغار يشارك
هذا وذلك ولكنه يمتاز عنهم بسكينته
واستسلامه في بعض الاحيان لخياله
وافكاره .. وهو بين الحين والحين
يتركهم ليذهب الى فناء دارهم حيث
تجتمع النسوة بملابسهن السوداء
البغيضة الى نفسه .. بعضهم
يرثرون وبعضهم يبكي بهنو ينمنا
الباقيات قد اكتفين بما ارتسم
على وجوههن من آيات الزمن والاسى
اما انه فتبدو ذائلة .. قد جف
وجهاه .. تلقاه بشعر مات فوقه
الابتسامة الموهودة ، ولكنها تمنحه
حبدا اكثر مما اعتادت ان تمنحه
والنسوة يخصصنها بالناية والاهتمام
لا تنصرف احداهن الا وتشد على
يدنها ... وقد تدنو منها لتقبلها
ولا تقبل اخرى الا وتقصدها هي
بذاتها لتعانقها باكية .. وتهمس
بغبارات مؤمنة تزيد من يقينها بالله
ويقف الصبي ذاهلا .. وعقله
الصغير يحاول ان يفهم مغزى كل
حركة يراها ، وكل همسة يسمعا
وقد انتابه شعور عميق بالقلسوق
والحزن .. يقف ازاءه كالعاجز الذي
لا يملك من امره شيئا .

وتاهب ذات مرة ليعود ادراجها
الى الصبية الصفار ليعود بظفر
لدهيم ببعض الراحة التي تشدها
نفسه ... ولكن باب الدار يفتح
ويظهر رجل خشن المظهر ... حائل

اللون غائر العينين قد طال شعر
لحيته ، وبدا معتبرا بلا نظام فسي
اتحاء وجهه الذي تدوفيه اثار كدمات
قليلة ، وثيابه الرثة الممزقة تفوح منها
رائحة غير مقبولة هي مزيج من
رائحة العرق والسمك والطين ...
حافي القدمين تبدو فيهما شقوق
غائرة تستر بعضها طبقة رقيقة من
الطين .. خائر القوى يلهث كانما
عاد من شوط بعيد .. ولم تكن
تلحمة النسوة حتى هرعن نحووه
يتجاذبه وهو لا يقوى على الاحتفاظ
بنفسه بين جذبهين ثم ترمين بمقربة
من الباب فيلتفنن حوله في شبه
حلقة وهو بين الحاحن عليه
مستفترات سالات - يفر راسه
ورده ان يتمهل ريشما يسترد قوته .



يقلم يوسف حسن نوفل

ARCHIVE
http://Archiveteen.Sakhr.com

و « مرسى » قد اسند ظهره
الى الحائط واخذ يرقب الرجل بعينين
مفتوحتين محمقتين يلعب فيهما
الامل والرجاء واذنين مشدودتين
اليه .. وقد عقد يديه وراء ظهره
بعد ان كان قد كبا على وجهه انشاء
اندفاع النسوة نحو هذا الطارق ..
وحانت منه التفاتة الى امه فوجدها
ترمق الرجل بعينين ساهمتين وقد
عقدت الدهشة على وجهها حيرة
يمازجها امل وخوف وسالت على
وجنتها دعتان تلمعان .. لم يكد
براهما حتى احس هو الاخر بدموعه
تساقط على وجهه .



وجال الطارق بعينه فيمن
حوله .. ثم ركزهما قليلا على وجه
ام « مرسى » ومساها ان اح
« مرسى » حتى سارع لمديده وهنف
من اعماقه : « مرسى » .. تعال
واسرع « مرسى » اليه واحتضنه
الرجل وقبله بحتان بالغ وهو يبكي.
وضج فناء الدار بعويل النسوة
وبكائهن .. لكنما يتسابقن فسي
اختيار العبارات ذات الوقوع
في الحار الحزين .. ثم اخذت اصواتهن
انخفاض قليلا قليلا .. حتى تلاشى
تماما حينما سمعن الرجل يخاطب
« مرسى » ويضمه ويقول بصوت
حنون ضعيف :

« ابوك حي يا بني . ابوك حي » .
وعاد النسوة اليه والتفنن حوليه
كما كن من قبل .. بعضهن اسرع
بالسؤال والاستفهام .. وبعضهن
اكتفى بالانتظار والانصات .. ثم
بلغ الرجل ريقه بصعوبة .. وطلب
قليلا من الماء . ثم طوق « مرسى »
بذراعه واجلسه الى جانبه .. وطفق
يقول :

« ام مرسى .. اطمئي .. ابو
مرسى حي » .
ثم اخذ نفسا عميقا واستطرد :
« اه لو سمع كلامي .. ما تفرقتا
قلت له : « يا ابا مرسى لا ينفي انى
تفترقي .. فلترطب جبلا على
رجليننا .. ونعوم ان متنا نمت معا
وان عشنا نعش معا » .
ولم يكد الرجل يصل الى هذا الحد
من حديثه .. حتى دوى الفناء
بالصراخ والوعويل لكنما كان هذا
الكلام تصريحا بموت « ابي مرسى »
غريقا في اعماق البحيرة .
ثم يستطرد الرجل بصوت مرتفع
لاداعي للجلبة .. ما زال الرجل
يتمتع بالحياة .. ما زال حيا .
ثم اقتدل وقال :

« ما بلغت الشاطيء .. القيت
نظرة فلمحت على مرمى البصر شيئا
يتحرك فوق قطعة خشب كبيرة
بجوار الركب الغائرة في الماء ...

ساعتها شعرت برغبة جارفة فسي
الرجوع اليه ولكن لم استطع ان
اسيطر على نفسي .. خارت قواي
لشدة البرد وقوة الموج كانت الريح
تعوي والمطر يهطل .. فارتأت ان انتظر
ربما يصفو الجو واسترد بعض
قوتي واقبل الليل ولم اعد ارى شيئا
سوى الظلمة التي تلتف الكون ..

ثم يحدث نفسه وعيناه واجماتا :
« اه استغفر الله العظيم .. هذا
غضب الهى بدون شك !!

لم اسمع بعاصفة مثل تلك العاصفة
لقد كانت المركب كالريشة فوق الماء
ولم يشعر احد منا الا والسفينة
فوقنا شعرت بيد قوية تجذبني
بشدة الى الخارج كانت يدي
« ابي مرسى » وظللتا معا فوق قطعة
خشب كبيرة حتى اقبلت موجة
قوية فاصطدمت بنا ودفعت به بعيدا
عني .. ومرت دقائق حامية ابتعد
فيها عني وصار الاتصال به صعبا .
اه .. الله ملك يا .. مزروع .. »
ثم شوق واحتوى وجهه بكفيه واستسلم
للبيداء .

وانتبه « مرسى » ليد صغيرة
تسده .. صبي مثله يدعوه .
واستجاب « مرسى » وانصرف مع
الصبي الصغير وسار الى جانبه
مطرقا حزينا والصبي الآخر يحاول
ان يستأجره الحديث لينتزع
من صمته ويبرد عنه حزنه .. ويقول
له ببراءة وذكا :
« خذ يا مرسى هذه المركب
الصغيرة التي صنعها لي ابي هيا
لنلعب معا » .

ولكنه لا يجد من « مرسى » سوى
الصمت والاطراق ولا يكاد الصبي
يلمح في عيني « مرسى » بؤادر
دمعة توشك ان تطفر بجذبه ويندفع
معه ويخوضان المياه التي غمرت
الطرافات وارجلهم الصغيرة تفوق
فيها .. ولكن « مرسى » يحس للمياه
حرارة على غير عادته .. انه يحس
فيها دفء صدر ابيه .. ويحس في
ليونتها .. ليونة القبله وقرنتها ..

ويسيران حتى اذا بلغا الشاطئ ..
تجذب البحيرة بانسائها وصخبها
ناظري الصغير « مرسى » فيجبل
ناظريه في الاطراف المترامية للبحيرة
ويجذب اهتمامه كل حركة
يرمقها نظره الصغير فوق سطح المياه
التي تبدو كمرة مغيرة .. ويحس في
اذنيه شيئا كالهمس المكتوم لكل موجة
تتكسر على رمال الشاطئ وتترجع
مترنحة لتقبل مرة اخرى اقوى مما
عادت ... ولكن هل يقبل كل شيء
اقوى مما كان ؟

في المساء كانت ام « مرسى »
تحتضن صبيها الوحيد تمنحه
دفئا وحبا ... ودوى العاصفة
يكاد يسم الاذان .. والريح يسمها
« مرسى » كاللآلئ المكتوم فتتجسد
في عقل الصغير اخيلة مترافقة
مخفية .. تتصور اياه وقد قصت
عليه العاصفة . ويتذكر « جنبه
البحيرة » فيرتجف ويودا دلكاشا
والصفا بصدر امه . ثم تنتزع
اخيته مرة اخرى وتتصور اياه وقد
جلسته « الجنبه » .. من فوق سطح
المياه وغامبت به الى الاعماق ..

ويخرج « مرسى » في الصباح
تنهت امه متزعجة حين شعرت
به يهب من نومه فزعا .. واخذت
تهديء من روعه .. وساعتها لم
تقو على حبس دموعها .. وتتابعت
فطرات الدمع حارة ساخنة فوق
وسادتها واوشك قلبها ان يذوب
حينيا الى الزوج الغائب وراء اسوار
البحيرة وفموض العاصفة .

تبقظ الصبي على غير عادته
مبكرا .. وتحس الفراش عن
يمينه فوجد امه مازالت في سباتها
.. ولم يكذب تنهيا لاستئناف النوم
حتى سمع « الشيخ عبد السميع »
يبدأ في اذان الفجر فاستشعر
لذلك راحة عميقة واستبشرا جيلا
لم يكن يشعر بمثله من قبل ...
فقد عاقت العاصفة في الايام الثلاثة
الماضية « الشيخ عبد السميع »
عن اداء مهمته وفهم الصبي ان العاصفة

هدات قليلا .. وتابع الاذان .. ثم
طار النوم من عينيه .. ظل محمقا
بسقف الحجرة الخشبية لبسيطة ..
كان يأنس لاطمئنان روجي داخلي
.. ثم يعود الى الفرع والوحشة
حين تعاوده اخيلة حول ابيه الغائب
.. واحس برغبة عميقة فسي
الخروج .. وترتب قليلا حتى يبزغ
ضوء اليوم الجديد ...

كان قد تعود في اوقات خاصته
السنة ان يكون في انتظار ابيه على
الشاطئ الى صباح فلم لا يخرج
اليوم ؟ ... وقد هذا تالعاصفة
قليلا .. ربما عاد الغالب خلف
الاسرار .

لم يكذب يلمح بؤادر الضوء من خلال
نقوب جدران الحجرة حتى تلبخفة
حتى لا تمنعه امه .. وانسل الى خارج
الدار .. وطفق يعبر المياه الضحلة
في الطريق الى الشاطئ الذي كان
هادئا ... غير انه لمح على البعد
اناسا ... واخذ يعدو نحوهم
كاوا ثلاثة .. وجدهم مشغولين
في احكام رباط مراكبهم حتى لا تجرفها
الامواج وتبعدا عن الشاطئ .. ولم
يشعر به سوى احدهم .. ولكنه لم
يعره اهتماما .. وعاد يسير بلا هدف
على الشاطئ .. وفجأة .. توقف

.. شعر بشيء يشده الى حيث
ينظر .. وبشيء يجذبه الى حيث
يقف .. وتردد قليلا ثم نادت عنه
صيحة تجاوب صداها في الفضاء
الواسع ، واسرع مهرولا نحو الماء ..
حتى بلغ الماء صدره ثم توقف مترددا
حائرا وهو يقول : « ابي يا ابي تعال
.. تعال يا ابي .. ابي عاجز على
الوصول اليك .. ابي .. ابي .. »
وما زال على حالته تلك حتى
بلغه الرجال الثلاثة تاركين مراكبهم
يلتقدوا الصبي .. وانشغل احدهم
به .. وتعاون الاخران في سحب
جنبه ابي « مرسى » الى الشاطئ .
و « مرسى » يصيح ويتففسض
كالحموم !!

القاهرة يوسف حسن نوفل

كم عتبنا على الزمان

في اغترابي وكم خنوت عليه
خلتني جالينا على صفته
انهادي كالمير بين يديسه
موجيات الهوى سجدوا لديه
من جياتي غير الايباب اليه
الصبح لاطوي على سناه جفوني
باحشام ما بين تلك الفسوف
فوق صدري والدمع مله عيوني
وغددي ان جهلته يديسي «
رب ان شئت بالرجوع ظنوني
الفجر علينا من السنا جالينا
ساجدا يغمضه اطيابا
في حماهنا عن العيون احتجابا
الخد منها وكم مصعنا الرضابا
انلقى بمد القباب اياها
عليها ما بين تلك التلال
عافرات الزهور تحت الدوالي
مجثم النمر في رؤوس الجبال
صادحات الطيور بين الللال
عن سبيل الهوى ضللت السبيل
خلت بين الفلوع داه وبيلا
بنا عيشي عليه عيشا ثقيل
مد تفهين الهوى اليها دليلا
والرزايا تدق مني الفلوعا
تحت ستر الظلام ابكي الربوعا
فحمة الليل ما تلاقى سمعها
ذاب للاهمل صبوه وواوعها
تغذ الكسر للديار فلووعا
خيالي يستطاع الاخيلا
همل يرى فيه للخنسوع قرارا
عبرة الدهر غيرة وازدهارا
يا دنس المجد واتري الاقدارا
نهدا الكيد عسوة واقدارا
بنات الزمان يوما بيسمه
نقاضي السماء دفقة دهمه
تنشكي الاسى وتنشد حلمه
نستجير السوى ونسال حكمه
في جبين الملئ سوادا ووصمه
الاسد منه تصد عنه العوادي
ينادي الثبور في كسل نساد
اسودا الى النجيع صوادي
لارتشاف الدماء يوم التنادي
وشدد سواعسد الاولاد

ذلك النهر كم صبوت اليه
ما ذكرت الشمام ويحي الا
سارة التسم المياه واخرى
وعوادي كم راح ينشد ليلا
رب رحماك ما سالتك يوما
يا لذلك الفدير اغشاه في
اخلع العمل في الضفاف واجشو
ارسل الحمد للسماء وكلي
« ليت ادري لذي ولكن سياني
رب فاعطف على القريب وحقق
كم امنا العاصي وقد خلع
وبنات الورد فمن حوالياه
ستطل الغمائل اللد نيفي
بين سرب من الدمى كم رشنا
نشرت ثعلنا الليالي فلا ندري
ابن مني الديار انشر احلامي
ازود المسفوح التسم فبهنا
ممسكا بالرفاق نرقا حينا
او نجوب الحقول حينا نناجي
ايها الخافق الوجع تكسب
يشهد الله ما فلتك الا
فراق صدري عن حمل دلك حتى
ان احلامك العذاب تحواري
من يراني والشوق يلهب صدري
احتسب خمرة الشجون نجيا
ارسل الانة الوجعة تطوي
حبس الهم بين جنبي قلبا
ان من كان للديار وفيها
لح بي الشوق للربوع فارسلت
ويجوس الشمام بيتا فينا
طاب فالي فيس قومى الا
نشط الاسد للوثوب فشوري
لا اقبنا على هناه اذا لم
كم عتبنا على الزمان لما جات
وفرغنا الصدور في معبد الحق
وملائك مسمع الدهر نوحا
وطرقنا الفروش بابا فينا
وغمرنا الدنى عوبلا فكنا
موتني مريض الاسود فاين
ورغيل الاناء من فتية المجد
وركاب الشباب تحمل للشار
يفسرون البطاح والارض عطشى
رب هذي امنيتي فانصر الحق

فاتق جبور

الارجلتين



ابراهيم عبده الخوري

شاعرية موسى خور

بقلم ابراهيم عبده الخوري

شعر المناسبات أثبت وجوده ، وبقي بعد موت صاحبه في أبهى مظاهره .

وهناك العديد من شعرائنا المجلين عرفوا بقصائدهم التي نظموها في مناسبات مختلفة ، منها السياسية والاجتماعية والوطنية ، ومنها الفنية والموسيقية ، ومنها الادبية .. واليوم يرجع الى قصائدهم تلك نظرا لقوة الخلق فيها ، ودقة التصوير وحلاوة اللفظ . وموسى خور ، الصحفي والنائب والوزير ، يعد واحدا من اولئك الشعراء . في حياته كان كتلة من نشاط . لقد عاش في بيئة سلطت السياسة اضاءها عليها ، ولقيت فيها الحركات الادبية الناشئة مرتعا خصبا .

دخل المعترك السياسي ، وكرس له الكثير من وقته . ولم يمض طويل وقت حتى بدا يتقلب في مناصب سياسية حساسة . لقد خاض الماركة الانتخابية . وقد حالفه الحظ اكثر من مرة . فاصبح نائبا ، ثم رئيسا لمجلس النواب في عشر دورات متتالية وذلك من عام ١٩٢٢ الى عام ١٩٣٠ ، ثم وزيرا للخالية ونائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للمالية ...

ورغم انشغاله بالسياسة ، قانه اكار الشعر اهتماما ، وهو الذي فطر على النظم منذ مطلع شبابه . فوضّح قصائد متنوعة الابواب ، ذاهبا في التاكيد الى ان الجو السياسي الذي انصهر في بوقته لم يمنعه عن تعاطي فن

ادبي احبه منذ حداثته . ولا ننسى انه مارس الصحافة قردحا من الزمن ، اذ انة ساهم في تحرير واصدار عدة صحف سياسية محلية . كما انة انشا مع الشيخ يوسف الخازن جريدة « البلاد » التي ضمت نخبة من الاقلام البارزة . طرق ابواب الغزل والفخر والثناء . وطرق ابواب السياسة والوطنية والاجتماع . فلم يوفق الا في الوانه الاجتماعية والوطنية . وهذه الالوان اهله لان يقف في صف الشعراء الذين لهم اثار باقية .

لقد جاءت قصائده الاجتماعية والوطنية نابضة بالاحاسيس الوجدانية . ومن يقرأها يلمس بيده سرعة الخاطر عنده ، ورقة الحس ، واصالة المعنى ، ويسلم بان صاحبها اخلص في اداء عمله ، وهو - والحق يقال - عمل شاق ، مضنك ...

خذ مثلا قصيدته المعنونة « اناهجر » . الك تجدها مفعمة بالاحاساس . وفيها يتكلم باسم الذين غادروا هذي البلاد سعيا وراء لقمة عيش ، وطمعا وراء كسب مادي ومجد ائيل ، ويرسم لواقعهم صورة صارخسة وتقية ، يمكن الرجوع اليها عندما يؤخذ تاريخ الهجرة عندنا بعين اعتبار :

صبرنا عن فراقك لا نقوصا
ولكن الافاقة فيك اضحت
راينا الناس تستبق العسالي
وليس القوم اوفرا نشاطا
غدونا نبقى في الاغصان
ورحنا ننسحب في الجحش

ويرز حبه لوطنه في كل قصيدة جاء ذكره فيها . وكان حبا متفجرا . اذ فيه انه يقدسه بنفسه كلما عصفت به رياح الشر . وغالبا ما كان يتحدث اليه باسم أبنائه المخلصين الذين اقساموا بان لا يرتضوا عن شعاره بديلا :

وانا ان اهبت بنا نلبيسي
وانا ان نلسم بك ابراسا
شعارنا دائما ابراسا
وحبك خالد في كل صدر

ورأى الفوضى تدب في احشاء قصر العدل . فوقف يهاجم اسباده ، الذين وصلوا الى ما وصلوا اليه من مراكز كبيرة في الدولة ، بفضل الانتداب الفرنسي ، بالرغم من عدم توفر الحنكة لديهم والخبرة القضائية :

فالذنب ذنب الالى اتساروا
فاستبدلوا منهم شبابنا
لا حنكة عندهم رجسنا
وجلس مما يطعمون فيه
فمن يحسن منهم رخصنا
نسلل به غشابة النسي

واسمعه في قصيدة يصور مأساة اليراع ، في زمن الحرب ، امام قصف المدافع وصليل السيوف :

سكنت اليراع غداة قام الدفيع
يصلي على الدنيا الكلام فتسمع

اللعن الحزين

غنى فهذا اللحن يا حسناء من وهمي وظنني
انا يا ابنة الالام قد صفت الحياة نشيد حزن
افما ترين الليل قد ارست ذوابه بجفني
فني . فلا كان الجنى في جانحي ولا التمني

لا تصمتي اني عرفت الشجو في الصوت الاغن
واكبته طفلا فعاش لخافتي خذنا فخذان
شرب الثمالة من كؤوس سعادتي فخطمت ذني
وغزلت من اطلاله وتري ابث عليه لحنني

حسناء ان بكت الطيور وعهدا ابدًا تنفي
او ناع غصن في الطبيعة يشتكي شوقا لفصن
فناوحا من نوح قلبك والبكا سرقة مني
طفلان نحن ضحيتان غرقنا في بحر التجني

ممريتا - سورية طلعت يازجي



عيش كريم ، ويؤكد ان أعمال البر والاحسان هي
ان جاءت من قبل المسلم ام من قبل المسيحي ..

البؤس ما بين البرايا واحد لا مسلم فيه ولا نصراني
والبر في الانجيل مثل البر في التوراة مثل البر في القرآن
عار علينا ان يحول تعصب من دوننا في ذا الوجود الغاني

ثم يتحدث عن تعاون البشر مع بعضهم البعض ، ويرى
ان الاخاء ضروري ، وان فضل الحقيقة عميم . يقول :

لو يجعل الناس الحقيقة داهم عاشوا جميعا عيشة الاخوان
يحيى الاخاء فانه لكياننا روح كمثل الروح للجهنم

وهناك قصائد ضمت صورا اجتماعية ووطنية يضيق
المجال هنا عن ابرازها .

وبعد ، ان موسى نور انسان حمل مشغلي السياسة
والشعر في وقت واحد . وقد قامت شاعريته على الوانه
الاقتصادية والوطنية . وهذه الالوان سوف تظل ، في عالم
الشعر ، تدل على ان باستطاعة الشاعر ان يضع القضايا
ويعتني بها ، رغم انشغاله بأعمال قد تكون بعيدة عن
الاجواء الادبية .

ابراهيم عبده الغوري

فسدان لم يجمعهما زمن مفسى اتري الزمان اذا يخر يفسس
اما برعك من البراع صبره فدوي الفسوات المذاهج ادوع
والسيف قطع في النفوس شربة من حسد ذا القلم الابي لا يقطع

تنقل الشاعر في مجتمعات متنوعة الاهواء ومختلفة
المظاهر . فوقف عن كتب على اعمالها ، وتعرف الى
العديد من ابنائها . تعرف الى المحامي والطبيب .. الى
التاجر والزراع .. الى الخياط والحداد .. تعرف الى
الثري والفقير .. الى الظالم والمظلوم .. فانبرى يصور
افراحهم واتراحهم . وقد ركز صوره ضمن اطارات تصد
في وجه الاعاصير .

اسمعه في قصيدة رائية يهاجم رجال الثروات الفاحشة،
ويحثهم على مناصرة الفقراء . يقول موجها كلامه الى
الاغنياء :

يا اغنياء الناس من نمروا اموالهم من دم قلب الفقير
جودوا عليه بالقليل السدي في الردي واحفظوا بالكثير
براكم البسارى من طينة واحدة في سالفات العصور
وكلكم غباد الى حفرة نسمكم طرا ليسوم النشور
فلا تقولوا : اننا سادة وذاك ما ذلك الا اجبير
اعطوا كما اعطاكم عليه برحمتكم وهو الرحيم الغفور

وفي قصيدة نونية يؤيد موقف الفقراء في السعي وراء



الفنون الأدبية .. وأعلامها

تأليف آبيس المقدسي - ٦٦٤ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكتاب العربي ببيروت

شهد الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية، حركة محمومة لنشر التراث العربي، ونهاتت دور النشر والطباعة على نشر خزانة الأدبية الرائعة، وفامت بينها منافسة حامية لم تقف على روح الحماة التي انتهت في صدور النشأين، وإنما زادها حيوية وإحداها، ولقد كانت هذه الجهود كلها مركزة على التراث الأدبي الكلاسيكي، بدءا بالمعهد الجاهلي، ومرورا بعصر صدر الإسلام والعصرين الأموي والعباسي .. وأنتاه بمصور الانحطاط .. أما العهد الحديث .. الذي بزغ فجره على الوطن العربي، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .. وملا نوره الفنون في مطلع القرن العشرين، ولا يزال، فإنه لم يحل بالقدرة الكافي من غابة النشأين .. وما برح الفأري يبحث في المكتبة العربية عن كتاب يدرس نشأة الفنون الأدبية الحديثة، في مهداها الاجتماعي، وضمن أطرافها التاريخي .. ويبحث النشأين التي غدت تلك الفنون الناشئة، ويلقي الضوء على التنازع التي كانت تعمل في نفوس أدباء العصر الحديث، ذلك أن معظم ما نشر من الأدبي الحديث، لا يبدو كتابا أو بقعة كتب لغير من أدباء النهضة، ولقد تلقى بعض كتب يحاول أن يورث حياة واحد من هؤلاء الأدباء أو أكثر .. لكننا لا نفع على ذلك الكتاب الذي يقدم لنا أدباء الجديدي ورجاله كمجموعة من الفنون والانجازات والاشخاص، أولا، دون أن يسلكهم عن سياق الحياة والأحداث التي عاشوها، ثانيا، وبطل نظر السلي الأمر كله، على أنه فكر ومفكرين، وأدب وأدباء .. سيكتفينا جملة من المهدات والمقدمات، وواكبتهم مجموعة من المؤثرات، ثالثا، ثم يسلم على الموضوع كله أنوار فكر نقاد موضوعي، ويقبله على مختلف وجوهه واحتمالاته، حتى يصل إلى الوجه الأصوب، أخيرا.

في هذه الفقرة نهر إلى النور كتاب « الفنون الأدبية وأعلامها » للاستاذ آبيس المقدسي .. بوجه الكتاب، للوهلة الأولى بان وراءه، لا شك، جهدا كبيرا، فهو يقع في ما يقارب ٦٥٠ صفحة، وتسويد هذه الكمية من الصفحات وحدها يترتب عليه عتاء بالغ وعتب شديد، كيف .. بها، وقد جعلت في ثناياها محاولة موسوعية لتاريخ الأدب العربي الحديث وتقويمه ؟!

يبدأ الكتاب بتصوير الجو السياسي الذي كان يرين على البلاد العربية في القرن التاسع عشر، في ظل السلطنة العثمانية، ويصرض الواقع التاريخي للوطن العربي في تلك الفترة من جوانبه جميعا، فولاة السلطان العثماني، في الإفطار هم الحكامون الملقون بأمرهم يستأذنون الاطفاطين، ولا يهتمون الا بتحصيل الضرائب وجباية الاموال، وأنبائهم الاطفاطين لا هم لهم الا ان « يعلوا الرغبة اشباعا لنفسيهم وأرغوا لاولي الأمر في الاستانة ». وتبع ذلك فساد في الإدارة، وتنازع بين الاطفاطين على المناصب واستبداد طائفي.

كانت النتيجة الطبيعية لهذا الاطباء السياسي المظلم المتهوى، أن اصبحت الصورة الاجتماعية التي رسمها، فاذا البلاد غارقة في ظلمات الجهل والفقر والمرضى، وإذا شبح العصب الطائفي يرين عليها، ويفسد العلاقات بين المواطنين جميعا من جهة، ويمزق ما اتصل منهم بالوطن والارض من جهة أخرى ..

وواكب ذلك كله تأخر عمراني عجيب، حيى مدينة بيروت التي تكاد ان تكون اليوم « باريس » العرب، لم يكن عدد سكانها لتجاوز الثمانية الاف نسمة في اواخر الربع الأول من القرن الماضي، « بلدة صغيرة مسورة، طواها من الشمال إلى الجنوب نحو ألف يرد ومن الشرق إلى الغرب نحو ٥٥٠ .. وكانت شوارعها ضيقة جدا، فقرة كثيرة الأعوجاج، وتناحلت عبارة عن مزج من البيوت ذات الطيقة الواحدة، تنشأها الرطوبة أيام الشتاء، وليس بينها الا بيت واحد ذو نوافذ زجاجية، هو بيت فنصل بريطانيي، » وكانت تستضيء بمصابيح من فخار نعال بزيت الزيتون وتغص فيها قتال على نسق المصاييح الجاهلية ..

وكان نظر الناس إلى الحياة والطبيعة وما وراءها، في ذلك العهد، امتدادا للفنون الوسطى .. والامية جو ملائم كل الملازمة لانتشار المتفادات التي لا يفهما المستنير بنور المعرفة، ومن ذلك اعتقاد الناس بالسحر وما يتعلق به من ضروب الامام والغرافات ..

وكان لا بد من ان تكون العلاقات بين الرجل والمرأة، وفي العائلة، حورة عن العلاقة بين الحاكم والمحكوم، قوامها العنف والقمع، وظاهرها الاستبداد والتعالي والقور، فاذا بالهياة الاجتماعية ازداد غشا على ابالة، وإذا بأطواف الجمود والجهل والعمودية، تمنع في الضيق إلى خيال المرأة .. تلك العمالة الأخرى للحياة الاجتماعية، يدعي بعد ذلك أن يكون الروح العلمي مصابا بالتبدل والجفاف والسقم، بعد أن ألقى الشبب اميا، إلى حد أن تجار بيروت - مثلا - كانوا يستهينون في كتابة رسائلهم وسجل حساباتهم على نفر قليل قدر لهم أن يقرؤا ويكتبوا ..

.. وبقيت حال البلاد العربية، على ما آلت اليه من تأخر وجمود .. حتى مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حين اخلت شروق عليها اقباس من المدارس التي افتتحها البعثات الاجنبية، وبدأت خيوط من الفجر المرتقب تسدل رويدا، لتشرع بتبديد الظلمات المظلمة الكثافة ..

في هذا المناخ الثقيل فتح رواد النهضة العربية اعينهم، وراحوا يلمسون الإصواء، ليروا هم أولا، وليشروعوا في ثم في اضاءه العالم الباهتة، ولينبذ الضمات التراكمة على دروب الاجيال ..

لقد أتبع الاستاذ المقدسي في تأليف كتابه هذا منهجا مديرسيا، قسم بحسبه فنون الآداب قسمين، أرجع اولهما إلى بواكير عصر النهضة البعيدة في بداية القرن التاسع عشر، وبداية الثاني يبعد النصف الثاني من القرن نفسه .. ويقضي حتى أيامنا هذه .. واطلق على الرجال الذين غرسوا بذور الثقافة، لتنمو، وتنبت فروعا وغانقا وبنى ذاتي التطوف فيما بعد، أطلق عليهم اسم « اعلام الرواد »، وفهم اليشا أربعة كبارا منهم هم : « ناصيف البازي، ورفاعة الطهطاوي، وفارس الشدياق وبطرس البستاني » .. وما دامت الحياة الفكرية والثقافية والادبية، لا تم كن قد اخفرت بعد، في ذلك العهد، فقد آثر الاستاذ المقدسي ان يدرس الحركة الفكرية عامة والادبية خاصة، من خلال دراسته لهؤلاء الرواد والاعلام، ونحن قد لا تلقى اليوم، في ما ترك لنا أولئك الرواد المعالقة، ذلك الانثر الادبي الرفيع المعجز، ولكن اليس يكفيهم فخرا وشرفا أنهم

دَارُ الكَاتِبِ الْعَرَبِيِّ

لِلذَّائِبِ وَالرَّجَبِ وَالنَّشْرِ

سُجُود - بِمَنَاقِبِ عَمْرِو بْنِ لُحَيْمٍ - ص ٢١٥٧

هاتف ٢٤٠.٥٧ - ٢٤٠.٥٦ - ٢٤١١١٨

الامامة في الاسلام

تأليف : عارف تاهر

لم يعرف الاسلام بعد الرسول العربي
الكريم علما للحكمة والدين ، يجمع ما بين
المعرفة والتقوى وقوة . يساعد الى راحة
العقل ، وحصافة الرأي وبعد الفؤاد ، خيرا
من علي بن ابي طالب الذي قال الرسول
الكريم داعيا له : « اللهم وال من والاه ،
وعاد من عاداه » ذلك الدعاء الذي فهمته
طائفة كبرى من المسلمين على انه بيعة
مطهرة للخلافة لابي الحسن ... ومع
ذلك ... ورغم ما كان لسامي مثالية الامام
وعظيم مواقفه ... فقد جافاه الحفظ ،
وبدا اول الخلافة قبله ثلاثة من شيوخ
المسلمين ، ولم يكن عهد خلافته سوى
اقصص الذي لف العالم الاسلامي من
اقصصه التي اقصاه ، حتى انتهت حياته
بفاجعة تلتها فواجع وتكيات في اهل بيته
الذين لم يروا من سبيل لهم غير سلوك
التقية التي انتهت الى الباطنية ...

وكانت هنالك شيع عديدة وفرق كثيرة
تقتبس جميعها من آوار الامام ، ثم جنح
بعضها الى المفالة بعدا في الضمار الفكري ،
الذي اصطبغ احيا بالافلاطونية الحديثة ،
ونارة بالمفائل الهندية ، وطورا بالمبانيء
الفارسية ، حتى توج خيرا برسائل اخوان
الصفاء وخلان الوفاء ، في تمرات فكرية ظلت
في المخطوطات ، تتناقلها الايدي الخاصة
ابنا عن اب ، وابا عن جد ، والتي من
تمرانها هذا الكتاب .

التمن ٤٠٠ ق . ل .

حازوا على قصب السبق ، واستطاعوا ان يبتكروا الطريق ويعرفوه ،
ويتبينوا معاه وسط القباب السوداء ، وخلال الكتل الصماء الجامدة .
والاستاذ المقدسي ، اذ يدرس لكل واحد من هؤلاء الاعلام ، يظل
امينا على منهجه العلمي المدروس ، وببلي مصرا على ان يفسح كلا منهم
في المكان الذي يؤهله لاحتلاله ، التطور الاجتماعي ، والحركة الفكرية
في عصره .

انه لم يقدم البنا الاساندة الرواد ، كمجموعة من الناس ، معزولة
عما حولها من التأثيرات والسيارات ، ولم يحاول ان يوهما بانهم
جاؤوا بالمجزات المعجبة ، في فئوس الادب ، بل اعطى كل واحد
منهم استحقاقه واحله الطرح اللائق به . بعد ان سلط على نواذره
الفكرية ، وابداعه الادبية انوارا وحاجة ، من لبين للطفس الاجتماعي
الذي عاش فيه ، وايضاح للدوافع النفسية والذهنية المختلفة التي
كانت وراء اعماله الادبية .

فاذا انتهت من ذلك كله ، اتى نظرة سائرة متعمقة على اثره الادبية
المختلفة ، محاولا ان يفحص حقها من التقويم ، مسجلا ما لصاحبها من
مميزات لغت الانظار بها الى نفسه ، واخذا ما عليه من عيوب
وهنات ، انتقصت من قيمة ادبه ، وخفست من وزن احكامه وارائه .

وخصص القسم الثاني من الكتاب لاعلام الفنون الادبية ، النثرين ،
بعد عصر الرواد ، وقسم هذه الفنون خمسة اقسام هي بالتسلسل :
المقالة والخطابة والقصة والسيرة والنقد .

وعرض فرسان كل فن على حدة ، واسبق عرضه بدراسة عن هذا
الفن ، نجي فكريات الفنان الصانع ، مختزلة وسريعة ، الانهسا
مناغمة جامعة .

ولم يكن ليكتفي بدراسة كل فن ، وهو في حاله الراحة ، بل كان
يلج الخا منتهي على ان يتسلف جذور كل فن في تراثنا العربي ،
ويتقصى كل الاصول والجذور في المتاهل الاولى العريضة ، ومن ثم
يصور ما طرا على هذا الفن من تديل عبر التاريخ ، ويظل يتبعه ،
في مده وجزره ، حتى ينتهي به .. الى عصرنا المعاصر .

وعندما ياتي دور احد اعلام هذا الفن في الموضوع ، فانه يعيد الكرة
نفسا .. فاذا نحن نقرؤه ، وسط البيئة الفكرية التي يترجمون في
احضانها ، ونفهم من وراء نآرائه الاجتماعية والثقافية ، فاذا وصلنا
الى طور تقويمه لم نستطع الا ان نشاطر الاستاذ المقدسي رايه ،
ونقاسمه حكمه قاتنين راضين ، ذاك انه يتمتع بقدرة على الموضوعية
فاقانة ، ويستطيع ان يتعالى فوق نزعاته الشخصية ، ونزواته الفردية ،
ويسلس قياده للحجة فنارح الدليل ، ولل فكرة تدحض الفكرة .. مرتفعا
عن الغوص في نافة الرأي وسقيم الموضوع ، نارا الفصل في كسل
موضوع يعرضه الى نص .. للكتاب المدروس نفسه .. بيته في الكتاب
ويتزعه من احد مؤلفات الكتاب المعروفة .

هذا هو كتاب « الفنون الادبية واعلامها » للاستاذ المقدسي ، وانه ،
لا شك ، مرجع ممتاز يتضاف الى المكتبة العربية ، فيلما مكانه الفارغ
المتنظر .. وهو وان لم يظفرا على نظرة خاصة لصاحبه الى النهضة
الادبية الحديثة الا انه عوض ذلك بالامانة العلمية ، والجدد المؤوب ،
والاخلاص الموضوعي المتفاني .

ولا نجد باسا من التوفيق فليلا عند هذه النقطة . فنحن قد درجنا
على التاريخ ادبنا العربي القديم ودراسته ، بذهن معجب اعجابسا
مسبقا بالروائع والمجزات ، ثم رايته بعين محبة كيلة من كل عيب ،
فحرمنا من تلك الاطلالة الجسودة على تلويننا الادبي ، من ذري نافذة
متعالية ، لا هواده في لحائها ، ولا نهان في ملاحظتها ، ولم نلفس
حتى الان بتلك الرؤية الكلية التي تشمل ادبنا القديم بنظرة معاصرة
بعيدة عن الاعجاب السلفي والتحيز العاطفي . وكل ما اخذناه على
اجدادنا ، لم يعد حدود النقد الجزئي ، من خلال المفاهيم النقدية
المتداولة ، وانما نحن في حاجة ماسة الى ذلك الدارس الذي يستطيع

شعوع المبد

شعر - فوزي عطوي - ١٧٦ صفحة - منشورات مكتبة المعارف بيروت

كان من قسمتي ان اشهد المواد الادبي للشاعر فوزي عطوي ، وان ارى كيف دلف الى الحياة الادبية العريضة دون نغص او غناء . وكان من حظي ان قدمت لديوانه الاول « دم ودم » وهو ديوان نصفه عاطفي ونصفه حماسي وكله من المسبكات الانثبات التي يزدان بها جيد الشعر كما يزدان نحر الفتاة باللائل الثمينة .

ولقد عرفت الشاعر فوزي عطوي من خلال شعرة ، ثم عرفته من خلال المشرقات ، ثم عرفته وجها لوجه ، فالفطيني لقاء شاب مراه جوانحه اشراق الحياة ، وعمل اعطافه دقي العاطفة ، سهري المضي اربحي ، تكلية اللغة وتقنية الإشارة عن المبراة ، وهو كشاف عن فضائل الادب ، يتحراها في داب ، ويتلاها عن كتب ، ويأخذ منها وما بها برق به شاعريته ويطل عنقه بين الشعراء الطامعين ، متحزرا من اوام القزور ، مجتنباً مزلق العجبة مسترفدا صدق الاحاسيس .

وهو الى ذلك رفيق كالنسر ، انيق كاليعلم ، احساسه رقيق وعاطفته مشوبة كاهن من شواط ، وفقيه يسابق عقله فيقبله احسانا ويطلب منه في احبان اخرى ولكن بلا هزيمة لكليهما . تجربة واحدة نهزه من اعماق اعماقه ، فيؤلف فيها ديوانا براسه ، كالنحلة المطاف تجود بكل طريقها بعد هزة واحدة . وهو شاعر في ثره ، شاعر في قوله ، شاعر في مسلكه ، شاعر مطووع على الشعر منذ ولد في مبدية شاعر تاجح فيه الشاعرية ولا تغد « شاعر يتربع في دست ومن حوله مهمات تتخلل ، وشعابن مفرقون ، وامامه كؤوس يعب منها فلا يفرغ ما في الدن . انه شاعر مطارد من الشعر دائما ، وما احلى هذا الطراد الى نفسه ، لا بد ان يشعل لنا شعوعا في هيكل الحب الشاعري ، فنفسه طريقا سار فيه الشعراء جميعا من يونان ورومان وسكسون ولابن عربي وقرن وسقندوس وصقلية ، وهل في الشعر ارحب من طريق الحب ، يوعم الشعراء من كل فج عقيق ، ولماون به من المشرق والمغرب ، ولعلهم اذا نادوا كافرين او غدا مجانين او نالوا الشهادة في ساحة المعركة .

« شعوع المبد » منظومة جديدة للشاعر فوزي عطوي ، صورت تجربة كبيرة من تجاربه العاطفية عاشت معه زمنا غير قصير . ويبدو ان الشاعر فتن بزميلة له كانت في جدانة المراهقة ، عرفها يوم لم يكن لها صدر ولا نهد ولا ثغر ولا خد ، حتى اذا استيقظت فيها الانوثة الكاوية ، نظرت الى مرآتها ورددت :

واليوم لي نهدان في صدري
نهدان لي .. نهدان في صدري
انتي انا .. الحق على الجهر
لي خصلة الاناس في شعوري
لي خمرة الالهام في تفكري
لي حبي الجنون في سري
ولي التفلق على مدى عصري

وعاشت الفتاة في دنيا التفلق والخفاج ، تتدلى على الشاعر ، وتمرد على وحدانية حبه ، وتستعلي عليه ، وتستقل شاته ، فلما منها بان الشاعر متجنب اليها يرباط من السحر لا افلات منه ، وبان راس مالها هو الفتنة الكاذبة ، وهذا لسانها بجهر للعالمين :

لي صدري العساري
لي تفكري السكري

وماذا يفعل شاب وقسي الروح بكر العاطفة شيف الوفاء في مثل هذه المقترعة اللهب الرماء التي ادنته ثم جافته ، واخص لها فيجدها ، وهام بها فلما اطاعت الى استثنائه تنمرت عليه ؟ لم يجد في سبب محتته الا ملاذا واحدا هو رجولته ذات الكبرياء :

ان يرى الى ثرائنا رؤية كلية ، يستطع بعدها ان يبله الموضوع اللائق به .. بين اداب العالم .

ولعل هذا هو نفسه ما حصل للاستاذ المقدسي ، ونحن لا نجروء اطلاقا على تكرر الجهد القيم الشكور الذي بذله في سبيل اخراج مؤلفه الكبير ، الا اننا كنا نود له ، ان استطاع ، ان يخرج علسي الاسلوب الكلاسيكي المدرسي ، في التاريخ والدراسة ، ليفتحنا بنقرة طريفة جديدة ، وليأيننا بمفهوم معاصر ، نستطيع ان نلهم ثرائنا من خلاله .

ورغم انه كان يلع على ان يجعل مواضيعه غاية في الاستبساء والشموه ، الا ان التوفيق كان بجانبه بعض الاحيان ، ويبدو ذلك واضحا لاما حين تطلع على ما كتبه في موضوع القصة ، ولا سيما القصيرة منها .

فهو يقول في صدر القصة السورية الحديثة انها اخذت مجريين رئيسيين احدهما تاريخي والثاني اجتماعي . ويستشهد بكتابات علي الطنطاوي وصلاح الدين المنجد في مجال القصص التاريخي ، ويقصص على خلفي ومحمد التجار ويمشال عفا في المجال الاجتماعي ، ولا يذكر احدا سوى هؤلاء ، ويعاقل ان يكتب شيئا عن القصة الحديثة ، فلا يرى شيئا بين يديه ، فيستشغل نفسه بعاشية يقول فيها : « بين الشباب السوري عدد من كتاب القصة الحديثة وفي اتاجهم القصصي ما يشير الى مستقبل فني وضاء . وقد حرصت مجلة « المعرفة » على التنبؤ بمتجاهلها الادبية فلتراجع » .

والحقيقة ان قصص الطنطاوي والمنجد التاريخية ، لم تعد حسود المحاولة القصصية ، وظل غالبا عليها طابع السرد التفريري الجاف ، وظلت في شكلها الفني ارقب الى اسلوب الحكاية منها الى القصة . يأسوها الفني الحديث . واما قصص علي خلفي ومحمد التجار ويمشال عفا ، فقد اكل الدهر عليها وشرب وغدت في مجلة المستحاثات التاريخية . ولكن .. اليس في سورية غير هؤلاء من كتاب القصة ؟ هل اجبت الفرائع ، وجفت الافلام ؟ ان الفرائع ما زالت بقية ريانة ، والافلام ما زالت محبرة سيالة .. وكل ما في الامر ان نباهنا لم يبلغ ابن الاستاذ المقدسي . واما من اشار علينا بملحظة اتاجهم في مجلة

« المعرفة » ، فانهم ليسوا وجه سورية القصصي . انهم وجود جديدة بدأت تعطي . ولكن نكتة عددا من الكتاب ، نمرسو في كتابة القصة وشهد لهم بالتفوق والبراعة .. الا ان سوء حظهم جعل الاستاذ المقدسي يتذكر غادة السمان وكوليت خوري ، ويضيف الى سورية مواطنة وقصصية جديدة هي سميرة عزام .. وينسأهم .. ينسئ عبد السلام العجيلي وحسيب الكيالي وسعيد حورانية ومصطفى الحلج وعادل ابو شنب وحنا منية ومراد السباعي .

لقد خصص الاستاذ المقدسي كتابه للفنون الادبية واعلاما .. افليس عبد الرحمن الكواكبي وشيلى شميل وعبد الرحمن شهنشيد ومحمد كرد علي وسلامة موسى واسماعيل مطهر من هؤلاء الاعلام .. فلماذا لم نر شيئا منهم ؟ لماذا لم نقرأ بضعة اسطر على الافق عنهم ؟

يجيل الي ان الاستاذ المقدسي حين ازمع على تاليف هذا الكتاب وضع نفسه في غرفة ملائ بالكتب والفهارس والراجع الجاهزة ، معرا على الا يكلف نفسه غناء الاستقصاء الشخصي والمتابعة الفردية الدائبة ، وهما من بين الشروط الضرورية لن بعد نفسه لئل هذه المهمة الضخمة ، فمن رحمة خلقه من السادة الكتاب ان لاسمه نصيب مفود بين الراجع والكتب ، وبالتالي ورد اسمه في كتاب الفنون الادبية ، واما من قصر خلقه فبق لي له ، وقد غدا في ذمة الله ، الا ان يستعطر اصدقائه ومحبوه رحمة الرب عليه .

نصر الدين البجرة .

مدرس الادب العربي في ثانوية ابن سينا

الاخلاق تختزنها الارانب

وتستثمرها الذئاب

صدر حديثا في بيروت الكتاب المصغ « العالم ليس غلا » آخر ما كتب عبد الله القصيمي .. جاء في احمد فصوله المتن بالعنوان اعلاه ص ٢٩٦ : « لقد كان الانسان في التاريخ ميذا تتجمع فيه كل الارباب والطفا والاشباح لتأمر على سحفه . كانوا يريدون ان يوجدوا انسانا بلا شهوات ولا تفكير ولا حربة ، كان وجود هذا الانسان الخرافي امل جميع التعاليم المقدسة وامل جميع الميطيرين الاقوياء الذين تعاقبوا على البشر يسحقون عقولهم وشهواتهم ومجدهم . لقد حرموا عليهم السحك والشجاعة والقلب والفكر ، وكانت الالهة تغصب على الذين يسحقون ويسرحون ، ولا ترضى الا على من يحزنون ويكبون . كان البكاء والانهيار النفسي عبادة ومزية وخلقا .. لقد كانوا يريدون ان يحولوا التاريخ كله الى ميكي ، ولم يكفهم ان يحاولوا الى بعيد ؟ . جروا كل وسيلة رديئة ليقتلوا في الانسان كل اسباب الذكاء والقدرة . وكان من هذه الوسائل ان ابتكروا خضاء الرجال ، ولم يكونوا يريدون ان يعضوا فيهم القوة الجنسية فقط ، بل ان يعضوا فيهم فحولة العقل والخبرة والشجاعة ، كان اضماعهم ان يوجدوا مجتمعات من الضعفاء ، وجدوا ان الضعفاء يفقدون كل طوح الى الحرية والتمرد والمقاومة . والذين يغمون بعملية الضعاء للمجتمعات موجودون في كل زمان ، كما يوجد الضعفاء ايضا في كل زمان . وما حسن ذلك انهم او زعيم اناني او دجال روحاني الا وخطته ان يعضي شعبه .. ان التحدي والعقوبة والاقوة المشوقة شهوات لم يستطيع الانسان والتقاليد والمعلمون ان يعضوها بالضعاء ... »

قال الاستاذ فديري قلعي في جريدة الكفاح : « في هذا الكتاب فصول قل ان يوجد لها مثيل في شرق او غرب » وقال الدكتور صلاح المنجد في جريدة « الحياة » : « انه كتاب قل ان تخرج الطابع مثله ، ولا شك ان مؤلفه يعسري فذ ، ولو ان الكتاب صدر في بلد متحضر فكريا لمسجيت الصحف بتحليله ونقل الفصول عنه .. » وقال الاستاذ جورج جرداق في جريدة « الحياة » : « انه كتاب لا مثيل له في اللغة العربية وانه نادر المثال بين الكتب الغربية التي اصدراها كبار العقل والقلب وان من لا يقرأ هذا الكتاب خليق ان يعضف .. »

عبيها انها تنسى ، وهي ترجو لو تعيد الاملا

ان من عادت اليه شاعر ، لم يكن في الحب الا رجلا

فما كان منه الا ان تركها ضالعة ضالعة ، تستجديه الهوى فيتركه في عزة الكبرياء ، وتستثير ذكرياته العجيبات فيدير عنها اديار عتيده غير غافل ، قائلا لها وهو يعارض قصيدة صديقنا العزيز نزار قباني المشهورة :

انظن اني لعبة بيديها ؟
ام انها خالت هواي تعيدا
عادت ترد ما نسيت من الهوى
وتقول لي اني رفيق حياتها
وبكت ، فسلفت الدموع وفلت : لا ،
وخفت حرف الكبر في شفيتها
وانبتها محت الوفا بيديها
متفنيا بالورد في خديها
ما كان يعرفها الحلا ، لو لم ان
ومصفا للطيب في زنديها
ومهللا للشر في بسماها
ومرجسا بوح الفسائين التي
خجلت ، ففطت بالبحا قدميها
قالت : ارب ، فما غفرت فطقت خصري
كثافتها رأت ابوها
فتركها في الارض تستجدي الهوى
حتى اعود ، متى احب ، اليها
ولم يعد اليها لان « شعثا »
فصامتت من نداء الحب ، وعاندته
وكابرته واستقلت سماحة نفسه
وصدق هواه وبرادة نجواه ، ولم
تتفع فيها نصيخته يوم قال لها :

يس العناد ، فلا تكوني في الهوى
دوما عتيده
اني احبك فارجمي ، او فاهرجي
وايني بعيده
سترين بعد اليوم لي في كل شريان
قصيده
شعثا ، اني مشتق ان تصيحي يوما
وحيدة

بل لم يجد معها المصغ يوم جادته في استعطاف واستجداء ، فانطلق بقلبه يعضتها ويكبله بضمها قائلا لها في ثيابه وشهامته :

لا تسالي الصفح وتستعطفني
فاكبر اكبر من بعدنا
وفانا ، وهذا الجنان الضعفي
اجلك ان تساليني السماع
فصني بدمعك ، لا تدرسي
اجلك حسي من التجربات
امام التجارب ، لا تضعفي
لغير الحبيين هذا العتاب
شريف وحن الى اشرف
احبك كيف تحب السقاء
وكيف يرام الجمال الدفي

وهكذا ضيعت « شعثا » هذا الحب الضعفي ، وكثرت بالشاعر الاسمر الوفي ، وانطلقت بلا حدود من عالم البرادة الى عالم الفتنة ، ناسية ما قاله لها الشاعر :

انت روح ، انت طهر للابد
انت فوق العرف ، فوق الفتنة

وهو واقع من انه ، على الرغم من الهجر ، قد ترك في قلبها فراغا وفي قرارة الذاكرة مكانا لا يملؤه سواه . فابام الجامعة بيرادتها واحلاها وامانها ، وزمالة الجامع بصبها وفنونها وسداجها ، ذكريات لا تبليها ايادي النسيان ، ولان نموها عوادي الازمان وان كانت ذهبت في خبر كان .

وفي هذا يقول شاعرنا فوزي علوي ، ولغض الطرف عن الازمان :
انا لا انسى هوايا



وهي لن تجرؤ ان تنسى وفايا
سوف نندم
وانا لن انالم
انما يؤسفني قلب محط
ان اراه يتالم
مثل عليا وآمال تخيب
وتصوت
وحفارات الشعوب
في البيوت
تستمر

نحن لا نرضى لها ان تستمر
عوه الحب الذي اسمعني
لحنه البكر بقلب الجامعه
انسي باق معه
وهواي البكر لن يجمعني
بالتى ناحت بقلب الجامعه .

وبعدما دفن الشاعر حبه الاول الكبير ، واضاء في معبده الشعور
وجفف من عينييه ما ذرفت من دموع وطامن من جزع قلبه الولوع ،
استرد وعده القديم وتخلل من اساره ، لا سيما وقد عبرته شعشاء
« بمستواه » ، وقال لثي لعبت بعقله ولاخيت بموافقه واستهلك
روحه زمنا ما :

وعندك بالشعور وبالناحيا
هدايا ما احبلاها هدايا
ولكن « مستواك » اظن اعلى
فلن تجدي هدايا « مستوايا »
وبلك ، ليس بعدي ما الخطايا
وبكفي انني اوقدت حيا
هذا عن موضوع الديوان الذي طالعنا به الشاعر الرجس فوزي
عطوي .

اما عن قوائمه ، فقد اباح الشاعر لنفسه ان يتصرف في القوافي
والاوزان تصرف مهجري مقتدر لم يخل من موسيقية جميلة ولم يهدم
الحس الشعري في غف . ولكنه ذهب في بعض تصرفه مذبح المحدثين
من مطلقي دعائم الشعر ، فاحسنت فيه ازوارا ما كان افشاء بشاعريته
الخشبية شئ .

ثم ان اختصاص ديوان كامل بموضوع معين لا بد ان يوقع الشاعر
في تكرار لمعاني والالفاظ وهذا امر ملحوظ في « شعور العبد » ،
وان يكن التكرار غير ممل ، وهو في مواضعه من الديوان يكسب لا
يستبين الا ان يقرأون المنظومة كلها في جلسة متصلة او جلستين واحدة
في اثر الاخرى .

وبلاحظ على الديوان ان صاحبه قد وزع قصائده في عشوائية
مقصودة حتى يخفي بذلك الصورة الكاملة للتجربة البكر التي زلزلت
عواطفه زلزلا وجرعته ما كان يكره . فالترتيب الزمني للقصائد غير
متوافق ، وهذا « تكتيك » تعمده الشاعر في حرصه على تفصيل القارئ
وتركه في متاهة الانتقاد بان هذه القصائد لا رابط بينها ، وبان
لشعراء اخوات اخريات سلبسبن له وخلصن رشده وركبن متون قلبه
وفكره .

اما وقد شهدت مولد الشاعر فوزي عطوي في بستان الشعر الاغنى
فليس بعينيي ان ارى نموه واشتداد ساعده ، وان اعرف انه سيبصر
في طريق الجديدين من الشعراء اذا التفت الى ابعاد الشعر الصحيح
طولا وعرضا وعمقا وخيالا ، واذا اتصل بالزل الشعر واتجه الى ابداه .

وديع فلسطين

القاهرة

● النطق والافرام - مجموعة قصص - تأليف اسكندر لوف - تقديم
اورخان ميسر - الخطوط والفلاف برنشة المؤلف - ١٥٢ صفحة -
مطابع ابن زيدون بدمشق .

● الشعور المظلم امام عذراء - مجموعة شعرية - محمود عابسي
خليل - الرسوم بريشة شوكيت الجعفري - الخطوط بريشة محمود
جرار - ١٠٨ - صفحة - مطابع الشركة الصناعية في عمان - الاردن .

● فاطمة - رواية - تأليف خضر نبوه - ٣٠٠ صفحة - مطبعة رقيب
الاحوال ببيروت .

● اعياد - مجموعة قصص - تأليف عبد الله نيازي - ٢١٢ صفحة -
منشورات دار الاداب ببيروت - مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● غربا - رواية - تأليف فاضل السباعي - ٢٢٤ صفحة - حجم
كبير - منشورات دار الانجاد ببيروت - مطابع دار الصحافة ببيروت .

● سمرات السحر - شعر - عبد الله عبد اللطيف الشمسان - ٤٠
صفحة - حجم كبير - منشورات مجلة الجمهور الجديد ببيروت -
(لم يذكر اسم المطبعة) .

● الامامة في الاسلام - تأليف عارف ناصر - ٢٤٨ صفحة - حجم
كبير - منشورات دار الكتاب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد -
(لم يذكر اسم المطبعة) .

● افئيت للصمت - مجموعة شعرية - عبد الرحيم عمر - تقديم
الدكتور هاشم ياغي - ١٢٢ صفحة - منشورات دار الكتاب العربي
ببيروت - مطبعة كرم ببيروت .

● اكتشاف جزيرة العرب - تأليف جاكين بيرين - ترجمة فديري
فلعجي - تقديم الشيخ احمد الجاسر - ٤٠ صفحة - حجم كبير -
منشورات دار الكتاب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد - (لم
يذكر اسم المطبعة) .

● سجناء الزون - تأليف خضر نبوه - ١٥٢ صفحة - منشورات دار
الكتاب العربي ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ملكة التلج - من افاضيص المدرسن - لم يذكر اسم المترجم -
١٧٦ صفحة - منشورات دار الكتاب العربي ببيروت ومكتبة النهضة
ببغداد - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● كنيات من الفرات - تأليف الحامسي عبد القادر عياش - ٦٢
صفحة - حجم كبير - سلسلة التراث الشعبي في وادي الفرات -
صادر عن دير الزور بسورية (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الاصداء - قصة - تأليف حسن جمال الحسيني - ٤٥٦ صفحة -
منشورات المؤسسة الاعلى للطباعة والنشر ببيروت - (لم يذكر
اسم المطبعة) .

بين السياسة والثقافة

كان دائما حق الزعيم السياسي لجماعة او امة ، او القائد المنسجم بهذه الزعامة ، ان يعتبر طليعة جماعته او امته ، وان يبرز من عداه في الظفر بالتأثير في مجرى الحياة في بلاده وبخلود الذكر بعد مماته . ولم يكن هذا الحظ كله في الغالب نصيب مقدمين آخرين في الامة من رجال الحرب او العلم او الفن او سواهم ، بل كان سبيل هذا المجد هو الارتكاز الى قيادة الشعب ثم الظفر بثقته والعمل على خدمته وتبدير شؤونونه وتطوير اساليب عيشه .

ومع ان هذا قد يبدو تحيزا للسياسة والساسة ، فانه الى الآن حق بسبب ما تتطلب السياسة الصحيحة من الزعيم الناجح من ذكاء وتلبية ، واتساع وشمول ، والملم باكثر من جانب من جوانب المعرفة والخبرة .

غير ان الذي يبدو تحيزا في هذا الباب ما كانت تتطلبه التقاليد في الغالب من الاعتماد على مصادر محدودة في انتقاء رجال السياسة . فالعصور الغالية كانت تعتمد الملقين المخادعين من رجال الدهاء والدكاء ، والعصور الحديثة تعتمد في الاعسم الاغلب اساليب خاصة لتخريج السياسيين - لكل امة اسلوب . فالبريطان كانوا ، وما زالوا الى حد غير قليل ، ينظرون الى اكسفورد وكامبردج وعدد من العائلات ، والاميركان ينظرون الى حلقات من رجال المال والاعمال ، والروس يميلون الى رجال التنكيك المتصفين بالحزبية .

ولكن الملاحظ يرى مع ذلك ان مصادر التخرج للسياسة في العصور الحديثة قد اخذت تختلف وتعتدل ، وان ظلت السياسة نفسها الى الآن ذات الفلاح الملى في صفات القيادة او القوة او الخلود . ويعود ذلك في اعتقادي الى ثروة العلم الحديث لانه اكثر بواعث الديمقراطية في العالم . يضاف الى ذلك ان الاصرار على رفع مستوى المعيشة للناس قد اخذ يحمل المسؤول الاعلى او الزعيم على اختيار القادة من العارفين بتوليد اساليب المعيشة ورفع ميسواها . ولهذا بدأت الحكومات المعاصرة تولي الفتيين والاختصاصيين مراكز لم تكن توليها لهم من قبل . وهذا بدوره اخذ يحفز الجامعات الى التخصص في العلوم الحديثة .

ومع ذلك فان فئة من المعلمين ظلت الى عهدنا الراهن مقصورة عن مجال السياسة والزعامة الاجتماعية ، وهي فئة المثقفين والاساتذة . ولنصف الى ذلك « طبقة الفهماء » *Entelligentia* التي عرفها لنا بالعربية مؤرخا الاستاذ حسن الكرمي . وكان الظن ان هذه الطبقة خيالية شاردة لا تصلح للقيادة العملية التي تقتضيها السياسة عامة والسياسة الحديثة خاصة . ومن هنا كان ايشار الاميركان لرجال المال والاعمال الذين اثبتوا قدرتهم على تأثيل الثروة واستنباط العيش .

ومن المشهور عن طبقة المثقفين في مراحل حياتهم المبكرة انهم اقدر على تكييف انفسهم لاعمال الحياة المختلفة من غيرهم من فئات المعلمين او الاختصاصيين . وكثيرا ما تجد بداية زعيم او وزير او قائد في حياة التعليم ثم يفتقر منها الى مراكز القيادة السياسية فجأة ، او ينتقل إليها تدريجا . ومع ان تجربة بعض اساتذة الجامعات عندنا لم تكن جد مجدية ، الا ان الرئيس كنيدي قد اثبت نجاح عدد من رجال هذه الطبقة الذين انتقلوا من كراسي الجامعة الى كراسي الوزارة دون سابق مراس بالعمل السياسي الواقعي . والحقيقة انك اذا رجعت الى التعريف القديم للاديب (والمثقف اليوم اوسع منه نظرا) وجدت لذلك التعريف شبيها بما تريد اليوم من الزعيم السياسي - معرفة عامة باطراف العلم ومعرفة خاصة باحد ضروبه .

تلك هي صلات ما بين السياسة والثقافة بمجعل ماهيتها ومقتضاياتها . ولكن من شروط ارتباط هذه الصلات واحكامها ، ان تنسج معها المزايا العقلية والخلاقية لن يتصدر للزعامة ، اذ ليس ينشئ الزعيم علم وثقافة بقدر ما ينشئ عقل وخلق .

طبقة الفهماء

بقلم حس الكرمي
من العروة الوثقى في لندن

عن هذه الصعوبة الكاتب الفرنسي الذي ذكرته ، ولكنه مع ذلك ، قسم المفكرين (ولم يسميهم بالفهماء) الى ثلاث درجات : (١) الدرجة الاولى (وهي العليا) وتحتوي على الكتاب الادباء والباحثين والعلماء والفنانيين المبدعين ، (٢) والدرجة الثانية (وهي الوسطى) وتحتوي على المعلمين والنقاد ، (٣) والدرجة الثالثة (وهي السفلى) وتحتوي على الصحفيين وكتاب الجرائد . واخرج هذا الكاتب من هذا التقسيم الاعلاء والمهندسين والمحاميين لان هم هؤلاء هو الناحية العملية وليس الناحية الثقافية .

وحينما اراد ان يعطي تعريفا للفهماء لم يجد تعريفا واحدا متفقا عليه ، ولذلك فانه اعطى تعريفين : (١) تعريفا شاملا ، بمعنى ان كلمة (الفهماء) تشمل جميع العاملين بغير اليد . ولكن الكاتب في مكتب من المكاتب او ادارة من الادارات لا يمكن ان يقال له (مفكر) ناهيك عن ان يقال له (فهم) ، ولو كان يعمل شهادة جامعية ، فخرج الجامعة هذا ما هو الا عامل اداته الآلة الكتبية . وهذا بالطبع بالنسبة الى البلاد الغربية فقط ، لان خريج الجامعة او الاقل منه علما ، في البلاد المتأخرة ، يعتبر من المفكرين او من الفهماء ، ونحن في البلاد العربية اشد احتساا بذلك في بعض الاحيان بسبب تجافي المعلمين وخريجي الجامعات عن عامة الشعب وترفعهم عنهم . و (٢) تعريفا ضيقا ، بمعنى ان كلمة (الفهماء) تشمل الاخصائيين والادباء .

ولا يخفى ان هذا التقسيم يجب ، في الحقيقة ، ان لا ينطبق على الفهماء بالمعنى الذي نعرفه من هذه المقالات بل ينطبق على المفكرين () ، وهذا على ما اعتقد معناه ريمون آرون ، ولوانه استعمل كلمة intelligentsia في هذا السياق ، كما استعملها الكتاب الفرنسيين بمعنى intellectuals ، ولعل عذرهم في ذلك ان الفهماء بالمعنى الاصلي لم يعد لهم وجود في الزمن الاخير بعد ان اندمجوا في مجتمعهم وتحملوا مسؤولية بنائه لا تهديمه ، وتفرقوا في شعاب المعيشة المختلفة وفي وديانها واصبحوا كغيرهم من الناس ليس لهم ما يميزهم تمييزا شديدا عن غيرهم ، بحكم ما جرى من تسوية وتوحيد بين الطبقات وازالة الفروق من بينها ، وبحكم انصراف الناس عموما في الغرب عن المذاهب المثالية المتطرفة ، حتى لا يكاد المرء يجد كبير فرق او خلاف بين جماعة اليمين وجماعة اليسار ، وصار المرء يسمع في الحزب اليميني عن وجود جماعة فيه تنحو نحو اليسار ويسمع في الحزب اليساري عن وجود جماعة فيه تنحو نحو اليمين ، ويسمع فوق ذلك من وجود وسط بين الحزبين فيه يمين ويسار . وكل ذلك ولا شك دليل على ضعف التصكك بالمذاهب التطرفية ، بعد ان تدامجت الطبقات في ميادين العمل وتقاربت من حيث المستوى المعيشي وتداخلت فسي مسئولياتها المشتركة . وقد علل البعض فتور حدة العقيدة بوجود

للكاتب الفرنسي المعروف (ريمون آرون) كتاب بعنوان (آفيون المفكرين) ، بحث فيه ، من جملة ما بحث ، عن شروب المفكرين في الماضي وفي الحاضر . فبعد ان قسم العاملين في الوقت الحاضر في الميادين الاجتماعية وغيرها المختلفة الى قسمين ، وهما العاملون باليد والعاملون بغير اليد ، قسم هؤلاء العاملين بغير اليد الى (١) كتاب يقومون بالاعمال الكتابية الادارية و (٢) فنائين او ادباء و (٣) خبراء امثال القضاة والاطباء والمهندسين والعلماء وغيرهم . وهذا التقسيم موحى به من الظروف التي نشأت بنشوء الرأسمالية والنظام الصناعي الحديث . فقد دعت هذه الظروف في البلاد الغربية الى زيادة التعليم ونشر المعارف ، فكان من ذلك المعلمون والاساتذة والمفكرون ، ودعت ايضا الى استخدام الاخصائيين في ميادين الصناعة والعلوم المختلفة . وكما ان الحاجة ازدادت الى المعلمين لتدعيم السلطات الحاكمة عن طريق الكتبية والدعائية ، كذلك الحاجة ازدادت الى الاخصائيين لتقوية الصناعة وزيادة رأس المال في ايدي اصحابه . ولذلك كان الطلب كبيرا على رجال الفكر وعلى الادباء للعمل في المدارس والجامعات اولا ، وللمعلم في الادارات المختلفة من حكومية وخاصة . وفي حكمة ثانية . فالنظام الصناعي الحديث في الغرب استوعب هؤلاء المفكرين ، وادمجهم في المجتمع وحملهم مسؤولية نحو هذا المجتمع ، فتكفوا على اعمالهم هذه وانصرفوا بذلك عن مسلك المفكرين والفهماء في الماضي حينما كانت مهمتهم الهدم قبل البناء والانشاء . والذي حدث ان المجتمع الجديد بما هو عليه من تعدد التواحي وزيادة ابواب العيش قد نظم المفكرين في شكل اعماله وادمجهم في تركيبه وكيانه ، فلم يعدوا يعيشون عنه بحاربونه وهم لا يمتنون اليه بصلة ، او يحاربونه لانهم منبوذون من كل طبقة فيه ، كما كان الحال قبيل الثورة الفرنسية وقبل الثورة الروسية . واذا نظرنا الى الحركات الادبية والفلسفية قبيل الثورة الفرنسية وجدنا ان الفهماء في ذلك الوقت ، امثال ديدرو والموسميين والفلاسفة ، كانوا يؤلفون اظهر مثال للفهماء .

ولكن هذا الاندماج في الزمن الاخير قضى على انعزال الفهماء وادخلهم في البوتقة الاجتماعية ، فاصبح من الصعب معرفة من هم هؤلاء الفهماء في المجتمع الغربي في الوقت الحاضر ، بل اصبح من الصعب ان يطلق اسم الفهماء على اية طبقة او جماعة من المفكرين . وقد اعرب

الرخاء وارتفاع مستوى المعيشة ، وعلة البعض الآخر بان النظام الاجتماعي استوعب المفكرين والفهماء ولم يتركهم بمعبد منبوذين كما كانوا من قبل ، وحملهم مسؤولية مشتركة مع غيرهم ، فزال ذلك من نفوسهم حسن النعمة والشعور بالحيث .

وكثير من الكتاب في الغرب يرجحون باندماج المفكرين في المجتمع وتضامنهم معه . ولكن كثيرين آخرين لا يرجحون بذلك ، لان هذا الاندماج وهذا القبول بمعيشة الرخاء قد نزع عن المفكرين والفهماء صفة البطولة والمدافة عن القيم والمبادئ السامية ، مما يؤدي الى انحطاط الروح المعنوية بين هؤلاء . ويرى هؤلاء ، كما يرى توكفيل الفرنسي ان المجتمع يجد نفسه في معيشة مادية تستنزف قوة النفس فيه . وهذا معناه ان دورات الصراع الاجتماعي قد انتهت الان ولم يعد للفلاسفة ، ولا للمصلحين ولا للباطل الانسانيين ولا لاصحاب الاحلام والتمنيات اي مجال . ومعناه ايضا ان التوتر بين المذاهب المثالية وواقع الحال قد خف او زال ، وبزواله يزول الدافع الى الحركات الاجتماعية ، المتحفزة والدعوات الإصلاحية الجامعة . وقد يصيح المجتمع الغربي اشبه ما يكون بمجتمع بلاد اكلة الحندقوق (اللوس) حيث لا يخبر الناس هناك الا وقتا واحدا وهو وقت العصر . ويرى كارل مانهاي في كتابه (المذهب المثالي والطوبوية) ان من اهم المشكلات في الوقت الحاضر إعادة التوتر الى المجتمع الغربي لان هذا التوتر هو من العوامل الجوهرية في كل تمدن . وحذر مانهاي من الخطر الالهي في تفهم روح المذهبية المثالية والفكرة الطوبوية بين صفوف التسامعين على الحكم في البلاد الغربية . وتساءل عما اذا كان فقدان هذا التوتر او نقصانه لا يؤدي فعلا الى تناقص النشاط السياسي والى خمود الحماسة العلمية ، بل الى عدم الرغبة في الحياة نفسها .

ويوجد نوع اخر من الكتاب في الغرب الذين لا يوافقون كارل مانهاي على تشاؤمه هذا ، ويرون ان هذا الخمود او التوتر في حركة القهواء او في نشاط المفكرين التوريين انما سببه عدم وجود السامعين الذين يجدون صدى في نفوسهم لما يقوله هؤلاء الدعاة ، ويرون ان هذا الدور انما هو دور انتقالي سيعقبه دور انتفاضي اخر . ولا يعرف هؤلاء الكتاب هذا الدور الانتفاضي كيف يكون .

غير ان الذي لا خلاف فيه ان مجال الفهماء في المجتمع الغربي الحاضر قد ضاق ، واصبح الواحد منهم لا يكاد يجد التربة الصالحة لافكاره الثورية او الانقلابية . وفي رأي المتواضع ان السبب في ذلك هو ان المجتمع قد استوعب القهواء وادمجهم فيه ، فخفت معارضتهم من جهة وظهرت الخلافات بينهم من جهة اخرى . ولي على ذلك مثل بسيط . فلو كنت انت تملك وسائل العيش في مجتمع ، فلا بد ان تكون قبله السخط والنقمة . ولنغرض

ان عدد الناقمين عليك عشرون رجلا ، وباستطاعتك ان ترضيهم باعطائهم اعمالا يعيشون منها . ولكنك تخشى على مالك ، فاذا اعطيت من هذه الاعمال عشرة فقط ، فانك اولا ترفع النقمة عنك وثانيا تخلق التنافس والتراحم بين العشرين رجلا فيما بينهم . فانت امين من ناحيتين . فقد ارضيت الناقمين عموما بانك برهنت عمليا على حسن نيتك ، وجملت من الراضين جماعة بدافعون عنك ويتعاونون معك . هذا مثال بسيط ، ولكنه شيء جرى فعلا في التاريخ . فان الحركات التحررية في بريطانيا كانت اولا ضد نظام الاقطاع ثم صارت ضد الملك بعد نشوء الطبقة المتوسطة ثم صارت ضد الطبقة المتوسطة ، ولكنها كانت تكون من المحدودين underprivileged ضد المحدودين privileged . فالمحدودون يريدون ان يكون لهم نصيب في الرخاء الذي كان يتعم به المحدودون وفي السلطة والكرامة . وهذا هو نفس الحال الذي كان موجودا في فرنسا قبل الثورة الفرنسية . ولكن الفرق بين بريطانيا وفرنسا من هذه الناحية ان النبلاء البريطانيين اخذوا يستوعبون بالتدريج عددا من المحدودين او من طبقة العوام وادخلوهم معهم في الحكم ، في حين ان طبقة المحدودين او النبلاء في فرنسا بقيت طبقة مقصورة على انفس دون غيرهم ولم تسمح باذخار احد من العوام بين صفوفها . وكان من نتيجة ذلك ان العوام في بريطانيا قبلوا ما اعطاهم اياه النبلاء واشتركوا معهم في الحكم ودخلوا في اطار الدستور البريطاني تحت زعامة النبلاء في الحقيقة ، وبذلك خفت حدة معارضتهم ومقاومتهم ، واستمر نظام الحكم قائما على اساسه القديم مع التعديل تدريجا من زمن الى زمن . اما في فرنسا فقد اشتد التوتر بين الجانبين ، ولم يقبل النبلاء الفرنسيون اشراك العوام معهم ، فادى ذلك الى الثورة المعروفة والقضاء على الاستقرارية الفرنسية التي كانت هي قوام الدولة .

فالاستقرارية في بريطانيا كانت احكم وافهم حقيقة الاوضاع ، فابقت نفسها في الحكم واشتركت معها فيه العمال والعوام . وهذا الامواج حفظ الدولة لانه ابقى الاستقرارية قائمة وطبق نظام الديمقراطية تدريجا . وبقاء الدولة مرهون بوجود استقرارية ثابتة الاركان ، كالاستقرارية التاريخية في بريطانيا . والاستقرارية المال في الولايات المتحدة ، والاستقرارية المذهبية في روسيا في الوقت الحاضر ، والاستقرارية الدينية في زمن الخلفاء الراشدين والدولة العباسية . والاستقرارية الزمنية في زمن قريش والدولة الاموية . وهذا كله اقرب ما يكون الى فكرة (العصبية) التي تكلم عنها ابن خلدون . ومن المستغرب ان يقال ان الديمقراطية الغربية ، التي نمت ونشأت في بريطانيا ، هي وليدة الاستقرارية ومنمعة عنها .

حسن الكرمي

لندن

احبك

احبك فوق الذي يحبون
احار بما بي وحبي اني
احبك وليشهد العالمون
الا انك الفرد في عالم
دعوتك حين تجنى الزمان
ولدت ببابك ارجو حمي

هوى لا كما يزعم العاشقون
عرفت من الحب ما يجهلون
احبك ولينكر المنكرون
تباركت وليخمس المشركون
قلبيت تقص لي من خؤون
لضعفي فكنت حملي المصون

تعاليت سبحت يا قدرة
احبك في ونى ناظري
ونورا يضيء دجى وحشي
تباركت ربي اعني على
اراهم على الشر قد افسحوا

تقاصر عن وصفها الواصفون
تباركت يا القا في العيون
فاصبح في جنة من فئون
اناس يفهم بمعون
اعا من سبيل به يهتدون ؟

اعوذ بك اليوم من عالم
اراه يعب سراب المنى
تكالب تغريه اطعاه
الا خساة طينة خلقها
تباركت ربي جبلت الورى
على اللؤم .. اذ روعوا الامنين
على النذل للجنح الاشعي

مريض به عارضا الجنون
على ظمأ مورد للمنون
الم يكفه المال ثم البنون ؟
اثام ولؤم وشر وهون
على الائم .. انهم آثمون
على الشر انهم مجرمون
عبدا ترى العز في ان تهون

تباركت يا ارحم الراحمين
اجرنى من الخلق خذني اليك
الى كنف آمن وادع

ايا من يلوذ به اللاندون
الى كنف فيه ما يشتهون
باجوائه يخلد الامنون ..

عائكة الخزرجي

بفسداد

تأخر عن موعدة ... ورفس زوجته
فنهضت لغورها تعد له زاده من
الطعام ... ولما سحبت القدر جمدت
مبهوتة إذ لم تجد فيها اللحم الذي
حفظته له !! وجعلت تراجع نفسها
لعلها أخطأت المكان ، ثم لم تستطع إلا
أن تسأله : على علمي اني تركت لك
الفك الاسفل في هذا القدر ... وما
أرى منه الآن وجد علي غير العظم ... لعلك
أكلته ؟؟

ولم يجد اقرب من وسادة القش
فقدف بها رأسها وهو يصيح : أنا
أكلتها يا !! وتدرجرت الكلمات
القادرة عن لسانه في سرعة متلاحقة
... واقسم بالطلاق لينسفن بهذا
الديناميت البطل الذي احتوى هذا
اللحم ...!

واخذ يركل اطفاله فيهبون مذعورين
واحدا بعد الآخر ، وعلى لسان كل
منهم جديفة من الضرب الثقيل ...!
واخذ سعدو يحقق مع كل منهم :
انت ... انت ... انت ... ١٤ انت !!

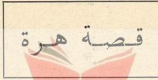
وكان الجواب بالطبع هو النفي ...
ولم يكن بحاجة الى تأكيد أكثر ، فهو
قد رآهم غارقين في سباتهم حين
مجيئه ، ولا مجال للظن بهوؤهم
للاكل أثناء الليل ، وإذن فلم يبق هناك
موضع للتهمة سوى زوجته ، وهذه
الهرة التي تغرغر فوق هذا المفروش
الممدود غرب الباب ...

وامسك بالهرة بجس بطنها وقلب
نظره على مدخل فيها ... وكاد
يجن من الغضب عندما رأى نثارة من
اللحم لا تزال معلقة منها فوق الانف
شاهدة بالجريمة !!

واستل من جيبه بعض الخيوط ،
وراح يلغها على شيء حول بطنها ..
وقد وجدت الهرة في ذلك مداعبة
لاذة ، فجعلت تسمع وجهها يصدره ،
وهي ترسل مواء حوثنا كأنه أنشودة
الشكر ...

ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى خرج
بالهرة الى ساحة الدار ، وهناك أشعل
دخينة ، ثم ادناها من بعض اربطتها ،
وبكل قوته قدف بها فوق جدار الدار

جوه الطبيعي ، فيوشك ان لا يفارق
البحر إلا لبيع حصيلته من السمك
او ليقتني ليلة في البيت ... وقد
تمر عليه الأيام المتلاحقات لا يطالع
خلالها وجهها لبنيه ، ولا يخطر في باله
أن يسأل عن احد منهم ... فهو
مشغول عن كل ذلك بهذه المتعة
الشافية التي يمارسها في مراقبة
الاسماك والقضاء عليها كلما وجد لذلك
سبيلا ... وكثيرا ما اتصلت أحلام
نومه بعمل يقظته ، فتترأى له جموع
الاسماك سابحة حوله ، تستقر
شراشته الى القتل ، فلا تستقر
أعضائه حتى يسمع الغامه تتفجر في
دوي متتابع ، تطفو على أثره ضحاياها
افواجا وراء افواجا ...



بقلم محمد المجلوب

ولقد عمق هذا المراس في طبيعته
خلاق القوة فجعله أشد استهارة
بالمسؤولية ، يرفع قبضته بأصابع
المفجرات مهددا متوعدا ، ولا يتورع
عن فعل ذلك حتى مع اطفاله انفسهم ،
السذين القوا منظر هذه المتفجرات
مطروحة على طبق تحت صندوق
التياب ، أو في سلة الخبز ، فقدفت
بذلك رهبتها في أعينهم ، وأصبحت
لهم اللعبة المفضلة يلوح بها كل نحو
الاخر ، أو يركضون بها وراء
اترابهم ...!

وهب سعدو من فراشه مسرعا
يقذف الشئام ، إذ وجد نفسه قد



كان سعيدة - كما سمته امه - او
سعدو - كما يسميه الناس - شابا
في الخامسة والعشرين ، على جانب
من القوة الجسدية غير يسر ، مندب
القائمة ، عريض الألواح ، مدمج
الأعضاء ، وهو شديد الامتزاز بهذه
الصفات كثيرا ما يتخذ منها مظهرا
لتحدي الضمعة من جيرانه ورفاقه ،
وكثيرا ما يتوسل بها الى زيادة حصته
من أي عمل مشترك قد يقوم به مع
بعضهم ... يضم الى ذلك كله لسانا
كالمسدس المختل لا يكاد يؤمن انطلاقه
على غير هدى ، فهو كتلة من الصفه
والسباب والتجديف ، لا تكاد تسمع
منه أينما سار وحيثما تكلم إلا ذلك
البذاء يصبى على جيرانه ، ورفاقه ...
ولعل زوجته او فر الجميع حقا منه ،
اذ عودها إلا يناديها بغير لفظة (وليك)
والا يخطيها اذا غضب إلا بالالفاظ
التي ورثها من أيام الازفة ... نبذا
بالقجور ، ومسبة للدين ، وشتما
للخالق ... ويكاد شتم الخالق ان
يكون لازمته المفضلة ، فهو اذا فاتته
الذخيرة التي يريد شتم خالقه ، واذا
عصاه عود الثقاب قدفه بمثل ذلك ،
وقد تمر قدمه بطرف الفراش فيسب
اله كل من وضع فيه قطبة ... وقد
عود اطفاله الثلاثة أسوأ هذه الالفاظ
حتى باتوا يتبادلونها غاضبين أو
راضين ، مستيقظين أو نائمين ...

ومن هنا كان سعدو بغيضا الى
قلوب كل عارفيه ، حتى لا تكاد تجد له
محبا ، ولا تكاد تسمع انسانا يذكره
بخير ... وقد نفر منه كل اقاربه
فاصبح فريدا لا يجد شريكا يتعاون
واباء في أي من الأعمال ...

وكانت له حرف كثيرة ، لا يستقر
منها على واحدة ، فيحين تراه حملا
يعمل في مواقف السيارات ، وآنا
تراه يدفع عربة ثقل ، ومرة تجده
نوتيا في إحدى السفن ، او معاونا
في إحدى الشاحنات ... ولكن
حرفته المفضلة هي قتل الاسماك
بالمفجرات ...
ويبدو انه وجد في هذا العمل

وجهان

الفسح بلوعمك الامي لايستما
بيدي بخلا وابائتي لك الترمسا
لانسد خوفلا على الافلار لو علما
فحين صار الى انامها ندما
سوى فحيحك بالايقاب ما انهما
وصار اطفالها الدنيا لها حلما
فلن فقيب شمسو تعيد الشمسما
والتروب مهما علا هل يبلغ النجمما
ظننت صغير الحصى من تحتها القمما ؟
وكل ما تشتهي ان تلسع القدما ؟
سئل في جفوني اسي يوتي ان انما
فهل تنوء بذل الناس ما ضحفا ؟
ان كانت النار تمحو لكلك الظلما
هدبا لمن فراع او حفا لمن ظلما
لتسكب الري في من كويه انحطما
حكمت الوجود به كي اكسو العدمما

باسمة باطولي

مهما تزد ضحكا ان زدتنسي السا
وجهان ما ضحكا الا كزيمك في
فم اعلم ماذا في الفتحاحته ؟
يا دمعية الفسد الخلال خلقتها
بيل ما القباحة من عادات ريشته
لا رب عينك من عشق الدجى انطفا
فلا ترج غيات الشمس عن بصري
افرك التروب تدرسه على الفسي ؟
اكلما غروب الوادي اعلت حجرا
تري سلت نغمة راحت قلبها
ولم ادسها وما سم ليرهنسي
اردت نفسي كوسع الكون اهلها
ارفسى باحرفها لو شاء عيهم
احبهم لو على اخشابهم صلبت
كذا كؤوسي دوالي الحب ترصفها
حتى وان لم يعد عندي سوى المي

في اتجاه الساحة المقابلة ...
وما هي الا ثوان معدودات حتى
كان الدوي يصمم الاذان ... ثم
يتراخض الجبران لسيروا هرة بيت
سعدو وقد نثرت اجزاؤها في كل
اتجاه ...

ولاول مرة يوجس سعدو خيفة
من جيرانه ، اذ لم يطيقوا كبت مشاعرهم
تجاه عدوانه الشنيع على تلك الهرة ،
فاخذوا يتصايحون ، وراح كل منهم
يشير نخوة الآخر للانتقام من هذا
الارعن الذي ما زال ينقص حياتهم ..
ولم يشأ سعدو ان ينتظر اكثر ..
فعلا جبيه اليمنى بالمتفجرات المعباة ،
وجمعل اطراف فتائلها بارزة الى
الخارج ، ثم اطبق راحته اليمنى على
واحدة منها بشكل ظاهر ، وامسك
بالتائية دخينة ، ثم خرج الى الساحة
في هدوء مثير ، كان ليس ثمة من
شيء يعبه ، فاذا الصمت يسود
الساحة ، وينسحب القربون بسود
بيوتهم الى داخلها في سكون ، وباخذ
هو طريقه الذي اعتاد ان يسلكه كل
صباح نحو البحر ... !

وعلى غير عادة سعدو كان هذه
المرة يتجه نحو الشاطئ وفي راسه
افكار غير التي الفها في مثل هذه
الحظات .. افكار لا تتصل بالبحر
ولا بالمسك ولا بالزورق ... هي
ابعد من ذلك واغرب ... الا انه لا
يستطيع لها تجسسا ولا تحديدا
ولعل من التجوز ان نسميها افكارا ،
فما اعتاد الرجل ان يفكر ، بل الف
ان ياخذ الاشياء على علائها ، يتناولها
بالشعور العابر ، والتدبير المرتجل ،
فلا يجهد نفسه بمحاولة التمييز بين
شئيين ... ولها اقرب الى ان تكون
تصورات تنتشر في اعماقه دون وعي
ولا تفكير ولا انتظام ... تصورات
يلمح من خلالها هرة ... وفضاء ...
وناسا ... وتخيل اليه انه يرى نفسه
في هذا الطريق نفسه .. يسير
كالتسح لا يعي ما حوله ... وبغالبه
شعور مبهم بشيء من الاشتمال كذاك

في اتجاه المدينة ، فوقفت لنجدة
الرجل الذي راه ركابها يهوى الى
الخضض غيب الانفجارات الاربعة .. !
وقد هال هؤلاء ان يبصروا الرجل
وقصد طارت عيناه ، وبثرت يمينه
ومزقت فخذيه ، وبقرت بطنه ...
ولكن سرهم انه لا يزال في صدره
بقية من النفس تبعث الامل ببقائه في
عداد الاحياء . لذلك اسرعوا بنقله
الى اقرب مركز للاسعاف .

ولقد صدق الامل ، وبعد علاج
طويل ، وعدد من الجراحات ، نجا
سعدو من الموت ... لكي يحمل الى
الناس صورة مجسمة من العدالة
الالهية التي لا تغفل ... ولا تخطئ
... ولا تنسى حتى الهرة الحقيرة .. !
وحتى اليوم لا يزال جيران سعدو
يذكرون ذلك الهرة ، كلما راوا الرجل
المشوه المسكين يعبر ساحتهم متكئا
على كتف زوجته ... ولكن ما اقل
الناس الذين يتفكرون ويعتبرون !!!

محمد المجنوب

اللاذقية

يدفعه الى التقوى ... ثم يحدث
شيء ليس في وسعه ان يعرف ما
هو ... ولكنه موجه ومؤلم ...
وهنا احس بضيق يتغل صدره ،
فهب راسه بقوة ، كانه يريد التخلص
من تلك الاوهام المزعجة ، ورنع دخينة
اخرى اشعلها من القعب المتخلف بين
اصابعه ، وتذكر كتلة التفجير التي في
يده فردها الى جبيه ثم مضى يعب
الدخان في عمق وهياج ...

وعندما وصل الى المفرق الذي
اعتاد اجتيازه اغفل نحوه بغير وعي ،
وكانت هناك اغصان شائكة يقفون ان
اصحاب الارض قد سدوا بها مدخل الممر
مساء اليوم الثالث ، فوقف ينحيها
في عصبية ، ودفعها عن ثيابه التي
راحت تشبب بها في قوة ، ولكن دون
ان يحرك شفتيه بحرف ... وعندما
توقف لينزع آخر شوكة من فوهة
جبيه اليمنى فوجيء بمشعل الانهيار
تحت قدميه ودوي خطف سمعه ..
فقطعه عن ادراك ما حوله !

وكانت سيارة تعبر الجسر القريب

الموشحات الاندلسية

بقلم موسى سليمان

يا اهل اندلس لله دركم ماء ولعل واتهار واشجار
ما جنة الخلد الا في دياركم ولو تغيرت هذا كنت اختار
لا تخشوا بعد ذا ان تدخلوا سقرا فليس تدخل بعد الجنة النار !
بخئل هذا الشعر الرقيق العذب يخاطب ابن خفاجة
« اديب الاندلس وشاعرها » اهل الاندلس واصفا بلادهم
الجميلة وصفا رائعا ، مشبها اياها ، بياضها العذبة ،
واشجارها الباسقة ، وازهارها ، ورياضها ورياحينها ،
بالجنة ... !

وهذه الجنة هي موطن الموشحات ، وهي البيئة التي
نمت فيها الموشحات وترعرعت ، وارتوت من مائها
السلسيل ، وتغذت من طبعتها الغناء .

والقول ان اول من ابتكر هذا الفن الشعري ، شعر
الموشحات ، هو مقدم بن معاني القبري من ادياب القرن
الفاشر ، وكان من شعراء الامير عبدالله بن محمد المرواني ،
ومن اوائل الذين كتبوا الموشحات واخذوا بهذا الفن
الجديد ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ، ويوسف بن
هارون الرمادي .

ولقد اقبل الاندلسيون على هذا اللون الجديد في الشعر
اقبالا عظيما لانه يخالف في نظمه وترتيبه ، الطرق القديمة
المألوفة في قرض الشعر ونظام القصيدة .
وفي ذلك يقول ابن خلدون :

« ... واما اهل الاندلس ، فلمسا كثر الشعر في
طهرهم ، وتهذبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التمييز فيه
الغاية ، استحدثت المتأخرون منهم فنا منه سموه بالموشح ،
ينظمونه اسماطاً اسماطاً واغصانا اغصانا ، يكثرون منها
ومن اغراضها المختلفة ، متناثلا فيما بعد الى اخر القطعة .
واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات . ويشتمل كل
بيت على اغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب .
وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد . وتجاروا
في ذلك الى الغاية . واستظرفه الناس جملة : الخاصة
والكافة ، لسهولة تناوله وقرب طريقه » .

حقيقة الموشحات : ويصعب الجزم في حقيقة الموشحات
وحقيقة مصدرها وهل هي فن اندلسي مبتكر ، ام هي
تقليد شعر غنائي غريب عن الاندلس وعن العرب ؟ ولقد
كثر الكلام في هذا الموضوع وتعددت الآراء وتشعبت
والذي عليه اكثر الباحثين ان الموشحات ما هي الا تقليد
لشعر غنائي عجمي . وهذه هي نظرية المستشرقين روبرا
وبيدال . وليس يسمح لنا المقام في مثل هذا المقال

بعرض هذه النظرية ومقارنتها بسائر النظريات واشهرها :
ان مخترعي الموشحات قد تأثروا بالاغاني الشعبية الاسبانية
والبرفانسية المتأثرة بالترانيل الكنسية . او ان الموشحات
العربية وشعر الطرويين الذي عرف في بروفانس في
جنوب فرنسا في القرن الحادي عشر هما من اصل واحد .
اشهر الوشاحين : ظهر فن الموشحات واشتد وقوي

في الاندلس ما بين القرن الخامس والثامن الهجريين .
واشتهر فيه شعراء كثيرون نذكر اشهرهم مع بعض
نموذجات من موشحاتهم . فهم : عبادة بن ماء السماء .
وقد اكتملت على يده صورة الموشح . يقول فيه ابن بسام
صاحب الفخيرة : « ... فكانها (اي الموشحات) لم
تسمع بالاندلس الا منه ، ولا اخذت الا عنه » .
ومتهم ابن البلبانة . وقصد اشتهر في عصر ملوك
الطوائف وهو من شعراء بلاط المتمدن بن عباد .

ومتهم : الاعمى التطيلي وهو من عصر المرابطين ينسب
الى بلدة تطيلة بالقرب من قرسطة .
ومتهم : ابن بقي القرطبي وقيل ان له اكثر من ثلاثة

الاف موشحة .
ومتهم : احمد الانصاري الاشيلي المعروف بالابيض
وهو من كبار الوشاحين .

ومتهم : ابن باجة الرقسطي الفيلسوف وهو مسن
الوشاحين والشعراء المعروفين .

ومتهم : ابن حزمون وله في الموشحات رأي يميّز فيه
بين المكلف والموضوع .

ومتهم : ابن زهر بن اشهر الوشاحين في عهد الموحدين .
ومتهم : ابن عربي التصوف الكبير .

ومتهم : ابن سهل الاسرائيلي وهو صاحب الموشحة
المشهورة : هل دري ظبي الحمى ان قد حمى .

ومتهم : لسان الدين بن الخطيب .
ومتهم : ابن زمرق . وهو آخر وشاح عرفته الاندلس .

موضوع الموشحات : طرقت الموشحات جميع المواضيع
التي طرقها الشعر المشرقي بصورة عامة ، ولكنها عرفت
اكثر ما عرفت في الغزل ، والخمرة ، ووصاف الطبيعة .
فهذا عبادة يتغزل بحبيبه ويصفه بالهجران ويهتمه بالظلم
والجور وعدم الانصاف .

من ولي . في امه امرا ولم يعدل
جرت في حاكمك في قتلي يا سرف
فانصف
فان هذا الشوق لا يراف

وابن القزاز يشبهه بحبيبه بالبدن التسم ، والشمس
الظالمة ، والقصن الورق ، والمسك العطر :

بدر تم . شمس ضعي .	غصن تقا . مسك شم .
ما اتم . ما اوصفا	ما اوصفا . ما اتم .
لا جرم . من لحا .	قد شمشا . قد جرم .
فالوصل . ما قد خلا .	من اصل فايت .
والخيال . ما قد علا .	من نفس خافت .

وإن اللبانة يشبه حبيبه بالغزال ولكن هذا الغزال
يصطاد بالحظه القتال الآساد الضارعة :

غزال صاد . ضارعة الآساد . بلحظه جاس . خلال ديار الناس
وفي موشحة ثانية يجمع من التشابه ما يجعلها
متصنعة ، متكلفة . فهو يشبه عيون الحبيب بالنرجس
وحبيده بالسوسن ، وقده بالغصن المياد :

في نرجس الاحدق . وسوسن الاجساد
نبئت الهوى مفروس . بين القنا المياد
وفي نقى الكافور . والمنديل الرطب
والهودج الزرود . بالوشى والعصب
فصب من البلور . حمصين بالقصب
اذابت الانشواق . روحى على اجساد
انهارها الطادوس . من ريشه ابراد

وهذا أبو بكر بن بتي وقد حيل بينه وبين الفه ، يحس
وكانه الموت يشرب الى قلبه :

اضحى يقول . مت يا حزين . فد اكتمى بالاس . الياسمين .
قلت وقد شرد . النجوم عيني
واباس السود . السقم عيني
صد فلما صد . فرغت سني
جسمي نجل . لا يستبين . نظله الجلاس . حيث الاثين
تجاوز الضدا . قلبي اشتياقا
وكلف السهدا . من لا اطاق
قلت وقد صددا . ليلى رواقينا
ليلى طويس . ولا معين . يا قاب بعني الناس . اما تلين ؟

والامثلة كثيرة وكلها لا تخرج في معانيها العامة عما
ذكرناه من غزل ووصف للطبيعة عامة .

على اننا نجب ، قبل ختام الموضوع ، ان نعرض ، ولو
سرعا ، لموشحيتين قد تكونان اشهر ما وصل اليها من
هذا الفن الشعري الجديد هما : موشحة ابن سهل الشاعر
الاسرائيلي ، شاعر اشبيلية ووشاحها . ومظلمها :

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى . قلب صب حله عن مكفى ؟
فهو في حر ، وخفق مثل ما . لعبت ربح العبا بالغبى
وموشحة لسان الدين ابن الخطيب التي عارض فيها
ابن سهل ومظلمها :

جادت الفتى اذا الفتى همى . يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما . في الكرى او خلسة المختلس
والموشحان من معدن واحد ، وتدوران حول موضوع
واحد هو التغزل بالحبيب . على ان ابن الخطيب ينهى
موشحته بتقدمها الى ممدوحة بعد ان تناوله بالمدح في
مقطعين منها . والموشحان فيهما الكثير من التشابه
الحسية المستمدة من افصان الرياض ، وفواكه البساتين ،
والطائر ، والشهب ، والافخوان ، والسورد ، وازهار
الرياحين .

فاذا ما شكا ابن سهل وجده لحبيبه بسم ابتسامه
المعترض المتفجر بالاء على ربوة متفتحة الازهار مخضرة
الاشجار كانها في عرس :

بطافة هن

نرجسة الاحزان في عيني
نرجسة الاحزان والدموع
والحب والشعوب
والليل والشوارع الحزينة
والقلل والمدن
نرجسة الاحزان في عيني
والهارب الاتي من الفصيح
والنار والقيار والقناع
والوت والالام والسكينة

الكويت موسى صرداوي

كلما اشكوه وجدي يسما . كالربى بالمعارض المنجس
اذ يغيم الفطر فيها مانما . وهي من بهجتها في عرس
ويتحمل الذنب في حبه وحبيبه هو المذنب ، وينبت
الورد في خد حبيبه من نظراته وهو محرم عليه .
اصغعه يعبر عن ذلك تعبيرا لطيفا :

ابها السليل عن جرمي ليدبه . بي جزاء الذنب وهو المذنب
اخذت شمس الضحى من وجنته . متراها للشمس فيها مقرب
ذهب الديرع بانوافي اليه . وله خد بلحظي مذهب
يثبت السورد بفرسي كلها . لاحظته مقلتي بالخلس
ليت شكري اي شيء جرما . ذلك السورد على الفرس ؟
اما موشحة ابن الخطيب الاديب والشاعر والوزير
والمؤرخ فهي اسير موشحة بين الموشحات الاندلسية وهي
اكثرها زخما . واعقها معنى ، وان كانت معانيها على
شيء كثير من البساطة والوضوح ، نظمها معارضة لموشحة
ابن سهل وهو يذكر فيها ايام الاندلس الحلوة التي مرت
الفرح والمرح ، ويسأس على زمان مر وكانه لمح البصر! .
وفيها صرخات وجدانية تنجا فيها « اهبل الحى »
بكلام عذب رقيق ويستصرخهم لينقوا الله في الحبيب
الذي تكاد تتلاشى انقاسه حبا وحرة :

يا اهبل الحى من وادي الفضا . وبقلبي مسكن اتسم به
ضاق عن وجدي بكم رجب الفضا . لا ابالي شرفه من غربه
فاعيدوا عهد اتى قد مضى . تعقوا عيديا من كربه
وانقوا الله واحبوا مفرما . بتلاشى نفسا في نفس
حبس القلب عليكم كرما . اقترضون خراب الحبى ؟

هذه هي موشحات الاندلس :

نفحات باردة لا تلبث ان تهب حتى تخبو ، اصداء عميقة
لاصوات بعيدة عميقة في جمجمة وغممة ، هلمات
ووشوشات تدغدغ الاذن ولا تصل دائما الى الاعماق .

موسى سليمان



محمد رجب البيومي

اميرة القصر نروي عدي بن زيد

بقلم محمد رجب البيومي

دانت الحيرة لبطش النعمان لا عن طواعية ، فقد كانت حياته السالفة في عهد ابيه لا تهيء القلوب الى الالتفات حوله عن رغبة واعتزاز ، ولكنه قدم على الناس في جفيل من اساوره الفرس ، ومعهم كتاب كسرى ، وبحلوه وبتوعته . ويعلن ان النعمان مطلق الامر في التنكيل والتفصيل والارهاب ، ومن ورائه جيوش آل ساسان تشدد ازده ، وتبارك منحه ، وقد شعر النعمان حقاً بالامن والاستقرار وزال عنه ما كان يغمر اياه في اخريات حكمه من قلق وتوجس واشفاق ، واين ابوه منه ؟! ولم يكن للمنذر ما له من جيوش فارس واسلحتها ، وتأيد الايوان وحده ، ان عدي بن زيد قد اسدى له الجميل مضاعفا حين مهد له امر الملك باحتياله ، وحين اشار على البلاط ان يعزى تابعه بالسلاح والخيول والجند ، وان النعمان ليدرك منته هذا الرجل ، ويحاول ان يتحدث بها الى احد غير عصام بن شهيد تنقيساً عما يحول بنفسه من مشاعر الثقة والحنو والاعتراف بالجميل فلا يجد غير ابنته الفاتنة الجميلة هند الحسنة ، فهي التي تحفظ مكنون سره ، وتظهر على طوايا فؤاده ، وانه ليزرع عبثاً ثقلاً بجثم على صدره حين يسرد عليها خفاياه ونياته ، ويرى في اجابتها اللبقة ما يسعده ويرضيه ، لقد تحدثت اليها في خلواتها الهادئة عن هدي فاكر اطال ، وقد بسط لها ما يتمتع به الشاعر العربي ، في الايوان الفارسي من سيطرة ونفوذ ، وما ينهض به في بقاع الارض من سفارات سياسية تنبئ عن ثقة به ، وحكمة لديه حتى امتلا ذهنها بعدي ، واعتقدت فيما بينها

وبين نفسها انه لم يخدم اباه وحده ولكنه اسدى اليها اجمل يد حين طوق والدها بالملك فرجع من شأنها بين العرب اذ صارت كريمة الملك ، ومطمح الانظار من ذوي التطلع والاستشراف ، وقد شاء القدر ان تغد على النعمان جازية فارسية ترعرعت في الايوان وساقها كسرى هدية لتابعه في حشد من التحف والالطاف ، فالحقها الوالد بابنته ، وانست هند بصاحبها « جيهان » انسا جاوز الوصف اذ رأت في جمالها وسلوكها ولغتها وثقافتها وعاطفتها ما اشبع لديها رغبات متعددة ، وكانت هند تجيد الفارسية اذ تفتتها في الخورنق على يد دهقان جائل ، حاز رضا النعمان من قبل فجعله استاذ هند ، وقد حقق الرجل ظن الاب فيه ، فصاغ من الاميرة مثالا للسلوك المتحضر والادب المرتف ، والرقعة الدمئة مع ما يحاها به الله من جمال غض ، وشباب فينان وعيش مخضل ونعيم رفاف ، فلما وفدت عليها « جيهان » رأت في حديثها المتنوع وذوقها الرفيع ، ورقتها الناعمة ما انعم عيشها ، ونضر اوقاتها ، وقد جلست تسامرها ذات عشية ، فجاء ذكر عدي على لسان الاميرة ، فانطلقت جيهان تقول دون احتشام انه يا مولائي اجمل شاب في البلاط الفارسي ، وقد كنا معشر جوازي الايوان نكتمش وراء الابواب ونعيوننا الى التقرب الضئيلة لنراه في مراجه ومغاده ، ويقولون انه فات الاربعين بعامين ولكننا نصر في اعتدال قامته ، وترقوق محباته ، وسطوع عينيه ، واتلاق شعره الفاحم ، واقتدار لغته عن الاؤلؤ التضيد ما تحسب به انه لم يتخط الخامسة والعشرين !! وهو بعد متحدث بلقبيجيد الفارسية ونفرا قصصها المسلسلة في تدفق وافتنان ، وقد قيل لنا انه شاعر عظيم كبير وانا لا املك الحكم عليه في امر لا افهمه ولا ادعيه !!

فعضت الاميرة باسنائها اللؤلؤية على شفتها الرقيقة وقالت في تلهف : لقد شوقني اليه حديثك عنه يا جيهان ، وانا اعرف جيداً انه سيزور والدي عن قريب فكيف السبيل الى مرآة !

فضحكت جيهان وقالت في بساطة امر يسر !! تطلمي اليه من الثوب خلف الابواب !! فظهر الغضب في وجهه هند ، وقالت في انفعال : لست جارية في الايوان يا جيهان ! فادركت صاحبها مبلغ تسرعها في القول ، وصيغ وجهها حياء جميل خلع عليها مزيداً من الفتنة والرواء وقالت في اكسار : مغدرة يا اميرتي الحسنة !!

فربت هند بيدها على كفها في تسامح ، وبادرتها تقول : اهو يعرفك شخصياً يا جيهان ؟

فردت تجيب في ثقة ، انه صديق مهذب ، واذا حضر الينا في الخورنق فساحبييه واحادثه ان سمحت مولائي دون اعتراض !

فقطعت هند تسال وفيه يجري حديثكما يا جيهان ؟ فادركت جيهان بغريرة حواء ان عدياً قد وقع في

نفس الأميرة إذ سمعت عنه ما شاق وراق ، فقالت في ابتسام : سيجري الحديث عن سيدتي هند بنت النعمان لأنها أميرة عربية تتكلم الفارسية وعدنياً شاعر عربي يجيد لسان فارس ، فيبينهما من تشابه الثقافة ما يدفعهما إلى التعارف والاختيار !!

فمال بهند ضعف رقيق لم تشعر به من قبل ، وصاحت في تخالط مضطرب : صدقت يا عزيزتي فانا أحب ان اراد ، فاطمأنت جيها ان تصرح الأميرة وقالت في ثقة : وسيكون سعيداً جداً بهذا اللقاء !! على اني اقترح على مولائي ان تقرأ من الآن كثيراً في ادب فارس ليوقف منها عدتي على ما يبهره ويسبه !

فردت هند : وسأقرأ من الآن شعر عدتي نفسه ، فانا اعلم ان الشعراء يقدسون ما ينظمون من اشعار ، ويمكنني ان اجمع اكثر من افواه الرواة ، فما اكثر ما يتردد في جنبات الخورق ، وارزاء الحيرة على السواء ، ثم استأذنت من صاحبتي متعجلة وأخذت تنتقل في مقاصر الخورق ، حتى بلغت حجرة والدها فدفقت الباب في رفق واسعدتها ان تجده وحيداً هادئاً ، وكان قد نهض من نوع القيلولة فاخذت تلاطفه بالقول منخيرة ما يحب من الحديث ، وقد جال بهما القول كل مجال حتى وصلت به في ذات رفيق الى عدتي فقال والدها دون ان يعلم ما يعالج في صدرها من صراع : سيرونا يا بنتي بعد خمسة ايام فقد جاءني رسله وكتبه معلنة ذلك !

فاجابت هند في احتيال سمعتها تقول انه شاعر يا ابنة . وانا لا افهم كيف يكون كاتب اللهايات الكسروي من شعراء العرب الا فاذ !

فعجل النعمان يجيب : قرأت اكثر من شعره ، وهو اعظم من النخل ، واقل من نابغة ذبيان !!
قالت هند : ومن يسمعي بعض ما قال ؟
فاجاب النعمان آتيك براوية الخورق زياد بن طليان فيسمعك اكثر ما نظم ، وستفهمين وتحكمين !!
فردت في انهزام : هو ذاك يا ابنة !

ولم يكن زياد الراوية بعيد . فسرعان ما وكل اليه ان ينشد الأميرة اشعار عدتي فاخذ يغد اليها مرتين كل يوم ، فينشد وينشد ، وهي تطلب وتستعيد حتى مضت الايام الخمسة وحن موعد اللقاء !

ولقد حشد النعمان جهده الرائع في استقبال عدتي ، فكان الخورق من الروعة والحسن في مشهد خلاب جذوب ، وماجت ضفاف السدير بالمتحشدين من رؤساء العشائر ، وشيوخ القبائل ووجهاء الحيرة ، وامراء البيت المالک وقد اصطف الاساورة في حامية الجيش الفارسي بملابسهم الحربية على الجانبين ، فخلعوا على الاحتفال في عيون العرب هبة وجلالا لا يبعدان ، وتقدم عدتي فصائح مستقبليه في ادب ، ولم تأخذ عينه ابهة المنظر وجلال المشهد بل حسب ذلك كله تعبيراً عن عاطفة ملك

مبتهج معترف بالجميل لذويه ! على انه حين خلا بالنعمان شكره في رقة ثم قال له علم الله اني ما قدمت الى الحيرة الا التماس الراحة ، وهروياً من مرايسم الايوان واحتفالاته الصاخبة ، وانا اطعم ان اجد هنا السكن والهدوء وان ما لمسته من احتفائك الكبير قد سرنى بمغزاه ومدلوله لا يظهره وصورته ، فاذا شئت ان اتم بما اريد ، فارجو ان تنهي مظاهر المجاملة ، وما احب لنفسي بالخورق غير ان اجلس ساعات الصفاء مع شعرائك وروائك فانا انسان اعالج الشعر العربي ، ولا اجد في المدائن على سعته من يطارحن القصيد العربي فاسمعه ما نظمت ويسمعي ما قال ، فاذا تيسر ذلك لديك ، فانا ذو حظ عظيم !

فقال النعمان في ادب : ان لدي من تود ، فالتابسة الديبائي ، والمخل الشكري وزباد بن طليان لا يتركون مكانهم من الخورق ، فاذا اذنت حضروا الى مجلسك طلعين .

فبادر عدتي بطلب التابسة وزبادا وحدهما دون المنخل ... ! وشاء النعمان ان يسرعاً بالمجيء فاقبل دون انتظار ، ورأى الملك ان مقامه في مجلس الشعر ناشز ناظر فاستأذن مبتسماً وكان عدتي يعرف صاحبيه فسار الحديث في ملاطفة وإبتهاج !

قال عدتي بعد ان رحب بالتابسة ، لقد سرتني ابياتك الأخيرة التي تقول فيها :
لا يهنا الناس ما يروعون من كلامهم
وما يسوفون من اهل ومن مالهم
لعمري ببلدة لا سم ولا خيال
حسب الخليل ناي الاوى بينهما
فان ينك الاخير يحمل من حدة العاطفة وروعة التأثير
ما هو جدير بشكك واني لاؤثر ان تتجه في شعرك هذا الى انجاء !

زفر التابسة زفرة حارة ، ثم قال في صوت يشبه الهمس : ليتني كنت مخيراً في ما اقول من الشعر فارغ الى اصطياد الحكم العاقلة مما يعجبك ويرضيك ولكن ما قرض علينا من الدائع يشغلنا عن التعقق والتفكير !

فتعجل عدتي يقول . ولكن التفكير في مصر الوجود الانساني مما يشغل الناس جميعاً وانا شخصياً لا ابرح اعاليه فيما اقول فلا بد ان يشغل شاعراً كبيراً قوي الاحساس كتابته بني ذبيان فلجا التابسة الى المجاملة وقال : هيها لا يستطيع شاعر ما ان يبلغ في ذلك مبلغ عدتي بن زيد حين قال :

من رانا فليحدث نفسه
انه موف على وشك زوال
رب ركب قد اتاخوا عندنا
يشرون الخمر بالماء الزلال
عصف الدهر بهم فانقضوا
وكذاك الدهر يودي بالزلال
وكذاك الدهر يرمي بالقي
في طلاب العيش حالاً بعد حال

فابتسم عدتي مستحجياً ، وبادر زياد بن طليان يقول : لقد كنت اروي هذه الابيات بالامس للأميرة الحسناء هند بنت النعمان تحفظتها للمرة الاولى وطلبت المزيد !

فسأل عدتي : للنعمان فتاة تقرأ الاشعار وتحفظها على

بجهد جاهد ، اذ انها بتدبير والدها نفسه ستكون قاب قوسين او ادنى من عدى ، وكانت تعتمد الإقتراب منه مخاطرة من وراء الملك ، وها هوذا يمهدها لها السبيل ، ثم قالت في انتباه ، سأعمل على ذلك بل سأهني لجيهاً ما تقوله من الحوار ، وهي تعلم اني اسمع كل حرف يقال !
فاشرق وجه النعمان وقال في ثقة اذن ساستريح ، فردت هند مستبشرة : دون نزاع يا ابتاه !

مضت ليلة حافلة بالخواطر المتطلعة الى ما سيكون فعدي لا تروح اذنه كلمة زياد بن ظبيان « انها تطلب شعرك انت بالذات » ، وهند وجيهاً تحلمان باللقاء وتمهدان لاما يقع موقع القبول من عدى ، وقد رحبت هند بلقاء الشاعر اذا طلب ذلك ، وليس بينهما غير ستار يرتفع بخمسة اصابع دون ضجيج ، وانها لتتخيله في جماله الرائع ، هذا الذي يدفع جوارى الايوان الى التلهف عليه من تقرب الابواب !! تمنى ان يأتي الغد دون ابطاء ، ومهما يكن من امر هذه الخواطر المتطلعة الى ما سيكون فقد حانت ساعة اللقاء ، وانتقل عدى بتدبير النعمان الى غرفة السر ، واخذت هند مكانها خلف الستار ، ووقت النعمان بيقظة ابنته فانسحب في اطمئنان !

قلتي عدى جيهاً فانسى بمرآها البديع وجال معها في بعض الكريات من الايوان مما سمحت به الذاكرة ، وسأل عن حالها في الخورق ، فقالت في هدوء : انا سمية الاميرة الحسنة الفاتنة هند بنت النعمان !
فرد عدى يقول : سمية الاميرة الحسنة الفاتنة هند بنت النعمان !! ثم اذن تسامران ! فقالت جيهاً في ادب فارس وشعر عدى بن زيد الغلاب تنطلق الشاعر في اخفاء وسال : ومن ادرى الاميرة بادب فارس ولسانها عربي مبيت !

فاجابت جيهاً انها الاميرة العربية الوحيدة التي تحذق الفارسية كاميرات الايوان وانها لتزيد عليها بها تحفظه من شعر العرب ، ولها قدس وتعليق ، بل نقدها بتصل كثيراً بشعر عدى ان هو منها موضع الاحتفاء والاهتمام !!

فقال عدى : ما اسوقني الى ان اسمع نقدها الصريح ! فانتهزت جيهاً ما سمعته وقالت تمنعجلة انها ايضا مشوقة الى لقاءك بعد ان حفظت قصائدك الجياد ، واستطيع ان استعديها ، ولكن !

فقال عدى متطلعا : وما وراء ولكن هذه ، فاجابت جيهاً : انها لن تستاذن والدها وسيحتج بذلك فاذا ضمنت لي الا يعلم النعمان شيئاً عن هذا اللقاء ، فساضغط عليها بعنف والزمها بالجني !!

فقال عدى لقد ضمنت لك ذلك : فيها اذن ! فخرجت جيهاً وغابت بعض الوقت وكانها تستعديها من مكان بعيد ، ثم اقبلتا معا حيث تحبان ! ونظرت هند فراءت من شباب عدى وجماله ورواقه ما لا تظن ان الله قد منحها لاسنان ، ونظرت عدى ففرغ ان

شقف واعتزاز فقال زياد انها تطلب شعرك انت بالذات ! فتعجب عدى وسال عن مدعاة ذلك ، فقال زياد : لقد استوضححتها السر فعملت ان وصيقتها الفارسية « جيهاً » ذكرت لها الكثير عنك حتى رغبت ان تروي جميع ما نظمت من ابيات فوضع عدى يده على جبهته كمن يتذكر شيئاً بعيداً ، ثم قال : جيهاً ، لقد كانت معنا في الايوان ، واذكر انني اشرت على البلاط باهدائها الى النعمان !

فاسرع زياد يقول : ان قصائد سيدي عدى قد اكتملت عند الاميرة دون نقصان وكنت انا راويتها المختار ... !
فأثار هذا التبا بعض الفضول في نفس الشاعر الزائر ، ولكنه صرف الحديث الى منافذ اخرى من القول فسمع من النابغة وسمع له ، حتى اذا انتهى المجلس عاد هذا الفضول الملح بعنف ، وتقدم النعمان لزيارته فسأله ملاطفا احضرت اليكم جيهاً ؟ لقد ارسلتها باختيارى الخاص ! فرد النعمان يقول ، كل خير يأتي من المدائن فانت مصدره المتفضل ! فقال عدى : اوتر ان اقبالها من الغد ، فابتهى الملك يقول : هو ذاك !

وكان في النعمان خيب والتواء فاشتغل ذهنه الماكر بما يريد عدى ، وتذكر ان ملوك فارس يبعثون جواربهم في هداياهم الممنوحة ، لتكون ميوناً لهم في القصور ، فتري الجارية كل شيء ، وتعلم عن عيان ما يدور بالملكة من خفايا الامور ثم تلبثه بطريقها الخاص الى من يعينهم ان يعرفوا ما يكون كما كان ، وتعجب لنفسه ، كيف فاته ذلك ، فلم يظن اليه منذ نزلت جيهاً لديه ، واعلمها باندماجها التام مع هند ، وبطلانها المستوي على منجزات الخورق ، وخفاياها قد علمت ما لا يجب ان تعلم ! ان عدى حريص على لقاءها ، ومن يدري لعلها تستطيع ان تغير اتجاهه الى النعمان بما لا يروقه من الانباء ، بل لعلها لخيث في طوبتها تخلق وتفتل وتزبد ، فتجعل من الحبة الصغيرة جبلاً ينابيع السحاب ، انه لمازق ، ومازق ضائق ، مهما وثق بعدى ، ومهما اطمأن الى شعوره الخاص ... !
وزاد التفكير بالملك فقام من فوره واستعدى الاميرة هند ، ليقف على رايها في طوية جيهاً وهي ادرى الناس بها دون استمراء ، فكتمت الاميرة فرحة غامضة في نفسها حين علمت ان عدى سيقابل جيهاً . وانها لا محالة ستذكر منها ما وعدت به من الانباء ، فاندفعت تلمس والدها المتلهف على حسن نيتها وجميل استعدادها ، وانها تعلم عن ايقان ان جيهاً تحب الخورق ولن تقول عن ساكنيه غير ما يسرهم من انباء !

فاطرق النعمان مفكراً .. ثم قال ومع وثوقك الزائد بجيهاً فانا اوتر ان يتم اللقاء في غرفة السر ، لتكوني انت جوار الستار الحريري ، وتسمعي كل حرف يقال ، وتعلم جيهاً ذلك قبل الذهاب فتمتنع ان تخبر بما يشين ، واذناك مهيشان ..
نظمت الفرحة على نفس الاميرة واستطاعت ان تخفيها

خمرة لتاييس

رائعة اناطول فرانس

من بلادي .. من شذا الليون ، والصحو الوليد
من منار الخير ، من لينسان ، خفاق الوجود
انفسي باسمك الرفاف ، في الدهر البعيد
كاشفا المرسل ، او كالمظلي في الفجر الجديد ...

ما علينا لو نغنيها بينت العبرية
ورشفنا كتابها الفساج للظهر نحية
ورويها قصة الاخلاص والنفس النقية
عطف الاس ، وما في الاس من ذكرى شجية

نحن يا اخت على خطوك ، والبوت المصير
وبقايانا ستدوي مثلما تدوي الزهور
اتما يبقى سنا الاشواق والقلب الكبير
ساطما كالتجمعة الفراء ، في ليل الدهور

يا لتاييس اذا طاف اسمها فوق الباسم
فرحة عذراء او حلم شذا النجف ، نسام
وصدى ليل الاماني وابتهالات العمام
اسمها ... في الخاطر اشواق وخفق متتالم

بعت البود جديدا ضاحكا في وجنتها
وهذا المصير لسدى طافت روى في مسميتها
وهذا اللحن مشوقا طامسا من شفتيها
كل حلو يهيري ، جادها منها ... اليها .

محمد شمس الدين المحامي

انت كان لك ما تشاء ! وانها لتزوي شركك يا عدتي وكأنها
ملهمة تستشف عن بعد ما تاتي به الايام ! فعجل عدتي
يقول ، الذي ما يدعو الى الاميال ؟

فقال الملك بل لدي ما يدعو الى الاسراع متى تريد !
فاطرق عدتي وهو يقول ان شئت عجلت بالزفاف
فاصبحها في رحلتي الى نجد بعد اسبوع ! كمادني الموسمية
في الصيد واللهو والاستجمام !!

فقال النعمان لك ما تريد ، وسأقيم معالم العرس من
الآن ، فلا احب الى نفسي من ان تتأكد صلتني بك وتزداد .
فصاح عدتي : معالم العرس ولم يمض عام على وفاة ابي
وابيك ، لنقم العرس في قلوبنا لا في عيون الناس .
فرد النعمان في تردد : قلت قبل ذلك ، لك ما تشاء !

محمد رجب البيومي

الفيوم

هند جديرة بان تكون كما يصفها الناس « الاميرة الفاتنة
الحنساء » !!

قابتهاها يقول في ابتسام :

سمعت انك تنقدين شعري فما وجه النقد ابنتها الحنساء ؟
فردت هند تقول اني لاحفظه جميعه فسلتي عما تشاء !
فكتم الشاعر دهشته وقال : تحفظيته جميعه ، ما هذا
الاهتمام الذي لا استحقه من نائفة مثان ؟!

فاجابت هند : انت الشاعر العربي الوحيد الذي تقف
بثقافات مختلفة فامتع بشعره الروح وامتش الوجدان !
فشكرها عدتي في شوق ثم قال : لتفرغ من المديح ،
وننتقل الى النقد ، ما الذي تأخذينه علي فاتجنبه كما
تشأين ؟

فقالته هند انت في شباك الريان ، ونعيمك المفضل ،
وجاهك النافذ تملأ قضايلك بالتحسر والتفجع ، وتذكر
مصارع الایام ومصابير الملوك وسطوات الدهر وكأنك ناسك
يدلف الى نهايته بعد ان عمر مائة عام !!

فزني عدتي زفرة حارة وقال ، هذا ما آخذة على نفسي،
ولو قرأت ما قرأت من تاريخ الاكاسرة لشاء في عينك كل
جاء صوال !

فتمجلت جيهاا تقول : انها تحقد لسان فارس ، وتقرا
تاريخ الاكاسرة بامعان ، ثم نظرت اليهما قائلة : وامامكما
المجال فالهجا بما تعرفان !!

وكانت ساعة ممتعة حافلة تشقق فيها الحديث المتبادل
عن آل ساسان ومن سبقهم من الاكاسرة ورويت اعاجيب
رسم ومهراب ، واقاصيص ذي القرنين والضحاك ، مما
امتلأ به صحف فارس ، ونظر عدتي فاذا هند تحتل قلبه
بعنف وجبروت ، واذا الوقت يمضي سريعا وهو لا يستطيع
مبارحتها لحظات فتتملأ متأوها وقال : يعز علي ان يضطربنا
الوقت الى انهاء هذه اللذة الهائشة واقسم اني لم اتمتع
بمثلها في الحياة !

ثم مد يده ناهضا الى هند ، فنهضت كما نهض ، وطلع
الى وجهها الجميل ، فلمح دمعة لؤلؤية تنساقط حذر
الفراق ، فلمس انها تحس نحوه ما يحس من انجذاب وقال
لها في تطلع سنلتي كثيرا يا هند !

فاطرقت تقول : تلك اميتي اذا تشاء !

وخلا عدتي الى نفسه ، ففكر وفكر ، واستقر على رأي
نهائي ، فاجابها به النعمان متى اقبل ، ولم يكن شيء يشي
الملك في ضيقه ، فسرعان ما اقبل عليه يتحدثان ويتطرحان،
حتى جاء حديث جيهاا فقال عدتي :

لقد عرفت منها ان لك فتاة تجيد الفارسية مع لسانها
العربي ، فاوما النعمان بالايجاب فقال عدتي لو اذن الملك
طلبت بعدها ، فتؤنسني بالبلابل الكسروي اذ تخاطبيني
بالعربية في خلوتي ، وبالفارسية في عملي بالاوبان ، فدهش
الملك لا لم يتوقع ، فنظر اليه عدتي منتظرا ولا حظ تاخره
في الرد . فصاح النعمان - في غير احتراس - لو اذنت

التهرب ، والدوران حول نقاط هامة كان من الاجدى ان يولوها اهتمامهم وعنايتهم .
اذا اردنا التعرف على (فردريكو فيليني) والمراحل التي مر بها وتخطاها علينا ان نتبع اهم اعمال هذا المخرج الذي استطاع خلال فترة ليست طويلة ان يجلب اليه اهتمام وانتباه النقاد والجمهور .

لا سترادا (الطريق)

ففي فيلم لا سترادا (الطريق) دخل فيليني البيت من ابوابه - كما يقولون - فقد سبق له واخرج اربعة افلام ناجحة ، اعقبها بفيلمه الجديد - لا سترادا - الذي اثار اهتمام النقاد اليه ، لقد انتقى نماذج فيلمه من بين الناس البسطاء ، معبرا عن واقع حي ، لا يثير الاهتمام لاول وهلة ، فبطل القصة ، احد افراد السرك من المهرجين العارضين ، عضلائهم والعابهم التي تعتمد على القوة والبأس والشدة ، ينتقل من قرية لاخرى على دراجته البخارية حاملا كل امنته ، وفنائه التي تشاركه العائنه ، وتضرب له على الطبل ، وتؤدي بعض الرقصات والحركات المضحكة معه . فتانه هذه ، اختارها من احدى القرى النائية تعويضا عن اختها التي ماتت وهي تؤدي عملها معه ايضا .. الفتاة الجديدة لم تات مختارة ، بل دفنعا اهلها الى ذلك دفعا ، كي يتخلصوا من ثم يطالبهم باللقمة !

هذا كل اطار قصة لا سترادا ، ومن هذا الاطار الانساني ، كانت احداث عديدة تتتابع بسلاسة وبساطة متناهية . فالفتاة الصغيرة البسيطة تتعرف شيئا فشيئا على زميلها الذي يصبح كل شيء بالنسبة لها ، زوجها ، رئيسها ورفيقها في الطريق عبر الدروب التي يقطعها سوية بدارجتهما البخارية . فزميلها كان يعاشر امرأة اخرى . وهو عند وقع لا ضمير له ، تسبب بقتل شاب طيب بسيط ، واخفى جثته بعد ذلك .. الفتاة عندئذ لم تعد ترضى به لا زميلا ولا صديقا وترفض حتى العمل معه ، لانه مجرم . وذات صباح تستيقظ الفتاة لتجد زميلها قد هرب وتركها وحدها . وتمرح شهور عديدة ، وهذا الزميل يؤدي العابه وحيدا ويمر باحدى القرى النائية ذات يوم فيستمع الى اغنية تغنيها فتاة صغيرة ، كانت زميلته تغنيها اليه دائما ، فيسال الفتاة عن اللحن وكيف تعلمته .. فتخبره ان فتاة فقيرة ومجنونة ، مرت من هنا وكانت تغنيه ، فتعلمته منها قبل ان تموت تلك الفتاة المسكينة !

وهكذا يقع هذا الخبر عندهم موقعا اليم ، فيترك القرية ليؤدي عمله من جديد ، ولكن برتبة ولا مبالاة ، حتى يعرف الجمهور عن مشاهدته وتشجيعه ، فيظل يسكر ويعبرد ، ويتعارك ويهان ويليل . وفي الختام يسقط منهارة على جرف من الرمل منكسا راسه باكيا بمرارة .

ان فيليني بلا سترادا ، قد قدم فيلما شاعريا ، ذكيا ، مليئا بالصور الانسانية الواحية ، وكان اسلوبه سهلا وبسيطا ، لكنه كان يسرد لنا احداث الفيلم بايقاع بطيء



يوسف العاني

المخرج الايطالي فردريكو فيليني

بقلم يوسف العاني

حينما عرض فيلم (٨ ونصف) في المهرجان السينمائي الدولي الذي انعقد في بيروت في شهر تشرين الاول الماضي (اكتوبر) ، اثيرت حوله تعليقات صحفية ، مجرد تعليقات لا اكثر ولا اقل . بعضها يصف كيف خرج الناس من صالة العرض ، والبعض الآخر يصف الفيلم بالصعوبة والتعقيد . والواقع ان معظم التعليقات كانت واردة وصحيحة ، الا انها لم تكن كافية لاعطاء فكرة ، ولو عامة عن الفيلم نفسه ، وعن مخرجه فردريكو فيليني ، كي يستطيع المشاهد او القارئ معرفة الاسباب التي جعلت بعض المشاهدين يتركون القاعة قبل نهاية الفيلم ، والبعض الآخر يتبعه بلهفة واهتمام .. هذا من جهة ومن جهة اخرى لم تنظم ادارة المهرجان ندوات ثقافية او فنية تطرح فيها كثير من القضايا الفنية للبحث والمناقشة ، مستفيدة من وجود شخصيات سينمائية كبيرة لها رايها الهام في التيارات السينمائية الحديثة ، او القديمة . وفي مقدمة هؤلاء « جورج ساوول » ويدهي ان فيلم (٨ ونصف) كان فني مقدمة الافلام الجديرة بالتبليل والمناقشة لانه - في رايي - احد الاعمال السينمائية الهامة في حياة فيليني ، وتجربة فنية حرة بالاهتمام . وهم كنا نتمنى ان نستمع الى راي جدي ومدرّوس لبعض فناني المهرجان من خلال مؤتمراتهم حول العديد من الافلام التي عرضت ، لكننا مع الاسف لم نقرا لهم الا اراء عرضية سريعة ، كان اكثرها يتسم بروح

يتناسب والشاعرية التي ظلت الطابع المميز للفيلم من اوله الى آخره .

ليالي جبريا

في هذا الفيلم الذي قدمه لنا فيليني - والذي اشرك فيه زوجته « جيليتا ماسينا » كما اشركها في لا سترادا - اختار موضوعه من الطبقات الدنيا - كما يسمونها - واراد هذه المرة ان يذهب بعيدا ، فدخل بيوت الدعارة ، واختار منها شخصيات فيلمه ، كل ذلك ليدين المجتمع الذي يرضى ان يعيش فيه اناس كهؤلاء ، ناعسة وبؤسا وشقاء .

الاجواء كانت مثيرة جدا ، ولا اعني هنا الاثارة الجنسية ، بل اثارة العطف والتشفقة على هذه النماذج البشرية النعسة . « جبريا » واحدة من هؤلاء تتعارك مع زميلاتها على زبون سرقة منها واحدة ، وتصرخ وتتحدى البوليس وترميهم باقبح الالفاظ .

الا ان جبريا فتاة طيبة ، لا تمنى الا زوجا .. زوجها ياؤها ويحميها ويبادلها الحب . كان هذا كل همها في الحياة . وذات مرة تقف امام احد الحوارة لتعبر له عن امنيتها تلك ، ولتستمع اليه وهو يكشف لها عن مستقبلها و « بختها » ويستمع لهذا الحديث شاب فقير ، يبدو لاول وهلة انه طيب القلب نقي السريرة . فيأتي ليفاتها بجمه ، ورغبته في اسعادها ، ويعرض عليها الزواج . وتعيش جبريا ايامها بفرحة غامرة . وتقرر الذهاب مع خطيبها ، فتحمل معها كل ما تملك من ملابس وحلى وقود ، وتغادر مدينتها مع زوجها المرتقب هذا ، الى حيث المكان الذي سيعيشان فيه . وفي الطريق يسكب في هذا الزوج النشود ! ينوي قتلها والقضاء عليها ، ليستولي على حليها وتقودها ويغير هاربا . وتظل المسكينة تقاوم فيأخذ النقود والحلي ويهرب . وتظل جبريا تبكي ، وتلعن الناس اجمعين ، وتقرر الانتقام من كل الناس دونما رحمة او شفقة ما دام الناس ، كل الناس ، مجرمين وغير طبيين .

وبعد دقائق تنهض لتعود الى مدينتها وزميلاتها .. وهي تحمل في اعماقها القصد الاسود ضد البشرية جمعاء ، وتظل تسير بين الاشجار السامقة متعبة ، كئيبه حتى تصل الى الشارع ، ويأتي الى سمعها من بعيد لحن عذب يغنيه صبية صفراء وهم يلعبون ، ويقتربون منها شيئا شيئا محيطين بها ، متسيمين لها بفرحة والاغنية تملو وتعلو .. وتقترب فتاة صغيرة حلوة قاتلة لها :

« مساء سعيد ! » فتلفت جبريا اليها وهي تبتسم :

« مساء سعيد » .. وتتعد جبريا عنهم ، لكن الابتسامة العريضة تظل مشرقة في وجهها ، وينتهي الفيلم .

ان فيليني في هذا الفيلم لم يتبعد كثيرا عن لا سترادا في أسلوبه ، ومعالجته . لكنه كان اكثر حيوية في خلق الاجواء واعطاء التناقض الحاد بين حياة جبريا وزميلاتها

وبين حياة اخرى ، يعيشها اناس آخرون ، اغنياء من طبقات عليا لا يرقى اليها الشك او الحساب ! وفي ليالي جبريا - ايضا - ظلت شاعرية فيليني تكسب الفيلم رقة ووداعة كنا نحسها رغم الواقع الصارخ الذي كشف وعبر عنه في فيلمه .

ان فيليني مخرج فنان لا يمكن له ان يظل بعيد نفسه او يكرر اسلوب تعبيره مهما اختلفت وتباينت مواضيع اعماله الفنية ، كلا ، انه يؤمن ان التعبير عن مضمون الفيلم يتطلب ملائمة الاسلوب لذلك المضمون ، وهكذا فهو يسعى الى البحث عن اشكال تعبيرية جديدة .

دولشه فيتا (الحياة الحلوة)

ان فيليني في « دولشه فيتا » ينهج نهجا آخر يختلف عما لسنهائه منه في لا سترادا وليالي جبريا . ان دولشه فيتا شيء آخر يختلف عن كليهما من حيث موضوعه ومحتواه ، لهذا كان اسلوب التعبير فيه والطريقة التي اتبعها في عرض احداث الفيلم شيئا جديدا ، ما زال فيليني وحتى في فيلمه الاخير (٨ ونصف) متأثرا بها .

يمثل موضوع دولشه فيتا الاختيار الماكس لفيليميه السابقين . فناسه وحياتهم تنعكسان عن الطبقات العليا وليست من الاوساط الدنيا والطبقات الفقيرة ، انها حياة زاخرة غنية بالمظاهر الخلابة والاضواء الساطعة ، ومع هذا فهي ابعد من ان نحترمها او نقف باجلال وتقدير لناسها . كان الفيلم مجموعة لوحات يدخلها صحفي ، لوحة بعد اخرى . وتجربة بعد تجربة فتترك الطابعات متجددة في ضمير هذا الصحفي الفنان . ان الفيلم كشف ذكي وصادق للمجتمع الاطالي ، وانه راى جريء وفاسد للعاملين على ستر هذا الواقع والحفاظ عليه .

ان فيليني قد ركب مركبا صعبا في « دولشه فيتا » . لقد اعطى تفصيلا لا ينتهي لموضوع فيلمه الذي استغرق ثلاث ساعات او تزيد جسد خلالها الحياة الحلوة هذه تجسيدا ترك اثره ، صعبا وسخطا وسخرية واعياء في نفس الصحفي الشاب ، وهكذا وجدنا انفسنا نحن المشاهدين الذين كنا نكتشف هذه الاجواء ونتعرف عليها من خلال الصحفي نفسه ، نعايا احيانا ونضحك او نسخر احيانا اخرى ، وكأنا نحن هذا الصحفي المراقب للاجواء كلها والعائش في خضمها .

ان الفيلم كان زاخرا بكل ما يكمل الصورة عن الحياة الحلوة التي يحياها هؤلاء .

وهكذا اضطر فيليني امام هذا المركب الصعب - كما قلت - ان يعالج الموضوع الشائك بصعوبة ، كان الجهد الكبير والاعياء كذلك ظاهرين في اكثر اجزاء الفيلم .

صحيح ان المشاركة بين اجواء الفيلم وبين المشاهدين يجب ان تظل متصلة وغير مفقودة ولكننا لا يمكن ان تكون سببا في اتعاب المشاهد الذي قد يضطر بالفعل الى الانعزال

افكاره وارائه في أكثر من موضوع ، فتتداعى الافكار بشعب سينمائي ، وتمتزج بواقع المخرج وحاضره ، ثم تتعد من جديد لتدخل الى ابعاد أخرى الى طفولته اللاهية والناس الذين كانوا يحيطون به وأن كل منهم في نفسه ، كل هذا النداء ، والأزمة مع هذا قائمة ، والقلق والاعياء ، والحقيرة والمشاكل الذاتية لا يفارق انرها ذهن المخرج وتفكيره .

ان الفيلم مزيج عجيب لاكثر من موضوع وان كان يبدو لأول وهلة ، موضوعا ضيقا . هو في الأساس تعبير عن مشكلة قد يعانيها فيليني نفسه ، هي مشكلة البحث عن الاسلوب الجديد للمضمون الجديد .

لقد استطاع فيليني ان يوفق بين الافكار المختلفة التي كانت تتداعى - كما قلت - وبين مشاعر انية أخرى واحداث وافكار جديدة ، تمتزج مع هذه وتلك ، وبين التوفيق بين معانها هو .. ورغبته منسج الفيلم وكتاب الحوار .. والآخرين . الكل يطالبه بتوضيح عن حاله ، عن دوره من مصيره ، والمخرج يستمع اليهم تارة ، ويتهورب منهم تارة أخرى ، لكن الواقع يظل بضنيه وبعده من جديد الى ايام طفولته ليعود وهو يحمل شيئا جديدا ايضا يربطه بحاضره . ويفكر من جديد بالمستقبل كيف يبدأ ! ويقع بإزمة جديدة ودوامة جديدة .. ويظل هكذا والصور السينمائية المنقطة تتوالى وتمتزج ، والتقطيع السريع ، والحوار الذي لا يقطع عن كل لقطة وعن أكثر من موضوع ، والمخرج صانع حائر ، والمعاناة تتجدد وتتأزم حتى آخر لحظة !

لقد كان فيلم ٨ ونصف اشبه بتركيب كثيف لاكثر من مادة ، لا يمكن للمرء ان يجد بين مادة وأخرى اي فراغ أو فاصل ، أو حتى نفرة بسيطة تعزله عن جزء منه . وهذا التركيب وان قال عنه فيليني انه خلاصة تجاربه في افلامه السابقة ، فان ملامح دولشه فينا أكثر اثر فيه .

لقد تحققت المشاركة الشعورية والفكرية العادية في الفيلم أكثر من اي فيلم آخر ولكن بشيء من الارهاق . لقد كانت معاناة وتفكير ومشاعر المخرج هي ذاتها التي تنعكس علينا . فتتعبنا مثلما تعبته . ومنلما استطاع في دولشه فينا جمع ذلك العدد الضخم من الشخصيات وإبراز كل شخصية بقدر ما تستحقه من اهتمام وعناية ، فقد استطاع في ٨ ونصف ، ان يبرز بعناية فائقة كل شخصية ودورها وانرها في كل مشهد ولقطة ظهرت فيها .

ان فيليني - كما اعتقد - قد استطاع في ٨ ونصف ان يقدم عملا سينمائيا ، جديدا لا في الموضوع وحسب ، بل في الاسلوب والتكنيك السينمائي .. وهو جهد يستحق التقدير والمناقشة الطويلة ، ليكون خطوة جديدة تضاف الى خطوات أخرى خطاها هو وغيره من رواد السينما الحديثة ، والتي ستؤدي كلها الى حيز الوسائل وانجحها في تطوير وتقديم الفن السينمائي .

يوسف العاني

عن أجواء الفيلم أو يعجز حتى عن نبع أجزاء كثيرة فيه ، سيما وان الفيلم يستغرق وقتا طويلا . ومع ذلك فان جهد فيليني وجرائه واستيعابه للموضوع الذي قدمه ، وقدرته وقامته السينمائية في اكساب الفيلم حياة حافلة ظلت تعيش كل مشهد وكل لقطة ، في تعبير سينمائي متقن قد جعل من فيلم دولشه فينا عملا سينمائيا كبيرا .

وقدم فيليني - بعكس دولشه فينا - الذي استغرق قراءة الثلاث ساعات ، فيلما قصيرا لا يتجاوز الخمسين دقيقة ، واعتبره فيليني « نصف » فيلم .. وهو الجزء الاول من ثلاثة أجزاء في فيلم « بوكاشيو ٧٠ » .

الجزء الاول من فيلم بوكاشيو ٧٠

كان هذا الفيلم أكثر بساطة من سابقه ، لكنه كان اشد سخرية منه . واعتقد ان الحملة التي قامت ضد فيليني عن فيلمه دولشه فينا وتحامل رجال الكنيسة عليه ، والتمتصون الذين نعتوه بشئي الموت ، كل هذه الاسباب دعت فيليني - كما اعتقد - الى اخراج هذا الجزء من الفيلم الذي تضمن نقدا صريحا وبلغيا لآراء البعض ممن لا يريدون ان يجاروا روح العصر ، ويظلون تحت طائلة عقد مرضية يعانون منها الشيء الكثير .

ان فيليني في هذا الفيلم القصير لم يتعبنا كثيرا ، لسببين : الاول ان السخرية التي رافقت الفيلم كانت مفرجة للضحك مما خفف عنا ، عناء تتبع كل جزء في الفيلم . ففيليني لم يترك لقطة الا وضمها تعبرا في فكرة ما . الثاني : ان فيليني قد وفق في خلق الاجزاء القليلة المتبعة ، التي كان يعيش فيها البطل واصداؤه . كنا نحن

نحس بثقل تلك الاجزاء بل كنا نحس بمعاناة الشخصيات المعقدة في القصة ، كالفتاة التي اظهرها فيليني بلون أزرق وهي تحلم احلاما مزعجة وعرقها يتصبغ بفرازة ، ووجهها جامد ميت . وحتى تصرفات بعض شخصيات الفيلم كانت هي الاخرى تثير فينا التعجب ، والعناء ، فمدير الشرطة ، الرجل الطويل القامة ، كان يتحدث وهو يبط بأذنه مرات ومرات ، ويدعك انفه برتابة وملل .. هذه الشخصيات كانت تعاني امرا غير طبيعي ، وكانت تعكس لنا مناعياها فنتحسسها ، الا انها لم تكن من الكثرة بحيث تتعبنا كثيرا بل ضاعست في خضم الاحداث الضاحكة التي امتلا بها الفيلم .

٨ ونصف

بعد هذه الافلام والافلام الاخرى التي اخرجها فيليني يقول : « انه يجمع في فيلم ٨ ونصف خلاصة تجاربه الفنية واكتشافاته ودراساته التكنيكية من مجموع افلامه الماضية » ولهذا السبب اعطى فيليني رقم ٨ ونصف لفيلمه الاخير . الفيلم يبدو لأول وهلة وعند الحديث عنه ، انه عرض لمعاناة مخرج شاب يبحث عن مخطط موضوع لفيلمه الجديد ! ولكن الامر يتجاوز هذا الاجاز المضغوط جدا ، وينتقل الى العديد من الاحداث في حياة هذا المخرج ، والى

رأيت أمي تستوي جالسة في الفراش
وتصبح بصوتها المجوم :
هيا تعالي . انت ناعسة . ضعي
راسك هنا على ركبتي . سافني لك
حتى تنامي .

قلت لها بلهجة مرحة :
لكني لا اربغ بالنوم . الساعة
السادسة مساء ، الساعة السادسة
مساء لا اكثر .
نظرت الي شزرا وصاحت : قلت
لك . ضعي راسك هنا على ركبتي .
انت ناعسة

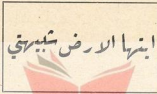
ابعدت هاني ، صغيري ، الى الغرفة
المجاورة ثم اقتربت من سرير امي
فابتسمت لي . جلست الى قريبها
فامسكت راسي ولطف امالته الي
صدرها الضعيف الهزيل ، وسمعت
صوتها ينشد اغنية السنين البعيدة ،
القديمة ، سني طفولتي . ورايت
والدي ينظر الينا بحثان ، ثم يجلس
على ذلك المقعد ، انه يدخن لقافسة
تبغ جيد ، ليرات ذهبية تتساقط من
يده . الخدم يملأون الدار . في كل
لحظة يفتح الباب ، اصحاب يتوافدون
وجوهم تطفح بشرا ، متهللة . ابي
يبتسم لهم ، لنا . لم ار رجلا اجمل
منه . وصمت والدي فجأة ، فعاد
ابي صورة معلقة على جدار وغمرتني
موجة من الكتابة .

انا هيام صادق ، تلك المرأة
المسرة في الشارع المغم . اني اعود
الآن من عملي . لم يبق علي الا ان
اجتاز هذا الشارع ثم ادق المنطف
الضيق ثم اسلق درجات السلم
الطويل لاصل الى الطابق الخامس .
ابني ينام الان ، امي تذهب من المطبخ
الى حجرة الجلوس الى غرفة نوم
هاني ، لتعود من جديد الى المطبخ
فحجرة الجلوس فغرفة هاني . انها
تدور في البيت دون انقطاع . في
كل ليلة اوجه اليها تعنيقا وفي كل
ليلة تلوذ بالصمت . انها لا تغفر
لنفسها دققة راحة . انها لا تحتمل
فكرة عملي المتواصل خارج البيت .

اني اعمل معلمة ، لا اعود الا وقت
بح صوتي وكنت قدامي ، لا اسود
الا وريقة في النوم تطوفني . ان انام
وانام ولا استيقظ ابدا .

من ايام فتحت عيني باكرا فوجدت
هاني ينظر الي باسماء ، ابتسمت له
وقبل ان اغضض عيني من جديد ،
سمعته يقول : انت حلوة . امي
الحلوة . انت حلوة ، حلوة .
اصابني الدهشة ثم اقبلت عليه
اقبله وقلت لنفسي ضاحكة : رجلي
في الثالثة من العمر .

صحبه ابوه من ايام في نزهة ،



يقام الائمة وبته عبودي
ولما عاد به الى امي قال لها :
هذا الضيفي كاهه . احزوري

ما قاله لي ؟

قالت امي : من اين لي ان اعلم ؟
قال : لقد استوقفتني قرب ماسح
احدية يمكنك ان تمشع عنده حذاءك
فابتسمت امي . فصاح زوجي
وهو يهرول متبعدا على الدرج :
- كاهه ، كاهه .

ان هاني يخشى الابتعاد عن المنزل
ويبدو على وجهه الصغير الخوف
حين يظهر والده في الشارع ليأخذه
من يد والدتي .
لكم يسألني معارفي اذ يبسون



اهتمامهم بي : ما سبب اختلافك مع
زوجك ؟

ان يتدخل كل فرد بشؤني
الخاصة امر لا اربغ فيه ولكني كثيرا
ما انزل عند طلبهم فاحذتهم بقصتي
يجب ان ابرر لهم تصرفي : ان
زوجي يا سادتي يهوى ، يهوى القمار .
ولما كان راتبه لا يتجاوز المئو والخمسين
ليرة فقط لا غير ولما كان علي ان
اعمل بدوري ولما كان لدينا طفل لا
يمكن ان ندعه جالعا وعريانا وبدون
سقف يبعد عنه الطر في الشتاء
والشمس في الصيف ولكل هذه
الاسباب انفصلت عنه . هوابته
المحبة تريد ان تفرسنا مثل مسا
افترسته . في اشفق على زوجي
ولكن لم يعد لي حيلة معه . كسل
الطرق حاولنا لانتشاله من ضعفه
واخيرا لم يكن علي الا ان اسلك هذه
الطريق فانفذ ما تبقى .

لقد دعنتي قريبة لي من ايام
لمشاهدة فيلم سينمائي . الحث علي
والدني بالذهاب . انها تريد ان ارفه
من حين الى اخر عن نفسي . فقبلت
لكونها .

الدكان حياة اناس سعداء
يمرحون في الوان زاهية حقا .
الحب الجمال . الاناقة . السيارات .
كنت اتجادل كي لا انفجر في البكاء
وانا اسير في الشارع عاندة . تماكنت
نفسي بجهد وكنت اشد على شفتي .
وحين دخلت البيت لم انظر في عيني
امي ، تشاغلت بخلع المعطف ،
برفع الحقيبة ، بالدخول
اخيرا الى غرفتي . وهناك في الظلام
استلقيت على سريرتي وانتظرت
العبرات . لم يدم انتظاري لحظات ،
سالت بهدوء اول الامر على خدي ثم
هطلت بقوة ثم ... اضيء النور في
الغرفة ودون ان التفت شعرت بامي
تقف قرب السرير .

قالت : ما بك ؟

قلت : لا شيء

قالت : هيا . هيا انهضي .

مستقبل الانسان

وتهيجنا الآمال وهي كيار
تفشي النفوس مهابة ووقار
فيه التسامح للتفاهم جار
والعنف ولى واستلان نغار
كأس الهناء على الجميع تدار

تتراحم الافكار وهي كشار
عند التأمل في غد وغيوبه
يقف الورى مستشرقين لعالم
والعدل اضفى برودة من نسجه
تهفو القلوب لعالم رغد به

هذا ستر خلفه اسرار
لا بد تشرق بعدها الانوار
والعقل يرشد والظلام ينار
جنت تجري تحتها الانهار
كل البلاد مواطن وديار
وبه تدور وتسيح الاقمار
فكانها في دققها الاعصار
فاذا بها للعالمين عمار

مستقبل الانسان من يدري به !
لكن في الافق السني بوارقا
فالعلم ينبت كل خير يرتجى
تغدو الصحارى خصبة فكانها الـ
يتنقل الانسان لا يشكو نوى
تغزو الفضاء كواكب من ارضنا
تنفجر الطقات من ذراتها
خشي الورى تخريبها ودمارها

ولهم مع البشرى غد نوار
ان المعاني بيننا تنهار
والحب غود ما به اوتار
تسمى القلوب وليست الابصار
قلب يجتلي وخطير فوار
وكذا الحياة فانها اطوار
وتزول عنا الجهل وهو اسار
فتراح عن وجه الصفا الاستار

عجبا لقوم والبشائر حمة
حسبوا التقدم في العلوم مصيره
فالشعر لا قلب يعيه مصفقا
من كان يشكو من عناه فانما
تلك المعاني لن تزول وعندنا
تبقى وترقى ثم يتغي صلبها
تتساقط الاغلال عن الحافنا
ويزول عنا الفقر لا رجعى له

زهر النجوم اذا رائته تغار

مستقبل الانسان يا مرحا له

فؤاد جبور حداد

لندن

من « العروة الوثقى »

انها لا تزور طبيبا مهما الححت عليها
بذلك . لا يجدر بي ان اشفق على
نفسى . نهضت من على السرير
وسرت الى مفتاح النور اديره . هاني
ينام ويده قرب خده ، قبلته في
الظلام ثم توجهت الى المطبخ .

وبنه عبودي

حلب

ان تنامي ومعدتك فارغة .
قلت : سالحق بك .
قلت : سيبقيظ هاني . لقد
كان يسال عنك اليوم كثيرا .
ابتسمت فجأة ونظرت الى سريره .
ابتسمت امي مشجعة ثم ادارت لي
ظهرها ومضت الى المطبخ .
انها تزداد ضعفا يوما بعد يوم .

قلت : لحظة والحق بك
قالت : لماذا تبكين ؟
فلم اجب
قالت : الفيلم كان حزينا
قلت : اجل الفيلم كان حزينا
قالت : لم يكن عليها ان تدعو لك
الى مشاهدة فيلم حزين . هيا هيا
انهضى واغسل وجهك . لا يجوز

جورج لانس شاعر من بلجيكا

بقلم سعد صائب

لذلك لم نر للحركة الأدبية أي نشاط ملموس الا حوالي عام ١٨٨٠ أثر ظهور مجلة « بلجيكا الفتاة » التي كان لها اعظم الاثر في تشجيع الإبداع وحفزهم للإنتاج ، مما أدى الى ظهور مدرسة أدبية عرفت باسمها حمل لواءها قصاصون وشعراء ، خضعوا بمنصف لتأثير « بودلير » والشعراء البرناسيين الفرنسيين .

ولا بد لنا من ان نضيف الى هذه المدرسة ذاتها - خلال تلك الحقبة - الكاتب « مورييس ماترنك » والشاعر « اميل فيرهان » ولعل مجد « ماترنك » كمجد الشاعر « فيرهان » لم يتملأ في تخطي الحدود البلجيكية بل عبرها مسرعين خارج هذه الحدود .

وليس من شك في ان الادب البلجيكي في اللغة الفرنسية لم يتقطع منذ عصر الرمزية عن النماء ، بل ظل في قرن واحد مع الادب الفرنسي ، حتى بدا وكأنه فرع من فروعه ، ولئن تراوحت مميزاته بين الصعود حيناً والهبوط أحياناً الا أنه امتاز بخير الصفات التي عرف بها الادب الفرنسي بوجه عام « وهي دقة التعبير وسلاسته ووضوحه واشراقه مع رشاقة اللمسات والتزام الاعتدال ومجافاة الغلو والإسراف » .

تلك هي المراحل التي مر بها الادب البلجيكي والوجوه الأدبية الثيرة التي جددت في دعمه بمواهبها وعطائها الخصب منذ ظهوره الى الوجود حتى عصرنا الحاضر . . وهي التي فرضت وجودها على الادب الفرنسي ذاته . وهي التي دفعت مؤرخيه على اكبارها وعدم اغفالها عند تاريخهم لادبهم وتخصيص مقام لها فيه بخاصة الشعراء الذين كتبوا باللغة الفرنسية

(١) من كتاب « شعراء معاصرون من العالم »
المدع للطبع - (٢) معجم القرن العشرين - (٣)
نصف قرن من الشعر بالفرنسية - منشورات
اليونسكو -

الفرنسي « كليمان مارو » الذي اشتهر بضرب من المسامرات السالفة . ونسى القرن السادس عشر دارت احاديث ومساجلات بعثت النشاط الادبي في بلجيكا . بيد اننا نلاحظ ان نمة ركوداً حقيقياً عم بلدان الاراضي المنخفضة الكاثوليكية - خلال القرن السابع عشر - لم تستطع الافلات منه الا قبيل نهاية القرن الثامن عشر اذ لم يبرز خلال هذه الحقبة الطويلة اي ادب او شاعر مرموق . . وحين تم الاستقلال السياسي عام ١٨٣٠ لم يكن في يد الامر بالتهوض بالادب ، بل لم يعيها ، اذ لم يكن من الممكن تقريب بزوغ نضجة في تلك الحقبة .

سعد صائب



شد ما تساءلت وانما اقرأ الادب البلجيكي (١) ، قديمه وحديثه ، عن سبب اعراضنا المتعادي عنه ؟ وفيه لا يتصفحه اداؤنا ويخبرون دخيلته ، ويبحثون عن خافي جماله ، كشأنهم مع غيره من آداب الامم شرقية او غربية ، وهم الذين ما انفكوا يكتفونها بظلمهم ، ويفيضون بالترجمة عنها حتى اختلط عليها غشا يثمينها ؟ . اترى يبلغ ادبنا المعاصر اربه ان اقتصر على الاخذ من منبع واحد او منبعين ؟ وهل في مقدوره النهوض والتسامي ان اعتراه فتور او كلال ، وعجز عن البحث عما يفذه ويجسده ليغدو جديراً بالاعجاب ، قميناً بالاقتراد اهلاً للنقل عنه والفخر به ؟ . ينبغي علينا اذن ان تكون نوافذنا مفتوحة لآداب الامم جميعها ، شريطة ان نختار الاصلح منها والافضل ، بذلك يستعلي ادبنا فيحلو ويعمق ويعذب ، وبذلك تكتمل ادابته وتغز مآذته ، وتعدد فنونه وتبلغ حاجتنا منه .

الادب البلجيكي بين الامم واليوم : مثلاً يتحدثون في بلجيكا بلغتين (٢) ، كذلك ينشئون ادبين ، ادباً فرنسياً ، ان جاز التعبير - وادباً فلندياً . وليس بخاف ان النتائج الأدبية البلجيكي في اللغة الفرنسية عريق في القدم ، اذ ان الشعر القصير ذاته كان - في الواقع - اقدم بناء شعري في اللغة الفرنسية ، رأى النور في المقاطعات الولونية التابعة لبلجيكا . ومعلوم ان اللغة الفرنسية ما برحت منذ القرن الثاني عشر ، لغة الطبقة المثقفة في مقاطعة الفلاندر اذ كانت قصور الامراء واشباههم - في العصر الوسيط - المراكز الحقيقية للادب الفرنسي ، فكمن من ادباء ساعدوا على صياغة النثر الفرنسي ، وكان لهم فضل لا يحصى بواهم مكاناً مرموقاً فيه . وفي ختام القرن الخامس عشر حظي الشاعر « جان لومير دويلج » بشهرة أدبية واسعة لا نسي بلجيكا وحدها فحسب ، بل وفي اوروبا كذلك . اذ كان بحق رائد الشاعر

وواصلوا بعد سنة ١٩٠٠ الاندفاع الرمزي الكبير في بلجيكا .
وثمة وجه الف الغرب النظر اليه ،
والإعجاب به ، بعد ان شافته سحر
غناؤه ، وراقته عذوبة النغم الذي
صاح به ، اذ لامس الاثنية التي
آدها عبء الالة ، وحرك النفوس التي
مات سماع ضجيجها فبعث شجهاها
على مصرع الإنسان ، وتوقها الملح الى
نشدان الطمانينة والهدوء ، كيما يعيد
الغرب ما افتقده من قيم ، ويؤكد
رسالته في المحبة والاخاء .

ولست أشك في ان الشاعر
« جورج لانس » هو هذا الوجه النير
الذي تألق لاني سماء الادب
البلجيكي فحسب ، بل في العالم
الغربي كذلك ، بما عرف عنه من
اخلاص لموهبته ، وتقان في نشر
دعوته ، وخصب في عطائه الشعري .
فيل ان الشاعر « جورج لانس » (٢)
ولد في مدينة « ليجج » في شهر
اذار من عام ١٩٠٠ وان اسمه اقرن
بشكل وثيق بظهور الشعر الحديث
في بلجيكا ، وانه في اعتناقه
« المدرسة المستقبلية » ودعوته لها ،
يشبه خديته الشاعر « موكل » في
اعتناقه الرمزية والدعوة لها
.. ومن واجبا ان نعيد النظر في كل
ما يتصل بتطورات هذا الشاعر
الذهنية التي تخيلها عن السعادة
والبؤس ، وعن الحب والمجد والجمال
وان كنا نلاحظ ان ثمة عالما يموت
وعالما يولد لدى هذا الشاعر ، ومع
هذين العالمين تولد قصيدة تبدو
بواكيرها وكأنها نبوءة من النبوءات
التي تراود ذهنه ، كما نلاحظ كذلك
انه جعل من نفسه معلما وهاديا ، اذ
امضى زهاء عشرين عاما يناضل من
اجل الاداء الحديث في الفنون كافة .

ان « لانس » على حد تعبير احد
النقاد الغربيين يشعر بعنف ، ان
واجب الشاعر الحتم هو واجب
الحضور المنفتح على العالم ، وواجب
الاصفاء كذلك ، وهو في مجموعاته
« الروح المزدوجة » و « خطر الموت »

و « سر أوروبا » و « قصيدة معجزة
وجودنا » و « قصيدة المدينة النسي
تحلق فوقها الاحلام » يشعر فيها وراء
الوان الحياة البهجة بشيء من الوار
الذي يدع القارئ واعيا فجأة خطورة
مصره .. انه لم يتوان قط عن
التأمل في فنون عصره ، مع علمه
« بوجود طلاء فوسفوري غريب
يغطي احقر الاشياء ، فكان الشعر لم
يكن لديه سوى ما للاشياء المألوفة من
صفات خارقة » .

وحسبه انه يحتل اليوم مكانا
مرموقا في الادب البلجيكي ، بل مكانا
متفردا لم يجاره فيه شاعر معاصر
ولقد اصدر العديد من الكتب
والبحوث كما نشر دواوين شعرية
تعبير اصدق تعبير عن مذهبه الشعري
ضمناها نظراته الى عصره ، وادوع فيها
خشيتيه من انهيار القيم الانسانية
التي كان لعالم يؤمن بها ، فانت
الالة تضع كل ثقلها عليها لتحطيمها ،
مما جعل الانسان الغربي حائرا مغلوبا
على امره .

اليكم نماذج من شعره اخترتها
من بعض دواوينه ، تمثل مذهب
التي نرى على الجاهل الذي
آمن به ، ودعا اليه ، وناضل من
اجله ، فاستطاع بما له من مكانة
مرموقة في الادب البلجيكي ، وبما
منح من موهبة شاعرية فذة ان يجوز
رضا النقاد ، ويحظى بأكثر حظوة
لدى متذوقي الشعر في العالم ..
يقول في قصيدة « المستقبل
والضحك » :

بشيء من الفة
نراهم يمضون متجهين
صوب الميادين المقدرة لهم
صوب المدن وتماتيل المستقبل
ان يكتنفهم شجر
فذلك شيء رائع حقاً
وليس من شك
في اننا نربح مرارا
بهذه اللعبة الدقيقة التنظيم
اذ لا شيء يقف حائلا

دون مسرى هذه الاجرام المتحركة
المحكم
فلا حديقتنا
ولا نظراتنا
ولا ما عر علينا من مال
وما ذخرنه
من نقائس وتذكارات
ومن اباد صديقة ، ومن بسمات
لا شيء يقف حائلا دون مسراها
الا ان هذه القطع من الاساطيل
ومن مدن حديثة
ومن شجر وتماتيل
هذه الجحافل الجاررة من المحركات
المنقطة الصنع
تحرر الغافلين ، وتعنت الغافلين
تحردهم وتمتعهم من ربة القلق الذي
نثره احلام قديمة

ثمة مدن
ثمة شجر وتماتيل
ثمة حيوانات لية
هي عندهم اجمل من العيون وابهى
اما انت فما ان تدن ذنوك الاكيد
حتى يضح الاطفال بالضحك سعداء
تألمين
وان ضحكهم
هذا الضحك ذاته
هو الضجة الاشد غرابة
التي دوت في ارجاء الكون ..

ويقول في قصيدة « اللامتناهي
القريب »
الظل
النسور
النسار
الماء
العجسر
بعض عيون
بعض اجساد
تلك كل قصيدة الارض

يقولون : امكن هذا ؟
اني لاري الى زاوية الكون
بنجومها القصيدة
وهي تجلو كروية الشمال

عالم بحر غد

ودعت امسك وانطلقت بلا غد
وحملت - دون سواي - عبء تمردي
وطويت امسي
وتركت نفسي
تضحي وراء رماد ماضيها ونمسي
وبنيت رمسي
وضربت كاسا بكأس
وشربتها حتى الثمالة
نخب الضلالة
نخب انطفائي
وضياع كل حقيقة بين ابتدائي وانتهائي

وتركت افكاري ورائي
وظننت اني
حررت نفسي
فوجدتها تمشي ازائي
وتعوض بي ، تهوي الى ما لا قرار
والليل - دوني -
تضايح تروي وتعرض لي حياتي
وتضيء لي امرار ذاتي
من سقطتي حتى انقلائي
ودخان ماض
وضمير صمت في انبساط وانقباض

يا انت
يا أنا
يا صدى صوتي وظلي
يا انت
يا هو .. يا أنا
يا منتهى شبيهي وشكلي
حتم ، يمضي مثلما امضي كانا خلف بعض
هل انت مثلي ضائع تقفو خطي قدر بتيه
قلبي قطعت نياطه ومضفته وبصقت فيه
ورمته نحو الكلاب
ومشيت - دون سواي -
احمل ما تبقى من عذاب
ومضيت اهرب دون فكره
كانت حياتي كلها اسفا وحسره

صفاء الحيدري

بغداد

يقولون : اممكن هذا ؟
ان تغدو مشاهدها
مغلقة بين ذراعي :

سفوح اودية
تراخي جليد
ضحك غابات
تتجلى كلها امام بهرة البحار ؟

ماذا عساني ان اعرفني غير هذا المكان ؟
غير وجوه العالم
وقد تكدست من حولي
وكانها ذخير غريب
تكدست بازاهيرها
التي تستاغها اليهم .
تكدست باجنتها
بمدنها

بضحكانها
تكدست بالآنها ، وحتى ببعض بنادقها
التي شددت الى موتها الحديدي ؟

يقولون : اممكن هذا ؟
ان تغدو خفايا الكون واسراره كلها
احيانا
قطيع رعب
يكتنف اطفالا صفارا رائعي القسمة
ينمون مع الزمن وكانهم فجر يطلع

ارجو ان اكون قد وفقت بعرضي
الوجيز لمجمل الادب البلجيكي قديمه
وحديثه ، وان اكون قد نبهت الاذهان
الى ما فيه من الوان وقيم جمالية ،
ومن تجارب خصبه اسهمت كلها في
الادب الغربي وغدت القوة المكيفة له ،
والطاقة الفعالة لديه . ولا ريب في
ان ادبنا سيفتني ويخصب ان نحسن
التفتنا الى هذا الادب واولياته بعض
ما نولي سواه من عنايه واهتمام ، لا
سيما ونحن مقبلون على تثبيت دعائم
نهضة ادبية عربية حديثة تتطلب منا
جهدا في البناء ، لا يقل خطورة عما
نبذله من جهود في سبيل تقدمنا
ورقيتنا ...

سعد صائب

دمشق

وتركها خلفه، وظل يعد الخطوات
الباقية له حتى يصل ... وفجأة
سمع بوق سيارة معرودة .. واصوات
عجلاتها تسمر فوق الاسفلت الاسود.
والنتت ..

كان الجمع غفيرا .. وترنرات
الناس تتضارب مع بعضها لا تفسر
شيئا من الموقف .. وهرع الى حيث
تجمع الناس .. الشاب الاسمر يقف
كالتمثال فوق جثة حسائه ، التي
حطمتها السيارة المعرودة ، واصوات
الجمع تردد :

— كانا يحاولان عبور الشارع ...
ترك الجمع الصاخب وراءه وامتأنف
المسير ، وقبل ان يجد في المسير ،
اطلق عبارته :

— لقد انطلق الطير الحبيس من
القفس الذهبي الثمين وطار .

ابتدأت بعض الفشاوات تلمس
معالم طريقه .. وصارت صور الناس
تتحرك امامه كالدمى الخشبية تحركها
يد ماهرة عبقريه . والاوان لم يعد
يستطيع تحديدها لسرعة تسابقها .
وصار يسمع من بعيد صواتمخوق
الصدى يرجع اليه حاملا بين اجوائه
صراخا وعويلا مربعا .

الجميع في البيت يبكي . ماتت
امه . وما زال ابوه شابا يشد مستقبله
مشرفا باسما بين يديها .

انطلقت هي الاخرى من قفصها
الذهبي تبحث عن عالمها البعيد . عن
خاودها . ولم يستطع هو ان يبكي
بعدما رأى اباه صامتا وكأنه تحجر
اثر الصدمة الهائلة ..

وفي العمارة امرأة تصرخ وتبكي
وتلأل الحي عويلا .. وباتي وليدها ،
وبصير الحياة .. وتبتدل الدموع .
دموع الالم ، الى دموع الفرحه . فقد
جاء ولي العهد .. وتدون صحون
الحوارى .. وترتفع الزغاريد .

وبحار ابوه . اصدق صراخ الحزن
من اعماقه ام يسمع صوت الفرحه
تملا كل الحي ؟

وهكذا كانت ولادته .
وتوقف القطار عن المسير . وانهلطت
الامطار المحبوسة في عين السماء .
وانكشف عالم المجهول امام عينيه .
وفجأة — وجد نفسه انسانا شابا
يعانق الوجود وجها لوجه . ويحاول ،
وهو القزم الصغير ، ان يتحدى البرق
والرعد ولا يعترف بهما .. الا انه في
كل لحظة كان يتحدها شيء اكبر من
ذلك ، اكبر من وجوده . شيء اسمه
التقص .. فهو في نظر اقرب الناس
اليه قزم صغير يحتاج الى عناية .

ارتدى ثيابه ، وقد ضاقت به
الدنيا .. وخرج الى الشارع .
لم تكن لديه وجهة معينة ، ولا



بقلم عنان الداعوق

http://Archivebeta.Sakhril.com

مكان مقصود .. بل كل ما اراده ان
يتمنى قليلا عليه يجد بين رحمة الناس
ما ينسيه بعض قلقه وخوفه .
في الطريق شاب اسمر الوجهه
يحيط زئد حسائه بوله مجنون ،
بخاف ان يفلت ذراعها فتطير السرى
عالمها البعيد . والحسناء تنبسم .
تبتسم الى كل من يصادفها في
طريقها .. ومر بجانبها . وانسمت
الحسناء .. وظن انها تنبسم له ، ولم
يدر انها كانت دائمة الابتسام تعاقب
عينها كل مخلوق في الطريق وتود
لو تنطلق فهي سحينة قصص ذهبي
ثمين .



كان هناك شيء اقوى من الصمت
بكثير يلف وجوده ووجدته وارقه .
الفراش اللين بطرده ، والهدوء
الساكن يخاله مصحبا وعنفا مربعا ،
والجو .. كل الجو المحيط به يظنه
يريد ان يبتلع ولا يبقى له انرا من
بعد .

ويسمع من بعيد عجالات القطار
تتحرك ..

ويتمد امام المارد الاسود قضبان
يباعدان ويباعدان الى ان يصل الى
منطقة لم تظا ارضا قدم انسان .
وتبدأ الرحلة ...

القطار يسير ببطء .. والعجلات
تطوي طريقا مظلمة .. ثم تأخذ
السرعة كل شيء فتلف الوجود كله
بصمت .. هو صمت السرعة ياكل
كل شيء ولا يتترك حتى صورة
مهوزة مطموسة المعالم .

كانت تجلس منبسمة على اريكة
طويلة في احدى المقصورات .. هكذا
تخليها — وكان زوجها يجلس الى
جانبا وفي راسه الف خاطر ..

وتنبه في تصورات مع عجالات
القطار وهي تعاقب القضبين الثمينين
ابدا للمسير .

ثم باتي في منتصف الرحلة السؤال
الارلى منطلقا من اعماق الزوجة
المتبسمة :

— ماذا في الامر .. اهناك ما
يشغلك ؟

وود الزوج لو استطاع ان يقول
كلمة .. اية كلمة ، وماست الاحرف
على شفتيه . وكادت الكلمة ان تقال
.. ولكنه توقف . ثم عاد ونظر اليها
طويلا ..

كان شتاء قاسيا مرا ، وكانت
الامطار محبوسة في عين السماء .
والايق البعيد لا يني يبعث بين آن
واخر دفقة جديدة من البرق والرعد
تندر بشيء كان في عالم المجهول .
ودخلت على الزوج اخته الكبرى ،
وعلى شفتيها اكبر ابتسامة في اجمال
لحظة ، وقالت له بغبطة مشرفة :
— ابشر فقد جاءك طفل ..

وتلك احدى العجائب التي وقف امامها دون ان يدرك حلا لها . وتباعد الايام ...

والقطار المارد الجبار يسير في رحلة الحياة . ونجاة يقف القطار ، وتهمد حركته ، فقد اشرف القضبان النهمان على النهاية .. نهاية كل شيء .

ومات ابوه ايضا في احدى الغارات الجوية . وحين افاق بعد مدة ووعى الصدمة العنيفة ظن ان العالم كله قد انتهى .. الا ان نواويس الكنائس كانت ترن رنينها هالكا .. وقد شرعت الصليبان اللامعة تتحدى الموت وتنبئ السلام .

وانفرست اقدامه في تربة الارض السخية ، ووجد نفسه انه لا يستطيع مغادرة الحياة بسهولة هكذا .. فخطاه الصغير ما يزال امامه طريقا طويلة طويلة .

— مساء الخير يا حلو ...

ايقلعه التحية الخرساء من لباته اليقظ .. وابتدأت الالوان تتوضح في ناظره ، واخذت الخيوط الالوانية ترسم معالم جديدة من عله ذاك .

وكانت « رنده » تبسم .

— مساء الثور يا رنده .

قالها بلا وعي منه ، واحس بجفاف سميك في حلقه والتفت وواجهها نهاما .

كانت ما تزال تبسم ، ولا يدري لماذا تذكر الفتاة التي تحطمت تحت عجلات السيارة قبل قليل .. تلك كانت تبسم ايضا . وايقلعه « رنده » من ذهوله الجديد ، وقالت له :

— اعاند انت الى المنزل ؟ تعال لنخرج معا .. فقد كنت في السوق اشترى ...

ولم يسمع بقية حديثها فقد تذكر فجأة القضيبين النهمين وقد انقطعوا امام المارد الاسود .. واخذ القطار يتدرج في الطريق ، ويلفد الجثث من نوافذه .

ومد يده وناولها المفتاح :

— اسبقيني انت الى المنزل وسالحي بك بعد لحظات .

وغنجت صارخة الانوثة وهي تهمس :

— ولكن لا تتأخر .

وانامت « رنده » فوق زنده وحلمت بالولاء وطافت بها خيالها نحو آمالها المسرعة الالهة .

— عناقك العنيد يؤذيني يا رنده .. خفي قليلا من حدثك .

وضجت بالضحك وفقرت من جانبها .. وتعتز قليلا ثم عادت واستاقت فوق زنده مرة اخرى وقالت :



عدنان الداعوق

•

— ثق ان حواء كانت في منتهى نعمتها وهي عارية ، وحين لبست نوبها الانثوي صارت ضاربة متوحشة .

الست تريدني هكذا .. او هكذا .. او هكذا ؟ .. وانلق باب الجنة هذه وازهر الفلاح .. ولكن الشيطان هذه المرة كان ثملا من شدة النشوة ومرتاحا من كل شيء .

ساعة المدينة النائمة تدق دقة واحدة بعد ان انتصف الليل ..

وتعلم في سريره ، وكانت عشيقته

ناائمة في هدوء قربه .. وانفاسها تعانق انفاسه وابتسامتها المرسومة بدقة الية فوق شفتيها ما زالت تذكره بالفتاة التي شاهدها وهي تموت تحت مجلات السيارة .

وابتدت من جديد نزول كل معالم الالوان والاشكال حوله . واحس ان كل شيء قد اخذ يتخلل في صورة هيولية ساحبة .. حتى « رنده » تمددت معالمها الصارخة بجانيه ، ولم يعد يرى فيها سوى ابتسامة تتعلق كظل ابتسامة لوحة فوق احد جدران معبد متهمد عتيق .

لحظات عنيفة تمر .. وساعة المدينة تدق دقا متواصلا متلاحقا . كانتا تسابق الزمن وتستعجل الحياة . وابتدا يجد نفسه رويدا وقد وعى كل شيء حوله .. القطار يسير بسرعة خاطفة .. والقضبان النهمان امتدا طويلا وبعيدا في ارض يوار لم تطاها قدم انسان .

وامه تجلس فوق اريكة عريضة مبشمة ، في احدى القصورات .. وابوه في صمته المطبق ينظر اليها بوله مجنون . وتفتح الام صمت زوجها وتسأله :

— وماذا عن ابنا الوحيد ؟ ..

ويتسم الاب بعنفوان هذه المرة ، ويقول لها بكثير من الاعتزاز :

— لا تقلقي عليه . فلا بد ان يجد له مكانا مريحا في القطار اللاحق .. وسرافقه حسناؤه رنده . انها هي الاخرى تعرف كيف تبسم .

وترتاح الام للكام زوجها . وتسند راسها على كتفه وتخفو .

وبخطوات مجنونة يقترب من سرير « رنده » ويهزها هزا عنيفا . وحين تفتح عينيها ، يقول لها بوله عجيب :

— انهض يا حبيبي .. انهض وقبل ان يغادرنا القطار .

عدنان الداعوق

حمص

بيت الفنان

مهدة الى صديقي الفنان اللهم زكريا كايما
الذي اوحت صومعته الشاعرية بهذه القصيدة

الضوء الاحمر مرتعش
لهفا في بيت الفنان
ودخان التبغ ظلال هوى
تعب في لحظ تعبان !
فينوس الشعر تظالعا
منها في ركن عينان
الحزن يذوب بسحرهما
ويموج بهيب ولهان
ووراء الرنة لوحات
شمتى عذراء الالوان !
فهنا ، في الحائط ، رائفة
للحب ، بروض ايراني ..
طاووس الشؤم يجندله
رمح كي يسعد قلبان
ويزين الريش بمخمله
شعرا ... وينقر نغران !

وهناك تراءت ثانية
تسوي ماساة الانسان
يسعى ، في العيش ، على أمل
يسدو كالفسوء الحيران
ويقتش في هذي الدنيا
عشنا عن شط اطمئنان !
فيري ، في قبر ، جمجمة
صفراء تمسج بديدان
ويحسار دماء راشفة
في الافق عروق السرطان

فؤاد الخشن

فينوس يتمتم شاعرها
محموما في ركن ثان !
الوجد يفيم بعينييه
وظلال الوحي الوستان
والكاس تفور على فمه
وتذيب غمام الالهان
وضباب بخور محترق
بنداح كئيب الرجفان
ويقرب الشاعر فنان
يرتاد عوالم شوبان
فيكاد بطنير لتقرات
بضلع بيان لهفان
ويروح يليح بكفيه
ويميد كشر في حان !

لله هنالك صومعة
فيها يهذي مجنونان
العمر المجذب عندهما
عطر ... وجزائر مرجان !

خلدة - لبنان





نقولا يوسف

تاجور بمصر

بقلم نقولا يوسف

يؤسفنا أن نعتقد في أمة أو سلالة أنها ممتازة عن غيرها ، وأن بها عناصر التفوق ، كأنها قد حوت محابة إلهية في نظام الخليقة .. أنه لفي الاستطاعة أن تنفق أفكارنا ، وأن تتلاقى وتماوج وتتكاف على تشييد صرح كمال نحل به - صرح يحتوي خير الإنسانية الإبداعي .. لقد قسا قلب التاريخ البشري على الإنسان ، فأملى جشع الأقوياء شروطه الثقيلة على الأقوام الضعيفة ، فأرهبها واستشرها ، لأشباع نهمه الدنيء . ومزق الإلم اوصال البشرية . فعلمنا نحن الأدباء أن نقد الإنسانية من هذا الشقاء المنطوي على علاقة غير طبيعية ، وأن نهض بالشعوب المختلفة إلى كيان أرفع ، وعليها أن تسعى إلى هذه الغاية مهما تباين الأفكار التي تنتهي إليها .. (1) وكان الشاعر يوم جاء إلينا ، في طريقه إلى وطنه ، بعد طواف بأقطار أوروبا دام ستة أشهر - وكان يودّ زيارة فلسطين العربية أيضا ، فلم يستطع إطالة سفره وأجل رؤيتها - ولكن الأيام لم تحقق هذه الرغبة ولا أمنيته في عودة أخرى إلى مصر .. فكانت زيارته هذه للأقليم المصري هي الأولى والأخيرة ، ولم تستغرق غير أسبوع واحد . ولكنه عاد منها وقد أحب الشرق العربي بقدر ما أحبه .

ولم تكن أيضا تلك الجولة الطويلة في ربوع أوروبا هي أولى رحلاته خارج بلاده ولا آخرها ، فقد كان الشاعر رحالة ، شغوا بالأسفار والتعرف إلى شعوب الدنيا ، والتي كان يعبدها وطنه الثاني الكبير ..

فبعدما كان صبي في السادسة عشرة ، أرسله أبوه « الميراثي » ديفندرات تاجور « ليدرس القانون بكلية بريتون بالجنتر - وكان ذلك عام ١٨٧٧ - ولكن نفسه لم تسترح إلى نمط العيش والدراسة هناك ، وانصرف إلى الأدب والموسيقى .. ثم عاد إلى وطنه بعد أربعة عشر شهرا ليتعلم بالطريقة التي يرضاهها ، وليكتب : « ذكريات سائح في أوروبا » منتقدا ما لم يعجبه ، ومخبرا آمال أبيه وذويه الذين راوا له أن يخرج محاميا في جامعات إنجلترا .

ولكنه - وهو الحب للأسفار ودرس البلاد والناس ، قصد إلى أوروبا ثانية عام ١٩٠٠ وتقل بين إيطاليا وفرنسا وإنجلترا ، وعاد بعد شهور ليتابع جهاده في الإصلاح بطريق القلم والمحاضرات وبإنشاء مدرسته التي سماها :

- (١) « المجلة الجديدة » بالقاهرة - يولييه ١٩٢١ - (٢) و (٣) جريدة الأهرام - ٢٨ نوفمبر ١٩٢٦ وما تلاه ، وبعض صحف ومجلات ديسمبر ١٩٢٦ - (٤) قصيدة « صناعة التأليف » من ديوان « الهلال » لتاجور . عن الترجمة الإنجليزية (ماكيفان) ١٩١٢ - ١٩٢٤ ص ٥٨ (٥) وانظر لكاتب هذا المقال : « ساعة مع تاجور » - السياسة الأسبوعية عدد ٢٨-١٩٢٨-١٩٢٧ و « في الأدب الهندي » : - السياسة الأسبوعية عدد ٢٣-١٩٢٧-١٩٢٨ - « تاجور في القاهرة » : جريدة (المساء) بالقاهرة - ١٩٦٥ - و « تاجور الراهب الذي دعا إلى الحياة » : - جريدة (الأدباء) بالقاهرة ١٩٦٦-١٩٦١ .

في شهر نوفمبر عام ١٩٢٦ جاء شاعر الهند رابندرانات تاجور لزيارة الأقليم المصري ، فأتاح لنا بذلك فرصة مشاهدته والاستماع إليه محاضرا ومترجما . وكنا نقرا ما تنشره الصحف اليومية التي تبثت خطواته وروث أخباره ، بينما كان أمامنا في المكتبات نحو ثلاثين كتابا للشاعر مطبوعا بالإنجليزية لمن شاء الاستزادة من معرفة الشاعر وأدبه ..

وكانت مصر يومذاك تعاني وطأة الاحتلال وتقواصه ، وكنا نعلم أن تاجور قد رد للانجليز عام ١٩١٩ وسام الفروسية ولقب « السير » اللذين اهدتهما إليه الحكومة البريطانية عام ١٩١٥ ، احتجاجا منه على الأساليب التي اتبعها الاستعمار في مقاومة الحركة الوطنية في الهند . كما كان الشاعر صديقا لغاندي ، زعيم الوطنية الهندية ، يجتث كل منهما الآخر ، مشتركين في الشعور بآلام شعبيهما ، والتعبير عن آماله كل بطريقته الخاصة ، وبفلسفته الخاصة - المؤدبتين إلى غاية واحدة ..

وكان مما قرأناه ، ذلك الحديث الذي دار في لندن بين تاجور وبين الكاتب الإنجليزي الكبير ه. ج. ولز ، وقال تاجور :

« .. اعتقد أن وحدة الحضارة الإنسانية يمكن إيجادها بطريقة أمثل إذا نحن عملنا على أن نصل بين حضارات العالم بروح الزمالة والتعاون بينهما .. أنه لما

.. ووضع بعد ذلك كتابه « رسائل من روسيا » و « رحلة الى اليابان » . وكان قد تعب من الطواف والتنقل بين أرجاء الأرض ، فاستقر في وطنه يعلم في جامعاته ويكتب وينظم الشعر والأغاني ، ويحاضر ويخطب .. حتى لفظ انقاسه الأخيرة في ٧ أغسطس سنة ١٩٤١ .

وكان لتأجور من هذه الرحلات الطويلة في أنحاء الأرض ، وتحمله مشاق السفر وركوب البحر ، الى جانب رغبته في الدرس والاستطلاع ، والتعرف بالشعوب والأمم على مختلف أجناسها ولوانها ، أغراض أخرى أهمها : الدعوة الى مبادئه في الإيمان بالسلام ، والإخاء ، ونبيذ الحروب والاستعمار ، وتجنب الحزازات اللونية والعنصرية ، والتعاون الروحي والمادي بين الأمم .. فيقول للناس ما قاله في خطابه بفندق « شبرد » بالقاهرة : « ان الوسيلة لفتح الأتانية وزوال التعصب الجنسي ، ليست هي الحديد والنار ، وإنما هي انتشار الأفكار السليمة بين الشعوب ، وسعيها جميعا لادراك الحقيقة المجردة التي يجب أن تكون غاية الغايات . »

فكان بذلك رسول سلام بين الناس .. والسلام كما يقول : « لن يترتب على عمل صناعي مطلقا كالاتفاقات الدولية وما إليها .. إنما الوسيلة الوحيدة لتحقيقه هي : الوحدة الروحية . » وفي الوقت نفسه ، كانت هذه الدعوة الى تلك المبادئ السامية ، وتعميقه للأمم بفلسفة الهند وإفريقيا ، خير دعابة للهند ، وأكبر مساعده لها في كسب عطف الشعوب على قضيتها الوطنية التي استقلتها .. فكان سقرا عظيما لبلاد في أنحاء العالم .

وما كانت جامعة « سانتى نكتان » السالفة الذكر تعلم تلك المبادئ ، ويحج إليها الطلبة على مختلف الوانهم واجناسهم ، وكانت في حاجة الى المعونة والتوسع ، فقد راح تأجور يدعو أيضا الى معاونة هذه الجامعة بان يجعل بحضور محاضراته العامة في المسارح ، اجرا زهيدا يذهب الى تلك الجامعة ومكتبتها ومراكز أبحاثها ونشاطها .

وكان لنا قدوم تأجور لمصر قد طر من استنبول ، حيث قضى ثلاثة أيام بعد زيارة رومانيا ، وأتينسا .. وكانت شهرته الواسعة ، ومؤلفاته الرائعة ، تسبقه أينما حل .. وكان قد منع عام ١٩١٣ جائزة نوبل في الآداب ، ووسام من السويد ، ووسام آخر ولقب من الإنجليز عام ١٩١٥ ، وهو تقدير رمزي لشاعر الإنسانية ، دفع الكثيرين من أدباء الشرق والغرب الى ترجمة مؤلفاته الى لغاتهم .

وقرا الكثيرون أيضا عن حياته وآرائه في كتابه : « الذكريات » المطبوع بالإنجليزية عام ١٩١٧ . وفي كتاب راضا كريشنان : « فلسفة رابندرانات تأجور » عام ١٩١٨ ، ثم في مؤلف وضعه الكاتب الإنجليزي تومبسون عام ١٩٢٦ بعنوان : « تأجور شاعرا وكاتب مسرحيا » .. وأخيرا كتاب أندريه جيد عن تأجور ، وكتاب أرنست أريس عن سيرة

« سانتى نكتان » - اي دار السلام - وبدلها روضة نموذجية للأطفال ثم ما لبث ان صارت على مرّ الأيام جامعة عالمية باسم « فيشو بهارتي » - جامعة الهند - كما قبل أيضا تعيينه وكيلًا لرئيس أكاديمية الآداب البنغالية .

وارتحل عام ١٩١٤ الى اليابان فالولايات المتحدة ، ثم رجع الى بلاده ليشترك في المؤتمر الوطني الذي عقد بكتلكتا في ذلك العام .. كما اشترك مع رومان رولان في « اللجنة العالمية لمقاومة الحرب » فقد كانت الحرب العالمية الأولى قد اشتعل أوارها .

كما ذهب عام ١٩١٦ الى الصين واليابان ، والقى هناك بعض المحاضرات داعيا الى السلام والتعاون ولكنه عندما التقى بجامعة طوكيو الامبراطورية محاضرة ندد فيها بالحرب والاستعمار ، تعرض لضرب الساسة في ذلك العهد هناك فقاطعه ، وعاد الى بلاده ليضع كتابه في « الوطنية » ..

وعاد سنة ١٩٢٠ يتجول في بلاد أوروبا وأمريكا ، وشاهد ما حل بالعالم من جرّاء الحرب فزاده ذلك حماسة في الدعوة الى السلام العام .. وكان يلقي كعادته المحاضرات والاحاديث ، كمحاضرته بجامعة جنيف بسويسره في ربيع ١٩٢٠ وبها تلا قطعا من كتابه « سدانا » و « رسالة الغابة » .

ثم قام برحلة سادسة عام ١٩٢٥ الى الصين فاليابان فأمریکا الجنوبية (وبها زار بيرو والأرجنتين) ، وعاد الى بلاده عن طريق إيطاليا ، ليعين رئيسا للمؤتمر الفلسفي بالهند .

وما لبث ان عاد الى أوروبا عام ١٩٢٦ - وهو العام الذي زار في أواخره الديار المصرية - فزار إيطاليا ، وسويسره ، والنمسا ، وفرنسا ، وانجلترا ، والسويد ، والنرويج ، ودمكرمه ، والمانييا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وهنغاريا ، ويوغوسلافيا ، وبلغاريا ، ورومانيا ، وتركيا ، واليونان ، ومصر - وحاضر الناس فيها جميعا وتحدث .

وفي أثناء هذه الرحلة التي استغرقت نصف عام ، دعاه صديقه رومان رولان للقائمة عنده فترة على شاطئ بحيرة ليغان بسويسره ، وهناك بحثا في تهديد الفاشية الإيطالية بالحرب ، وفي وجوب الإخاء بين الشعوب ، وفي نشر لغة عالمية تساعد على التفاهم بين الأمم .. ونشر تأجور يومذاك بجريدة « المنشستر جارديان » بعض المقالات هاجم فيها النظام الفاشي ، مما أثار عليه حملة عنيفة في الصحف الإيطالية الموالية للفاشية يومذاك .

وعاوده شغفه بالأسفار ، فراح بين ١٩٢٧ - ١٩٢٨ يطوف بجواه وسيام ، والهند الصينية ، ثم بالصين ، واليابان ، وكندا . وأخيرا .. فيما بين ١٩٣٠ - ١٩٣١ وكان قد بلغ السبعين - ذهب الى فرنسا ، وانجلترا ، ودمكرمه ، وإيطاليا ، وروسيا ، والولايات المتحدة الأميركية

الشاعر .. غير ما كتب عنه في صحف الشرق والغرب ،
والمجلات ، والموسوعات ..

وأما الادباء عندنا فكان بعضهم يعرف تاجور من كتبه
المترجمة الى الإنجليزية والفرنسية على وجه خاص .. وأما
من لم يقرأ في لغة اجنبية ، فلم تكن امامهم يومذاك غير
المحاولات الاولى لنقل آثاره الى العربية ومن ذلك ديوانه
« بلاقة » او « البستاني » الذي مر به وديع البستاني ،
وأشار في مقدمته الى منزلة الشاعر في الشرق والغرب ،
وما قاله بعض الصحف الإنجليزية عن كتابه هذا .. ومنه
رواية : « البيت والعالم » التي ترجمها المرحوم طانيوس
عبده الى العربية عام ١٩٢٥ ، وشاء القدر ان ينتقل
طانيوس عبده الى رحمة الله يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٢٦ وتاجور
مقيم في القاهرة .. ثم مختارات قليلة من شعر تاجور كان
ينقلها بعض ادبائنا في المجلات ومنهم ابراهيم المصري
بعبلة « التمثيل » .

فكانت زيارة تاجور لبلادنا حافزا للكثيرين من محبيه الى
البحث عن مؤلفاته وحياته ، ثم الى كتابة شتى الفصول عنه
وعن مؤلفاته في الصحف والمجلات .. الى ان توالفت فيما
بعد ترجمة الكثير من هذه المؤلفات الى العربية .

وتألفت قبيل وصول الشاعر الى الشاطئ السكندري
لجنة من الادباء للاستقبال والضيافة .. ووضع السيد
« سوارس » قصرة بناحية « سايا باشا » برمل الاسكندرية ،
وسيارته الخاصة تحت تصرف الشاعر ومن معه .
كان هذا في صباح السبت ٢٧ نوفمبر عام ١٩٢٦ حيث
رست بعباء الاسكندرية الباخرة الرومانية « الامبراطور
تراجان » قادمة من رومانيا فاستقبل واثنوا ، عليها شاعر
الهند تاجور يصحبه بعض افراد أسرته .. ابنه الشاب
« راندرانات تاجور » وزوجة ابنه السمراء اللطيفة ،
وحفيدته الطفلة الصغيرة الجميلة .. وكانوا كما سلف في
طريقهم من أوروبا الى وطنهم ، على ان يقضوا اسبوعا
بمصر .

فما ان رست الباخرة حتى خف اليها عدد من الادباء
العرب والاجانب ، وجمع من مثلي الصحف العربية
والافرنجية ، ومصوريها ، وبعض من الجالية الهندية بالشر
وخارجه .. (٢) وفي قاعة المائدة بالباخرة ، وقف تاجور
يستقبل جميع القادمين ويصافحهم .. وعلى مقربة منه
وقف نجله ، وقرينة ابنه مرتدية الساري الهندي الانيق ،
وحفيدته الصغيرة اللطيفة لابسة قبعة عالية ذات شريط
ابيض ، ومعطفها فاتح اللون .. وكانت هذه العائلة الصغيرة
مقربة الى قلب الشاعر ترافقه في روحاته وغدواته .. وهو
من تكب في أسرته منذ كان في الاربعين - فقد فيما بين
عامي ١٩٠٢ و ١٩٠٧ زوجته الحبيبة « مرينالي » وابنته
وابنه والوالد وزوجة اخيه .

وأقبل بعض التجار الهنود لتحية مواطنهم الكبير ..
يتقدمهم السيد الهندي « دبالداس » وقرينته - جاءا من

بور سعيد لمصاحبة الشاعر في هذه الزيارة .. ورفعت
السيدة كفيها مطبقتين الى محاذاة الانف وحركتهما الى
الامام حانية رأسها قليلا .. فرد الشاعر تحيتها الهندية
بمثابها ، وصافحه قربنها بيده .. ثم تقدم من يحمل سلة
ملأى بعقود الورد والرياحين . فأخذت السيدة منها عقدا
طوقت به جيد الشاعر فتدلى الى صدره .. ووضع زوجها
عقدا آخر ، وثالث عقدا ثالثا . ثم انجبت السيدة وقرينها
الى كل من زوجة تاجور الصغير ، وقرينها ، وطفلهما
فطوقت اعتناقهم بعقود الازهار .

وكان مواطنو الشاعر هؤلاء يلقبونه بالدكتور .. فهو
(دكتور) شرقي في الفلسفة .. تسابقت الجامعات في
شتى الدول الى اهدائه هذا اللقب العلمي رمزا الى التقدير
.. كما لوحظ ان السيد دبالداس والسيدة قرينته كانا
يتحدثان مع تاجور باللغة الإنجليزية ، لانهما لا يعرفان
البنغالية - لقد مواطنهم الشاعر - ففي الهند كما نعرف
تتعدد اللغات واللهجات ، نظرا لاتساعها الشاسع .. ثم
تقدم نفر من المعجبين والمعجبات وحظوا بتوقيع الشاعر
باسمه في « الاوتوجراف » و« اب السجائر والبطاقات ! »
وأخيرا جلس الجميع في « ندوة أدبية » فوق البحر ..
وطالت الندوة قليلا اذ كان الشاعر قد نسي ان يؤشر على
جسواز سفره من ممثل مصر في رومانيا ، فاتخذت
« الاجراءات القانونية » اللازمة سريعا لتسهيل نزوله ..
وكانت قرصة سانحة لمندوبي الصحف ! . وتوسط تاجور
الحلقة ، وأخذ الجميع يتأملونه في اكابر :

كان أولئك شيوخا في الخامسة والستين ، مديد القامة ،
اسمر اللون ، مشرق الوجه مستطيل ، عريض الجبهة ،
مهيأ بقطعة ثياب لاهية بيضاء مسترسلة ، وشعر ابيض
متهلل ، يسندل قليلا تحت قلنسوة عالية غير منتظمة
الحواشي من القطيفة السوداء ، وعينين واسعتين عميقتين ،
يشع منهما الذكاء والحنان .. وابتسامة حلوة بريئة ..
وصوت منخفض مسموغ هادئ النبرة ، يحسن الغناء
والترتيل .. وطبع هادئ ، رصين ينطوي على نفس سخية
سامية .. وكانت تكسو عباء فضفاضة برتقالية اللون
تستر ما تحته من الالباس الشرقية ، وبري من تحت ذيلها
« بنطالون » رمادي عادي ..

كان شبيهها بحكامه الاغريق القدماء ، وروهبان الشرق
وطاركهم .. كما ان لفظة « تاجور » تعني الراهب ..
ولكنه كان يحب ان يلقب « بالشاعر » فحسب - لا بالحكيم
ولا بالناسك .. فهو فنان في حياته واعماله ، يمارس الشعر
والموسيقى والغناء والتصوير وفنون المسرح .. وهو لم
يزهد في الحياة وما بها من فنون وجمال ومسرات بريئة ..
ولو ان الشعر والفلسفة في الهند توأما قلما يفترقان ..
والتعاليم الدينية والصوفية هناك تسودها الفلسفة
الروحانية ورقة الشعر ..

.. وراح الحاضرون من الادباء والصحفيين يتبارون في

« توجيه الاسئلة » وهو يجب عليها بلغة انجليزية سليمة .. واليك نموذجا من الاسئلة واجوبة الشاعر عليها ، كما لخصها مندوب « الاهرام » في اليوم التالي : (٣)
س - ما رأي السيد الشاعر في السلام العام ومهمة جمعية الامم ؟

ج - ان السؤال يستوجب بحثا طويلا . ولكني احاول ان ابدي رأيي في ايجاز . ان السلام يجب ان يكون اولا خلقا في الناس . فهو لا يصنع بالة . وجمعية الامم كما هي الان لا تستطيع ان تحمل السلام الى العالم ، لانها لم تولف من عناصر متخلقة بحب السلام ! يجب ان تغير العقلية اولا ، وتصلح الضمائر . وبدون ذلك لا يكون سلام في العالم . لقد كانت الشعوب الاوروبية في الماضي تقدر للحياة الروحية في الناس قيمة كبيرة . اما الان فقد قل هذا التقدير بسبب اتساع الطامع المادية !

س - واذن فمتى تصلح الامور ؟
ج - متى تغيرت الافكار !
س - وكيف تغير الافكار ؟

ج - كما تغيرت في الماضي . ان الامر ليس متعلدا . فان الاوروبيين كانوا فيما مضى يقتل بعضهم بعضا من اجل العقائد الدينية . ثم تبدلت افكارهم بقوة العلم والعرفان . فابتعدوا عن تلك الاخلاق حتى لم يعودوا يعرفونها ، ولم تعد تنسب اليهم . يجب ان يرتقي الافراد اذا كثر المرتقون ، وكونوا قوة تفعل فعلا عجبيا . وكثيرا ما يظهر فعل هذه القوة سريعا بعد تطورها .

س - هل زار الشاعر مصر قبل الان ؟ وما رايه في احوالها المحزنة ؟

ج - هذه هي زيارتي الاولى لها . واعرف انها احدى في النهوض . واعرف زغلول باشا . وانه على راس هذه النهضة الشعبية . ولا اعرف كثيرا من التفاصيل . وانعمى لمصر كل خير ونجاح .

س - قرانا باعجاب كتابكم عن « الوطنية » ولا شك ان كل شرقي يسيطر الاجنبي على بلاده يؤيد ما ذكرتموه . فهل يمكن معرفة الاسباب التي حملتكم على وضع هذا الكتاب ؟

ج - كنت عام ١٩١٦ في اليابان الناهضة . فادهشني ما رايت فيها من الميل الى الجور على جيرانها اهل الصين وكوريا ، وعدم المبالاة بالحاق الاذى ببلادهم على قاعدة خدمة المصالح بالطرق التي تتبعها دول الغرب . وتذكرت ان اليابان اقتبست مدينتها القديمة من الصين ، وانه كان يجدر بها ان تكون اكثر رفقا في معاملتها الجيران ! فكتبت ما صار بعدئذ ذلك الكتاب الذي تشيرون اليه وقد جعلته محاضرة تلوتها في احدى جامعات اليابان في ذلك الوقت . وكان اليابانيون يبالغون في اكرامي . غير انهم امسوا بعد تلك المحاضرة يخافون على الناشئة اليابانية من اراضي فابعدوها عنى وابعدوني عنها ! على اني بعد ذلك القيت

بعض الخطب في هذا الموضوع بالولايات المتحدة الامريكية ، فنالت تقدير امريكان . وفي الواقع انسى لا ادري كيف يطلب الناس وهم يعملون كل ما يلجب الخصام ، ولا يراعى بعضهم بعضا . واكثر ما يرد ذكر السلام على اللسان متى كان ذاكره في حاجة ماسة اليه !

س - متى تظنون ان الشرق يقوى على صد مطامع الغرب ؟

ج - متى انتشر بين الجماعة مبدأ الصدق في القول ، ووحدت العاطفة الانسانية . لان الشرق في حاجة الى اتباع المبادئ التي ترضيها الحياة الطبيعية ، ونهضة الفرد هي اساس النهضة العامة .

س - قلتم في الاستانة انكم مقتنعون بان الثورة التركية ستوجد عصرا جديدا لتركيا ولسائر شعوب الشرق ، لان التعصب الديني احدث تأثيرا رجيعا في الشرق . وقد رسمت تركيا الآن له الطريق الذي يجب ان يتبعه .

ج - نعم . وارجو ان لا اكون مخطئا ! فان الشرق اخره التعصب الديني . وقد آن لهذه الحال ان تزول . واظن ان الانراك احسنوا بنزع الاشواك من طريقهم . وارجو ان تشر حركتهم ثمارا صالحة !

وما لبثت « الاجراءات القانونية (الروتينية) » ان انتهت ونهض تاجور ومن معه ، ونزل من الباخرة الى شاطئ الاسكندرية مسكبا بيد حفيده الطفلة .. وسارت الجموع وراءه في موكب ، تتقدمهم السيدتان الهنديتان ، واستقبل وابسته سيارة مضيئه الاستاذ « سوارس » الى قصر سوارس يستأجر بائنا بالرمل .. وهناك زاره اديباء الاسكندرية العرب والاعاجيب . محبين .

وكانت «جمعية الادباء اليونانيين الكنديين» قد بادرت ايضا بتكوين لجنة من اعضائها لاستقبال الشاعر وتكريمه ، وكلفت الشاعر الدبلوماسي « مارينو سيفوروس » بكتابة كلمة التحية ، ثم ترجمها الى الانجليزية ، الشاعر اليوناني الكندي المعروف « قسطنطين كفافى » (١٨٦٣-١٩٣٣) واهديت الى تاجور .. وفي احدى « فلات » الرمل دعت هذه الجماعة تاجور ، وافراده اسرته الى حفل ادبي انيق ، وقدمت له صينية من الفضة نقشت عليها عبارة الاهداء والتقدير .. وهناك تحدث الى افراد الجمعية ومدعوها ، وكان مما قاله - ان الباخرة التي استقلها من رومانيا الى الاسكندرية ، وقفت بميناء بيريه بضع ساعات ، فانهز الفرصة ونزل ليطوف بائنا ويזור آثارها فاجبت كثيرا ، وود لو عاد اليها في زيارة اخرى طويلة .

وكان موعد المحاضرة التي يلقيها تاجور عن « فلسفة قومتنا » - اي فلسفة الهند - بمرح الحمراء (تياترو الهمبرا) بالاسكندرية في الساعة السادسة من مساء الاحد ٢٨ نوفمبر ١٩٢٦ . وهناك كان المسرح « قد امتلأ على سعته قبل الموعد بجماهير الاسكندرية من عرب وافرنج .. واستقبل الشاعر عند ظهوره على المسرح بعاصفة من

يستطيع الشعور بغبطة اذا لم يلمس اسبابها ، ويعرف مصادرها ..

وقال : قد يحسب بعضهم اني فيلسوف . ولربما كان لي من الفلسفة حظ . الا ان الحظ لا يطغي على شعري ، ويلقي به الى قاع سحيق لا يرى من خلاله الا كما ترى الاسماك الصغيرة .. انما انا كالكتير من اهل الهند لا تتعدى فلسفتي فلسفة الشعب ، وللك عندي فلسفة الشاعر ..

ثم اورد مثلا من الموسيقى - فقال : ان المرء اذا سمع موسيقا غريبة لم يافها ، يضايقه سماعها ، وحيانا يعذبه . لان نظامها لا يجد في نفسه ذلك الشعور الذي تهزه الموسيقى عنده .. وذلك لانه لا يعرف ماذا تمثل النبرات الموسيقية التي يسمعا . ومعرفة الموسيقى ليس في فهم « النوتة » واوتارها ، بل هي في فهم الصور الذي منه تجيء الموسيقى الموقعة .. ان الآلات لا توصل الطرب الى القلب ، وانما الذي يوصل الطرب الى القلب ، وينمش الروح هو ذلك التيار الحيوي الذي يسري من مصدر النغم الى روح السامع . فالذي يطرب بالموسيقا هو الذي يشعر بما تمثله الانشودة من تأثيرات روحية شخصية .. وكذلك السذي يعرف حقيقة الحياة ومصادرها ، يفتبط بها اذا وصل الى قلبه وحيا وآلامها ، وصدقها وماهيتها مجردة من عوامل الواقع والحوادث . وشرب لذلك مثلا مما رآه بنفسه - قال :

انه كان مقيما في قرية صغيرة من قرى النبال . وكان خارج بيته في تلك القرية .. فدفنت منه امرأة لم يكن يعرفها ، ونسيت له نعمة مملوءة من قوة الحياة الباقية .. وقالت له : « هذا يا سيدي افضل ما استطيع ان اقدمه في الحياة » . ثم دخلت تلك المرأة عيناها الى المكان الذي كان فيه وكان منهما في الكتابة .. واتفق ان البستاني كان داخلا ويده مجموعة من الازهار الغضة التي تسري فيها الحياة . يريد وضعها في وعاء معه الزهور بدلا من ازهار ذابلة فيه .. فلما ابصرتها قالت : انت لا ترى ! اعطني هذه الازهار « قالت ذلك ، وتناولتها من البستاني ، وغمرت وجهها بها وقالت : « اني اشعر بان ما في هذه الازهار من حياة تصل بيني وبين من اعبد » قال : وكنت ارى انها تقول ما تعتقده حقا .. فهي قد شعرت بغبطة من تلك الحقيقة التي وجدتها في الازهار وفي الطبيعة التي انتبتها ما فيها من قوة الانماء .

(ثم تابع الشاعر بحثه في الحرية الفكرية ، وضرورة حل قيود الافكار لتتمتع بالحقائق التي لا تقبل التقييد . وقال : ان هذا هو مصدر شعره ، وما يتصل بالشعر من فلسفة) - وقال : انه سيتلو على الحضور بعض قطع من منظوماته منقولة الى اللغة الانجليزية بقلمه وتناول واحدا من الكتب الموضوعه امامه .. وذكر قبل ان يبدأ التلاوة : « ان الشعر في لغته الاصلية ، لا روعة لا تنقل الى لغة اخرى .. وانه وان كان قد ترجم ذلك الشعر بنفسه ،

التصفيق .. وسرعان ما ساد المكان صمت عميق لا يسمع فيه همس . وكأنما تحول الملهى العتيق الى معبد مقدس ، يقوم بطقوسه كاهن عظيم وقد من افوار التاريخ ! . وقد أضفت عليه لحيته المسترسلة البيضاء وشعره الكث الابيض وقوامه المعتدل المديد ، وعباقرة الشرقية الجميلة بلونها البني الفاتح - مهابة فوق ما كان له في القلوب من منزلة ومكانة ! وجلس تاجور وسط المسرح يحف به من الجانبين ، اعضاء لجنة الاحتفال ، وعدد من المعوين في نحو خمسين رجلا وسيدة ، بينهم ممثلو الصحف العربية والافرنجية .. وكان امام الشاعر خوان مغطى بقمماش هندي ابيض ، موشى بالخزير الاصفر .. وعليه اربعة او خمسة كتب من مؤلفات الشاعر بعضها بالانجليزية ، والبعض الآخر بالبنغالية ..

ووقف « المستر هنري باكر » والقى كلمة الترحيب ، نيابة عن لجنة الاحتفال ، قدم بها الشاعر الى الحاضرين ، مشيدا بمواهبه في الشعر والموسيقى والفلسفة ، ومشيرا الى مؤلفاته واعماله وما له من القام الرفيع في عالم الادب في الشرق والغرب .. وعندما نهض تاجور ليتكلم ، تقدم نحوه اربعة من وجهاء الهند ومعهم سيدتان هنديتان لابستان « الساري » ، يحملون عقود الورد والزهر ، ووضع كل منهم على جيد الشاعر قلادة منها - تدلت الى صدوره ، وشكر الشاعر مقدمي الازهار .. وبعد برهة نزعها في هدوء ، ووضعها على الخوان امامه .

وفي صوت جلي مسموع في ارجاء المكان الصامت اولم يكن الميكروفون قد شاع بعد) ، بدأ تاجور يتكلم بالانجليزية في بده وطلاقة ، ودون توقف او تردد في اداء خطبته . اللجنة التي تألفت بالاسكندرية للحفاوة به ، وشكر الجمهور الذي حضر لسماعه .. ثم استأذن في الجلوس ليتحدث وهو جالس . وقال انه ينظر في هذا الطلب الى امرين : احدهما ان طول الوقوف يتعب شيخوخته . والثاني انه لا يزعم انه من اولئك الخطباء الافذاذ الذين اذا خاطبوا الجمهور واقفين ، ملكوا قياذ السامعين ! وهو لا يريد ان يكون كذلك .. فقد اعتاد ان يتكلم في عزله ، وان يفكر في وحدة ، وان يكون جالسا في اناء ذلك . فلماذا فهو يجلس ليكون كالحاضرين ، ويقول ما يريد ان يقوله لهم في سهولة . ثم جلس .. فحياء الجمهور ثانية بالتصفيق .. وعاد السكون فشمّل المكان .

وظف تاجور يلقي محاضراته .. وخلاصتها :

قال : انه يطلب الى الحضور ان لا يعذبه فيلسوفا .. لانه لا يعبد نفسه الا شاعرا ! على ان الشعر والفلسفة يمتزجان في الهند ، بسبب حب التحرر من قيود الامور الواقعية ، والانطلاق الى حيث تجد النفوس ما تنوق اليه من « حقيقة الحياة الروحية » - التي هي اساس الكمال الانساني ومصدر الطمأنينة النفسية . لان الانسان لا

بعلامات سوداء على الوجهين .. »

ثم جعل الشاعر يتلو قصائد أخرى بالفنتين ، وينشد بعض القصائد البنغالية في صوت عذب رقيق كما لحنها هو . ولما انتهت المحاضرة وطال الصفيق ، وقف الشاعر محبياً الحاضرين بالتحية الهندية رافعا كفيه مطبقين الى فمه . واستغرقت المحاضرة ساعة ونصف ساعة .. وانتقل الشاعر بعدها الى غرفة داخل المسرح حيث انف حوله عدد من المحبين الى ان حان وقت الانصراف ..

وفي صباح اليوم التالي - الاثنين ٢٩ من نوفمبر ١٩٢٦ - استقل تاجور واسرعه وصحبته - القطار من الاسكندرية الى القاهرة فوصل اليها بعد الظهر بقليل .. وهناك كان في استقباله جمع حاشد من ادباء العرب والهنود والاجانب .. وتقدم الشاعر العربي احمد شوقي - رحمه الله - وصافح تاجور مرحبا بقدومه نيابة عن شعراء البلاد .. كما قلده سيدة هندية وزوجها عقود الازهار .. واستقل تاجور سيارة شوقي ، وصحبه فيها شوقي ، والكاتب المرحوم احمد حافظ عوض الى فندق « شيرد » القديم ، حيث نزل مدة اقامته بالقاهرة . وتبعه اليه ابنه وزوجة ابنه وطفلتها وبعض اصدقائه الهنود ..

وفي مساء ذلك اليوم ، ذهب تاجور الى دار الشاعر احمد شوقي بالجزيرة « كرامة ابن هاني » تلبية لدعوة الى حفل الشاي الذي اقامه لتكريمه .. ولدى الدعوة الى هذا الحفل عدد كبير من الادباء والساسة ، بينهم سعد زغلول ، ورئيس الوزراء يومذاك عدلي يكن ، ومحمد محمود ، ولطفي السيد ، وحافظ ابراهيم ، ومحمد حسين هيكل ، وعبد العزيز الشري ، وعبد القادر حمزة ، واحمد حافظ عوض ، وبيبي الشاوي ، واكثر الوزراء والنواب والشيوخ ، واساتذة الجامعة ورجال الصحافة العربية والاجنبية ، وبعض الشعراء والكتاب وموظفو دار المندوب السامي البريطاني لذلك العهد .. وبعض السيدات الهنديات وبنهن قرية نجل تاجور ، ومدام سوارس ..

ووقف الشاعر شوقي على باب الكرامة يستقبل مدعويه ، يعاونه نجله علي شوقي ، وصهره حامد العلالي .. ووصل تاجور في منتصف الساعة الخامسة ومعه ابنه وزوجة ابنه وخديته ، وتبعهم بعض كبار الهنود الموافقين لهم ، بصحبهم حسين شوقي نجل الشاعر احمد شوقي .. وفي قاعات الدار صفت موائد الشاي الحافلة بالحلوى والفاطير ، وجولها فاخر الاثاث والرياش .. وجلس تاجور في صدر القاعة يحف به سعد زغلول وعدلي يكن ، ومحمد محمود .. وحولهم سائر الموائد التي تحلقها عشرات المدعويين ..

واذ كان تاجور لا يلم الى جانب لغة البنغالية بغير الانجليزية ، وشوقي لا يعرف الى جانب العربية غير الفرنسية والقليل من لغات اخرى بينها الانجليزية ، فقد عهد الى الكاتب الصحفي توفيق دياب بالقاء كلمة شوقي

ويرى ان الترجمة تمثل المعنى الذي اراده ، فهو يرى ان قوة البيان ليست واحدة . وهذا الجو لا يترجم . ثم ان موسيقا الشعر الاصلي لا تنتقل الى الترجمة الشعرية ايضا . وقال انه سيتلو الترجمة والاصل بلغته ، لسمع الحاضرين الموسيقا الشعرية في تلك اللغة الاصيلة .. واخذ الشاعر يتلو بالانجليزية ترجمة قصيدته « العصفور في القفص والعصفور في البرية » وهي تمثل الفرق بين سجن الاول وانطلاقه الثاني .. ثم تناول كتابا آخر ، واخذ يتلو القصيدة نفسها باللغة البنغالية .. فسمعنا وزنا موسيقيا لطيفا - وهذا الوزن لا يماثل بحر من بحور الشعر العربي الستة عشرة) ..

ثم قرا قصيدة ثانية موضوعها : « الام وطفلا » من ديوانه « الهلال » المطبوع بالانجليزية عام ١٩١٣ - وتلا بعد ذلك اصلها بالبنغالية (وهي في هذه اللغة على وزن يكاد الرمل من بحرنا الثانية ، كما ظن البعض) - وهالك ترجمتها النثرية : (٣)

« تقولين ان ابي يكتب الكثير من الكتب .

ولكن ما يكتبه ، لا افهمه !

كان بقرا كل طول المساء . فهل قدرت حقاً ان تفهمي ما كان يعني ؟

انك يا امي تستطيعين ان تفهمي علينا الحكايات الجميلة - فلماذا لا بقدر ابي ان يكتب مثلاً ؟ اني لاصعب !
الم يسمع من امه قط - حكايات عن الجبارة والجنيات والاميرات !

وهل نسيتها كلها ؟!

كثيراً عندما يتأخر عن الاغتسال ، ذهبت وادنته مائة مرة

تنظفنين ، وتبقين الاطباق ساخنة لاجله ، ولكنه يستمر في الكتابة وينسى !

ابي دائماً يلهو بعمل الكتب !

اذا انا ذهبت مرة لالعب في حجرة ابي ، اتيت وصحت بي : يا لك من طفل شقي !

وان اتيت باقل صوت ، قلت : الا ترى اباك يشتغل ؟
ما الداعي الى الكتابة ، والكتابة دائماً ؟!

وان تناولت ريشة ابي او قلمه ، وكتبت على كتابه كما يفعل هو : (ا ب ت ث ج ح خ د ذ) فلم تغضبيني مني حينئذ يا امي ؟

في حين لا تقولين كلمة عندما يكتب والدي !

ولما يضع ابي هذه الاكوام من الورق يا امي ، لا يبدو انك تباليين مطلقاً !

ولكن اذا انا اخذت ورقة واحدة لاصنع منها زورقاً ، تقولين :

يا لك من طفل متعب !

فماذا ترين في ابي وهو يشوه فرخا من الورق وراء فرسخ ؟!

بالانجليزية ، فاقاها بصوته الرنان ..
وبقص توفيق دياب في عبارة طريفة ذكرى تلك الخطبة
في حضرة تاجور (في مقالة له عن شوقي بمجلة الهلال
في اكتوبر ١٩٤٧) - بقوله :

« ... فاذا دعا شاعر الهند تاجور الى حفلة تكريم في
داره بالجيزة ، واجاب الدعوة الزعيم سعد زغلول رئيس
مجلس النواب عامذاك بعد ان اعلن رحمه الله تأجيل الجلسة
الى اليوم التالي، مشاركة لامير شعراء العرب في تكريم امير شعراء
الهند ، وزحرت الدار بالخبيرة الممتازة من رجالات مصر ..
خاض شوقي صفوف الحاضرين حتى بلغ مكاني ، ثم همس
في اذني ان انوب عنه في تحية الضيف الجليل باللغة
الانجليزية ، في كلمة تشبه بالطبع ان تكون خطبة لان هذا
الجمع الحافل يريد ان يسمع . وبكاد يسقط في يدي لهذه
المفاجأة وتكاد قطعة الحلوى تقف محتجة في حلقومي !!
واذا بي اسمع سعدا يقول مخاطبا صديقه المرحوم محمد
محمود : (قم يا محمد وحبي عن شوقي وعنا شاعر الهند
بصوتك الرنان فانك في الانجليزية « كالليلب » !) فيضحك
محمد باشا ضحكة العالية المحببة ، ويتخلص تخلص
الساسة من وقع المفاجئة . ثم يقال لسعد ان فلانا سيتولى
ذلك . فيضحك قائلا لاصاحبه : « نغدت يا محمد ! » ..
واقول ما يحضرني ، وينتهي الحرج ! »

وهالك خطبة الاساذ توفيق دياب كما نشرتها الصحف
اليومية في اليوم التالي عامذاك :- « ايها الشاعر والمفكر
العظيم ! لقد شرفني شاعر العربية الاكبر ، بأن انوب عنه
في بكم تحيانه وعميق شكره ، لاجابكم بقوته بهذه الروح
الاخوية الكريمة . وان شاعرنا لا يعتبر داره هذه - التي
تشرّفونها الآن - ركنًا متواضعا من الوطن العام للشعر
والادب .. ونحن ايها الشاعر العظيم ، نشاطر اهل الهند،
بل نشاطر اهل الشرق طرا ، اعجابهم بشعرات مواهبكم
السامية . ونحن اذ نبدي هذا الاعجاب ، نذكر ان شاعر
العربية الاكبر هو اول من راضنا على قدر الشعر والادب
قدرهما الحق في اية لفظة او اية امة تجل الشعر والادب ..
« كثيرا ما يسعون مصر - الطريق الى الهند - والان وقد
سمعت هذه الطريق بمرومك ، فان شاعر العربية يضرع الى
الله ان يجعلها طريق سلامة وكرامة للبلدين العزيزين :
ديار مصر والهند ! »

« هذا ويرجو شاعرنا شوقي ان يتجه بالشكر - بالاصالة
عن نفسه ، وبالنيابة عن ضيفه العظيم الى حضرة صاحب
الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول ، فان هذه الحفلة تكاد
تكون اثرا من آثار الاربعية التي ابداهها دولته نحو الضيف
العظيم ومضيفه . كما يشكر حضرة صاحب الدولة عدلي
يكن باشا ، وحضرات المجتمعين جميعا على اجابة دعوته .
« وليس يفوت شاعرنا شوقي بك ان يتوه بذكر حقيقة
جديرة بالذكر والتنبه . ذلك انه قل ان يؤجل انعقاد
المجلس النيابي ، ولو بضع دقائق ، لتكريم احد من العظماء

الاحياء مهما بلغوا من العظمة . ولكن مجلس النواب المصري
بفضل دولة رئيسه الجليل واعضائه الموقرين راوا تأجيل
الجلس ساعة ليشتروا في تمجيد الشعر والادب في
شخص ضيفنا العظيم .
(ثم اختتم الاساذ توفيق دياب خطابه بتوجيه احسن
التحيات الى السيدات الحاضرات من امرة تاجور .)
« وعندئذ وقف تاجور وارجل التحية الاتية بالانجليزية ،
موجهة الى الشرق العربي :
« سادتي : اني سعيد ومفتبسط بأن يدعوني الى هذا
الحفل الزاهر ، شاعر ملامت شهرته الخافقين - شاعر مصر
وشاعر العربية - شوقي بك - واني لاحسب وانا في مصر
ان امن ما فيها من ذخائر هو شعر شوقي . وكنت
انتم لو استطلعت قراءة آثاره الباهرة في لغتها الاصيلة
على اتي سابل ما في وسعي في اثناء اقامتي القصيرة بمصر
لاحظى بنقل طائفة من شعره الى لغتي ، فاحملها هدية قيمة
الى بلدي ! »

« وقد شرفني كثيرا مجلس النواب المصري ، ودولة
رئيسه الجليل ، اذ اجلاو انعقاد المجلس بعض الوقت كي
يحتفوا لا بشخصي ولكن بالادب . على اني اذ ابدي اخلص
عبارات الامتنان على هذا العطف الكبير ، لا تدعشني هذه
الروح . فبلدكم بلد شرقي هو مصر . وقدما كان الشرق
مهبث الشعر ، ومهد الشعراء . وقدما كان الشرقيون
اشد الناس احتراما للشعر واعزازا للشعراء .
« تلك ميوة الشرق المعنوية - وهي ميزته الكبرى -
واني ساحل الى بلاوي مجموعة من نفائس الثقافة العربية،
ينتمى بها الانبياء من اهل بلادي .
« هذا وانا سعيد كل السعادة بهذه الفرصة المباركة
التي اتاحها لي شاعر مصر الجليل . فاشكر له كرم شماله،
واشكر لحضراتكم هذه الحفاوة التي ساحل ذكرها على
الدوام . واني لعلى يقين من ان ابناؤ وطني سيقدرّون
شريف عواطفكم نحوي قدرها السامي . سادتي : افارقكم
غدا او بعد غد . ولكن قلبي سيظل معكم ! »

ودود الوزراء والنواب والشاعر والنضروفا .. فخلا المكان
للشعر والموسيقا . وبدا محمد عبد الوهاب يغني ومعه
بعض الموسيقيين .. واتشد من شعر شوقي : « انا
انطوني .. » وغيرها .. وظل تاجور منصتا يهز راسه طربا
.. فلما انتهى الغناء اعرب عن سروره بسماع الموسيقا
العربية . وقال انها تشبه في كثير من نغماتها الهندية ..
ثم اتى على عبد الوهاب وصوته .
فقد كان تاجور ملما بالموسيقا والغناء، تعلمها على والده.
وكان في صباه يرتل في الماعبد وباتي الناس لسماعه افواجا
.. ثم الف ولحن المثلث من الاغاني الهندية . ووضع الشيد
الوطني الهندي المسمى « جانا جانا مانا » .. ومن مؤلفاته:
« خمسون انشودة » و « اغاني » و « تسابيح » و « لالة »
معازف .. وغيرها .. وكثيرا ما لقي شعره ملحنا في

الشهرة التي هي احسن ما اخرجته آداب الهند . ثم بعض قطع من « سدھانا » الحافلة بالحكم البالغة . وكان تأثير هذا الخطاب في سامعيه مثل التأثير الحسن الذي كان لخطابه امس الاول - تأثيرا شاركتم فيه ، وزدت عليه ما شعرت به من الفخر عندما رايت الحفاوة والجلال اللذين قول بهما هذا الشاعر الشرقي في اوروبا .

« واني لا اطعم - ايها السادة - في ان احذركم عن الشاعر الكاتب الذي ترجم جزء كبير من مؤلفاته ودواوينه الشعرية الى عدة لغات اجنبية - ولا عن المفكر الديني والصوفي الحديث ، الذي ورد الحكمة من منهلها الصافي في كتب الهند المقدسة ، ولا عن الوطني الذي ارسم في قلبه حب امته الكبيرة ، واخذ على نفسه ان يرسم لها طريق النهضة والتقدم . لان كل وجه من هذه الوجوه يحتاج الى شرح طويل لا يسمع به هذا المقام .. ولكنني لا يسعني الا ان اقول كلمة واحدة موجزة عن هذا المربي الذي حمل نفسه الم الاغتراب ومتاع السفر البعيد ، وهو في منى تحتاج الى الراحة ، ليجمع المال الذي يستعين به على مواصلة التعليم في مدرسة « ساني نيكتان » التي انشأها ...

انشأ هذه المدرسة وهو في سن الاربعين .. ولم يكن عارفوه يتوقعون ان يقدم على انشاء مدرسة ، وهو الشاعر المفكر الذي عاش بعيدا عن الحياة العملية ، يكتب في الادب وينظم الشعر .. ولم تكن له خبرة بامر التعليم ، وهو ما يعترف به حيث يقول في احدى محاضراته :

« قلت لكم اني عندما انشأت هذه المدرسة لم تكن لي اية خبرة بالتعليم . ولكنني في الواقع اكتسبت منذ طفلي خبرة عملية عرفت بها ما يجب الا يعامل به الطفل ، وهو ما كان موضوع الآمي ، وكنت اتألم خصوصا مدة الطفولة من شعوري بان التربية التي كنت اربى على نظامها في المدرسة ، لا صلة لها بالعلماء . »

فالفكرة الاساسية التي بنى عليها نظام التعليم في مدرسته هي تحبيب الطبيعة الى الطفل ، واستنقاء الصلة بالدراسة بينه وبين الوسط الذي يعيش فيه . وليس نجاح هذه المدرسة سبب الفكرة الاساسية التي بنى عليها نظام التعليم فقط ، ولكن حبه للطفل ، وميله الشديد الى خدمة امته ، بل الانسانية من هذه الطريق ، دفعاه الى تخصيص اكبر جزء من وقته لتحقيق هذا المقصد السامي .

قلت لحضراتكم ان السيد تاجور زار اوروبا ، وكانت زيارته عقب الحرب العالمية التي صبغت ارضها بدماء الملايين من الرجال ، ودمرت جزءا كبيرا من كنوز الفنون والمعارف التي ادخرتها المدنية في مئات السنين .. فكان رسول سلام يدعو الى حب الانسانية ، واحترام الانسان لآخيه الانسان . كان يبشر في اوروبا المسيحية بهذه المبادئ السامية التي كان يبشر بها عيسى عليه السلام .

صوت رخييم في خلال محاضراته بالمسرح .. وكان يعتبر الموسيقى صلة روحية تربط الانسان بخالقه كما تربطه بعميق العواطف الانسانية وخاصة الحب .. ويقول سفير فرنسي في الحلقة التذكارية التي اقامتها « جمعية تاجور في دلهي » - حين احتفلت الهند يوم ٨ مايو ١٩٥٠ بمرور ٨٩ سنة على مولده (عام ١٨٦١) : « لقد سمعت كثر تاجور يقول : « سيدكرني الناس عن طريق اغاني ، اكثر مما سيدكروني عن طريق مؤلفاتي الادبية الاخرى » ..

وفي تلك الليلة (٢٩ نوفمبر ١٩٢٦) وقف تاجور على مسرح حديقة الازبكية بالقاهرة ليلقي محاضرته الثانية بمصر . وكان المكان قد غص بالجماهير .. وفي منتصف الساعة العاشرة ، كشف الستار ، ودخل شاعر الهند الى المسرح في خلع ونيدة ، ومن خلفه موكب الادياء ورجال الصحافة - جلسوا حوله في صفين - واعقب التصفيق صمت وخشوع .. ووقف لحظة ثم حيا الحاضرين بالتحية الهندية .. وظلت العيون تتأمل وجهه المشرق ولحيته الناعسة ، وعينيه الواسعتين العميقتين ، ووراده الابيض الفضفاض المحلى باللون البرتقالي .. وارهقت الاسماع .. وهنا نهض عبيد الجامعة - الاستاذ لطفي السيد - رحمه الله - فقدمه الى الجمهور بكلية وجيزة .. وبعد ان شكر الشاعر الشعب المصري على حفاوته ، كما شكر الشاعر شوقي على تكريمه ، اخذ يلقي محاضرته وكانت في جملتها مسابقاتها التي القاها بالاستكندرية .. ثم تلا ايضا من الكتب الموضوعه امامه بعض قصائده بالانجليزية - ومنها مقطوعة « الطفل وامه » ثم عاد فرتلها بالبنغالية .. في صوت رخييم هز القلوب ..

واخيرا اقيم لوداع الشاعر حفل عام كبير مساء اول ديسمبر ١٩٢٦ بفندق « شبرد » بالقاهرة ، حيث نزل تاجور . وراس الحفل « وزير المعارف يومذاك » الاستاذ علي التمشي .. ودعى اليه عشرات الادياء والمربين .. والقي الوزير خطبة باللغة العربية ، ترجمت الى الانجليزية .. ورد تاجور بخطاب باللغة الانجليزية ختمه بصلاة رتلها في صوت رخييم ..

واستهل الوزير خطابه بقوله : « اسمحوا لي ايها السادة ، وقد اوليتموني شرف رماية هذا الحفل ان احبي حكيم الهند العظيم وضييف مصر الكريم ، السيد رايندرا نات تاجور . وان اعرب له عن اغتيابنا لزيارته بلاذنا - هذه الزيارة التي اتاحت لكم ان تسمعوا خطابه النفيس الذي القا امس الاول ، فسحر بقوة تعبيرة السامعين اكثر من ساعة ، وجمع افكارهم تحت تأثير ما احتواه من فلسفة الهند وحكمتها . وما رتلته باللغة البنغالية من مقطوعات شعره العالي ..

« وليست هذه المرة يوقظني الحظ فيها الى رؤيته . فقد حضرت له خطابا القا في قاعة الحفلات بجامعة جنيف في ربيع سنة ١٩٢١ - اسمعنا فيها « رسالة الغابة »

وكان يسعى ايضا الى التقريب بين الشرق والغرب .
فصر وهي من الشرق ، ومن اقرب بلادها الى الغرب ،
يسرها عظيم السرور ان تكون على صلة علمية بالهند ، وان
تكون احدى حلقات ذلك الاتصال الشرقي الغربي .
هي امنية يسرني ان الفرصة اتاحت ابداءها امام ضيفنا
الكریم . وارجو ان تتحقق في متعة العالم الانساني
جميعه . وقبل ان اختم كلمتي ، اكرر التحية للشاعر
الكبير الذي كنا نتمنى ان تكون افامته بمصر اطول من هذه
الزيارة القصيرة . وارجو له سفرا سعيدا ، وعودا الى
وطنه محمودا . »

(وقد طلب الشاعر نسخة من خطبة الوزير بالعربية
وترجمتها بالانجليزية ، التي تليت بعدها فطبعت النسختان ،
وارسلت اليه نسخا منها)

وودع تاجور والقي الخطبة التالية في فندق «شبرد»:
« سيدائي ، سادتي : اشكر صديقي وزير المعارف ،
واشكركم على هذه الحفاوة ، وآسف ان لا استطيع الكلام
بينكم بلغتي القومية كما تكلم صديقي . ففسير ان يؤدي
الانسان ما في اعماق عواطفه بغير لغة اهله !

« اذكر اني لما سافرت الى الصين ، احتفل بي اهله .
ومما يسرني ان اوضاع الخلفاء قضت بان يلبسون ملابس
سفراء الصين ، وان يقيموا عيد ميلادي ، وان يقيدوني
شاعرا صينيا ! ذلك لاني وان كان مولدي بالهند ، ولغتي
غير لغة الصينيين ، فقد سبقني كتي . وسبقني شعري
اليهم . واشعر الان بينكم ، وقد قرا كثير منكم كتي
مترجمة ، اني استطيع ان اعتبر نفسي شاعرا مصريا
ايضا . ولقد وفقت في سياحتي اكثر مما وفقت غري .
فوزت كثيرا من ممالك الشرق والغرب لم تتم كثير غري
زيارتها . وفي هذه الممالك جميعا ، وجدت من اتار كتي
وشعري ما سرني . فهذه الانار خير ما يكافا به شاعر .

وقد اشار صديقي بان اكون واسطة تفاهم بين مدينة
الهند ومدينة مصر . واني اقبل هذه الوسطة لنشر فكرة
اعتقدها سبيل السلام . فقد اسرفت الاسم في الاثرة
والانانية وفي العصبية الجنسية التي يتسمك بها فريق
كبير من اهل الامم المتحضرة . على ان هذه العصبية اكبر
مظاهر ضعف المدنية الحاضرة ، فهي التي تجر الامم الى
النطاحن لنيل غايتها . وهي التي تثير بينها حروبيا مملكة
ما كانت لتنعق لولا هذا التعصب وتلك الاثرة . ومما اشك
مطلقا في انه قد وجدت اهما من قبل وبادت . افنتها
الحروب في سبيل اغراضها . وما تزال الان في مجاهل
افريقية ام تسير في طريق الفناء لاخذها في حياتها بهذه
الخطة . ولئن كان هذا ممكنا تصوره يوم كانت الحدود
الجغرافية حقيقة واقعة تفصل بين الامم ، وتجعل كلا
تعزز بكيانها ، وبجنسها ، وتجعل من لون اصحابها وسيلة
لحرب من كانوا من لون آخر . فلم يبق لهذا التصور اليوم
مكان بعد ان اصبحت الحدود الطبيعية لا حقيقة لها

لاسباب اهمها تقدم المواصلات والتمازج العقلي بين الامم .
لذلك يجب ان تزول الاثرة ، وان يزول التعصب للجنس ،
والتعصب للون . ويجب ان يشعر العالم ان هناك وحدة
روحية تربط اممه المختلفة . ومن حسن الحظ اني رايت
ثناء سياحتي في البلاد المختلفة ، كثيرا من الرؤوس
الكبيرة ، متفقة وايبي في الرأي ، واثقة كما اثق بانسياني
اليوم الذي تسود فيه هذه الفكرة الشعوب جميعا ، بل
لم يقف الاختفاء عند الرؤوس الكبيرة . فقد احتفل بي
في بلاد عدة كثير من البسطاء لانهم احسوا في كتاباتي
الدعوة لهذه الوحدة الروحية التي تصبو اليها نفوسهم ،
والوسيلة لقهر الانانية ، ولزوال التعصب الجنسي ، ليست
هي الحديد والنار ، وانما هي انتشار الافكار السليمة بين
الشعوب ، وسعيها جميعا لادراك الحقيقة . فهذه الحقيقة
- الحقيقة المجردة - الحقيقة المطلقة - يجب ان تكون غاية
الغايات لكل شاعر ، ولكل مفكر ، ولكل فيلسوف ، وغاية
الغايات للانسان الكامل . ويوم ياتي الوقت الذي يعمل
فيه كل معرفة الحقيقة ، فاذا رآها لم يتردد في اعلانها . انما
يومئذ يكون الانسان قد وصل الى الكمال . وفي هذا
اليوم يتم السلام على الارض . نعم ، فالسلام لن يترتب
على عمل انساني مطلقا كالانجازات الدولية وما اليها . انما
الوسيلة الوحيدة لتحقيقه هي الوحدة الروحية . واحس
ان هذه الوحدة بدا في العالم ظهورها . . .

ثم قال : « وخاما لهذا الحديث ارتل حكمة غالبية من
احد كتبنا القدسة . »

(وهنا اطلق الشاعر ، ورتل صلاة باللغة البنغالية ،
منظمة في شعر . وكان صوته الرخيم يصل الى اعماق
القلوب . . . وقد نقلها بعد ذلك الى الانكليزية . ومعناها :

« رب الارباب ، واله البشر جميعا :

تنزهت عن كل لون وجنس !

يا مهيمنا على جميع الامم ، وان اختلفت الوانها :

وحد بين قلوبها . والهمها تبادل المحبة . .

وايندها بروح الحق والعدل !

وبرح تاجور القاهرة يوم الخميس ٢ من ديسمبر ١٩٢٦
الى بور سعيد ليستقل منها بالبخارة الى الهند - عائدا
الى وطنه بعد تلك الغيبة الطويلة التي استغرقت الشهور
الطوال قضاه في الدعوة الى المحبة والوحدة والاخاء
والسلام . . . (٤)

وقد كلف رسميا بصحبة تاجور ، الشاعر المعروف
المرحوم احمد زكي ابو شادي ، في اثناء زيارته لمدينة
بورسعيد . . ورحل تاجور وعاد ابو شادي لينشر ذلك
الانطباع الذي خلفته في نفسه صحبة الشاعر في مقالة
له (بمجلة « الزهراء » عامذاك ، وفي الجزء الاول من
كتابه « مسرح الادب ») . ثم قال ابو شادي :

« ما استمعت مرة بقرءاء « خطبة الجبل » للسيد

الى سامي الشوا

الى امير الكمان سامي الشوا بمناسبة المرض الذي هده واقعهده .

ايها المبدع الحان الكمان
يسمع الليل لياليك الحسان
اصبح الفنان في راحتك
تسحر الكون وتشجي الفلكا
لست انسك على مر الليالي
رحم الله لياليك الخوالي
ايها اللاعب بالقلب ! ترفق
خشب الروض على كفك ينطق
كم تلاقينا بليل حافل
يلتقي اللحن بلحن القائل
ايها الاسر لب المشرق
آه لو تصبح يوما نلتقي
يوم ان كنا على الدوح معا
يشتهي الكون لنا ان يسمعنا
في النوادي والليالي الباهرة
هنا الدنيا ، بحضن القاهرة
والكمان العذب في همسته
حينما تاخذ من لمسته
فيه من كل المعاني ما نشاء
فيه ظم الارض او عدل السماء

محمد عبد الغني حسن

القاهرة

حييت .. وسمعته يقول :
« ان مفسدة العالم في الانانية الاستقلالية . اذ لو
ادرك كل انسان انه في الواقع اعظم من ان يحد بجسده ،
واته متصل باخوانه في الانسانية ، لعطف عليهم العطف
كله ، واحس باحاسسهم ، ولغى البغضاء والتحاسد ،
والميل الى النزاع والشاحنة من نفسه » .

نقولا يوسف

الاسكندرية

المسيح عليه السلام ، وهي في رأيي تعاليمه النورانية،
الا تخيلات صورة جميلة لطلعته ، وصوته ، ونغمته
الحلوة ، وكاني سعدت برويتها عينا سنة ١٩٢٦ حينما
كلت رسميا بصحبة الشاعر العالمي « رايندراوات تاجور »
في اثناء زيارته بمدينة بورسعيد .. فان نغمته الحلوة
وصوته الحنون ، ووجهه المشرق ، انطبعت في ذهني
وفي قلبي انطبعا قويا حبيبا ، لا يمكنني ان انساه ما

اخسي ...

علام تشيع بوجهك عني
وحينا تحقد عينك في
لما كنت يوما مشيا اليك

زرعت لك الارض شتى الثمار
اقوم عليها بياض النهار
وكم لطمتني رياح الشتاء
فأبت يداي بسد الكفاف
وما أن حقدت وما أن حسدت

وهذا بناؤك قد شيدته
تخريت اججاره زاهيات
تقوس ظهري لطول انحناء
وكان نصيبي اني بقيت
وكان نصيبك جنات عدن
وما أن حقدت وما أن حسدت

وهذا الرداء الذي قد لبست
تمس به ميان الربيع
اطاف بحمك حلوا ألقا
جعلت سداً صلباً النجوم
وعشت أنا في زري الثياب
وما أن حقدت وما أن حسدت

وهذا حداؤك تختال فيه
ظلت مكبا عليه النهار
انسقه قطعة قطعة
الى ان تكامل بين يدي
مشيت به مشية الكبرياء
وما أن حقدت وما أن حسدت

الام تظليل اخي تستببد
فلا اتلقى كريم الجزاء
اخاف اذا ما اطلت التمادي
فيذهب ما بيننا من اخاء

عبد الرؤف اللبدي

عمان



يعلم انها جالسة الى
الناذرة الفارقة في
ضباب احلامه . فقد
تعود ان يحس بطيفها
الفاغص ، متهادبا في ظلال الستارة
الزرقاء ، منصبا لهمسات التسييم
كلما مر امام بيتها في الامسيات .
وبيتها ذاك الذي كان يقع في حي
بعيد عن منطقته ، عرفه وعرفها فيه
بمحفص الصدفة ، ذات يوم . حينما
كان يستقر عن منزل زميله « ابي
خايل » الموظف التزوج الذي دعاه
الى زيارته . وكان ابو خايل قد
وصف له موقع منزله وصفا مستمرا
فاضطره لان يقف حائرا ، امام بابين
لا يدري ايهما الباب الذي يقصد
والقدر كثيرا ما يضع الانسان امام
الابواب المعلقة المتشابهة التي يكمن
وراءها المجهول .

لم يتردد طويلا ، بل طرق احد
البابين طرفتين خفيقتين . وما لبث
قليلا حتى احس بحركة غير بعيدة ،
كانت صوت ازاحة سائر ، رأى انزها
انفراج مصراعي احدى النافذتين
المحاذيتين للباب الذي قرع ، ومن
الظل الباهت الذي تسبح فيه تلك
الناذرة ذات الستائر الزرقاء اطل
وجه ملاكي متسائلا : مين ؟؟ .

فتاة بعمر الزئبق النضر الفواح .
انسدل شعرها الاسود القاحم فوق
كتفها جدائل « تغيب في الظن ولا
تنظر » .. وابتمت احدى ذراعيها
من كم ثوبها الوردي البسيط عارضة
استدارة في الخطوط ونضارة في
اللون ، منبئة عن جمال وسحر .
- « مين ؟؟ »

.. اي صوت ختون تحمله هذه
العذراء الفاتنة ؟ الا يغار منه الكمان
في آنيته المتأوه ، والثاني اذا تسدل
منه انفاس نافسه .. وعيناهما
العجيبا البريق ... ونفها العنابي
السدقيق ، وخدها الصغيران
الزاهران .. ووجهها الرائع الاخاذ ..
البس السحر بعينه قد اطل ؟
قال ، وهو يحس بوجيب قلبه

يسرع ككلماته التي القاها وجسلا
حيدرك ..
- ابو خايل موجود ؟؟ . اهذا بيت
ابي خايل ؟؟ . قالت ، وعلى شفيتها
طيف ابتسامة خجلي وفي خديها
احمرار بدا واضحا : لا ليس هذا
بيته ، انه البيت المجاور . وبقيت
انظارها متعلقة به ، فاضطرب وتحرك
من مكانه مغفعا « شكرا » بصوت
غير مسموع ..

ومنذ ذلك النهار بدا حي صديقه
ابي خايل يتلقى زيارات ذلك الشخص
الناحل الغريب في الامسيات حين
نرحف الظلال الكثبة على بيوت
المدينة المتراسة بعد غناه يوم طويل .



بقلم عصام عسيران

http://archivebook.com

لم يكن يعلم ان هذا صاحبه تلك
فهو لم يجرؤ على الاستفسار عنها
من صديقه ... لكن صورتها ملأت
سماه مخيلته حيث يحلق على اجنحة
الحلم ... كلما ضمه الظلام في ليله
الارق الطويل الثقيل ... وكثيرا ما
استفاق من احلامه على آنين تصعده
نفسه المعبدة . فينظر حينئذ الى
المدينة اللاهية من نافذة غرفته ،
حيث يعيش وحيدا منذ عشر سنوات
وتتخرج من مآقيه دموع ساخنة ،
هي عصاره قلبه المتوحد المحجور .
اجل ، انه لا يزال ههنا في غرفته
الحائلة اللون ، منذ ان رماه القيدر
في هذه المدينة الصاخبة ، موظفا



في احدى الدوائر الحكومية ، من
عشر سنوات او اكثر .. من يوم ان
ودع امه العزيزة الى جوار ربها في
قرينة البعيدة الفارقة في شمس
الجنوب .

غادر قريته تلك تاركا فيها اخويه
الكبيرين المتزوجين ، حاملا معه آماله
العراض وميلغا من المال ... ثم حط
رحاله في المدينة الكبرى الصاخبة
التي ظنلا ابتلعت قرويين من امثاله
غير ابيه لمحبتهم ورحيلهم . لم يعد
يرى اخويه ههذين منذ كتبه بوالدته،
فقد سلاهما وسلاوه ، وانقطعت اخبار
كل طرف منهما عن الاخر ، ولم يسعيا
او يسع هو الى اعادة الصلة القديمة
تلك الصلة التي لم تكن في يوم من
الايام طيبة مطلقا .

عاش في القرية مع امه ، وكان
والده قد توفاه الله قبل زمن بعيد ،
فعاثا وحيدان في المنزل الريفي
العتيق الذي توارثته الاسرة ابا عن
جد . اما اخواه فقد تزوجا في مطلع
شبابهما مبكرين على عادة اهل القرى،
وانصرفا الى العمل في الارض الطيبة،
بينما خص هو وحده بالدراسة
والتحصيل العلمي في مدرسة احدى
القرى الكبيرة المجاورة لقريته .

كانت حياته النفسية منذ طفولته
متصلة اوتق اتصال بنفسية والدته
الحنون . وكان يثق بامه ثقة عمياء
ويحبها ويحبها ، ايما حب واجلال .
ولكم الحب عليه بالزواج من ابنة
خالته عفيفا ... ولكنه استنكر
واحترج بمختلف الحجج ثم رفض .
وطالما حدثته عن ابنة ام محمود
جارتهم .. فاستنكر وشمخ بانفه .
ولم يكن كل ذلك في الواقع انفة
واستكبارا ، بل كان شعورا مبهما
غامضا بالخوف ... الخوف من
اغضاب امه ذات العاطفة المرفهة
والحنان العميق ، باشارك امراة اخرى
بمحبة الروحية الخاصة بها . وهو
شعور طاع عجيب ، كان يموذك بذكره
اشد الانكار بينه وبين نفسه ، ولكنه

مرفاً .. اضاء بالحب

هل تظنين اني حين امسى
هل تظنين انني لا اباي
هل تظنين ؟ يا لجرح ابائي

في طريقي ، وانت في الباب شعله
وبعينيك عند طر ونحله
يا لحب يضيء لي الليل كله

انت في القلب نغمه وحنين
انت في الرفا الامين ، وقلبي
انت في الافق والنجوم وصمتي
وارتياحي المعبور عبر شعاب
انت يا نجمة العنان بعمرى
كم تلمست ان اراك واخفيت اشتياي والتشوق يحطم غلله

فربي وجهك الجميل لعيني
فيهما انت كتبه غاب عبر
ليتنا مرة نضيق ونبكي
ونفسي التموع ترفس فينا
والظلام العميق يندى بوجود

وانظري فيهما الخيال المؤله
وصدى جاء من غيوب مظهره
في كهوف الجبال طفل وطفله
فرحة الحب والاماني الملهه
شوق روح ، وثار قلب تدله

ليتنا .. ليتنا ولكن « ليتنا »
القطع الدرب لست ابدي ارضائي
وبقلبي يفسد دمع حزين

دونها نحن في الشمس المقله
وعلى الباب انت شوق مدله
وبسروح تصيح ربح : توله

« ليتنا » برغم سيفني حقولا
وبسروح تصيح ربح : توله

صباح الدين كويدي

اعزاز - سوربة

<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

على الندام ... أذ يأتيه الندم
متأخرا جدا .
... كان يعلم انها جالسة الى
النافذة القارقة في ضيا باحلامه .
فقد تعود ان يحس بطيفها الغامض ،
متهادبا في ظلال الستارة الزرقاء ،
منصتا لهمسات النسيم ... كلما مر
امام بيتها في الامسيات ... وما
اكثر ما يلت يمر . في الامسيات .
مسددا نظره دائما الى الامام غير
ملتفت الى النافذة ذات الستائر
الزرق ... ويشهد الله انه ما رآها
غير مرة واحدة في يومه ذاك
البعيد ... وما كان يهमे ان يراها
من جديد .. بكفه طيفها الجميل ،
تصوغه له نفسه الاخرى ، انه انما
يمسك الاطراف .

عصام عسران

الكويت

الى معتزك الحقائق ، حيث يتعثر
حسده المحوم . انه في هذه المرة
يتوق لواحدة منهن جميعا .. ولكن
ليف امه يعاوده ايضا . فتحدثت
نفسه « ويلاه .. هل سألني اذن
لؤلؤ حياتي بدون رفيق ؟ » وصرخت
بل جارحة فيه « انت مجنون ...
انت مجنون ... ولو لم تكن كذلك
! بقيت هكذا ، وحيدا مع خيالاتك
واوهامك حتى تيف عمرك على
الاربعين ، تعيش ليك وتغض في
نهار الناس عينيك وقلبك .. »
واندلع الالم يلهب قلبه ، والحسرة
تعصف بروحه التائهة فتدلهها
اشتاتنا .. « يا الهي .. هلا رددت
على بعض شبابي المضيع يا ربي يا
رحيم .. لاكون اهلا لحب فتاتي
التي احببت ، فتاة بعمر الزهور
الندية المتفتحة للنور .. » واما

اليوم ، بعد كر السنين ، يقره بدلة
وخضوع .
احب هيفاء ابنة خالته من كل
قلبه . ولكنه اخفى عاطفته تلك عن
امه ومحبوته اخفاء المجرم لفعليته
المكثرة عن الناس . وحين توفيت
امه بكى قلبه كثيرا ... ولكنه سرعان
ما واسى نفسه حينما عادها على
قبر امه المضمخ بدموعه بيان يبقى
وقيا لحنائها وعطفها مادام حيا .
والان ، اتراه قد بدأ ينكت ذلك
العهد بتطلعه الى هذه الفتاة المجولة؟
ولا تراه يزعم بانها المرة الاولى التي
تاق فيها لامراة او فتاة . لجسد
امراة .. للقلات المحمومة والدفء
الانثوي ؟ الا ان اشتياقه ذاك ما
كان قط متوجها نحو فتاة بالذات ..
فكان اوهر من ان يهبط من معارج
الاحلام ، حيث تعيش نفسه المتعبه ،

فن الرواية

بقلم سومرست موم

ترجمة يوسف عبد المسح ثروة

حدودهم . وعلى هذا ، فلا اظن فرنسيا ما سيذكر (موبى
دك) في قائمة معاملة لقائمتي ، لكنه سيضم اليها (الكبرياء
والهوى) لو اوتي من الثقافة قدرا رفيعا . انه ، ولا شك ،
سيضم اليها (اميرة كليف) لمدام لا فاييت . وهذا منحى
صحيح ، لان فيها ما فيها من ميزات بارزة . القصة قصة
عاطفية نفسية ولعلها الاولى من نوعها . اما ماجرياتها
فمتيرة وكذا شخصوها فواضحة المعالم . وهي مكتوبة
باسلوب ممتاز بالإضافة الى ايجازها المخبب . تعالج
(القصة) وضعية اجتماعية معروفة جيدا لدى كل تلميذ
في فرنسا ، وجوها الاخلاقي مالوف لديه من قراءته
لكورني وراسين ، اما سحرها الاخاذ فموصول الجوانب
بغثرة من التاريخ الفرنسي ، هي أكثر فتراته ازدهارا بالمجد
والعظمة ، وهي اسما جدير بالعصر الذهبي في الادب
الفرنسي . بيد ان القارئ الانكليزي قد يحسب شهامة
ابطال القصة شهامة تتجاوز نطاق البشرية ويظن حوارهم
متجعرا وسلوكهم غير معقول . انا لا اقول انه مصيب في
ظنه هذا ، لكنه ان يضع هذه القصة الرائعة في مصاف
احسن القصص العشر في العالم .

وفي تعليقي وجيز على قائمة الكتب التي وضعتها
لـ (ريد بوك) كتبت ما يلي : « القارئ الحكيم سيحصل
على اعظم متعة من قراءته اذا هو تعلم فن المطالعة الفعيلة .
والانسان المتزن لا يقرأ قصة بصفتها واجبا . انما
يقرأها باعتبارها تسلية ، وهو في الوقت نفسه مستعد
للانغماس بشخصياتها وكيف يتصرفون في الظروف المعينة
وما يحدث لهم . تتراءى بشأركم وجدانيا في متاعيمهم وفي
افراحهم . انه يضع نفسه في مكانهم والى حد ما يعيش
كما يعيشون . اما نظرتهم الى الحياة ، وموقفهم من
موضوعات التأمل الانساني العظيمة ، سواء اعرضت في
كلمات ام في اعمال وتصرفات فهي تثير اعجابه او سروره
او غضبه . لكنه يعلم غريزيا ان يكمن اهتمامه فيتعقب
اثر ذلك كما يتعقب كلب الصيد رائحة الثعلب . وبسبب
من خيبة المؤلف يفقد الاثر احيانا . فيتعثر ويتخطى حتى
يجده من جديد . انه يفكر من مكان الى آخر .

كلنا ينط ويقفز ، الا ان التفيز دون تعثر ليس بالامر
اللين . قد يكون ذلك هبة من الطبيعة ، على ما اعلم ، او
شيئا يمكن نيله من طريق التجربة . وهذا ما كان يفعله
الدكتور جونسون بعنف وقوة وهو ما يحدثنا به بوزول قائلا :
« كانت لديه (يعني جونسون) طاقة خاصة ، في اقتحام كل
ما هو غريب من أي كتاب ، بغير استسلام منه لمشقة متابعته
من اوله الى آخره . » كان بوزوك يشير بدون شك الى
الكتب التنقيفية والتهديبية بقوله ذلك . و (هذا ينطبق)
على مطالعة القصة ايضا ، فان غدت هذه المطالعة مشقة

(1) مقدمة كتاب (عشر قصص وافيها) لسومرست موم

(2) منطقة من مناطق انكلترا ، المترجم .

لا بد لي ، استهلالا ، ان احدث القارئ عن كيفية وضع
هذه المقالات (1) ففي ذات يوم بينما كنت في الولايات
المتحدة ، طلب الي محرر (ريد بوك) ان اضع قائمة تتضمن
خيرة عشر قصص عالمية ، على حسب رأي الشخصي .
طبعي ان الاعتباط قد تدخل في وضع قائمتي تلك .
(مصداق ذلك) انني كنت قادرا على تصنيف عشر اخر
لا تقل جودة عن تلك التي اخترتها . كما كان في مستطاعي
ان اقدم اسبابا وجيهة لانتقائي لها . اكبر الظن انه اذا ما
قدر وطالب الى مئة شخص من المعلقين والمتقنين ثقافة وافية
مبادرة العمل على تنظيم قوائم كتلك التي نظمتها لما قل
عدد القصص عن مئتين او ثلثمائة . ومع ذلك ، فمعظم
القصص التي اخترتها ستجد لها مكانا في القوائم كلها ،
على ما اظن ، واختلاف الرأي - في هذا الشأن - مفهوم .
فئة اسباب مختلفة تجعل قصة معينة ذات اثر جذاب
في شخص ما ، الامر الذي يحمله حولا على ان يعزو لها
فضلا بارزا ، على الرغم من سداد احكامها وسوابقها ، فهو ،
ربما قراها ، في حين من الزمن ، او في ظروف خاصة
صيرته قابلا للتأثر بها ، او لعل لموضوعها او تكوينها
(القصص) اهمية غير اعتيادية بالقياس اليه ، نظرا لصلاته
الشخصية ونزواته الذاتية .

وفي قدرتي تصور انسان عاطفي مدنف الحب بالموسيقى ،
فهو ، على اكبر الاحتمال ، سيضع (موريس غيست)
لهنري هاندل رتشاردسن بين احسن القصص العشر .

كما ان مواطنا من (القصبات الخمس) (2) انطلقا من
سروره بالولاء الذي محضه ارنولد نبيت (لهذه القصبات)
- وفي وصفه لخصائصها وشخصياتها - سيضع (حكاية
الزوجات العجائز) بين خيرة القصص . ومع جودة
القصصين ، فليس لهما مكان بين العشر ، ان نحن صدقنا
عن احكام غير متحيزة . لا شك ان جنسية القارئ (من
حيث ولائه الوطني واقتصادي) تضيف على بعض الاعمال
الادبية نوعا من الاهتمام مما يحدوه الى ان ينسب لها عظمة
تتجاوز رقعها منطقة الاعتراف بها عامة .

كان الادب الانكليزي منتشرا انتشارا واسعا في فرنسا ،
خلال القرن الثامن عشر . ومنذ ذلك الحين وإلى عهد
تريبس ، لم يعد الفرنسيون يهتمون بما يكتب خارج

فالخير في تركها وتجنبها . ومن سوء الحظ ، لاسباب ساذرها عاجلا ، ان قصصا قليلة يمكن مطالعتها من البداية الى النهاية باهتمام غير منقطع . وبالرغم مما يشوب التنقل (من قصة الى اخرى) من عادة رديئة الا انه مفروض قرضا على القارئ ، الذي اذا ما تعود على التنقل صعب عليه التوقف وبدا يفقد كثيرا من فوائد القراءة .

وبعد مضي بعض الوقت على ظهور قائمتي التي عرضتها على (ريدبولك) قدم لي ناشر امريكي اقتراحا ، باعادة اصدار القصص العشر في طبعة موزجة ، مع مقدمة لكل منها بقلمي . كان رايه يتلخص في تشذيب كل نوافل القول وذكر الضروري مما ينبغي للمؤلف ذكره ، مع عرض افكاره الرئيسية ، وشخصية التي ابداعها ، كي يتمكن القراء من مطالعة هذه القصص الرافعة . وهكذا لا يتبقى من هذه (الكتب) الا ما هو نمين جدير بان يتمتعوا به في سرور تقافي عظيم . فجئت لأول مرة (من هذا الامر) لكنني بعد تأمل وامعان وجدت بعض الناس استحوذت عليهم عادة التنقل في القراءة بما في ذلك من فائدة ، شأنهم في ذلك شأننا ، ووجدت غيرهم عاجزين عن الجري في هذا المجري . فاستحسنيت ان يقوم شخص حبيب الراي قوي التمييز بهذا الدور نيابة عن العاجزين . وهذا هو سبب ترحيبي بكتابة مقدمات لهذه القصص فشرعت في العمل . بعض دارسي الادب والاساندة والنقاد ، يسوؤهم ابغ الاساءة بل برعهم تشويهه عمل ادبي رفيع ، وهم يرون ان العمل الادبي ينبغي ان يقرأ كاملا غير متقوص كما كتبه المؤلف . وهذا (في رايي) يعتمد على العمل الادبي نفسه ، فلا اظن في الامكان حذف صفحة واحدة من قصة اخاذك كالكويكب والهوى (او من (مدام بوفاري) ذات الحبكة المسبوكة سبكا محكما . (وبهذا الشأن) يقول الناقد الحصيف جورج سانتسبري : « القليل النادر من القصص يحتمل التكثيف والتوكيز كما في الحال مع قصص دكنز . » وعلى ذلك ، فلا تشرب ولا لوم على البتر والقطع . لقد كان من صالح الكثير من المسرحيات بتر القسم الاعظم او الاقل منها حين القيام بالتمارين التمثيلية . وذات يوم منذ العديد من السنين كنت انا وبرنارد شو نتناول الطعام معا فقال : ان مسرحياته تلافي نجاحا في ألمانيا اكثر من نجاحها في انكلترا فعزا ذلك الى غباوة الجمهور البريطاني وذكاء الالمان . وقد كان على خطأ . لانه ، في انكلترا اصر على عدم حذف حرف مما كتب . اما مسرحياته في ألمانيا فقد رايتها ، وهناك عمل المخرجون على تشذيبها تشديبا لا رحمة فيه من اللغو غير الضروري للعمل المسرحي وبذا امتعوا الجمهور امتاعا . على كل حال لم ار من المناسبات ان اقول له ذلك . ولا ارى مبررا بين القصة وبين الانصياع لمثل هذه العملية .

تطرق كوليريدج الى (دون كيشوت) وعدها كتابا يمكن ان يقرأ مرة واحدة ثم يفلس فيه ان اعيدت الكرة ، ولعله

عنى بذلك ، اجزاء عديدة من ذلك الكتاب فهي مملّة وسخيفة ، ومتى ما اكتشف الامر ، أصبحت قراءته مضية لوقت . ومع ذلك فهذا كتاب مهم عظيم ، وعلى كل دارس من دارسي الادب ان يقرأه من الدقة الى الدقة . (وقد فعلت ذلك مرتين بالانكليزية وثلاث مرات بالاسبانية .) بيد انني اتصور حال القارئ الاعتيادي الذي يبحث عن المسرة فهو لن يحضر شيئا اذا لم يقرأ الاجزاء المملة برمتها . وهو سيستمتع بالتوكيز بالمخاطرات والمناقشات الدائرة بين القاص النحيل وخادمه . وقد جمع ناشر اسباني هذه الاشياء في مجلد واحد وجعل منه معينا للقراءة الجيدة . ونمة قصة اخرى مهمة بدون شك ويمكن عدها عظيمة بتردد ، وهي قصة (كلايسا) لصموئيل ريتشاردسون ، القصة التي تدرح بأبطالها كل القراء الا اعندهم واشدهم اصرارا . اعتقد بانني لم اكن لاقرأها لو لم اجد نسخة موزجة منها بالمصادفة . كان الاجبار من الاحكام بحيث لم اشعر بفقدان اي شيء .

معظم الناس - على ما ارى - يعترفون بان (البحث عن الوقت الضائع) لمارسيل بروسه هي اعظم قصة انتجت في هذا القرن : وكل المحبين المتعصبين لبروسه ، ومنهم انا ، يستطيع قراءه كل كلمة (من كلمات القصة باهتمام ، وفي ساعة من ساعات الغلو قلت : يسعني قبول الضجر (من بروسه) فهو افضل عندي من الامتع لى غيره . لكني الآن ، بعد القراءة الثالثة ، اعترف باختلاف مستويات اجزاء الكتاب من حيث الجودة والجدارة .

والمتنقل - على ما اظن - لن يعنى هو نفسه بالتأملات الساذجة التي تتمثل في فصول كثيرة الاطباث كتبها بروسه بتأثير الافكار الساذجة في وقته ، هذه الفصول التي اصبح قسم منها مبتذلا والقسم الآخر غير ذي موضوع . وعندئذ سيكون واضحا اكثر من الان ان بروسه يمكن وضعه في صف واحد مع بلزاك ودكنز وتولستوي لكونه ساخرا عظيما ابداع شخصوا اصيلة حية مختلفة . وقد ياتي يوم يختصر فيه هذا العمل الادبي الهائل فتحذف منه فصول عراها الزمن من اهميتها وتبقى تلك التي هي جوهر القصة لما فيها من قدرة على البقاء . ومع ذلك متنقل (البحث عن الوقت الضائع) قصة طويلة جدا من غير فقدان لعظمتها . وعلى قدر استطاعتي استخلصت شيئا من كتاب (البحث عن مارسيل بروسه) العجيب لاندريه مورو على ما في روايته من ارتباك وتشوش . ومع ذلك : كانت نية المؤلف (يقصد بروسه) نشر قصته في الالة مجلدات كل منها باربعة صفحة . كان المجلدان الثاني والثالث في الطبعة عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى فتوقف النشر . لم تسمح صحة بروسه الضعيفة له بالخدمة في الحرب ، فاستخدم ذلك الفراغ الكبير الذي وانه لكي يضيف (مادة) هائلة الى المجلد الثالث . يقول مورو « الكثير من الاضافات

دراسات نفسية وفلسفية . وفيها يعلق العقل (اعتقد انه يقصد بذلك المؤلف) على تصرفات الشخص . ثم يستطرد قائلا : « يستطيع المرء ان يجمع منها سلسلة من المقالات على طريقة مونتيني : عن دور الموسيقى ، الجدة فني الغنون ، وجمال الاسلوب ، والنماذج البشرية القليلة العدد ، والحدق في الطب ... » هذا صحيح . لكن هل في هذه الاضافات ما يزيد قيمة القصة اهمية ؟ يعتمد ذلك - على ما اعتقد - على ما تحملونه من آراء عن الوظيفة الرئيسية للشكل (الفني) .

وفي هذا الشأن يختلف الناس باختلاف آرائهم . وقد كتب هـ . جـ ويلز مقالا مهما عنوانه : « القصة المعاصرة » جاء فيه قوله : « هي (يعني القصة) الوسيلة الوحيدة التي بواسطتها يمكننا مناقشة اكثر المشاكل التي يثيرها تطورنا الاجتماعي المعاصر ، على ما ارى » والقصة في المستقبل « هي الوسيط الاجتماعي ، ووسيلة التفاهم واداة الاختبار النفسي ، ومعرض الاخلاق والمعادن ، ومعمل الاسراف والتقاليد ، ونقد القوانين والانظمة والاراء والمعتقدات المتحجرة . . » . « اننا سنعالج المسائل السياسية والدينية والاجتماعية . » كان ويلز لا يطبق تصورهما (اي القصة) على انها مجرد وسيلة للتسلية ، كما انه صرح بصورة جازمة بعدم استطاعته النظر اليها باعتبارها شكلا فنيا . ومن الغريب حقا رفضه وصف قصصه بالدعاية . « لان الدعاية - كما تبدو لي - تقتصر على خدمة معينة لحزب منظم ، او قضية » . والكلمة ، على كل حال ، لها معنى اكثر من ذلك كثيرا . انها تشير الى الطريقة التي يراد منها محاولة اقناع الآخرين بصواب ارائك في الخير والنشر والظلم والعدل ، وضرورة قبول هذه الآراء والعمل بموجبها . وهذا يتم بواسطة المشاهدة او الكلمة المكتوبة او الاعلان او الاعصاة المستمرة . وقصص ويلز نفسها صممت لنشر مبادئ وتعاليم معينة وهذه هي الدعاية بالذات .

وبعد ، اعد القصة شكلا فنيا ام لا ؟ اقصد هذا الامتناع ام التهذيب او الإصلاح ؟ فاذ كان الغرض منها الإصلاح فما هي - اذن - بالشكل الفني . لان غرض الفن هو الامتناع . يتفق في هذا الصدد الشعراء والرسامون والفلاسفة . وهذه حقيقة هزت مشاعر الكثير من الناس الصالحين ، ذلك بان المحبة علمتهم النظر الى اللذة باعتبارها فحشا لاصطياد الروح (الانسانية) الخالدة . لكن يبدو لي معقولا ان ننظر الى اللذة بصفتها خيرا لا شرا ، مع عدم نسيان العواقب السيئة للعديد من اللذات التي ينبغي نبذها واجتنابها . هنالك ميل عام للنظر الى اللذة نظرة حسية وهذا امر طبيعي لان اللذات الحسية اكثر اثارة والتهابا من المرات العقلية . وهذا لا يعني ان المرات الاخيرة لا اهمية لها ، فهي وان كانت اقل شأنا من اللذات الحسية ،

من حيث الانارة لكنها ابقى على الزمن . يعطلي معجم اوكسفورد احد معاني الفن بقوله : « هو تطبيق المهارة على موضوعات الذوق للشعر والموسيقى والرقص والدراما والخطابة والانشاء الادبي وما اشبه . » وهذا حسن جدا ، ثم يضيف (المعجم) الى ذلك قوله : « وهذه تتجلى (يعني المهارة) خاصة في استعمالها الحديث ، في استكمال القدرة الفنية ، واستكمال تطبيقها التنفيذي ، وهو وحده موضوع قائم بذاته » .

وهذا هدف يسعى كل قاص لانجازه ، وهو امر قلما يحققه - على ما نعلم - احد . اعتقد انه يصح لنا اعتبار القصة شكلا فنيا ، قد لا يكون رفيع الشأن كل الرفعة ، لكنه - على كل حال - شكل فني ، يعوزه الكمال .

ولما كنت قد عالجت هذا الموضوع في المحاضرات التي اقيمت هنا وهناك ، ولما كنت غير مستطيع اضافة شيء احسن الان على تلك المحاضرات ، ساسمح لنفسني بالاعتباس منها .

ارى ، انه من الفن استخدام القصة منبرا او منصة ، وانا مؤمن بخصيصة التلاق القراء فيما اذا حسبوا انهم قادرين على نيل المعرفة من هذه الطريق . فالمعرفة لا يمكن نيلها الا بالعمل الشاق وهذا امر فادح الازعاج . وكما تكون الحال ادعى للمرة لو تناولنا المعلومات المفيدة ، السائفة الطعم ، التي تتشال علينا من حلوى الرواية . والحققة ان هذه المعلومات التي يمكن استساقها لا يعني التاكيد من ناليتها . ذلك بان المعرفة التي يتلقاها القاص لا يمكن ان تكون الا محال من انجاز وهذا يجعلها غير جذيرة بالركون اليها . ومن هنا ، فخير لنا الا نعرف شيئا من ان نعرفه بصورة مشوهة . ولا داعي للقاص ان يتقصص غير القاص من الشخصوس . يكفي ان يكون هو قاصا جيدا . عليه معرفة القليل من الكثير من الاشياء ، وليس ضروريا ان يكون مختصا في اي موضوع ، فهذا قد يؤذيهِ احيانا . وهو ليس بحاجة ان ياكل خروفا بأكمله لكي يعرف طعم لحم الفم ، اذ تكفيه قطعة منه . واذن ، بتجسيده لخياله وقدرته الخلاقة ... يستطيع ان يقدم لك فكرة جيدة عن مرقة اللحم الالندبية ، اما اذا أخذ يقدم لك آراءه عن تربية الفقم وصناعة الصوف والاوزاع السياسية في استراليا ، فحذار من قبولها الا بتحفظ كبير .

القاص انسان واقع تحت رحمة هواه . فالموضوعات التي يختارها والشخصوس التي يبديها وموقفه حيالها ، كلها مشروطة بهواه . وكل ما يكتبه ما هو الا تعبير عن شخصيته وابعاز لفرازه الكامنة ومشاعره وتجربته . ومهما يحاول ان يكون موضوعيا يظل عبدا لذواته ، ومهما جاهد ان يكون حاديا فهو لا بد منضم الى احد الفرقاء . . . وبمجرد لفت نظرك الى شخص من شخصوس في مستهل قصته ، يجذب اهتمامك ويستدر عطفك على ذلك الشخص .

بالشمولية حين يكتب قائلا (رأى ابتسامتها) لكنه لا يعفل ذلك عندما يقول : (رأى سخرية ابتسامتها) لان السخرية شيء يعزوه الى ابتسامتها وقد يكون ذلك بغير سبب مبرر . وقد رأى هنري جيمس - بغير شك - فائدة مثل هذه الوسيلة . فهو (يعرض) في (السفراء) شخصية سترينر المهمة كل الاممية ، ومن خلال ما يرى ويسمع ويشعر ويفكر ويتأمل ، من خلال كل ذلك تكتب القصة وتفتح الشخص الاخرى المعنية بالامر ، وبدا يتجنب المؤلف ما هو ليس بذي موضوع . ويكون بناء قصته محكما بالضرورة . وبالإضافة الى ذلك فهذه الوسيلة تضفي جوا من ارجحية الصدق على ما يكتب . ولما كان المطلوب منك ان تعنى بشخص واحد حسب ، لا بد لك ان تؤمن بما يقوله ولو بغير وعي منك . اما الحقائق التي لا بد من انسابها الى القارئ من طريق (البطل) الذي يتعلمها ، فتستعمل القارئ يشعر بسرور الايضاح والابانة ، خطوة فخطوة ، فيتجلى له ما كان غامضا مبهما محيرا . وبهذه الطريقة يمكن اسباغ شيء من السرعة على العمل الادبي كما هي الحال في القصص البوليسية ، وهذه هي الميزة الدرامية التي كان هنري جيمس شغوفا بالتعلق بها .

ومع ذلك تكشف الحقائق بصورة تدريجية فيه خطر ، لان القارئ قد يكون أسرع يدبته من (البطل) فيكتشفها ويعرف الاجابة عن أسئلتها ، قبل ان يرغب المؤلف في ذلك . ان من يقرأ (السفراء) لا بد له ان يفرغ صبره سريعا من قراءة سترينر . فهو لا يرى من يحلم في وجهه وما يحس به كل من يجلس به ... بحيث يعد عدم ادراكه اشارة لنقص في هذه الطريقة . اذ ليس امرا امينا ان تحسب ذلك اثر حقا لما هو عليه في الواقع .

ولما كانت القصص - معظم القصص - قد كتبت من وجهة النظر الشاملة ، فلا بد من الافتراض ان القاصين وجدوا هذه الطريقة انجح في معالجتهم لمشاكلهم ، لكن لسرد القصة من طريق الضمير المتكلم بعض القوائد ايضا . شأنه في ذلك (اني السرد) شأن طريقة هنري جيمس من حيث ارجحية الصدق ، واضطر المؤلف للصدق بما اخطئه من سبيل ، لانه لا يستطيع الا ان يحدثك هو بما سمعه وشاهده وعمله . كان يمكن استخدام هذه الطريقة وبفائدة من قبل القاصين الانكليز العظام في القرن التاسع عشر . لان قصصهم كانت تتهادى من موضوع الى آخر ، مع عوز الى الشكل (الفني) وسبب ذلك يعود اما الى وسائل النشر او نفسية الامة . وفائدة اخرى للتحدث بالضمير المتكلم ، هي انها تجعلك تشارك السارد في مشاعره . قد لا تتفق معه ، لكنه يركز اهتمامك به بحيث يضطرك الى محضه عطفك . ومن مساوئ هذه الطريقة هي ان سارد القصة كما هي الحال في (داود كوبرفيلد) هو المؤلف نفسه ، فمن غير اللائق ان يحدثك عن نفسه فيقول : انني جميل وجذاب . وهو يبدو مغرورا حين يتحدث عن اعماله البطولية ، واحقق

يضر هنري جيمس تكرارا ومرارا على ان القاص يجب ان يمثل . وهذا قول لا يكون واضحا كل الوضوح ، لكنه يعني به : ينبغي (للمؤلف) ترتيب الوقائع التي يعرضها بأسلوب يجتذب اهتمامك ويحافظ على استمراره . ولذا - اذا اقتضت الحاجة - لا مانع لديه من نحر الحقيقة وكل ما هو معقول لحاجة في نفسه يفيها . وهذا - على ما نعلم - ليس السبيل في العمل العلمي والتفقي . هدف كاتب الرواية - اذن - ليس التعليم والارشاد بل التسلية والامتاع .

ثمة طريقتان رئيستان في كتابة القصة ، ولكل منهما محاسن ومساوئ . الطريقة الاولى هي كتابتها بصيغة المتكلم . والثانية كتابتها من وجهة النظر الشاملة المعرفة . وفي الاخرة يستطيع المؤلف اخبارك بما يحسبه ضروريا لحملك قادرا على تتبع قصته وفهم شخصوه . ويتمكن من وصف مشاعرهم وعواطفهم من الداخل . فاذا ما عبر احدهم الشارع اخبرك لماذا فعل ذلك وما ستكون النتيجة . انه يستطيع باهتمام بطائفة من الشخصوس وسلسلة من الحوادث ، وبعدئذ تراه يضعهم على جانب فترة ما ، ويبدأ بالاهتمام بطائفة اخرى من الشخصوس وسلسلة ثانية من الحوادث . وبدا ينمش ما فتر من تطلع (القارئ) . ويتعمق قصته ، يقدم الطباعا في تعقيد الحياة وتتافسها وتنافر (اركانها) . وخطر هذه الطريقة يبرر في رجاها كفة احدى الطائفتين من حيث اهتمام القارئ . والمثل المعروف لذلك موجود في " ميدلارش " بحيث يجد القارئ نفسه في وضع شاق يحمل فيه حملا على تركيز الشبهة في شخصوس لا يعني بهم اقل عنابة . والقصة المكتوبة بالطريقة (الشاملة) معرضة للتفكك واللغو والهذر . لم يكتب احد خيرا من تولستوي ومع هذا فهو نفسه لم يتخلص من هذه المساوئ والمعايب . وهذه الطريقة تنقل المؤلف بما يتو به . اذ عليه ان يتقمص كل شخصوس من شخصوه ، فيشعر بمشاعره ويفكر بانفكاره ، فالتعقيدات تتحد (تصرفه) وهو لا يستطيع شيئا من ذلك الا اذا كان - في نفسه - متمائلا مع نفسية الشخص الذي ابدعه ولو بعض التماثل . وان انعمد هذا التماثل انعمد التقمص واضطر المؤلف الى مراقبة (بطله) من الخارج وحينئذ يفقد هذا البطل (ميزة) الاقتناع التي تحمل القارئ على الوثوق به .

وفي ظني ان هنري جيمس ادرك هذه المساوئ ، بسبب من قلقه على شكل القصة (اي قصة) فابتدع طريقة هي نصف شمولية - وفيها لا يزال القارئ شامل النظرة ، على ان يتركز شموله هذا في شخص واحد بالذات - ولما كان هذا الشخص عرضة للانهايار والسقوط ، فهذه النظرة الشاملة لا يمكن ان تكون كاملة . بدثر المؤلف نفسه

له ولا قوة في التأثير في مجرى الحوادث . انه موضع ثقة القارئ ، فيحذره بما يعرف وبما يأمل ويخشى ، وحين يصيب اللبالب والحيرة يصارحه بالامر . اذ ليس من حاجة لجعله احق . كيلا يكشف للقارئ ما يتمتع ستريتر من كشفه ، كما هو حادث بالقياس الى شخصية ستريتر من شخص هنري جيمس . وهو على الضد من ذلك ، سريع البديهة ، صديد النظر ، على حسب ابداع المؤلف . اما السارد والقارئ فهما منسجمان في اهتمامهما المشترك بشخص القصة ، وصفاتهم الاخلاقية ، ونواغمهم ومسلكتهم وينقل القاص الى القارئ الالفه نفسها ، التي تشده بمخلفات خياله هو نفسه . وبذا ترجع لديه كفة احتمال الصدق بصورة مقنعة تلك التي ترجع بالقياس الى المؤلف نفسه بصفته بطل القصة بالذات ، (ومن هنا) يستطيع بناء كيان بطله بحيث يثير فيك العطف كأنه يبره لك في ضوء بطولي . وهذا لا يستطيعه السارد البطل الا بالتنازع شري من عدائك . وهذا الاسلوب من كتابة القصة يؤدي الى الالفه بين القارئ والشخص ويستزبد من مدى احتمال الصدق وهو اسلوب حميد بالبدهة .

والان سأخاطب واذكر الصفات التي يجب ان تمتاز بها القصة الجيدة ، على حسب ظني . ان موضوعها ينبغي ان يكون مهما سواء للاتناء اعني بذلك الا يقتصر على عصبه من الناس سواء اكانوا من النقاد والاساتذة وعلمية القوم ام سواك الباصات وخدم الباربات والحانات . بل يكون شاملا في اساليبها بحيث يخطب الناس نساء ورجالا ، وعليه ان يكون مستمتع القراءة . فالقاص قاص نرق منثور ، اذا ما اختار موضوعاته طبقا للمناسبات التي ما ان ينقضي اجلها حتى لا تعود قصته ممكنة القراءة ، صحافة الاسبوع الماضي . القصة التي يريد المؤلف سردها ، لا بد ان تكون منسجمة مقبولة عقلا ، لها بداية ومنتصف ونهاية هي نتيجة طبيعية للبداية ، اما الحوادث المهمة فينبغي لها ان تكون محتملة الوقوع لا تطور الموضوع حسب بل تنمو من داخل القصة نفسها . ان بدعات خيال المؤلف ، لا بد لها من شخصياتها الخاصة ، اما تصرفاتها فينبغي ان تصدر من تلك الشخصيات ، ولا يجب ان يسمع القارئ بالقول : « علان وفلتان ولا ينبغي ان يتصرفا هكذا » . على الضد من ذلك ، يجب اجباره على القول : « هذا بالضبط ما توقعت فعله من قبل فلان وفلان » . فانا اعتقد من الاحسن ان يكون الشخصون انفسهم موجبين للاهتمام قمينين به .

كتب فلوري (التربية المعاطفية) وهي قصة نالت شهرة عظيمة بين العديد من النقاد המתازين ، لكنه اختار لبطله انسانا تافها كل التفاهة ، باردا كل البرود ، ضائع السمات ، بحيث اصبح من غير المحتمل الاهتمام بما يفعله او ما يقع له ، وتبعنا لذلك وبالرغم من ميزات الكتاب فهو صعب القراءة . اظن ان على توضيح ما اعني عندما اقول : لا بد من مراقبة الشخصون على اعتبارها ذوات شخصيات

حين لا يرى ما يراه القارئ بدهاة عندما تحبه البطلة . ومن اخطا المساويء هي العقبة التي لم يستطع احد من كتاب هذا الضرب من القصة اجتيازها باسرها ، اعني ان الشخص الرئيس ، البطل المتحدث عن نفسه ، يبدو ضئيلا بالقياس الى الشخصون (الاخرى) التي يتحدث عنها ، لم ينبغي ان يكون هذا ؟ تساءلت عن ذلك انا نفسي ، اعتقد ان المؤلف - على قدر ما استطاع من توضيح - يرى نفسه في البطل يراه من الداخل ، بصورة ذاتية ، فيصيب فيه ما فيه من اضطرابات وضعف وتردد يشعر بها في دخيلة نفسه ، على موضوعية من خلال حدسه وخياله . فاذا كان المؤلف ما لدكنز من مواهب رائعة ، فهو سري هذه الشخصون بعنف درامي ، ويشعور ساخر هائج ، وسرور عميق بفرايتها ، وبذا يجعلها حبة نابضة بالحركة ، بحيث تطفئ على تصويره لنفسه .

وعلى هذا المتوال كتب العديد من القصص ، حتى اصبحت ذات (موضة) شهيرة . وهي على شكل رسائل ، كل منها مكتوب بضمير المتكلم . ومع ذلك فكاتبوها مختلفون وهذه الطريقة تمتاز بارحجية اصلاتها الصادقة . وقد يحسبها القارئ رسائل حقيقية دجها ناس معينون ، ثم وقعت في يديه بالصادقة الحضي . وبعد ، فان ارجحية الصدق في الهدف الذي يسعى المؤلف الى تحقيقه قبل كل شيء ؟ انه يريدك ان تصدق ما يقوله لك كأنه واقع حقا ، ولو كان ذلك غير محتمل الوقوع كما في الحال في حكايات بارون مونخواوزن ، او مرعبة (قلعة) كاتكا . لكن هلا الضرب من القصص له مساوئه الفادحة ، فهو يستخدم طريقة ملتوية في السرد بتان لا يحتمل . كانت الرسائل طرية غير ذات موضوع . فسئمتها القراءة ، وعلى الاثر اندثرت هذه الطريقة . لكنها انتجت ثلاثة كتب تعد من فرائد الرواية وهي : كلاريسا ، هلويز الجديدة و صلات خطيرة (نقلنا بحثا عنها في « الاديب » كتبه اندريه موروا . « المترجم ») .

وعلى اي حال ، ثمة ضرب من القصص مكتوب بضمير المتكلم ، استطاع - على ما اظن - تجنب مساوئ هذه الطريقة ، واستخدام محاسنها استخداما جيدا . وهو ، ربما ، طريقة مجدية ناعمة في كتابة القصة ، (و موبى دك) للفل هي مصداق هذا الاستخدام الحسن . وفي هذا الصنف من القصة يسرد المؤلف المجاريات بنفسه ، لا على انه بطل ولا على ان القصة قصته . فهو شخص من اشخاصها ، وهو متصل - بهذا الشكل او بغيره - بالشخصون الاخرى ، فهو لا يقرر مصير العمل القصصي ، بل يقوم بدور الانسان الثقة والوسيط والمراتب الذي يرصد اعمال المسهمين في العمل ، شأنه في ذلك شأن الكورس في التراجيديا اليونانية . انه يتأمل في الظروف التي يرتبها . فهو قد يتفجع او قد ينصح ، لا انه لا حول

ومهما انفردت القصة بالميزات التي ذكرتها ، وهذا مطلب كبير ، يظل شكلها الفني مشوبا بنقص ، كالأحجار الكريمة ذات الشوائب . وهذا هو السبب في عدم كمال القصة الطويلة .

أما القصة القصيرة فهي قطعة من الرواية يمكن قراءتها - حسب طولها - في فترة تتراوح بين عشر دقائق وساعة وهي تعالج موضوعا محددا واحدا ، حادثة أو سلسلة من الحوادث المتشابهة ، سواء أكانت هذه روحية المضمون أو ماديتها بغیر نقصان أو زيادة . فلا يمكن إضافة شيء إليها أو أتزاعه منها . وهنا ، اعتقد بأنه يمكن الوصول إلى الكمال . ولا اظن من الصعوبة جمع عدد من القصص القصيرة فيها الكمال محقق ، لكن القصة (الطويلة) متنوعة نسردها لا حدود له ، فهي قد تكون طويلة (كالحرب والسلام) ، حيث تتعاقب فيها الحوادث والعديد العديدة من الشخصيات في فترة زمنية (مديدة) أو قد تكون قصيرة (ككارمين) ، ولكي يضي المؤلف احتمالية لوقوع الحوادث على القصة ، لا بد له من سرد سلسلة من الوقائع اللازمة لها لا تكون ذات موضوع يجلب الانتباه . وقد تكون الحوادث منفصلة عن بعضها بعامل الزمن ، لكن هذا الفراغ يجب أن يملأ لكي يكون الإنسان حاصل في العمل (الأدبي) ، وهذه العابر (الزمنية) تعرف بالجسور ، ومعظم الكتاب يحملون أنفسهم على اجتيازها حملا ، تقرأهم يعبرونها بشيء من المهارة قليل أو كثير . وهم إذ يفعلون ذلك يشيرون فيها للكلل والمثل .

القاص انسان موهوبا لذلك فهو بالضرورة قابل للتأثر بعادات عصره وثقافته ، ولما كان مثل هذا الإنسان شديد التأثر ببيئته ، فهو غالبا ما يكتب أشياء تفقد جاذبيتها بمرور الزمن .

دعني أقدم مثلا : لم يعلق القاصون على وصف المناظر الطبيعية وغيرها إلا أقل الأهمية حتى القرن التاسع عشر ، كانت تكفيهم كلمة أو كلمتان لقول ما يريدون قوله ، لكن المدرسة الرومانسية ومن أعقابها شاتوبريان اجتذبت إليها الإذهان ، فأصبح وصف المناظر موضعا للكتابة بعد ذاتها ، فلا يرضى أحد السبالة لشراء قرشاة أسنان من أحد لصيدلة بغير أن يحدكن المؤلف عن مرأى البيوت التي مر بها ، وما عرض في معارض الحوانيت من أشياء وأشياء . الفجر والغروب والليل المزهري بنجومه والسماء الصافية والجبال المغطاة بالثلوج والغابات السود ، كل هذه المناظر مناسبة للكتابة الوصفية التي لا انقطاع لها . الكثير من هذه المناظر كان جميلا ، غير أن معظمها لم يكن ذا موضوع مهم ، وقد انقضى على الكتاب زمن طويل حتى اكتشفوا أن الوصف مهما يكن شاعريا معجب التعبير تافه إذا لم يكن ضروريا - أعني إذا لم يساعد الكاتب في تطوير قصته أو قول ما يفيد القارئ الاطلاع عليه بخصوص الشخص المسماة في العمل الأدبي . هذا عيب عرشي ، لكن ثمة

مشيمة . ومن الصعب أن نتوقع من القاص إبداع شخص جديدة كل الجدة ، فمادته هي الطبيعة الإنسانية ، ومع اختلاف الناس وتباين أحوالهم ، فهم ليسوا متباينين بصورة مطلقة ، والقصص والروايات والمهرجات واللاحم كتبت عبر العبد من مئات السنين ، حتى يعسر على أي مؤلف إبداع شخصية جديدة تماما . ونظرة متروية واحدة في حقل الرواية تجعلني اعتقد أن (دون كيشوت) هي الإبداع الأصل الوحيد ، ولا أراني متعجبا إذا ما علمت بعثور بعض النقاد النقاء على سلف قديم لهذا العمل . والمؤلف سعيد إذا استطاع رؤية شخصه من خلال شخصيته بالذات . وإذا ما كانت هذه شخصية غير اعتيادية ، فيسعد أن يضي على تلك الشخص جوا من الإصالة التخيلية .

وكما أن السلوك (الإنساني) ينبعث من السجدة والخلق كذلك الكلام لا بد له من ذلك . فالمرأة النيقة ينبغي أن تتكلم كمرأة نيقة والسوقة كالسوقة ، وسامرة سباق الخيل كسامرة ، وكذلك الحال مع معقبي الدعاوى . (فمن الخطأ التوكيد بالقياس إلى مريدث وهنري جيمس إجراء الحديث على السنة إبطالها مجرى الحديث لدى مريدث وهنري جيمس نفسيهما .) فالصوار لا يجب أن يكون مثلك الإصا ولا مناسبة للمؤلف ليظهر وجهات نظره بل لا بد له من تشخيص التكلمين وتطوير القصة . والفقرات السردية يجب أن تكون حية وإافية بالفرض المقصود وليس أكثر اطبايا مما تقتضيه نوازع الشخصيات المعنى والظروف التي تكتنفهم ، مع جلاء ووضوح واتساع . كما ينبغي للكتابة أن تكون بسيطة سهلة القراءة على القارئ متوسطي الثقافة ، وعلى الأسلوب ملازمة الموضوع ملازمة الحداثة الجيد للقدم المنتظمة ، وفي الختام يجب أن تكون القصة مسلية ، ومع أني وضعت هذه الميزة في آخر القائمة فهي الميزة الجوهرية لأن غيرها لا تنفع أي قيمة أخرى . وكلما كانت تسلية القصة أكثر لوفعية كانت أحسن أثرا . التسلية كلمة لها معان عديدة فهي تقدم (لنا) متعة وتستجلب انتباهنا . ومن الغلط الشائع حسان المتعة مهمة بذاتها . فيعسان الحصول على التسلية من مرتفعات وذرغ . أو (الأخوة كارامزوف) أو (ترسترام شاندي) أو (كاتنديد) على حد سواء . طبيعي أن يكون للمؤلف الحق في تناول الموضوعات العظيمة التي تهتم كل إنسان ، كوجود الله وخلود النفس ومعنى الحياة وقيمتها ، ومع ذلك خير له تذكر مقولة الدكتور جونسن : هذه موضوعات لا يستطيع المرء أن يقول عنها شيئا جديدا صادقا ، ولا شيء يصادق عنها وهو جديد . وكل ما يأمله المؤلف هو جذب انتباه القارئ إلى ما يريد التعرض له بخصوص هذه الموضوعات ، إذا كانت جزوا لا يتجزأ من القصة من حيث ضرورتها إلى شخص قصته وتأثيرها في مسلكه - أي أن تكون ملازمة للعمل الروائي ملازمة النتيجة للسبب في المكان والزمان .

التي تبحث في القصة ، فيما تسير لي من وقت ، هؤلاء الكتاب - على العموم - شأنهم شأن ه.ج. ويلز ، لا ينظرون الى القصة على انها وسيلة تسلية وتلهية ، والنقطة الوحيدة التي يجمعون عليها هي ان حوادث القصة ذات اهمية تافهة . والحق ، انهم يميلون الى اعتبارها عقية تحول بين القارئ والانهماك في عناصر القصة المهمة . يبدو انه لم يخطر على بالهم ما لاجريسات القصة والعقدة من اهمية ، فهي خيط الحياة الذي يرميه القاص الى القارئ لمسك زمام انتباهه . وهم يعدون سرد قصة ما قصد السرد لا غير نوعا من الرواية . وهذا امر يظهر غريبا لي ، لان الرغبة في الاصفاء الى القصص عميقة الجذور في الانسان الحيوان كحاسة التملك . ومنذ فجر التاريخ كان الناس يجتمعون حول النيران الموقدة ، او في السوق للاصفاء الى سرد القصص . ومصدق قوة هذه الرغبة يظهر في الشهرة المدهشة التي حظت بها القصص البوليسية في يومنا هذا . ووصف القاص بصفته سارد قصص حسب ، هو ازدراء به وابعاد له . ولي من الجسارة ما يحملني على افتراض عدم وجود مخلوق كهذا . يقدم لك الكاتب نقدا للحياة بانتقائه للحوادث والشخص التي يختارها وموقفه حيالها جميعا . قد لا يكون هذا النقد اصيلا او عميقا كل العمق ، لكنه تقدم على اي حال . وتبعنا لذلك فالكاتب كاتب اخلاقي على طريقته الخاصة ، وربما يفر وغي منه . بيد ان علم الاخلاق على الضد من الرياضيات ليس علما دقيقا . فهو علم مرن لانه يعالج المخلوقات البشرية ، والمخلوقات البشرية بمرآة ما نعلم - مترددة متغيرة مفرودة . نحن نعيش في عالم مضطرب هو - بلا شك - شغل

غيبا كما بنا آخر . لما كان الاثر (الادبي) ذا امتداد وافر ، اقتضت الحال استغراق وقت طويل لانجازه ، قد يكون اسابيع على الاقل او اشهرا على الاعم او سنوات من حين الى حين . فمن المحتمل ان يقتصر ابداع المؤلف ، وعندئذ يضطر الى الركون الى الصناعة المستمينة والكفاءة الاعيادية ، وسيكون معجزا لو يستطيع التمسك بزمام انتباه قارئه .

وفي الماضي ، كان القراء يفضلون الكمية على النوعية حتى يستردوا قيمة ما دفعوه من مال من الفصص الطويلة ، وكان المؤلف مضطرا الى تقديم اكبر كمية من المادة الى المطبعة ، كمية لا تقتضيها القصة . لذا شق له طريقا سهلة لفعل ذلك . انه اخذ يدس قصصا قصيرة في قصصه الطوال ، اقصيص لا صلة لها بالموضوع ، وفي احسن الاحوال كانت تلصق بها بغير سبب مشروع . ولم يسبق لكاتب فعل هذا الامر ان يزرف انتس بعدم اكترائه - بهذا الشأن - في كتابه (دون كيشوت) . هذه الكتابات المدسوسة كانت دائما تعد لطخة في جبين ذلك الاثر الخالد ، ولا يمكن قراءتها الا الا بصبر يكاد ينفد . لقد انتقده نقاد عصره لهذا السبب ، وفي القسم الثاني نراه ينشد هذه العادة السيئة ، متجا بدلك خاتمة احسن من سابقتها ، وذلك ما لم يكن في الحسبان . غير ان هذا الامر لم يمنع الكتاب اللاحقين (الذين - ولا شك - لم يقرأوا نقادات الكتاب السابقين) من استخدام وسيلة سهلة تمعنهم على دفع كمية من الكتاب الى باعة الكتب ، تصلح لان تكون محلا صالحا للبيع ، وما ان حل القرن التاسع عشر حتى استجدت وسائل للنشر عرضت القاصين الى اغراءات جديدة فقد حققت المحلات الشهيرة نجاحا عظيما ، فيما كانت تكرسه من مجال لما يعرف تهوينا بالادب السهل ، وبذا افسحت فرسا للكتاب كي يقدموا اعمالهم الادبية الى الجمهور بشكل متسلسل مع فائدة مالية لهم . وفي الوقت نفسه تقريبا ، وجد الناشرون فائدة في نشر نتاج الكتاب المعروفين في اعداد شهرية ، واتفق الكتاب هؤلاء على تزويد الاوائل بما يشغل عددا من الصحائف . وبهذه الطريقة استطاع المؤلفون ان يكونوا مرفهين وطويلي النفس في الكتابة . وقد عرفنا من اعتزافاتهم كيف ان كتاب هذه المسلسلات حتى احسنهم كدكنز وناكيري وترولوب كانوا يبعثون ما حملوا عليه حملا من تقديم ما يقدمونه من نتاج على انقطاع في اوقات معينة . فلا عجب اذا ما ملأوا كتبهم حشوا ! ولا غرابة اذا ما اقلقوها بحوادث غير ذات موضوع ! وحين امعن النظر في العديد من الحواجز التي ينبغي على المؤلف اجتيازها وكدم من العثرات ينبغي تجنبها ، لا ادش ما يعنور القصص العظيمة من تقصيرات ، بل اعجب من ضالة هذه التقصيرات .

وتطلعا مني الى تحسين كتابتي قرأت العديد من الكتب

صدر عن دار المنشور

غسطينيو

او ماسة المراهقة

للكتاب الإيطالي المبدع :

البيرو مورافيا

ترجمة : جورج مصروعه

دراسة عميقة الغور ، دقيقة التفاصيل في قالب روائي جذاب . ابصاح معضلة من اهم واخطر المضكلات الاجتماعية في مختلف انحاء العالم ، ببيان مشرق ، ودجاجة في منتهى السلامة .

الثمن : ليرنان لبنانيات

شخصية ، ربما لا تكون ذات قيمة مهمة . الا اذا كان شأنه شأن ديزموند مكارتي ، فهو ليس اديبا بحائسة حسب ، بل انسانا من هذا العالم ، والا فهو سيقدم لنا احكاما مبنية على قواعد ثابتة جافة لا بد من انتفاع اثرها لنيل رضا . وهو كذلك الاسكافي الذي صنع زوجي احذية لا غير ، لا يهمه من الامر شيء ، ان لم يناسب احد هذين الزوجين قدميك ، فما عليك - اذن - الا ان تمشي حافيا .

المقالات المتضمنة في هذا المجلد كتبت في المقام الاول لحث القراء على قراءة القصص المعنية ، ولكي لا اعيب بما في ذلك من مسرة عاجلة نفسي الا اكشف من كل قصة الا ما هو ضروري لا مفر منه . وهذا الامر جعل من الصعب معالجة كل كتاب معالجة وافية . وحين كتبت ما كتبت حسبت بالبداهة ان القارئ يعرف هذه القصص ، ولذا فلا يهم كشف الوقائع التي يتأنى المؤلف في كشفها لاسباب بدئية . ولم اتسرد في الاشارة الى المساويء والمحسن التي رايتها في هذه القصص المختلفة ، فليس اضر بالقارئ الاعتيادي من المديح الذي لا يميز ، وهذا المديح الذي يسبغ احيانا على الاعمال الادبية المعترف بها بحق على انها اعمال كلاسية .

ان القارئ سيقرا وسيجد بعض النوازع غير المتقنة ، وبعض الشخصيات غير الاسبغ ، وسيرى هذه الواقعة او تلك بلا أهمية ، كما يشعر ببعض الاوصاف المملة . فان كان هذا القارئ ذا طبيعة حادة المزاج ، فهو سيصرخ في وجه المؤلف الذي وصفوا الرواية التي يقرأها بانها فريدة من الفرائد ، ويحسبهم جماعة من الحمقى . اما اذا كان ذا عريكة لينة ، فسيولم نفسه وسيظن الامر اعلى من امثاله . اما اذا كان لوجوا ملحاحا بالطبيعة فسيقرا بروية واناة ولو بغير متعة . الا ان الكتاب الذي لا يمحض القارئ بالمتعة لا قيمة له وبخاصة بالقياس الى نفس القارئ . ومع ذلك ، ارى ان للخاص الا يؤمل في انصافك ايها . الا اذا اعترفت بحقه في ان يطالب بشيء من قرائه انفسهم . ان له الحق في ان يطلب منهم بمبادرة تقتضيه قراءة كتاب مؤلف من ثلثئة او اربعمئة صفحة . وله ان يطالبهم بتملك خيال مناسب لكي يكونوا قادرين على شغل انفسهم بحيوات وافراح وانتراح واضطرابات ومغامرات شخص خيال (المؤلف) .

واذا لم يكن القارئ مستطيعا على ان يهب شيئا من نفسه ، فهو لن يتمكن ان يحصل من القصة على احسن ما تجود به . واذا لم يكن قادرا على مثل هذا الصنيع ، فخير له لو لم يقرأها (اعني القصة) . اذ ان قراءة العمل الروائي ليست التزاما ولا التزاما .

القاص الشاغل ، والمستقبل مبهم . وحينئذ مهددة . ونحن في بران القلق والمخاوف والخيبة . والقيم التي كانت في الماضي اعلى من مستوى التساؤل ، أصبحت الان وكان الشكوك تحوم حولها . لكن هذه الشؤون شؤون مهمة ، وهي قد تكون ثقيلة الظل على القارئ ، الامر الذي لم يفت كتاب الرواية لملاحظته . والان وبعد اكتشاف موانع الحمل ، لم تعد اللغة ما كان لها من قيمة رفيعة ولم يكن القاصون بطيئين للملاحظة الاختلاف الذي تبع هذا الاكتشاف في الصلات بين الجنسين ، ولذا فكلما شعروا بان شيئا ما ينبغي القيام به للإبقاء على اهتمام القارئ المتدني ، حملوا شخصهم على الانهماك في الجماع . انا لست متأكدا انهم - بهذا - يمثلون نصيحة رشيدة . يحدثنا اللورد تيسستريلد عن الاتصال الجنسي فيذهب الى : انه وقتي والثنى باهظ والوضعية (الجسدية) موجهة للزهو . ولو عاش اللورد ، حتى الان ليقرا الرواية الحديثة ، لاضاف الى ذلك الرواية التي تلازم (العملية) وهي التي تجعل اي سرد لها ممل اشد الملل .

ثمة ميل - في الوقت الراهن - للاهتمام بالتشخيص اكثر من الحوادث ، والتشخيص - طبعاً - امر مهم - فانت اذا لم تعرف على شخص القصة تعرفنا وذا ، حتى نساظرهم فيما هم فيه ، لن نهم بما يقع لهم من وقائع . ان سرد الحوادث ذات التشخيص الضعيف الاعتيادي له مكانته كالتشخيص الرصين . وبهذا الاسلوب كتبت بعض القصص الجيدة ك (جيل بلاس) و (موت كرسن) . كما ان شهزاد كان يمكن ان تفقد راسها بلعق من قوتها ، انها اهتمت بشخص ابطالها ، بدلا من سرد ما وقع لهم من وقائع وحوادث .

في الفصول التالية تحدثت عن حياة وشخصية الكاتب الذي كتبت عنه . وقد جعلت ذلك ترويحاً لنفسي من جهة ولغائدة القارئ من جهة اخرى ، لاني اعتقد بان معرفة شخصية المؤلف تساعد على فهمه وتقييمه . نعرفتك لشيء عن فلوير يفسر لك الكثير مما يشوشك في (مدام بوفاري) . واطلاعتك على القليل مما تعرف عن اميلي برونتي ، يضيئ تودنا اشد الى قصتها المعجبة الرائعة الغريبة . وبصفتي قاصا كتبت هذه المقالات من وجهة نظري الخاصة ، والخطر في ذلك كامن في : ان القاص عرضة للوهي فهو يحب ما يراه مقربا اليه ، ولذا فحكمه على اعمال الغير يعتمد على مدى هذا التقارب . ومن اجل ان يكون انصافه تاما بالقياس الى الاعمال الادبية التي لا يوليها عطفه فانه بحاجة الى النزاهة الزينة وكرم النفس ، هاتين الصفتين اللتين نادرا ما يملكهما اعضاء الجنس النزق المنفعل . هذا من جهة ومن جهة اخرى ، فالناقد غير المبدع قد لا يعرف الا الشيء القليل من تقنية القصة . فهو - في نقده - سيقدم اليك انطباعات



في معركة المصير العربي

تأليف طاهر أبو فاشا - صفحة - مطبعة التحرير بالقاهرة

كثرت في هذه الأيام المؤلفات التي تدور حول فكرة العروبة والقومية العربية ، ولا شك ان معظم هذه المؤلفات مفيد بما يحفل من الكثير من المعلومات التاريخية والقضايا القومية والفكرية ، ولكن جرحتنا القومية المعاصرة مستقل نفقتر الى المزيد من لوان اخر غير هذه الكتب .. لون يحفل الى العقل القضايا والاكتاف ويمنع القلب ويغذي المشاعر ، ويسمى النفس ويترك فيها اثرا عميقا خصبيا .. وهذا اللون من التأليف لا يقدر عليه الا هؤلاء المفكرون الذين يملكون الى جوار علمهم .. ذوقا مرهفا وقلبا خصبيا وبيانا غديا وایمانا عميقا بما يكتبون .. ولذلك سعدت كل السعادة وأنا اقرا كتاب « في معركة المصير العربي » الذي صدر على ابواب هذا العام للصدیق الفنان الأستاذ طاهر أبو فاشا ، فهو من هذا اللون الثاني ..

وطاهر أبو فاشا مرتبط في اللاهات بالعلم الادبي الكبير الذي يستمتع اليه الناس منذ عشرين عاما او نحوها (الفد ليلا) وقد لا يعرف الكثيرون انه مؤلف لكثير من الكتب السياسية والاجتماعية والقومية وابرز مؤلفاته تلك التي تناولت في شمول واستيعاب ملامح نهضتنا المعاصرة بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ٥٢ ، وهي حوليات صدرت منها الى الآن خمسة اجزاء بعنوان « الجمهورية العربية في عام » وعندي ان كل هذه الاشياء لا تمثل طاقة طاهر أبو فاشا الحقيقية ، لان طاقته تلك تبرز في الشعر وقد اصدر عدة دواوين شعرية في الثلاثينات من هذا القرن اذكر منها « القيثارة » و « الاثواء » الى جانب عديد من القصائد التي نشرها في الرسالة ولم تطبع اذكر كل هذا التاريخ الفني ليعرف القاريء ، لماذا ان الكتاب الذي تقدمه اليوم بكل هذه المدونة والخوصبة ولا شك ان المؤلف يملك - الى جوار هذه الهواية الفنية - طاقة كبيرة في البحث والاستيعاب ولهذا حمل كتابه قضايا الانسان ، منذ كان الى الآن ... والكتاب اشبه برحلة طويلة في التاريخ ساح فيها المؤلف سياحة طويلة عبر الازمان وشاهد هذه الاحداث وعاشها ونقلها الى نايضة بالحرارة والحياء ولهذا نحس اننا لا نقرا تاريخا وانما نعيش هذه الحياة ونعاني تلك التجارب . والمؤلف مؤمن ايمانا عميقا بالانتماء العربي ، الى جوار ايمانه بطبيعة الخير في الانسان مهما كان . لذلك يبدأ رحلته التاريخية في الماضي وتبليت عند الحاضر . وتبنتا بالمستقبل ، فالماضي - كما يقول درس . والحاضر عمل . والمستقبل امل ..

ليس يكفي هذا الانشباع العام بل لا بد من تقويم دقيق واحصاء لما في الكتاب من قضايا وابواب .

بدأ المؤلف كتابه بتبهدد من تاريخ النضال العربية بصورة عامة ثم فصل هذا الحديث « في المعركة » وكشف عن استراتيجيات الاستعمار التي لا تغير بالنسبة للوطن العربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي حتى اليوم وأوضح دور مصر في النضال وكيف انها لم تنسمل من الصف العربي ابدا لان تاريخ الوطن العربي كان تاريخا واحدا منذ كان ..

ثم تكلم بعد ذلك - في دقة واستقصاء - عن مفهوم القومية العربية بعد ان اوضح معنى القومية وتناول نشوء القوميات وتعرض بالدراسة والتحليل لكل النظريات التي سادت منذ القرن التاسع عشر حتى اليوم عن نشوء القوميات .. وانتهى الى تاصيل عميق لقوميتنا العربية واشتركتنا واكد انها بنيمان من يبارين اثنين اولا : الواقع العربي الذي ينظم وحدة التكوين النفسي والشعور المشترك بالآمال .. ثانيا - التراث المشترك الذي ينظم وحدة اللسان والتاريخ.

وبعد ان افاض المؤلف في شرح مقومات القومية من وحدة الجنس والوحدة الجغرافية ووحدة التاريخ ووحدة اللغة نافس اصحاب نظرية الشبهة والنظرية المضوبة وفند اقوال هؤلاء المفكرين اكد ان اهم مقومات القومية العربية هما وحدة اللغة ووحدة التاريخ .. وفاده هذا الامر الى استغراء احدات التاريخ وغير خلال مراحل ثلاث خاضتها القومية العربية المرحلة الاولى ، م. عند الاحتلال الفارسي لبلدنا والمرحلة الثانية مرحلة الاحتلال الطويل التي استمرت نحو ١١٥٠ عاما ، والمرحلة الثالثة مرحلة النضج القومي التي استكملت فيها امتنا العربية مقوماتها نامة واحدة وقد بدأت هذه المرحلة عند المؤلف في القرن السابع الميلادي عند ظهور الاسلام وطلت حتى اليوم .. وهذه رحلة مفصّلة حدثنا المؤلف عن احدات الامة العربية منذ هذا التاريخ الى اليوم وموفنا من العالم والظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي جعلت الوطن العربي في قلب الاحداث، تناول المؤلف كل هذه الاحداث في صفحات كثيرة تشع بانسجامة ونفسية بالعدوية .. ولم ينس ان يحدد في فسوح وجلاء اوجه اشتباهه بين كل جزء من اجزاء الوطن العربي ويحدد معالم النضال المشترك الذي ظل مستمرا عبر الاجيال ، وكيف يمكن كل جزء من اجزاء الوطن العربي واقفاة افاضات المصطنعة بين اجزائه وهنا ينتقل المؤلف الى ابطال الفرضيات في سبيل الوحدة العربية كهد فومي ، والصلل الاجتماعي كطريق لاسعاد الانسان العربي على ارضه وذكر الصراع الذي دار بين العرب والاستعمار ثم لبك قليلا عند تجربة الوحدة سنة ١٩٥٨ فهو ابن مصر وسوريا وتكامل في امتك الوحدة ..

والكتاب بهذا الشمول والخصوبة مرجع هام من مراجع النضال العربي يترى وجدان الشباب العربي ويدفعهم الى العمل .

غير انني في النهاية لا بد ان اشير الى بعض المواطن التي اختلف فيها مع المؤلف

اولا : المؤلف يعقد الوحدة الجغرافية مقوما للوحدة العربية ، وانا لا ارى ذلك فالوطن العربي متعدد الوحدات الجغرافية ، فيه السهول والوديان والجبال فيه المواطن الجافة والصحاري وفيه الاماكن المعطرة والقيعان ومع ذلك فهو له فواحدة على رغم تعدد وحداته الجغرافية .

ثانيا : المؤلف يرى ان وحدة الارض تستلزم وحدة البيئة ، وانا اعتقد ان الارض الواحدة تقسم مجموعة من البيئات

ثالثا : المؤلف يظلم « ارنتست ريتان » عندما يقول انه في نظريته لا يتكلم في القوميات وانما في التكوينات السياسية وارى ان (ريتان) كان يتكلم في معاني القومية ويعاول التاصيل لها في محاضراته بالموسرين

رابعا : المؤلف يعتقد ان الدولة تقوم بدون اقليم معين ، بينما يرى كل رجال القانون وعلماء الاجتماع : انه لا بد لقيام الدولة من اقليم معين .. كما أحب ان اشير الى ان الرقام الذي ذكره المؤلف للجيش الذي فتح مصر (...) لا يتفق مع اجماع علماء التاريخ فهم يرونه نحو خمسة عشر الفا من الرجال ونصف الالف

في التحليل، وكان سبيله الى القصة اما بجمل مياقنة تجيء بها القصصية حوارا مختصرا أو تصويرية بأداء ألفاظ أو التلميح، فاختلف التسجيح باختلاف الاشكال والألوان ونابت بعض الافاصيص على المعالجة الفنية، وكانت صوراً انسانية مواجهة بشئ المعاني والظلال .

وبعد فانا اذا تتبعنا حركة النقد الأخيرة التي راقت النتاج الحديث وجدناها جاذبة الى التعريف بلويده أكثر من النقد والتخليج للتساج نفسه، وهذه الحركة اذا ما دامت أسأت الى النقد المرجو السدي يرتقبه المؤلف والقاري معا ، حتى بات المؤلف لا يبدري كيف يسدد خطا، ويتلمس الاجادة والانفان .

فاذا تعاملت الادبية السيدة نورا نوبهس في مجموعتها القصصية وزعمت بانها حققت الوسيلة والغاية في فنها واتجاهها أسأت اليها ، وهي التي تهدف بطموحها الى الحقيقة والخير ، للادب والانسانية، وبطافتها الاجادة والتكامل في نتائجها الجديد اذا احسنت صدق النقد والخلاص فيه ، وفي هذه المحاولة كما سمعنا اجد القدرة على الخطوة التالية بل الخطى المتتالية .

دمشق و داد سكايني

ابن سناء الملك ومشكلة العلم والابتكار في الشعر

تأليف الدكتور عبد العزيز الاهواني - مكتبة الانجاء المصرية - ٢٢٢
صفحة - ؟ الطبعة

نأور هذا الكتاب في الافق الادبي قبل سنة أو تزيد .. وعجبت ايما أعجاب لعلم أختلاف الكتاب به ونقصه ، إذ لم يتصد لنقد .. على مبلغ علمي - إلا واحد من كبار علماء العربية هو الأستاذ الجليل عيسدالله تكون علامة محفرا ، وقد نشر هذا النقد في مجلة (المجلة) الغاشية .. ومن أمسك اننا نبحث الكتاب يحومون حول الكتب انزيلة البلاغة، ناقدين محظين ، وربما تاهين في بحار الدعاية والحباية والمصيبة، ولا يكتفون انفسهم مشقة التنقيب عن الكتب الفنية بموادها الادبية والعلمية ، لتبصر القاري بمساعيها النافعة والاخذ من معينها العذب الرطيب .. ومع ذلك فلفظ الكتاب ليس بحاجة الى التنبيه والافراء ، فالدكتور الاهواني استاذ جامعي متخصص في الادب الاندلسي ، وله علم واسع في الزجل ، ويعتونه النقدية ودراساته الاندلسية في فني عن التنبؤة باصالتها ودفنها، وكتابه « ابن سناء الملك » يشكل حلقة في سلسلة بعونه الادبية التي ما زال يفرح بها على الناس - على فنيها - فالعبرة ليست بعدة الكثرة الكارئة من الكتب التي لا فني عن شيء ، وانما العبرة كالعبرة ، بالجودة والاصالة وروعة الاكتشاف ..

ومن المعروف ان ابن سناء الملك ، قد نسج موشعانه على نحو ما فعل الاندلسيون ، وكتابه « دار الطراز » حجة في هذا الباب ، ولكن المؤلف اختار لبحثه القيم هذا سبيلا اعم واوسع من مسألة الموشعات ، وانصبت دراسته على مشكلة معقدة لا زالت تتردد اصداؤها بين جنبات النقد ، تلك هي مشكلة العلم والابتكار في الشعر ، فاجبت عن مصادر العلم في الشعر العربي تسديني عملية استقرائية تحترق بواعث الانحراف والاسباب الخفا التي وقع فيها الشعراء ، واختار المؤلف في بحثه عن القيم الشعرية عمرا من ازهى عصور السيادة العربية الاسلامية ، عمر الايوبيين في القرن السادس الهجري ..

ولم يكن ابن سناء الملك هو المقصود بالدراسة فحسب ولكن اختياره كنموذج للأسلاف والعلم يتسحب على سائر الشعراء الذين مشاؤوا في تلك الفترة امثال القاضي الفاضل وابن مطروح والبهاء وغيرهم ..

على ان هذه الملاحظات التي اخذها على الكتاب لم تقل أبدا من استمتاعنا به ونائري ، ولهذا فاني ارجو ان نتاح فرائده لكبير عدد من الشباب والشيوخ .

القاهرة
عبد العزيز الدموقي

رياح الشاطيء الآخر

مجموعة قصصية - تأليف السيدة نورا نوبهس حلواني-١٤٩ صفحة
منشورات مجلة دنيا المرأة في بيروت - ؟ الطبعة

نما ادب اللغة العربية الحديثة في السنوات الأخيرة نموا ملحوظا ، حتى غدا اخصب فنون الادب واكثرها روجا ، وهذه ظاهرة ينسقي نابولها من الناحية النفسية والاجتماعية ، ولا امكن ان في ميل الانسان للقصصية اقربا في مزاجه منذ الصغر ، لكن الشمس وجهة ثابتة في قبول الانبياء التي من هذا القبيل حين اجد تجارب البنتين خافضة في عالم القصة دون غيره ، ولم تكن بواكيرهم في المقالة والدراسة الادبية إلا فليلا ، ولعل امز القصة هان على المستعجلين فعدهو سهل المراس قريب التناول ولم يحسبوا حسابا لما يتطلب من ثقافة الفكر والحياة ومعرفة التعبير .

ولما فرأت هذه المجموعة القصصية « رياح الشاطيء الآخر » وفارنتها بغيرها وجد صاحبها متعسرة فتنها وتجاربها ، وقد جعلت القلم في الصحافة والادب سنين طويلا ، واووبت الموهبة عن اصالة في الاداء وان سمعت مجموعتها محاولة في اضافة لينة جديدة في بناء الادب الحديث الذي يتكامل بتناج الجنين .
والقصة في حياة الادبية نورا نوبهس حسي النقي من امثالها وسرى في دما وعروفا ، فابتكت على صفتها واعداها بطريقها التي اختارها وغذتها بذوقها وخصائص تفكيرها وتصويرها ، وقد سميت السيدة نورا على عادة اكثر القصصيين مجموعتها الاولى « رياح الشاطيء الآخر » باسم القصة الأخيرة فيها ، وهذه الرياح كانت تهب على الشطوط اللاتينية من الديار الامريكية حيث يتكلم السكان اللغة الاسبانية التي اجادها الكاتبة القصصية اذ افق لها ان تكون مع زوجها من الفترتين في هايك الربوع .

على اني لا ادري لماذا اصرت السيدة نورا نوبهس على ان تسمي نتاجها هذا أدبا سنويا وهي التي جعلت هدفها فيه الوجد الانساني لا الطابع القومي أو الاقليمي ، فان نقاوت النظرة عند الوجود والمرأة نحو طبيعة الحياة والاشياء لا يدعو الى التفريق بين نتاج كل منهما ، فالادب واحد يتناول قضايا كل منهما بحسب ثقافته وموهبته ولا يطبع بطابع الازمنة أو الرجولة .

وهذه المجموعة يمكن ان تكون امثالها من صنع قصصيين فيما تناولت من شؤون الدنيا والتجمع وبعض المشكلات التي تعاني منها النساء . وقد فالت السيدة نورا في مقدمة كتابها : المرأة القاصه كارجل القاص على لاري بين قيمه النتاج كل منهما الا من حيث الاختلاف الفردي بينهما ، ومما لهذا الحس الفردي عند الانثى من اندفاع اقوي ، لان تنحس منافع الخير والشر في الانسان ولا تنامس بكيانها حنايا هذا الغاوق العجيب « غير ان المجال في هذا المجال الوجيز لا يتسع لنقاشه هذا الرأي ، فلننفي في الحديث عن هذه المجموعة التي تتميز حوادنها بصورها بالوضوح ، والوضوح اجابتا مرآة الفكر والشعور على الكاتب، وقد ابتعت افراده ، باليسر أو اللق سيجته فلما هو متفكك ، ولم يكن وافا لنمذ الامر ولم يكتب على سيجته فلما هو متفكك ، ولكنه تجاوى عن التعمق التعبير القصصي للسيدة نورا غامضا ولا تابيا ، لكنه تجاوى عن التعمق

هؤلاء جميعا قد شغلوا بالزخرف اللفظي والتوليد العقلي العقيم وان الصلة كانت تنقطع ما بينهم وبين حياة الجماهير والمجتمع الكبير. فإذا عابنا هذا الضعف كما يقول المؤلف فلا نستطيع ان نقره بانهم عاشوا في عصر غليم خامل قاصيهم ما اصاب اهل عصرهم جميعا وانما ينبغي ان نلتصم بضعفهم سببا او اسبابا اخرى، ولكي نستوي الدراسة بين هذا الناقد، فقد اخار منها احسبه جديدا في النظر والتحليل، هذا المنهج يمتد تماما عن رؤية الفنان من خلال المتكاسبات العصر والبيئة. ولقد نمودنا في دراسائنا الادبية ان ندرس الادباء واعمالهم الادبية بموازين نقدية، نعمتد الاسرة والبيئة والسياسة لدراسة ووضع الاحكام، ولكن المؤلف كما يقول في تقديم الكتاب، ان هذا المنهج سليم اذا استقام الفرض الذي بني عليه وهو لا يستقيم الا في حالات نادرة وعند شعراء لالال في تاريخ الادب العربي، اما شعراء القرن السادس الهجري واما شاعر كابن سناء الملك بالذات فلن تكون للدراسة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بل ولن تكون دراسة اسره او دراسة حياته الشخصية ذات اثر كبير في فهم شعره.. ذلك لان هؤلاء الشعراء كانوا يتصلون بين شعرهم وحياتهم العامة والخاصة، لانهم عاشوا في دواوين السلف العربي القديم اكثر مما عاشوا في بيئاتهم المعاصرة..

وفي ظني ان نهج المؤلف سليم ولا يعيبه الا هذا التشدد والتصفد احيانا في تطبيق عملية العزل بين الشاعر والبيئة عزلا بحيث ابن سناء شاعرا لا ينطق عن مشاعر صادقة ولا يهزه احساس عاطفي ولا يرتبط بآية وشيجة وان كانت واهية باحوال عصره وتواضع نفسه.. لذلك لا نعبأ اذا رأينا المؤلف لا يتحسس شيئا من عاطفة لابن سناء، ولا يستحسن الا قصيدة واحدة وابيات معدودة هنا وهناك فاقى بها وعاد الشاعر العاطفي ولهبت يدا دون رؤية ناعسة وحسني متوجه..

غير ان المنهج يبالغ القافية كل الفانية حين يتصدى للشكالات البلاغية واللفظية فيتنبه الى حكم نافذ لقضايا الادباج الفلوي والماكافطور مفهوم الشعر بين الالاس واليوم، متحررا المفاهيم التي جعلت من الشعر العربي في تلك الاونة عقيما وحصيله عقلية جارية، ذلك «ان قراءة ديوان ابن سناء الملك تثبت بما لا محل فيه لشك ان جهد الشاعر كان متصرفا الى هذا التذلل العقلي حتى في امس الاقنوعات لاقتلصال العاطفي»، فالشاعر لا ينسى انه ينبغي ان يسميهم طبقة (الفهلاء) ولكي يرفس اذواق النخاة والبلافة واللفقه لشعره الامر الى اقام مسائل النحو واصطلاحات العلوم الفقهية في افهامه.

وينظر المؤلف في الفصل الثاني الى ذكر التجديد والابتكار حسب مفهوم ابن سناء ويتناول قضايا اخرى كالتعليل البلاغي والمعنى الجديد والمفارقات والمقابلات العقلية ونحوها مستعينا بذلك - وفق النظر التي انتهجها - بالتواضع والجزيليات لتدليل على نوع الابتكارات والمعاني التي اضافها ابن سناء، فاذا هذه المعاني لا تعدو ان تكون سادوا وغاوا وبسياس في القديم وحسبنا ان نشير الى قول استاذة القاصي الفاضل عن سبب انصراف معاصريه عن شعر ابن سناء هو «تصور الافهام وتقصير الالام» وكان الحق ان يقول ان تصور هؤلاء وتقصيرهم نتيجة لافراط هذا وغلوه كما ذهب المؤلف..

وبيلي ان نذكر الفصل الثالث والاخر من الكتاب الذي يتناول فيه المؤلف دراسة الموشحات عند ابن سناء، وفي هذا يضيف التلاخيص الفلسفية اخرى تتصل بمشكلة الابتكار التي درسها في فصاله التقليدية.. فهنا نجد الشاعر قد اطلع بالابتكار لانه راي في الموشحات لونا من الالوان التجديد ونزعة من نزعات الابتكار ولكن الاصول الفنية والمعنوية التي رجع اليها الشاعر حين كان ينظم فصاله هي التي رجع اليها في نظم موشحاته وبذلك كانت ابتكاراته في الشعر مرتبطة بالمعنى وفي الموشح بالشكل..

لقد كان يودي ان استرشد في ذكر الامثلة والنماذج التي ساقها

المؤلف ممززا بها نهجه المنفذ الذي لولا ان صفحات النقد والتعريف لا تحتمل التوسع والاستطراد، وحسبي انني اعطيت صورة الحرف للوضوح وادل على قيمة الكتاب ونفاسته، لانه يمس قضية ادبية ما زالت ترداد عفا واسعا، كما يتضمن دعوة ملحة لتأصيل الاصول وتعميد القواعد النقدية السليمة التي تنظر اليها.

البصرة عبد الرحمن علي

لن نقرع الاجراس

تأليف ارنست همنجواي - ترجمة خيري حماد - ٢٠٠٠ صفحة ؟ الطبعة هذه النهضة التي يعيشها العالم العربي اليوم لا تكتفي بان تجدد فكرها بالكتابة والتأليف، ولا تفك عند حد بحث واهية الفكر العربي في امهات تنبيه وذخايره، ولكنها تآخذ خطأ واضحا في مجال الترجمة، هذا الخط الواضح في حاجة الى مفاهيم وقيم مستقرة ترجمون اولاً والا فان ازمة الترجمة منذ الثلاثينات منتزعة مستمرة تعمل عملها وتعمل عملها في تحويل شخصيتها العربية او تضييعها او تدمير مقوماتها ذلك اننا في حاجة كبرى الى الترجمة، فنحن نؤمن بالنهضة القائمة على فتح التوافد ونقل الثقافات المختلفة، والفنون الفكرية المتجددة، ونحن حين نؤمن بشخصيتها العربية القائمة على اساس من مقوماتنا وقيمنا وارتنا وفكرنا ذي الطابع الواضح، لا نحب ان نجهد، ولا ان نفك، وانما نؤمن بالتطور، والتمايز للفكر الانساني مشاركين فيه، متفاعلين معه، ومن هنا كانت اهمية الترجمة في هذه المرحلة من حياتنا الفكرية الجديدة، ومن هنا كان هذا التطلع الى الترجمة المؤمنين بامتهم وفيها اولاً، ثم المؤمنين بامانة الترجمة ومقومات الفن نفسه، وودي القصد على الفهم والتسليم والتجارب مع الكتاب الترجمة لمواظفة نفسها، وتقصير الحجب موضع الترجمة.

لذلك كان لا بد ان نلقت بشدة الى مترجم جديد نزل مسيدان للترجمة بنزخية افواه فوام، ولكنه برز فيه على نحو مذهل، انار حوله الشائعات والتهم - لكثرة انتاجه - بانه برأس لجنة من المترجمين يقدمون له الترجمات والسلخ، ثم يضع عليها اسمه، وقد كذبت هذا القول «التجربة» حيث تقرا له اي عمل من اعماله فتجد اسلوبه يسود الكتاب كله، وروحه واضحه في كل سطر، وربما جاء هذا الاهتمام نتيجة لكثرة الانتاج، فقد استطاع «خيري حماد» ان يصدر سبعين كتابا حتى نهاية عام ١٩٦٢ وهو عمل كبير يربو على اكثر من ٢٠٠٠ صفحة، غير ان من يقابل براس حماد ويرى مثانة بنيانه الجسدي وشبابه وزخيمته الوضوح في ملامحه، واهماته الالام العربية وفيها، لا بدعش.. فهو الرجل القلوم عن الشهوات الذي يعيش ايامه والياليه لفته الذي احبه، والذي يحيل ساعات ليله سهرا متصلا في العمل بين فقهونه وسجاراته ومعدته..

ولقد جاء «خيري حماد» ليحثل مكانا كان شافرا حقا بعد وفاة مترجمين من ابرز اعلام الترجمة عندهما : «محمد بدران وعادل زعتر»، وقد تركا في ميدان الترجمة من الانجليزية والفرنسية اثارا ضخمة، ومن قبل سبقهما «المازني» وكان مجاله في ترجمة القاص والبرقيات السياسية، ومن قبله محمد السباني ومحمد مسعود وحافظ عوض وفتحي زغلول هؤلاء جميعا من اعلام الترجمة في الادب العربي المعاصر، غير ان مترجما «خيري حماد» ربما اختلف من هؤلاء ولعل سر نجاحه وحيويته وقدرته الباهرة في الاداء والفهم وامتصاص روح المترجم له، انما يرجع في الحق الى ذخيرة ضخمة من التجربة وتحصيله كبيرة من الفقه العملية، فهو رجل امضى اكثر من ربع قرن في مجال الصحافة، قطع فيها مراحل ضخمة من القراءة والاستيعاب والترجمة

والكتابة فمن ذهنه ومن أسلوبه واستطاع ان يضع النصوص المسيحية في القوالب العربية المناسبة بما يحقق الاختلاف بروح المؤلف وإيمان المعنى في بساطة ويسر إلى القاري كما اعطته اهمية تلك القدرة المتصلة ، واليقظة الدائمة ..

وكان خيرى حماد قد استهل حياته بالعمل الصحفي في جريدة «الاستقلال» في ايلول عام ١٩٢٩ ، وهي صحيفة الوطنية الصادقة فاضى لها على طريقتيه مؤمنا صادق الإيمان ، متحمسا ، متدافعا ، يكتب مقالاتا فيسقط وزارة ، ويتحدى الظروف فيكتب الجريدة كلها ، بعد ان تخلى عنه زملاؤه فيها ، ثم يلجأ بحس الجاهل حتى يرتفع اليه ٦٠٠ نسخة الى ثلاثة عشر الفا .. وعاش خيرى حماد في العراق سنة ١٩٤١ وشارك فيها بقلبه ، وسجن خيرى حماد من اجل حريته راية مرة ومرة ، وعاد الى بلده فلسطين ، ليحرر جريدة «الدفاع» ويصدر برديته «المستقبل» ثم «الوحدة» وتلمسي الأيام ، وهو بقرأ ويتابع ويعيش الأحداث السياسية للوطن العربي ، ويتحول خيرى حماد من فلسطين الى دمشق ، ليلبد مرحلة جديدة من حياته الفكرية: هي «مرحلة الترجمة» التي بدأها في حذر وقلق وتطلع ، ووجد متابع القلم ليدان جديد ، وكرس جهده للعمل الذي أوصل فيه رصير .. وظفر ، فقد كان إيمانه بنفسه وعمله ، يدفعه الى ان يقدم شيئا ضخما ، وجاءت الفرصة تلو الفرصة ، متتابعة ليبرز وبحقوقاته وكانت مطالع شهرته في ترجمة «مذكرات آين» التي رفض النشأ ان يضع اسمه على غلافها ، ثم «مذكرات تشرشل» ثم كان كتابه الذي طبع عشرات المرات «الطريق الى السويس» ونال ترجماته في ثلاثة ميادين : فهايا الوطن العربي وكتب السياسة العامة ، وترجمت الأدب ، وفي مقدمتها قصة همنجواي الخالدة التي احبزت بها جائزة نوبل «لن تفرح الاجراس» وهي التي بين ايدينا اليوم ، ولقد اقدم خيرى حماد على ترجمة هذه القصة هيويا مترددا ، فقد كانت تجربة جديدة له ، لما فيها من الاقدام على «تعريب» فهو يفضل هذه العبارة عن عبارة «ترجمة» ، وهمنجواي شيخ كتاب القصة في العصر الحديث ، وقصته حازت الجائزة ..

ومع ذلك فقد اقدم ونجح ، شأنه دائما ، كان في تقديمه بالمال ان التعريب الصحيح يجب ان يصاحبه القصة الاسلية ، هي قوة أسلوبها ، ومثانة تسلسل الحوادث فيها وروعة حوارها وجزالة لفظها وبداعه تصويرها ، ودفعة الوصف الظاهر في كل اجزائها ، وفي هذا ما فيه من عبء ضخ ومهمة شاقة ، والا فقدت القصة الميزة من اصلها من ابداع خلق بها الى الابد ، ويمكن واصفها من الفوز بجائزة نوبل ..

يقول خيرى حماد «ولبنت التحدي ولبنت على القصة الطويلة الزائلة انقلها الى العربية ، فاشعر عند نقلها بما يحس به كل من يقدم على عمل كبير من الدقة ومثمة ، ورحلت اقصى في هذا الجحرايم الواسع من الفن القصصي الرائع اوحى الدقة في التعبير عند نقله الى العربية واستهدف اعطاء الصورة الكاملة التي رسمها المؤلف الفنان بريشته الفذة ..»

وتصور قصة «لن تدق الاجراس» الحرب الاهلية الاسبانية، وترسم خطوط التضال بين الفاشية والتشيوعية وبين الدكتاتورية والجمهورية. والخيير حماد مذهب واضح في الترجمة فهو يؤمن «اننا في مرحلتنا الحاضرة في حاجة الى النقل ، لاننا نحاول ان نغطي في الماد الواحد ما قلناه غريزا في عشرات السنين ، وهذا لا يتوافق لنا الا اذا حشدنا كل النتاج الفكري عند الامم المتحضرة» وعنده اننا يجب ان نسدس ونترجم :

اولا : كل ما يتعلق بالوطن العربي ، ونعطي احيانا صورة لا يقال عشا ، وما يكثر به الغرب في مشاكنتا ، احانا هذا يحتاج الى الرد والتعليق لانه مهما بلغ الكاتب الغربي من الانصاف فانه يظل عاجزا عن فهم كثير من امورنا ، بفاس الى هذا انه لا يستطيع ان يتحور كسل

التحور من عواطفه الشخصية والقومية ، حتى ولو توخى الموضوعية .
ثانيا : الفكر السياسي العالمي ، ممثلا في امهات الكتب السياسية العالمية ففي هذه المرحلة الثورية نجدنا في اشد الحاجة الى الاهتمام بالنواحي الاقتصادية .

وبرى خيرى حماد ان «الامانة» هي العنصر الاساسي في التعريب والترجمة وعلى العرب ان يكون صادقا لكل الصدق في نقل اراء المؤلفين الى اللغة التي يترجم اليها والا كان الانتاج الجديد مختلفا كل الاختلاف عن الانتاج الاساسي وليس محقق للغاية الروجة .

وتستل الامانة في النقل الى ناحية الكفاءة والقدرة على فهم ما اراده المؤلف تماما في العرب ، ولعل مسؤولية الترجمة الاسلية تكون في ان يحكم على نفسه في ضوء قدرته على تعريب الكتاب ايا الموضوع الذي اخذ على عاتقه القيام به ، فاذا ما تحقق من هذه القدرة توجب عليه انذاك الامانة في النقل ليحقق الغاية الاساسية من ترجمته لذلك الكتاب .

وعنده ان حركة التعريب قد اسهمت اسهاما كبيرا في دفع عجلة الادب العربي الى الامام وتقدمته وبمختلف الصور والرياءات ، فاذا فدرا ان بعض ادبائنا لا يلمون باكثر من انتاج لفهم ، وان بعضهم لا يعرف اكثر من لغة واحدة ، اعترفنا بدون مكابرة بان مائدة الفكر لا تزال عندنا هزيلة وادركنا مدى حاجتنا الى الترجمة .

ويؤمن خيرى حماد بان اللغة العربية لغة غنية جدا ، وان في الامكان العثور على مصطلحات عربية ثرية تقابل المعنى في اللغة الانجليزية المترجم منها ، وانه في الامكان عند عدم وجود معنى كامل لها ان يعرب نفس الاصطلاح ، ومع كثرة الاستعمال يصبح هذا اللفظ مستقفا ، مثلا كلمة «تكنولوجيا» استخدمت لكلمة «التقنية» وهي كلمة عربية او كلمة «سترايجي» يمكن استعمال كلمة (سوقية) مقابلها وبريحتي بنسبتها للقاري .

وحسب استطاع ان يستكشف شخصية خيرى حماد يجب علينا ان نعرف جوانبه الثلاثة :مخرجها ومؤلفها ومعلقا ، وعلينا ان لا ننسى خيرى حماد الاديب الى جانب خيرى حماد المترجم والصحفي .. فهداه هي «عويشة الاولى» «عويشة الادب ودراساته» ، فقد استهل حياته الفكرية بدراسة عن شكسبير نشرتها مجلة الرسالة في اوج مجدها القديم عام ١٩٣٦ تحت عنوان «الكائنات القبيية في شعر شكسبير» ثم كتب سلسلة اخرى عن توماس كارليل وفلسفته . وهذا سر نجاحه في ترجمة همنجواي . وله ترجمات ادبية اخرى عن اوسكار وايلد «امراة غير ذات قيمة» والبير كامى «الشفى واللكون» وليناكوف «الانسان الفائع» وكولون وليسون «عمر الهزيمة» وباسترناك «شجاعة العبقري» .

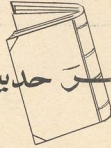
وفي مجال التاليف له سلسلة الكتب التي اصدر منها مجلدان وهي «اعمة الاستعمار البريطانية السبعة» ، تضم سبعة من اعلام الاستعمار هم : فيلبي ، لورنس ، برسي كوكس ، جرتروود بل ، وروناuld ستونس وسبيرز وجلوب ..

ومن اماله ترجمه دائرة المعارف العالية مع تعريبها لتلائم ثقافتنا . وله مؤلفات النجمة «قضايانا في الامم المتحدة» الذي يقع في ١٠٠ صفحة علاج فيها القضايا العربية التي عرست على الامم المتحدة بصفة عامة والقضايا الرئيسية الثلاث (دورة ١٩٦١) فلسطين والجزائر وعمان .

وهدفه في التاليف سياسي واضح يضع فيه خلاصة خبرته الصحفية والسياسية الطويلة ، فهو يعمد الى تصحيح ما يكتب في تاريخ العرب الحديث ، ويصنف ان هذا التاريخ قد شوه لعدة اسباب من سيطرة بعض الاسر ذات النفوذ .

وهو لا يفت في الترجمة احيانا عند حد التعريب ، وانما بشرح في الهوامش ويصحح ويحقق وان كان لا يمنعه اختلافه مع المؤلف في الرأي

ظهر حديشا



● النشاط الثقافي والتعليم الخلاق - تأليف هيلين فيشر دارو وفان
البن - ترجمة الدكتور مصطفى فهمي والدكتور نجيب سكندر - مراجعة
الدكتور يوسف صلاح الدين قطب - تقديم محمد السيد روحه - ٢٥٦
صفحة - منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة - مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● دور الثقافة في أعداد المديرين - تحرير روبرت جولدوين وتشارلز
نلسون - ترجمة أبراهيم علي البرلسي - مراجعة وتقديم الدكتور محمد
توفيق رمزي - مصمم الغلاف السيد محمود اسماعيل - ٢٥٢ صفحة -
منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة - (لم يذكر اسم المطبعة) .
تنظيم العلاقات الدراسية والتدريبية - تحرير جمعية تعليم الكبار
الامريكية - ترجمة الدكتور رشدي فام منصور - مراجعة وتقديم الدكتور
محمد عماد الدين اسماعيل - ١٠٠ صفحة - منشورات دار القلم
بالقاهرة - مطابع دار القلم بالقاهرة .

● مواجهة الطفل للالزمات - تأليف جورج مهر - ترجمة الدكتور محمد
خليفة بركات - اشراف وتقديم ومراجعة الدكتور عبد العزيز اللويسي
١١٢ صفحة - منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة - مطبعة
مصر (؟)

من ينقل فكرته بامانة وصديق .
وقد غني كثيرا بوجانب لم يطرأها المترجمون كثيرا ، غني بمكافئ
وحياته ومطارداته وترجم لبرتاند رسل واهتم اهتماما كبيرا بافريقيا
وحوار مع نهرو ووجه همه الى الجزائر وصحرائها وترجم عن اليمن
والعراق ، ومرتضى ، والمانيا الهنترية . ومن الكتب التي ترجمها وعلق
عليها : الفتوحات الاسلامية لجلوب ، والجواب القومية والوطنية ،
واهتمامات المترجم بالوطن العربي ومعاركه مع الاستعمار واضع وضوحا
كثيرا ، واعتقد انه يمثل الجزء الاكبر من انتاجه ، وذلك في حدود
قيدته وابانه براءة الترجمة لما يكتب عن الوطن العربي وهو بهذا
الانجاء يكمل رسالته الاولى ، رسالته الصحفية حين عمل في العراق
وفي فلسطين ، وقامو الاستعمار وسجن من اجل ايمانه وفكره ، وكانت
جريدة « الوحدة » لسان حال الحركة الوطنية في فلسطين .
جريدته التي حررها « الاستقلال » جريدة الوطنية في العراق وكانت
جريدة « الوحدة » لسان حال الحركة الوطنية في فلسطين . وفيهما
كتب الوف القاصلات في اتجاه الحرية والوحدة وكانت ففسية
فلسطين في الامة الاولى .

ومما يسجل لخيري حماد انه لم يجمع بين الترجمة حين بداها منذ
خمس سنوات وبين عمل آخر ، كما جمع الكازني ومسمودوحافظ عوفي،
وان كانوا جميعا لم يفلحوا حظه من التقدير الايدي ، وتلك ميزته انه
يتفرغ لفنه نلغرا كاملا ، فلا يشغل نفسه بالعمل الصحفي ويجد من
جناحه الطل على النيل مواجها الجزيرة والشمس والقلم ، ما يمهده
بالقوة على العمل المتصل ويهيئه للانتاج الضخم .

أنور الجندي

● العلماء وادانهم - تأليف برت موريس باركر - ترجمة الدكتور
مصطفى بدران - ٢٦ صفحة - مسود - منشورات دار المعارف بالقاهرة
- مطابع دار المعارف بالقاهرة .

● حياة حسين جود مسعود - كندا - غني بجمعه وتأليفه محمد سعيد
مسعود - غني بتقنيته عبد الله بري - ١٧٥ صفحة باللغة العربية -
و ٦٦ صفحة باللغة الانجليزية - صدر في كندا (لم يذكر اسم المطبعة) .
● المعاد الفاصلة في التاريخ : عرض للمعقريات العسكرية والخط
الحربية مدمم بالخرائط والرسوم - تأليف حنا خباز - ١٩٢ صفحة -
حجم كبير - منشورات دار الكتاب العربي ببيروت ومكتبة النهضة
ببغداد - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الادارة العامة ، المبادئ والنظريات - تأليف الدكتور سيد محمود
الهوراي اسناد الادارة العامة بجامعة بيروت العربية - ٢٢٦ صفحة -
حجم كبير - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ابو الحسن العصري الفيرواني - تأليف محمد المرزوقي والجبلياني
بن الحاج يحيى - ٥٢٤ صفحة - حجم كبير - منشورات مكتبة المنار
بنوتس - مطبعة المنار بنوتس .

● ايليا ابو ماضي ، دراسة تحليلية - تأليف جعفر الطيار الكتاني
استاذ مساعد بجامعة الرباط - ٢١٦ صفحة - منشورات مكتبة
التجاني بالقاهرة ومكتبة الرشاد بالدار البيضاء وفاس - مطبعة
النسبة المحددة (؟)

● سوانح حسين - تأليف فؤاد الغوري نقيب المحامين ووزير العدل
سابقا في لبنان - تقديم فليپ نقلا - ٥٠ صفحة - حجم كبير -
صدر في بيروت (لم يذكر اسم المطبعة) .

● التربية الاجتماعية في المرحلة الابتدائية - المحاضرات التي أقيمت
في المؤتمر التربوي الذي عقد برعاية وزارة التربية والتعليم الاردنية
بالتعاون مع قسم التعليم في الوكالة الامريكية للتنمية الدولية في
الاردن - ٩٢ صفحة - منشورات مجلة « رسالة المعلم » في عمان -
(لم يذكر اسم المطبعة) .

● مكتوب سويل شحدث الى الامهات - تأليف بنجامين سيول - ترجمة
عائدة ابيادو وسعيد الجبلاوي - تقديم الدكتور مصطفى الدبواني -
مصمم الغلاف محمد اسماعيل صالح - ٢٠ صفحة - حجم كبير -
منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة - المطبعة العالمية بالقاهرة .
● نقوب النعمة - ٢٠٨ صفحة - منشورات مجلة النعمة بدمشق -
(لم يذكر اسم المطبعة) .

● السائح والترجمان - مسرحية - تأليف توفيق يوسف عواد -
الغلاف واللوحات بريشة رضوان الشهاب - ١٦٨ صفحة - حجم كبير -
منشورات دار المكشوف ببيروت - مطبعة الغرب ببيروت .
● الطبع والعراق - تأليف علي التترفي - ١٧٢ صفحة - مطابع شركة
الطبع والنشر الاهلية ببغداد .

● كتاب الفلوات والفرق - تصنيف سعد بن عبد الله ابي خلف
الاسمرعي القتي - عن نسخة خطية وحيدة - صححه وقدم له وعلق عليه
الدكتور محمد جواد مشكور الاستاذ في دار المعلمين العليا بطهران - ٢٨٠
صفحة - حجم كبير - منشورات مؤسسة مطبوعات عطائي بطهران -
مطبعة حيدري بطهران .

● فواد الزمان - رواية تيشيلية - تأليف امين الريحاني - ٦٤ صفحات
منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
● اللهب الكافر - شعر - محمود سليم الحوت - مصمم الغلاف سعد
الجرجاني - ٢١٦ صفحة - منشورات دار الكتاب العربي ببيروت -
مطابع دار الكتب (؟)

● تجربة الشيوعية في الصين - مشاعرة ودراسة - تأليف محمود
الدره - ٢٠ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكتاب العربي
ببيروت ودار الكفاح ببيروت .



ذكاء الاجيال الجديدة

اعتقد ان كثيرا من الخطأ في التفكير يقع من الظن بسان (العقل) عمل روحاني غريب عن قواعد الحياة المألوفة بعيد عن روابطها . وسر هذا الظن هو حساب العقل عملا مستقلا عن الجسم ، او كالمستقل ، او ذا صفة خاصة لا تشبه صفات الجسم الاخرى .

فمن المعلوم ان في جسم الانسان معدة وهضميا مثلا ، كما ان فيه رئة وتنفسا ، وقلبا ودورة دموية ، وغير ذلك من الاعمال والوظائف التي تقوم بها اعضاء معروفة في الجسم . ولكننا كثيرا ما نخطئ فلا نجد بالطريقة نفسها دماغا وعقلا مترابطين . فالقول بان الهضم من عمل المعدة والنفس من عمل الرئة لا يبعث غموضا ولا يثير تساؤلا ، ولكن القول بان العقل من عمل الدماغ يثير التساؤل والاستغراب حيناً ، بل الريبة والاتهام حيناً آخر .

والحقيقة البسيطة هي ان الدماغ عضو في الجسم يتألف من اجزاء ويقوم بوظائف ، وهذه الوظائف وان كانت معقدة ، الا انها لا تختلف في جوهرها عما يوازيها من وظائف العضل والعظام والدم . والناس يدركون في سهولة ويسر ان الجسم اذا تغذى بالغذاء تغذى العضل والعصب والدم جميعا ، ولكنهم لا يستطيعون مثل ذلك حين يأتي دور الدماغ والعقل . ومع ان « العقل السليم في الجسم السليم » قول شائع لكن معناه غير مستقر في افهامهم . لذا نجد بعضهم يجب ان يعكس ليقول « الجسم السليم في العقل السليم » .

والذي يدفني الى البحث في هذه النظرة ، التي تبنت لعلماء منذ زمن ، ما ورد في هذه المجلة الفراء منذ عهد قريب بانه « يزداد تأكيد الاطباء والمربين والوالدين باصابة تلاميذ المدارس بضعف الحافظة وقلة تركيز الفكر يوما بعد يوم » ، ولذا اخذوا يبحثون عن وسائل لشحذ الذكاء وتقوية الحافظة .

وفي سبيل هذا الاهتمام اعتقد بخطر الفكرة التي اخصها للقارئ الكريم ههنا ، فانها فارق بين فلسفة واخرى - فلسفة روحانية غامضة واخرى واقعية واضحة ، انها فارق ما بين التفكير الروحاني الذي يجمع العمل والفكر والاستنباط جميعا وليدة الوحي يهبط على الدماغ من الخارج ، والتفكير الذي يجعل هذه الوسائل الهامة وليدة العلم والمران والتدريب . الجسم ينهض بوظائفه فينهض الدماغ بوظائفه كذلك ، فيفكر ويتذكر ويخترع والجسم السليم يولد الدماغ السليم ثم الفكر السليم . انا موجود اذن انا افكر ، على العكس مما كان يعتقد به ديكارت - « انا افكر اذن انا موجود »

عندئذ يهون بعض الشيء ما حدثتنا منه هذه المجلة الراقية من تعرض الذاكرة البشرية للذهاب . ان طاقة الذاكرة اذن محدودة ، كما ان طاقة اية عضلة على حمل الاثقال محدودة . ومع ان الدماغ ذو طاقة كبيرة ، اذا ماس قيس بطاقات اعضاء الجسم الاخرى ، فان هذه الطاقة تظل محدودة ، وما حدثت منه « الاديبي » قد وقع فعلا للاجيال الحديثة « الصاعدة » ، ومنها الاجيال العربية . فتوزع جهود الناشئة على الفسح والسميعة من العلوم وعلى الضحك والعميق من الفكر وعلى الموزع والمنظم من المبادئ هو الذي يخلط في عقول الناشئة ما هو ادنى بالذي هو خير ، ويصرفها الى الضحولة والسرعة والخطر والهوان .

اما هل الذكاء البشري يتدنى الان ، وما هو الاسلوب الذي يجب ان يتبع في حصر الجهد على الناشئة بالسليم من المبادئ والعميق من العلم والرشد من الفكر ، فاعل موضوعهما كلمة اخرى تقدمها بعد حين .

جناية التدريس على الادب

بقلم السيد شحانة

اما الادب فلا اريد ان استقصي الكثير من ضوابطه وشروحه ولكنني اقصر كلامي على ايسر تعاريفه : وهو الجيد من المنظوم والمنثور . فمن هو الاديب اذن ؟ هو الذي ينشئ في الادب من شعر ونثر جديدين . ومن الادب : ادب انشائي ذاتي ينشئه الاديب ويخلفه متاثرا بعاطفة أو بمنظر ، قصيدة لابي تمام في المدح ، أو لشوقي في وصف النيل مثلا أو قصة لليمور أو قطعة للمفلوطي أو خطبة لرقيم عظيم .

اما الثاني فهو الادب العام وليس ذاتيا ينبع من قراءة الاديب أو من وجدانه وتأثره ، بل هو موضوعي أي لا بد له من موضوع خارج عن قائله ومثل ذلك روايات المؤرخين ، وشروح القضاة وتقرير الحقائق العلمية في الجغرافية أو علوم الحياة أو غيرها .

فالاول ادب لذة ومنفعة ، والثاني ادب صناعة ومنفعة ، والمقصود بكلمتنا هذه (ادب الفن والجمال) الادب الانساني .

اما الثاني فهو بعض التدريس أو هو فن اصلي لا يستغني عن الخصائص التي تحتاج اليها صناعة التدريس من مقدمات وشروح واستنباط ... وغير ذلك والادب الانساني ينبعث من الاديب كما يتأرجح العطر من الزهرة ، أو كما تنثر من الباغرودة اليمامة أو كما ترف باطيب السمعات هادئات الرياح أو كما تنشق الشمس من فلق الصباح .

هذا هو الادب الذي يصدر عن الطبيعة الانسانية كما تصدر هذه المبدعات من الطبيعة غير الانسانية .

هذا هو اقصر تعريف للادب الذي اعنيه ، اما التدريس فلا اعرض لتعريفه لاننا نطرق ابوابه مرارا طول النهار . وهو يطرُق ابوابنا باعبائه وتكاليفه هزيعا من الليل .

والمدرس امام هذا الادب اما : ادب منتج أو مؤدب مؤنسه .

اما المدرس الاول وهو الاديب المنتج فهو ان كان في طبعه الادب وكان به الى صناعته ميل وطبع في المنظوم أو في المنثور فهو لا يكاد ينبعث الى التفريد بين خيالات اديه . وآداب المتمازين - لا يكاد يتفيا هذه الظلال حتى تخرسه عوامل اقوى من طبيعته تلم حديد استننه وتكرس من غرب عزيمته .

تلك العوامل أو الماعول الخصصا فيما يأتي :

قراءة المدرس تلك الكراسات الرديئة الاسلوب ، المفككة العبارات وانشغاله بها طول يومه ، وجزءا من ليله ، وكل

همه من اصلاحها ان يخرج اسلوبا يمضي على رجلين لا اسلوبا يختال او يعد في صميم الادب وبخضرتي في ذلك قول الاديب الاستاذ فريد شوكه :

والكراسيس يسا لها من دواء
كم الحث عليه كالعاصف الجارف من (سبته) ليوم الغميس
فقلت روحه الفتي واجرت معه في السداد قول الطروس
ومحنت نور عينه ، واصابت نظره في الشبَاب بالتقويس

ومعلمو الادب يقولون : اذا اردت ان تخرج في الادب ناقرا شوامخه ونماذجها ، وما بالك برجل يستغرق قراءته في تتبع آخس الاساليب واردا المخططات ؟ انها محنة التدريس التي تجتني على الادب الرفيع .

غرق المدرس في صناعته ومضى اول الليل يقسرا للمخلصات ومخلص المخلصات ، ثم راح يخطط ويترق ثم نام قرير العين هادئ البال لانه سيدعو في الصباح الى قتيته ليقدم لهم اعذب الالحن ، واشهى الثمرات .

وما طلع الصباح حتى اسرع المسكين الى درسه وهو مدل يعلمه شحيح بحقائقه الا في حلبة الدرس . ثم تجيء بعد قليل حلبة الدرس فاذا هو يفيض ويشرح ، ويقدم ويؤخر ويوزج ويطبق ، والجم الغفير من تلاميذه بين ناظر فاه ومستبصر بعينه ليرى في المدرس آراء شتى لا صلة لها بالاستاذ ولا بدرس الاستاذ ، كل من

التلميذ ههنا فتحركت نوازع شره او على الاقل نوازع انصرافه وغفلته . وقد اعجبني تصوير الاديب الاستاذ محمدا رجب البيومي اذ يقول :

نظرت الى التوسلي نظرة فاحصي
فازعجني هم الاديب المدرس
فقدت غلوا لا تسع بيانه
فيتر منه العزم بعد التحص
نمعد اقرى الدوق بين طباعهم
فصادف من افعالهم شر مفرس
فمال الى الاسفاف وهو جريمة
متى يدن منها صاحب الدوق يدنس
نعاجم ، والفصيح تصد لسانه
باعذب من شدو الطيور واسلس
ثم ماذا بعد هذا

اهذا المدرس الذي يستغرق التدريس كل وقته نطاليه بمتابعة التيارات الادبية ، وقراءة الكتب القديمة والحديثة . هذا الذي نطاليه ان يروي حوليات زهير ، وهاشميات الكميث وتقاض جريز واعتذاريات النابعة ومدائح حسان ، وسيفيات المنبي فوق رواية القرآن والسنة وخطب البلاء ، وكتابة المنشئين وان يعرف الادب الحديث وثمرات المطابع في عصرنا ، هذا العصر الزاخر الفني .

اذا طلبنا من المدرس كل هذا تكون قد جنيته عليه التدريس . او قد جنيته على التدريس . ما يحيط بالمدرس من عوامل كثيرة ، منها رتبة عمله ، وكثرة قيوده وما يسيطر على حالته النفسية من شعور بالتلفخ عن غيره او ما يزحمة من اعمال تلازم عمله ، أو حرصه على جر مغنم جديد يسد به خلل رزقه ويرى انه

* التي هذه الحاضرة الاستاذ السيد شحانة الغثى الاول - بسوارة التربية والتعليم بعصر في اجتماع ثقافي باليوم .

مهما بدل من الجهود فهي ضائعة ، تنعكس هذه الصورة على أعماله ، فيضيق بحياته ويصغر في عين نفسه وما اصدق استاذنا الشيخ محمد عبد المطلب اذ يقول :

بني مصر ما بال الصلح كاسفا
يرى الناس فيها يكرون ويصغر
سبيل التبيين الكرام سبيله
بسم به الدنيا صباحا فتمصر
سلوا عنه جنح الليل كم باتمتها
ننام حواليه الميوسن وتسهر
سلوا نعيمنا فرح السهد جفنا
يكد عليا في الظلام ويسهر
فان مد الدنيا يدا يستمدسها
لهم ، عنه ولت وهي غسبي تشور

والادب لا ينبت الا عن نفس مثربة متطلعة معترزة
بمكانتها لم تسفلها نوازع الحياة ، ولم يرنق صفوها كدر
العيش .

أما المدرس على أنه مؤدب مخرج فيكاد عمله يكون
ضئيل القيمة ، شائل الميزان .

فهو يقدم لتلاميذه موضوعات انشائية يشرحها ثم
يصححها ، وهو حتما يضيق بتلميذه اذا اطال في موضوعه ،
وعمله في التصحيح الى اثار فيه للتوجيه الصحيح
الذي ينتج الادب الرفيع . وفي ذلك يقول الاستاذ
محمود غنيم :

حنانيك اي قد برمت بفتية اروح واقصدو كل يوم الهم
صغار ، نربيهم بشل عقولهم ونبيهمو لكننا تهمد
وقليل من المدرسين يفسحون صدورهم الى تقبل
منظوم او منشور يعرضه عليهم لتلاميذهم ، وكثير من
التلاميذ ماتت مواهبهم لتضييق المدرسين عليهم فسي
هذه السبيل .

اما النشاط المدرسي - وهو الميدان الذي تظهر فيه
ملكات التلاميذ ، وتنطلق مهاراتهم وغرائزهم في الحاضرة
والمناظرة والتمثيل والصحافة والقراءة والحوار - فكل هذه
المجالات لا يزال حظ مدارسنا فيها قليلا جدا ، وكل من
اتصل بالمدارس يعرف مقدار الصعوبات التي تعترض امام
هذا النشاط وتوقعه ، ومثل هذا النشاط اما صوري
نافه واما حسن فيه تكلف وصنعة .

وكثير من المدرسين - في سبيل نجاحهم في عملهم -
يجتوئ على الادب جنابة كبرى بان يجعلوا اكبر همهم
مخطئا لا يمت الى الادب بصلة ، ولا يمكن ان يربي في
التلميذ ملكة ادبية ولاذكر امثلة على ذلك :

١ - نص المنهج الحالي على ان تدرس البلاغة في ظلال
النصوص الادبية . يقصد الشرع اي واضع المنهج بذلك
ان يستطيع التلميذ ان يسم رائحة الزهرة - وينتفع
بجمالها دون ان يمسها ، ولكن المدرس سامحه الله يابى
عند تدريس : « وليل كوج البحر ارحى سدوله » ...
يايى الا ان يقسم التشبيه الى مرسل ومؤكد ومقتض
ومجمل ، والاستعارة الى تصريحية وتبعية ، والكفاية الى
كنائية عن نسبة وغيرها والتلميذ جهاز استقبال غير أمين
ياخذ القشور وينأى عن اللباب .

ب - تقرر على تلاميذ كل صف من الابتدائي الى نهاية
صفوف الثانوي كتاب (ذو موضوع واحد) واسم هذا

الكتاب يوحي بفكرة ممتازة هي ان ننظر الى هذا الكتاب
على انه وحدة تدرس في ظلال فكرة الكاتب الرئيسية
وطرق علاجها ووجه الاجتزاء والاطناب والاستطراد
والتركيز في علاجها كما ثم نقدر كل حالة ونضع لها
العلاج . والمقصود من ذلك ان يكون هذا الكتاب ذو
الموضوع الواحد بناء جماليا تقف امامه على انه كل
وتتعارف على اسباب تقصه واسباب كماله وهذا هو من
مقومات التربية الجمالية لدى التلاميذ .

ولكن المدرس او التدريس (سامحهما الله) نايبا عن
كل ذلك .

١ - سموا الكتاب : الكتاب الاضافي
٢ - قسموه الى حوادث ووقائع وحلوله الى درس في
الجغرافيا او التاريخ .

٣ - ومنهم من اهمله او مر به عجلان برما .
لام تقف جنابة التدريس على الكتاب في الموضوع
الواحد بل تعدت الى درس النصوص والقراءة ، اذ لا يزال
معظم المدرسين يقصرون همهم على حفظ النص ، وحفظ
معاني مفرداته ، اما شرح الاساليب بلغة عالية ، واما
النظرة في جمال الادب وتقده فذلك قليل نادر وقد يظن
تاريخ الادب ايضا على النصوص كما طغت عليها قواعد
النحو والبلاغة .

وفي درس النحو قليلا ما يقدم التدريس الى التلاميذ
زادا مقبولا بل كل حظ تلاميذنا في درس النحو امثلة
لمفككة شجيرة حتى يقع في اذهانهم ان هذا الادب الاسن
لم يصنع الا قواعد النحو . اما الادب العالي فقد وضع
لاغراض اخرى . ولنتنقل الى لغة التدريس .
هي لغة غامضة او تزيد عليها قليلا . وعلى كل حال
لا صلة لها اصلا بالادب ، ولا بتربية الذوق السليم ، بل
انها اكبر هادم للادب اكبر معوق للذوق الجمالي ان
اصطنعها وتكلفها مدرس اللغة العربية هدمها وكسر
قواعدها مدرس الرياضة والعلوم . ولغة التدريس امرها
عجب . فهي تريد ان تفرض سلطانها على الادب بل تسخره
وتفرض عليه العلم ليسهل تناوله وحفظه . ورحم الله
ابن مالك حيث يقول :

بتا فعلت وانت ويسا الفصلي ونون اقبلن فعلنجلي
بالجر والتونيس والتندا وال وسند لئاس تميز حصل

ولم يكتف النحو بهذا الادب السخيف بل تعدى ذلك
الى سائر العلوم وفي ارجوزة لابن بن عبد الحميد اللاحقي :
فرمضان شهره معروف وصومه مقترى موضوع
وسرت عدوى الشعر الى اخواننا من مدرسي المواد
الاجتماعية فقالوا :

افريقيا يا عالما بحالي بعدنا بخر من الشمال
وتوجد الكتاب في الجنوب سيحان علام الفوب

نتنقل بعد ذلك الى ناحية اخرى وهي (اعداد المدرس)
الذي يقوم بالتدريس للمتدربين فيتضح لنا :

نخبة الوفود

حي باسم الاله عز وجللا وجه هذي الوفود اني تجلى
قسما بالذي يدل القرب من البعد وداوى من الجوى ما املا
بالذي الف القلوب على الحب فرقت نورا وبمنا وبملا
بالذي مهد اللقاء ببغداد فآسى جراحا والفق شملا
انه سادني لقاء عزيز هو اعالى من الحياة واحلى !..

يا لقاء الاحباب في ارض بغداد تباركت ملتقى ومحلا
جمع الله بين جنبيك من العرب كراما نبنا وفرعا واصلا
كلهم مشعل ينير لنا الدرب وركب به الهوى حيث حلا
وخطى ترتقي الى المجد حتى تتخطى المجد الرفيع المعلى

ان ركب الوفود للعلم للنور لوجي من العلى بات يملى
قد حططت الرحال في ربك اليوم فاهلا لقيت فينا وسهلا
قد فرشنا لك القلوب على الارض نسر فوقها اختيالا ودلا
وبدلنا فيك النفوس رخصات فيا عزه فداء وبذلا !..
وحفظناك في السواد من العين وانت السواد منها واغلى
ووددنا ان لو قمونا جملنا الحب ما بيننا سفيرا ومولى !..

يا كرام الوفود في الرحل بغداد عتقت العلى واذا وببلا
اننا كلنا على العهد ما زلنا وعهد الاحرار بالبر اولى
اننا كلنا على الحق اخوان اتخذناه كعبه ومصلى
من قديم يندنا النسب العالي وجدت لنا وشائج اعلى
وكفانا انا على الوحدة الكبرى وانا الابرار قولنا ونفعلا

بغداد

عائكة الخرجي

الخطة التي اعدت لتكوينهم . لقد وضعت عليه الخطية بحفظ القرآن وهو الذي كان يحفظه صبينا قبل الثانية عشرة وضمنت عليه بالمحفوظ من الشعر والنثر نحددته على الاكثر بمائتين من الايات .

ورحم الله الفرزدق حينما وفد به ابوه الى علي بن ابي طالب وقال له : هذا ابني يوشك ان يكون شاعرا مجيدا ، فقال : « اقرئه القرآن فهو خير له » .

ورحم الله ابا بكر الخوارزمي اذ قال له صاحب بسن عباد : « قد ازميت نفسي الا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب » . فقال

اما مدرس المرحلة الاولى فلا يستطيع باية حال من الاحوال ان ياخذ بيد وليده الى ظلال الادب ، وليست ثقافته ولا كفايته تؤهلانه لان يضع اللبنة الاولى في بناء صرح الادب ، ولا ان يغرس البذرة الصالحة لاجراخ طفل يحب الادب ويغرم به .

حقا ان رجال المرحلة الاولى كثيرا من الادباء ولكنهم غدوا في محيطهم قلة لا تذكر بعد ان اختلط الحابل بالنابل وجاء كل من هب ودب الى دائرة التدريس في المرحلة الاولى .

اما تلاميذ المرحلتين الاعدادية والثانوية فعفا الله عن

هنا نشأت فكرة التفرغ للادباء ، بتفرغون سنة او اكثر في سبيل الادب لينتجوا الانتاج الصحيح خالصة اوقاتهم للادب وتجزل لهم مرتبات تعينهم وتكفيهم . وبحلو لي ان اتحدث عن رجال اتخذوا تعليم الصبيان حرفة لهم ، ولكن ظروفهم ساعدتهم ففروا من هذا الميدان الضيق الى ساحة الادب الكبرى ، وهناك نبه ذكرهم وعلا صيتهم .

اكان يستطيع الحجاج ان يترك تلك الثروة البلاغية من خطبه ، وان يخلد اسمه في عباراته السائرة لو استمر في تعليم الصبية ولم تنهيه له الظروف التي جذبت الى مكانة خلدت اسمه في سجل البلقاء من الخطباء ؟ ان الحجاج نشأ معلم صبية في الطائف ثم اتصل بعيد الملك بن مروان فكان بعد ذلك قائد جيشه ، وثالبه على العراق وهنا اتسع له ان يقول : انا ابن حلا ...

او كان عبد الحميد الكاتب يخلد اسمه في طريقته الكتابية وان يلقب شيخ الكتاب وفاتحهم لو استمر معلم صبية ولم يتصل بمروان بن محمد وكان واليا لارمنية ولما بوع مروان بأمانة الشام سجد وسجد جميع اصحابه الا عبد الحميد فقال له مروان : لم لا تسجد ؟ قال : اسجد على ان كنت معنا فطرت عنا قال اذ تغير معي . قال : الان طاب لي السجود ، وسجد فاتخذه مروان كاتب دولته ، وصدرت عنه من الرسائل ما شرق وغرب ، وكان لكتابه عمل يعجز عنه السحر في خلب الافئدة وجلب النفوس . يقال : انه لما ظهر ابو مسلم الخراساني داعيا للعباسيين كتب اليه عبد الحميد كتابا يستميله نحو الامويين وكان الكتاب كبر حجمه يحمل على جمل فلما وصل الكتاب الى الداهية ابراهيم بن مسلم امر باحرقه قبل ان يقرأه .

وهل كان الكميث بن زيد الاسدي يزجي الى العالمين شعره لمعطر لو استمر معلم صبية في مسجد الكوفة ، ولم يقد الى الفرزدق الشاعر الكبير ويقول له : انك شيخ مضر وشاعرها وانا ابن اخيك الكميث ، فقال : ما حاجتك ، قال : قلت شعرا فاحببت ان اعرضه عليك ، فان كان حسنا امرتني بأداعته وان كان قبيحا امرتني بستره ، قال الفرزدق : اما عقلتك فحسن ، واني لارجو ان يكون شعرك على قدر عقلتك ، فانشدني ، قال :

طربت وما شوقا الي البقي اطرب ولا ليا مني وذو الشيب يلعب
قال الفرزدق فيم تطرب يا ابن اخي . قال :

الي التفر البقي الذين يهيم الي الله فيما نالني اتسرب
قال : ويحك ارحني من هم ؟ فقال الكميث :

بني هاشم رطط الشيب فساتني بهم ولهم ارضى مرارا وانفسب
فقال الفرزدق : يا بن اخي ، اذع ثم اذع فانت اشعر من بقي ومن ذهب .

وفي ختام حديثي لا اريد من المدرسين ان يهجروا التدريس ، ولكنني اريد ان يقرأوا الى الادب .

السيد شحاته

القاهرة

الخوارزمي : « اهذا القدر من شعر الرجال ام شعور النساء ؟ » ورحم الله الفيلسوف المؤرخ (ابن حزم) حينما اتهموه بالزندقه واحرقوا كتبه :

فان تحرقوا القراطس لاتحرقوا الذي تقضمه القراطس بلهو في صدي ان برامجننا مقصرة جدا تدلل الحافظين وتقصروهم على وشل لا يتنع غلة ، ولا يروي ظمأ .

كم يحفظ التلميذ في دراسته ؟ انه يحفظ على الاغلب الفyi سطر من الشعر والنثر معا - هذا مع خسة في الحفظ ، والتواء في الفهم ، وسوء في الاداء . على انه لم يدرس كل ذلك متذوقا او متفهما او طالبا لادب صحيح ، بل تناولا كما يتناول المريض الدواء .

اما كليتنا فقد عدا عليها قصور المدرسة الثانوية . اذ يدخل الطالب الكلية بلا محفوظ ولا مقروء ثم يمتحن اخر العام غالبا في الحفوظ والمقروء وان خرج انذاذ في هذه الكليات فما ذلك الا لاستعداد موروث ، او دراسة خارجية دائية او لظروف خارجة عن ارادة الكلية المحترمة . لانها تدرس الادب على اقتاض الدراسة الثانوية .

ان البرامج في هذه الكليات جميعها لا تخرج اديبا وهذه هي جنبايات التدريس على الادب . اذن ، فمن اي معين نلتبس تخرج المتأدبين . ذلك ما اتركه الان . ويكفي ان اقول ان دار العلوم اول ما انشئت وكانت في (درب الجمالين) بالقاهرة بجوار مسجد فاضل باشا وكانت ندوات عامة يجلس فيها مشايخ الادب ويتنقل عليهم رجال القضاء والطب والهندسة في ساعات معلومة يتدارسون الادب . ومن هنا نشأت دار العلوم . وكانت لها مشيخة عظيمة في الادب حينما كان الروح الامير الشيخ اليربوعي يقضي درسه حرا في الادب فكانت (بقية العمل في كتاب الكامل) وكانت « المواهب المتفتحة » المحصورة فتح الله .

ويجب ان نبحت ايضا في الظروف التي خرجت حافظ ابراهيم والبارودي من الضباط ، وعلي محمود طه من المهندسين . وعزيز اباطه وتوفيق الحكيم من الحقوقيين ، وهيكال وشوقي ومطران من المترفين واخيرا محمد عبد الحليم عبدالله ومحمود غنيم من المدرسين . واني لا اذكر اني كنت في جلسة مع الاستاذ محمود غنيم وكان حينئذ مدرسا في مدرسة فؤاد الاول فوصفه احد الداعيين من الجلساء بانه (مدرس ممتاز) فسار غنيم وغضب لانه لا يرضيه ان يكون مدرسا ممتازا .

وهناك ظاهرة مهمة لعلكم تلحظونها معي وهي ان كثيرا من المدرسين الذين توافر لديهم استعداد ادبي فروا من التدريس واذكر منهم احمد حسن الزيات وعباس محمود العقاد ومحمود غنيم ومحمد سعيد العربي ومحمود حسن اسماعيل ومحمد عبد الحليم عبدالله وعلي احمد باكثير . ونجد ان الدكتور طه حسين - اطال الله حياته - والدكتور احمد امين رحمة الله اذ كانا في كلية الآداب قل انتاجهما فاذا خرجا منها كثر انتاجهما واتسع . ومن

الحياة

يا ساحرا في الخدود فتنتني يا حياة
يا عذرا وجه الصدود وزهو وجه اللقاء

السحر حيث تكون لا سحر يبقى سواه
قد غش سحر الجفون وكم سحر الشفاه

أعجب بسحرك سحرا ان لامس الثغر خذا
تحول الماء خمرا وفتح الفل وردا

كم قام في اللحظة ساحر يسعى ليطل سحرك
فقهقه القلب ساخر منه ، وعظم قدرك

تجلى العيون سواحر اذا اغتسلن بهائك
رفعتن منائر على عباب روائك

لم يهو قلبي سواكا فالت في القبح تبني
واي وجه اراكا عليه ، يفتن قلبي

يا حب ابيكي عليكيا ام انت تبكي عليا
تولع الخن فيكيا فمات قلبي فيا

يا حسن جدي في عذرا ان جاد بيديا
والبس قلبي سثرا من الحياة ليهوى

يا حسن ابن الخفر لا تلق هذا النقاب
سل كيف تفري القمر شمس وراء السحاب

يكفيك يد ورد عدن لون بقلبي لتظفر
اريتني كل لون وحسي اللون احمر

لا تجف وجنة ارض المر يرنو اليها
تشج عنه ويفضي ما دمت في وجنتها

قل كم فتنت اله على محيا سماء
تبكي اعز حلاها ان ضيعتك النساء

يا جمر وجه الصدود يا خمر وجه اللقاء
يا ساحرا في الخدود فتنتني يا حياة !!



اميل توفيق

موقف الانسان المتناقض من الوجود

للمحلل النفسي الامريكي دكتور اريك فروم

عرض وتلخيص : اميل توفيق

اريك فروم Erick Fromm محلل نفسي امريكي معاصر ، له مدرسة حديثة في التحليل النفسي ، تطور للاحقة في كتبه الثلاثة Man for himself - The Same Society - Fear of freedom وقد كتب فصلا في الكتاب الاخر عن (الطبيعة الانسانية والخلق) يتضمن جزاين اولهما (موقف الانسان) وثانيهما (الشخصية) . والمقال الذي تقدمه هو عرض وتلخيص للجزء الاول من هذا الفصل . وسنوالي عرض الجزء الثاني مستقبلا باذن الله .

ان فردية انسان ما انما تمثل السلالة كلها . فهو مثال نوعي للجنس البشري . انه هو « نفسه الفرد » . وهو كذلك « كل الجنس » . أي انه يتضمن « ذاته » و « البشرية » . فهو فردية لها خصائصها المتفردة وبهذا المعنى متفرد بنفسه عن غيره . وهو في نفس الوقت يمثل خصائص السلالة الانسانية . اما شخصيته الفردية فتحددها خصائصها وامكانيات الوجود الانساني المشترك للناس اجمعين . والانسان بهذا الوصف له موقف معين ، هو الذي يلقي ضوءا على دراسة « الشخصية » .

ضعف الانسان البيولوجي

اننا نفرق بين الانسان والحيوان من حيث التكيف مع البيئة . فالحيوان يقوم بتنظيم غريزته في عملية التكيف مع البيئة وتستمر طريقة التكيف الحيواني مع عاله كما

هي فاذا لم يستطع الحيوان ان يكيف جهازه الفيزيقي مع بيئته المتغيرة ، فان نوع هذا الحيوان لا يلبث ان يتقرض . ولكن النوع الذي يبقى هو الذي يستطيع ان يكيف جهازه الفيزيقي مع ظروف البيئة المتغيرة وذلك بان يغير نفسه . وليس بان يغير البيئة . وبهذه الطريقة يعيش في انساق مع البيئة وهذا ليس معناه انعدام الصراع مع البيئة ، ولكن معناه ان تكوينه الموروث يجعله جزءا ثابتا من بيئته ، اذا تغير تغير البيئة عاش والا انقرض .

وقد وجد انه كلما كان التكوين الفيزيقي للحيوان اقرب ثباتا كلما كان المخ متطورا . ومن ثم كانت هناك قدرة للتعلم . ويمكن اعتبار ان الانسان قد نشأ في اثناء عملية التطور عندما وصلت عملية التكيف الفيزيقي مع البيئة الى حدتها الادنى . وعند ذلك أصبحت له صفات هامة تفرق بينه وبين الحيوان وهي اولا وعيه لنفسه كوحدة كلية منفصلة - وثانيا قدرته على تذكر الماضي وتبصر المستقبل وثالثا استطاعته ان يشير الى الموضوعات والافعال برموز ، ورابعا قد زودته الطبيعة بالقدرة على ان يعمل ما يدرك وما يفهم مما يحسه في العالم . وكذلك بالقدرة على التصور لاماد بعيدة المدى خارج النطاق الحسي . والانسان يعتبر اضعف الكائنات جميعها بيولوجيا . ولكن في هذا الضعف سر قوته . ومن اجل ذلك اضعف كان تطور القدرات النوعية للانسان .

ثلاثيات الانسان المتناقضة : وجوديا وتاريخيا (1)

ان وعي الانسان لنفسه ، وتفكيره وتصوره ، كل هذه قد شوهت الانسجام الذي كان يميز الوجود الحيواني . ذلك ان نشوء الانسان قد جعله شيئا غريبا لا عاديا ، أي ضمن الاشياء الغائقة الغرابة والشذوذ بين سائر الكائنات ، بل وفي الكون .

ان الانسان جزء من الطبيعة يخضع تماما لقوانينها ولا يقدر على تغييرها ومع ذلك فهو يفوق الطبيعة ويتسامى فوق كل ما فيها . انه جزء من الطبيعة في الوقت الذي يتفصل متفردا عنها . وهو لا مكان له في الوقت الذي فيه يقيد بالوطن مشاركا فيه الخلائق الاخرى . انه قد وجد في الزمان والمكان ، يحدث ما ، ويحدث آخر يفتقر عنهما . وكونه يعي نفسه ، فهو يتحقق من ضعفه ، ومن حدود وجوده ، وهو كذلك يتبصر نهايته بالموت . وهو لا يمكنه ان يتحرر من وجوده ذي الثنائية المتناقضة . فهو لا يستطيع ان يتحرر من عقله حتى لو اراد - كما انه لا يستطيع ان يتحرر من جسده ، مادامت فيه نسمة الحياة ، فان هذا الجسد يرغمه على الحياة .

The existential and the historical dichatomies in man.

دائما النقيض الفعلي للحياة أو النقيض الذي لا يتلاءم مع خبرات الحياة ولا علاقة بها .

ان كل معرفة بالوالت لا تغير من الحقيقة ان الموت ليس له دور ذو بآل في الحياة . وانه ليس علينا الا ان نمثل لحقيقة الموت وبالتالي ان نمثل للهزيمة المنتظرة . يقول سبينوزا « ان كل ما لدى الانسان سيعطيه لحياته ، والحكيم من فكر في الحياة لا في الموت » ولقد حاول الانسان ان ينفي هذا التناقض بالايديولوجيات (ه) المختلفة فكان مفهوم الخلوة ، معارضا الفكرة القائلة ان النفس الانسانية تنتهي عند الموت . ان فناء الانسان يخلق ثنائية متناقضة ايضا فالانسان بوصفه منحدرًا من السلالة البشرية ، يحمل في وراثته الاستعدادات او الامكانيات الانسانية (٦) ولكن مدى حياته القصير لا يسمح له ان يحقق كل ما يمكن ان تؤديه استعداداته او امكانياته حتى اذا انبثحت الظروف الملائمة . وهذا يخلق صراعًا تراجيديا بين الفرد وحقه في تحقيق امكانياته . ان التناقض بين ما يحققه الانسان فعلا ، وبين ما يأمل ان يطمح الى بلوغه قد يدركه الانسان ولو كان ادراكا غامضا . ولكي يحل هذا التناقض تأتي الايديولوجيات المختلفة لتقضي على التناقض او لتصلح بين المتناقضين كان تدعو لفكرة القائلة ان ملاء الحياة سيكمل بعد الموت او ان خاتمة العمر التاريخي للفرد هو خاتمة متوجة للجهد الانساني . وكذلك الايديولوجية القائلة ان معنى الحياة ليس فيها تطوي من زمن ولكن معناها كامن في الخدمة الاجتماعية . وفي القيام بالواجبات الاجتماعية - وان يقدم الفرد وحيدته وسعادته ان هي الا مسائل ثانوية اذا قورنت بالنظر الى خير الجماعة او الى صالح الشعب او الى سعادة المجموع او امثال هذه المفاهيم التي ترمز الى « القوة الخالدة » التي تسمو على الفرد وتصلو على مصالحه .

الانسان كذلك فرد وحيد - ولكنه منتسب الى غيره في نفس الوقت . هو وحيد او منعزل بالقدر الذي فيه هو وحدة كلية منفردة (٧) - ولا ان تماثل غيرها ، او بالقدر الذي يعي فيه نفسه كوحدة منفصلة . فهو ينسعي ان يكون وحيدا عندما يحزم امرا او يعزم على القيام بعمل ما او عندما يصدر حكما من الاحكام او قرارا من القرارات فقط باستخدام قدرته على التفكير والتعليل .

ورغم ذلك فهو لا يستطيع ان يكون وحيدا اذ هو مرغم على الانتماء لجماعته . ان مساعدته تتوقف على التمسك الذي يشعر به نحو رفاقه ، وعلى الارتباط الكائن بين ماضيه ومستقبله . وهناك - عدا التناقضات الوجودية - تناقضات اخرى تاريخية تقع بين الفرد وحياته الاجتماعية . وهي تناقضات من صنع الانسان ، ويمكن ان يجد لها حلولا اما ساعة حدوثها او في فترة لاحقة لذلك . ومن امثلة هذه التناقضات التاريخية التناقض المعاصر بين

واذا عد التفكير او التعليل نعمة في الانسان ، فهو ايضا نعمة - ذلك ان التفكير يجعله يواجه مشكلة ذات ثنائية متناقضة عديمة الحل .

فالوجود الانساني مختلف - من هذه الناحية - عن اي وجود آخر لانه يمثل حالة لعدم الاتزان الذي لا يمكن تجنبه . ان حياة الفرد حياة منفردة فهي لا يمكن تكرارها كصفة من صيغ النوع . والانسان هو الحيوان الوحيد الذي يشعر ان وجوده مشكلة تواجه الحل ، ولا يمكن الهرب منها . فالانسان لا يمكن ان يعود للوراء الى حالة ما قبل الانسان - اي حالة الانسجام المطلق مع الطبيعة بل على الانسان ان يقضي قدما لينمي عقله وتفكيره حتى يصبح سيدا للطبيعة وسيدا على نفسه .

ان نشوء الفكر والتعليل قد جعل الانسان يكافح على الدوام من اجل حلول جديدة - ودينامية التاريخ الانساني تتضمن وجود هذا التفكير المستمر الذي يرغم الانسان على ان ينمو ويتقدم - ومن خلال ذلك يخلق عالما خاصا من صفته ، يبغى ان يحيا هو ورفاقه في انسجام وياه . ان كل مرحلة يصلها الانسان تتركه في حالة من الحرية وعدم الرضا ، وهذه الحالة تدفعه بل وتحركه نحو الوصول لحلول جديدة . وينبغي ان نفهم ان ذلك لا يرجع الى (دافع فطري للتقدم) في الانسان . بل يرجع الى ان هذا التناقض في وجوده يدفعه في هذا الطريق . فتكونه جزءا من الطبيعة ، وهو مع ذلك منفصل عنها - يجعله يفقد الاتحاد مع الطبيعة ، وهذا الفقدان يجعله سائحا جوابا ولذلك فهو مرغم على لبث الجهد فيتعلم بتفكيره من منغلة المواقف الى منظمة الجيوش لكي يكتسب ويعلم . وهو لهذا يفسر نفسه بنفسه كما يفسر معاني وجوده ، وهو كذلك مدفوع لكي يقاوم هذا الانفصال الداخلي معذبا بهذا الشوق نحو المطلقة (٢) او نحو نوع آخر من الانسجام الذي يمكن ان يرفع عنه تلك النعمة التي فصلته عن الطبيعة وعن رفاقه وعن نفسه .

ان الانقسام في طبيعة الانسان - من حيث انه جزء من الطبيعة ، وانه منفرد عنها في آن واحد - يقود الى موقف ثنائي متناقض (بوصفه الوجودي) اي يقود الى الثنائيات المتناقضة وجوديا (٣) (وتلك تسمية اريك فروم وهو يعلق عليها بقوله ان هذه التسمية لا علاقة لها بمفهوم سارتر عن الوجودية) وذلك لان هذا الموقف هو موقف جذري في الوجود الانساني . وهذه التناقضات (٤) انما تمثل التناقضات التي لا يمكن الانسان ان يحوها او يتخلص منها ، بل انها لتؤثر بطرق مختلفة في خلقه وفي ثقافته . واهم ثنائية وجودية يتمثل فيها التناقض هو موقفه ما بين الحياة والموت .

ان حقيقة الموت لا تتغير عند الانسان - فهو واع بها . مدرك لها ، وهذا الوعي يؤثر في حياته . ولكن الموت يظل

بيالي مصير الإنسان » ولا يحظه ، وإن يذكر من ما من قوه تعاوه وتسامى عليه لكي تحل مشكلاته . ان الإنسان ينبغي ان يقبل المسؤولية على نفسه كما ان عليه ان يدرك ان بقواه هو وحده يمكنه ان يعطي معنى لحياته . ولكن المعنى قد لا يتضمن اليقين والحاجة لليقين قد تعطيل البحث عن المعنى . وعدم التحقق هو الشرط الوحيد الذي يرغم الإنسان على ان يبعث بقواه فاذا واجه الإنسان الحق - دون دفر - فانه يدرك انه ما من معنى للحياة الا المعنى الذي يعطيه الإنسان لتعبير قواه وذلك بان يعيش منتجاً معطياً يانيا .

ان الحذر واليقظة المستمرين وبذل النشاط ومدامومة الجهد - هذه كلها تحفظنا من القتل في العمل الهام الذي يظهر امكانياته وقدراتنا وتنمية قواها في نطاق القوانين التي رسمها لنا وجودنا .

ان الإنسان لا يمكنه ايدا ان يتوقف عن الشعور بالحرية والتساؤل وارتياد الجوهل - اذا استطاع الإنسان فقط ان يدرك موقفه الانساني ، وهذه التناقضات الوجودية ، وفدترته على ان يكشف قواه فينميها ، امكنه ان ينجح في تحقيق امكانياته فعلا . فيكون هو « نفسه » و « لنفسه » . وذلك لكي يسعى نحو السعادة التي تنتج من تحقيق قدراته وملكوته ومواهبه ، بالفكر والحب والعمل المنتج .

فلما في اول هذا البحث ان دراسة (الشخصية) يلزمها افوك (الموقف الانساني) الذي بينا ملامحه منذ حين . ومعنى ذلك ان علم النفس ينبغي ان يكون مبنيا على مفهوم الوجود الوجودي للوجود الانساني .

واهم ميزة في السلوك الانساني هو هذه القوة الفائقة التي تكمن وراء الرغبات والنوازع والدوافع والميول التي يسعى الإنسان لاشباعها . وقد ادرك فرويد اكثر من اي عالم آخر ، ان يفسر ذلك السلوك على اساس التفكير الآلي الطبيعي (أ) الذي كان سائدا وقت ذاك . كدافترس فرويد ان تلك الاهواء (ب) التي لا تعبر مباشرة عن حفظ الذات والغريزة الجنسية (والتي صاغها فيما بعد في غريزة الذات والموت (١٠) ما هي الا مظاهر غير مباشرة لدوافع غريزية بيولوجية لا أكثر ، وان تكن تفسيراته وافتراساته لامعة ذكية ، فان جزءا كبيرا من هذه الرغبات او الاهواء والتشوقات لا يمكن ان تفسرها الفرائز (١١) ،

Absoluteness (2) Existential dichotomies (3) Contradictions (4) Ideologies (5) Human Potentialities (6) Unique entity (7). Mechanistic Naturalistic thinking (8) Passions (9) Eros & Death (10) Instincts (11). Strives (12) Needs (13) Frame of reference (14) Systems of thought (15) System of orientation (16) Devotion (17) Animism (18) Totemism (19) Non-Theistic (20) Stoicism (21) Theistic (23) Neuroses (24) Irrational strivings (25) Ancestor cult (26).

وفرة الوسائل التكنية التي يؤدي استخدامها الى الاشباع المادي ، وبين عدم القدرة على توزيعها بالعدالة من اجل السلام او من اجل صالح الشعوب . اما العجز عن إيجاد الحلول لازالة هذا التناقض فيمكن في عدم الجراءة وفي انعدام الحكمة . ان نظام الرق الذي كان سائدا ايام الاغريق القدامى يعد مثالا لهذا التناقض الذي يمكن حله - فهو تناقض تاريخي - وقد وجدت له الحلول في فترة تاريخية لاحقة للفترة التي حدث فيها وذلك عندما توصل الناس الى فكرة المساواة على الاساس المادي .

وينبغي ان نفرق بين التناقضات الوجودية والتناقضات التاريخية فان اليبس بين نوعيهما يؤدي الى نتائج خطيرة . فقد كان المظنون عند البعض ان التناقضات التاريخية لا يمكن حلها اذا اعتبرت من صميم التناقضات الوجودية ، وهذا الاعتقاد في حد ذاته يعوق دون إيجاد الحلول لها .

كيفية حل التناقضات او الاستجابة حيالها

ان من اهم صفات العقل الانساني انه لا يقف امام المعضلات سلبيا - فان العقل يتحرك لكي يحل ما يشعر به من تناقضات . وكل انواع التقدم الانساني ترجع الى هذه الحقيقة . حقا اذا لم يكن للانسان من رد او استجابة تجاه وعيه نحو التناقضات ، فمعنى ذلك انقراض وجود هذه التناقضات او انكارها . ولكن الغلب ان الانسان يسعى لإيجاد الحلول لهذه التناقضات وذلك بان يصالح بينها اما بالتبريرات الفردية او بالايديولوجيات التي تخلقها الجماعات في الحياة الاجتماعية . ومع ذلك فلو ان العقل الانساني قد وجد غناءه او رضاه فقط باستجابات عقلية يراها متضمنة للحق ، فان كل الایدیولوجیات تظل دون تأثير عليه . ولكن الحقيقة كذلك هي ان العقل يقبل كحق الافكار التي يشارك فيها معظم افراد المجتمع الذين يخضعون لحضارة واحدة او الافكار التي تتضمنها نظام يفرض بالقوة . وكذلك اذا وجدت الایدیولوجیات المنسجمة سندا لها من نظام مفروض بالقوة او بسلطة معينة فان العقل سيدخل قناعته على رغم انه قد لا يصل الى حل نهائي . حقا ان الانسان يمكنه ان يسلك السلوك الذي ينكر به التناقضات التاريخية ، ولكنه لا يستطيع ان يسلك السلوك الذي ينكر به التناقضات الوجودية ، على رغم اختلاف طرق الاستجابة لهذه التناقضات . فهو يستطيع ان يرضى عقله بتخفيف حدة الایدیولوجیات وجعلها منسجمة في تطبيقها - وهو يستطيع كذلك ان يهرب من هذا القلق الداخلي او عدم الاستقرار العقلي وذلك بان يغمس في حركة العمل والشاغل والاهتمامات المختلفة . وهو كذلك يستطيع ان يلقى حريته وتحرره نفسه الى آلة متحركة مؤدية الى قوى تعمل خارج نفسه ، مفرقا ذاته في حركة هذه القوى . ولكنه مع ذلك يظل دائما قلقا وليس راضيا . ان الحل الوحيد لهذه المشكلة هو ان يواجه الحق - وان يذكر وحدته وانعزاليته في كون « لا

العين الخضراء

في الطريق الى بلودان عين ماء يلوح فيها
الماء وكأنه في خضرة الشجر بسبب النباتات
الخضراء الناضرة الثابتة في قاعه ، وبسبب
صفاء الماء وشفافيته .

خضراء يا خضراء يا جنتي
يا واحدة رائحة الظل
يا سكنا يا مرفأ يا ندى
يا منبت الريحان والفلس

وددت يا خضراء لسو انني
بشطك المحور عند السحر
النور شهد ذائب في حماك
يراقص الماء وظل الشجر

وددت يا خضراء لسو انني
بشطك الغافي بضوء القمر
يحلطني السحر الى عالم
مغشش الالوان غش الضور

اواه يا خضراء لسو انني
في عمقك الريان استلقي
اعانق الخضرة وانثوتي
والشم الظل واستسقي

اواه يا خضراء لو انه
في كل قلب بنيت الظل
غصن من الزيتون مخضوضر
عود من الريحان مخضض

لو عدت يا خضراء لو عدت
لو بالظلال الخضرة وشجت
لو بالندى بالهوى بالعبير
طوقت ايامي وطوقت

ملك عبد العزيز

القاهرة

ذلك ان الانسان - مهما اشبع فيه جوعه وعطشه ونوازعه
الجنسية - لا يجد الشبع والري الحقيقيين فانه يعكس
الحسوان . يبدأ يحس بمشكلاته الملحة لكي تصل الى
حلولها . انه ينزع نحو القوة او الحب او التدمير
والتخريب ، بل انه قد يدفع نفسه مانحاً حياته من اجل
مثل انسانية عليا ، او من اجل مثالية دينية ، او في
سبيل رأي سياسي . ان هذه التوازن او المهادنات (١٢)
هي التي تصوغ لب الحياة الانسانية ، وتبرز مميزاتنا .
حما « ليس بالخيز وحده يحيا الانسان » وبعكس تفسير
فرويد الآلي الطبيعي ، فهذه العبارة الاخيرة كانت تفسر
على اساس ان هناك غريزة فطرية دينية في الانسان ،
وان حاجة هذه الغريزة للاشباع لا يفسرها الوجود
الطبيعي ، بل تفسرها قوى تسمو عليه او تستمد من قوى
غيبية عليا . وهذا القرض الاخير لا ضرورة له اذ يمكن
تفسيره اذ، فهما فهما تاما (الموقف الانساني) .

ان عدم الانسجام الكائن في وجود الانسان - اي
تناقضه - قد خلق من الحاجات (١٣) ما يفوق او ما
يسمو على الغرائز الحيوانية .

فهذه الحاجات قد نتجت من اجل دافع حملي لاستعادة
الوحدة والاتزان بين نفسه والطبيعة . ففي المقام الاول
يحاول الانسان جاهدا من اجل الحصول على الوحدة
والاتزان وذلك بتكوين مدرك كلي او مفهوم عام لصورة
كلية شاملة عن هذا العالم بحيث تصبح اطارا دلاليا (١٤)
اي اساسا فلسفيا يمكنه من ان يستشبع الجوانب لاي
تساؤل ما عن موقفه ، او ان يجد الحل لما ينبغي ان يفعل .
ولكن هذه الانظمة الفكرية (١٥) ليست كافية فنان
الانسان ليس « عقلا » فحسب ، ولكن له « جسما »
كذلك - وعلى الانسان كوحدة كلية من الجسم والعقل ،
ان يقف امام التناقضات الوجودية ، ليس بفكره فحسب،
ولكنه ينبغي ان يجابهها بطريقة معيشته : بالمشاعر
وبالسلوك وبالتصرفات العملية . ان عليه ان يجاهد من
اجل التوازن لكي يوحده ذاته في كل مجالات وجوده -
فعلى ذلك فان اي نظام توجيحي نحو الاتزان ينبغي ان
يتضمن عناصر اخرى غير الفكر مثل الاحاسيس والمشاعر
التي تتحقق ذاتيتها في الافعال والسلوك في كل مجالات
النشاط الانساني . ان تكريس حياة الانسان من اجل
فكرة سامية - من اجل الله - من اجل رسالة دينية
كبرى - او غاية عليا ، انما هو تعبير عن هذه الحاجة التي
تدعوه لان يحيا حياة متكاملة . اما عن حاجة الانسان الى
نظام توجيحي (١٦) او الى فكر تكريسي (١٧) . فهناك
اجوبة عديدة تختلف في شكلها وفي مضمونها .

فهناك انظمة بدائية مثل الاحيائية (١٨) والوطومية (١٩)
وفيها يجد البدائي معاني وجوده في اسلافه - او في
توحيد ذاتيته مع اشياء طبيعية خاصة او حيوانات (او
نباتات) معينة .

وهناك أنظمة (لا الهية) (٢٠) مثل البوذية ومع أنها تسمى بالدينية فإنها لا تتضمن مفهوماً عن الله . وهناك أنظمة فلسفية مثل الرواقية (٢١) وهي تدعو لاحتقار اللذة والألم وضبط العواطف واحتمال الآلام دون شكوى من أجل حياة طيبة (٢٢) . وهناك الأنظمة (الالهية) (٢٣) الدينية وهي تعطي جواباً لحاجة الإنسان لمعنى وجوده مرتبطاً بشمولها لفكرة الله .

ونظراً لأن هناك أنظمة تدور حول فكرة الله (أي الإلهية) وأخرى تخلو من هذه الفكرة (أي اللا الهية) فلا يمكن تسميتها جميعاً بالأنظمة الدينية . لأن التسمية الأخيرة قد اقتضت تاريخياً على الأولى دون الثانية . ولذلك سوف نطلق على جميع تلك الأنظمة الفكرية التي يجاهد الإنسان بواسطتها - أن يجد فيها معنى لوجوده - سوف نطلق عليها أطارات دلالية للتوجيه والتكريس - أو (النظم التوجيهية والتكريسية) .

وهناك نقطة أخرى نود أن نؤكد أنها وهي أن هناك غايات تعتبر من الغايات الدينية - وهي مع ذلك تنبع من تلك الحاجة التي تغذي الغاية الروحية والفلسفية . فنحن نرى في حضارتنا هذه (يقصد الغربية الأمريكية) ملايين من الناس يسعون بل ويكرسون جهودهم من أجل الشهرة والنجاح . بل ونحن قد رأينا وما نزال نرى في الحضارات الأخرى أولئك الذين يكرسون جهودهم بتعصب للأنظمة الدكتاتورية للغزو والسيطرة . بل إلى اللحظة إن هذه النزاعات والاهواء الخاصة بالسيطرة تفوق في قوتها وسلطانها حتى دوافع المحافظة على الذات . وقد نخدع بسهولة ، حين نفرس هذه الغايات الدينية ودوافعها أن نرجعها إلى أسباب جنسية (وفقاً لفرويد) أو شبه بيولوجية - ذلك أنها وإن بدت في الظاهر تختلف في مضمونها عن مضمون الغايات الدينية أو تباين في طرق تحقيقها - هي في الواقع تنبع من نفس الحاجة الدينية .

إن في حضارتنا هذه يؤمن معظم الناس بالله واحد في حين أن مساهمهم الجدي الذي يكرسون له جهودهم ينتمي فعلاً إلى أنظمة كالطوطمية أو عبادة الأصنام ، أكثر من اقترابها لدينهم . ولنتقدم خطوة أخرى في بحثنا فنقول أن طبيعة هذه الغايات الدينية هي في الواقع طبيعية (دينية) . وفهم هذه الغايات هو في الحقيقة مفتاح لفهم العصاب النفسي (٢٤) والنزاعات اللاعقلية (٢٥) ويمكن اعتبار هذه النزاعات استجابات فردية لحاجة الفرد خبرته في الاعتماد الكلي على أسرته والتماس معونتها دون أن يستطيع القيام بعمل ما مستقل وهو في الواقع عابث من عباد الأسلاف (٢٦) والفارق الوحيد بينه وبين

(٢٢) من تعليق العرب .

عباد الأسلاف العديدين هو أن النظام الذي يتبعه هو أن النظام الذي يتبعه نظام فردي خاص وليس نظاماً عاماً . وفي حين يفسر فرويد الدين على أنه نوع من العصاب ، نرى نحن (أي أريك فروم) أن العصاب يفسر على أنه نوع من النزاعات التي لها منبع ديني - ولكنه يختلف عن الدين بفرديته وعدم انتمائه إلى تشكيل عام أو نظام معترف به . والنتيجة التي تظهر أمامنا خاصة بمشكلة الدوافع الإنسانية يمكن تلخيصها في الآتي : أن الحاجة التي تدفع الناس نحو توجيه الجهود وتكريسها هي حاجة عامة بالنسبة للناس أجمعين . ولكن الذي يختلف بين هؤلاء هو ما تتضمنه أنظمة التوجيه التي تشبع تلك الحاجة . أما ما يفرق بين نظام وآخر فهو فارق القيمة فالشخص الناضج ، المنتج ، العقلي النزيه ، يختار من الأنظمة ما يسمح له أن يكون ناضجاً منتجاً متقلاً . أما الشخص الذي تعوقه أسباب معينة عن التقدم والنمو ، فينكس إلى الوراء ، ويحتفي في ظل نظام من الأنظمة البدائية المتخلفة اللاعقلية وهذه بدورها تزيد من درجة انكياثه أو عدم استقلاله - ومن لا عقليته . وبظل قابعا في المستوى العتيق الذي تحدته الإنسانية منذ آلاف السنين .

إن الحاجة إلى نظام لتوجيه نزاعات الإنسان وتكريس مساعيها نحو غايات كبرى هي من صميم الوجود الإنساني وهذه الصميمية هي ما يفسر سطوة هذه الحاجة وقوتها في دفع النزاعات الإنسانية . فليس هناك حقاً ما هو أعظم منها دفعا لطاقة الإنسان . وعلى ذلك فليس الإنسان حراً أن يختار لنفسه « مثلاً » أو لا يتخذ . ولكنه حر أن يختار بين أنواع من المثل المتخلفة ، كان يكرس ذاته لعبادة القوة والتخريب أو أن يكرس ذاته للعقل والحب . إن الناس جميعاً مثاليون وهم يسعون نحو غايات تفوق حاجة الأشباع المادي - ولكنهم يختلفون من حيث أنواع المثل (أو المثاليات) التي يؤمنون بها .

ويمكننا الآن أن نتساءل : كيف تحكم على قيمة نظام من الأنظمة التوجيهية أو مثالية معينة ؟ إن الرأي القائل أنه يكفي الإنسان أن يكون له شعور ديني وإن لمجرد هذا الشعور قيمة ذاتية - هذا الرأي خطر وخاطئ . معاً . ذلك أنه ينبغي أن ندرس ونفهم أي نظام أو مثالية بما في ذلك المثل الدينية التي لها منبع ديني أو التي تجسي تعبير عن نفس الحاجة الدينية . وبهذا الفهم يمكن أن نحكم عليها من حيث ما تتضمنه من حق - ومن حيث المدى الذي تسمح به لقدرات الإنسان ومملكته لأن يبني وينتج ويدفع . ومن حيث درجة الأشباع لحاجة الإنسان إلى الاتزان والانسجام مع عاله .

اميل توفيق

بورسودان

الوطن

ويد البلى تلوي بكل مشيد
من كر بيض للزمان وسود
لديارهم لا ياتلي بمزيد
في سالف وفريضة لجدود
في غابر يحبو بخلطو وليد
عصفت مصفقة بغير وريد
بخنين مشتاق ووجد عميد
لسائل ويبين بالمقصود

يلسى على الايام كل جديد
تتقادم الدنيا على طول المدى
وتشيب ناصية الرجال ووجدهم
حب الديار شريفة لأبوة
تلك المراحل دونها درج العلى
كم مهجة خلف التراب دفينه
تهفو الى الاوطان من حجب الردى
ويكاد يعرب صمتها تحت الثرى

حق الديار على المدى بسجود
جمعت من الإبناء كل تليد
لبطولة سطرت بسيف شهيد
مردت قواعده ببأس مريد
خطت بغير يد على الجملود
اسماؤه الحصى بكل قصيد
وكانا بغير يد عن جلود صيد
خفقت لها الاكباد عن توحيد

قف خاشعا دون الديار موفيا
هذي الديار صحائف مرقومة
في كل شبر من نراها سيرة
وبكل ركن منبر لعظائم
عبر الزمان كاسطر مرقومة
وطني تقديس ذكوه وتباركت
هو معقل للشهوة في شدة
ومناط آمال الرجال وكعبة

<http://Archive.org/details/Sakhrit.com>

لبنى أمية دون كل صعيد
كاليم يزخر عاصفا بحديد
للزحف مثل العارض المددود
سطعت محاسنه بكل جديد
كالليل ران بكلل وزنود
ليث الوغى في الجحفل المشهود
في غمرة الاحداث خوف وعيد

اني لالسى ما انطوى من غابر
وارى جحافلهم ترامى غربها
مدت سراياهم جناحي اجذل
وينودهم فلق الصباح على الثرى
نشر الغبار من القنم سحابها
ينبو أمية في الحديد كأنهم
فتيان صدق لا تليس قناتها

في سالف وذخائر لحفيد
بقشيب افواف لهم وبرود
ركن العتيق بجفن كل شهيد
صون الديار بمقلة وكبود
هتفت كساجعة بجرس نشيد
بالحمد مني القول والتمجيد

هذي الديار مرابع لأبوة
رعت بها آباء صدق حقبة
ظهرت مدارجها كان تراهها
ما كان بدعا والحمى شرف الفتى
وطني وتلك جوارحي لك من هوى
واذا ذكرت بمحفل وطني جرى

عدنان مردم بك

دمشق

طبقة الفهماء

بقلم حسن انكري

من « العروة الوثقى » في لندن

اساس نظرية الدين يدعون الى دكتاتورية المفكرين في مقابل دكتاتورية العمال او دكتاتورية الشعب .

ولكن نظرية افلاطون النهائية في تقسيم الناس كان لها تأثير آخر وهو ان الحكمة هي من نتاج المفكرين وحدهم في رأي البعض وانها من نتاج الحكمة المودعة في الشعب عامة في رأي البعض الآخر . وعلى هذا كان المفكرون يعتقدون بان اصلاح المجتمع او الدولة يكون عن طريق وضع النظريات والانظمة الطوبوية ، وكان رجال الشعب يعتقدون ان هذا الاصلاح لا يكون عن طريق التفكير المجرد وانما يكون عن طريق ممارسة السلطة واثراك الشعب في ذلك . والمثال على الطريقة الاولى ، طريقة الفكر ، هو النظريات الطوبوية عند افلاطون ومور وسان سيمون والقارابي وفوريه وغيرهم . والمثال على الطريقة الثانية ، طريقة الحكم ، النظريات الثورية والفوضوية . فالطوبويون يعتقدون ان الاصلاح يتم عن طريق وضع النظريات الاجتماعية ، والاخرون يعتقدون ان ذلك لا يتم الا عن طريق السلطة ومشاركة الشعب عمليا .

ويكفي للتدليل على ذلك ان اذكر مثالا واحدا على ذلك في القرن التاسع عشر واولال القرن العشرين . ومن زعماء الانتقاص على المفكرين والدعائم الى الثورة والانتقال الزعيم الروسي البولندي فاستلاف ماخاكسكي ١٨٦٦ - ١٩٢٦ . فبعد ان درس هذا الزعيم الثوري كتابات النظريين الاشتراكيين والاقتصاديين بالاضافة الى كتابات ماركس وود برنسي وصل الى النتائج التالية : ١ - الاشتراكية هي مذهبية مثالية الى بها المفكرون انطبقت البورجوازية ولم يات بها العمال .

٢ - جميع الاحزاب الاشتراكية في أوروبا الغربية احزاب لا تعدو ان تكون جماعات تقدمية تحافظ على القانون ، ولا تدعو الى ثورة حقيقية لقلب النظام الرأسمالي ، على الرغم من ادعائهم الثورية الكلامية فقط وبالرغم من مطالباتهم بالاصلاحات السياسية والاجتماعية .

٣ - ان هذه الحركة البعيدة عن الثورة انما هي صادرة عن جماعات تخدم مصالح الطبقة البورجوازية الجديدة من المفكرين ولا تمت بصلة الى عامة العمال ، ويبقى اربابها راضين عن الوضع العام اذا وفرت الحكومات القائمة لهم مراكز ومناصب يعيشون منها في الحركة العمالية او في المنظمات الثقافية والاقتصادية المختلفة . فحركتهم حركة منافع ومصالح طبقية لا غير .

٤ - ان هذه الطبقة الجديدة من المفكرين ليست الا طبقة من المجدودين المتنفعين ، تقايل في سبيل اخراج طبقة المجدودين الحاكمة والحلول محلها في الحكم ، وبضاعتها الوحيدة هي انها متعلمة فقط . وقد حملت لواء الدفاع عن العمال من قبيل التظاهر والتسبر فقط ومن قبيل الحصول على مناصب العمال .

٥ - لا ترمي هذه الطبقة الجديدة من المفكرين الا الى

حينما وضع افلاطون نظريته المثالية تحت تأثير الفلسفة الفيثاغورية الرياضية وغيرها من نوعها قسم المعرفة الى معرفة علوية مساوية ومعرفة دينوية سوفية ، بمعنى ان الحقائق المثالية هي الحقائق التي تستحق المعرفة والتي لا يستطيع كل انسان ان يحصل عليها الا اذا كان حائزا على صفات خاصة تميزه عن غيره ، وبمعنى ان الحقائق الدينوية السوفية هي صور ممسوخة عن الحقائق العلوية ، ويستطيع عامة الناس ان يدركوها بدون ان يحتاجوا الى عقلية ناصة سامية . ونظريته المثالية هذه كانت مبدا لفلسفته السياسية التي بنى عليها كتابه المعروف باسم (الجمهورية) . فقد قسم سكان الجمهورية الى صف من الناس يمتاز بمضاء العقل وسعة الحكمة والى صف آخر لا يكاد يتصف بشيء من العقل والحكمة وانما يتصف بالقدرة على الاعمال اليدوية والجماعية . ومن هنا كانت فكرته في تعيين الفيلسوف حاكما في الجمهورية وتكليف الولاة برعاية الدولة وصلاحيها ورعاية العلم والدانة والفن والثقافة . ومن هنا كانت فكرته ايضا في تخصيص الاعمال الحربية والاعمال اليدوية للمحاربين والعبيد في الدولة . ومن هذا كله يتبين كيف ان افلاطون قسم الناس قسمين : قسما يعلم وقسما يعمل ، لان القسم الاول فيه خواصه الطبيعية المنارة للفهم والادراك ، ولان القسم الثاني ليس فيه هذه الخواص الطبيعية . وهذا شبيه بالفكرة التي سادت العالم من زمن قديم وهي ان الناس قسمان : قسم يعلم وقسم لا يعلم و (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) . وهذه هي الفكرة التي كانت من جملة الاسباب في خلق حركات في التاريخ كانت تكون احيانا بالتأثير الغير المباشر من المفكرين او الفهماء او بالتأثير المباشر من الجماهير او عامة الشعب . ثم ان هذه الفكرة هي اساس الصراع بين طبقة مختارة من الناس من جهة وبين عامة الناس ودعائهم من جهة اخرى ، او بعبارات اخرى بين الاوليغاركية او الاستقراطية وبين الديمقراطية وقد كان الكثيرون في انكلترا بل وفي بلاد اوروبية اخرى في القرن التاسع عشر واولال القرن العشرين خاصة يعتقدون بان في الامة طبقة هي اهل للتعليم العالي والحكم دون الطبقات الاخرى التي ليس لها من الصفات المناسبة التي تؤهلها للتعليم او للحكم . ولعل هذه الفكرة كانت

لخدمة الدين وكانوا مستودع الافكار العقائدية والمرجع في تفسير الكتب السماوية . (٢) الدور العلماني حينما نشأت طبقة من المفكرين الماهرين بالقانون والتشريع المدني، واصبحت منافسة طبقة المفكرين الدينيين ، وقد يدخل في غمزه هؤلاء بعض رجال الفكر والعلم في القرنين السابع عشر والثامن عشر . (٣) دور الثورة الصناعية حينما نزايد عدد المفكرين وخصوصا من الطبقة الوسطى بفضل اتساع التعليم والنشر والطباعة والإذاعة ، وبين الدور الاول والدور الثالث شبه كبير . فالمفكرون في الدور الثالث يظهرون عداؤهم للانظمة الاقتصادية والاجتماعية في مجتمعهم دفعا عن طبقة العمال اولاً شفقة هؤلاء العمال وثانياً تقمة على الحيف الذي يقوم عليه المجتمع . والكتيسة ، على غرار ذلك ، كانت تسلك مسلكا شبيها بهذا المسلك نحو المتكودي الحظ ، فكانت تحمي الفقراء ، وتطعم الجائع وترعى المريض وتعلم الجاهل ، وكل ذلك بدون مقابل . وكانت ايضا تنقم على الفتي لقساوته في معاملة الفقير . ولكن بين الدور الاول والدور الثاني حتى القرن الثامن عشر مابئة واضحة . فان المفكرين العلمانيين في الدور الثاني كانوا اصدقاء الحكام والاقوياء وكانوا يناصرون الطبقة الناشئة وهي طبقة التجار . وعلى العكس من المفكرين في الدور الثالث كانوا دائما حلفاء العمال ، منذ الثورة الفرنسية في سنة ١٩٣٠ وفي الثورات الاوروبية في سنة ١٨٤٨ . ولا تزال هذه الفكرة قائمة حتى الآن ، وهي في اساسها محاربة هذا الفارق بين سيد ومسود وحاكم ومحكوم .

حسن الكرمي

مكتبة أنطوات

فرع شارع الامير بشير

الى طلاب الفلسفة

مباحث فلسفية محللة - لتجيب مغول

اسن طفيل

افزالي وابن رشد

الى طلاب البكالوريا قسم اول

التحليل في الادب العربي - لسعد الدين مطر

نماذج في النقد الادبي - لايلى حاي

النموذج في النقد الادبي - لانياس الطباع

رائد البكالوريا - جماعة من الاساندة

الارتقاء الى دست الحكم على ظهور العمال ، حتى اذا استسلمت الحكم اكتفت بالمراكز الحكومية والمرتبات العالية، وتهاذلت مع الراسمالين ، واصبحت بذلك طبقة جديدة من الحكام لا غير .

ومن هنا يشين أن ماخياكي كان يقاوم حركة المفكرين في الاحزاب الاشتراكية الغربية لان هذه الاحزاب لن تغير في الوضع الحقيقي شيئا لانها ، اذا نجحت في حركتها ، اما تغير الوضع ، فاعلم بوضع جديد يبقى الامور على ما كانت عليه ، ويبقى العمال على حالهم ولكن تصبح السيادة في ايدي هذه الطبقة من المفكرين بدلا من طبقة المجدودين من اصحاب رؤوس الاموال . ولذلك رأى ماخياكي ان الحل الوحيد هو التساوي في الاجور بين الجميع ، لان هذا التساوي يعطي فرصة متكافئة للجميع ويمكن كل فرد من الحصول على التعليم العالي ، فلا يبقى بين الناس فرق في العلم ، وبذلك لا يبقى فرق بين الطبقات . فالمساواة في التعليم في رايه هو الحل الوحيد للخلاص من ان تستغل طبقة طبقة اخرى ، وللوصول الى مجتمع متكافئ خال من الطبقات . وهذا شبيه بما يدعوا اليه الماركسيون وهو زوال الدولة بالنهاية . الا ان الفرق بين ماخياكي والماركسيين ان ماخياكي يريد ان تزول الدولة عن طريق التعليم ، وان الماركسيين يريدون زوالها عن طريق التطور الاقتصادي . ثم ان ماخياكي يقاوم فكرة السيطرة عن طريق التفوق في العلم والفكر ، والماركسيون لا يقاومونها صراحة . فهو يرد في هذا الراي قول بكونين الزعيم الثوري الاخير (١٨١٤ - ١٨٧٦) الذي بنى نظريته قبل ثلاثين سنة على ما يشبه نظرية ماخياكي ، وهي ان الذي يعرف اكثر من غيره يكون هو الحاكم ويبقى الذي يعرف اقل من غيره محكوما ، وينقسم المجتمع بسبب ذلك الى طبقة من السادة والى طبقة اخرى من العبيد . وعلى هذا الاساس كان بكونين ينتقد الماركسيين لانهم يرمون الى خلق طبقة من السادة تستغل الطبقات الاخرى .

ذكرت هذا كله اشارة الى الفكرة القديمة التي تقسم الناس قسمين : قسم المتعلمين والمفكرين وقسم العوام الغير المتعلمين . وهذا كله يرجعنا الى فكرة افلاطون وهي ان في الدولة اناسا لهم صفات فكرية خاصة تميزهم عن غيرهم وتؤهلهم الى الحكم والسيدة بفضل ما لديهم من ملكات تتوصل الى الحكمة والتفعل ، على عكس الاناس الاخرين الذين ليس لهم هذه الصفات . ولذلك كانت جمهورية افلاطون مثالا على تقسيم الناس الى مفكر وغير مفكر ، وبالتالي الى سيد ومسود او حاكم ومحكوم . ولم ينج اصحاب النظريات الاجتماعية من تاثير هذه الفكرة في جميع العصور . فتاريخ المفكرين في الغرب في القرون العشرة الاخيرة يقع في ثلاثة ادوار : (١) الدور الديني حينما لم يكن مفكرون الا اولئك الذين تجردوا

« لن تجد منطق الحياة في كل ما هو منطقي ، كما وانك لا تجده في كل ما هو غير منطقي ، يخل إلى أحيانا اننا نطارد منطق الحياة عشا . »

اجل الى النهاية ، الى النهاية ، حتى النهاية . لنساقط جبات العقيد ، لتعاركها في مضيقها الاسابع ، لتحس سقوطها في الهاوية .

ليغرس دائما نصل المدينة في جسم المحضر ، انه يجر من وقت طويل ، من امد بعيد ، لعله يلفظ انفاسه اخيرا ويترك على قارعة الطريق لتأكله السور .

ليرتطم بلا عوائق في القاع المفلق العميق ، ليقطع ، ليمزق ما يكون .. اجل الى النهاية ، الى النهاية ، حتى النهاية .

بلا حواجز بلا جدران تنسلك بها ، وحدة اعمى مظلمة وشعلة من احتكاك الالم ، هذا النور الرعب المدهش المتكبر الاعزل .

*

في الغرفة ثبعت على الحصري تبتهل ، تنظر الى طلوع الفجر من فجوة في سقف الغرفة .. رجس اصوات مؤذن ، رجس اجراس ، وصوت مكنتة رجل في الشارع يرفع عن الارض القذارة .

وتمضي في الشارع شامخة الرأس معتدة ، ترتقب حركات الهواء من حركة كيانها ، وفارة قرب الرصيف تهرب داخلها مغارة .. والوقت ربيع والاشجار الباسقة خضراء والنهر بلا ماء وغيم رقيق يتبع مع رائح متجول .

*

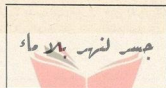
بحيرة رقدت بين احجار مرصوفة ، يقترب عليها بجناح ابيض سرب من البط ، وعلى جزع شجرة تدلت قدما طفل اسمر بعض كعكة .

اوراق خضراء تغطي ، تمتد ، تزحف على الجدار العالي حيث تلمع علب الكبريت الذهبية ، صاحبة الدار

امراة انهكها الارق ، ليلها يعاقب مستحيل الحب فيعتمر في كاس عينها جفاف رمال التعب والارهاق والوحدة .

ويعتد جسر لنهر بدون ماء . وتنطلق منه رائحة ننتة وكذلك عبر نافذة حاثوث انيق يبيع عصير فواكه طازجة .

ومن باب بناية فخمة خرجت فتاة تهتز في كل خطوة تخطوها تكاد تنهوى من نحولها ، يوم مولدها بلعت داء لا طعم له ، تمسك بيد رجل مخبول ورث عن ابيه ثروة ، تترنح الفتاة السقيمة من ضعفها وهو يواسيها بمسحة من ابتسام غبي بفرش كل وجهه ، والاوراق الخضراء ،



بقلم الأنسة رينه عبودي

يعاقب الباسمين وتلا حديقة الطابق الارضي .

جدهما كان رجلا يشارب غليظ قوي البنية يشد حبال الحرير على جدران مقبرة .

*

وتمضي في الشارع شامخة الرأس والمطر يتساقط من حولها ، ومن النوافذ من خلف الستائر كانت عيون العجايز والصبايا المستات يترصدن خطي المارين على الشارع . والشارع قطعة فضاء خالصة وفي حقبة يدها غلاف يحتوي على رسالة ، تومض في خاطرها شرارات من الامل لا يمكن مسها او اللحاق بها .



تسرع في خطاها . رجل يعاقب فتاة في سياره تمضي بهما .

فتاة على الرصيف تستند الى كف رجل لا تعرف طعم يده .

البريد ما زال بعيدا ، ابوابه كاستان جبار لا يتعب تدور على نفسها .

سترقد الرسالة في الجوف لتمضي اليه . الف الف شرارة تومض ساحرة .

والطر ما زال منهما مع الفراغ للناس وهم يعمون المنازل وفطرات الندی تنهات من خيوط الشعر المستقلة يقرب بعضها البعض .

قطرات تسبح في النهر الجاف ، دودة صغيرة تتلوى ودراجة هناك تهوى بعد ان دفعها وحش «سيترن» احمر ، لا حراك ، وبد غلام ما تزال تشد تعصر مقود الدراجة ، كان يمكن ان يصبح هذا الفتى رجلا ، ان يذوق الحب مع خمر الخيبة والشك ..

والحديقة كلها اشجار صنوبر ، كانت صغيرة فيما مضى حين غرست هنا ، ثم ضربها زمهرير احرقها ثم اعيد غرسها ، انها تملأ الحديقة العامه ، كثيرة ، كثيفة خضراء ، وبقيت يده تشد على مقود الدراجة .

*

انها قصة طويلة ، قصة رقعة صغيرة ، يمثل ركن فيها كل صباح وعصر مساء بالرجال ، يدخنون ارجيلهم ، وعلى وجوههم تعبير طفل ساذج دهن ، او هم يوزعون الورق على المنضدة الخضراء وقد لاحظت على جباههم علائم التفكير يذكرون المرء باسكندر ذي القرنين او فاتح ما في الارض ، او هم يلتقطون احجار الشطرنج كرهبان دير متقشف او يضربون النرد بعصية ضارب سيف يعرف من امره الكثير كعنتر .. ورجل في الزاوية اطلق عينه الفريدة كلسان اكل النمل يلقي بها المارة وينفث دخان ارجلته وبلقي بين حين وحين اهازج الفرخ بالحياة لجار يشاطره المنضدة

الموعظ الكاذب

ماذا بقي من يومنا المشرق
الظل يجري نحونا مسرعا
شواطئ اللقا على قريباها
أخاف بطوي الليل أعلامنا
مضى الربيع الحلو لكنما
في صدره المحموم اتسودة
لا تجزعي أن فائنا موعدا

وديع ديب

المراتين .. انه عانس .
وبات الم يوشوش في داخلهما ،
مجموع املاح واتربة مختلفة تتعاكس
داخل القنابا ، والمياه الشافية على
بعد اميال .. سمعت احدهما تقول
مرة :

ترتفع قرب نبع المياه الشافية
صياحت وصراحت ملتاعة ولكن
الجنين دائما املاح واتربة
مختلفة ...

وفي اقصى يسار القرية مدياع
قديم ، الابرة فيه لا تتحرك ، كقطع
الخزف كالفراشة ، كصورة الرجل
على الجدار باوسمته الكثيرة العدد
وقبعته المصنوعة من الفراء الفسالي
الشم ..

وتسير شامخة الراس وفي نفسها
فراغ لا حد له ، اقبرة كثيرة علقت
بجذاتها ثم غسلها المطر كما يغسل
ارض الشارع ثم علقت اقبرة اخرى
من جديد .

رثه عبودي

حلب

متهدج في ليله الطويل ولا يريق
مرتجف كقلب طائر خائف جميل ..
ويركن الرجل بعينه القريفة في مقهى
الشوارع ويتنقش الساعات وجوان
الوقت لا يكل من عليها

*

ومتعضى في الشارع شامخة
الرأس ومحفظتها فارغة .. اصبحت
الرسالة جثة هامدة لا تعلم حتى اين
قبرها .

*

وعلى الطريق فوق ذلك المقهى
منزل يجول عرف الوقت . قطع من
خزف ، لعب مختلفة . فوق المقاعد ،
على المساند ، قطع مطرزة بالقصب .
وفراشة ايضا مقروشة الجناحين
رزاق ، تحت الزواج قد سجت ..
ومن سنين كانت تحلق في فضاء
منور من بلاد تقصنا عنها بحار
وبحار . وفي الباب عين ، عين
سحرية ، والهاتف نادرا ما يسمع
له رنين ، وقطع الخزف لا تتحرك
ابدا ، اما القصب المطرز فهو يسوج
احيانا قليلة بالتعب وكذلك شعر

القريبة من الباب .
وينشر الليل ضياء القمر ويوزع
الدواء تنهد الصيف . وتدب انعام
الجنون في مراتع الجمود فيقهش
السحر وشاح السماء ، وباعتزاز
طروب تتأمل وجهك في مرايا النجوم
وينسكب الحب لتجرفه الكورباء الى
حيث اضواء النيون التي يمر بها
طارق كل صباح فتترك كلامها للفجر
فتصلي المرأة القابعة على حصر في
غرفتها ، وتفتح عينها اكثر تلك المرأة
وراء الجسد الاخضر حيث علب
الكبريت المذهبة ، فتكفر من جديد
بالهالة الزرقاء القائمة تحت عينيهما
بالشحوب ماء متعكر ، وتلمس ينهم
متعب وكره رداء شيطان الشهوة ..
وهناك يخرجان في نزهة من باب
البناء الابنيق ، الفتاة المتوجة القيمة
والرجل المخبول الغني .. وتعود
السيارة المسرعة تنقل محبين اوتسير
تلك مع احدهم تحاول تقليد الحب
مع رجل لا تعرف طعم يده وانما
يصر الانثى على المضي ودائما يدا
يبد لاتحاط مستقبل رتيب لا غناء

وداد سكايني

بقلم عيسى فتوح

«لا بد لنا من مغامرة فكرية وراء الملهمين، لنلحق ولو قريبا بأجنحتهم التي خلقوا فيها وتسلل الى الاغوار، ونظيف بالبدائع التي استلهموها، أو بالملاني التي صوروها، ولا بدع اذا تدارسنا آثارهم، وخلصنا ذكرهم، وكرمناهم في الحياة وبعد أن يطوى الردى جسيمهم، فلولا هؤلاء الذين جلوا لنا صفحات الوجود، وفتحوا امامنا مفاصل النفس والشعور ... لما احسنا بقيمة الفن والجمال، والحياة بدونها صحراء من غير ماء» .

لنستمع لي الادبية السيدة ووداد سكايني ان استعير من كتابها (سواد في بياض) هذا الكلام في مستهل الحديث عنها، لاني احتاج فعلا الى مغامرة فكرية بعيدة المدى، لالحو ولو قريبا بجناحيها اللذين خلقتهما ايها الخليل في دنيا الادب النسائي في سوريا ... ولا ادري ما اذا كانت مغامرتي الفكرية ستستطيع التحويم جيدا في آفاقها العليا، فترتفع الى مستوى آثارها المتنوعة التوزعة بين القصة القصيرة والرواية والسيرة والتقد الأدبي والمقالة ... واذا كان لاوروبا ان تغخر بكتاباتها من امثال : جورج صائد، وكوليت، وسميغون دي بونوار، وسلمى لاجروف، وجورج اليوت ... فان للعالم العربي الحديث ان يعتز بادبيانه اللاني تفوقن بالواهب والتأليف من امثال : سهر القلماوي وبنيت الشاطيء ونازك الملائكة، وفدوى طوقان، وادفيك شيبوب، ووداد سكايني التي حملت رسالة ماري عجمي الى دمشق، ولم تعرف بلادنا قبل ماري من اوقيت مثلها ادبا رقيقا، وشخصية مرموقة، وقلما حرا صريحا، فلما ظهرت ووداد في باكورة آثارها «الخطرات» وكان من نتاجها وهي طالبة ناشئة، توقم القراء لها مستقبلا لائقا . على ان ووداد سكايني لم تختصر طريق الادب، ومعاربه الضيقة، وشعابه الصخرية، كما فعلت بعض الادبيات المرتجلات، بل مضت في السبيل الوعر الذي اختارته لنفسها، وهي التي بنت نفسها، فقد ولدت وتلقت دراستها في لبنان، وتزوجت الدكتور زكي المحاسني من سوريا، وعاشا في مصر زمنا طويلا ... انها كما قالت السيدة امينة السعيد في مجلة «حواء» «وحين يرد ذكر ووداد يعتبرها كل شعب عربي واحدة منه، فاللبنانيون يعتزون بمبنتها، والسوريون يتسمكون بوطنها وجنسيتها والمصريون يرون في انتاجها اصدق صورة للعقلية الادبية

المصرية، والحقيقة انهم جميعا مصيبون : ففي ووداد نفحة من لبنان، وعفق من سوريا، وحساسية من مصر ... وهي اذ كتبت تحملك على اجنحة الادب الى آفاق هذه المجموعة من الصفات الثمينة التي اكسبتها توسعا فنيا ملموسا، وطعمت انتاجها الفكري بشتى عناصر الادب العربي» .

قد يشوق البعض منا لو يعرف شيئا ما عن الفرق بين آثارها الاولى وآثارها الحالية، ويتحسس النقلة الواسعة في اختيار الموضوعات وانتقائها، في حرارة اللهجة، وقوة النبرة، وحماسة الكلمة، وميض الالفاظ، وانتصارها الكبير للقيم والمثل والاخلاق ... بالاضافة الى مقالات اخرى عن الفن القصصي، والشعر والشعراء والادب والصحافة .

ومهما يكن من امر فالصدق يسم ادب الكاتبة قديمه وحديثه، لان غرضها الاصلاح أولا وآخرا الاصلاح في المجتمع والناس، والسلوك، والضمير ... ادبية في قلمها وحياتها، تنشد الرفعة لبنتا جنسها، تريدهن مثاليات، فوقيات ... هذا وبالرغم مما يكتنف البواكير عادة من اللين والتقصير، فان مقالاتها فيها تعتبر انجح عتبة استطاعت ان تضع عليها الادبية رجلها ثابتة مطمئنة، للوصول الى قمة الهرم من غير مرقة .

للقصة عند السيدة ووداد خصائص وطوابع وميزات لا تغارقها ابدا، اولها هذا الغوص العميق والتحليل البارع النفسيات ابطالها، وبخاصة اذا كانوا من النساء، وهذا دليل على ان المرأة اقدر على فهم نفسية المرأة من الرجل، يحكم صلتها الوثيقة بها كام وأخت وزوجة وجارة ومعلمة ومربية، دغ ان المجتمع الشرقي ما يزال يقني سلوك الجنسين ويحدده، ليسير وفق خط محوري مستقيم، هو خط الجنس نفسه ... من هنا نستنتج لماذا جنحت الكاتبة لاختيار ابطال قصصها من النساء، ولم تعرج على الجنس الآخر الا في القليل ... ولعل هذا النجاح فني تحليل عاجل المرأة هو الذي جعلها تبلغ الذروة، وتحلق في قصة «هاجر العائس» التي صدرت بها مجموعة «مرايا الناس» وقصص «الضريتين» و«رشيد المولي» و«ابو تراب» وغيرها من الاناميس التي تصور بعض التقاليد السورية وعلى ذكر السبق القصصي في الادب الحديث بسوريا، اجدني متطلعا الى بوادر التطور الفني في كتابة القصة العربية، حين تجاوزت الاسباب وتعددت وكان لصحيفة «المكتشف» في بيروت منذ ثلاثين عاما فضلا في ظهور عدد من القصصيين في سوريا ولبنان . وقد اقامت هذه الصحيفة الادبية مسابقة للقصة عام ١٩٣٨ فاشتراك في اول مسابقة ستون ربما غدا بعضهم اليوم من اقدر القصصيين العرب وكانت الفائزة بينهم هي ووداد سكايني، وعنوان قصتها السورية الناجحة «الشيخ حمدي»، ولو اعادت نشرها اليوم لربنا صدق التصوير

في موضوعها ينطبق على ما تضمنت حادثة القصة وجوانبها .

والقصصية وداد تعز بزورها في هذه المسابقة لان الذين حكموا فيها من احرار الراي والفن والتقد ، وقد عرفوا بالتجاني عن الحباية والمجاملة التي نراها من الوان التزييف في ادبنا الحديث .

و « مرابا الناس » ضمت اول مجموعة قصصية لوداد سكاكيني كانت قد استوحتها من طبيعة الشام ولامع الحياة والعادات فيها ، وتواتر مجموعاتها في القصة حتى كان آخرها « نفوس تتكلم » ومنذ اشهر قريبة ظهرت في المكتبة العربية بالقاهرة الطبعة الثانية من مجموعتها القصصية « الستار المرفوع » واكثرها قد نقل الى الفرنسية والروسية ، واتخذت من اول المجموعة في هذا الكتاب مسرحية اذاعية عنوانها « سيدنا الجديد » .

وفي مجال الرواية كان للسيدة وداد قصتان طويلتان ، كلتاهما شامية الموضوع والمحتوى واللون ، احدهما « اروي بنت الخطوب » نسجت في مستهلها صورة رائعة للشام في قديمها الذي لم تتغير طبيعته وللمرأة العربية في حفاظها ووفائها ، والرواية الثانية « الحب المحرم » صورت فيها النقلة الشامية بين القديم والحديث ، واضطراب الفتاة في دراستها وتعلمها الى الحياة الزوجية . والسبب الاهم في اختيار ابطالها من النساء هو ان

الرجل يستحيل عليه ، مهما اوتي من الدقة في التحليل ، ان يصف خوالج النفس في حياة لا يحبها ، ولعلنا نرى بها او يحسها ، وجهه وصل الى شيء من ذلك قبل باستطاعته ان يشعر شعور المرأة عندما يحب او يبتلع او يلد ؟ والعكس نقوله ايضا ... لقد غمست وداد قلمها في مداد الحياة - كما تقول - فتناولت سير الناس وصورهم كانية قصصا في تحليل الطابع والنفوس ، منقبة عن زيو الطوايا ، من اجل جنبها الذي تريده ان يكون في حرز من اهل التفرير والتضليل .

ثمة شيء آخر في قصصها هو دقة الملاحظة ... فلعلنا تفلت منها جزئية مفسرة دون ان تنال نصيبها من المعالجة ، ولعمري ان دقة الملاحظة هي من اهم الصفات التي يجب ان تتوفر في القاص والا جاء تحليله ناقصا ، ماينا بالفجوات والتفراغات ، وكان كمن يستبدل السير الؤيد بالقفز والجمز .

غير ان ابرز ما بلغت النظر ويشر دهشة الإعجاب هو رقي اللغة واناقبتها ، فانت لا تعثر عند وداد سكاكيني على لفظ عامي او ساقط ، او على كلام حوشي ، او عبارة ركيكة ... تقرا نثرها الرصين فتشعر بجلالة الالفاظ ورشاقته ، تنتقيا بلوق الاديب البارع ، وتختارها اختيار الفنان الاصيل ، كما لو انها غرست غرسا ، وهيئت لهذا الموضع دون سواء ... ان الرصف الجيد والتلاحم الدقيق ، في تأخي الكلمة والكلمة ، هو الذي يضفي على

اسلوبها هذا الرداء العربي المشرق ، فلا التواء ، ولا مياعة ، ولا رخاوة ، ولا تقعر ... وكل ذلك في قالب من البيان المحبب . تطالعها فتأكد تقاطع عبد الحميد الكاتب او الجاحظ او ابا حيان التوحيدي في اجمل ما كتبوا ... ويزيد اسلوبها قوة هذا التوكؤ على الفاظ القرآن الكريم ، تنثرها في مطاري قصصها ومقالاتها من حين لآخر .

وبالاجمال فاسلوب السيدة وداد يتميز بالقلم الرقيق ، والاسلوب المكين ، مما خلغ على هذا الادب رونقا جديدا ، فاعادت للمرأة العربية القديمة بذلك ، قيمة الاسلوب العربي الرصين ، حتى لتضاهي به كبار الكتاب ، وقد قدره اعلام الكتاب والادباء في مصر والبلاد العربية امثال : العقاد ، وطه حسين ومير فاضوري ومحمود تيمور ، والزيات ، وكرد علي ، والامير مصطفى الشهابي ، وشهدوا لها جميعا بضفاء الاسلوب وعمق الفكر والثقافة .

ان كاتبة هذا شأنها من الطبيعي ان تنتصف لكرامة اللغة من دعاة العامية ، فثب وبنة الاسد الجريح لتسرد عليهم بجراة صاحب الحق السليب ، ودفاع المحامي الفطن ، لا يخشى في الله لومة لائم ... لان ضياع اللغة معناها ضياع الوطن والامة ... وهي لا تضن على الجديدين والمؤرخين القديرين بالتأييد والتشجيع شرطية « ان لا يكون انطلاقتهم في التجديد على حساب اللغة التي هي اللعامة الاولى في قوميتنا وثقافتنا ، فاذا تفاوضوا عن الاستخفاف بهذه الحقيقة فكأنهم يفرطون في حق العروبة والوطن ، وهم شاعرت أمة بضياغ لغتها » .

وهي جنتي ان تفسد هذه الحقيقة الجارة ، حقيقة من يعطون عن الحضارة ، ويريدون ان يخصروا طريق الثقافة ، فتقول : « وما كانت الدعوة الى العامية من هؤلاء النافرين الا تبريرا لضعفهم في التعبير ، وإثراهم السهولة والسرعة كان القارئ على نار يلح بمطالبهم في اي منتج ، وما اشبههم بخباز لا يكاد يدخل اقراس المعجن الى الفرن حتى يخرجها غير ناضجة ، متوسلا بالسرعة كثرة الانتاج والرواج ، وهذا الادب المتخفف المرتجل ، ظاهرة اجتماعية من ظواهر عصرنا المتسم بعصر العلم وابتلاع الاقراس ، وليست في ادبنا وحده وانما هي اليوم تبدو في الآداب العالية كداء لا كدواء ، وقد تناولها الادباء بالنقد والاستهزاء ، واكثر ما تجلج في الادب الشفهي الذي يذاع ويلقى وقد لا تنقله الاذاعة الى القارئ » .

وهكذا تنطلق في نقد الادب الاذاعي فتشبه اصحابه بالمهرجين الذين يسلكون المجازات لللا يعرضوا بضاعتهم وامتعثهم للتفتيش .

وهي اذ تنعي على دعاة العامية بظلمهم وتهمهم بالضعف والراكاة ، لا تنسى ان تشارك معهم جماعة السطحية ، ممن اقتنعوا بالضخالة ، وقعدوا عن طلب الفكرة العميقة ، لثلا يزعموا انفسهم بالدرس والحيث والجدد المضني ، واستجابوا بكليتهم للاذاعة تقتسل وتتهم بالاحاديث السخيفة ،

لينام اطفالكم ، وتجهد ليستريحوا ، وتغذيهم بالروح مهما اساءوا ... »

ليس بين ادبيات سوريا من اشرعت قلبها فخاصمت ودافعت وردت بقوة البراهين وسطوع الحقيقة ، وتأييد الحجة والمتطق مثلما فعلت وداد سكاكيني ... فقد حاولت ان تستعيد للمرأة اعتبارها الاول ، وقيمتها القاطنة من ضمائر الذين لا يعترفون لها باي فضل او سبق او المعية ... انها في نظر هؤلاء - وعلى رأسهم توفيق الحكيم والعقاد - « لا تحسن انشاء القصص التمثيلية ، ولا تستطيع ان تكون موسيقية تبكر الالحان » ويرى العقاد « ان المرأة لا تجيد من الفنون غير فن الرواية ... وانها لم تنبغ حتى في ما هو اقرب اليها واخرى ان تتفوق به على الرجل وهو الرثاء ، واذا كانوا يضربون المثل بالخشاش فانه ليس في ديوانها غير ابيات متفرقات في البكاء لا ترتقي الى منزلة الشعر السيار ، اذ كله تكرير لعنى واحد ، ولا يصح ان يقال انه معنى من معاني القرينة والخيال ... وانها ليست بشاعرة مبتكرة ، بل هي مقصرة ومكررة لان الشعر ابتكار واقتدار » ويستمر العقاد في تهكمه وتجريد المرأة من كل مزية ، فيعريها من المواهب حتى يسلبها القدرة على التصوير كالتمثيل وباقي الصناعات الخاصة بها من طهي ووشى وزينة وخياطة .

هذان الرأيان الخطيران المتطرفان اقاما دنيا السيدة وداد واتعلماها ، وبخاصة لانهما يصدران عن اديبين كبيرين ، فانبرت تناقشهما وتبطل صحة رأيهما في اكثر من مقال واحد ... وتذكر لهما النساء اللواتي تفتنن وتفترقن في التمثيل كساره برنار وغيرها ، وتبين ان في نفس كل منهما مركب نقص ، وعقدة نفسية لا تحل وتناقها غير المرأة التي افقرت من دنياها ، فكلها اديب عذب (١) وعن النساء بمعزل ، فلا غرو ان يريا هذا الراي ، ويحكمنا هذا الحكم ، بل لعله من الطبيعي جدا .

وبعد ان تعرج على ذكر من ناصبوا المرأة العدا - وان يكن عدا طفيفا بعض الاحيان - كالعري وشوبنهاور وآرتور وينتشة والمآزني وزكي مبارك ومحمد كرد علي ، تقول لهم هذه العبارة المضممة : يا اعداء المرأة لولا نساء اظلمت عليكم قلوبهن فلم تدخلوها ، لما كانت عداوتكم ، واذا دعوتهم الى تحقيق المرأة والبطش بها فان وراء دعوتكم تشفيقا وانتقاما ، فقد يكون الدهر ابتلاككم باهواء الحسان ، او بلوتم زيوف النساء ، فتجانبتم عن الخواص الصحاح ، وقد ثبت بالعيان والبرهان وفي شواهد التاريخ الادبي والسياسي ، ان عداوة المفكرين للمرأة لم تكن لوجه الحق . ان من يقرأ « انصاف المرأة » ويتفحص صدره للحقيقة لا يد ان يلمس صدق الهجة ، وحرارة الشعور ، ودفع العبارة ، ويحس بغيرة المؤلف وحرصها الكبير على بنات

(١) كتبت هذه المقالة قبل زواج الحكيم .

والتمثيليات الباردة الفتنة ، والاغاني التافهة الرخيصة ، اما السينما واما الصحافة فهما العدوان اللودوان للاديب يستنزفان وقته ويشوهان ما تماسك من اديه .

ولا يروق الكاتبة اكثر هذا الذي تخرجه مطابعا « من القصة الحديثة اذ ظهر متمسا بالاناقة الشكلية حفيبا بالعمامة والفكرة السطحية ، لا الموضوع فيه معمق النظرة والخطوط ، مغرب عن ومضات ابداعية وروعة جمالية ، ولا التعبير خال من الركاقة والتكلف والابتدال » ولا تقل نعمتها على الشعر الحديث من نعمتها على القصة ، لانه لم يحظ بالطاقة والثقافة الكافيتين ، وكل ما يصل الى ايدينا لا يتعدى « منظومات ومقطوعات لا هي بالنثر ولا هي بالشعر ولا بين ذلك ، ترقوها فتجدها متفككة الوزن متدامية الصور ، سطحية المعنى ، وقد حسب اصحابها ان في رصف الكلمات المكررة ، وتزويق حروفها تجديدا لا يعرفه الشعر العمودي بقوالبه التقليدية التي اعجزت النظامين الناقمين !!! ...

وعلى هذا التوال من النقد العنيف تستمر السيدة وداد في شن غاراتها على الكسالى من ادبائها الجدد « فابن تلك الجلسات الطويلة التي كان يقضيها القارئ عاكفا على كتاب يحب اديه ويندارسه بشوق وتامل » لقد فارق الكتب احبابها ، وعلاها الفبار على الرفوف ، ونصبت فوقها الزرنيعة وفتح العشايق المحدثون بزورات عابرة ، ونظرات خاطفة ، فليس للمثقف اليوم او الناصب الا ان يطيف بعينه في جريدة او مجلة ، راضيا بلقالب الخفيف والنابض المثير ، والصورة الغريبة ، او يدبر مفتاح المديح فيسبح حديثا مستعجلا او تمثيلية هزلية خفيفة . ان المقالة النقدية في شتى الوانها هي جزء هام لا يتجزأ من ادب السيدة وداد سكاكيني تنقد بصراحة فائقة دون مواربة او محاباة ... حريصة على ان تبقى كلمة الادب هي العليا .

وقد يمازج نقدها شيء من الحماسة والانفعال ، وبخاصة عندما يكون الامر ذا مساس بقضية المرأة التي اتهمها اعداؤها بالقصور والمكر ، وراحا يحملونها ، زورا وبهتانا ، كل وزر ، ويجعلونها مصدر كل شر وغدر وخيانة . كلما دق الكوز بالجرعة قالوا فتنش عن المرأة ... منذ بدء الخليقة واعداها المرأة يرمونها بالفدر ، ويلصقون بها كل خطيئة ، وهم لو دعوا قول السيد المسيح « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » لاستحيوا من انفسهم وحجلوا من ظلمهم .

والحق كل الحق في ما تقول صاحبة « انصاف المرأة » من « انها ابدا امرأة ليول الرجال واهوائهم الفاهرة الباطنة ، وكيفما يكونوا يكن ، فهم اذا شاءوا جعلوها ملاكا ، او مسحوها شيطانا ، هي نبع فائتروا منه سائقا طهورا ، ولا تعكروه بالقذى او ترموه بالحجارة ... فتشوا عنها في الامومة الرحيمة فهناك اقصى غاية الجود والتغذية : تسهر

الزمن والموت

كان الخطيب ينزل كالسكة
في شبابه الكلمات
سيداتي : هاكم قلبي وافتحوه
فستجدون فيه : طيوراً مينة
واشعة وافواس فرح .
كان الخطيب ينزل ،
وكان الليل بلا نهاية .
سادتي : هاكم معجزة اخرى
ساعة تدور عقاربها بالقلوب ،
نقاوم للحزن ، والشيوخوخة
هاكم عصفورا من ذهب خالص
اصطفاه في رحلاني
في الاصفاغ النالية الشمالية
كانت العمون .. كانت الابار السمومة
تطارده في كل مكان
فليل النامل لا ينتهي هنا
الخطيب يسقط جثة هامدة
الجمهور يسقط .

هند نوري

جنسها ليقين ربحانة الوجود ووسيلة الخلود ... افنض
عليها بعد هذا بلقب « محمرة المرأة » ؟ ... لا اظن ان هدى
شعراوي ، وقاسم امين ، وباحنة البادية ، ومي زيادة ،
وجرجي نقولا باز ، وماري عجمي ، ومحمد جميل بيهم
وغيرهم وغيرهم ... لا اظن هؤلاء جميعا خصوا المرأة باكثر
مما خصتها السيدة وداد سكائيني ، ولا حملوا لواء الذود
عن كرامتها وحقوقها الطبيعية المقدسة مثلما حملت ...
ومع هذا كله لم نسمع انها اخضعت بوسام ، او قدرت
بحفلة تكريم ، او منحت جائزة من الجوائز ، وان كان
الشعب منحها تقته وتقديره في كل ساحة وفي مختلف
الارحاء .

نعم لو كتبت وداد سكائيني قصصا محموعة على النسق
« السافاني » المستهر ، قصصا يفوح منها الجنس ويسيل
لعاب الغريزة والخيص ، لتسابق اليها المادحون ، وجعلوها
ادبية عصرها ، ولانبرت الصحف والمجلات تقرظ كتبها ايما
تقريظ ، وتسرف في تبجيلها ايما اسراف ، ولكن وداد
سكائيني لم تعر هذه الدعوات الرخيصة اي اهتمام ، بل
ضمت يدي رسائلها الادبية بصمت العابقرة ، ورسالة
العلماء ، لها من تربيتها المحافظة وطبيعتها ما يؤيد اتجاهاها
المرموق .

ان صحيفة اصاعت رسائلها فيقتت دون هدف ، وتطلع
كل يوم بل كل ساعة ادبية يضطرب لها الشرق ، وينهيب
من سحر قلما ، حتى لكانه عصا موسى ... ولو بحثنا في
حقيقة هذه الادبية المزعومة ، لرايناها اجلى المرافقات
التافهات ، ممن يمين انفسهن بارخص الاسعار وازهد
الانتمسان . كسدت في سوق الزواج قاباحت نفسها
للشهرين ، مم يسمون انفسهم ادباء وصحفيين ، ليحجلوا
منها « سافان » جديدة ... تلك هي ماسة الادب النسوي
المعاصر في بعض افطار الشرق العربي ماسة لا ادهى ولا
امر ... يتالم لها ذوو الضمائر النظيفه وينددون بمروجيها
فيتهمون بالرجعية والتزمت ، وجود الفكر والتعصب .

ومهما تكن العاقبة فان صاحبة الوجدان الذي كوداد
سكائيني ، يؤذيها ان تسكت عن تلك المخاري الادبية بمثل
ادوارها ابنة الجبل وبناته على مسرح الحضارة والتقدمية
ويؤلمها ان تد في صدرها نور اليقين ، تهب معلنة سخطها
على تلك الكتب التي انشئت « باقلام فجة محموعة تصور
المرأة والقناة في دنيا العرب عائشة في تفاهات صنعها
المجتمع وقيدها بها ، اقلام ملتعبة الاداء مواجهة بلهاث
الغريزة والجنس ، تصور الانفلات في اقصى صوره
واطواره ، بل هو انطلاق احق وراء كل جديد مستورد ،
سواء كان فيه الخير او الشر ، لم تصنعه حضارة غربية
او شرقية عربية ، وانما صنعه الطولية المنحرفة ، والتربية
الرديئة ، وحب الظهور بمخالفة المألوف ، لتلفت نظر الجمهور
وتضمن لاصحابه كسبا قريبا ، وادبا مهما يكن شأنه ولونه »
« لقد زعم الرجل بان المرأة اقدر منه ، وهي ادبية ، على

تصوير نفسها وعالمها منه ، وصدقته المرأة فاستجابت
لدعوته متغذلة به تارة ، وتارة ثائرة عليه ، باحثة عن حريتها
التي اغتصبها منها ، حتى انطلقت في حلقة مفرغة لا تدرى
كيف تدور فيها على ذاتها ، واذا باقلام غثة فجة تدوخها
الدوامه « السافاني » ويستوهيها ثناء الرجل الذي يطالبها
بان تحيا على خاطرها ، وتعبر بقلما عن فخاها هذه الحياة ،
دون خجل او تخوف ، على ما يسمى بالتقاليد التي صنعتها
بزعمه المجتمعات المتخلفة . انه يريدنا ان نعرى نفسها
وحسبا بيدها ، وان تنفزل به وبمغائنها ، فيسمعه منها
ويقرؤه بادبها ، واذا بهذا الادب القيم والعادات خرافات
وسخافات » .

تلك هي وداد سكائيني في صور من بعض قصصها
ومقالاتها التي تكشف النقاب عن كل زيف واهوجاج وضلال
وتلقى من جرائها خصومة المنحرفين وكيد المستغلات .
لقد ظلمت ادبينا الى سماء العرب في ازهى عصورهم ،
فابصرت فيها كواكب نسوة ساطعات بهرها تالق نورهم ،
وغمرها شعاع من ايمانهم واخسانهم ، فاختارت منهن
اربعة عشرة واحدة فيهن : ام الزهراء ، وام الحسين ، وام

المؤمنين وغيرهن من فضليات العرب ، وكن حجة التاريخ على الرجال ، فطقت قلب نفسي البحث عن سيرهن واختابهن بطون التراجم ، ومتون التاريخ ، تجمع من هنا خبرا ومن هناك سيرة ، حتى جلت ذلك كله في صور فنية تناس بها النفس ، ويهفو اليها الخاطر .

لقد قصدت من كتابها « امهات المؤمنين وبنات الرسول » ان يكون نبراسا لفئة العربية تهتدي به ، ومشعلا ينير الطريق امام كل من لا تعرف كيف تربي أطفالها على النبل والابثار والوفاء والتضحية .

وما دنا في معرض كتابة السيرة فلنذكر كتابها القيم « نساء شهيرات من الشرق والغرب » الذي اشتركت في تأليفه مع السيدة المصرية تماضر توفيق وهو يحوي عشرين ترجمة لاشهر النساء اللواتي نفعن العالم ووهبته قسطا كبيرا من جهودهن في الحياة التي عشنها في القرن التاسع عشر او العشرين ، وقد قامت السيدة وداد باختيار النساء العشر من بنات الشرق العربي اللاتي كن من الرائدات المجاهدات في نهضتنا الحديثة .

بقي هنالك نجم نسوي مثاق لم يشرق في دنيا ترجماتها القصيرة حتى الان ، مع انها تقصت الوجه الانثوي الزواة كلها في كتابين اثنين .. ولكننا لم تكن لندري انها تخبىء هذا الوجه لتبرزه محاطا بهالة من نور سماوي يطفئ الابصار ، فتفقد ازاءه حيلاري ضالمين في غيمة الابدى .. هذا النجم كان قد « طلع في سماء البصرة العراقية آخر القرن الاول للهجرة ، تسلل نوره الى الخالي والبيت ، وسطع فيها كالنيرات ، وبقي مرموق الضياء حتى هوى في اعقاب العصر الثاني للهجرة ، متجولا الى الحدود » .

تسمى ، خلدها السطور ، ولهجت بها الالسنه ، وتداولتها بالذكر والتأليف طائفة من الباحثين في القديم والحديث « تكلم هي رابعة العدوية (العاشقة المتصوفة) التي جلا قلم السيدة وداد عن سيرتها ما علق بها من حيرة وتناقض وغموض ، فكانت من اجل الدراسات في السيرة ، وقد قامت الدعايات لترويج مؤلفات عن رابعة العدوية لم تسلم من التآخذ والتعليق .

ولخص تأثير عميق في حياة هذه الادبية وثقافتها ، فهي السورية الوحيدة في زمانها التي اقامت بضعة عشر عاما تحت سماء وادي النيل ، عندما كان زوجها يحضر للدكتوراه في الاداب من جامعة القاهرة ، وابان وظيفته مستشارا ثقافيا لسفارتنا قبل الثورة المصرية وبعدها ، ثم في ايام الوحدة ، وحين كان اولادها يتلقون الدراسة ، وكانت هي تقدم انتاجها واحاديثها من اذاعة القاهرة ، ومن دور النشر والتأليف فيها .

لقد ساعدت هذه الفترة على تألقها الفكري ، وفتحت امامها مدى واسعا للتعرف الى الحياة الادبية المصرية المعاصرة خير تعرف ، فشهدت الندوات والمحاضرات لكبار اعلام الفكر والادب من مصريين واجانب ، كما استطاعت

ان تفتح النوافذ على احوال الشامي ، فتعرف المصريين بنناجنا المجلي نفسي محاضراتها واحاديثها واجتماعاتها الفكرية ... وهكذا فاعل ادبها بين ادب البلدين ، ومازج ما وسعه التمازج وان بقيت هنالك فوارق جزئية تمهر كلا منهما بطوارع اقليمية خاصة لا تزول .

ومهما يكن من امر فان طبيعة مصر وطرائق الحياة فيها ، واختلاف انماط اهلها : في ازيائهم وعاداتهم وتقاليدهم ، في اذواقهم وتفكيرهم وامثالهم ، في افراحهم ومآتهم واعيادهم ... كل هاتيك الصور اخضبت ذهن الكاتبة واغنت خيالها ، فراحت تسجلها في قصصها التي نشرتها تحت عنوان « بين النيل والنخيل » .

تقول الاديبة : « تدور بخاطري هواجس القصة ، واشتاق كتابتها من القاهرة الساحرة ، لا اتخيل ابطالها وشخصها من الجن والوهم ... وانما اخذها من مصر في ماضيها الاصيل وحاضرها الموصول به ، فاجعل رجالها من اهل القفطان والجلابيب ، ومن المشايخ الذين تزين رؤوسهم العمائم البيض وتفتن متاكبهم بالثقال الموشى ، واصور نساءها التعسيفات باللاءات السود الملثثة على قدودهن الرشيقه وقد ضربن على وجوههن بالبرقع ذوات الخصائص ، وتضين القصب المدهية على الانوف ، ورحن يطفون في ميدان السيدة زينب وفي منعطفات بوق ، تتحقق في ارجلهن خلاخيل الفضة ، وتهوى اقراط الذهب متدلية من آذانهن كالآلهة ، وفي سوانح الليالي تحت ضوء القمر ، اذبح الحضور بين هذه الشخص في ذهبيات وعوالمات تتزين فوق النيل او ترسو في ظلال النخيل » .

اما كتابها « مصر كما عرفتها » فسوف يحمل اطلعاها وذكرياتها وصور مصر قبل الثورة وبعدها .

بقيت الناحية الهامة في شخصيتها وحياتها ، وهي الامومة المثالية والزوجية الفضلى ، لا يصرفها اي شغل عن رعاية هذه الوظيفة الطبيعية . اما النقد الادبي الذي مضت فيه مع القصة جنباً الى جنب ، فقد جعلها من المدوكلات الثلاث او الاربعة في علمنا العربي ، او بالاحرى في مصر وسوريا والعراق ، وهذا المراس الشاق لم تستطع مشاركة النقاد فيه الا هؤلاء العربيات المدوكلات اللاتي يقمن برسالة النقد في معرفة وشجاعة واقتدار .

وقد اشار الى هذا الامر في ادب وداد سكاكيني مقدم كتابها « نقاط على الحروف » الناقد الكبير الدكتور محمد مندور .. ومهما يكن الكلام على انتاج الادبيات السوريات ، فان ادب وداد سكاكيني يبقى في الطليعة بأصالته وصدقه ، معززا نظرة الاعتبار والايمان بمواهب المرأة العربية الحديثة ذكرا « ميا » وبأشعة البداية وسلمى صابغ و « العمجية » وامثالهن من السابقات اللاتي مهدن الطريق للناتفات بعدهن فحملن بجد واخلاص مشاغل الفكر والادب وكانت منهن اديبة الشام السيدة وداد سكاكيني .

عيسى فتوح

دمشق

بالشعر ، والحب ، والإيمان ، والأشياء . أن شعر البريكو سالا مستوحى ، في العادة ، من ظروف عاطفية لا ينطوي فيها على نفسه ، بل يفتح على مضمون أخلاقي وإنساني أوسع وأرحب . وهو لا يعتمد على الفنائية والتفجع نحسب ، بل على الحوار ، وبمعنى مزدوج ، أي بين كائنين يبحث كل منهما عن الآخر رغم اتساق أو الاختلاف السيكلوجي ، وبينهما وبين العالم ، أو المدينة - التي هي قبل كل شيء مدينة ميلانو - ميلانو الصناعية العاملة » .

وقد ولد الشاعر البريكو سالا في (فابلاتي) في ١١ مارس ١٩٢٣ ، وعمل في الصحافة منذ عام ١٩٤٥ ، وظل له حتى الآن ستة دواوين شعرية ، من أهمها ديوانه (وتزداد الصعوبة دائما) الذي فاز بجائزة (تشيرفيا) عام ١٩٦٠ . وله أيضا رواية نثرية عنوانها (السجن الأخضر) ظهرت عام ١٩٥٨ . وقد ترجمت قصائده إلى الانكليزية ، والفرنسية ، والمانشانية ، كما سبق أن تمت بترجمة بعضها إلى العربية (١) . ولقد قام الشاعر برحلات إلى مختلف أنحاء أوروبا وأمريكا ، كما يبدو من قصائد قصته الشعرية الجديدة التي نظمت مقطوعات متعددة منها في أماكن مختلفة من أمريكا وأوروبا . وهو يعمل الآن محررا أدبيا وناقدا سينمائيا في جريدة (كورييري ديل سيرا) الكبرى التي تصدر في ميلانو منذ نحو تسعين عاما .

في هذه القصيدة الشعرية الجديدة يسجل الشاعر وقائع حبه في مختلف حالات الرضى والغضب ، كما يسجل مشاعره في اللقاء والبقاء وفي القرب والبعد . حتى أن بعض خواطره الشعرية يبدو في غاية السذاجة . وقد أحببت أن أنقل هنا عددا من المقطوعات التي تصور مختلف أطوار هذا الحب ، ومختلف المشاعر واللحظات التي يصورها الشاعر في حبه الذي انتهى إلى الإخفاق ، اخترت بعضها من أول الكتاب متتابعة ، وبعضها من القسم الأخير منه . ويلاحظ القارئ المسحة الرمزية الخفيفة في شعر البريكو سالا ، إلى جانب الواقعية في إعطاء الصورة المباشرة للحظة التجربة الشعرية .

BRUCIANO INSIEME

تحترقان معا

من بين ألف وجه ، في السينما المتعة
تبحثين عني . ويوم الأحد ، والحر والعملة لا تسمح بفسحة .
وفي الأمر البتل تتحول إلى رمد
السيجارة التي عليها آثار شفتيك
وتبسمي سيجارتي طائفة : فنحترقان معا بهدوء .

ANTICIPO, RITARDO

متقدمة ومتأخرة

من المؤكد أنك أنت التي تلحقين بي
متأخرة ، في الأماكن المكتشفة

(١) عدد أبريل ١٩٦٢ من مجلة الأدب .



عيسى التاغوري

شاعران إيطاليان في أحمر أثارهما

بقلم عيسى التاغوري

على هذه الصفحات من مجلة الأدب الراعة يطيب لي أن أعود اليوم فأقدم كتابين شعريين جديدين ، هما آخر ما صدر للصديقين الشعارين : البريكو سالا ، ولينا أنجوليوني ، اللذين سبق أن قدمتهما إلى قراء الأديب بما ترجمته من شعرهما في عدد فبراير ١٩٦١ (عن الشاعرة لينا) وعدد أبريل ١٩٦٢ (عن البريكو) . وليس من قصدي أن استعرض الكتابين أو أقدم دراسة نقدية لهما ، وإنما يهمني أن أترجم شيئا من كل منهما بعد أن اعرف بصاحبه وبموضوعه تعريفا سريعا .

١ - حب انتهى إلى الإخفاق

UN AMORE FINITO MALE

الكتاب الأول قصة حب شعرية ، سجلها صاحبها الشاعر الشاب البريكو سالا Alberico Sala في خطرات شعرية عديدة بلغت ثمانين مقطوعة ، وجاءت في نحو ١١٦ صفحة من القطع الصغير . وعنوان هذه القصيدة ، أو القصة الشعرية ، الطويلة هو (حب انتهى إلى الإخفاق) . ولعل خير تعريف بهذه القصة الشعرية الجديدة ما قدم لها به الناشر (ارنولدو موندادوري - ميلانو) وهو : « شخصان ، ومدينة ، والناس : هذه هي العناصر الرئيسية للحمة الحب هذه التي يقدمها البريكو سالا . أما البيئة فهي منطقة لومبارديا ، حتى حين يدفع النظر إلى أماكن أخرى في أوروبا وأمريكا . وأما مادة الكتاب فهي ذات صلة

عظلة اب تحملني الى البلدة
التي احسست بها على فراشك
(وامك كصمغ الصنوبر ، كذلك
باصابعها بنعومة من حول جرح احشائك
ظنا منها بان ستزول البتلات الوردية) .
وهنا ما تزال تختلط الظلال
عند المساء على الجدران ، كورق اللعب .
ويهرع الاطفال ،
كطيور السنوتو الشتانية ، فوق الحقول .
وفي المساء الذي ينزل
انزلاق الغطاء عن اكتافنا ،
اظن من السهل
ان نحيا هنا ، ذاكرة ودبعة .

في الفندق حيث يتأخر الوسيط
عن وضع يده
على كتف الرجل الغافل ،
تلعين يصبحون الفضة المجوفة
التي وضع عليها الشيخ رسومه
مع بياض افغاسه .

اذا لم تفهم ، ولن تفهم ابدا
والايرام مبهطة بالثلج :
وانا في عودتي الى منزلي ليلا امر في المدينة .
التي حفر لها المياه ، خلف الجدران الشاهقة .
واصوات البهائم في الحظيرة
تفتح امامي ويقا من السنابل مكسوا بالثلوج

IL MONDO DANZA

العالم يرقص

اثنا عشر شهرا ، سنة ، ونعود فنلتقي يا حبيبتي
في المدينة المأكرة . والنور يلمع
على حصباء الدار .
(وفي المساء يروي الفيلم قصته
ونروي نحن قصتنا :
واصابعك بين اصابعي ، في الظل المرتعش) .
اثنا عشر شهرا ، وما يزال خريف الضباب
علينا ان نشجع لنستعيد
ذكريات ايام الفضب والحسد ، والصراخ الليلي ،
والبحر في قنطرة الفحم .
اثنا عشر شهرا ، العالم يرقص على بركان
ويلهو باعداد الموتى - ونحن من دون حراك
ننظر الى شعاع القمر الرقيق ،
وبداكرة مجلوة نجعل رأس السنة مضاعفا .

وانا في خلوة . كيلومترات من هواء الميد
وموتورات فرحة . انني اعرف كل حجر .
في الحانة الرومانية ، والقناتي
على الواند ، والفراخ تلمع
اكثر من النحاس المعلق على الجدران
وانت قد غادرت المكان . وفي الفندق
الفلورنسي ، والاطر يصفغ الزجاج ،
بفوح عطرلك .
ومن داخل رفوف الكلية الزرق
يتعالى التصفيق
فيتموج في سمعي الان ،
وانت في الغرفة المتواضعة
التي يقرها (البارما) بالظلال المتارجحة على التلال ،
تصفين الى ضحكة احدي الصديقات .
وعلى الشاطئ الذي اخلي للرياح
لا يدرك الخادم
معنى النخب الذي اشربه وحدي :
نخبك انت التي تأتين دائما
اما متقدمة عني واما متاخرة .

SE TU SCHERZI

ان كنت تهزئين

لم تعودي تصديق احدا : وتتساءلين
الى اين تذهبين ، ولا تبحثين عني .
على جدار الليلاب والمسك
تنحني نحيلة قانتك العالية
وتقولين : لو طحنتني السيارة الصاعدة بفتنة
فيتلطح وجهي بضوء القمر ...
ولست ادري حتى ان كنت تهزئين !

ALBERICO SALA

البريكو سالا





LINA ANGIOLETTI

لينا انجولييتي

كل محاولة لادراكك . وفي محفلتك
تحملين وهما بانني
ما ازل ممن يعرفون الصبر ،
ويخشون الاساءة ،
ولذلك يرضون بالعذاب
في عيد الفصح يدعون الاصدقاء
الى هذه الحيرة او تلك .
ولما انقسم غيوم الاشجار المنورة

للعافية كالبحر ، وازور موتاي الاحباء .
فانا الان ، بعد ان بلوت الحياة
لم يعد قلبي يتق باحد سواهم . وطنين الزناهير
على الازهار الالية من الريفيرا
(حيث لعلك تحطمين الان نفسك حيرة)
لا يزعم الطمانينة الكثيرة التي متخجتيها .

UNO PIU UNO

واحد وواحد

اقتنمي ، لقد قضي الامر : سنين طويلة
ظللتا تؤمن بان (واحد + واحد)
يساوي بالنسبة لينا واحدا فقط .
لقد خرجت نهائيا

من حقلي ، فلن تسبني الي بعد الان .
سيكون البيت الجديد مهينا في الربيع
ولكنك ، لحسن حظي ، لا تعرفينه ،
لم تلمسيه ، ولن يستطيع صوتك من خلفي
ان يقطع صمتي .

وهكذا سيكون في وسعي ان استعرض الذكريات
دون خشية من ان تعودني
بوحشية طفولية لتبعثرها .

مراغ الاحد يتركنا

في المدن التي تهمننا وحدنا ،

معرضين للشمس التي دفنت قبل اوانها ،

والنسيم الذي لا يحرك اوائل الاوراق .

هنا اسير خلفك ،

والس في صوتك غبطة

لوجودنا معا ، اليوم ، على البحيرة الصديقة .

انها ما تزال ، في نظرك ، تعدها في الصيف :

يخدعك فتورها ، فتقولين :

« اود ان اسبح » . وانا ، بملء الصفاء ،

انظاها بالموت خلف كتفيك

لكي تمسكي باصابعي ،

وتدفعي بي بين القورب المتراسة .

IL RITO SPALANCATO

الغش بالشرعة ابوابه

الصوت يبنىء عن قربك ، ولكنك لا تجيئين ...

وفي المدينة ذت الطرق المظلمة ، والجنيات

النناحات بين الاشجار ، ابحث عنك .

ولكن عيني معلقة على الحد المرمرى

من ناطحة السحاب . وقلبي

ضحكة الهاتف على السرير ،

ووجهك الذي يشق ألطر

وينظر الى العش المشرعة ابوابه .

Fiume del silenzio

نهر الصمت

هل ترين ؟ لقد اكتملت استدارة القمر

مرة اخرى ، لتفتح المدينة

في الخريف . وانت في هذا الجحيم ،

اين انت ؟ لعل خطاك تنفر الان

حجارة الطريق خلف منزلي ،

او في (سان سيرو) ، تتابعين انفاس الجياد

المتزجة الان بالضباب .

ان خيط الهاتف الاسود لا يفيد

في اكتشافك . فليس من حياة

على الطرف الاخر من الهاتف . انها الحربة الكبيرة

التي تمنحك اياها ميلانو .

ومعدرة

اذا انا اقتنمت هذه المناسبة . انني ابحث عن الفاظ

لك انت ايضا ، في نهر الصمت هذا .

PASQUA 1963

عيد الفصح

ثلاث سنوات وانا انتظر ذليلا

ان تصبحي شيئا انسانيا .

لقد افلحت في اقتناعي

بانني في وحدتي على صواب .

لقد حطمت بعناد اشد من عنادي

خاصة ، وإذا كانت البيئة التي وجدت فيها تساعد على تنمية حب الجمال والشعور به في نفسها ، فإن تقدس الحرارة في الترابط العائلي ، من الجهة الأخرى ، كان يضطرها إلى كبت مشاعرها ، وأهداف أفكارها وأحاسيسها ، ودفعها مبكرة إلى حب العزلة ، بكل ما يرافق هذا الجفاف الاضطرابي من كآبة . ومن المؤكد أن الأم الطفولة قد أدت إلى ازدهار رائع في التفكير ، وفي المعرفة ، وشعوره في الخيالات والأوهام ، وإلى الرغبة الجادة في الدخول إلى كل قلب الليث عن تلك الخصائص الشخصية التي لم تتوصل إلى معرفتها كما يجب في سني حياتها الأولى » .

ثم تمضي الترجمة الإيطالية فتتحدث عن شعر زميلتها الإنكليزية ، وتحلل شعرها تحليلًا يدل على مراقبة حميمية وادراك عميق له ، وتجاوب صميم معه .

إن « أولفات أدب ستينويل اشعرية التي وضعتها في مدى خمسين عاما من عمرها ، ذات شهرة واسعة في بريطانيا وأمريكا وفرنسا وغيرها ، على الرغم من أنها ملأى بالغموض ، وهي نابعة من ثقافة كلاسيكية واسعة ، ومن حب عميق للشعر ، تشاردها فيه زميلتها المترجمة الإيطالية السيدة أنجوليتي ، كما تشاركها في غموض الشعر أحيانا كثيرة .

وفي التعريف بالطريقة الشعرية التي تنظم بها أدب ستينويل قصائدها نقول المترجمة في مقدمتها : « وطبعي أن شعر ستينويل في الغالب هو مما تعارفنا على تسميته بالشعر الحصري ، وأواني به الشعر الحر ، دون قيود بنائية شعبة ، سواء في النظم أو في الشكل الشعري » . أما الترجمة الإيطالية السيدة لينا أنجوليتي فقد ولدت في إقليم « فينيتو » ، وأنهت دراستها في الحقوق في جامعة ميلانو ، وتزوجت هناك . وقد نشرت عددا من الدواوين الشعرية ورواية ثرية بعنوان (شك معقول) ، واشتركت في الكتابة في كثير من الصحف الأدبية بمقالات نقدية ، وأقاصيص متنوعة ، وترجمات عن اللغات الإنكليزية والسكونية . وقد ترجم بعض أعمالها الأدبية - الشعرية منها بنوع خاص - إلى عدد من اللغات القريبة ، كما سبق لي أن ترجمت بعض قصائدها إلى العربية في عدد فبراير ١٩٦١ من هذه المجلة .

وهذا الكتاب الجديد الذي تقدمه لينا أنجوليتي - وهي أول من ينقل شعر أدب ستينويل إلى الإيطالية - يبدو فيه الجهد اللوف في الاختيار والترجمة . وقد جاءت ترجمتها أمينة إلى حد بعيد ، كما جاءت ناصعة العبارة في لغتها الإيطالية .

إن الترجمة إلى العربية لا تستطيع أن تبرز شيئا من صدق الترجمة الإيطالية وجمالها ، ولا من فضل الترجمة في عملها هذا ، وإنما تبرز شيئا من الروح الشعرية الأصلية لدى الشاعرة الإنكليزية أدب ستينويل ، ومما

أما الكتاب الثاني (قصائد العصر النري) فهو مجموعة قصائد مختارة من أحدث شعر الشاعرة الإنكليزية أدب ستينويل قامت بترجمتها إلى الإيطالية الشاعرة لينا أنجوليتي ، التي سبق أن قدمتها لقراء الأدب معترجمات من شعرها ، في عدد شباط ١٩٦١ ، وتولت دار (تشينو دل دوكا) للنشر في ميلانو نشرها في سلسلة منشوراتها المعروفة باسم (المنشورات العالية) .

والكتاب مخرج أخراجا أنيقا ، ويزيد في قيمته أنه يجمع بين الأصل الإنكليزي على صفحة ، والترجمة الإيطالية على الصفحة الأخرى القابلة لها . وهذا مما يزيد في الثقة بالترجمة الإيطالية التي وقفت عليها الشاعرة الإيطالية السيدة أنجوليتي توفيقا غير قليل . يضاف إلى ذلك أن المترجمة قد قدمت للكتاب بمقدمة طويلة انصب قسم منها على الاهتمام بنبوغ المرأة الشاعرة ، وهو ما نعتبره لينا شيئا نادرا في التاريخ .

والواقع أن هذه المقدمة جديرة بالذكر والاقباس . لأنها تربنا كيف استطاعت المرأة الشاعرة الإيطالية أن تفهم زميلتها المرأة الإنكليزية ، وتقف على خفايا نفسياتها وشاعريتها معا ، وأن تلمس زوايا العظمة في نفسها وفي شعرها ، على الرغم من أن « أدب ستينويل قد قوبلت بمقاومة شديدة في بلدنا نفسه ، وما يزال الكثير من النقاد ومن القراء إلى اليوم لا يستطيعون أن يبلوكوا عظمة شعرها » ، كما تقول في المقدمة . وهي تضيف مؤكدة أن « شعر أدب ستينويل يعان بوضوح أن ضمير المرأة الشعري ، في تاريخ الشعر المعاصر ، قد أخذ يتحرك من ظلام الرقاد الأيدي نحو النور الكامل ، كحرارة محيية راحت تتلمس معرفة السماء والأرض ، حاملة إلى الجميع ، رجالا ونساء ، شعر الحب ، والمعرفة ، والسخرية ، والرقعة ، والام ، والوطنية ، التي لم تبلغها قط تلك الجسور الأرضية السليمة الحارة التي هي من خصائص المرأة » .

إن لينا أنجوليتي تعتبر ظهور شاعرة عظيمة مثل أدب ستينويل أمرا جديرا بالتنويه والاهتمام الكبيرين ، فهي تبدأ مقدمتها بقولها : « في مدى التاريخ الأدبي ، العالي لا الإنكليزي وحده ، يندر العثور ، بين كبار الشعراء ، على امرأة » . ثم تضيف بعد كلام طويل : « وطبعي أن الجميع يعرفون أنه قد ظهر بعض الشاعرات الكبيرات في تاريخ الآداب ، ولا حاجة إلى ذكر أسمائهن القليلة العدد » . ثم تمضي في التعريف بأدب ستينويل ، فتذكر أنها « ولدت عام ١٨٨٧ في أسرة عريقة إنكليزية ، وقضت طفولة تظلها بعض الشقاء رغم كل مظاهر الترف التي كانت تحيط بها ، والتي من شأنها أن تهيب السعادة لأي طفل . والواقع أن هذه الطفلة كانت ذات مزاجا

لا تقولي

لا تقولي عندما يمضي الربيع :
قد عفا في لحظة ذاك البهاء
وذوى في روضه الزهر اليبس
قبل ان يروي بطلس وغيباء
كم ربيع سوف ياتي ويسزل
وورود سوف تزهر في الرياض
تتساهى باحمرار - وبياض
برهة ما ، ثم يغتفها الدبول

✱

لا تقولي عندما ياتي الشيب :
يا شقائي ! مر كالعالم الشيب
وفؤادي شاق ذرعا بالوجيب
قبل ان يحطى بامال عذاب
ان تاهوت على العهد القديم
وتدبت الحلو من عيش مضي
فقلوب الناس لا تدري الرضا
عن مقام في شقاء او نعيم

✱

الآن لو شئت انتهيت التعا
ورويت الروح من خمر القرام
وارتشت الانس جاما مترعا
قبلا تسقين من كأس الحمام
ايه ، لكن كم تولت من نفوس
امضت العمر بلهسو واتسراح
عافت اللذات والانس الباح
وتعت لو اربحت في الرموس

✱

لا تقولي : قد مضى عري سدى
بين ياس وياس ورجاء
وفريسا سوف يطوى في الردى
سر نفس لم تزل غير الشقاء
انما الانسان في هذا البقاء
مثل نجم في الدياجي طفا ،
وسواء اخيا ام سقطا ،
يختفي في الغيب مذ تبدو ذكاء !

مير بصري

بغداد

في شاعريتها من خيالات جامعة ملأى بالفموض . وها أنا
أقدم في ما يلي ترجمة لقطعة واحدة من الشعر المجموع
في هذا الكتاب الانيق الذي يقع في ٢٧٨ صفحة من القطع
المتوسط . وهذه القصيدة بعنوان :

ما يزال يسقط المطر (عام ١٩٤٠) STILL FALLS THE RAIN

ما يزال يسقط المطر
معتما كعالم الانسان ، اسود كدمارنا
أعمى كالسائر الالف والتسعمئة والاربعين
على الصليب .
ما يزال يسقط المطر
كدقات القلب التي تحولت الى ضربات مطرقة
على حقل الخرب ، ووقع اقدام كافرة
على القبر .

ما يزال يسقط المطر
على حقل الدم حيث تتكاثف الاملال ، والدماغ البشري
بغدي جشعه ، تلك الدودة التي تشبه وجه قائلين
(قبايل) .

ما يزال يسقط المطر
على قدمي الرجل الجائع المعلق على الصليب ،
ايها المسيح الذي تدق السامير في يديه
في كل يوم وليلة ، ارحمنا !
ارحم افني منا والفقير على السواء ،
فتحت المطر تساوي الجراح والنفطار .

ما يزال يسقط المطر
وينهمر الدم من الجنب الطعين في الجراح
انه يحمل في قلبه جميع الجراح - جراح
النور الذي مات
واخر انفاس الشرارة .
وفي قلبه المنتحر ، جراح الظلام الكثيب الذي لا يدرك
جراح الدب العالق في الشرك .
الدب الاعمى التالم الذي يضرب الحراس
جسده المستسلم دون حماية ... دموع الارنب التي
اصطبغت .

ما يزال يسقط المطر
اذن - اه - لاني سائب نحو الهي الذي يدفني الى الخلف
انتظر ، انتظر الى حيث يجري دم المسيح في الفلك :
ويجري كذلك عن الجبين الذي سمرناه على الشجرة
الذي تشتعل فيه نيران الدنيا - المظلم من الالام
مثل اكليل قيصر المصنوع من الفار .
وعندئذ يرن صوت الواحد الذي كان يوما ، مثل قلب
الانسان ، طفلا مضطجعا بين البهائم .

« ومع ذلك ما زلت احب ، وما زلت اسكب نوري
البريء ، دمي لاجلك »

عمان

عيسى الناعوري



اديبا اريباً ، يحفظ
وبروي وبغتي الجيد
من الاشعار ويعرف
الكثير من اخبار
الدول وابامها ، ذلكم هو
اسحق بن ابراهيم بن ميمون
الموصلي الذي كان سببا في ان يقدم
لمولاه الخليفة المأمون زوجة سالحة
كيسة عاقلة عالمة هي بوران ابنة
الحسن بن سهل . ويخلص اسحق
نفسه بئس من التصرف قصة الزواج
هذه فيقول : كنت مقدم الراي مطاع
الامر في دار المأمون مقيول القول فيه
لا عارض في شيء اذا اومات اليه
وبينا انا خارج ذات مساء من مقر
الخليفة اذ سولت لي نفسي ان اسلك
طريقا لمزلي غير الذي كنت اسلكه
فصك وجهي في زقاق من الازقة
المظلمة زينيل كبير معلق باربعة
مقايض ، مكسو بالديباغ وفيه اربعة
احبل من ابريسم وبعد ان زال عني
ما خلفته هذه الصكة من الالم والروع
للذين حل مكانهما البهر والعجب
تتابعت الافكار في مخيلتي واصطُرعت
في نفسي احاسيس شتى ومشاعر
متباينة تدور حول كنه ما رايت !! وما
هي الا هنيهة حتى خطر لي ان القى
بجسمي داخل هذا الزنبيل ووقتما
نفدت هذه الفكرة التي جالت
بخاطري احس المختصون بجذب
الزنبيل ينقله سرعانا ما جذبه الى
اعلى ، ثم وجدت نفسي فجأة في دار
نظيفة فيها من الحسن والظرف ما
حرت له . ووقع بصري على وصفات
يهودون تجاهي وسطهن غادة كانها
تمثال من عاج صبت فيه الحياة .
ابتدرتني هذه الفادة قاللة : ما الذي
حملك الى هنا ؟ فلما عرفت ان
الزنبيل هو السبب قالت : وما الذي
دفعك على ان تسلك هذا المسلك ؟ لم
يكن مني الا ان قصصت عليها صادقا
ما كان من امري وختمت حديثي
قالا : فان كان ما فعلته خطأ فساد
الراي اكسبنيه ، وان كان صوابا فالله
الهميه فقالت : هون عليك ، لا ضير

ولا ضرر ان شاء الله . وكنت اتلذذ
والحق يقال - شديد الروع بادي
الاضطراب فارادت ان تسري عني
وتزيل بعض ما بي فساتنسي : ما
صنعتك ؟ قالت : براز . قالت : واين
مولدك ؟ قلت : بغداد . قالت : ومن
اي الناس انت ؟ قلت : من اواسطهم
ولما ابديت لها رغبتني فسي الانصراف
قالت : ان الرغبات هنا لا تجاب بمثل
هذه السهولة التي تخيلها وان
لخروجك من هذا الجو المحيط بك
نمنا ان ادبته حالا كان لك ما اردت
وما تريد ، وان هذا الثمن نفسي
مقدورك ويسر بالنسبة لمن كان على
شاكلتك ممن تبدو عليهم سيماء الادب
وسمة العلماء ، فلما سالتها هو ؟
اجابت : ان تروي لي شيئا من جيد
الشعر قديمه وحديثه فاعتفرت قائلا



من قصصنا العربي
بقلم محمود بن الشريف

جعلت فداك ان للقدام دهشة فان
ابتدأت بالانشاد فقد يكون ذلك ادعى
الى تذكري والشيء بالشيء يذكر .
ولما انشدتني لجماعة من الشعراء
القداماء والحداث من احسن شعاعهم
واجود اقاولهم وانا مستمع مندش
انظر من اي احوالها اعجب ؟ امن
ضبطها ام من حسن لفظها ؟ ام من
اقتدارها على النحو ومعرفته وزن
الشعر ؟ ثم اندفعت انا بدوري - بعد
ان زال عني الروع - انشد لجماعة
من الشعراء واقصص بعض الاقاصيص
واستطردت فسررت على مسامعها
اطيب النواذر واحلى الفكاهات فظهر
على محياها الرضا والسرور وقالت :
يا هذا ليس حديثك هذا بحديث تاجر
قد انصرف بكليته الى التجارة وانفق

معظم وقته في المساومة انما هذا من
احاديث الملوك والخلفاء وعلية القوم
وعظماهم ، فلما اخبرتنني بحقيقة
امرك ؟ فاجبرتها بان لي جارا ينادم
بعض الولاء ويسامرهم ، حسن
المعرفة ، كثير الحفظ اسعدتني بعض
القرص التي سنحت فسمحت لنا
باللقيا فكان يقص علي في اوقات
القائنا الكثير من هذه الاسمار
والاحاديث فلما سمعته مني فمنه
اخذته وعنه استفدته فقالت : ان دل
هذا على فطنة صاحبك مره فقد دل
على ذكائك وفطنتك مرات لانك وعيت
اشياء كثيرة في اوقات قصيرة ..

ولما تنفس الفجر انباتها بعزمي على
مغادرة قصرها ورغبتني في الانصراف
فاسلمتني الى عجوز قادتني الى
الطريق الخارجي ، وما ان وصلت الى
بيتي وكسدت استسلم الى اغفائة
قصيرة حتى جاء رسل الخليفة
يخبروني ان مولاهم طلبني اكثر من
مرة وانهم بحثوا عني في كل مكان
يظن اني فيه ولكنهم لم يجدوني ، ولما
مثلت بين يدي الخليفة قال لي : اين
قضيت سواد الليلة الماضية ؟ فلما
قصصت عليه ما كان من امري اصر
الخليفة على الذهاب اليها فقلت له :
دعني اهيء لك الامر وامهد الطريق
حتى لا تتوجس خيفة مني او تظن
بي الظنون اذا ما ذهبت انت معي من
غير ان اخبرها بمقصدك . ولما التقيت
بها في الليلة التالية وتناول حديثنا
موضوعات شتى قلت لها : انني اراك
تهيمين بالادب وتخبين الشعر
والشعراء ، وان لي ابن عم هو احسن
مني وجها واشرف قدرا واحلى صوتا
واكثر ادبا واغزر معرفة وانا تلميذ
من تلاميذه وحسنه من حسناته فان
شئت احضرته معي حتى تسبري غور
تقافته فقالت : ان كان كما وصفت
فجبا وكرامة . وتواعدنا على اللقاء
في الليلة القادمة ، وانصرفت من
مجلسها وذهبت مسرعا الى الخليفة
فانقضيت اليه بالخبر ولما اقترب
موعد اللقاء اخذنا طريقنا الى المنزل

قصة بهتان

لم تزل تنزف روحي ودم الجرح تختنر
مر عامان ، وعام ... وأنا لم اتغير
حاصر الطرف ، كتيب ودموعي تتحدّر
في ضلوعي الف ماسا ة ، وماساة واكثر
كنت قدبسا حبيبا صاحب الصفحة اصفر
كنت ، كالترجس طهرا بل من النرجس اظهر
فاذا بي .. انهاوي .. راعف الجرح ، مغفر
واذا انت .. رفيقي تلعن الروح وتنحسر
لحظة الضعف التي حطمت فيها .. تتبخّر
ان تسكن انت كبيرا ان روحي منك اكبر !

انا يا ظالم ، ما زلت كما كنت فتيا
في ضلوعي لم ازل احمل .. قلبا بشريا
فانا ما كنت ميموشا ولا كنت نبيا !!
بشر قيده الدهر واخلاه .. شقيا
عاش مخمور الرؤى روحا ، وقلبا شاعريا
انت يا جاحد لا تعرف من ماضيه شيئا
شعلة لاهثة الضوء طواها الليل طيا
يتلمن ان يعيش العمر انما رصيا !!
فاطر المكنان والبياد انما كان ابيا ..
زهرة النرجس تذوي ان يك الريح قويا !

راضي صدوق

الكويت

قد جالست الظرفاء والملاح والادباء
رغبة في العلم وحيا في الثقافة ولم
يحدث بينها وبين واحد منهم مكروه ،
ولم يكن رائدها الا الثقافة والمعرفة
فحسب ، وان اسمها بوران ابنة
الحسن بن سهل .

وبعد فترة من الزمن انقطع حديث
اسحق الموصلي وواصل التاريخ
حديثه قائلا : ان بوران هذه كانت
احظى نساء المأمون وآثرهن لديه .

محمود بن الشريف

القاهرة

يتأمل الدار والاثاث والري وقد تملكه
العجب . وبعد ان اقبلت وسلمت
اخذت تسامره وتحادثه وهو يأخذ
معه في كل فن . واخيرا التفت الي
وقالت : لقد وفيت بوعدك وصدقت
في قولك فوجب شكرك على صنيعك
ولما اخذنا طريقنا في الانصراف قال
لي الخليفة : وبك يا اسحق اريد ان
اعرف سريعا من هو رب هذه الدار ؟
ومن تكون هذه ؟ اريد بيانا شافيا
كافيا عنها وعن اسرتها . فوليت
وجهي شطر وصيغاتها العجائز الاتي
يقمن بخدمتها فعلمت ان هذه الفتاة

متكبرين وقلت للخليفة : ان الفتاة
تجهل حقيقة امرك فاذا ما كنا في
حضرتها فعليك ان تطرح نخوة
الخلافة وتترك ابهة الملك والامارة
وعليك ان تظهر بمظهر التابع لسي
المطيع لاوامري فاجابني الخليفة :
وماذا اصنع لو طلبت مني ان اغني ؟
فاجبته : انا اكفيك مؤونة ذلك الامر
لانني سافني بدلا عنك . ولما وصلنا
الى الزقاق وجدنا زنبيلين معلقين
بنمائية جبال تقعد كل منا في واحد ،
وجزينا الجواري واذا نحن في السطح
ولما انتهينا الى المجلس اخذ المأمون

سلامة موسى من الطفولة الى الشباب

بقلم محمود الشرفاوي

عرفنا وعرف الناس شيئا كثيرا عن كهولة سلامة موسى الخصبة الصلبة الثائرة ، وعن شيخوخته الشمرة المكائنة المثابرة ، ولكن أكثر الناس لا يعرفون شيئا عن طفولته وشبابه . وهذا حديث عنهما .

ولد سلامة موسى ، كما يقول ، في ٤ يناير من سنة ١٨٨٧ ، على الأرجح ، وكان أصغر اخوته . ولد في قرية من ضواحي مدينة الرقازيق في محافظة الشرقية . وأصل أسرته من « البياضية » في مديرية أسيوط . نزح فرع من هذه الأسرة الى القاهرة ، ثم الى « الفرافرة » في مركز مينا القمح بالشرقية ، ثم الى الرقازيق . ويقول هو عن سبب هذه الهجرة التي جرت حوالي سنة ١٨١٠ ان نابليون عندما فتح مصر وحكمها ، وهو حاكم مسيحي ، احس الاقبال بشيء من الراحة والحرية . فتركوا ليس العمائم السود التي كانوا يرفعون على لبسها تمييزا لهم عن المسلمين ، كما ترك كثير منهم قراهم وبلادهم الى غيرها من البلاد . وكان هذا اثر من اثر الحرية التي وجدوها الاقباط تحت حكم نابليون ثم محمد علي . وكان هذا الفرع من أسرة « العفي » من هؤلاء المهاجرين الذين تركوا أسيوط واستقروا في تلك القرية القريبة من الرقازيق اما ابوه فكان ، كبقية الأسرة ، مسيحيا ارتودكسيا ، وكان موظفا في الحكومة : رئيس تحريات مديرية الشرقية ، فلما مات ابوه ، وهو في السنة الثانية من عمره ترك ثروة كبيرة ، أكثر من مائة فدان ، ومعاشا لاولاده وزوجه ومتأخر مرتبه لعشرين شهرا .

بعد موت ابيه امتلأ بيت أسرته ، كما امتلأت طفولته ، بالآوان من الحزن والسواد ، كانت امه تصف سنة موته « بالسنة السوداء » . وبقيت بذلته معلقة الى حائط جملة سنوات ، كما كانت يوم وفاته ، وكذلك قميصه المنسج لم يبرح مكانه ، وقد بقي يذكر هذه الطفولة الحزينة طول عمره .

وعاشت امه بعد ابيه نحو ثمانى عشرة سنة . وكانت سيدة مؤمنة متدينة تعتقد ، مثل اهل جيلها ، الخرافات . اذا مرض طفلها غنيت بالدعاء والصلاة أكثر مما تغنى باستدعاء الطبيب . ويذكر عن تربيتها انه في طفولته انه كان يلبس ملابس سوداء ويحمل عبئا من التمام والتعاويد . وانها « خربت » اذنه وعلقت فيها قرطا لتوهم انه بنت ، خوفا عليه من الحسد !!

وماتت امه في سنة ١٩١٦ ولكنه بقي يذكرها ويتحدث

عنها بعطف ومحبة واشفاق طول عمره . وكتب عنها صفحات حية حارة صادقة ، وخاصة في ترجمته لنفسه : « تربية سلامة موسى » . وفيما كتبه عنها يقول :

« وقد تركت امي في نفسي ذكريات من الحنان لا تزال تعود الى ذهني فتفمرني بلذة اليمية . فما زلت اذكرها وانا في طفولتي ، وانا في الحمى اتقلب واستيقظ في فترات فاراها قاعدا الى جنبي تدعو وتصلني كانها قد نسيت النوم . وكانت في سداجة عقائدها ، حين كنت اودعها للسفر الى القاهرة وانا بالمدرسة الثانوية ، تناديني عقب خروجي من الباب وتصر على ان ادخل البيت ثانية ، كان في هذا رمزا الى عودتي سلايا بد السفر . وكان أكثر الحاحا على قبيل موتها ان اتزوج . ولذلك في ليلة العرس وانا قاعد الى جنب عروسي في الزفاف ، في ١٩٢٣ ، بعد موتها بسبع سنوات ، تذكرت الحاحها وغياها فارتعشت وانفض جسمي وطفرة الدمع الذي لم اجرؤ على مسحه . ولكن عروسي اخبرني بعد ايام ان بعض الحاضرين للزفاف يقولون اني كنت ابكي . »

وكانت بقية اخوته اربعة من البنات . وكان يذكرهن ، وخاصة الصغرى بحنان كبير وحب عظيم ويزورها بعد زواجها مرة ، على الأقل ، كل اسبوع ، الى ان ماتت في سنة ١٩٤٤ .

وكان الجو العائلي الهائى الذي عاشه سلامة موسى في طفولته ، هو نفسه الذي يسود بيته بعد زواجه . تزوج عن حب ، وكان يقول ان يوم زواجه كان اسعد ايامه وكان يحب الاولاد ، بنات وصبيان ، حبا كثيرا ويبرهم ويرعاهم .

دخل سلامة في صباه « كتابا » مسيحيا حفظ فيه بعض الصلوات الدينية والدعوات للعداء مريم ودخل بعده « كتابا » اسلاميا حفظ فيه بعض سور القرآن ، ثم عاد الى كتابه الاول . وخرج من هذا ومن ذلك ، بعد ثلاث سنوات او اربع ، لم يتعلم القراءة . وانشأ الاقباط مدرسة لاولادهم في الرقازيق فدخلها وسنه احدى عشرة سنة ، فلما انتقلت مدرسة حكومية فيها ، انتقل اليها . وكان هو واخوانه من تلامذة المدارس في ذلك الوقت ، يلبسون « الجلابيب » ولبس هو فيها « قطنانا وحزاما » . وبقي في المدرسة حتى نال منها الشهادة الابتدائية في سنة ١٩٠٣ .

وكانت امه السيدة المتدينة البارة ، تعطف على الفقراء وتطعم الكثيرين منهم . واعتقد ان اثر هذه الام كان قويا في تربيته ونشأته وتكوين خلقه وصفاته . فقد كان كذلك بارا عطوفا رقيق القلب خيرا .

وقد اكتسبته نشأته الريفية هذه تعلقا بالطبيعة وحياتها جملة يحس بقية عمره احساسا صوفيا ان الارض هي

« فصل من كتاب يصدر قريبا عنوانه : « سلامة موسى : الفكر والانسان » .

الام . وكان اذا ذهب الى الريف ، يكاد ان يهوى على الارض فيقبل تراها عشقا ومحبة . كما اكسبته هذه الشبابة تاملًا خاصًا لعالمى النبات والحيوان كان له اثر واضح في ثقافته وميوله ، واهتماما كذلك بالعمال الذين نجدهم في الريف « الة » من الات الزراعية او حيوانا من حيواناتها .

وبعد ان اتم دراسته الابتدائية في الرقازيق ، انتقل الى القاهرة فالتحق بالمدرسة النوبوية الثانوية ، ثم بالمدرسة الخديوية . ولكن دراسته هذه كانت مشوبة بشيء كثير من القلق والتفجع . القلق مبعثه الصرامة والشدة بل القسوة ، التي كان يلقيها تلاميذ المدارس في ذلك الوقت من المدرسين الانجليز خاصة . وهي قسوة بقيت اثرها في نفسه الى نهاية عمره . والتفجع كان مرده الى تلك المطالعات الجديدة التي تنبه لها .

قرا ، اول ما قرا ، في هذه الفترة مجلة « المقتطف » وصاحبها يعقوب صروف رائد من رواد العلم الحديث وداعية دارون في نظرية التطور واصل الانسان . وقرا ، اول ما قرا ايضا ، مجلة « الجامعة » وصاحبها فرح انطون رائد من رواد الحرية الفكرية في الشرق ، واول « منظر » دعاة هذه الحرية . ثم تعرف الى الدكتور شبلي شميل وكان رائدا من رواد الجراة ، بل الاقتحام ، في مناقشة العقائد والمخلفات الماضية . كان رجلا ماديا منكرا ، نقل الى العربية كتاب بوختر في « المادية العلمية » ليضعف به ، او يخفف ، اثر الروحيات والغيبيات الشرقية الدينية التي كانت تسيطر على افهام الناس وعقولهم . وكان اثر هؤلاء على نفسه وفي ثقافته وتوجيهه اثرا كبيرا . آمن بالادعائهم واعتقد دعواتهم وتحمس لها ، حتى كان يخطو في الاقدام والاعتداء من اخوانه واصدقائه وهو يناقشهم فيها . وفي هذه الفترة - وهو في حدود العشرين وفي مرحلة التعليم الثانوي - قرا الماوردي وابن المقفع من كتب الادب العربي القديم ، ثم صرفته عن قراءة هذا الادب مطالعته في الكتب المترجمة والمجلات التي تنقل عن الادب الاوربي ، وبالاخص الفرنسي . ويقول عن حياته في هذه الفترة ان رائد فرح انطون على نفسه وفكره كان كبيرا ، وانه ، بسبب فرح انطون ، اكبر الادب الاوربي اكبارا عظيما . وكذلك يعزو لفرح انطون نوعته الانسانية البشرية ، وكرامته للاسطير والغيبيات التي كان يكرها بل « يسمئ منها » . واخذ عن يعقوب صروف ايضا أسلوبه القاصد في الكتابة ، الذي كان يسميه : « الاسلوب التلفزيوني » كما تاتر في السياسة او في الوطنية ، بلطف السيد وكتاباته في « الجريدة » ودعوته لان تكون « الوطنية » وطنية مصرية لا شأن لها بالعثمانية ولا بدولة الخلافة والسيادة : تركيا . كما كان يقول مصطفى كامل ورجال الحزب الوطني في ذلك الوقت وفي حدود هذه السن ، سن العشرين ، قامت في محيط أسرته منازعات مالية وخصومات شقيت بها نفسه ، فكان مزاده عن ذلك انصرافه الى القراءة . ثم اثر ان يترك هذه

كانت هذه الفترة ، فترة سن العشرين ، وكان اتصاله بفرح انطون ويعقوب صروف خاصة ، ومطالعته لهما ، من المراحل المحلصة في تاريخه الفكري والثقافي ، ونقطة التحول ، او التوب ، التي انطلق منها فلم يقف بعد ذلك ايده ولم يتحول ، ولم يفتقر خطوة ولم يضعف سعيه ولا يقهت . بل ان هذه الفترة ، بضع برنامجه لتربية نفسه وكان هذا البرنامج بسيطا جدا : هو ان يعيش ليدرس ، فالحياء عنده هي الدرس ، بل الدرس هو الحياة .

وقبل ان نسير ، او نرحل ، معه الى باريس . احب ان ارجع خطوة يسيرة لاقف عند كلمة قالها عن فترة تعليمه في المدارس الثانوية ، وهي المرحلة الاولى من الشبابة التي يتعرض فيها كل شاب لمؤثرات قد تكون فوق طاقته ، ونحولات جسمانية وفكرية وعاطفية كثيرا ما تنتهي به الى انحرافات لا يستطيع مقاومتها .

يقول ان الشقاء والمذاب اللذين كان يلقيهما في المدرسة الثانوية اوقاه في تلك « العربية الجنسية الذاتية التي انغمست فيها للتربية عن نفسي » وهذه جملة ، او اعتراف ، اعتقد اننا يجب ان نقف عنده قليلا لتتأمل وتساءل وتستنتج .

ثم ، بعد هذه الوقفة اليسيرة نستأنف فنقول : شباب وفراغ وباريس ...! ولكن هذا كله لم يفتنه . لان شهواته الملتهبة في هذه السن الفائرة كانت ذهنية اكثر مما كانت جنسية ومع ذلك فان هذا النهم الذهني لم يحل بينه وبين المغامرات العاطفية التي لم يستطع ان ينجح فيها بسبب بيتته التي نشأ فيها وترى ، والوسط الشرقي

الام . وكان اذا ذهب الى الريف ، يكاد ان يهوى على الارض فيقبل تراها عشقا ومحبة . كما اكسبته هذه الشبابة تاملًا خاصًا لعالمى النبات والحيوان كان له اثر واضح في ثقافته وميوله ، واهتماما كذلك بالعمال الذين نجدهم في الريف « الة » من الات الزراعية او حيوانا من حيواناتها . وبعد ان اتم دراسته الابتدائية في الرقازيق ، انتقل الى القاهرة فالتحق بالمدرسة النوبوية الثانوية ، ثم بالمدرسة الخديوية . ولكن دراسته هذه كانت مشوبة بشيء كثير من القلق والتفجع . القلق مبعثه الصرامة والشدة بل القسوة ، التي كان يلقيها تلاميذ المدارس في ذلك الوقت من المدرسين الانجليز خاصة . وهي قسوة بقيت اثرها في نفسه الى نهاية عمره . والتفجع كان مرده الى تلك المطالعات الجديدة التي تنبه لها .

قرا ، اول ما قرا ، في هذه الفترة مجلة « المقتطف » وصاحبها يعقوب صروف رائد من رواد العلم الحديث وداعية دارون في نظرية التطور واصل الانسان . وقرا ، اول ما قرا ايضا ، مجلة « الجامعة » وصاحبها فرح انطون رائد من رواد الحرية الفكرية في الشرق ، واول « منظر » دعاة هذه الحرية . ثم تعرف الى الدكتور شبلي شميل وكان رائدا من رواد الجراة ، بل الاقتحام ، في مناقشة العقائد والمخلفات الماضية . كان رجلا ماديا منكرا ، نقل الى العربية كتاب بوختر في « المادية العلمية » ليضعف به ، او يخفف ، اثر الروحيات والغيبيات الشرقية الدينية التي كانت تسيطر على افهام الناس وعقولهم . وكان اثر هؤلاء على نفسه وفي ثقافته وتوجيهه اثرا كبيرا . آمن بالادعائهم واعتقد دعواتهم وتحمس لها ، حتى كان يخطو في الاقدام والاعتداء من اخوانه واصدقائه وهو يناقشهم فيها . وفي هذه الفترة - وهو في حدود العشرين وفي مرحلة التعليم الثانوي - قرا الماوردي وابن المقفع من كتب الادب العربي القديم ، ثم صرفته عن قراءة هذا الادب مطالعته في الكتب المترجمة والمجلات التي تنقل عن الادب الاوربي ، وبالاخص الفرنسي . ويقول عن حياته في هذه الفترة ان رائد فرح انطون على نفسه وفكره كان كبيرا ، وانه ، بسبب فرح انطون ، اكبر الادب الاوربي اكبارا عظيما . وكذلك يعزو لفرح انطون نوعته الانسانية البشرية ، وكرامته للاسطير والغيبيات التي كان يكرها بل « يسمئ منها » . واخذ عن يعقوب صروف ايضا أسلوبه القاصد في الكتابة ، الذي كان يسميه : « الاسلوب التلفزيوني » كما تاتر في السياسة او في الوطنية ، بلطف السيد وكتاباته في « الجريدة » ودعوته لان تكون « الوطنية » وطنية مصرية لا شأن لها بالعثمانية ولا بدولة الخلافة والسيادة : تركيا . كما كان يقول مصطفى كامل ورجال الحزب الوطني في ذلك الوقت وفي حدود هذه السن ، سن العشرين ، قامت في محيط أسرته منازعات مالية وخصومات شقيت بها نفسه ، فكان مزاده عن ذلك انصرافه الى القراءة . ثم اثر ان يترك هذه

ثم فتر عنها وانصرف عن الاستمرار فيها . وكانت همومها في الثقافة والمعرفة والكفاح توثق نومها وتستولي على عواطفه وفكره . كان ، في هذه المرحلة الحاسمة ، يريد ان يرسم خطاه للمستقبل ، ويحدد منهجه للعمل ، ويرسم غايته التي يريد بها من الحياة ومن الثقافة ومن العمل . وقد انتهى من تحديد منهجه وغايته في الحياة بهذا القرار : « اليس لي مآرب في هذه الدنيا . فلست ابالي ان اكون ثريا . لا بل لست ابالي ايضا ان تكون لي زوجة واطفال . وانما قصدي ان افهم ، ان اعرف كل شيء واكل المعرفة اكلا » .

وهكذا عرف ، وصمم ، وبدأ . ولكنه اصيب بعد شهرين من اقامته في لندن بنزلة شبيهة انهكت جسده وهدت قواه ، ونصح له الطبيب بان يعود الى مصر ، ولكنه آثر ان يترك برد لندن وضبابها الى شمال افريقيا . تقصد مراكش واقام فيها فترة قصيرة زادته ايمانا بان هذا الشرق متخلف مغفل ، يجب ان يتغير فيه كل تفكير ، وكل شيء . وكتب عن هذه الفترة مقالا في « المقتطف » ، سنة ١٩٠٩ ، عنوانه « اسبوعان في المغرب » ثم عاد بعد ذلك الى لندن صحيفا معانا ، وقد « فطمته » زيارة المغرب هذه من كل اثر كان بالباقي في نفسه من الولاء للشرق .

اقبل بعد ذلك على الثقافة الانجليزية ، والتحق بالجمعية الغابية (١) الاشتراكية وكان من زعمائها في ذلك الوقت برنارد شو ، وويلز . وانصل « بجمعية العقلين » وكانت تسمى مؤلفات مسطحة تناهض الدين والعقائد ، فقرأ جميع هذه المؤلفات . وبقي في هذه الفترة بمرحليته التي انتهت منها ان يتبعه عمليا ، فترك طعام اللحم سنة كاملة . انتهى منها بهزال خفيف كاد ان يقضي عليه ، فعاد الى طعام اللحم . وترك الدراسة المنتظمة للحقوق ، واختار ان يدرس في الجامعة ، المواد التي تميل لها نفسه ، فدرس المصروحية اي تاريخ مصر القديمة على الاستاذ الانري بيري . كما درس الاقتصاد ، وعلوم الحياة ، والجيولوجيا . واكثر من زيارة المتحف البريطاني ومن المطالعة في الاربعة ملايين كتاب التي يضمها ، وبعضها من نوادر الكتب العربية . ومن اثر هذه الدراسات ، واتصاله بالجمعية الغابية والعقلين ،

(١) « فايوس » قائد روماني حارب هانيبال في حروب قرطاجنة المشهورة في القرن الثالث قبل الميلاد . وكانت سياسة فايوس في حروبه هي ان يتفادى الالتحام مع خصمه هانيبال في معركة كبيرة حاسمة . بل يكتفي بقطع مواصلاته والافادة عليه في معارك صغيرة تزيكه وتضايقه ولكنها لا تنهي الحرب . وقد استطاعت جيوش روما ان تطيل الحرب الى عشر سنوات بفصل سياسة فايوس هذا .

والقضي في اختيار اسم هذا القائد ونسبه « الغابية » اليه انها حركة تعبر على المشاكل فلا تتجمل حلها بالعلم والقوة . وتعمل على تحقيق الاشتراكية بدون تسرع . بل بالتريث والالتأه والروية والصبر . اي بالترك السلمية والخطوات المنتظمة البطيئة

الانفصالي الذي عاش فيه . ولكي اعتقد ان الاشارة التي نذكرها من تعبيره الذي وقفت عنده منذ قليل ، كانت سببا من اهم الاسباب في ذلك « التمس الجنسي ، والوكس العاطفي » الذي يقول انه كان يجده عند التعارف بالفتيات ، حيث كان هذا « التعارف الحميم ينتهي بخيبة » تكوي انقباء والعقل معا . ولاشك في ان هذه العملية التي لقيها في الحب والمرأة ، وهو في سن العشرين ، كانت حافزا جديدا قويا له ، لينصرف الى حياة البحث والفكر والثقافة . لم يشأ ان يقيم في باريس ، بل اختار قرية قريبة منها فاقام مع اسرة ناظر المدرسة فيها . وتعلم اللغة الفرنسية من هذه الاسرة ، حتى كان ، بعد شهر ، يقرأ الصحف اليومية . ثم قرأ بعد ذلك اسبن ، فزاد وجدانه اندراكا لقيمة المرأة ، واحساسا بتعاسة المرأة المصرية وتخلها .

وفي فرنسا فتحت عينه وقلبه وعقله على اشياء ثلاثة : اولها الريف الفرنسي وما فيه من جمال ورواء وفننة . حتى كان يذكر كثيرا ذلك الهرم الاحمر الصغير الذي اثار اهتمامه وهو يسير في ذلك الريف ، فلما قصده يستطلع ، وجده شجرة قد كساها التفاح الاحمر حتى كاد يخفي اوراقها . وفتحت قلبه على تماسك الاسرة الفرنسية ، وسيادة الاب فيها ، وسيطرته على جميع انرادها ، وكاهم مع ذلك راض سعيد . كما تفتح على ذلك الاحترام البالغ الذي تتمتع به الكنيسة في قلوب الفرنسيين ، على عكس ما يظن الناس ويقولون ، كانت جميع الكتابات في فرنسا ، وبعضها ينشر في ريف منعزل بعيد ، تترك مقبوضة نهائيا وبلا ، ومع ذلك لا يسرق ما فيها من الاثاث ، الذي يقدر احيانا بالوف الجبهات . وكان القرية هو ريفها الذي تفتح عقله على تلك الحرية الفكرية الرائعة المستفيضة ، التي وجدها في فرنسا . فكان يسمع ويقرأ الدعايات النشيطة ضد الدين والكنيسة . ويذكر على الدوام مشهدا رآه في الشهر الاول من اقامته في باريس فكان له نسي نفسه صدمة موجعة . رأى جنازة يسير فيها الناس ، وامام الجنازة راية كتب عليها هذه الكلمات « لا رب ولا سيد »

ومن صحف فرنسا ، وخاصة الاومانيتين التي كانت تعبر عن رأي الاشتراكيين ، بدأ يتبناه للفكرة الاشتراكية ويتدونها حتى تشبع بها . ومن الحياة الفكرية في فرنسا اصبح يعرف هدفه في الحياة والفكر . وهذا الهدف هو ان يصبح اوروبي التفكير والنزعة ، وقد اصبح كذلك ، بلا تحفظ ولا احتياط . « لقد فتحت لي فرنسا الانفاق الاوروبية التي لا تزال تنبسط امامي فتكسب حياتي مغزى حتى حين اعيش في وسط ليس له معنى ، فضلا عن مغزى . واي عزاء اكبر من هذا ؟ »

بعد ان اقام سنتين في فرنسا رجع الى مصر مرة ثانية فاقام فيها شهرين ، ثم عاد الى اوروبا ، ولكنه ، في هذه المرة ، لم يقصد فرنسا . بل قصد انجلترا ، وطالت اقامته فيها الى اربع سنوات . بدأ فيها دراسة قانونية ،

سر المنى



يا موجة تهدر ونسمة تعبر
اجواء آفاقي
منك الشدا يسكر بك الهوى يزهر
اشواق اشواقي

لولاك ما عريتدت لحننا اسطر
ما رن تصداح
لولاك ما زمجرت في شطنا ابحر
ما غاب ملاح !

سيري ولا ترجمي فدرينا اخضر
والحب مصباح !
ولا تقولي مضى زماننا الاشقر
فالعمر افراح !

نعم حبي الندي يا زهرة في يدي
قد تسكر الراحا !
نمات لا اوتحي لحننا العلى منشد
او ارجا فاحا

فانت لي جدولي وانت لي منهلي
ان ظلمت كاسي !
وانت سر المنى وهمسة البلبل
ان غالني ياسي !

حسن عبدالله القرشي

الرياض

سلامة موسى جميع البذور والجذور التي نشأت ونبتت
منها ثقافته فيما بعد . ولكن دراساته هذه في لندن ، سواء
عن طريق الجامعة او غيرها ، لم تكن ذات اثر كبير في ثقافته
فثقافته كانت ثمرة دراساته المستقلة بعد ذلك .

محمود الشرفاوي

مصر الجديدة

ومطالعات شو ، انصهرت روحه بنار التفكير العقلي . فكتب
رسائله : « مقدمة السبرمان » وارسلها الى جورجى زيدان
صاحب مجلة الهلال فنشرها في رسالة خاصة ، بعد ان
خفف كلماتها ، وحذف بعض فقراتها الجريئة .

والى هذه السنوات الاربع التي اقامها في لندن يرجع

الحفوة ، كالوحش الهائج لا هم له الا الاندفاع وراء غلمته ومجونه ، فهو ملازم في هذه التهم القاسية التي الصقت به دون ان تحرى الاسباب التي دعت لظهور بهذه المظاهر التي دفع اليها .. من قسوة وحيوانية ، وغلظة ، وعدم اكتراث في شيء سوى الاندفاع وراء غلمته ومجونه ، والذي يعم في قراءه شعره لا يبد أن يجد فيه انسانا شاعري المزاج ، طيب القلب ، سري الوجدان .. ولكن الظروف القاسية التي اكتنفه دفعته في هذا الطريق الشائك الذي سار فيه الى ابعاد شوط .

قال عنه ابن المعز : « كان من افقه الناس واعلمهم بكتاب الله » . ويضيف « وكان يقول : ما اعلم شيئا مما عندي اقل من الشعر . وكان يعد من الخطباء البلغاء الفصحاء ، ولا اعرف احدا من اهل العلم والفضل دفع فضله » . وصحب في اول عهده بالبصرة ، واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد .. ثم بلبث افكاره المذاهب المتناقضة ولم يصل فيها الى رأي معين فازدادت احساسه حدة ، وراح يتلظى في شك قاس ... ورغم انه كان من ذوي العقول الكبيرة في عصره ، ومن علماء الكلام ، وجد في المجون ، وكسر القيود محالا للتنفيس عن هذه الكرب القاسية التي فتكت به لانه عانى كثيرا من الالم ، فقد ولد اعمى واولع الناس بالازراء به ، والتنديد بعاهته ، فتلقت به النعمة على المجتمع ، فعندما اشتد الهجاء بينه وبين حماد عمرو ، وهجاء الاخير بينه والشهور :

والا عسى عما الفرد
ولا ابيح من فرد
ابن بشار : وقيل له : ابكي من هجاء حماد ؟ فقال : والله ما ابكي من هجائه ولكني ابكي لانه راني ، ولا اراه فيصغي ولا اصفه . ومن هنا تاتت صورة بشار على الوجود ، فهذه الآفة التي ابتلاه الله بها كانت الركيزة الاولى التي حولته الى الناحية التي عرّف بها ، فهو يتأذى كثيرا بعماء ، رغم انه كان يتعلل بالتي الكاذبة تنفيسا عن هذا الضغط الجاثم عليه ، فيزعم ان عدم النظر بقوي ذكاء القلب ، ويقطع عن الشغل بما ينظر اليه من الاشياء ، فيتوفر حسه ، وتزكو قريحته . ويقول في لهجة مريرة :

عميت جنينا والذكاء من العمى فجنبت عجب الظن للعلم مولنا
وغاضي غيباء العين للعلم راقدنا لقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كتوبر الرومي لايمت بيته يقول اذا ما احزن الشعر اسهلا
غير ان هذا التعلل الذي يكذب به على نفسه ، لم يتطلع ان يهمل ثورته التي انفجرت لا تلوي على شيء مولعة بالآراء الناس والسخرية بهم ، والتندر على معتقداتهم ، والاطاحة بغياهم ، وهو يتدفع الى هذه الانارات ليعوض عن احساسه بالاماسة التي يعيش فيها .. ولكننا لا نحس ان بشارا جاد في لغوه هذا ، فقد اشاد بالزندقة وغنى للشعرية ، وقال بالجبرية ، وتخطى في اشياء



الدكتور محمد حاج حسين

بشار بن برد

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

مما لا شك فيه ان بشار بن برد احد اقدار شعراء العرب ، فقد استطاع بذاتيته القوية ان يكون شاعرا له عالمه الخاص وشاعريته الممتعة التي استوعبت فرائدها وعمقها حتى تفاعل اخاذ كان من نتاجه شعره الخصب الذي لا يزال في حيوية ناشطة تجد فيه اصالة الفن ، وروعة الابتكار ، وسحر التعبير ، ودفق الاحساس ، وقوة البديهة ، والخيال الممتع الذي نقل البنا اروع الصور الشعرية رغم تهاونها احيانا كثيرة .

يقول اندره جيد : « لا يوجد فن ، بل يوجد فنانون » . وهذا صحيح الى حد بعيد ، فالنقاد بغرديته ، هو الذي يبعد الانار الفنية متساوقا مع نبوغه ، فالشاعر عالم خاص في فرديته ، والهامة ، ومجاليه الشعري ، ودققة احساسه . وكل شاعر هو فيلسوف كما يقول كولردج . . لانه يجسم لنا دنيا خاصة به ، نجد فيها دوما كل جديد ، وكلما معنا في بحثه اطل علينا بالوان فنية زاخرة نجد فيها متاعا لوجداننا وغذاء لروحنا . وبشار بن برد خير مصداق لهذا ، فقد وصلت شخصيته حد الكمال في قوتها فاندفع معها بهجس بالشاعر القوية ، وبنفي احساسه التي تفاعلت مع الجواء التي عاش فيها ، فجاء شعره مزيجارعا من ذاتيته ، وظروفه القاسية التي اكتنفته ، واضطر ان يسايرها ويعيش فيها .. وليس هو - في الواقع - كما يتبعته النقاد فظلا غليظ القلب ، جاسي الاحساس ، بعيد

وكان من اثر بشار في تتبع الموضوعات انه جعل الالفاظ قريبة المأخذ ، سهلة التناول واشاع في الشعر ذلك الرقة التي تجعله قريبا من النفس ، وهذا بدافع الحضارة التي عاش في كنفها .. غير اننا نلاحظ ان صوره كانت احيانا كثيرة مشوبة بكثير من الغموض والابهام وهذا مرده في الحق الى اصول فنية لا يستطيع الفنان ان يتحرر منها ، فالغموض سمة اصيلية في كل فنان لان الصورة الشعرية لا تلد في سهولة ، فقد تعمس احيانا ولادتها ، وتبرز الى الوجود لاهثة الانفاس غير جليلة . والشعر بلا صور يفقد الكثير من حيوته . يقول الشاعر الالماني هيلدرن : لقد كان الشعر لغة الالهة ، ولهذا يجب ان تكون الرموز وسيلة لادائه ، ولست بزعيم ان بشارا كان يقصد هذا الرمز الذي عناه الشاعر الالماني ، بيد انه اندفع اليه - في بعض الاحيان - متساقا مع طبيعة الفن التي لا ينتفي عنها الغموض اولا ، وثانيا بسبب عماءه ، فيشار كان يحس بمركب النفس ، لفقدته بصره ، فالوع بالبدع في شعره ، واكثر من التشبيه ليدل بعماء على انه يستطيع ان يتفوق حتى على المبصرين ، في تشبيهاته واسرف فيها .

وقال الإقذمون : أول من نتق البديع من المحدثين بشار ، وابن هرمة ، وابن ميادة ساقا العرب . أما ابن هرمة ، فكان يستخدم الصور في التعبير عن معانيه وهي لا تاتي غو الخاطر ، بل يبحث عنها في صنف ، ويتقراها في كل مكان وله قدرة بارعة على تصوير المعاني ، وادراك العلاقة بين الصور ، ولكن بشارا فاقه ، وبزه في هذه الصورة الشعرية التي كانت تزحم شعره . والجاسط يراه اصبوب المولدين بديما وانفذهم الى ليه ، وكانت عبقريته تلتهم البديع ، فلا تعنو اليه ، ولا يدعه يجور على فنه ، بل كان يستخدمه ليؤيد في رواه القصيدة ، ولهذا كان يمن في الاستقصاء في التصوير ، كانه يسيء الظن بالسامع فيود ان يفصل ، حتى تنفذ الوان الصورة التي يريد بها .. ولا يبقى فيها زيادة لمستزيد . والبديع في هذا العصر معناه كل الوان البيان والبديع التي حدثت في علوم فيما بعد ، فهو يضم البيان الى البديع من تشابه واستعارات ومحسنات لفظية ، ويعني ايضا التجديد في العبارة سواء بالابتكار ، او التحسين ، او الاستعارة ، وغيرها من هذه الالوان التي شغف بها شعراء هذه الفترة . والاستعارة كما يقول ارسطو دليل العبقرية ، ولا شك ان استعارات بشار تعثر احيانا في شعره ، وكذلك الوان البديع الاخرى التي تعمد بها ، لان البصر لم يسعفه في رؤية الاشياء ، ولهذا جاءت هذه الالوان مهمة فيها كثير من الالتواء ، والابعاد في تصوير الاشياء . ومما لا مراء فيه ان بشارا لم يكن الرائد الاول في البديع ، فلقد وجد في الشعر الجاهلي والاسلامي بيد انه كسان طبعيا يأتي مع الشعر لا يقصد اليه ، ولا يتوخاه الشاعر ،

كثيرة ومع هذا لم يكن الحقد يضطرم في اعماقه .. انها لحظات من القلق والتوتر التي تلم بالفتان تنتقز اعصابه ، ويندفع مع الانار كتابة بالتقاليد والمعتقدات التي تطامن اليها الناس.. ولا هدف له سوى ازعاجهم في معتقداتهم، لانهم ازعموه ، واولعوا بالتشكيك على عماء كانهم يرون في هذه الآفة قصاصا من الله، ثم اضطهدوه لانه فارسي، وكان شبيهه في الدولة الاموية ، وهي الدولة العربية التي بلغت العنصرية مداها الاعلى فيها .. حتى اذا خفقت الرايات السود ، وتسرب النفوذ الفارسي الى الدولة العباسية انفجرت فيه كل هذه الكوامن النائمة ، واحسن بالحرية ، فنتى للزندقة والشعبوية ، والمجون ، ولا يتورع عن هجاء يعقوب بن داود وزير المهدي ، ثم المهدي نفسه الذي قتله ، وهو في السبعين من عمره .

لقد تصافرت هذه العوامل ، فتكونت مزاج بشار وشخصيته ، وكان من نتاجها هذا الشعر الكثير الذي راع معاصريه ، وقالوا .. انه لا يستطيع احد ان يجمعه لكثرة فني هذا الشعر غنى بشار هواجسه ومشاعره، وخفق فيه فكره وعقله التبر ، وطبعته فرديته الطافية . واستطاع ان يدخل تجديدا في الشعر العربي ، فلقد احتفظ بوحدة القصيدة التي تقوم على المعنى الواحد في كثير من شعره ، ومما لا شك فيه انه لم يتبدع هذا اللون الشعري ، فقد سبقه اليم عمر بن ابي ربيعة ، بيد ان بشارا ظل محافظا على هذه الطريقة ، ولما انبها عمقا في المعنى ، وحدة في الاحساس ، وتجديد بشار لم يقصد اليه قصدا بل جاء عفوا ، فطاعته القوة التي عمقت احساسها ، واتسعت روافدها ، وانكشفت افكارها هي التي املت عليه هذا التجديد من غير عمد ، فهو قوي الشاعرية ، اوتي ذكاء في القلب وحدة في المشاعر ، وغزارة في التفكير ، فكانت تتطلب منافذ واسعة لها ، ولا سيما اذا تذكرنا ان العمى حال بينه وبين اشياء كثيرة كان يريد بها في الحياة ، فاندفع مع الشعر يجد فيه سلواه ، ويسكب فيه مشاعره ، وافكاره وقادته شخصيته القوية الى عوالم كثيرة وجد فيها تنفيسا عما يضطرم فيه من الالم ، واندفع في غناه كثير لا يترك موضوعا جليلا ان تافها او غناه ، حتى لاحظ عليه بعض الاقدمات هذا التفاوت في الشعر سواء قسي الموضوعات ، او قسي الاسلوب ، وتقوده نقدا لاذعا بسببه ، بيد انهم اسرفوا في التجني عليه ، فعملة بشار نهضت على هذا الاتساع في الموضوعات ، وكان ان جعل الشعر موضوعا لكل شيء ، وهبط بالشعر من عليائه التي كان معتصما بها ، واصبح عنده شعرا شعبيا ان صرح هذا الشعر يجد فيه كل انسان مرآة صادقة تجلو احساسه ومغاهيمه .. وكان يجيب الناقدين انه يخاطب كلا بما يفهم ، ومعنى هذا انه ادرك بسليقته المطبوعة ، ان الشعر الحسي هو الذي يعبر عن الانسان في مختلف تياراته .

شعرية شتى ففيه تجديد قوي وذلك عندما تنعكس عليه اثر بيئته الحضرية ، والحياة الالهية التي كانت سمة قوية لطبعت العصر العباسي الاول، فيخوض في الموضوعات الجديدة كالفزل الفاحش الذي هو اشبه بالاباحية والهجاء المقلد الذي كان يتلمسه الشعراء ويقصدون اليه، ولا غاية لهم سوى اتخاذه قنا يبرعون فيه دون ان يكون هنالك ثمة حقد ينزو بينهم فيتهاجون على مائدة الشراب وهم على اشد ما يكونون صفاء والفة ... كما نجد عنده نزعة محافظة ، فهو يبدأ قصائده مخاطبا الطلل واقفا عند الاثار ، فعل الشعراء الجاهليين ملتزما عمود الشعر ، ولعل مرد هذا الى نشأته في العصر الاموي حيث كان لنهج القديم في الشعر حرمة ، ولم تكن الثورة التي نشبت في العصر العباسي على عمود الشعر قد وجدت طريقها وقد يكون مرد هذا الى نشأته ايضا في حجب بني عقيل ، وهم من العرب الفصحاء الذين طبعوه على الفصاحة والجزالة ونقاوة اللغة .

وامتدت شاعرية بشار القوية الى الوان الشعر العربي الغنائي ، فبرع في اكثرها بدافع نبوغه الفردي ، وتجلى هذا النبوغ في مجريين قوميين كتب له فيهما التفوق ، وكذا للتصان باسمه ، وهما الهجاء ، والفزل . ولقد جرى للهجاء تطور خطير في القرن الثاني الهجري ، اذ كانت النزعة الغالبية عليه هي نزعة الموالي الذين يسيطرون على الحياة الاجتماعية والسياسية يوجهونها وفق مساهماتهم لثقوفهم وتعاليم واوراثهم من عقائد ، وان كانت الخلفاء احيانا كثيرة واقفة لهم بالمرصاد ، فتفك بهم تارة تحت يد المبالغة ، وتارة تحت ستار الزندقة . . . وامعن الهجاء في هذه الحقبة بقذف الاعراض والسياب والفحش حتى يندي الجبين خجلا من روايته ، فقد خلع هؤلاء الشعراء العذار ، وانطلقوا مع نزواتهم الفاجرة لا يابيهون لشيء ، وحولوا الهجاء العربي الذي كان يقوم على المفاخرة وسلب المهجو الصفات العربية الكريمة من مروءة وشجاعة ونجدة وجوار الى سياب وشنائم وبداعة قد لا تعني لهم شيئا لانهم كانوا يتبادلونها وهم على الشراب تنتظمهم صداقة والفة . . . ولكننا نرى تتحول مع الوقت عندما تشتد الى عداوة مكينة . وقد كان بشار يهاجي حماد ولأحيا بينهما الهجو القبيح واقلع بشار فيه ، ولم يقصر حماد . . . كلاهما يتهم صاحبه بالفحش ويتعمدها الى الزندقة . وهذا الشعر عجيب في بداعته ، واقلعاه . . . فقد اتخذ بعض الامراء حمادا مؤبدا لولده ، فاهتبل بشار الفرصة ، وقال بحدره من حماد :

فل للامر جيزة الله صالحة
الذي يعرف ما في الخلف من طيب
والذي يعرف ما في الخلف من طيب
وقال يهجو ايضا :

ابن نهى راسي على تقيل
ادع غيري الى عيادة الانبي
واحتمال الرؤوس خطب جليل
من فاني يواحد مشغول

حتى اذا ما جاء العصر العباسي وتعددت فيه افانيس الحضارة احس الشعراء برغبة دفينية في ابداع شيء جديد ، فوجدوا ان هذه الالوان التصويرية تضفي على الشكل لونا من الجمال ، فقصداوا اليه ، وجدد فيه ابن هرمة ، وابن ميادة واتباعهما بشار ، واسرف في طلبه ، فهو يتابع الصورة في غاو شديد ويمعن في اصطلاح الوسائل التي يعتمد فيها على فهم العلاقة بين المشبه والمشيبه به . . . وليس معنى هذا ان بشارا لم يسدع في تصويره . . . والواقع انه بلغ مرتبة رفيعة في الكثير من صورته الشعرية . . . ولا سيما اذا تحدث عن تجربة عاناها ، فتاتي صورته سهلة قريبة الماخذ تجد فيها لذة سائغة . . . ولعل هذه القدرة هي التي حدث بمعاصريه من النقاد الى اعتباره احد الشعراء المطبوعين ، فقد التهمت عبقريته الصنعة ، واخضعتها لها ، واستخدمتها في ابراز معانيه وتجميل أسلوبه ، لانه كان يبرع في تصوير المعاني فجاء التصوير عنده بحمل طابعا خاصا موسوما بذايقته القوية التي لطبت شعره ببمسها القوي ، فلا عجب اذا كانت الخصوبة سمة لهذا التصوير الفني ، فالذاتية لا ينقطع مددها ، وكانت تمدد بروافد قوية وكثيرة ما يغزق الى التشخيص ليضفي على شعره هذا الرواء الخالد مثل قوله :

كانت الصبر عن لقائي وعندي زفرات ياكلن قلب الحبيب
فجعل الزفرات تاكل وهذا التشخيص طبعي بعيد عن التكلف . . . وراعت هذه الصور الشعرية معاصريه ، فقالوا انه يأتي بما لا يقدر البصراء ان يأتوا بثلثه . . . وعندما قال بيته المشهور :

كان مثار التفق فوق رؤوسنا ونينا نل ليل نهای كوابه
قالوا له : ما قال احد احسن من هذا التشبيه ، فمن اين لك هذا ؟ ولم تر الدنيا قط ، ولا شيئا منها . وفاتهم ان الانسان اذا فقد حاسة اشتدت بقية الحواس وقويت حتى تعوض عن الحاسة المفقودة ، ثم ان الشاعر الموهوب - ولو كان اعمى - يستطيع ان يرى ما لا يراه البصرون . والصورة الفنية تهبط احيانا بالوحي المطلق من كل قيد كما يقول كولوردج .

ما مكانة بشار في الشعر العربي ؟ قال عنه الاقدمون : انه ابو المحدثين ، فقد فتح لهم ابواب المعاني ، وقالوا عنه لقد جمع شعره بين جزالة العرب ، وورقة المحدثين ، والمعاني الدقيقة ، والاحلية اللطيفة ، وعدوا شعره برزخا بين القديم والحديث . . . وفضله الاصمعي على مروان بن أبي حفصة ، وعلل تفضيله بان « مروان سلك طريقا كثر من يسلكه ، فلم يلحق بمن تقدمه وشركه فيه من كان في عصره ، وبشار سلك طريقا لم يسلك واحسن فيه ، وتفرده به ، وهو اكثر تصرفا وفنون شعر واغزر واوسع بدبعا ، ومروان لم يتجاوز مذهب الاوائل » . . . والحق ان امر بشار عجيب ، ففي ديوانه الضخم تتجلى نزعات

ليلي

ليلي وللعفر عاش العطر زغردة
من بوح ذكراك حبي الحب ذكراك
ليلي وللفن ابقي الله فتنته
من صونك الصلب ترتيلا لمنك
ولاخضرار الربى والشط سايحة
احلامنا فيه ، ما توجيه عينك
وكل اشودة عاشت بلهفها
في ساحل لم يزل يحيى بذكراك
يعيد للناشق الجيران لوعته
حتى يرى الكون ففرا دون رؤياك
يا من خلقت صباباتي وجلوتها
ومن نسيت بها دنياي الاله
سلي النخيل التي لنا بقلته
واليد برمها كالعناق الشاي
ليالها لعت في صحوي ولا ستي
الا وحطى فكري غير رؤياك
ليلي بعيني لعت انت ربتك
علي اخلد غير الخلد ويساك

دكتور بن سلطان القاسمي

الشارقة

فقد أكثر فيه من الفحش ، والدعوة الى المجون والخلاعة
حتى متعه المهدي من قوله ... سئل ابو عبيدة عن
السبب الذي من اجله نهى المهدي بشارا عن ذكر النساء
فقال : كان اول ذلك استهتان نساء البصرة وشبهاتها بشعره
حتى قال : سوار بن عبد الله الاكبر ، ومالك بن دينار :
ما شيء ادعى لاهل هذه المدينة من الفسق من اشعار
هذا الاعمي .

ويبدو ان بشارا اوتي نزع جنسية حادة ، فاندفع
وراء المرأة ولاسيما ان علم النفس يثبت ان القوة الجنسية
عند الاعمي تبلغ ذروتها ، ومن ناحية اخرى كان بشارا
اعمي قبيحا فاراد ان يظهر اعجاب النساء به ، ولولاه
بهن في صورة مكشوفة تعويضا عما يحسه من هذا
القبح فاندفع وراء غلمته ... وهناك ناحية اخرى ، قد

وليس في هذا الشعر معنى سام ، وكل ما فيه
افحاش واتهام في الثانوية كان بشارا بفري السلطة في
العصف بحماد الزنديق الذي امن في الماتوية ، واعتنقها .
ومن الطبيعي ان حماد بمجرد كمال لبشار الصاع صاعين ،
ودفعه ودفعه بهجاء مرير ، فيه اتهامه بالزندقة ، ورمي
بالتفجور ، واستعلاء السلطان عليه ، ويبدو ان هذا الهجاء
العنيف قد انتهى الى هذه النهاية بعد ان لج بيتهما
الخصام حتى استحال الى عداوة قديمة ، وحرص كل
واحد منهما على الفتك بالآخر ، وايضا في ضراوة وشدة .
وكان لبشار يتلذذ في هجومه بقذف مهجوره بالصفات
التي كان ينهم بها معاصروه ، ويعهدونها منه كأنه يجد
لذة وتسرية في الصاقها بالآخرين ، ولعله من طرف خفي
يريد ان يبريء نفسه منها .. فهو يقول في عبد الكريم
بن أبي العوجاء :

قلت عبد الكريم يا ابن ابي العو جاء بعث الاسلام بالكفر بوقا
لا تصلي ولا تصوم فان صمت فبعض النهار صوما رفيقا
لا تبالي اذا اصبحت من الخمر سر عثقا ان لا تكون عثقا
وكان بشارا في هذا حرص على الاسلام وتعاليمه ..
وهو فيما يروي بعضهم انه كان عنده طوال النهار فلم
يصل ، فقيل له في هذا . فقال : ان من يقبلها متفرقة
يقبلها متجمعة ، وهو الذي فضل صراحة ابيليس على ادم ،
لانه مخلوق من نار ، وادم من طين مما دفع بعض معاصريه
للرد عليه بشعر طريف يذكر فيه فضل الارض ، ومزاياها
العظيمة التي لم يعها بشار .

ونصافا لبشار نرى ان اقته التي ابطى بها ، وتآذى
بها كثيرا هي التي دفعته الى الهجاء وهو في سن باكورة ..
كان بهجو اشرف البصرة ، وهو صبي كان اكلان بهجاء
لسدة في ايداء الناس ، واثارتهم تنفيسا لهذا الالم الذي
كان يحسه من جراء فقد بصره .. ومن الطبيعي ان الدافع
الوحيد لهجوه الناس وهو في هذه السن القضة هو
احساسه بان الناس يشتمون به لعماه ، فقد كان كثير
منهم يعتقد ان هذه الآفة قصاص من الله صبه على بشار
الذي لا ذنب له في هذه المصيبة .. وقد يكون هذا
الاحساس هو الذي ولد فيه نزعة نحو البذاءة وهجر
القول حتى يزعج الناس كما ازعجوه . غير اننا اذا تفدنا
الى افواه هذا الهجاء ، واستطعنا ان نستشف ما وراء
تعايره الفاحشة وجدنا قابلا طيبا بعيدا عن كل حقد
وضغينة ، فبشار في هجومه لا يزيد عن نظم مجموعة من
السياب بقذف بها خصمه ، وقد يكون احد الدوافع التي
حدث به الى الإمعان في الهجاء شعوره بان هذا اللون
الشعري يجعله مرهوب الجانب ، مخشي المقام ، فيسرع
الناس الى مرضاته ، وتوفير الرزق له وهو القائل : اني
وجدت الهجاء المؤلم أخذ بضيق الشاعر من المديح الرائع ،
ومن اراد من الشعراء ان يكرم في دهر التمام على المديح ،
فليستعد للفق ، والا فليبالغ في الهجاء .
ونغزل مطبوع على غرار هجومه كأنه يستمد من معين ،

يكون أحسنها في لاشعورة عندما أراد أن يزجج الناس بالفرزل في سنانهم ، فهو يفتخر أمام المهدي :
فاني لاغني مقام الفتى واصبي الفتاة فما تعصم
كانه يجد في هذا الضرب من إيذاء الناس متعة خاصة
اذ يصيب فتياتهم ويفتي عن الفتى .. ولا شك ان الناس
يتأذون بهذا كثيرا ، ولا تفره الفضيلة ، غير ان بشارا كان
سادرا في غيه متدفعاً وراء نسج قصص شعرية فاشحة
في شعره بغفر بها بسيطرته على المرأة ، وغفوه لجسدها ،
ونهيه منها المنع لا يلوي على شيء .. ولا يقر أي عرف
بواضع عليه الناس .

واجتمع النقاد المحدثون : طه حسين والعقاد ، والمازني
الدين دسوه ، على ان شعره كله اغراء بالفجور ، وان
حيه كان حيا للنساء لا حيا للمرأة ، وانه يريد ان يثني
ليرضي بها غريزته . وهذا صحيح الى حد بعيد .. غير
اننا اذا اردنا نصفه بشار ، وامعنا في دراسة شعره وجدنا
اننا لا نستطيع اطلاقه على كل غزله ، ففي بعضه يجنح
نحو السمو ، والرفعة ، ويحاول ان يرتفع بالمراة ولو قليلا
عن نداء الجسد .. فقد عرف قلبه - كما يبدو الحب -
والحب لا يد ان يظهر الانسان، مهما كانت نزواته حيوانية،
فالحب يمتلئ النفس ، مهما كانت معنيتها في الجاهلية
واعقلته .. والحب الذي كنه قلبه اتجه الى عبدة ، فله
فيها شعر يسمو عن هذه الرغبة المحمومة التي كانت
تشتعل في شعره نحو المرأة .. فهو يقول :

يزهني في حب عبدة معشر
فلتدعوا قلبي وما اختار وارثي
فما تبصر العيناني موضع الهوى
وما الحسن الا كل حين دعا الصبا
ويقول :

يا قوم انني لمبلى الحي عاشقة
فاوا بمن لا ترى نهدي فقلتاهم
هل من دواء المشفوف بجارية
فهو في هذه الابيات مشفوف بجارية ، ويتعنى لقائها
ليجد عندها الروح والريحان ، فلم تشتد غريزته ، وبغيتي
لجسدها البطر الذي كان يتصباها .. انه على الاقل ميز
فيها امرا اخر غير هذه الشهوة المضطربة التي كانت تسري
في غزله ، وتعمقه عن التحليق في افق فيه سمو ورفعة .
واحيانا يحس الجوى ، ويتيمع الشوق الى المحبوبة ،
ويأججه الحنين اليها مثل قوله :

ام يظل ليلى ولكن لم اسم
واذا قلت لها جودي لنا
رفهي يا عبدة عني واعلمي
ان في سردي جسمنا ناعلا
ومن الطبيعي انه كان غير صادق في بيته الاخر ، فقد
قال لـ احدهم عندما سمعه : لو ارسل الله عليك الريح
قال اطاحت بالامم الماضية لما ازاحتك من مكانك .
واحيانا تلمس عنده روحا صافية فيها رقعة ناعمة ،
وعاطفة صادبة الى الحب الصادق مثل قوله :

ايها السالبيان صبا شرابي
ان دائي القضا وان دوالي شربة من ريق بيضاء رود
ولها مسحك كفسر الاساحي
نزلت في السواد من حبة القلب
ثم قالت : نلقاك بعد ليل
عندها الصبر عن قتلي وعدني
زفوات باكلن قلب الحديد

فليس غزل بشار كله فحش وتعمر ، ففي بعضه سمو ،
وفيه نفحة حزينة تضفي عليه طابعا دمثا يقربه الى
القلب .. وقد يكون افحاشه الكثير فيه راجع الى انعكاس
البيئة التي كثر فيها الجوازي كثرة هائلة حملن معها
الكثير من المقاسد ، حتى قال الجاحظ ان المهرات اي
الشريكات اللواتي يدفع المهور لزوجهن قد توارين امام
طغيان الجوازي واصبحتنا لا نسمع في هذا العصر نفحة
صافية في القزل الشريف الا من العباس بن الاحنف .

لقد راع بشار معاصريه بقوه شخصيته المتحدة التي
كانت تجلجل كازمعة القاصفة لا يابه لشيء ، فقد اثم
بالزندقة ، وقيل انه يدين بالرجعة ، ويرى ان الناس كلهم
كفروا بعد محمد صلى الله عليه وسلم .

وسأله المهدي فيمن تعتد يا بشار ؟ فقال : اما اللسان
واري فريبيان ، واما الاصل فجمعي كما قلت :

ونبت قوما بهم احنة
الا بها السالبيان جاحدا
نمت في الكرام بنى عامر
وجاهر بالشعوبية :

اصبحت مولاي في العيال وبعضهم
مولاي الكرم من تميم كلها
فاربع الى مولاي غير مدافع
وقدس النار

الارض مللثة والنار مثرفة
لقد قال الاقدمون اطبع الناس بشار والسيد الحميري ،
وابو النعمان ، وما قدر احد على جمع هؤلاء الثلاثة
لكثرته .. ومعنى هذا ان عبقرية بشار التهمت الصنعة
وحولتها الى غذاء لشعره ، ولم تستطع ان تشوه جلال
هذه الشاعرية التي كانت تبلغ احيانا الذروة في سكب
الاتكار القوية في فلسفة واصالة مثل قوله في المشورة :
اذ بلغ الراي المشورة فاستغن
ولا توجل الشورى عليك فاستغنى
وما خير كف اسك الفل اختها
وخل الهوننا للضعيف ولا تكن
وان من الشورى الكتوم لسره
ولا تشهر الشورى امرا غير كاتم

وبشار رغم نقائصه الخلقية والفنية قوة هائلة في
شعرنا واحد امجادنا الادبية ظلوه عندما صوره اقرب
الى الحيوان منه الى الانسان ، وهو في حقيقته انسان
يحمل قلبا نابضا بالشاعر النبيلة .. بيد ان قسوة الناس
دفنته الى هذا اللون من الحياة .

محمد حاج حسين

مكة المكرمة

الادبية . قليل الصحاب ، قليل الثقة بالناس ، قليل الميلاة بالرأي العام ، عفيف في خصوصته . وهو الى هذا كله ، شاعر من النهج النقدي التحليلي ، في شعره مرارة ، وحده وفاعلية .

فقد كان مجموعة من الطاقات البشرية فاضت جدالها الثرية بالزاهر من الانساج ، اخذ بعضها برقاب البعض ، فهو متنوع الثقافات ، ربما من اكثر شعراء مصر اصالة فسي تجديده ، هذا استجدد الذي قام على استيعاب الاداب العربية والغربية ، طلع على الناس بمعايير جديدة . على الاغلب ، لقد الشعر وصاغ شعره وفقا لهذه المعايير . فهو شاعر ، ناقد ، مجل ، يربط في شعره بين العالم المرئي المحسوس ، وبين العالم المستكن في خفايا نفسه وزوايا اعماقه ، ويفلسف التساج بين العالمين في عمق وثبصر ، حتى لا تفوته ساحة من سوانح الفكر ، او تخطئه شاردة من شوارد الخيال . واسمع ما كتبه فيه عزير اباطة : (مجلة قافلة الزيت ، عدد مايو يونيو ١٩٦١ ، ص ٢٢٤) « فهو يستلهم نفسه ، ويستوحي الطبيعة من حوله ويوغل فسي اغوار المعاني الانسانية القريضة ، والبعيدة وبليس كل انفعالة من انفعالاته ما يناسبها من التعبير ... على ان المقاد غني بجوهر البناء في شعره لا بالطلاء البراق الخارجي الذي يخفي وراءه بناء متداعيا . وهو الى جانب ذلك يتجاني عن الهين المألوف في الفسح كما ياتي ان يدافع في طريق مهدها غيره . فكانت مدرسته الشعرية الجديدة متجهة للافهام الى التماس غايت جمالية جديدة عن طريق الشعر »

والكتاب المجددين في الشعر العربي مع تمسكهم بمحمود ، وهو من ائمة المجددين في كتابة التراجم ايضا . وطريقته التي اعتمدها في تحليل سير الاعلام تركز على القوس والتقيب في اعماق تلك السير ، وابرز العناصر ذات الخطر التي تكمن في ثناياها واستخلاص جوهر للحياة من الموازنة الدقيقة والاستقراء العميق . ولا مشاحة في ان هذا اللون من التراجم كان مما يعوز الادب العربي ليوكب الادب العالي في تطوره وانفتاحاته . فقد لبثت كتابة السير عندما لا تعدو لتطابق السرد التاريخي وتدوين الاحداث . اما ما وراء ذلك فانه لم يخطر الا في التدرج ببال احد من كتاب السير عند العرب .

ولم تكن تراجم العقاد مقصورة على فئة دون فئة . فقد شملت رجال الدين والفلسفة والشعر والادب والسياسة . فبعد ان استوعب تاريخهم استطاع بذنه الناقد ان يعي شمعهم ، ويسير غور انفعالاتهم ، ويرى باعينهم ما يتطلعون اليه ويسمع باذنه ما يصيحون له ، واستطلع بمنظاره البصير مآدق في انحاء نفوسهم ، ثم استخلص من هذا كله صورة صادقة للحياة التي عاشوها وخاضوا غمارها .

نشأ نشأة عضامية . اشتغل بالادب والسياسة والاجتماع والنف في كل ذلك مؤلفات قيمة ، لا سيما في التاريخ



عباس محمود العقاد

عباس محمود العقاد

بقلم يوسف اسعد داغر

نعت الانباء ، منذ بضعة ايام ، الكتاب المصري الكبير عباس محمود العقاد (٢٨ - ٢ - ١٨٨٩ - ١٢ - ٣ - ١٩٦٤) . فقد راينا ان نعقد حوله كلمة وجيزة تبين منزلة هذا الكاتب في الادب العربي الحديث ، والدور الذي لعبه مفكرا ، ناقدا ، ادبيا ، مؤرخا ودرواليا في الحركة الادبية والتيارات الفكرية التي هبت على العالم العربي في النصف الاول من القرن العشرين . والانا القلمية التي خلفها والتي تجاوزت ٧٥ كتابا ، عدا عن مئات من الابحاث والمقالات التي جبرها ونشرها في الجرائد والمجلات المصرية .

من هو العقاد

مفكر واديب مصري ، في الطليعة من ادباء العصر ، من اشهرهم ذكرا وافرهم انتاجا على الاطلاق . شاعر ، ناقد ، ناقد ادبي ، صحافي ، مؤرخ ، روائي ، مفكر ، خطيب ، وفيلسوف اجتماعي ، امتازت كتابته بالبحث والتحليل والدقة كما امتاز بقوة الجدل في الحوار واثارة المارك

الاسلامي وشخصيات ابطاله في صدر الاسلام . فكتب فيه على طراز لم يسبقه فيه كاتب .

قرأ كثيرا ، و ألف كثيرا ، و درس الحياة طويلا ، و كون له فيها فلسفة ضمنها كتابه « مجمع الاحياء » تناول فيه التصال بين الاهواء والمبادئ ، و أجرى حوارا على لسان الحياة والطبيعة والانسان والحيوان .

والمعاد خير من يمثل بين كتابنا اليوم ادب المقالة . له في الصحف السبارة والمجلات العربية ولا سيما المصرية منها الاشياء الكثيرة . فلا تكاد تخلوا اكثرها من مقالة يومية او اسبوعية .

عناصر كثيرة اسهمت في تكوين شعره وشخصيته الادبية . فهو مصري ، صعيدى ، يستشعر امجاد مصر والمصريين في ضميره وقلبه . وهو عربي اللغة التي توفر على قراءه امهات النثر والشعر والفلسفة والتوصف فيها . وهو عربي التفكير تزود من اداب الغرب ولا سيما من اداب اللغة الانكليزية بكل ما استطاع من غذاء عقلي . عوض عن دراسته العالية باستاذ صارم من نفسه دفعه الى تعهد عقله بالقراءة والتثقيف ، وشحذ مواهبه بالادمان الطويل على النظر . يعنى بأساويه الشعرية عنابة واسعة تقوم على الجزالة والمثانة واستخدام اللفظ القصيح .

ولد عباس محمود العقاد باسوان لاسرة مصرية متوسطة فاختلف منذ نشأته الاولى الى الكتاب ، فالدرسة الابتدائية فالتأتوية . رحل الى القاهرة وهو في الرابعة عشرة من عمره . ولم يكمل دراسته في المدارس بل اكملها على نفسه معتمدا على ذهنه الخصب والتحق ببعض اللوائف الحكومية ثم تركها للصحافة .

ارتبط وهو يعلم في المدرسة الاندادية بصديقيه ابراهيم عبد القادر المازني وبعبد الرحمن شكري . فالتف في هذه الرفاقة جيل فهم الشعر على طريقة جديدة . قدم للجزء الثاني من ديوان شكري لدى صدوره عام ١٩١٣ كما قدم لديوان المازني لدى اُخراجه سنة ١٩١٤ .

أخرج العقاد اول ديوان مسن دواوينه سنة ١٩١٦ وتعاميت دواوينه حتى بلغت اربعة ، طبعت سنة ١٩٢٨ بمجموعة باسم « ديوان العقاد » . وما ان وضعت الحرب اوزارها حتى نجد العقاد والمازني يتركان التعليم الى الصحافة . ويتفرغ العقاد على سعد زغلول ويصبح كاتب حزب الوفد ولسانه في « الجمهور » . فكتب في جريدة « البلاغ الوندية » ونهض فيها بالمقالة السياسية . وقاد في هذه المقالة معارك مع كتاب الأحزاب الاخرى ، مثل هيكل كاتب الاحرار الدستوريين . ومضى يصارع في السياسة في عنف وقوة مدة ٢٠ سنة ، كان قلعه امضى الاقلام واشدها جراحة وحماة وحراقة .

وفي هذه الفترة اي في العشرة الثالثة من هذا القرن رأى العقاد وهيكل والمازني وطه حسين ان ينقلوا الى

قراهن مباحث الادب والنقد الغربية ، ويشفعوها بنظرات تحليلية في المفكرين الغربيين . فكان ذلك سببا في ظهور ملاحق ادبية للصحف اليومية ، فخرج هيكل « السياسة الاسبوعية » و اخرج العقاد مجلة « البلاغ الاسبوعية » فنسج عن ذلك نهضة ادبية واسعة واخذ هؤلاء الكتاب يجمعون مقالاتهم الممتازة في كتب وينشرونها ، فنشر العقاد « مجمع الاحياء » و « مراجعات في الادب والفنون » و « مطالعات في الكتب والحياة » و « الفصول » .

وفي اثناء حكم صدقي (١٩٢٠ - ١٩٣٤) دخلت مصر في ظل عهد استبدادي الغي فيه الدستور وحياة النيابة ، فثارت ثائرة كتاب الاجزاب على راسهم العقاد فكتب كتابه : « الحكم المطلق في القرن العشرين » تناول في بعض فصوله ذلك ، فسيق الى المحكمة وحكم عليه بالسجن ٩ اشهر ، وقد وصف حياته في السجن بكتابه « عالم السجن والقيود » . وتوالت الاحداث ، فانشق الققراشي واحمد ماهر على الوفد ، وخرج معهم مع الخارجيين . واخذ يكتب في جريده « الاساس » . وعين عضوا في مجلس الشيوخ وفي مجمع اللغة العربية . ومن ثم اتجه الى كتابة التراجم والسير وسلسلة المعقريات :

مؤلفاته

- ابراهيم بن سيار النظام - القاهرة ١٩٤٦ .
- ابن رشد - بيروت ، دار المعارف ١٩٥٣ .
- ابن الرومي - حياته من شعره - مصر ، مطبعة مصر ، ١٩٣١ ، ص ٣٩٢ .
- ابن العاصم - القاهرة مطبعة دار احياء الكتب الغربية ، ١٩٤٣ ، ص ١١٥ (سلسلة اعلام الاسلام) .
- ابو نواس الحسن بن هانئ - دراسة من التحليل النقساني والنقد التاريخي - القاهرة ، دار الهلال ١٩٦٠ ، ص ٢٠٢ (كتاب الهلال ١١٥) .
- ابو الشهداء الحسين بن علي - القاهرة ١٩٤٥ (سلسلة كتاب الهلال ٢)
- اثر العرب في الحضارة الاوروبية - القاهرة دار المعارف ١٩٤٦ ، ص ١٧٥ .
- الوان من القصة القصيرة في الادب الاميري . نقد ونماذج مترجمة من ادب القصة - القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٣ ، ص ٣٧١ .
- امامير مغرب - القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ص ١٨٠ (ديوان شعر) .
- الانسان في القرن العشرين : حاضره ومستقبله - القاهرة ، دار الكتب الحديثة ١٩٥٧ ، ص ٢٨٤ .
- الله - كتاب في نشأة العقيدة الالهية - مصر ، دار المعارف ، ١٩٤٧ ، ص ٢٧٩ (سلسلة كتاب الهلال) .
- الانسان في القرآن الكريم - القاهرة ، دار الهلال ، لا .
- ت - ص ١٧٧ .

الصديقة بنت الصديق ، القاهرة ١٩٤٣ ، ص ١٤٩
 عابر سبيل - القاهرة ، ١٩٢٧ ص ١٥٠
 عالم السود والحدود - القاهرة - ١٩٣٧ ، ص ٢٢١
 عبقرية خالد - مصر ، ١٩٤٣ ، ص ٢٤٨
 عبقرية الامام علي - القاهرة ، دار الهلال .
 عبقرية الصديق - القاهرة ، دار المعارف ، ص ٢٢٠ .
 عبقرية محمد - القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٢٩٦ .
 عبقرية عمر - القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٤٥٩ .
 عبقرية المسيح - القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٢٢٣ .
 عرائس وشياطين - القاهرة ، دار احياء الكتب
 العربية ، ص ١٥٩ .
 على الاثر - القاهرة ، ص ١٧٥ .
 عقائد المفكرين في القرن العشرين ، القاهرة ، ١٩٥٣
 ص ١٦٧ .
 عمرو بن العاص - القاهرة ، ١٩٤٣ ، ص ١٥٠
 فاطمة الزهراء - والفاطميون - القاهرة .
 فلاسفة الحكم في العصر الحديث - مصر ، دار
 المعارف .
 فرنسيس باكون - القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٤٥ ،
 ص ٢٢٢ .
 الفلسفة القرآنية - القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ١٨٥ .
 القائد الاعظم محمد علي جناح - القاهرة ، دار الهلال
 ١٩٥٢ ، ص ١٥٤ .
 في بيتي - القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٤٥ ، ص ١٣٢
 القرن العشرين كما كان وما سيكون - القاهرة ،
 الفصول - القاهرة ، ١٩٢٢ ، ص ٢٩٦ .
 اللغة الشاعرة : مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية -
 القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١٦٠ .
 مجمع الاحياء - القاهرة ، ١٩١٧ ، ص ١٢٢ .
 المرات في القرآن - القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٦٠ ،
 ص ١٥٠ .
 مطالعة في الكتب والحياة - القاهرة ، ١٩٢٤ ، ص ٣١ .
 مراجعات في الادب والفنون - القاهرة ، ١٩٢٦ ، ص
 ٢٩٦ .
 مطلع النور او طوابع البعثة الحمديدية - القاهرة ، دار
 الهلال ، ١٩٥٥ ، ص ٢١٠ .
 معاوية بن ابي سفيان في الميزان - القاهرة ، دار
 الهلال ، ١٩٥٦ ، ص ٢١٠ .
 هتلر في الميزان - القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص ٢٢٦ .
 هدية الكروان - القاهرة ، ١٩٢٣ ، ص ١٥٨ .
 هذه الشجرة - القاهرة ، ١٩٤٥ .
 وحي الاربعة - القاهرة ، ١٩٣٣ ، ص ١٧٥ .
 يساولوك - القاهرة ، ١٩٤٦ .

يوسف اسعد داغر

برنارد شو - مصر ، دار المعارف ، ١٩٥٠ ، ص ١٨٨
 (سلسلة اقرا : ٨٩)
 التفكير فريضة اسلامية - القاهرة - دار القلم ل.ت. ،
 ٢٢٥ .
 التعريف لشكبير - القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٨ ،
 ص ٢٢٥ .
 بين الكتب والناس - القاهرة - ١٩٢٥ .
 بتجمين فرنكلين : صورة عالم ، كاتب ، فيلسوف ،
 انسان - القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٥ ، ص ٢٣٤ .
 تذكاري جيتي : القاهرة ١٩٢٢ ص ٢١٩ .
 جحا الداحك المضحك - القاهرة (سلسلة كتاب الهلال
 ١٣)
 جميل بشينة : القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٢
 حديقة ابيقور -
 حقائق الاسلام واباطيل خصومه - القاهرة ، المؤتمر
 الاسلامي ، ١٩٥٧ ، ص ٣٠٤ .
 الحكم المطلق في القرن العشرين - القاهرة ، مطبعة
 البلاد ، ١٩٢٨ ، ص ١١٠ .
 داعي السماء - بلال بن رباح مؤذن الرسول - القاهرة
 ١٩٤٥ ، ص ١٨٧ .
 الديمقراطية في الاسلام - القاهرة - دار المعارف
 ١٩٥٢ ، ص ١٧٨ .
 ديوان العقاد - القاهرة ، ١٩٢٩ ، ص ٣٦٢ .
 الديوان (بالاشتراك مع المازني) - مصر ١٩٢٢
 رجعة ابي العلاء - القاهرة - ١٩٣٩ ، ص ٢٧٤ .
 ذو النورين عثمان بن عفان - القاهرة - ١٩٤٥ ، ص
 ٢٠٠ .
 سارة - مصر ١٩٥٢ - ص ١٩٠ .
 ساعات بين الكتب - جزآن - القاهرة ١٩٢٨ ص ٢٦٩
 زعيم الثورة : سعد زغلول -
 رواية تمجيد في الميزان - القاهرة ، ص ٨٨
 سعد زغلول : سيرة ونحيا - القاهرة - ١٩٣٦ ص ٦٢٨
 شاعر الفول عمر بن ابي ربيعة : سيرته وخصائص
 عصره - مصر دار المعارف ١٩٤٣ ١٤٢
 الشذور - القاهرة مطبعة المعاهد الدينية ، ١٩٦٢
 الشيخ الرئيس ابن سينا - مصر دار المعارف ١٩٤٦
 ص ١٤٤ .
 شاعر اندلسي وجائزة عالمية - القاهرة ، ١٩٦٠
 ص ٢٦٩
 شعراء مصر ويشتهم في الجيل الماضي - القاهرة ،
 ١٩٣٧ ، ص ٢٠٢ .
 الشيوعية والاستعمار - مصر ١٩٥٧ ص ٢٠٥ .
 الشيوعية والانسانية - القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٣٣٥
 الشيوعية والاسلام - القاهرة دار الفتوح ١٩٧٥ ص
 ١٦٠ (بالاشتراك)



عبد القادر رشيد الناصري

ذكرى الشاعر عبد القادر الناصري

بقلم توفيق انفكيكي

لقد قضت المروءة الإنسانية ، وشريعة الوفاء على الأوداء أن ينصف الأحياء منهم الأموات بتجديد ذكراهم ، والإشادة بآثارهم ومحاسنهم ، وأولى الناس بذلك هم أخوان الفكر والأدب من الشعراء والكتاب ، لأنهم أجدر من غيرهم بتقدير أقدار المفكرين ، وأحياء ذكرى الشعراء الراحلين الذين نذروا أنفسهم وأحرقوا مهجاتهم في سبيل إعلاء دولة الأدب والشعر والمثل الإنسانية الرفيعة ، وفي صون حرمات الحرية المقدسة والكرامة الأدمية ، وقد بات أن إشراك أرباب الأقاليم من اصطفاء (الناصري) الشاعر البائس بتدبيح هذه الكلمة المتواضعة بمناسبة ذكراه الثانية وقد خصصت بها مجلة (الأدب) الفراء لانه رحمه الله كان من شعرائها وروادها الى ان أزت ساعة رحيله الى مثواه الأخير ...

في الحادي عشر من شهر مايو ١٩٦٢ روعت محافل الضاد في بغداد وفي دنيا العربية عندما علقت أوهاق المنية بالشاعر العذب المظلوم وانشبت فيه اظفارها وهو ربان الشباب غض الأعداء ، فانطلقت بموته شعلة وهاجة ملتهبة من الشاعرية الاصيلية النامية التدفقت فخرت أسرة الشعر الوجداني العاطفي والأدب الحي شاعرا لامعا ماهرا في تصوير الألوان والظلال والتعبير الرشيق الصادق عن العواطف والأحاسيس النفسية في أغزله وأشواقه وحنينه وقد غيخ الى انه رحمه الله كان يشعر بترصده الموت له ، حين قال قبيل رحلته الابدية :

يضحك الشيب براسي فادري نعم أمالي وفيري والكفن وقوله :

لقد ضاع صدي ومثل المثلل ولام من الياس افق الاصل ليس لكل كتاب اجل فمال جرحي لم يندمل ؟

كان شاعرنا الفقيد ابن نفسه ، وربيب اديه وشعره هو نجاره ونسبه ، وان كان كريم الابوين ، فقد درس وتعلم وصقل مواهبه في مدرسة الحياة الكبرى ، مدرسة اعصابيين الذين صهرهم وقوى عزيمتهم الألم (ومن لم يتألم لم يتعلم) كما قال أحمد شوقي أمير الشعراء . لهذا فان أكثر اشعاره وأغانيه قد نمت وزكت في تربة الابی فلاجاب أن طفحت قصائده وانسجت بالالوعة والبؤس وعجت بنبرات العذاب والشقاء ، وضجت بالتهنيدات والنواح ، والشكوى من قسوة الدهر وتمش الحظ ، وراند التوفيق ، وهنا سر القوة في انفعالاته اذا ما صخب وضحك وبكا في تفؤله وتسلّومه ، فقد عاش بين الامل والرجاء ، والبسمة الباهة والقطوب ، فيعزف اذا ما انطلقت نفسه باروع الأغاني المنعشة ثم تعاوده الكتابة حتى تتجسد على اسارير وجهه ومحياه وينشده الكرب بأمواجه الى الاعماق فيصرخ بأشجي تلاحين الآلام والاحزان :

انطوف بين الرى والاسى بطاردني منه طيف وفاح ونشرني في آف الرياح ويودع عمري بسود الجراح ليخفق في شفتي الصداح فليسأل عن حلمي المشتى ومن امل ضائع مستباح كال رحمه الله من رواف الشعر الرقيق البديع ومن صافته ، فيجيش في صدره كما تجيش أمواج الألم في فؤاده فتفجر طافته الشعرية تسح سحا بغفر القصائد بوكها تفيض بروائح الجمال والصور الجميلة التربة بالانافة اللظلة الموسيقية والشرقة بالبابن العربي الرصين المبين . فكم له من لفظ بابلي تضرب بعد ان ينسجعه ويحوكه ونوشيه ببلبلح الألوان الزائفة كانها قطع الرياض الزاهية . اما شعره انقصصى للمحامي فكثير الفرائد والنفاثس واما الغزلي الغنائي فتشباري الفاظه ومعانيه في جذب القلوب واسر الاسماع مما لا نجد مثيله في الشعر التقليدي كما وصفه المرحوم الدكتور أحمد زكي ابو شادي فقال :

« عبد القادر الناصري شاعر مكثر مجيد عذب الموسيقى يسبق نضجه سنه ، وهو ممن اولئك الشعراء الذين ينتسبون الى كل قطر والى الإنسانية جمعاء ، وله قصائد كثيرة كلها تفيض بحرارة عاطفية ، وعذوبة غنائية فريدة لا تجدها في الشعر العراقي التقليدي ، فان ما اشتهر به خاصة هو شعره الغنائي المائوس وانه ليشق علينا الاختيار من بين هذا الجيد الكثير فحسبنا ان نظر في قصيدته الغنائية القصصية الموسومة (شهرزاد) لانها جامعة بين قدرته التصويرية وبراعته وسلاسته البيانية ، التي لا نستطيع ان ننسبها الى قطر معين » ثم ختم كلامه بهذه الجملة :

« ويخيل لنا وهو ما يزال في الدور الاستيعابي للجمال الفني يعاصره ، انه سيمتثل الى الدور الابتداعي القوي غير مكثف بهذه السلاسة والمعاني السائرة المعشوقة » .

وينادي كل غيم عابر في حواشي الافق هل فطره ماء
وهو في اوهامه في فقص حيك من دمع وشهد دماء

هكذا قضى حياته بين نضوب الامل ، وضحاضح الرجا
والرخاء ، يتجرع القصة ، وتزدحم في صدره الحشرات
والزفريات ، وتتساوره همومه واحزانه ، فلا يحس به احد
من خاصته وخلصانه . ومع كل ذلك ما كان بالشاعر
الفصل لنيل الهبات والجوائز ، وقد بقي طوال ربع قرن
يفني بشعره الموسيقى العذب الساحر ، ويفذي بآدبه
الرفيع كبريات الصحف والمجلات العربية الشهيرة
والذائعة الصيت في مختلف الاغراض وفي شتى المناسبات
حتى تردى في احبولة النية فتقطعت بمصرعه اوتار قيثارته
وتلاشى صوت بلبل الروض الفريد ، وهزار خمائل دجلة
الصادح ..

ايه ابا (اشواق) ! لئن افزعك الدهر بامالك واحلامك
فسامت حياتك المسؤومة مما لاقيت من غربتك في وطنك ،
فقد تخففت في غربتك الاخيرة الابدية من اقبال عبء الحياة
الذي اقضى ظهرك ، وكدر عيشك ..

اجل ! يا ابا (اشواق) ! لئن كنا حرمتا صيالك المشكور
في وجه الشعبية المتكررة لادب الفصحى فقد طالما انطلقت
مفردا بمفصول الانشيد والنغم الناعم الاخاذ في سبيل
العروبة وكأنه انفاش الراض غب المطر .

كيف لا ! وقد كتبت مذهب الطبع ، رقيق الحاشية ،
سليم الصدر ، صحيح الود لآخوانك وخلانك ، فيض الكف
تفيض خاطرك وقلمك . برغم تطويق عيشك وصغر فكك
ومرورك بالاعوجاج بان ذكرك الجميل سوف يبقى تدبنا
عطرًا على لسان الناطقين بالضاد ، وافمام السمار النواسين
اما اشعارك فستبقى اغرودة الاجيال ما دام ابناء الضاد
يقدسون جمال الشعر ويمجدون رسالة الشعراء الاحرار
غير الاجراء ..

وفدا سيدترك الزمان ولم يزل للدهر انصاف وحسن جزاء

العظيمة - العراق توفيق الفكيكي

الاعلان في الاديب

يقيم عرضة للانظار شهرا كاملا

ومن الاسف الممض ان شاعرنا المبدع ينتقل الى المقبرة
وهو في ذوره الابتداعي وينطفئ ضوءه وسطوح شهباء
فخمدت على شفتيه جذوة ملحمة الوجدانية (اللهب
المقدس) .

لقد هام شاعرنا بحب المرأة فزخر شعره في فناء احلامه
باقوم الشجنات العاطفية الجياشة العارمة ، وكان يقتنص
في وصف محاسنها ودلها وهجرها ووصالها ابتكار المعاني
الحسان من اصفى مواردها كما جاء في قصيدته (الفتنة
الكبرى) :

ظفان لا الفتح المسجور يرويه يا للمحب لقد ضاعت امانيه
ومنها :

يا ضيعة الحب كم اشقت فائنة حسناء لولا الطلي كانت توافيه
اكل (خالدة) في الحسن غادرة يا وبع فابي كم غدراء تمنعيه

واذا امتنع عليه طيف خيال الحبيبة ارتعى في حضن
الطبيعة وهي غادته الحسناء فاتحا نوافذ جوارحه ليشرف
على مناظرها ومفاتيحها وسحرها السانع في صورها المختلفة
فيندفع بكل حسه وهواه ليصور غرائب حسن الربيع
بازاهيره الفواحة ، وشقائقه الموردة ، وعيون نرجسه
الناعسة ، ثم يرسم لوحاته البدية الجذابة بين رياحين
الربى ، ومروج السفوح والسهول الخضراء ، وخربس
الجدال وشدة الانهار وتراقص مياه القدران ، تلبه قبلات
التسيم لعرائس البساتين ، وتجاوب الاطياف والشجيرات
وهديل الحمام على منابر الادواح في اشواق الفجر
الضاحك ، وشفق الضروب الاجواني وقد قاض شعر
(الناصري) بهذه الفنون الجمالية التي طرّ بها (ملحمة
الخمرية) و (اللهب المقدس) و (بقايا في الطيف)
و (سلطنة الشجر) في التخييل وغيرها من فرائده وفلاذنه
الكثيرة من شعره الرائع الوصفى لمشاهد الطبيعة وهي
غادته الحسناء الفائنة واليك هذه القطعة من قصيدته
(غنت الحياة) وقد نشرت بعد مماته :

ايما شاعر الحسن خل النحيب
وحبي الصباح بلحن طروب
تقرية فوق ايك رطيب
فمن كل زهر نفوح الطيوب
كان بدا للربيع الحبيب
لشائلة لا تصل البكاء
ورد غشاه عند السماء
تبث الفاريها للضياء
ومن كل نثر يسيل الفناء
تقيم على الارض عرس الماء
فاني تلفت ملء النظر
غرائب حسن شتى الصبور
وفي كل حفل جنى الثمر
فرائش يقبل نثر الزهر

ولكن سرعان ما يتقلص من حواليه ظل الاماني فتعاوده
ظلال الكآبة فيجد نفسه تائها في قفار اليأس والقنوط
فينادي الغمام عله يوجد عليه بقطرة ماء يحيي بها ميت
الرجاء فيقول في قصيدته (هينعات الشعراء) :

اي ماضي لغريب ناله في قفار الياس يستجدي الرجاء
يرسل النظرة حوى له يستشف النور من نجم اخفاء



صوتها يصل اليه
خافتا ، وهي راقدة
في السرير . ولم تكن
به رغبة في الحديث
معها ، فيسبب الحمى التي كانت
تتصاعد من جسمها ، اعتقد انه من
الافضل ، ان تظل صامتة ، حتى لا
تجهد نفسها .

وكان الضوء في الحجرة ضئيلا ،
بنيبت من لبة صغيرة ، معلقة في
الجانب الايسر من الباب ، فتلقى
بضونها على السقف ، فتعكس على
الجدران ظلال سوداء كبيرة . ووصل
صوتها الهامس الى اذنه :
— اريد ان أشرب .

عاد الحجرة ، وعاد حاملا كوبا
ملئيا بماء بارد . ولم تكن تقوى على
الجلوس ، فاستند رأسها على ذراعها ،
وقدم لها الكوب ، فشربت منها قليلا ،
ثم اشاحت بوجهها عنها ، فالتح عليا
ان تشرب ثانية ، ولكنها ضمت شفيتها
في شيق . وسددها في رفق ، وعاد
فجلس على مقعده صامتا .
لمح شفيتها تتحركان ، وظن انها
تريد ان تتكلم ، ولكنها اشارت بيدها
الى الشباك ، وهم انها تريد ان يفتح
واتجه نحوه ، وقبل ان يفعل ، التفت
اليها وحذرنا قائلا :

— ربما تريدن .

ولكنها لم تنطق ، بل اكتفت بان
عاودت الاشارة بيدها في اصرار ،
ثم تركتها تسقط بجانبها . ففتح
الشباك بحرص وهدوء شديدين .
كانت اية حركة ، ربما اعجزتها .
وتسللت نسمات رطبة ، جعلته يشعر
برعدة خفيفة . ونظر اليها ، كانت
ابتسامة شاحبة ، وظلال المصباح ،
على جزء من وجهها ، تشعر بارتياح .
وقف بجانب الشباك . وكان الشارع
مظالما الا من فانوس قائم على ناصيته ،
وكان ضوءه ساطعا ، فلم يبق على
النظر اليه ، فاشاع بوجهه عنه . كانت
البيوت المقابلة مغلقة النوافذ ، وصمت
كليب يخيم عليها .
وعاد ينظر اليها ، كانت قد اغضمت

عينيهما ، وعلى وجهها هدوء شامل :
انفاسها تردد في سرعة ، وعرق لامع
يكسو جبهتها ، فاقرب منها ، ورفع
الغطاء حتى رقيبتا فشرعت بحركة
يده ، رفعت جفניה ، وقالت :

— لا .. انا حرانه . احس اني
اخنق .

— ولكن انت عرفانة . اذن اقل
الشباك .

— لا .. لا

وقف وظهره تجاه الشباك ، كي
يمنع عنها نسمات الهواء . وادارت
وجهها للحائط . كانت ظلال سوداء ،
قد قسمت الحائط قسمين : احدهما
مظلم ، والاخر خافت الضوء . وفكر
انها ربما تموت . ذلك ان الدكتور
حينما عادها في الصباح قال له وهو



http://www.archive.org/details/...
الليل

يودعه عند الباب : ان مر عليها الليل
... وسكت ، ثم صافحه ومضى .
واندفع الى الاجرانة ، واحضر الدواء
وتذكر كلامها له : كان صوتها مرعشا
وابتسامة زرقاء مسودة ترسم على
شفيتها الجانبتين ، فبدت اسنانها
منفطاة ببطقة صفراء كالحة ، ورجاها
ان تتناول الدواء ، فرفضت ، ولكنه
الح ، وتلاقت عيونهما ، وقدم لهما
قرصين ، فقبلتهما بجرعة ماء .

كانت حبات العرق لا تزال تغطي
جبهتها ، فاخذ فوطا كانت معلقة على



ظهر السرير ، وجفف وجهها كله ،
فانفجرت شفاتها عن ابتسامة حانية ،
ثم رفعت يدها ، وامسكت بيده ،
وضغطت عليها ، فجلس على حافة
السرير ، وظل رانيا اليها ، وهو يكاد
يتنشق .. كان ينظر الى كل جزء من
وجهها ، وكأنه يريد ان يلتهمه ، ثم
انحنى وقبلها .. كان وجهها دافئا ،
وحين رفع وجهه لمح الدموع متجمعة
في عينيها ، وقالت بصوت شعر انه
يخرج من قلبها :

— يا خسارة .. ساموت .

وهوى قلبه ، وتوالست دقاته ،
واحس بالدم يندفع في رأسه ، وفكر
الا يجب ، ولكن خيل اليه انه لو
سكت ، لتأكدت هي من موتها ، وحاول
ان يبدو ميتسما ، وشعر بارتياح اذ
تنبه الى ان ظهره للضوء ، وانها لن
تلمح ما على وجهه من انفعالات ،
ونطق قائلا :

— لا تتكلمي ... لقد طمانني
الدكتور .. غدا في الصباح ستكون
صحتك احسن .

فابتسمت ، ولكن ابتسامتها كانت
باهتة ، وظلت عيناها مثبتتين عليه .

وكان يغالط وهو يسألها :

— اوع النور ؟

— لا .. هذا النور احسن .

وتنفس بارتياح ، فسألته :

— اني تنام ؟

— لا اشعر برغبة في النوم .

— استظل مستيقظا ؟

كان يبذل مجهودا كبيرا ، وهو
يفكر في الاجابة ، محاولا ان يجعل
صوته مسطحا ، لا يتم عن شيء :

— لا اشعر بتعب .

ويبدو انها شعرت بما يعانها فقالت :

— انت يظهر عليك تعب .. قم

.. نام .

— سأل بجانبك .

ضغطت بيدها على كفه فصرق
انها قد سرت لذلك كثيرا . واعتدل
في جلسته ، واستند ظهره على عمود
السرير ، وظل يتأملها . كان الوقت
يمضي بطيئا ، ولسعته البرودة ،

حب وكبر

« عمان » انك قبلي ورجائي
« عمان » كم الهبت بيض جوانحي
« عمان » ذكرك ان الم بخاطري
لسمعت من فرط التوجد حاملا
ولعرج القلب المذهب قاصدا
متخطيا فرق الترنع قائما
او لست موطن من احب وارثي

ومناط آمالي وحي عزائي
وسكبت صافي الراح في اجواني
وهفا الفؤاد لروعة الاصدا
تنف الفؤاد وتاركا خيلاني
مفتلك تباها على البرحاء
متحديا لمشاعر رعناء
وملاذه في حماة الضراء

عفو التشامخ اذ اهاب بخافتي
والحب افعل في النفوس اذا بدت

اني محب جامح الالهواء
في الكبرياء شمائل العظماء

سلافة العامري

دمشق



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الحجيم ، ترى ما الذي اصابها ؟..
اي هواء ملوث ، حمل اليها الميكروب
الخائن ؟.. لو استطاع ان يقضي على
كل الميكروب .. ولكن هل هي احسن
حالا الان ؟.. وامتدت يده تجسها .
كانت الحرارة قد هبطت قليلا ...
لم تعد جبهتها تنزع عرقا . انفسها
انتظمت . وفكر ان يوقفها . كان به
شوق الى سماع صوتها ، الى التحدث
معه لو قفزت الشمس من خلف
الافق ، ولكن ما بال الجو يزداد
حرارة ؟! وفكر ان يفتح الشباك .
ولكنه لم يتحرك ، واسدل جفنيه ،
وظل يحس بكل ما حوله ، دون ان
يرفعهما . وماتت قطرة في الشارع
ومن بعيد سمع صوت سيارة مسرعة
ما لبث ان ابتعد وتلاشي في الصمت .

وأحس بالهم في رقبته ، فانزل من
جلسته واسند راسه على مخدة
صغيرة ، كان قد وضعها خلف ظهره
واخذ يحرق في السقف ، كانت
انفاسها تتردد ، لقد نامت ، واشرب
قليلا ، ولمحها وهي مستغرقة في
النوم .

كان صوت انفاسها هادئا ورتيبا
به خشونة ضئيلة . واستراح نفسيا
ولكن النوم لا يطاوعه وفكر ان يقوم ،
ويطل من الشباك ، ولكنه تذكر ان لا
شيء في الخارج سوى الظلام ،
والقائوس على ناصية الشارع . كان
عليه ان يذكر اشياء اخرى يشغل
بها نفسه بقية الليل .. كان ينتظر
الفجر ، كان يريد فقط ، ان يرى
نوره يتسلل من فتحات الشباك ،
وعندئذ ستعود حياته الى جمالها
السابق . منذ يومين وهو نسي

فرقع الفطاه من ناحيته ، وغطى
جسمه ، ولا مست قدماه قديمها ،
فشعر بدفئهما .
— هل اقبل الشباك ؟
— انشعر بالبرد ؟
— من أجلك .
— واربه .

لم تكن به رغبة في النوم . كانت
عيناه مفتوحتين مثبتتين على وجهها .
تحت الضوء الخافت .

وبدا يفكر في اشياء كثيرة : لقد
اعتاد عليها ، واصبحت جزءا منه ،
انه لا يستطيع ان يتصور ذلك اليوم
الذي يفقدها فيه .

وحول مينيته عنها الى خط الظل
الذي يفصل بين الظلام والنور على
الحائط . كان الخط واضحا وان
كان كئيبي بصورة جعلته يفكر في
اضاءة اللبنة الكبيرة ، ولكنه تردد ،

مصطفى ابو النصر

القاهرة

مكتبة الاديب



المالوك العاشق

قصة تاريخية - تأليف محمد عطا - ١٩٤ صفحة - نشرتها مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة - دار الجيل للطباعة بالقاهرة

منذ اصدر الروائي الكبير السير ولتر سكوت قصصه التاريخية الشهيرة والتقاد في صخب حول قيمتها التاريخية ! فقلان ان الخيال يجمع بالكتاب الى وقائع اسطورية لا تمت الى الحياة ، وفانل ان روح الوقائع الاصلية تبرز بوضوح في كل ما يبتكره الخيال ، ثم تابعت القصص التاريخية بفزارة وتدفق حتى كان لها رصيد ضخم في مكاتب العالم ، واستطاعت بتأثيرها النفاذ ان تحتل مكانتها في النفوس ، حتى اعترف بها من كان يماري في جمودها العلمية ، وانفلت الآراء او كادت تنسحق على ان هذه القصص تتخذ من الخيال سلما الى تاريخ الواقع ، فهي تعرض روح العصر وترسم جوده ومحيطه وتقدر ابعاده واطواله .. وهي بعد تصورا امين لوجات الطبقات المتصارعة واذا اعتمد الكاتب على بطل جدير فانما يتخذ رمزا بارزا لن يسرون خبطه ويوجهون خوطه ، ويحكمون مصيره في اكثر الاحيان وعصر الممالك من اجس العصور صلاحية لكتابة الروايات التاريخية ، فان به من القرائب التنافسة ما يعجز الخيال ان يتصوره ! وماذا نقول في عصر كان مالوكه جميعا ارفاء يخطفون من بلادهم النالية صفارا ، لم يبيهم النحاس في اذنواك الرقيق ، ويضيق الزمن فاذا بهؤلاء التائهين سلاطين كبار يكمون مصر والشام والتوبة ويغيي لهم في منابر الحرم الشريف ، ويمتد نفوذهم بما لا يقاس به نفوذ عظمي عريق من ابناء الخلاف المتوجين !! ومع صلاحية هذا العصر النادر للقصص التاريخية فقد تقاسم عنه اكثر الروائيين ، واتجهوا الى عصور بني امية والعباس والاندلس اكثر مما اتجهوا اليه ، واذا استطعن ان تذكر سعيد الغريان وابراهيم جلال وعلي باكثير وخيري سعيد فيمن استلهموا هذا العصر مع نفر قليل من اعصرهم المتأخرين فاننا لا نزال ننظر لعلافا كبيرا يرضي حاجة هذا العصر الباهر الى التحليل والتصوير وبين يدبنا الى قصة المالوك العاشق ، كتبها الاستاذ محمد عطا ليصور بها احدى حلقات هذا العهد الخطير ، وللاستاذ في مضمار القصة التاريخية جهد سابق اسفلت الحديث فيه في بعض ابداء مجلة الاديب ، وقد جاء اليوم ليليفي جهدا الى جهد فيحيي بعض حوادث مصر في زمن السلطان الغوري . وقد قرأت روايته الجديدة فرنسي احكامها الدقيق ، وادركت في وضوح ان الكاتب قد صور هذه الحقيقة من الزمن تصورا طليلا تحيطه البوارق الالامعة ، وتفسره الانبعاث الدالة ، ولقد كان من باب المصادفات السارة ان اقرأ معها كتاب السير ولیم مورع من تاريخ دولة المماليك وهو في رأيي من اصدق الكتب العلمية التي كتبت من روح هذا العصر العجيب ، فادرك ان الاستاذ عطا قد استطاع ان يبرز الواقع التاريخي في مجاله الفني كما ابرزه السير مورع في مجاله العلمي بحيث صارت رواية المالوك العاشق وجهما نابض اللامع ، بارز السمات بظلمة القاري ، فيلس ما كان كما كان !! ومما يقع فيه بعض الكاتبيين في هذا المجال انهم يحشدون الوقائع التاريخية

في تكلف جهيد بحيث لا تمهد لها اللباسات الفنية بل تفاجئ القاري مفاجأة ناشرة وكان الدادب قد شاق بها، فعرضها في غير موسعها ليربح نفسه من عنائها الكبير ! ولكن الاستاذ محمد عطا في قصة المالوك العاشق قد ارتفع عن هذا السكون ، فجعل حوادته تاتي فيرير وسهولة والقاري يترقبها وينتظرها من بعيد فحين يصادفها تهل من نفسه محلا كرمها ، لذلك لا يدع القصة من يده حتى يفرغ منها في اديان وتقدير .

وسانظر هنا الى الرواية من ناحيتها التاريخية وحدها ، فاعلن انها تفني القاري عن ان يطالع كثيرا مما سجله مورخو هذا العصر من توارده الغريبة ، ان احاطت بالجواهر اللباب مما يجب ان يقال ! وسانقل من فصولها ما يمتصنا بفقال متعاسك من عصر المماليك ، واذا وفق كاتب رواي الى ان يصدق الحديث عن التاريخ صفدا خالصا غير منقود فقد ادى رسالة المؤرخ العلمي ثم نقول عليه في ابداءه الفني بما رسم من مشاهد وحلل من نفوس وابعد من حوار .

فابت اذا اردت ان تعرف اصول المماليك في اندحارهم الاول الى سلف الحياء من اصلاط الاول تجد طلبتك في قول المؤلف من طومان باي ص ١٢ « بات طومان باي ليلته ولم يفرض له جنن ، راح يفرق في طفولته وكيف انه بيع في سوق النخاسة بانه ابوه الفقير على كره منه ليصنع لابنه مستقبلا باهرا في ديار مصر فهو لا ينقصه الذكاء ولا فراعة الجسم ، ولا قوة اليدن ، لقد سبق الى هذه الديار اخوان له من مواطنيه الدولايين المشهورين بالشجاعة والجلد ، فولوا ارقى المتاصب وخاضوا اعظم المعارك ووسجلاوا انتصارات باهرة ، انه علم ان اياه داسي على عاقته ومنسى على قلبه حين كان يغفلو الى سوق النخاسة ، احس كل ذلك في قلبه المتروفيين بالذم لم ينهارها وقد نمت الصفة ودفع بانهه الى السبيطة الروسية في انتظار رحيل هؤلاء العبيد » .

كأذا اردت ان تعرف جشع السلاطين في ابتزاز الاموال وقسوى القهارين دون الحق مشرؤع لم تعذب الجراء الاثمين ممن لا يقدرن على السداد وجدت الكتاب يقول ص ٥٦ عن الغوري العنيد واحتياكسه الحصيد

« ومنذ تسلط الغوري اخذ يتغلغل يخلو الخزائن من المال ، فلا سبيل له الا بتحصيل فرائب عشرة اشهر كاملة تدفع مقدما من اجرة املاك القاهرة من بيوت وديوع وحوانيت وحمامات وفيطان ومراكب وغيرها ، ومثل القاهرة جميع الثغور والمدن والقرى ، وقد انتهز الملك هذه الفرصة وطالبوا المستاجرين بدفع ايجار عشرة اشهر مرة واحدة مما اثار الرعية واوقعها في شيق شديد ، واصبح الناس ولا حديث لهم الا ما وقع من مصادرات اوان فلا التاجر قد دفع المطلوب منه لجهتين مختلفتين بعد ان علب عذابا اليما وبلبل من فوته وراسماله فصار ذكاته خاويا على غروشه وعجز غره عن الدفع فوقع في «الترسيم» . فاذا خطا بكالمؤلف في ايام حديثه التسلسل الى مكابد القصور ودسائس العريم في منزل السلطان حدثك عن ذلك في خلال تصويره للجارية سناء حين فطقت تدبر مكيدة لسيديها هند ، وكم للقصور من مؤامرات تقوم بها جوارها في الفاتنات ، وكان من قال قال عنهن الكتاب في معرض حديثه عن سناء ص ٩٥ « وكانت سناء تتقن مثل هذا الدور الذي اضطلعت به فلها اسلوب نام ، وطريقة فذة في الكشف عن الاسرار والنيات ، وفراوة افكار بنات جنسها ، قد كانت هذه صناعتها حين ان شبت في خدمة الخوند يقصر بوجع بالوصفات والخدم والحشم ، وكلهن من اجناس مختلفة ، فنهن التركميات والحششيات والسودانيات واليونانيات ، ولهن مشارب مختلفة وطرائق في التكيف والاتجاه والسلوك ، في عصر دائم التقلب حافل بالانقلابات والدسائس والفتن وتغير السلاطين ، والتغير هنا معناه

قيام حرب أهلية بين المالكين ، تزيل الوجوه الحاكمة لتحل أخرى مكانها ، وقد نسطهد زوجة السلطان ، وصادر أملاكها ، وانتقل إلى سلطان جديد بعد زوجها الأول .. وهذا ما حدث ..

اما المسألة حقاً فمسألة الخصيان الذين يشرفون على الحريم في قصور المالكين ، وقد صورها المؤلف تصويراً ينضح بالمرارة والام حين قال عن بعض الفؤات ص ١٦٠

« لقد تذكر الإنفا فجأة وضعه الشاذ فلا هو بالذكر ولا بالأنثى ، وان حياته تنتهي بانتهاه أجله فهو محروم من الذرية والبنين ، محروم من الزوجة والشركة ، لقد سلب رجولته منذ كان ابن تسع سنوات في قرية بالقرب من اسبوط من ضحايا آخرين ، جلبوا معه من سافور ، ان الذي ذكره بهذه الايام المؤلمة هو الحب الذي يشهده والحياة التي يهفو اليها وهو محروم منها ! انه يحب المرأة ويستهيها ولكنه عاجز عن ان يصل اليها ، وهو سخي ظلم وجشع ! ظلم القوي للضعيف وجشع الانسان للمال ! وهنا فاست عيناه بالدمع فتقدمت اليه هند ورثبت على كتفه لوسيه ، على ان مجال الفارقة الملهلة ينسج في مرارة الالام حين يطرد السبايا بالكاتب الى موافق متنافسة ، فهو مثلاً يتحدث عن الجماعة في مصر وما أعقبها من نزول الوياه بكوناته يقول ص ١٥٧

« لقد فشا الطاعون في مصر ، واخذ يحصد الارواح حصداً ويشيع الى القبور شترات الضحايا كل يوم ! ولا يكاد المرء يسير خطوات في شوارع القاهرة وخارجها حتى يسمع نواح الناحات ، وصراخ التكوين والتكوينات ، وي شاهد النعوش التي تحمل ، والجنائز التي تسير ، وساد القاهرة رعب شديد ، فكل جزء خلف بيقق الابواب على نفسه في حذر وقيل الناس على المساجد يهتلون الى الله ، ويسرعون تالين كي يخفف عنهم ما بهم ! وخاف السلطان على نفسه واهله وبات فرقة مكروبا يوزع الصفات ويهبى بالقرئين ليتلو آيات الذكر الحكيم ويخاروا بالدماء الى الله ليزيح هذا الوياه .. »

ومع ان هذا الوياه قد نتج من مجاعة فاجمة باهتت الشعب ، والسلطان الذي فرغ منه وخاف على اهله ونفسه فوزع الصفقات في الذي اسهم في حدوثه بشره الجشع واستنزافه الاموال لم يكتف بما يتل في القصور لدى الجوارى من ذهب ! ولجنوداً من الممالك من خلق وجواهر كي يركن الى طاعتهم بل جعل ملائكة وراسه واصابعه مرفها باهرا للزينة ، فهو كما يقول الاستاذ محمد عطا على لسان بطل الرواية الماس ص ١٧٦

« ألم تر اصابع السلطان الفوري ، انه يتحلى في كل اصبع بخاتم خاص فيد خاتم من البافوت واخر من الفيروز وثالث من الزمرد ورابع من الماس وخامس من عين الهر ، ويشرب الماء من الطاسات الذهبية ويوزع بالامه الوالدات والزينات والحللات وشعبه لا يجد الكلمة التي يتبلغ بها والمالكين ياكل بعضهم بعضاً في حرب طعون .. »

على ان المؤلف لم ينظمه اذ تحدث عن اتهامه بالاحكام الشرعية حين لا تسي نفسه وفسفته بل حينما تكون اقتصاصاً من مجرم اخطا ، بل ان الفوري ليتجاوز الحد المشرى الى عقاب يخرته من وحي تفكيره او يوافق عليه اذا كان شائماً معروفاً قبل عهده من طرف ما حكاه المؤلف بعدد ذلك ص ١٤١ مما يصور طبيعة هذا العصر

« لقد وجد والوالي اربعة اشخاص - منهم امرأة - يظنون باحد البساتين في نهار رمضان ، ياكلون الملوحة ويشربون الخمر ، فقبض على الرجال واخذ يصرعهم بالمقارع ، واركب كلا منهم حماراً بالمقارب وسار امامهم المنادي وهو يصيح هؤلاء العوام افطروا في رمضان في الطريق العام فطهم لعنة الله ! ثم سجنهم في القشرة بضعة ايام !! »

كانه منطلقات متقاربة اتحدت من القصة تشير اليها من قريب ، ولئن هذه الانطفاح الموج من احدى القصص امرأ غريباً في ذاته لانها ذات وحدة كلية متشابكة فبالتالي منها ان يذكر بعض سطورها التناقضات فان مما يبعد لنا القدر في ذلك اننا نحكم هنا على القصص التاريخي للرواية

وحده ، اما العمل الفني ذاته فمع نضوجه الادبي ، واطرادته المنهجي ونسلسله التيميري وابداعه التصويري فقد يجد من الكاتيب من يخصه بالحديث .

الفيرم - دار الاملاط محمد رجب البيومي

الطيب الصغير

قصة للاولاد - ناليف ادفيك جريديني شيبوب - ١٥٢ صفحة - منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر ببيروت - مطابع سميا ببيروت

حملت البنا النهضة الادبية في لبنان ، والوانا ادبية جديدة لفتها المكتبة العربية بكثير من الترحاب لشديد حاجتها اليها . وقد يكون سبباً ان استعرض في هذه الكلمة ، الانواع الجديدة التي انبثقت مع نغمة الانتاج الجديد في ادبنا اللبناني الحديث ، لان الكلام في ذلك سيطول ، وغايتي ان اقدم الى القراء بكلمة موجزة ، كتاباً جميلاً كان ثمرة تجربة مخلصه وجهاد ادبي صادق في سبيل خلق مكتبة قيمة للاولاد ، فجاه اسهاماً مشكوراً في وضع اساس تلك المكتبة الحديثة .

ادفيك شيبوب صاحبة القلم الرصين والاسلوب الانيق . وقد نال كتابها هذا العام جائزة القصة في ادب الاولاد بالمنافسة وهي الجائزة التي منحها جمعية اصدقاء الكتاب سنوياً .

واما الموضوع فهو قصة عن موقف هادئ لحياء اسرتين عربيتين بلبنانيتهما تعيشان في احدى القرى القريبة من الساحل اللبناني على ما يبدو من عبر الاحداث . ولكن ذلك الترف من الساحل اللبناني بالنسبة للقرية التي تجري فيها حوادث القصة ، لا يتزع عنها طابع القرية اللبنانية الاصيل ، ولا يهت الوان الصور الاخاذة لذلك الريف الفني بتراله ، فالتقاليد اللبنانية الجميلة حية في الكتاب ، ناطقة بروعة تلك اللوحات الطبيعية الهادئة .

لقد شمرت بكمرة بعيدة وانا اقرا ادفيك شيبوب كتابها الجديد ، لا لانني لبنانية تشدني الى قريتها في اعالي الجبل ، اوامر حبة ونيقة ، بل لانني قدرت للكاتبه براعتها في احياء صور عزيزة علينا نحن ابناء القرى النازحين عنها الى المدينة ، التناشيب تقريبا مآذنها وتقاليدها ، بهرت ، اعيننا مبتكرات الحضارة الحديثة ، وابعدنا عن مسالك القرى الوعرة سيارتنا الآتية ، فتسللت في خيالنا صور الحياة الجميلة الجميلة ، الرائعة ببساطتها والبليغة بهودها وتضامتها مع تقاليدنا ، وامحت من ذاكرتنا المقلقة بصعاب الاعمال وتتابع المسؤوليات ، تلك التمازج البسيطة من صور الحياة التي عاشها اباؤنا واجدادنا وروثنا لنا امهاتنا وفصدهن من ابقار بين حينا اليوم وحياتهن بالامس القريب في القرى .

واعود الى الكتاب لاقول مخلصاً : ان الكاتبة قد وفقت فيه بطريقة العرض للصور الحياتية الهادئة التي جمع الجوارى بين اسرتين رحلجن الاولى ربهما الى الديار الاميركية ، فبقيت الزوجة تتحمل مسؤولية امالة اسرة يكاملها فامتعت التعليم في القرية الهادئة . ورحلت عن التناشيب ربة البيت الى دار البقاء فتعلم الاب فيها عبء السهر على الاولاد تعاونه في ذلك شقيقة دالية فرحمت عليها الظروف طروبة فاسية وجعلتها ترى الحياة جدا لا هزل فيها ولا اقسام ، وانها في مفهومها كثر يجب استشارته بلا هوادة فكان ان نشأ ابناء اخيها بفكرتو الى والده الامومة فيشبهونه لدى جاراتهم ام فؤاد وهي الام المثالية والصديقنة الوفية لمتمنن وللأسرة كلها .



الاريمب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :
الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانتصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد أدنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد أدنى

المجلات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للإعلان تراجع ادارة المجلة

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
السير أدب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

وكان طبيعيا ان تنشأ بين ابناء الاسرئين علاقة ود وصداقة غذتها
الايام ، وان تتفتح في قلوب ندى ونيل ، بطلي القصة ، برام حب
نشر نشر في صفحات القصة شيئا رقيقا ، لا سيما والبطلان ما زالا في
طور المراهقة الطرية بظلال على عالم العاطفة بقلوب صغيرة نابضة وعيون
تري الحياة عزيزة ووفاء ونيل .

وما دمت استعرضي موضوع القصة فلا بد لي ان اذكر ان الكتابة قد
وفقت بمرضاها الرشيقي لبعض مشاغل ابناء القرى خارج حدود دروسهم ،
فكانت تختلق الاجواء المنسبة لتعرض على قراء كتابها ممن اينعوا ،
نماذج من المواسم التي يعلق عليها سكان القرى جليل اهتمامهم وكثير
امالهم ، فهي مصادر حياتهم ، واسباب هامة لمعيشتهم . وانه لفر حقا
ان يتابع القراء صفارا كانوا بين الثانية عشرة والخامسة عشرة ممن
خصتهم الكتابة بمؤلّفات ، او كبارا يعنون الى استعادة صور الحياة
العملية الساذجة في جبالنا وقرانا ، فراءة فهول القصة بنشوة تعيد امام
انظارهم ذلك الاطر الجذاب المحيط بحياة ساذجة بسيطة لا تعقيد فيها
ولا ملاسبات ، وتبسط لهم بعض نشاطات افرائهم ممن يعيشون في الريف
الهاديء فتزيل من ذهائهم تلك الحواجز التي خلقتها تيارات الحياة
الجديدة في مدننا الماهرة فمحت بها من الدهان اولادنا طابع القرية
البناتية الهادئة الهائلة

لقد خلت القصة من تلك الحكيمات الثيرة والعقد المتأزمة التي للهبط
خيال الاولاد ، وتندفعهم برغبة التقصي للاحداث ينهم ، الى مطالعة
الكتاب بلهفة ، لكن ذلك ان يقلل من حلاوتها لان فتحها لسلسلة تناسب
اعمارهم واسلوبها سهل ورشيقي بنسجم ونمو مداركهم . والكتابة الـ
عرفت سيرة البطل « نيل » هذا الفتى البظظ والاهل لتحمل المسؤوليات
اثارت اعجابي ، فمحيل ان نهيه اولادنا الى مثل نشاط « نيل » وحلو
اخلاصه لعمله المدرسي والبيتي ، وهو بما وهب من قوة حافظة وميل
الى الملوم ، وحرص على تطبيق اصولها في الحياة العملية ، واندفاع
الى اقامة كل مثالي او مرضى من رفاقه واترابه ، فسد استحق لقب
« الطبيب الصغير » عن جدارة .
بقي ان اوجه باخراج الكتاب ، فهو حقا جميل الطباعة النيق الطفال ،
صدر عن المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر . صفحاته المئة والخمسون
زاد للذيد ولولادنا في ساعات فراغهم ، وحجمه المتوسط تزدان به مكتبته
ففرحي للكتابة ساعة فكرت بولادنا واهلا « بالطبيب الصغير » يحتفل
في مكتبتهم رنكا جميلا .

سمعد ابو شقرا

من وحي الاسكندرية

شعر - عادل الفسيان - ٥٦ صفحة - منشورات وطبع
دار المعارف بالقاهرة

هذا كتاب قرأته في لحظات قصار ، ولكن ظل منه في نفسي وفي ذهني
رئيس ساحر ، واصدا حلو ، وخيالات زرقاء مترفة كمياه شاطئ
الاسكندرية الذي اوحى الى الشاعر عادل الفسيان ، بابائته المئة
والسبعة والثمانين ، التي تتناثر على صفحاته الست والخمسين كما
تتناثر الزهار الشدية على يساط الربيع الخلاب في ابائه .

الكتاب كله قصيدة واحدة ذات وزن واحد هو بحر الرمل ، ودوي
واحد هو الياء المشددة المفتوحة قبل هاء . وعلى الرغم من ان القافية
الواحدة والوزن الواحد كثيرا ما يبعثان على الملل ، ويؤديان بالتمسك
الى الركاكة ، الا ان الشعر قد اسلم قياده للشاعر الفسيان ، وما
اتدر ما يفعل الشعر ذلك في القصائد الطوال ! - فتائق على قللمه
رغم طول القصيدة ، ورغم تكرر الابعاض في القافية الواحدة والوزن

الواحد مئة وسبعاً وعشرين مرة متلاحقة . ولعل الموضوع نفسه – الاسكندرية ، وشاطئها الجميل ، وتاريخها الحضاري العريق – كان عاملاً مهماً في رفقة الشعر وتأنقه في هذه القصيدة الطويلة ذات الثمانية عشر تشيداً ، الى جانب رهافة حس الشاعر ، وجمال ذوقه في اختيار اللفظة الشعرية المعبرة ، وفي الصياغة الفنية ذات اللامسات البارعة ، واللفظات الذهبية الرفيعة ، مما يجعل القارئ الباحث عن الجمال الفني يجد في مثل هذا الشعر ترميزاً عن فئاتهم القصائد « البردة ... » التي تفتي الصحف بها نفوس القراء في كل يوم . ويتجلى ذوق الشاعر الرفيع ، الى جانب الشعر الرفيق الجميل ، في اخراج الكتاب ، ورائحته ، وروعة غلافه المستوحى من لون البحر وامواجه ، ومن ريشة الفن في يد الجيالك .

ان اعجاب الشاعر بالاسكندرية وحبه لها لا يتجلىان في القصيدة التي يتضمنها الكتاب فحسب ، ولكن القدمة الثرية اللطيفة التي يجعلها الكتاب في صدره تشارك في هذا الاعجاب والحب . وهذا يعنى ما جاء في المقدمة من التعبير عن عبق احساس الشاعر بالاسكندرية الجميلة الخالدة : « سحبا ان شئت عروس البحر ، او أولفة البحر ، لها تنى ملان في التسمية ، فانها اجمل نفور البحر الابيض على الاطلاق ، بما اجتمع فيها من مجالي الحسن والفتنة والسحر مشدودة في جنبنا تالارض واديح السماء ... واني لخالتي في عداد اولئك السعداء الذين تراح لهم زيارتها في اللينة بعد الفتنة ، فكلمنا شافني البحر ، وناقت نفسي الى مواضع السحر ومرايع الغلياء خفتت اليها ، وانصت فيها الى هفوة الموج ، وهسات التسيب ، وحديث الرمال ، وقرات فيها سطور المجد متوشة على الواح التاريخ وصفحات العمران ، ونهلت من ادب ايتائها الجم ، وعلمهم الغزير ، ومودتهم الصافية ، وعدت منها ممتلئ القلب بآيات الجمال والجلال » .

ان القصيدة التي تضمنها دفنا الكتاب فقد استنارت في الشاعر وجها دعوا المجلس الاعلى للفنون والاداب والعلوم الاجتماعية الى مهرجان الشعر بقم في الاسكندرية . ويقول الشاعر : « فحشيت في مراكب التاريخ نارة ، وفي مراكب الحسن نارة اخرى ، فتتلا على اجنحة الفكر من عصر الى عصر ، ومن حدث الى حدث ، ومن روعة بسجى الى روعة سحر ، ومن مآثرة الى مآثرة ، حتى امتد بي نفس الكلام الى هذا القدر من القصيدة ، وكان حقيقاً ان يمتد الى اطول من ذلك توفية لموضوع جليل تنوء به كبريات الملازم . وما هذه القصيدة الا تحية عربية خالصة نحيتها الاسكندرية واهلها الكرام في ابيات من الشعر اكدت باللمحة الخاطفة عن النظرة العميقة الشاملة في ما تصدت له . فان اخطاها التوفيق فلم يخطئها الدليل على ان القافية العربية تتسع لتسوع الافراد والمعاني في التظومة الواحدة مهما طالت » .

ان في هذا الذي جاء في المقدمة تفسيراً لدواعي هذه القصيدة الجميلة التي يطلع بها علينا الاستاذ الفضيان ، الذي عودنا من شعره كل جميل كلفه الرضى وقلبه التيبيل الشاعر .

يسجل الشاعر قصيدته الطويلة تشيداً بعنوانه (مجد وجمال) يقول فيه شيداً بجمال الاسكندرية وامجاد تاريخها العريق :

عشت طول الدهر يا اسكندرية افق الحسن ومجلى الميريه
قسماً : لو صور الخلد كما كنت الا صورة الخلد الهيه
قبسة ممن لاؤورد ، وكرى من عقيق ، ورمال سجديه
وخضم يضحك المسوح به تخذله السحب مرآة وضيء
انت للمجد والحسن مما فكك يسطع بالثوب الزهيه
زائد الله جمالاً وعلا يا عروس الشعر ، يا اسكندرية
وبمثل ذاك الشعر التفرق التائق ، وهذه الصياغة السلسة العذبة ، وهذه الخيالات اللطاف المحلقة ، يمضي الفضيان في مطولته متنقلاً بين عصور التاريخ المختلفة فيصور الاسكندرية تتقلب على ايدي الفنانين ، ثم لا يلبث ان تظهرهم واحداً اثر واحد ، وتعيش مجيدة

غالية ، ونشر من مثالي العلم فيها انوارا باهره تصل اشعتها الى مختلف بقاع الدنيا ، فتندحت كلها بظلمة المدينة البحرية الخالصة التي ترتفع على عروش للجمال والجلال في جنوبي البحر الابيض المتوسط ، يخلدها الشعر والسحر معا :

بابي الشبان في البحر اذا انظلتها قبلة الفجر البريه
اشرفت ودرية الخدم كما اشرفت وحنه حسانه حبيبه
وصحت ترشف صهباء الندى حلماته السحب للريح الرخييه
واخرا يغتم الشاعر مطولته بتشيد عنوانه (تحية وسلام) يقول فيه مخاطباً لفر الاسكندرية ، ومشيروا الى موسم الشعر الذي اخذ الشعر مكاناً له :

وصف امجادك تيمنا دونه مهرجات القرى الموسيمه
فايق في الدهر مدارا للفسا ومنارا للنهى واللؤذيمه
فصلى تالسد السخيم رضى وعلى طارفك الفخم تحيمه
زائد الله جمالاً وعلا يا عروس الشعر يا اسكندرية
لقد اجتمع لهذه المطولة كل افانين الاناسة والابداع ، من ففامة الموضوع ، وجمال الشعر ، واتانة الاخراج . فتحية لعادل الفضيان ، ونهنت حارة على وليده الجديد البهي .

عمان

عيسى الناعوري

علماء في وجه الطفيلان

نائب محمد رجب البيومي - 118 صفحة - مطابع الدار القومية بالقاهرة

عرفت الاستاذ محمد رجب البيومي منذ ما يقارب الخمسة عشر عاما حيث كان يواصل مقالته الراقية في مجلة (الرسالة) التي كنا نتلف الى اوراقها ونتابع ما ينشر في صفحاتها من ادب جيم وعلم مفيد ومنافذ هائلة ، وكان يشار الى الكتاب والادباء في بردها الادبي وكسل بدلي برأيه وزيد حجة بالبرهان الابدي ، والتلق السليم ، وكان الاستاذ البيومي له الفلاح الملى فيما يدور في بردها ولا سيما في اللغة ونحوها وصرفها . وبعد ان احتجبت (رسالة الزيات) اخذ الاستاذ البيومي ينشر مقالته الممتعة على صفحات (الادب) وكانما الاستاذ كان على علم بان فراء الرسالة هم فراء الادب انفسهم ، فراح يتخفنا بمقالته الممتعة والتي هي معين لا ينضب ويحر لا ينش . واليوم يتخفنا المؤلف الفاضل بكتابه هذا الذي عنوانه (علماء في وجه الطفيلان) فهو يصور لنا في مؤلفه هذا البطولة الحققة التي تتجلى فيها النفوس الكبيرة التي تلبى الضعوف ، وتربا بتفسها عن الطفيلان ، وان هؤلاء الذين ذكرهم المؤلف قدموا للناس لبنات خيرة لبنانية يجتمعهم بنفس اليمان الذي يفتلح كل فقاوم ، فهذا الامان قد عمل عمله في نفوسهم فهو ايمان برسالة الحق التي حملها هؤلاء العلماء الاعلام في غسق تلك الليالي المدهشة فاتارت الطريق وعبدت السبل وفي هذا الكتاب ايمان بين اديتنا اثلاثة من ذلك الشماخ .

تكلم المؤلف في كتابه عن شخصيات قاموا الملوك والامراء ولحدوا الموت وكانت اصواتهم تجلجل رنانة تندد بالطفيلان المشين رافعة لسواد الحق والعدل . وهم لا يبالون بالوقت وكل شيء يهون لديهم اذا سلمت عقيدتهم ، فتكلم المؤلف عن ابي حنيفة وعن الزم بن عبد السلام وسعيد بن السيب وسعيد بن جبير وعمر بن عبيد وغيرهم ... وفي الوقت الذي كان هؤلاء يقاترون الظلم ويجهلهم يعيش في فسك من العيش كان غيرهم من العلماء الذين هم وعاط السلاطين يعيشون في بخصوة من العيش ولا يهمهم من الدنيا سوى انفسهم فراخوا يحرقون البخور للامراء والسلاطين وخالفوا بذلك قانون الحق والعدل ودستور الاسلام اذ ان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول (العلماء ورثة الانبياء)

تاريخ الحضارات العالم

بإشراف مورييس كروزيه - المجلد الأول : الشرق واليونان القديمة - تأليف اندريه ايمار وجانين ابوايه - ترجمة فرسند دافى وفؤاد أبو ريحان - ٧٢٦ صفحة - مع لوحات وخرائط - حجم موسوعي مجلد - منشورات عويدات بيروت - مطابع دار الإشراف بيروت

الكلام على الحضارات هو الكلام على تاريخ البشرية . وقد كثرت المجلدات التي تناولت هذا التاريخ بالدرس والتحليل . ومن هذه المجلدات « تاريخ الحضارات العام » ، وهي موسوعة ضخمة من سبعة أجزاء ، وضعها ، بالفرنسية ، بعد سنتين شاقة من البحث والمراجعة والتنقيب والتدقيق ، اندريه ايمار وجانين ابوييه .

الجزء الأول منها يحمل اسم « الشرق واليونان القديمة » . ونقلتها الى العربية لجنة فؤادها فريد دافى ، فؤاد ريحان ، يوسف اسمعيل دافى ، وأحمد عويدات . والموسوعة هذه تركزت على اقسام ثلاثة :

القسم الأول احتوى على عدة فصول يبحث فيها اسباب ازدهار الحضارة المصرية القديمة ، ثم اسباب انحلالها ، وحضارة بلاد ما بين النهرين ، وحضارة اسيا الصغرى وايران .

في الكلام على الحضارة المصرية درس المؤلفان التنظيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمظاهر الدينية والفنية والعقلية التي كونت تلك الحضارة . وفي « التنظيم السياسية » مثلاً القيا شؤوناً على حياة الملك ووظائفه ، وعلى ادارة الحكم في مصر الفرعونية ، وانحلال اميرالويلتها ، ثم زوالها . وعندما وصلا الى حياتها الاقتصادية شرحا حوار الطبيعة فيها ، واظهرا كيفية استثمارها ، والعوامل التي راقت عزلة مصر الاقتصادية بسبب تآخر تجارتها الخارجية في الانتماء . وتطرقا الى المجتمع وازدهاره ، فتحدثنا عن الرق ، والاتجاه المضمون الى العبيات الاوربية ، ثم صوروا حياة الفلاح والعمال والجندى ... وفي « المظاهر الدينية » شرحوا كيف للواقع الخيالي في الفكرة الدينية ولامعمال الالهة روح ، فلاح ، وامون ، ولامعمال الالهة الكونيين والشمسيين ، والالهة الالهوية . كما فيه صور واضحة من تعميم الفعدية التسمسية ، وانتصار عقيدة اوزيرس وتنوع المراسم الجنائزية . ونصل الى حركات الفن ، فنقع على ابحاث تحليلية عن تطوير الفن في مصر . فالعالمات مزينة بمختلف الرسوم ، كما الدافى . والحدائق العامة والقصور الحكام خاصة بالتماثيل الرخامية .

اما بخصوص الحياة العقلية ، فالكتابة كانت محصورة ضمن اشخاص معينين ، كما ان العلوم الطبيعية والعلوم الصحيحة كانت وفقاً على اشخاص دون غيرهم . فضلاً عن ان علم السحر كان في اعلى ذوته . وكان اسباب البلاد والضيائها يستعينون به لحل الكثير من مشاكلهم القديمة .

وفي الكلام على « حضارة بلاد ما بين النهرين » شروحات وافية عن مفهوم الامبراطورية والجيش الاشوري ، والمركزية زمن الملك حمورابي ، وعن تنوع الفلغات من سومرية واكادية ، والترحيب بالكتابة المسماة لم محاربتها ، وازدهار علم الحقوق والفلك والرياضيات والملاوسين .

اما القسم الثاني من الكتاب فقد تناول « حضارات الانسان في الشرق الاقصى » . وفيه تناول المؤلفان واقع الحضارات الكريتية والميسينية ، وتحدثنا عن الفينيقيين ، فحللنا حياتهم السياسية ودورهم الاقتصادي الذي استقرت اهميته « حتى بعد ان دخلوا في فلك الامبراطورية الفونونية والامبراطورية المارونية من بعدها ، وحتى بعد ان اشتركت البلدان الغربية اشتراكاً مباشراً في الحضارة الطاعة » ، ولما الى ايجبتهم التي خدمت مختلف الحضارات القديمة . ثم تناولوا اوضاع الاراميين والمرايين ونظور النظريات الاخلاقية في ايامهم .

ولقد صدق المؤلف الفاضل حينما قال : (اني حين اسبق هذه المؤلفات في صفحات هذا الكتاب اشعر اني اكتب دروس اخلاق وتربية قبل ان اسجل حوادث الناس ومصور ، لان القدوة الصالحة والاسوة الحسنة جديرة ان تجعل من الناشئة رجالاً يسلاهم يتخذون من اسلافهم القادرين انماطاً تحذون وكوابحاً تهتدي) .

ومن طريف ما جاء في مؤلفه هذا عن ابن تيمية حيث قال : لقد حفل بالبرائع في مجاللة الباطل على شراسته ، ومناولة الطغيان على جبروته ، فذكر احتلال قازان للاراضي الشامية تمهيداً للوثوب على بلاد النيل فلفتت طوائف كثيرة وسلم فريق كبير من امراء الشام رفقاً منهم لما يشاءه هذا القائد التتري من فزع في نفوسهم ، وكان يتظاهر بالاسلام ويصحب معه المؤذن والقاضي والامام ثم يسلب سيفه على الرهاق المسألة فيقطعها في غير ايمان ويريق الدماء ، ولعمري ينطبق عليه قول الشاعر العربي :

فهو كاتلجزار فيينا يذكر الله ويذبح

وعندما دخل هذا القائد التتري دمشق كبر على ابن تيمية ان يرى هذا الظلمة المستبد يتجبر وهو يدعي الاسلام فلم نهذا لابن تيمية نفس وقرر ان يتحدى جبروته ومعه فريق من اعيان دمشق وبمير قازان الى الدماشة ويقدم الطعام الى الولد فياكلون ويمتحن ابن تيمية عن الطعام فيسأله السلطان :

« لماذا لا تأكل ايها الشيخ فريد ابن تيمية في عناد : كيف اكل طعامكم وقد طويتموه من افنام الناس وطبختموه بما قطعتم من اشجار الناس ولا ملك لاحد لكم فيه .

وتقع الواقعة ان للفق لرهبة ترعد النفوس ، وتكيل الايدي وقد غلبت هذه الرهبة نفس قازان بطاراسه . ولم يكتف الشيخ بهذا بل اخذ يشجع الناس على القتال ويقود الفقهاء في ميدان التدريب ، ثم تقصى الامام ويومد العدو من جديد فيهب ابن تيمية للقتال ويتقدم الصفوف وهو يشعل الحماس حتى تتجلى الحركة بالانصار ، ويصرخ عليه الملك الناصر بعض الهيات فيترفع عن الجها .

هذه بعض الصور في هذا الكتاب القيم المتع ولكن مما يؤخذ على المؤلف عدم ذكره تاريخ العوالت ولو ذكرها لتمكن ان يستفيد من الطال والاديب والمؤرخ دون حاجة ان يرجع الى مصدر آخر . ذكر المؤلف في صحيفة ٨٩ عن عبد الرحمن الجبرتي فقال : (لو سلك الجبرتي مسلك ادباء عصره في التزام الحصنات واصطناع التسيببات لفرق القارىء في كتابة واستمارة وجناس وطباق وما امكنه ان يقدم صورة امينة عن واقع عصره) والذي اراد ان هذا لا يكون مانعاً للكتاب والاديب عما يريد من تقديم صورة حقيقية عن حياة عصره .

ذكر المؤلف في صحيفة ١٠٤ ان جمال الدين الافطاني اصيب بالسرطان وودع الحياة . وهذا ما ذهب اليه الاستاذ عبد القادر المغربي في كتابه (جمال الدين الافطاني) صحيفة ١١٨ . اما الاستاذ قسدي قلعي في كتابه (جمال الدين الافطاني) فيقول : (وتقول النسا الاوائل في مرض السيد جمال الدين ووفاته قليل ان تقول زادة قد اساء علاج بهام السلطان ، وتحدث المستشرق لاون استروود الى الامر شكيب ارسلان بان السيد جمال دما بعد اجراء العملية الجراحية ، فرأى ان حالته بعدها قد ازدادت شدة ورجا منه ان يرسل اليه جراحاً فرنسياً حر الفكر طاهر الفلته ليخضعه ، فارسل اليه الدكتور (لاردي) فوجد ان العمل لم يجر على وجهه الصحيح ولم تقبها التطهيرات اللازمة وان المرض قد هلك بسبب ذلك) .

وان هذه الهات الينيات لا تحظ من قدر هذا السفر المتع الذي انتخبنا به مؤلفه الفاضل الاستاذ محمد رجب البيومي فله بالغ التحية ووافي الشكر على جهوده القيمة التي يستحق عليها التناء واستمال التقدير .

بفداد
عبد الخالق عبد الرحمن

ظهر حديثا



● من وحي الإسكندرية - شعر - عادل القصباني - رسم الفلاف والصور الداخلية يوسف فرنسيس - ٥٦ صفحة - حجم كبير - منشورات المعارف بالقاهرة - مطابع دار المعارف بالقاهرة .
● ابن خلدون - مهرجان ابن خلدون (مايو ١٩٦٢) - نظمته كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بمشاركة اتحاد كتاب المغرب العربي وجمعية قدماء مولاي إدريس بفس - ٧٨ صفحة باللغة العربية و٤٠ صفحة باللغة الفرنسية - منشورات دار الكتاب بالدار البيضاء - مطبعة (؟)

● أغاني الطفولة : احداث الاناشيد التربوية - تلحين ابراهيم الدرويش المصري - الطبعة الثانية منقحة ومزينة عليها - ٩٢ صفحة - مع التوطئة - منشورات مكتبة سعيد في حلب - مطبعة الاحسان بحلب .
● دماء بريئة - تأليف صلاح الدين الهرمزي - مصمم الفلاف الفنان كريم - ١٩٢ صفحة - مطابع دار الزمان ببغداد .
● فلسطين اليوم لا غدا - تأليف رياض طه - طبعة ثالثة - ١٧٦ صفحة - مطابع دار الكفاح ببيروت .

● فلسطين ومؤتمر اللغة العربية - تأليف صلاح الدين شكري - تقديم عبدالغفار حسونة الأمين العام للجامعة العربية - صمم الفلاف هشام شبيكلي ومحمد فروغ - ٢٦٠ صفحة - حجم كبير - منشورات مكتب الصحافة للشرق العربي بدمشق (لم يذكر اسم المطبعة) .

● محرقات الدبزل ومحرقات الفاز عالية الانفساط - تأليف إدراج ج. كيتس - ترجمة الدكتور حسن محمد السبيلجي - مراجعة وتقديم الدكتور علي شعيب - مصمم الفلاف طلعت المصري - ٥٢٨ صفحة - حجم كبير - منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة - مطبعة مصر (١)
● صخرة اسرك - تأليف ستيلاب. ايليوم - ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ - مراجعة وتقديم محمد كامل التماس - ٧٨ صفحة - منشورات مكتبة الغاليني (١) - مطبعة الاستقلال الكبرى (٢) .

● الطاووس في المدرسة الابتدائية - تأليف جيرالد س. كروج - ترجمة الدكتور محمد صابر سليم - مراجعة الدكتور يوسف صلاح الدين قطيب اشرف وتقديم محمد علي حافظ - ٧٤ صفحة - منشورات دار القلم بالقاهرة - مطابع دار القلم بالقاهرة .

● الواجبات الدراسية والاستذكار الموجه - تأليف روث سترانج - ترجمة الدكتور جابر عبد الحميد جابر - مراجعة الدكتور ابراهيم حافظ - اشرف وتقديم محمد علي حافظ - ٨٤ صفحة - منشورات دار القلم بالقاهرة - مطابع دار القلم بالقاهرة .

● Ibn Aqil et la Résurgence de l'Islam Traditionnaliste aux XIème Siècle (Vème siècle de l'Égypte) — par Georges Makdisi — 606 pages — g.d.f. — Editions Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● Ahsan At-Taqasim fi Marifat Al-Aqâlim (La Meilleure Répartition pour la Connaissance des Provinces) — par Al Muqaddasi — Traduction partielle, annotée par André Miquel — 432 pages — gd. f. — Editions Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● Les Danses Sacrées, Anthologie — 496 pages — Editions du Seuil, Paris — Imprimerie Mame à Tours, France.

● Anthologie de la Littérature Arabe Contemporaine : Le Roman et La Nouvelle — par Raoul et Laura Makarius — préface de Jacques Berque — 412 pages — Editions du Seuil, Paris — Imprimerie Mame à Tours, France.

● L'Orientalisme en Crise — par Anouar Abdel Malek — 34 pages — Extrait de Diogené 44, France.

● اجتماعات الآباء والمدرسين : دليل للمدرسي الناشئين الصفار - تأليف كاترين أ. ديفيلين - ترجمة الدكتور محمد الهادي غيلي - مراجعة وتقديم محمد السيد روحه - ٢٢٢ صفحة - منشورات دار النهضة المصرية بالقاهرة - دار ومطابع الشعب (١)

● اساس التربية البدنية - تأليف تشارلز أ. بيوكي - ترجمة الدكتور حسن معوض والدكتور كمال صالح عبيد - مراجعة فرحات مرزوق - تقديم محمد علي حافظ - مصمم الفلاف طلعت المصري - ٧٤٠ صفحة - حجم كبير - منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة - مؤسسة طباعة الاوان المتحدة (١)

● فاموس جون ديوي للتربية : مختارات من مؤلفاته - جميعها رالف ن. وين - ترجمة وتقديم الدكتور محمد علي السريان - تصدير عبد العزيز سلامة - مصمم الفلاف محمد اسماعيل صالح - ٢٢٠ صفحة - حجم كبير - منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة - مطبعة مصر بالقاهرة

● السحب والطر والتلج - تأليف برت موريس باركر - ترجمة محمد اللقاني - ٣٦ صفحة - مصور - منشورات دار المعارف بالقاهرة - مطابع دار المعارف بالقاهرة .

● الحان متخجرة - شعر - حسن عيبدالله الزكري - ١٢٨ صفحة - منشورات دار العلم للملايين ببيروت - مطابع دار العلم للملايين ببيروت .
● ١٢ قصة من حلب - تأليف نخبة من كتاب القصة في حلب - اعداد فاضل السباعي - ١٩٢ صفحة - منشورات عويدات ببيروت - مطابع دار الإرشاد للطباعة ببيروت .

وفي فصل « الحضارة اليونانية القديمة » أظهر العوامل التي دفعت باقتصاد البتينا ان يسير في ركب الازدهار ، وتحدثنا عن بواعت الاميزات السياسية التي طرأت على المجتمع اليوناني . وعندما وصلنا الى النهضة الادبية في بلاد الاغريق ، حللنا اثر الدين في الادب ، ثم تركنا كلامها على الشعر الملحمي ، ونشأة الشعر الغنائي ونضارنه ، هذا الشعر الذي سخره اصحابه للتعبير عن مشاعرهم الشخصية . اما في القسم الثالث المنون « آسيا الشرقية » فقد تكلم فيه اندريه ايمان وجانين اوبويه عن الحضارة الهندية قبل عهد الموريا ، والحضارة الصينية القديمة وخصائصها ووضعها في عهدهي التنسغ والتشاور ، ودرناات هذه الحضارة التي تنوعت فيها اسماؤها انتهت وكثرت .

وبعد ، ان هذا الجزء من موسوعة « تاريخ الحضارات العام » ان المؤلفات القيمة والخالدة على كر الایام الثقافية . وجدير بجليلنا ان يطالعها بانتباه ، ويؤهلها الصدرة في مكتبته . فتاريخ كل حضارة بشكل دعامه متينة في صرح كل بلد مهما كانت مساحته، ومهما تنوعت عطاياها ينسج .

ابراهيم عبده الخوري

محمد علي الحوماني

القيت في حفل بمناسبة وفاة الشاعر

يوم ولتھنا غيابك ، لذلنا بالقول العزاء ، وعددناك في بعض اسفارك .
لكن ارضا لم يعد لك فيها ، ورد عليها ما منع القرار .
يا شاعر المدى ،
قصرت عباراتي على قلمات تعبيرك ، فاسلم بها عنفوانا لا ينال، وصرخة حق لن تحول صدی .
تأملت من حصادك وانت تغرس الحق . واني لا غيب عليك الالم ، كان لم تكن معداً
لاضطهاد .

محمد علي الحوماني اديب بلا شغاف، صعبان تعرف اوله ، ثم اين من العين آخره ، كذا
الاعصار ظاهرة احجية وحكاية فضاء .
حياته ، زيارات الى حيث قامت البشرية بشيء . فربيب حاروف القديمة استاذ حضارة .
لقد نعم بنقل حيوي غريب ، شعت منه تعاليمه قبل ان يوح بها ، وتلك لعمري عدوی
الاصحاء .

في شعره جلبة الساحات ،
انه اديب جماعة .
شاعر قديم جديد . قديم بالدم الجاري في الشجرة الادمية ، قديم كما التراثيل الدينية،
جديد كما بهجات اللون . على انه ما كان يوماً اسير لون وحسب .
قديم جديد بتراجمه الوثني .
عبر الى العبارة قبل ان يفتن الحرف، وتلك شجرة المهين . ارايت السماء ناهضة
على عمقه ؟
لقد عرفنا شعر الحماسة شعراً داخياً ، لكنه عند الحوماني شعر جمري ، فيه حفر
عصب وتواقع دم .

اقبل على الادب كما يقبل المدعو الى ديانة . ولذا ترى شعره في طبيعة المتعاني وهوس
الجلان ، كانه مؤمن متحمس لبناء كنيسة ، او تشييد جامع .
هذا الوجود الملائن ظل سرا على . كم وددت ان اسأل من جاوره كيف كانت تفجر اللحظات من
هنا ، وكيف تنهض العظام ، وكيف يستمر التجوال . اسائل نفسي ما تراها كانت هوائيه ؟
اخي القلب من معين الذات ؟ ام في الفوص على التراث ؟ ام في الارتحال الموصول ؟ وقد عرفناه
عند الناس تفريق كرب ، بينما ارتحاله هموم .

تنقل ليخطب ، ويدافع ، ويبني ، واستقر لينشئ ، ويعلم ، ويصون .
من « الاصلاح » الى « نادي الحسين » الى « ندوة الاصفياء » الى المؤلفات العشرين ويزيد ،
الى العمل الوطني الاجابي ، تراه كثيراً ان تقول ان الحوماني يعنيها ؟
واليوم ، وقد القى دوائه ، اية صياحة تالقين السطور !
فيا ايها المجتمعون على ذكراه ، ان الرجل الذي زاد الحركة فينا ، وانقل اللحظات حولنا ،
ورفع الارض بنا قليلا ، بغيا به احسن كلاً منكم يفتش عن شيء .
جمالكم يا قوم ، حسب لبنان الطموح ان اخيلقه على ابواب الشمس .
هذا الجبل الحوماني ، سيظل يراه من بعيد كل زائر لهذه الارض الحبيبة .

انطون قازان

العربي ، والوقوف على مذاهب أصحابه ، وذلك ما قد يكلفهم جهدا كانوا ضنينين ببذله ، ولو هم قد بذلوه لافلوا كلما كثيرا يدور حول هذا القياس ، واختلاف ملحوظا في فهمه وتقديره .

وفريق آخر عرف ان النقد العربي اهتدى الى هذا المقياس في جملة المقاييس التي اهتدى اليها نقادنا ، ولكنه حاول ان يقض من شأن فهمهم له ، وان ينقد مقياسهم بأصول المقياس عند غيرهم ، وان يحكم على الادب العربي الذي كانت له ظروفه ودوافعه وطبيعة اهله التي انعكست عليه بأصول وقواعد سننها غيرهم لادب له ظروف ودوافع ومناهج أخرى ، ومن ثم لم يستقم على عياره ، ولم يستقم العيار في قياسه وفي تطبيقه ..

فن الشعر

كان فن الشعر في طبيعة الفنون التي عرفتها الانسانية ، لانه فن تعبري اداته اللغة التي يتميز بها الانسان ويعبر بها عن حاجاته ومقاصده ..

وقد يكون الدافع الى التعبير الشعري ما ذهب اليه فلاسفة اليونان كالفلاطون وارسطو وهو ما طبع عليه الانسان من الميل الفريزي الى الحكاية ، وقد يكون ذلك الدافع احساس الشاعر بالحاجة الى التعبير عن ذات نفسه ، او الرغبة في نقل مشاعره واحاسيسه التي يجدها الى غيره ، وتوصيل حالته النفسية التي كانت اثرها تجربة عاش فيها وانتقل بها الى الجمهور .

وقد تكون تلك الاسباب مجتمعة هي التي تدفع الشعراء الى التعبير ، فهم يظنون ويقلدون كسائر اصحاب الفنون ، وهم يجدون في هذا التعبير لذة وتنغيسا عن مشاعرهم الخفية واحاسيسهم المكبوتة ، ثم هم كذلك حريصون على نقل تجاربهم الى الآخرين ليشاركوهم فيما احسوا ووجدوا ويجدون في هذه المشاركة او في ذلك التأثير اذا نجحوا في تحقيقه متعة معينة احاسيسهم برضا الآخرين عن تقديرهم وحكمهم على الاشياء . وقد يكون بعض هذه البواعث ارجح من بعض بين شاعر وشاعر .

ولا يقتصر التعبير هنا ، او الاحساس بالحاجة الى التعبير على الشعراء وحدهم ولا على الادباء وحدهم ، بل انه طبيعة في كل حي ناطق ، وجد ما يدعو الى العبارة والبيان ولكن التعبير الشعري تعبيرا يمتاز عن صنف التعبير بخصائص ومميزات جعلته فنانا اعترفت به الانسانية ، وميزت اصحابه بما وجدت في كلامهم مما لم تجد في كلام غيرهم من طبقات الناس .

وكانت تلك الخصائص تتمثل فيما عبر عنه الشاعر من عواطف وافكار ومثل ، وفيما عبر به من صيغ ، وبما صور من صور ، ثم في الاشكال والقوالب التي تصب فيها تلك الصور والمضامين في الشعر كلمات مفردة تكون منها الجمل والتراكيب ، وهنالك معان تستفاد منها ، وهنالك



الدكتور بدوي طبانة

الوحدة في الفن الشعري

بقلم الدكتور بدوي طبانة

كان النقد الادبي عندنا قد احس في الربع الاول من هذا القرن ، الذي يعد بدء حركة البناء ودور النشأة والنضج ، بعد الهزات العنيفة التي تعرضت لها الامة العربية ، والعوامل التي اثرت في تكوين شخصيتها خلال القرن التاسع عشر وفي مطلع هذا القرن العشرين - احس بالحاجة الى توضيح المفاهيم وتصحيح الموازين في كل ناحية تمس حياة الانسان العربي او تمس فكره وفنه . ومن ثم اخذ يتجه الى مصادر الثقافة في المواطن التي سبقتنا الى الاخذ بأسباب النهضة لبحث عن مقاييس يتجدد بها النقد ، ويتجدد على اساسها الفن الادبي الذي اخذت الحياة تدب فيه اخريات القرن الماضي ، وكان مقياس « الوحدة » الذي نعالجه في هذا الحديث من جملة تلك المقاييس التي اخذ في استجلائها ومحاولة تطبيقها على الادب العربي .

وقد اختلف الباحثون من دعاة التجديد حول مقياس الوحدة ، فانقسموا فريقين :

فريق منهم كان يذهب الى انه مقياس جديد ، او مقياس غريب ، لم يعرفه الادب العربي ولم يأخذ به قالوه ، ولم يعرفه النقد العربي الذي اقتبس اصوله واخذ تعاليمه من واقع الادب الذي يتحدث عنه .

وكان ينقص هذا الفريق من الدعاة الاطلاع على النقد

قوالب وأشكال تصب فيها ، ولكل من هذه خصوصية تميزها في الفن الشعري .
والحقيقة أن هذه الخصائص مجتمعة هي سر التأثير في مستقبل العمل الأدبي الشعري ومبعث الإعجاب والطرب له .

فليست الكلمات وحدها سر هذا التأثير ومصدر ذلك الإعجاب ، مع الاعتراف بأن بعضها يفضل بعضا . وليس الشأن فيها ما قال « ستيفن مالارميه » أن الشعر لا يصنع من الأفكار بل من الكلمات لأن الأفكار يعبر عنها بالكلمات ، ولا تكون بدونها ، ولا يعني بهذا أن الشعر يصنع من الكلمات معبرة عن الأفكار لأن الأفكار يعبر عنها بالكلمات ولا تكون بدونها ، ولا يعني بهذا أن الشعر يصنع من الكلمات معبرة عن الأفكار بل يعني الكلمات نفسها كأحداث حسية أو أصوات ، ويفترض أن القصيدة تكون قصيدة بالكلمات فقط . وبما يشهده بناء الكلمات كأصوات أكثر مما يشهده بناء الكلمات كمعاني ، وأن ذلك التكييف للمعنى الذي نشعر به في أية قصيدة أصيلة إنما هو حسيلة لبناء الأصوات .
كما أن المعاني وحدها ليست مبعث الإعجاب ولا سر التأثير بالفن الشعري كما يرى كثير من النقاد الذين يذهبون إلى أن المعنى هو الأصل ، وأنه لا يفضل لفظ لفظا من حيث أصواته أو مخارج جروفه .

ولا يجدي التطرف في تقدير هذا العنصر أو ذلك ، فإن الشعر تجربة اتفعل بها الشاعر . وملك عليه حسه فنفذته إلى التعبير . وهذه التجربة كما يقول أحد كبار النقاد تطالب بعنابها اللفظي ، ولا بد للتجارب الحادة القوية من اهتمام وعناية ولا يقآن عنها حدة وقوة أو كمالا عظم الأهم تطالب قوة فنية أكبر لكي تعبر عنه . . والشعراء الكبار من أمثال هوميروس وشكسبير وملتن لم يستطيعوا أن ينقلوا إلى العناب عظم التجارب وأسماها إلا لانهم رزقوا مقدرة أكبر على التعبير اللفظي .

وقد تكلم عن عناصر الشعر قديما أحد نقادنا الكبار ، وهو قدامة بن جعفر الذي عرّف الشعر ذلك التعريف المأثور ، وهو أنه « لفظ موزون مقفى يدل على معنى » ثم ذكر صفات الجودة أو النعوت التي يجب أن تتوافر في كل عنصر من هذه العناصر الأربعة التي يقوم عليها فن الشعر ، وراى أن كل عنصر فيها قد تكتمل له شروط الجودة إذا نظر إليه وحده ، ولكنه يفقد تلك الجودة إذا نظر إليه مع عنصر آخر ، فاللفظ قد يكون في ذاته جيدا من ناحية أصواته وأجرائه جروفه في حين أنه قد يكون رديئا إذا نظر إليه من جهة معناه أو من جهة ملاعته للوزن أو ملاعته للقافية . وكان أن استخرج لهذه العناصر مفردة نعوتها وعبورها ، ونعوتها وعبورها لها مركبة أو مؤلفة مع غيرها . ومعنى ذلك أن هنالك جمالا في جزئيات العمل الشعري ولكن هذا الجمال يذهب إذا لم يراع التناسب والانتلاف في الكل أو في الهيكل العام ، لأن كلا من اللفظ والوزن

والمعنى والقافية لا قيمة لها إذا فقد البناء قوة التماسك التي يشد بها بعضه بعضا أو بعبارة أخرى ينبغي أن تكون كل لبنة من لبنات العمل الأدبي بالغة ما يستطيع من درجات الجودة ، وأن يكون بين اللبنة جميعها من التماسك والانتلاف ما يجعل العمل كله قويا جميلا .

أرسطو والوحدات الثلاث

كان أقدم كلام في الوحدة الشعرية هو كلام أرسطو في كتاب الشعر ، الذي عد فيه من أمجاد شاعره المفضل هوميروس التزامه هذه الوحدات في الإلياذة والأوديسه ، ورجع ذلك إلى فضل عبقريته ومعرفته بأسرار الفن . وينسب إلى أرسطو على أنه أول من تكلم في هذا الأساس من أسطر في الشعر ، وبقي كلامه أماما لكل حديث عن الوحدة عند كل متكلم فيها من النقاد الغربيين ، ومن أخذوا عنهم في العصور الوسطى وفي العصور الحديثة .
وقد نسب إلى أرسطو القول بالوحدات الثلاث التي اعطاها فريق من النقاد صفات الإلزام ووجوب الاتباع في تسميتها « قانون الوحدات الثلاث » . والمقصود بها في العمل الأدبي :

١ - وحدة الزمان :

ويعنون بها تحديد الوقت الذي تجرى فيه أحداث الرواية ، معتمدين على قول أرسطو في معرض الحديث عن العلاقة بين الملحمة والمأساة ، فالملحمة عنده تسير المأساة بوصفها مأساة بواسطة الوزن للأفاضل من الناس ، ولكنها تختلف عنها في كونها تستخدم وزنا واحدا ، وفي كونها حكاية ، وتختلف كذلك في الطول ، لأن المأساة تنحدر إلى حصر نفسها قدر المستطاع في زمان مقداره دورة واحدة للشمس ، أو لا تتجاوزة إلا قليلا ، بينما الملحمة لا تحد بزمان . ودورة الشمس تساوي أربعاً وعشرين ساعة .

٢ - وحدة المكان :

وهي أن يفرض وقوع العمل كله في مكان واحد لا يتعداه ، وفي المسرح يبقى المنظر على هذا الأساس واحدا لا يتغير في جميع فصول الرواية ، من بدء التمثيل إلى نهايته فإذا اقتضى الحال أن يقوم أحد أشخاص الرواية بعمل ما خارج المنظر قام به خارج المسرح ، ثم جاء فأخبر به الشاهدين في الوقت المناسب .

ولم اجد في كلام أرسطو ما يشير إلى هذه الوحدة بهذا المفهوم - وإن كان هذا الكلام يشير إلى طبيعة التمثيل المسرحي والصعوبات المادية في تغيير المناظر والعودة إلى بعضها في المشهد الواحد أو في الفصل الواحد .

٣ - وحدة العمل أو وحدة الموضوع :

ولعل هذه الوحدة هي التي وفي فيها أرسطو الكلام ، وذلك حين عرف المأساة بأنها محاكاة فعل تام له مسدى معلوم . والتام ما له بداية ووسط ونهاية .

تلك الحرب ، ولذلك مجده أرسطو وقال أنه سيد الشعراء غير مدافع .

وتد ظلت تعاليم أرسطو التي بسطها في الشعر والخطابة دستور النقد الأدبي وعمدة النقاد الغربيين إلى عهد قريب ، وكان تلك التعاليم انصارها الذين عرفوا بين اصحاب المذاهب الأدبية بالاتباعيين او الكلاسيكيين الذين يتشبعون للادب القديم ، ويرون في اشعار الاغريق القدماء المثل الجديرة بالاحتراف في فن الشعر . وزعيم الاتباعيين بوالو الذي ابد مذهبه الاتباعي بقوله « اذا قلنا بتقليد الادب القديم فليس ذلك حيا في تقليد بندار او هوميروس الشعارين اليونانيين ، بل موافقته الطبيعة والعقل ، لانه تقليد لطبيعة الانسان ووصف الحياة وصفا بعيدا عن المبالغة » . وعنده ان الاراء المبنية على التعقل هي التي توجد الصلة بين افراد الانسان وتمثل عواطفه واحساساته تمثيلا تاما . ويقدّر مطابقة الادب للحقائق يكون نصيبه من الجمال ، لان العقل لا يقبل غير الحقائق ، ولاجل ان يكون الكلام حقيقيا لا بد ان يكون موافقا للطبيعة ، وكل هذا ينطبق على الادب القديم لانه ادب انساني قبل كل شيء يمثل الانسان خواصه النفسية ، وهذا هو السبب في جماله وعلوته وقبوله في كل زمن وفي كل امّة .

وكلام أرسطو في هذا الموضوع كله - كما يبدو من النصوص التي اسلفناها - هو كلام عن الوحدة في شعر الملحم والشعر المرحي ، وهما اللونان اللذان عرض لدراستهما في كتاب الشعر .

اما الشعر الثنائي او الوجداني الذي يعبر فيه الشاعر عن انسانيته وقلبيته وانسانيته فانا لا نجد اثرا لدراسته في هذا الكتاب ، وقد رجّع بعض الباحثين فقد الجزء الذي عولج فيه هذا الشعر من الكتاب ، ورأى آخرون ان أرسطو افغل الكلام عنه متعمدا لانه لا تتضح فيه الفكرة الاساسية عندة للشعر وهي فكرة المحاكاة في جميع الفنون ، في حين ان فريقا ثالثا من الباحثين يرى ان سر هذا الاغفال ان الشعر الثنائي اكثر اتصالا بفن الموسيقى ، وان دراسته تجد مجالها الطبيعي في الدراسات الموسيقية .

وابا ما كان الامر فان ما اردناه من كلام أرسطو عن الوحدة يوضح ان ما يستحق منه الاعتبار في هذه الوحدات الثلاث هي وحدة العمل او وحدة الفكرة او الموضوع التي ابرزها أرسطو على النحو السابق من شعراء الوضوح ، وطبقها على اشعار هوميروس وغيره من شعراء اليونان فاقتصر فيه كلامه النظري بالتطبيق العملي على الشعر اليوناني .

اما كلامه عن وحدة الزمان فقد راينا انه لم يرد فيه على ان المسألة تنحى الى حصر نفسها قدر المستطاع في زمان مقداره دورة واحدة للشمس او لا تتجاوز الا قليلا وهي عبارة ليس فيها التحديد الجازم الذي يصلح ان يكون شرطا غير قابل للتجاوز .

والبيداهية هي ما لا يعقب بداته وبالضرورة شيئا آخر ، ولكن بعده شيئا آخر ، يوجد او يحدث بالطبيعة نفسها . والنهاية على العكس من هذا ، هي ما بداته وبالطبيعة يعقب شيئا آخر ، ضرورة او في معظم الاحيان ، ولكن ليس بعده شيء .

والوسط هو ما بداته يعقب شيئا آخر ، ويعقبه شيء آخر .

وقال أرسطو عن الملحمة ان الخرافة فيها ينبغي ان تكون درامية ، وتدور حول فعل واحد تام ، له بداية ووسط ونهاية . لان الفعل اذا كان واحدا تاما كالكل ، ان الحلي انتج اللذة الخاصة به . وهي في هذا تختلف عن القصص التاريخية التي لا يراي فيها فعل واحد ، بل في زمان واحد ، اي جميع الاحداث التي وقعت طوال ذلك الزمان لرجل واحد او لعدة رجال ، وهي حوادث لا يرتبط بعضها ببعض الا عرضا . فكما ان معركة « سلامين » البحرية والمعركة التي خاضها القرواچانيون في صقلية قد وقعتا في نفس الوقت دون ان تهدتا الى نفس الغرض ، كذلك في تعاقب الزمان غالبا ما يأتي حادث عقب حادث اخر دون ان تكون بينهما رابطة ، بيد ان معظم الشعراء يرتكبون هذه المظلة .

ولا تنشأ الوحدة في الخرافة كما يزعم البعض عن كون موضوعها شخصا واحدا لان حياة الشخص الواحد تنطوي على ما لا حصر له من الاحداث التي لا تكون وحدة ، ويستطيع الشخص الواحد ان ينجز افعالا لا تكون فعلا واحدا ، ولذلك فان الشعراء الذين القوا هزليات او تيسوييات وما شاكلها من قصائد مطحون يصفهم أرسطو بالفضائل لانهم حسبوا ان كون البطل شخصا واحدا يقتضي بالضرورة ان تكون الخرافة واحدة . اما هوميروس - وله في كل شيء المثل الاعلى عند أرسطو - فانه حينما الف اوديسيا لم يرو جميع حوادث اوديسوس كجرحه في نارساوس وظاهره بالجنون حينما احتشد الاغريق ، لان هذين الحادثين لا يرتبطان بحيث اذا وقع الواحد وقع الاخر بالضرورة او احتمالا . وانما الف اوديسيا وجعل مدار الفعل فيها حول شيء واحد ، وكذلك فعل في الالبازة . وقد وصفه أرسطو بانه اصاب شاكلة الصواب وارجع ذلك الى عقريته ومعرفته بأسرار الفن .

وكما في سائر فنون المحاكاة تنشأ وحدة المحاكاة من وحدة الموضوع ، كذلك في الخرافة لانها محاكاة فعل يجب ان يكون الفعل واحدا تاما ، وان تؤلف الاجزاء بحيث اذا نقل او بتر جزء الفطر فقد الكل وتزعزع ، لان ما يمكن ان يضاف او لا يضاف دون نتيجة ملموسة لا يكون جزءا من الكل . ولم يشأ هوميروس ان يعالج في شعره حرب طروادة كلها مع ان لها بداية ونهاية ، والا كانت الحكاية مسرفة في الطول عسيرة على الادراك بنظرة واحدة ، حتى لو امكن توخي القصد في القدر لجأت متشابكة معقدة نظرا لاختلاف الاحداث ولهذا لم يتناول غير جزء محدد من

الانجليزي ان يكون قد حافظ على وحدة الفكرة والموضوع في كل مسرحياته لكي يرضى بذلك الفيلسوف اليوناني ، لان نظرية الشعر لا تتطلب أكثر من هذا) .

اذن فهو قانون واحد من قوانين الوحدة ، او مقياس واحد من مقاييسها هو الذي اطمأن النقاد اليه ، ونادوا بوجوب رعايته وتطبيقه على الاعمال الادبية والحكم عليها بمقتضاه بالجودة اذا استوفته وتوافر فيها ، واعني بذلك المقياس المتفق عليه وحدة العمل او وحدة الفكر او وحدة الموضوع .

وتلك الوحدة لا يخص بها النقاد لونا من ألوان الشعر يطالبونها في اشعار الوجدان كما ينشدونها في اشعار الملاحم . وفي شعر التمثيل كما هي مطلوبة في الانجاس الادبية المنشورة . بل ان اشتراط توافر هذه الوحدة في الادب المنظوم فرع عن اشتراط توافرها في الادب المنظوم

وحدة البيت عند بعض النقاد

والمعروف ان نقاد العرب كانت الوحدة تشمل عندهم في البيت الواحد وهو ادنى جزئيات العمل الادبي الشعري وكانوا يرون ان كل بيت من ابيات القصيدة يجب ان يكون مستقلا بمعناه كما هو مستقل بتفعيلاته وموسيقاه ، وموسيقى الشعر الكلية انما تتمثل في تكرار الموسيقى الجزئية المثلة في كل بيت ، ومعنى ذلك انهم كانوا ينشدون النبعة الفنية في كل بيت على حدة ، ويرون تبعاً لذلك انه لا تتوافر تلك النبعة الا بتوافر الاستقلال في مبنى البيت ومعناه .

وكان لفكرة المثل السائر اثرها في هذا المقياس عند اصحابه ، واساس ذلك المثل السائر العبارة البالغة حدتها من الإيجاز ، حتى يكون من المستطاع ان يجري البيت ، وهو اقل وحدات العمل الشعري على اللسان ، ويكون صالحاً للاستشهاد فيما يعرض من الاحوال المماثلة .

ولا يكون كذلك الا اذا كان موجز العبارة ليسهل حفظه ، ويعلق معناه بالعقل والقلب ليسهل استحضاره .

فيل للفرزدق : ما صيرك السى القصائد القصار بعد الطول ؟ فقال : لاني رايتها في الصدور اوقع ، وفي المحافل اجول !

وقالت بنت الحطيئة لايها : ما بال قصارك أكثر من طواك ؟

فقال : لانها في الاذان اولج ، وبلافاواه اعلق ! وقيل للناطقة الذهبية : الا تطيل القصائد كما اطال صاحبك ابن حجر ؟

فقال : من اتحلل انتقر (الانتقار = الاختيار) وقيل لبعض المحدثين : ما لك لا تزيد على اربعة او اثنين فقال : هن بالقلب اوقع ، والى الحفظ اسرع ، وببالسن اعلق وللمعاني اجمع وضاجها ابلغ واوجز . وكان هذا الإيجاز ، او هذا الولوع بالمثل السائر ، هو

اما وحدة المكان فلم نقرا في كتاب الشعر كلاما صريحا في رأي ارسطو فيه او اشتراط هذه الوحدة في التأليف المسرحي وانما قاسها اديب ايطالي اسمه « ماجي » على وحدة الزمن . وعلى ذلك فان نسبة القول بقانون « الوحدات الثلاث » الى ارسطو قول لا يخلو من التجوؤ او التوسع في الفهم وان اخذ الناقدون من عصر النهضة وبعده وعلى الاخص فسي فرنسا وايطاليا يتنادون بان الوحدات الثلاث هي المبدأ الاساسي في التأليف المسرحي ، مستندين كما يقول « لاسل ابركرمي » الى اقوال ارسطو التي لم يحسنوا فهمها ويقول : ان المذهب الذي يقول بانها ضرورة لازمة لمذهب تعسف بحث ، وهو مثل تلك القواعد المضللة في النقد التي لم تبين على نظرية فلسفية صحيحة .

وهذه القاعدة بالذات - كما يرى لاسل ابركرمي - وليدة الادعاء وتكلف العلم ، وهو في هذه الحالة ادعاء كاذب فان التامل في الآسي اليونانية يرينا ان تلك السنة لم تكن دائما متبعة . وارسطو لو احسن فهمه لا يمكن ان يعد مؤيدا لهذا الرأي . واقل تأمل لعبارته المذكورة يرينا انه لم يقل شيئا عن وحدة الزمن حتى للمأساة اليونانية نفسها واما عن وحدة المكان فليس في كلامه كله ذكر لها .

وعلى هذا فان الوحدة القديمة كما راينا هي وحدة الملحمة او وحدة المأساة . وقانون الوحدات الثلاث الذي نسب الى ارسطو مشكوك في صحة نسبته اليه ، وهذا لا ينفي انه اصبح احد الاصول الادبية والعقدية التي دعت اليها المدرسة الانبائية « الكلاسيكية » في القرون السابع عشر وكان لها دعاء من الادباء الفرنسيين والانجليز والاطليان .

ولكن كثيرا من كبار الادباء ناروا على تلك القيود وراوها تحد من حرية الادب وقدرة الاديب على الابتكار ، لانها تحاول ان تصب الاعمال الادبية المتباينة في طبيعتها والمتاثرة بذاتية اصحابها في قالب واحد ، حتى يسخر كثير منهم من قانون الوحدات الثلاث ، ومنهم فيكتور هيجو الذي قال ان وضع العمل الادبي قسرا في اطار الاربع والعشرين ساعة شيء سخيف ، فان لكل عمل زمانه الخاص ومكانه الملائم له ، واتكرر ان تصب هذه الجرة من الزمن على كل الحوادث ، وان يطبق هذا المقياس على كل شيء وقال ان المرء ليضحك حين يرى صائم الاحدية يجرب حذاء واحدا على كل الاقدام . وشبه وحدة الزمان ووحدة المكان بشخصيتين متعارضتين على باب قصص تحولان دون دخول كل الحقائق والاشخاص وكل ما خلقه الله في الواقع .

والمعروف ان شكسبير ، وهو اكبر مؤلف مسرحي لم يعيا لقانون الوحدات ولم يعره ادنى اهتمام (وليس في تاريخ النقد الادبي كله رأي اسخف من القول بان ارسطو لم يكن يرضى عن طريقة شكسبير في امر الزمان والمكان ، وفي هذا الكلام ظلم لارسطو وشكسبير بحسب الشاعر

الذي املى على اولئك النقاد قياس الشعر بمقياس وحدة البيت .

ولكني اعتقد ان هذا التصور كان تصور النقاد ولم يكن غاية يهدف اليها الشعراء فان كثيرا من فحولهم المعدودين كانوا لا يتحرون ذلك ولا يقصدونه الا اذا جاء عفوا وليس معنى ذلك انهم كانوا يكرهون ان تجيء ابياتهم ظاهرة الاستقلال صالحة للاستدلال حرصا على الإيجاز الذي كانوا يؤثرونه وعلى المثل السائر الذي اغرموا به اذ كانت البلاغة عندهم الإيجاز والمحة الدالة ، وسر بلاغة الإيجاز التركيز - كما يرى الأستاذ « جننج » ان اول دافع لثارة الشعور - سواء كان ذلك في التثرام في الشعر ، وان كان في الشعر اكثر قليلا - هو الاسراع الى نقطة الفكرة بأقل ما يمكن من الكلام .

والوصول الى هذا يجب ان يوجه الهجوم المركزي الى الالفاظ الرمزية بفكرة جعلها اقصى ما يمكن من الخفة والسرعة وعدم الطول ، حتى تتاح بذلك فرصة لانساز الالفاظ ذوات المعاني الرئيسية وعلى هذا فان الباعث الاول له علاقة بالحركة وان قوته في الشعور تبعث قوة فسي تعاقب الكلمات ولقد هجا محمد بن عبد الملك الزيات احمد بن ابي دؤاد بتسعين بيتا فقال ابن ابي دؤاد بخاطبه :

احسن من تسعين بيتا سدى جمعك معناه في بيت وما احوج اليك الى مطرة تفصل عنه وفسر الزيت

وسئل احد الشعراء : لم تطيل الهجاء ؟ فقال : لم اجد المثل السائر الا بيتا واحدا ولم اجد الشعر السائر الا بيتا واحدا .

وسئل حماد الراوية : بأي شيء فضل التالعة ؟ فقال : ان تمثلت بيت من شعره اكتفيت به مثل قوله :

حلفت فلم اترك لنفسك ربة واييس وراء الله للمرء مذهب بل ان تمثلت بتصف بيت من شعره اكتفيت به ، وهو قوله : « وليس وراء الله للمرء مذهب » بل ان تمثلت ببرع بيت من شعره اكتفيت به وهو قوله « اي الرجال المذهب » .

لقد عد قدامة طول المعنى عن ان يحتمل العروض تماما في بيت واحد ، ثم قطعه بالقافية ، واتممه في البيت الثاني ، عينا من عيوب الشعر سماه « المتور » ، وكان الاجدر في نظري ان يسميه « الموصول » . . واقتصر الفصل الاول الى الفصل الثاني ، واحتياج البيت الاول الى الاخير ، عيب عند ابي هلال العسكري سماه « التضمين » . وقادهما في هذا الكلام بعض نقاد العرب حتى ذهب كثير من المعاصرين الى هذا القياس هو القياس العربي والا مقياس سواه .

ولكن هل تتبع اولئك النقاد الشعر العربي الجيد ، المشهود ببلاغته وفحولته فوجدوه كله او جله ابيانا مفردة فقدت الصلة بما قبلها في المعنى وفي المبنى ؟

لا ، بل ان كثيرا من الشعر الجيد افتقر فيه البيت الى البيت الذي يليه في مبناه وفي معناه ، حتى لكان البتتين المتعاقبين او الايات المتتالية بيت واحد لا تفصل اجزاءه الا القوافي التي ينتهي اليها كل بيت .

لقد كان من اروع ما قيل في الليل ورهبته وتناقله قول امرئ القيس الشيرازي :

وليل موج البحر ارحى سدوله علي بانسواع الهوم ليبتلي
فلت له لما نطسى بصلبه واربد اءاجزا وناء بكل كل
الا ايه الليل الطويل الا انجل بصبغ وما الصباح منك بامثل
فالبيت الثاني لا يفصل عن الاول ، لان ضمائره لن تجد مرجعا في سواه ، والبيت الثاني اخذ بزماء الثالث لانه مقول القول في الثاني .

وذلك الخيال الحركي الجميل في قول الشاعر في تشبيهه الرابع :

كان القلب ليلة قبل يغمدى بلباس العاصرية او يسراح
قطاة غرها شيرك فبات بجناحه وقد علق الجناح
لن يتم معنى الاول ولن يستوفي خبره الا بلفظ « قطاة »
في اول البيت الثاني ومثل هذا يقال في قول عروة بن الورد :

فلا كاليوم كان علي امري ومن لك بالتدبير في الامور
اذا ملكك عصمة ام وهب علي ما كان من حسك الصدور

وفي قول امرئ القيس :
أبعد الطارت الملك بن عمرو وبعد الخير حجر ذي القباب
ارجى من هروف البحر لبيا ولم تقل عن العسم الصلاب
وفي قول التالعة الذيبلي :

وهم وردوا الجدار على نهم وشهدنا لهم موطن صالحات
وفي قول كعب بن زهير :

ديار التبت بيت حبابي وصروحت وكنت اذا ما الجبل من خلة صرم
فرغت الي وجناه ارف كاتما بافرابها فار اذا جلدها استعجم

وفي قول ابراهيم بن هرمة :
اما ترنسي صاحبا متبذلا كالسيف يخلق جفنه فيصبع
لحرب لدة ليلة قد نلتها وحرابها بعلاها مسدوع
وفي قول متمم بن نويرة :

لهربي وما دهري بتأين مالك ولا جزءا مما اصاب فادجعا
لقد كمن المتهال تحت دلاله في غير ميطان العشيات ارفعا

ولو ذهبنا نستقصي الامثال لعزت امثال هذا على الاصحاء وعلى اهل التقضاء ، ولافتينا الميسور والتضمين ضريين من ضروب التوهم الذي لا يستند على اصل ولا حقيقة من الفن الشعري ، ولكنها فلسفة الإيجاز ، ووهم المثل السائر .

ولكن من الخطا التسليم بان نقاد العرب كانوا جميعا على هذا الرأي من وحدة البيت واستقلاله عما قبله وما بعده ، فان فيهم من لا يعيرون التواصل بين الايات وافتقار بعضها الى بعض ، بل يرون ذلك طبيعيا ، ويرون فيه دلالة على التماسك بين ابيات القصيدة كالتماسك بين الجمل والفقرات في العبارات المنثورة . .

من هؤلاء ضياء الدين بن الاثير الذي يذكر ان المعيب عند قوم هو « تضمين الاستاد » الذي يقع بين بيتين من الشعر او فصلين من الكلام المنشور ، على ان يكون الاول منهما مسندا الى الثاني ، فلا يقوم الاول ولا يتم معناه الا بالثاني ، وهذا هو المهدود من عيوب الشعر ، وهذا عند ابن الاثير غير معيب ، لانه اذا كان سبب عيبه ان يعلق البيت الاول على الثاني فليس ذلك بوجوب عيبا ، اذ لا فرق بين البيتين من الشعر في تعلق احدهما بالآخر وبين الفقرتين من الكلام المنشور في تعلق احدهما بالآخر لان الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دل على معنى ، والكلام المسجوع هو كل لفظ مقفى دل على معنى ، فالفرق بينهما يقع في الوزن لا غير .

وهنا يقسم ابن الاثير الشعر باكثر صور النشر شيئا به ، وهو النشر المسجوع ، ويرى ان الفقر المسجوعة التي يرتبط بعضها ببعض قد وردت في القرآن الكريم ، منها قوله عز وجل في سورة الصافات « فاقبل بعضهم على بعض يسألون . قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول انك لمن المصدقين . اذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمدنون » فهذه الفقر مرتبط بعضها ببعض ، فلا تفهم واحدة منها الا بالتي تليها . وهذا كالاتيات الشعرية في ارتباط بعضها ببعض . ولو كان ذلك عيبا لما ورد في كتاب الله عز وجل . وكذلك ورد قوله تعالى في سورة الصافات ايضا « فاتكم وما تعبدون . ما انتم علم بغائتين . الا من هو صال الجحيم » فالاتيان لا تفهم احدهما الا بالآخر . وهكذا ورد في قوله عز وجل في سورة الشعراء « افرايت ان منعاهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما افي عنهم ما كانوا يمتعون » فهذه ثلاث آيات لا تفهم الاولى ولا الثانية الا بالثالثة . الا ترى ان الاولى والثانية في معرض استفهام يقتصر الى جواب ؟ والجواب هو في الثالثة .

ثم يقول ان العرب استعملت ذلك كثيرا وورد في شعر نحول شعراتهم ، فمن ذلك قول الشاعر :

ومن البلوى التي ليدس لها في الناس كنه
ان من يصرف شيئا بغيري يفسد اكثر منه

الا ترى ان البيت الاول لم يغم بنفسه ، ولا تم معناه الا بالبيت الثاني ؟

فقد قاس ابن الاثير الشعر في حاجة البيت منه الى البيت الذي يليه بارتفاع مثل البلاغة وهو القرآن الكريم الذي ترتبط فواصله وآياته ، كما استشهد على رايه بكلام الشعراء الذين اجمع العارفون بالشعر ورجاله على انهم نجحوا واعلامه .

ولا بد ان يوضع الكلام هنا بالتحديد الظاهر الذي تتبين فيه الاكثار وتتميز المفهومات ، وذلك يقتضي الفصل بين نظرتين مختلفتين ، لان هذا الفصل هو الذي يحل في الفكرة العربية عن الوحدة .

فالنظرة الاولى : ان يكون في شعر الشاعر او فني قصيدته ما يصلح ان يكون مثلا سائرا يستطيع بقوة معناه ، ومثانة سبكه ، ومسه ناحية من نواحي الالارة بالاعجاب ان يجري على اللسان ، وان يتناقله الرواة ، كما قال دجيل :

ي . اذا قلت بيتا مات قتله ومن يقال له ، والبيت لم يمت

وهذا حسن جميل ، لان معناه ان فكرة الشاعر او عاطفته فكرة عامة وعاطفة انسانية يجدها الانسان في كل زمان ومكان . وهذه الفكرة متصلة بفكرة الخلود في الفن والحسن الجميل في هذا الاتجاه ان يجيء على سبيل القصد والاعتدال ، والا فان الاسراف في طلبه بعد من التكلف المقيت الذي يخرج بالفن الادبي عن حدود طبيعته . وقد كان صالح بن عبد القدوس ينحري ان يكون كل بيت من ابيانه مثلا وحكمة ، ولم يقبل ذلك منه ، ولذلك قالوا : ان شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري كما مفرقا في اشعار كثيرة لصارت تلك الاشعار ارفق مما هي عليه بطبقات ، ولصار شعرهما نواذر سائرة في الاناق . ولكن القصيدة - كما يقول الجاحظ - اذا كانت كلها امثالا لم تسر ، ولم تجر مجرى النواذر . ومتى لم يخرج السامع من شيء الى شيء لم يكن لذلك عنده موقع . وقد كان بعض العلماء يشبه الطائي في البدع بصالح بن عبد القدوس في الامثال ، ويقول لو ان صالحا نشر امثاله في شعره وجعل بينها فصولا من كلامه لسبق اهل زمانه ، وغلب على ميدانه . قال ابن المعتز : وهذا اعديل كلام سمعته في هذا المعنى .

فالنظرة الاخراى : وجوب الاتصال بين اجزاء القصيدة ، والتسلسل الطبيعي في ابياتها حتى تكون القصيدة في تماسها واتصال ابياتها كالبيت الواحد في قوة المعنى وجودة السبك . وهذه النظرة لم يتخل عنها واحد من النقاد ، حتى اولئك الذين غالوا بقيمة الايجاز والاشارة ، وقدسوا فكرة المثل السائر . فقد مدحوا « البيت واخاه » ودموا « البيت وابن عمه » في كلام صريح رواه ابن قتيبة في قوله : « وتبين التكلف في الشعر بان تثرى البيت فيه مقرونا بغير جاره ، ومضموما الى غير لفظه . ولذلك قال عمر بن لجا لبعض الشعراء : انا اشعر منك ! قال : وبم ذلك ؟ فقال : لاني اقول البيت واخاه ، ولانك تقول البيت وابن عمه .

وقال عبدالله بن سالم لرؤبة : مت يا ابا الجحاف اذا شئت ! فقال رؤبة : وكيف ذلك ؟ قال : رابت اليوم ابنتك عقيب يشد شعرا له اعجبني ، قال رؤبة : نعم ! ولكن ليس لشعره قران !.. يريد انه لا يقارن البيت بشبهه .

الوحدة في الشعر العربي

لقد عرف ان الشعر العربي يفقد الوحدة التي عرفتها بعض الاداب الاجنبية وحرص ادباؤها على توافرها فيما

الظافنين عنها ، اذ كان نازلة العمد في الحلول والظلمين على خلاف ما عليه نازلة الدر ، لانتقالهم عن ماء الى ماء ، وانتاجهم الكلا ، وتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم وصل بالتسبيب ، فشكا شدة الوجد والم الفراق ، وفرد الصباة والشوق ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف اليه الوجود ، وليستدعي به اصفاء الاسماع اليه ، لان التسبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل والف النساء ، فليس يكاد احد يخلو من ان يكون متعلقا منه بسبب ، وضاربا فيه بسهم حلال او حرام . فاذا علم انه قد استوثق من الاصفاء اليه والاستماع له عقب بايجاب الحقوق ، فرحل في شعره وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير وانفصا الراحة والبعير . فاذا علم انه قد اوجب على صاحبه حق الرجا ودمامة التامل ، وقرر عنده ما ناله من المكارة في المسير بدا في المديح ، فبعثه على المكافاة وهزه للسماح ، وفضله على الاشياء ، وصغر في قدره الجزيل .

وهذا كما يبدو تحليل لبعض القصائد العربية التي كانت غاية اصحابها التكسب بها . ومن الخطا الذهاب الى ان الشعر العربي كله او جله كان على هذا النحو شعر مديح واستجداء . بل ان هذا كان مقصورا على بعض فوي الحاججة من الشعراء . اما غيرهم فقد خلقوا في سماء هذا الفن فواعلجوا فيه انبل الاغراض ، وعبروا اصدق تعبير عن تجاربهم واحاسيسهم وعواطفهم .

وبن حين اذا رجعنا الى الشعر العربي لم نجد هذا الشعر كله على نحو ما يذهب اليه اولئك النقاد من التفكك وفقد الوحدة فان فيه شواهد كثيرة لا يدركها الحصر ، على توافر الوحدة في القصيدة العربية .

وهذا الاختلاف مرجعه على كل حال اختلاف البيئات وتباين القوى والادراك وتأثير الطبيعة والحياة المتقلبة لا يخفى في التأثير في الوان الفن والتفكير . وكذلك للحضارة وتقدم اسباب المعرفة اثر واضح في حصر الاذهان وتركيز الاهتمام في موضوع واحد يتعمق فيه الباحث والمفكر والفنان . ولا نستطيع ان ندعي ان الامة العربية التي انتجت هذا الشعر الفزير قد عاشت تلك الحياة المتحضرة في سائر اطوار وجودها . ولكن الذي لا شبهة فيه ان ادبها استطاع الى حد كبير ان يمثل حياتها ، وان يرسم صورة واضحة لعواطفها وتفكيرها وامانيها ، وان يعبر اصدق تعبير عن خصائص هذا الجنس في قلبه في الحياة وتنقله من درجة الى درجة ومن موطن الى موطن ، وكذلك كانت النظرة الى هذا الادب متمسة بهذا الطابع ، اي ان نقاد الادب العربي نظروا اليه في ضوء خصائص الجنس ، وطبيعة البيئة والحياة .

يؤلّفون من قصص ، وما ينظّمون من شعر . ووصفت القصيدة العربية بالتفكك اذ تعددت فيها المعاني ، وكثر الانتقال من غرض الى غرض ، وفقدت آياتها الترتيب المنطقي . وكثيرا ما نرى الشاعر قد ترك المعنى الذي كان اخذ فيه ، وانتقل الى معنى جديد استطرادا . ولذلك كان من الممكن مجاراة القائلين بان من اليسر على الناظر في هذا الشعر ان يقدم بيتا ويؤخر آخر عن موضعه ، ولا يجد ما يحول بينه وبين ما يريد شيء قد يضع المعنى او يفسده ان هو قدم بيتا او عددا من الابيات ، لتعلق الاذهان بالجزئيات وعدم التفكير في الربط بين الافكار والمعاني .

ولقد كان هذا الانتقال موافقا لطبيعتهم ، وملامسا لنظراتهم القريبة العاجلة التي لا تصبر على التأمل والفحص عن تلك المشاهد والخواطر غالبا .

ومن الطبيعي الا نشد في اكثر تلك القصائد الوحدة بالمعنى الذي ينشده الدارسون او النقاد في هذه الايام فيما يعرض عليهم من الاعمال الادبية ، لان لكل عصر طبيعته ، ولكل جماعة ذوقها العام الذي ينبع من تلك الطبيعة . ومن خصائص الذين يعيشون في عصور الحضارة التدقيق في البحث والاستقصاء ، ومحاولة عدم الخروج عن جادة الموضوع ، سواء اكان ذلك في مجال البحث العلمي ام كان في الاعمال الفنية . ثم ان تقدم العلوم وتنظيم مناهج البحث فيها من احدى ما صدقوا الى طالب هذه الوحدة وحصر الذهن في دائرة لا تتعداها ، حتى يكون الاتقان العلمي او الاتقان الفني .

ولم يكن الاقدمون يحسون بهذه الافكار التي يحس بها الذين عاشوا في عصور الحضارة لان تلك المعاني كانت بكرا ، فحاولوا ان يحصلوا منها ما يستطيعون من غير محاولة للاستقصاء والتدقيق ، ولذلك قيل ان معاني الشعر عند الاقدمين كانت غير نهائية ، وهي عند المحدثين نهائية . ومعنى ذلك ان كل معنى من المعاني التي عالجها القدماء يمكن ان يعالجه المتأخرون ، لان عرض الاقدمين كان اشبه بالاشارة والاجمال ، اما عرض المتأخرين فانه عرض يميل الى التفصيل والتدقيق والاستقصاء .

وايا ما كان الامر فان هذه الظاهرة - ظاهرة تعدد الموضوعات في العمل الشعري الواحد - ملحوظة في كثير من القصائد العربية لاسيما قصائد المتقدمين ، وقد علل لهذا التعدد بعض علماء الادب الذين حاولوا ان يصلوا كل غرض بسابقه ولاحقه ، ويذكر العوامل النفسية التي حدث بالشعراء الى ذلك التعدد والانتقال ، كما روى ابن قتيبة عن بعض اهل الادب بان مقصد القصيد انما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكي وشكا ، وخاطب الربيع ، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر اهله

الوحدة الكلية عند نقاد العرب

وأحسن الشعر ما ينظم القول فيه انتظاما ينسج به أوله مع آخره على ما ينسجه قائله فإن قدم بيتا على بيت دخله الخلل ، كما يدخل الرسائل والخطب إذا تقص تاليفها ، فإن الشعر إذا أسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بانفسها ، وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها ، والامثال السائرة الموسومة باختصارها لم يحسن نظمه ، بل يجب ان تكون القصيدة كلها كلمة واحدة في اشتباه اولها وآخرها نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة الفاظ ودقة معان وصواب تأليف ، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه الى غيره من المعاني خروجا لطيفا حتى تخرج القصيدة كأنها مغرقة افرافا لا تناقض في معانيها ولا وهن في مبانيها ، ولا تكلف في نسجها ، تقتضي كل كلمة ما بعدها ويكون ما بعدها متعلقا بها مفتقرا اليها ..

فإذا كان الشعر على هذا التليل سبق السامع الى قوافيه قبل ان ينتقل اليها رواية .

كيف نستطيع بعد كل هذا البيان ، وبعد كل هذا التفصيل ان نقول ان أو نقبل ان العرب لم يعرفوا شيئا اسمه الوحدة أو انهم لم يعرفوا الا وحدة البيت ؟

بل ماذا نقول في مثل هذا النقد التحليلي العملي في كتابة عبد القاهر الجرجاني عند عرضه لقول البحرني :
 بلونا فرباب من قد نرى
 هو الدهر ابيت له الحاديا
 ت عزمنا وشيك ورايا صليبا
 تنقل في خلقى سدد
 سماحا مرجى وباسا مهيبا
 فكالسيف ان جنته صارعا
 وكالبحر ان جنته مستهيبا

وقوله : ١٣٤ : رأيتها قد راقتك ، وكثرت عندك ، ووجدت لها اقتران في تقديرها فانتظر في السبب واستقص النظر ! ثم يقول ان المزية تعرض بسبب المعاني والاغراض التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض . وليس من فضل ومزية الا بحسب الموضوع وبحسب المعنى الذي تريد والمفروض الذي تؤم .

وانما سبيل هذه المعاني سبيل الاصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش ، كما انك ترى الرجل قد تهدى في الاصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج الى ضرب من التخيير والتدبير في انقش الاصباغ وفي مواقعها وفي مقاديرها وكيفية مزجها لها وترتيبها ايها الى ما لم يتهد اليه صاحبه فجاء نقشه من اجل ذلك اعجب وصورته اقرب .

ثم يقول ان من الكلام ما انت ترى المزية في نظمه الحسن اجزاء من الصيغ تتلاحق وينضم بعضها الى بعض ، حتى تكثر في العين .. فانت ذلك لا تكبر شان صاحبه ولا تقضي له بالخلق والاستاذية وسعة الدرر ، وشدة المنه ، حتى تستوفي القطعة ، وتأتي على عدة ابيات .

ولقد فطن نقاد العرب الى مقياس الوحدة الكلية في الشعر ، وفطن اليه قبلهم الشعراء في امثال ما مر من الكلام . فقد كانوا يرون من اهم مظاهر جودة الشعر ان تتابع ابيانه وان يكون كل بيت شديد الارتباط بما قبله وبما بعده كأنه اخوه .

وكانوا يرون من علامات التكلف ان يستكره الشاعر الابيات ، فيضع البيت حيثما انفق من غير رعاية لتساوق الابيات وارتباط بعضها ببعض .

واذا كان ارسطو قد قال بالوحدة العضوية في الشعر وعدها علامة على الشاعرية التي مجد بها هوميروس ، وشبه العمل الشعري في الملحمة والمرحبة بالكانن الحي ، فان من علماء العرب بالشعر والادب من قاس القصيدة بجسد الانسان كما فعل ارسطو .

وفي مقدمة اولئك الحاثي (ت ٢٨٨ هـ) الذي يقول : مثل القصيدة مثل الانسان في اتصال بعض اعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب غادر الجسم ذا عاهة تخون محاسنه ، وتعمى معاله .. قال : وقد وجدت حدائق المتقدمين والرساب الصنعة من المحدثين يحترسون في مثل هذا الحال احتراسا يجنبهم شوائب النقصان ، ويقف بهم على محجة الاحسان ، حتى يقع الاتصال ، ويؤمن الانفصال .

وتأتي القصيدة في تناسب صدورها واعجازها ، وانتظام نسبيها بعمديها ، كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة لا يتفصل منها جزء عن جزء . وهذا مذهب الخليل في المحدثون ، لتوقد خواطرم ، ولطف افكارهم ، واعتمادهم البدع واغانيه في اشعارهم ، وكأنه مذهب سهوا وزنه ، ونهجوا درسه .

وفي هذا الكلام اشارة الى ان الوحدة العضوية موجودة بطبيعتها في الرسائل وفي الخطب الموجزة بعكس الخطب الطوال التي يكثر فيها الاستطراد ، وتتعذر الاغراض .

اما الشعر فان الحرص على تحقيق الوحدة فيه يتفاوت في الشعراء على حسب مراتبهم من الاجادة والابنداع .

والكلام المفصل في هذا الموضوع ما كتبه ابن طباطبا العلوي في تأليف الشعر ، وذلك في قوله : « ينبغي للشاعر ان يتأمل تأليف شعره وتنسيق ابيانه ، ويقف على حسن تجاورها او قبحها ، فيلائم بينها لتنظم له معانيها ، ويتصل كلامه فيها . ولا يجعل بين ما قد ابتدا وصفه وبين تمامه فصلا من حصول ليس من جنسه ما هو فيه ، فينسى السامع المعنى الذي ينسوق القول اليه كما انه يحترز من ذلك في كل بيت ، فلا يبعد كلمة عن اختها ، ولا يحجز بينها وبين تمامها بخشو يشينها ، ويتفقد كل مصراع : هل يشاكل ما قبله ... »

تفسير الوداع

ذهبت اودع حب القواد ، وقد ازعمت في المساء الرحيل
وكان الخريف نذير البعاد ، وشمسي عراها شحوب الاصيل

حملت معي ذكريات السنين ، وحبا تضرع بين الضلوع
وبعض التبايع وفرط حنين ، ولهفة ماض تأبى الرجوع

واتا بدت في حواشي الشفق ، غيوم كقلب براه السقام
نهار يجود بفضل رمق ، ونفس تقاسي الاسى والظلام

الي ، الي ، ورود الربيع ، تعالي انضدك عقد بهاء
ولكن ، زمان الورود سريع ، واين ورود الربى في الشتاء ؟

الي ، الي ، ورود الخيال ، تعالي انضدك عقد بهاء
فتملك يهدي لذات الجمال ، وحسبك يبقى ويبلى السناء

وقالت : الا العمر حلم ظريف ، فخذ لك منه النصيب المشاع
ولا تبشس حين ياتي الخريف .. ، وقالت : وداعا ، وقلت : الوداع !

وهنا تعالي صفر البخار ، كروح اسير اذا يطلق
ويندا ، ويندا يسير القطار ، وقلبي حينما مضى يخفق

وداعا ، وداعا ، ربيع الحياة ، وداعا اول ، وهل من لقاء ؟
وان الفراق ليقطع مسافة ، ويغضب وجعها ، وبعض فناء

مير بصري

بغداد

حتى فنون الهمج المتأبدن ، فانك تراهم يلائمون بين
الوان الخرز واقداره في تنسيق عقودهم وحليهم ...
ومتى طلبت هذه الوحدة المعنوية في الشعر فلم تجدها
فاعلم انه الفاظ لا تنطوي على خاطر مطرد او شعور كامل
بالحياة . بل هو كأمشاج الجنين المحدث بعضها شبيهه
ببعض ، او كأجزاء الخلايا الحيوية الدنيئة لا يتميز لها
عضو ولا تنقسم فيها وظائف أجهزة . وكلما استغل الشيء
في مرتبة الخلق صعب التمييز بين اجزائه . »

والوحدة تتمثل في التلاحم الموسيقي ، والشعر كما
يقول الرمزيون موسيقى قبل كل شيء لما في الموسيقى
من الايحاء الذي هو اساس النثر والانفعال . فوحدة
البيت الموسيقية هي النظام الرتيب الموحد الذي تقوم
عليه القصيدة العربية ، وهي تتمثل في موسيقى الوزن

وكذلك الفن مزيج مضطرب من الاشياء .
والخلاصة ان الوحدة في الفن الشعري اذا كان معناها
التلازم والتلاحم بين اجزاء القصيدة حتى تكون كالبنايا
التماسك الذي يشد بعضه بعضا ، او كالكتبان الحي
باجزائه او اعضائه المتكاملة - فان هذا الفهم يجد له
اصلا راسخا في النقد الادبي عند العرب منذ كان في
مثل ما مر من النصوص والاشارات الماثورة عن اعلامه
الكبار ، ويستمر هذا الفهم الى ايامنا ، فنقرأ مثل قول
العقاد « ان القصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل
قسم منها مقام جهاز من اجهزته ولا يفنى عن غيره في
موضعه الا كما تفنى الاذن عن العين او القدم عن الكف ،
او القلب عن المعدة . او هي كاليات المقسم لكل حجرة منه
مكانها وفائدتها وهندستها . ولا قوام لفن بغير ذلك ،

وربما كان أقرب من هذا إلى الصواب ما ذكر الزهاوي من أن الشاعر أن يجمع في بعض قصيدته أكثر من مطلب بشرط أن يكون بين مطالبها صلة تربط حلقاتها المتعددة ، وهذا أقرب إلى طبيعة التفكير والإحساس ، فأنه لا يأتيان إلا في صورة أمواج هي فورات النفس أو توراتها ، يستقل كل منها عن الأخرى ، وتكون القصيدة حينئذ أشبه بياقة من مختلف الأزهار مع تناسق في ألوانها .

وأخيرا فإن كل الذي نريده في العمل الشعري أن يكون تعبيرا عن تجربة استغرق فيها صاحبها . وأن نلاحظ الفنية في هذا التعبير وأن تأخذ حظها من البسط والتفصيل . وهذه التجربة تكون وحدة لا شك . ولكن الكلية في هذه الوحدة مكونة من أجزاء ، ولينا مع الشاعر في تجربته ، ولكنه يحاول دائما أن يحملنا على أن نكون معه ، نحن لا ندرى أي جزء من أجزاء تلك التجربة كان أسبق من غيره إلى حس الشاعر وقلبه ، وما من عمل من الأعمال الفنية أو غيرها إلا كان من المستطاع تغيير نسقه وإعادة ترتيبه على أساس العقل والمنطق . ولكن هل من حقنا أن نحاسب الشاعر على هذا الأساس ونحن لا ندرى ما تقدم من تجربته وما تأخر ؟

أن من أهم غايات الفن الشعري الإمتاع والتأثير . وليس لقليل أن يقول أن على مستقبل هذا الفن أن يصير على قراءته أو سماعه حتى يفرغ صاحبه منه ، وحينئذ يشعر أو لا يشعر بالذلة والإمتاع من الكل الذي استقبله ، بل أنه يشهد الذلة واللغة الفنية في الكل كما يشدها في كل جزء ولا سيما في الشعر الفناني في الأقل .

وربما كانت كلمة التماسك تفضل كلمة « الوحدة » في التعبير عن الترابط المنشود في عالم المنظوم وفي عالم المنشور على السواء ، وليمكن تطبيقها على كل لون من ألوان الأدب في كل لغة من اللغات ، ولتساير كلمة « التماسك » معناها اللغوي ودلالاتها الفنية ما أراد النقاد بمعناها عند العرب ، ولا تمنع عما أراده غيرهم ، ولا تستعصي على شعر غنائي أو ملحني أو مسرحي . ولن يصعب هذا على الذين يفضلون كلمة « الوحدة » معنى مما يريدون ، لأنهم يستطيعون أن يقولوا : تماسك الفكرة ، و تماسك الموضوع ، و تماسك الصياغة ، و تماسك الأوزان ..

واعتقد أنها محاولة للتقريب بين مختلف الفاهيم والمصطلحات ، حتى لا يستعصي اصطلاح بمفهومه عند قوم على مفهوم قريب منه عند آخرين . ولعل مفهوم « التفكك » الذي وصف به الأستاذ العقاد ما تقدمه من شعر في كتاب « الديوان » يقابل مفهوم ما اقترحه من الترابط أو التماسك ، أكثر مما يقابل مفهوم الوحدة ، وأدل على المراد من كل كلمة سواها .

بدوي طباطبة

القاهرة

وفي موسيقى القافية الموحدة في القصيدة كلها أو في القافية التي تتغير بعد عدد معلوم من الأبيات أو الاسطر . وقد رأينا أن وحدة الموضوع أو وحدة الفكرة في العمل الشعري الواحد كان أهم ما عالج أرسطو . أما وحدة الزمان ووحدة المكان فالكلام فيها قصيده الكلاسيكيون الفرنسيون من عبارات سريعة غامضة ليس فيها ما يدل على أن هاتين الوحدتين أصل يحتمه أرسطو ويفرض ضرورة التزامه . وعلى الرغم من أن بعض كبار الكتاب من أمثال كورني وراسين حاولوا تطبيق قانون الوحدات الثلاث رأينا ثورة الرومانتيكيين على تلك القيود أو على قانون الوحدات .

ولذلك نقول أن طلب هذه الوحدة الموضوعية أو المعنوية في العمل الشعري هو الذي حافظ عليه النقاد ، أو أجمعوا رأيهم عليه ، وقال أكثرهم بضرورة تحقق هذه الوحدة في الملحم والمسرحة .

أما الشعر الفناني فإن الوحدة فيه تتحقق في تنسيق العبارات والأشكال وأنثاف المعاني والصور واتصال الأبيات والعواطف حتى تكون القصيدة عملا فنيا متكامل لا تجد فيه ثغرات تفقد الصلة بين أجزائه ما دام الشاعر يعتبر عن تجربة تتابع انفعالاتها وتصل في نفسه . والتأخر في الشعر العربي فيما سلف من تاريخه يجد هذا الشعر الفناني أظهر صور الشعر ويجد في كثير منه تنقلا بين الأغراض والمعاني .

وإذا كانت طبيعة أصحابه تقتضي هذا الانتقال فقد ظهر اختناهم في الربط والوصل وكان من أثره الفن الذي سموه « حسن التخلص » وعده من « أمارات الحكمة على الإبداع » .

على أن بعض النقاد المحدثين الذين يظهر في كلامهم أثر التطرف في التحرر من كل قيد أو اعتبار ومنهم « جليبرت موري » لا يرون خطرا في هذا الانتقال ، وينادون بأن الوحدة الموضوعية لا ضرورة لها وإنما نوع من العبودية للتقاليد الكلاسيكية وأن الفن كالحياء لا نظام ولا انسجام فيه ، ما دامت الحياة الحقيقية مزيجا مضطربا من الأشياء

المراجع

- (١) الشعر والتجربة لإرشيدال مكليش - ترجمة السيعة سلمى الخضراء الجيوسي - ص ٢٤ (٢) لاسل أبر كومي - قواعد النقد الأدبي - ص ٥٠ (٣) فن الشعر لأرسطو - ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي - ص ١٧ (٤) مقدمة لدراسة بلغة العرب - للدكتور أحمد صيفي ص ١٢٠ (٥) p. 141. the working principles of rhetoric. Gennang. (٦) البيان والتبيين - ٢٠٦/١ (٧) كتاب البديع لابن المعتز - ص ١٦ (٨) الشعر والشعراء لابن قتيبة - ٣٦/١ (٩) الشعر والشعراء ٢١/١ (١٠) زهر الأدب - ١٦/٣ (١١) عبار الشعر - ص ١٢٤ و ١٢٧ (١٢) دلائل الإعجاز - ص ٦٧ - ٧٠ (١٣) الديوان - ٤٦/٢ (١٤) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث - للسحرني - ص ٩٠ (١٥) الزهاوي ودوياته المنقود - ليهلال ناجي - ص ١٩٦ .

بركان جديد

نظمت في لندن سنة ١٩٦٢

ايما كسرت قناة قلبي
ومت لتتركيني شلو عمري
بكت مرا ضلوعي قبل عيني
اقبل ردك الفضايف عمري
بأمسي مر عصفور ينساجي
تعال يا حبيبة عرق قلبي
مسومة عيون فوق بابي
بلا معنى تطل ولا ارتياب
تظل علامة شوماء تقطع
صغارا كن في امسي وامنع

* * *

وبنفلت البياض على السواد
هناك بلا ضمير نار ابيض
وعمر الارض الف غب الف
ومن وادي الزمان لنا قباب
وفي تاريخنا سود كعنتر :
فيا ابجر ،
مددت لك المواضي
فلم تقهر ،

انا عبد القضاء
سمعت ابي يحبرني بنادي :
« كريا عنتر
كريا عنتر »

كررت لامسح العار الديننا
واخلع عن جبين الناس عارا
اسطر حرفنا نورا ونارا :
فيا ابجر ،

لانت نياط قلبي
سياط الحق انت ، مسحت عارا
فخرت على الدنيا غارا وغارا
وساويت البرايا بالبرايا :
نواة كنت يا ابجر ، وظلت :
روانا حية فوق الزمان
وفوق الساريات مع الاماني

ثريا ملحق

حديقة بيننا ذهب عنيق
واشجار كموجات تفيق
باسرار واسرار تضيق
وامي بيتها هدف عميق
يدأها ، قلبها عبق رقيق
تري ماذا يقول الخيط ، ماذا ؟
بوجه مصه الالم الشديد ؟

* * *

ولدت كهوف آبائي عديدا
وارضعت الثرى لبنا جديدا
كذا كان الصدى ندفا قديدا
يحجر مني القلب العنيدا .

* * *

وظفت فتحت في وادي الصبايا
ترافقني وجوه كالبقايا
كصفر طولها واقل بشرا !
فترعيني حديقة كثيرا
اشد يدي اخي شدا عنيقا
فتنهال التلال دما غريقا
وبركان يطاولني مربا
يفجر فيزف فوها جديدا
منى ولدني الصدى ربا عنيدا
فيخرج من يدي جنا كديدا .

* * *

حكايات

واسرار

وارض

و « بيرجنت » كمجنون يخور
كتور ينطح الغابات حقا
وخبطا ، بينه الغابات وهما
كان رؤاه ام بعد ام
يسير الى الرؤى هولا فهولا
يفتل فقره المشؤوم طرا
له قلب « كدن كيشنت » يهيم
وام تحضن النور العليل :

* * *

ركب القطار من محطة « كوبري
البيون » في طريقه الى بيته في
« عزبة النخل » .. منذ سنوات
بعيدة وهو يقف في تلك الضاحية
المتعزلة الهادئة بعيدا عن صخب
المدينة وضجتها .. هناك يعيش في
هدوء في جو شاعري جميل فالحقول
ممتدة على مدى البصر ، والبيوت
متناثرة تحت اشجار النخيل ،
والشوارع هادئة واسعة .. وفي
الليل تبدو الضاحية ساكنة يبعث
هدوؤها في النفس راحة واطمئنانا .
كان يقضي الصباح في عمله
كمدرس باحدى المدارس الثانوية ثم
يقفل عائدا الى بيته فلا يكاد يغادره
الا في النادر القليل ..

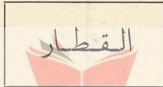
وكان قد دخل مقصورة القطار
وجلس وفي القعد المواجه له وقع
بصره على فتاة حسنة استرعت
انتباهه ، وجذبت نظراته بجمالها
الفاتن فراح يتأملها حائرا مفتونا .
ودعش كثيرا للشهوة العميقة المفاجئة
التي اجتاحته لمراى هذه الفتاة .
فقد كان كرجل في عامة الخمسين
ولم يتزوج قد أثر حياة العزلة في
تلك الضاحية الهادئة ..

كانت الفتاة في حوالى العشرين
من العمر تمثل احدث مظاهر الاناقة
في غير كلفة او تصنع . وكانت عينها
صافيتين صريحتين تخفيان في
اعماقهما غدوية وحانا . كانت فاتنة
جذابة اخاذة . ولم يستطع ان يحول
عن فتنتها عينيه فظل يختلس اليها
النظر ..

وشعر وهو يملأ عينيه من حسنها
بحوية الشباب تدب في اعماقه ،
وتلاحقت نبضات قلبه ، لكن صورة
الشيب الذي طغى على شعره ما لبثت
ان مرت بخاطره ، فشعر بموجات من
الحزن تجتاح صدره .. وبدت له
الفتاة كأنها طيف مجسم لحلم هجرة
منذ زمن بعيد ، فقد طالما حلم بالمرأة
التي يمكن ان تحتل في قلبه ذلك
المكان الشافر الذي تركته « صفاء »
.. تلك التي احبها في صدر شبابه

وتركت في صدره جرحا عميقا كان
هو السبب في عزوفه عن الزواج
وابشاره حياة العزلة ..

ورؤيته لهذه الفتاة جعلته يحس
ببعض من النور يتسلل الى المعزل
الظلم الذي يعيش فيه . حق ان عمره
ضعف عمرها واكثر لكنه كان يعلم ان
في الامكان ان تستيقظ روح الشباب
في اعماقه .. ويمكنه ان يعيش اذن
اياما سعيدة .. وبدت له الفتاة كأنها
امل شبابه الراحل . الحلم الذي
التقطه من اعماق حفرة قديمة ليجد
شهايا رطبا متألقا كأنه حلم جديد ..
لا .. لن يتركها تذهب من حياته
.. سيتبعها ليعرف بيتها .. وسيلق
بتبعها بقية العمر .. فقد كان يريد



يقلم سعد حامد

http://www.alukah.net

ان يحتفظ بذلك الحلم اياما اخري
وان يعيش فيه آملا الا يعود من جديد
الى مكانه من الحفرة ..
لقد التأم جرحه القديم .. وتجم
حلمه في هذه الفتاة التي ايقظت في
اعماقه حلما طال في طياتها هجوعه ..
كان يحلم في الفتاة بعينين حالمتين
وهو نهب لمعاطف وذكريات ..

في الماضي البعيد احب « صفاء »
.. احبها بكل ما الحب من عمق
ولهفة ..

كانت صفاء ابنة موظف كبير من
سكان ضاحية (القبة) التي يقيم
فيها مع أسرته . وكان يزورها دائما



تسير مع خادمها الاسمر الصغير في
رشاقة ودلال .. وكانا يتبادلان
النظرات اذا ما التقيا وجها لوجه ..

وكان الشبان من الجنسين يخرجون
عند الغروب فيسرون جماعات او
فرادى في « شارع المطرية » المحاذي
للحقول ، وكان السير في الهواء
الطالق هو نزهتهم المفضلة .. وكان
يخرج عصر كل يوم في العطلة
الصيفية ومعه رواية ، فيتمشى قليلا
ثم يجلس على حجر في ناحية الشارع
والحقول فيقرأ بعض صفحات منها
ويترب مقدم صفاء مع خادمها الاسمر
الصغير ..

وتجىء صفاء .. وتلتقي عيناهما
.. ثم تستدير وتقبل عائدة ..

وهكذا احبها .. وقامها من
بعيد .. وذات يوم جاءت بمفردها .
ولما استدارت لتعود غادر مكانه والحق
بها . كان الطريق خاليا الا منهما
فاقتربا منها وحياها فتضرع وجهها
وردت عليه في صوت عذب ، وسار
الى جانبها ، فالتفتت اليه وقالت في
خجل :

— ارجو ان تعود الى مكانك فاني
اخشى ان يرانا أحد ..
فقال لها :

— انظري حوايك فلن تري احدا
عدا اولئك الرجال القلائل الذين
يعملون هناك في الحقول وهم لا
يعرفوننا ، ولكن الخطر ان نسير في
هذا الاتجاه فقد نلتقي ببعض القادمين
من سكان الحي ..

ثم شملها بنظرة واراد :

— الأفضل ان نقفل عائدين وبذلك
تتحاشى مقابلة من يعرفنا ..

فتوقفت عن السير .. وبدت في
عينها نظرة حيرة وتردد وقالت :
— لكن ما السبب الذي يدعونا
للسير معا ؟

فقال وهو ينظر في عينيها بوجود
وشغف :

— كسالى عن السبب الذي يدعونا
لتسير معا ؟ انجهلن حقا السبب يا

انسني العزيرة ام تتجاهلين ؟ انسي
انتظر هذه اللحظة منذ شهر . الم
تقرئي في عيني لهفتي على التعرف
اليك ؟

فضحكت وقالت في عدوبة ورقة :
- انك تجيد الحديث . لا شك
ان الروايات التي تقرأها تمنحك
قدرة على انتقاء الكلمات ..

فقال باسم :

- لاحظت انني اقرا روايات ولكنك
لم تلاحظي ما في عيني من سر عميق
طالما تمنيت ان ابوح لك به ..

فضحكت وقالت :

- انت ذكي جدا ..

فامسك بيدها في ود اللفة وقال :
- بربك لا تسخري مني .. هيا
نتمثلي قليلا في هذا الجو الجميل ..
فاستكانت اليه .. واستدارا
عائدين وسارا جنباً الى جنب في
الطريق الهادئ الظليل ..

وشعر بالمعادة تغمر صدره ..
وبدها في يده ، ولفه عطرها فشم
بدوار خفيف .. وبدت الدنيا امام
عينيه مغلقة بالضباب . لم يكن
يحسن شيئا الا يدها الباردة في يده
الدافئة ، ويرى وجهها المستدير
تحيطه هالة من نور جمالها ..

ونظر اليها في حب وقال :

- اسمعي يا صفاء . لن اقول لك
يا انسة . ساناديك باسمك مجردا
فليست معرفتي بك وليدة اليوم .
انني اشعر انني اعرفك منذ زمن
بعيد جدا واتنا التقينا من قبل في
مكان ما ..

فقطعت الى وجهه في حنان
وقالت :

- كذلك انا ايضا ساناديك باسمك
مجردا . لكنني لن اتحدث اليك الان
بل سأكتفي بالانصات اليك . ان في
حديثك حرارة وانفعالا حتى ليبدو
لي ان ما تقوله هو الصدق ..

وضحكت وهي ترمقه بنظرة فقال
لها :

- اتمسكين في قولي .. ؟

وتوقف عن السير وواجهها .
وامسك بكتا يديها بين يديه . ونظر
اليها في شغف وقال :

- اقسم لك انه لم تمر بي ليلة
منذ شهر الا وفكرت فيك . واقضيت
عيني على صورتك . وانني انتظرت
هذه اللحظة في شوق لا يوصف .
الا تصدقيني بعد هذا ؟

فرفعت اليه وجهها ، وسددت اليه
نظرة كانت افصح من كل حديث .
فنظر اليها بشكر وامتنان ..

وكانت الشمس قد بدأت تتوارى
في الافق ، فقفلا عائدين ثم افترقا
على موعد باللقاء ..

وكانا يلتقيان مرتين في الاسبوع
.. وكان مكان لقائهما عند الحجر على
ناصية شارع المطربة والحقول ..
وكانا يسيران احبانا في الشارع
الخالي يتحدثان ويجلسان احبانا على
العشب تحت شجرة عتيقة على
اطراف الحقول الممتدة ..

وفي الليالي القمرية بظلام في
مكائهما تحت الشجرة حتى تغرب
الشمس ويطلع القمر .. ويمرهم
بأشعة القمر ، فينسان الدنيا
ومن فيها ..

وعندما يحين وقت العودة يغادران
مكائهما ويسيران شبه ذاهلين ثم
يقفان امام بيت صغير تظله الاشجار
.. وكانت صفاء تبدو غارقة في
احلام الحب .. وكانت تقول له وهي
تحلم في البيت الصغير الذي يبدو
اشبه بالعيش :

- سنسكن معا في بيت صغير
كهذا . وفي الربيع نجلس معا في
الحديقة نتحدث ونضحك ولن امل
يوما حديثك . وفي الصيف تسهر
معا الى وقت متأخر من الليل ..
فيقاطعا قائلما وعروقه تنبض
بالسعادة :

- وسوف نحمل الخادم اليينا
العشاء في الحديقة فنتعشى معا ..
فنتقول له في احتياج :

- لا تقاطعني . ثق انني سأشارك

كل رغباتك فلا تقطع سلسلة افكاري
من فضلك ..

- معذرة اكلمي حديثك .. ثم
ماذا ؟ ..

فتقول وعيناها شاردتان في عالم
بعيد :

- وعندما يقبل الخريف سيؤثر
في نفسي منظر الحديقة المهجورة
والاشجار الجافة .. وانصور ان
ايام الهناء قد ولت فيتملكني الحزن
لكنك ستمحو هذا الحزن بحديثك
وحناك ..

وفي الشتاء سنجمعا معا حجرة
دفئة ، ونجلس على مقعد وثير نقرا
في كتاب بينما اجلس انا على حشية
عند قدميك اصنع لك صدارا من الصوف
واختلس النظر الى وجهك الوديع
المطمئن او اطلب اليك ان تقرأ لي
قصة اعجبك ..

وكانا يفقان من احلامهما عندما
يقتربان من الحي ، فيفترقان على
موعد ..

ثم كان يوم لن ينساه قط ..
جاءت لتقاء مضطربة حزينة فلما
سألتها عن جلية الامر قالت له في
صوت حزين :

- تقدم طبيب كبير وخطبني من
ابي . وقد وافق ابي مبديا ..
فشعر بحزن ثقيل يضغط على
صدره وقال :

- وماذا قلت انت ؟

قالت :

- رفضت طبعاً . وقلت انني لا
اريد الزواج الان فثار ابي واصر على
اتمام الزواج ..

فقال لها في ياس :

- سوف انتهي من دراستي بعد
عام واتزوجك على الفور ..
فقلت :

- انا في حيرة شديدة ولا ادري
ماذا افعل . وابي رجل صلب لا يلين
ولم يجد رفضها .. وقبل ليلة
الزواج بيوم التقيا ، وجلسا معا تحت
الشجرة العتيقة يتبادلان النظرات
وقد خيم عليهما الصمت والتماسة

ثم عادا ويدها في يده . ووقفا برهة
امام البيت الصغير الذي يبدو اشبه
بالعش ..
ونظرت اليه ولعلت عينها بالدمع
وقالت :

— يا له من حلم لم يتحقق ..

وعندما اقتربا من الحي وقفا
متشاكبي الابدى ، وتثبتت به كأنها
لا تريد ان تتركه .. ولكنه تخلص
منها برفق ، وتصافحا لآخر مرة ..
وفي ليلة زواجها وجد نفسه يتجه
صوب بيتها كمن يسير وهو نائم
واقترب من البيت فوجد به حركة
وتشاطا ، وكان عدد من المركبات قد
وقف بجوار الباب . ومن جوف
البيت .. من خلال النوافذ كانت
تنبعث انغام موسيقى بهيجة ..

وعرف لمن كانت تعزف تلك الاالحان
وادرك انه قدفها الى الابد ..

وقفل عائدا الى بيته مطرقا حزينا
وحاول النسيان ، وابعد عن كل
ما كان يدفع اليه بذكريات غرامه ،
غير ان الجذرة التي كانت قد اوقدتها
في قلبه ظلت على حالها ، فمضى
يحلق يشوق في وجه كل فتاة يلتقي
بها والامل يلوح في عينيه .. ولكنه
لم يجد بينهن من تحرك في قلبه
عاطفة الحب منملا فقلت صفاء ..

وادرك اخيرا انه لن يجد من
تعوضه عن قددها . وراحت صورتها
تبهت في مخيلته يوما بعد يوم ..
ودفن حلمه في مكان سحيق من
نفسه ..

لكنه ايقن عندما وقع بصره على
هذه الفتاة انه يستطيع ان يحيى ذلك
الحلم مرة اخرى ..

كان القطار قد اذقني سهره
استعدادا ليقتف في محطة « حلمية
الزيتون » ووقفت الفتاة وغادرت
المقصورة ، فتبعها ، ولما وقف القطار
في المحطة نزل وراءها ..

عرف بيتها .. وعاد ذلك المساء
الى شقته الصغيرة وقلبه يدق فني
صدره والامل يداعبه .. لكنه لم
ينس قط ان شبابه — ذلك الذي

كان ندا لشباب تلك الفتاة — كان
قديم العهد ..

وشعر بقصة في قلبه .. لكن
اوتنها الطافية جعلت الدماء تتدفق
في عروقه فشعر بالشباب والحيوية
هل كان ذلك من تأثير جمالها حقا او
انه لم يكن سوى انطلاقة نفس طال
حرمانها ام تراها ايقظت احلامه
العافية كما حدث في القطار ؟ لكنه
كان ولا شك بخطوة الاولى نحو
الاحساس بالحياة وقيمتها مرة اخرى
.. ووجد نفسه من جديد شابا يشعر
بكل ما كان يشعر به في شبابه ..

اما السنوات التي تفصل بين
عمريهما فامرها لا يهم ما دام قلبه
ينبض كقلوب الشباب ..
وابتمس في سعادة ..

كانت هذه هي الحقيقة .. الحب
.. حب جديد .. لاعم متالحق ..
قوي ثائر .. وفقد نفسه فسي
منغلفات ذلك الحلم .. وانطلق
يتصور نفسه معها وهما يتجولان في
طرقات القاهرة الصاخبة وهي
بجبالها وبروعها تبتدئ كل اشجان ..
لقد ظل اعواما طويلة يتصور ان
يكن ان يجد ذلك الحلم وجعل ينتظر
وشكرا القدر على ان جعله ينتظر ..

واحسن بوقه غرامه الوليد تتزايد
لحظة بعد اخرى ، ولم يكن فسي
استطاعته ان يكتفي .. لا ولم يكن
يريد ذلك ..

وفي اليوم التالي ذهب وتجهول
حول بيتها ، وعرف كل شيء عن
اسرتها من (بقال) قريب من بيتها
.. وقرر ان يتقدم ويخطبها فقد
اصبح هذا الامل اقصى آماله ..

وظل اياما يطوف حول البيت
يتطلع الى نوافذه في لهفة .. وراها
مرة تخفق قلبه من فرط النشوة ،
ولم يحول عنها بصره حتى توارت
داخل البيت .. وعاد الى بيته
وصورتها لا تترك خياله ..

وذات عصر فاض به الشوق فغادر
بيته وركب القطار ، وقلبه يركض في
صدره ، وقد عزم على ان يقابل اباه

ويطلب يدها منه ..

وقطف القطار في محطة « حلمية
الزيتون » .. وغادرت متمهلا ..
وفجأة وقع بصره عليها .. كانت
واقفة على رصيف المحطة تتحدث مع
شاب وسيم وتتطلع الى وجهه ويدها
في يده ..

كان الموقف في غير حاجة الى
تفسير .. هما عاشقان تفضحهما
نظراتهما الواهة ، واحس بقلبه يكاد
يكف عن النبض . وتسلسل بجوارهما
مطرقا نسمع الشاب يقول للفتاة :

— باكر في الساعة . في جروبي
مصر الجديدة سانتظرك ..

ولم يتمهل ليمسح ردها . فاسم
يكن في حاجة الى المزيد . وانطلق
بعيدا عنهما ومضى يهيم على وجهه
في طرقات الضاحية ..

وسال نفسه في مرارة وحيرة :
— والان ماذا افعل ؟؟

ودفع يده فسي جيبه وتناول
سيجارته واشعلها ، وتنهى وهو يقول
لنفسه :

— ارى ان اعود الى البيت ..
بيته الصغير الموحش حيث يعيش
وحيدا .. ذلك البيت هو ذنباه ..
كم احقق حين تصور ان في
استطاعته ان يهرب منها الى الابد ..
لكنه مع ذلك وجد نفسه يتسكع
حول بيتها .. كالمرضى الذي يتناول
مخدرا موضعيا ثم يربط المشرب وهو
يمر في جسده . وخالفه شعور
معض بان كل شيء قد انتهى ، وبان
فرصته الاخيرة في السعادة قد ولت
ومضت ..

والتي نظرة اخيرة على البيت ثم
اتجه صوب المحطة ليركب القطار الى
بيتها ..

وراء القطار واقفا في المحطة ،
فاسرع الخطا ليلحق به ، لكن القطار
تحرك مغادرا الرصيف ، فوقف جامدا
ينظر اليه وهو يتبعد فسي مرارة
واسف ...

سعد حامد

القاهرة



اميل توفيق

الطبيعة الانسانية والخلق

للمحفل النفسي الاميركي اريك فروم

فصل من كتاب Man For Himself

عرض وتلخيص : اميل توفيق

الشخصية

ان الناس متشابهون من حيث اشتراكهم في الموقف الانساني التناقضي . وهم مختلفون متباينون من حيث الطرق النوعية التي يحلون بها مشكلاتهم . وتنوع او اختلاف الشخصية هو في الواقع من صميم صفات الوجود الانساني . ونقصد بالشخصية كل ما هو موروث وما هو مكتسب من الصفات (١) التي يتميز بها فرد واحد فتجعله متفردا . ونقصد بالصفات الموروثة كل ما يدخل تحت الاستعدادات النفسية - والمواهب والمزاج . واما الصفات المكتسبة فيقصدها الصفات الخلقية . ونسب حين ان الفوارق بين الامزجة المختلفة ليست لها اهمية اخلاقية فان الفوارق في نواحي الخلق (٢) هي ما تكون المشكلة الحقيقية الاخلاقية . ذلك انها تعبر عن الدرجة التي يصل اليها الفرد في الفن الذي يحيا به الحياة ويعيش في المجتمع - ويمكننا ان نبحث ما هو المزاج وما هو الخلق .

المزاج

ميز هيبوقراط بين اربعة من انواع المزاج وهي : الدموي والصفراوي ، والسوداوي ، والبلمي (او اللغاوي) . اما امزجة الدموي والصفراوي فهي تتضمن اساليب السلوك او التفاعل الذي يمتاز بسهولة الحساسية او الاستشارة ، وسرعة تغير الاهتمامات (وهي ضعيفة للاول ، قوية للثاني)

اما اللغاوي والسوداوي فهما على العكس يتميزان بالاستمرار وعدم التغير ولكن مع بطء الحساسية للاهتمام (وهي ضعيفة للغاوي وقوية للسوداوي) .

وفي رأي هيبوقراط ان هذه الامزجة مرتبطة باختلاف مصادر الخلايا (٣) . ويمكننا ان نلخص هذه الامزجة فنقول ان الصفراوي هو من يغضب بسرعة - والسوداوي هو المكتئب - والدموي هو الشديد التفاعل - واللغاوي هو البطيء . وقد كانت هذه المفاهيم مستخدمة حتى ايام العالم فنت (٤) . اما المفاهيم الحديثة الهامة فهي التي جاءت في تقسيم يونج وكريستوفر وشلادن . ومن اهم البحوث الحديثة في هذا المجال ما ثبت من علاقة المزاج بالعمليات الخلوية . ولكن الشيء المهم هو التمييز بين المزاج والصفات الخلقية . ان المزاج يشير الى اسلوب التفاعل او اسلوب السلوك وهو شيء موروث في التركيب العضوي ولا يتغير . اما الخلق فهو اساسيا ما يتكون نتيجة خبرات الشخص وخاصة تلك الخبرات البكرة في الحياة ، والصفات الخلقية قابلة للتغير ، فاذا كان هناك شخص له مزاج صفراوي مثلا ، فان اسلوب تفاعله يتميز بالسرعة والقوة . ولكن قيم يتصرف بسرعة وقوة ؟ ان ذلك يتوقف على نوع خلقه ، فان كان من الاشخاص المجبيين فانه يتصرف بسرعة وقوة في كل ما يستجيب له بالحب . اما اذا كان هداما او ساريا فانه يتصرف بسرعة وقوة في البغض والقسوة . ان الخلط بين مفهوم المزاج والخلق قد ادى الى نتائج خطيرة منها تأثيره في مفهوم النظرية الاخلاقية (٥) .

الصفات الخلقية بين الانواع المختلفة للامزجة هو من صميم الدوق الذاتي . ولكن التفرقة بين الصفات الخلقية هي من صميم الاخلاقيات . لقد كان جونغ وهمار رجلين مختلفي المزاج ، كان الاول مزاج الجنون الدوري (٦) . وكان الثاني من النوع القصامي (٧) . ومن حيث المفاضلة بينهما فانك تحسب ان الشخص الذي له المزاج الاول ، يميل الى جونغ والشخص الذي له المزاج الثاني يميل الى همار . اما من الناحية الخلقية فكل منهما يشتركان في صفة الطموح الساري - واذا نهما من الناحية الاخلاقية كانا متساويين في الشر - ويظهر الخلط بين الخلق والمزاج في تقسيم يونج الى المبسط والمنطوي . ف هؤلاء الذين يفضلون المبسط يميلون الى وصف المنطوي بأنه انسان معطل وعصبي (٨) . واما الذين يفضلون المنطوي فيصنفون المبسط بأنه انسان سطحي ، عديم المتابعة والعمق . ان الخطأ يكمن في مقارنة شخص « جيد » من مزاج معين بشخص آخر « ردي » من مزاج آخر ، ثم نسب الفارق في القيمة الاخلاقية بينهما الى فارق المزاج .

قد بات واضحا الان كيف اثر الخلط بين المزاج والخلق في الاحكام الاخلاقية . ومن هذه الالار الهامة اننا قد حكمنا على كل الاجناس الاخرى المختلفة من جنسنا (الغربي)

بالانحطاط الاخلاقي لانهم مختلفون اساسيا في المراج
العالم عن مزاجنا الغالب ، كما ان هذا الخلط قد دسم
الفرض القائل ان الفوارق في الصفات الاخلاقية هي بقدر
فوارق الدوق المزاجية .

واذن فمن اجل بحث النظرية الاخلاقية ، ينبغي ان
نبحث مفهوم الخلق الذي هو اساس الحكم الاخلاقي ، كما
انه في نفس الوقت غاية التقدم الاخلاقي .

وهنا ينبغي ان نوضح كل ما يشوب المفهوم الخلقى من
مفاهيم اخرى - وذلك بتوضيح الخلط التقليدي بين
مفهوم الخلق الدينامي - والمفهوم السلوكي .

الخلق

مفهوم الخلق الدينامي : ان الصفات الخلقية (٩) في
نظر السيكلوجيين - هي صفات سلوكية . ومن هذه
الوجهة فالخلق في نظرهم « هو التشكيل السلوكي الذي
يتميز به فرد من الافراد » في حين بعض العلماء الاخرين
مثل مكندوجل ، جوردون ، كرتشمير لا يوافقون على هذا
التعريف اذ انهم يؤكدون الجانب النزوعي او العنصر
الدينامي للصفات الخلقية . اما فرويد فقد كان اول عالم
يعطي نظرية متماسكة وعميقة عن الخلق ، ففسرها نظام من
التوازن ، والدوافع النفسية التي تكمن وراء السلوك .
ولكي نفهم مفهوم فرويد الدينامي عن الخلق ، يلزمنا ان
نقارن بين الصفات السلوكية والصفات الخلقية .

فالصفات السلوكية (١٠) عبارة عن افعال يراها شخص
ثالث . فمثلا الصفة السلوكية للشجاعة تدعى بانها سلوك
موجه نحو الوصول لغاية معينة دون ان يعوقها وجود اية
تضخيات او مجازفات بهناء الفرد او بحريته او حتى
بحياته . خذ كذلك صفة الادخار كصفة سلوكية ، فهي
يعبر عنها وصفها بانها سلوك له غاية توفير النقود او الاشياء
المادية . ومع ذلك فاذا نحن استفسرنا عن المحرك او الدافع
- وخاصة الاشعوري - لهذه الصفات السلوكية ، فاننا
سنجد ان الصفة السلوكية قد تكون مظهرا لاحد الدوافع
المختلفة ، اي لصفة من الصفات الخلقية المتعددة . فسلوك
الشجاعة قد يدفعه دافع الطموح بحيث يجازف الفرد
بحياته ، في مواقف معينة ، لينسحب شوقا او رغبة لان
يكون مقدرا من مجتمعه . وبالمثل يمكن ان يكون لسلوك
الشجاعة مثيرات انتحارية تدفع الشخص لان يلقى بنفسه
في الاهوال ، وذلك لانه - شعوريا او لا شعوريا - لا يقدر
حياته بل ويريد ان يحطمها . وسلوك الشجاعة ايضا يمكن
ان يدفع اليه قصور كامل في التخيل ، بحيث ان الشخص
يصرف بشجاعة لانه غافل عن الخطر الكامن الذي ينتظره
واخيرا قد يكون لسلوك الشجاعة دافع تكريسي عظيم مثل
الايمان بعقيدة معينة او العمل من اجل رأي سياسي ، او
غاية عليا يكرس الانسان من اجلها حياته ، وهي بذلك

اساس شجاعته ، ونحن اذ ننظر الى سلوك الشجاعة سطحي
في كل هذه الحالات نجده متماثلا ، وهذا الحكم هو فعلا
حكم سطحي ، لان المدقق في مقارنة هذا السلوك في كل
هذه الحالات المختلفة ، سيرى ان الاختلاف في الدوافع
ينتج فروقا ايضا في السلوك ، وهي فروق مهمة لمساحة
رغم صغرهما - فالضابط في حومة الوعى سيختلف سلوك
الشجاعة عنده باختلاف الدافع اليها . فهناك فارق بين ان
يتدفق من اجل عقيدة يستحيل في سبيلها ، او ان يدفعه
طموح ذاتي من اجل التقدير .

اما سلوك الادخار فقد يتدفق الانسان اليه بسبب
الضرورات الاقتصادية . وقد تدفع اليه صفة خلقية هي
البخل ، مما يجعل الادخار غاية في حد ذاته . وهنا كذلك
مهما كانت الصفة السلوكية تبدو متماثلة ، فثمة فوارق
لمحة بين السلوك في حالة دافع البخل ، والسلوك من اجل
الضرورات الاقتصادية .

ففي موقف الادخار يمكن لشخص اخر غير المدخر ان
يحكم فيما اذا كانت الضرورة تقضي بهذا السلوك او لا
تقضي . فالوقف نفسه يحمل في طياته اساس الحكم
ومن هنا يبيح الفرق بين الصفة السلوكية للضرورة
والصفة السلوكية التي يدفعها البخل .

يقدر فرويد بعض انواع السلوك على اساس الدوافع
الاشعورية ، ويرتبط بهذا التفسير نظريته عن الصفات
الخلقية « طبيعتها النزوعية » . ان فرويد يلاحظ ما عرّفه
كثير من الكتاب المسرحيين والروائيين ، من ان وراء الخلق
قوى دينامية دافعة . فقد عبر بزلوك عن ذلك بقوله « ان
قوة الخلق هي قوة تربط بالقوى التي تحرك الانسان - وان
الطريق الذي يتخذه شخص ما في سلوكه او في احساسه
او في تفكيره ، هو الى حد كبير يتوقف على نوعية خلقه -
وليس متوقفا على الاستجابات العقلية للمواقف الواقعية ،
وان مصير الانسان هو خلقه » .

لقد ادرك فرويد الصفة الدينامية للصفات الخلقية -
وان تكييف الخلقى لشخص ما انما يمثل تشكيلا معينيا
تتدفق فيه طاقته للحياة . وقد حاول فرويد ان يفسر هذه
الطبيعة الدينامية للصفات الخلقية وذلك بربط الخلق
بنظرية البنىدو *

ان التفسير الاالي الذي كان سائدا في تفسير العلوم
الطبيعية في القرن التاسع عشر قد افترض ان الطاقة وراء
الظواهر الطبيعية والنفسية هي طاقة اساسية مستقلة
بذاتها ووجودها وليست منبثقة عن غيرها . لذلك فقد
اعتقد فرويد ان الدافع الجنسي هو منبع الطاقة الخلقية .

* كان فرويد يطلق اصطلاح (البنىدو) في مؤلفاته الاولى على الطاقة
الجنسية وحدها ، ثم اصبح يطلقها على طاقة غريزي الحياة والوالت معا -
اي الطاقة النفسية بوجه عام . (هذا الشرح مأخوذ عن كتاب اصول علم
النفس - للدكتور احمد عزت راجع)

وفد أستطاع بعدد من الافتراضات اللاحقة أن يفسر كثيرا من الصفات الخفية على نفسها « تشكيلات استجابية متسامية عن الدافع الجنسي » وصفات أخرى على أنها « استجابات دفاعية ضد هذا الدافع » .

وقد كان لتقدم نظرية التحليل النفسي - بجانب تقدم العلوم الطبيعية والاجتماعية - أثر في تكوين مفهوم جديد مبني على الفكرة التي ترى الإنسان غير منزعج بنفسه ، بل تراه مرتبطا بغيره ، وبالطبيعة ، وب نفسه . وهذه الفكرة تفترض أن هذه العلاقة التي تربط الإنسان بالطبيعة والاجتماع وبالنفس ، إنما تحكم وتنظم ما ينتج عن الطاقة الجنسية وأحوالها ونزواتها من سلوك ومن مظاهر مختلفة . وقد عرف ساليغان (١١) وهو من أوائل المنادين بهذه الفكرة - عرف التحليل النفسي بأنه « دراسة العلاقات الشخصية المتداخلة » .

والنظرية التي تقدمها الآن (أي نظرية فروم) إنما تتبع نظرية فرويد في جملة نقاط وهي : أن الصفات الخلقية تنسب من السلوك أذ هي تكمن وراءه . أن الصفات الخلقية تتضمن قوى ، ورغم قوتها فقد يكون الشخص غير مدرك لها . أن الأساس الخلقي الذي يدفع للسلوك ليس هو الصفة الخلقية المنفردة بل هو التنظيم الخلقي الكلي للفرد ، ومنه ينشئ عديد من الصفات الخلقية المنفردة . وبمعنى آخر أن الصفات الخلقية المنفردة يجب أن تفهم على أنها مجموعة صفات تنبع من تنظيم معين يمكن أن نسميه تنظيما أو توجيها خلقيا .

وسنحاول هنا أن نعالج عددا من الصفات الخلقية على أنها نابعة مباشرة من توجيه خلقي معين ، ومن ثم يمكننا القول أنها صفات خلقية أولية . ثم نحاول أن نعالج عددا آخر من الصفات على أنها نابعة من تلك التوجيهات الأساسية ، أو هي مزيج من الصفات الأولية وبعض الصفات المزاجية . أما نظريتنا (نظرية فروم) عن الخلق فتختلف عن نظرية فرويد في شيء هام وهو أن أساس الخلق - في نظريتنا - لا نراه في الأنواع المختلفة لتنظيمات الليبدو بل نراه في كل الأنواع النوعية لتنماء الشخص وانتسابه لعالمه ، وفي عملية الحياة بربط الإنسان بالعالم الخارجي : باكتسابه للأشياء وتمثيله لها . وارتباطه بالآخرين وب نفسه أما العملية الأولى فسوف نسميها عملية التمثيل (١٢) والعملية الثانية عملية التنشئة الاجتماعية (١٤) . والعملتان غير محدودتين ، وذلك بعكس الحيوان حيث تعدد الفريضة فقط ارتباطه بالبيئة ، أن الإنسان يحصل على الأشياء ويكتسبها أو يقبولها أو أخذها من مصدر خارجي أو بإنتاجها بجهده هو . ولكن الإنسان يجب أن يكتسبها ويمثلها « بطريقة ما » ، لكي يشبع حاجاته . وكذلك لا يستطيع الإنسان أن يعيش وحده دون ارتباطه بغيره . فإن عليه أن يتصل بالآخرين ، من أجل افراض عديدة كالعمل ، والدفاع عن النفس ، واللعب وتربية الأولاد

وانتقال المعرفة والممتلكات المادية ، وأخيرا الإشباع الجنسي ولكن بعد هذا النطاق من الاتصال ينبغي أن يرتبط بمجموعة أو رابط من الناس ، أن الانزعال الكلي مستحيل بل وغير متفق مع الصحة النفسية . ولارتباط الإنسان بالآخرين طرق عدة . يمكن الإنسان أن يحب أو أن يكره ، يمكنه أن يتنافس أو أن يتعاون ، يمكنه أن يمتثل ويبنى نظاما اجتماعيا مبني على المساواة أو مبني على السلطة ، أما أن يتخذ أساس نظامه الحرية أو القمع والكتب . يتعين إذن أن يكون هناك ارتباطات معينة ، وأما أنواعها فهي تعبيرات عن خلق الإنسان . أن التوجيهات الخلقية التي تربط الإنسان بعالمه هي في الحقيقة نواة خلقه . فالخلق إذن يمكن تعريفه « بأنه الشكل المستمر - نسبيا - الذي تتساقب فيه (وتضاع) الطاقة الانسانية من عمليتي التمثيل والتنشئة الاجتماعية » ولهذا الصياغة للطاقة النفسية وظيفة بيولوجية هامة وهي أن تقوم مقام الجهاز الغريزي . أن هناك كثيرا من الأفعال ينبغي أن يؤديها الإنسان بسرعة ، وذلك تؤدي أيضا إلى التماسك . ولو أن كل فعل من الأفعال احتاج فيه الإنسان إلى تفكير مستقل وإلى عزم وإجراء جديدين ، يفقد هذا التماسك . أن وفقا للتفكير السلوكي ، يتعلم الإنسان أن يستجيب أو يعطي استجابات تصف اليه ، يمكن تفسيرها على أساس الأفعال المنعكة الشرطية .

أن مثل هذا الرأي - وأن كان يصدق عند مستوى معين من الأفعال إلى حد ما - يتجاهل حقيقة هامة وهي أن معظم العادات والآراء التي تميز شخصية إنسان ما وتبعله متفردا عن غيره (وهي في الأغلب غير قابلة للتغيير) إنما هي ناتجة عن تركيبه الخلقي ، أنها تعبير عن الشكل المعين الذي اتخذته الطاقة قالباً لها أو مجرى لها . أن النظام الخلقي يمكن اعتباره البديل الإنساني الذي يحل محل الجهاز الغريزي الحيواني . وحينما اتخذت الطاقة مجرى لها - بشكل معين - فإن الفعل الإنساني يحدث مطابقتاً تماماً للخلق - وقد يكون الخلق المعين غير أخلاقي ، أو ليس مرغوباً فيه أخلاقياً - ولكن النظام الخلقي لهذا الإنسان يسمح له - على الأقل - أن يتصرف بتطابق وتماثل مع هذا النظام وذلك في سبيل ألا يفكر في كل مرة أن يتخذ نفسه عزماً حقيقياً . فهو يستطيع أن يرتب وينظم حياته بكيفية تتوافق مع خلقه ، وبذلك يخلق درجة من الانسجام بين الموقف الداخلي والموقف الخارجي . وأكثر من ذلك فإن للخلق وظيفة أخرى وهي اجتذابه للآراء والقيم التي

(1) Qualities (2) Character (3) Somatic Sources (4) Wundt (5) Ethical theory (6) Cyclo thyme (7) Schizo thyme (8) Neurotic (9) Character traits (10) Behavior traits (11) Sullivan (12) interpersonal relations (13) Assimilation (14) Socialization.

الى خالتي

الى خالتي الحبيبة « سمية مسوح » .. وقد كان آخر لقاء لي بها في القاهرة ..

من حمص .. من جداول الطيوب
تحيي موات ساعسة القسروب
وصرت في عالم القبور
تؤلمين فرحة التشور
بخلف الاحزان والكآبة
سيمحي كأنه سحابه
هناك لا عويسل .. لا شفاء
وقد تسدت اتجم المساء
فغطت بحر الكون مستنيرا
اردها لتعربا قدبرا
في مصر .. كانت فرحة اللقاء
يسرد كيسد الدهر والغناء
ما دمت لا شيء بهذا الوجود
وموتنا بعض السذي نرود

عبدو مسوح

يا خالتي .. من بلدتي الشجيه
اهدبك الف غيمة سخييه
لئن فقيمت التحب وانطويت
فدربنا لم ينته وانت
ايماننا القوي بالاله
اذ كل ما في الكون من رفاه
يسري الى خياليل القلود
وانظرننا عندما نعود
علمتي امثولة النصال
ونكت ان رميتي النصال
وعندما رايتني اخيرا
وقلت : يا من صنته صفيرا
فاعصف بنا يا موت .. لن نلينا
كم من كنوس مرهبا سقينا

حمص

ذلك ينبغي ان نفرق بين الخلق الاجتماعي والخلق الفردي
اذ ان الأخير يميز انسانا ما عن غيره من سائر الناس الذين
يتصفون بنفس الخلق الاجتماعي في الحضارة الواحدة .
اما الفوارق بين الخلق الفردي والخلق الاجتماعي فترجع
الى عدة عوامل أهمها : ١ - اختلاف شخصيات الآباء أو
الأمهين ، ومن ثم اختلاف طرق التربية . ب - اختلاف
توعية البيئة الاجتماعية التي ينشأ الطفل في احضانها .
ج - الفوارق الوراثية والفطرية بين الافراد وخاصة
الفوارق المزاجية .

ان تكوين الخلق الفردي اذن محدود بخبرات الفرد في
الحياة ، ونعني بها الخبرات الخاصة ، والخبرات التي لها
علاقة بالحضارة السائدة ، او الناتجة عنها . وكذلك
يحدده الزواج والتكوين الوظيفي الفسيولوجي . اما البيئة
فهي ليست واحدة حتى لاثنتين يعيشان تحت سقف واحد،
وذلك لان اختلاف تكوينهما يجعلهما مختلفين في التفاعل
مع البيئة الواحدة .

ان التطابق الذي نلاحظه او نراه بين الخلق الفردي
والخلق الاجتماعي ما اسهل ان يتغير تحت تأثير ظروف
جديدة ، وخاصة اذا لم يكن للخلق الاجتماعي من اساس
عميق في الخلق الفردي . اما اذا كانت الافعال السلوكية
الحضارية ، صادرة عن ايمان ، وعن اصالة ، في الخلق
الفردي فلما تعرض للتغير الا اذا اصاب هذا الخلق تغير
في الصميم .

اميسل توفيق

بور سودان

تطابقه وتوافقه . ومن ثم تتكون لصاحب هذا الخلق آراؤه
وقيمه . ان الناس يزعمون ان آراءهم وقيمهم هي
مستقلة تماما عن انفعالاتهم وقياسهم وانها نتيجة
للاستنباط العقلي والتفكير المنطقي . ومن هذا
الزعم يحسون ان موقفهم حيال العالم يتأكد بآرائهم
واحكامهم حيث انه في الواقع نتيجة لخلقهم ، تماما مثلما
تصدر تصرفاتهم عن خلقهم .

ان هذا التأكيد لموقفهم حيال العالم الخارجي يقوي من
نظامهم الخلقي حيث ان هذا النظام يبدو في نظرهم معقولا،
ومتضمنا لكل ما هو حق . ان الوظيفة الخلقية تقود الفرد
لان يتصرف بمنطق هذا الخلق ويتعاضد مع هذا النظام .
وليس ذلك فقط بل انها تعد كذلك اساسا لما يصدره الفرد
من احكام بالنسبة لمجتمعه . ان خلق الطفل يتشكل وفقا
لاستجاباته لخلق ابويه ومن ثم يمتص الطفل هذا الخلق .
اما طرق الابوين فسي تربية طفلهم فيجدها النظام
الاجتماعي للحضارة السائدة . ان الاسرة العادية او
المتوسطة هي « القوة النفسية » للمجتمع . فاذا ما توافق
الطفل مع اسرته ، فانه يكتسب الخلق الذي يمكن به ان
يتوافق مستقبلا مع الاعياء التي تنتظره ، بسلا وتجعله
يتوافق مع العادات الاجتماعية ومع الحضارة .

ان اعضاء الطبقة الاجتماعية الواحدة يشاركون في
عناصر بدائنها هي التي نسميها الخلق الاجتماعي . وهذا
الخلق هو النواة المشتركة لافراد الحضارة الواحدة . ومن
هذه الحقيقة تبين الى اي مدى يتكون الخلق نتيجة
للتفاعل الاجتماعي والحضاري وتشكيلتهما . ولكننا مع



عيسى الناعوري

دانتى الجيجيري والكوميديا الالبرية

بقلم عيسى الناعوري

فتح دانتى الجيجيري عينيه على نور الحياة في بدء عصر النهضة الفكرية الأوروبية ، فكان من أوائل قادتها العظام . وكان عصره مصر نزاع عظيم بين البابوات والسلطات المدنية . وكان العالم الأوروبي منقسماً الى قسمين : قسم مع البابوات ، يؤيدهم في محاولة السيطرة على السلطتين : الروحية والمدنية معاً ، وقسم مع السلطات المدنية الامبراطورية التي تناضل لفصل السلطة الروحية عن المدنية ، ولتولي البابوات الحكم الروحي الديني وحده ، وترك الحكم المدني للامبراطور . وقد انغمس دانتى في هذه النزاع الى اذنيه ، فكان بين الرؤساء المذنبين في بلده فلورنسا ، وكان من زعماء حزب « البيض » Bianchi المعادين للبابا ، وحين سقط هذا الحزب ، واستولى « السود » Neri على السلطة ، نفى دانتى عن وطنه ، وحكم بدفع غرامة مالية كبيرة ، ثم حكم مرة أخرى بان يحرق حياً اذا حاول العودة الى وطنه . وظل منذ ان بلغ الخامسة والثلاثين من عمره يعاني مرارة المنفى ولوعة الحنين ، حتى أراحه الموت من مرارته ولوعته وهو ابن ست وخمسين سنة ، قضى منها في المنفى احدى وعشرين سنة . ونحن في دراستنا لهذا الفكر العظيم ، ابن النهضة الأوروبية البكر ، الذي تحمل العذاب الطويل في المنفى ، ومرارة الفقر وخشونته ، ولوعة الحنين ، في سبيل عقيدته السياسية والوطنية ، سنحاول ان ننطلق في دراستنا هذه

من نقطة المحور في حياته وفي ادبه ، وهذه النقطة هي حبه لفنائه الخالدة بياتريشه بوريتناري ذلك الحب « الصوفي التقديسي » الذي طبع حياته وانتاجه الفكري بطابعه المتميز الخالد . فلقد كان الحب هو الذي يقود خطوات دانتى في رحاب الحياة : يافعاً ، ثم شاباً ، ثم كهلاً ، وفي رحاب الفكر : شاعراً ، وناثراً ، ومفكراً مبدعاً . وقصة حب دانتى هذه ما كان لها ان تعرف وان تستهر بشكل واضح لولا ان دانتى نفسه قد رواها وشرح مراحلها بتفصيل في كتابه « الحياة الجديدة » . وقد كان اول معرفته لبياتريشه في اليوم الاول من شهر ايار عام ١٢٧٤ ولم يكن اذ ذاك قد اتم العام التاسع من عمره . في ذلك اليوم كان قد لحق بوالده الى بيت جار له اسمه السيد فولكوبورتيناري وكان هذا يحتفل حينئذ بعودة الربيع ، على عادة الفلورنسيين . وهناك وقعت عينها الطفل دانتى على ابنة السيد فولكو ، واسمها « بيتشه » وهذا اسم « بياتريشه » مختصراً للتحبيب ، وكانت اذ ذاك تتجاوز العام الثامن من عمرها بشهر واحد فقط . وكانت الطفلة جميلة ولطيفة ، فانطبعت صورتها الحلوة في قلب الطفل الزائر بحيث لم يعد من الممكن ان تفارقه مدى الحياة . لقد رأى اذ ذاك « كل اطراف السعادة وحدودها » - كما يقول - وبعد عودته الى البيت اخذ يفكر فيها كثيراً ، حتى نام وهو يفكر فيها ، فظفرت له في الحلم حاملة قلبه بيديها ، وكانت ترتدي ثوبا بلون الدم . فهاج الحلم في نفس دانتى - فالقلب الطفل - اول اغنية شعرية ، وجه فيها الخاطر الى « المخلصين في الحب » لكي يسعفوه براهم . ثم توالى منذ ذلك الحين اغانيه وانشيده حبه في ساحة قلوبهم .

وبعد تسع سنوات من اللقاء الاول اقترنت بياتريشه بشاب اسمه سيمون دي باردو ولكن حب دانتى لم يخب بزواجها ، ولم يفتر . وفي التاسع من حزيران ١٢٩٠ ماتت بياتريشه ، فكانت وفاتها ضربة زلزلت حياة الشاعر الشاب . وقد حاول ان يتسلى عنها بالزواج ، فاقترن بالسيدة جيما دي مانتو دوناتي ، وقد عاشت هذه الى ما بعد وفاته .

على ان زواج دانتى ، الذي لا نظله كان سعيداً ، سواء اتم قبل وفاة بياتريشه ام بعده ، لم يكن بالشئ الذي يستطعم ان يجعله يسلو الفتاة التي احبها منذ الطفولة الباكرة حبا نزل على قلبه كقطرات الندى على البرسم الغض . ويذكر بعض مؤرخي دانتى ، ومن بينهم « بوكاشيو » ، و « ارتورو مانتو » ، ان دانتى قد انغمر بعد وفاة بياتريشه بالاوجاء الصاخبة ، والبيئات غير النظيفة ، واصبح متلافاً ومحباً للنساء ، ورفيقاً للمتغافلين وأنه نتيجة لذلك قد هزل جسمه هزلاً شديداً ، وصار

مُحاصرة القلب في قاعة المكتبة الوطنية في حلب بدعوة من وزارة الثقافة والإرشاد السورية .

يبدو كمسخ مخيف لشدة تغير ملامحه ونحول جسمه ، وكان يبكي بكاء مرا ، وبحس بفؤاده يكاد يتمزق بين ضلوعه ونحن نجد مصداق ذلك في لقاء الشاعر وفنائه بعد خروجه من رحلته في المطهر ، فهي هناك تاعبه وتؤنبه على ذلك السلوك السيئ الذي سلكه بعدها .

ولا يعود ذاتي الى صوابه وحكمته الا في المنفى ، حين تجتمع عليه مرارة الحياة والحنين الى الوطن ، والالام الشديد لفساد السلطات الكنسية وتهالكها على السلطان ، مما يسبب الهلاك والخراب للشعب وللبلاد . وهنا تنصهر روحه بالحب العميق الحار ، وبالحنين الوطني الملتهب ، فيخرج للعالم روائعه الادبية العظيمة . فاذا لدينا - عدا « الحياة الجديدة » - ثلاثة كتب اخرى هي : « الوليمة » و « في الملكية » و « الكوميديا » التي اضيف اليها فيما بعد لفظة « الالهية » وذلك بعد وفاة ذاتي ، تعظيما لها . وهناك غير هذه : (البلاغة الشعبية - والدويان - والرسائل) ايضا .

وفي « الوليمة » و « الكوميديا » يتجلى لنا اثر بياتريشه كما تجلى من قبل في « الحياة الجديدة » . ونحن في ما يلي نجمل هذا الاثر باقصر ما يمكن من التلخيص الواضح الوافي :

١ - الحياة الجديدة

يقول ارتورو مانيون ان « ذاتي قصد بهذا العنوان (حياة الشباب) » . ونحن نضيف انه على ربه حياة الحب . وفي هذا الكتاب جمع ذاتي نحو احدى وثلاثين قطعة شعرية ، اغلبها مقطوعات غنائية قصيرة ، كان قد نظمها جميعا تعبيرا عن عاطفته الحارة نحو بياتريشه منذ معرفته لها حتى وفاتها . وقد ربط بين هذه القصائد بتعليقات ثرية تشرح مراحل هذا الحب منذ بدايته حتى ما بعد وفاة الحبيبة . وفي هذه التعليقات الثرية ، كما في القطع الشعرية ، تتجلى العاطفة الحارة ، ولوعة الحب المضني ، ورهافة الاحساس ، وانفلات الخيال العاشق الملهوف الذي يوغل في مدى الصور والتأويل . وقد جمع الكتاب وطبع بعد وفاة بياتريشه بعامين .

ومما يذكره ذاتي في ذلك الكتاب انه حدث مرة ، بعد وفاة بياتريشه بعام واحد ، ان كان الشاعر وحيدا بعالج الام نفسه بصمت ، فرأى فتاة جميلة تنظر اليه من نافذة بيتها نظرات ملؤها الحنان والعطف ، فتحركت عاطفته نحوها . ولكنه لم يلبث ان شعر في داخله بان هذه الحركة العاطفية كانت اهانة لروح بياتريشه . فجعل يؤنب عينيه لانهما التذتا بالنظر الى الفتاة ، وتقلتا لذهما الى قلبه . وبينما هو في ذلك الصراع النفسي المؤثر ظهرت له بياتريشه في مثل الرؤيا ، وكانت ترتدي لباسها الاحمر ، وفي ملامحها الطيبة تبدو كما رآها لأول مرة . وكما كان المله شديدا لان هذه الرؤيا التي تخيلها كانت

توبيخا مؤلما صامتا له . ومنذ ذلك الحين ازداد حبه لها عمقا ، وازدادت صورتها رسوخا في مخيلته ، فألى على نفسه ان يقول فيها ما لم يقل مثله احد قط في حبيبته ، وبهذا الوعد ينتهي كتاب « الحياة الجديدة » . اما تحقيق الوعد فقد تم بعدئذ في « الكوميديا » التي سنتحدث عنها في ما بعد .

ان بعض نقاد ذاتي قد شكوا في حقيقة وجود بياتريشه ، واعتقدوا بانها من ابتداء خيال ذاتي وحده ، لان قصة هذه الحبيبة وقصة حب ذاتي لها اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة ، اذ لم تقم بين ذاتي والفتاة علاقات واتصالات تسمح بقوة الحب وتعميقه ، وكل ما يذكره ذاتي نفسه في هذا الصدد ان بياتريشه كانت احيانا تبادل له التحية ، وفي بعض المرات كانت تمنعها عنه خشية من السخة السوء ، او عقابا له . غير ان الشك في حقيقة وجود بياتريشه ليس بذى اهمية ما دام السر بياتريشه نفسها هو الذي يسم انتاج ذاتي بنفسه ، ويدغمه بدمعته الصريحة . وفي هذا يقول صاحب كتاب « قذوات للشبيبة الإيطالية » : « وسواء كانت بياتريشه حقيقة ام خيالا ، فان الذي لا يتطرق اليه الشك هو ان حب ذاتي لها كان النار المقدسة التي صهرت خياله وعواطفه في اناشيده وقصائده الخالدة » .

٢ - الوليمة

لم يكن هذا الكتاب فصولا في الحب ، ولا اناشيد في الحب ، بل كان على العكس من ذلك ، فصولا وانشيد غائبا تبسيط العلوم للامة . فكانت يدعو ذاتي لقلبي الثقافة من مواطنيه الى وليمة فكرية ، يكون شرايبها الاناشيد ، وطعامها الشروح والتعليقات كما يقول ارتورو مانيون - الا ان هذه الاناشيد والفصول الثرية العلمية ، لم تخل الى جانب ذلك من طابع بياتريشه ، ومن اثر الحب ودمعته . لقد كان ذاتي في المنفى حينما وضعه ، وكان يكظم في صدره انذاك اقصى لواعج الخيال لتلك التي خلقت له بوفاتها الما عميقا ، وحسرة لا تنتهي . ولم يكن يجد ما يسليه عنها سوى ان يشيع فراغه بالدرس والتزود من المعرفة . ويذكر ذاتي في الفصل الثاني من هذا الكتاب ان بياتريشه قد ظهرت له مرة بعد وفاتها بعامين ، ومنذ ذلك اليوم استولى حب المعرفة على قلبه الذي كان يسيطر فيه دائما خيالها الخلو . وهذا الخيال هو الذي املى عليه نسييد « الوليمة » الاول .

ونلاحظ هنا ان اثر الحب والحبيبة في هذا الكتاب كان اقل منه في « الحياة الجديدة » واقل منه كذلك في « الكوميديا الالهية » . فالحياة الجديدة كان قصته وقصتها معا : قصة حبه لها ، ووجدته بها ، ولوعته عليها ،

اما « الكوميديا الالهية » فقد كانت بحثا جادها لهيفسا عنها ، ثم سعادة بلقاء لقاء لا ينتهي ، في النعيم الخالد .

٣ - الكوميديا الالهية

وهذه رحلة خيالية وضعها دانتي في ثلاثة اجزاء ، دعا اولها « الجحيم » والثاني « المطهر » والثالث « الفردوس » ، وحقق فيها الوعد الذي سبق ان قطعه على نفسه في نهاية كتابه « الحياة الجديدة » حين قال : « بعد هذه المقطوعة رايت رؤيا عجيبة جعلتني اصمم على ان لا اقول بعد الان شيئا في هذه المباركة ، حتى يجيء الزمن الذي استطيع فيه ان اتحدث عنها بكل جدارة .. وارجو ان اقول فيها ما لم يقل مثله احد قط في امرأة » . فالقصّة في الاصل ، كما نرى ، قصة حب . وقد راينا في ما تقدم ان دانتي كان في صباه الباكر جدا قد احب بياتريشه وهي بعد طفلة مثله ، وكان حبه هذا غنيضا عميقا . ولكن بياتريشه تزوجت بعد ذلك رجلا اخر ، فترك ذلك في قلب الشاعر جراحا عميقة . ثم ماتت بياتريشه ولها من العمر اربع وعشرون سنة وثلاثة اشهر ، فنزفت جراح دانتي دما سخيا ، وظلت تنزف داخل قلبه حتى اخر عمره ، وقد نغصت عليه حياته ، وجعلته بنفسه في وحول الرذائل امدا غير قصير ، لا يردعه عن ذلك كونه متزوجا ووالدا لعدد من الابناء والبنات . ذكر البعض انهم كانوا اربعة او خمسة ، وذكر غيرهم انهم كانوا سبعة . وظلت الحبيبة في احلام بقلته ونومه ، وكأنها هي تستحنه على البر بالوعد .

وتقلب دانتي في مناصب الحكم في بلده فلورنسا ، ثم نفي الى الخارج ، وعاش مشردا ، ولكن من قصر امير الى قصر امير اخر . وفي فترة التشرد التي راقت بقية عمره - وقد استمرت احدى وعشرين سنة - سحت له الفرصة ليفي بوعد : فوضع « الكوميديا » وجعلها على شكل رحلة يقوم بها في رفقة شاعر الرومان الاكبر « فرجيل » الذي كان دانتي ممتلئ القلب اعجابا به . وهو يقوم بهذه الرحلة بحثا عن المرأة التي يحبها ، والتي رحلت عنه الى العالم الآخر . يبدأ الشاعر رحلته فيذكر انها بدأت وهو في الخامسة والثلاثين من عمره . ويحدد بعض الشراح زمنها بأنه كان في الثامن من ابريل عام ١٣٠٠ ، وانها استغرقت سبعة ايام فقط . ويسدخّل الشاعر في غابة كثيفة الاشجار ، متشابكة الاغصان ، وظل يسير حتى يصل الى جبل عال ، فيهم يارتقاه لكي يصل الى قناته ، فتسد عليه الطريق ثلاثة وحوش كاسرة : اسد ، ونمر ، وذئبة ، فيرتد الى الخلف مدفوعا مرعبا ، وعند ذلك يظهر له انسان عزيز جاء من العالم الآخر ليقوده عن طريق اخر الى حيث يريد ، فينحدر به الى الجحيم

يجتاز حلقاتها ، فيرى فيها انواع الهالكين ، وما يقاسونه من اعذبة الالم .

ولكن لماذا جاء فرجيل ؟ ومن ارسله لانتقاد الشاعر من الوحوش ، وتياديه بامان الى الحبيبة التي يبحث عنها بلغة الحب المذبذبة القلب ؟

السيدة العذراء ، والقديسة لوشيا ، والحبيبة بياتريشه هن اللواتي ارسلنه . وقد كان دانتي في حياته شديد التعبد للقديسة لوشيا ، ولذلك اشفت عليه حينما رآته يرتعد خوفا امام تلك الوحوش التي اعترضت طريقه ، فمضت تتوسل الى السيدة العذراء مريم ان تعمل على انقاذه ، فدعت العذراء بياتريشه وامرتها بان ترسل فرجيل ليقود خطاه في طريق امينة . وهكذا غادر فرجيل عالمه السماوي بعد ان طلبت اليه بياتريشه ذلك ، ونزل الى الغابة التي سدت فيها المسالك على الشاعر العاشق .

ورحلة دانتي ورفيقه في الجحيم رحلة طويلة ، مليئة بالاهوال والمخاطر والرب ، وقد استغرقت كتابا ضخما من اجزاء الكوميديا الثلاثة ، بل هو اضخم اجزائها الثلاثة واحفظها بالمشاهد والوصاف والحكايات الشديدة الانارة للتاريخ .

بعد ان يطوف دانتي وقائده في ممالك الجحيم يصعدان الى المطهر « الاعراف » فيطوفان فيه كذلك ، ويريان الساكنين الذين يعذبون في حلقاته انتظارا للساعة التي يطهرون فيها من ذنوبهم ، ثم ينقلون الى السماء اقياء طاهرين . ثم ينشي الزائران الى الفردوس الارضي ، وهو في الكوميديا طبعا - القسم الاعلى من المطهر ، وتجيء بعده السماء الاولى - وهي سماء القوم ثم عليها سموات الكواكب والشمس والنجوم الثابتة .

في الفردوس الارضي يصل الزائران الى نهر ذي فرعين ، يدعى احدهما « ليتي » ويدعى الثاني « ايونوب » ، فاذا على الضفة الاخرى من النهر سيدة رائعة الجمال اسمها « ماتيلدا » جاءت امام موكب بياتريشه لكي تنهي الشاعر الارضي المتيم للقاء الحبيبة السماوية العذوة ، ومرافقتها الى عرش الحلال الاعظم . وتقول ماتيلدا لدانتي - وهو بعد على الضفة الاخرى من النهر - ان الذي يشرب من الفرع الاول للنهر او يقتسل فيه يطهر من الخطيئة ، والذي يشرب من الثاني تنجد نفسه بالنعمة والفطيلة ، ويصبح اهلا لدخول السماء . ولا يصبح المرء صالحا لدخول السماء الا اذا شرب من الاثنين معا ، او اغتسل فيها .

وعند ذاك يظهر نور عظيم ، وموكب رائع من ارواح الابرار كلهم في ملابس بيضاء ناصعة ، وفي نهاية الموكب عربة ضخمة يسير امامها ، مثنى مثنى ، اربعة وعشرون رجلا ينشدون : « مباركة انت بين بنات ادم ، ومباركة ايات جمالك الباهر الى الابد » ، والعربة محمولة على

الجمال ما يدهش العقول ويتجاوز كل حد في التصور والوصف .

هذه هي باختصار قصة الكوميديا الخالدة التي انشأها دانتي لكي يخلد بها حبا رافقه من الطفولة ، فشكل به الاجيال من بعده ، وجعله كما اراد هو : اروع تخليد قام به محب لحبيبة . ويقول اوتورو مانيو في كتابه « تاريخ الادب الايطالي » ان الدوافع الكبرى الى وضع هذه الملهة الخالدة اهمها ثلاثة ، هي :

١ - بياتريشه وحب دانتي لها ، ووعدته في نهاية كتابه « الحياة الجديدة » بان يقول فيها ما لم يقل مثله محب في حبيبته قط .

٢ - تحقيق احلامه الفنية في ان يضع لمواطنيه عملا فنيا يكشف عن مواهبه العظيمة المتوقفة ، وعن سعة معارفه اللاهوتية والفلسفية في الوقت نفسه ، ليرى مواطنوه اي قتي اشاعوا ... ويعلموا ان الانسان الذي انهموا بالخبثانة ، وشردوه هو موطنه هو اجددهم بالكرامة والرفعة ، وان الحجر الذي ردلوه كان رأس الزاوية ..

٣ - التمتعش الى تحقيق العدالة ، ولاسيما ان مأساة تشرده كانت عملا من اعمال الظلم الانساني ، فقد شرد كانه مجرم حقير ، او خائن لوطنه ، مع انه كان يعمل لاجل وحدة بلده وحرية وسيادته بكل قواه ، ولكن اطماع البابا بونيفاسيوس الثامن وجملاعته في فلورنسا ، حزب السود ، جعلته يقضي عمره - من ١٣٠١ الى ١٣٢١ ، وهذه سنة وفاته - حليفا للشرذ الدليل ، والمسارة النفسية العميقة السوداء ، وتصادر املاكه ، ويحكمه المهرج عاليا ، في يناير عام ١٣٠٢ بغرامة مالية مقدارها خمسة الاف فيورينو ، وبالغني عن فلورنسا لمدة سنتين ، وبالحرمان الدائم من الحقوق المدنية ، ثم يصدر السود حكما اخر ضده في مارس من السنة عينها يقضي بحرقه اذا ما وقع في يد السلطة .

وهناك سبب رابع لا يقل اهمية عن الاسباب الثلاثة المتقدمة ، وهو ان دانتي اراد ان ينقل لغة الادب والفن من اللاتينية الكلاسيكية التي كانت سائدة حينذاك ، الى اللهجة الايطالية - لغة قومه التي دافع عنها دفاعا حارا في كتابه « البلاغة العامة » - وقد نجح في ذلك الى حد بعيد . ولا غرابة ، فالعابرة هم الذين يشقون الطرق الوعرة ويعبدونها للآخرين .

اما الاهداف الثلاثة الاولى فقد حققها دانتي كذلك في آن واحد في اجزاء كوميديته الثلاثة ، فقد ارضى حبه وقلبه ، وخلد حبيبته بياتريشه ، وجعل من حبه لها قصة جميلة خالدة تتناولها الاجيال ، وبرهن باحلي بيان على معرفة واسعة واحاطة وافية بامور الفلسفة واللاهوت ، وعلى خيال شديد الانساع والانطلاق . واما العدالة فقد طبقها بحسب ما املتها عليه عاطفته الوطنية والدينية معاه فقد زج في الجحيم بكثيرين جدا من معاصريه الذين راي

اربعة حيوانات ، لكل منها ستة اجنحة ، ولها عجلتان ، ويجرها حيوان عجيب هو العنقاء : تصفه نسر والنصف الاخر اسد . وعلى يمين العربية ثلاث نساء يرقصن ، وعلى يسارها اربع نساء يهزجن ويغنين .

وبين اهزاج الموكب العظيم يقف احد الارواح السماوية ويهتف ثلاث مرات : « هلمي يا عروسا من لبنان » ، فيردد الباكون هتافه . ثم تتعالى هتافات اخرى : « مباركة الانية ! » . وتمتلي الطريق برش الازاهير . وفي وسط سحابة من الورد والازاهير تظهر امرأة عليها معطف اخضر ، وعلى وجهها قناع يمنع تجلي جمالها الباهر بروعته الساحرة ، وتحيط خصرها باغصان الزيتون ، وملابسها في مثل لون الشعلة الحية . وكطفل مرتجف ينظر دانتي حوله ليستجير بقائده ورفيقه فرجيل ، ولكن فرجيل كان قد ادخا في مثل الطريقة العجيبة التي ظهر بها ، لان مهمته قد انتهت عند ذلك الحد . ويسمع دانتي صوتا يقول له : « لا تبك يا دانتي على تراق فرجيل » . واذا يسمع الشاعر اسمه يلتفت الى مصدر الصوت فيسرى المرأة تنظر اليه وتقول : « انظر الى جيدا ، انا بياتريشه . فيشعر الشاعر بالارتباك والخجل ، ولكن المرأة تنظر اليه بمثل حنان الوالدة ، ثم تلتفت الى الموكب وتمضي ليرى لهم قصة حب دانتي لها ، وانغمسه في الرذائل بسد موتها ، وتوثبه على ذلك ، فيعترف بخطئه وسوء تصرفاته ثائبا نادما .

كل ذلك يجري وما يزال النهر يفصل بين دانتي والموكب . وحينما ينتهي دانتي من سرد اعترافاته تقدم ماتيلدا وتغمس الشاعر في نهر « ليتيه » لكي يطهر من خطايه ، وتتقدم النساء السبع اللواتي على يمين العربية ويسارها فيقدهن الى امام العربية ، ثم يتوسل الى بياتريشه ان تحسر القناع عن وجهها امام فتاها الامين ، فلا يلبث القناع ان يحسر عن الحسن السماوي الباهر . وبمضي الشاعر عن فتاته في وسط الموكب العظيم . وبعد مرحلة قصيرة تتخللها مشاهد غريبة ومحاورات مختلفة ، تعود ماتيلدا وتغمس الشاعر في نهر « ايونوبه » لتتجدد نفسه بالنعمة والفضيلة ويصبح صالحا لدخول السماء ، فيشعر دانتي بانه قد خلق من جديد ، وانه مستعد لان يصعد مع فتاته الى النجوم . وينتهي عند ذلك فصل الطهر ، وبعده تشاهد دانتي مع بياتريشه في السموات العلى وهي تقوده من سماء الى سماء ، وتشرح له كل ما يراه ، وتقف معه عند من يرقب في التحدث اليهم من سكان السماء ، حتى يصل بهما التجوال الى رؤبة الجلال الالهي الذي تحيط به تسع حلقات من النور ، هي اجواق الملائكة القائمين على تسبيحه . وبياتريشه لا تزداد ان تالقيا وجعلا كلمتا اقتربت من العرش ، حتى تبلغ من روعة

انهم يستحقون الجحيم بما أسأؤوا به الى وطنهم وقومهم ،
وبين هؤلاء بابوات وكراذلة ورجال دين كثيرون اخرون ،
ورفع الى السماء عددا آخر من مواطنيه الذين رآى انهم قد
ادوا واجبههم الوطني والانساني في الحياة ، ووضع في
المطهر واليبس جماعة اخرون ممن رآى ان سيئاتهم ليست
من النحل بحيث تستوجب العذاب الدائم ، او لا تستوجب
من صنوف العذاب اكثر من الحرمان من رؤية الله . ففي
اليبس ، مثلا - وقد جعله اول درك في الجحيم ، والذين
فيه لا يتعذبون باكثر من الحرمان من رؤية الله ، لان ذنبهم
الوحيد انهم ماتوا دون معمودية ، اذ لم يعرفوا دين
المسيح - نجد عددا كبيرا من العظماء والفلاسفة : منهم
ارسطو ، وسقراط ، وافلاطون ، وهوميروس ،
وهوراسيوس ، واوفيد ، وسينيكا ، وغيرهم كثيرون .
ونجد بين هؤلاء ايضا ابن رشد ، وابن سينا ، وصلاح
الدين الايوبي .

ولقد جعل دانتى للجحيم حلقات ودركات متعددة ،
وزرع فيها الهالكين بحسب وفرة ذنوبهم ونقلها ، وقسم
لهم حظوظهم من العذاب بحسب تلك الذنوب . ونحن نجد
البابا يقولوا الثالث والبابا بونيفاشيوس الثامن ، والبابا
كليمنت الخامس - وكلهم من معاصري دانتى ، ومن كان
لهم نصيب من الانارات الحزبية البغيضة التي كانت تشعل
البغضاء بين مواطنيه - نجد هؤلاء الثلاثة في الدرك الثالث
من الحلقة الثامنة ، وعذابهم هو ان رؤوسهم الى اسفل
وارجلهم مشتعلة بالنيران (النشيد ١٩ من الجحيم) .
والى جانب هؤلاء نجد كثيرين آخرين من مواطنيه في
دركات وحلقات من الجحيم غير هذه .

وكما قسم دانتى الجحيم كذلك قسم الفردوس ، وزرع
الصالحين في حلقاته وسمواته المختلفة . ومن ذلك اننا
نرى الامبراطور هنري السابع ، من لكسمبورغ - وكان
دانتى من مفاه يرى فيه المنفذ من القوضى والحزبية ومن
نفوذ البابوات ، فيبعث الى قومه برسائل حارة متلاحقة
يدعوه بها الى الانفاف حوله للخلاص معا هم فيه من
قوضى ونزاع ، ولكنه لم يتح له ان يحقق احلامه بمفراه
في النشيد الثلاثين من الفردوس يتربع في حلقة رائعة
من ارواح الصالحين في ارقى طبقات السماء .

ولكن لماذا صب دانتى ثقته على عدد غير قليل من
البابوات والكراذلة وغيرهم من مختلف طبقات رجال الدين ،
فجز بهم في الجحيم ، وصورهم في مشاهد من العذاب
تقتضئ لها الابدان ، مع انه كانوليكي صميم ، وذو اطلاع
واسع على مبادئ الدين واللاهوت الكاثوليكي ، وقد
حارب جده « كاثشيا غويدا » تحت لواء البابوات في
صفوف الصليبيين ، ونال من الملك كونراد الثامن لقب
فارس ؟

لا شك في ان الدافع الاول هو ما كان دانتى يراه من
انصراف رجال الاكثيوس عن امور السماء ، وانغماسهم
في امور الارض ، وتقسيمهم الناس - بواسطة نفوذهم
الديني - الى فئات متباغضة متطاحنة . وشيء اخر هو
ما كان يراه لدى بعضهم من الاهتمام بجمع المال وتكديسه ،
مشتغلين به عن تادية رسالتهم الدينية . والمشتغلون بجمع
المال يدعوه « السيمونيين » ، نسبة الى رجل سامري
كان يدعى « سيمون الساحر » اراد ان يشتري بالمال من
القديسين بطرس ويوحنا المقدرة على منح الروح القدس
بالمعمودية للناس . ففي النشيد ١٩ من الجحيم نجد -
كما اسلفنا - البابا يقولوا الثالث - المتوفي سنة ١٢٨٠ -
ينتظر مجيء البابا بونيفاشيوس الثامن - المتوفي سنة
١٣٠٢ - لكي يسقطا معا الى حيث يقيم اسلافهما في
الهوة المضطرة ، ثم نجد بونيفاشيوس هذا ينتظر مجيء
خلفه كليمنت الخامس - المتوفي سنة ١٣١٤ - ليلحق
به الى مكانه في الجحيم ، حيث تنقلب رؤوسهم الى
اسفل وترتفع ارجلهم في الفضاء والنار تشتعل بها .

اما يقولوا بونيفاشيوس فقد اساء كثيرا الى مواطني
دانتى والى بلده في اشتغالها بامور السياسة والعداوات
الحزبية ، اما كليمنت الخامس فقد تأمر مع الملك فيليب
الرابع ، ملك فرنسا ، على خلع بونيفاشيوس عن عرش
البابوية لكي يحل هو محله ، فلما تم له ذلك نقل الكرسي
البابوي الى فرنس . وكذلك تأمر معه على ازالة رهينة
الهيكلين .

وفي النشيد اخري من الجحيم نجد آخرين من هذا
النوع من رجال الدين المتصرفين عن تحقيق رسالتهم
الروحية . ففي النشيد الثالث نجد البابا سلسنتين
الخامس في الحلقة الاولى من الجحيم . وسبب وجوده
فيها انه رفض مقام البابوية الرفيع ، بعد ارتقائه اياه بمدة
قصيرة جدا ، هربا من اعبائه . ويقال ان بونيفاشيوس
هو الذي راح يغريه ويقتعه باعتزال البابوية بحجة الانصراف
الى تخليص نفسه ، فاحتار سلسنتين يوم عيد القديسة
لوشيا من عام ١٢٩٤ ، وبحضور الكراذلة خلع عنه تاج
البابوية وشاحها ، واعلن انه انما يفعل ذلك رغبة في
الخلاص . وهكذا تسنى لبونيفاشيوس ان يحتل مكانته
بيسر وسهولة . اما عذاب سلسنتين في الجحيم - ومعه
كثيرون اخرون - فهو انه يجري عاريا دون انقطاع ،
والزنايب ماضية في لسعه وتعذيبه ، فتختلط دماؤه
النازفة بفزارة بدموعه السخينة المحرقة المنحدرة
على وجهه .

وفي النشيد السابع نجد جماعة كبيرة من رجال
الاكثيوس والكراذلة الذين عرفوا بالبلخ والجشع في
حياتهم ، وهم يعيشون في عذاب الجحيم في قبور منتنة ،
ولا يغطي رؤوسهم شعر . وفي النشيد العاشر نجد
الكاردنال « اوتافيانو اوبالدني » الذي كان لقبه

« الكردينال » يفني عن اسمه لشهرته ، وكان هذا من أكبر انصار حزب « الجليليين » في فلورنسا وحماتهم ، ويدلن بفلسفة أبيقور : فلسفة للسدة وفناء الاجساد والارواح معا .

وفي النشيد الحادي عشر نجد في ربح كريمة عفنة بابا آخر هو البابا انتسمايوس ، وجريمته هي انه آمن بتعاليم فوتينوس الذي كان يقول ان المسيح ليس سوى انسان كبقية الناس ، وانه ابن شرعي لـيوسف ومريم ، وليس له من صفة الإلهية شيء البتة .

ويطول بنا نفس الحديث لو اردنا ان نقصى جميع من راهم دانتى في رحلته الطويلة في الجحيم وفي المطهر وفي السماء ، او على الاصح الذين وزعم هو على تلك الاماكن الثلاثة تحقيقا لشرعة العدالة الدانتية . غير اننا سنعرج قليلا على بعض العشاق الذين زج بهم دانتى في جحيمه ، لا لشيء الا لتدنيهم قدسية الحب . ان دانتى لم ينس وهو يوزع ارواح الموتى على اقسام العالم الثاني ان يجد مكانا في اعماق الجحيم لجماعة كانوا في حياته قد أسأوا الى قدسية الحب ، الذي يقسده دانتى ، والذي وضع كوميدته الالهية باجزائها الثلاثة تخليدا له ، ولأجله عاش حياته وادبه .

ولقد يكون هؤلاء الناس في حاجة الى نظرة عطف من دانتى ، وهو الاديب البعري القل الذي يقدر ما للعاطفة الجنسية من سيطرة على اعمال الناس ، وما للجمال من فعل في نفوسهم ، ويعرف ان الحب اذا استولى على انسان افقده . في كثير من الاحيان - سيطرة العقل والارادة ، وجعله يستسلم الى الذلة الجنسية والروحانية لذة الاستمتاع بالجمال ، والاخلاد الى الرقة والعذوبة والانفاس الدافئة . غير ان دانتى الذي كانت النزعة الدينية الكاثوليكية الصارمة مسيطرة على تفكيره ، لم يكن في وسعه ان يغفر لهم لحظات اللذة العارمة ، وخرجهم عن تقاليد الدين والجمع ومثلها العليا في الاخلاق والسلوك الانساني ، وان يكن قد ابدي الكثير من العطف عليهم ، والرثاء لهم وهو يروي حكاياتهم .

ولسنا نريد ان نقسو على دانتى كثيرا في حكمنا ، وحسبنا ان نعدد هؤلاء الذين زج بهم في جحيمه من اهل اللذة ، ومهمدي تقاليد الدين والجمع بشهواتهم الجسدية ، والذين يدعوه في النشيد الخامس من الجحيم « خطاة الجسد » او « الشهواتيين » ، وقد ذكر منهم سبعة ازواج من المشاهير ، هم :

١ - الملكة سميراميس الاشورية - التي خلفت زوجها نينوس على عرش الامبراطورية . وتقول بعض الروايات انها قد عاشت ابنها « نيناس » معاشرته الأزواج ، حتى قتلها ابنها هذا وتخلص من عاره وعارها . ومثل هذا الحب قليل عليه المكان الذي خصصه له دانتى في الجحيم ،

في الحلقة الثانية منه ، وقليل عليه العذاب الذي وصفه له ، اذ جعل اصحابه يدورون في قلب عاصفة مربعة ، وجعل اصواتهم في قلبها شبه بهواء الكلاب .

٢ - الملكة ديدونا القينيتية - وهي مؤسسة قرطاجنة . وتقول الروايات انها كانت قد اقسمت بعد وفاة زوجها « سيخاوس » على ان تحافظ على عفتها ، وتضون عهده ، ولكنها لم تلبث ان عشقت انياس الطورودي الذي تقول الاسطورة ان الريح قد حملته الى قرطاجنة ، واستسلمت معه الى شهوات الجسد ، ثم هجرها انياس ، فأعماها الياس ودفعها الى الانتحار .

٣ - الملكة كليوباترة المصرية - ويذكر التاريخ انها كانت قد غرقت في فجورها وفي شهواتها مع يوليوس قيصر اولا ، ثم مع انطونيوس ، وأخيرا انتحرت بالسسم ياسا كذلك .

٤ - الملكة هيلانة اليونانية - تلك التي ثارت لاجلها حرب طويلة الامد بين اليونان واهل طروادة بعد ان اختطفها باريدس ، ابن ملك طرواده ، من زوجها ملك اليونان . وتروي الاسطورة ان امرأه يونانية قد فتكت بها بعد هودنها الى اليونان ، انتقاما لزوجها الذي قتل وهو يحارب في طرواده لاجل استردادها . ونجد معها في الجحيم خاطفها باريدس الذي اسلمت اليه جسدها ، ورضيت بان تفر معه من احضان زوجها ، وان تسمح بآثاره حرب طاحنة ، كثيرة الضحايا والتكاليف ، بين قومها اليونان واهل طروادة في سبيلها .

٥ - أخيل ، البطل اليوناني - وبرى انه قد عشق « بوليكتا » أخت باريدس الطورودي الذي خطف هيلانة ، وانه في عشقه قد اندفع الى خوض الحرب الطروادية الطويلة الدامية ، غير انه لم يلبث ان اغتيل بسبب افتراءه بها .

٦ - تريستانوس - وهذا ليس في مثل شهرة زملائه السابقين . ويقول شراح الكوميديا الالهية انه من فرسان المائدة المستديرة في العصور الوسطى ، وكان عمه ملكا على « كورنوفاليا » واسمه « مرقس » . وقد عشق تريستانوس زوجة عمه الملك ، واسمها ايزوتا ، فلما علم عمه بامرهما قتلها معا بالسهم .

٧ - فرانيسكادا ريميني - ولهذه المرأة شهرة زملائه لدى دانتى ، وقد اسهب في الحديث عنها دون بقية زملائها وزميلاتها ، فهي عمه « غويدو نوفيلودا بولينتا » الذي قام عند دانتى في مدينة رافينا السنوات الاخيرة من عمره ، وابنة « غويدودا بولينتا » المتوفي سنة ١٣١٠ ، وكان والدها سيد « رافينا » ، وقد زوجها الى سيد « داريميني » واسمه « جانتشوتو مالانسيا » وكان هذا امرج شديد الدمامة ، بينما كانت هي رافعة الجمال . وكان لزوجها اخ شاب وسيم جدا اسمه « باولو مالانيسا » ، وكان

بان خلد ذكر فضائحهم في جحيمه ، وعزى الحزان وشدد الضعفاء في مطهره ، بينما رفع الى فردوسه ابطال الفضيلة والصلاح .

ومن الميم جدا ان نلاحظ اثر بياتريشه في هذا العمل الادبي الذي خلد به دانتى وخلدها معه ، فلقد كانت هي العامل الاول والوحي به على الرغم من ان الملهة كانت عملا تأمليا قبل كل شيء - كما يقول تاسو - وعلى الرغم من ان دانتى قد اراد بوضعها ان يغيظ خصومه في فلورنسا ويتمجد بها امامهم ، كما اراد بها اشياء اخرى يشرحها ارتورو مانيو بقوله : « من المؤكد ان الدافع الى وضع هذه الآثار الاخلاقية - مثل الوليمة ، والملهة الالهية - هو رغبة الشاعر في أن يتمجد امام مواطنيه الذين طردوه من وطنه . ولكن كان هناك ايضا التأكيدات التي يلح في تكرارها في مواطن متعددة من الملهة بنوع خاص ، بان الله قد ارسله لكي يرشد الناس الى طريق الخلاص ، تلك الطريق التي يسقط الله لجميع الناس ، ولكنهم ضلوا عنها ، ولن يكون في وسع الفاسدين والمرتشين وعباد المال من رجال الدين ان يهدوهم اليها » .

واذا كانت في الملهة اشارات عديدة تدلنا على ان دانتى قد جعل هذه الرحلة الفكرية الطويلة سعيا الى لقاء حبيبته بياتريشه ، وان هذه الحبيبة هي التي ارسلت اليه شاعره المفضل فرجيل لكي يقوده في وسط مسالك العالم المجول حتى يوصله اليها ، فان بياتريشه نفسها تسطر على الفصول الستة الاخيرة من « المطهر » وعلى جزء « الفردوس » بأكملها . ثمند الفصل الثامن والعشرين من « المطهر » حتى نهاية الفردوس والقارئ يرى بياتريشه ويسمع حديثها ، ونتم مع دانتى بمرافقتها .

ومن المؤكد ان كل ما في الملهة رموز واسارات فكرية ، فيها الكثير من الفلسفة العميقة واللاهوت ، ومن الغموض ، ومن المسائل التي تشتبك في ذهن القارئ وتداخل . حتى فتاته بياتريشه نفسها لم تكن سوى رمز - ولكنه رمز عظيم السمو - فهي تعني « المعرفة الالهية » التي ليس غيرها يستطيع ان يقود الانسان الى سعادة الروح الحقيقية الخالدة . اما فرجيل الذي ارشد الشاعر اليها فلم يكن سوى رمز الى « العقل » الذي يستطيع ان يقود الانسان الى المعرفة الالهية ، والذي تسخره هذه المعرفة لقيادة البشرية ، كما سخرت بياتريشه فرجيل لقيادة دانتى ومرافقته في شعاب الجحيم والمطهر حتى اوصله اليها . وليس في وسعنا ان نشرح في مثل هذه العجالة شيئا من الرموز العديدة التي تتضمنها هذه الملهة ، أو الرحلة الخيالية التي وسمت مطلع عصر النهضة الاوروبية بعيسها ، فكانت اشهر عمل ادبي ظهر فيها في بداية عصر النهضة الفكرية في القرون الوسطى . ولكن من الميم ان نعرف ان في تلك الملهة من الافكار الاجتماعية والانسانية والدينية ما يؤكد ما ذهب اليه ارتورو مانيو حين قال ان

كثيرا ما يجتمعان معا بحكم وجودهما في اسرة واحدة ، دون ان يثيرا ادنى رغبة في نفس الزوج . ولكنها كانت مرة تستمع اليه وهو يقرأ لها في خلوتهما قصة احد فرسان المائدة المستديرة ، واسمها « لانتيالينو » مع الملكة « جينيفرا » ، حتى وصل الى تقبيل الملكة للغراس قبلية طويلة ، وعندئذ التقت عينا فرانيسكا بعيني باولو ، واشتعلت الشهوة في جسديهما ، فلم يملك الا ان يفعلوا ما فعلت الملكة جينيفرا وفارسها . ومنذ ذلك الحين استمرت الصلات المحرمة بين باولو - وهو متزوج ، ووالد لبنت وولد - وزوجة اخيه ، وغرقا معا في الفحشاء والفجور من غير حساب ، ومن دون رقيب، الى ان فاجأهما الزوج مرة في مضجع واحد ، فقتلها معا . ويقول دانتى على لسان فرانيسكا وهي تروي له قصتها من خلال العذاب الذي تعانيه هي وعشيقها في الجحيم : « ليس بين جميع الاعذية ما هو اشد مرارة من تذكر اوقات السعادة من خلال الشقاء » .

ولقد نالت قصة فرانيسكا دا ريميني هذه شهرة غير قليلة في الادب الإيطالي بشكل خاص ، فتداولتها اقلام عدد من الادباء ، ومن بين هؤلاء « سيلفيو بيليكو » صاحب كتاب « سجون » الذي يعتبر بين اشهر المؤلفات الادبية الإيطالية .

اما دانتى ، فعلى الرغم من ان هؤلاء الذين اختارهم كانوا من ذوي السموات الجسدية المحرمة ، فانه كان يولي لحالهم وهو يصف العذاب الذي يقاومونه في الجحيم ، فنراه يقول : « وبينما كان رفيقي العقيم يذكر لي اسماء النساء القديمات والفرسان ، شعرت بأعياق عظيم عليهما واضطراب شديد الميم » .

الا اننا نمتعج كثيرا حينما نبحت في حصة السماء لدى دانتى ، فلا نجد انرا للمحبين الذين صانوا الحب عن كل رجس وذنس ، على الرغم من انه دعا السماء الثالثة « سماء الزهرة » ، والزهرة هي عينها فينوس الهة الجمال ، وام كيوبيد الجميل ، رامي سهام الحب الى القلوب الرقيقة ، وجعل تلك السماء مقرا للارواح المحبة التي تظل ترتل فرحة تفرية . غير ان الحب في هذا المكان ينفلت من معناه الحسي الجسدي ليصبح شغفا عاما بكل ما له صلة باعمال الخير والرحمة والانسانية الخالصة . وترافق ارواح المحبين في سماء الزهرة جوقة من الملائكة الابرار ، كما في كل سماء اخرى من السموات العشر التي افرد لها دانتى الجزء الثالث من كوميدته الالهية .

لقد اطلنا الوقوف عند الكوميديا الالهية ، لانها اهم الاعمال الادبية التي كتبت لدانتى الجيبرى مجد الخلود ، والتي وصفها صاحب كتاب « قدوات للشبيبة الإيطالية » بقوله ان دانتى « قد انتقم فيها اشد الانتقام من اعدائه

هذه الملهاة « قصيدة عظمى ، أريد لها أن تكون عملاً تعليمياً قبل كل شيء ، ولكنها جاءت بدلاً من ذلك قصيدة خالدة على الدهر » ، وما قاله فيها شيزاري بالبو : « ان ذاتي واغنيته سيظلان مدى الدهر الرجل والاغنية اللذين لا مثيل لهما » .

إذا كنت لم اتحدث حتى الآن عن عصر ذاتي ، وعن اتجانه الادبي الباقي بتفصيل ، ولم اتحدث كذلك عن حياته ونضاله السياسي والوطني ، فليست اشك في انكم ستلتصمون لي بعض العذر . ولكن ما لا تغفرونه لي هو ان لا اعرض لقضية المصادر العربية والاسلامية في الكوميديا الالهية : هذه القضية التي كانت في الاصل اجتهاداً من مستشرق اسباني اسمه « ميغيل اسين بالانيوس » طلع به على الناس في كتاب له عنوانه « فلسفة الحشر والتشرع الاسلامي في الكوميديا الالهية » عام ١٩١٩ ثم ايدته - بشكل موارب الى حد ما - المستشرق اليطالي انريكو تشيرولي عام ١٩٤٩ بكتابه « كتاب المعراج ومسألة المصادر العربية الاسلامية للكوميديا الالهية » وتحول الامر لدينا نحن العرب الى نوع من الاعتزاز القومي ، تردده - عن علم وعن غير علم - وفي الغالب دون ان تكلف انفسنا عناء الاطلاع والمقارنة ومناقشة النصوص لتثبت من الحقيقة .

والاعتزاز القومي شيء والحقيقة شيء آخر ، ولا سيما اذا قام الامر على مجرد حدس واجتهاد لاحد الناس لم يناقش مناقشة كافية للوصول الى الحقيقة الخالصة الصافية . ولئن كانت هناك مواطن التشابه بين الكوميديا الالهية وبعض المصادر العربية والاسلامية ، وأذا كان ذاتي وابق الصلاة باستاذة برونيتو لابيني الذي كان قد تنقل بين ايطاليا واسبانيا وفرنسا - ولنا واليقين ثقة إكيدة من انه اطلع على شيء من المصادر العربية والاسلامية في تقلاته هذه - ثم اذا كان جد ذاتي « كاتشيا غويدا » قد خارب في صفوف الصليبيين في بلاد العرب والاسلام ، فكل ذلك لا يقوم دليلاً على ان ذاتي قد اطلع - عن احد هذين الطريقتين او سواهما - على قصة « الاسراء والمعراج » او على « رسالة الغفران » او على فلسفة محيي الدين بن عربي او سواه من متصوفة الاسلام ، وانما تظل هذه مجرد

شكوك فتفتقر كل الافتقار الى الدليل الاكيد . والعبرة ، على كل حال ، هي بالعمل الادبي نفسه : بأسلوبه ، وغاياته ، وتصوراته ، ومضمونه ، ودوافعه ، وهذه جميعها مختلفة كل الاختلاف عن المصادر التي رأى بالانيوس وتشيرولي ان ذاتي قد تأثر بها . وكمن نودي من صميم قلوبنا ان يكون هذا التأثير حقيقياً ليكون اعتزازنا القومي راسخاً اكيداً . غير ان الادباء العرب الذين درسوا النصوص في مصادرهما وفي لغاتها الاصلية ، لم يستطيعوا ان يبينوا هذا التأثير تبيناً حقيقياً ، ولا استطاعوا ان يقتنعوا بما توصل اليه اجتهاد بالانيوس وتشيرولي من بعده . وانما اذكر ههنا الادب المصري حسن عثمان ، مترجم « الجحيم » من كوميدية ذاتي ، وكاتب مقدمتها الفصلية النفسية ، والاديب الليبي مصطفى آل عيال ، صاحب كتاب « ذاتي » في سلسلة « اقراء » عام ١٩٥٦ ، والكاتب المصري طه فوزي ، مؤلف كتاب « ذاتي الليجيري » عام ١٩٣٠ . وهؤلاء جميعاً درسوا ذاتي في لغته الايطالية ، واطعوا على الآثار العربية والاسلامية التي يقال ان ذاتي قد تأثر بها ، ولكنهم لم يقتنعوا اقتناعاً فعلياً بذلك ، وانما راعتهم الاصلة في الموضوع وفي الاسلوب ، وفي قوة التصور لدى ذاتي . اما طه فوزي فقد اثر عدم الإشارة الى الموضوع في كتابه ، بينما اشار اليه حسن عثمان وآل عيال إشارة فيها من التهرب والواربة اكثر مما فيها من الإنشراح ، بل لقد عمد آل عيال الى مناقشة اسين بالانيوس في بعض ما ذهب اليه ولا سيما في قضية الاسد والذئب اللذين ورد ذكرهما في رسالة الغفران ، واتقيف اليهما لدى ذاتي نمر ايضا - او بعد كما ينبغي - . فهو يقول في الصفحة ٩٣ من كتابه « ولنا في حاجة الى المعري لشرح مسألة الاسد والذئب والفهد عند ذاتي ، وقد خرجت عليه من الغابة المخيم عليها السواد . ان هذه الحيوانات الثلاثة موجودة ايضا في اصحاب ارميا ، آية ٥ . فلماذا لا يكون ذاتي استوحاها من هنا ؟ وعلى اي حال ان اصلة ذاتي تجاه المعري والكتاب المقدس هي في اللوحة الحية التي يعطينا عن هذه الحيوانات الثلاثة بحركاتها وطباعها وطبيعتها ، وعلى الاخص بالاسرار التي تكنف معانيها الجمة » وينتهي اخيراً الى القول : « ونحن بدورنا لا نريد ان ننقص من حق المعري - الذي هو في غنى عن ان يضاف الى مجده مجد آخر - . كل كاتب كبير له حتماً شخصيته الخاصة به ، والتي لا يمكن ان تجاوزه الى غيره . وهكذا فالمعري العربي المسلم ، وذاتني المسيحي الايطالي ، كلاهما قد تبسط ، كل حسب طبيعته ، بالفكرة التي سبق ان كانت سائدة قبله ، وهي الرحلة الى العالم الآخر حيث يلتقيان بأشخاص لهم اهميتهم » . ويضيف : « ان الكوميديا الالهية هي معرض حي للصور الشخصية ، تبقى منقوشة في مخيلتنا احسن ما يكون النقش . اما عند المعري فالامر على العكس تماماً : ليس لاشخاصه وجه بالتميين يستلقت اليه النظر »

الاعلان في الاديب

يبقى عرضة للانظار شهراً كاملاً

ادبه فجراً للنهضة الفكرية ، وكان من اكبر العوامل على تبديل لغة الادب والفكر التي كانت تسود العالم الغربي الى ذلك الحين ، وهي اللاتينية ، فقد كتب كوميدته باللهجة الاباطلية التي كانت اذ ذاك تعتبر لهجة عامية ، وبذلك اعطى اللغات القومية قيمة ذاتية لم تلبث معها ان حلت محل اللاتينية في مجالات العمل الفكري ، او ما يدعى باسم « الانسانيات » . واذا كان هو قد اكتفى بان يدعو تحفته الكبرى باسم « الكوميديا » فقد كان تقديرا في محله ان يضيف لهما زميله الادبي الكبير بوكاتشيو فيما بعد اسم « الالهية » وان تظل الى اليوم تحمل هذه التسمية كاملة ، وتظل قيمتها الادبية والفنية على سمتها الرفع رغم تطاول الزمن .

وعلى الرغم من تعدد مؤلفات دانتي ، التي كتب بعضها باللغة اللاتينية وبعضها بالاباطلية ، فان الكوميديا تتفرد بينها بالابداع الفني الذي يجعل من دانتي شاعرا عاليا عظيما ، وفي المرتبة الاولى بين اكبر من اجنتجت البشرية من ابنائها الخلاقين ، الذين يقومون عناوين لعظمة الفكر الانساني . وكوميديته هذه عمل ولده الالم والصراع ، فقد بداها - كما يقال - قبل النفي والتشرد ، وانتهى منها قبل وفاته بأسابيع قليلة ، كما يقال ايضا ، اي انه عمل في سجنه نحو من احدى وعشرين سنة كما يقول البعض ، او على الاقل اربع عشرة سنة ، كما يعتقد البعض الاخر ممن يرون ان دانتي كتب « الجحيم » ما بين عامي ١٣٠٧ - ١٣١٠ . (المجلة « المطهر » ، ذ « الفردوس » .

ولعل اقسى ما في الم دانتي الموحى هذا اتهامه من قبل ايام بلده ، بعد هجوله حزب السود - البايويين - الحكم في فلورنسا ، بانه استغل وظيفته ، وانسه كان يقض ويرتشي . كما ان طول النفي ترك في قلبه اقسى اصناف الالم والمرارة . ومن هذا كله استمد دانتي ما في الكوميديا من العنف ، ومن صور العذاب والالم البالغة الرهيبة . اما السبب في تسمية هذا العمل الادبي العظيم باسم « الكوميديا » او الملهة فهو لانها تبدأ بالالم والعذاب في الجحيم ، وتنتهي بالقبطة والسعادة في الفردوس . واية غبطة وسعادة اعظم لدى دانتي من ان يصل اخرا الى الفتاة التي يحبها ، وان يستمتع معها بالنعيم الخالد في السماء ، مع الملائكة الذين يطوفون بعرش الخالق ويسبحونه دون انقطاع في عالم النور والجلال الذين لا حد لهما ، ولا يبلغ الوصف مداهما ؟

وبعد فهذه جولة عابرة سريعة في كوميدية دانتي ، ارجو ان اكون قد استطلعت فيها ان اعطي صورة ما منها . وانا اعترف بان البحث فيها ليس من الامور السهلة على كثرة ما كتب فيها الكاتبون في مختلف العصور والاقطار . فهي من اجل الاعمال الادبية العالمية .

عيسى الناعوري

عمان

واما حسن عثمان فانه يمضي في كلام طويل يتحدث عن الرحلات الخيالية الى العوالم الاخرى التي سبقت رحلة دانتي ، فيقول : « لم يكن دانتي بطبيعة الحال اول من تناول في الكوميديا عالم ما بعد الحياة ، فلقد تناولت ثقافة البشر هذه الناحية من اقدم العصور ، من سيبيريا ، الى الهند ، وبابل ، ومصر ، وسوريا ، وفارس ، واليونان ، وروما ، واسكندريه ، وايران ، والاندلس » . ثم يمضي فيقدم الادلة على ذلك في اكثر من اربع صفحات من القطع الكبير ، ويتطرق بعد ذلك الى حكاية بالاثيوسوس وتشيرولي ، ولكنه لا يناقش شيئا مناقشة سافرة صريحة ، الا انه بعد ان يشير اشارات غير متقنة الى ما قد يكون دانتي سمع به عن راي الاسلام والمسلمين في عالم الآخرة ، يؤكد في الصفحة ٦١ ما يلي : « والصلة ضعيفة بين دانتي وابي الغلاء المعري في رسالة الغفران ، لاختلاف الطريقة والمضمون العام في كل منهما » . ثم ينهي فصله ذلك بقوله : « واذا كان في الكوميديا اوجه شبه بما سبق دانتي من الافكار عن عالم ما بعد الحياة ، فانها تختلف وتميز بيناتها وتفصيلاتها ومضمونها وهدفها » .

والحقيقة انه ليس من السهل ان يجزم المرء كما جزم محمد كرد علي بان « اعنى المعرة كان معلما لنانة ايطاليا في الشعر والخيال » . وليس يقينا ان دانتي تأثر بمصادر عربية اسلامية اخرى ، ولا هذا لم يبق عليه دليل ثابت حتى الان ، ولكنني اعتقد انه قد يكون لرويا القدس بوحنا شيء من الاثر في خياله وتفكيره ، كما ان من المؤكد ان دانتي كان ضمن نطاق عقيدته الكاثوليكية الراسخة في تصويره للجحيم والمطر والفردوس ، وليس في خياله شيء المميس . وليس في اعتقاد غير المسيحيين شيء اسمه الجحيم ، كما ان صورة المطهر لدانتي هي صورة كاثوليكية صميمية ، ولا عبرة بالاشخاص الذين حشرهم الشاعر في مختلف الاماكن التي تطرق اليها في كوميدته ، فقد راينا في ما سبق ان البيئة الفلورنسية كان لها اثرها الكبير في عاطفته - حبا وبقضا - نحو من زج بهم في جحيمه ، ومن رفهم الى سماءه ، واما الاثر الباقي من عاطفته هذه فهو كله لعقيدته الدينية الكاثوليكية ، وهناك من يصنفون الكوميديا الالهية بعد الكتاب المقدس ، ويرون فيها تفسيراً لما لم يفسره الانجيل ولا اعمال الرسل عن العالم الاخر ، ولكن دون اقل معارضة لروح العقيدة الكاثوليكية . ولا غرابة في ذلك فقد كان دانتي عميقا في كاثوليكيته ، وقد تلقى دروسه في دير للفرنسيسكان ، وتعمق في الدراسات اللاهوتية . ومع انه زج ببعض البياوت فيهم من رؤساء الدين الكاثوليكي في اعماق جحيمه ، فان ذلك لما يعتقد من انهم خانوا رسالتهم الدينية واساؤوا الى الدين الذي يشرون به ، وبعضهم اساءوا اليه هو نفسه ، واشتغلوا بالدنيا عن الآخرة ، وبالمال عن رسالة الروح .

لقد وجد دانتي في مطلع عصر النهضة الأوروبية ، وكان

والقلق ، فقد احتشدت الجموع وجعلوا ينظرون لكل شيء غري ثم شوهدت حركة غير عادية في الجمهور وأعقبها كثير من الهرج والمرج وتهامس الناس وأومضت على وجوههم ابتسامة ارتياح وماج بهم المكان واضطرب قلقت في نفسي ربما عرفوني ولكني علمت بعد لحظة أن سبب هذا الالتفات ظهور ممثلة تأدية محدودة الطاقة تتبعها حاشية من أسرى الغرام تشق عباب الجماهير كالباخرة المزينة وراءها الزوارق والعوامات ، والسفهاء المغفلون يشيعونها بالحاظ الصبابة والهيام .

وانتهى الحفل وخرجت جميع الصحف لتحدث عن المهرجان وحضور صاحب الفخامة محافظ المدينة وفئة من كبار الموظفين وكان من بين الحضور الممثلة الطائفة لصيت قرّة الاعين وزهرة النفوس تختال بين الصفوف في حلة ارجوانية موشاة تكاد من فرط حسنيتها تأكلها القلوب وتشربها الضمائر .. اما انا فعلى العفاء وفي سبيل الشيطان تعبي والى جهنم وبئس المصير » .

هذه فقرات من قصة رائعة ذكرتها في مقدمة حديثي عن شاعر كبير بغته ضئيل بسمعته وصيته فارق الدنيا منذ ثلاثة اشهر فما سمع به احد ، وراح كما عاش حزينا متواويا تاركا وراءه من رائع الشعر وجميل البيان ما لم ينتركه مئات الشهورين من رواد المحافل ، وشتملي الصحافة وعشاق الهتاف والصخب .

منذ ثلاثة عشر عاما نقلت الى بعض المدارس الثانوية في الصعيد الأوسط بالجمهورية العربية في ابو تيج ، وكان الجغرافيا على فاخذت اقرب الي من اتوسم فيهم الثقافة والمعرفة ومن بينهم اصحاب الجرائد المحلية ذات الصيغة الإقليمية الضيقة ! وانا ساء الظن بها - ولا ادري لماذا - ولكن فراغ المكان يجبرني على الاتصال بالناس ، فوقع في بدي عدد من اعداد هذه الصحف لا يزيد جمعه عن ثلاث ورقات لمحت في سطورها قصيدة شعرية ظننتها سلفا لشاعر مبتدئ يعالج النظم فلم احرص على الاستفادة منها ! ولكن الورقات الثلاث لا تحمل غير الاعلانات وحوادث الاقليم وقصيدة الشعر فاضطرت الى قراءتها ، وراغسي بل اذهلني شهد الله ان احد نعتا رائعا من البيان لو نسب الى شاعر عظيم كعباس محمود العقاد مثلا ما شك في نسبته منقذ ! وكانت القصيدة تصف موكبا جنازيا لشهيد جندي وقد ابتدأها صاحبها الاستاذ محمد عثمان الصمدي بقوله :

فوق التائب لفه العلم
لله معتد ومزدهم
اهلا توكف بينهم رحم
الا له باخيه معطسهم
فيه فكم من موطن قدم
طالع الردى والهروب والعدم
حزن على القسيمات مرتسم

طلعوا به ملقى عليه دم
حسنت حوالي ركبته زمر
ابقاهم الصوت الزوالم له
ملئوا السبيل فما ترى رجلا
لم يصروا للخطو موضعه
حف الجبال بهم فهد طلعوا
لا ينسبون وفوق اوجههم



محمد رجب البيومي

شاعر يودع الحياة في صمت !

محمد عثمان الصمدي

بقلم محمد رجب البيومي

قرات قصة للكاتب الروسي الأشهر « لنتون تشيكوف » يتحدث بأسف ومروارة عن نصيب العلماء العاملين من الشهرة ! وقد برع الفنان الكبير في تصوير تلك الحالة الاليمة التي يحسها العبقري حين يجد نفسه هباء مضاها بين صغاليك اغبياء يتسمنون المجد الدائع والشهرة العالية سواه !! وبطل القصة مهندس ممتاز يتحدث عن نفسه فيقول نقلا عن ترجمة محمد السباعي .

« انا مهندس بارع اتبع لي ان انشئ في روسيا ثلاثين قطرة من افخم القناطر وان ازود خمس مدائن بمصانع المياه والغاز وان اؤدي اعمالا هندسية خطيرة في عدة مدن عواصم أوروبا ولي تصانف شتى في العلوم الرياضية فانا في طليعة من يشتغلون بفن الكيمياء في العالم وقد اكتشفت عدة من الاحماض والقلويات والجواهر الكشافة ولو شئت لقيت اسمي منقوشا على صفحات كتب الكيمياء بمعاهد الدراسة خارج روسيا وقد ارتقيت الى درجة مستشار هندسي وهانذا اصبح قاب قوسين او ادنى من القبر ثم لا يعرفني احد ... »

وتابع المهندس المغمور حديثه يقول « انني منذ بضعة اعوام انشأت قطرة عظيمة في بلدة كذا واقسم احتفال علني لافتتاحها فالتفت الخطاب والمقالات وجعلت انتظر اذ ذاك ترداد اسمي واتخيل الإبصار ممتدة تحوي والأعناق متطاولة الي ولو علمت الغيب لارحت بالي من كل هذا العناء

سبقت الركاب كل جلاته
يمشون مشي مكبلين وما
لم يطفئوا بغير من خطوهم
القوا للهر الأرض أوجههم
وسرى الدفول إلى مشارعهم
البعض ينظر طيله فترى
والبعض يعرف من ملاحهم
عجبا لموسيقى استجبت لها
قد ابتقلت ذكرا مروعة
فاحس سورا نوح منتحب
واحس حينما رجس ولولة
نعوا مروعة مفعجة

كانت القصيدة ذات اثر قوي في نفسي فاستعدتها مرة ثانية وثالثة ثم نالت صاحب الجريدة عنه - وهو ضعيف الثقافة محدودها - فقال انها (لخطبة) رجل مهووس (هكذا والله) بفمره دائما بالشعر ولا ينشره الا حين لا يجد شيئا ينشر ! فقلت متمجبا ان هذه القصيدة من اجل ما قيل في موضوعها ! فتضاحك الرجل وقال في استهزاء: ان الناظم (ترزي عربي) لم يتعلم في مدرسة وهو يبعث بشعره للصحف الكبيرة فترفضه . ولو كان جيدا كما تقول لرؤيت به صحف القاهرة ! فالتفت كثيرا لما سمعت ، وحرصت على ان اقابل الشاعر في بلده البعيد ، وبميت شطره راكبا المطايا وعابرا نهر النيل من ابو تيج حتى وصلت ساحل سليم ! وكان اللقاء ... !

فاجاني الشاعر بمنظره ودكانه معا ، فهو اشعث الرأس مغبر الثوب تحسبه صوفيا من ابناء الطريق قد اعتصم بالتحش والتزهدي وراى في المركب الخشن والعيش الحاف متاعه اللذبة ! اما دكانه الصغير فلا يضم غير ماكينة الخياطة وصوانا خشبيا تتناثر فوقه اوراق الكتب واقمشة الزائن ! فأسهيت في تقريره وجال بنا الحديث كل مجال فلمست اطلاعا دقيقا على شتى ضروب المعرفة العربية من ادب وفلسفة وتاريخ وتصوف ، وكان يلقي بارأه عفو البديهة فينضح بها من الاعلى الثقافية ما لا يدركه عند قارئ دارس فحسب ! بل ما يدرك عند ناخب مطلع وأكثى كثيرا ان اشهد عن ملباساته الاجتماعية وظرفونه المعاشية ما يوجع وبس !

لقد عاش مع اوشاب من الجهلة ينكرون عليه حقه في قراءة الصحف ومراسلاتها ! ومن شدا منهم بعض المعرفة لسعته عقارب الحقد فارجف به وادعى انه ناقل ينسب لنفسه ما يقوله الناس ! وقد حانت بعض المناسبات لدروع اسمه نسبيا في اقليمه لولا ان محاربة التبوغ قد ترصدته فنهضت امامه عوامل قاسية لم يستطع اذاحتها ، ولكنني تأملت موقفه ، ووعدته ان اكسون عضده الايمن بجهدى الضمائل فأتصت باستاذي الكبير احمد حسن الزيات ففصح له مجال النشر بالرسالة ، واذكر انه كتب بها خمس مقالات ثم فاجاه التحس حين احتجبت الرسالة فجأة ومعها الثقافة ايضا فنهض السد المنيع امامه كما كان !

وقد قدم لي في الزورة الاولى ديوانه الشعري (في المحارب) مطبوعا في نسق مناسب ، وذكر لي في مرارة قاسية انه ارسل لي حملة الاقلام في الصحف الجبيرة نسخا تبلغ الثلاثين فما شرفه ناذر ببطر واحد او تفضل عليه بالشكر في خطاب خاص ! فعميت لهذا النكران المأصل يضرب باسداده حول هذا النافذة فما ينبس له بصيصا من نور ، واذ ذاك عكفت على دراسة الديوان الرائع وكتبت بحثا ادبيا عنه نشرته مجلة الرسالة الفراء بتاريخ ١٧ مارس سنة ١٩٥٢ وفيه اقول « ومن الخير ان تكشف عن الميزات التي تظهر في شعر الاستاذ محمد عثمان الصمدى ، وقد يكون اهمها ما نلمسه لديه من عمق التحليل وقوة التحليل وجزالة الصياغة وتلك هي الاركان الثلاثة التي ارتقت بديوانه الجميل ومما يزيد في قيمتها الادبية انها تظهر في سياق واحد ، فلا تتخلل مبرزة من احتجها في قصيدة من قصائد الديوان ، بل تظهر ثلاثتها متجاورات متآخيات !

واذا كان الشاعر في جميع قصائده متشامسا متضابقا يرما بما حوله من الناس والايام فهذا ما لا يؤخذ عليه في شيء لان لكل انسان آماله واحلامه ومهما اختلف السير نحو اهدافه فلن يقرب من مثله واشواقه ، وهنا تكون الحيرة الموحية بالنشأوم والقلق لدى اكثر الشعراء ، وقد يكون الخطئ التمس مولما ببعضهم فيقف بالبرصاد بنفس عيشه ويكبر حياته وينقله من الخفض الناعم الى الجذب الموحش ، وجسم له اشجانه فتلوح شاحبة قائمة وتبيت طيلة ليلة عابرة امام عينه تشرد نومه وتهيج بلاله ، وصاحب الديوان اجد هؤلاء الساعدين الرازيين تحت اعباء الشجون ! وهو حين يتحدث عن هواجسه الالمة يترك عجبا اي عجب اذ يصف اليوم الذي يعب في صدره مولولا ، ويسمك الصخب الهائج في ظلمة الليل بين اطواء الضلوع وقد سكنت حركة الاحياء والاشياء وبرك الاشباح المتواكبة امامه وقد ملأت مسامعه بالزمازم والرعود واسلمته الى ذكرياته البعيدة والقريبة فعبدها ضعيف الجرس حار الالة وقربها صاحب لمحاح شديد اللوعة والعرام ، والصمدى في حيرة مقلقة بين البعيد والقريب ، هذه الحيرة التي فجرت شاعريته الثرة فانطلق يقول من قصيدة كبيرة:

يلك الدجى مني مراح بلاسل
لها صخب خلف الضلوع مبشر
كأنني ناي في يد الليل جاش
اذا الهب الليل الحياة اعادها
الا شد ما فزرت نفسي بفراح
واشباح ليل ما تنفي هتافها
ففي الرق منها هائف بزمازم
وطورا يشق الليل داع مرزا
له انه حرى على صف جرسها
وتصطب طورا حين اصغى لها معا
من الطارق للمحاح بابي وللكرى

ومؤى شجون لا نريم جشوم
فمن نساب يدني الابي وبشوم
بما في الوري من راع ومديم
أشاي على اقبالها ولزومي
اتوه به تحت الظلام جسيم
الذت لها من بعد طول وجوم
وفي القرب منها هائف بهزيم
بعوت من البعد السحيق سليم
كساة مصدوع الفسود كليم
فامسي كاتي في منحة بسوم
يد في الدجى الوت بكل لزوم

ساحل سليم - موطن الشاعر - اعظم فداحة من قبائل
الهمج في طبقات الجيل والثنية والضباب ! اتول ذلك
بلسان الواعظ فقط ، والا فانا اعلم ان الذي يعوم في البحر
ويكابد اللجج المانحة لا يعقل منطق المصطفين على الشواطئ
والضفاف !! وكم للحياة من مفاجآت تنزلزل معها معازل
النصح والارشاد .

لقد تلقيت نعي الشاعر على غير انتظار ، فهرعت الي
ديوانه الشمس بعض الغراء بقراءته ، ولا ادري لماذا اخذت
اثناء قرائي الاخرية للديوان احسن ببعض المعاني الخاصة
مما لم يتح لي اثناء قراءته من قبل ، اذ ان احساسني اللاذع
يفقده قد نضح على الالباب صورا ذات طابع خاص ؛ بل
انني حين قرأته قصيدة (على رفات البشرية) (ارناء ام
هجاز) شعرت لأول مرة ان الشاعر يرثي نفسه وحده ولا
يعني بالانسان في قصيدته تلك مطلقا انسان يتنسم ريح
الحياة ! وقد غلبني هذا الشعور حتى كدت اسمع من وراء
الغيب صوت الصمدي يترنم بالقصيدة او يبكي بها سرعاة
اللقام - جسده الصريع ، وهو في مطلعها يهتف بهذه
الابيات :

افلحني الطاف الى غاية
بلى قد طويت اليها المدى
ليست التيباب قشيب الاله
ولم تدرك ان الصبا سارة
بشي في عروفت مضي النوا
فما كنت تظن في ظله
الى ان اقبلت على واحد
نمشك على الخلد لله جارا
فخضت الظلام وجبت النهارا
فاصميت تزهو به مستطرا
نرد وشيكا لي من اعارا
ظ على القصب تندي ميعا حرا
وتدق الكؤوس دهقا غسارا
ملا ، بالعقار وابقي الغصارا

في بعض القصائد يتحدث عن الشيب بعد الشباب وكيف
تتقلب الحياة في المرحلة الاخرية الى سام ضائق يرى فيه
الضحى الساطع كالظلام الدامس وتظهر فيه البلادة الواهنة
وقارا متكلفا ، والانسان متقلب بين شقي الرخي يضل الى
القصد السبيل ، وترمي به الطرق عبر الشعب النائية الى
ان يبلغ المرفأ الاخير فتأكله الحياة لتعيش هي بغيره ، وهي
في كل آونة تشيع راحلات ثقتات منه فتجعله معبرا مهينا
خلودها الدائم وقد برع الشاعر براعة فائقة حين خاطب
ابن الحياة وهو في رأيي اعم من الانسان فرميا شمل
الحيوان والجماد وسائر الالحاء :

الا لماك تكلس تيبدا
فلم تنق يوما ازار الحداد
لقد صدقنا بلاغ التدبير
فيسا لك اما ولودا نكولا
امن اجل خلدك فوق الثرى
تخذلهمو معبرا تعيرين
وفوك الغناء فلما ففسوا
فقدت بهم في صحرى الوجود
همو اللوك والتلهم
وفيد السركو بما تؤثرين
سريت باوصالهم معمرا
كبار بنينا ونقنى الصغارا
ولم تبديل سواها ازارا
لو انا افرنا التدبير اعتبارا
ملا القود بنسا والديارا
اكتل بنيك الصفاف العجاري
الى الخلد فيه الدهور الكشرا
وفسود بانناهم الانهارا
ففاصمت لجيشا وسلا نغارا
افانين فوق رمال الصحرارى
نقتل نظى فاستجابوا اوارا
يهيج اللهب ويدكسي الترارا

هذا قليل مما نشرته قديما بالرسالة عن الديوان ! والحق
ان مأساة الشاعر ترجع بوجه خاص الى شدة احساسه
بنفسه فهو حاد البقطة لماح النظرة بعيد القور يرى الضئيل
التافه في وضوح ساطع كما يرى الجليل الشامخ ؛ وقد
رزق روحا قوية تعشق المثل العليا وترى في مقترحات
الفلاسفة واماني الحكماء في الخلوص من الشرور مناخا
لمنازعها واهوانها ، وقد ساعدته قراءاته على تفهم المدن
الفاضلة كما ترات في احلام الفلاسفة ، واشتد تخيله
الجامع حتى تصور هذه المدن الخيالية واقعا ملموسا يجنح
اليه يفكره حين يكره مآزق العيش وتسيره ضرورية الحياة
ورغاب الغرائز ! انه ليتحدث عن نفسه الشغافة كما تتراءى
له فيهتف :

يرى الله نفسي من معان رفيعة
فليس بها كائنات في الارض حاجة
فرودة حي والحياسة مفاسم
فيا لك نفسا موسق الله ذوبها
يفسح كضوء الطيب لا تستينه
نسيم الصبا دون الرياح جناحها
سمت فوق افلاك السماء ورفرفت
تسع كاشعاع النجوم على الدجى
الا فلتمسكني حين يعبك من انا
ففي مثل الاطلون مهوى منازي
حلقاك لا يقاس هذا الورى بها
وسوى سواها من تراب اديم
على رغبها - الا رضاع طيم
اصاك جسم كانهما هديم
قصيدة شعر في السماء نظيم
عيون ولكن ملء كل شمسم
فيا لنسيم سائر يتسيم
على انهر من انجم وسديم
وتألف في جسمي افول نجوم
لدى عالم ضاحي الجبال يسيم
ومتوى لذاني من اخ وحسيم
لورى ذا يسوى منجنا بقمسيم

هذه النفس الحساسة تعاطفها ان تجد الجحود الكافر
في بيتها الجاهلة ! اذ ان صاحبها - وبلا لاسف - كان
يعيش بين امشاج من الجهالة يقيسون النوع الانساني بشادات
المدارس واجازاتها العلمية فكل متخرج من مدرسة او من
كلية جامعية صاحب عقل وفضل ولو كان آلة صماء حفظت
بلا فهم وكتبت في الامتحان كما حفظت ثم خرجت الى
دنيا الناس في امية تكرية تكرا ! اما صاحب المهنة المتواضعة
في محله الصغير فمحال ان يكون نابغة يقرأ كتب الفلسفة
وينظم قصائد الشعر !! وقد كان على الاستاذ الصمدي ان
يرتفع بمشاعره عن اقيسة هؤلاء - لو ملك من نفسه
شيئا - وهيات ! فالشاعر كالزهرة العاطرة عليها ان ترسل
الاربع المنعش ، ولا عليها ان ينشقه الناس فعنى كان انتاجه
الرائع قويا في نفسه فليس يؤذيه الا يعترف به الادعياء !!
وهو لا شك يعرف ان السعادة ينوع بتدقق من النفس
وفي استطاعته لو اتكا كثيرا على نفسه ان يفسف نظراته
الى الحياة فلسفة تهون من احزانه مهما قست البيشة وتعمس
الحظ ، وما لنا نذهب بعيدا ، ونحن نرى الرجل الغربي
يتخرج في ارقى جامعات انجلترا وازدهار العمران ما
امريكا ويشاهد من اسباب المدنية واخذار العمران ما
يجذب كل فؤاد ثم تراه بعد هذا المنشأ المزدهر يرحل الى
اواسط افريقية او استراليا ليقضي زهرة شبابه وكهولته
بين اناس لا يعرفون من هو !! فيخضع لتقاليد غير ثقاليده
وباكل ويلبس غير ما عهد وهو سعيد بتضحيتة !! ولن تكون

القبلة المسروقة

ممسولة الشفتين ، غله
هواي ، زنبقة ، وفله
فله : أي دم أحله ؟
وأي فانتة مدله ؟
في جزائر مستقلة
تمسوح ... بإلهله
لست اقنع بالنعله
الخضر .. متخذ محله
هناك لي قلبا مدله
هل علمت من الموله ؟
ولم افز منه بنهله ؟
عبارة رفقت وجمله
شفتيك هذا العطر كله ؟
قبل حبك أكن له
يرضى هوأك به ... لهله
من الشفاء الحمر ، قلبه ؟
على قم الازهار نخله ؟
لم تكن في الحب سوله !
إذا قست عنك الشعله
ساور الخفقان ، أبله
هوأك عندي الف علىه

ورنت الي ، وبسي الي
وبدت لعيني ، يا احب
وتألق البحر الحلال
سمراء .. حالية الجمال
في بحر عينيها مرافء
وتطل آفاق ، وآفاق
أنا يا معلتي ، وحقتك
قلبي .. هناك على الشطوط
نسيت معذبتي بأن
وأنا الموله ، في هواها
ايقطر العسل الشهي
يا اخت عاطفتي ، وأنت
قولي : لمن سلسلت في
غنيت حبك ألف لحن
غنيتك ... ولعلله
ماذا علي إذا سرقت
ماذا ؟ انتمنع أن ترف
قولي لا منك أي أنسي
شعل الشفاء ، ولا علي
لا تعجبي أن كان قلبي
فلقد تراكبت يا صاحبي

احمد علي حسن

باتياس - سورية

حياته البائسة الجاهدة بالموت فاستراح كثيرا من حقد
التافهين ولغو الجاهلين وأصبح في قبره أمتع من أن يصله
إنسان بشقاء :

سليل التراب مضي ما يخاف
قهرت الحياة بقلبي الحمام
فقبل للزمان يرد الجماع
لقصد بت منه لقي حفرة
أناهل عليها جلال البلى
فلو قد علمت بأن البردى
تبينت كيف هزمت الزمان
صديقي الشاعر الفقيد ! لقد عجزت عن رثائك ، فريثك
بتقصيدتك الخالدة هذه ! وهي بعد من أجمل ما قيل في
باب الرثاء .

محمد رجب البيومي

الفيوم

وتلك فلسفة عالية حقاً ! لم بتصيدها الشاعر من أقوال
الفلاسفة ولكنها صدى تفكير جواب تندفع خواطره شاردة
وراء شاردة حتى تكون كيانا بارزا في حقائق الوجود
فالحياة الام تبيد بنها كل صباح ومساء وتلك حقيقة
مائلة ! وهي تستمد بقاءها من هذه الإبادة المتصلة ! إذ ان
أولادها يقدونها المدم ، وحين ينقطعون عن الوجود ستقطع
بدورها فتموت ! وهم بعد بعمرونها في كل مجال ، وهم
نار الكون ولهبه ينفثون اللظى ويشبون الاوار ليتقد
شباب الحياة في كل زمان ! على ان اروع ما اتجه اليه
الشاعر في هذه القصيدة هو مخاطبته سليل التراب الفقيد
من بني الانسان وقد قهر الحياة بقلبي الحمام فأصبح بالموت
أمنا طوارق الحدثنان وفجاءات الايام ، انها لايبات خالدة
مؤثرة يصح ان نوجهها نحن الى الشاعر بعد ان انتصر على

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن



المفكرون عند العرب في الجاهلية يعرفون بالحكماء ، وقد اشتهر من هؤلاء عدد كبير على اختلاف قبائلهم . ولا يدخل في عداد هؤلاء الحكماء المتألهون أمثال شق انصار وسطيح الذئبي وأمية بن أبي الصلت . ويظهر أن الحكمة عند العرب كانت ملتصقة بالتصاقا وثيقا في العهد المؤغل في القدم بالكهانة والعرافة ، كما كانت عند كثير من الشعوب والقبائل البدائية أو في أوليات حضاراتها . وكان العرب في الجاهلية يتنافرون إلى هؤلاء الكهان ليحكموا بينهم ، ومن ذلك مثلا أن عبد المطلب بن هاشم تنافر هو والتغفوني إلى عزي سلمة الكاهن . وتذكر كتب الأدب أيضا من بين هؤلاء الشعراء الكهانة ، وكانت كما يقولون ذات عقل وروائي مستمع في قوما . وذكروا أيضا الكهانة طريفة الخير التي تنبأ بسيل العرم ، وكاهنة ذي الخلصة وسلي الهمدانية والكاهنة السعدية وغيرهم الكهانة ، وغيرهم . وكان كلام هؤلاء الكهان مسجما غامض الدلالة ، أشبه ما يكون بكلام الكهان في زمن اليونان القدماء . ومن ذلك أقوال شق انصار وسطيح الذئبي ، وهي موجودة في كتب الأدب ، وذكرها الجاحظ لعزي سلمة قوله : « والأرض والسما والعقاب والسقواء واقعة ببقعاء ، لقد نفر المجد بني العشراء للمجد والسناء » . ولا حاجة إلى الإتيان بآثر من ذلك ، لأن هذا لا يعنيني . وإنما الذي يجب ذكره في هذه المناسبة أن هؤلاء الكهان كانوا جماعة المفكرين في ذلك العهد ، يتميزون بالعلم الديني وبعلم الغيب معا . أما حكماء العرب ، وهم أقرب إلى بناء عباد ، فكانوا جماعة المفكرين الذين تميزوا فقط بالعلم الديني أو بالحكمة ، ونزعوا عن أنفسهم الادعاء بعلم الغيب . فهم لم يكونوا كهانا وإنما كانوا حكماء بقوة العقل وسعة التجربة في الحياة . واستعانوا على ذلك بقوة العارضة وحسن النطق وتنسيق الأقوال . فكان منهم الخطباء في الحرب وفي السلم . واذكر من هؤلاء مثلا عامر بن الضرب وقيلان بن سلمة وعبد المطلب وأبو طالب واكنم بن صيفي وحاجب بن زرادة وربيعه بن حذار . واعتمد الكهان والحكماء في أقوالهم على السجع وفخامة اللفظ لأن هذا أسهل للفظ وأوقع في النفس .

فالكهان ثم الحكماء ثم الخطباء كانوا هم المفكرون عند العرب حتى أوائل الدولة الإسلامية . والخطباء على نوعين:

خطباء نثر ، وخطباء شعر . وبمرور الزمان شغقت قوة الخطباء النثرين ، وقويت شوكة الخطباء الشعريين ، فكان منهم شعراء القبائل في الجاهلية ، ثم الشعراء السياسيون في الدولة الأموية والعباسية . ثم كان منهم الشعراء والأدباء . ولا أريد التعرض لجميع هذه الأصناف ، لأن البحث فيها يطول . وإنما أريد أن آتي بلحمة عن الشعر والشعراء بالنسبة إلى الحركة الفكرية بصورة عامة مختصرة . وأبدا نلامي بأفلاطون وأرسطو ، وخصوصا بأفلاطون لأنه أعظم من افتتح الجدل الفلسفي حول قيمة الشعر والشعراء ، بل حول قيمة الفن بصورة عامة . فقد اعتقد أفلاطون في كتابه (الجمهورية) أن الشعر مصدر شر على الدولة يجب التخلص منه عن طريق منع الشعراء من أن يكونوا بين عداد سكان الجمهورية ، لأنهم يفسدون هذا الموقف من الشعر مرجعه نظرية أفلاطون المثالية . فهو يعتقد أن الحواس لا تعطينا صورة صحيحة من حقيقة الأشياء ، وإنما تعطينا صورة تقريبية منقولة عن الحقيقة ولكنها مضللة ممسوخة . ثم أن الشاعر ، كالخطيب ، لا يمكن أن يقدم الأمور على حقيقتها بل أنه يحكم عمله يستهوي العواطف دون العقل ، ويجعل هذه العواطف تتحكم بالشخص ويسلوكه ، وبذلك تخرجه عن نطاق العقل والحكمة . فخطر الشاعر من هذه الناحية واضح ، لا يؤدي إلى إفساد مسلك الأشخاص وبالتالي إلى إفساد الدولة . ويفسر أفلاطون موقفه الناقم هذا بالاجوء ، كما قلنا ، إلى نظريته المثالية . فهو يرى أن الأشياء جميعها صور ناقصة عن صور مثالية ، وهذه الصور المثالية هي الصور الكاملة الحقيقية ، وغيرها صور ممسوخة . فالصور الكاملة الحقيقية هي من صنع الله وحده ، ولا يستطيع الإنسان مهما اجتهد إلا أن يأتي بما يشبهها شيئا تقريبا . فالصانع الذي يصنع كرسيًا ، يصنعها على صورة معينة ناقصة ، لا يمكن أن يكتب لها الكمال . ومع ذلك فهو يحاذي مثالا كماليا ويسعى إلى الوصول إليه . فالكرسي المصنوع لا يكون من حيث الحقيقة بمقام الكرسي المثالي ، بل يكون في الدرجة الثانية . فإذا جاء شاعر ووصف الكرسي الموجود عمليا في الكون ، فإن وصفه له يكون في الدرجة الثالثة ، لأنه صورة عن صورة . فهو أبعد عن الحقيقة من الكرسي المصنوع . فالوصف الشعري أذن أبعد الصور عن الحقيقة ويجعلها خداعة مضللة . هذه هي نظرية أفلاطون في الشعر ، وفي تعليل رفضه للشعراء في جمهوريته .

أما أرسطو فقد نظر إلى الشعر في كتابه (الشعر) نظرة مختلفة . فهو لم يعتبر الشعر خاصة محاكاة كما اعتبره أفلاطون ، بل مثاله بالرقص والموسيقى ، وليس في الرقص والموسيقى شيء من المحاكاة التي ظنّها أفلاطون . ثم أن أرسطو كان أول ناقد أشار إلى أن جوهر الشعر لا يقتصر على الشعر وحده بل يمكن أن يوجد في النثر أيضا . وقال أن الشعر إذا كان يحاكي شيئا فهو

وداعا

يا زمان التدو في الصيف وداعا
ولت سراعاً
في حساب العمر أيام ... وان
خات كانت في حساب القليبا
أنا قد سميت احلامي بهسا
وحملت اليوم ذاك القليبا !
نزوة في ميعه العمر ... ولسو
اعرض الشاعر عنها ما استطاعا
قد صحا القلب وكالت غفوة
عذبة الرؤيا ، وان كانت خداعا
أنا قد طلقت شعري بعدها
غير مدفوم ، وحطمت الرامعا
للغنى الحر- أمان ... حقعا
في حيساة الجيد يوما ان ترامى

سعيد العيسى

لندن

من « العروة الوثقى »

تأثرناهم . وقل ان يجد المرء في اشعار العرب او في
شعرهم ما يعطى صورة دقيقة عن الاشياء الموصوفة . وهذه
حقيقة جلية في جميع عصور الادب العربي لا فرق في
ذلك بين جاهلي واموي وعباسي . وانت اذا قرأت قصيدة
عمر بن عبد المنذر بن وهب عن الاسد او قصيدة البحتري في
بركة التوكل مثلا فلن تجد فيها ذلك الوصف الدقيق الذي
تجده في ما يشابههما من اشعار الادب عند الغربيين ، لان
الادب عند الغربيين اقرب الى صناعة الصانع . وقد فقد
البحث العلمي حقائق كثيرة عن حياة العرب وعاداتهم
وليابسهم وعلاقاتهم الاجتماعية ومنازلهم واشخاصهم بسبب
فكرة العرب عن الشعر والادب عامة ، واعني بذلك ان
الشعر خاصة والادب عامة مسرح لتصوير العاطفة والشعور
في النفس مستقلا عن الحقيقة ، ولا مجال هنا للدم او
المدح ، فكل له فكرته وطريقته ، وهكذا كانت فكرة
العرب وطريقتهم . كما انه لا مجال للدم او للمدح عند
الكلام على الاديان القديمة البدائية بالنسبة الى الاديان
الآخرة ، ولا عند الكلام على العادات الشعبية البدائية
بالنسبة الى عادات الشعوب المتقدمة .

وقد تبادر الى ذهن القارئ ان الشاعر ليس من طبقة
الفهماء او المفكرين . ولكن نظرة بسيطة تربنا ان الشاعر
عند العرب اقرب الى الفهماء والمفكرين منه عند الغربيين ،
ولم يكن عند الغربيين شاعر صار حاكما وكان عند العرب
شعراء صاروا حكاما او حكاما كانوا شعراء .

حسن الكرمي

لندن

بحاكي الطبيعة وانما يحاكي التخيلات ، بمعنى ان الشاعر
اذا وصف فانه يصف الناس واعمالهم باحسن مما هم
عليه او بأسوأ مما هم عليه ، وليس كما عليه . فالشاعر
يستلم الصور الخيالية في ذهنه ، فيصور هذه الاخيلة
في لغته . فالشعر وصف للخيال الذهني وليس لشيء
واقعي في الطبيعة فالاساس هو الالهام الخيالي ، وهو
الاصل الذي ينسج الشاعر شعره على منواله . فالشعر
اذن في رأي ارسطو محاكاة للخيال بالاسلوب والشاعر في
محاكاة هذا الخيال هو ما نسميه بالاسلوب الفني للشاعر .

ومما بلغت الانتباه في هذا المقام ان كلمة Poet التي
نعرفها وتعارف عليها بكلمة (شاعر) هي في اصلها
اليوناني بمعنى (صانع) اي الذي (يصنع) او (يعمل) .
ثم انتقل المعنى الى الذي يؤلف الكلام ويصنعه على شكل
خاص . وقد استعمل العرب عبارة (صناعة الشعر)
وهي قريبة من هذا المعنى . غير انهم باستعمالهم كلمة
(شعر) قروا بين هذا النمط من الكلام والشعور ،
فكانهم ارادوا ان يقولوا ان الشعر شعور يحس به المرء
فيصدق به على شكل كلام في وضع مخصص . وعلى هذا
الاساس كان العرب في مفهومهم للشعراء اقرب الى افلاطون
والى ارسطو ، معا من حيث المبدأ ، لان الشاعر لا يصنع
كما يصنع النجار كرسيا ، كما يقول افلاطون ، وانما
يصور ما يشعر به في نفسه او انه يحاكي التخيلات التي
في ذهنه ، كما يقول ارسطو . وهذه التخيلات بعيدة
عن الحقيقة ، كما قال افلاطون ، ولذلك وصف الشاعر عند
العرب بالكذب ، بل ان اعدب الشعر عندهم الكذب . واذا
كان افلاطون قد نفى الشعراء من جمهوريه فان النبي قد
عدهم من الفاوين الضالين ، ولو انه اقر بان من الشعر
لحكمة . ونزه النبي عن قول الشعر بقوله تعالى : « وما
علمناه الشعر وما ينبغي له » لان الشعر ، كما قال
السيوطي في كتاب الزهر ، له شرائط لا يسمى الانسان
بغيرها شاعرا ، وذلك ان انسانا لو عمل كلاما مستقيما
موزونا يتحرى فيه الصدق من غير ان يفرط او يتعدي
او يمين (يكذب) او يأتي فيه باشيء لا يمكن كونه بثة
لما سمع الناس شاعرا ، ولكن ما يقوله مضمولا ساقطا .
فالشاعر بين كذب واضحا ، واذا كان كذا فقد نزه الله
نبيه عن هاتين الخصلتين . هذا ما قاله السيوطي .

وتسمية العرب لهذا النمط من الكلام شعرا لم تكن
عشيا ، بل هي نابعة من نظرة خاصة نظرها العرب الى الشعر
وساروا عليها . فالشعر عندهم شعور ، والشعور اهم
شيء . فهم اذا قالوا الشعر لم يقولوه الا للاعراب عن
احساساتهم ومشاعرهم الخاصة ، بصرف النظر عن الشيء
الذي يتكلمون عنه ، بعكس المأثور عند الغربيين ، فالشعر
عندهم يجب ان لا يخرج عن الحقيقة والواقع بصورة
عامة . ولذلك لم يتقن العرب الوصف في اشعارهم ، لانهم
ما كانوا يصفون الشيء على حقيقته وانما كانوا يصفون

ان امرأة صغيرة وجميلة تستطيع ان تكون اسوا اعداء الزوجة او حليفها القوي . ماذا كنت تفعلين لو كنت مسز اوميورا ؟ وكيف تجتدين زوجك الى المنزل ؟

القت مسز اوميورا نظرة على ساعة المطبخ . كانت الساعة لا تزال الرابعة ولكن عتمة الشبثاء قد كست مدينة طوكيو . الآن ، سيكون الاطفال هنا في اية لحظة وعسى ان تكون قدما ستسو غير مبتلتين ، فرغم انها في الثانية عشر من عمرها وكان يجب ان تعرف افضل ، انها دائما في شبه حلم على طريقة البنات في هذه الايام . في الايام الخالية لم يكن يحدث ابدا ان تغادر الطفلة مدرستها دون حذاء ، اذ كان عليها ان تنتزعه عند الباب ولا تخطو خطوة واحدة الى الخارج حتى تدخل قديمها فسي « الجنا » ولكن المدارس غريبة في عاداتها الان ولذا فان الاطفال ينتعلون احذيتهم في الداخل والخارج على السواء وليس هنسا تميز في أي مكان .

وفي هذه اللحظة انطلق صوت ابنها من عند باب الحديقة .

— ماما . سأن .

— فردت عليه .

— ها انذا يا تورو .

وجرى تورو والقي بحذائه عند الباب . على الاقل سيظل المنزل يابانيا . انها لن تسمح بالاحدية هنا في الداخل . وذهبت الى انبوبة الماء الساخن وبلت منشفة نظيفة فسي دقق الماء الساخن .

— تورو . تعال هنا .

ووقف امامها وكتبه معلقة في شريط يتدلى من يده اليمنى واخذت تمسح وجهه جيدا بالمنشفة الدافئة .

— والان يدلك . كم هما قذرتان . — انه الطباشير . هل ابي هنا ؟ لقد سال الصبي نفس السؤال كل يوم حتى اصبح خنجرًا في قلبها .

ان الصبي ينمو ويريد والده . — انت تعلم ان والدك مشغول ولا يمكنه ان يأتي الى المنزل لمجرد انك هنا .

— الى اين يذهب ؟

— لقد سبق ان اخبرتك .

— الى الحان ! ذلك هو المكان الذي يذهب اليه . اليس كذلك ؟

— ضع كتيك جانبيا ، سنتناول عشاءنا بمجرد ان تعود ستسو .

وانطلق وسمعته نسي الحجره المجاورة . انه طفل طيب مناسب لسنواته العشر ، كثير التفكير . يجب ان نتحدث مع زوجها الليلة ..

— عم مساء يا اماء .

انها ستسو الفتاة الصغيرة الرشيقه جاءت الى المطبخ في صمت . حذاؤها منزوع ، وشعرها مصفف



تأليف يوكي-كو

مترجمة عبد الجواد دكروري

بعناية خلف اذنيها .

— لقد تأخرت يا ستسو .

— كانت المواصلات سيئة . توقفت

عربتنا مرارا وتكرارا .

— اسوا من المعتاد ؟

سالت السؤال بعدم اهتمام بقدر ما امكنها ، ولكنها تطلعت برقة الى الفتاة الجميلة ، كانت ابنتها الوحيدة ، اثنا عشر عاما معناها انها لا تزال صغيرة ولكن ستسو قد نضجت مبكرا ... كل البنات يكبرن بسرعة في طوكيو الجديدة هذه . يخرججن



بحرية ويرين الافلام الغربية ، ويقلدن الامريكيات الصغيرات واكثر من هذا . على اية حال لقد استطاعت ان ترفض السماح لستسو ان تذهب الى مسرح « الروك أند روك » لقد ذهبت هي نفسها الى هناك في احد الايام عندما طلبت منها ستسو لاول مرة ان تذهب — ان كل الفتيات يذهبن .

قالتها ستسو عابسة فقالت هي — ساذهب وارى .

ولقد افزعها ما رأت . فهناك في مسرح كبير ضخم وجدت نفسها محاطة بالآلاف من الناس الشباب . معظمهم فتيات ، لقد صدمت لرؤيتهن وعلى المسرح وقف المغنون الشبان خلف الميكروفون يغنون . اذا كان هذا يمكن ان يسمى غناء — على عويل الموسيقى الغربية وموسيقى رعاة البقر اغنيات جعلتها تحمر خجلا رغم سننها . ومع ذلك فلم تكن الموسيقى شيئا يذكر بالمقارنة للصيحات والانات المتصاعدة من الفتيات . هل هن فعلا يابانيات ؟ لقد رأت انهن يابانيات .

وعندما انتهت الاغنية فتاة ثم عثرون او اكثر ، اندفعن الى المسرح ليعلقن اطواقا من الزهور في اعناق الفتيات بل وحتى يقبلنهن في خدودهم

لقد غطت عينيها بيديها وتسللت الى الخارج .

— كلا يا ستسو . قالتا يحزم .. انك لن ذهبي مطلقا الى ذلك المكان .

ولم تكن متأكدة اذا ما كانت ستسو قد ذهبت بالرغم من امرها ام لا ... لا ام يمكنها ان تتأكد من اولادها او زوجها في طوكيو الجديدة هذه . ودفعت جانب التفكير الغير مخلص في زوجها .. « يجب الا تكون المرأة غير مخلصه لزوجها حتى ولو في التفكير » هكذا علمتها امها .

ونظرت من فوق الموقد حيث كانت تقلي سمكة في الطاسة . كانت ستسو تفعل يديها بها في ذي الان تضع على المائدة السلطابين وعصى الاكل .

— هل اعد مكانا لابي ؟

سألها الصبية .

سألها الصبية .

سألها الصبية .

سألها الصبية .

— أنت تعلمين أنه لن يكون هنا .
وساد الصمت بين الأم والأبنة
قطعته ستسو مرة أخرى .

— أني لا أدري لماذا تدعين والسدي
يذهب إلى الحان كـ لمساء ؟
وتوقفت مسز اومبورا عن عملها ،
كانت تقطع جزرا نيشا على أشكال
ازهار لتضعه في الحساء الرائق الذي
ستبدا به الوجبة

— انا ادعه ؟ ليس لي شان بهذا .
لقد تعود دائما ان يذهب إلى الحانات
— ليس ذلك منذ قبل الحرب !

— قبل الحرب كانت هناك بيوت
الجيشا . والان صارت فتيات الجيشا
هن فتيات الحان كما تعلمين .

— ماما . لماذا ترسخين لذلك ؟
ووضعت مسز اومبورا السكين
جانبا .

— ولكن الرجال يجب ان يذهبوا
إلى الحانات الان ما دام لا يوجد بيوت
جيشا والا فإلى أي مكان سيذهبون ؟
— يمكنهم ان يقوا في البيت .

وسمحت مسز اومبورا لنفسها
بقليل من الضحك المكلف اخفته خلف
راحة يدها منكرة الالم الذي احسبت
به لسماعها ابتها تقول بصوت مسمع
ما جرؤت هي عليه بالتفكير فقط .

— امام . اود الا تضحكي من خلف
راحة يدك . ان ذلك اسلوب قديم
وكانت صيحة ستسو غاضبة
غربية . وسقطت يد مسز اومبورا
إلى جوارها وقالت متفغلة .

— ابوك يبقى في المنزل ؟ لقد
توقف عن ذلك بمجرد ان ولدت اتم
لانه لم يستطع تحمل الضياح والبكاء
والضوضاء . هذا بالإضافة إلى ان
لدبه اعمالا فعلا .

وكانت ستسو وقحة فقالت
— اعمال ! في الحانات ! أية اعمال
هذه !؟

والتقطت مسز اومبورا السكين
في وقار مستعاد .

— لا اسمح بهذا السلوك تجاه
والدك . فالرجال يذهبون إلى الحانات
ليتحذروا في الاعمال وهم يحتسون

جعة الارز — ان والدك يقول أن كل
صفقات الاعمال الكبيرة
وانفجرت ستسو .

— ويعود هو إلى المنزل في الساعة
الثانية صباحا ، ويتوقع منك ان تكوني
في انتظاره بانتسامة وحنان وتقولين
« يا مسكين . انك متعب للغاية . لقد
ظلتت تعمل من اجل أسرتنا طوال هذه
الاساعات ، ها هو ذا شاك . لقد
جهزت الماء الساخن لحمامك ، تأخر
في نومك حتى يخرج الاطفال إلى
مدارسهم . »

وكان تقليد ستسو لصوت امها
دقيقا حتى ان مسز اومبورا اخذت.
إذا فالصبي تظل متيقظة وتسمع .
— انت بنت خبيثة جدا .

قالتا مسز اومبورا بحدة فدقت
ستسو الأرض بقدمها وصاحت .

— تفكري فينا اذا كنت لا تودين ان
تفكري إلى نفسك . انه ابونا . اليس
هو ابانا ؟ متى نراه ؟ لا لساعات قليلة
يوم الاحد أو يوم العطلة ؟ اهذا مفيد
لتدورين لأن الامر لا يهم بالصبي لى
بالطبع .

وارتمعت الصبي وادارت وجهها
« أني لا أعرف كيف يبدو الان ؟
وربما امر به في الطريق دون ان
اعرفه . »

وغادرت الحجرة ولكن مسز
اومبورا نادتها .
— ستسو . تعالي .

فعدلت الفتاة متبرمة ووقفت في
الباب نصف المفتوح .
وسارت إليها مسز اومبورا في
خجل . ان الفتاة تبدو ناضجة وغربية
— وماذا كنت تفعلين لو كنت مكاني
— كنت اذهب معه إلى الحانة .

— انا ؟

قالتا مسز اومبورا وهي تكاد
يغمى عليها . وكانت واعية للنناقض
العقلي الظاهر الواضح وهي تمسك
السكين في يد والجزر في اليد
الأخرى .

— ان النساء الصغيرات يذهبن

فعلا إلى الحانات . يذهبن مسج
أزواجهن . وعندئذ يتوقف الأزواج
عن الذهاب .

— كيف عرفت ذلك ؟

— اننا نتحدث عن ذلك في
المدرسة . بعض البنات لهن شقيقات
أكبر منهن متزوجات .

وانتاب الفرع مسز اومبورا .

— امثال هذه الاحاديث في
المدرسة ؟

— نعم . ولم لا ؟ انها سنوات
قليلة فقط ثم تكبر . ولن نسمح
لأزواجنا ان يذهبوا إلى الحانات كما
تفعلن انت ؟

— ونظرت مسز اومبورا إلى وجه
ابنتها المستدير الجميل انها لم تلاحظ
من قبل كم هي حازمة خطوط هذا
القم الطفلي وكم هي صريحة نظرات
هذه العيون السود . ان الفتيات
مختلفات هذه الأيام ، مختلفات جدا .

وتنهدت ثم عادت إلى حوض المطبخ
— غري ملايسك واستدع تورو .
سنتناول عشاءنا نسم عليكما انتما
الانسان ان تما واجباتكما المدرسية .

لقد اوشكت على الانتهاء من ثوبك
الوردي .
وتقدم المساء كالعادة . اكلا في

صمت ونظفت مسز اومبورا مكان
الطعام . وارتدت الطفلةان كيميونيها
المنزوليتين وجلسا إلى المنضدة

المنخفضة مع كتبهما وجلست مسز
اومبورا على المنضدة ايضا وفي يدها
الثوب الوردي الذي كانت تصنمه

لستسو . ان الفتاة تبدو جميلة في
اللون الوردي . وعينها وشعرها
بلون اسمر فاحم . ليت ستسو لا
تفكر يوما في صبغ شعرها بذلك
اللون الاشقر النائر مثلما يفعل الفتيات

الصغيرات الان . انها لوضعة جديدة
غربية . منذ سنوات فقط كان الجمال
يمكن في حلوة سواد شعر المرأة .

ولكن كل شيء غريب هذه الأيام .
الحانات على سبيل المثال . لقد كانت
هي تفضل بيوت الجيشا حيث النسوة
من طبقة معينة والزوجات من طبقة

أخرى . وفتيات الحانات هؤلاء ...
وفي هذه اللحظة فكرت فيما قائته
ستسو . ربما كانت الغناء على
صواب . لماذا لا تذهب وترى هي
بنفسها ما يجري في الحانات ؟! أن
لها الحق بكل تأكيد . وان تعسرف
كيف يقضي زوجها امسياته . هذه
الامسيات الطويلة التي لا تنتهي .
وبعد ان آوى الطفلان الى الفراش بدا
لها فجأة انها لا تستطيع ان تمكث
ليلة أخرى تنتظر زوجها ، مترقبة
الساعات تمر حتى منتصف الليل
وتعد ساعتين أكثر منتظرة ، وكما
قالت ستسو بصراحة حادة في
الساعة الثانية ، بل وربما في منتصف
الثالثة يعود أخيراً الى المنزل ويجب
عليها ان تقتصب انفساً وتكذب
بشجاعة ، عليها أيضاً ان ترحب به
برقة ولا تقول له كلمة واحدة عس
ملها او عن مشاكل حياتها في البيت
يجب ان يبعد هو عن كل شيء كما
اعتاد الرجال ان يبعدوا .
لقد رسيبت كلمات الغناء الصغيرة
في اعماق قلبها المجروح منذ امس
طويل . ربما كانت من الطراز القديم
فعلاً ، وقد لا يكون هناك سبب كسي
تستمر في العيش هذه الحياة الغيبة
وهكذا توصلت الى هذا القرار عندما
كان الطفلان قد اوبا الى القواش .
ولقد دهشت هي نفسها لما فعلت .
فقد ذهبت الى حجرة الثياب حيث
ملابسها معلقة واخرجت ثوبها الغربي
الوحيد الذي اشترته اثناء الاحتلال .
فقد قال لها زوجها وقتها .
« يجب ان يكون لديك ثوب غربي
لتعجبى الأمريكين » .
وهكذا اشترت ثوباً من قطعيتين من
الحرير الأزرق . ولكن بعد ان انتهى
الاحتلال لم تلبسه فالحجولة قصيرة
وتظهر ساقيها المقوستين قليلاً .
ارتدت الثوب ومشطت شعرها
بطريقة جديدة وعصفت من الخلف
وشبكّت عنقها اللؤلؤي حول رقبتها
بل واكثر من ذلك مست بعد لحظة
شفتيها باصبع طلاء الشفاه ثم نظرت

الى نفسها في المرآة ، لم تكن جميلة
او قبيحة بقدر ما تعني امثال هذه
الكلمات ولكنها كانت تبدو كما تود
ان تكون امرأة ذات نشأة طيبة وادب
بالرغم من غرابية الثوب الغربي . ان
الكيمونو اكثر اناقة ورشاقة ولكنه
سيكون ظاهراً وملفتاً في الحان . لقد
سألت زوجها في احدى المرات ما اذا
كانت فتيات الحان يرتدين الكيمونو
فاجاب باقتضاب « كلا ، انهن لا يفعلن
ذلك » .

وتسللت من باب الحديقة بهدوء
مغلقة القفل ما دام الطفلان وحدهما .
ثم اوقفت عربة اجرة وقالت « حان
القمر الذهبي » انه واحد من احسن
ثلاث حانات بالمدينة . وكان سائق
العربة يتخطر بعربته في قلب حركة
المرو الليلية . وكعادة سائقي العربات
قال .

— انت ذهيبين بمفردك ياسيديتي .
— سافابل زوجي هناك .
قالتها وقد دهشت لرباطة الجاش
التي نظمت بها مثل هذه الكلمات .
وضحك الرجل .
— لقد ذهبت اليابان المغذية .
قالتها السائق وهو يتعجب من اجابها
ليبتغادي الاصدام بعربة انوبيس .

— النساء يذهبن الى الحانات مع
الرجال ، ماذا سيكون مصير الاطفال ؟
ولم تجب على السؤال فليس هذا
من عمله او مما يهمه . وواصل هو
ثروته .

— البيوت خلت من النساء وامتلأت
بهن المكاتب والحانات ، كل النساء
يبحن عن الرجال . والرجل يستطيع
ان ينال اي امرأة يريد بها الان فيما
عدا المسنات ، ومن ذا يريدهن ؟! انه
لعالم جديد عظيم للرجال .
واطلق ضحكة خشنة ولزمت هي
الصمت التام . وعندما اكتشف انها
راغبة عن الكلام بدا يغني في خشونة
ولم تكن لديها الشجاعة لتعترض اذ
لم يتحدث ان كانت في عربة بمفردها
من قبل . وبعد دقائق قليلة انحرف
السائق بشدة وشق طريقه فسي

الزقاق الطويل . وبمجرد ان وصلا
اودرت ذلك اذ كان على الباب ثلاث
فتيات في ثياب حمرة مفرجة . يقفن
خارج الباب يبتسمن ويلوحسن .
وتزاحمن حول العربة ثم ارددن الى
الخلف عندما راين انها امسرة . .
وصاح السائق موضحاً .

— لقد جاءت تبحت عن زوجها ،
ابتعدن اثنتي الثلاث .

وابتسمت الفتيات الثلاث ولكن
مدام اوميورا لم تعرهن او تعر الرجل
اي اهتمام ودفعت له تقوده وسارت
كانها هي مخدرة من الموقف . ثم
التفتت الى الفتيات الواقفات عبر
الباب وقالت .

— معذرة ، لقد جئت لافابل زوجي
من هو ؟

هكذا سألتهن اطول الفتيات
— مستر اوميورا ، نائب رئيس
شركة — ساكيورا الصناعية .

واخذت الفتيات ثم صحن سوبا .
— آه . مستر اوميورا ، انا نعرفه
تماماً — انه رجل رائع .

وتغير لون الفتيات لذكر اسم زوجها
ونظرن لها باحترام ثم قدنها عبر صالة
مدخل البار وصحن .

— ماما ، ها هي ذي مسز اوميورا
وفي الحال جاءت المدام وكانت
امرأة جميلة . ربما في الخامسة
والثلاثين ، ولكن لا تزال رشيقة مليئة
بالحيوية ترندي ثوبا من السنان
الاصفر غربي الطراز مفتوحاً من عند
الرقبة وبدون اكرام ومدت يدها
للانثنتين في حرارة وصاحت في صوت
عاطفي .

— مسز اوميورا !!!! انا لسعداء
برؤيتك يا مسز اوميورا . مستر
اوميورا يتناول بعض الشراب فسي
المقصص انه يلد بالويسكي جيداً ،
ونحن دائماً نقدم له ما يحب . هل
هو يتوقع حضورك ؟

ولم تجب مسز اوميورا في الحال
لقد دوت ان تكذب ولكنها لم تكن
معتادة على ذلك وخشيت ان يحمر

وجيها خجلا فتكشف نفسها ، يمكنها
فقط قول الحقيقة .

— انه في الواقع لا يتوقع حضوري
اني فقط — اني جئت فقط .

— فتم المدام .

— آه : اننا نرحب بالسيّدات ايضا
اتفضلين الجلوس في الحجرة الاخرى
وتتناولين بعض الشراب المهدئ قبل
ان تذهبي الى المقصف الرئيسي ؟

— افضل ذلك تماما .

وتعلمت مسز اومبورا . والان ،
وقد اصبحت هنا ، فقد سرها ان
تؤجل مقابلة زوجها . وبعت المدام
الى حجرة صغيرة خالية تماما بها
فقط منضدة وكريسيان .

— تفضلي بالجلوس .

— قالتها المدام وهي تتحنى .

— سارى احدى فتياتنا لتحضر لك
شيئا تشربينه . شيئا حلوا ، وستظل
في صحبتك بعض الوقت . اعتقد
ان لدي الفتاة المناسبة لك . احسن
فتياتنا .

وايتمت في اشرار وانسلت من
الحجرة كالطيف . وجلست مسز
اومبورا بلا حراك تنتظر . ولم يعال

انتظارها . وفي اقل من خمس دقائق
جاءت امرأة جميلة ، وكان هذا ما

لاحفظته مسز اومبورا في الحال . انها
فاتنة . ثم . رأت انها ليست امرأة

صغيرة السن ، وليست فتاة صغيرة ،
ربما كانت في الثامنة والعشرين من

عمرها . ترتدي ثوبا غريبا احمر
اللون ولكن شعرها كان طويلا ناعما

مصففا في عقدة عالية بدلا من قصة
قصيرة وتسريحة في عدة اتجاهات .

ووضعت الفاتنة على المنضدة صينية
عليها كوبان طويلان ثم انحنت انحناء

كبيرة فنهضت مسز اومبورا وانحنت
انحناء اصغر ثم جلستا وبدا

الفاتنة الحديث .

— مسز اومبورا ؟

— اني هي .

— طلبت مني امنا ان اجلس معك .

— اشكرك .

— عندما تكونين على استعداد

سأطلب مسز اومبورا ان ينضم اليها
او يمكنك ان تنضمي اليه في المقصف

— هل هناك سيّدات اخريات في
البار ؟ اعني . . اعني سيّدات مثلي ؟

وايتمت الفاتنة . ان لها وجها
بيضاويا شاحبا على الطراز الكلاسيكي

وفمها صغير جميل رائع الشكل ،
وعندما تفرج شفاتها تبدو استناتها
متساوية بيضاء .

— لسن مثلك تماما . ولكن

الزوجات الصغيرات يأتين احيانا مع
ازواجهن . انها عادة جديدة .

— لماذا يأتين ؟

سالت مسز اومبورا . ولقد
دهشت ان تجد نفسها مائلة لهذه

المرأة . ان جمالها جمال دافئ وبدو
كسديقة لا عدوة كما افترضت هي

ان ستكون كل النساء في الحان .

— وضحكت الفاتنة بركة وقالت .

— اسبالي نفسك . لماذا اتييت انت ؟

وداهت مسز اومبورا ان تكشف
في هذه اللحظة رغبتها في البكاء

وقالت في تاعثم .

— انك . . انك لا تستطيعين ان

تتصورني ما هو ان تجلس وحيدة

في حجرة صغيرة في الساعة الثانية

لتنظري حتى الساعة الثانية عندما

يعود الى المنزل . وعندئذ يكون عليك

ان تبسمي وتضعي وترجي به ولا

تساليه ابدا سؤالا خشية ان يغضبه

فلا يعود الى المنزل مطلقا .

واطرت الفاتنة وقالت .

— اعرف : لقد اخبرني زوجات

اخرات . ومع ذلك اعترى نفسك

محظوظة ، فمسز اومبورا لا يعطي

مواعيد غرامية ابدا . انه يأتي هنا ،

يشرب ويسرد بعض الفكاهات ،

ويتحدث في الاعمال بين وقت وآخر

هذا ما هناك .

وعند هذه النقطة بدا ان الفاتنة

محرجة بعض الشيء فدعت مسز

اومبورا باشارة وشيخة من يدها

اليمني ان تحتسي جرعة من النبيذ .

فشرتا واستأنفت الفاتنة الحديث .

— بالطبع لمسز اومبورا فتاة

مفضلة من المفهوم انها تجلس بجواره
وتبقى كانه مليئة وتلاحظ الا يصل

الى درجة السكر . ولكن هذا هو كل
ما هناك . انه لا يأخذها ابدا الى اي

فندق .

— فندق . . ؟

فواصلت الفاتنة حديثها باعتزاز ،

— هذا حان وقور يا مسز اومبورا

وماما لا تسمح ابدا للقاءات غرامية

ان تحدث هنا . ومثل هذه الترتيبات

تتم بعد ساعات في بعض الفنادق .

اننا نلحق الحان في الساعة الثانية .

ان ماما صارمة جدا .

وايتمت مسز اومبورا وهي

تحلق في الوجه الفاتن الذي امامها

وقالت .

— انه ليس عدلا . . . انه ليس

عدلا مطلقا .

— ما هو الذي ليس عدلا يا مسز

اومبورا ؟

— ان امرأة مثلك .

— امرأة مثلي ؟

— جميلة لدرجة .

— وهل يمكن ان اتفادى ذلك .

— انك انت نفسك جميلة . .

— ليس لدي فرصة بالمقارنة بك .

— مسز اومبورا . اعدك .

— كلا . لا تصدي ، اني فقط

اسالك سؤالا .

— نعم !

— ما الذي سأفعله ؟

— وعندئذ وقبل ان تستطيع تمالك

نفسها ، تدفقت مشاعرها ، مشاعر

الحزن والحب الجروح ، المشاعر

التي كانت قد كتبتها العادة الطويلة

والثقافات القديمة ، تدفقت وهي ترى

هذه النماذج من الجمال ، الوجه

الرقيق والعيون السود الوديفة

والايدي الناعمة الدقيقة . ففاضت

شجونها وهي تتكلم .

— « كيف تستطيع امرأة مثلك .

مثلك انت ، ان تفكر فينا ، انهم نحن

الذين لدينا كل المتاعب ، ادارة المنزل

ولادة الاطفال ، اننا كالخدم ولكننا

لسنا خدما . اننا نساء نتشوق

لازواجنا . ولكنك تسرقنه مني ،
تأخذين احسن ما فيسه ، افكاره ،
حديثه ، ضحكاه ، ويعود الى المنزل
صامتا خويا ، بل اني اكسون اكثر
وحدة عندما يعود الى البيت .

وتغيرت ملايح وجه الفاتنة من
الدهشة الى الدفاع الى الالم ،
وارتمشت شفتاها الورديتان وتعلقت
الدموع برموشها السود الطويلة
واضطربت بداها الرقيقتان وتشابكتا
معاً تحت ذقنها الدقيق . ومن فوق
هايتين الديلين تطلعت الفاتنة الى
الزوجة المنتحبة . كما لو كانت لم
تر امرأة تبكي من قبل .

— اني لم افكر يا مسز اميوروا .
وام يخطر لي ، ان اتصور ، واعلمي
يا عزيزتي مسز اميوروا ، اني اكراهه .
وجدفت مسسز اميوروا عينيهما
وابلمت شهقة اثابتها واستفسرتها
في بلاهة .

— كيف تستطيعين ان تكويه ؟
— لانه رجل — وانا اكسره كل
الرجال .

وارطقت الفاتنة براسها واسقطت
يديها على حجرها كبتلتى زهرتين
مفككتين . واستمرت في الحديث .
— يوجد العديد منهم ، وكلهم سواء
انهم اقبياء تماما . كل واحد منهم
يظن نفسه لا يقاوم — .

وبدأت مسسز اميوروا تشعر
بالغضب من الفاتنة وقالت .

— انت انت .. انت التي تجعلينه
يعتقد ذلك .

واخذت ، فبالنسبة لمسز اميوروا
كان هناك رجل واحد فقط ، مستر
اميوروا وسحبت الفاتنة مروحة من
كها وروحت على نفسها .

— الا يستطيع ان يدرك اننا نملك
نفس الطريقة تجاه اي رجل يدفع لنا
لماذا نعتقد اننا من اجله فقط ؟ لقد
عبت منهم جميعا . اندرين كم سنة
مضت علي في هذا الحان ؟ اننا عشر
عاما . اتصدقين انسي كنت فسي
السادسة عشرة فقط عندما جئت الى
هنا لاول مرة ؟ ولكن هذه هي الحقيقة

اننا عشر عاما من النفاق والمداينة
والتصنع والاستماع للفكاهات الغبية .
لقد عرفت رجلا واحدا فقط ، اما
انا فقد عرفت المئات ، ليس بينهم
اذني اختلاف ولو بقدر قشة . انهم
مغرورون معجبون بانفسهم انانيون
اقبياء ...

وقاطعتها مسز اميوروا .

— لانه ليس لديك اطفال .

فهرت الفاتنة كتفها وقالت .

— لهذا الشيء وحده اشكر الله .
وطوت مروحتها ووضعتها في كها
ثانية واركرت بمرقها على المتدنة
وتحدثت في اهتمام ووجهها قريب
من وجه مسز اميوروا .

— لو اني كنت حرة كما انت —
لكان عندي حانوت صغير ! حانوت
ملايس ، ولاستخدمت ست فيات .
اربع لحاكة اللباس التي اصممها
واثنتان لتعديرا الحانوت . ولن امتقيل
فيه ابدا رجلا .

— ولماذا لا تفعلين ما تريدن عمله ؟
سألتها مسز اميوروا وهي تشع
بالغضب بوقوفها ساخنا تحت عظام
صبرها .

— ولماذا تجعلين نساء مثلي تعبات
افتحي حانوت ثيابك ودعي زوجي

وحيدا . اننا محتاجون له . الاطفال
وانا . في الواقع نحن ...

وهنا احسبت فجأة بالخجل ، انها
لم تستعمل من قبل كلمة « يحب »
فلا يوجد امثال كلمات « احبك » في
اللغة اليابانية ولكنها عرفت من اللغة
الانجليزية فقد رات افلاما امريكية
وهناك سمعت كلمات امثال « حبيبي »
و « عزيزي » التي ليس لها مقابل في
اللغة اليابانية . لقد علمتها والدتها
ان الحب للزوج . وهو اعق من ان
يقال ويمكن اظهاره فقط عن طريق
الآلثة والسلوك الرقيق ، وواصلت
حديثها بشجاعة .

— في الواقع نحن .. نحن نجبه .
وتنهدت الفاتنة وبدا انها لا تلاحظ
عاطفة مسز اميوروا وقالت .

— يجب علي ان افعل ما تقولين يا
مسز اميوروا . ولكن الحقيقة اني
كسول جدا . فبعد كل هذه السنين
تعودت ان انام الى وقت متأخر من
النهار ، وبعد ان اتناول قليلا مسن
الطعام ، — تحميني خادمتي وتلبسني
ثيابي وعندئذ لا يكون علي ما عمله
سوى ان ابدو كما انا وانظاها بانني
معجة برجل . انها طريقة سهلة
لكسب العيش . لقد فأت الاوان
بالنسبة لي لاتغير . »

فقال مسز اميوروا بمرارة :
— ولانك كولة علي انا ان اقضي
امسيائي واطفالي بلا اب .

ونفضت الفاتنة واخذت تسير في
الحجرة جبهة وذهابا برشاقة كبطة
كسول . ورفعت شعرها الناعم من
فوق وجنتيها وعضت شفتها وهزت
كتفيها وابتسمت ثم تنهدت ثانية
وجلست في الطرف المواجه لمسز
اميوروا من الحجرة وقالت .

— لماذا لا تفحصين محل الثياب ،
انك تستيقظين مبكرة كسل يوم ،
والاطفال يذهبون الى المدرسة ثم انت
وحيدة طوال المساء .

— لا — لا اريد محل ثياب .
قالتها مسز اميوروا بانفعال .

— ليكن شيئا آخر اذا — دعيه
ير ان كان حيائك الخاصة ، ولهذا
فلا اهمية لان يعود الى البيت ..

— وعندئذ اضطره ان يلتفت اليك
اكثر ، كلا اشكره ، فانا لست غبية
على الاقل .

وهكذا نهضت مسز اميوروا في
وقار وغادرت الحجرة والجان .

وفي الزقاق التفتت مرة لتنظر
الى الخلف مترددة انحيط مستر
اميوروا علما ام لا . وهناك كانت
الفاتنة تقف على الباب تنظر اليها في
شوق ، وعندما رأتها تلتفت وابتسمت
ولاحت لها . ولكن مسز اميوروا لم
تبسم ولم تلوح لها ، وبدلا من ذلك
انطلقت الى الشارع ووقوفت عربة
اجرة وجلست صامتا في المقعد .
وظلت في عقلها جملتان واضحتان .

الاولى ان الفاتنة تكره كل الرجال
والثانية ان مسز اوميورا يمكنها ان
تحيا حياتها الخاصة بها . وبسرعة
بدت لها هذه الحياة واضحة ، حتى
انه عندما عاد مسز اوميورا في
الساعة الثانية والربع استقبلته
بانسامة خفيفة قاللة .

— الشاي طازج . انك تبدو متعبا
— لا يجب ان تقوم بالاعمال ايلا نهارا
انك مخاض جدا لضميرك .

فتأوه وجلس امام المنضدة
بينما كانت هي تصب له الشاي
واستمعت في الكلام ..

— اني لم اكن لك زوجة طيبة .
لقد كنت امتع نفسي في الوقت الذي
كان على ان اعمل فيه شيئا لاكسب
نقودا فلا تحتاج ان تذهب السي
الحانات .

فاستفسر بدون اهتمام .
— ما الذي تستطيعين عمله ؟
— لقد كنت افكر في محل للثياب .
ثم رجعت على المساعدة في
مواجهة خلف المنضدة فكرت :

— محل ثياب . من اين استحصلين
على راس المال ؟ انها فكرة غير مقبولة
عقلا ، من النوع الذي تفعله احدي
فتيات الحان بمدخراتها عندما تتقدم
بها السن . ولكن انت ليس لديك
مدخرات .

فقال تفكيرة :

— صحيح . ليس لدي مدخرات .
لست محظولة كاحدي فتيات
الحان .

فرفع حاجبه وسالها :

— ما معنى هذا ؟

— لا شيء ، لا شيء مطلقا .
واتقضى المساء كالعادة . تناوب
وذهب الى فراشه وتخلصت هي من
ابريق الشاي والاقطاح ثم ذهبت
ايضا الى الفراش . ومع ذلك بقيت
تكرة انه يمكنها ان تكون لها حياتها
الخاصة تدور براسها ، رغم ان شيئا
لم يتغير ، وظل مسز اوميورا
يذهب الى الحان وظلت هي تنقضي

امسياتها وحيدة بعد ان يذهب
الاطفال الى الفراش . وبعد حوالي
شهرين اتصلت مرة اخرى بالفاتنة .
وفي هذه المرة لم تشعر مطلقا بغربة
لدهاها الى الحان . بل ولقد
استطاعت ان ترفض زيادة هبتها
لسائق العربة ودخلت الحان بثبات
وقالت للفتيات المناديات عند عتبة
الباب .

— من فضلك ؟
وفي هذه المرة لم تظهر المسدام
وجاءت الفاتنة في الحال وقالت في
حرارة صادقة .

— مسز اوميورا .. اني سعيدة
جدا . لقد جئت في يسوم طيب .
اتعرفين كيف اسعدتني ؟ فبعد ان
تركتني بدأت افتر ، كم هو مخجل
اني كسولة جدا هكذا بينما انت
تعملين كالرفيق في ادارة بيتك ،
وزوجك هنا دائما في كل الامسيات
تاركا اياك وحيدة . وكانت النتيجة
اني اخذت مدخراي واشترت محل
ثياب . انه صغير ، حجرة واحدة
للمحل وخلفها حجرة صغيرة لي
لاعيش فيها . والان انا في حاجة
لشخص يخدمني ، فهل يكون انت
هذا الشخص ؟ اني خائفة ان ابدا
وحدي .

واخذت مسز اوميورا فجلست
الى المنضدة في نفس الحجرة حيث
جلست من قبل وفكرت واخيرا
قالت :

— لا . لا استطيع ترك بيتي .
فقالت الفاتنة مقترحة عليها .
— عندما يحضر مسز اوميورا
الى الحان ، تستطيعين ان تأتي الى
محلي .

وبدت عاجزة مثيرة للعطف وجميلة
جميلا بدعيا لدرجة استعطفت مسز
اوميورا . ولما رأت الفاتنة ذلك مدت
يدها الصغيرة وتناولت يسد مسز
اوميورا .

— سيكون ذلك لفترة قصيرة فقط
حتى اتعود على ان اكون وحيدة .
وعندئذ استطيع ان اجسد فتياتي

الست واحدة واحدة كلما نما العمل .
انه لن يكون الى ما لا نهاية ، لا شيء
الى ما لا نهاية .

فاستفسرت منها مسز اوميورا :
— اليس لك ام ؟ ولا اخت اكبر
او صديقة ؟
— لا احد .

قالت الفاتنة بحزن .
— انهم يعيدون في « هوكيدو » .
لقد فقدتهم . انهم مجرد فلاحين وقد
باعوني في شتاء احدي المجاعات
ولست مما يخصهم الان .
وكان بين المراتين نظرة طويلة .
ثم كانت مسز اوميورا هي التي
تكلمت .
— اذا سأساعدك .

وبهذه الطريقة وببساطة وسرعة
تغيرت حياة مسز اوميورا .

ولعدة اسابيع وصلت الى اشهر
كانت مسز اوميورا تذهب كل مساء
الى محل الثياب . وكانت الفاتنة تد
اختارت الموقع جيدا . كان المحل
على ناصية (جنسزا) حيث يجيء
ويروح كثير من الناس . وكانت
الفاتنة نفسها بالغة ممتازة . وكان
يكفي ان ترد فقط على مدخل المحل
او تنشغل في الواجهة الزجاجية حتى
يتوقف الناس ليراقبوا ما تفعل ،
الرجال يتوقفون لانها كانت جميلة
جدا والنساء يتوقفن ليرين ما يتطلع
اليه الرجال ، ثم ينسبن الرجال
ويدخلن المحل لشراء الثياب ..
وكانت الفاتنة ذكية والثياب انيقة غير
عادية . وبسرعة اخذ المحل ينمو
لدرجة ان استاجرت الفاتنتين الاوليين
في الحان ، واحدة للحياكة والثانية
للخدمة .

واناء ذلك اصبحت مسز اوميورا
والفاتنة كاختين كبيرتين وصغيرة ، ولدة
كان مسز اوميورا جاهلا وساذجا .
وعلى اية حال ففي احدي الامسيات
لم يذهب الى البار . ودهشت مسز
اوميورا اولاً ، ثم نفد صبرها خصوصا
وانها كانت متعلقة على الذهاب للمحل
فقد وصلته بعض كتب « الموضة »

الجديدة من أمريكا وقد رقت أن تدرسها هذا المساء مع الفاتنة . وها هوذا مستر أومبيورا جالس يدخل سيجارة وهو يقرأ الجريدة .
 وأخيرا استفسرت مسز أومبيورا .
 - ألسنت ذاهبا إلى الحان ؟
 فاجاب مستر أومبيورا .
 - كلا .
 - أهنالك شيء على غير ما يرام ؟
 فوضع الجريدة جانباً وقال متجهماً .
 - ألا أستطيع أن أقضي المساء هادئاً في بيتي ؟
 فردت منزوعة لتجهمه .
 - بكل تأكيد . ولكنه شيء غريب جداً .

ولم يقل شيئاً وعاد لقراءة الجريدة ثانية والدخان يتصاعد ببطء في سفين من منخريه والقت هي نظرة إلى الساعة . لقد تأخرت نصف ساعة ولا تستطيع الاتصال تليفونيا فالجهاز موضوع على المنضدة المنخفضة تحت مرفق مستر أومبيورا . وأزداد بأسها فتشجعت وقالت :
 - ما دمت أنت في البيت فهل يمكنني الخروج ؟
 فنظر إليها من فوق الجريدة .
 - إلى أين ؟
 - لأرى صديقة .
 - أول مساء أقضيه في البيت تخرجين منه .

- عندما لا تكون في البيت يجب أن أظل مع الأطفال . والآن أنت هنا . فقال في فظاظته .
 - ذهبي . ذهبي . ذهبي .. ذهبي ودعيني للوحدة . سأكون مربية أطفال .. أصلي من نفسك أولاً . وعرفت أنه في حاجة إلى الحنان . وقسا قلبها عليه . أو لم يكن عليها أن تجلس وحيدة هنا ليالي عديدة خلال سنوات ؟ وقالت له :
 - أشكره ...
 ثم خرجت .

وفي المحل اسرت بكل الحديث إلى الفاتنة التي استمعت باهتمام بالغ . وعندما كانت مسز أومبيورا تراقب

الوجه الساحر خطر لها لماذا لم يعد مستر أومبيورا يذهب إلى البار وقالت .

- لأنك لست هناك .
 ثم أحسنت أنها أذنت عندما تكلمت ها هي ذي تستمتع بصحبة المرأة التي ربما قد أحبا زوجها . وقالت الجميلة .

- شمس ! لا أريد أن أرى رجلاً ثانية أبدا . لست محتاجة للكذب ، لست محتاجة لأن أقول له كم رائع . فقالت مسز أومبيورا مقاطعة .
 - أنه رائع في بعض الحالات . فضحكت الفاتنة وقالت .

- كم أنت مضحكة وعجيبة . ولكن دعينا لا نضيع وقتنا آخر في الكلام عن الرجال . لنلق نظرة على الموضات الحديثة الآتية من أمريكا .

وأضينا بقية المساء في مناقشة لطيفة حول المرأة الأمريكية وكيف تبدو . ومن الصور التي صممتها الفاتنة لأصمت عدة ثياب قوام المرأة اليابانية جامعة بين جوارب الأمريكية ودهاء اليابانية . وقالت الفاتنة :
 - لنلبي المرأة دون أن يبدو أنها تفعل .

ونقابت مسز أومبيورا هذه الكلمات من الحكمة بامتنان . وقالت للفاتنة .

وتبادلت المرأتان نظرة أخوية ودودة واستمرت في عملهما . وكانت الساعة قد بلغت الثانية قبل أن تصل مسز أومبيورا إلى البيت . لقد أملت أن تجد المنزل يسوده الظلام ولكن الضوء كان ينبعث من حجرة المعيشة . وعندما دخلت كان مستر أومبيورا في انتظارها ، بدون ابتسامة ، وبدون ابتراح شاي ساخن بالتأكيد . كان يجلس ثانياً ساقيه بجانب المنضدة المنخفضة في وسط الحجرة ونظر إليها وفي عينيه اتهام وقال في حدة :
 - عندما كنت بالخارج كاد ابتك تورو أن يموت من الغص . يقول أن السمك لم يكن طازجاً .

شهقت مسز أومبيورا واسرعت إلى الحجرة الأخرى حيث كان تورو ينام على سجادة « تانامي » وخده فوق يده ، فتحسنت جبهته . كانت باردة ولكنه فتح عينيه للمستمها فساءته .
 - هل تؤك معذرتك ؟

- كانت تؤمني . ولكن أبي عمل لي بعض شاي « الجنس » الساخن . لقد تحسنت الآن .

فتمتمت .
 - أوه . أنه لا ب طيب . فابتسم الضبي واغلق عينيه .

وخرجت مسز أومبيورا إلى غرفة المعيشة .
 - كان لطيفاً منك للغاية أن تعمل شاي الجنس . كيف عرفت أن تصنع ؟

- أوه . أنه لا ب طيب . فالتفت مسز أومبيورا ونهض وهو يطلق تهديداً طويلة .
 - ولكني متعب من انتظارك .
 - ما كان يجب أن تنتظر .

- بالطبع كان يجب ، لقد كنت قلقاً عليك في هذا الوقت المتأخر من الليل - امرأة لا تزال صغيرة وحسنة الشكل ...

ولم ينظر إليها وهو ينطق بهذه الكلمات المدهشة . وجمع اطراف كيومونه ونظر إليها نظرة جانبية ... وتطلعت إليه مسز أومبيورا ولم تعرف ماذا تقول . أنه طوال ستين نواحيها لم يطر مطلقاً مظهرها أو سلوكها . وهي تتوق الآن أن تشكره . أن تقول له بضع كلمات قليلة ، بل ربما كلمات حب ، ولكن ما زال لا يوجد أمثال هذه الكلمات في اللغة اليابانية ، إذا قالت له « احبك » بالانجليزية فسيؤخذ ويرتاب فيها ، إن أمكنها أن تتعلم أمثال هذه الكلمات الانجليزية؟ ؟ وفي اندفاع قررت أن تقول له الحقيقة .

- أذكرك محل الشيا ؟
 وكان يخلع « الشوجي » فالتفت ونظر إليها .

طيف راحة

تطلين على
في إيام العزن والشفيق ،
وتعترضن قلبي
كأية واسى !

هذا الطيف الحبيب القاسى
ما أعذبه وأمره في نفسى !

آه .. ليتك أمامي تتجسدين
فأراك والمك واضمك !

لمسة الروح لا تكفيني ،
لمحة العين الخيالية
لا ترضينى !

مجانة نفسى لرااك
أفوى من كل شيء !
توفى اليك جزء
من انفعالات الحياة
في روحي !

حلب توفيق اليازجي

نسقت بداه من على وجهه .
— انظنين ذلك .
فكرت .
— محال .

فسعل ونهض وسار حول المنضدة
ثم توقف لينظر إليها . وظلت هي
راكمة أمامه صامتا علموها ان الزوجة
يجب ان تركع أمام زوجها . وعلى كل
فانه عندما لم يتكلم رفعت رأسها
لتنظر اليه .

وفجأة ابتسم كلاهما . ونظرا كل
منهما الى الآخر للحظفة في صمت
وعندئذ تكلم هو .

— من الان فصاعدا لست في
حاجة لتركمي في حضوري . ان ذلك
لم يعد هو ادب السلوك الممتاز في
هذه الأيام الحديثة .

ومد يده وتناول يدها وانفضها
على قدميها .

القاهرة منيرة عبد الجواد دكروري

— كيف يمكن لامرأة ان يكون لديها
رأس المال ؟

فقالت مسر اوميرا ببساطة .
— كانت فتاة من فتيات الحان .

ونظر الزوج والزوجة كل منهما
للآخر ، هي بحثان وهو في ادراك
مبين واستوضحها ؟

— كيف التقيتما انما الاثنان ؟؟
— كنت وحيدة للغاية في الامسيات
وافتقدتك . وفي امسية ذهبت
الى ...

وسالها مستر اوميرا غير مصدق .
— انت ذهبت الى الحان ؟

— نعم .
— لم ارك مطلقا .

— كلا ... ولكن القاتنة جاءت
لتسلميني .

— وماذا قالت .
— قالت انها تريد ان تبدأ في فتح

محل ثياب .
— لماذا ؟

— لانها تكره كل الرجال .
وبدا ان مستر اوميرا سينهار

فجأة . فجلس على المنضدة ورفع
رأسه بين يديه .

إذا لهذا السبب رحلت
— نعم .

لقد عرفت بالطبع انها لا تهتم
بـ باي منا ، لا واحدة منهن تفعل .

— لماذا اذا واظبت على الذهاب
سنة بعد سنة .

فتمتم :
— كان شيئا لطيفا وسارا جدا ان

يحاول الشخص بالنسوة ويسمع فقط
باشياء بهيجة — ان الرجل يستطيع

دائما ان يظن نفسه ما يعرف انه
ليس هو ...

لقد قيل اكثر مما ينبغي ان يقال .
ومسر اوميرا عرفت ذلك ، يجب الا

تسمح الزوجة لزوجها ان يقلل من
قيمة نفسه امامها ، فوقفت بجانبه .

— لا يمكنني ان اصدق انها لم
تحبك . انه لم المحال بالنسبة لي ان

تستطيع اية امرأة ان تكون قريبة منك
ليلة بعد ليلة ولا ... ولا تحبك .

— قلت ليس لسدي رأس مال
للمحل . فهل لديك رأس مال الان ؟

فهرزت رأسها ونظرت اليه في
شجاعة فقال .

— اذن فليس هناك محل ثياب .
— بل هناك محل ثياب .

— فاستدار اليها ليواجهها عبر
المنضدة .

— كيف يمكنك ان تظلي في محل
ثياب حتى الثانية صباحا .

— كنت اصمم الملابس مع « الشريك
في العمل » .

وفجأة نار وخطا الى جانبيها
وامسكها من ذراعيها .

— شريك في العمل . من هو
الرجل ؟

فحملت فيه مذهولة وسالته .
— اي رجل ؟

— شريكك في العمل .
وحملق في عينيها الواسعتين

وامسكها من ذراعيها واخذ يهزها .
— كان يجب ان اعرف . ولا امرأة

واحدة يجب ان يوثق بها . ولكن
انت . انت زوجتي — تعودين الى

المنزل في الساعة الثانية صباحا .
وانتزعت نفسها من يديه وتراحم

غضب العمر كله عبر ذاكرتها . وان
حانت لحظة الانتقام ، يمكنها ان تصبه

كله عليه كما يصب الحامض وان تقول
له . « انت . انت الذي عاد الى

البيت الساعة الثانية صباحا عاما بعد
عام . انت الذي ذهبت الى بيوت

الجيشا بعد زواجنا مباشرة ثم الى
الحانات دائما الى الحانات . معطيا

وقتك وفكرت لنساء اخريات . كان
لديها كل هذا اتقوله له ولكنها لم

تتكلم فمن بقي له ليحبه اذا لم تحبه
هي — هو الرجل المسكين الذي ضيع

امسيات عديدة من حياته حيث لم
يحبه احد .

— يا سيدي العزيز .
قاتلها برقة وحنان دافق .

— يا سيدي العزيز . ان شريكى
في العمل امرأة لديها رأس المال .

ومن السأم يضح حنين

ويشتاب سكون بليد

وتنطلق ذبابة بلهاء

تطير تدور

تلف تبحث

وتعود من جديد

هو في مقعده مرتم

كأنه قطعة من جليد

يذوب انعطاف

ولا يدري

كأنه اصير وجد مريد

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ويشتاب السأم

البيير اديب

ويشتاب

حتى الذبابة لا تطير

كأن الربيع مأتم الربيع

سأم

يعيد الصدى البعيد

سأم

فاغر شقيقه

تنزء جراحه بالصديد •

سام



في العالم الجديد

تأليف فتح الله صفال - (١) صفحة - مطبعة الفصاد ، حلب

حفل ادب الرحلات العربي، بمقدم رفيق عزيز غلي، وضاح الحيتا بهي، أربحي خصب الجاني نهى، هو كتاب « في العالم الجديد » المبرز بقلم القانوني الصليح الحق، والانساني الجواد المتدفق، العلامة فتح الله صفال رئيس مؤسسات (الكلمة) الخيرية في حلب .

و ادب الرحلات ليس مستجدنا نائشا اقتبسناه الافلام العربية من المصادر الغربية كما اقتبست الاصوصة وسواها، ولكنه ادب غريق اصيل، نما مع الحرف العربي في عمره الحثلي، ورافقه في بداؤنه وحضارته وامتداد طرفه في الافق الجميل، وواحات النخيل والقطر والظليل، وارتاد انحصار بزم ماضي صقيل، وضرب في شباك الارض وتحورها بين حاول ورجيل، واخترق المجاهل غير مسترشد بتدليل، ففني على شواطئ الليل، واتضح الكثرة فاتحا ولا حرب ولا تكليل، والسند باي من التنزيل، وذل على ضفاف الكنج القمبي لساخس التنزيل، وطاف العمور من غربيته الى شرقيه على طيات الانحدام والعزم القليل، مستكشفاً بقو نيتي لا يفتي عليه كتاب . حتى اذا اب وقد شفى القليل حظ الرجال وعمد الى التسلل والتجسس والسرقة السفر الجليل، لم ايلست الحياة من فجرها الى غروبها رحلة قسند تطول وقد تقصر، وغربة وان في وطنها قد يصفو ماؤها وقد يكد . الا ناطل وقد نرى ان الارض رحالة غريب وما احسن ان يعتبر ويذكر !

ولا شك ان ادب الرحلة القديم اسند امارته الى ابن بطوطة صاحب الرحلات المشهورة، وقد عانى ما عانى في اسفاره المتشقة الفاسية الموصولة بفرطب متباينة من المصائب والمسايق والمتاعب والمهاج والملاعب والمآذب، والهدايا والصلوات والكواعب . ولكنه كان في غره وسره، وخله وخمره، طربا طربا رديفا .

اما ادب الرحلة الحديث فقد اسند امارته الى الامين الريحاني صاحب المؤلفات الدراسية المتأورة، وقد كشف لنا فيها عن عالمنا العربي الذي كان مخبوا وراء الف جدار، فلا تقع عليه الابصار، ولا يهتدي اليه بمسار، وكان سر مقلن من الاسرار، فحسر عن وجهه النجاب، ونفض عنه غبار الاحقاد، وزقه وفضنا متانقا في كتاب تلو كتاب .

ولعلنا لا نعدو الحقيقة ولا نلطم احدا اذا قلنا ان كتاب « في العالم الجديد » جاء الجلي في جلال موضوعه، وعذوبة بنيوعه، وفرائد مجموعته، وصلابة جلوعه، واستمرار نجومه . اما جلال الموضوع وهو بيت القصيد في الكتاب، فيمكن ان المؤلف العلامة يحدتنا عن اعظم عمران، وعرفه الانسان في كل الزمان، وعسن اوسع حضارة استنبطها العقل الخلاق، والعزم العملاق، وذهب بها الصبر الخلاق، والظاق الرقيق، الى ابد الافاق . يحدتنا عن انفي موطن بثروته المادية والصناعية، والعلمية والروحية، وخبراته الكثرية، وانظمتها الديمقراطية الدستورية، وحرته المثالية، وقيمته الخلقية والانسانية،

انه شعب الولايات المتحدة الاميركائية، أنه الشعب الذي فتح افراده لطبعم شعوب الجمهوريات السوفياتية التي مارست النظام الشيوعي خمسين عاما حتى اذا تهدنتها المجاعة هربت الى الولايات المتحدة تبتاع من فمها في صفقة تجارية تبلغ الف مليون دولار تقريباً ..

انه الشعب الذي نصب لحرته هيكلًا فديسي في تمثال رمزي رائع تخشع امامه عيون الاميركان وتحتي الرؤوس ويرتمي الزوار بين وفار وسجود، وكانهم امام الله معبود، وعهد منشود، وميثاق مع الله معقود ..

والصحيح ان للاميركان انها غير منظور، يؤمنون به ويعبدونه بكل ما يفتعل في الصدور، من حب وتقوى وصفق الشجور، والى جانب الله المعبود غير المنظور، الاله جيلتها دماء الاحرار، وجسدتها مجاهج الابرار، ونفخت فيها الروح افواه المهينين الاخيار، واستبكت عليها ابوار شمع في الضمائر والبهائم والابصار، فاذا هي رمز الكرامة الانسانية والشعار . واذا هي كلمة الله وصوته المختار، واذا هي الحياة مكللة بالفاخر . واذا هي غشاء الاسحار، يفيض في صدور الصغار والكبار، بلذ هي العربة قبلة الانظار، ونجمة الافكار، وانتشودة الافكار والازهار . ولا يقول احد بتثائية الاوهية، فالعربة في مصدرها قيس من الله زهار ..

فالوضع ان جليل كل الجلال، ويزداد نالق هذا الجلال والجمال، اذا فاعلمنا بما يعاني بعضنا من شناعة وهزال، وسكع وضلال، ونفاعة واختيال، وكناته في خطه بيتي على رمال، وبستانه ولا عقل ولا عقل، جاريا وراء النخيل، وبس المال ..

واية هذا الكتاب النفيس ان مؤلفه الاستاذ صفال كتبه بعقل القانوني المتدافع من الحق ان كان صاحبه، وغيره المؤمن باتسائته غير المتكلم بما ليس فيه، او يهدي العالم التزيه الذي لا يلتبس عليه النور والظلام، ويوجد المتعبد الماشق الذي يتصباه الجمال والخير، وقداة القلب الذي عبد الله رحمة واحسانا، وحجي النفاة البصير الجري، الذي لا تحال عليه زخارف الافلاط، ولا يأخذ زهو الالوان، وبين الصانع الحاذق الذي لا تزوف عليه الهارج، ورشة الرسام البديع الذي تلتمع في لوحه صورة الروح المشربسة الى الصلاة، في نجوى وابتهال وعناء ..

فلعل كلمة في هذا الكتاب وزنها وحدها ومقدرها على الاستيعاب وفونها (التراتبية) كما يقولون في لغة الاقتصاد، ولكل عبارة مدلولها الظاهر الساخر، ولكل نفقة منقها الهادر، ولكل انفة لحنها السائر، وكم في الكتاب من مغازف ومزاهر، ومآثر ومفاخر، ولذات وجواهر، وفصول وآراء ومشاعر ..

ولقد اصاب المؤلف الباريح اذ عهد في كتابة المقدمة الى شاعر الشباب الاستاذ عادل القضايا وهو فارس الصناعات، والامين على الرساتين، رسالة الشمر ينظمه ربحانا للضياء لغباء للعين . ورسالة النثر، يرسله كذوئب اللجين ولالة السماكين، فاذا القاريه من صهباء البيان في تشوين، ومن سحر الابداع بين اخلدنين . ولا غرو فهو موسوعة ثقافية، واخو عصامية والقيمة واربعية . في كرم سجيته فيجات المقدمة فلاة مرصعة على صدر الكتاب، في نظيم من الترسل والاسهاب، ونثر من شواهد الترحل والافتراق، ونسيق من نمرات الالباب، وقطوف الآداب ..

يتألف الكتاب من قسمين في نحو اربعمائة صفحة وقد احتوى الجزء الاول طرائف شتى من تاريخ الولايات المتحدة وحياتها السياسية الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والفلسفية والدينية والادبية ولحات بارعة لغات الطبيعة ومعجزات الفكر وجبروت اليد البينة وسائل ما يراه السالع من انطلاق الزلازل ، واستئصال الطغايا ، في احداث ارض ، واحدت شعب ، واحدت حضارة ، واحدت ما ابتكره العقل الخلاق . اما القسم الثاني فقد فصره المؤلف على الجالية العربية الكريمة ونشاطها في ميادين الصناعة والاجتماع والاعمال وقد تالفت فيه عنصاميتها وقيمتها ورفعها مكانتها .

والحديث عما شاهدته المؤلف الصليح من مظاهر العمران والحضارة واتراء الجراح ، والحياء السياسية والاجتماعية والروحية في بلاد العم سام ، يطول ويطول ، والمجال يسبق بالتلخيص فضلا عن الاسهاب والتعليق ، ولكن لا بد لنا من وقفة امام الباخرة (فرنسي) التي استقبلها المؤلف مع عقلية الراعية من ميناء الهافر الفرنسي الى نيويورك . نمود بنا الذكارة الى ممدات التاريخ والتل ورسائل الواسلات في اواخر القرن المنصرم ، وقد كانت مقصورة على البقال في الجبال ، والجمال في بوادي الرمال ، والحمير والافراس في السهول والادغال ، وكان الترفون يركبون العربات بين صغيرة وكبيرة يجرها زوجان او اربعة او ستة رؤوس من الخيل ، وكان ركوب هذه الطايا عسرا شاقا محقوقا بالمخاطر ينهك القوى ويهبط على السجور والتساقط وتبدير الوقت ، وكان الكاركي أمير السفر وفائد القافلة ، وهذه العمدات هي وسائل بدائية ، راقت انسان في كل عصوره بعد ما تعدر عليه ان يسخر غير الحيوان لاسفاره ورحلاته ومن الطريف انه ، لما استتب الامر للحرب في اندلس وسيطروا سلطانهم ، برز الكاركي العربي الى الميدان ، وكانت مهمته مجبولة في تلك البلاد ، فنقل الاسلابيون والبرتغاليون لفظة (الكاركي) الى لغتهم ، كما نقلنا نحن بمعدل لفظة (شوقي) الى العربية الحديثة .. اما في البحر فكانت التراكيب الشاعرية التي تسوقها الرياح ، تجري طورا كما تجري السفن ، ونارة كما لا نشتهي ، وكان الراح كونه يامرأها ، وكما بل حقه ... يقول التاريخ البرتغالي ان البحار العظيم يبدو الفانسان كايوان الخشن يسفائه من مياه البرتغال وانحد الى الجنوب في خطة مرسومة لكشف عن طريق جديد يؤدي الى الهند (١٥٠٠) ولكن هبت علسفائه رياح شديدة من جهات افريقيا الغربية وجرفتها غربا الى ارض جديدة لم يعلم بها كاسرلا ولا وقعت في خلدته وهي التي سميت بمعدل (برازيل) وقد جسرنا من سواحي الهند الجبولة ، ولذلك اطلقوا على سكان امريكا الاصليين لقب الهنود ، وما هم بهنود وقد شاع الخطا وانتشر ، ولم يشفع بتصحيحه معرفة العلماء الجغرافيين انه لا صلة بين الهند وهذه البلدان الجديدة وسكانها .

وفي عهد النهضة العلمية في اوروبا الغربية ، عندما سار الانسان شوطا بعيدا في ميدان العلوم الطبيعية عمد الى تسخير قواه الفكرية لتلحدر من الطايا والراح في اسفاره ، فكان البخار والفكرب ، ولم يلبث ان برز القطار الحديدى المروف ، واللفظة مأخوذة من فطار الابل ، والسفن البخارية التي انتشروا لها لاسما يدل على البخار الذي يحررها اي باخرة فاحيلت السفن الشاعرية واغلب الطايا الى التناعد بفصل الفكر المخترع .

اورندا هذه اللامعة المابرة للمقابلة بين وسائل السفر والتقل في الماضي القريب ، ووسائلها في العصر الحديث ، ولا شك ان الفارء يقف امام الباخرة الفرنسية (فرانس) التي استقبلها مؤلف الكتاب من الهافر الى نيويورك مدهوشا امام هذه المدة العمومة التي تمثل فتوحات العقل الحديث .

طول الباخرة ٢١٥ مترا وحمولتها سيمون الف طن . وهي تسع لاربعة الاف راكب منهم الف ومائتا بحار ، وفيها كنيسة واسعة للصلوات

اليومية ومسرح كبير مساحته ثلاثة الاف متر مربع يتسع لثمانمائة شخص وفيها مستشفى صغير ومكتبة عامرة ، وسلسلة من الانهاء ومساحة البهو الاكبر خضمانتة متر مربع ، وحولى للسباحة وفرقة موسيقية تعزف سبع ساعات متفرقة يوميا ، وتسع هذه الباخرة لاربع وتسعين سيارة كبيرة الحجم ، وهي ذات احد عشر طابقا مرتبطة بمغارة كهربائية (ولا نقول مصعد ، لان مغارة تعني الصعود والهبوط مأخوذة من فرع في الجبل اي صعد وفرع من الجبل اي انحدر وهبط) اما ثغافت بناء الباخرة ونجيزها بالرياش وسائر معدات الزينة والترفيه ، وهي في اعلى مراتب الالفة والفن والبلخ ، فتبلغ ثلثمائة وخمسين مليون ليرة سورية . ونحن نكتفي بهذه الاوصاف الرئيسية ، ونترك الباقي لخيال القراء الخصب ، ولحقا يصيبهم فينعمون بركوب هذه الباخرة التي تصالحت امام حقيقتها اساطير الف ليلة وليلة الخيالية .

هذه واحدة واخرى ان هذه المدينة البالخة العمومة اجتازت المسافة بين الهافر ونيويورك في نحو مائة ساعة وكانت تستغرق اكثر من عشرة ايام في البواخر الاخرى .

ولكن هذه السرعة ليست بذات بلال اذا فيست سرعة جوارى الماء بسوايح الفضاء ، فالطائرات النفاثة الحديثة تجاز المسافة نفسها في اقل من عشر ساعات ، فما القول في الطائرات التي تفوق سرعتها سرعة الصوت مخترفة جداره في انفجار او اصطدام يشق السامع ؟ ولتدع الصواريخ جانباً وهي التي بلغت السرعة الخيالية القصوى لانها لا تصلح للاسفار .

وكانت الباخرة تجاز المسافة بين بيروت ومرسيليا في اسبوع واذا قمست هذه السرعة بسرعة الطائرات التي تقطع المسافة المذكورة في اقل من خمس ساعات ، اشبهت سرعة عربة الخيل بالنسبة الى القطار الحديدي . وما ابعد الفرق الى الواسلات بين الكامي البيئي الجديد والحاضر السريع الذي اعطى طوى المسافات طيا كما يطوى منديل سفير يوضع في الجيب ، بل لم يبق العالم صغيرا امام هذه السرعة العارفة في الواسلات البرية والبحرية والجوية . وما دواعي الانساق ان هذه الفتوحات العلمية المادية في عالم السرعة والواصلات ، لم ترافها فتوحات روحية الخيالية جديدة تحفظ التوازن ، بل العكس هو الصواب اذ اشتد طغيان وانتست مسافة الخلف بينها وبين الروح .

ولنا وقفة اخرى امام ميناء نيويورك نستدل بها على جبروت العمران والادارة والتشليل ، وان شئت فقل على جبروت الفتوحات الاقتصادية والصناعية والتجارية في الولايات المتحدة . هذا الجبروت الهائل يمثل اجماع تمثيل في ارضية ميناء نيويورك التي يبلغ طولها خمسة مائة وستين كيلومترا - اي ما يوازي طول الساحل اللبناني مر ونصف مرة ، نزحهم حولها الوف البواخر التي تفرغ ملايين الاطنان من المستودات الاجنبية وتعمل ملايين وملايين الاطنان من الصادرات الاميركائية الى جميع موافى العالم .

وكفى بهذا الميناء صورة مادية محسوسة تقني عن الف وصف واحصاء ولنا في هذا بقرة على شعب الولايات المتحدة الذي تتجلى فيه اعجوبة الانصهار الوطني بشكله الابدع ، وعمله الازرع ، وعندنا انها اعجوبة التعاضب الوطنية في العالم اجمع ، ففي القرن السادس عشر سبق البحار الهولندي زملاهه الاروبيين ورست سفائنه امام الجزيرة التي تدعى الى نيويورك ، ثم توافد المهاجرون الهولنديون واسسوا شبه مستعمرة في مهنات التي يعطى بها نهر الهيسن ودعواها استمراد الجديدة نسبة الى عاصمتهم الام . وبمعدل توافد المهاجرون الاكثري في رحلات متتافية ولم يلبث ان تنافس الاستثماران الهولندي والبريطاني ثم انتهى هذا التنافس بطرد الهولنديين ونشر سيطرة الانكليز الذين توغلوا في القاصي البلاد ، بجهاها الاربع (١٦٧٤) . وفي هذه الاثناء نالت موجات الهجرة اليها من بلدان اوروبية الغربية والاسكندنافية ولا سيما ألمانيا وارلنده ، فانصهرت هذه الشعوب المتباينة في بوتقة وطنية

أميركائية واحدة وثارت على الاستعمار الإنكليزي بقيادة واشنطن العظيم . فحين ١٧٧٦ أعلنت استقلالها وتحررها من السيطرة البريطانية ، وعلى إثر فتح أبوابها لكل المهاجرين الأجانب دون استثناء ، من الزوجات المقيد في إفريقيا إلى الصفر في الصين واليابان ، ومن آسيا إلى أدوية فسفار اساحه العالم . وما يجدر نبؤيته انه كان للزواج اكبر الاثر في الحياة الزراعية الأميركية وخصوصا في الولايات الجنوبية التي ازدهرت فيها مزارع القطن وقصب السكر وحقول الحبوب وتربية الابقار وسواها بفضل الزنجي الذي جيه به رقيقا من الريفية .

ومن هؤلاء المهاجرين الذين ينتمون الى اكثر من اربعين امة متفرقة اللغات والاديان والمعارات نال شعب الولايات المتحدة في عملية انصهار وطني رائقة ، عملية فذة خارقة لم يعرف التاريخ البشري اعظم منها ، ولا انجح في تكوين شعب حديث غير مرتبط بسلالة واحدة .

كانت الولايات المتحدة ، والوطنية الأميركية لا يزيد عمرها على قرن واحد . وهو زمن لا حساب له في حياة الامم - نستقبل المهاجرين الاجانب على اختلاف الشعوب واللغات والاديان واللغات ، ونرحب بهم في عيشة سخية ونسهل لهم كل اسباب العمل والعيش الكريم . انهم اليوم غرباء ، ولكنهم امريكانيون غدا ..

فلذا ذكرنا الصياغة الكريمة بمداولها العملي الواسع ، فلندكر في الدرجة الاولى بلدان العالم الجديد التي لا تنطق ذرعا غريب مرتزق ، ولا تنكر لاجئيه يقد اليها ويظن فيها امنا في ظلال شرائع مسحة يتساوى فيها الوطني والاجنبي وتجرى احكامها على الاثنين ، سواء اكان المهاجر فقيرا ام عادلا ام تاجرا ام صريفا دون شرط او قيد الا احترام دستور البلاد وقوانينها . اتنا نكتب هذه السطور وقد نعتلت امامنا تلك الحواجز والقيد القائمة على الحدود بين دولتنا العربية الشقيقة ؟ ونلك الشرائع العمالية الاقليمية وسواها من المراسيل التي وقضت من البلد العربي الاخر في وضع الاجنبي ، نذكر كسل هذا فياخذا المعجب من امرنا القريب ..

ولنا بعد هذا وقفة ثالثة ، امام الشعب الامريكاني ، فلا شك انه نيل محسان نفي السرية طيب القلب مقيافه ولا شان لنا بسياحة حركته الفارجية فيها ، فهذا الشعب الذي يحرق من الجهل والارضي والفقير وفتنك البطالة ، ونعم بالثراء والعمروان والطمانينة والرخاء والريادة والكرامة والدنيا المعطاء ، ونرف في العلوم والفنون والهن التقنية شيد لها اوسع الجامعات ، وارفى الكليات ومدارس الاختصاص ، هذا الشعب الذي اقبلت عليه دنياه واعطته كل ما يتناهى فوق مشتهاه ، واكتسج بدولاره الاموال من اقاصم الى اقاصم ، وجرت مراجه في البحار فكانت سيادة الاموال ، هذا الشعب الطيب النبل الذي رجحت حسنة على سيئاته ، لم يتحور على ما نرى من غفلة نسيبة خليفة نشأت عن انتشار الدعاوة (لا الدعاية) والنشون الذي البارح في الفاء بدورها في النفوس . للدعاوة في نفسه فعل السحر . انه مأخوذ بها يعتمد عليها ويركن اليها ويؤمن بها وتخلدها مغبة سالحة لبلوغ اغراضه .

ومنى علمنا ان الصهيونية في الولايات المتحدة ، مسيطرة على معظم وسائل الدعاوة والاعلام ، من الصحافة الى الاذاعة الابرية والتلفزة ودور السينما وبعض الاندية والمعاهد ، هان علمنا ان نفس مفهوم النافضي الخاطيء ، شبه السلبى لقسايات العربية وبعض فضايا العالم الاخرى ، ولو انه نحر من سحر الدعاوة وهي مزيج من كل وخفر ، وخير وشر ، وبهرج ودر ، وتندبر بشيء من الشك والدرس في ما يلقى في سامعه ، انن لنهج نهجا جديدا ، وارسل في فضاياه الداخلية والفارجية نظرا نافذا عيقا بعيدا ، لا ياتيه الباطل وان جبارا عنيدا . والسؤال الذي يجب طرحه هو : هل يعلم هذا الشعب الكريم انه مغلوب على امره امام الدعاوة الصهيونية ، والنشون الصهيوني ؟

هذه واحدة واخرى ان الشعب الامريكاني ، على ما يستمتع به من

حرية واسعة وديموقراطية عريقة الجذور جامعة ، وشرائع مسحة وازعة ناجمة ، يماسي في الولايات الجنوبية على الاخص ازمة التمييز العنصري وهو اسوء الافات ، فلبس الذين استرقوا الزوج في الجنوب اكثر من ثلثة سنة يابون مساوواهم بمن كانوا عبيدا لهم ، ويصررون على نبيذهم ولفصانهم عن المجتمع الابيض ..



و الحديث عما حواه كتاب الاستاذ صفال ، مانع شائق واسع المجال يستدرج القلم من مقال الى مقال ، يرفرف فوقها افس استهفام وسؤال ، في انوار ظلال . واستقصاء استدلال ، ومقارنة ومثال ، مما يؤكد لنا ان ادب الرحلات اذا استوفى شروطه ، واستلجم خطوطه ، واقتسزل خطوطه ، كما استوفى هذا الكتاب ، جاء من امتع القراءات ، واطلس المفاصل ، واطرف الدراسات ، واطفها في النفس ، واطمقها في البحث واطوسها ليجولات التفادة النطس .

ولنا في الختام وقفة غائرة امام جوالينا السورية والبنانية في الولايات المتحدة ، فالقسم الثاني من الكتاب حافل باخبار الجالية الحلبية وفتوحاتها الصناعات والتجارية والاجتماعية والمعنوية في بلاد المم سام ، وللمؤلف الفاضل علره في الاسباب والتفصيل فهو يقول في مطلع الكتاب (امتية غالية طالما فقيتها بها وعللنا النكس بتحقيقها وهي ان نرود الولايات المتحدة لتصل بجالياتنا الحلبية العزيزة ، ولنشكر لها اسهامها الفعال في نايد مشاريع « الكلمة » ادبيا وماديا) .

وهذا يعني انه كان يحفل في زيارته للولايات المتحدة رسالة شكر الى الجالية الحلبية الكريمة الفسيلة ، وبا لها رسالة نبيلة ، وعاطفة جلية ، ولدا اقية ، فهذا الاستاذ والمناصب الجواد الحسان الذي فتح قلبه وكفه واستوى زبد عزمه وحزمه ، ووقف وقته وجهده على رعاية مؤسسات الكلمة الحبرية في حلب ، وهو ذو الفضل دائما ، سدد دنيا معنوي الاستيفاء ، وحلقه بعد الله في السماء ، حيث التسواب والجزاء ، بالسوق على السماء عهري الاده ، وفي هذا التسديد ابلى ما جادت به قرائح البلاء ، في باب الحب والمطاء والوفاء .

ولكن ليس هذا فقط ، فوفلتنا نشأت عن افراد الجالية الحلبية باقامة المحلات الاتركية والمناصب البالية للضيف الكبير الاستاذ الصفال دون ان تنسرك في واحدة منها على الاقل ، عناصر اخرى من الجاليات السورية والبنانية ، على علو مكانة الزائي الحجاج وجلال قدره وعميم فضله وبسطوع مكارمه وناقش شهرته في البلاد العربية وخصوصا سورية ولبنان ومصر ، فهو القانوني السند ، القانوني الذي انقذ الزعيم هنانو من الموت في محاكمته العسكرية المشهورة ، وهو الوزير السابق ، وهو الانساني الحسان ، وهو العلامة وهو الفكر والمؤلف والاديب ، وهو القلب الذي يأسو الجراح ، وهو الذي يمسح الدموع ، والزبد الذي يجبر غرات الكرام . ان جالية موهاب خصبة تلاوت مجازيات خرا وجمالا ونورا ، في رجل واحد . واكرامه او المشاركة في اكرامه لا يعني في مرماه ، تقديرا لشخص معين محدود النجوم ، وانما يعني تكريم الموهاب والافتسفال المروءات والكرامات ، فهو اذن رجل انسانية عام ، لا رجل مدينة خاص ..

ولكن ما العمل وقد حملنا الى مارجنا انجازيلنا الاقليمية والبلدية والطائفية ، فما نحرنا منها داء رجحيا ، ولا خلطناها لوبا اجتماعيا ذريدا ، ولا سرنا في التور طريقا سويا .

وبعد ، احسن الله الى الاستاذ الصفال وراحه ، وزادنا من خصبه وجناه ، ان في مداده لفسياء ، وان في قلبه لمطاء ، وان في عينييه لشعاعا من رؤى الانبياء ..

حمص

نظير زيتون



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة يؤدها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :
الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد أدنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد أدنى

المجلات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاطلاع تراجع ادارة المجلة

تليفون : (٢٢٢٨١٩ الإدارة) (Dir : 223819)
(٢٢٥١٢٩ المنزل) (Die : 225139)

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

**صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البر اديب**

اشتات مجتمعات : في اللغة والادب

تأليف عباس محمود العقاد - ١٥٦ صفحة - طبع دار المعارف بالقاهرة .

لعل هذا الكتاب هو آخر ما طبع في الحياة لكتاب العصر الأستاذ عباس محمود العقاد الذي غادر عالمنا منذ اواسط اذار (مارس) ١٩٦٢ ليطلع ازاهيره وراء الوجود . وهو اذ يستعد عن دنيا ، فلما يكون بعد حقيقة يمازجها وهم ويشوبها شك . فهو غالب بالنسبة للذين لم يكونوا يرونه كل مطلع شمس او كل اسبوع ، او يشاهدونه على اطراف الشهور والسئين ، وانا منهم .

لقد كنت القاء بصفاء النيل في مجمع اللغة وفي مكتبة الانغلو او في المجلس الاعلى للاداب والفنون بالزمالك . فلئن غادرتا فقد بقي في خيالي مقيما ، وكذلك سائر تلك الحقيقة ، فهو ما يزال ، يحكي ، في منزله بمصر الجديدة ، ونشأه التصفى في ركن القرفة الكبيرة ، حيث كنت اشاهده وصديقي الكاتب الفذ الأستاذ ودع فلسطين ، وكنا نتفرس معا سمانه وقسماته البرونزيتوقد صنعتم له للعقاد في مثل الكهولة فتتمنى لو يكون له مثال اخر يطل منه في عمر السبعين ، ولقد سمينا بيته « مدينة الكتب » مثمنا سمي اناطول فرانس داره .

حوى هذا الكتاب الجديد كثرة من آراء الأستاذ العقاد في اللغة العربية واللفات الاجنبية القديمة والحديثة ، ودراسات دافعا مزججة بفقه اللغة الفيلولوجيا وعلم اللسان ونيجر مؤلفه العجيب بارسار العلاقة العربية والسفلى والشعر والموسيقى اللغوية . وحضارة الفكر العربي في اللغة والادب ، وفي درعيات ابي العلاء . ولقد انشأ لنفسه في كتابه هذا نظرات وآراء بلغت اقافة في اصابة الرمي من اجل التحسين في لغة العرب ، وفام بخته على اسس منهجية في الفلسفة اللغوية واحكام الاحكام كنظم ما يكتب التجميعيون والجامعون وكبار الادباء في الغرب في شؤون لغاهم وافكارهم الادبية .

ولقد اخذت ، وانا في فرح بلقاء هذا الكتاب ، اتسق فيه ريبا الفكر العقادي فاذكر ما صنع الجمعي ابراهيم مصطفى ترجمه الله ، وما تحلى به استنادا الدكتور طه حسين من آرائه في النحج الجديد واصلاحه . وقد اخذ الأستاذ العقاد ينافسه بمذهبه ذلك ويلاحظ عليه ما لاحظته هو على النحاة المتقدمين .

والعقاد عاش امينا على لغة العرب ، فهو قد تمكن من استاذية الكتابة مثلما تمكن ابن الفقع والجاحظ والزيات القديم والزيات المعاصر ، فكان من سدة هيكلا القدسي ، ولكم نافع عمن اللغة والادب ، وكسب خصوصيات المتطرفين والمجزة الذين يريدون ليلهبوا عن العروبية نور الله في بيانهم الابدي ، فكت بفصلا في كتابه هذا عن صلاح الحروف العربية لكتابتها اللغات كافة ، فاما من لفظ او لسان يدور بكلام في لغة عتيقة او حديثة في عالم القرب والشرق يستمعني على لغتنا العربية الصادبة كما يسميها نايقة الادب والعلم الامير مصطفى التهاجي ، مد الله بعمره .

واكاد اربدني ماضيا في تحليل هذا الكتاب ، ونسب ما فيه من نجاحات العقاد العظيم ، اولا اني اوتر ان اخرج من اهالي لغزالي الاثرة في « الاديب » الاخر ، فاعرض لهم نفسي بمرعى لعلهم لم يالفوه مني قبل اليوم في طول ما كتبت من اجلهم عن الكتب .

لقد افرد الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه « اشتات مجتمعات في اللغة والادب » فصلا ضافيا عني ، حل فيه كتابي « شعر الحرب في ادب العرب » ، وتقديني نقدا رقيقا ، وناقشني مناقشة حلوة هائلة ، في آرائي التي اتخذتها للكلام على « الملحمة » ونفها وعن الملحمة العربية وملاحم الامم .

(١) الطبعة الحديثة بدار المعارف بمصر ، وانظر مقال الأستاذ العقاد في الدكتور ركي المحاسني كاملا حين نشر اول مرة في ثانفة الزيت وفي « الاديب » سنة ١٩٦٢ . وانظر قصيدة المحاسني في العقاد بعد ذلك في « الاديب » .

وفد أحببت اليوم أن أمارس تجربة نفسية - بيسيكولوجية - بانفصال الشخصية ، فأكتب متكلماً على كتابه في فصله الذي أفرده لي ، كاتني انكمم على شخص آخر ، ما ضمه هاهنا :

بعد أن اتنى الأستاذ العقاد على الجهود الذي بذله الحاسني في تأليف كتابه « شعر العرب في أدب العرب » عده من نفائس ما ظهر في عالم التأليف المعاصر حيث يقول :

« وقد اعتمد المؤلف على ذوق الأدب ، ونمحيص العالم في اختياره من القصائد والمقطوعات ، وفي القابلة بينهما ووجوه التشابه والمخالفة منها على حسب التشابه أو المخالفة في أحوال العصور وملكات الشعراء وأساليب الشعر من جانبه الفني ومن جانبه المتصل بالآخلاق والحوادث ، فجاء الكتاب زينة متفتاة ، وذخيرة منمنعة تجمع للقاري ما تفرق بين مئات المراجع ، وتزيد عليه ، ما ليس يوجد في تلك المراجع من تعليقات النقد ومواضع الاستدراك التي يهمني إليها الباحث والمؤرخ ، وبودعه خلاصة تفكيره وملاحظته في هذا الموضوع » .

وبلغ من تقدير الأستاذ ، نافر الله عظامه وصان تجاليدنه عن البلى ، أن قال عن كتاب زكي الحاسني أنه بعد ذاته ملحمة من الملاحم الباقية ، بقوله :

« وقد تساوى فصول الكتاب في حسن الاختيار وحسن التعليق .. وأخطرها على ملكة العدل في القاري العربي تلك الصفحات التي كتبت عن الدولة العثمانية وبرز من بين اسمائها اسم أبي الطيب وإبني فراس ، كما برزت من بين عواطفها عواطف الأبطال والأمهات والبشيين فيما تداوله العرب والروم من مواقع القتال ومواقف الأسر والسفاه ، فإن هذه الصفحات أخرى أن تسمى « ملحمة » شعرية يؤلفها التاريخ في ذهنه ويتنمها بحياله ، ويملا بها فراغ الملحم التي كثرت في الأدب الإجمعية وفلتت في الآداب العربية ، وما كان قلقتنا من سبب غير اختلاف الإوزان وناخر اليمعاد » . ثم يقول : « ولا نظيل التشبيل لحاسن الكتاب ، فإن الأمر بلجنتنا إلى الاختيار ، وليس أصعب منه في كتاب هو نفسه قائم الاختيار ، وعلى حسن الاختيار ، وقدرته مؤلفه على احسان اختياره مكنولة بما ليس له من سعة المادة وما توفي عليه من سعة الاطلاع ، فغير ما يوفي به حفاص الاستقصاء هو أن يوفيه القاري حقه من المطالعة وانعام النظر والمشاركة في التعليق والاستدراك » .

الي ههنا اكتبني في قاله الأستاذ عباس محمود العقاد عن كتاب الحاسني في « شعر الحرب عند العرب » (١) ، مثنيا عليه معجبا به ومقدرا لعمله الأدبي ، وكريم طبع عندي أن اجد مواضع لنقدسه لي ، مؤلفه الذي كان امام الناقدين . ولم يكن أحد ليمولى على الجنون بين يدي مطرقة وسندانه ، إذ طلما ذاق آدباء العصر منه ما ذاقوا ، وباقية على آثار كثير منهم ميسام نقده التي لا تزول .

اتنى لا أنجاهت عن النقد ، ولقد قال لي الدكتور حسين ، كتب الله له مديد الاعمار :

« أخرج كتابك عن « المتنبي » (٢) حتى أريك مرارة النقد . ولما أخرجته ، وأهديت إليه نسخة منه ، لم يفعل ، وهو غير مشفق ولا مقصر . وكنت أتمنى أن أرى رأيه الحديث في كما رأيت رأيه القديم حين اطلمت كتابي « النواصي شاعر من غير » . وحمل الي نقدته ورأيه منشورا من ضفاف النيل الى ضفاف بردى فقيده الفكر والأدب، الدكتور اسعد اطلسي برحمة الله .

لا يرى الأستاذ العقاد تقصير العرب في نظم الملحمة منوطا بالواقعية الواحدة - كما ذهب اليه - وإنما يجد موضوع الملحم ، لم يكن لديهم فلم ينظموا فيه ، بقوله :

(٢) طبع دار المعارف بمصر ، الطبعة الاولى والثانية .

« يرى الدكتور الحاسني ان القافية الواحدة كانت سبباً لخلو الشعر العربي من الملحمة إذ يقول (لم يل حيههم للقافية الواحدة يجري عليها روي القصيدة زهدهم في الملحمة إذ كانت تقتضي آلاف الإبيات، ومن لهم برؤي واحد يجري به الكلام ألفا في لغة العرب أو في باقيلته. » ثم يقول الأستاذ العقاد : « يعلم المؤلف الفاضل ان الموضوع نفسه لم يوجد عند العرب فلم ينظموا فيه ولو كانت القافية هي العانس دون نظم الملحمة لوجدت القصة المطولة منثورة بغير حاجة الى الوزن والقافية ، ولكن الموضوع كله لم يوجد فلم تنظم فيه قصيدة ولم يحفظ له رواية ، ولم تكن للامر علاقة بنفس في طبيعة الفن ولا بصور في ملكات الشعر » .

كذلك نقندي العقاد وهو لاس - كما يعبر القريون - فغازا مسن حريز - وأنا بحمد الله ، لم اجد حتى الآن من يتقندي ليهدمني ، أو ليزيل وجودي من الادب ، ففي العلم اللغات تقندي آدياء العراق حين أخرجت كتابي « نظرات في أدبنا المعاصر » بآني لم أذكر فيه آديهم ، وكانوا يؤثرون أن يعرفوا رأيي فيه ، فكان تقدمه مثابا لبنا مسماحا ، وقع على قلبي كالتندي على آذاهم الصباح ، فطقت كتب عن آديهم بعد ذالك الصواب الجليل .

فمن لي اليوم بان أوفي العقاد العظيم جزاء كتابته هذا الفصل في كتابه الآخر من كتبه الثماني ، واسميه (كتاب الوداع) . لقد لقيته آخر نظرة في مجمع اللغة بالقاهرة ، مفتتح مؤتمره في شتاء العام الماضي ، ولو حسنت أنه سيقب ، لآلت عيني منه ، افترف التطلع إليه اقترافا .

سأطلق مجدداً الى كتبه ، وأقبل باليمن والفكر والشعور سطوره واحداً الى واحد ، منيراً أو مشرقاً ، أفشقت فيها ريتا آزاهره التي لا نفي . وإذا جئت مصر لآري اسديفاء ومريدبه ولأملذه ، ساجده فيهم جميعاء كما أجد في كتبه التي تسع مثل الكواكب .

في آيه الأستاذ العظيم ، لن حجت وجهك عنا ، فلقد ملأت دنيا العرب بفقرك وأدبك وشمسك وفلسفتك . اني لأوليك ما قاله الأستاذ جاني الطاهر المصري : « لقد جاء الي الدنيا مثل فرقد فملا الدنيا بآدابك ، ووزنك فيهم » . وأزيد على قوله في رهن العجسين الذي أقدره أنت الي الحياة بكتابه « رجعة آبي العلاء » :

« أنك عبقري لا ضرع له في الدنيا ، وإنك المثل الأعلى لدنيا في انطلافتنا الحديث ، في القرن العشرين .

سلام عليك في الخالدين ، وأنا اقاتل فيك :

أبكيه ام إبيكي النهي والقواصيا وأزنيه ام أرنى العسلى والإماتيا إلا آيه « العقاد » أنك خالد ونرتي الذي يقني لتلقيه بأبسا سلام على آدابك القوي والفني فكل كتاب كسوك لإح هادسا ككلم بظهر القيب واهتف مناجيا: « ترائي لكم بالقلب والفكر حزنه هتيا لكم ما صننوه فيه غاليا »

دمشق زكي الحاسني

الإنسان والحضارة

تأليف يوسف الحوراني - (٩) صفحة - (٩) مطبعة

في نفسي رغبة متابعة الإبعاد التي طرحها المؤلف بهوده وآزان عسير صفحات « الإنسان والحضارة » غير أن هذه الرغبة اللجوج ستسبقي على كونها ما دمت راقيا في التعريف بالكتاب لا في دراسة الإبعاد التي طرحها .

وقبل الغوص في غمار التعريف ، أود التنويه الى أن الكتاب ، ككل كتاب يريد أن يشق لنفسه سبل البناء النهجي التاريخي ، لا يخلو من

الهتات ، لكن تلك الهتات سريعا ما تتلاشى امام الحلقى والتسويولة التي تنفسي على مباحث الكتاب جوا حيويا آمينا ، يوحى اليها بصدق المؤلف وثاقه المحرم الى الحقبة الناصية .

ينطلق المؤلف في خوفي غمار البحث ، من النظرة التي انطلق منها استينغلر . وذلك بالرجوع الى تاريخ المنيات ، وتحليل التقالعات محاولة ليس لها مثيل في تاريخ العقل البشري (١) ، ومن خلال هذه الجولات والبحوث والتفتيات ، يخرج علينا بآراء ونظرات حول الانسان والحضارة ، مازيا وجود الحضارات ونموها الى دافع بارز يطفو على الكتاب من الله الى بانه . ويتلخص هذا الدافع بالحقين الانساني الى المطلق . وسيظهر المطلق الغيبي على المجتمع والشعب المهيأ لتسييس حضارة ما . وطالما للمطلق الغيبي سيطرته ، فالحضارة في رسوخ متين ، رسوخ شامخات الجبال الرواسي .

فهذه الحضارة التي هي (نمج جميل يبعث في زمن انساني موالم (٢) كما يعرفها المؤلف ، لا تقوم الا على كواهل الامة الفارقة في مطلق غيبي ، ذلك لان قانون الحضارة (هو قانون التجمع الانساني الطبيعي والباست الى هذه الرغبة بالتجمع عند الفرد ، والرابطة الماعطقية التي تجمع المجتمع وتشد الى بعضه كمجتمع) (٣) .

ولكن هذه الحضارة تستهار عندما تبدأ بالانزراع عن خطها السوي ، المتمثل في التول في احضان المطلق الغيبي . وتكون السمات الشديدة البروز في امارات الانحلال الحضاري ، تسلم المدو للودود دفة القيادة والتحكم ، هذا المدو الذي هو العقل الذي يقود الى الانهيار والتفكك . وهكذا (فالانحلال دائما يأتي عند سيادة العقل وبفعلته لتقييم وحك المبادئ والأفكار على محكه ، وكأنه يدعو الحضارة والازدهار الاجتماعي ذلك ما يؤكده الواقع . منذ ان ابتعا الانسان بفكر بتنظيم المجتمع وابتعاد القوانين والقواعد له . وكأنه مقدور له ان لا يعيش الا بالامان الغامض وحده) (٤) .

وهكذا ، فروح الحضارات هي الايمان الفاضل الغامض حتى تصاحبه في المطلق الغيبي ، والتمنوا الداهم المطلق من يبعث غيبي مطلق هو الآخر . هذا الدافع الذي يحرك الاقوام والجميحات نحو الحيات والمطلق الحضاري البتاء . (فئة قليلة ، افرادها خفاء ، نصف غراء ، لا يملكون امتددة ولا غذاء او كساء ، يتقلبون على جيوش كبرى عديمة الافراد قوة التنظيم . وهذه هي روح الحضارة الخفة) (٥) .

واذا ما قدر لنا التساؤل عن ما اذا سحقت هذه الروح المسلحة بالايهان الغيبي تحت وطأة تير العقل الثقيل ، فلا بد من بقايا لتزود بالذبح والوفود ، اذ (هناك روح عامة في المجتمع هي روح الفئسة الاسيلة الكبرى التي يكون قد كونها المناخ الطبيعي) (٦) ، وهذه الروح التي هي مزيج طبيعي تاريخي ، كما يطلق عليه المؤلف (ذاتية الامة) ، لا يمكن لها الانشواء حتى تؤذيها شعريا وحوول العقل المتسائل الرباب . وعلى هذا فبماكان الحضارة الانطلاق من جديد ، كما يمكن ان بتاني لها الانطلاق عن طريق ولادة فئتين برشحو ايمانا غيبيها . باعتبار الفئان متعلق حضارة ، بل هو المطلق الحقيقي لكل حضارة . وعلى هذا ، فالحضارات ايدا تسير وفق خط ايماني غيبي مطلق . اذ (نهى القرب جاءت نهضته من اولئك المتقطين للتأمل في زفورات بايل الجديدة (الاديرة المسيحية) وليس من فرسان القمارات الدونكيشوتية او من اسباب الاطاع والفسور) (٧) . اما المستطوط العبادي للحضارة ، فيبدأ في اللحظة التي يشرع الفرد فيها باحسا

- (١) - مع استينغلر . بحث للابسان فؤاد الشايب س ٤٣ من المرفة عدد ايار ١٩٢٢ - (٢) - الانسان والحضارة س ٥٤ - (٣) - نفس المصدر س ٢٠ - (٤) - نفس المصدر س ١٧٦ - (٥) - نفس المصدر س ١٦٠ - (٦) - نفس المصدر س ٥٨ - (٧) - نفس المصدر س ٧٠ - (٨) - نفس المصدر س ٢٣٦ .

عن نفسه من خلال حضارته ، متقيا عن جذور هذه الحضارة ومعناها ومرجعها (والسايع الحضاري يبدأ عندما يبدأ الفرد يسأل عن معنى حضارته ومعنى اعماله وسلوكه وعقائده . متنبلا تنشط فلسفتها

التقييم ، ويكثر التساؤل عن معنى الحياة وقيمة وروابط المجتمع) (٨) . فعلى هذه الشائكة ، تنتهي الحضارة وتموت تحت ثقل ظلمات العقل المتحصصة الى ذلك الانطلاق الغيبي - الذي تندر الحضارة به ، وتتمو في طله - باحثا عن كنوز جديدة توضح له مكانته ومكانة هذه

الحضارة نفسها من الواقع والتاريخ ، وربما من المستقبل ايضا . والان ، ورغم انني نوا الى الوقوف عند بعض النقاط الهامة في الكتاب ، فان هذا التوق سيقبى توبا مطويا ، ذلك لان الوقوف عند كل نقطة هامة في الكتاب يعني دراسة طويلة اذ المؤلف يدرس الارتباط الحضاري بكل من الفن والأخلاق والدين والاقتصاد والمراة ونشاطات العقل ، بما في ذلك فلسفة التاريخ . ويعتبر دراسته لهذه المواضيع مدخلا برشدا لتتوسع فيها خلال النظرات المنهجية الشاملة التي تنظم الكتاب .

حلب

محمد الرأشد

العطر الضائع

مجموعة شعرية - عبدالحق فريد - ١٠٢ صفحة - دار التمدن بيقداد

روح عبالة جديدة تقمصت الهام عبد الحاق في اكثر من قطعة شعرية وقد استطاع ان يبلغ الذروة في اكثر من قصيدة .. اولا انه يسود فيبوى في خضم الفلسفية التي تكاد لا يابرحه في كل خطوة يخطوها .. تنتشر فطرات العطر هنا وهناك .. في الكمام « عطر النعم » و « عهد الثلاثين » التي تنفخ فيها شاعرنا شخصية واسلوب « شاعر معروف » ثم « افاء » ويسود شاعر المجموعة بعدها في مقطوعته « الشوق القديم » .. وهو برن ..

عند .. سافكا بذاك الطريق ..

نقرأ جنبا وشبابا طليق

يلفني حلم غريب المدى

من عطره المسكر لا استطيع

ان « العطر الضائع » خطوة عريضة وتجربة جديدة لبؤرة طريق خاص دون الاخذ بعين الاعتبار المدرسة التي حاول الشاعر ان ينتهجها في ديوانه الجديد ..

كان اخرى بشاعر المجموعة ان يظل على شخصيته التي رسم خطوطها في قصائده « ابتهاج » و « الحبيب الآخر » ثم في قصيدته التي لفتت فيها اكثر من المعتاد الطريقة التقليدية في المدرسة الشعرية .. فهو يقول في « رحلة الخزان » ..

أين التنداء واين الليل يمنحني

دفء الحنين واين الكاس والوتر ؟

الذكرات واوهامي تحرفني

وامتاني بوادي الجاس تحفني ؟

اني لا استطيع ان اقول ان المجموعة غير ناجحة ، فان اكثر من قصيدة ذات وشائج تكاد تشد كل حرف فيها الى الإخر في صورة تعبيرية رائعة . فلتقول مثلا ..

اما أن للقلب ان يستريح

وتجس صباياته المتسللة

وكل الذي من ربي قبض ربح ..

ومزهلة تقتضي مزله ..

وكذلك ..

في الهواء كشاهد من آلاف الشواهد القائمة حوله فوق القبور . وراى
عبد العظيم ذلك الناطق فاتفق صدره ...

وقام وهو يقول بجرأة :
ان لنا ان نذهب ... »

كان يمكن للكاتب ان يظان من هذه الفلاوة التي سادت الحوار بين
رجلين : احدهما وارث ، والاخر طامع بتصيد الربح بكلام منطقي معسول ،
ويتخو في هذه الخاتمة منحلا ملائما للجو الذي يسيطر باطماعه على
نفس نبوي المكسب ، ولو بطريق الانعاش والتنبوء .

وكانت قصة : « الجامع في الدرب » و : « مودع » و : « قائل » و :
« ضد مجهول » كلها من نوع واحد في العرض والشكل والمضمون ، وان
كانت كلها تختلف في الولايع والظروف ومسير الحوادث ، واتجاهات
الاحداث التي اكتنفت كل قصة من هذه القصص الاربعة التي غلب عليها
طابع المساة التي اخراجها نجيب محفوظ اخراجا فنيا ذا شكل ومضمون
واحساس ينيل في كل شخص من هذه الشخصيات التي لميت دورها في
كل قصة من هذه القصص التي تصور جوانب متعددة من مجتمع يماي
ابشع الجرائم في شتى الوانها ونحركاتها النابضة المتسعة .
وفي القصة الاولى يقول نجيب محفوظ :

« وانتشرت التعليقات الحادة والسخرجات اللاذعة حتى همس المؤذن
في اذن الامام :

— استهلك بالاه ان تسكت ...

فقال عبد ربه بتعثر من يجد مشقة في النطق :

الرضى ان يكون الجامع ماوي لهؤلاء ؟

فقال المؤذن يتوسل :

— ليس لديهم غيره ، اتسبت انه حي قديم قد يتهاوى بالكلمات لا
بالقنايل ..

ARCHIVE

http://Archivebe

سيرة انطوان

فرع شارع الامير بشير

كتاب الانس — سمير شيخاني

الاربعة فراس حمر — يوسف حبشي الاشقر

الادبولوجية الانقلابية — نديم البطار

جولة في الحياة المنزلية — ديانا صليبا سعيد

واجعل واكبر نوعية الكتب العربية القيمة

كل ما مر من حيائي وهم
وفراق في ذمة النسيان
حسبي اليوم من زماني كاس
ونديم نفسه احصائي

فيصل الخرجي

جامعة زغرب — يوغوسلافيا

دنيا الله

تأليف نجيب محفوظ — ٢٦٢ صفحة — دار مصر للطباعة بالقاهرة

ما من مرة فكرت فيها في الكتابة عن نجيب محفوظ ، الا وبتنازعي عاملان
خطران هما عندي بمثابة اللب بالنار حول رجل ، اجمع الكتاب على
اختلافهم ، والتقاد على تباين اتجاهاتهم ، على انه اصل من اصول
القصة ، وبناء شامخ لرواد هذه الدروب والمسالك والفجاج ، لكن حنيث
التي تناول هذا الكاتب ، قد جعلني امتاح معه هذه الدروب ، واسلك
هايك الفجاج في مجموعته المتصدرة « دنيا الله » التي تناولت اربع
عشرة قصة ، مختلفة الشكول والشخص واللباسات والظروف والكان .

القائمة الاولى ، وهي دنيا الله ، تدور حول رجل اختلس ، ودفع
الى الرذيلة ثم وقع في قبضة العدالة ، وهي كما يرى القاري لها ،
تصور ما يعيش عليه المجتمع الوطفي في الدواوين ، وما يحدث فيه من
مناورات ، قد يكون بطلها هو ساعي المكتب ، او من يقوم باقل عمل
تعتاده الجماعة الرسمية في حياتها اليومية المتكررة ، لكن امتياز نجيب
محفوظ في الحكمة الفنية للقصة ، وربط اجزائها ، والتناقل العجيب
الذي يجمع شتات هذه الشخصيات المتباينة ، قد ازال من نفسي العامل
الاول ، وهو التصوير « اليكاستيكي » لسرح الجريمة . فالتناقل عند
كتاب القصة ، ان يكون المسرح متجاوبا بشخصيته محجبا بتقارب
اتجاهاته ، لا تد فيه هذه الدروب التي تقاوم متفاوتة بين حين واخر
معلنة فجأة عن انتهاء العرض ، دون تهينة التارييم واعباداد للتكبر
والتمال الذي يصاحب عادة خواتيم القصة او الاقصوصة ، وهذا هو
العامل الثاني راودني وانا اطالع هذه المجموعة المتممة . و : « جوار
الله » هي بالطبع مؤثرة ، وان كانت من الحوادث الجارية كل يوم على
مسرح الحياة التي تتباين في اشكالها ، وان كانت تختلف في اشخاصها
الذين يجرون على هذا المسرح ، ويتحدلون : بتجاهد الطمع ، وتتناهبهم
العوامل البشرية في شتى صورها : عواها ونفاتها ، على حب التقدير
العام للمجتمع الصغير الذي تعيش فيه جماعة ، هي بحاجة الى انتظار
الامون المادي من اي طريق وبأي وسيلة ، الا ان نجيب محفوظ في هذه
الاقصوصة قد بلغ به السمو في عرض المشكلات التي نجمت في هذه
المساة ، ملبا كبيرا في التوزيع والابعاد والاطامع التي كمت في نفوس
الوارثين الذين كانوا يتجولون الموت ببقية الارث او الخديعة باي طريق .
على ان رغبة الوقوف ، قد جعلت الكاتب يتصرف بعنف ، وهو يعرض
الى الخاتمة :

« — سافكر في الامر

فقال الحاج مصطفى بارتياح :

— فكر على مهلك ، واذا قررت البيع فاحضر بنفسك اي سمسار كما
تشاء حتى تقلل من رضى الثمن المعروض ، ولك علي بعد ذلك ، ان اجد
لها شاربيا بنفس الثمن ، والا فربود اولي بالمعروف .

الفكرة وجيدة ، وسوف يشاور اصفاها ، والبيع على اي حال خير
من متاكفة المتاجرين ، ورعاية بيت قديم من عهد نوح . وقال :

افتننا باحاج من ناحية المبدأ ...

فلوح الحاج مصطفى بدماعه كاتما يقول : « افتننا » فانطلقت ذراعاه

أجزاء المضمون من الحوار اللمسني لتخصيص ظهرا متحاورين أو متحادثين أو مدبرين أو متعلمين .

والواقع الذي يشي الانتباه في هذه المجموعة قصة : « زينة » التي خلع عليها الكاتب من فنه ما جعلها بحق عنوان نجيب ، في اقصيصه التي تعد له . والحوار والتوزيع واللمسات ، تتحرك امام اليمين ، وتنبض بالحياة بين ايدي القراء ، وأناسية التفكير تفرم أجزاء الحوادث ، مما جعل لها شأنا أي شأن في البناء والتفكير : المثال :
« - مطلوب مني قصة لشركة أبو الهول سأخرجها بعد هذا الفيلم مباشرة ، فهل عندك فكرة ؟

عذاب جديد في سبيل رزق جديد . كم يسره هذا الطلب وكس يحزنه ! . وفكر مليا ثم قال متسائلا ؟

« ما رأيك في موضوع عن المال ؟

« - فموضوع بوليسي ؟

« - كلا ، أي اود ان اكتب عن المال باعتباره غولا مغيفا بلتهم القيم الجميلة بلا حكمة ، كالخفق والروح ..

ففرغ محمد طنطاوي بأصيصه فرحا وقال بهماس :

« - اسرع في كتابتها وقابلني يوم الجمعة لكاتب القعد ، فكرة عظيمة وعادة ، وصالح جدا للاشتراك في جائزة وزارة الثقافة ... »

ولقد بدأ نجيب محفوظ في قصة « زعلالي » متحفيا ، فهي قصة شائكة ، يخرج الكاتب في لمسها كثيرا ، خوفا من الوقوع في مشكلات قد يكون في غنى عنها ، ان هو أثر الجذ ، وركن الى السلامة ، لكن نجيب محفوظ ، بعتال في العرض ، ويتعلق بالأفانصا لكي ينفذ الى محارب القفوس البشرية اللاهية ، التي تعودت عدم الاثراك بكثير من القيم الاخلاقية التي يعيش عليها المجتمع المسلم الذي تكون وتفرغ للبناء ، وناف هذا الرجس الذي يطن بين بنائاته ، وينقل الجرائم في هواء التمشق واليايق والزهر ، الا ان « نجيب » قد جعل من « زعلالي » واحدا يعيش في مجتمع غريب لا يهمن ان تعيش فيه هذه الاشكال ، ولا يعني ان يكون هناك تناوب بين هذه الشغوص في الشرب او الزواج ، اللهم الا العرض والاحت من هذه الاقلاق التي يرتبط بقيم في من صنعها ، وصال تعيش فيه ، وتل من صنع يديها ، تؤمن بها ، وتدعو اليها ، ولا يهمنها ما عليه المجتمع من اخلاق تواضع عليها ، وارتبط بها اوثق ارتباط .

وقصة : « الجبار » و « خادنة » و « حنظل » و « العسكري » ، تختل في تناولها عن : « كلمة في الليل » و « مندوب فوق العادة » و « صور قديمة » من حيث اللمس والإنجاء والحوار . فالقصص الاولى يلقب عليها الطابع الصرامي ، على حين تعالج الثانية الاوضاع السائدة في تطهر ، ولمس يرقق التدوب التي تظهر في مجتمعات حرسية على البناء والتكافل والاجتماع ، وتحاشي الوقوف في تيارات الاهتزازات التي تحاول الهدم ، وتعمل على ابراز الشالو ولو كان في بطون الاقدار ، ومطايي القيوب .

ومما لا ريب فيه ، ان نجيب محفوظ في هذه المجموعة المتممة ، قد خلق في «مساء القصة تحليقا يحسد عليه ، وان كان له من قبل ، قد قدم ثابته في هذه الناحية التي ترمس فيها ، وعاشها سنين قد لا تعد في عمر كاتب ، خيرة لفة الاقفة والحواري ، قد درس الادب العالي في معاهده وبين يديه في مكتبته ، حتى ان القاري له ليعتربه الاستغراب ، وتثال منه الوسواس وهو يسلك بلفظ بين ثانيا قصة من قسمه الرابع عشرة ، لا يستعمله الا عاشر ، في زقاق ، او ولد في حارة ، الا ان حرص نجيب على ، تطهر الاقصيص بهذه الاوان ، قد جعله يتفرد بين لداته في هذا الفن ، وتستمع ارجع الجذ وسط هذه الكوكبة التي تخصصت في هذا اللون من الادب ، ودرعت ولكن لن تصل الى ما وصل اليه نجيب من ثقافة ومع ادراك لمفهوم الرسالة الكبرى التي جعلها واخصل لها اكثر من ثلاث سنة ، هي عمر القصة في العصر الحديث .

أبو طالب زيان

القاهرة

فكسر الإمام راحته بقبضته وقال :

«حياتنا ان يرتاح قلبنا لاجتماع كل هؤلاء الاشراق في مكان واحد ، ان الله لا يجمعهم في مكان واحد الا لامر ... »
وفي القصة الثانية :

« ولكن الاخ كان يعاني من الحديث اضطرابا باطنيا ، فانصدت نفسه عن كل شيء ، واسبى الا ان يعود من فوره الى المحقة ، واصر على ذلك اراد ان يوصله ولكن الاخ قرر ان ينتظر فرصة وجوده في القاهرة ليقيم بعض زيارات هامة قبل السفر فتواعدا امام القهوة ، ومضى الشيخ الى الناحية الاخرى من القبة ، واتيحه جمعة راسا الى محطة الاوتوبيس واستقل السيارة فدارت به دورتها ولكنها اضطرت الى التوقف عند الازبكية امام زحام اعترض الطريق ، ونظر جمعة فرأى جمعا حاشدا - واخذ في التزايد اكثر فاكثر - حول سيارة متوقفة . ادرك لتوه ان حادثة وقعت . واجال عينيه في الجمع المحتشد ، لكنه جفل من ايمان النظر فعول راسه بعيدا . وما لبث الاوتوبيس ان تقادى من الزحام فشق سبيله الى ميدان الاوبرا . »

وفي القصة الثالثة :

« وعندما دفت ساعة قديمة الواحدة لاح الحاج من بعيد ، ولكن كان بصيصه اخر . فترات دقات قلبه . وقال لنفسه انه اذا لم يجهز عليه الآن ، فلن يعود الى المحالة مرة اخرى وسيطارده الى الابد . تقدم الرجلان حتى توسط شارع السموهري وما زالا يتقدمان حتى غص بالقفوظ . اوشك ان يتفكر م نكمته مغلوبا على امره ولكن الرجلين نوافعا عن السير ، ثم تصافحا ومال الاخ الى عطفة جانبية وتقدم وحده بعيد الصمد . شد على اعصابه مرة اخرى وهو يسند نحوه النظر . ويتعجب بكل قوة وجارحة . وكان الحاج يسير متعبا ، يد قابضة على العصا . والاخرى تعبت بسلسلة الساعة ، والهدوء يكسو وجهه وما شبه التعب والاضجر ، وخيل اليه ان انسيامة خفيفة انسيابت لحظة بين شفتيه ، وما زال يتقدم حتى دخل الحارة المظلمة فاجتفت معالمه واستحال شجعا يسير في الظلام . ولم يدر بفصل بينهما الا خطوة . استل السكين من صدرته ، واشتدت عليها بقبضته ، واستجمع كل قواه ثم انقضى عليه بسرعة خاطفة ، وهطه طعنة قاتلة ، لا مهادة فيها ولا امل ، تدت عن الرجل صرخة خافتة وترنح جسده الضخم مرة ثم سقط . »

وفي القصة الرابعة :

« - هنالك شيء لا يقل خطورة من المجرم نفسه ، وهو الذعر الذي اجتاحت الناس ..

« - نعم يا فتد !

« - يجب ان تسير الحياة سيرتها المألوفة وان يعود الناس الى الاحساس الطيب بالحياء ..

وتجلى التساؤل في الايمن المستطمة فقال المدير :

« - ان تشر كلمة واحدة عن الموضوع في الصحف ..

واتس من الايمن فتوقا فقال :

« - الحق ان الخبر يخشني من الدنيا اذا اختفى من الصحف ، وقلب عيني في الوجوه ثم قال :

« - لن يدرى احد بشيء ولا سكان القبايسية انفسهم .. ثم ضرب مكتبته بقبضته وقال :

« - لا حديث بعد اليوم عن الموت ، يجب ان تسير الحياة سيرتها المألوفة ، وان يعود الناس الى الاحساس الطيب بالحياء ، ولن تكف عن البحت .. »

غير ان التوزيع الاولي في هذه القصص الاربعة ، كان يجابه التحيك الفتي في البناء ، وينزع الشغوص في لعب الادوار ، مما كان يقبضي احباتا على اطراف القصة في السرد والتسلسل ، وفي احيان اخرى كان يصمم بتلايين الكاتب مما لا يستطع معه التحرك او الربط بين

ظهر حديثاً



- عشيقه حبيبي - رواية - تأليف جورجيت حنوش - ٥٤٠ صفحة - منشورات المنبع التجاري بيروت - مطابع دار الكتب بيروت .
- كتاب الانس - تأليف سمير شيباني - ٦٢٢ صفحة - حجم كبير - منشورات دار السمير للثقافة والنشر (١) - مطابع جوزف سليم صيفلي (٢)
- النخاع منقحة - مجموعة شعرية - حسن عبد الله القرشي - ١٢٨ صفحة - مع نواحيات فنية - منشورات دار العلم للملايين بيروت - مطابع دار العلم للملايين بيروت .
- انهرية - تأليف ابراهيم - فريمان - ترجمة كرم كامل ابراهيم - مراجعة الدكتور محمد صابر سليم - مصمم الغلاف ايهاب شاكر - ١٠٤ صفحة - مصور - منشورات دار المعارف بصر - مطابع دار المعارف بالقاهرة .
- تنمية العلاقات الانسانية الديمقراطية - تحرير الجمعية الامريكية للصحة والتربية الرياضية والترويج - ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ - مراجعة وتقديم محمد علي حافظ - مصمم الغلاف طلعت المصري - ٦٦٦ صفحة - حجم كبير - منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة - مؤسسة طباعة الانوار المتحدة بالقاهرة .
- دليل معلم الصف في التربية الرياضية - تأليف ايريك بيرون - ترجمة عبد الفتاح لطفي - مراجعة وتقديم السيد روحه - ٢٩٠ صفحة - منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .
- تدريس العلوم في المدرسة الثانوية - تأليف ج. دارل بارنارد - ترجمة الدكتور محمد صابر سليم - مراجعة الدكتور يوسف صلاح الدين قطب - اشرف وتقديم محمد علي حافظ - ٧٢ صفحة - منشورات دار القلم بالقاهرة - مطابع دار القلم بالقاهرة .
- كيف نرى ظلك الموق - تأليف صمويل م. ويشيك - ترجمة الدكتور محمد سليم باقت - مراجعة وتقديم محمد كامل النحاس - ٦٤ صفحة - منشورات مكتبة النخاعي بالقاهرة - مطبعة الاستقلال الكبرى بمطابع الكتاب - تأليف برنا موريس باركر واورلين د. فرانك - ترجمة الدكتور عبد الغليم منتصر - ٢٦ صفحة - مصور - منشورات دار المعارف بصر - مطابع دار المعارف بالقاهرة .
- عالم ام خرافة - تأليف برنا موريس باركر - ترجمة عواطف عبد الجليل - مراجعة الدكتور محمد صابر سليم - ٢٦ صفحة - مصور - منشورات دار المعارف بصر - مطابع دار المعارف بصر القاهرة .
- الايديولوجية الانقلابية - تأليف الدكتور نديم البيطار - ١٠٢٢ صفحة - حجم كبير - منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر بيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- سياج الرجل - مجموعة قصص انشائية - تأليف محمود عبدالقادر ابراهيم - ٢٢٩ صفحة - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- اعلام الفلاسفة كيف نفهمهم - تأليف الدكتور هنري توماس - ترجمة منري امين - مراجعة وتقديم حسن جلال المرعسي - ٥٦٦ صفحة - حجم كبير - منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة - مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة .
- جمهورية ايطاليا - تأليف جون كلارك آدمز وباولو باريلي - ترجمة وتقديم احمد نجيب هاشم - تصدير حسن جلال المرعسي - ٢٧٢ صفحة - حجم كبير - منشورات مكتبة الانجلو المصرية (١) - مطبعة مصر (٢) .
- البحر - تأليف فرديناند لين - ترجمة الدكتور محمود محمد رمضان - مراجعة الدكتور كامل منصور - مصمم الغلاف ايهاب شاكر - ١٢٨ صفحة - مصور - منشورات دار المعارف بصر - مطابع دار المعارف بصر القاهرة .

- القراطة : اصلهم ، نشأهم ، تاريخهم ، حروبهم - تأليف عارف ناصر - ١٧٦ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكتاب العربي بيروت ومكتبة النهضة ببغداد - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الامامة في الاسلام - تأليف عارف ناصر - ٢٤٨ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكتاب العربي بيروت ومكتبة النهضة ببغداد - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- رواع انتراجيديا في ادب الغرب - جمعها وقدم لها كلينث بروكس - ترجمة الدكتور محمود السيرة - مراجعة معاوية اندريلي - ٢٩٦ صفحة - منشورات دار الكتاب العربي بيروت - مطابع دار الفد (١)
- ريكا ، قناة مزرعة سنيرولا - تأليف كيت دوجلاي ويجن - ترجمة محمود عزت موسى - مصمم الغلاف محمد سليمان النهامي - ٢٩٦ صفحة - منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة - المطبعة العالية بالقاهرة .
- النظام الدولي والسلام العالمي - تأليف ا. ل. كلود - ترجمة نصير وعقيل الدكتور عبد الله العريان - مصمم الغلاف حسن عبد الرحيم عنتر - ٧٢٠ صفحة - حجم كبير - منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .
- العيتان - تأليف روى تشابمان اندروز - ترجمة الدكتور محمد صابر سليم - مصمم الغلاف ايهاب شاكر - ١٢٠ صفحة - مصور - منشورات دار المعارف بصر - مطابع دار المعارف بالقاهرة .
- الغرب في عالم الحيوان - تأليف روبرت لون - ترجمة الدكتور كامل عطا - مصمم الغلاف ايهاب شاكر - ١٢٠ صفحة - مصور - منشورات دار المعارف بصر - مطابع دار المعارف بالقاهرة .
- كنوز العلم في اسئلة واجوبة - تأليف وليم فرجارا - ترجمة وتقديم الدكتور سيد رمضان هدارة والدكتور محمد صابر سليم - مصمم الغلاف احمد محمد منيب - ٢٦٦ صفحة - حجم كبير - منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة - مطبعة الاستقلال الكبرى (١)
- بين الصادق : خمسون عاما في رحاب الطابع ومع اهل الفكر - تأليف وجيه بيشون - ٢٧٤ صفحة - حجم كبير - مطابع ابن زيدون للطباعة والنشر بدمشق .
- دراسات في الادب القارن - تأليف محمد عبد المنعم خلجاني - الجزء الاول - ١١٢ صفحة - دار الطباعة الحميدية بالقاهرة
- ديوان بهاء الدين زهير - ١٦٦ صفحة - حجم كبير - منشورات دار صادر ودار بيروت في بيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- لجنة الاحزان - شعر - عودة السيد زكي البطاط - ٤٠ صفحة - مطبعة النعمان بالنفخ الاشرف العراق
- الاردن : حقائق ومعلومات - اعداد سلطة السياحة الاردنية - ١١٨ صفحة - مصور - طبع في عمان - (لم يذكر اسم المطبعة) .

يفترق عن الشعر الموروث في نسج أو خيال أو غرض، فمن ضرورات الإيمان والانتفاع بالمذهب الجديد من الشعر أن يسانده مذهب نقدي يكون علما على طريق التجديد في الشعر .

والحق أن النقد الذي عرف لشعراء التجديد في مصر كان معيارا صادقا للشعر الذي لا يضل عن طريق الفن المؤثر الخالب . فعبد الرحمن شكري رائد التجديد باعتراف زميله العقاد والمازني احتل من هذا النقد مكان الصدارة بما كتب عن مذاهب الشعر ونقده في مقدمات دواوينه ، وفي كتابه الثمرات ومقالاته الثرية في النقد ، واشترك العقاد والمازني في إصدار الديوان ١٩٢١ ، وهذا الكتاب يمثل الاتجاه النقدي العام لشعراء التجديد في مصر وجهودهما الفردية يمثلها كتاب فصول من النقد للعقاد ، وتعلقاته على شعراء المدرسة التقليدية والمغازني في هذا المجال كتاب شعر حافظ ، وكتاب الشعر وغاياته ووسائله الذي أصدره عام ١٩١٥ ومقالاته النقدية في حصاد الهشيم وقد صدر في عام ١٩٢٣ .

وهذه الدراسات على تشعبها ترفد مدرسة واحدة في النقد الحديث ، وعرفت هذه المدرسة بمذاهبها الجديد في الشعر العربي المعاصر ، وإذا كان من الصعب تحديد نصيب كل من رواد هذه المدرسة في التجديد فليس من ههنا في هذا البحث استقصاء عناصر التجديد في تقديم الذي أرسوا به قواعد هذه المدرسة وإنما يهمنا هنا أن نعرض لنقطة واحدة من نقاط كثيرة دارت حولها أبحاثهم ومعارفهم النقدية ، تلك هي الخيال الأدبي ومن أبرز أعمالهم في النقد الأدبي توضيح مفهوم الخيال في الشعر .

ولعل من المهم أن نحدد جهود النقاد والبالغين القدماء في تناولهم مفهوم الخيال بالشرح والتفسير ولكن الأمر الذي لا شك فيه أن جماعة الديوان قد كشفوا عن مفهوم الخيال الأدبي وتناولوه في تقديمهم بالعمية شغافة وبصورة ذوقية واضحة زينت الانحراف الذي أصيب به النقد القديم .

يقول عبد الرحمن شكري في مقدمة ديوانه الخامس تعليقا على البيت الذي أشاد به البلاغيون القدماء :
فامضت لؤلؤا من نرجس وسفت وردا وعفت على الغناب بالبرد
يقول : « نسب بعض الناس هذا البيت ظلما إلى يزيد بن معاوية ، وذوق الامويين بريء من أمثال هذا القول ، ولا أريد أن أجمع على يزيد جرمن : قتل الحسين وقول هذا الشعر الذي لا بأس به إذا أريد الفكاهة والعبت لا للزل الذي يشرح عواطف النفس ويشعرك أياها » .
فالحيلول المقبول المؤثر رمز الشعور والإحساس ، وصدى العاطفة الصادقة ، والخيال المصنوع الذي يسويه ذهن البارد ليس هو الخيال الفني الذي يقدره الفن الجميل ، ومعنى هذا أن أول شرائط الخيال الصادق في تصوير النفس ، ونشم عنصر الصادق في الخيال أن يفسر الحقيقة تفسيراً



محمود محمد سليمان

الخيال في مذهب مدرسة الديوان

بقلم محمود محمد سليمان

استطاعت مدرسة الديوان (١) وهي كبرى مدارس التجديد في الشعر العربي المعاصر - أن تضيف إلى آثارها المبكرة في الشعر فكرا جديدا تقدميا في النقد الأدبي ، وما كتب رواد هذه المدرسة في النقد الأدبي كان مثالا احتلوه في شعرهم ، وبذلك قدموا للنقد الأدبي القاعدة والخيال فشعرهم الجديد وزان تقديم الحر الجديد ، لا جرم كانت مدرسة الديوان ذات توجيه بعيد الأثر في الشعر الحديث وقد استمد هذا التوجيه قوته من مصدرين متفاعلين : القاعدة الواضحة ، والتطبيق على غرار القاعدة . وكما كان في شعرهم الجديد عناصر القوة والحياة ، كان تقدمهم خطوة بارعة إلى تشكيل النقد وصيغه بلون معجب أنيق ، فهو نقد الدوق الخفى والأصالة والطبع الصريح . ولا عجب فالناقد الحق هو الأدب المطروح وقديما قال بعض الشعراء : لا يعرف جوهر الكلام الا من دفع إلى مضائق الشعر ومزاقه .

وكان طبيعيا أن يسفع شعراء التجديد مذهبهم الشعري بحركة نقدية توضح خطوط هذا المذهب وترفع أعلامه ، ذلك أن شعراء البعث في العصر الحديث وهم يمثلون المدرسة التقليدية التي تزعمها البارودي وأرسى قواعدها تلاميذه كشوقي وحافظ وإسماعيل صبري وغيرهم - كان لهم صدق في أذهان الجمهور وأسماعهم ، لا يرى الناس عنهم منصرفا ، وجمهور القارئين يحكم التقليد أيضا قبلوا من شعراء البعث أن يرددوا على أسماعهم شعرا لا يكاد

مقبولا ، فالحالة التي تلجأ الى الاغراب لا تفسر الحقيقة ولا
شعر السامع بها ولا يقبل من الشاعر ان يتجنى على
الفكرة المعقولة بضروب الكذب من الخيال زاعما ان اعدب
الشعر اكذبه يقول شكري : « شاع عند الناس ان الشعر
نوع من الكذب وليس ادلى على جهلهم وظيافة الشعر من قرونهم
شعر الى الكذب ، فليس الشعر كذبا بل هو منظار
الحقائق ، ومفسر لها ، وليست حلالة الشعر في قلب
الحقائق بل في اقامة الحقائق القلوبية ، ووضع كل واحدة
منها في مكانها » (٢) .

والسبيل المأمون الى تنكب طريق الخيال الكاذب الا
يصطنع في التعبير اصطناعيا ، بحسبان ان الخيال لذات
الخيال هو معيار البلاغة فالتشبيه لا يجنب لذاته في
التعبير قيمته بما يثريه من الذكرى او الامل او العواطف
المختلفة ، وهو ان يكون كذلك الا اذا كان رمزا لشعور
معين ، وقد يخطئ الشاعر اذا وصف شيئا بعيدا عن
تجربته النفسية مجرد انه شيء وقع تحت بصره ، وكأنه
يستحق لمجرد الرؤية ان يدخل في وصف الشاعر ، ويدعو
هذا الوصف الميكانيكي كما يسميه شكري ان يلجأ الشاعر
الى التشبيه ليعينه على الوصف ، ولا يأمن الشاعر العثار
الا اذا وصف شيئا يحس صلتة بنفسه ، واتخاذ التشبيه
اسلوبا للتعبير في هذه الحالة من طرائق الخيال الطبيعية ،
والتشبيه لا يكون نموذجا من نماذج الخيال السليم الا اذا
قدرت وظيفته الرمزية تمام التقدير ، ومعنى ذلك ان نقله
من مجال الحواس الخارجية الى داخل النفس البشرية
فالحديث من التشبيه نقل الابر النفسى من وجدان الشاعر
الى وجدان القارئ (٣) .

فقول ابي تمام مثلا في وصف الزهرة وقد ظلمها الندى :
من كل زاهرة ترفق بالندى فكانها حين يلمسها
هذا القول غير سديد بهذا القياس الذي اسلفنا ، فقد
روعي في تشبيه ابي تمام الشكل وتلاؤم الطرفين من
الناحية الحسية ، ولكنك تجهد النفس لتصيب الشعور
الذي يترجم عنه هذا التشبيه فيعبر عليك ، وسبب ذلك
واضح ، فالتلاؤم بين طرفي التشبيه لا يعمد الناحية
الحسية : حبات الندى المتألقة على الازهار كالدموع
المتفرقة في العين توشك ان تتسايط ، بل هي قد
تسايطت فعلا من منطلق الشاعر ، لانها دموع تتحدرو ، واذا
تجاوزنا عن اغفال الدقة في تلاؤم التشبيهي من الناحية
الحسية فمن البين ان التلاؤم الشعوري بين طرفي التشبيه
غير موجود ، فالندى المتألق على الازهار يوحي بالشاعر
الجميلة ، ولكن الدموع المتحدرة في العين توحي بشيء
آخر لا يتناسب مع المشاعر الجميلة . يقول القماد في
كتاب الديوان : « الشاعر من يشعر بجوهر الاشياء لا من
يعدها ويحس اشكالها ، وليست مزبة الشاعر ان يقول
لك عن الشيء ماذا يشبهه ، وانما مزبة ان يقول : ما هو
ويكشف عن لبابه ، وصلة الحياة به ، وليس هم الناس من

التقصيد ان يتسابقوا في اشواط السمع والبصر ، وانما
ان يعاطفوا ، ويدوع احسنهم وطبعهم في نفس اخوانه
زيدا ما رآه وما سمعه ، وخلصا ما استطابه وما كرهه ،
واذا كان وكذلك من التشبيه ان تذكر شيئا احمر ثم تذكر
شئين او ثلاثة مثله في الاحمرار فما زدت على ان ذكرت
اربعة اشياء او خمسة بدل شيء واحد . . . وقد ابتدع
التشبيه لتغل الشعور بهذه الاشكال والالوان من نفس الى
نفس ، وبقوة الشعور وتيقظه وعمقه واتساع مذه وتفاذه
الى صميم الاشياء يمتاز الشاعر على سواه » .

وهذه الدراسة العميقة للتشبيه باعتباره صورة خيالية
ادق من نظرة القدماء الى التشبيه فالتقيد القديم اقام
التشبيه على اعتبار نقل الالفاظ من مجال الى آخر بجامع
الشبهين المنقول منه والمنقول اليه ، ولا تكفي صلة التشابه
بين طرفي التشبيه ، اذ لا بد ان يكون الرباط الجامع بين
طرفي التشبيه التشابه في الوقع النفسي بغض النظر عن
التمثال المحسوس ، فهذا ضمن ان يصحح اعتبار التشبيه
وان يكون صورة لتلوجات العاطفة ، كما انه يدعو الشعراء
الى نبذ التقليد ، وترك الصور المتحجرة من ميراث الادب ،
ويصفى التعبير الشعري من القوالب التي حسبت زورا من
اتقاليد الادبية ، فسيول على بعض الشعراء والادباء ان
يوشوا ابياحاديشهم وان كانت لا ترمز الى شيء في افكارهم
وجدانهم ، وقيمة هذه النظرة الى التشبيه بالاضافة الى
ما سبق - انها تنفي ادعاء الادب عن مجاله فلا يدخل الى
ميدانه الا كل قادر على البيان الحر المبكر ، والتعبير الذي
يشق عن احسان صادق في نفس الاديب ، وصحيح ان
من حق الاديب ان يعكس صورة رآها تكشف عن اصدا
في نفسه ، ولكن ليس من حقه ان يكون في كل تعبيره
نموذجا موحيا من تصوير القدماء وتعبيرهم ! ولا يخفى
على الناقد صدق المقتبس اذا لم يجد وسيلة لتصوير صدقه
الا الاقتباس ولا يكون الشاعر المسجل دائما لتعبير غيره
وتصويره صادقا وان اوهنا بكل وسيلة ان تؤمن بصدقه .
ومن هنا نقول ان نظرة مدرسة الديوان الى التشبيه عظيمة
الجدوى بالنسبة للادب والتقد على السواء ، فهي تشرع
للاديب سن الصدق الذي لا يحيد عنه وهي تثرمن طريق

(١) يقصد بمدرسة الديوان شعراء التجديد في مصر عبد الرحمن
شكري والغماد والملازني وسبب التسمية ان هؤلاء الشعراء يمثلون
مدرسة واحدة وان كان الديوان وهو كتاب في النقد لم يشترك
فيه شكري الا انه الرائد الاكبر لهذه المدرسة باعترااف زميليه
ومن القريب ان شكري هوج في كتاب الديوان .

(٢) مقدمة ديوانه الخامس .

(٣) مندور . المجلة المصرية اغسطس ١٩٥٩ .

(٤) الشعر ومزايده للغامد من مقدمة ديوان شكري الثاني ١٩١٣ .

(٥) الدكتور مندور . المجلة المصرية اغسطس ١٩٥٩ .

(٦) مقدمة ديوان الملازني ص ١١ .

(٧) مقدمة ديوانه الخامس ص ٢٢٦ .

الحواس فالمسوع كالرمي والمرئي بالعين كالمذوق بالعم والحواس كلها تلتقي عند نقطة واحدة الاثر النفسي الواحد من طريق الاحساسات المختلفة واذا فمحور التشبيه في عرف مدرسة الديوان الاثر النفسي الذي تلتقي عنده اطراف التشبيه ممثلة في الاحساسات المختلفة وهذا فهم عميق صادق لوظيفة التشبيه لانه يعمل الصدق الفني من ناحية، ويجدد اساليب التشبيه من ناحية اخرى، ولا يتوي علينا بعد ان نقول: ان مذهب الرمز على طريقة رواد التجديد في الشعر او مدرسة الديوان مذهب صحيح، وانه لمذهب النظرة العميقة الشاملة المتعمقة جوهر الفن وليابه يقول الدكتور مندور: « ان تفسير جماعة الديوان لوظيفة التشبيه يتفق مع نظرية العلاقات التي عبر عنها بودلير بقوله: « ان العطور والالوان والاصوات تتجارب » اي يحل بعضها محل بعض في احداث الواقع النفسي الواحد فالشاعر يصف مرثيا بضفة ملموس فيقول عن السحاب الرماذي الابيض انه في مثل نغومة الأوّل، واللون لا يعبر عنه في اللغة التقليدية بالنغومة ولكن قوة التعبير واضحة من الناحية النفسية، اذ ينقل اليها احساس الشاعر الحقيقي » (٥).

ولا شك ان مذهب الرمزية في التشبيه يجدد انماط التعبير ويكسب اللغة تجددًا ونموًا، وان كان في بعض هذه التجديدات غريبة، فمرجع الغرابة الى عدم التناسب الظاهر ولكننا قد افغنا على الاساس الذي تركزت عليه، وهو ما وراء التعبير من شعور واحد يجمع الاطراف التي تبدو متنافرة، وهي جد متلازمة. ومن عبارات طافور الشاعر الهندي « السكون الشمس » واذا فسرنا عبارة الشاعر كانت طبيعية واصبحت غرائبية مألوفة فلاحساس بالسكون الجمع كالأجسام بالدفء اللذيذ، وليس بعد الصدق النفسي مطلب لمن اراد الصدق في التعبير.

وقد احتسرس جماعة الديوان وهم يشرون فكرة التشبيه الجديدة من التميع النفسي ورواء هذا المذهب الذي يخلب القلدين فيفسد فيهم الصدق النفسي، فلم يقلوا اولا الرمز الحاشد الذي يكثر في التعبير فيذهب بطلاوته وبلغه في جو من الضباب، لان تداخل التشبيهات مضطربة للوضوح، وهو من اسس الجمال في التعبير ولذلك عاب عبد الرحمن شكري ايفان شعراء ابولو في الرمزية، ونقل لهم ناصحا قوله بنادر شاعر الاغريق: ابدروا البدر باليسد بالزميل. والهدف المعنى بالعبرة ان كثرة التشبيهات المتداخلة تميث الوضوح في التعبير تماما كالزروع الذي يتكاثر نموه في مكان واحد فيطغي بعضه على بعض، فلا يستوي على سوقه ولا يشتد عوده، ولم يقلوا تانيسا التقليد، فاذا اسحق الشاعر مخدوعا برواء التعبير فقد ضل طريق هذا المذهب النفسي، وصار الى مثل الحالة التي يعبر عنها العقاد بقوله: (٦).

« قد بلغ بهم الولوع بما سميناه الابتذال التقليدي انهم

الناقد الذي يخدعه زيف الصور المبرقشة وليس تحتها غناء وهي بعد - اعود على الادب بالثرء، لانه دعوة الى تجديد التعبير واغناء الادب بالصور المبتكرة التي لا يلحقها جمود، ولا نفتر لها حرارة، ان الذين يستمعون من تعبير غيرهم لا يلبثون من صدقهم مبلغ الاديب الذي يتكسر تبعه. ارايت الى الذين يستمعون اثواب غيرهم لظهروا بها بالظفر اللائق؟ انهم لا يشعرون نحوها بتعاطف او هوى، وهم غير حراس عليها، لانه اثواب لا تخصص ولا نهمهم، وكذلك يكون التعبير البكر قطعة من نفس صاحبه، وصدى صادقًا لهزة انفعالية تقتزن ابدا بذكرى لا تتبدد من الدهن عاب الاستاذ العقاد على شوقي في الديوان انه يعتني بالتشبيه على طريقة القدماء، واذا كان شوقي قد اخلص لوجدانه في بعض شعره قيعب التقليد لاحقه، لانه يؤكد ان اقتباس الصور لا يدل دلالة واضحة على هزة الوجدان، وان سلمنا بصدق عاطفة الشاعر فقدرته القلدين البيانية موضع ريبة وتوقف.

وفهم التشبيه وتحديد وظيفته على طريقة مدرسة الديوان يجعلهم رواد الرمزية في الادب الحديث اذ ان التشبيه رمز عن اثر التشابه في النفس تعبيرًا عن التماثل الحسي بين طرفين « فليس الجميل قمرًا، ولا الزئير اعداء، ولا الكرم غماما... ولكن القبطلة بالصورة الحسنة (٨) كالقطة بالليل القراء، والرهبة من زمجرة الاسود في غابها كالرهبة من جلجلة الرعود في سحابها » والنظرة القديمة الى التشبيه اذ تهتم بالشكل والحاسة تفعل اعتبار الآثار الادبية القوية بسبب النظرة الضيقة الى التشبيه، وآية ذلك ان النقاد القدماء شعفوا ايما شعف ببيت بشار:

كان مشار التفع فوق رؤوسنا
وليس في هذا البيت ما يعجب الا ان نجاري القدماء على طريقتهم فنقول: احسن بشار واجاد لانه جمع بين طرفي التشبيه في دقة وبراعة، ولو خطونا خطوة واحدة باحئين عن النفس المستترة وراء الصورة الدقيقة لوجدنا الخلاء والخواء؛ واذا ابدع بشار التشبيه على طريقة الرمز النفسي لا يلتفت اليه النقد القديم، ولهم العذر الا يلتفتوا اليه لان طريقتهم الوقوف عند حدود الحس ذلك حيث يقول:

حواء ان نظرت اليك سقتك بالعينين خفرا
وكان رجع حديتها قطع الرياض سن زهرا
فلما راى العينون الساحرة اثر في نشوة النفس كائر الخمر يشربها النديم فتسري في اوصاله حذرا ونشوة
وحين تردد الحسنة حديتها العذب في الاسماع بهز المشاعر تكلمت بلساننا في الروضة الموقنة بالزهر فيرجع اليها البصر بمنعة القلب ونشوة الاحساس!

ان التناسب هنا في النفس لا في الحس، فالأثر النفسي هو نقطة التشابه ولذلك ساغ في منطلق بشار تسادل

الشاعر والمجال

هل عند ناعستك سر عزائي
يا ربة الاغواء ، والاغراء
لونت غرمتاني من هج الضحى
وسكبت من شفق الحياة رجائي
بيداء نفسي لم تزل ظلماته
للنور للانسام ، للانداء ،
اتروض فكك جامحات رغائبي
والعاصف المجنون من اهوائي
الليل والتجوى واحلام الصبا
وهدير طافي الرغبة الهوجاء

للناس لآلة الحدود وفي يدي
من ذوبنغر الكاس فيض ضياء
والكوخ في كف السكينة سابح
في كل موج من الآلاء
والناري مرتمش الصدى متقطع
تعب كانفاس العليل الثاني
وسكبته لها بغرغ فارشفي
هذي مصارة انفس الشعراء

وانا الضحية للجمال وكيف لا
بترشف الشفق الخفيث دماي
وعبيد آلهة الجمال ورائي
خدعتهم اسماؤه وعبدته
فردا وراء تعدد الاسماء

جيب ناصر

حمص

وعبارة شكري السابقة تجمع مناحي التشبيه بين الجودة والضالة والسقوط ، فالتشبيه الذي تكمل فيه الصلة بين الطرفين ، ولو كانت خافية هو التشبيه الجيد ، ومدار امره على الارتباط النفسي بين الطرفين ، وهو مذهب الرمزية الذي اوضحنا معالاه والتشبيه الضئيل هو الذي يتناسق طرفاه في ظاهر الحس ، وهو اكثر التشبيهات ، وهو التشبيه التقليدي الذي تظهر فيه الصلة لارتباطها بالحاسة لا بالنفس . والتشبيه الساقط الذي يتالف طرفاه من الوهم الكاذب فلا صلة في النفس ولا صلة في الحس .

محمود محمد سليمان

الفيوم

وصفوا اندمع الاحمر والدمع الاصفر والدمع الازرق والدمع الاخضر ، والدمع البنفسجي وحسبوا ذلك من بدائع الابتان وانهم جاءوا بظاليل كبير .

ويجود التشبيه اذا كانت الصلة بينه وبين الحقيقة التي يفسرها واضحة جلية ويظهر ذلك من قول الشريف الرضي: ما للزمان رمى قوسى ففرقههم تطاير القلب لما صكه الحجر فالتشبيه هنا يفسر حقيقة في حياة الشاعر تفسيرا صحيحا ، اذ تفرق قوسه فلا الشام لهم كما تطاير الإناء من صدام الحجر ، والصلة بين طرفي التشبيه متينة لم يخترعها الوهم لان تشبيه الوهم لا يتناول الحقائق بالتفسير والتوضيح ، وليس فيما ينتج الوهم من تشبيه صلة تجمع طرفيه ، فضلا عن الرمز بهذا التشبيه الى لون شعوري معين . وما الصلة التي يمكن ان نلاحظها بين الدجى وبين الاسد في قول ابي العلاء :

واهجم على جثج الدجى ولو انه اسد يصول من الهلال بمغلب ولا يتاني لنا ان نقول : ان في هذا التشبيه صلة طبيعية رابطة بين عناصره ، وليس فيه رمز الى شعور نفسي يوثق الصلة بين طرفيه ، وكل ما فيه صنعة زادت غلوا باعتبار الدجى اسدا صوالا له من الهلال مغلب ، ومثل هذا التعبير ينزل في درجات الفن الى مستوى اقل من التشبيهات التي يجمع اطرافها صلات الحس والشكل ولعل العقاد كان يعني مثل هذا الشعر بقوله في الديوان : « هناك ما هو اقوى من شعر القشور والطلاء وهو شعر الحواس الخفية والمدارك الزائفة ... والشعر الذي لا يرجع الى مصدر اقوى من الحواس شعر القشور والطلاء » .

والمذهب الرمزي الذي ارتضاه جماعة الديوان في التشبيه قد تبدو فيه الصلة بين الطرفين في التشبيه غريبة احيانا وهذا صحيح ، ولكن الصلة موجودة ، ومع وجودها فهي متينة وثيقة ، وكل ما في الامر انها تلتبس على اذهان العامة وليس هذا عيبها ، ولا يكون من الاسباب الذي يقدح فيها ويزدريها ، ولو استعدنا المثل الانف الذي يروى عن طافور « السكون المشمس » لرابنا في تلازم التشبيه غريبة ، ولكن الغرابة لا تعني انقطاع الصلة كما راينا في بيت ابي العلاء السابق وهذا ما دعا شكري الى ان يقول : قد يكون سبب الخيال الكاذب بعد التاليف بين شيين لا يصح التاليف بينهما ، وان بعد وجه التاليف وخفاء الصلة ليس بمعيب اذا كان وجه الشبه بين الشيين صحيحا صادقا ، وكانت الصلة التي بينهما متينة ، فليس ظهور الصلة لكل قارئ دليل على متانتها ، فقد تكون ظاهرة ضعيفة ، وقد تكون خفية سليمة صادقة ، فليس كل ما يخطر على اذهان العامة من الخيالات صادقا صحيحا ، والمعقري من الشعراء ، قد يفسر باستخراج الصلات المثينة الصادقة بين الاشياء فنقصر اذهان العامة عن ادراكها ، وهذا ليس مذهب الناظم الساذج يوقع بان يوجد صلات سقيمة بين حقائق ليس بينها صلة (٧) .

البطل نور الدين زنكي



عدنان مردم بك

ما شابه عور او شوب اعوار
من الخشوع باجفان وابصار
لصارم من سيوف المجد بتار
يد البطولة باق غير منهار
وبين ابنية ميوز باحجار
حققة طويت ما بين آثار
يد الخصاصة ان تجري بمضمار
فم الزمان باجلال واكبار

رفعت للمجد صرحا غير منهار
تكر من دونه الاجيال مطبقة
وبطرق الليل اجلالا بهامته
ما شيد الناس منهار وما رفعت
شنان ما بين اكواخ على جرف
كم في البنايين من ضد للتمس
تبني البطولة اكوانا اذا عجبت
وتنظم الكون انقاسا يرددها

وسيفه قدير يقري باعمار
كالتجم يطبع في القلماء للساري
الذرة الكبر كالمستاسد الضاري
كعاصف تحت جنح الليل هدار
نهب المغير لازواد واعشار
كروشة خفقت في جنح اعصار
بجحفل من جيوش الرعب جزار
احداقه هلعنا من هول اقدار

اكان في سيف (نور الدين) منتقض
يشب عن ناقي في كل معترك
في شغوبه يقوم الموت منتصبا
ويعصف الهول هدارا بصفحته
يهوي فتنتهب الاعمار حيث هوى
يهوى فتصطلق الاكباد من جزع
من دونه تشخص الاحداق زائفة
وما على المرء من عار اذا شخصت

كان (مروان) لم تنزع عن الدار
سجت تحلق من تيه كاقمار
صاغ النجيع لها تاجا من الفار
يشب ما بين كيسان واشوار
تدابت دونها من فرط اكبار
سطورها من دم غلال وانوار
يضوع ورفقه من نفع احرار
غنى بها الدهر مخمورا باسجار

اعاد للشام (نور الدين) سيرتها
في كل ركن بها للمجد الوية
وللكرامة ما دون الثرى صور
اطارها حسب كالتجم مؤتلق
اذا سرت للرياح الهوج قافلة
خط الحسام بارض الشام ملحمة
في كل بيت بها بيت لمكرمة
تباركت سير الامجاد من سير

عن الشهيد بلقع الدمع والنار
كالفجر يعصف من اعطاف موار

اليس في كل سفح سيرة نقشيت
في سفح (حارم) اعلاق تشع سنا

والبطولة آيات بها عجب
دم يمور وأجساد مبعثرة
إذا يد الليل أرخت دونها طورا
وغمام أثر الربى للليل اجنحة
تلايلات سير الاجساد مشرقة
ونجاح بالطيب تاريخ شمع شدا

تطن في مسمع الدنيا بقتشار
على الثراب لا خيار وإسرار
من القتام وأذيلا من القفار
وغار عن (حارم) نجم بإسرار
كساطع من خضم النور زخار
كما تفوح ازاهير بأذار

اني لاسمع خلف (الثل) زمزمة
والبح النار سبلا في مخارمه
تزمجر النار من غيظ وموجدة
ففي الهضاب من النيران عاصفة
إذا تلاطم موج النار مصطخبها
وارتجت الأرض كالخمر من جرع
وسير (الثل) حتى خال مبصره
تشهد القوم مأخوذين من هلع

تطن عاصفة فيه كاعصار
يمور مصطخبا ما بين اسوار
كمخشق ماج غيظا صدره الواري
وفي السفوح لظى تجري كأنهار
تلاطمت مهج في غمر اذعار
تديرها النار في اقداح اقدار
ان القيامة باتت قيد اشبار
معارات عينهم من محنة النار

وما (دولك) بما قامت وما شقيت
قام الدخيل على اعطائها حججا
شاد الحصون على الوادي وعزها
فكل حصن مشيد دونه هم
ما كان في الوهم ان تطوي معانهم
حتى رمى القوم (نور الدين) عن كئيب
تراجع القوم خوف الموت من جزع
وبات كل مشيد من معانهم

غير الطريدة في اصفار جزار
كانه الداء في اصر واوزار
خوف الشهيد باخوان واتصار
تطاول النجم في قصد ومضمار
طبي الراب وان تمحي كاسمار
يجفحل لجب للموت كسار
وليس في حذر الانذار من عار
في قبعة النار اخبارا لسمار

ليس في السفوح من اجدادنا
تردد الريح ما فنته ساجعة
فيهدف الدوح بالاسماع من شجن
وللفدير غناء في مساربه
هل النجوم سوى الاحداق انقلها
يهيجها الشوق للماضي ويؤلمها
تكل ركن اناشيد للحمة
دون العلى غصص يلوى بحامحها

من طيب الحمد تزجها لسمار
شراذم لدخيل او لاشرار
(لعبد شمس) يبتار وخطار
للحمد جعلها دري واشعار
وخلدت ذكرك العالي بقتاري
حبا بحب وإيثارا بأبتار
ومعقل المجد في سر واعسار

خبرتك جلق (نور الدين) نافعة
غضبت للوطن العالي تعيث به
ظفالت (جلق) في اللاواء منتصرا
اضفت عليك جزيلا من معلقة
ما كان بدعا اذا وفك ما اخذت
من عادة الشام ان تجزي احتبها
الم تكن قبلة الاحرار من قدم

من طيب الحمد تزجها لسمار
شراذم لدخيل او لاشرار
(لعبد شمس) يبتار وخطار
للحمد جعلها دري واشعار
وخلدت ذكرك العالي بقتاري
حبا بحب وإيثارا بأبتار
ومعقل المجد في سر واعسار

عنان مردم بك

دمشق



اميل توفيق

انواع التوجيهات الخلقية

للمحاضر النفسي الامريكي اريك فروم

عرض وتلخيص: اميل توفيق

في هذا التحليل الذي نعرضه ، سنفرق بين التوجيهات الخلقية المبدعة ، والتوجيهات اللامبدعة ، على ان المفهوم الخلقى لاي توجيه من التوجيهات انما يمثل « نوعا نموذجيا » لا خلقا لفرد معين . واذا كنا نعالج كل توجيه على حدة - منفصلا عن غيره ، فان الخلق الشخصي لاي انسان هو في الواقع خليط من بعض او كل هذه التوجيهات . وجل ما في الامر ان هناك توجيها غالبا تبرز مميزاته الخلقية من بين هذه التوجيهات جميعها في الخلق الشخصي .

وسنعالج انواع التوجيهات الخلقية اللامبدعة (1) فيما يلي :

التوجيه الاستقبالي (2)

يشعر الشخص ان (مصدر كل خير له) انما هو آت من خارج نفسه ، ويعتقد ان الطريق الوحيد الذي يؤدي به الى تحقيق غاياته - المادية او العاطفية او المعرفية - هو الطريق الكائن خارج النفس . فمشكلة الحب عنده هي « كيف يحبه الناس » لا « كيف يحب هو الناس » والاشخاص الذين يدغمهم مثل هذا الشعور ، يعيرون الى عدم التمييز او التفرقة في اختيار الذين يجب ان يحبهم ، فان مجرد ان يلتقوا باي انسان يحبه ، سيخلق لهم خبرة طافية دافعة لان يقموا في الحب او ما يعتقدونه انه الحب . وانهم لشديديو الحساسية لاي نوع من

تصرف هؤلاء المحبين لانهم شديداً يتعلق بهم لدرجة انهم ينزعجون اذا ما انسحب هؤلاء المحبين او ابدوا نوعاً من عدم الاهتمام او من العلاقات الطبيعية . وفي المجال الفكري نجدهم ينصتون جيداً ، فهم يستقبلون الافكار ولا يستطيعون انتاجها . فاذا ما تركوا لانفسهم شعروا بالشلل الفكري - لذلك فهم يلتمسون اولئك الوجهين لهم والناصحين - بدلا من ان يكونوا لانفسهم الحلول حتى المسائل الصغيرة . اما اذا كانوا متدينين ، فانهم يلتمسون كل شيء من الله سبحانه ، يتواكل كلي ، دون ان يستحووا شيئا من نشاطهم الذاتي . واذا لم يكونوا متدينين ، فان علاقاتهم بالاشخاص او بالهيات هي علاقات التواكل ايضا فهم يغتشون عن عينيهم وباخذ بايديهم ، وان شعروا بالعجز او الضعف التمسوا عصا سحرية تفعل لهم المعجزات .

وهم من اجل ذلك يشعرون بالولاء لكل يد مأنحة ، كما يشعرون في نفس الوقت بالخوف من فقدانها . وحيث انهم يحتاجون دائما للكثيرين فهم يظهرون الولاء للكثيرين ، ومن ثم كان من الصعب ان يقولوا (لا) عندما يقعون في مآزق تتعارض فيه انواع الولاء . فهم دائما يقولون « نعم » لكل الناس ، ولكل شيء ، ولاجل اي شيء ، او على حد التعبير القائل « يطلعون مع الطالبين وينزلون مع النازلين » ولان الشلل يصيب مقدراتهم الناقدة ، فهم يزدادون اعتمادا على غيرهم .

وهذا النوع من الناس مغرم بالاكل والشرب . بل انهم يميلون للتغلب على قلقهم وهمهم بالاكل والمشرب . والفم عندهم مميز بالتميز ، نالشفاء تكون غالبا مفتوحة ، كما ان كآبت في حالة ترقب ان تطعم . وفي احلامهم يدور الحلم اما على الطعام او الجوع كتميز للاخفاق والهيم النفسي ، او على التماس الحب ، او نحو ذلك .

ان المظهر العام لهؤلاء الناس هو التفاؤل وشعور الصداقة فهم متفائلون بالحياة وهباتها ولكنهم يقلقون اذا ما هددوا في مصادر سعادتهم . ويتميزون فسي الغالب بمرودة حقيقية ورغبة في خدمة الآخرين ، ولكن ميلهم هذا يؤدي وظيفة انتظار المحبة والعطف من الآخرين والتماس الامن النفسي .

التوجيه الاستغفالي (3)

يعتمد الشخص المستغل اساسا على الشعور بان مصدر الخير له هو خارج النفس ، وانه لا يمكنه الاعتماد على نفسه . فهو يشبه الشخص (المستقبل) غير ان المستغل لا يتوقع ان يأخذ الاشياء من الآخرين كمنع او هدايا ، ولكنه ينتزعها منهم بالقوة او بالحيلة . وهذا التوجيه يمتد الى جميع نواحي النشاط . ففي دائرة العواطف يميل المستغل الى الاشخاص الذين لهم معرفة باناس وجهاً يمكن استغلالهم . ان اهم شرط للوقوع في

الحب هو ان يجدوا اشخاصا لهم صلات هامة يمكن استغلالها .

وفي دائرة الفكر ، هم لا ينتجون افكارا او يبدون آراء بل هم يسرقونها . انهم يصوغون الافكار ، او الآراء ، بصياغة جديدة مخالفة لما كانت عليه من قبل مدعين انهم اصحابها . وهذا هو ديدن الاذكياء منهم . فهذا الانجاء اساسه الاستغلال اكثر منه عدم الامالة او وجود نقص فطري لديهم في التفكير بل ربما كانوا قادرين على التفكير المستقل ، ولكن خلقهم الاستغلالي يوجههم نحو السرقة . وهذا الحال ينطبق على المسائل المادية فهم يميلون الى التزاع الاشياء التي في ايدي الآخرين دون ان يحاولوا جلبها بانفسهم مع انهم قادرين على ذلك . فشعارهم هو « ان احلى الفاكهة هي الفاكهة المسروقة » .

وتنصب رغبتهم بل ارادتهم على ان يقوا في حب الناس الذين يرون فيهم - صراحة - او ضمنا - موضوعا للاستغلال . وهم يلقطون هؤلاء الناس الذين كفت قدرتهم عن استغلالهم اذ امتصوهم حتى الثمالة . والثال المتطرف هؤلاء هو المريض نفسيا بالسرقة الذي لا يستمتع الا بالاشياء التي يمكنه سرقتها مع ان لديه المال لشراء امثاله . ان ما يميز هؤلاء في الشكل الظاهري هو القم الذي بعض على التواجد او القم القاسم فهي صفة تعد رمزا لخلقهم الاستغلالي . وكثيرا ما يشاهدون وهم يعملون حركات قاضية ، للآخرين ، ان اتجاههم ملون بخلط من العداوة ومن الشعور بتناول الاشياء وحب امتلاكها . انهم ينظرون الى اي انسان من ناحية استغلاله ، ويجرون حكمهم عليه من حيث مدى الانتفاع به . وبدلا من الثقة والتعاون اللذين يميزان الشخص المستقل (يكرس الباء) نجد المستغلين يعرفون بصفات التشكك في الناس وسوء الظن بهم وبالتهمم والحسد والغيرة . وحيث انهم لا يسمعون الا بالاشياء التي يمكن اقتناصها من الآخرين ، فهم يرفعون من قيمة ما لدى الناس ، ويحطون من قدر ما لديهم .

توجيه التقدير والادخار (٢)

يشابه النوعان الاستغلالي والاستغلالي في صفة مشتركة هي تقبل الاشياء من الخارج . اما النوع الثالث وهو النوع المقتري البخل الذي يكوم المال والحاجيات ، فيختلف عنهما في الاساس . فهذا النوع من الخلق لا يؤمن - الا اضعف الإيمان - بهذا العالم الخارجي . واصحاب هذا التوجيه يشعرون بالطمأنينة التي تبني على الجمع والتقدير والتكوير ، اما الانفاق او التعرف بالملكية فهو امر يهدد - في نظريهم - الحياة - وهم لذلك يحيطون انفسهم بحائظ وقائي ، او بقلعة محصنة ، يجلبون اليها ، وهم في هذا المركز الحصين ، ما يمكنهم جمعه من

رمال وممتلكات ، بل ويحتفظون لانفسهم حتى بالانفعالات والافكار . ان الحب لديهم هو نوع من الحيازة . وهم لا يمنحون الحب ، بل يحاولون ان يستحوذوا على المحبوب . والشخص المقتري غالبا ما يظهر نوعا من الصداقة للناس والوفاء للذكريات . . ان احاسيسهم وعواطفهم تجعل الماضي بهذا ذهبيا ، فهم يحرسون عليه وينغمسون في الذكريات التي تحيي خيراوتهم الماضية ومشاعرهم السابقة . انهم قد يعرفون اشياء عديدة ولكنهم مجدون عقيمون ، من ناحية التفكير الانجابي . ويمكن الانسان ان يميز الناس من هذا النوع بتعابير وجوههم واشاراتهم . فالشفتان مضمومتان ، واشاراتهم تدل على موقفهم الانسحابي . وفي حين ترى النوع الاستغلالي مرحا جذابا ، ونرى النوع الاستغلالي عدوانيا وحادا ، نرى المقتري هيكلا عظيما يحمل القليل من اللحم والدم .

ومن اهم مميزات هذا النوع هو تمسكهم بالترتيب والنظام فيما هو تافه وعقيم . فالخيل مرتب في الاشياء والافكار والاحساسات ، اما ذاكرته فعميقة ناشقة . انه لا يطمئن ان يرى الاشياء في غير مواضعها بالتمام ، فيندفع بشكل آلي ليعيدها مكانها تماما . فالعالم الخارجي عن ذهنه عالم يهدد موقفه الحصين . وحيث الترتيب ينفوذ بشئ الى ميله للسيطرة على العالم الخارجي وذلك بحيازته له ووضعه في مكان امين ، حتى يتجنب خطر الغزو الخارجي المزعوم . ان نظامه الاجبارية تعبير اخر عن شدة تمسكه بعدم التعامل مع العالم الخارجي . فهو يعتبر الاشياء الخارجية عن نطاق عالمه ، خطرة بل قذرة ، وهو لذلك يميل بل ينكر الاتصال بهذا العالم الخارجي ، وذلك بالنظر الى الاجابة . بالنظر الى حقيقة ان التشبه الى حد كبير الطقس الديني الخاص بالتطهر اذا لمس العابد شيئا نجسا . وهو ليس فقط يضع الاشياء في مواضعها الصحيحة ، بل وفي اوقاتها كذلك . فالماوظة الحصارية صفة اخرى من صفات البخل التي بها يسيطر - في خبره - على العالم الخارجي . واذا كان هذا العالم - في خبرته - هو مصدر تهديد لوقفه الحصن ، فان العناد هو رد الفعل المنتظر ، وجلوسه « المرتب » الذي يضم فيه « نفسه » معناه تجنبه للخطر الذي يهدده بالخطف او الدفع . وهؤلاء الناس يشعرون انهم يمكنون كمية ناشئة من الطاقة والقوة والسعة العقلية ، وان استخدام هذه الكمية سيعرضها لاثقال او للاستهلاك ، ومن ثم فهي لا تزيد او تنمو لديهم مطلقا . انهم لا يفقهون ان زيادة النشاط يذكيه ، وتنشغيل المواهب ينميها ، واستخدام القدرات يغذيها ، بل ان الحركة الحية هي اساس تنمية القوى وتهذيبها المستمر ، في حين ان عقم الحركة يشترئ الشلل والجمود ، ان الموت والاستهلاك عرفهم ، اكبر حقيقة من الحياة والنمو . ان الخلق والابداع هو المعجزة التي يسمعون عنها ولا يؤمنون بها . ان اهم

فليس هذا الزوم شرطا كافيا . ولتوضيح ذلك نقول ان نظامنا الاقتصادي لا يمكن ان تثبت ذاته لو ان الناس الذين يقومون بالعمل في الميادين المختلفة كانوا ذوي شخصيات مرحة ومقبولة ، ولم يكونوا ذوي خبرات - فليس يشفع في الطبيب ان تكون له عبادة ضخمة في ميدان كبير ما لم يكن ماهرا في تخصصه ، وليس يشفع للسكرتيرة في عمل ما ان تستمر في عملها ما لم تتقن الكتابة على الآلة الكاتبة . ومع ذلك فلو اننا قارنا اسباب النجاح التي تعزى الى الخبرة والمهارة فحسب ، بأسباب النجاح التي تعزى الى الشخصية ، لعجبنا من ان الاسباب الثانية هي الغالبة . حقا لا بد للنجاح من مؤهلات الخبرة ، وبعض الصفات الانسانية مثل الامانة والرقه والتكامل ، وكذلك لا بد له من عوامل اخرى للشخصية . ولكن التوجيه التسويقي قد جعل عوامل الشخصية تلعب الدور الاهم ، وتتكيف مع مقتضيات السوق . فاصبح النجاح ليس مشروطا بثبوت المبدأ . ان النجاح قد اصبح يعتمد في عصرنا هذا على كيف « بيع » الشخص نفسه في السوق . كيف تستطيع شخصيته ان تشق طريقها ، وكيف « تبدو » في عين « المشترين » . ان التنافس في الواقع امر عادي وضروري ، ولكن التنافس بأية وسيلة ، وعلى حساب المبدأ هو الذي نتج عن هذا التوجيه التسويقي . ان الشرط الهام للنجاح - في المجتمع الذي نعيش فيه - هو ان تكون الشخصية مطلوبة في الميدان الذي تعرض نفسها فيه . ومن هنا يصبح تقدير الانسان لشخصه ليس مبنيا على قيمة فائده لاجتمعه ، او على قيمة الخدمة التي يسحق ان يؤديها ، او على قيمة ما يؤمن من اهداف ، بل على القيمة التبادلية لشخصه في هذا المجتمع . وعلى ذلك يختير الانسان نفسه كسلعة ، بل كالباع وكسلعة تباع في نفس الوقت . اصبح الانسان لا يعنى حياته او سعادته او اقتران هذه الحياة بالمادية ، ولكن بعينه ان يكون مطلوبا للشاء . ولكي يجتذب (الزبون) يجب ان يكون (جذابا) تماما مثل السلعة . ولكي يكون ثمنه عاليا ، يجب ان ينافس غيره ، وان يبدو احسن من منافسيه امام الطالبين ، وبمعنى اخر يجب ان تكون شخصيته مطابقة لشخصية السوق التي تعد (الموضة) المطلوبة في المجتمع . ولما كان الانسان يرسى نفسه بل يختبرها كالباع وكسلعة في آن واحد ، فان تقديره لنفسه يختلف باختلاف الظروف التحكمية . فان كان ناجحاً ، كان مقدراً ، وان لم يكن كذلك ، حط من قدر نفسه .

حقا اذا شعر الانسان ان قيمة نفسه لا يحددها اساسيا ما يملك من مؤهلات الخبرة والانسانية وانما يحددها نجاحه في السوق التنافسية - ذات الظروف المتغيرة ، فانه يشعر بذلك ان هذا التقدير يكون في حاجة دائما الى سند من الآخرين والى تأكيدهم . ومن اجل ذلك فان الانسان يجاهد باستمرار من اجل النجاح . ولو اصابه

القيم عندهم هي قيم النظام والطمأنينة وشعارهم « لا جديد تحت الشمس » . وفي علاقاتهم بالناس يعتبرون الالفة تهديدا لهم . اما سر امنهم وطمأنينتهم في العلاقات الاجتماعية فهو اما ان يكونوا بعيدين تماما او ان يستحوذوا على المحبوب . والبخيل يميل دائما للشك وسوء الظن ، وحاسه نحو العدل شعارها « ان ما املك انا فهو فقط لي بالتمام ، وما تملكه انت فهو فقط لك بالتمام » .

التوجيه التسويقي (5)

ان هذا النوع من التوجيه الخلقي هو ناتج هذا العصر . ولكي ندرس طبيعة هذا التوجيه ، يلزمنا ان نفهم الوظيفة الاقتصادية للسوق في المجتمع الحديث ، لانها في الحقيقة اساس تكوين هذا النوع من الخلقي في الانسان المعاصر . ان المقايضة هي احدى الوسائل الاقتصادية القديمة . والسوق المحلية القديمة تختلف عن السوق التي نتجت في ظل الرأسمالية . فالمقايضة في السوق المحلية او الريفية كانت تبني الفرض لتبادل السلع المختلفة ، بل وللتعارف الشخصي بين المنتجين والمستهلكين - وكانت السوق في الغالب تتألف من مجموعات صغيرة ، وكان طلب الناس من السلع التي يحتاج اليها المستهلكون محدودة بل ومعروفا مقدما لدى المنتجين نظرا لتلك الصلات القائمة بين القرينين .

اما السوق الجديدة فلم تعد مكانا للتقابل او للتعارف ، بل اصبحت مكانا لعرض السلع بطريقة « لا شخصية » وما يتحكم في السوق هو قانون العرض والطلب الذي بموجبيه يتحدد ثمن بيع السلعة . ومنها يكن من (قيمة الفائدة) لبعض السلع ، فان زيادة عددها من حاجة المطلب يعرضها حتما للوار . ولذلك اصبحت (القيمة التوافقية) للسلع توزن بقيمتها التبادلية اكثر مما توزن بقيمة فائدها . ان الانتماء في تادية وظيفة السوق بهذا الشكل قد نتج عنه مفهوم مماثل من نحو الناس وخاصة من نحو النفس . فالقيمة الخلقي الذي ينبع من خبرة الانسان لنفسه كسلعة ، وكقيمة تبادلية هو الذي يسميه فروم « التوجيه التسويقي » . وقد نما هذا التوجيه في عصرنا هذا نموا سريعا مقترنا بنمو السوق نفسها ، وتعني بذلك ظهور ما نسميه بشخصية السوق . ان رجال الاعمال والحاسبين والمقاولين والاطباء والمحامين والفنانين ومن اليهم ، همما اختلفت مراكزهم الاجتماعية والاقتصادية ، انما يشتركون في صفة واحدة ، وهي ان نجاحهم المادي يتوقف على القبول الشخصي لدى اولئك الذين يحتاجون الى خدماتهم . وبعبارة اخرى ان اساس التقدير بالنسبة للشخصية مماثل لاساس التقدير بالنسبة لسلعة السوق . فهناك (عرض للشخصيات) مماثل تماما (لعرض السلع) - والقيمة في الحالتين هي القيمة التبادلية - صحيح ان القيمة التبادلية لازمة ان تكون قيمة فائدة - ومع ذلك

تحمل معنى إنسانيا . فإذا قلنا ان الناس جميعا قد خلقوا متساوين فمعنى ذلك ان كل الناس لهم نفس الحق الاساسي بان يعتبروا « كغايات » في ذوائهم لا كوسائل . ولكن اليوم قد تغير هذا المعنى من وجهة النظر التسويقية . فبدلا من ان تكون المساواة شرطا من شروط تنمية المميزات الفردية ، فقد صارت المساواة تعني انطفاء الفردية او انعدامها .

وبمعنى اوضح ان المساواة في نظر التوجيه التسويقي هو « الافردية » . فالمساواة في معناها الحقيقي هي المبالاة بالفروق ، ولكنها أصبحت مرادفة لمعنى اللامبالاة والحق ان اللامبالاة هي الشيء المميز الذي يمتاز به الانسان المعاصر . اذ ان المبالاة هي العلامة المميزة التي تربط الانسان بنفسه وبالاخرين .

ولذلك فالتوجيه التسويقي يلون العلاقات الانسانية بلون اللامبالاة . ذلك ان الفرد اذا اهملت فرديته فان علاقته بالآخرين ستصبح بالضرورة علاقات سطحية . اذن فلم تعد (الفرديات) هي التي تربط (بعلاقات) ولكن العلاقات أصبحت قائمة بين (سلع تبادلية) منفصلة عن فردياتها . ولم يعد الناس يهتمون ان يرتبطوا بما هو (ميز) او (مستقل) في الناس . وبعبارة اخرى لم يعودوا يهتمون بالارتباط بالفردية . فكل انسان مشغول بمعركة السوق ويسهم فيها من اجل النجاح . وكل الناس يتقابلون ويرتبطون تحت ظروف السوق الواحدة (او على الاقل يؤمنون بانهم يفعلون ذلك) وكل انسان ايضا يعرف شعور الآخر الذي يشاركه القارب الواحد في الظروف الوقية الواحدة . وهذا الشعور اساسه الشعور بالوحدة ، والخوف من العزلة ، والتطلع لارضاء المشترين .

ان هذا الخلق السطحي للعلاقات ، الناتج من هذا التوجيه التسويقي يدعو كثيرا من الناس لان يعوضوا ما فاتهم بان يجدوا التعق والقوة عن طريق الحب الفردي ولكن ينبغي ان ندرك ان العلاقات الحبية في اية حضارة معينة هي ليست الا تعبيرا قويا عن الروابط السائدة بين الناس في هذه الحضارة . ومن اجل ذلك فسوف لا تتوقع ان الشعور بالغربة او الوحدة الذي يشعر به الانسان - الناتج عن التوجيه التسويقي - مما يمكن معالجته بالحب الفردي .

ينائر الانسان المنهمك في سوق هذا العصر في تفكيره كذلك .

وينبغي ان ندرك ان التفكير مستويين ، الاول هو الادراك ، والثاني هو التعليل والفهم العقلي العميق . فالوظيفة الاساسية او الاولية للتفكير هي ان يدرك الانسان بسرعة ، الاشياء التي تمكنه ان يستخدمها بنجاح . وهذا الادراك اذا نما واتسع افقه بالتربية السليمة المنتجة ، ادى الى ظهور الذكاء (العملي) بدرجة عالية ، ولكنه لا يؤدي الى

اي تكوّن فمعنى ذلك هو تهديد لقيمة النفس . حقا اذا كانت تقلبت السوق واهواؤها هي الحكم الوحيد على قيمة النفس فان حاسة الالفة والكرامة او الاعتداد بالنفس تعرض حتما للتطهير او الانحطاط .

وليس فقط قيمة النفس ، وخبرة الانسان عن نفسه ، تعرضان للهلاك . بل يعرض ايضا للهلاك ، توحيد ذاتيته مع نفسه ، او بمعنى اوضح مدى تطابق شعوره بالذاتية مع قواه الحقيقية . ان الانسان الناضج الخلاق يستمد شعوره بالذاتية من خبرته لنفسه : كإنسان يعمل في اتجاه قواه . فالشعور بهذه الذاتية يمكن ان يعبر عنها باختصار بالعبارة « انا اكون حيث افعل ما اريد » ولكن بهذا التوجيه التسويقي يرى الانسان قواه كسلع غريبة عن نفسه . فهو ليس في اتجاه هذه القوى ، لانها قوى ممتعة عن نفسه ، اذ ان ما يهم هذا الانسان ، ليس هو تحقيق استخدام هذه القوى والتعبير عنها ، ولكن النجاح في « بيعها » في سوق الشخصيات . ان قواه واستخدام هذه القوى تعد اشياء غريبة عن النفس ، يتحكم فيها الآخرون . وعلى ذلك فشعوره بالذاتية يصبح امرا مهزوزا تماما مثل تقديره نفسه . ويمكن التعبير عن هذا الاتجاه بالعبارة « انا حيث تريدني ان اكون » .

وحيث ان الانسان لا يستطيع ان يعيش في شك من ذاتيته ، فهو يجد الاقتناع بهذه الذاتية بشكل آخر . اذ يراها تنتمية ليس الى نفسه او لقواه ، ولكن الى آراء الآخرين عن نفسه . وهذا الموقف يجعله معتمدا اعتمادا كليا على الطريقة التي يراه بها الناس ، وبذلك يدفعونه الى الدور الذي فيه عرفه الناس ناجحا . ومعنى ذلك انه اذا كانت « انا » في جانب و « قواي » في الجانب الآخر فانني سارى نفسي في ضوء الثمن الذي اعرض فيه هذه القوى .

اما الطريقة التي بها ارى الناس ، فليست مختلفة عن هذه الطريقة كذلك . فان الآخرين ايضا في نظري هم سلع ، مثلما ارى نفسي . وهم لا يقدمون انفسهم كمشا هي ولكنهم يقدمون الجانب الذي يباع . والانسان الذي ينظر هذه النظرة سيرى الفوارق بين الناس حيث يختلفون من ناحية النجاح في الحياة ، والجاذبية في السوق الجارية ، ومن ثم تختلف اقدارهم لا لصفات شخصية او مؤهلات علمية او لجاذبية طبيعية او لثقافتهم او لاهتماماتهم . . ان ما يتخذ اساسا للتقويم هو « النجاح في السوق » او هو القيمة التبادلية او هو سعرهم في السوق . اما فرديتهم فلا قيمة لها اذ لم يعد التمييز بقرن بالفردية ولكنه يقرن بتلك القيمة التبادلية في السوق . وبدلا من ان نعني بانماء الفردية ، نعني فقط بانماء النجاح او انماء القيمة التبادلية . كذلك يغير هذا الاتجاه التسويقي معاني كثيرة . فالمساواة مثلا في اساسها

وقد يكون صاحب هذا الدور لا يبالي أساسا بهذه الصفات، بقدر ميلاته بما يحصل عليه إذا اتصف بها . أن الأساس الذي يقوم عليه هذا التوجيه اتسوقي هو « الفراغ » أو « عدم التميز » بآية صفة نوعية ثابتة حيث أن أية صفة ثابتة ستصطدم حتما مع متطلبات السوق المتغيرة . أن هناك من الناس ما لا يتفق مع بعض أنواع الخلق الفردي المتميز . ولذلك فالسوق تفرض إزاحة هذه الأنواع الخلقية المتميزة ، ولا تفرض بطلان هذه الناصب نفسها . وينبغي أن يفهم أن كلا من هذه التوجيهات الخلقية ليس منفصلا تماما عن غيرها . فقد تنصف انسان ما بالتوجيه الاستغلالي كصفة خلقية غالبية ، ولكنه مع ذلك يتخلق بمزيج من التوجيهات الأخرى .

التوجيهات الخلقية والحضارة

إن الشيء الجدير بالذكر هو أن التوجيه الخلقى الغالب يتوقف إلى حد كبير على الصفة المميزة للحضارة التي يتربع الفرد في أحضانها . ولكن كان هذا الموضوع من موضوعات علم النفس الاجتماعي التي تحتاج إلى شرح مستفيض ، فاني اعرض هنا العلاقة بين التوجيه الخلقى والعين والظروف الاجتماعية التي تؤدي إليه ، في شيء من الإيجاز . فليست هذه العلاقة مجرد تأثر الفرد بما يسود المجتمع من تشكيلات حضارية ومن نظم اجتماعية . أن التفاعلات العادلة لأكثر تأثيرا وعمقا . أن كل كيان الشخصية للفرد العادي (في الطبقة المتوسطة) إنما تصاغ في القالب الذي فيه تشكل العلاقات بين الإنسان والأخر . وكذلك يتحدد كيان هذه الشخصية بالتركيب الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع ، وبالتشكيل السياسي كذلك . ولذلك فنحن نستطيع أن نستنتج من التحليل الكلي لموقف فرد معين من أفراد المجتمع ، ما هو التركيب الاجتماعي الذي يحيا هذا الفرد في ظله .

وسنعرض فيما يلي لكل نوع وعلاقته بالنظم السائدة .

١ - أن التوجيه الاستغلالي يظهر في المجتمعات التي يكون فيها حق استغلال طبقة لأخرى ، نظاما سائدا ومعترفا به ، بل وشرعيا فظافا أن الطبقة المستغلة (بفنح الفكر) ليس لديها القوة على التغيير أو حتى على مجرد التفكير فيه ، فإن موقفها يكون هو موقف المستغل من سادته القوة ، المنتظر منهم الخير ، المستقبل منهم العطاء . ومهما يكن تأفها ما ينتظره التابع أو المسود ، فهو يشعر أنه أفضل مما لو حصل عليه بمجهوده هو ، إذ أن التركيب الاجتماعي يؤكد حقيقة عززه عن الاعتماد على نفسه أو على جهده وفكره .

وإذا كانت الحضارة الأمريكية المعاصرة تبدو كأنها تشجع

- (1) Non-productive orientations
- (2) Receptive
- (3) Exploitative
- (4) Hoarding orientation
- (5) Marketing
- (6) Mental adjustment tests

الفهم العميق ، أو إلى التعليل والمنطق . وهذا فعلا ما ينصب على كل العمليات اليدوية حيث لا تحتاج لأكثر من المعرفة السطحية . أما التعمق إلى لباب الظواهر ، فلا يمكن أن يصل إليه الإنسان إلا بالتعليل الناتج من الخبر والملاحظة والمعاينة ، والمراجعة الفكرية ، والتعديل الفكري ، كلما فتح باب الخبرة عن أشياء جديدة ، وكلما اتسعت أمام الإنسان الرؤى والآفاق المختلفة . أن الإنسان لا يجلو « الحق » إلا بهذه الطريقة . أما في سوق هذا العصر ، فإن مفهوم هذا الحق - في هذا الجو التنافسي - يتغير ليصبح مفهوما يتضمن معنى آخر هو سعة التكيف العقلي في الموقف المعين ، ولا يتضمن الفهم العقلي وسعة التعليل الناتج من الخبرة الصافية الحقة . أن اختيارات الذكاء التي نعرفها هي في الواقع من النوع التكيفي ، وحق لنا أن نسميها اختيارات التوافق العقلي (٦) .

فإن هذه الاختيارات تطبق مقاييس المقارنة أو المطابقة العقلية ، ولكنها لا تعني بالتحليل للظواهر المختلفة أو تعيين خصائصها أو تقويم قيمها . أن (منطق) هذه الاختيارات هو أن لا فرق بين مشكلة وأخرى من حيث الاهتمام ، أو من حيث الأهمية . أن كل مشكلة تعرض أمام الفرد ، يقابلها بنفس الاهتمام وبراهها بنفس القيمة . أن المعرفة إذن قد أصبحت - في منطق السوق - نوعا من السلع ، وهنا الإنسان أصبح كذلك غريبا عن قواه . أنه يختبر أساليب التفكير والمعرفة كأدوات لإنتاج أشياء تباع . وحتى معرفة الإنسان لنفسه (أو لعلم النفس) التي كانت أساسا للفضيلة والحياة السوية ، وركيزة السعادة ، قد أصبحت أداة لاقتصاد الأشخاص ، أو لاستخدامهم استخداما سوقيا ، أي أن المعرفة صارت من أدوات البحث العلمي ، والدعاية السياسية ، والإعلان . . بعض النظر عن المبادئ ، وقد امتد هذا الاتجاه فألقى ظله على النظام التربوي والمدرسي . فقد أصبح (حشو المعلومات) لتقابل (حاجة السوق) هي المهمة دون العناية بأنماء الفرديات أو القدرات والمؤهلات ، ودون رعاية الاهتمامات الخاصة والمواهب الفردية ، وما ليس له قيمة تبادلية .

ونحن إذا قارنا ، قلنا أن كلا من التوجيه الإداري ، والاستغلالي ، والاستغلالي ، هو توجيهه بعيز صاحبه ، ولكن التوجيه التسوقي لا ينمي أي شيء كامن في الإنسان ، ولا أي نوع من العلاقة ، إنما هو ينمي القدرة على التغيير في العلاقات وفي الاتجاهات . ففي ظل هذا التوجيه ينمي الإنسان الصفات التي يمكنه أن « يبيعها » . فليس هناك اتجاه خاص يسود الإنسان . ولكنه الفراغ الذي ينبغي أن يملأ بالصفة المطلوبة . وهذه الصفة ليست صفة بالمعنى الصحيح . ولكن الحقيقة أنها دور معين مرغوب فيه فقد يكون الدور الذي يلعبه الفرد أو يمثله بعيدا عن حقيقة تكوينه الخلقى ، فقد يتطلب المنصب المعين أن يظهر الفرد بالاحترام والامانة والإخلاص ووضع الثقة في الآخرين ،

ان هذا التركيب الذي يجمع بين عالم منظم ثابت ، وممتلكات ثابتة ، وأخلاقيات ثابتة ، قد منح أفراد الطبقة الوسطى شعورا بالانتماء ، وبالثقة بالنفس ، وبالكبرياء كذلك .

٤ - أما **التوجيه التسويقي** فليس من مخلفات القرن الثامن عشر او التاسع عشر . انه حتما ناتج من نواتج عصرنا الحديث . ان الاسم التجساري . والشعار . و (الماركة) قد اصبحت جميعها ضرورية بالنسبة للسلع والناس كذلك .

ان (انجيل العمل) في نظر الناس سوف هذا التوجيه قد فقد قيمته الحقيقية - في حين ان (انجيل البيع) قد أصبح ذا قيمة كبرى . لقد تميز العصر الاقطاعي بالثبوت الاجتماعي ، اذ كان الانتقال من جهة الى اخرى في غاية من الصعوبة . ومن هنا لم يكن ممكنا ان يستخدم الانسان شخصيته لكي تدفعه للتقدم . اما في عصرنا التنافسي السوقي فقد اصبحت الحركة سهلة والتنقل ممكنا وخاصة في الولايات الامريكية . والشخص الذي يعمل في توزيع الحاجيات والسلع بنفسه ، منتقلا هنا وهناك ، ينتظره النجاح حتما . اما الشخص الذي يعمل منفردا ويسعى منفردا ، ففرص نجاحه ضئيلة . ان من يسعى للنجاح في هذا السوق ، عليه ان كيف نفسه مع منظمات عديدة كما عليه ان يوفق مكانه وفق الدور الذي ينتظره .

وبالاجمال نقول ان سمة هذا العصر هي «الاشخصية» و «الفراغ» و «اللامعنى» للحياة وآلية الفرد . هذه جميعا قد ادت الى عدم الاشباع ، والى الحاجة الى طريق للحياة الفصل ، والى مقاييس اخرى مؤدبة الى هذه الحياة الانسانية . اما اساس هذه المقاييس فهو التوجيه الشمر الاخلاق . انه الخلق البناء الذي ينمي الاستعدادات الفطرية والمواهب والملكات - ومن هنا نحن نراه «الغاية» الكبرى التي يجب ان ينطوي تحتها كل نشاط انساني .

بور سودان

اميل توفيق

صدر حديثا

المواطن والدولة

في نص الدستور وروحه

تأليف

جوزف باسيلا

مشرورات دار المكشوف - بيروت

الاعتماد على النفس واستنهاض الهمم وتنشيط المسؤوليات ، فان التوجيه الاستقبالي ينمو كذلك بطرق غير مباشرة . ذلك ان الحاجة لارضاء الرؤساء واشباع رغباتهم انما تقود الى الشعور بالضعف وعدم القدرة مما يخلق هذا التوجيه الاستقبالي . ومن امراض عصرنا في القارة الامريكية وجود (خبراء) في كل مجال من مجالات النشاط ، وفي مختلف العلوم وفي شتى الشؤون والفنون . وما على الناس العاديين - عندما تواجههم المشكلات - الا الاستماع الى هؤلاء الخبراء والى آرائهم ليتبنوها بسهولة دون بذل الجهد الفكري ، ودون الوصول الى الخبرة الحقيقية . ومريض آخر هو تلك الوسائل الحديثة للرفاهية والمدنية ، كسيارة تحتوي على مختلف وسائل الترويح والترفيه ، وغيرها من المذترعات او الرفاهية دون بذل الا القليل من الجهد . هذا المرض هو « الوصول » او الحصول . دون بذل الجهد » .

٢ - أما **التوجيه الاستقبالي** الذي شعاره «انني احصل على ما اريد» فيرجع اساسه الى الاسلاف الاقطاعيين والقراصنة ومنهم بارونات القرن التاسع عشر الذين استغلوا مصادر الثروة في انحاء القارة . فلم يكن لهؤلاء الراسماليين المغامرين من غاية غير ان يبيعوا بالثمن العالي ما اشتروه او حصلوا عليه بالثمن البس ، في سبيل الحصول على الثروة والقوة . ذلك ان السوق الحرة التي كانت سائدة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، كانت ظروفها تشجع قيام مثل هذا التوجيه الراسمالي . ولقد رأينا في هذا العصر ، الاستغلال الحقيقي في صورة «الغاية» واعني به استغلال الثروة الطبيعية والانسانية لشعب يشهر الغزو من شعب آخر . فالشعب الغازي كان يبيع بحق التوجيه ويربذ ذلك بقانون الطبيعة القائل ان البقاء للأصلح . اما الدماعة والطف او الحب والرفقة فقد كانت من علامات الضعف ، واما التفكير السليم فقد كان شغل الجناء او المعدمين .

٣ - أما **التوجيه الادخاري** او التقصري فقد وجد جنبا الى جنب مع التوجيه الاستقبالي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . ان النوع التقصري انما يمثل النوع المحافظ اذ هو يوجه نحو اهتمامات الكسب او جمع الثروة بطرق الاقتصاد المنظم ، وحفظ ما اكسب من قبل . ذلك ان الملكية لدى المختر القتر هي رمز لنفسه، ولحفظ هذا الرمز قيمة كبرى ، فهذا التوجيه قد منحه شعورا كبيرا بالامن والطمأنينة . ان الاهتمام بالملكية وبالاسرة ، في ظل الظروف الثابتة للقرن التاسع عشر ، قد خلق عالما مستقرا ومنظما . ومن هنا نجد ان اخلاقيات جماعة البيوريتان التي تبنى على ربط العمل والنجاح بالفضيلة والصلاح ، قد ساعد على تنمية الشعور بالطمأنينة والامن (وبالتالي ساعد على تدعيم هذا التوجيه الخلقي) وعلى ان يضفي على الحياة معنى روحيا وشعورا بالامتلاء !

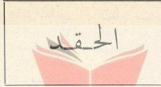
تحدث اليوم بل الساعة ..
انه لا يزال يذكر كيف مات اخوه
الحاج وجيه وشيعت جنازته بوقار
وخشوع . لم يخرج يومها مع
المشيعين بل اكتفى بالوقوف في زاوية
السوق يرمق بعينه النديين ذاك
الصندوق الخشبي المحلى بوشاح
مزرکش . وكان ثمة طربوش قاسم
يعتلي التابوت متعابلا معه وكانما هو
يكي فراق صاحبه . لقد اطرق احمد
رأسه لحظة مرور التابوت من امامه
متمتما بالقفاحة . كان يوده لو حمل
على كتفه طرفا من النش وسار به
دون توقف الى مقبرة تلوح كالسراب
وكان يوده ايضا لو قبل اخاه قبل ان
يوارى جسده التراب .. ولكن ما
حياته ...؟ لقد اوصى الحاج وجيه
قبل موته بابام ، بل والى عليه ،
بالا بشيعة اخوه يوم رحيله عن الدنيا
ونفقت وصيته بخدايرها لا اعتقادهم
بان الميت يشعر بما حوله شعور
انسان مشلول الحركة . ولم يكن
بين الاخوين شيء يذكر سوى شعور
غريب لازمهما منذ الصغر ربما مبعته
الاصلي ملاطفة ابههما لواحد منهما
دون الآخر ، لقد تحول هذا الشعور
الفاضم الى حقد دين كانت تحركه
الحوادث وتزبد الايام من ضراوته .
الا ان السبب الحقيقي الذي لا
يريد احمد ان يقربه هو الميراث . فقد
ورثا ، هو واخوه ، عن ابههما تركة
لا بأس بها ولكن الحاج وجيه
استطاع بحنكته ومساعدة امه وتأييد
الناس له ان يتلاب على القانونون
لتكون له حصة الأسد من الغنيمة .
وفي هذه المعركة وقف احمد وحيدا
في الساح .. امه تلت عن نهائيا
ودابت على اكار الدعاء عليه ،
اصحابه تخلوا عن لقائه .. اخوه
اصبح كالنسر الجائع لا يشبع نهشا
وتجريحها في سيرة احمد وسلوكه .
واشد عجبا من هذا ان الحاج وجيه
الذي لم يترك من ورائه ذرية تراث
كتب في وصيته الدارين الكبيرتين
لاحد مشايخ الطرق الدينية كتابية

فانقعد لسانه بينما ضربات المعول
تشق طريقها الى داخل القبر .
وماتت الارض تحت قدمي احمد ،
وحسبا سبتلعه حالا عندما كشف
الحفار عن هيكل عظمي يتعدد عاريا
في اعماق القبر وقد تعلقت به خرق
صفراء مشوهة ، وسمع لحظتها
صوتا خافتا :
— اللهم احمنا من الوباء هذا
العام ..!

واذ تسربت الى انفه رائحة ننتة
ترددت اصوات ميتة فيها خشوع
وربهة :

— آمين ... آمين ..!

اخذ احمد يلعن من جديد البلدية
ومشاريعها ، لقد اوجبت عليه ان
ينقل عظام اخيه الحاج وجيه ووالدته



بقلم جهاد الكاتب

الى المقبرة الجديدة خارج البلدة ،
انظروا لعزما على شق طريق فسيح .
وان لم يفعل فانها ستعتمد الى قدف
تلك العظام في حفرة واسعة اعلمتها
خصيصا للعظام المجهولة . كان
باستطاعته ان يتجاهل نداء البلدية ،
وكان بإمكانه ان يضم اذنيه فلا يسمع
هسات الفضوليين ، ولكن شيئا
غريبا كان يدفعه ليحمل الكيسين
تحت ابطه ويعود بهما ممثلين للعظام
ليدفنهما من جديد . لقد تجدد
الموت في خاطره فعات ذكركه سريعا
الى سنين خلت ، واخذ يستعيد
حراذيلها بنهم ، فتمثلت امامه وكأنها



لاحت له المقبرة من بعيد تعج بأشباح
الناس فتناقلت خطواته حتى أصبحت
اشبه سير السلحفاة . كان تحت ابطه
كيسان فضفاضان من الخام الابيض
يضغط عليهما بقوة . وخيل اليه
ان القبور تنهادي نحوه فجمدت
قدماه حتى باتتا قدة حجرية .

لم يزر الجبانة الا مرة واحدة في
عمره ، رغم انه قطع الثلاثين . كان
ذلك يوم اصططحته امه معها ، وهو لا
يزال صغيرا ، ليزورا قبر والده
ويضعوا فوق اذنيه الربط اقصانا
صفيرة خضراء وشعر برعشة تناب
جسمه حتى كاد تفتته ، فلم يات
اليوم ليزور قبر والده وليضع فوق
ترابه ازهارا ملونة ، كانت مهمته
اشق من هذا واكثر عناء .

اخذ احمد يلعن في صوت مهموس
البلدية ومشاريعها حتى تنبه الى
نظرات الناس المرعين تحديق به من
كل صوب ، فتابع سيره متسلقا كمة
كهلة ، متجها صوب المقبرة المرتفعة
وهو لا يزال يلتفت بمنصة وسرة
كطفل جبان .

اطل على المقبرة فارعدت فرائضه
كانت الشمس قد بدأت تبعث ببعض
خيوطها الذهبية فتصطلمد باحجار
القبور الكلبية . وثمة عدد من الناس
غير قليل ، قد ولج الى المقبرة بوجوه
واجمة يرتسم على قسماها المتنافرة
اشمئزاز غريب ، ولم يلبث احمد ان
انفص الى هؤلاء النار ووراح يهامهم
تقصاد معهم بقرق احاديث تافهة .
فتست ثلاث ساعات على احمد
وهو يتولى بقامته المنتفخة متفلا
بين احجار سمر كان بعضها متكسا
كناس عليه النوم واخرى ممددة
كحيوان شرس لقي مصرعه . لقد
شعر لأول مرة بمعنى الزم مدركا
ما يحمل بين طياته من انتظار قاتل .
وجاء دوره اخيرا ، ورغم انه ممل
الانتظار الا انه تمنى كليا الا يأتي دوره
الى الابد . وهم ان ينصرف ، وان
يصرخ في وجه المشرف والعمال «ها
حطمو العظام ليس لي قريب بينها »

باخيه وتشفيأ منه .

ورغم هذا كله فان احمد كان يؤمن إيماناً لا يتزعزع بان الایام كفیلة بإيجاد حل جذري لخلائه مع اخيه . ولكن خاب فآله .. وطاشت امنيته فلم تصب إلا قلباً كالحجر في قساوته وصدرها كالحفرة العميقة تمتليء حقدًا وبغضًا له ..

انه لا يزال يذكر كيف وقف في نفس الزاوية التي ودع منها نعيش اخيه بنظرانه المثالة ليزرف الدموع على مسيرة امه الراحلة ، فقد لحقت بابنائه البكر بعد اربعين يوما من وفاته واصرت هي بدورها الا يخرج احمد وراء تابوتها تضامنا مع ابنها .

لقد أثارت دموعه يوما كل من كان حاضرا في السوق ولكن احدا منهم لم يقدم له اي كلمة عزاء او مواساة . كان كالغريب بين اهله ومعارفه ، لقد آله انهم يغفرون منه دون سبب . والحق ان لكل انسان خطيئاته ونزواته الخاصة التي كثيرا ما لا تروق اعين الناس ، ومع ذلك فان الله يغفر اعظم الذنوب بالتوبة والناس لا يغفرون انفسه ذنوب او خطيئة . ولهذا كانت تمتليء نظرات احمد بحقد لا شعوري على هؤلاء الحاقدين الاغبياء الذين يكرهونه بعناد لتصلب في حقه وتشبت برأيه .. ولعل اسبابا هزيلة مجهولة حملت الناس على اجتناب قرنه ، ربما هي الفيرة والحسد والطمع في مكانته وعلمه واسلوب عيشه ولكن الشيء المهم انهم لبذوا واحدا من جنسهم بقسوة وكراهية دون ان يعطوا لانفسهم التبرير الواضح لتصرفهم ذلك .

كيف لا يحمل احمد الحقد بين ضلوع صدره طالما الراحلون عمن الدنيا يرفعون اعتقادهم على اكتافهم وينقلونها معهم الى قبرهم العتم دون ان يفكروا في طرحتها او حتى اخفائها تحت خيوط الكفن . ان الحاج وجيه وامه لقناه درس الحياة الاول فجاء متأخرا وغامضا . لقد لمس احمد

عجز الانسان عن استعمال عقله كمقود امين يدفع به الى شاطئ السعادة . بل ان الانسان اضعف من ان يتخلى عن مكونات الشر القابضة في زوايا نفسه . فالحقد والفيرة والحسد والطمع .. كلها اجزاء نافذة جعلها الانسان بمحض اختياره من مقومات وجوده المفرق في الغموض والغوص .

نفخ احمد ذكرياته وافتكأه المؤلة تلك على صوت الحفار وهو يردد بخشونة :

— يا استاذ .. هات الكيس .. !
— لوى احمد رقبته وقدم الكيس بيد مرتجفة . كانت كل احاسيسه تتشابك وتتصادم فيشعر بصوت صدامها المؤلم وكأنها اضراس نخرة تصطك بقسوة .. وعادت الصور تتابع في مخيلته .. وكرة ثانية تمثل موت اخيه ، وشعر احمد بجسده يتدحرج في هوة بحقبة ليس لها من قرار ، وراى نفسه يسقط من سطح بناء مرتفع .. وفاق من احلامه نجاة على صوت ارتطام بين قدميه وكان الحفار قد ملأ بالمظالم الكيس ولقد فوهته حبل نفيسا يعقدها بالكام لم تقبل بالكيس صوب احمد . قال الحفار باقتضاب بعد ان مسح عن جبينه عرقا اسود :

— اين القبر الثاني يا استاذ ؟
ناشر احمد في الحال باصبعه الراحشة الى قبر وضيع يتداخل بين قبرين مرتفعين :
— قبر امي .. هذا هو .
وبدا شبح ابتسامة على وجهه الحفار لم يدرك احمد معبها .

كان عدد من الصبيان قد تجمع حول القبر ، وتهايمسوا وهم يرقبون ضربات المول تهد سقفه . واحس احمد بشعور غريب .. ان هؤلاء الضبية كانوا مجرد لا شيء .. ثم تلمسوا طريق الدنيا العابت وغسدا يكبرون .. ثم يهرمون وبعد هادفون

في حفر صغيرة معتمة ولعن احمد في سره الحياة الالهية ، فهي ليست الا لعبة تافهة لا تجيد الا الخلق والموت موزعة بينهما السعادة والشقاء دون تعدل .

وبرزت لاحد قضية مفاجئة : من سيحمل الكيسين الى القبرة الجديدة .. ؟ وزأغ بصره بين وجوه الواقفين وتراقصت نظراته على جدران القبور الحزينة ثم تنقلت فوق ثياب الحفار وهبطت بعدها البسى الكيس القابع بين رجليه كعبد ذليل . لم يحسب ان الجسد يغنى بمثل هذه السرعة ، لقد سمع ان الجسد يقاوم خمس سنوات على الاقل حتى يتحول الى هيكل عظمي تتكلمه الديدان الصغراء .. من سيحمل الكيس .. ؟ الصغراء عملت والقي بالكيس الثاني الى جانب الاول وهو يصبق بعدة حتى جف لعابه .

دس احمد قطعة معدنية في يد الحفار فشره هذا بإشارة من يده المفردة بان دفعها فوق راسه وهي مطبقة . حمل احمد في كل يد كيسا وسار متعثرا بين القبور ولا زالت عيناه طاشنتين لا تكادان تجدان ماوى ترددان فيه . ولم يقو على التفكير في الاسباب التي دفعت له ان يحمل الكيسين دون ان يواصل البحث عن يحملهما بالاجر .

كان قد وصل الى الطريق العام عندما اخذت شفتاه تتمتتان بالقافز غامضة . ولم بعد بذكر اي الكيسين فيه تقبع عظام اخيه او امه . ولم يابه لهذا بل راح يلعنهما سوية وكانهما عدوان لدودان . لقد حقدًا عليه بقسوة وحملًا حقداهما معها الى قبرهما الصغير . ضحك احمد وتعالى صوته حتى لفت سمع المارة . لم يكن يظن ان سيحمل يوما امه واخاه البدين بمثل هذه الباطلة .. انها الان مجرد عظام بيضاء ، لو لم يحملها الان في كيسه لكانت كتلة

الحلم القديم

ارنو الى الليل البهيم واسام
قد كنت اشرق بالغرام واكتم
ويصح من داء الغرام ويسلم
وكمارد ابلى رؤاه القمم .
ونداؤها المتوهج المتلثم ،
كذب المني ذاك الحب المفرم ؟
وصباحها التعثر التكنم ،
لص يباغته الضياء فيحجم ؟
فالبدر خلد سرها والانجم .

لما مضى الحلم القديم رايتني
وابوح بالسر الدفين ، وطالما
عجبا ، اخلو اللب بعد هيامه
كفراسة خلعت غلالة اسهامه
اين الاماني لامعات في الدجى
خلب الفؤاد وميضها، هلا درى
اين الليالي الحالمات وسحرها
يعشى الهوينا في السماء كانه
ولت كحجب الصيف بددها السنا

مير بصري

بضداد

كان يعريد فلحقه صبيان الحي
متباطئين من ورائه . كان احمد حتى
تلك اللحظة لا يدري لم حمل الكيسين
الى هذا المكان . لقد كان في ثورة
حاقدة تتناثر منها شتائم بشعة .
وكانت رؤوس عدد من النسوة قد
اندفعت عبر النوافذ وعبر الابواب
تستجلي الخبر بثرثرة معتادة . وقبل
ان يدخل احمد البيت حذق في
الكيسين ثم رفعهما عاليا وهوى بهما
ارضا ثم داس فوقهما وعبر باب
البيت واغلقه من ورائه .

اللف الصبيان حول الكيسين ..
وتهاوسوا .. وتبادلوا النظرات
وجنبوا عن فتح واحد منهما وكان
ثمة صوت من الداخل يججلج دون
معنى والصبيان يلفطون حتى ملوا
وقفهم وكادوا ينصرفون وفجأة فتح
الباب بهدوء وخرج احمد بارد الوجه
فانصرف الصبيان يتسابقون هربا .
رفع احمد الكيسين بيديه الضعيفتين
وعيناه مسدلتا الجفنين وثمة ابتسامة
شاحبة ترسم على شفتيه اللفراوين،
وسمع صوت امرأة مبرقعة تتحدث
مع جاريتها بهمس مزعج فأسرع خطاه
حتى غاب وراء المنعطف ...

جهد الكاتب

حلب

واخذ احمد بررد هذه الكلمات
صارخا باعلى صوته وكان قد وصل
الى السوق فالتف من حوله جميع
من الناس والدهشة تغطي قسما
وجوههم البتة ... وبدوا يتهامون
... وتملأوا في وقتهم مستعسرين،
كان احمد لا يزال على حالته « الا
تسمعي .. يجب ان تسمعي »
وفجأة رمى احمد احد الكيسين ارضا
وهم بان يدوسه بقدميه ولكن بعض
الواقفين اندفعوا يمنونه عن ذلك
وهم لا يدرون حقيقة الامر . قال
احدهم :

— صلي على النبي يا استاذ ..
صلي على النبي !
ولفظ الحاشرون :
— لا تفلت جنونك .. الصبر
طيب .
— ضاع الرجل .. لا حول ولا
قوة الا بالله !..
— ماذا جرى يا استاذ ؟..
— اخوه ظلمه ..
— يستأهل !..

اختطف احمد كيسه الثاني من
الارض وشق لفه طريقا كتور هائج،
وهو يهذي، حتى ابتلع الرقاق متجها
صوب البيت .

مبعثرة في حفرة عميقة مع بعض
العظام الغريبة ... وشعر احمد
بالفخر وضحك ثانية وبصوت اعلى
.. هذا هو الحاج وجهه وتلك اسمه
.. تبا لكما ساحرتكما في نسيار
الارض .. بل ساحطكما واحول
عظامكما الى هشيم .. هذه فرصتي
وسانتقم من هؤلاء الناس القادرين
.. لقد رفضوا يوما ان اشبع
جنازتهما او حتى اسير بعيدا عنهما
.. انهم لا يدرون ما احمل في كيسي..
انهما امي واخي .. نعم . انسي
احملهما بيدي الضعيفتين .. انهما
كومتان عظيمتان .. اين الحقد ؟..
بودي لو اراه وان اكسر جمجمة اخي
لاعثر على ديدانه القاتلة .. لست
ماحدا يا حاج وجهه .. لست كافرا
كما قال شيخك الشره « واحسن
احمد بحركة داخل الكيسين وخيل
اليه وكأنه يسمع صرير العظام وهي
تتدافع نحو بعضها وكأنها تود
الهروب فاعلى من صوته : « لقداكلت
ثروتي وشاركتك امي .. لقد سمعتك
كثيرا . كان علي ان اصمت دائما ..
انت تكرهني وانا اكرهكم جميعا ..
لكنك حقود .. حقود الا تسمعي
يجب ان تسمعي الان ... »

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العودة الوثلي » في لندن

بحسب وجهة النظر . واعني بالاقوال العاطفية الاقوال التي ليس لها من المبررات الا انها صادرة عن غرض معين ومعبرة عن عاطفة معينة . ومن ذلك مثلاً انني قرأت في احد الاحاديث السياسية جملة احدى الكتاب قال فيها : (لو نالت الجزائر حريتها لكان ذلك ضربة للعالم الحر) . فجملة من هذا النوع قابلة للاتياف من حيث وجهة الكاتب وقابلة للنقض من حيث وجهة الجرائر مثلاً ، وذلك في وقت واحد . وامثال هذه الجملة كثيرة ، وخصوصاً في ميدان السياسة . وبغني للقارئ ان يندكر شيئاً من القضايا السياسية العالية في الوقت الحاضر ليدرك ان الخلاف القائم حول هذه القضايا هو خلاف مردود في الفالسب الفرض والهوى وليس التحقيق النزيه والحكم المجرد . ولما كانت العاطفة هي العامل المسيطر في هذا المجال فنان العقل المنطقي يفت مكتوف الايدي عاجزاً عن العمل وذلك لا يؤمن الطرف الواحد بحجج الطرف الاخر ، وتبقى الحقيقة مفقودة ، لا يمكن الوصول اليها ، ولا يكون للاولوب العلمي والتحديد المنطقي اي مجال . وانما تكون الحقيقة في جانب الطرف الاقوى مثلاً ، او في جانب الطرف الذي نتفع منه وهكذا . وما اكثر الحوادث التاريخية التي لولا النجاح الذي رافق اصحابها لكانت سبباً في النقمة والاستنكار . وهذا يذكرني بقول القبطي :

والناس من يلق خيراً ، قائلون له : ما يشتهي ، ولام المخطئ الهبل واغرب المرحوم احمد شوقي عما هو من هذا القبل بقوله :

لا خير في من يرضى بكونه عود من السمر او عود من الفسب ومن ذلك ايضا القول المصروف : الحق في جانب القوة . وفي رواية (الجريمة والعقاب) للكاتب الروسي الشهير دستويوفسكي فكرة اساسية من هذا النوع . وخلاصة هذه الفكرة ان الناس في هذه الدنيا قسمان : قسم عادي وديع مطيع لا يطمع من العيش الا انه ياكل ويشرب ويتناسل ويرضى ، وقسم فائق طموح مكافح يريد السيطرة على غيره وهمه افناء الحاضر في سبيل تغيير مجرى الاحوال وابداع مستقبل يكون افضل بدون مبالاة بالقوانين والشرائع ، ومن هذا القسم الاسكندر وناپليون مثلاً . وقد اثير بطل الرواية (راسكو نيكوف) جريمة شنعاء لكي ينقل نفسه من جماعة القسم الاول الى جماعة القسم الثاني . وفي راي هذا البطل ان زعماء الامم كانوا مجرمين لانهم خرفوا حرمة القوانين القديمة وانتهكوا قداسة الاديان السالفة وسمحو بالقتل والتخريب للقضاء على مناوئتهم من الحافظين على تراث اجدادهم المذمومين عنه بشجاعة وبسالة . هؤلاء الزعماء ، رغم هذا الاجرام ، يحترمون ويقدمون فيما بعد . لانهم نجحوا في اعمالهم . ويرى دوستويوفسكي في روايته ان القسم الاول من الناس مخلوق لان يطيع ويسلم القياد لغيره بحكم واجبه في هذه الحياة وان القسم الثاني مطبوع على حب السيطرة وحسب

اقترح علي احد الاصدقاء بعد قراءة هذه المقالات ان اكتب شيئاً افسر فيه بعض المصطلحات التي ترد في معرض الكلام عن طبقة الفهماء . واخبرني هذا الصديق - وهو على حق - ان كثيرين من الكتاب والادباء بل ومن الخطباء والسياسيين يستعملون كلمات ومصطلحات وعبارات لو سألته من معانيها ومدلولاتها الصحيحة لتوقفوا وتحيروا ، لان استعمالهم لها لا يخرج عن حد التردد البغياني في اغلب الاحيان . وكنت على وشك العمل بهذا الاقتراح ، لولا انني ادركت ان العمل ، معناه استجهال للقراء من جهة وادعاء بالعلم من جهة اخرى ، وفصلت ان ارجى تنفيذ رغبة هذا الصديق الى فرصة اخرى ، وقررت ، اذا اغتمت هذه الفرصة ، ان اتجاسى الاستجهال والادعاء قدر الامكان . وليس المهم في نظري ان نتكلم هنا عن الادباء والخطباء والسياسيين في هذا المجال ، لان من طبيعة العمل الذي يقوم به هؤلاء ان لا تستعمل الكلمات والعبارات فيه استعمالاً صحيحاً دقيقاً . وانما المهم ان نتكلم هنا عن المفكرين والفهماء لان الفروض ان يستعمل هؤلاء كلماتهم وعباراتهم على الوجه الصحيح بحكم التجاهل الى المنطق والاسلوب العلمي في ابحاثهم وكتاباتهم . والفرق بين الحائسين ان الادباء والخطباء والسياسيين يستعملون الكلمات بمعانيها العاطفية في حين ان المفكرين والفهماء يستعملونها بمعانيها المجردة عن العاطفة . فالفكر يقول مثلاً : (التناصر عماد المجتمع) ولكن الاديب او السياسي يقول : (لا تقوم الامة قائمة الا اذا اعتمد الاخ على اخيه وكان الناس كالبنين يشد بعضه بعضاً) . والفرق بين العبادتين ان عبارة المفكر يمكن تحليلها الى عوامل اولية بسيطة ، في حين ان عبارة الاديب او السياسي فيها من الكلمات العاطفية ما يجعلها بعيدة عن ذلك التحليل . فكلمة (امة) تختلف عن كلمة (مجتمع) ، لان الاولى عاطفية والثانية علمية . ثم ان كلمة (اخ) وعبارة (يشد بعضه بعضاً) لهما لون عاطفي . وهذا يذكرنا بالفروق بين كلمة (بلد) وكلمة (وطن) ، لان كلمة (وطن) لها معنى عاطفي ، وليس لكلمة (بلد) مثل هذا المعنى . والامثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى ، ولكننا تكفي بهذا القدر البسيط تنبيهاً للقارئ الكريم .

والاقوال العاطفية قابلة للاتياف والنقض في آن واحد ،

بل لتأخذ كلمات أبسط من ذلك كالكلمات التالية : الدولة ، المواطن ، الحرية ، القانون ، السلطة وغير ذلك . ولنتساءل : ما معنى هذه العبارات والكلمات ، وهل لدينا في أذهاننا صورة واضحة عن كل كلمة أو عبارة لو فحصنا الأمر لوجدنا أننا في الحقيقة كثيراً ما نستعملها ، ونراها مستعملة بدون أن يكون لدينا صور ذهنية تكونت وتوضحت مع الأيام . فنحن أنما نترجم الكلمات الأجنبية إلى اللغة العربية ، ولكن العرب في حياتهم الاجتماعية لم يكن لهم نفس المفاهيم التي نتكلم عنها ، بل هي مفاهيم غريبة جاءت إلينا من مجتمع غريب .

ويجدر بي هنا أن أنتقل إلى موضوع شائك وهو موضوع الترجمة . فقد لاحظت في المدة الأخيرة ركوداً في التفكير الأصليين من نسيمهم بالمفكرين وراح هؤلاء يستقون من معين تفكري اجنبي ، واضربوا عن التفكير فسي واقعهم الاجتماعي واستنبطوا الأفكار الوطنية التابعة من هذا المجتمع . ويظهر أن هؤلاء ، يحكم تلمذهم في الفكر على الاساتذة والعلماء الأجانب ، اختاروا أسهل السبلين وأقرب الطريقين ، فنهانوا على الأفكار الأجنبية لأنهم وجدوا هذه الأفكار مشروحة سهلة التداول نسي المؤلفات والكتب فشربوها بسرعة ، ثم قدفوا بها إلى الشعب ولكن بلفظة معقدة واصطلاحات غريبة لا تمت إلى الفهم بصلة . فهم أخفقوا من ناحيتين : الأولى أنهم نقلوا ولم يبدعوا ، والثانية أنهم ترجموا ولم يفيدوا . وعلة ذلك أن الكلمات التي استعملوها يحكم النقل والترجمة لا يمكن لها مدلولات في الأذهان ، لأنها كانت من نتاج تفاعل اجتماعي اجنبي . وفي رأي أن المترجم الذي يترجم كتاباً ليس في أذهان القراء بغير ذهنية يهاد على فهمه خير له أن لا يترجم ذلك الكتاب . والأفضل أن يقرأ الكتاب في لغته الأصلية أو في لغة قوم لديهم تلك الصور الفكرية .

أذكر على سبيل المثال أن صديقاً شكا لي يوماً أنه قرأ شيئاً من كتاب (الحب والحياة) لأميل لودفيغ وترجمة عادل زعير ، ولم يفهم منه ما يستحق الذكر ، وسألني أن أأخذ الكتاب لأرى إذا كان الكتاب غير مفهوم فعلاً . فأخذته وقرأته ووجدته فعلاً غير مفهوم في كثير من الأماكن . وعلمت عدم المفهومية هذه بأن المترجم ، رغم مقدرة الفائقة ، لم يجد في اللغة العربية كلمات تجاوب مع فكر المؤلف وتطابق في المعنى مع الكلمات الأجنبية . ولذلك كانت الترجمة قلقة ، وفقد الكتاب المترجم الفائدة الكاملة منه .

وأذكر أيضاً أن استاذاً في مدرسة التحجير (أو مدرسة عنبر) في دمشق ترجم كتاباً فرنسياً في علم النفس أو الفلسفة ، بعد عودته من السوربون في باريس ، ودفعه إلى الطلاب ليدرسوه . فقراه الطلاب ولكنهم لم يفهموه . وجاء أحد الطلاب إلى الاستاذ وسأله : « يا سيدي ، قرأت كتاباً عشر مرات فلم أفهمه » فقال

القضاء على الماضي والحاضر ، ولا يتخرج أفراد هذا القسم عن اقرار الجرائم المختلفة واركاب القتل والتعذيب في سبيل غايتهم . فالتقسيم الأول بكافح ويناضل ويقاوم ضد أفراد القسم الثاني للمحافظة على حاضره وماضيه ، فإذا أخفق في ذلك استسلم للزعيم الناصر وأخذ يقبضه بعد أن كان يقاومه . فالتاس بين محافظ مسلم ومجدد مخرب وهكذا . ولكن التخريب نفسه أو الاجرام قد يؤدي إلى ربح مكانة الحرب إلى مصاف الزعماء والأنبياء ، إذا نجح هذا المخرب في عمله وانتصر على مناوييه وأعدائه من المحافظين . وفي هذا مثال ساطع على ان الثورة الاجتماعية تكون حسنة أو سيئة بحسب الجانب الذي يهيم الأمر ، ولا تكون حسنة إلا إذا نجحت . وتكون عادة ، كالاتيالات العطفية التي ذكرناها ، قابلة للنقض وللإثبات في آن واحد .

أعود فأقول أن المفكرين والفهماء يختلفون عن السياسيين والخطباء الشعبين من حيث أنهم يستعملون كلماتهم وعباراتهم استعمالاً مجرداً عن العاطفة بعيداً عن الهوى ، حرصاً منهم على أن لا يخلقوا في ذهن القراء صوراً للأمر غير الصور الحقيقية . ولكن لما كان المفكرون والفهماء ممن يهتم بتنوير الشعب حول القضايا الخطيرة وبأنفهامهم حقيقة الأوضاع فإنه لا بد هؤلاء من لغة ومصطلحات يستعملونها في هذا التنوير وهذا الأنفهام بدون ليس أو غموض . وعلى هذا جاء القرآن الكريم بلفظة قرئش التي اجمع عليها العرب وجاء قرآننا عربياً مبيناً ، ولم يأت غريباً ولا في لفظة من اللهجات . ولذلك يجب على المفكر إذا تكلم أن يتكلم بلفظة ومصطلحات مفهومة لدى سامعيه أو قرائه ، لأنه لا يخرج عن كونه داعية ، والداعية ملزم بحكم فطريته أن يكون واضحاً مفهوماً لكي ترسخ دعوته في الأذهان . ولكن كيف تكون هذه المصطلحات مفهومة ؟ وكيف يستطيع المفكر أن يوجد التواصل في الأفكار بينه وبين الشعب ؟

يجب أن تكون الأفكار المدعو إليها من نتاج التفاعل الذهني في المجتمع ، تطورت وتنشأت بتأثير الحركات الاجتماعية والاحتكاك الفكري الحري بين الأفراد . فهي لا بد أن تكون أفكاراً وطنية مفهومة ، ولها تاريخ أو أساس تقوم عليه . ومعنى ذلك أن الأفكار المستقاة من مجتمع مختلف آخر تبقى غريبة على الأذهان ولا تجد لها في النفوس صدى ، ويبقى التعبير عنها سقيماً غير مفيد ، لأن هذا التعبير يستعمل كلمات أو مصطلحات ليس لها صور مقابلة في أذهان القراء أو السامعين . وهذا ما نجد كثيراً في المصطلحات التي نستعملها الآن في اللغة العربية ، لأن هذه المصطلحات لم تكن ناشئة عن تفاعل بين الفكر والواقع الاجتماعي العربي ، وإنما هي مصطلحات مترجمة عن تفاعل بين فكر اجنبي وواقع اجنبي . والأمثلة على ذلك كثيرة . لتأخذ مثلاً هذه الكلمات والعبارات : الاشتراكية ، الجدلية المادية ، تكافؤ الغرض ، الوجودية ، حكم القانون .

الحشة

وبدت ثم رؤى ، نطقو ، تعالى ، تمتد .
 هي ماضي يعيش اليوم ، يحيا يتجدد
 وعلى الضفة لاح الامس ، كالحلم المبد
 كان يمشي ، ويدنو ، يتنامى ، يتجمع
 ثم لا يلبث ان يتحل في الليل المفتح
 نقطة سوداء ، تعالى ، في الافق ولا شيء سواها
 ليس غير الصمت بطوننا ... كما كان طواها
 ايس غير الزيد الباقي ، سوى الذكري ،
 سيحتر صداها
 عالم ما ملكت كفاه ، الاها ... عداها

وبصبت كافتاح الورد في الفجر تنفس
 مشرق الشمس
 هبت الريح ومرت نسمة فاستيقظ العشب وهبت
 ودنا الموج من الشاطئ ، حيا ، وتلمس
 قال عصفور لعصفور من « الشيء » الممد
 ودنت انتي وقالت ، انه فحسن مورد
 انه ما كان يولد
 ما اسمه ما اسم ذويه
 قالت : الانواج ترد ... سليه
 « اسفه ، ما كان يولد »
 ام يكن ماضي له ، ليس له غد
 ذاك ما ابقى لنا من امه
 ذلك الهارب من عاله ، من نفسه
 ذلك الشيء المخلد

صفاء الحيدري

بفداد

كانت الشمس على الافق الرمادي .. في بلادي
 حتما تصطبغ
 فيسيل الذهب
 اولوا . ماسا . عثيفا . لاوزردا . وزبرجد
 تسرك الافق مورد
 كفتاة تجرد
 مرسوم بصطبغ
 كل لون فيه يحيا
 كل شيء فيه دنيا .

ومضى الوقت ، كموج النهر ، يمضي في هدوء
 في غنى ، يشبه صمت القلب ساعات الوضوء
 والسنا ، كالسيف ، فقيها مذهب .
 ظل في الماء يغني ، بتذبذب
 لم يكن ثمة الا مقرب ، عاف تخومه
 ومضى بطوي رسومه
 كان ليل يصفل الصمت نجومه
 ودجى ، ليل ، اخفى كل شيء
 كل ظل ، كل دفء ، كل شيء .

وعلى الشاطئ ارسى ظله ... ثم تسوج
 كانت الانواج تلمس ، تتلاشى ، تتوحد
 دائما كازمن السرع من مهد الى لحد
 تحمل الامسى الى غد
 كان في دنياه اصرار على شيء مؤكد

فيجب عليه اولا ان يصدق نفسه ويتحقق اذا كان هو
 قد فهم ما يقوله المؤلف ، واذا كان في نفسه القدرة الفكرية
 واللغوية على نقل افكار هذا المؤلف الى القراء العرب .
 ولكن الذي لاحظته ان كثيرين من المترجمين يعتقدون انهم
 قادرون على الترجمة لمجرد فهمهم للكتاب الاجنبي ، كالذي
 يجمع الكتب عن موضوع معين ويخيل اليه انه قد فهم
 الموضوع . وفي السوق الان كتب مترجمة كثيرة كان يجب
 ان لا تترجم بالشكل الذي ترجمت فيه ، لان الترجمة كانت
 غشا من جهة ومضيعة للجهود والمال من جهة اخرى ،
 بالإضافة الى فقدان الفائدة .

حسن الكرمي

لندن

له الاستاذ : « اقراء عشر مرات اخرى » . هذا بالطبع
 جواب سخيف .

والذي اريد ان اقله هنا هو ان المفكر او الاديب سواء
 ترجم او الف يجب عليه ان يستعمل كلمات او مصطلحات
 يفهمها الناس ومن السخف من هذا المفكر او هذا الاديب
 ان يقول كما قال الشاعر من قبل :

علي نحت القوافي من معادنها

وما علي اذا لم تفهم البقر

لان للمفكر رسالة ، ولا يمكن لهذه الرسالة ان تصل الى
 الغير الا عن طريق اللغة المفهومة . وللمترجم ايضا رسالة ،
 لانه يريد ان ينقل افكار مؤلف اجنبي الى القراء العرب .

توماس مان ورواية طونيو كروجر

بقلم جورج سالم

وصف توماس مان ، بحق ، بأنه الكاتب الذي صور انحطاط الطبقة البورجوازية في ألمانيا ، وأتيح له أن يكون أبرز ممثلي الأدب الألماني في النصف الأول من القرن العشرين . ولقد خلف هذا الروائي الكبير مجموعة من الآثار الروائية الضخمة التي تعكس عبقريته وإصالتته . وقد جاءت جائزة نوبل للآداب تتوج هذه الآثار عام ١٩٢٩ قبل وفاته بحوالي ثلاثين عاما . وغدا توماس مان نسي عداد الكتاب الكلاسيكيين لا في ألمانيا وحدها بل في العالم كله . ان روايات كالجيل السحري والمختار والدكتور فوستوس واعترافات فيليكس كرول وترستان والموت في البندقية والرؤوس المعكوسة وثلاثيته الكبرى (يوسف واخوته) آثار قوية صلبة لا يدرکہا البلى .

وسنحاول في دراستنا هذه لحدى رواياته المشهورة (طونيو كروجر) ان نلم بالخصائص العامة التي تطبع أدبه وفنه .

كتب مان هذه الرواية وهو في مقتبل العمر ، وإذا كان من شأن الكتاب ان يودعوا آثارهم الأولى لحماية الشباب وعنفوانه وحدهما ، فان هذه الرواية تصل الى جانب ذلك ، البذور الأولى لأدب توماس مان ولحياته وفكره . الى الحياة والمشاكل التي عني بها طوال حياته .

يقدم لنا الكاتب في هذه الرواية صورة للأدب الذي يعيش في مجتمع بورجوازي وذلك في دراسته لبطل الرواية الذي يدعوه طونيو كروجر . والرواية تصور هذا الأديب منذ بفاعه حتى بلوغه الأربعين من العمر .

ما الذي يميز هذا الإنسان عن سواه ، وما الخطوط الأولى التي تتضح من شخصية هذا الطالب الفتى ؟ الحق انه هو نفسه يشعر بفرقة عن أقرانه ورفقائه . فهو لا يشاركهم ميولهم واهتماماتهم ، ولا يعمل مثلهم بجسد وداب . انه يشعر انهم منسجمون مع العالم منسجمون مع الآخرين ، اما هو فان شعورا بالفرقة عنهم يضيقه وأحاساسا بالتفرد يحز في نفسه . لماذا لا يكون مثلهم ؟ ان النموذج السوي في رأي طونيو هو صديقه هانس هانس . انه ليتمتع بكل الصفات المادية والعنوية التي يفتقر هو إليها . فهانس تلميذ مجسد ذؤوب ، يمارس الرياضة وركوب الخيل والسباحة كأنه بطل يتمتع بحماسة كبيرة ويكن له معلومه المودة والمحبة ، ويسعى الرفقاء لاكتساب وده ، لا تشغله الا الامور الجدية

الروائية . اما طونيو فهو على عكسه تماما . انه انسان خيالي مستسلم دائما الى الاحلام يتأمل البحر في تغليانه المستمرة ، لم يستطع ان يبرز الا في دروس الادب والبلاغة .

تمة ناحية اخرى تميزه عن رفقائه هي نغمة للشعر ، ولقد كان يجد في ذلك شيئا من القضاضة ، فهل يليق بفتى مثله ينتمي الى الطبقة الراقية وابن للمقتصد كروجر ان يقرض الشعر ؟ كان هو نفسه اول من يجد في هذا السلوك غرابة وشغفوا ؟ وكثيرا ما خاطب نفسه على النحو التالي : « لماذا اجد نفسي شاذا في خصام مع كل الناس ، في صراع مع اساتذتي كأني غريب بين سائر الاولاد ؟ هل نظرت الى التلاميذ الاعمى ، والى التلاميذ الذين يحافظون على ضعفهم الثابت ؟ انهم لا يرون المدرسين تافهين ولا ينظفون الشعر ، ولا يفكرون الا في اشياء يفكر فيها كل الناس ويمكن الجهر بها علنا . لا بد انهم يشعرون بالطمأنينة والوفاق مع البشر ! ولا شك في ان هذا متع ... اما انا فاية علة في وكيف سينتهي ذلك كله ؟ »

كذلك كان كروجر يشعر بظما الى الحب والصدقة ، ولكن هذا الاختلاف القائم بينه وبين رفقائه كان يجعل الصدقة أمرا صعبا وكان ذلك مصدر ألم دائم له . كان يحب صديقه هانس هانس ولكن صديقه هذا في شغل عنه ، ان له مشاغل أخرى واهتمامات شتى ، غير القراءة والحديث عن المطالعات الادبية . ولقد ادرك طونيو في سن مبكرة ان الذي يكون حبه أقوى هو الإنسان الأضعف وان عليه ان يتعبد . وكان وهو في الرابعة عشرة من عمره ، قد تعلم من الحياة هذا الدرس اليسير القاسي . وكان من شأنه ان يلحظ هذه الامور ويدون ملاحظاته عنها . وكان يجد فيها دروسا اكثر فائدة من الدروس التي يلقيا عليه الاساتذة والتي يرغمونه على استيعابها وحفظها ، وكان ينق الساعات وهو يستنفذ معاني هذه الامور ودلالاتها .

والحديث عن الصداقة التي لم يحظ بها طونيو كروجر بسبب تكوينه الخاص وطبيعة المجتمع الذي يحيط به ، يقودنا الى الحديث عن اخفاقه في الحب . وحسبنا ان نلم المما سريعا بالجو العام الذي تعرف فيه كروجر على فئاته انجبورغ هولم ، حتى نفهم سر هذا الاخفاق . هل من اليسير ان ينجح انسان حالم متفرد خجول في اكتساب مودة فتاة لود جميلة يحيط بها جمهور المعجبين والناس « الاسوياء » ؟

لقد تعرف بها ، وهنا تكمن المفارقة ، في منزل احدى سيدات الطبقة الراقية التي اعتادت ان تستضيف كل اسرة بدورها مجموعة الشبان والشابات حيث يحضر معلم خاص ليلقي عليهم دروسا في آداب السلوك والرقص .

يخطئوا ... واضاف يقول : « يجب ان تأتي ! يجب ان تلاحظ انه لم يكن هناك ، وان تشعر بما يجول في نفسه ، يجب ان تدبعل دون ضجة وتضع يدها على كتفه وتقول له : « تعال ، اذهب معنا وابتهج ، انني احبك .. » وارهق اذنه وانتظر في قلق احمق ان تأتي . ولكنها لم تات قط . ان هذه الامور لا تحدث على الارض . »

ويدرك طوبون كروجر ان هذا ليس محاله وان لا سبيل الى ان يتوفى فيه ، ان له مجالا آخر نسيحا هو مجال الفن ، واذا كان التوفيق قد اخطاه ههنا ، فان حياته الادبية تبشر بالازدهار ، الم تقبل احدى المجلات الادبية نشر قصائده؟ لاشك في انه سيصبح شهيرا ذات يوم ، وستكون له قيمة ادبية كبرى ، ولكن ما فائدة ذلك كله ؟ ان كروجر ليعلم علم اليقين ان هذا النجاح الادبي - اذا تحقق - ليس تكون له اية قيمة في نظر هذه الفتاة ، فليست هذه الامور مما تهتم او تبالى بها . ان لكل منهما عالما خاصا به ، ولا سبيل قط الى تداخل هذين العالمين الفريبيين ، عالم الحياة كما يفهمه صديقه هانس هانسن وفناته الجبورغ هولم ، وعالمة هو ، عالم الفن والشعر والخيال .

واذا ذلك كله لم يكن امامه الا ان يسير نسي الطريق التي كان عليه ان يسير فيها . ولكن ما هذه الطرق ؟ ذلك بأنه بالنسبة لعدد من الافراد ليس هناك طريق حقيقي محدد ، واضمح العالم . غادر طوبون بلدته وراح ينتقل من بلدة الى اخرى . وفي رحلاته تلك استسلم لشئ من الحزن والاضيق ، فحزنه فحزنه والاضيق والاضيق . كما عرف الظما العميق للعدالة والمفارقة . وقد البسه هذا الشئ غنى فكريا وسخيا خيالا واحد بصيرته حتى اصبح يستطيع ان يتخيل الى اماكن بعيدة ونفوس الآخرين ، وإلى الاشياء المستترة في الاعماق وراء التصرفات والاقوال . اما ما رآه هناك ، فكان التفاهة والبؤس ، والبؤس والتفاهة ، عندئذ جاء الالم وكبرياء المعرفة والعزلة ، لأنه لم يكن في استطاعته ان يظل في مجتمع البشر الساذجين ذوي النفوس الالمانية القامضة ، وكان يحمل شارة على جبهته تبعث القلق في نفوس الناس .

وهو اثناء ذلك كله لم يكن يكف عن تعهد ادبه وقته ، وكان يشعر ان الادب ليس رسالة بالنسبة اليه بل لعنة ، وكان شعوره باخلافه عن الآخرين ، عن الناس العاديين ، ما يقا تشع ويعمق . وكان يؤثر الحياة ويحبها ولكنه كان يجد نفسه دائما في معزل عنها ، ذلك بأنه لم يستطع قط ان يكون ابنا لطيفته يحمل قيمها ومفاهيمها ، كما لم يستطع ان يتخلص من اسرها او يثور عليها بل بقي معلقا بين هذا وذاك . وبهذا المعنى تقول له صديقه الفتاة (ليزايتا ابوانوتا) : « انك بورجوازي ، بورجوازي سلك طريقا خاطئا ، انك ليرجوازي ضال . »

وفي الفصول الاخيرة من الرواية يعرض توماس مان ، استكمالا لصورة بطله ، وصفا لمودته الى بلدته التي كان

وفي تلك الليلة ذاتها اكتشف طوبون انه مغرم بهذه الفتاة الجميلة ويصف توماس مان فتحة هذه العاطفة في نفس بطله باسلوب رومنتيكي غذب فيقول : « كيف حدث ذلك ؟ لقد رآها الف مرة ، ولكنه في احدى الاسابيع القاهسا مشرقة على نحو خاص ، لقد رآها من ناحية ما ترتفع راسها الى الوراء ضاحكة على نحو خاص يقط ، اذ كانت تحدث احدى صديقاتها ... لقد سمعها تنبس بكلمة موسيقية حارة على نحو خاص ، كانت الكلمة عادية ، ولكن سرورا قويا استحوذ على قلبه .. بل ان هذا السرور لا قوى جدا من السرور الذي كان يشعر به احيانا ، حين كان يتأمل في الايام الماضية هانس هانسن وهو فتى صغير .

في هذا المساء حمل في قلبه صورة عن الفغيرة السمكية الشقراء وعن العيين الواسعتين الزرقاوين الضاحكتين وعن الانفعال الصغير فوق الانف الذي لا تكاد تظفر فوثة يقع الشمس ، لم يستطع طوبون ان يغفو لانه كان يسمع دائما رنة الصوت الخاصة ، وحاول ان يحاكي في لطف الطريقة التي تنطق بها بالكلمة العادية ، وارتجف في الوقت نفسه ... ودلته التجربة ان ما يشعر به هو الحب ، ولكن بالرغم من انه كان يعلم علم اليقين ان الحب سيحمل اليه كثيرا من الالم والعذاب والشقاء ، وبأنه سيحطم همدوء نفسه وينعم قلبه بالانعام دون ان يجد الراحة الضرورية لكي يعطي لهذه الانعام شكلا دقيقا ، ويخلق في جو هادئ اثرا فنيا كاملا ، فانه ثقيله مع ذلك كله ، في فرح ، واستسلام له كليا وغذاه بكل قوى نفسه ، ذلك بأنه يعلم ان الحب يجعل الكائن غنيا وحيا وكان يتمنى ان يكون غنيا وحيا ، ويؤثر ذلك على خلق اثر فني كامل في جو هادئ . »

ولكن كروجر الذي لا يعرف ان يتلاعب مع القوى الضعيف الغريب عنه ، قد وجد نفسه موضع هزة الآخرين وسخرتهم ، وها هو ذا يخطيء في الرقص فيثير حوله موجة من الضحك ، ويجد نفسه مضطرا لان ينسحب الى فوقعته ، الى تأملاته وعالمه الداخلي ، وكأبته ، وتزداد الشقة اتساعا بينه وبين الآخرين . وليس امامه من بعد الا ان يحلم ويتخيل ، ويؤمل في ان تأتي اليه الفتاة تسري عنه وتزبل عنه اله . ولكن مثل هذه الامور لا تحدث على الارض . « تسبل طوبون الى خارج الصالة فوصل الى الردهة سرا ، ثم ذهب ووقف وبدا خلف ظهره ، وراء نافذة كانت خصاصها مسدلة دون ان يفكر انه يتعدى عليه ان يرى شيئا من خلالها ، وكان من السخف بالتالي ان يبقى امامها متظاهرا بأنه ينظر الى الخارج ... بيد انه كان ينظر في اعماق نفسه ، في اعماق نفسه حيث الرغبات الاليمة والحزن الشديد . لماذا ؟ لماذا كان هنا ؟ لماذا لم يكن في غرفته ، قرب النافذة ، يقرأ وينظر بين الفينة والفينة الى الحديقة وقد سادها ظلام المساء ، حيث تصر شجرة الجوز القديمة صريرا قويا ، اذن لشعر هناك بأنه مستقر في محله الملائم . يحمل بالآخرين ان يرقصوا من كل قلوبهم دون ان

أحيانا ، هذا النتاج العجيب من التفنت الذي ندعوه فنا
أي إنسانا لا يخضع لأي عمل معترف به ، مخلصا من
طبقته ، همه التأمل والحلم ، وأن الروائي والعالم النفسي
أيضا هما في رأي توماس مان نتاج طبقة بورجوازية في
دور التفسخ ، بل أن في الرواية نفسه وهو الفن المفضل
لدى هذه الطبقة ، كما كانت الملحمة في الطبقة الأرستقراطية
البدائية ليو الظاهر المرضية والتشخيص معا لعدم الاستقرار
الذي عاش فيه القرن التاسع عشر كله . وفي صورة
طونيو كروجر مصادق لذلك . فقد تحطمت الأسرة التي
انحدر منها هذا البطل وتلاشت . فلقد توفي أبوه وتزوجت
أمه بعد قليل من فنان وسافرت معه ، ولم يبق من الأهل
جميعا أحد ، واستحال المنزل إلى مكتبة شعبية ولم يعد
هناك غير طونيو كروجر وريت هذا الوضع والشاهد عليه
والمنحل وزره .

وتلمح في صورة طونيو كروجر كذلك ، صورة المؤلف
نفسه ، لقد خلع المؤلف على بطله كثيرا من مشاعره ، وكان
الجو الذي جعله يعيش فيه هو جو الكاتب نفسه . فليست
توفي والد توماس مان في سن مبكرة فنشأ هذا يتيما كما
نشأ طونيو كروجر . . وكانت أمه برزيلية غريبة عن بلده ،
كما كانت أم طونيو غريبة كذلك عن بلده . ولقد قضى توماس
مان معظم طفولته في المنزل الهرم الذي نرى صورة دقيقة
حينه عنه في وصفه لمنزل طونيو كروجر بكل ما فيه ، من
التيلوورة وشجرة الجوز الهرمة والبحر الذي كان يتعلم
فيه لحساب الصيف أيام العطلة .

وفي تشاؤم طونيو كروجر الذي اكتشف أن الحياة
ليست إلا فاقة وشقاء وشقاء وفاقة ، تلمس تشاؤم
توماس مان نفسه ، ذلك بأنه تأثر بشوبنهاور ونيشيه أعظم
أثائر . وكان لهما دور كبير جدا في تكوينه الفكري
والثقافي . فلقد تبني فلسفة متشائمة ترى أن الحياة
رهيبة وأن العالم سوء وتفتني بالموت وبسحر العدم .
كما أن حب توماس مان للموسيقى نتيجة تأثره وأعجابه
بأوسيتار الكبير وأغتر قد جعل معظم رواياته تعني بالموسيقى
والموسيقين ، ولهذا السبب نفسه فقد صدر بطل روايته
إنسانا محبا للموسيقى متذوقا لها . يعزف على الكمان ،
ويعيش في جو مشبع بالموسيقى لأن أمه كانت هي الأخرى
تحب الموسيقى وتجد العزف على البيانو .

وفي هذه الرواية تلمح ميزة أساسية أخرى لأدب توماس
مان وأتني بها اهتمام أبطاله بالقضايا الفكرية والاجتماعية
والفنية ، ومناقشتهم لها . أن معظم أبطاله إناس يفكرون
ويطيلون التفكير في شتى المشاكل التي تطرح أمامهم ،
وتتملى كل روايات مان بهذه الحوارات الطويلة العميقة .
التي تدور بين الأبطال وتمس أعماق المشاكل الإنسانية
والفكرية .

والعناية الكبرى بالشكل والأسلوب والأداء الفني التي
تلحظها عند طونيو كروجر هي غناية توماس مان نفسها

يشعر بحثن دائما إليها . إلا أن عودته إلى بلده لم تزد
شعوره بالغربة إلا قوة ، ولم ترد إليه إلا شدة . فها هو
يزور منزله ، المنزل الذي ولد وترعرع فيه ، حيث نظم
قصائده وعزف على كمانه وأحب الموسيقى ، وتأمل منه
الطبيعة وشجرة الجوز الهرمة . إلا أنه لم يكد يتعرف
المنزل ، فلقد خول إلى مكتبة شعبية ، وإذا أمضى فيه بعض
الوقت غادره إلى الفندق ، وهناك التقى ، مصادفة ،
بمجموعة من الرجال والنساء جاؤوا في رحلة ليصوموا في
المدينة يوم استجمام ممتم . ولما حل المساء استسلم
هؤلاء إلى الغناء والرقص ، ووقف هو في ركن قصي من
الصالة ينظر إليهم ، على عادته في الأيام البعيدة تلك .
وما كان أشد دهشته حين رأى بينهم صديقه القديم هانس
هانسن وزوجته أنجيورغ هولم ! أن موكب الناس السعداء
يمر أمامه دون أن يسمه ، ولكن تمنى أن يتخطى هؤلاء
الناس ويحادثهم ، وقال يحدث نفسه : « ألا استطيع أن
أقرب قليلا من هانس هانسن وأنجيورغ هولم ؟ وأن أوجه
إلى هذا أو تلك بعض التكات التي تمر بيالي ، فقد يجيبان
عنها بإتسامة على الأقل ؟ أن من شأن هذا أن يجعلني
سعيدا ، وفكر فيما يستطيع قوله ولكنه لم يجد الجرة
ليقول شيئا ، لسوف يحدث ما كان يحدث دائما : فانهما
لن يفهما ، وسيصغيان إليه في دهشة . ذلك بأن لغته لم
تكن لغتهما .

ولعل في الحادثة التي جرت له مع رجال الأمن قبيل
مغادرته البلدة رمزا لوضع كله . لقد ظل رجال الأمن
أحد المحتالين ، وأقبلوا يستجوبون ويتفقدون أمرة . كانت
له سحنة محتال غشاش ؟ لا وأغلب الظن أن هذه الحادثة
التي تعرض لها لتفصح عن نظرة المجتمع الذي انحدر منه
توماس مان إلى الأدب ورجل الفكر . واستطاع طونيو
كروجر بعد لاي أن يتخلص من هذه الوطأة وينأى عن بلده
وكل ما فيها من جمال وسعادة ليتابع حياة التشرذم والتنقل
وعدم الاستقرار . ولكنه ، لقاء ذلك ، كان على تصميم عظيم
في أن يبدع أثارا أدبية رائعة ، وأن كان في أعماقه يؤثر
أن يحيا ويتمتع بالحياة على أن يبدع هذه الآثار .

في هذه الصورة الموجزة الحرة التي رسمها توماس مان
لبطل روايته طونيو كروجر ، تلمح في جملته الخطوط
الرئيسية التي طبعت أدبه والمشاكل الأدبية والفكرية التي
اعتملت في ذهنه خلال تطوره الأدبي الطويل ، ولقد ظلت
مشكلة انحطاط الطبقة البورجوازية الشغل الشاغل لهذا
الأدب الكبير . وليس من باب المصادفة أن يجعل توماس
مان بطل روايته أدبياً ، ما دام يتحدث عن المجتمع
البورجوازي ، ذلك بأنه أراد أن يصور مجتمعه تصويرا
دقيقا ، ولقد تأمل الكاتب مصائر الأسر الكبيرة في مجتمعه ،
فوجد تلاشي الأسر القوية ، ورأى كيف تظهر أسر أخرى
ليست جذيرة دائما بنجاحها الباهر السريع ، وكان يعتقد
أن الأسر الكبيرة تلك لا تلاشي بأكملها : فقد يظهر منها ،

أمي

تترف كالهمس .. على مسمعي
الف صباح .. بالنسي .. مترع
وبين الكداس الشلى الاضوع
في عالم .. ما حده ..؟ لا أمي!
ويقلت القلب من الاضلع
وينسياني .. أبحر الادمع
للحقد في نفسي من موضع
- يومك على جذب المني .. يبرع
اشرب من نعيمها المتع
عيوني النور ... ولم يسطع
لولاك زهو النور لم اكرع
وحمت الالام في مخدعي
بعد سوى حزني وهي معي -
في خاطر الايام .. لم يلمع
حولتي .. وقد اغتت على مضجعي
فحرت بالابداع .. والمبدع
اهبت بالانوار ان رجعي
البعث .. وتكسو صفرة البلقع
اضيق بالزمان .. والموضع
تضي ليبي الشوق في اضلعي
وجهك غنيا سحر الطلع
ان ارن في بهالك اخشع
قلبي .. فقلبي الطفل لم يشع

محمد حسن الامين

امسي وما اعدبها لفظلة
تسكنني تخلف في خاطري
تزرع روعي في مروج الرؤى
احسها - ان خطرت - انني
تفقت فيه الروح من سجنها
فيقرقاني في بحار السني
ويسكبان الحب حولي فما
فكل ما فيها هوى ان همي
حسبي اذا جف الهوى كوة
امي ولولاك لمارف في
لولاك ما موسق دربي الهوى
انت اذا ما جفن في الاسي
وافلست مني الاماني .. ولم
فجر رهيف النور .. حلو السني
امي .. وما انشودة رفرفت
كم ليلة هدهدني لحنها
وكلمنا الشادي وهي عوده
فيزهر الدفء وتنهل بى
وفوق جنح اللحن انى انا ..
أمي .. وفي عينك اطلالة
اكاد من خلف الصحاري .. اري
وجهك .. توجع الله .. مثل الضجي
امام .. لا ابيدك الله عين

بفداد

كلها لتمتاز بانها نفوس معقدة بضنها قلق ميتافيزيقي ،
بيننا نرى ان المجتمع يفرض عليها العزلة والوحدة . ان
هناك هوة تفصل بين هذه النفوس وبين الاناس العاديين ،
السعيدين بالحياة ، ولكن حينها كئيفسا يدفع بهم الى ان
يشاركون الناس افراحهم واعبادهم . ومن هنا كان تشاؤمهم
وبرهم بالحياة . ذلك بان المهم الكبير ليس نتيجة خطيئة
فردية بل مرده الى البنيان العام للوضع البشري .
تلك هي النظرة العامة للحياة والادب التي يطالعنا بها
ادب توماس مان كما تجلى في رواياته المختلفة : الموت في
البندقية وترستان والبودنيروك والجيل السحري . وان
رواية طونيو كروجر لتشكل مدخلا ممتازا لفهم هذه الانار
ومعرفة العالم الفكري والادبي الذي خلقه توماس مان .

جورج سالم

حلب

بالشكل حتى لتغدو كتاباته ضربا من الكتابة الكلاسيكية
الرائعة في دقة بنيانها وروعة اسلوبها . ومرد هذه العناية
لا الى هروب الفنان من المشكلات التي تجابهه ، بل انها
تعتمد في الدرجة الاولى على شعور اخلاقي يحدو بالفنان
نحو طلب الكمال في الكتابة والدقة في التعبير عن افكاره .
ان الكتابة لدى توماس مان ، كما يعكسها ابطاله وكتاباته
نفسها ، هي التزام خلقي قبل كل شيء .

هذه الامور جميعا لا تقتصر على رواية واحدة من
روايات توماس مان بل تكاد تطيعها كلها بطابعها . وان
نظرة خاطفة نلقها على رواياته لتوضح لنا ذلك . فابطل
توماس مان الشبان كلهم يعشقون الموسيقى والادب
ويشعرون ، نتيجة لذلك ، بضيق البيئة التي ينمون فيها ،
فهم لذلك ياملون في الخروج منها والهرب . ولكنهم جميعا
يشعرون بخين دائم الى بيئتهم . وان هذه النفوس الفتيمة

السي عينيهما

عينك ليلي المخملي وتولهي ... وتاملني
نجمان ... يخبون فيهما الالالا دون تغزلي
طفلان ... يتكران يعتلان دون تدليل
ويهددان ويرضعان عبادتي وتبتلي !

السحر والاغراء في الهدب الطويل المسيل
وغوى الدلال الانثوي بشعرك التهديل
والقلعة الشهوى بذاك البرعم التمليل ...
اشياء تلهيني ... تنير صبايتي وتعللي !

انا قبل عينيك وهمس كالتلف مثل
قد كنت في روض الهوى كغراشه المتفعل
حتى طلعت علي من حديق الزمان المتفعل
في لحظة من غفوة الدنيا على متاميل
فمالات بنا فنوس الامل في حب اول
وتراكني في لحظة ولهي ووجدت مدهل
تشاق نفسي خلوة بفضي بصفحة جمدول
انما في عينيك والى السلاسل المشعل
والشمس تزلق في الغيب بريبة وتسلل !
فقد كان شعرك غابة الطيب ... حزمة سنبل
فقطعتني وحرمتني غنج الحرير المرسل
وجناح لين كان في افصح الهجير مظلللي !

فينوس ان زماننا ما كان بالتمهل !
فدعي الهواجس والتعقد وامرحي وتهللي
وتمتعي قبل الخريف وقبل غصن الانمل
انا لست يا معبودتي بالملحف المتوسل
فرجولتي لا ترتضي في الحب طيف تدلل
انا لست اشارك ان بخلت بلاهب متقلل
ساحبه ان يعطيني واجبه ان يخل
حبي له حب الفراشة للربيع المقبل
حب سيقى ما حبيت تولها في مقولي !

فؤاد الخشن

رايت سواه فاصنع ما تشاء !!! وشهد الخورنق ، بعد هذه المحادثة القصيرة عدي بن مريتا يقدو ويروح اليه كل يوم حاملا هداياه وتقائسه ، وان تراه العرض وتشجيع الاسود له بالقضة والذهب لما يساعد على الاكثار والافضال ، حتى تعجب النعمان عجباً دفعه الى ان يسأله ماذا يدفعك الى هذا الفيض الجياش ؟

فقال عدي في التكسر : عرفت ان مولاي يظنني من رجال اخيه الاسود ، وقد كان ذلك قبل ان يتبوأ ملك الحيرة ويصبح سيد الناس ، فلما انتهى اليه الامر عن كفاءة واستحقاق قدمت نفسي اليه لآكون رهن اشارته كما يشاء !!

فقال النعمان وقد بهره بريق الذهب اني لاعرف لك مكانك المرموق في الحيرة ، وكلمتك مستجابة في الخورنق من الان ، ومنلي محتاج في مملكتك الى رجل بطل ، له مثل عقلك الحصيف ورأياك الشجاع !

.... وهكذا اخذ عدي بن مريتا مكانته في القصر ، واستطاع في مدى قصير ان يصادق ذوي الشأن فيه من حاشية النعمان وندمائهم وحجابه ومستشاريه ، بل انه استطاع ان يسيطر عليهم بتأثيره النفوذ ، وان يدرس مشايرهم المتباينة ومنافعهم المختلفة ليرضي كل شخص بما يروقو من الاقوال والاعمال ، ولم يكتف بذلك بل تمكن من السيطرة على آرائهم . يصرفها بتوجيهه ومشيئته وفق ما يؤثر ويميل ، واصبح يشير بالرأي من بعيد فيكون موضع التأييد والحمية ، ويتقبله النعمان بسر وانسراح ، لا على انه رأي عدي بن مريتا بل على انه اجماع الحاشية ، ومنحى الخصال والندماء !! وحين انس من نفسه المقدرة على ذلك لم يفتأ يتعرض لعدي بن زيد من بعيد ، فيطوي ويدبح ثم يتقدم في سهولة ورفق حتى اذا هيا الاذهان الى تقيل النقد ، اخذ ينعن فيه على حذر ويضيف الطراف الى التليد ويشير بما يختلق غبارا كريها اخذ ينشر ويشيع حتى اوشك ان يتلبه به الافق ، وكل ذلك مقدمة مطمئنة ثابتة الى ما يتوقعه الحاقق الشائي من انقلاب ! ولم يكن عدي بن مريتا يسير وحده في طريق الوقيعة والدس لعدي بن زيد بالخورنق ، بل كانت التجردة الحسنة تشاركه البغض الكريه ، والنفوذ الشائي والحقء اللاهب ! لقد اصبحت التجردة زوجة للنعمان وزنها عن ابيه المنذر ، فسأها ان تنتقل من شيخ عجوز الى رجل شالء دميم ! ولقد كانت تأمل ان تصير زوجة للاسود ، هذا الفارس العملاق البهيح ، فقاهاها الدهر بما واد املها الطامع واضاف الى لبها الايل ظلاما لا ينبيء عن فجر ، او ينبثق عن ضياء !!

لقد خضعت مرفعة للنعمان ! وازادت ان ترفه عن نفسها بمعاناة المتخل الشكري احد شعراء القصر من ذوي الشباب القوي والصباحة المثيرة ، والظفر الانيق ، فرات



محمد رجب البيومي

مؤامرة في القصر الملكي بالحميرة

بقلم محمد رجب البيومي

جلس الاسود بن المنذر مع صديقه عدي بن مريتا فقال له : ارايت كيف عجل النعمان بزفاف هند الى عدي بن زيد دون ان يقيم من المظاهر والاحفال ما تعود عليه ملوك آل المنذر ابن ماء السماء ! فقال عدي : لو امر هذا الرجل اخاك ان يشفق ابيته لا ان يزوجه له فقط ، لفعل في ارباب السباع الماكر الذي غشك واحتمل عليك امام كسرى ليمهد الامر للنعمان !!

فصعد الاسود زفرة حبيسة كانت تعالج في صدره ثم قال : لقد فكرت كثيرا في تفضيل عدي بن زيد اخي علي فما رايت وجها مقبولا لما كان !

فامتعض عدي بن مريتا امتعاضا تشوبه الكراهية والفيظ ثم قال لئن فاتك الملك ايها الصديق فلن تفوتك المكيدة لمن سلبك اياه !

فاطرق الاسود يقول : ومن انا حتى اتال من انسلان بحميته كسرى وبرعاه ، فرد عدي متسرعا: لئن وكلت الي هذا الامر ، لاخذن بشارك من عدوك عن طريق النعمان ، على ان تاذن لي في صداقة اخيك صداقة مفتعلة تعلن الود وتبطن الشئان !!

فنظر الاسود نظرة فاحصة في وجه عدي وقال : النعمان ضب ثعلبان ، وان يخدعه خادع من بني الانسان! قال عدي في ثقة ان اخذمه وحدي ، ولكن المال الكثير سيغمي عينيه فيضل الصواب !

فرد الاسود في تحفظ : اوضحت لك رأيي ، فاذا ما

لا يبي صهر في بلاط الإيوان !! فكان ما كان ! واغضى عصام على غيظ متخوفا من عاقبة هذا التزق المجنون !
على أن المنخل قد استطاع باستشفافه البارغ أن يدرك سريرة عدى بن مريتا نحو عدى ابن زيد ، فترلف إليه بما أذناه من قلبه ، وأصبح الشاعر رفيق غدوته وروحته خارج الخورنق ونديمه المتصق به داخل القصر اذا غاب النعمان ، فاذا حضر لم يكن بد من تباعده كيلا يجاوز قدره فيسامر الملك مع الندماء ! وقد تكتشف الرجلان بما يكتمان ، وعرف عدى عن طريق المنخل أن المتجرده تشاركهما هذه الكراهية العمياء ، وترقباً على يدها بعض ما يرجوان من نجاح ، وقد كان حديثهما صادقا فيما يتربقانه ، فان هذه الحسناء الماكرة التي تدله الملك في حجبها اذاب قوته بازائها وجعله وهو الطائفة المرية طفلا امامها تامرره عينها الساحرترن فيصنع ما تشاء !

هذه الحسناء الماكرة العابئة اخذت تزعزع معاول ثقته في عدى شيئا فشيئا بما تسوقه اليه من احاديث ، وقد فضح النعمان نفسه امامها حين اعترف لها في بعض خلواته الصافية بما قدم له عدى من صنع لا ينسأه حين اوصاه بشيء واوصى اخوته بتقيفه ليفوز بالتاج في سباق الامراء ، ثم زاد فخدتها بما خدعته النعمان صاحبه من ميله الى المصراعية ، ليجلب اليه عنايته وتأييده ولم يدرك ان ذلك كله سيصل عن طريقها الى المنخل وهو بدوره سيبلغه عدى بن مريتا فيصبح شكه يقينا جازما فيما ارتكب عدى بن مريتا نحو الاسود من غش وخداع !!! وفي ضوء ذلك كله تمضي القصة الحادثة في طريق الوقعة مساندة حلفاءها المصريين !!

في اواخر اربع المئتين اذات نهار بالحيرة فبدا الخورنق في لالائه مكسبا بجله ساطعة من الضياء ! وقد جلس النعمان مع حاشيته في احدى شرفاته العالية وفوق مظلات الديباج ترد عنه وهج الضياء ، وعينه تمتد الى السرير وقد جرى مأؤه متسكرا امام الخورنق ترف عليه ظلال الضفصاف فتطرز جانبيه بنسيج اخضر رفاف متموج اما واسطه فقد احاطها الشمس مرابا صافية من الدور ، ولم يكن النعمان ممن يتذوقون جمال الطبيعة في الضحى ولكنه نزل على رغبة حاشيته في اختيار الشرفة العالية نزلا مرحبا بمتع العين وبضئ النفس ، وقد تقدم اليه حاجبه عصام بن شهيد في ادب يعان وصول رسالة من صهره عدى بن زيد ، فأمر الملك بقرأتها بالجلس ، فنلكا عصام كمن يرجو أن يرحبها الملك حتى يسمعها على انفراد ، وتظاهر المجتمعون بالرغبة في الانسحاب ، ولكن النعمان صاح بعصام ، اقرأ ما لديك فليس معنا من تكتم عنه رسائل عدى أو مطالب الإيوان ، فمضى الحاجب يقرأ في اذعان « من عدى بن زيد الى صهره النعمان

أبيت اللعن ايها الملك ، لقد حضر الى الإيوان اياس بن قبيصة الطائي يشكو ما فعلت بقومه من السفك والتخريب

هذه بت النعمان تأخذ عليها السبيل وترصد حركاتها متتعبة حريصة ، وفي عينها اتهام صامت بالجريمة حتى اسود في عينها الخورنق وباتت من النعمان وابنته المتبقطة في هم مرير واسى لا يريم !! فلما زفت هند الى عدى خلا لها الجو في الخورنق بعض الشيء ، ولكنها لم تنس كراهيتها العميقة لهذه الشابة المتبقطة ، بل ان كراهيتها العمياء قد امتدت الى زوجها عدى بن زيد فاخذت تفكر في اصطفاة هند ، وانتقالها معه الى الإيوان الكسروي بالمذات ثرى من البهجة والمسة هناك ما يتفاعل جواره الخورنق ، مهما حفل بالمباهج وطفح بالنعيم ! انها لتخلو الى المنخل خلسة في بعض جلساتها المختطفة ذات الحيلة والانتهاز ، فتحدثه عن هند وعن عدى وتشييعها ذما وسبابا ، فيصرح لها بالمنخل انه لا يفيض احدا في الدنيا قدر ما يفيض هذا الشاعر المتفطرس المغرور ! لقد حطم كبرياءه الادبية حين وفد على الخورنق في زيارته الاخيرة ، وطلب لقاء النافذة وزباد بن ظبيان رافضا رؤية المنخل ، وكأنه بشعره الرائق وادبه الرائع لا يستحق ان يجلس اليه عدى فيسمع اليه ويسمعه كما اختص النافذة وزباد بن ظبيان ! ثم بعض المنخل على شفقيته وهو يقول لقد كان اهمالي هذا طعنة ادبية قلها عدى الي حين افهم النعمان اني لست من الكفاة المرفقين ، وقد عرفت الاحتقار في نفس النعمان وعينه منذ هذا اليوم الاسود ، فهو لا يعبا كثيرا بما تشده ، وأنه ليقبل على النافذة اقبال المنخل المعتز ، ويأكل معه في صحايف الغيب ، ويجلس الى جواره فوق اربكة الملك ، ويرى الوافدون من بطون القبائل هذه التزلة العالية له فيخسونه بشتماتهم ، ويسالوني عنه اذا غاب لبعض الشيء وكان في المنخل يعرف اماكن غيابه واوقات حضوره دون ان اكون نظيره المماثل ، وقرينه الاصيل ، لقد جرح عزتي عدى ، ولست انسى ذلك مهما امتدت بي الحياة ..

كان ذلك كله يدور في النفوس همسا لا يصل الى الاعلان فعدى بن مريتا والمتجرده والمنخل يلتمسون السبل الى تكدير العلاقات بين الملك وصهره الجديد ، والنعمان في اعتزازه بملكه لا يخطر على باله حاجس ضئيل يومي له ببعض ما تمور به النفوس من احن ، وما تستعمل به القلوب من احقاد ، بل انه على التقيض من ذلك قد استشعر راحة هنيئة في مصاهرة عدى ، وعلم ان مكانته في الإيوان قد رسخت رسوخا لا تزعه احدى العواصف التازلات ، وقد غمره المعتز فمضى ينكر بخصومه من رجال الحيرة وشيوخ القبائل في البوادي غير غايء بشكائياتهم الى البلاط الفارسي ، ومتخذاً من عدى درعا فولاذيا يرد عنه الفوائل حين تهم بالتقاضى وزاد شر الملك واستفحل ، حتى اشار عليه حاجبه الباسل عصام بن شهيد ان ينهته بعض الشيء من غلوائه كيلا يفتأ بثورة كثورة الناس على ابيه ، فنهز واه غير غايء وهو يقول ابن تغلق يا عصام ! لم يكن

كل الناس يقولون انك تابع لعدي لا لكسرى ، وقد اخطأت كثيرا حين عجلت بزفاف ابنتك اليه دون امهال ، فلم تقم الاعراس التي يقيمها آل المنذر في العرب ويدعون اليها الوجوه والاعيان ، بل امرك قيادرت بالامتنال وسار بها كما يسر بأسرة اخيدة لا بانية ملك ذي جاه وسلطان !! فعرض النعمان على شفتيه ونظر الى المتجرده يسأل ثم ماذا ؟ قالت متابعه : وكل الناس يقولون انه صاحب حيلة ، قد خدع الاسود فغشه النصيحة لا ليكرمك ويعليك بل ليتحكم فيك فهو يعرف ان الاسود اخاك مرهوب مهيب لن يستطيع ان يامره وينهاه اذا ملك السلطان ، اما انت فستصير طوع امره حيث اختارك واصطفاك !! وقد تحققت فراسته فيك - للتجربة الاولى من امره - فقدمت له ابنتك بإشارة واحدة ، وكنت من الفرحة المتشمية كأنك صرت كسرى العظيم صاحب الايوان !!

فاشتمل العفيف في صدر الملك ، ثم اسند جبهته الى يده كمن دار الصداق برأسه فخارت قواه ، وانكفأ الى فراشه متمنيا ان يسمعه الرقاد ، وقد لباه بعد تباطؤ وامتناع !

.... اخذ شعور النعمان نحو صهره يتكدس قليلا قليلا بما يسمع من التعريض المرير ولقد لاحظ عدى بن مرينا بوادر هذه الكدر تلوح في صفاء المحبة كما يلوح الغيم على مسارب الضوء ، فاخذ يبعد الاسباب لما يشعل النار في الهشيم ، وكان اخا يصبر ثاقب يتقدم في طريقه على ارض صلبة دون ان يفقه تعجلا وانتهازا ، فهو يأخذ مأخذا المعتذر عن عدى ابن زيد في طاهر الامر ولكنه في مطاوبه الدفينة يشبهه ويسلمه كل محمدا نظن ، وقد جد من الحوادث ما مهد له السنين !

محمد رجب البيومي

اليوم

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

نجيب مغول - مباحث في الفلسفة :

ابن طفيل ، الفزالي وابن رشد

ميشال غريب - الطائفية والاقطاعية في لبنان

جميل جبر - لبنان في روائع افلامه

واكمل مجموعة من الكتب العربية القيمة

ذون مبرر ، كائي بك وقد جعلت ممن لديك من اساورة فارس اعوانا على ظلم الناس وازهاق الارواح ، ولئن علم كسرى بما تصنعه ليأمرن بما تشاءه ، فانته عن سبيلك تأمن عاقبة ابن هند وقابوس الاول والمنذر اييك ، وقد محضت النصيح قبل الندم ولك عين تبصر وعقل يعي واذا ان تسمعان !

فدهش النعمان دهشة الجحمة ، وتطلع الى من حوله فادرك انه تسرع حين امر بقراءة الخطاب علانية دون كتمان وعلمته كاتبة يمارجها الفيظ والحق والغضب اللائر ، ثم نهض فجاء الى غرفة السر واصطحب معه عدى بن مرينا واخذا يتحدثان .

قال النعمان في غيظ ان عدبا يخطبني وكائني تابع له لا لكسرى ، فقال عدى في دهاء : هو صهرك القريب ، وليس لي ان ادخل بيتكما ابنت اللعن !

فقال النعمان : سأكتب له ردا فاسيا كيلا يتعادي فيسي تطاوله دون انتهاء !

فنظر عدى كمن يهم بالحديث ثم اطرق الى الارض فجاءه دون كلام ، فصاح النعمان وبك لم تم ترد علي ؟

فنظر ابن مرينا كمن يتحزم من الحديث ثم قال فسي نلغثم مقصود !! ابنت اللعن ان عدى بن زيد ذو حيلة ودهاء ولئن قسوت عليه في خطابك ليحتالن لدى كسرى بما يجلب الويل !

فقال النعمان اعرف تماما انه ذو حيلة ودهاء ؛ ولكنه جرحني هكذا امام الناس !!

فانتبهزها ابن مرينا فرصة مواتية وقال : اغفر له هذه يا مولاي ، على الا تاتمه منذ اليوم ، مهما شدت بيتك المصاهرة اقوى العقود !

فستكت النعمان ، ثم ترك مجلسه ، وهرع الى غرفة استراحته بالخورق ، واستدعى المتجرده ، فزات دلائل الغضب في وجهه فبادرته تسال في دلال : ماذا يشغلك ابنت اللعن ؟ فارتبك الملك قليلا ثم قال : جاءني خطاب من عدى بامرني وينهاه كائني احد رعاياه ، فابتسمت المتجرده في تخايت وقالت : وهو يعلم يقينا انك احد رعاياه فنهض النعمان غاضبا من مكانه وهو يصيح وبك ماذا تقولين ؟

فنفطرت اليه زوجته بعينين ماكربتين وقالت في سخرية سأسكت ولا اتكلم !! ويلي ، كنت كاتمة رايتي فما الذي انطقتي الان !!

فتمجمل الملك يقول ماذا تكتمين عني ابنتا المرأة ! وهل بين الزوج والزوجة تستر وكتمان !!

فاصرعت المتجرده تصيح في حماسة مصطنعة ! اكننت ابلفك ما اسمع لتنام على شوك القتاد !!

فغضب الملك كفا بكف وقال انام على شوك القتاد ! عجا ! ماذا لديك من الانباء !!

فانطلقت الماكرة تتحدث

يوسف العيسى جريدة قومية باسم (الف باء) وتميز
فيها بزاوية اسمها (مباءة نحل) وعاد عيسى العيسى الى
دمشق تلبية لنداء الواجب ، فاختاره المغفور له الامير
فصل بن الحسين سكرتيراً خاصاً به ورئيساً للديوان
الملكي ، وظل يشغل منصبه هذا حتى دخول الفرنسيين
دربوع سورية .

وبعد ان تقاضى الحكم العربي ، واستباح العليج الحمى ،
عاد عيسى الى يافا ، مسقط رأسه ، ليستأنف جهاده
الصحفي ، وأعاد اصدار « فلسطين » وجعلها مسرحاً
للأقلام الحرة ، وناهض الانتداب البريطاني الرامي الى
تهديد فلسطين مناهضة افقت الى تعطيل جريدته مرات ،
وفرض الغرامات الباهظة عليها حدا من نشاطها ، وخنقاً
لصوتها ، لكن صاحبها ظل يقاوم الانتداب الجائر والصهيونية
الباغية في بسالة وضراوة ، وصمد لكل عسف ، وتحدى
كل باطل !

ولم ينس عيسى العيسى ، وهو العربي الحر ، طغفأت
الرهابين اليونانيين في الكرسي الاورشليمي لاغتصابهم
هذا الكرسي الروحي من العرب اصحاب البلاد الاصليين ،
فحارب طغيانهم مع نفر من اخوانه القوميين ، ودعا الى
تحرير الطائفة العربية الارثوذكسية من النير اليوناني ،
بوضعها جزءاً من الامة العربية ، وايصال هذه الطائفة الى
حقوقها الشرعية الموضومة .

وترأس الفقيه عدة مؤتمرات ارثوذكسية عربية عقدت
في فلسطين وشتر في الاردن ، وكان عضواً مؤسساً وبارزا
في « حزب الدفاع الوطني » بفلسطين ، وعضواً في مجلس
ادارة « بنك الامة العربية » للخبرة التي يتمتع بها في
امجال المال والاقتصاد ، فضلا عن مساهمته في طائفة من
الجمعيات الخيرية الاسلامية والمسيحية .
واسهم الفقيه عيسى العيسى في الحركة السياسية
بفلسطين ودعا الى اقامة (العرض العربي الاول) الذي
اقيم في القدس عام ١٩٣٣ وعين مديراً له ، وكان الغرض
من اقامته مقاومة الاقتصاد الصهيوني ونشر الدعوة للسلم
التي تنتهجها فلسطين وشقيقاتها العربيات .

واستمر « ابو رجاء » على نشاطه وكفاحه في الحقل
السياسي ، حتى حلتته ظروف قاهرة على مبارحة يافا
في عام ١٩٢٨ الى بيروت وفي ٢٩ حزيران ١٩٥٠ توفاه
الله في عاصمة لبنان ، تاركا للادب العربي المعاصر ثروة
ادبية هي ديوان شعر في السياسة والوجدانيات ومدكرات
قيمة في الحركة العربية والمراحل التي مرت بها .

من شعره الاجتماعي

في عام ١٩١٣ زار المؤرخ العربي المرحوم جرجي زيدان
منشئ مجلة « الهلال » فلسطين ، وفي القدس اقيمت
على شرفه حفلة كبرى خطب فيها نفر من اهل القلم
والفضل كان المرحوم عيسى العيسى في عدادهم ، ومما



عيسى العيسى

عيسى العيسى

بقام البدوي المثلث

ولد المرحوم عيسى داود العيسى في يافا عام ١٨٧٨ ودرس
في كلية الفرير بفقر يافا فمدرسة كفتين الارثوذكسية
(بلبنان الشمالي) ومن اساتذته فيها المؤرخ الموسوعي
الاديب المرحوم عيسى اسكندر الماروني .
واصل الترجمة له دراسته العليا في الجامعة الاميريكية
ببيروت ، وكان يجيد اربع لغات حية هي : العربية والتركية
والانكليزية والفرنسية ، واشتهر بين لداته بالفطنة والذكاء
وسرعة الخاطر ، وفي صدر شبابه شغل طائفة من الوظائف
في العهد التركي بفلسطين ومصر .

وفي عام ١٩١١ انشا جريدة « فلسطين » في يافا
بمشاركة ابن عمه يوسف العيسى ، وكانت هذه الصحيفة
القومية اول من نبه الانتكار في فلسطين والعالم العربي
الى اخطار الصهيونية ، وظلت في كفاحها هذا حتى
الحرب العالمية الاولى ، اذ احتجبت ونفي صاحبها
(العيسويان) لموافقهما القومية المشرفة من الطغيان
التركي ، فيوسف اخذ الى دمشق ، وعيسى ارسل الى
قونيه للاناضول ، وفيها لاقى الاهوال ، وواجه المصاعب
حتى انتهاء تلك المجزرة العالمية .

في العهد الفيصلي

وبعد ان دخل الجيش العربي دمشق ، وعلى رأسه
الامير فيصل بن الحسين (الملك فيصل الاول فيما بعد)
وظهر سورية ولبنان من فلول الجيش التركي اصدر

الشموخ الخمس

بروعي في طرف ذاك البنان
ياقوتة ناعم
كانما خمس شموخ حسان
في ظفاتي تسطح
وانما كل معاني العنان
من كفا تنبع

متاي ان دير اليها المال
حتت الى لستك
روحي متى تقسو عليها الليال
ترتاح في راحتك
وما دهاني من هموم نفال
انقيه في ساحتك

انامل فيهن سر لطيف
خاف وراء الحجب
رؤى واطياف ونور مطيف
بماليات السحب
يسمو بها هذا الوجود الكتيف
الى سماء عجب

اولا بد غرام ما كانت
روحي لتستعلي
يا طائلا وهال ما عانت
في العالم السفلي
اولا بد جادت بما صانت
دهرا عن الليل .

جمال مرسي بدر

ليوبولد فيل

ولذاك عيقن الخناق
قلت الحقيقة اني
ان التي استهوت فؤا
سمرام حمرام الغدود
وقوامها كالخيزران
وعيونها السوداء تغمسل
في كل لفظ من بديع
يشجي سماع حديثها
وقد اكتمت سود الثياب
تلك التي ملكت علي
ما كدت اصمت برهة
ورابتها اذا بها
وفرات في الحاظها
ثم انتنت تحوي تقول :

البديوي المثلث

عمان

انشد في تلك الحفلة قوله مخاطبا (زيدان) :

خدمت «البيان» ، خدمت الادب
وافصحى « هلاك » في الشرفين
نهجت بسنه منهجا للهدى
واحييت تاريخ مجيد عسى
لئن اكرموسلا بهصر فذلك
وكتب تحت رسم له :

شفتي السقم من سهاد وشوق
فاشرت الخيال ههنا ليبي
وقال من قصيدة يرثي بها صديقه المرحوم عبدالرؤوف
البيطار احد زعماء باقا :

وهل حكم الله في ان يكون
اذن لا اعتراضي على حكمه
ولكن مصابيا بعيد الرؤو
فقد كان واحدها في الخطو
الست تراهها شئت خلفه
وسل « باقا » تخبر ان الذي

من شعره القومي

وبعد وقوع الماساة والنكبة ، وتشتت الاهل والاحباء ،
قال الفقيه بلهجة اليأس المحزون ، والهم جاثم بكلاكسه
على صدره :

يا ملوك الاعراب بالله رفقا
قد فطنا الامال يوما عليكم
واذا غيمكم سحابة صيف
قد ابحتم ببلادن للامصادي
نصفنا مات والبقية تلتو
حاربوا او فصالحوا او دعونا

من شعره القومي

لقي الفقيه حسنا في « بيت مري » بلبان قصور
ذلك اللقاء المستحب بقوله :

قالت: كبرت فقلت: الا في الهوى
لا نظري شيئا الم بغيري
جودي علي بنفحة او خلسة

ومن غزله الرقيق قال بذكر « واقعة حال » :
عرف الحسان بانني
وبانني في كل مجتمع
وبانني مما زلت اسي
ويلد لي دون الجميع

ومن الطرائف اني
فاحظنتني في حالة
وسالنتني عن اميل
وليجن في طلب الجواب
ان الجمال وسخره
فلكل واحدة محاسن
واردت لي من بعد هذا
فعلمت من نظائير

(1) اشارة الى لجنة « كتاب » المعروفة .



تدهش يا صاحبي ان
وصلتك رسالتي هذه،
نقد مرت سنوات وان
بدت قصيرة فسي
طويلة . وطويلة جدا بالنسبة لي مد
التقيت بك آخر مرة حتى رايتك
امس .. اجل امس ..

كانت السيارة تسير بي في اعياء
وكلال وهي تلف ساحة النصر، وكانت
الثالثة بعد الظهر، من تلك السويحات
الكسلى المثالية من ظهريات الربيع
الحزينة في بغداد .. الشمس تلهب
ذراعي ووجي فاشعر معه بالكل
والتراخي حتى ليكاد مقود السيارة
ان يفلت من يدي .. وفي تلك
اللحظة بالذات .. رايتك .. ابطأت
السرعة حتى كاد المرور ان يتوقف
.. كنت تسير برقة شخص يبدو
وكانه صديق اثر لديك .

تفرست فيك بنهم لاشبع نظرائي
ولا فتش عن اثار سني الفراق ...
بضع شعرات بيض وخطت فودي
.. حاذيتكما حتى اصبحت على
مبعدة خطوات منك ، وبعمدت النظر
بامعان لثيم .. لكنت لم ترني ، ثم
فجأة رايتك تضحك ، ذات الضحكة
التي كانت الشيء الوحيد الذي
جذبني اليك والتي كانت بالنسبة لي
اشبه بنبع ماء في صحرائي الجدية
.. ترى ماذا كان يدور بينكما ..
وما الذي اضحكك .. ايكون ما همس
به اليك من الاهمية بحيث شغلك عن
رؤيتي .. اكان حديثكما عن فاة .. ؟
سوف تتهمني بالانانية اذ ليس من
حقسي ان اغار عليك ، ولكن هسي
ضحكتك التي اخبرت كل حياتي
والتي حبستها ستظل لي وحدي
فاذا بك توزعها هنا وهناك ويكثر من
الكرم .. وتساءلت اترى هناك ما
يضحكك من بعدي .. ها قد عدت
ثانية الى انانيتي واني لست بقادرة
على التخلص منها واني لا زلت اغار
عليك رغم كل هذه الاعوام التي مرت.
ماذا افعل .. ؟ لقد ارجعتني ضحكك
كل تلك السنين الى الوراء ، يوم كانت
كل شيء في حياتي وحتى بعد ان
فرقت بيننا الاقدار .. لقد رافقتني

من يقظتي وسباتي واجازات معسي
طفولتي وصباي وجزءا من شبابي ..
كانت معي اينما اكون واني حلت
وغارت عميقا في قلبي .
نعم يا صاحبي الان وقد مرت سنون
وسنون لا يمكن ان اقول اني احبك
فقد اكدب .. او اني على العهد ، اذ
لا عهد بيننا ، واذا تساءلت لي اذن ؟
لاحيبتك : انها مجرد انتفاضة قلب ،
قلب حساس يعز عليه ان ينسى اول
تفتح لبراعمه ، فقد كنت تاريخا
عزيزا لدي .. وباطلا حننت اليك

انتفاضة قلب

بقلم سهيلة داود سلمان

حنيني الى اغنية احببتها في طفولتي
.. حننت اليك حين المرء الى الملاعب
طفولته حيث ترك فيها الكثير من
حياته .. لقد كنت جزءا من حياتي.
انها اشبه لا تستطيع انراك
.. بل اشبه انك اياك الان قلبك
يكن ابدا قلبي ، كنت تظاهر بالحب
ليس الا ... ولكنك لم تكن تفهم اي
شيء عنه . لقد عادتني باسمه .
ولم تكن عندك انانيتي ، فهل فكرت
ولو مرة واحدة بان اكون لسك
حدهك ؟ لا اظن ذلك .. قد تقول
انك لست بالاصمت خشيعة ان اكون
مشغولة عنك بغيرك ... فلماذا لم
تبحث عن كان يشغلني .. اذن كنت
وجدته في رقة جفني ورعشة يدي
وهمة شفتي ، ولكنك في غنى عن
الف سؤال وجواب ... ولكنك
وبكثر من الاسف اقولها .. لقد كنت
حيانا .. فقد بقيت كل تلك
السنوات الطوال تبني قصورك نسي
الهواء ولم تجرأ على تشييد كسوخ
واحد على الارض .. كم مرة جمعتني
الصدف في طريق واحد .. وفي
مكان عام ، فكنت ما ان تراني حتى
تاخذ نظرك انجاها واحدا مغايرا لا

تجيد عنه ، محاولا ان توهمني بانك
لا تعير في اي اهتمام ، وكنت اعلم
انك تخدع نفسك ، فقد كانت كل
خاجة فيك تصرخ بالالام وانت تلمحني
ويغدو وجهك باهتا كوجوه الموتى ..
قلت اني اهتمك .. اهتمك جيدا يا
رفيق صباي كيف لا وقد علمتني ان
احب قبل ان افهم معناه ، وتعلمته
قبل ان اتعلم كيف اسرح ظفائري .
اه .. كم يلذ لي ان اذكرك كل ذلك
الان ، فاتحيك وانت تقبل نحوني
مرافقا صغيرا .. رجلا اكبر من
سنه .. يحقق قلبك خفقا لا مثيل
له ويرسم على وجهك تعبيرا رائعا ..
ثم نصمت كلانا ولا نقوه بكلمة وقد
تحدثنا بشيء لا علاقة لها بالعواطف
.. كم من مرة دستت لي اوراقا في
كتب فلما كنت اجدها كنت ارتجف وانا
امزقها قبل ان اطل ما كتبت لي فيها
وكاني بذلك احاول ان ابعد خطر لك
كنت صغيرة على الحب تخيفني
احاديثه وترعبي وربقته ... لا افهم
ولا اعي مقدار ما يكنه كل قلبي منه
.. حتى دخلت الجامعة .
دخلت الجامعة وانا احمل افكارا
مسمومة عن الرجال .. ذات الافكار
التي اغضبتك مني والتي كانت سببا
في مأساكن معي .

وبعد مرور عامين لي فيها ، تعرفت
على كثيرين ، وعرفت انهم بشر لا
يختلفون عنا معشر النساء ، لا
يخفون .. ولهم عواطف وآمال
واحلام ، وبدأت تفهمني نظرات بعضهم
وملاحظات الاخرين وانا اصعد
وانجاهل وكلما كثرت مضايقاتهم كنت
اقارن بينك وبينهم ، لم تكن تحركني
اية نظرة منهم ، ولم يؤثر في كل ما
يعنوني به من دنيا كبيرة واسعة .. و
على الرغم من ان ملامح وجهك فسي
ذلك الحين قد اوشكت ان تندرس في
ذاكرتي لطول الفراق فقد ظلمت
ضحكتك ترن في اذني وتلاحقتي ..
لقد افترقا سبيين ، ولم يعد لي غير
ان اخيلك وقد احاطت نفسي
ضحكتك تلك اطر من مظاهر الرجولة
فاغمض عيني واحلم واحلم ...
واحلم .. ثم انتحمت على فراغ ...

وفي المديح صوت فيروز ينطلق من
عوالم بعيدة ، شلال حنان ، فاشعر
كما لو انها تغني لي وحدي
حبك وابامي وحكايات سنين
يا ورد .. يا نسرين يا تلح عن صنين
يا اول الجنى .. يا خير الجنى

وبعد يا اغز من احببت ، اليس من
الاجدر بنا ان نغلق الباب ونؤمن
بالقدر ونقول كما قال غرنا : لقد
كتب علينا .. وقدر لنا ، ومن يدري
لعلنا لم تكن لنسعد ... على رأي من
يقول : ان الحب يقتله الزواج .

وهنا جئت اجلس ، كتلة من
مشاعر ، الملى على مسافة غير بعيدة
وحيدي الصغير يلغو بلعبة في يده ،
وبغني اغنية للاطفال عن المطر .. قد
تدهش ان قلت لك ان به شيئا كثيرا
بك ، جبهته السمراء ، ضحكته ، لمان
عينيه ، حتى لاتسأل .. ترى هل
لتعاقب الارواح اثره في الوراثة ام
انها مجرد خيالات مشوق .

وهناك في ركن آخر من الصالون
يجلس زوجي ، وهو غارق حتى اذنيه
في كتب السياسة وامورها .. انك
ايضا لا يفهمني كما كنت ارجو ،
يقدر ما انا خيالية في تفكيري هو
واقعي منطقي .

المعذرة يا زوجي الحبيب .. انها
مجرد انتفاضة قلب .. وذكريت
ماض است مسئولا عنه .. كل ما
هناك انها تعاودني من آن واخر ..
وقتي بي ان قلت لك انها ذكريات
بريئة ، براة ندى الفجر ... ولكنها
على اى حال تعاودني كجرح بليغ
يوشك ان يلثم ولكن ويلمسك منك
يتحول الى جرح مؤلم .. هناك يا
زوجي الكثير من النساء اللاتي لهن
الكثير من الذكريات ولكن لهن تكون
بهذه البراءة .. وهن يكنن ذكرياتهن
وهذا هو الفارق بيني وبين الاخريات
لقد شد بيننا رباط مقدس ، وانا
راضية وسعيدة ... فاذا ما
صارحتك يوما بها وقد بيننا حياتنا
على الصدق ، قل لي : انك ليست
مسئولا عن ماضى . فلك حاضري
ومستقبلي بكل آماله .. ولك حبي.

سهيلة داود سلمان

بفداد

ان يسمعي نضاته .. اجل لا زلت
اذكر الكثير من تلك الرسالة ، ولعل
غروري هو الذي يجعلني احفظ لهذا
اليوم كل تلك المقاطع منها .. لا
ادري لم اشعر وانا احدثك ، انسي
افضل بسين شخصيتين لك في
ذهني « وتنتهي الرسالة ، الرسالة
التي حسبت انها كانت منك .

وطوبى واسرعت بها اليه ، وبكثير
من المرارة قلت له : تقب في اعمامي
صورة لاخر .. وبعد فاية كبرياء
لعينتي يا عزيزي ، هذه التي ورثتها
والتي دفعت بك لان تخسر قلبي ..
اربع سنوات في الجامعة وانا انتظر
يشغف سمك الي ، كم من قصصة
نشرتها في هذه المجلة او تلك اردت
لها ان تنهك لاسمي ، وكم من حفلة
طلبة حضرتها وادرت عيني فيها على
المحك فلم تجد وكم من معرض للرسم
اسهمت فيه واشتركت فيه جميع
الكليات بما فيها كليتك ، لو كنت اقف
في زاوية من زوايا امني نفسي
بميجيك اقول : لعله من هوة الرسم
واختلكت وايت ترى صورة المعروضة
وقد ذبلها اسمي فتدهشتم ثم ترائسي
تفجروا بحولي لهناني ويكون نفسي
الذي يهتف لانا ، وايتي لي السلام

الحال احلم ، واحلم وكما يتلأس
الدخان تتلأس احلامي .. ثم تركت
واحلا الى البعيد دون سطر واحد
تودعني به ، لكم تمنيت ليلة سفرك
ان يصادك نيا موتي قبل ان تحلق
بك الطائرة ، ومن يومها كنت كل
انا في قلبي ، وفي كل عام ، وفي
مثل هذا الموسم منه احسن به
ينفخ ، وادري انه الربيع مرفاخرى
فامر بعض مواطن الذكريات لانتشق
ما يشر عواطف وعواطف لدي ، اما
فلك من يدري الى اين يحمله كل
ربيع من كل عام ؟

ها انسا اجلس بجوار النافذة
الواسعة في بيتنا وقد فتحتها عن
اخرها ، وفي الشارع ينهمر المطر كما
ينهمر في ضميري ، ويصلي رذاذ
منه ، فيرتطم شيء منه بوجهي
فتنتعش ذكريات وتتداخل عواطف
شتى في صدري حتى لتكاد تقتلعني،

ورغم ذلك كنت امني النفس دائما
بانك ذات يوم ستسعي الي ، وان
حسني لا يمكن ان يخذمني في انك
زالت مقبما على حبي .. من
يدري ، لعلني لم اكن اقدر الامور
وسولت لي نفسي مرارا ان احطم
هذا الجدار من الصمت الذي يفصل
بيننا غير انني سرعان ما كنت ارتد
عن ذلك .. فكرامتي تأبى علي وانا
فتاة ان اسعى الى رجل ... ماذا
ستقول عني ؟ وظل امل واحد
يراودني وهو انك لا بد وان ستكتب
لي يوما ما ، وبدا ان اراقب لوحة
الاعلانات حيث تغلق عليها اسماء من
تردهم رسائل من الطلبة في الكلية ،
وذات يوم قرأت اسمي ، فهورعت
كالمجنونة وقلبي يكاد يقفز من بين
ضلوعي ، لقد خطرت انت ببالي من
اول وهلة ، ومن غرك برسل لسي
رسالة ، لا احد غرك ؟ .. وقاتي ان
هناك آخرين ليسوا كرجلي الشاذ
هذا ، لقد حركت الرسالة كل
مشاعري ... لم تكن منك .. كانت
من شخص آخر ، من طالب شاعر
ربطني به زمالة التخصص ، وكنا
لناقي دوما في منطلق من ادب ونق
فكان يرني ما يكتب من شعر وادب
وكنت اطالع على ما ارسم وما اكتب
من قصص ، وكان ان شددت بيننا
الفة ونظرة متفقة الى الفن والادب .
لقد خشي ان يصارحتني شغويا بما
يريد ان يقول لئلا بغضبي قاتر ان
يكتبي لي سطورا منتهية فيها الكثير
من الشاعرية ، ولا زلت اذكر بعض
مقاطع رسالته تلك التي افتتحها
ببايت من قصيدة لدوموسيه « يا
رثي ، ماذا يهمني من موتي وحياي
.. انني احب .. واود ان اذبل ..
احب واود ان اعذب .. واحب ومن
اجل قلة اضحي بعقربتي ، احب
واحب ان اشعر دائما على وجنتي
الفالنتين بذلك الشبوع من دموع لا
يجف .. احب ، واحب دائما ان
اعيد واكرر انني احببت ان احب
وان اموت للحب ان قلت انني لن
احب » .
ثم يتحدث عن قلبه وحبه ويود

الحرب ...

ايها البله
انكم لتبنيون بفاسكم العتيقة
كل الشجيرات
تبيدون
تقتلون
تبيدون ايها البله
الاشجار القديمة بجذورها
بصفوفها المتراسة القديمة .
انكم تحمونها
فتعاقون عليها معلنين انها :
اشجار الخير والشر
اشجار النصر
اشجار الحرية
واذ تنتن الغابة الجرداء الاخشاب النخرة
بجورها الطير .
انكم تمكثون فيها تفتنون
تمكثون فيها ايها البله
تفتنون ... وتعضون ...

انشودة بنات الصيادين ...

ظن ظفن يا صبايا
ظفن حول المعامل
فتمسكين وشيكا في قلبها
ظفن ظفن
يا بنات الصيادين ، وبنات القرويين
فالساحرات اللواتي اتين حول سرركن
الساحرات اللواتي اسلمهن اليكن اهل القصر
رحن يتحدثن اليكن عن المستقبل
فقالن انه لم يكن خيرا
وانكن ستفشن تصفات
وستلدن بنين كثر
بنين كثر
وسيحيون بدورهم تصفاد
وسيجوبون بنين كثر
بنين كثر
وسيحيون تصفاد
وسيلدون بنين كثر
بنين كثر
ظفن ظفن يا صبايا
ظفن حول المعامل
فتمسكين وشيكا في قلبها .
ظفن يا بنات الصيادين
وبنات القرويين ...

الكل باطل ...

صاح كهل بالوت والالم بملاشاف قلبه
وهو يجوز الحديقة بدفع امامه طوقا
صاح هائلا : لقد حل الشتاء وانتهى كل شيء

قصائد من جاك بريفيير

ترجمة سمعد صائب

دمشق

« سوف نعيش في شعر جاك بريفيير لا على
علوية اللهجة فحسب ، بل على علوية تأثيرها
كذلك .. »

بيير هنري سيمون

منهض الجوز ، وتراخي زهر الرداء ، والفتنة
الفضيلة
ومثلت المسرحية ، وأسفل الستار .
الكل باطل .
نعم اصدقاء خلصى بدعوتي اليهم
بعد ان اسرفوا في يقضي



سمعد صائب

واصدقاء كهول مترهلون يرقبونني
وفي ايديهم ساعاتهم
يتوسلون الي ان اعرف كل ما يعرفونه .
الكل باطل
الكل باطل .

نعم اصدقاء حقيقيون طواهم الردى بغربة
فاصمة
واصدقاء ما برحوا احياء يسبحون بملء
افواههم
نعمه سواهم ممن يدعونهم اليهم كما يدعونني
في آن واحد .
الكل باطل
الكل باطل .

ان اولئك الذين لقوا حتفهم وهم احياء
نات بالحزن والاسى كواهلهم من احلام طفولتهم
وهؤلاء الذين امسوا القدوة في المثل الطيب
والنفسا الحسن

مضوا يقتلون ليتنبأوا لكم بما سيحدث .
الطريق مهيع ، والدرب سالكة
وتنهال الملح ينبيء بان الوطن في خطر
وقد ان لهم ان يعتكفوا الى العمل .
هو ذا صوت النفر تردده اعماق الحديقة
التي توشك ان توضع ابوابها
ويصمت فرع الطبل .

الكل باطل
الكل باطل .
اما الحديقة فستظل مشرعة الابواب
تستقبل اولئك الذين هاموا بحبها ...

الاطفال الذين يتحايون ...

الاطفال الذين يتحايون يتعاقبون وهم وفوق
حيال ابوتهم الليل
والمايرون الذين يبرون من حولهم
يومنون اليهم باصابعهم .
بيد ان الاطفال الذين يتحايون
ليسوا نعمة من اجل احد
وليس الا ظلمهم فحسب
الذي ينتفضي في جنح الليل
فيشير غسب المايرين
وهياجهم وازدراهم وشحانهم وغيرهم .
ان الاطفال الذين يتحايون
ليسوا نعمة من اجل احد
انهم في موضعهم اناي من الليل في موضعه
واسمى من النهار في شروقه
انهم في بهرة ضياء جهنم الاول (1) ...

دمشق

سمعد صائب

(1) من كتاب « الحديقة المغلقة » من روايت
الشعر في الشرق والغرب .

الرئيس ابن سينا

بقلم عيسى ميخائيل سابا

منه ، فقرأت عليه ظواهر المنطق ، وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة . ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح وكتاب أقليدس ، فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه - أي التالي - ثم توليت حل الكتاب بأسره ، ثم انتقلت إلى المجسطي ، وفارغني التالي ، ثم رغبت في الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه ، وتعمدت المرضي ، فانفتح علي من أبواب المعالجات المتبسة من التجربة ، ما لا يوصف ، وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة .

وخلاصة ما يروى عن نفسه : انه كان يعمد إلى الصلاة والإنشغال إلى الله كلما تعسر عليه حل مشكلة ، حتى يفتح عليه المخلق ، وكان ينكب في الليل على الدرس والمطالعة ، ونوره ضوء سراج من الزيت . وقيل ان نوح بن منصور قد أصابه مرض فذكر له ابن سينا ، فاستقدمه إليه ، فعالجه حتى برىء فقربه منه ، وكان عند نوح مكتبة قيمة . فاستأذنه ابن سينا في دخولها ، فاذن له ، وانصرف إلى دراستها والنظر في كتبها ، فوحي زبدتها ، وتبدر أسوال المؤلفين جملة واحدة ، واخترقت المكتبة فلم ينل منها احد سواه فائدة ، وتفرد بما حصله من العلوم ، وبقل غير واحد من المؤرخين انه هو احرقها لينسب اليه ما وعاه من دقائق المروعة .

ويقول « كره ده نو » وسواه انه منذ ذلك الحين أخذ بالتصنيف والتأليف . وما تجاوز العشرين من سنه حتى ارتفعت منزلته وتولى بعض المناصب ، وانتقل في بلاد خراسان ، وهو موضوع التجارة والإعجاب ومصدر الاستفادة . واستقامت كنيته وتولى عنه انه كان يطعم إلى الجسد . واعتلأ بالأمراض السامية ، فترك بخاري وقصد الامير قابوس في جرجان ، ولكن حوادث الإيام حالت دونه ودون مطامعه ، فان الامير قابوس قد سجن ومات ، فعفى إلى دهستان فمرض فيها مرضا شديدا فاجبره على العودة إلى جرجان ، وقد روى ابو عبيد الله الجوزجاني قال : « ان ابن سينا صنف في جرجان أول القانون ومختصر المجسطي وغير ذلك ، ثم انتقل إلى الري واتصل بخدمة السيدة واينما محمد بن محمد الدولة ، ثم خرج إلى قزوین ومنها إلى همدان ، فاقبل بخدمة كزياتويه وتولى النظر في اسبابها ، وسأله ان يتقلد الوزارة ففعل ، واتفق تشويش الجند عليه واشتاقهم منه على انفسهم فكسبوا داره واخذوه إلى الحبس واستولوا على جميع ما كان يملكه ، وساموا الامير شمس الدولة قتلها فامتنع وعمل على نفيه عن الدولة ، طلبا لمراضاتهم ، فتواری الشيخ في دار بعض اصدقائه اربعين يوما وبعدها طلبه الامير وقلده الوزارة مرة أخرى ، ولما قبض شمس الدولة وبويع ابنه رغب جمع من اصدقاء ابن سينا إلى الامير الجديد في ان يستوزره ، فأبى عليهم الطلب ، وتواری الشيخ الرئيس في دار أبي غالب العطار ، وهناك أتى على جميع الطبيعيات والالهيات ما خلا كتابي

مفخرة من مفاخر الشرق ومفكره الاعلام ، علت به همته إلى مجثم النسر ، فكان في علمه علما يمشي فوق علم ، وسعى وراء المعرفة فانقادت اليه ، وانقضت له غيبتها المتليدة وراء حجب العصور الصحيحة ، وما تزال سحب تنكشفها ، لما يتغلب عليها الاكل جبار عنيد ، لا بالفضال والمدافع والمفرغات الهدامة ، بل بنور العقل الباحث المنقب المستقرى ، فكانها هباء لطيف تنهادر فوق رفرق الماء ، والعقل امامها بين صعود وهبوط ، تارة يخلق بها إلى أعلى فية الأفلاك ، متجاوزا ذرات الانثر ، تائها في مطارح الخيال بين الحدس والظن ، وما هي غير لحظة حتى يهبط إلى العالم الأدنى ، يحلل ذراته ويستنتج جماده ونباته وحيوانه ، لعله يهتدي سواء السبيل ، فيعرف إلى نفسه ليفقه من هو ومن أين وإلى أين ؟

وبعد البحث واعمال الفكر نراه ما يبرح مكانه . فعمله في ذلك مثل من يمشي على اطار ، فيبناه هو مستسلم إلى شوطه ، جاد وراء ضلالتة المشيوبة ، أو يروا خيولته النافرة ، اذا به يعود إلى المكان الذي بدأ منه سيره . ذلك ما نراه في ما ازمع فلسفة ابن سينا وغيره من الفلاسفة الاقدمين وبعض المحدثين ولكل ادراك من الخالق والخلقية ، فكان الله سبحانه اى ان يكشف عن ذاته المنزهة عن الكيف والكلم إلا لرجاله المخلصين الذين يشعرون به بعين الايمان ويدركونه بعقول الاطفال .

وابن سينا هو ارسطو الحكمة وايقراط الطب عند العرب والفرنجة ، وقد روث الموسوعة الاسلامية : ان الفرنجة نقلوا كتبه إلى اللغة اللاتينية ، ولا سيما الطبية منها ، وكانت المرجع الاول في دراسة الطب بجامعة « سالارنو » ، فاعترف له الجميع بالفضل والتفوق بزمانه . اما مولده فكان في قرية خرمتين من امهات قرى بخاري في السنة ٢٧٠ هـ الموافقة لسنة ٩٨٠ م . واسمه ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البخاري نسبة إلى بخاري في آسيا ، ويعرف بالشيخ الرئيس . انتقل به ابوه إلى بخاري صفيرا وهي يومئذ حافلة بالعلماء ، وذلك في زمن نوح بن منصور من ملوك الدولة السامانية ، فحفظ القرآن الكريم وشيئا من التفسير .

وروى أبو الفرج المظفر غريغوريوس المعروف بابن العبري عن لسانه ، قال : « جاء إلى بخاري ابو عبد الله التالي وكان يزعم معرفة الفلاسفة فانزله ابي دارنا رجاء تعليمي

ويتبين لنا مذهبه في علم النفس من قراءة فصل القوة ومراتبها في كتاب النجاة ، قال : « ان في الانسان خمسة عقول هي : القوة الفكرية المادية التي توصل الانسان للمعرفة المطلقة ، والعقل الممكن المتضمن الحقائق البدئية الاولى ، والعقل السليم وهو الخاص بفئة من الناس وهو ما يؤدي بهم الى التصوف الديني ، والعقل الغريزي . وينكر نظرية التناسخ التي قال بها فيثاغورس ، ويسلم بخلود النفس وروحانيتها ، ونلمس ذلك في عينيته المنوبة اليه ، ومطالعها :

هبط اليك من العمل الارفع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وصلت على كره اليك وربما
وختمها :

فكانها يسرق نالقي بالحصى
تم انطوى فكانه لم يلمع
قوله : هبطت في جميع آيات هذه القصيدة المام بزعم افلاطون وكان يقول : ان النفوس وجدت قبل وجود الاجسام ، فلما خلطت في السماء قضى الله عليها بسجن الجسد ، وليس الجسد على زعمه الا آلة في يد النفس ، ومركوب تتخذه لادراك ما بها .

وان نحن بحثنا فلسفة الفسراي نراه يكفر اين سينا لقوله : ان الاجساد لا تحشر وانما المثاب والماعقب الارواح ، وكان يعتقد بان العالم قديم . واما مذهبه فيما وراء الطبيعة فيتلخص بما يأتي : الموجودات صادرة عن الله هي العقل الكامل « عقل العقول » والخير المطلق وعلة العمل . العلة الاولى : هي اول الوجود وعنها ينبثق عقل هو الاول ، ثم يتولد عقل وعقل ، وتحت كل عقل فلك وصورته النفس . وهكذا تسير العقول متدرجة نازلة على سلم الافلاك حتى تنتهي الى العقل الفعال الذي يسدبر انفسنا وهو في فلك القمر ، وتحت عقول مفارقة ، وعقول بالفعل واخرى بالقوة .

وبعد ان يوضح كيفية الصدور عن الافلاك ، يشرح عن حركتها فيقول انها اثر اللعة الغائية التي هي الله ، الخير المحض فهو يجتذب النفس العاقلة لكل فلك .

والعقل الفعال هو الرتبة الاولى التي يتكشف عنها الحس من رب الروحانيات ، او بعبارة اخرى هو المصدر الذي تبعث منه ، بواسطة الحركات السماوية ، النفوس وباقى الصور الجوهرية التي يجب على المادة الارضية ان تقبلها لتتحل بها ، والمادة غير حادثة بل ازيلية ، وهو يسلم ايضا بنظرية ارسطو في العالم الاربع وفي قضية الكليات . ومجمل فلسفته افلاطونية حديثة ، وقد ظهرت في الاسكندرية بعهد افلوطين واستاذة سكاس .

وما نطقه في عدم ادراكه ما يصبو اليه وكان كبير الطموح كثير الطامع قال :

لا عظمت قيسى ممر واسمي
لا غلا نفسي عمدت المشتري
عيسى ميخائيل سابا

جلت كسعى عند بابي
ايها الفرور نبي تصطاد حسني وشبابي
بابتسامائك .. بالاشراق حيناً .. والتصابي
وابتسامائك يا وبعي رفيقه
داعيت احلامي الثيرة .. خلتي غريفة
يبد اني لم اكن يوما عتيقة
لا ولن ارضى عذابي
زد اذا شئت ولوعا
واشتياها .. وخضوعا
فلا تغر صوابي

البصرة
ناصر محمد القاسم

الحيوان والنبات من كتاب الشفاء ، وكاتب علاء الدولة سرا يطلب المسير اليه ، فانهم تاج الملك بمكانيته وانكر عليه ذلك بعض اعدائه ، فاخذوه وجعلوه في قلعة يقال لها « بردوان » ونظم قصيدة منها :

دخولني باليقين كما تراه
وكل الشك في امر الخروج
وبعد ان بقي في القلعة اربعة اشهر ، اخرجوه وجعلوه الى همدان ومنها خرج متنكرا بزي الصوفية مع ابي عبيد الجوزجاني واخيه وغلأمين الى اصفهان . وصادف قسي مجلس علاء الدولة ابي جعفر ابن جعفر ابن كاذبة النحلة والارام ، وصنف كتابا كثيرة ومات في همدان في السنة ٤٢٨ هـ الموافقة للسنة ١٠٣٧ م ، وهو في السابعة والخمسين من عمره ، اثر داء القولنج وهو مرض في البطن . وكان يقول في مرضه بعد ان سقطت قوته : « ان الدبر الذي كان يدبرني قد عجز عن التدبير ، والان فلا تنفع المعالجة . » وقد قال فيه بعضهم :

ما نفع الرئيس من حكمه الطب ولا حكمه على النيران
ما شفاء « الشفاء » من ألم الموت ولا نجاه كتاب « النجاة »

وفي البيتين إشارة الى كتابيه ، الشفاء والنجاة ، اما مؤلفاته فقد ذكر صاحب كتاب « كشف الظنون » انها تزيد على المئة ، واهمها كتابه الطبي « القانون » ، و « الشفاء » في الفلسفة ، ومتنصره كتاب « النجاة » . وفي جامعتي اكسفورد وليند مجموعة من كتبه .

اما فلسفته ، فنحصر في المنطق ، فقد شرح كتاب ارسطو وحل رموزه ، وكان جل اهتمامه بالتحديد والحكم ، وقد استحسن الفلاسفة المدرسيون سنته في الجيل الثالث عشر بتقسيم العلوم الفلسفية .

صورة دوريان غراي لواليد

بقلم جيرالد ويلز

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

ولد أوسكار وايلد في دبلن - أيرلندا في ١٦ تشرين الأول ١٨٥٦ . وكان تلميذا بارزا في دراسة الاداب الكلاسيكية في كلية (التمثيل) وفي سنة ١٨٧٤ دخل كلية (المجلدية) بأكسفورد حيث حصل على جائزة (بتدبكت) على قصيدته (رافينا) - ١٨٧٨ - كان (وايلد) قائدا رائدا (الحركة الجمالية) التي تقدمت بالفهم الجديد حينئذ، مفهوم (الفن من أجل الفن) فاصبح بذلك شخصية بارزة في المحافل والحلقات الادبية والاجتماعية . ومن مؤلفاته قصصه الخرافية الساحرة (الامير السعيد وقصص اخرى) - ١٨٨٨ - التي اعقتب (دوريان غراي) - ١٨٩١ - و (بيت الزمان) - ١٨٩٢ - ومع ذلك فهو لم يشتهر اوسع الشهرة الا بعد عرض تمثيلته (مروحة السيدة ندمير) - ١٨٩٢ - على الجمهور . وبظهور (امرأة غير ذات موضوع) - ١٨٩٣ - و (احمية الجعد) - ١٨٩٥ - تثبت مركزه بصفته دراميا . وفي عام ١٩٠٥ اقام دعوى قذف على مركز كونزبري ، وبنتيجة المرافعة ظهرت قضايا مثيرة تخص اخلاق وايلد ، والتي اثار من تلك الحادثة حكم عليه بالسجن مع الاشغال الشاقة لتجاوزاته على القانون الجنائي بملحه المنقح) . وبعد اطلاق سراحه توجه الى القارة حيث كتب امثنت قصائده ، وهي (نشيد الهدف) - ١٨٩٨ - ثم مات أوسكار وايلد في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٠٠ هضيم الروح طريح الفقر والعازة في باريس .

يقول (هافلوك اليس) في مقدمته لكتاب ج . ك هوبز مانز (ضد البذرة) وهو الكتاب الذي اثر اشد التأثير في أوسكار وايلد ، يقول اليس محاولا التمييز بين الاسلوبيين الكلاسيكي والمنحط : « ان الاول جميل لان الاجزاء تتبع الكل ، اما الثاني فجميل لان الكل يتبع الاجزاء . » و (صورة دوريان غراي) تقدم لنا مثلا كاملا على اهمية تصريف (اليس) للفن المنحط . فلما وُجِّل وايلد بسرور انفسا (دوريان غراي) حتى حفلة العشاء التي يستغلها اللورد هنري لتمثيل فصل مزيف من هوبز مانز او الدس عليه ، (الفصل الحادي عشر) فقط ، بينما التمثيل يسحب قدميه سحبا ، بل هو يقطع المشاهد التي تندرج فيها الاخلاق ، لاجل ان يصف صوتا او منظرا او رائحة ابتغاء اللذة الحسية لا ابتغاء اضافة شيء على المزاج الذي ينطوي عليه المشهد .

وعلى هذه الشاكلة وفي وسط حديث من الاحاديث (نراه) يفير من اماكن المتكلمين ليكونوا صورا مؤثرة بغير ما ميالة باللورد هنري وما بعده (الواقعية الجافة) . ولتنضرب لذلك مثلا ، ففي بداية القصة ، اثناء النقاش الطويل بين اللورد هنري وبارزل هولارد عما يعنيه دوريان للفنان ، نرى اللورد هنري « يظف الاخوانه ويبتعرها باصابعه الطويلة العصبية » ثم « يخطف لعينته السماء المديبة ، ويضرب راس حدائه بعصا الابنوس المنقوشة » و اخيرا « يشعل المقدمة امام العلية الفضية الجميلة . ويشرع في تدخين سيكارة . ويجري كل هذا في الحديقة طبعيا ان وايلد يريد ان ينقل اليها لاميالة اللورد هنري من طريق لوحة مرسومة . ولكن الواقعي الجفاف او الكلاسي (اليس) لم يسحر بالتأثير المباشر تماما ، ومن هنا فهو يربط بين موقف وموقف لاستحضار صورة اخرى فاللورد هنري يضع عصاه بين اسنانه ويدها مشغولتان يتمزق الاقحى ونفخ السكار . من مميزات طريقة وايلد المؤثرة انه يوجز تعريفنا بشخصه الذين لا يتشبثون بمواقفهم طويلا لئلا يضرروا نفوذهم كما يفعل اللورد هنري وحتى دوريان قبل نهاية القصة . ومن احسن هذه الشخص ام سيبيل فين ، المثلة القديمة ، التي تشهد كل منظر عائلي من طريق الموقف على المسرح ، وكذلك زوجة اللورد هنري التي تكون ردودها ما يشبه هستيريا ضحية من ضحايا المجتمع . السيدة فلين توشي بشخصية دكتور ولعل وايلد كان ينوي ان تكون كذلك . اما السيدة هنري فهي معضلة اشد صعوبة . ان نبراتها - في مشهدها - من الدهاء بحيث يستعلمان تكون مرتاحة بين مرضى الاعصاب في مظهر جليل . كونييل باركو . ولما كان وايلد قلما بلجا لهذه الطريقة من الابعاء ، فهو يفسر تعقد الشخصية (المطاوعة) بصورة اعتيادية ، ومن هنا نظل نفاسة المشهد عرضية . وتسلسل القصة لا يتعقد الا لان الانسان الذي يبيع روحه لا يجد الشاري الشيطاني . ان (شيطانية) المنحطين الفرنسيين الذين اثروا في وايلد كل هذا التأثير ربما تكون حقيقة واقعة ، ولكن مفستوفيليس الذي ذهب للعمل من اجل غلود في هذا الوقت ، والذي مثله اللورد هنري ، طبق الاصل ، اصبح يغري وايلد ، ولو كان شيطانا رجيم . لقد افسد عليه تناقضه الفاضح فلم يعد يدرك ما يفعل . ولذا يقول : (لاجل ان تؤثر في شخص يجب ان تقدم له روحك) . من غير ان يدرك انه بذلك يفسح المجال لدوريان لينقل (روحه) الى الصورة التي رسمها بارزل . يسر اللورد هنري بما اصابه من تأثير في الشاب ، ولكنه لا يدرك ايدا ما عادت به تعاليمه الحسية على دوريان وما قادته اليه مؤكدا له قبل نزل بارزل وبعده بانة غير قادر على الجريمة لانها « من نصيب الطبقات السفلى » . ان تأثير الشيطان الغالب ، والروح المتاجر بها من اجل نظرة صبا ، والصورة الداوية ، كل هذه رموز واستعارات لكنها تدل على الانحطاط والفساد . يتنازع دوريان اول مرة مع سيبيل فين ، وهو الظالم البادي ، ولكنه بعد ذلك يحن الى اصلاح نفسه وحتى

الجديد بالرد » . والقصة مكتنزة بأشياء « جميلة »
وركانز غريبة لا يملكها دوربان فقط بل اللورد هنري وحتى
بازل . فتمتة أقمشة مزركشة من عهد النهضة ، وزجاج
بيضوي محيط بالهبة الحب كوبيد ، وخزف صيني قديم
(وطبق زينة من الفضة المخططة من نوع (لويس - كوز)
.. وحمام مطاط بالعقيق اليماني . « روب من صوف
كشمير مطرز بالحربز » .. هذه الأشياء الجميلة هي أكثر
من (دكتور) لأنها تجسد فلسفة اللورد هنري ، أي الحكم
على كل فعل وشخص وكل موضوع بتعايير جمالية .
فإذا كان هذا الأمر يرضينا أو يثينا فهو مقبول . وهذا
الجو موجود في الصفحة الأولى من القصة قبل ظهور
دوربان : « كان اللورد هنري ووتن مضطجعا على أريكة
الطنافس الفارسية ، وكان يدخن العديد من السكاثر على
عاده ، ومن تلك الزاوية تمكن من لمح لمعان الأزهار العسلية
اللون العسلية المذاق ، زهار (اللابروم) التي تسبدو
أفصانها المرتجفة غير قادرة على حمل ثقل الجمال .. ومن
حين إلى حين ترف ظلال الطيور (الغريبة) وهي طائفة
على أسطرة الحربز المعلقة أمام النافذة الواسعة محدثة
نوعا من التأثير الياباني الوتني .. » أضف إلى ذلك أن
هذه سندوب فتان فيه « صورة كاملة لشباب ذي جمال
ممتاز » وعلاوة على ذلك أن السكاثر « ملونة بالأيون »
ولا يتكلم اللورد هنري إلا « تمهل » . أن هذا هو عالم
الإنهمالك الذاتي ، عالم السماء والخليفة الرقيقة والشذوذ
الجنسي الضمني والخطأ بين الشاعر والفن ..

وبعد أن نشهد دوربان بعالم اللورد هنري أول وهلة ،
يكشف في (ضد البذرة) أن الإنسان يمكن أن يستفيد
من « الحليسة الخيالية » وقد جهزه وإبلد بفصل للتجربة
فصل هو أشد ملا من كتاب هوزمانز بأسره ، وإبلد الذي
تفهم قراءة الانكليز (وشعره يشير إلى معرفته لمزج قليل
من نفسه بما يقتضيه الحال) ولذا نراه لا ينوي غلق
الباب على دوربان كما فعل هوزمانز بديس آيسنايتس .
أنه يرسل دوربان ليشبع « رغبة وحشية لمعرفه كل شيء
عن الحياة » في سفره تنتهي به إلى « مناهة من الشوارع
الدائكة السوداء والساحات الخاوية » وهنا يجد سيبيل
فبن ، وهي آخر مناسبة لمغازلته مع الطهارة ، وبعد ذاتها
يغرق في حياة كالحة غامضة غريبة ، فيها مسرات شاذة
أجرامية . أن في الكتاب إشارات إلى الشر ، نحن نسمع
خاصة من بازل الإنسان الطيب ، أن اشاعات تدور حول
رأسه الذهبي (٣) ولكن ماذا يفعل ، كيف ، أين (في الظلام)
أنه يفعل ما يريد دون أن يكشف لنا القناع . نحن نعلم
أنه يتردد إلى مواخير مربعة بشمة ، ونحن نراه في أحدها
نحن نعلم أنه أفسد العديد من الشباب الذين افتقدتهم

خاتمة القصة يظل على شيء من الأمل بخلص نفسه .
يستمتع من ذلك كله ، أن دوربان أصبح فاسدا ، لأنه
سائر طريق الحواس بتجسيده لافكسار اللورد هنري
الهيوليونية (١) أما الشاعر التقليدي الذي هو وإبلد فقد
كان قادرا على (أن ينظم قصائد عصماء) تصور الكلترا
محطمة تحت عبء الرغد والرفاقية وتفوح بنفحة من نفحات
البويرتانية . وكما يقول : « السنا ورتة ملتن ؟ » وعلى
هذه الشاكلة نراه يلحن ضمننا المسامحة مع الشيطان دافعا
حياة دوربان بالشر . ومع ذلك فإن الجانب الكبير في
دوربان وهو انهماله في الفن والاحاسيس كان جزءا لا
يتجزأ من حياة وإبلد الخاصة . لم يتمكن لإدوربان ولا وإبلد من
معاينة (الشيطانية) تمام المعانقة ، لأن الخليفة ظلت
انكليزية بالقياس اليهما ، أي شيئا يجب الابتعاد منه أو
دفع جزائه لا شيئا يراد الاقتران به . وطبيعي أن يكون
الغفوض نتيجة ذلك كله . وفي الختام لا بد لطريق دوربان
أن تقود إلى القتل ومن ثم إلى ساعة القصاص والقضاء على
نفسه .. ولكن القصة - في الوقت نفسه - تظل توحى
لك - أن الطريق مشية للإعجاب ، ودوربان شأنه شأن دي
ايسنايت ، بطل هوزمانز ، ليس قادرا فقط بل يجب أن
« يكون قائما بوجود مخلوقات مختارة من قبل الأذهان
مضطربة داهية » .

ثم يقع على (عائق) اللورد هنري تفسير التعليم النسبي
يجب على موجهها أن يعيش دوربان غراي . (ومن هذه
التعليم) : (أبحث دائما عن أحاسيس جديدة - لا تخف
من شيء ... هيدونية جديدة - هذا ما يحتاجه قرنايا)
هذه الكلمات التي تثير الصبي دوربان ، تصبح النص الذي
يعيش على هواه . وبعد انتحار سبيل فبن ، يتعلم دوربان
واحدا هو أن صورته وليس وجهه هي التي تمكس أفعاله ،
وعندئذ يصبح في المستطاع قبول هدف الحياة : على
أنه « التجربة نفسها لإمارها سواء أكانت حلوة أم مرة »
يتابع اللورد هنري الأمر إلى الخاتمة . ففي الفصل الأخير
يحتفل اللورد بمخلوقه كأنه يجمّل قصة دوربان مشيرا إلى
قلة فهمه للقول الجميل الذي اغان على صنعه قائلا : « آه
دوربان ، ما أسعدك ! ما أجمل الحياة التي عشتها ! لقد
نلت من كل شيء بارتواء . لقد حطمت حيات العنكب
بسقف فمك ... ومع ذلك فأتت لم تتغير ولم تتبدل ولم
يقف في سبيلك شيء : (أن وإبلد أديب متمكن من حورقة
قادر على نقل ما يريد إلى كتبه مما يقرا من غير أن تعلم هل
أنه نقل صوتا إليها أو فكرة .. (٢) أن حيات العنكب هذه
هي حيات (كينس) على التحقيق وهي التي حطمها اللورد
هنري في قم دوربان . قد ينسى اللورد وقد يتذكر وإبلد
أن هؤلاء الذين « فجروا عنب الفرح » هم وحدهم
يستطيعون أن « يروا سوداوية مقنعة في معبد السرور » .
يتترك دوربان اللورد هنري ويذهب إلى البيت (١) يقضي
على حياة الروح المربعة « آملا في الختام بأنه « سيعيش
بسلام بدون تحذيرات هذه الحياة البشعة . »
أن أفساد براءة دوربان تبدأ بكل بساطة في « شعوره

(١) الهيدونية هي فلسفة السمات الحسية ، المترجم .

(٢) من كلام المترجم

(٣) المقصود بهذا الرأس رأس دوربان غراي وهو ما تثبته القرينة ،
المترجم .

المجتمع الى الابد ، ولكن الشاب الوحيد الذي التقينا به في ماخور الايفون لم يفعل شيئا سوى انه صنع طيارة ورق من صك من النقود شان الاطفال في درامات المجتمع الفكتوري المتأخر . اننا نجد - في ذلك الماخور الصاحب هيك امراء حطمتهم دوريان كما تعلم بوجود العديد من السيدات الاخباريات اللواتي وقعن ضحية خداعه ورمين جانباً . وفي الختام تحدث جريمة القتل .

لقد لعب الزمن لعبته الخادعة بانحطاط دوريان وابلد . لقد كان يملأ الحضور بعزج من التشوف والرغبة ، ولكنه اصبح الان شيئا مضحكاً ، لان العصر عصر صريح . ان غراهام غرين علمنا كيف تحضر الايفون في (الامريكي الهادي) وجعل العملية تشبه عملية تقديم كوب من الشاي اما ماخور وابلد التبرير فيشبه سلسلة من (الازهار المحطمة) . . ان جنس دوريان كافيونه ورومانسي عميق . ومع تورطه بالشاعر الحسية يظل بعيداً عن الجنس وهذا امر غريب . اما غرام بأزل به فيعالج معالجة رقيقة بحيث يبقى هو وغيره من الاقتراحات الجنسية لثيفة مجرد اقترحات ليس غير . . دوريان يحطم النساء لان السادة غير الامجاد يفعلون ذلك في الرواية الانكليزية والدrama من سنين عديدة ومع هذا كان له شأنه مع النساء في مشهدين حقيقيين فقط . ففي المشهد الاول يقوم بدور الولد الترق حيال سيبيل فين وفي الآخر يتراجع هو ليلفح الحمال للورد هنري ليقلب دور ميرابيل حيال ميلامانت دوقة مونماوت . وبعد اربعة عقود من الصراحة الجنسية في مختلف صنوفها يصبح محتمل قراءة الفكتوريين والادوارين يعيون جديدة . تبدو اشارات وابلد المكفهره قاعه ، اما شو فهو الوحيد من بين الناس - يستطيع ان يفكر بكانديدا ومارتشباتكر قدام الموصد . ويعرف كيف يكتب مشهد جنسيا حقيقيا بغير حل زر من الارزار . واذا كانت خطيئة دوريان تبدو مؤنسة فكم بالحري ان يكون جماله وناقته حدثت في السنين القلائل الاخيرة انتعاشه (انحطاط) ما لبثت ان اجهضت ، ولكن خصوصاً الاثقة تشبه دوريسان بعض الشيء ، لان ايمانها مليئة بالحاجة الى البحث عن لقمة العيش . ومع ان معارض بعض المخازن الفخمة في المدن الكبيرة تعكس هذه الانتعاشه (لكن الامر غير متسق مع عصرنا الحاضر) . وحين يبدع تنسي ولبيز دوريانه في (الصيف الفجائي الاخير) مسماً اياه سايستيان فينابل ، نراه لا يظهر في المسرحية ، ولكن حياته الغريبة وحترجة موته لا توصفان الا في الخاتمة ، وهكذا فهذا الشخص المحب للجمال يصبح بقصد او بغير قصد شخصية هزلية ، ومن هنا واجهت (الصيف الفجائي الاخير) ضحكا حين عرست على شاشة السينما .

لم يتردد وابلد قط في استخدام العقد النموذجية . فهو - مثلاً يستخدم حيلة مسرحية قديمة في الفصل الاول من دوريان غراي بمحاكاة الدخول الى نفسية البطل ، وهذه تتلخص في المناقشة الطويلة بين اللورد هنري وبازل ، اهتمام الاول الواضح بدوريان وعدم رضا الثاني بالتقاء

الاثنين ، كل هذه الامور يمكنها ان تحدثنا بشيء عسسن شخص القصه الثلاثة ، ولكنها على العموم لا تقدم لنا شيئاً غير الترقب . . . اما العقد البالية التي يستخدمها وابلد فتوضع على مائدة الترتيع مضافا اليها الوانه الخاصة ولنضرب لذلك مثلاً (مروحة السيدة وندرمير) فوايلسد يستخدم النزاع المحب الي بنبرو : واعني به المجتمع في قبالة المرأة الساقطة . وهو من العاطفية بحيث يسمح للسيدة ايرلين ان تتقد ابتنها على حساب سمعتها ، وبدلاً من قتلها كما كان بنبرو لا بد فاعلاً ، فهو يجازيها بزواج رايح . وكذلك الحال مع فصة (سيبيل فين) هنا توجد مواد لدراما عاطفية ، البتة الشابة الجميلة التي يعتدي على طهارتها ، والعاشق الفني المتحجر القلب ، والانحار المثير والاخ المنتقم ، (تقول سيبيل : « انت تشبه واحدا من ابطل الدرامات الشجيبة السخيفة التي كانت والدتي مشغوفة بتقليدها ») . ولكن كيف تحولت المواد من حادة الى مادة ؟ العاشق يعتدي على طهارة الفتاة بعد رفضها والاخ المنتقم يقتل مصادفة في حادثة صيد وحتى حادثة الانحار البائسة تفقد دموعها . يعترف دوريان بذلك قائلاً « هاري ، لو آتي قرات كل هذا في كتاب لبيكت على ما اظن » ومن هنا فهو يعتقد بان حياة سيبيل فين وموتها كساسة غربية ، في حين يحسبها اللورد هنري مأساة (يعقوبية) والواقع ان المأساة مثيرة للدموع لكنها في النص الذي في فيه نرفض ان تسمح برمشة عين .

لقد تمكن وابلد من ثلم حدة تقاليد سيبيل بيد انه لم يتمكن من الجيلة دون اشاعة امثال هنري الالعة . وذات مرة طاق السام ويسلر مليحة من ملحمة المشهورة فقال وابلد : « يا ليتني قلت هذا » فاجابه الرسام « اسوكار » انك ستفعل ذلك ، ستفعل . فسر جواب ويسلر هذا بطريقتين . الطريقة الكريمة تذهب الى ان : سمعة وابلد في مجالات القطة ستحمل المجتمع على رد الفضل اليه لانه سار على وقف خط ويسلر . اما التفسير الاقرب الى الاحتمال والشاهد على ذلك هو اللورد هنري نفسه فيقول ان وابلد سيحل محل ويسلر . وقد لا يكون وابلد اخذ بنظر الاعتبار اشارات اللورد هنري « ايام الدراما الانكليزية العاقبة » التي اقتبسها من شو ، ولكن نقد الاخير للموسيقى في تلك الفترة جعل هذه الاشارات امورا واردة ، والامر الاكيد هو انه اعتمد على نفسه . فالامر بول البطل الفطن النفل ، بطل مسرحية وابلد الاولى (فيرا او الفوضيون) ينقل التجربة التي يعزوها الناس الى اخطائهم « ينقلها الى القصة ، حيث تتخذ لنفسها نبرات فلسفية . يعطي اللورد هنري بقدر ما يتسلم . اما اللورد دارلنكتون في (مروحة السيدة وندرمير) فهو يستغفر الإشارة الى ان الناس يعرفون سعر كل شيء ولا يعملون بشئ اي شيء اما القرنون في (اهمية الجد) فهو يقول : ان الاملة اصغر شعرها من الالم . . . وهذه المسرحية هي على التوكيد من احسن الكوميديات الانكليزية وابقاها على الزمن .

يوسف عبد المسيح ثروة

بنفاد

بترجمة التوراة للارسلانية الاميركية ، فجاءت العبارة ضعيفة لان المترجمين تقيدوا بالنص الحرفي .

وفي سنة ١٨٧١ توفي الشيخ ناصيف وكان له ثمانية اولاد اشهرهم بين الاناث : وردة الكاتبة الادبية ، وبساعة النهضة النسوية ، فكانت زهرة فواحة الاربيع ووردت في « حديقة الورد » ، واشهرهم بين الذكور : الشيخ ابراهيم الكبير .

ابصر نابغتنا النور في بيروت في الثاني من اذار سنة ١٨٤٧ ، وكان والده قد نزع اليها من كفرشما بعد مغادرة الامر بشير الشهابي لبنان حيث لازمه وقتا طويلا اذ كان شاعره وكتابه ، وكان لبداية الحوادث الطائفية البغيضة سببا في هذا الزواج .

تلقى الشيخ ابراهيم عن ابيه مبادئ العلوم ، وقواعد اللغة ، والخيال الشعري ، فنظم الشعر وهو صبي ، وزاوله في سن الشباب ، فذاعت معه شهرته ، وغدا مرجعا لغويا . تراكت عليه رسائل الشعراء والادباء تستفتيه فيما تكتب ، فاخذت هذه الرسائل اكثر وقته ، فضاقت بها ، ثم ترك الشعر وانصرف الى الادب ، وغاص في ليج اداب اللغة العربية وعلومها ، شغوقا ، يفرف مسن ذورها الكنوز الدينية ... كان به نوب الى سحر وبلاغة القرآن ، فحفظه غيبا . درس الفقه على يد الشيخ محي الدين الباني ، ثم امتد طموحه الى المجال الصحفي ، الذي كان حديث العهد في لبنان ، فاستهواه ، وحين عهد اليه بتحرير جريدة النجاشيد البيروتية سنة ١٨٧٢ ، بدت مقدرة الصحفي ، وتدفق الكلمات طرف انشاء كبير ادبائهم .

كان على صلة بالدكتور فاندك فاخذ يتردد على الطبعة ولا يفرغ من يد الحروف العربية ، وساعد في صناعة جفر الاختام والصور كما صنع فيها بخطه الجميل اول تقويم عربي .

اتصل به الابهاء اليسوعيون وعهدوا اليه بترجمة الكتاب المقدس وفوضوا اليه تنقيح العبارة من حيث الانشاء وال ضبط النحوي واللفظي ، فقبل الرغبة والتفويض وباشر الترجمة ، فدرس اللغة العبرانية على نفسه ، لتطبيق عبارة التعريب على الاصل وناير على هذا العمل الخالد تسع سنوات حتى اتمه .

علم البيان واداب اللغة العربية في المدرسة البطريركية ، فكان منه السحر والبلاغة .

حضر مجلة الطبيب من ١٥ اذار ١٨٨٤ لغاية ١٨ شباط ١٨٨٥ بالاشتراك مع الطبيبين بشارة زلزل و خليل مسعاده بناء لرغبة متعهدا الدكتور جورج بوس ١٨٣٨ - ١٩٠٩ سافر الى اوربوا سنة ١٨٩٤ ، ثم منها الى مصر حيث وافاه الدكتور زلزل واسس معه مطبعة ، ثم اصدر مجلة البيان سنة ١٨٩٧ . وفي سنة ١٨٩٨ اصدر مجلة الضياء وانقرده بادارتها وبتحريرها وفيها اختتم اعماله الادبية وبقي يتعهدا حتى وافته المنية في المطبعة في الثامن



محمود الحسينية

اليازجيان الكيرمان والارسلانيات

بقلم محمود الحسينية

في النصف الاول من القرن الماضي اخذت الارسلانيات الاجنبية تتوافد على لبنان من انحاء متفرقة من العالم . ومنها الارسلانية الاميركية ، فادت رسالتها في النشر على اكمل وجه ، اذ اقدمت في سنة ١٨٣٤ على نقل مطبعتها التي كانت قد استسها في مالطة سنة ١٨٢٥ الى بيروت بالقرب من كنيسة دار الاحد ، بعدما رأت ان بيروت طبعة مركز ثقافي في الشرق الاوسط . فطبعت الكتب والمنشورات العديدة ، وصرفت عنايتها الى التعليم والتدريس ، ولكنها رأت ان اللغة الانكليزية وحدها لا تفي بالطلب ، الا اذا علمت اللغة العربية وادابها ، فجدت اليها بكل نشاط ورغبة ... واستعانت بالاساندة العرب ، فكان لها في كلية عبيه الاميركية المعلم بطرس البستاني ١٨١٩ - ١٨٨٣ مساعدا للدكتور كرينيوس فاندك في الادارة والتعليم ، وكان لها الشيخ ناصيف اليازجي معلما في مدارسها ومشرفا على الطباعة في مطبعتها التي ادارها عالي سميت وتمهدها حتى وفاته ١٨٥٧ حيث انتقلت ادارتها لفاندك وقد زاد انتاج الطباعة والنشر بعدما سيكت الحروف العربية ، وزاد هذا العمل المعلم الشيخ رغبة في اداب اللغة العربية ، فنظم القصائد الديدعة ، وديج بقلمه الساحر الفياض المقالات الشهيرة . و امد الكليات والمدارس بمصنفاته اللغوية العديدة التي خللت ذكره ورفعت من شهرة المطبعة ، واسهم مع سميت وفاندك ، والمعلم بطرس البستاني ، واحمد فارس الشدياق وبعض اللبنانيين

اصطلاحية جديدة من اللغة الفرنسية مثال Cocher
 ودي ، Dot ، بئنة ، Buffet ، مقصف ، Milieu ، بيئة ،
 Balcon جناح ، Revue مجلة ، Guillotine مقصلة ،
 مع كلمات عديدة يرجع له فضل اخراجها الى حيز الوجود
 هذا نزر من فيض اتحف به خزان اللغة العربية . ومن
 يريد ان يعرف بالشيخ ابراهيم كمن يعرف بالشمس نسي
 وضع النهار ، ومن يريد ان ينشر دقائق حياته الادبية ، فانه
 يوفق بعض الشيء ، اذا كان فيه انعكاس من ذلك الشعاع
 الوهاج ، وحديثة برجاجة من العقل النير .
 لذلك يتعذر على اي اديب ان يسر غور فكر معلم
 الاجيال ، حيث لا يمكنه ان يلم باطراف شمس من النبوغ
 انارت رقعة فسحة من هذا العالم .
 فالشيخ ابراهيم ، فريد عصر ، ووليد قرن ، و تراث
 اممة .

محمود الحسني

والعشرين من كانون الاول سنة ١٩٠٦ ، ومنها نقل جثمانه
 الى القاهرة حيث جرى له ماتم حافل ، اشترك فيه رجال
 السياسة والادب والشعر ، ابنه المديون ، منهم شاعر
 القلوب خليل مطران (١٨٧١ - ١٩٤٩) بمراثيه الشهيرة :

رب البيان وسيد القلم وفيت فسك لللى فتم
 لم يبق من اليازين انذاك ، الاحبيب ابن اخيه الشيخ
 خليل .
 كان الشيخ ابراهيم حائزا على وسام السلطنة العثمانية
 وعلى براءة يشهادة العلوم والفنون من ملك اسوج .
 رغبت اليه الجمعية الفلكية فسي باريس والجمعية
 الفلكية في سلفادور ان ينتسب في عضوية كل منهما . في
 سنة ١٩١٣ نقلت رفاته وضمت الى رفاة ابيه في مقبرة
 الزيتونة في بيروت . وفي ١٧ تموز ١٩٢٤ اقيم له تمثال
 نصفي من البرونز فكان اول تمثال يقام لاول اديب عربي
 وضع بالقرب من بوابة درج يعقوب ثم نقل الى حديقة وزارة
 التربية الوطنية « الونسكو » ١٤ - ٢ - ١٩٥٧ .

صفاته : عاش عازبا ، كان ربع القامة ، نحيف البنية ،
 عصبي المزاج ، حاد البصر ، ذكي الفؤاد ، سريع الخاطر ،
 يطرب النكتة الادبية ، شديد الحرص على كرامته ، عفيف
 النفس ، التي على شعر ابن الفارض واعجب بشعر النبي
 كان واسع الاطلاع في علم الفلك ، وملمسا بالرياضيات
 والرسم ، لم يكن مجلسه يخلو من اي بحث ادبي وشعري ،
 اشهر ما قال قصيدته السينية :

دع مجلس الغيد الاوانس وهوى لواحظها التواض
 وقصيدته التي تبرز فيها عرويته
 تنبهوا واستيقظوا ايها العرب فقد طمى الغيب حثافات الركب
 ومن مناظرته مع احمد فارس الشدياق تبدو عقته
 وكرم خلقه حيث يقول :

ليس الواقعة من شاتي فان عرضت اعرضت عنها بوجه بالحاء ندي
 اني اخن بعرضي ان يلم به غيري فهل اتولى خرفه بيدي
مؤلفاته : - اهمها : الجمانة في شرح الخزائنة ، اللغة
 والعصر ، لغة الجرائد ، التعريب وشروطه ، اغلاط العرب
 القدماء ، اللغة العامية واللغة الفصحى ، اصل اللغات
 السامية ، نقد لسان العرب ، اغلاط المولدين ، العقد نخبة
 الزائد في الترادف والمتوارد من الفاظ اللغة العربية ،
 المختصر في علم الصرف والنحو ، مجموعة من التصانيف
 العديدة ، اباحت نفيسة في الطبيب والبيان والضياء
 وبعض الصحف . شرع في وضع معجم للغة العربية
 يستعمل على المائوس من كلام العرب الاولين وعلى ما طرا
 من موضوعات المولدين والمحدثين مقتصرا على الفصح دون
 المولد والمحدث في الاصطلاح وسماه « الفرائد الحسان في
 قلائد اللسان » ولكنه بقي اورفا مبشرة لم يسعد الحظ
 بجمعها . اهم عمل قام به ، ترجمة التوراة الى اللغة العربية
 اليسوعيين ، وفي مجال الترجمة انتفى للغة العربية الفاظ



سعد وعبد المبارك
 أول عربي من الخليل بيت
 مشاعر وطنها الأكبر ووجدانيات
 بنات جناتها ديوانها
من عمري

قال موم : لست اضمن صحة الوقائع التي ورد ذكرها في هذه القصة . ولكنها قد قصها علي استناد الادب الفرنسي في احدى جامعات انجلترا وهو رجل على خلق عظيم ولذلك فاني اعتقد انه ما كان يقصها علي لو لم تكن وقائعها صحيحة . وكان من عادة هذا الاستاذ ان يلفت اذهان طلبته الي ثلاثة من الكتاب الفرنسيين الذين اجتمعت لهم - في رايه - خصائص هي المصادر الاصلية للخلق الفرنسي .. وهو يقول في ذلك : انك اذا قراهم استطعت ان تعرف الشيء الكثير عن الشعب الفرنسي . وانه لو كان له من الامر شيء لما عهد بشؤون الحكم في فرنسا الا لمن جاز امتحانا قاسيا . موضوعه مؤلفات اولئك الكتاب وهم : (رابليه) بسخريته اللاذعة و (لافونتين) بعمقه الناضج . واخيرا (كورني) الذي انعش الادب الفرنسي وترك في دنيا ذلك الادب دوبا . وهو الذي يعد المبدع للفن الدرامي في فرنسا . وهو اول من عني بالدراسة السيكولوجية في رواياته . وهو الذي اوجع احدى رواياته الي النبلاء الفرنسيين في (فورتينوي) ان يقولوا لضابط الملك جورج الثاني « اطلقوا النار اتم اولا ايها السادة » ! وهي التي اوجت الي الجنرال (بيري كامبرون) ان يقول - وهو يحارب في معركة واترلو - وقد احاطت جموع العدو بوحداث من رجال الحرس : - ان رجال الحرس يموتون ويموتون ولكنهم لا يستسلمون ابدا .

ان استاذي الذي قص علي هذه القصة ليس بالرجل الذي يعني بالباطيل وهو يرى ان القصة التي ساقصها عليك قد كشفت عن الميزات الاصلية لسجيا الشعب الفرنسي .. ولقد سميتها « الحقائق والصور » . وهو عنوان قد يرى فيه قومي - كما افترض - انه اكبر عمل فلسفي قد انتجته بلادى - ان حقا وان كذبا - في القرن التاسع عشر ..

ان القارى لهذه القصة قد يرى انها قصة جافة ولكنها - الى ذلك - تستحث القارىء على المضي فسي القراءة .. ان فيها قدرا كبيرا من الفكاهة ..

ولا عذر لي في انخاذي هذا اللقب لقصة بارعة كهذه القصة سوى انه لقب يصاح لها كل الصلاحية .. ولو ان البطلة (ليزيت) ليست فيلسوفة الا بالمعنى الذي يجعلنا جميعا فلاسفة اي انها تتخذ من الفكر اداة تعالج بها مشكلات الوجود ان احساسها بالحقائق قوي جدا كما ان مشاركتها الوجدانية فيما يتعلق بالمظاهر والصور هو امر لا ياتيه الباطل . حتى لقد تستطيع - الى حد كبير - ان تزعم

الحقائق والصور

بقلم بيومست موم
ترجمة مبارك ابراهيم

لغتها انها قد قامت ببيان التوفيق بين الاضداد وهو الامر الذي كان هدف الفلاسفة منذ قرون عديدة .

ان (ليزيت) كان فرنسية . وكانت تقضي ساعات كثيرة في كل يوم من ايام العمل وهي ترتدي الملابس وتخلعها في اغلى معارض الانساء واحدها طرازا في باريس .. وهي وظيفة يتهج لها خاطر فتاة تدري دراية تامة انها قد اوتيت من الجمال حظا عظيما .. وموجز القول انها عارضة ازاء .. وقد كانت تلتك الفتاة فارعة القوام حتى تستطيع ان تجر اذبالها في رشاقة وانسجام



.. وكانت خفيفة الازداف خفة بالغة حتى انها كانت اذا خطرت في ملابس الاعراب شملت منها رائحة ازهار الخلع .. اما ساهاها الطويلتان فقد اتاحتا لها ان ترتدي (المبادل) ارتداء يتميز بالاناقة .. واما نهديها الضامران فقد جعلها - اذا هي ارتدت ملابس الاستحمام - فنتنة للناظرين .

ان (ليزيت) لها قدرة على ارتداء كل شيء . ولها طريقها التي اختصت بها في ارتداء ثوب صنع من فراء الارانب حتى تجعل اكثر الناس معرفة بقدر الاشياء لا بضن باي مال ثمن لهذا الثوب الرخيص ..

ان النساء السمينات المكتنزات . والنساء الباديات العظام . والنساء اللاتي عدمن التناسب والققامة . والنساء العجائز . والنساء غير المتربجات قد جلسن كلهن فوق كراسيهن وقد اعجن بالفسائين فاشتربنها . ذلك لان (ليزيت) بدت فيها كلها جميلة . وذلك لان قد الفسائين كانت تلائمها كل اللامعة وكانت تبدو وكأنها تزهو بها ..

ان (ليزيت) كانت لها عينان من العيون الصالح الدمع . وكانت واسعة الفم . وكان يخاط بشرتها نمش خفيف ..

وكان يريق عينها هو الذي لفت اليها انتباه السيد (ريمون لي سير) وفتن ليه . وهو جالس في كرسيه الى جوار زوجته التي اغرتة بالمجيء معها ليشهد معروضات فصل الربيع وكان معيها معها دليلا على رقتيه وظرفه . وما كان احد يظن ان رجلا عنده من المهام والمشاكل ما يستنفد كل وقته بجيء فيجلس ساعة كاملة ليشهد سربا من الفتيات الجميلات وهن يعرضن اجسادهن في فسائين تبعث في النفس الدهش .. وما كان يخطر ببال صاحبتنا ان فستانا من الفسائين يمكن ان يجعل من زوجته امرأة سواها . فقد كانت طويلة القامة مهضومة الحشا وكانت في الخمسين

من عمرها .. والحق انه لم يتزوجها
من اجل حلاوة قسماها . وحتى هي
ما كانت تقطن - حتى في الليالي
الاولى من ليالي شهر العمل انها قد
اوتيت تلك الحلاوة .. انما هو قد
تزوجها ليضم مصانع الصلب التي
كانت هي الوارثة لها الى مصانع
القاطرات التي كان هو المالك لها ..
ومن ثم كان الزواج صفقة رابحة ..
وقد انجبت له ولدا كان يلعب لعبة
التنس وكانه واحد من المحترفين .
وكان في لعبة (البرج) يستطيع ان
يباري الخبراء العارفين .. كما ولدت
له فتاة استطاع هو ان يهبها مالا
كثيرا تستطيع ان تقدمه صداقا
لرجل يكاد ان يكون اميرا من الامراء
ذوي الحساب والنسب ..

وكان عند صاحبنا من الاسباب
ما يجعله يكثر ويفاخر بثرانه وماله .
فهو بكده وجده . وبامانه ونزاهة
نفسه ازدهرت اعماله ازدهارا جعله
قادرا على ان يكون له حق الهمنة
على مصنع من مصانع تكرير السكر .
وعلى شركة من شركات السينما
وعلى مصنع من مصانع السيارات
وعلى صحيفة من صحف الاخبار .
ثم اصبح قادرا اخر الامر على ان
ينفق مالا كثيرا ليظفر بعضوية مجلس
الشيوخ ..

وصاحبنا كان رجلا رائع المظهر .
ظاهر الابهة ، له رأس
اصيل ولحية مهندمة وقد خطها
النسيب . وله كيس من الدهن في
مؤخر الرقبة .. وليست بك حاجة
الى ان تنظر الى شارة التمايز التي
ازدانت بها سترته السوداء لتعرف
انه من اصحاب الجاه والسلطان ..

وهو رجل سريع البت في الامور
فما ان غادر هو وزوجته مكان العرض
حتى افرق عنها بجهة انه سوف
يسير على قدميه - حبا في الترتيب
- الى مجلس الشيوخ حيث يدعو
الواجب نحو ولاده .. ومهما يكن من
شيء فانه لم يذهب الى المجلس
بومذاك مكثفيا بالسير جيئة وذهابا

في شارع خلفي خطر بباله - وقد
صح هذا الغاظر - ان الفتيات
العارضات سوف يجترن بعد اقتضاء
ساعات العمل . ولم تمض الا دقائق
معدودات حتى تدفق النسوة سربا
من بعد سرب فيهن الشابات الفاتنات
وفيهن من لسن بشابات ولا فاتنات .
وبعد دقيقتين او ثلاث بدت (ليزيت)
وهي تمشي مشي السحابة ، لا ريث
ولا عجل .. وكان الشيخ يعلم علم
البقين ان مظهره وسنه يحولان بينه
وبين اعجاب النساء به لاول نظرة .
ولكنه كان يعرف ان ثراه ومقامه في
المجتمع يستطيعان ان يجعلتا التعادل
ممكنا .. ومضى الشيخ للقائه (ليزيت)
محييا ايهاها في ادب برفع قميصه
ولكن لا الى حد كبير - وذلك
مخافة ان تشهد ما يراسه من صلع
ثم قال - مترصيا متحجبا - مساء
الخير - يا آنستي .. فنظرت اليه
نظرة هي اقصر النظرات . وتصلبت
شفها بعد ابتسامة مرتعشة ثم
اشاحت بوجهها وانطلقت تتحدث الى
صديقها ثم مضت في طريقها وهي
مشيها ما يتم على الامبالا في
اقصى حدودها .. وسار الشيخ
وهو الغافل لا يلاحظ الا ان
على بعد بضعة خطوات . وقطعت
الفتاتان ارض الشارع الخلفي الصغير
ثم انطلقتا الى الشارع الكبير حيث
استقلتا احدي العربات الحاشدة ..
واطمان الشيخ الاطمئنان كله اذ قد
عرف حقائق كثيرة : منها ان (ليزيت)
وهي تغدو الى بيتها في صيغة فتاة
صديقة تقدم الدليل على ان ليس لها
محب عاشق تركن اليه وتلوذ به ..
ومنها انها ابتعدت عن طريقه وهو
يدانها ، وفي هذا دليل على حيالها
ورجاحة عقلها وحسن سلوكها ، وهي
الاشياء التي يحبها في الفتيات
الجميلات .. ومنها ان رداها
وقميصها وقميصها وجوربها وكلها من
الانواع الرخيصة الثمن تقوم دليلا
على انها فقيرة ، وعلى انها تتحلى
بالعفاف وباطهر .. ولقد بددت

(ليزيت) في تلك اللباس فاتنة
جذابة كما كانت وهي ترتدي تلك
الملابس الغالية التي كانت تعرض
بها الازياء : وحقق قلب الشيخ خفقا
رفيقا ، واحس احساسا لطيفا - على
ما يسببه هذا الاحساس من السم
غريب - وهو احساس قد قدم العهد
به . ولكنه قد عاد فعلا شفاف قلبه
دفعه واحدة .. فتمتم الشيخ قائلا :
انه الحب ! واقسم على هذا ! وما
كان الشيخ يتوقع ابدا ان يحس
بالحب مرة اخرى .. ومشى الرجل
في خطوات مطمئنة ومضى الى مكتب
رجل من رجال الجاسوسية غير
الرسميين ، وهناك طلب الى العاملين
به ان يغيثوا بالخبر اليقين عن فتاة
تدعى (ليزيت) تعمل عارضة للازياء
في بيت من بيوت الازياء ، ثم استقل
سيارته الى مبنى مجلس الشيوخ حيث
دخل المكتبة وجلس على احد الكراسي
وتفقا اغفاده اراحت اعصابه .. وبعد
ثلاثة ايام جاء له باخبار الفتاة ..
فهي (الانسة ليزيت لايون) تقيم
مع عمه ارملة في حجرتين . في حي
من احياء باريس .. اما ابوها - وكان
بعلا من ابطال الحرب الجرحى - فهو
يملك متجرا للدخان في إحدى القرى
في الجنوب الغربي من فرنسا .. ثم
زادوا على ذلك فقالوا : ان الفتاة تحيا
حياة منظمة وهي مولعة بمشاهدة
روايات السينما ، ولم يعرف عنها ان
لها محبا عاشقا .. اما عمرها فتسعة
عشر عاما .. وقد اثني عليها ثناء طيبا
بواب البيت .. اما زميلاتها فسي
العمل فيحببها حبا جما .. ومن ثم
تبين الشيخ انها فتاة لها النسيب
الاولى من التوقير . وراى فيها
الفتاة التي تصلح كل الصلاحية لان
تسعد اوقات فراغه وهو الرجل الذي
انقلته هموم الدولة واضنته متاعب
العمل الضخم ..

ولا حاجة بنا ان نقص تفاصيل
الخطوات التي اتخذها ليصل الى
هدفه الذي يتشوق اليه فقد كان
لديه من المهام ما يعوقه عن الاهتمام

شخصيا بهذه القضية فأولئك بها الى كاتم لسه . هو موضع ثقته فقد طالما نجح في اقناع الناجحين بانتخاب صاحبه .. وهو لذلك لا بد قادر على ان يشرح القضية امام فتاة تقيّة الثوب ولكنها فقيرة .. ومضى كاتم السر هذا الى بيت عمته - واسمها (مدام سالادان) - وانهاها ان السيد (لى سير) - وهو رجل يساير زمانه دائما - قد بدا يعني بالانفلام السينمائية وانه بسبيل اخراج فيلم من الافلام (وهذا برينا كيف يستطيع صاحب العقل المستنير ان يستفيد من الحقائق التي تمر بخاطر الشخص العادي والتي لا يلتقي بالا اليها بحسبانها امرا تافها ..) ثم مضى الرسول يقول : وقد اعجب مولاي بظهور (الانسة ليزيت) يوم رآها تعرض الازياء كما اعجب بطريقتة ارتدائها لملايسها فخطر بباله انها قد تصلح لتمثيل دور من ادوار رواية يريد ان يخرجها .. ودعا الرسول عمّة الفتاة وابنة اخيها الى الغداء ليتم التعارف وليستطيع الشيخ ان يحكم هل لدى الفتاة القدرة على الظهور على الشاشة ذلك لانه في ريب من هذا . وقالت العمّة : سوف اتحدث الى الفتاة في هذا الشأن .. اما من ناحيتها هي فقد بدا ان الاقتراح جد معقول .. ولما عرض الاقتراح على الفتاة اتيها عمتها بمقام الرجل عظيم جاهه ونسخاته هزت الفتاة كنفها هزة تحقير وازدراء وقالت يا له من ذكر عجوز من ذكور السمك ! قالت عمتها : وماذا في هذا اذا كان ذلك الذكر العجوز من ذكور السمك يعني لك دورا تقومين بتشيله ؟ وبعد اخذ ورد قالت العمّة : ومهما يكن من شيء فان لنا ان نتمتع بفداء فاجر هناء .. وفوق ذلك كله فانك قد شبيت عن الطوق .. وعدوت سن الطفولة .. ويمضي بنا صاحب القصة الى (قصر مدريد) . وكل الناس يعرفون انه افخر مطعم في الدنيا جميعا ، ولم لا ؟ فالطعام متنق

كل الاقناع . وموقعه يجعله مكانا فيض بالسر في امسية لطيفة التسمت من امسيات اوائل الصيف .. فلما وثقت قدما الفتاة هذا المكان نوردت وجنتها وشامت فوق فمها ابتسامة فافتّر اقربها عن لاء من متفدة ثم تمتعت قائلة : استطيع ان اقترض فستانا من المنجر الذي اعمل به ولم تمض الا ليال فلانل حتى كان كاتم السر يصحبهما في سيارة الى (غاب بولونيا) ، وبدت (ليزيت) فاتنة في فستانها البديع كما بدت عمتها سيدة وقورة في فستانها الحريري الاسود وفي قبعتها التي صنعتها (ليزيت) لهذه المناسبة .. وقدمهما كاتم السر الى سيده فحيهاها طبيب تحية محتفظا بوفار رجل السياسة الذي ينظر الى زوجة ناخب من الناجحين والى ابنته .. وهذه الخطة اوحى اليه بها ذكاؤه لكي يحسب المساهدون في الطعام من عارفيه ان الامر لا يعود ان يكون كذلك .. ونمت الولىمة على خير حال . ولم تمض الا ايام قلائل حتى انتقلت (ليزيت) الى مسكن صغير التيج في مكان قريب من محل عملها وكذلك من مكان عمل والده . واما كاتم السر فتزين ذلك المسكن فنان من ابرع الفنانين ، وايدى الشيخ رغبته في ان تستمر الفتاة في عملها . وراق له جدا ان يكون لديها بعض ما يشغلها اثناء الساعات التي تضطره مشاغله ان يعمل فيها ، وذلك ائنا بالفتاة عن طريق الشر .. وقد عرف الشيخ ان الفراغ مفسدة وان المرأة التي لا عمل لديها طوال النهار تنفق اكثر مما تنفق المرأة العاملة .. انه يفكر في هذه الاشياء ، ذلك لانه رجل ذكي .. ولكن التبدير كان رذيلة من الرذائل ليس للفتاة عهد بها .. ان الشيخ كان محبا مغرما وكان سخيا . وكان مصدرا من مصادر رضائه ان (ليزيت) سرعان ما بدات تدخر فكانت تقتصد في النفقة . وكانت تشتري ملايسها بسمير الجملة .

وكانت في كل شهر ترسل مبلغا من المال الى ابها البطل الذي كان يشتري به قطعا صغيرة من الارض .. وظلت الفتاة تحيا حياة تنسم بالهدوء والاعتدال .. وقد سر الشيخ اعظم من البوابة (التي كان لها ولد تريب (ليزيت) لم يكن يزورها غير عمتها وغير واحدة او اثنتين من بنات المنجر .. وام يكن الشيخ في يوم من الايام اكثر سعادة منه في تلك الاونة .. وقد سره كل السرور ان يرى انه حتى في هذه الدنيا فان العمل الصالح يلقى جزاءه ، فلو لم يكن - شفقة وحنانا منه - قد سحب زوجته الى معرض الازياء في اصيل ذلك اليوم ، وهو اليوم الذي كان فيه مجلس الشيوخ يناقش (قضية الدين الامريكي) لما سمع لاول مرة بمرأى تلك الفتاة الفاتنة .. تملك الفتاة التي كلما زادت معرفته لها زاد شغفا بها . فلقد كانت رفيقة رفيقة . تبعت في النفس السرور . وكانت مريحة طريفة ، وكانت كيسة لطيفة . وكانت على قدر موهوب من الحجي والذكاء . وكانت تحسن الانصات وهو يناقشها في مسائل العمل او في دنيا السياسة .. وكان يسكن اليها اذا اضناه التعب ، وكانت تبعت في نفسه الهجة اذا طاف به طائف من الغم . وكانت تفرح لقلالة . وكانت تأسى لفراقه وغيبابه .. وقد كانت تشعره بانها ليس حببها فقط بل انه فوق ذلك صاحب والصديق .. وكان احيانا يتعشيان معا في غرفتها .. وقال له اصحابه ان عمره قد عاد الى الشباب بمقدار عشرين عاما . وقد احسن بهذه العودة .. من اجل ذلك كانت صدمة قاسية له بعد ان سالت الامور سيرا تحفه السعادة حوالي سنتين ، يوم عاد - على حين غفلة - من باريس في بكرة يوم من ايام الاحاد بعد زيارة قام بها لادارته الانتخابية ، ويوم سعد الى مسكنها وفتح الباب بمفتاحه

الخاص وفي خاطره انه سوف يلغها
ثائمة في سريرها ما دام اليوم يوم
الراحة .. ولكنه اكتشف انها تتناول
لعلم الفطور في حجرة النوم وهي في
خلوة مع فتى من الفتيان لم يره من
قبل ابدا . وكان هذا الفتى يرتدي
مبازل الشيخ الجديدة !!

ودهشت (ليزيت) لمرآة وانطلقت
منها صيحة وهي تقول : من اي كهف
من الكهوف وغور من الاغوار جئت ؟
ما كنت اترقب عودك قبل صباح
غد . فاجابها بطريقة آلية : لقد
سقطت الوزارة وقد بعثوا السي
يستدعوني وعرضوا علي ان اكون
وزيرا للداخلية .. ولكن هذا القول
كان علي سبيل التعمية ليس غير ..
ثم نظر الى الفتى نظرة تشف عن
الغضب الشديد وصرخ يقول : ومن
يكون هذا الفتى ؟ وانفتح فمهسا
الواسع واشرت شفتاهي الحمراء
عن ابتسامة هي آية في الفنة وغاية
في الغرابة وقالت : انه شيعتي !
وصاح الشيخ بدوره : - او تظنني
غيبا .. اني اعرف انك شيعك !

— فعلام السؤال ان .. وكان
الشيخ رجلا واقفيا فمضى اليها
واطمها على الخد الايمن ثم على الخد
الايسر .. وصرخت الفتاة وهي تقول
يا لك من فظ غليظ القلب ! وقصد
الشيخ ناحية الفتى الذي كان يشهد
هذا المشهد العنيف النائر بشيء من
الحيرة ومد الشيخ ذراعه مشيرا —
في حركة درامية — الى الباب . وقال
اخرج !

لقد كان يخطر بالبال ان مثل تلك
النظرة المسيطرة التي اعتادها الشيخ
وهو يلوح بيديه لجمهور من دافعي
الضرائب الغاضبين . او التي تعودها
وهو يفرض سلطانه — وهو مقطب
الجبين — على حملة الاسهم الذين
تملكهم اليأس في احدى الجلسات
السبوية .. لقد كان يخطر بالبال
ان مثل تلك النظرة قد كانت خليقة
بان تجعل الفتى العاشق يسارع الى
الباب . ولكنه على العكس من ذلك قد

ظل ثابتا في مكانه — على ما كان به
من حيرة وتردد — ثم القى الفتى
بنظرة الى (ليزيت) وكأنه يستغيب
بها ويستجد ثم هز كتفيه هزة
خفيفة .. وصاح الشيخ يقول : ماذا
نتنظر ؟ اتريدني ان الجأ الى استعمال
القوة ؟

قالت الفتاة : انه لا يستطيع ان
يخرج في مباله !
— انها ليست بمباله ! انها مبالتي
انا .. !

— انه يريد ملايسه !
ونظر الشيخ حوله فالتى صنوفا
والوانا من ملابس الرجال ملقاة على
احد الكراسي في غير ترتيب ..
والقى الشيخ نظرة ازدراء على الفتى
وقال له : تستطيع ان تأخذ ملايسك
.. فالتقط الفتى ملايسه وامسك
بنعليه واسرع الى مغادرة الحجرة ..
وكان الشيخ من أوتوا موهبة كبرى
في في الخطابة . ولم يحصل استعمال
تلك الموهبة من قبل كما احسبها
اليوم فقد صارح (ليزيت) براهيه
فيها وقال لها ان هذا الواي لا ينويه
الفتى . وصور جودها وانكرها
للجميل اسوأ تصوير ، وشر كناية
فيها . فالتفت الى الفتى الذي كان يسمي
الفاحشة المشينة التي تليق ان تسمى
بها . واستمعان بجميع قوى السمع
ليشدها على ان الدنيا لم تشهد في
يوم من الايام امرأة قابلت بالخديفة
الكبرى والفتش المبين ثقة رجل آمن
بها واطمان اليها ..

ومجمل القول ان الشيخ قال كل
شيء انطق به الغضب واملته عليه
كرباؤه الجريح . وأوحى به اليه
خيبة الامل .. ولم تحاول الفتاة
ان تدافع عن نفسها . بل كانت
تستمع الى كلماته في صمت ، وترنو
بصرها الى اسفل ، وهي تفتت في
حركة آلية — الرغبة الذي حال
حضور الشيخ دون التهامه ..
والقى الشيخ نظرة غاضبة على
صفحة الطعام ثم قال : لقد كنت
مشوقا جدا الى ان تكوني اول من

يسمع عن اخباري السارة التي جئت
بها اليك فور وصولي من المحلة ..
وكنت ارجو وأمل ان اتناول الفطور
معك وانت جالسة على حافة سريرك
.. ثم اخذ يقول : ألم تتناولي فطورك
بعد ؟ سامر لك به حالا ..

قالت : لست اريد شيئا ..
— انه محض هذيان وعبث .. ان
واجبا عليك ان تحفظني بعائيتك
وانت بسبيل تحمل المسئولية
الكبرى ..

واستمدت (ليزيت) الخادم
وطلبت اليها ان تجهزها بقهوة ساخنة
فلما جاءتها بها قدمت اليها التيسخ
فلم يدقها ، ثم دهنت رغيها بالزبد
فمز كتفيه وبدا ياكل . وفي تلك
الآونة نطق ببضع كلمات يصف بها
خيابة المرأة .. وظلت هي صامتة ..
ثم قال الشيخ : ومهما يكن من شيء
فانه مما يذكر لك بالخير انه لم تحاولي
الاستدثار عن فعلتك كما تفعل مسن
اوتيت الراحة والصفاء .. وانك
لتعرفين اني لست بالرجل الذي يساء
اليه من يظفر اسمه للنجاة مسن
العقاب .. وكما انني اقبل روح
المساء والكرم عند ما يحسن الناس
الي ، فاني لا اعرف الرحمة يوم
ينالوني بالمساءة .. وفي اللحظة
التي افرغ فيها من تناول قهووتي
سوف ابارح هذا المكان الى غريجة
.. وتنهت الفتاة ، واستأنف الشيخ
حديثه فقال : سانبئك الان بنبا ما
اعدته لك من مفاجاة ، فانا قد قدمت
العزم على ان احفل بالذكرى الثانية
لقيام الصلة بيننا . وذلك بان اهدي
اليك مقدارا من المال يكفيك للعيش
ميشا بكل من الاستقلال اذا لم
يبي حادث من الحادثات .. قالت
الفتاة : وقد بدا عليها الاكتئاب : وما
مقدار ذلك المال ؟

— انه مليون فرنك .. وتنهت
الفتاة مرة اخرى .. وعلى حين غفلة
وقع شيء على مؤخر رأس الشيخ
فنهض من فوره وصرخ يقول : ما
هذا ؟ قالت الفتاة : ان الفتى يعيد

اليك مبادلك التي كان يرتديها .. !
وكان الفتى في تلك اللحظة قد القى
بالتياب فوق رأس الشيخ وأسرع
بغلق الباب . وتخلص الشيخ من
السراريول الحريرية التي طوقت جيده
وقال : يا لها من طريقة سخيفة في
ارجاع الثياب ! انه يبدو ان صاحب
فتى لم يزل من التهذيب شيئا ..
فتمتمت (ليزيت) وهي تقول :
بالطبع انه ليس له مكانك المتمايزة
.. وقال الشيخ : وهل له مثل ذكائي
وعقلي ؟

— بالطبع لا !

— وهل غنى هو ؟

— انه مفلس !

— اذن ما الذي اعجبك به فيه ؟
فابتسمت الفتاة وقالت : انه شرخ
الشباب !!

وتدلى الشيخ بصره الى صفحة
الطعام وترقرقت في عينه دموعه .
ثم جرت الى خده ثم الى القهوة التي
كان يحتسيها . ونظرت اليه الفتاة
نظرة اشفاق وقالت : يا صديقي
المسكين ان المرء لا يستطيع ان يظفر
بكل شيء في هذه الدنيا .. !

قال الشيخ : لقد كنت اعرف
اني لست بالفتى الذي يرفل في
ثوب من غضارة الشباب ونضارته
ولكني كنت اظن ان مكاني بين الناس
وان ثرائي الضخم وحيويتي القوية
تقوم بعملية التعويض .. ان من
النساء من يحبين رجالا في سنن
معينة ! ان هناك ممثلات شهيرات
يحبن ان لوانا من الوان التشريف
يضعي عليهن اذا اصبحن سدقات
صغيرات لوزير من الوزراء .. اني
لاعرف اني قد تبينت في وجهك
صورة الميت الذي خرجت منه .
وانك على التحقيق لست اكثر من
عارضة ازياء تملكك انا من مسكن
متواضع جدا الى حيث تقيمين . وان
اتصالي بك كان فيه اعلاء لسانك
وارتفاع بقدرك ..

قالت الفتاة : لقد انجني ابوان
فقيران — ما في ذلك شك — ولكنهما

كانا من ذوي الشرف والنزاهة .
فليس هناك من سبب يدعوني الى
الخجل من اصل منيتي .. ولا حق
لك في زجري وتانيبي من اجل اني
كنت اكسب قوت يومي من احترافي
لعرض الازياء . ومن اني كنت اعيش
في بيئة متواضعة ..

قال الشيخ : وهل تحبين هذا
الفتى ؟

— نعم !

— ولا تحبينني انا ؟

— بل احبك انت ايضا .. انسي
احبكما معا . ولكن الحبين مختلفان .
فانا احبك لانك رجل غايه في التمايز
ولان حديثك مفيد ممتع .. وانما
احبك لانك تحنو وتسحو .. وانما
احب الفتى لان عينيه دمعجوان
وشعره متمواج ولانه يجيد الرقص
كل الاجادة .. والامرآن — كما ترى
طبعيان وان كانا يلدوان جيد
مختلفين ..

قال الشيخ : ان تعرفين ان رجلا
في مثل مقامي الاجتماعي لا يستطيع
ان يقودك الى حيث يروق
الاصول .. ولعله يوم يصبح فتاك
في مثل منيتي سيكون شعره واسمه
اقل من شعري انا الان ..

قالت الفتاة : قد يكون هذا القول
صحيحا . ولكني لا اظنه بالشيء
المهم ..

— وماذا تقول عمتك — السيدة
الاحترمة الموقرة اذا سمعت بفعلتك
التي فعلت ؟

— ان يكون هذا امرا مستغربا
لديها !

— اتريدين ان تقولي ان السيدات
الفضليات يؤدبنك في سيرتك هذه ؟
اذن فالي اي زمن ترجع هذه العلاقة ؟
— منذ ان خطوت الخطوة الاولى
الى معرض الازياء .. فهو يعمل
مندوبا منتقلا لتجر كبير من متاجر
الحرير في مدينة ليون . وجاءنا ذات
يوم بالعينات .. واعجب لكانا
بصاحبه وبودلت النظرات ..

— ولكن هل كانت هناك عمتك
لتدرا اخطار المالك التي تتعرض لها
فتاة صغيرة مثلك في باريس ؟ لو انها
كانت حاضرة امرك لما سمحت لك
مطلقا بان تقوم اية صلة بينك وبين
هذا الفتى ..

— لم اشاورها في الامر ..

— ان في عمك هذا ما يعضي
بشعر ابيك الاثنيب الى القبر .. الم
يخطر ببالك ان ذلك البطل الجريح
وما اذاه لبلده من خدمات قد كوفئ
بان اجيز له الاجتار في الدخان ؟
وهل نسيت ان « مصلحة التجارة في
الدخان » تقع تحت اشراف بوصفي
وزيرا للدخالية ؟ واني لسن اكون
منجاوزا حقوقني اذا انا استرجعت
الترخيص الممنوح لوالدك بسبب ما
انت عليه من خلق ذميم ؟

— اعرف انك وانت السيد الماجد
ان تاتي امرا شائنا كالذي وصفت ..
— لا تخافي فلن اتحدرد يوما الى
درك الانتقام من رجل استحق —
بجدها — تقدير بلاده بسبب ذنوب
اقترونها مخلوقة تحتم علي كرامتي
ان اذريها ..

ولم تكلم (ليزيت) وساد بينهما
الصمت .. ثم بدا الشيخ يحس
بالاسى من اجل نفسه اكثر منه
بالغضب عليها . واخذ يفكر — وقد
تولاه تجاهل غريب لقلب المرأة — في
ان يشر في نفس الفتاة حاسة الندم
وذلك بتصوير نفسه في صورة شيء
يستحق الاشفاق ويقول : ان من
المسير على المرء ان يتنزع من نفسه
عادة غلب عليها .. ولقد يكون من
اسباب الغراء لي ان اجيء الى هذا
المكان كلما استطلعت ان اختلس لحظة
من اوقات مشاغلي المتعددة . فهل لك
ان تاسي من اجلي قليلا يا ليزيت ؟

— بالطبع ..

فتنهذ الشيخ تنهيدة عميقة وقال:
ما كنت اظنك قادرة على كل هذا
الخداع ..

وغاصت الفتاة في تفكير عميق
وتمتمت بقولها : انه الخداع الذي

يفيظ .. ان الرجال - من هسلده الناحية - يثرون السخريه .. انهم لا يستطيعون ان يغتفروا ذنب من يخدمهم ويضحك منهم . ذلك لانهم في غروهم قد اوقوا على الغاية .. وذلك لانهم يصفون اهتماما بالغا على اشياء لا قيمة لها ..

- هل تسميها اشياء لا قيمة لها ان اراك تتألمين الفطور مع فتى من الفتيان يرتدي ملابس ؟
- لو كان هو زوجي وكنت انت عشيقتي لرايت انت هذا امرا طبعيا لا تشوبه شائبة ..

- هذا امر واضح ذلك لانني ساعدت اكون لا محالة خادمه . ويكون شرفي قد سلم من الاذى ..
- في كلمة موجزة اقول ان ليس علي الا ان تزوجه لاصح الموقف تصحيحا كاملا ..

وظل الشيخ برهة لا يفهم شيئا وقد غم عليه الامر . ثم صحا ذكاه فادرك معنى قولها . ثم القى عليها نظرة سريعة .. وبرقت عينها الفاتنتين برقا طالا فن هو يسخرهم وبدت فوق فيها الواسع شبهة انسامة مأكرة ..

وقال الشيخ : لا تنسي انني بوصفي عضوا في مجلس الشيوخ وبحكم جميع تقاليد الحكم املك اعداء من الدعائم المسؤلة من صون الاداب ورعاية الخلق الكريم ..

- وهل ترى في هذا الامر عشا نقيلا جدا عليك ؟

- مطلقا .. ثم سالها : وهل يود الفتى الزواج منك ؟
- انه يعبدني . ولذلك فهو بالطبع يريد ان يتزوجني . واذا انا قلت له اني املك صداقا مقداره مليون فترك فيكون قد بلغ قاصية المني ..

والقى عليها الشيخ نظرة اخرى ثم قال : اذا كان الفتى يعبدك فلا بد له - دون ان يفكر في المال - من اين يكون الى جانبك دائما ..
- الم اقل لك انه تاجر متجول

وانه لا يستطيع المجيء الى باريس الا في نهاية الاسبوع ؟

- انه بالطبع حسان مختلف اللون والصبغة . وهو قد برضيه بالطبع ان يعرف اني - في فترة تفجيه - ساظر ارقبك بعين ساهره ..

- هذا امر يبعث على الرضا البالغ .. ولكي تجعل الحديث يسير في سهولة ويسر نهضت من مجلسها وجلست جلسة مريحة فوق ركبتى الشيخ فامسك بيديها وضغط عليها ضغطا رقيقا ..

- اني مفرم بك جدا (ليزيت) واني لا اود ان لا تخطئي التقدير . فهل انت واثقة انه سوف يسعدك ؟
- اظن ذلك اكبر الظن ..

- سوف اقوم بالتحقيقات المناسبة ذلك لاني لا ارضى ابدا ان تزوجني رجلا لا يكون مثاليا في خلقه . وصونا لكرامتنا جميعا ينبغي لنا ان نستوثق من حقيقة الشاب الذي نعد انفسنا لاستقباله للعيش بيننا ..

ولم تكد (ليزيت) اعتراضا اذ كانت تعرف ان الشيخ يريد ان يتم الامور وفق نظام مرتب منسق وهو الان يهيئ نفسه لتركها ..

وقال الشيخ وهو يربطها : هناك شيء اخر اريد ان تعرفه وهو انك اذا تزوجت فاني اصر على ان تتخلي عن عمالك .. ان الزوجة مكانها البيت قالت الفتاة : ساكون يا جيبسي عند رغبتك ! ..

وكانت نتائج البحث مرضية . وتم الزواج في صباح يوم سبت فسود اتمام الامور الشكلية .. وكان شاهدا العقد الشيخ وعمه الفتاة . وكان العريس فتى نحىلا له عينا دمعجان وشعر متموج يصفه الى وراء .. وهو يبدو وكأنه لاعب من لاعبي كرة التنس .. وخبط في حفل القران عمدة البلد خطبة حاول فيها ان يكون خطيبا بارعا وذلك تكريما لوزير الداخلية الذي شرف الحفل بحضوره وذلك وفقا للتقاليد الفرنسية .. وكان العمدة ممن يمتون الى الادب بصله

فاعاد الى الذاكرة في كلمات موجزة سير المحبين المشهورين الذين ورد ذكرهم في القصص من امثال « روميو وجولييت » . « بول وفرجينى » . ثم هنا الزوجين السعيدين بالشرف الذي اولاهما اباه وزير الداخلية بان رضى ان يكون شاهدا من شهود العقد وقال : ان هذا العمل من جانب الشيخ الموقر يبين لنا انه يكبر من شأن الزواج المبكر ثبينا لاستقرار الاسرة . وتوكيدا للرغبة في انتاج النسل المؤدى الى زيادة القوة التي تعمل على اسعاد فرنسا ..

ثم تناول فطور الزواج في مطعم (قصر مدريد) الذي يحتفظ له الشيخ بذكريات عاطفية .. وكانت هدنة للروسين - وهو صاحب مصنع السيارات - سيارة ذات مقعدين من صنع مصنعه ..

ونهضت (ليزيت) فقبلت عمتها ثم قبلت الشيخ وهمسخت في اذنه تقول : ساكون في انتظارك في اصيل يوم الاثنين ..
- ساكون هناك ..

وامتنى العروسان سيارتهما . وظل الشيخ وظلت عمه الفتاة برهة ينظران الى العربة الصغيرة الصفراء .. وقالت العمه : اني اكون سعيدة مقبلة ما دام يسعدنا ..

وقال الشيخ - وهو يضغط على مخارج الحروف - اذا لم يجعلها سعيدة فسوف يكون لي معه حساب . وودع الشيخ العمه وهو يقول :

الى لقاء قريب يا سيدتي العزيزة . سوف تجدني الاوتوبس في الشارع المجاور .. ثم امتنى عربته وتهدد تنهيدة الرضا وقد اخذ يفكر في شؤون الدولة التي تترقب عنايته واهتمامه .. وكان واضحا ان من الخير له ان تكون محظيته امراة محترمة ذات زوج بدلا من ان تكون عارضة ازياء في متجر من متاجر الازياء ..

الطاهرة مبارك ابراهيم

مكتبة الاديب



القاموس الاسلامي

الدين الابوي ، وعيد المندمين . وفي مجال المؤلفات التاريخية : له الهاربون ، والجيش الفاج ، والحقائق والوثائق عن ثورة مصر .. وعيننا هنا بصفة خاصة ان تقدم هذا الباحث في مجاله الكبير ، مجال الموسوعات وذلك بمناسبة ظهور موسوعته الجديدة القاموس الاسلامي التي ضمنها تعريفاً بمصطلحات الفكر الاسلامي ومعالم الحضارة الاسلامية وتاريخ الدول الاسلامية وتراجم الاعلام والمشاهير مع التعريف بشهر المؤلفات في المكتبة العربية والاسلامية .

ويضم هذا القسم الاول اكثر من ألفي مادة ، والقسم الثاني في الطريق الى قرأته ..

ونحن نعلم ان هناك دائرة المعارف الاسلامية التي ما تزال لجنتها في القاهرة منذ سنة ١٩٣٢ تواصل ربحتها ولا تصل بعد الى حرف (ش) في جهد متكور ولكنه طويل ، ربما كان مضياعاً حيث ظهرت دوائر معارف اسلامية جديدة ، فضلاً عما اُخذ عليها من نقض واخطاء والتراخيات .

من اجل هذا كانت الحاجة ماسة الى موسوعة مفهومة عن الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية للتعريف بهذا التراث الانساني الذي عاش من الزمان اربعة عشر قرناً ، وشيخ الاسلام عطية الله الى المحاولات التي سبقته ، فشكرها ، ولكنه لا يستطيع ان ينكر ان بعضها كان فاصراً عن تحقيق روح الغرض وجوهر الغاية التي تستهدفها موسوعة اسلامية تعرف وبخف وبعد للقراري مدلولات ومعاني الاصطلاحات التي يلتقي بها في دراساته وقرائنه ، فاذا قبل ان هناك مؤلفات كثيرة في هذا المجال كان من رأي صاحب الموسوعة : ان الفائدة لا تنبثق منها الا للخامسة من القراء المتمكنين من هذه الدراسات فضلاً عن ان اهميات هذه المؤلفات قد وضعت في عصر غير هذا العصر فهي تحتاج الى اعادة نظر في صياغتها والتي يجدد مادتها ، وعنده ان أشد ما يؤخذ على هذه المؤلفات المجهضة انها لا تحيط بشئ نواحي التراث الاسلامي ، فهي اما ان تكون مبنية بأبادة اللقوة او الفقهية او العقائدية ، واما ان تكون مغلفة بالتاريخ الاسلامي الى عصر المؤلف ، او بتراجم اعلام الفناء والعلماء والادباء ورجال الحكم والحرب والسياسة ، او باسماء الامكنة وما إليها . وقد راجع المؤلف كل الاعمال التي سبقته وحاول ان يكون عمله جديداً وناقها ، وكان من رأيه ان الحاجة ملحة الى معجم

تسعى مادته بحيث يشمل مصطلحات التراث الاسلامي من اعلام ومسميات ويصنيف حيزه بحيث لا تتعاضد مجلداته الى الحد الذي يحرم كثيرين من الحصول عليه او يقلل عنهم استعماله ومن هذا جاء هذا القاموس الذي غنى بمختلف آثار العالم الاسلامي من الفصحى المشرقة الى الفصحى المغرب ، جغرافية واعلاماً وحضارة وتاريخاً ..

مع الرسوم والصور والخرائط المناسبة ، وكان عمل المؤلف السابق في قواميسه : القاموس السياسي ودائرة المعارف الحديثة واصحها ، فقد تهرس بهذا اللون من العمل واجاده وبلغ فيه مبلغ الثقة والتقدير من مختلف الباحثين .

فالذا رجعتا اليوم الى (القاموس السياسي) وهو اول اعماله في هذا الميدان وجدنا المؤلف دقيق الغاية بعناية مختلف حاجات الباحث في ميدان الحرب او السياسة او الاقتصاد ، فالذا وجد الحاجة ماسة لقاموس اعاد طبعه وازاد اليه (خلال الحرب العالمية ١٩٣٢) فصار جديداً تحت عنوان (قاموس الشؤون الجارية) وقد جملة منفصلاً ، حتى اذا ما استقرت شؤون العالم بعد ذلك مزج مع الاصناف الاخرى وذلك حيلة نافعة حتى لا تتأثر حقائق التاريخ الرئيسية بأحداث العاصف المتذبذبة .

وتضع احمد عطية الله - ٦٦٨ صفحة - مكتبة النهضة بالقاهرة - مطبعة (١)

اعتمد ان النهضة الفكرية في العالم العربي اليوم احوج ما تكون لدى المراجع الدقيقة السريعة ، وذلك بعد ان تعددت مطالب الحياة وتنوعت اساليبها وتشعبت بحيث لم يعد هناك من الوقت ما يسمح للكثيرين بمراجعة الاسفار الطويلة ، فنحن نعيش في عصر السرعة ، بل السرعة الخاطفة ..

وقد فهم الاستاذ احمد عطية الله هذا الغرض منذ سنوات طويلة ، منذ عام ١٩٤١ ، وهو منذ ذلك التاريخ الى اليوم يعمل في هذا المجال على نحو يلفت النظر حقاً ، ويدفع الباحث الى المراجعة والاستنباط . ففي خلال نصف وعشرين عاماً اصدر هذا الباحث خمسة قواميس متنوعة الاجسام والموضوعات ، كان هدفه منها تعريب المعلومات المختلطة التي الباحث التمتع والى الصحفيين والكتاب بنوع خاص في ميادين متعددة في مجال السياسة والوطنية والاسلاميات والمعلومات العامة .

ولقد عمل في هذا الميدان منذ وقت بعيد الا ان لا يستطيع ان ننسى جهدهم وفي مقدمتهم البستاني وفريد وجيه ودائرة البستاني لمسا تكتمل حتى اليوم والدكتور فؤاد افرام السبكي قد اجدد في نفسه عهداً بانعامها وما اظن ان جديداً قد اضيف حتى الآن ، وهي بالاضافة الى دائرة فريد وجيه التي ظهرت قبل الثلاثينات من هذا القرن ، قد بمدنا عن مجال المعلومات المديرة التي تتجدد كل يوم في كل مجال خاصة مجال العلم وفنوح الكشوف والاكتراعات ، ولذلك فاننا نثلثت من حولنا فلا نجد الا مشروعات لدوائر معارف وموسوعات لعديد منها ، عن هيئات حكومية في مختلف انحاء العالم العربي ، ولكننا ما زلنا نؤمن بالجهود الفردية ، اذا صدقت الثبوت وتوفرت الامكانيات والاستاذ عطية الله رجل ذو روح منتم ، اتبع له منذ مطلع حياته ان يسافر الى اوروبا وان يقضي بها سنوات طويلة ليحصل على عديد من الدرجات في التاريخ وعلم النفس من جامعة لندن ، ثم هو منذ عاد الى مصر يواصل العمل في مجالاته الفكرية المختلفة ، ففي الصحافة والكتابة والتأليف له عشرات من الكتب الابنية المكدومة ، وله سلسلة من سلاسل الاعلام قدم عشرات من الشخصيات وادى اهتماما كبيراً للشباب والاطفال فقدم ٣٢ كتاباً وقصة تأليف وترجمة وطبع مجلة للاطفال ما تزال حتى الآن مرجعاً لكل من يكتسب في هذا الفن ، وهو واحد من ثلاثة قدموا هذا الفن الى الادب العربي : كامل كيلاني واحمد عطية الله وسعيد الريان .. وله مؤلفات في علم النفس والتربية درس فيها نظريات متعددة وهي تقيم التاميم ، والذاكرة والنسيان ، وسيكولوجية الفصحى ، واللطف والشد ، وله مؤلفات في الرحلات . وكتب عن لندن وبرلين وله : يوم في باريس ، وعلى الدانوب وحدث في باريس ، فضلاً عن تراجمه عن محمد عليه السلام ، والسلطان عبد العزيز ، وهارون الرشيد ، وصالح

الحياة الأدبية في ليبيا (الشعر)

تأليف الدكتور محمد طه الحاجري - ١٨٠ صفحة - حجم كبير -
منشورات معد الدراسات العربية العالية بالقاهرة - مطابع دار
النشر للجامعات المصرية

الاستاذ الدكتور محمد طه الحاجري استاذ الادب العربي بجامعة
الاسكندرية قدس نفسى بضع سنوات في الجامعة الليبية كاستاذ بكلية الآداب
بها وقد أبحاث له هذه السنوات فرصة دراسة الحياة الأدبية في
ليبيا ماضيا وحاضرا عن قرب كما يستر له مهمة الإطلاع على كثير
من الراجع والمؤلفات التي سجلت جوابا مختلفا من هذه الحياة فضلا
غرو حينما يعود إلى أرض الوطن ويبدى إلى إلقاء محاضرات على طلبة
عهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة إن يكون
موضوعه المفضل (الحياة الأدبية في ليبيا - الشعر) . ولعل الأستاذ
الدكتور بعدم في سنوات قادمة إلى إعداد دراسة أخرى عن الشعر وفاء
بحق هذا الفرع الهام من فروع الأدب ووفاء بحق الحياة الأدبية في
ليبيا ذاتها .

يبدأ الكتاب بمقدمة قصيرة يقرر فيها المؤلف حقيقة هامة قد تبدو
غريبة لدى الكثيرين (يعتبر قيام السنوسية في ليبيا مبدأ تاريخيا
الحديث - وكذلك هو مبدأ الحياة الأدبية الحديثة فيها ...)
ويقسم المؤلف هذه الحياة إلى مراحل ثلاث :
الأولى : مرحلة العهد السنوسي الأول منذ قيام السنوسية حتى
الغزو الإيطالي .
الثانية : مرحلة الاستعمار الإيطالي .
الثالثة : مرحلة ما بعد هذا الاستعمار منذ سقوط الحكم الإيطالي
حتى اليوم .

ووجه الغريبة فيما تقدم أن تاريخ الحركة السنوسية يكاد يكون
مجهول في العالم العربي إلا من بعض مواقف خاصة بكلمة الاستعمار
الإيطالي في حقبة ما قبل الحربين العالمية الأولى والثانية ويشعر المؤلف
بمعي الشغوى الذي يحيط بهذه الدعوة وعلى الأخص في مراحلها الأولى
فيقول ما يعنى : « ذلك التاريخ بالقرن الذي يسمح به منهج الدراسة
الأدبية .

في القسم الأول من الكتاب وهو الذي خصصه المؤلف للفترة الأولى
يعرفك المؤلف بصاحب الدعوة السنوسية السيد محمد بن علي السنوسي
وبين لك كيف أن حياته تقع في أربع مراحل تبدأ في مسقط رأسه
ومرارة ومنشأه في الجزائر والمغرب ونهته في ليبيا وتنقل فيما بين
ذلك بين بلاد السودان والمغرب الأدنى ومصر والحجاز واليمن .

وبعد أن ينتهي المؤلف من عرض حياة صاحب الدعوة ومنشأها ينفذ
قليلًا ليقربنا (النهضة الحديثة التي أبحث للشعوب الإسلامية في
القرن التاسع عشر كانت تقوم على عاملين رئيسيين : أحدهما الإنقاذ نحو
القديم ومراجعتها وحياتها والآخر تآثر بالحياة الأوروبية في مناهج
وتفكيرها وأنماط سلوكها وكان أمر هذين العاملين متفاوتا بين الشعوب كما
كان متفاوتا في ميادين النهضة المختلفة بإقياس إلى الشعب الواحد) ..
وتسأل بعد ذلك : ما هو موقف النهضة الليبية من هذين العاملين
في نشأتها وتطورها ؟ ويجب على ذلك بأن أربط هذه النهضة باليدواة
كان من الطبيعي أن ينأى بها عن العامل الثاني وأنها كانت تقوم على
أحياء القديم وذلك بالرجوع إلى التراث الدينية الأولى والمصادر الأصلية
للإسلام ومن خلال القسم الأول للكتاب تعرف أن كان في ليبيا أكثر من
بيئة علمية كان فيها الزوايا التي أنشأها السنوسية وجعلت منها مراكز
دينية وثقافية وكان فيها الحفلات التي تمتد في المساجد تلقى فيها
دروس الفقه ونقرأ فيها كتب التفسير والحديث وما إلى ذلك وكان فيها
المدارس النظامية التي أنشئت في العهد التركي الآخر كما كان فيها إلى

وفي قاموسه هذا يقدم رؤساء الدول والنظم الحكم وعواصم العالم
وتعداد سكانها ومدن العالم الكبرى والمعلمة في العالم وميزاتها الدول
ووزاراتها وصناعاتها والديون الدولية والأساطيل التجارية ومواصلات
العالم البحرية ونسبة المواليد والوفيات في العالم وإنتاج العالم للمواد
النفطية ويوجه للعالم العربي نبذة خاصة . ويضم إلى ذلك الأطلسا
سبائيا مزودا بالخرائط .

فإذا انتقلنا إلى دائرة المعارف الحديثة وجدنا عملا أنبيا مربيا ، فيه
طابع العلماء وطابع رجال الفن معا ، فالاستاذ عطية الله يفسح في تقديره
أن هذا العمل يستتبع به الصحفيون والأدباء والمفكرين وحيثيات التدريس
في الجامعات والمدارس ولذلك فهو يزودنا بكل ما يستلزم من صور
ورسوم وخرائط ، وقد أعانه على هذا العمل أنه كان مسدرا لتحتف
التعليم ، فترة من الزمن ، مما هيا له جوا علميا في العمل لم يتوافر
له من بعد عندما عمل مديرا لمكتب البعثات التعليمية في النصارى وملحقا
تقنيا بالمشارة المصرية بليبيا ولكنه كان في خلال هذه المراحل مسن
حياته العملية الرجل المشهود له بالخبرة والبراعة وأخشى أن الفصول
الصراخية في أداء الواجب كاملا وعلى النحو الذي يحقق أحسن النتائج
ولقد أصبح لنا أن نعمل معا في مجال الطبعات الفكرية والسياسية
سنوات ١٩٥٢ و ١٩٥٤ وفي برنامج صوت الشباب في الإذاعة المصرية ،
فكان مثلا من أمثلة العالم الموفق الذي لا يقبل شيئا إلا بعد مراجعة
دقيقة وفحص علمي واف ، وما زلت أذكر كيف كان يعمل هو الساعات
الطويلة في مراجعات طويلة حتى يخرج العمل أشد ما يكون كاملا ووفوا
ولعل هذا يرجع إلى طابع الصمد وطابع أسوان بالذات . فكلما تعرف
العقاد جاره وابن بلده ، فإذا اخضنا إلى ذلك كفاحه المتصل في مجال
العلم سنوات طويلة ، واصلاته بالوسط الباحثين والعلماء في جامع
لندن ، وعمله في مجال الصحافة المصرية والتعليم ودراسة الصحافة
وأدارة الشباب ومرافيات نشر الثقافة والطبوعات ومنهج التعليم خلال
حياة خصية ما تزال عامرة بالعمل الدائب « فترى هذا الحقيقة السنوسية
التي نأخذ خطأ واضحا ما أعلن ان نهضةها »

ولقد عني الأستاذ عطية الله بالسوسنة الإسلامية منذ ظهر المؤتمر
الإسلامي وزاد من اهتمامه بها عندما عين مستشارا لمعهد الدراسات
الإسلامية بالقاهرة ، وما زلت نتظلم منه عادة طبع دائرة المعارف الحديثة
وقد مضى عليها اثنا عشر عاما ، وقد احتفلنا بها في جريدة الزمان
بكلمة تحية في (أبريل ١٩٥٢ جاء فيها : « عك الأستاذ عطية الله
من وقت طويل على دراسة دوائر المعارف الفرنسية والإنجليزية
والأمريكية واستخلص من لبائها الذي صدد في شرات الأجزاء عمسلا
قويا ناعما ، أصاف إليه من بلادنا وترائنا الشيء الكثير . ولقد كنت
أزور الأستاذ عطية الله فاجده في أي وقت ، من الصباح أو المساء
عاكفا على مراجعته المنسجمة بعادوه ويستخلص منها بنوده التي ضمنها
دائرة معارف فلم يبق اليوم عاكفا ، فادعشتي هذا الإكباب وهذا
التجرد لبحثه ، وهذا الانصراف عن بنيه والولادة ومشاغله الخاصة
واسمائه بامر راحته في سبيل العمل وقد استطاع بذلك أن يقدم
خدمة جليلة للكر الحديث ما أعلن أن جيلنا المعاصر يستلزم أن يتفردوا
حق قدرها أو يجزيه بها » .

واليوم وبعد ١٤ عاما أعود فأقول أن أحمد عطية الله بكفيه أنه وضع
اسمه بين الخالدين من مؤلفي الموسوعات وأنه الآن أو بقل (البستاني
ووجدي وعطية الله) في العالم العربي ليكني ، أما الجزء الثاني فمما
أقته بطلع إليه ولو كان من ربائيه لوج مجده إلى المجالات التي تسد
الآلوف وهو القادر على أن يحسن كل ما يعمل ، في أي ميدان .

القاهرة
أنور الجندي

جانب ذلك بعض المدارس التي اتشاهها الايطاليون في بعض طرابلس. ويتنقل مع المؤلف بعد ذلك في رياضي الشعر الليبي في مراحل نهضته المختلفة وهو اساسا موضوع البحث ويبدأ بقصيدة منسوبة الى مؤسس النهضة نفسه السيد محمد بن علي .

يقول في مطلعها :

الا انما الدنيا غصارة ايكسة اذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار : ما الامال الا ايجالاع طينا ولا الملات الا العطالاب
وما هذه الاولاد والمسال والنسب لدينا ولا الاسال (٢) الا المصالب
فلا تنكحل ميثاق يوما بعبرة على ذاهب منها فالتك ذاهب
ومن شعراء المرحلة الاولى الذين عاصروا صاحب الدعوة فاتح الظاهري
الذي قدم الحجاز مع استاذة سنة ١٨٤٢ م ويشير المؤلف الى ان معظم
شعر فاتح قد ضاع شاته في ذلك شأن غيره من اثار هذه المرحلة لكن ما
بقي منه يدل على شاعريته صادقة وقدرته على صياغة الشعر صياغة
عربية جزلة ويندل المؤلف على ذلك بآيات من قصيدة له في العتير
سرى بها من الحجاز الى ليبيا .

بعت طيقكم ليلا فما ناء في المرى على بعد ما بين الجفائيب والحمر
عجبت له ابي اهدت لي وبيننا مهامه يتبو الوهم عن جعلها مسرى
احبابنا والله ما غير التسوى ودأوى ولا اخلت بلادي لكم ذكرا
اخشى اريج الجريسة اذا سرت وان اضرمت في القلب من كرم جعرا
ويبدأ المؤلف الحديث عن المرحلة الثانية بسطور باكية دامية عن
الاستعداد الوطني الذي وقع من ايطاليا على الشعب الليبي في خريف
سنة ١٩١١ ويرد وصف الحياة الادبية في هذه المرحلة - مرحلة الاستعمار
الايطالي ، الى ان الشاعر او الاديب عامة كان بين امرين اما ان يتلقى
السلطات الاستعمارية فيقول الشعر في نهجيتها والامادة بها او يدع
الفصول في بربر اخطائها واما ان يسكت سكوت الصبي العاجز حتى
لا يعرف عنه انه شاعر او ادب وحتي لا يتعرض لهذه السلطات ويهدد
في حياته او ازداقه .

وقد اضطر بعض شعراء العصر تحت ضغط التلويح الى منح القذلة
الليبية وزعيمها موسوليني لكن الشاعر منهم ما يكاد يطلق الى نفسه
حتى يحس بوخز الضمير يقضي مضجعه فيبرر نفسه بانه انا كسان
بدهان ويمالي لانه لا يملك الا ذلك ولكن قلبه يمتلئ بخلد وكراهية
لجلاذه .

والعجيب ان هذا الصراع الذي دار في اعماق كثير من الشعراء في
ذلك الوقت ظهر بصورة جلية في بعض قصائدهم ومن ذلك قصيدة
لشاعر محمد الهنقاري يقول فيها :

تكلت مدحا للثيم ولم اكسن مواليه والله يدري دخائلي
مدحت لثيم النفس لا عن محبة ولكنه الميؤوف عند الامائل
ركبت الذي يخفى على الناسره ونفسره قول لبعض الافاضل
اذا ما يد عزت عليك نالهاه يقطع قفيلها وذا فصل ماعقل
ركبت ذنوبا في مديحي وربما اجاب اليها نوبتي عن رسائلي
فقلت قولا من عصيري وانما بالكفني الخنزير سر الفصائل
يكفني ان تصدح النشاة ذلهاه وتسكره ان ناهيا بالمخائيل
الا فبح الله الوليفة انها تكلثني اطراء اهل الرذائل
وفي بداية الحديث عن المرحلة الثالثة وهي المرحلة التي تلت هزيمة
الايطاليين ببرز المؤلف اهمية الدور الذي لعبته جمعية نهج المختار التي
انشئت في مدينة بنغازي في شهر ابريل ١٩٤٢ وكانت تضم مجموعة
من الشبان التحصين المادين من المهجر والذين شاركوا في الحياة
المصرية بوجوهها المختلفة سياسية وثقافية ويتوثبون نحو مجد سياسي
وايدي ويحققونه لبلهم ومجموعة من الشبان الذين اعانوا الاستعمار .
ويتحدث المؤلف عن هذه الجمعية فيقول (لا يملك دارس الحياة
الادبية في ليبيا في هذه الفترة ان يغفل هذه الجمعية فان تاريخ ليبيا
في فترة الانتقال هذه مرتبط بها اوق الارتباط لا في الناحية السياسية

فحسب بل في الناحية الثقافية عامة والادبية خاصة) .

ويخلص بعد ذلك نشاطها الثقافي في اصول ثلاثة ؟ التليسم ...
الاندية .. الصحافة ويقسم المؤلف شعراء هذه المرحلة لثمين فريق
الشعراء الشيوخ الذين يطلق عليهم الشعراء المخضرمين اذ كانوا قد
ادركوا الكهولان وفريق الشعراء الشبان الذين ظهرت مواهبهم في هذه
الفترة وان كانت نشاطهم في العهد الايطالي .
ومن شعر الشاعر رفيق الهدوي وهو احد الشعراء المخضرمين اورد
المؤلف قصيدة وطنية له يقول في مطلعها :

للتعب في هذا الزمان ارادة نعلي الحقوق وتصدد الاحكاما
صارت امور الناس شوري بينهم لا يملك البالي لهم ارقاما
ومن الشعراء الشبان الذين اموا في هذه الفترة ابراهيم اوسطى
عمر ويقول المؤلف عنه (قد لا يكون هناك غيره اشرح له ان يغالب الامية
والجهالة فقلهاهم وصار من بعد شاعر افيكون ابراهيم هذا ناعا على حدة
وطرازها في هذه الفترة) .

ومن قصيدة انشأها لهذا الشاعر نلهاهم وهو في مخيم الجيش
النابلي في وادي التظرون هذه الآيات ..

ايها البليل ما هذا الجمود اين تفرسك بين الشجر
ايبت الاخان في هذا الوجود واما الدنيا نشيدا وسمر
لا نطق عما لحرب او سلام وايرك الدنيا باعليلها موج
في عراك دالم او في خسام بحث سلط البحر او فوق الفرج
يسمرن كمر كرام في طريق ما لهم منه عروج
اهن نفسي هل ترى الخر يسود فيه عدل الله ما بين البشر
او يسود الشر والدنيا تسود لحياسة ليس فيها مستقر
ويعد فلا كانت اقامة الدكتور العاجري بليبيا قد اناحت له فرصة
نايدة للانحلال باسباب النهضة ومراجعتها كما اشترنا الى بداية
الانحلال فان القارىء يشعر بعد ان يفرغ من قراءة الحياة الادبية في
ليبيا ... ان مؤلفه قد بذل جهدا ضخما في سبيل الوصول الى مادة
هذه الكتاب ولم يمتنع الانحلال المنتشرة لشعراء هذه الفترة وانه يسئل
انما جهدا اكثما صافيا ليخرج من هذه الآثار دراسة علمية متكاملة
تؤرخ لظهور هذه من تاريخ الادب العربي المعاصر وتكشف ان تاذل مكانها
عن جدارة في المؤلفات الادبية الجادة في المكتبة العربية الحديثة .

فوزي عبد القادر الميلادي
الاسكندرية

كتاب الانس

جمع : سمر شيخاني - ٦٢٢ صفحة - دار السميع للطباعة والنشر
بيروت - مطبعة (٢)

ان العرب الاقدمون يعرفون الادب انه ذاك الذي « يلم من كل فن
بطرف » . والادب في مفهوم العربي لا يقتصر على الحرف ، وانما هو
وصف لكل انسان يجمع له من الصفات النفسية وفنون القول وعروب
المعرفة ، ما يجعله قريبا الى القلوب ، يحياها الى النفوس ، كيس الشعراء
سليم اللوق . وبذلك يفرس في كل الناس بهذا المعنى ان يكونوا ادباء .
ولكن ... كيف يباح لهم ان يكونوا كذلك ؟

- الجواب عن هذا السؤال واضح انشا لدى الاقدمين : بالمشارة
والطالعة . ان الذين يعاشرون الادباء ، ويتعاملون وجوه التصرف لديهم ،
وباخذون منهم طرائق التعبير والحديث ، ويتأثرون برود الفعل عندهم
في تلقى الاحداث والرد عليها ، يصحون مع الزمن كثراتهم بقلوب على
كل فن ، وباخذون منه بطف .

والمعارشة كاطالعة . الذي تعدي بالفكر ، فيما تبث من اخيلة وصور
واحاسيس ، وللك تعدي بمجرد حصولها بين ادب وغيره ...

وقد انتهى الأستاذ سمير شيخاني من خلال معاشرته ومطالعته معا ، الى « شخصي » حي للاديب الدواقة ، واصبح « المامه » بشتى الفنون الادبية من الشمول والسعة بحيث لا يبقى بعد على الاحتفاظ بما قرأ ، وسمع ، ولا حظ ، واشتد به التوق الى مشاركة غيره باطباع ما قرأ وسمع وحلظ ، فخرج هذا الكتاب الصخم الذي يمين كل انسان ، كاننا من كان ، على ان يكون ادبياً بالعلم العربي القديم .

وشان سمير في هذا الكتاب « كتاب الاس » ، شان واحدنا حسين يسمع نكتة طريفة لا يقر له قرار الا اذا هو نقلها الى غيره ، او هو شان بحاته بلغ - هنا في مطالعته - على اشياء جديدة ، ومعان بديسة ، وصور حلوة ، فلا بهذا الا حين يشاركه غيره في اكتشافاته ، وعرض ما انتهى اليه من مغامراته في عوالم الادب ، ومجاهل النفس ، وافاق الطلاوة وهو يعرض ذلك كله على « بساط الاس » ، اي بشكل مرح ، مفرح ، ممتع .

وسمير في هذا الموقف الذي يتخذه هنا ، في هذا الكتاب ، يعبر عن اصالة عربية وعلى نحو عفوي ، كله مسحة وطوايع .

ونفسر ذلك ان احدى الشمال او الزايا الرموقة في سلم القيم العربية القديمة انما هي ان يكون الانسان « اريحياً » . والارحية واحدة من هذه الكلمات التي لا تترجم الى لغات الفرنجة ، وتبادى بها معناها على وجه الدقة ، فهي تفيد بالضبط « مشاركة الآخرين الاس » ، وتدفع صاحبها على تقدير الجمال في شتى انواعه ومظاهره ، وحمل الآخرين ايضا على ذلك التقدير . والارحي من الناس هو الذي يهش لواطن الجمال والخلق الجميل ، ويبدل من ذاته لادخال السرور على القلوب . وهذه الارحية التي تنصف بها الخلق العربي الاصيل ، نميل بصاحبها الى الاهتمام بالنكتة ، والتأدية ، واللغة الذهنية البارة ، والكلمة

اليلفة ، وتجمله مفتوناً بالكلمة في شتى صورها والوانها . وقد اوضح الأستاذ رليف خوري هذا الجانب في مظاهره الادبية ، اذ كتب يقول في مقدمة هذا الكتاب الممتع : « ... ففكرة الادب عند العرب ما انفصلت في يوم من عصر النرف ، ولطف النكتة ، وبراعة التأدية . وكان شرطاً اول في الادب ان يلد ويمنع . وكان يكفي ان يكون شخص كفيف الروح ، تقبل الدم حتى يشك في انه ادب ، ولو اوتي القدرة على التنظيم اللين والانشاء الحكم ... »

والهزة او الظاهرة الشاملة التي تظهر على هذا الكتاب ، هي انه لا يلخص ، ولا يعرض ، ولا يصح التكمك عن بعض ما فيه ، لتصوير فكرة ، انه اداة تسليية . الافضل ان نضعه بجانبك ، حيث ننام ، او في غرفة الاستقبال ، لا في مكتبك اذا كان لديك مكتبة ، ونعود اليه بين وقت وآخر .

وسمير هنا المؤلف ، بطابق اسمه مسمى كتابه ...

عبد اللطيف شارة

الضائعون

ديوان شعر - رجا سمرين - (1) صفحة - مطبعة (1)

الشعر فرع من فروع الفنون الجميلة ، كالنحت ، والرسم ، والتصوير الى اخر الفنون . غير ان الشعر يصل الى الانسان بواسطتين : البصرية والسمع . فاما ان تقرأ منتجباً له بالنظر وبحاسة البصر ، واما بطريقة السمع وهو يشهد وبكراً ، ويتهلى .

وعلى هذا يجب ان تتوفر فيه اللفظة الجميلة الموحية ، الفكرة عسب المعنى تعبيراً جميلاً ، وريقاً ، وديقاً ، كما يجب ان تتوفر فيه الموسيقى وموسيقى الشعر ركن اساسي لا يمكن الاستغناء عنه بحال من الاحوال . والموسيقى هو الفاصل الحق بين الشعر والنثر . وبدون الموسيقى لا يكون الشعر شعراً ابداً وبلا تردد . اذن فاللفظة الجميلة ، والمعنى

تسعة بسفرة مريحة وخدمة ممتازة

واقصدي في ساعات سفرك



اعطوط أجوية اليوفوسلافية
I. A. T. A. عضو
membro I. A. T. A.

سفرات متفكر على طائرات

كارافيل
الفاخرة

الى البلدان التالية:



ساحة رياض الصلح - تلفون ٣٢٤٤٠١

JAT

«رائع، المبكر والبعيد عن التكرار، والابتدال والسطحية والفراغ هو الشعر . فالعني، والمبني، والوسيطي، هي ركائز أصيلة وجدرية للشعر مع المحافظة على الوحدة القصصية للقصيدة . ومن هنا نرى « شاعري الحراء » محمد بن ابراهيم الغربي يعرف الشعر تعريفاً يعتمتي مع ما قدمناه فيقول :

الشعر ما سمعته الروح وانتشمت منه وصارت كمثل الشارب الثمل والشعر ما قد خلّي في أذن سامعه .. فيستعيده لا يخشى من المثل .
ان الشاعر العرفاني : جميل صديقي الزهاوي فقد اعتبر ان الشعر الحق هو الذي يحدث هزة عند سماعه فقال :

إذا الشعر لم بهزلك عند سماعه ... فليس حراً أن يقال له شعر .
ولماذا يقول الشاعر الشعر ؟ ولماذا ينشره على الناس مجموعا فسي ديوان او قصائد مفرقة يلقها في النوادي ، والمنتديات ، والمناسبات ؟ هل الشاعر حر في ان يقول الشعر ا ؟ لا شك ان الشاعر الحق حين يمر بتجربة حية او يمر بها ويتفعل ، او يلاحظها من بعيد فيسكون في هذه الحالة مجبرا على تصوير احساسيه وانفعاله ، ومشاعره في قالب شعري جميل . والمهم ان يكون صادقا في غرضه للتجربة ، محسبا بجوابها ، ملما بكل ما يلاص تجربته من ملاحظات وديقات . ولكن الشاعر هل يلزم ان يكون مهندسا لاستقبال قومه ، وات مواطنيه حسب ما يراه ويعتقد ام حسب ان يصور تجربته كما احسها وانفعل بها بدون ان يكون موجها واسما طريق المستقبل الجديد بدبلا من الحاضر السوء الردي ؟؟؟

في اعتقادنا ان تصوير المأساة او الحادثة تصويرا دقيقا وشاملا هو عمل ابتدائي اولي ، هو عملية كشف ، وبيان ، وتحليل . وفي الخاتمة نتحدد نوع الأرض ، ومدى خطورة . وهنا يأتي دور الشاعر الواسعي الهداف ، والشاعر بمسؤوليته تجاه مجتمعه ، وقومته ، ووطنه الواسع الكبير . فيقوم هذا الشاعر بالرحلة الثانية او النهائية وهي كيفية القضاة على الأرض جديرا . وتكون النتيجة : الشفاء الايد كخاتمة للدواء الناتج المستخدم في التطبيب والدواوة ..

خاطر لي هذه الملاحظات ان اصنع ديوان « الفضاؤون » للشاعر الفلسطيني العربي (رجا سمير) ابن النكبة ، بكية الربيع في فلسطين المنصبة الحرة والتي لا زالت تن من الألم ، ولا زلأ زمنا يتسوق بفزارة وبلا توقف . هذا الشاعر الذي عاش «الابائيات» «مبايناً قوميته الدامية فانغمس فيها حتى الإغراق ، والفعل بحياة الضياع واللاجئين والتشرد واللااستقرار وبصفة عاش حياة « الفصايح » ومن هناك لم يجد ما يسمى به ديوانه سوى « الفضاؤون » ليحييه تعبيراً صحيحا وصادقا عن فصايح عرب فلسطين ، وتتردهم . بعد ان فقدوا السدار والان في ربوعها الوارفة الظليلة . والديوان اعداد صاحبه : « الى الذين لفظتهم الحياة فهاوما في مفازها جائرين . الى ابناء وطني المتردين وسائر المعذبين في الاراضي أهدي زفرات قلب مكسوم يحاول ان يرسم للقلوب الفاضلة طريق الخلاص » . هل نجح الشاعر على مائدة المحك النقدي ، وذلك لان ارى عملية النقد مسئوليته خطيرة وليست بالسهلة ولا البهينة . ولهاذا سافر على قصائد الدبوا ملاحظا ومعتبرا اشارات خفيفة . والان الى الديوان :

اول قصائد الديوان « الفضاؤون » بدأها بنداء تنبيه وافافة بطريقة خطافية بالغة الحساسية :
الا يا الفضاؤون الغفلة ، افيقوا ، افيقوا ، فكلمك سياات ارى الاقلاق قد غص بالثائرين ، لتبل الحقوق ، وسحق الطغاة بين الشاعر في هذه القصيدة حالة الفصايح التي يعاينها عرب فلسطين ملاحظا الفرق الشاسع والبعيد بين حالة العرب الذين اخلدوا الى النوم، والاحلام ، والكسل ، والغفول ، يتخيلون جنان التعميم ، ونعيم الآخرة المآلفة عوضا عن مذابات الحياة الدنيا ، دار الشقاء ، والقنطرة التي يمر بها الصابرون مرود الكرام الى دار التعميم القيم ، حيث الجنسية

الدائمة والتعميم المستمر الى ما لا نهاية كما صور حياة الآخرين الجذيين الذين يستغلون حياهم لغفلة حياهم ويمون من التعميم اكوابها عاشرين الحياة لما فيها من متع ، وملذات ، وراحة بال . ويشير الشاعر الى دور الرجعية الدينية وديعاتها . ودونها الحارة التي ترك ماخذ الحياة ماخذ الجذ ، والتكد ، والتحصين لانها لا تساوي جناح بومضة . وان العمل يجب ان توجه الى تحصيل نعيم الدار الاخرى . فقال ، ملغضا لسان حال الرجعية :

وان الله امسح الصابرين وان الجنان لجمع الغفلة وان القساء فلي ان يكون ، فريق ذليلا واخر عات ويصبح الشاعر في قومه مينا زيف الدعوة ، ومدافعا عن الله فدافعا حاررا فيقول في حرارة وصدق :

افيقوا فليس اله العباد ، ظلوما غشوما كما يزعمون وما ذلك الظلم من صنعه قرب العباد رحيم حسون القصيدة عمودية لا غبار عليها ، لكن الشاعر رسمها فوق الورق بطريقة تشبه الشعر الحر . وهذا يبين من عيوب الشعراء العموديين انهم يريدون ان يكون شعرهم حرا ولو لم يكن كذلك . فالشاعر يجب ان يكون شعرا سواء كان عموديا او حرا . وهذه المحاولة الخروج على القديم ولو بطريقة غير واقعية وغير مدركة محاولة باطلية فرصت الشعر العمودي في سطور قصيرة لا تجعله حرا ابدا ... وينتقل الشاعر الى قصيدة ثانية معنونة « بائي » وهي قصيدة عاطفية يقول فيها :

ذكرتك يا ام في محنتي لاحي بذكرك نورا افضل فيجتاب عني شيايب الحيا ويعيا بنفسي شعاع الامل وادعوه الله ، وتنصحه ، فينتفع بنصيحتها الثمينة فيصير الى هذه النتيجة :

لذلك صرت طفولا رحيميا يمزق قلبي آسفن الغفلة فرجت اجاعد من اجسامه واجل السلام جيوش الطغاة وان تشبه دون ذبل المرام وان تكن التي كنت ظمعتي بالاسود بلا نجاسة ويحكي الشاعر لولده « نزار » عن حالة العالم الحاضرة ، وما فيها من حقد ، واهواء ، ومطامع ، وسلب ، وازهاق ، وتقتيل ، ووحوش ، واستبداد لا اله الا في حنان :

ولدي انتبت واملء عالمنا مظالم لا تعد تتحكم الاهواء في ابنائه ويسود حقد وغشودهم نحو الدمار مطامع ليست تعد دستورهم سلب وازهاق وتقتيل وفيد

يظني القوي على الغفلة ويدي الاخلاص وفد ويفعل بصرح بالمعدلة وهو وحش مستبد ويلغص الشاعر لولده قصة الوطن السليب ، قصة المساساة الزرودة المدمرة ، قصة الفصايح ، والتشريد ، قصة الحق المطارد من قبل جحافل الباطل الهائج فيقول :

اما سلال يا نزار فان قصتها عجيبة .. هي قصة الحق الذي قد اسع الدنيا نجيه .. هي قصة الفدر الخسيس وقصة البش الطرهيبة هي قصة التشريد والتشريد وقصة الارض السلبية فادع الرفاق اذا كبرت ليجمعوا منها الحبيبة وتلجوا الصفحات في تاريخها ليدو قشبية وبعد ان قص ، وحكي لانه حكاية فلسطين المقتضية يوصيه بأن يجعل خاتمة الجهاد والكفاح الدعوة الى العمل ، والسلام ، والمحبة ، والاخاء الانساني العام :

فاذا ادعت مع الرفاق حوفها بمد الجهاد وبعثت فاول الشر عاربة مروعفة اللؤاد

وانهارت النظم التي قامت على أسس الفساد
ونهم الصرح الذي قد شيد من جثث العباد
وطيارات اجساد من خانوا كذرات الرصاص
فاجمل نداء للسلام وللعدالة والسوداد
وفي « نداء الثار » يصرخ الشاعر مدعماً :

دماء الحقد تغلي في عروقي
ويهدف صارخا في كل وقت
الام رضا الهوان وانت حسر
ويذكر الشاعر التريد العربي بعافيه الزاوي قبل النكبة قائلا في
طريقة استهلامية استنكاوية مثيرة وداهية :

انسى عيشك الزاوي وعهدا
وامالا واحلاما غدايبا
وترضى بالعيشة في خيام
تجرع من كؤوس الملل صابيا
وتحيا كالسوام على فسات
ويختر في عظامك كسل داء
وبفك في بنبك الجهل فكسا
جهنم لا تسويه عواما ؟

الحقيقة ان القصيدة تصور حياة اللاجئين اصدق تصوير ، ان مأساة
العرب الفلسطينيين اكبر من الشعر .. ولا يستطيع ان يبينها على حقيقتها
مهما برع الشاعر في نظمه للتجربة المؤلمة الدامية المفعمة .
وهناك عيب لاحقته على الشاعر وهو انه يخالف بين خاتمة صدر
القصيدة وبين خاتمة عجزها .. والواقع ان هذا العيب ليس منحصرا
في كونه مخالفة للقدماء ، بل ان الالان الوسيقية تتطلب ذلك التوافق
في مفتتح القصيدة فامرو القيسي يقول :

فما بك من ذكرى حبيب ومزمل
بسقت اللوى بين التخلول فحول

وذهب بن ابي سلمى يقول :

امن ام اوفى مدسنة لم يتكلم
بعومانة الدراج فالشلم

والشبي شاعر العربية الاصيل يقول :

عبد يابسة حال عدت يا عبيد
بما مضى ام لاسر فك جديدي ؟

اما شاعرنا فقد قال في مفتتح قصيدته « للثائر » :

دماء الحقد تغلي في عروقي
وفي عقيدتي يجب ان لا تخالف ما هو مهود ومنع الا اذا كانت

المخالفة تخدم ادبنا فنيا . اما اذا كانت المخالفة مجرد الخروج عن
الانواف او كان ذلك بدون وعي ، فهذا ما لا نرضاه ابدا .. وبخاطب

شاعرنا « خيام اللاجئين » قائلا :

وصمة انت في جبين الدهور
يا خياما في القفر مثل القبور

يا نساخ الانعام يا سبة التاريخ
والناس في جميع العصور ..

ويشتمل الشاعر الى وصف « ربيع الالاه » فيقول :

ربيبي حين ارجع للديار
ربيبي حين لا جوع لفين

ربيبي حين لا دماء غار
بطوح بالكبار والصفار

وهذه القصيدة في مجموعها تمر عن نزعته انسانية فياضة متسمة ،
ورحية .. وفي « تشييد الخلاص » يتكلم الشاعر عن مهزلة الأسلحة

الفاصلة التي زود بها جيشنا العربي المصري سنة ١٩٤٨ ، والذي دمر
مستعمليه . ولم يدمر اعدائهم . وفي هذه القصيدة يقول على لسان

الجندي العربي المقدور :

سأجمع اشلالا وامضي ميمما
الى العسرة الشقاء في همه التمر

انا الحق مهما حاول اليبي عدمه
سبيئي مكينا مثل طود من الصخر

الى ان يقول في تغافل اخضر بانتصار مؤزر قريب ، انهم يرونه بعيدا
ونزاه قريبا :

سيزيغ فجري رغم ما جمع العدا
سيزيغ فجري رغم من خاتني ومن
سيزيغ فجري حيث يمشى فيباضه
لقد سجل التاريخ عنهم حكاية
وفي « قصة حمراء » يقول الشاعر انه « كان يقف في احدى محطات
الترام في القاهرة ، فاذا بفتاة في ريعان الشباب تقبل عليه ولسان
حالها يقول : هل لك ان تستمع ليلا بهذا الجمال ؟ ففرغ من لهجتها
انها فلسطينية لاينة فاطمها انه لاجيه مثلها ، فافترقا وفي عيني كل
منهما دموع » فناداهما الشاعر مبيها لها وجهة نظره من الناحية
الاجتماعية قائلا :

اختاء لا تبكي فانك لست في عرقي اليمه
اسا لا الومك ان رايتك في دروب الفاشرة
تمشين مائبة الخطي ، ليقال هذي عاهرة
وتساومين ثياب مصر على الليالي الفاجرة
فسواد كم حسنة ذلت للظروف الجسارة
وباني الشاعر للقاهرة ليتعلم في معاهدها ، وليتخرج من كلية اللغة
العربية بالاذخر الشريف ثم يعود لوطنه الحالي « الاردن » فيخاطبها قائلا:
كم كنت يا وطني اود بان اعود الى ريك
فراك موفور الكرامة قد نضرت على عداك
لكنتي قد عدت والاعداء تنعم في نساك
وبنود قد هاموا جاري في الفاوق والهلال

ويستعرض الشاعر الاحوال السيئة ومقارنا ماضي الوطن بخاضره في
الم وحسرة ووجع . ولكنه سرعان ما يجمع شاعرا فونه ويصح :

صبرا بلادي كتكلي كل الدموع القاتية
اسا نسفل اربا المرؤي بحرب ثائرية
نودي باجناد اليهود الى فرار الهاوية
صبرا : فان الجولة الاخرى قريبا آتية .

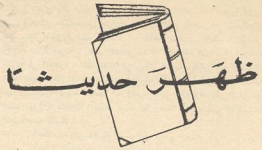
ولا ينسى شاعرنا « الجزائر » فيهدبها قصيدة يقول فيها :
يا ايها الشعب كافح لا تكل ولا
من يغضب الحق جالدا في تجادله
فليس من حجة كالبس نقضه
وهي قصيدة حماسية مثيرة فيرة ووطنية على الصعيد العربي الواسع
يشتمل عليها . واقتصر احيانا يصاب بالثائرة والبساطة المتناهية
فيخاطب الكبير في قصيدته « من انت » ؟؟

واصك مثل امي
فهذا النوع من الكلام والتراكيب بعيد عن الشعر بعدا متناهيا ...
ويحاول الشاعر ان يتغلب فينصب لنفسه واعلا ، موبيا انه محمدا
فوصاني اليك اما رايت الناس في هذه الحياة نمورا
ان ترى الكاهنير لا يقبل القيس ويستقبل العدو فخورا
ويوصي شاعرنا الناس بالانطلاق ، ودفع الهوم بالرح والترفيه عن
النفس بالراح فيقول :

فاصرع همومك بالمدام فانها
طب النفوس وبلسم الازواح
فاذا انتشيت وجدت دوما ناضرا
في المهمم المتجر الصمصاح
ونسمع النغمة « الثابية » عند الشاعر في قصيدته المهداة الى ام
كلثوم واصفا صوتها :

علمم بالحنان بالامل الوضاء بالخير ، بالهوى ، بالخاود ..
بالاماني العداوب ، بالظفر يندى بهديل الحمام بين الورود
انت ما انت ؟ انت نور مشع ، انت نور صاحب والخر دافق
هذه جولة غير محيطية بالديوان ، وانما هي استعراض بسيط لاهم ما
فيه . وطبعنا ان النقد كما رايتهم وسعته . وانما قدمت واستعرضته
ونهيته حارة للشاعر العربي على هذا الجهد . آملا ان اراه في عمل
اكثر جودة وقربا الى الكمال الفني المرتقب .

القاهرة محمد العيساوي الجميني



● في معركة الحضارة - تأليف فلسطين زريق - ٢٢ صفحة - حجم كبير - منشورات دار العلم للملايين بيروت - مطابع دار العلم للملايين بيروت

● مقرر مختصر في التحليل الكيفي شبه الميكروني - تأليف وليسم المر جولدويل وجورج بروكس نتج - ترجمة الدكاترة عيسى مصطفى عيسى وعبد المجيد مرووق المجان وعيسى محجوب اليه وسامي كراس طوبيا - مراجعة الدكتور عزت محمد خيري - تقديم الدكتور رشاد رزوق - مصمم الغلاف محمد اسماعيل صالح - ٢٦٠ صفحة - حجم كبير - منشورات دار المعرفة بالقاهرة - دار ومطابع الشعب بالقاهرة .

● نظور الفكر السياسي - الكتاب الثاني - تأليف جورج سيان - ترجمة حسن جلال العروسي المحامي - مراجعة وتقديم الدكتور محمد فتح الله الخطيب - ٥٦ صفحة - حجم كبير - منشورات دار المعارف بمصر بالقاهرة - مطابع دار المعارف بمصر بالقاهرة

● الدب الصغير وصديقه - تأليف السي هولند مينارك - ترجمة غلاف محمد فؤاد - مراجعة الدكتور محمد فكري لطفي - ٦٢ صفحة - مصور - منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة - مطابع دار القومية العربية (١)

● الدب الصغير - تأليف السي هولند مينارك - ترجمة غلاف محمد فؤاد - مراجعة الدكتور محمد فكري لطفي - ٦٠ صفحة - مصور - منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة - مطابع دار القومية العربية (٢)

● الإبرياء - مسرحية عن قصة دورة اللولب لهزري جيمس - تأليف وليم ارثينيلد - ترجمة لمارع توفيق - مراجعة حسن محمود - تقديم الدكتور عبد القادر القط - ١,٨ صفحة - منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة - مطبعة مصر (٣)

● هل سيولد ظلي سوبا - تأليف جون جولد - ترجمة غلاف محمد فؤاد - مراجعة وتقديم محمد كامل النحاس - ٥٦ صفحة - منشورات مؤسسة الخليلي بالقاهرة - مطبعة الاستقلال (٤)

● الكتاب الدراسي وتنمية وعي القراءة - تسجيل لنودة عقدت بمقر جامعة القاهرة - تأليف حسن جلال العروسي - منشورات دار القلم (٥) - مطبعة الاستقلال (٦)

● Muhammad : Prophet and Statesman - by W. Montgomery Watt - 250 pages - published & printed by Oxford University Press, England.

● Histoire et Classification de l'œuvre d'Ibn Arabi - Etude Critique - par Osman Yahia - Tome I - 340 pages - Tome 2 - 364 pages - gd. f. - Insitut Français de Damas - Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● A Simple Honorable Man - a novel by Conrad Richter - 126 pages - Fawcett Publications Inc., New York.

● The Long, Lonely Leap - by Captain Joseph W. Kittinger with Martin Caidin - 126 pages - Fawcett Publications Inc., New York.

● The Painfighter - by Grace Steele Woodward - 128 pages - Fawcett Publications Inc., New York.

● The 1964 Olympic Guide - by John V. Grombach - 270 pages - Fawcett Publications Inc., New York.

● The Lyndon Johnson Story - Biography by Both Mooney - 192 pages - Fawcett Publications Inc., New York.

● Atoms Below - by George P. Steele & Herbert J. Gimpel - 96 pages - Fawcett Publications Inc., New York.

● أشهر المخترعين ومخترعاتهم - تأليف فليشر برات - الرسوم للفنان ر.ص. أندرسون - ترجمة عبيد اركان حرب محمد عبد الفتاح ابراهيم - مصمم الغلاف ايهاب شاكز - ١٤٠ صفحة - مصور - منشورات دار المعارف بمصر - مطابع دار المعارف بمصر القاهرة

● الحياة منذ كانت - تأليف برنا موديس باركر - ترجمة الدكتور احمد حماد الحسيني - ٢٦ صفحة - مصور - منشورات دار المعارف بمصر - (لم يذكر اسم المطبعة)

● سطح الارض المتغير - تأليف برنا موديس باركر - ترجمة الدكتور محمد يوسف حسن - ٢٦ صفحة - مصور - منشورات دار المعارف بمصر - مطابع دار المعارف بمصر القاهرة

● كتاب التواوين - تأليف ابي محمد عبد الله بن احمد بن محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي المتوفي بدمشق ٦٢٠ هـ . غني يشتهر وبحثه جورج المقدسي - النص العربي ٤٢٨ صفحة - حجم كبير - منشورات العهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق - المطبعة الكاثوليكية ببيروت

● التائه - امثال واقلوال - جبران خليل جبران - نقله الى العربية يعقوب افرايم منصور - تقديم حارث طه الراوي - ١٢٨ صفحة - منشورات مكتبة النهضة ببغداد - مطابع دار العلم للملايين ببيروت

● اردنا الحياة - مجموعة قصص - تأليف ناجية نامر - تقديم احمد بلخوجة - ١١٢ صفحة - منشورات اللغات بتونس - نشر وتوزيع دار الكتب الشرفية بتونس - (لم يذكر اسم المطبعة)

● لماذا نعلم - تأليف نخبة من المعلمين من الشرق والغرب - تحرير لويس شارب - ترجمة وتقديم الدكتور محمد علي الغريان - تصدير حسن جلال العروسي - مصمم الغلاف امين ليبي زرق - ٤,٤ صفحة - حجم كبير - منشورات عالم الكتب بالقاهرة - دار الهدى للطباعة (٧)

● الاستراتيجية البحرية - تأليف برنارد برودي - ترجمة وتقديم اللواء سعد الدين صبور - مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي - ٩٢ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الفكر العربي (٨) - دار الجبل للطباعة (٩)

● قلبي - مجموعة شعرية - ناصر بو حيمد - ١٢٦ صفحة - منشورات دار الكاتب العربي ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة)

● قضية الشعر الجديد - تأليف الدكتور محمد النويهي - ٢٧٢ صفحة - حجم كبير - منشورات مهده الدراسات العربية العالية بالقاهرة - المطبعة العالية بالقاهرة .

● سلاسل الماسي - رواية - تأليف نزار مؤيد الظلم - تقديم الدكتور عبد السلام الجبيلي - مصمم الغلاف فاتح المدرس - الخطوط ل احمد فتوح - ٢٢٦ صفحة - حجم كبير - مطابع ابن زيدون بدمشق .

بنسبة ما اجتمع ببابه . ومهما يكن من امر ، فقد عرف عن ابي الطيب بأنه كان شغوفا بالمطالعة محبا للتكسب دالبا على تحصيل المعرفة بأي ثمن فكان في اجتهاده مضرب المثل حتى نسبت اليه كل معجزة من هذا القبيل .

قيل انه دخل يوما حائوت، وراق يبتاع كتابا فوقع نظره على مؤلف للأصمعي فاخذه بين يديه وراح قلب صفحاته واحدة واحدة واعجبه الكتاب فاطال التأمل فيه، فاضطرب البائع المتلفف على قبض ثمنه فكان ان قال له : اذا كنت تريد حفظ الكتاب فسوف لا تفرغ منه قبل شهر كامل . فاجاب المتنبي : لقد حفظته ، واخذ ينسجو محتوياته دون ما خطأ والدھشة بادية على وجه صاحبه . ان مثل هذا الذكاء كغليل باحلال صاحبه في المنزل الاولى من منافسيه .

على انني لست معنيا في هذه الكلمة العجلى باحصاء الشعراء الذين باروه والنقاد الذين تحدوه ، وانما انسا معنى بهذه الابيات الثبوتية في قصائده وفي كل بيت منها دليل على معرفة وبرهان على ثقافة . وغني عن البيان بان الفرق بين المعرفة والثقافة هو ان الاولى محدودة والثانية مطلقة ، وان للثانية معنى الشمول او هي المعرفة في ارحب معانيها ، وبالطبع فسان الانسان التقيف هو الذي يعرف لغة قومه ولغة الآخرين ، ويعرف آداب قومه وآداب الآخرين ويعرف تقاليد قومه وتقاليد الآخرين . وبذلك وحده يستحق لهذا الانسان ان يقبس ويقارن ويحكم وهو بهذا الحكم الذي يتوصل اليه يمكنه ان يقرر نوع ثقافته والطابع الشخصي الذي يتفرد به عن سواه . من اجل هذا البلاط ان ابرز خصائص المتنبي في شعره هي اطلالة شخصيته ساطعة من وراء الحروف بشكل يستوعق الانتباه ويستوجب التأمل .

لقد حاول الحائمي في احدى رسائله ان ينكر عليه طابعه الشخصي يوم راح ينهمه بافتباس الفكر اليوناني ولكن محاولته هذه لم تجد اذانا صاغية الا عند حساد الشاعر وما اكثر ما تعرض لهم بالذم والتحدي . وهذا وبحسن بي ان اذكر هنا على سبيل المثال شيئا من تلك المقارنة التي اجراها الحائمي بين الفيلسوف اليوناني والشاعر العربي .

قال ارسطو :

الصبر على مصف السياسة ينال به شرف الرئاسة وقال ابو الطيب :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه السدم . وقد استخلص الحائمي من مقارنة كهذه ، بان المتنبي سرق معانيه عن فلاسفة اليونان . وفي قوله هذا كثير من الاسراف والتجني . فالفرق واضح بين الاثنين . ففي كلام الفيلسوف اليوناني دعة واستسلام وفي قول الشاعر العربي ثورة وتحرر .



وديع ديب

مالم الثقافة في شعر المتنبي

بقلم وديع ديب

ان الشاعر الذي يملأ الدنيا ويشغل الناس لا يكون بغير ثقافة شاملة . كما ان الثقافة لا تكون بغير علم راسخ . وليس من المحتم ان تكون هذه الثقافة وليدة المستوي الجامعي . ذلك لان الكثيرين من الشعراء والادباء يستكملون معارفهم بالمطالعة ويستخلصون ثقافتهم بالتجربة والاحاطة . هذا بالإضافة الى ما وهبهم الله من مواهب خلقة ومسا هيا لهم من ظروف مؤاتية . فما الشاعر الكبير سوى امريء حياه الله اشراقه العقل ولطافة الحس بما يضمن له التفوق والابداع . وكثيرا ما يزهو بشاعريته ويتباهى بثقافته وهو لا يعلم بأنه مدين بهذه الشاعرية الى الشعراء الذين ناسوه وأنه مدين بهذه الثقافة الى العلماء الذين عاصروه . فهو وليد عصره وريث بيئته . وعليه فان الشاعرية - لا تكون اصيلة جليلة الا اذا تفاعلت والمجتمع الذي يحيط بها ، تفاعلا مباشرا بحيث يعكس الشاعر صور هذا المجتمع بكل اخلاص وامانة . فلا ينقل عن سواه ولا يتأثر بمن سبقه ، والا كان عمله عمل المرأة التي تعكس عن امرأة ثانية تستوي ازاءها ، فاذا بالصورة منحرفة مشوهة ، واذا بالخطوط والظلال تمتد او تنقلص على غير روعة بما لا يتفق وغرض الخلق الفني .

لقد كان عصر المتنبي حافلا بكيار العلماء من امثال الرازي وعظماء الفلاسفة من امثال الفارابي وجهازة الادب من امثال الاصمعياني ، وكان اكثر هؤلاء يعيشون قسى بلاط سيف الدولة او يتقربون اليه . حتى قيل : ما اجتمع بباب احد من الملوك عدد من شيوخ الشعر ونجوم الدهر

لبنان

برقص في ضوء القمر
جذلان
يعناق الجبل
ويحضن الشيطان
توردت وجنتاه
وأورقت في صدره
افضان

تارورة بالطيب ملآن
من سالف الأزمان
سواحل مزروعة
مرجان

مر بها في نيهه ربان
فارتاح واستلقى ، على الشيطان
وجاهه ... لبنان
بينحه ما غنى به
... انسان

ناصر بوحيمد

هبة بوزغ

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

جالست رسلاليس والاسكندرا
من ينخر البدر التضار لن قرى
تمتلكا متبديا متحضرا
رد الاله نفوسهم والاعصرا
واسر راحلة واربع متجسرا
وبديهي ان يكون الربيع الذي ينشئ اليه هو ربيع العلم
وهو الذي ما عرف لذة تضاهي لذة المعرفة ولا تقرب الى
صداقة تضارع صداقة الكتاب :

الى بلد سافرت عنه اياها
فلاذ الى غير اللقاء نجيب
يعرض قلب نفسه فيصعب
وغير بنائي للزجاج ركاب
فليس لنا الا بهمن لعاب
وغير جليس في الزمان كتاب
فهل بعد هذا القول من دليل على سعة معرفته وشمول
ثقافته ، وهل بعد هذه الشهادة من شهادة . ذلك هو
الشاعر الذي ملا دنياه وشغل اهله الى يومنا هذا .

وديع ديب

من مبلغ الاعراب اني بعدها
وملئت نحر عشارها فاضافني
وسمعت بطليموس دارس كتبه
ولفتت كل الفاضلين كتابها
انا من جميع الناس طبيب منزلا
وبديهي ان يكون الربيع الذي ينشئ اليه هو ربيع العلم
وهو الذي ما عرف لذة تضاهي لذة المعرفة ولا تقرب الى
صداقة تضارع صداقة الكتاب :

غني عن الاوطان لا يستغني
والخود مني ساعة ثم يبتسنا
وما العشق الا غرة وطعامة
وغير فؤادي للقواني ومية
تركنا لاطراف القنا كل شهوة
اعز مكان في الدنيا سرج سابع
فهل بعد هذا القول من دليل على سعة معرفته وشمول
ثقافته ، وهل بعد هذه الشهادة من شهادة . ذلك هو
الشاعر الذي ملا دنياه وشغل اهله الى يومنا هذا .

الاول يعد والثاني يتوعد ، وبين الوعد والوعيد فرق
شاسع . وعندي ان المتنبي اكثر اصالة في هذا المعنى من
صاحبه . ذلك لانه عرف الحرب ومارسها مراس الابطال
فهو ينطلق عن تجربة عاشها وكانت من حياته في الصميم .
الغسيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والفراس والقلم
لست ادري من كان وراء الحامي من الفلاسفة يوم
راح ينهم ابا الطيب بالحقاكة والتقليد ؟ وارجح الظن ان
يكون الغارابي هو الموحى له بذلك والدافع الاول لهذا
التشويش . فلقد اتبع لهذا الفيلسوف ان يقضي اصيلا
حياته في بلاط سيف الدولة هائلا متعما الى ان توفاه الله
وهو في حدود الثمانين من العمر وقد كان في هذه الفترة
من سني حياته يحظى بمعطف الامير وتشجيعه . على ان
ما حصل من تصادم بين المتنبي وخصومه هو الذي اوقد
ذهنه والنهب شعوره ومن يدري فقد يكون الحامي متائرا
بمن سبقه من حساد الشاعر وكلهم اديب اريب وليس من
الضروري ان يكون الناقد الحاسد معاصرا للشاعر خصوصا
اذا علمنا بان التهجم على المتنبي كان مطبوعا بطابع
الشعرية . وعليه فانه نسبة قوة التحدي كان ذوي
الانفجار :

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما اجد الا السيف والفكة البكر
وترك في الدنيا دويما كاملا تناول سمع الزه انمله العشر
من هنا كان على المتنبي ان يقابل التحدي بالتحدي ومن
هنا كان عليه ان يحيط بالثقافات الغربية من فارسية
ويونانية وهندية ليتمكن من قرع الحجة بالحجة والمنطق
بالمنطق . وقد كان عليه ان يتفرد ببيئته العربي ليقبى في
الدروة من البيان خصوصا اذا كان المنافس اعجيبا من مثل
ابن خالويه واضرابه . واذا قد كان على المتنبي ان يحيط
بالمعرفة الانسانية ليبقى في القمة من المرفان وهو يعلم
بان البيان لا يرتفع بغير المعرفة وان المعرفة لا تتسع بغير
الثقافة وان الثقافة لا تثال بغير السهر والسفر ، السهر
على العلم والسفر في طلبه . اما من حيث السهر فقد
كان يغنى عن الجهد الكبير فما يحصله في ليلة واحدة لا
يحصله الغير في اشهر .

انام مره غوجوني عن شواردها وبسهر الخلق جراها ويختصم
ومن الطبيعي ان يكون الفرق واضحا بين صهيل العناق
ونهاق الحمر . فهو في امتداحه احد السادات يقول بان
الكرم صفة ملازمة للعرب ، كما ان روعة البيان صفة
ملازمة للشعرائهم :

ومعالي اذا ادعاهها سواهم لزمته جناية السرا
كرم خشن الجوانب منهم فهو كالماء في الشغار الرقاق
والقنى في يد اللثيم فيبيع قدر فيح الكريم في الاملاق
شاعر المجد خدنه شاعر اللثام كسلانا رب الصاتي الدفلاق
لم نزل نسمع اللديح ولكن صهيل الجياد غير النهاق
واما من حيث السفر في سبيل العلم ، فقد كان ذلك
امنيته الغالية كما يتجلى هذا في شعره لابن العميد يوم
زار البلاط الفارسي :

مذكرات نشال سرو شاعرا

فازت هذه القصيدة بجائزة الشعر الاولى من المجلس الاعلى للفنون
بالقاهرة لعام ١٩٦٢ ولم يسبق لها ان نشرت

وتمضي .. مثلما يمضي الصدى للريح والقفز
ولكني برغمي كنت احيا لحظة النصر
اذا عادت يدي يوما .. ولم تسفك دم الزهر

وذات ضحى .. كاهلال الربيع على المدى الجذب
ترأى الشاعر العملاق يجرح قسمة الغيب
خطى منغومة الايقاع تفرش جبهة السدب
ورأس شامخ .. وحقيبة محشودة الجيب
مشيت وراءه وخلصتها في زحمة الركب
وعدت وفي خيالاني رؤى معطاءة الخصب
وحين فتحنتها .. ماتت خيالاني على هدي
ولاح لخافقي الهزوم ومض عاش في قلبي

وجدت حصاد هذا الشاعر الفنان .. اوراقا
تلك وريقة غنى بهما للحب اشواقا
وتلك وريقة تبكي دما للناس رقرقا
وتك وريقة تبني ربي .. وتشيد آفاقا
وتك وريقة تهدي لنا .. لتكون .. احداقا
لتبصر في الطريق مهاويا جوعى .. واشداقا
والف سحابة تهيم دما مرا وارهاقا
لتبصر عالما ظلمان .. آفاقا .. واعماقا !

ويا لله .. كانت احرفا من صنع فنان
رايت خلالها دنياي في احداق انسان
يناضل دون ان ادري لامي واحزاني
يناضل لي .. وللآلاف تحيا خلف قضبان
رايت خلالها عيني ابي في شوقه الراني
وامي .. غيمة بيضاء .. يا لبراءة الجاني
تحطمت القيود السود .. ماتت كل جذراني
ومات الحقن خلف صباح اشراقي وايماني .

محمد احمد العزب

القاهرة

ساحكي للضياع المر قصة ليلى الهارب
ساحكيها بلا زيف يوشي وجهها الشاحب
وقصة ليلى المصلوب قصة مذنب تائب
تحسى في دياجير الحياة شعاعها الغارب
ولون وجهها السمان من احاسه الناضب
نمات النور والدبور عبر طريقه اللاهب
وعائق عمره عريان .. الا من صدى راعب
يولول في دياجيره .. ويخفق فجره الناحب

انا خلف الجدار ولدت .. خلف سائله الشاتي
لقبط اجرح الافاق من همس انتحاباتي
فيكي الليل في عيني .. في امطار دمعاني
ويصحو السيل والاعصار خلف نخوم آهاتي
وبرتمش المدى المرقور في ابعاد وعشاتي
وحين تفتحت عيناى .. حين تكلمت ذاتي
وعيت حققتي .. فدفنت في دمي اكتمالاتي
وعشت كما اراد الليل منزوف الجراحات

وكنت اذا اضاء الصبح وافترت حواشيه
احدق في الزحام عساي ابصر والذي فيه !
وكنت اراه .. طيفا في براءة من الاقيه !
وامي .. كنت ابصرها هناك على مدى التيه
تسر على الطريق سدى .. وتخبط في دياجيره
وادنو منهما .. فارى ضبابا كنت ابنيه
واعرف انها اشباح حلم عشت احكيه
فاصرخ : لا .. انا اصداء صوت مات حاديه !!

ورغم دياجيري كانت تشد خطاي للفجر
اغان مبهمات اللحن تدمي مقلة الصخر
اجل .. كانت يدي تنسل بين الد والجذر
فتسرق لقمة الاطفال تسرق ادمع الفير
وتخفق الف اغنية منسداة على النفر

الشعراء بمرءان بن أبي حفصة ، ولم يدون لاحد بعده شعرا . وكان يقول عن شعر أبي تمام : « ان كان هذا شعرا ، فكلام العرب باطل » .

ومن الطبيعي ان الفن يسير في اتجاهه وتقدميته غير آية لحملات النقد المسعورة التي تحاول ان تعيقه عن التعبير عن ذاتيته في نهج جديد حتى اذا استطاع هذا الجديد ان يركز أسسه ، غير هؤلاء النقاد رايبهم ، واقبلوا عليه بدرسونه ، وبحلولونه ، ويتقرون عن الجصائل الفني فيه ، فالتنقد قد يعيق الادب عن التطور لفترة من الزمن ، ولكنه لا يستطيع ان يكبله طويلا فلا بد ان ينطلق من اساره الى ميادين فياحة مدفوعة بسنة التطور والحياة ، وقوة الفردية ، وتقاليده العصور .

والعقل السامي نزاع بفطرته الى احترام القديم ، واذا كان هذا التقديس جائزا في كل شيء ، فلا يجوز ان يكون في الادب لان طابعه الابتكار والاصالة . واذا عدنا الى الحد منهما جاء الادب بعيدا عن التعبير عن الذات واصبح قوالب عتيقة لا يتقدم فيها الخصب العاطفي ، والانجلاء الانساني ، وابتعد عن الانطلاق لاكتشاف عوالم جديدة زاخرة بالحياة . والغنى في شموله وعمقه لا يخضع لقبود ، فاذا وضعنا له قواعد وتقاليده يجب ان يترسما اصابه اللوحن والزئج ، وجاء فنا باهتا عذمه خير من وجوده .

وكان نقاد العرب القدامى بمثابة الحراس للقديم ، فكل محاولة للتجديد هي في نظرهم ، خروج على عمود الشعر . . يجب ان ننتق في قسوة وعنفة . والقصيدة الجاهلية هي لئلا الاعلى الذي يجب على الشعراء ان يصلوا في محرابها . يقول ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء : « وليس لتأخر الشعراء ان يخرج عن مذاهب المتقدمين في هذه الاقسام ، فيقف على منزل عامر ، ويبكي عند مشيد البنيان لان المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر ، والرسم العاني ، او يركب حملا او بقله لان المتقدمين رحلوا على الناقة والبعر ، او يرد على المياه العذبة الجوارى لان المتقدمين وردوا على الاواجن والطوامي ، او يقطع الى المدح منابت الترجس والورد والاس لان المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والعرار » . ومعنى هذا بوضوح الغاء كل صلة تربط الشعر بالحياة والمجتمع والحضارة ليفرغ الى اشياء لا يحسها ، ولا يعرفها .

قال خلف الاحمر : « قال لي شيخ من اهل الكوفة : اما عجبت ان الشاعر قال : انبت قيصوما وجتجانا ، فاحتمل له . وقلت : انبت اجاصا وتفاحا ، فلم يحتمل لي » . ان الاجاص والتفاح ينبتان في الكوفة ، وياكلهما الناس ، فعمل من ترتيب يقع على الشعر اذا تغنى بهما ؟ وما لا شك فيه ان القصيدة الجاهلية صدى صادق لحياة الشعراء الجاهليين ، نقولها ، ونهجها ، وتعدد موضوعاتها التي تنتظمها وحدة معنوية هي في الواقع ، انعكاس رائع لآثر البيئة . وفي اعتقادي ان اجمل شعر عربي ، والصقته الى



الدكتور محمد حاج حسين

عمود الشعر

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

قال الباحثي : ان ابا نواس اشعر من مسلم بن الوليد لانه يتصرف في كل طريق . . ان شاء الله . وان شاء الله . ومن لم يلزم طريقا لا يتعداه . فقل له : ان ثعلبا لا يوافقه . فقال : ليس هذا من علم ثعلب واضرايه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ، وانما يعرف الشعر ممن دفع الى مضايقه .

والشعر حقا لا يعرفه الا من عناه ، ودفع الى مضايقه كما يقول الباحثي ، وتقديس القديم كان مثل ثعلب الاعلى ، هو واضرايه من الرواة واللغويين والنحاة ، فمن طبيعة النقد ، بصورة عامة ، تقديس القديم حتى ان اصحابه يرون كل محاولة في تجديد الادب ضربا من الاخلال بالتقاليد الادبية التي لا يجوز تجاوزها . وكانت ابحاثهم تستهدف في الغالب استدامة التقاليد المتحجرة القديمة . والشعر في نظرهم امر صناعة قبل كل شيء ، واقصى خصائصه الفنية تقوم على صدق مطابقته للشكل القديم ، وليس قدرته في التعبير عن الذات . وهذا الميرد يقول : « ختمت القفاحة في شعراء المحدثين بعمارة بن عقيل » وهو حفيد جرير ، عاش في القرن الثالث الهجري ، وليس له من ميزة فنية سوى انه كان بدويا يحتذي القديم ، ويجري على نمط الشعر الجاهلي ، يعيش في البادية ، ويغد بين حين وآخر الى بغداد . وابن الاعرابي يختم

قال المزوقي في مقدمة شرحه على حماسة ابي تمام : « وتلخص في شرف المعنى ، وصحته وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام اجزاء النظم والشاماعة على تخير من لزيد الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاركة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما » ، ومعنى هذا ان ابي خروج على هذه الابواب السبعة يعمد خروجاً على عمود الشعر ، فالمبالغة في التشبيه والاستعارة خروج على عمود الشعر .. ولهذا طرد ابو تمام من جنة الشعراء .. لان عبقريته كانت تدفعه الى ابتكار صور شعرية فيها كل الجدة والطرافة مما لم يألوه القدماء .

ان مسابقة الشعراء لعمود الشعر ضرب من الموت لهذا الشعر الذي يجب ان يساير الحياة . والادب من ذلك جنوح هؤلاء النقاد والعلماء الى تحديد وظائف الشعر حتى لا يخرج الشعراء عليها ، كانتهم لم يكفهم الشكل يعنون فيه تعريفاً ، بل عمدوا الى جوهر الشعر لزهو روحه فتعلب جعل للشعر اربع وظائف هي : الامر والنهي والاخبار والاستفهام . ويتفرع عن هذه الافراض الاساسية المدح ، والهجاء ، والرثاء ، والاعتذار ، والغزل ، والتشبيه ، والوصف .

وحاول قدامة بن جعفر ان يحصر الشعر في معاني لا يعدوها ، كما ان ابا هلال العسكري في ديوان المعاني قسم الشعر الى اربعة اقسام : المدح ، والهجاء ، والفخر ، والغزل ، ثم اضاف في مكان آخر الوصف ، ووضع الرثاء محل الفخر . وفي هذا التقسيم كثير من الاضطراب والخلط ، لان الهدف الذي كان يضعه هؤلاء النقاد امامهم الشعر الجاهلي متناسين ان العرب ازدادت مفاهيمهم للحياة ، وامتدوا الى آفاق لم يعرفوها في جاهليتهم ، فلا بد ان ينطلقوا عن فنيهم في التعبير عن ذاتيتهم ، وحياتهم التي لا تسق مع ما اراده النقاد من تحجير لها .

والواقع ان الفنون الادبية لا يكيفها النقاد مهما حاولوا من الهيمنة عليها ، وسكبتها في قوالب جامدة ، وانما يكيفها الانتاج الفني نفسه ، فهو الذي يحدد آخرها معالم النقد الجديد ، وهو الذي يبدع ، وتأتي اجيال جديدة تساير هذا الابداع ، وتضيفه ، وتستخلص منه الاصول الادبية الصحيحة لتكون نبراساً لاجيال القادمة في دفع عربة التجدد الى الامام .

ورغم سيطرة النقاد ، وواسع نفوذهم لم يقف الشعراء امام طغيانهم مكتوفي الايدي ، فتمردوا ، وراحوا يبدعون غير حفيلين بهذه الاصوات القاسية التي تحاول ان تحد من ابداعهم .

والحق انهم بحاستهم الفنية الصادقة كانوا اقدر على فهم وظيفة الشعر ورسالته من هؤلاء النقاد وجابوهم بالقسوة احياناً فعل بشار بن برد عندما علم ان سيبويه لا يستشهد بشعره في كتابه ، فسلط عليه لسانه السليط ،

النفس ، واصدقه ، هو الشعر الجاهلي ، ولكن ليس من الختم على الشعراء ان يرسموه ، ويحدوا حدوده بدافع التقليد ، فهذا يكونون ذاتيتهم ، ويقتلون روح الابتكار فيهم ليرسموا ظلالاً باهتة لشعر غث ممزوج .

وابن قتيبة يرسم صورة للقبيصة الجاهلية التي يجب على الشعراء ان ينهجوا نهجها ، فهي تبدأ بذكر الدسار والدمن والاثار ، ثم يشكو الشاعر ويبيكي ، ويخاطب الربع المهجور الموحش ، ويستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر اهلها الطاعنين عنها ، ثم يصل ذلك بالنسيب فيشكو شدة الشوق ، والم الوجع ، وفراط الصباية ليميل نحوه القلوب ، ويستدعي به اصفاء الاسماع اليه لان النسيب قريب من النفس ، لائط بالقلب . ويستطرد الشاعر بعد هذا الى الشكوى من التعب والسهو وسرى الليل ، وحرارة الرضاء ، وانضاء الراحة والبحر ، ثم يبلغ الشاعر غايته وهو منزل رئيس من الرؤساء ويستجلب دره بالمديح ، او يقدم اليه مطلباً بوصفه المتحدث بلسان قبيلته .

ولو ان النقاد اصابوا بالشعراء لاحتفاء الشعر الجاهلي في جوه الداخلي الذي يقوم على الصدق الفني ، وحرارة العواطف ، وسداجة الفن ، وقربه من النفس ، لاصابوا المرمى ، وادوا خدمة عظيمة للشعر .. اما التقليد الخارجي ، فليس فيه اي فناء للفن ، ولا اثره للشعر .. بل على العكس يطبع به ، ويدفعه الى الجمود والهمود ، فالسوت .

ولا مشاحة ان الادب تكيفه مجموعتان من العوامل : اولاهما التجربة التي تمر بالفنان ، وعاشتها ، ويعيش فيها ، وثانيتهما هي التقاليد الادبية التي تسبق معالجة الكاتب لثقافة الانسان والحياة والمجتمع ، وكلما اتسعت تعمق الفن ، وغزا مناطق حية جديدة ، فاذا قصرنا الفن على معالجة عدد محدود من الموضوعات في نهج قديم قتلناه ، واصبح خواء قواء بعيداً عن التعبير عن الانسان والمجتمع ، ولكن الفن لا يعنو لهذه القيود ، فسرعان ما يحطم القوالب التي يضعها النقاد ، وينطلق الى هدفه لتحقيق فنيته . وعمود الشعر كان القول الذي ينتصب امام انطلاقا الشعر الى عالمه الحي ، فكل من ثار به بدافع من فرديته القويبة ، وشاعريته المتجنحة طرد من جنة الشعراء . والنثني وابو العلاء المعري نبذاً من دنيا الشعر فترة طويلة فقد حدثنا ابن خلدون ان شيوخه في الادب كانوا لا يعدونها من الشعراء ، لانها خرجا على ما تواضع العرب عليه من الشعر ، ونظما في موضوعات جديدة لم يعهدها الشعر القديم . وهذا طبيعي ، لان الشاعر الحق كالسيل الاتي لا يمكن ان تفرضه عقبات مهما تعقدت ، فلا بد ان يصل الى هدفه ، والشاعرية الصادقة تحطم كل تقليد يضمه النقاد والرواة امامها ليعومها عن التحليل والابداع . فالفن لا بد ان يحقق ذاتيته . وكلام النقاد عن عمود الشعر يشوبه الكثير من الغموض .

ليلة «الكورنيش»

لاح في أفق حياتي وانسدر
أملا رف وحلما قد عبر
دارسات ، وأمان ، وعبر
هاجت الذكرى بقلبي المستعر
رويت من فيض دمعي المنهمر

أنا لي في شط بيروت هوى
لم يعش الا كما عاش الشذا
مر كالطيف ، ولي منه رؤى
وسويغات متى اذكرها
لا تسلي...وسل الارض التي

ليلة «الكورنيش» في الوكر العطر
معلنا من وجده ما قد أسر
مثلما تم عن العرف الزهر
الرقب البحر والمأوى الشجر
مالت الأغصان واتسل القمر
ورأى صدرا على الصدر استقر
وحينا ... فهما نضوا سهر
ترتجي زادا لها يوم السفر .

ويح قلبي عباد بالذكرى الى
قد هفا قلب الى قلب به
همسات ، وعتاب ، وهوى
لست انسى وبدي في يدها
كلما هبت علينا نسمة
فراى ثفرا على الثفر هوى
ورأى قلبين ذابا لوعة
وشفاها ظلمات للهوى

على التلم ذبالك الحجر
عل في بطن التري منها اثر
قلدة ... لله ما أفسى القدر !

ليلة «الكورنيش» هل من عودة
باحسا عن نشوة في تربه
أنا قد أودعته من كبدتي

سعيد العيسى
من « العروة الوثقى »

لنن

وقد كان انصار القديم هؤلاء عجباً في تقدسهم له يرون فيه كل جمال واصالة .. حتى في العصر الاموي لاقى الشعراء منهم عنتا كثيرا فأبو عمرو بن العلاء يقول عن جرير .. لو عاش يوما واحدا في الجاهلية لما فضل عليه احد من الشعراء .. كان مجرد الحياة في الجاهلية هي المقياس الصحيح للشعر .

ان عمود الشعر يحول دون كل اصالة وابتكار .. والشعر بدونها لا يتألى له ان يكون شعرا ، فالتقليد في الفن قتل له ، واطاحة به الى الغناء . والشاعر الحق هو الذي يكتشف دنيا جديدة ، ويبصرنا بانفسنا ، وبزبدنا معرفة بها ، وينفض امامنا الحياة بما فيها من تناقض عجيب ...

محمد حاج حسين

مكة المكرمة

وهجاه لاذع الهجاء ، فعنا سيوبه لقوة الشعر ، وراح يستشهد بشعر بشار . وابو نواس كان اقدر من هؤلاء النقاد جميعا على الادراك الواعي لرسالة الشعر ، فقد تميز بحاسة نقدية ممتازة دفعتها الى الوقوف بعنف امام هؤلاء النقاد ، ودعا الى تحرير الشعر من ربة القديم . وهو في تجديده لم يحطم القيم الجمالية للشعر القديم .. وكل ما في الامر انه دعا الى ان يكون الشعر صدى صادقا للحياة الاجتماعية والنفسية التي يحياها الناس في بغداد .. في عصر زكت فيه الحضارة ونمت وماسست القصور تياهة ، واستبحر العمران ، ونضجت العقول . فاحساس ابي نواس برسالة الشعر دفعه الى هذا الاتجاه مقاوما بهذا تزمست الرواة والنحاة والنقاد الذين كانوا يعملون على عودة الشعر للنمط الجاهلي .

التاريخ ... الجغرافيا ... أم الطبيعة ؟ سابدأ أولا بالتاريخ ... يجب - في هذه الفترة بالذات - ان احصل على تقدير ممتاز حتى ادخل الجيور والثسوة الى صدر امي ... امي ... هذه الحبيبة ...

قال ذلك سعيد .. الفتى اليبافع الذي يبلغ من العمر خمسة عشر عاما .. يجلس امام مكتبه .. نافذة ... في حجرته اللطيفة ذات السرير المنسق الناصع البياض وعلى الحوائط بعض لوحات من صنع أمه ...

انه يترك القلم ، وبحركة لاشعورية ، يلتفت ناحية الشرفة ، التي تفصل بينه وبين حجرته ، نافذة ... ثم يتسمع .. لا شيء ... الا ... ليسائل نفسه هل لهذا الحديث ، الذي يدور بين ابيه وقربينه الازملة الست سنينة ... له من الاهمية ما يمكن ان يبلبل افكاره ... هذه الافكار التي تدفعه الى التفور من المذاكرة ؟ هه ... ايوه ... ماذا يفعل ؟ .. او بالاحرى ماذا يعمل ؟ .. انه بعيد البيت .. محال على المعاش تماما كذلك الكرسي الاسيطوي - من مخلفات جده الاكبر - له ثلاثة ارجل والرابعة فوق في الصندرة .. اذلا ما ساءل أمه ... اما ان لهذا الكرسي العتيق ان يبت في امره تقول ... بكره ... بكره ..

وها هو بكره قد فات وتلاه بكره وبكره ...

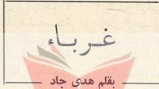
الهمس لا يتقطع .. وفصول التاريخ يجب ان بعيد قراءتها .. الا لعنة الله على التاريخ والجغرافيا والطبيعة .. ايضا .. ولكن .. اما الدروس واما ... اما .. والده ..! والده ؟ انه يحبه ما في ذلك شك ... ولكن ما نوع هذا الحب .. ما طعمه ... ما لونه ؟

ثم تقفز امام عينيه صورة امه الحبيبة ... جميلة ؟ لا .. ليست جميلة ... ان جميلة كلمة شائعة تطلق على كل شيء جميل اما هي .. ناذما ما امسكت او لامت شيئا

اصبح جميلا .. فهل هي فقسط جميلة ... لا والله بل هي اكثر الف مرة من جميلة ..

ومع ذلك فهذا الوالد الذي يحبه سعيد يجالس ويسامر كثيرا هذه الست سنينة .. لماذا ؟ .. الان امه تشغل وترجع ؟ الانها تقوم - في نفس الوقت - بدور المرأة والرجل ؟ انها تخرج في الصباح الباكر ولكن .. بعد ان ترتب بنفسها طعام الافطار وتوقظ ابنها الحبيب وتشدد كثيرا في شربه اللبن ..

هذه السترة الكحلية التي يرتديها .. هي التي اختارتها بل هي .. التي دفعت ثمنها ... حتى دروسه .. تعرف دقاتها وايا منها يروق له ..



ان اسمه سعيد ماهر وهو يتنكر ان يكون اسمه سعيد فاطمة ...! ثم يتنكر .. ماذا يجب ان يحب علي اسئلة الامتحان بدقة ووعي .. وعلم التاريخ هذا ترتيب وممل يحتاج الى صبر وروية ..

يا لعنة لا زال الهمس يدور .. ماذا عند ابيه ليقصه على الست سنينة وماذا عندها لتبته اياه ؟ وها هو سعيد يمعن في القراءتين شخصيات تاريخية و ... يصيبه شبه دوار فيدفع بمقعده الى الخلف في عصبية ويقول .. وماذا يعم ابي لو رست ... هل سيدفع لي من جيبه شيئا ؟ هل سيعاونني في مدايرة دروسي ؟ ثم يشرد ببصره وتترأى امامه

صورة صديقه يوسف وهو يسردعليه بعض احداثه اليومية قائلا .. انا وابي كاخوين عمر اكبرهما لا يزيد عن عمر اخيه باكثر من سنوات قلائل .. ايدعشك ان تعلم بانني كثيرا ما اقلبه في لعبة التنس ؟ .. ثم انسي ... - ويحاذر وهو يخض من صوته - ابوح له ببعض مغامراتي .. يا له من والد ... لكن لا تقلنه عرابيدا يا سعيد انه مرح في اتران يحب الحياة ولكن في حدود المعقول ..

وسرعان ما يفص سعيد من بصره .. ثم يتخيل اياه .. الطيب الساكن .. الهادي هدوءا يكاد يشيره .. لا ياخذ معه الى النادي .. ولكن هل هو يعرف النادي ؟ انه لا يعرف غير القهوة حيث يلعب عشرة طاولة مع حسن افندي وحسين افندي .. كم يجيد الخطب والبلط ويجيد كذلك جلب الصداغ لكل من يشاركههم اللعب ولو بالنظر ...

كثيرا ما استعصى على سعيد ان يرد على صديقه الحميم يوسف قائلا : كذلك ... ابي يجيد ... يجيد ثم لا يستطيع ان يكمل ... واخيرا ماذا يمكن لرجل مثله ان يجيد ؟ ان اخلاذ والده ان صمت مطبق يحيل سعيد الى نصف مجنون ...

ولقد حدث ذات مرة ان اجترأ سعيد واستجمع شجاعته وسال امه: كيف ... كيف تزوجت من ابي ؟ كان يتصور - قبل سؤاله - انها ستقلع جبينها وان صدرها سيلعوا ويهبط وانها قد لا تجيبه اطلاقا لكنه يروع عندما يجدها وابتهامة نورانية تما لا وجهها المستدير الملح ..

- كنت انتظر منك هذا السؤال من زمن يا سعيد وقلت في نفسي حينما يسألني ولدي اكون اما عجوزا اندري لماذا ؟ لان ذلك لا يصدر الا من ولد اصبح رجلا ...

ويذكر سعيد ذلك الموقف كأنما هو قد حدث بالامس .. كانت امه تنظر الى لا شيء وتقص عليه وكانها ترسم باناملها قائلة :- انت تعلم يا



واخيراً سمع نفسه وهو يقول في
انفعال وبصوت مرتفع : بابا ... اني
مند ساعتين احاول المذاكرة ولكن
دون جدوى اذن اين اذاكر ؟ فسي
الشارع ؟ او على السطح ؟ وفجأة
يسكت عن الكلام ... اذ يلح عيني
والده المحفلتين وقد روعته هذه
المفاجأة لدقائق لكن سرعان ما تمالك
الوالد اعصابه وقال : يا ولد ...
كيف تجرؤ على ان تحدثني بمثل هذه
اللحجة ؟ انا رب البيت ومع ذلك
فصوتي لم يعل مرة واحدة ...

فيقاطعه سعيد بالرغم منه ويغمغم
قائلاً : ليكت فعلت ... ويرد بين
أسنانه : ربما كان قد تغير الامر ...
_ وبظرة جانبية من الاب الى الست
سنية قال _ وهو ينظر في ساعت
شكراً ... شكراً على مجهودك
الطيب ...

فيهر سعيد كفيه ساخراً ويقول:
بل ... الف شكر ...
وهنا ارتفعت يد الاب ولم يفهم
سعيد ماذا يريد ابوه ؟ ايريد ان
يصغفه ؟ ام ان يريد عليه ذلك لان
الاب سرعان ما اخفض يده ... وقطع
السكون صوت الاب وهو يقول : ما
دمت قد تعطلت عن عملك فاجلس
هنا على مقعدك فلدي ما اقول لك .
وبدا حديثه : سعيد .. تعلم اننا
لم .. لم نتجرب غيرك .. لا اعرف ..
لعلها ارادة الله .. انك ابني .. و ..
واخي ..

وهنا ... تأمل سعيد وجه ابيه ..
في فحص مدقق .
واستأنف الاب حديثه قائلاً : لماذا
تتباعد عني ؟ لا ... لا تقاطعني دعني
اتم حديثي ... اصداؤك .. عندما
يحضرون اليك .. لماذا .. لم ..
لم تحاول - مجرد محاولة - ان
تعرفني بهم ... هه ..

اسمع .. انني لم استكمل
تعليمي .. كنت اظن ذلك من قبيل
اضاعة الوقت ... وهانذا اليوم ادفع
الثمن ... ثم ان صحتي لم
تساعدني ... ولم يكن لي عقار او

تنهض بأعباء البيت أثناء تغيب امه
في عملها انها عيفاء شاحبة اللون
تمنع ابتسامتها جزاءاً لكل من
تقابله .. ولكنها متى ابتسمت لايه
فتمتدئ يرى سعيد اشياء واشياء
او هكذا ... يخيل اليه .

ان امه متعلمة اما الست سنية
فتكاد تفك الخط .

ان امه رائعة الجمال والست
سنية في خريف عمرها فهو لا يدري
هل كانت فيما مضى ذات جمال
وان الزمن محا اليوم كل شيء ؟

انه يحب امه بل يعيها . اما
الست سنية فهو يضيق بها . وان



هسي جاد

كان يشعر نحوها بعرفان الجميل
فهي ولا شك تحيل البيت الى جنة
وخصوصاً عندما تخرج .. منه !!
و .. والده كم يحبه .. لكنه لا
يجده وان وجدته فلما مع الست
سنية او مع نفسه .. هيه ... ما
زال الهمس يدور ... لا شك انها
رواية فصولها متعددة ... وليست
لها نهاية ..

لقد قرب ميعاد حضور صديقه
يوسف وعليه ان يكف عن الدرس
كذلك اعصابه كادت ان تغت منه ..
سيخرج الان الى الشرفة و ...

حبيبي اننا كنا ست اخوات وكنت
كبراهن ، والبت في البيت حمل
تقيل ... كلما قصر زمن وجودها
في كنف والدها عد ذلك من قبيل
الفوز .. الفوز بزوج واتاحة الفرصة
ايضاً للشيقات الاخريات ...

وضحكت ضحكة مغتصبة واردت:
الم تقرأ عن عروس النيل ؟ انا كنت
تلك العروس .. العروس الضحية ..
فتاة في السادسة عشرة من عمرها
وعريس في السابع والثلاثين ...
كان هو ... والدك .. رجلاً طيباً
حنوناً ... واتاح لي الفرصة لانتم
تعليمي ثم ادخل الجامعة وانا لشهادة
الليسانس التي لولاه ... ثم ترفع
يديها وتخفصهما .. سرعان ما تفيق
من تخيلاتها وتنهى حديثها قائلة: الا
تريد شيئاً احضره معي وانا آتيه
ظهوراً ؟؟

لكن سعيد لا يريد ان تغت منه
هذه الفرصة الذهبية التي مكتسبة
من ان يلم ببعض الامور - التي
استغرق عليه فهمها - زمناً طويلاً
فيعود لقاءه سؤاله قائلاً بحماسة ما
دام ابي قد وافق على انتم تعليمي
فما سر هذه الجفوة التي بينكما ؟

قالت بصوت متقطع فيه الكثير
من المرارة والحسرة : والدك من
الشخصيات المنطوية الحزينة المغلقة
بضباب يحتاج لامرأة محنكة عركت
الحياة لتصل الى اعماقه الفامضة
ككيف يتأتى لي ذلك انا .. انا التي
لم اعرف رجلاً غير ابي ... كنت
احتاج لمن ياخذ بيدي اما هو فكان
يحتاج الى امرأة اخرى انضج مني ..
ككيف كان يمكن ان نتلاقى ؟ ثم
تنهدت .. الم تدرك بعد يا سعيد ..
الم تفهم ؟ لعله فهم الكثير حينذاك ..
فهم ان امه تؤدي واجبها بدقة ...
بعناية .. بهدوء .. لكنه لا يراها
باسمة الا معه .. ولا مرحلة الا معه ..
ويذكر ايضاً ان والده كان يرنو اليه
في صمت .. يحذره بعينه فقط .
لا لبسانه ...

وكذلك يذكر الست سنية التي

أرسل أنفق منها فهل ينتقص هذا من
مكائتي عندك ؟
وبصوت حزين يواصل كلامه ...
انك لا تدري كم احبك .. وكـم احب
امك ..
وهنا يقاطعه سعيد .. دهشاً ..
هـ ؟

واستمر الـاب كأنه يشكو للـدنيا
باسرها .. كم احببتها .. وكـم
كرهتني .. ليس عندي شيء .. أي
شيء امنحها اياه .. غير قلبي .. لا
امك سواء .. لكنها ادارت لي ظهرها
وليس هذا فحسب بل لفظتني
واداست علي بعنادها وكبريائها ..
اندرى .. اندرى انها وهي تزودك
بالماليس وتغمرك بالقاهرة والحلوى
تبدو وكأنها تطعنني بسكين ؟

انها تمنع ما في ذلك شك ..
تمنحي الابتسامة والكلمة والتحية
فقط .. كائني انا سبب شقاها
ووجدتها ...

وانت .. انت معي في البيت
تجاورني على مائدة الطعام واجيئنا
تصحبني معها لزيارة بعض الاقارب
لكنني مع ذلك لا اجده .. ابحت
عـنك في اليوم عدة مرات فتكسـر
هناك ... معها او مع اصدقائك
وتكـتب وكما قلته لك ليس عندي
شيء .. اي شيء امنحكمـا اياه ..
غير ... قلبي ...

ثم خفت صوته .. وتنهـد .. وعاد
بذاكرته الى الـوراء وقال : حينما

كانت تذهب امك الى الجامعة .. كنت
اضـمك .. هنا .. على ركبتي ...
اهدئك ... اطعمك بيدي هاتين
وانت .. ثم يتهدج صوته .. وانت
تداعب اصابعي .. هذه الاصابع ..
التي تأبى ان تلمسها الان حتى وانـا
راجع من سفر بعيد ...

هيه ... كنت انفض في منتصف
الليل واظل اتفنن في اسكانك عـن
بكاء طويل لا تعرف انت او انـا
اسبابه .. كنت اجـد في ارفي
وراحتك لـدة .. لا تعادلهـا لـدة ...
لكنك لا تعرف .. وان عرفت .. لا
تريد ان تصدق .. فانا اكرر يا
سعيد ان ليس لدي ما امنحك اياه ..
غير .. قلبي ..

اما الـت سنية تلك المـراة
الـتعة ... الوحيدة .. الفقيرة
فهي مثلي ... بائسة ... منبوذة ..
انها تمنحني الابتسامة والكلمة
والتحية ولكن على اعتبار اني القـس
الوحيد الذي يضيء حياتها فهي
تعني بمثابة اخ لها تمام .. لـها
تحبك يا سعيد وكذلك تحب امك ..
وانا ... انـا لا اشعر بانسانيتي ...
سعيد ما راك ؟؟

وتدعم عينا سعيد وتـسارع انقاسه
ويخطو نحو ابيه ويمسك بيده التي
داعبها وهو طفل صغير ...
ونفـاة يفتح الباب وتدخل امه

بقوامها الفارع وردائها الناصع البياض
وتراه ... تراهـا معـا ...
وتقول لابنها : هـاك بعض الـكتب
التي طلبتها ...
تضعها بهدوء على مكتبه وتخرج
من الـباب كأنها طيف ...
تضعها بهدوء على مكتبه وتخرج
من الـباب كأنها طيف ..
...

وعلى مائدة العشاء يجلس سعيد
بين ابويه ونور جديد يسطـع على
مـحياه ... تكثر الفاتحات ناحية ابيه
ويساله ويـجبـه في نفس الوقت
قائلاً :

- الـنادي الذي حدثتـك عـنه من
قـبل .. بلاتـني اعني .. بلاتـنا ...
نحن الـثلاثة ... وهـناك ...
ساعرك بـيوسف وايبـه و ...
وستذهب جميعا الى هـناك لـثلاث
مـرات في الـاسبوع ... و ...
تقول امه : هل تناولت من هـذا
الـصف يا سعيد ؟ و ... وعلى
فكرة ... غدا ... ان نخرج معـا ...
الى السينـما ... بعد غد سينـتـغير
الفيلم ...

ورد سعيد وهو يـلوك لقـمة من بين
اسنانه ، لا يا امي اسف ...
سـتكونين معـنا في الـنادي الـيس
كذلك ؟

لكنه يلـمـح في عينيها اسـى عـميقـا
وهي لا تصدق ما تراه فتقول : لا ...
لا اسـتـطـيع ... يتأمل سعيد مـحيا
امه ويدرك كل شيء ...

وقبل ان يكمل تناول عـشائـه ..
يقوم من على كرسيه ... ويخطو
خطوات آليـة ... ناحية حجرته ..
ويرفق يفتح الـباب ... ثم ...
يغلـقه .. يجلس أمام مكتبه ...
ويضع راسه بين كفيه ويحس بقلبه
الـفتي يخفق خفقات عالية .. صـارخة
ثم تتناـه غصـة ... لا يـزـلها الا
شـهقات متقطعة يـحـاول كـتـمها
واخيرا ... اخيرا تسـعـفه دموـعه ..
الـندفـعة .. الساخنة ...

القاهرة ، هـدى جاد

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير

تعلن الى طلاب البكالوريا والفلسفة
عن وجود احدث مجموعات قيمة من
الكتب المهمة التي توفر للطلاب
جميع معونات النجاح المضمون

تحت المطر

صديقتي .. تساقط المطر ..
وليس في موقدي حطب
وليس في لهاتنا غناء
بغىء في دماننا الضجر !.

*

تساقط المطر ..
وفطنا ، بنام في العراء
يقرقر الحكاية الرتيبه
بيلدني الفقيرة الكثيبه
وحيث لا لحوم ، لا طعام
تمر في جماجم الظلام
مواكب المواسم الجديده !.

*

.. وطفنا صديقتي سريره العتيق
صريه ، يعكر السكون
بحر في نفوسنا الغريبه
بموطن ، جراحه العميقه
تجسدت رواثا قلوبنا الرقيقه
وفجرت بفكرنا الطليق
مشاعرا سخيه خصيبه ..

*

صديقتي .. وعمرنا حذر ..
بلغنا .. يضمننا سغب
وليس في موقدي حطب ،
وجاءنا المطر
مباغتاً .. تساقط المطر !..

*

دروينا صديقتي ، عسيرة بعيده
وشمسنا تراجعت كسيرة بديده ..
ونجمنا يقبب عن سماننا السعيده
ونحن يا غريبتي .. نسير ..
بدون ما خريطة جديده
دروينا بعيده !..
وقرنتي - صديقتي - ذليلة السمات
تجزها اسنة الفزاة
فترتمي ، جريحة الكرامه
رخيصه ، يبيعها الطفاه
.. وينزل المطر ..

*

صديقتي .. تساقط المطر ..
وقطنا يقرقر الحكاية القديمه
وطفلنا بش من جراحه الاليمه
ونحن يا عزيزتي نقاتل الخطر
فنعنتنا يصارع القدر
لعلنا .. تقابل الصباح بالربيع ؟؟
صديقتي .. وجودنا .. قدر ..

*

صديقتي ، حياتنا ، ضياع
تسكها نرودها ، جياع
وليس في بيوتنا متاع

*

اسماعيل عامود

دمشق

أن نضع طه حسين ، مع عدد قليل آخر من أبناء جيله ، في مكان المحور لتلك الحركة التي ظهرت في مطلع هذا القرن ، ودفعت مصر والعالم العربي الى الامام في حقول الثقافة والتعليم : فبعد أن كون ثقافته على أيدي فئة من اعلام العلماء الاوربيين ، تولى بنفسه مهمة تعليم جماعة من الدارسين وتوجيههم ، بحيث اصبح اعدادهم وطريقتهم في البحث ، في نظر البعض ، في مستوى من النضج يجسد اطيب الاصداء في اوربا والشرق . وبعد هذه الفئة الراسخة القدم ، والتي ما تزال قليلة العدد ، تأتي فئة من الشبان الجدد النشيطين يقوم عليهم مستقبل الثقافة في مصر .

وليس في وسعنا الا ان نكتفي بهذا المقدار من الإشارة الى النهضة في الشرق العربي ، لان ما نقصده في هذا المقال الموجز ليس سوى الترجمة السريعة لصفحات من اهم مؤلفات طه حسين المترجمة ، وهو « كتاب الايام » . ان هذا الكتاب لهو كسب سيرة ، يقع في جزأين ، وقد نال حظا من الشهرة فريدا ، فترجم الى نحو عشر لغات غربية وشرقية ، ونأمل ان يتاح لنا حظ ترجمته كاملا الى اللغة الإيطالية .

« على جميع الناس ، من كل صنف ، اذا كانوا ذوي فقل او ما هو شبيه بالفضل ، ما داموا قد قدموا خدمة جديرة بالذكر ، ان يكتبوا سيرتهم بأيديهم . ولكن يجب ان لا يشرعوا في مثل هذا العمل الجليل قبل ان يتجاوزوا الاربعين من العمر » (ب . تشيليليني - في سيرته التي كتبها بقلمه) .

ويبدو ان طه حسين قد عمل بنصيحة ادبينا تشيليليني هذه ، فأملى الجزيان اللذين تتألف منهما سيرته بعد نحو عشر سنوات من الحوادث التي سجلها سيرة . وتفتح الصفحات الاولى على ذكريات غامضة باهتة عن الزمان والمكان - عن قرية في مصر الوسطى ، في نحو اواخر القرن الماضي - اللذين شهدا المؤلف طفلا في وسط عش عائلي يضم ثلاثة عشر شخصا ، ما بين اخوة واخوات . وهذا القوم الباهت يجد صداة في الخطوات غير الواقة ، والحركات الحائرة التي يعرفها من حرم من نور البصر ولكنه استعاض عنه بنور الروح الاشد ضياء . والواقع ان طه حسين قد قد بصره منذ نعومة اظفاره ، حتى ان من لا يعرفه يستطيع ان يلمس في أسلوبه شيئا غير عادي ، ويحس ان ذكرياته وان احاديثه قد « أمليت » املاء ، ولم « تكتب » كتابة بيد صاحبها ، فهي موكولة الى قلم آخر غير قلمه ، حتى يكاد لا يوجد حل للاستمرار بين صياغة

(١) كتب صديقنا الاستاذ ريتسيتانو هذا المقال تعريفا بكتاب (الايام) لطه حسين ، وعرضا سريعا لما سجله فيه طه من ذكرياته الخاصة ، وما صور به مجتمعه . وقد ترجم ريتسيتانو فيه صفحات عديدة من (الايام) الى اللغة الإيطالية (ع . ن) .



عيسى الناعوري

مع الكاتب المصري طه حسين

للمستشرق الايطالي اومبرتو ريتسيتانو

ترجمة عيسى الناعوري

يجدر بنا قبل كل شيء ان نوضح هذا العنوان الذي جعله الاسماء والمفردات المألوفة لدى الناشئين غامضا لدى من يجهلون العربية . وكما يعتبر جويتير مقدما على الالهة ، كذلك نعطي افضلية التقديم الى طه حسين ، الكاتب المصري نشأة ومقاما ، الذي في مدى خمسين سنة من نشاطه الفريد الخصب لم يدع لونا من الوان الادب الا طرقه : من النقد الادبي ، الى المقال ، ومن القصة الى الرواية ، ومن السيرة - التي سنوجه اليها اهتمام القارئ بوجه خاص في ما يلي - الى المواضيع الاجتماعية التي بذل فيها ، وما يزال يبذل ، عناية فذة ناجمة للاصلاح الاجتماعي ، التي تعرب الناسي اليونانية وبعض الانار المسرحية الفرنسية الكلاسيكية .

والواقع ان محاولة رسم خطوط موجزة من حياة الرجل الذي يعتبر اليوم من اعظم ممثل للثقافة العربية المعاصرة ، ليست من الامور السهلة . وتزداد الصعوبة متى علمنا ان مؤلف السيرة التي سنتقطف منها ، في ما يلي من الصفحات ، اشياء عن طفولته وشبابه ، كان وما يزال الى اليوم زعيم مدرسة وحامل راية ، ابتدع اساليب وافكرها كانت الى عهد قريب موضع الريبة في البيئات المصرية التي كانت تكره كل جديد ، وراح يدعو اليها ويدافع عنها . ومن الحق

رآه بجلاء - وهو يذكره دون أن يقلل به نفوسنا ، نكأنه لا يتحدث عن نفسه - لقد رآه حين عرف أنه لا يملك من نور العين مثل ما يملكون .

وما أكثر الصحائف اللذيذة التي يستطيع أن يجمعها القارئ ، والألوان الشعبية التي يجدها محبوب الفولكلورات المحلية ، والعادات التي يتعلمها المؤرخ المعني بدراسة عادات الشعوب ، والتفاصيل الكبيرة والصغيرة للحياة العائلية والأقليمية التي تتجلى لعيني من يتطلع صفحات كتاب (الأيام) . وله حسين يعرف هذا ، ولكنه مع ذلك يشاهل في الوصف - الانطباعي بحكم الضرورة - حرصاً في الوقت نفسه على أن يكون العرض الظلي الرشيق للأشياء الخارجية متمماً لصورة البطل ، ولصور الأشخاص الثانويين العديدين . ولا تمضي القصة على وتيرة سرد الوقائع الجافة : كثيراً ما ينساق إلى الشطحات الفكرية ، فيميل إلى نوع من الشرود ينسقيفه القارئ . وهو يحب التقديم ، ولكن كأنما يجد لذة ، وهو يعود إلى التذكار ، في أن يجمع ما يمكن أن يظل التذكار يقدمه له من صور . وقد لجأ إلى إهمال الشخص الذي يتحدث عنه - أي هو نفسه - أهملًا أتياً إذا أحس بأن عليه أن يستبدل به في تلك اللحظة أملاً أو أشخاصاً أو أشياء ذات مشاركة في أحاسيس البطل ، أو هي من حوافر أعماله وانفعالاته ، مما يقتضي ادخالها في المشهد لصلتها الحميمة به .

أما في ما يتعلق « بالكتاب » ، الذي سيصبح مالوفاً حتى لدى القراء الذين يحلون العربية ، فإن اللفظة تعني مدرسة أولية قريبة كانت واسعة الانتشار في البلاد العربية إلى أمد قريب ، وقد استعير عنها الآن في البلاد الشرقية الناهضة بمعاهد أفضل وأرفع مستوى وتأثيثاً . وجدير بالذكر أن التقليد القديم قد أظهر لنا مهمة المعلم مقرونة بشعور عميق من الازدراء ، تلمسه بسهولة في الشعر حيناً ، وفي الامثال المعبرة عن ذلك الاحتقار أحياناً . إن انتشار الإسلام قد جعل من الضروري تنظيم التعليم في أراض الامبراطورية الإسلامية الواسعة ، فبعد ذلك إلى اساندة مسلمين كانوا يمارسون تعليم أولي في المساجد أو في مساكنهم الخاصة ، ثم اتخذ له مظهراً جديداً فيما بعد في « الكتاب » ، حيث كان التعليم في بادي الأمر يقتصر على تلاوة القرآن تلاوة تجويدية ، وتحفيظه للطلاب غيباً . وظل الأمر كذلك حتى ظهرت (المدرسة) التي انتشرت من بغداد في النصف الثاني من القرن الحادي عشر في العالم الإسلامي بأسره . وكان الخلفاء والأمراء والحكام المستنرون يدعمون هذا النوع من المدارس الحقيقية دعماً كبيراً ، فقد كانوا قبل عهد تعميم المعاهد العلمية يبدون اهتماماً بالتعليم الذي كان في الغالب محصوراً في ابتائهم ، وكان يجري في القصور الأميرية . وعند ذلك أخذت تحل ، شيئاً فشيئاً ، محل الامثال والاقوال التي تزدي بمهنة المعلم عوامل

الموضوع والتعبير . والذي اعتاد معرفة تركيب الجمل عنده ثم يتاح له أن يستمع إليه في خطاب أو محاضرة ، يكاد لا يلحظ أي اختلاف في طريقتي المؤلف في الاتصال بجمهور القراء والمستمعين ، بينما هما شديداً في الاختلاف لدى الآخرين . والواقع أننا حين كنا على مقاعد الدراسة في جامعة القاهرة ، قبل عشرين عاماً ، كنا نفكر في أن الخصاص الصرفية والنحوية للنثر العربي المعاصر لا بد أن تكون - ويمكن أن تكون - غير مختلفة عن تلك التي يراها طه حسين إذا قدر يوماً - كما نتفأل - أو نرجو ، لا ندري - أن يوجد حل للمشكلة الشائكة الناجمة عن اليون الواسع في البلاد العربية بين الفصحى واللهجات العامية العديدة ، كما يقترح عدد غير قليل من الأدباء : فالمنطق يقضي بأن يكون الاختيار من بين تلك اللهجات التي ظلت في مختلف العصور أقل بعداً ، من حيث التركيب الصرفي والنحوي ، عن الفصحى الحديثة . إن القضية التي شغلت جامعات بغداد ، والقاهرة ، منذ ثلاثين سنة ، واشترك فيها الباحثون العرب من المغرب إلى الجزيرة العربية ، ما تزال إلى اليوم موضوعاً للجدل والنقاش .

ولنعد الآن إلى كتاب (الأيام) . إن الخصائص البيئية والوصفية ، التي تتجاوز كثيراً ما ينتظر من رجل في مثل وضع المؤلف الصحي ، حية في ذاكرة طه حسين عن طريق الاحساس الشخصي أو ما يرويه له الآخرون ، ولا سيما ما كان منها ذا ارتباط بطوقته : كالسياج الذي يحد من انطلاق خطاه نحو الحضور ، والجدول السيلتي يستقي الأرض المحروقة ، ودكان بائع الملابس المستعملة ، والطريق المؤدي إلى المسجد وإلى مدرسة القرية ، وذلك « الكتاب » الذي يوقنا به حسين عنده طويلاً ، والذي سنصور باختصار فيما بعد . وضمن هذا الجو المحدود تظهر صور الأشخاص الأشداء التصاقاً بحياة الطفل ، وهم : الأب ، والأم ، والإخ ، الأزهري ، ثم - في الجزء الأول على الأخص - صورة « سيدنا » ، مربى القرية الآخر ، سواء في ما تثيره من سخرية طريقتي في ممارسة مهنته ، أو في بسبب السور القرائية صبا في أدمغة هنتي ، أدمغة الأطفال الموكولين إلى عنيانته في الحكيمه ، أم في هواياته الموهوسة . وهكذا تتعاقب بملء الحيوية الإشارات إلى سير الأشخاص - وهي إشارات تتلامح مع رغبة المؤلف الحية في عدم إبراز شخصه في الدرجة الأولى - في وصف دقيق ، وحركة إبداعية بين هؤلاء وأولئك . وبالتالي فوق كل عنصر ، سواء كان منطعياً في النفس أم وصفيًا ، تتميز تلك اللوحة الدالة على الصفاء والخضوع التي يتسم بها كل نثر طه حسين ، في القصة والبحث ، والتي إذا نظرنا إليها من وجهة النظر الجمالية الصرف قد تبدو لنا ميزة أسلوبية ، بما إذا وزناها إلى جانب العادة التي ابتلي بها المؤلف - كما يقتضي الواجب أن نفعل - بدت لنا على الإصح انعكاساً لخضوع وادع المعسر الذي شاء أن يعززه عن أشقائه : وهو اختلاف

أخرى من التقليد الإسلامي ترفع من شأن العلم « الذي يجب أن يطلب ولو في الصين » ، والعلماء الذين «مذاهم أفضل من دماء الشهداء » .

ولكن لنندع الآن الكلمة - التي لا تبلغ كلمتنا مسدى إشرافها - إلى طه حسين نفسه ، الذي يقدم الينا عن (الكتاب) لوحة عظيمة الحيوية في الجزء الأول من كتاب (الأيام) ، فنترجم في ما يلي منه بعض الصفحات الأكثر عذوبة ، آملين - أو واهمين - أن تكون قد عرفنا كيف تجنب أي معنى من معاني البعد عن الروح الاصيلية ، ونجسنا في المحافظة ، حتى في الترجمة الايطالية ، على سهولة الوصف والتكرار اللبدية التي يخشى غالبا أن يتحول ما في أصلها العربي من قوة التأثير إلى صناعة لفظية متكلفة عند الترجمة . لقد ذكرنا من قبل أن المؤلف يتحدث بضمير الغائب ، وهذه موضوعية تفصل المؤلف عن بطل القصة ، فتضاعف بذلك من اثر الروح « الفسقية » - المتشائمة الكئيبة - المنشرة انتشارا واسعا في الجزاين .

(هنا ينقل ريتسيتانو إلى اللغة الايطالية صفحات عديدة من الجزء الأول من (الأيام) من بداية الفصل (٥) إلى منتصف الفصل (٩) ، أي من الصفحة ٢٨ إلى الصفحة ٥١ من الكتاب ، معلقا على ذلك بكثير من الهوامش التي تعين القارئ الايطالي على فهم الأمور التي يعرض لها المؤلف . ولما كنا لا نستطيع أن ننقل ههنا النص العربي الاصيل ، لذلك لا نرى فائدة من ترجمة تلك الهوامش - القيمة ، من دون شك - لعدم وجود النص الاصيل الذي تفسره) .

ونحن مضطرون إلى عدم الانسياق وراء لذة متابعة المؤلف في وصفه للمراحل التالية من حياته في القرية ، لكي ننتقل - مع الجزء الثاني من (كتاب الأيام) - إلى القاهرة ، حيث يمضي « الصبي » ليتابع دروسه فسي الجامع الأزهر .

يكاد الأزهر يكون معاصرا لتأسيس مدينة القاهرة - وقد تأسست على اثر فتح الدولة الفاطمية لمصر عام ٩٦٩ ، على يد القائد جوهر ، الذي يقول التقليد انه من أصل صقلي ، وقد اعتنقه الخليفة المعز لدين الله - . وقد اكتسب هذا المعهد الاتقي منزلة رفيعة على توالي العصور ، وما يزال مقصد كل راغب في التخصص في الشريعة الاسلامية . اما طريقة التعليم فيه - باستثناء بعض المواضيع التي لم تكن ، إلى سنوات خلت ، داخلية في البرامج الرسمية لذلك المعهد - فهي ، إلى حد ما ، الطريقة التقليدية ، فما يزال إلى اليوم ، كما كان في الماضي البعيد ، يجلس افواج الطلاب من مختلف الفصول - ولا سيما الابتدائية - في حلقات ، متربعين على الأرض ، من حول معلم في جانب من رواق « المسجد - الجامعة » ذي الاعمدة العديدة . وفي

تلك الطريقة الأزهرية التي ظلت امدا طويلا - وإلى عهد قريب جدا - لا تتغير رغم تعاقب الزمن ، نجد دليلا آخر على التمسك بالتقاليد التي تكاد تدل على أن هذا المعهد الإسلامي العتيق يتفاضى عن الفتوحات الإنسانية الجديدة في حقول التعليم مع أن الشرق العربي قد أخذ بها فسي الآونة الأخيرة ، بالرغم من المقاومة التي أبدتها بعض الجهات الرجعية .

غير أننا نؤثر أن يحدثنا طه نفسه عن هذا المعهد الأزهرى مباشرة ، فقد التحق بصفوفه حين كان مدرسه مختلف المواضيع شديدي التمسك بالماضي ، ويؤلفون سدا مهيما في وجه حركات الإصلاح الاجتماعي والثقافي الناشئة .

ويبدو أن في تطلع الطالب الأزهرى الشاب إلى الحاجة الماسة لحربة النقد ، تنعكس أولى بوادر التجديد الثقافي في مصر ، التي أصبح في الامكان خلقها عام ١٩٠٨ بإنشاء كلية الآداب في القاهرة ، التي كان المؤلف بين الطلاب الاوائل الذين التحقوا بها للدراسة أولا ، ثم للتدريس فيما بعد . وهناك حادث فريد جدير بالتسجيل ، وهو أن طه

حسين قد بدا في رحاب ذلك المسجد الأزهرى اولى حملاته على جمود الاوساط المحافظة ، الذي يبدو جليا في تلك الدروس التي تعطى بشكل تلاوة تجويدية آلية كان لها اثرها في ثورة « الصبي » الأولى على تلك الاساليب التي عفى عليها الزمن . ولن نستطيع الاغواء أن نقعد صلاحيها الخصمين الذين سيعضبان في تصادمهما كلما هاجم أحدهما الآخر في الجانب الذي يتمسك بآثاره ، أو في القضية التي يرى أن الواجب يفرض عليه المحاربة في شأنها . ومن بعد قريب ثار جدل عنيف بين طه حسين والأزهر في صدد امتيازات التعليم التي يريد طه حسين أن تقتصر على كليات الآداب ، ويريد الأزهر أن تمتد أيضا إلى معاهده الدينية .

ولنعد الآن إلى طه حسين ، ابن العشرين عاما ، وهو على عتبة تلك الجامعة المدنية التي سيتصل فيها ببعض ذوي الكفالات العلمية العالية من المعلمين الاوروبيين - وبينهم من مستشرقين الايطاليين : اغناطيوس غويدى ، ودافيد سانتيللانا ، وكارلو الفونسو تليليو - ولا نلث أن نجده بعد ذلك في فرنسا ، في السوربون ، ثم من جديد في بلده الاصيل ، حيث لا يعم أن يقف في طابعة الغلة المصلحة التي كان لها الفضل في رسم السبل في مصر ، وبشكل غير مباشر في العالم العربي ، للتحور من قيود الماضي الذي لم تظهر مقدوره الفنية على تقبل الجديد ، وما فيه من عناصر الاخصاب والائماء إلا بعد أن عالجوه ووضعوه امام حاجات العصر الجديدة .

لقد كان للمعركة بين المجددين والمحافظين في مصر ، في بعض الأحيان ، مواقف دراماتيكية ، ولكنها لم تنجح في قهر متطوع طه حسين وبديته الصريحة . لقد عاذه من فرنسا مزودا بهيئة فكرة في العلوم الإنسانية لم تدفعه

وجهرها الثاني

مهدة إلى سعيد عقل

عيناك ترتعشان في التيه
ويدي تدحرج لعبة الوقت
الخراف في العنين منظر
ان تركن التيشات في البيت
والريج تعبر صوب نافذتي
فتسبات من صوتي
ودب من اعلى اغانيه
ذات الجدار ، لكاد تعبره
عيناك ، نولا قبضة الموت
الوجه هذا الوجه اعرفه واحس اني ساكن فيه
واين على الاحداض منطرح وفي على جرح يتلفيه
لو مرة افلقت نافذتي
وهبت لي صمتي
يا وجهها الشمسي .. يا بيتي
اطمعت للثيران زوبعتي وهربت من الملال سجناتي
وهبت للحسار الكفاني
وايت صوب سفينة ميرت
بي مرة ... للمسلم الثاني
حيث الضيفان النضر المشية
شعراء من خصلات نيسان
والفيض في العنين مرتجف
والوجه .. ينس وجهها الثاني
وعلى الجبين جزيرة ومدى
في النجس بلقاني
يدها ونيمته على فيها وحديقة في زند بستان ..
هب لي عروق النيل تمنعني ، وجهها الثاني
والصمت في الاحداض مرتجلا ..
هب السلمي .. لحظات نيسان ..

رشدي العامل

بغداد

به من تعريه نبي ، اذ جعلها الوالد الكفيف البصر خطايا الى
ابنته - وهي اليوم زوجة رجل ايراني ناب - يحذلها فيه
عن والدتها ، لكنه يرمي من ورائه الى الاعراب للصغيرة
ولجمهور القراء عامة عما يدين به لها من عرفان ، منذ ان
اسلم الى يديها الحائيتين مصير كتبه الاليمه .
(وهنا يعود ريتسيتانو فيترجم الى الإيطالية الصحاف
الآخر من الفصل (٢٠) من كتاب (الابام) - الجزء الاول -
التي يوجه فيها طه حسين الخطاب الى ابنته) .

عيسى الناعوري

عمان

الى التنكر للتقليد تنكرا تاما ، ولكنها كانت ذات اثر كبير
في ارهاق حسه لتفهم الاشياء ، ولتقدير النقد الموجه الى
التعابير التاريخية والادبية الخاصة بالاسلام - وقد اظهر
ذلك على اوسع مدى في اعماله الادبية العميقة الرصينة -
وقد انصرف طه الى الحياة العلمية دون ان يهمل تجديد
قلمه في الصحافة . لقد كانت تدفعه الى ذلك روح التجديد
المتوقبة فيه . وبالفعل استطاع عن طريق صفحات كبريات
الصحف المصرية ان ينشر في الناس دعواته الحارة المؤثرة
للاصلاح الثقافي التي راح يقضح بها الرجعية ، ويحارب
الاساليب التي كانت حينئذ في صراع حاد مع ما يتطلع اليه
البلد ، من ناحية الثقافة ، الى اقتفاء اثر البلدان الغربية
التي كانت الاتصالات الاولى المثمرة معها ، والتي بدأت في
عهد محمد علي ، قد قويت في عهد خلفه اسماعيل ، فسي
القرن الماضي .

وهذا الذي ذكرناه قاله طه حسين ، او ترك لفظنة
القارئ ان يتبينه ، في بعض صفحات الجزء الثاني ، الذي
نترجم شيئا منه في ما يلي للقارئ الذي لم يتح له ان
يتدفق حلوة نثره في اصله العربي .

(هنا ايضا يترجم ريتسيتانو الفصل (٩) من الجزء
الاول من (الابام) الممتع ، ولكن هناك معلومات حديثة
تحملنا على الاعتقاد بأنه عاكف في هذه الايام على املائه ،
هنا في ايطاليا (٢) . والمادة التي سيشتغل عليها تستحق
منا الانتظار المتلف : فالواقع ان من المتعجب ، وقد وصل
المؤلف في الجزء الثاني من كتابه الى عتبة الجامعة المصرية ،
ان يوقف القارئ على الانطباعات الاولى التي انارتها في
نفسه البيئة الجديدة التي اتاح له فيها ان يكون قارئا على
ايدي كبار مستشرقينا الايطاليين . وقد ذكر المؤلف من
ينهم كارلو ليلينو ، واثني في مناسبات متعددة على فضله ،
كما انه في مقدمته لكتاب (تاريخ الاداب العربية) الذي
جمعت فيه الدروس التي القاها استاذنا الخالد لليلينو في
الجامعة المصرية عام ١٩١٠ - ١٩١١ ، ذكر ان هذه الدروس
« كانت هي الوجه الاول لنهضتنا العلمية في دراسة الادب
مباشرة او بالواسطة ، وجهت تلاميذ الاستاذ الذين سمعوا
منه فيبحثوا وتعمقوا واحسنوا الفقه ، ثم وجهت اجيالا من
الشباب سمعوا على هؤلاء الطلاب الذين اصبحوا اساتذة ،
وقرأوا لهم حين اصبحوا مؤلفين » .

ولكننا نسيء الى الحقيقة والى مواطن الاحساس لدى
طه حسين نفسه اذا نحن لم نختتم هذا العرض للمؤلف
المصري بترجمة الصفحات الاخيرة من الجزء الاول من كتابه
(الابام) التي شاء ان يهديها الى رفيقة حياته : السيدة
طه حسين ، الفرنسية المولدة والثقافة ، والتي نقرأ نثاءه
الماطر على ما تتحلى به من انكار الذات والتضحية في ختام
اعترافاته ، التي جاءت اكثر عمقا وتأثيرا بما شاء ان يغلفها
(٢) ظهر هذا المقال في عام ١٩٦١ ، في مجلة (حويلات كلية الماجستير)
في باليرمو .

الحضارة والادب

بقلم يوسف حوراني

ما يكتنف الإنسان من غوامض وتعليلها ، وتقريب المبهم من احاسيسه وابرازه ، وربطه ما يمكن له الربط بما يعمل في النفوس من امان وآمال وبراعة عواطف . وان يكن الادب اضحى في الحاضر ذا مجالات قصيرة ومدايل ضيقة حددها له الواقع وامكاناته التي سيطرت فيها مفاهيم العلم الموضوعي واحتجرت لها الاحتمال وتكرار الحدوث ، ان يكون في الحاضر قد حرم من الكثير في مجالات الخيال الانساني الطامع تلك المجالات التي حكمها المنطق ، فهو في الماضي كان ذا فسحة رحبية تنمو فيها العاطفة وترسح طليقة حرة لتأخذ الشكل الذي تشاء من العالم الغامض العجيب المحيط بنا .

وهكذا كانت الرموز والابماضات الادبية الشعرية التي نقرأها في الاساطير تكتشف وتفسير ليس فقط وجدان الانسان وحده المرتبط بالاشياء بعاطفة طبيعية او بميل نفسي ، بل تكشف وتثير الاشياء وعلاقتها بينها بوساطة الماعا شعرية ذات قدرة تتفوق على منطق التجربة ذاته في ممارسة الاستكشاف وتجسيد الحدس . وبهذه الصفة المتملكة في عالم الغموض والرموز استطاعت الاساطير الادبية ، كما استطاع كل عمل ادبي كبير ان يخلد متجاوزا كل زمان ومكان ، باقيا على وثاق صلة براءة الاحاسيس الانسانية التي ترافق الانسان منذ بدئه ان يكون انسانا .

ولعل اسطورة قصيرة من اساطير ما بين النهرين تكشف لنا هذه الصفة الخالدة وتربنا صلاحا لكشف معنى انساننا الماعا كما معنى الانسان الذي كتبت رموزها له .
تروي الاسطورة ان الاله « ابا » اتخذ له صديقا من البشر ، ففجئ الاله بهذه الصفة فجاء له بالسرار ومعارف لا يعرفها الا الالهة انفسهم ، حتى انه استطاع التحكم بالرياح واخضاعها لارادته . . ففجئ الاله بهذه الحكمة العلوية وقرر دعوة صديقه الى مجمع الالهة في السماء ليبحث معه في هذه الاسرار . وقد خشي ان يأمر الاله آتو (الاله الاعظم) بقتل صديقه الانسان لعدم مناسيته للعيش في الارض بمثل علمه الوافر ذاك . فراح يرسم له الخطط لينقذه من الموت .

اشار عليه ان يرتدي ثياب الحزن ويحثو الرماذ على رأسه ليخذه الحارسين اللذين يحرسان باب الالهة بزعمه انه حزين لانهما فارقا الارض دون عودة . وقد نجح بخدعته هذه ونال عطف الحارسين وتأييدهما له في مجلس الالهة . وهنا استدرك الاله « ابا » تورطه مع هذا الانسان وشعر بالندم اذ تخيله سينال الحياة الخالدة ويبقى في مجمع الالهة بعد ان يجتاز الامتحان الذي سيعرض له ، فقرر ان يعيده الارض كي ينهي حياته كما ينهيها باقي الناس . فواضاه بان يقتل اللاس الذي يقتلها له الاله آتو وان يرفض الطعام او الشراب اللذين سيقدماهما له لانهما طعام الموت وشرابه حسب زعمه .

عندما كان ادباء عصر الاساطير يزيفون انساب الالهة ليولدوا من سلالتهن احد الاباطال لم يكونوا يفعلون غير ما يتطلبه ابناء مجتمعهم ويطمحون الى تحقيقه في عالم الواقع ذي الاسماء والهيئة والابعاد . والغاية الكبيرة العليا من هذا الالحاق العائلي للاباطال المنتصرين بعالم الالهة الخالد ذي القوة والجبروت ، هي الشعور بامتلاك عالم مثالي بامكاناته وامجاده ، عالم سام خالد تنقل اليه آمال الشعوب المنتصرة وامانيها مع الاباطال المجيدين الذين قادوها الى النصر والتفوق .

وهكذا كانت تصل نشوة النصر وحسن التفوق لدى الشعوب الغالبة المسيطرة الى تجاوز الارض ذاتها التي تعيش فوقها الشعوب المغلوبة والاناس الضعفاء وتجري في جوها اليومى الكمدا والاحداث .

وحين نرى الى هذا الحس الساذج البريء في حضارات الفكر الاسطوري الماعية ، ونستقري ما كان له من طاقا عمل وامكانات ابداع ، نجد ان الفنانين والادباء فقط هم من كان يفهمه ويستقصي ابعاده لمعطية الشرعية في عالم الخيال المتسامي في الانانيات .

كما اننا حين نرى الى العصور التي جاءت بالاباطال الالهة وانصاف الالهة ، تلك العصور التي نشطت فيها روح التمرد ورفية الماغارة ، حين نلظر لها بتأمل نجدها دائما عصور ازدهار وابداع حضاري تسامي بها الانسان على نفسه وربط انسانيته الالهة ذاتها ، بوشائج من حسن فني عظيم نظم له فوضى سلطات الغيب ، وجعله يشاركها بالثمنان في قدر التحكم بمصير الكون ومجاهيل الاسامي والاحلام .

وهكذا كانت العهود التي نشط فيها الادب لتفسير عالم الغيب بوساطة آلهة الاساطير عهود ابداع ونصر في الماغارة مع كل جديد ، وفي جميع المجالات . وبينما تكون عوامل المجتمع وحركة التاريخ الانساني فيه هي التي بدرت هذا الحسن المتعالي ونجد الادب بما له من رموز تعبيرية وامكان تشكيل للوقائع الخيالية قام بآليات هذه النوازع وتكرسها لاعلاء شان الانسان واكبار احاسيسه ، او انه اجتهد لتبرير سقوطه وتخاذله عندما ينتكح حسن السقوط والتخاذل . فرسالة الادب دائما هي هي في كل الحضارات ، وفي كل فترات التاريخ . ومهمته الرئيسية تكون في تجسيد

أوبة نازح

فقد عروني صمت ليس ممن شاني
حب الجمال وما يوحيه وجداني
شوقا يؤججه ما كان عثاني
خفق وشجو فظل المتعب العثاني
نحله روضنا وصل ونحنان
مناهة العيش جناني وبستاني
به ففارقت احبابي وخيلاني
بضمهم في ضلوعي ذلك العثاني
على النوى والثاني صورة الثاني
دب الجفاف الى زهري واغصاني
واخمدت في ذرى الاحساس نبراني
على كياني وهيت ربح اشجاني
في سعي يوم ليوم محض جثمان
تسرد حسي ونحيبي في اتسائي
دينياه في ناطقيه ذي اسوان
ام النشور شهاب فوق كيوان
الاوراد مفرقات نوبها الثاني
مصر الحبيبة تظني حسر ظمآن
وكيف نكران اقوام واوطنان
فتفرق السيف عصفاء بين عيدان
ويستوي فيه اسراوي واعلاني
يسراي ان شاع في يثاق ايماني
كانت لعهد شبلي حمر ميدان
من الاجاميس في كف النوى الجاني
وراح ما كان من همي واحزاني
فصرت ارفسل في ابواب نشوان
به بصير سيطونه الجديدان
كانها في الكرى احلام وسنان
واحتسي مللي والشوق تدعاني

با ربة الشمر ردي بعثي العثاني
غاضت يتابع في نفسي بفجرها
قالوا استرحت وفاتهم مكابدي
وكيف راحة قلب دابيه ابدا
الا سويصات امن في ظلال هوى
فردوس روحي على ارضي الشفاء وفي
عدا الزمان على ما كان تمنعي
ان كنت فارقت احبابي فما برحوا
الغان في قلب كل منهما سكنت
ان طال بعد جدوري عن مئائتها
وصوحت همسات الشمر في اذني
واطبقت ظلمة عمياء بارادة
وكدت اكر نفسي حين ابصرها
لا بد من عودة للروح من اعم
انساني الصانع الملهوف مذ ليست
الى الحمى طار بي شوقي وقد مررت
طيري وحي الخطا فاللجر قد نشرت
لعل نهلة ماء من عينيك يا
ان التي اكرتني لست اكرها
وسوف نشر في يوم كنتها
هوى لقومي مللي ايفت يملكها
عليه احيا اولفني الله وهو على
هبط ارضها ديا من تربها جليلي
فانعثت رجبها ما كان مختلفا
وردت الروح للمعمود نائبة
شربت خمر معادي من معاذنها
لسكن حسرة نفسي ان ما نعمت
ايماننا في الحمى سرعان ما انصرفت
وعدت للوحشة الخرساء امضها

جمال مرسي بدر

ليوبولد فيل

هي للانسان وقدره في كل زمن ومكان ؟ فادبها المعزول
بحكمته عن باقي الناس يولد ويموت كباقي الناس ، حتى
وان ارادت الالهة له الخلود فهو بشكه وقابليته للخدمة ،
يرفض هذا الخلود . وهنا يبدو الحكمة العظمى . حكمة
العبت والمستحيل في حياة الانسان . حتى لنخال
جميع ما جاء من فلسفات وابحاث في هذا الموضوع كان
اقتباسا عن هذه الاسطورة الكبرى التي رمز بها الفنان
القديم الى الانسان وقدره الغريب .

يوسف الحوراني

وفي المجلس اقر الاله الاعظم بعلم ادبا وسعة معارفه
فقرر ان يبقيه خالدا في السماء بعد ان انفصل بحكمته عن
الناس سكان الارض . فامر له بملابس وطعام وشراب هما
طعام الخلود وشرابه فاخذ ادبا الملابس ورفض الطعام
والشراب استجابة لتصيحة الاله « ايا » صديقه ، وخوفا
من الموت الذي ظنه يكمن فيها . واصر على رفضه فكف
الاله عن مطالبة ، وقال له : « يا ادبا ! لقد رفضت ان تاكل
من طعم الحياة فعد الى الارض ومات » وهكذا عاد ادبا
الى الارض ومات كما يموت سائر الناس .
فهل ترى هذه الاسطورة تقف عند انسانها فقط ؟ ليست

اشد ما يزعج الناس ويتعص عليهم حياتهم ان يجدوا الموت يلامس من هم في سن العتوان .
 سن غير ملائمة . هذا لان البشر يهون الانظمة . لكل شيء نظام عندهم . كل ما يتجاوز النظام او يطيح به يقلقهم الى ابد حد .
 سمعت احدهم يقول - اذا رايت ورقة صفراء جافة تسقط من على الشجرة افهم الموت اما في الحالات الاخرى ، كان تكون الورقة خضراء نضرة ، فهذا ما لا يمكنني تعليه ابداء .
 على ان اكثر الاسحاب ومعارفي حاولوا اهمال التعلييل وان ينسوا بأسرع ما يمكن امري . ان نظرتهم البلدة الخاملة جعلت مني ، وقد وزع فوقي التراب ، قطعة من الثرى .

ان موتي اصبح تاما . هم لا يحاولون تمثلي اطلاقا . يهربون من ذلك . الخوف يتصددهم دائما وخاصة اناء استسلامهم للثوم . تسحرهم النشوة في النهار ، نحل يمتسح رحيقا ، حياتهم محددة بامتصاصهم رحيق الشهوات . ولكن اليس في كل شهور العالم طعم تراب ؟
 اطفأ لننو تلميذ نور غرفته وقد افلق كتاب الفصص . واضاءت امرأة صحت على بكاء طفلها ، وغنى رجل سكران في الشارع . الساعة تزحف الى الثالثة . الوقت ايضا منظم عندهم .
 انني ابتعد مع الليل .

عشت ساعات . ساعات بواسطتها . لم اكن كاملة . كنت لوحة ، لوحة تجول ابعادي كلها . لوحة قد تعود للحياة من جديد وايضا على شكل لوحة . غير انني ابتعد مع الليل الى حيث لا تعلم .

ها هو الرجل صاحب المخبز يفتح ابواب القرن ويدخل معه فتى قوي الساعدين ليبعجن الدقيق لاهياء القد .
 ها هو حارس الليل يصفر لزميله قبل ان يمضي الى البيت فينام في الوقت الذي توضع فيه الاف اباريق القهوة على النار .

على المسند الخشبي فرايت انها قد رسمتني جالسة على المقعد المرتفع وقد ادبرت ظهري .
 قلت لها : انها لوحة موفقة فعلا .
 ثم اضفت : ستهديها الي اليس كذلك .

فقلت : بل احتفظ بها عندي .
 اما الان وقد مضت سنوات على ذلك فلم امد اعلم ما الذي صنعت به تلك اللوحة .

لقد كانت مرسومة بقلم الفحم على ورق ابيض مقوى .
 انها تحاول في هذه الليلة ان تتمثلي ولكنها لا تعلم عني الكثير .
 مرة التقينا بحفلة وكنت ارتدي

مفوط ورقة خضراء

بقلم الانسة وينه عبودي
 زيا احبها جدا . تنور فريضة ذات قاتل وكانها طفلة لا تصدق ما ترى : اين وجدت هذا اللون وهذا النسيج وهذا الشكل الجميل ؟
 فضحكت قائلة : اوتشكين في ذوقي ؟ اني فتاة .
 سمعت يوم الحادث احدي صديقاتي تردد :

— من حسن الحظ ان وجهها بقي سليما .
 اما انا فقد صدمت حقا .. صدمهم النبا ، اما انا فقد صدمت فعلا .
 اعتقد بانني صرخت بقوة وانا اقد توازني واهوى . سمع صرختي الكثيرون قالوا انها صرخة مربية .



انتهى المساء منذ وقت بعيد .
 في سماء مشرقة ، شبه زرقاء .
 هدير سيارات . انوار في تل قريب .
 ما اعدب ان يسبح المراء في الفضاء خفيفا رشيقا .
 انها تخيلني ان اسبح في الفضاء ، خفيفة رشيقا . ولكن اين انا ؟
 انها تخيلني احبانا بعض الدخان .
 لقد كانت تبحث عني منذ قليل .
 ذكرها بي قول فتاة كانت ايضا من معارفي ، كانت تبسم بشكل مرعب وهي تبث كلامها « سهاها الان سعيدة . لعلها اسعد . »
 وذكرها بي قول رجل كان ايضا من معارفي قال لها هذا المساء :

— ما حدث لها لامر فظلي لا يصدق .. لقد كانت فتاة مرحلة مرحلة جدا هذا ما يجعلني استبعد اي احتمال اخر .. لقد كانت فتاة مرحلة .. ولكن من يعلم ؟

انني الان لوحة حية ذات وجود متعددة . اظهر مبهمة مهللة الاساير وفجأة تلق مخيف سحب اسود يسري الى اللوحة .
 في هذا السكون تحاول ان تتمثلي .. « صوري كما رايتها » .

صورتي بالرسم وانا جالسة على ذلك المقعد المرتفع ارسم اناء نحاسيا ، ابريقا على الاغلب .
 قالت لي : احب ان ارسم انسا ايضا .. سارسمك انت ؟
 قلت لها : حسنا هيا

سمعتها بعد قليل تقول: امر غريب حقا ولكن تقاطيع وجهك تبدو لي غير متناسقة .

ضحكت قائلة — تبين لي ذلك صدفة انا الاخرى . اعتقد ان من اخواني الاربعة انا اقلهم جمالا ولكن والدتي اوحث الينا جميعا باننا فعلا جميلات .. ونجحت الحيلة على ما يبدو .

وبعد نصف ساعة سمعتها تقول وهي ترمق اللوحة :
 — ولكنك فعلا جميلة . انظري .
 ونظرت الى الورقة البيضاء المركزة

الرهوى الزائف

كذب القول والهوى
فريسة ، لم يكن سوى
لم غايت مع النوى
شرب النور فارنوى
شف سحبا ومحتوى
يا هواها الذي هوى
اعتم الدرب والنوى
في كهوف بلا كوى
في دروب من الجوى
يلقى طيشها اكنوى
طامى الروح ما ارتوى

حدنوها عن الهوى
لم يكن قولهم سوى
صدقتهم واعرفت
الهوى الطاهر الذي
كان تمثال عفة
خر ، لما تكرت
حينما غرروا بها
فمضت في ضياعها
والغريب الذي مضى
حاضنا قلبه الذي
لم يزل بعد هائما

ويح هذا الذي غوى
انه الكذب ما روى
مرخة الذلب الازغوى
تسكر القلب لو حوى
في صلاة لمن نوى
ونعيم لدى التوا
وجعيم لدى النوى
ويشرائه كوى
انه الداء والدوا
حدنوها عن الهوى
ونبا الدوب والنوى
في كهوف بلا كوى
في دروب من الجوى
يلقى طيشها اكنوى
طامى الروح ما ارتوى

حدنوها عن الهوى
انه الوهم ما حكى
ليس حبا ، وانما
الهوى الحق نبضة
الهوى الحق همسة
وابتهاج وفرحة
واشتياق ولهفة
كم حانا بنوره
انه الجرح والشفا
انه ذاك ، لا كما
يسوم ان غرروا بها
فمضت في ضياعها
والغريب الذي مضى
حاضنا قلبه الذي
لم يزل بعد هائما

عبد النعم عواد يوسف

مصر الجديدة

لا يخشى ان يفقد توازنه فرعا بمعززه،
عجزوه عن تقبل الموت وكأنه امر
طبيعى .

انتهى المساء منذ وقت بعيد .
آلاف اباريق القهوة توضع على النار.
سينصرف كل فرد الى حركاته
اليومية بعد قليل .

وقد يسأل بعضهم لبعض الوقت :
اين هي ؟ اين انا ؟

وقد يبكي بعضهم وبعض الوقت
قائلين : انها ماتت . انها ماتت .

رينه عبودي

حلب

العالم هذه الاضحكة الحلوة
المسخفة ..

ولكنى صرخت من الهول حين
تحققت بلحظة جنونية ، لحظة سبقت
موتي ، بانى فعلا اهوى والى غير
رجعة . انتهى المساء منذ وقت بعيد.
في سماء مشرقة شبه زرقاء تتخيلنى
اسبح في الفضاء خفيفة رشيقه .

ولكن اين انا ؟
انهما تبحث بلا جدوى عنى .
تتخيلنى احيانا بعض الدخان . ما
اعذب ان يسبح المرء في الفضاء ..

سيمر الشارع بعد قليل ببائع
الحليب ، بالطالبات ، والطلاب ، بصغار
التلاميذ . سيمر الرجال عمالا
وموظفين ستلحق بهم عجائز العالم
الى بيوت الله .

سيستفرغ رغم النعاس كل امرئ
الى عمله اليومي . هذه هي الحياة .
الحياة كما يعرفونها . الليل والنهار ،
الحب والحرمان ، الفنى والفقر ،
النجاح والفشل ، المرض والصحة ،
الخصوبة والعقم ، الشتاء والصيف ،
وهناك اشياء مماثلة اخرى .

وأحطنا بها وأكثرنا لا يفكر فيها ، ولا يلتفت إليها ، وقل من
بيننا من يحضر الى ذهنه صورة شيء مما يحيا بيننا من
المشاهد والمناظر (١) » .

ومن ثم كانت مهمة الشاعر ان يقودنا بخياله الى مشاهد
الحياة وحقايقها ، لتشاركه الرؤية والمتعة ، وطريقه الى
تحقيق احلامنا الا يسبح بين الضباب ويلقي اليها كلاما
شاردا مما تمليه الاوهام المرعبة ، والاوهام المرعبة هي
الاحالات الكاذبة التي تشتت في مسابح الخرافة بعيدا عن
الحقيقة التي تلمس التوضيح والتفسير ، « وان خيال
الشاعر يحلق في سماء الشعر بجناحين من الحقيقة ،
وليس من فضل في ان تأتي بمعان او صور كالزئبق لا
تتمكن اليد منه ، ولكن المزية كل المزية ان تسوق ما لا يفرضه ،
بل يزيده شرفا وصحة ان تواجهه بالحقائق (٢) » .

وليس الخيال ما يقف عند حد التشبيه او الاستعارة
مما درج الناس على اعتباره صورة الخيال فالخيال في نظر
مدرسة الديوان اوسع من ذلك مجالا ، فقد يكون عرض
الحقيقة الشعورية ، ووصفها بدقمن اسى الوان التخيل ،
ومثل ذلك في التخيل البارع ووصف حركة النفس وتحليل
العاطفة الانسانية ومن ذلك ما وصف مويك حال ابنته بعد
موت زوجته والام نفسه :

فلد تركت صغيرة مرحومة لم تدر ما جزع عليك فجعز
فقدت شمائل من لزامك حلوة ففتيت تسهر اهلها وتفجع
واذا سمعت انينها في ليلاها فطقت عليك شئون عيني تدمع

والشاعر يصنع الحقيقة بتعبير بسيط ، ولكنه احال
الحقيقة شعورا مؤثرا لانه مهيأ بسحر التعبير من عدة
مواقع : الام للفقيدة تركت صغيرة في حاجة الى رعاية
وحنان ، والطفلة البريئة لا تفهم الجزع وهي اولى الناس
به ! وكيف تبنت طفلة لا ام لها ؟ وماذا يفعل الوالد المكروب
اذا سمع ابنته تن من الوحدة وبرد المضجع ؟ !

انه لا يملك غير البكاء على حليبه فقدت فيها ابنتها
الصغيرة وزوجها المرزا شمائل حلوة ! يقول عبد الرحمن
شكري معلقا على هذه الابيات : « ان الشاعر لم يعلمك شيئا
جديدا لم تكن تعرفه ، ولم يبهرك خيالك بالتشبيهات
الفاصلة ، والمخاطبات المعنوية ، ولكنه ذكر حقيقة ، ومهارته
في تخيل هذه الحالة ووصفها بدقة وهذا اجل التخيل (٣) »
وقال النابغة الذبياني في حصن بن بدر (٤) :

يقولون : حصن ! لم تأبى نفوسهم وكيف يحمى والجيال جنوح
ولم تلفظ الوئى القبور ولم تزل نجوم السماء والادبم صحيح
فعما قليل لم جاء نعيمه ... فقل ندى الحى وهو ينوح

والشاعر يشرح حركة النفس في براعة معجزة ، بقصر
دونها كل بيان ، تهامس الناس بموت حصن ، ولكنهم لا
يجرؤون على النطق بهذه الكلمة استعظاما واكبارا للفقيد ،
فان موت حصن ليس شيئا سهلا في النفس ، وليس خبر
موته مما يمر على الاذان ككل الاخبار ، والنفس الانسانية



محمود محمد سليمان

الخيال في مذهب مدرسة الديوان

بقلم محمود محمد سليمان

لقد وضع من مقالنا السابق ان الخيال ليس في الشاعر
المجيد اصباغ موزونة مقدرة ، تعني فكره وترجم عن
احساس ومشاعر ، وليس تهويما او فوضوا ، والشاعر هو
في صفته الخيالية بالقدر الذي لا يخلق بها في اجواء غائبة ،
ذلك اننا نقدر فن الشاعر على اساس انه انسان ملهم ،
يكشف بالهامه ولقائته ما في الحياة من ينابيع الخير
والجمال ، ونحن توافقون بدافع من غرائزنا الى استطلاع
المكنون من اسرار الوجود ، وحقائق الحياة ونحن نلقي
الزمام الى الشعراء ليكونوا امعاء على رسالة الفن ، فلا
يصطنعوا خيالا يوهمون به الناس انه صورة لحقيقة في
دنياهم ، انما يتخيلون ما يحسون لنجد في اصداء خيالهم
احساسا فنسعد بفهمهم ونستمتع .

ومن حق الشاعر ان يؤلف اشئنا الخيال ويبتكر من
اقواف السحر فيه على شريطة ان يصلنا عن طريق هذا
الخيال بالحقائق التي نحسها ، ولا يقول قائل : ان الحقائق
التي نراها ونحسها ليست في حاجة الى خيال الشاعر ،
اذ هي في صراحته ووضوحها كقيلة ان نستلهم منها ما
نشاء . ذلك اننا لا نستطيع ان ننسفر من حقائق الحياة
ما يفرق الشاعر من اسرارها ، فعينه اللافتة ، وحسه
المتيقظ وخياله الدقيق اقدر على وصل نفوسنا بحقائق
الحياة . يقول المازني في حصاد الهشيم : « ان الحقائق
معروضة على اذهاننا وتلوينها غير ان كونها كذلك ليس
يستلزم ان تكون قد اتفقتنا بشهودنا اياها ، ووعيناها

وهمساتها الخفية ، وإذا لم يكن الشاعر الذي يقوم بهذه المهمة واسع الخيال نافذ البصرة فليت شعري هل تكون سعة الخيال ونفاذ البصر في تصيد الصور التي يسهل على أكثر الشعراء ان يربطوا بينها وبين الفكرة باوهى الصلات؟! وظيفة الشعر ان يكون معوانا على وصلنا بالحقائق حتى نحس بها ، ونستكشف منها ما لا تصل اليه ابصارنا ، فاذا قرب الشعر البنا منابع النفس ، فوقفنا منها على همسات السر كانت براءته في ذلك قوة ، وحسبت هذه البراعة لقوة الخيلة التي تستشف بالوهم ما يعوج في اعماق النفس من تيارات الشعور .

فحقائق الحياة في تعبير الشعراء اذا صدق البيان عنها تلصق بالنفس في غنى عن تهويل الزخارف والصور ، والصدق في التعبير عنها ادل على عمق الخيال واتساعه ، من اجل ذلك كان طبعنا ان يعترض المازني على تخيل القشيري في هذا البيت :

بكت عينى البسرى للما زجرتها عن الجهل بعد الحام اسبلت معا يقول : ان هذا الخيال تستنكره الحقائق المسلمة ، فالإنسان لا يبكي بعين واحدة والبكاء بالعينين لا يكون ادل على البكاء بعين واحدة بقرص امكانه (٦) .

وليس موضع جدل ان الخيال اذا اكرته الحقائق المسلمة كان تزويرا ، وانحرافا بالبن الادبي عن سوائه ولكن موضع الجدل في تعقيب المازني على بيت القشيري ، لان الشاعر العاضق - فيما يبدو - لم يخلف مع الحقائق المسلمة ونحن نذكر ان المعنى الموراء لا تدفع ، وشاعرنا القشيري كان يبكي بعينه البسرى هواد فلما نهنا عن البكاء خشية الانفصاح اغتمنا في التحدي وزادت تسكبا وانحدارا حتى اسندت عينا اليمنى وهي شحيحة بالدمع بل ليست فطنة الدمع ، ويدرنا موقف القشيري والصدق في حديثه واضح بموقف السيد الحميري الذي اتحنى بدموعه عن اصدقائه لالم الخواطر بنفسه ، وهو اضعف من ان يدجر دموعه حين يقول :

ما جرت خفرة على القلب مشي فيك الا استترت عن اصحابي من دموع تجري فان كنت وحدي خاليا اسعدت دموعي اتعابي والحق ان عرض الحقائق المسلمة في الشعر من صور الخيال بشرط ان تعرض عرضا شعوريا مؤثرا وشرح التيارات النفسية وليد الخيال النافذ الخصب ، والخواطر النفسية التي يهيم بها الشعراء تناج الخيال القوي المبتكر . فليس التشبيه وما يتولد منه من صور الاستعارات قصرا على معنى الخيال ، فالخيال في نظر مدرسة الديوان اوسع مفهوما من نظرة القدماء اليه . الخيال عندهم حقائق الحياة الموصولة بالنفس ، او

حين تتلقى هذه الانباء المزعجة تدفعها بعلايلات الامل ، والتعلق بالاوهام ، فالتأبفة المروع لتلقى الخبر لا يصدق ان يموت حصن ، فهذه الجبال راسية ، والموتى قارون فسي قبورهم ، ونجوم السماء سائرة في ابراجها ، واديم السماء لم ينظر ولم يتشقق ! واذا فحصى حي ! علالة من وهم النفس كاذبة تعلق بها الشاعر ، والوهم كسراب الصحراء خادع ، لا يلبث ان يتجلى عن فراغ وخلاء ، وهكذا يبدد اوام الامل في حياة العزيز صوت العسي الذي صدع بالحق ، فاذا مقتدى القوم يجيش بالكاء والعويل ! وهكذا ابان الشاعر عن حركة النفس المستمرة الدقيقة ابانة واضحة ، التهامس بالخبر الشديد المزج ، واباء النفس ان تتناولها بالنطق الصريح ، والتعلق بالامل الكاذب ، والحقبة المرة التي بددت زخارف الامل .

ومثل هذا البيان الشعري الرائع يعتبره جماعة الديوان من اسمى درجات التخيل اذ ان الخيال عندهم ليس مقصورا على التشبيه ، والشاعر الكبير ليس هو الذي يكثر من التشبهات ولو كان وراءها المعنى المتضائل ، بل ان الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة وشرح عواطف النفس وحالاتها والفكر وتقلباته (٥) .

ويشبه قول التأبفة في شرح احوال النفس قول ابن الدمينية :

ينفسي واهلي من اذا عرضوا له يبعثي الاذي لم يدرك كيف يبسني ولم يعتد عند البرية ولم تسزل به سكة حتى يقال موت ... وتخيل فتاة يلومها اهلبا على محب وامق اضفى لها القلب والعاطفة ما ذنبها ؟ وهي زهرة فاح عطرها تحبب اليها الناس ، انها في براءة الزهر ، ولكن الخياء يغمد لسانها فلا تفصح عن براءتها بل تسكت عن استحيا فندعو الى البرية في امرها ، وما بها من روبة .

والحق ان هذه النظرة الى الخيال مقبولة ، وفيها دلالة على سعة الافق الشعري ، وهي بعد انسب لروح الفن الصادق ، وهي تمثل بحد مذهب التجديد في الشعر المعاصر ، فمشر هذه المدرسة يعتمد الى بسط الافكار ، وتحليلها والتأمل في الاشياء تأملا نافذا بصيرا . وصف المازني شعر شكري في مجالا المقارنة بينه وبين حافظ فقال عن شكري :

« ان طرفه يصعد الى ارفع آمال البشرية ، ويصوبه الى اعماق قلبها ، وهو لا يبالغ في تدبيج شعره وتجيده فحبه ان يسمعك صوت تدفق الدماء من جراح الفؤاد ، والشاعر الخالق من لا تغريه الصور عن جمال الفكرة ، وتامل تيار النفس ، واذا صبور كانت صورته مفتاحا الى اسرار النفس » .

واصب ما في بيان الشاعر ان يلج الى مداخل النفس واغوارها فيكشفها للناس ، ويظهرهم على مطاويها الدقيقة

(١) حصاد الهشيم ص ١١٤ ، (٢) حصاد الهشيم ص ٢١٤ ، (٣) مقدمة ديوانه الخامس ص ٣٦٤ ، (٤) المقدمة لاسن رشيق ص ٢ ، ١١٧ . (٥) شكري مقدمة الديوان الخامس ، (٦) حصاد الهشيم .

وداع

آخر الوضعات في مصباح عمري
حينما يهوي الى لجة بحر
وانظري كيف تناجيك دموعي
حينما امضي الى غير رجوع
ثم آهات ودمع وانين
شعري الباكي على عمري الحزين
اي حب كان حبي ووفائي
لو قضيت الدهر اصغيه ولائي
علني اقوى على مر الفراق
بعد عام من حنين واشتياق
ابق ، لا ترحل ، فاني مشفق
حيرني بعدك نار محرقه
نظرة المبح فيها نور خبك
انني ، حتى على البعد ، بقربك
لا تخافي همسات الناظرين
كلهم يذكر نيران الحنين
حينما اخطو على ارض البعد
خفت القلب في ليل السهاد
بيننا ، والسحب من تحتي وطاء
لا يرى الا ابحال الاوفياء
صورة اجمل من سحر الربيع
وانا انظر من خلقو دموعي
فانا ادمع في قلبي وقلبي
قوة الدمع على عين الحب
في طريق نحن فيها غرباء
وتحملت عذاب الابرياء
انني ابكي على ما ضاع مني
مصرح الشوق ، وآفاق التمني؟
ورماني العمر في ليل الحيارى
بسمة تشرق في ليلي نهارا
فأرى في نوره زهر الأمل
في ضمير الحب من فجر الأزل
ابراهيم محمد نجار

ودعيني .. ربما كان الوداع
ربما كان كرسعات الشراع
ودعيني بالدموع الغاليات
ربما لم يبق الا الذكريات
حينما امضي فيطويني الغناء
ثم ينسى الناس حتى الشعراء
غير قلب ليس ينسى أبدا
لم يضع في حبه عمري سدى
ودعيني بابتسامات الحنان
ربما القاك في هذا المكان
ودعيني بيد تهمس لي
حسرتي بعدك تطوي اجلي
وامنحني منك احدى نظيرة
نظرة تشعرني في رقعة
ودعيني .. ودعيني بالعناق
كلهم يعرف احزان الفراق
وارفعي متديك الحاني التيبيل
انه يخفق لي عند الرجوع
ودعيني .. ما اقصى المدى
غير ان القلب مهما ابتعدا
انسني ارنس بعيني فارى
المح الدمع بعينيهما جري
آه من دمع جري في مقلتيك
كفكفيه .. انني اخشى عليك
اتنا نمضي معا منذ سنين
انا وحدي ذقت غدر الاقربين
لا تغلني حين تجري ادمعي
كيف ابكي بينما انت معي
انا لو سرت على الشوك وحيدا
كان حبي منك كي احيا سعيدا
نظرة تثبت لي زهر الحنان
لمسة تهمس : انا نوءمان
القاهرة

وليس أسلوب الدهن الذي يقبس الإبعاد في التعبير كما
يقبس الرياضي إبعاد الرسم الهندسي .
ليس مغالطة منطقية ، او جموحا عابثا او وهما مجنونا
بل هو مرآة النفس والحياة .

محمود محمد سليمان

الفيوم

والنفس التاملة في الحياة ، الحافلة بالخواطر والمشاعر ،
يعطي ظلال النفس لا إبعاد الحس .
والخيال ما يخدم الحقيقة ويفسرهما ، ويشعر الناس
بها ، لا يتكلف ولا يزور ، الخيال في نظرهم أسلوب النفس
الصادقة التي تبين عما تجد ، وأسلوب الشعور الحسي
والنفس التاملة في الحياة ، الحافلة بالخواطر والمشاعر ،

واكلف بالفصحى من صوفي بالعبادات . واغضب للغة القرآن من مضري في حومة المساجلات، وعكاظ المفاحرات .
وبادرهم كم اشروعوا لها من رايات ، وكم اطلقوا من هتافات ، وكم شيدوا من قصور مشمخرات حامت حولها ارواحهم هائمات مستلهمات ، وكان الفصحى سيدها الالهات المعبودات . وبأبارك الله لهم ، كم طرزوا من معلمات وكم صافوا من مذهبات ، وكم رصعوا من رسائل وآيات ، واخذوا نفوسهم بنفائس المؤلفات والترجمات ، والقصص والروايات ، وكم ساروا بالفكر العربي في موابك الحضارات والفتوحات ، مجاهدين صوفيين بعزائم ماضيات ، لا تشبه منبطات ، ولا تصدهم عقبات ، وايد جاددات .

وما كان اكرمهم رفاقا نظمتهم عقود سامية المطالب والغايات ، في ظلال العربية الام زينة الامهات .

اي قدر جاء بهم من سوريه ولبنان ، مدنا وفري ، والقاهم في هذا المهجر الاميركي السحيق ، واي يد اختارتهم وجمعتهم ونظمتهم في عقد فريد متوهج البريق ، واي وحي هبط عليهم فاطلق اذهانهم وقلوبهم وابديهم تمجيدا للسان العربي العريق العتيق . واي ملك نوراني كرم فجر مواهبهم وعقرباتهم ، فكان للفصحى في عصر الظلمات ذلك الفجر الفتيق ؟

هذا سؤال جوابه في قم القدر العربي ، والوحي العربي والملك النوراني العربي ، وليبحث النقاد وينقبوا ما شاء لهم البحث والدراى والتنقيب فلن يلقوا الجواب الا حيث قلنا . وما سوى هؤلاء نمزاعم لا طائل وراءها ...

هذا سؤال جوابه في قم القدر العربي ، والوحي العربي والملك النوراني العربي ، وليبحث النقاد وينقبوا ما شاء لهم البحث والدراى والتنقيب فلن يلقوا الجواب الا حيث قلنا . وما سوى هؤلاء نمزاعم لا طائل وراءها ...
جيدا الكتاب ونجواه ، والحرف وشدها والقلم في مجراه ومدها ونهاه ، والبحر ودره الرهراء ، والولاء متجليا في سناء ، والخلق المعطار صداحه موسيقاه ، خصبها مجناه ، هطلا جداه
واهلا بكتاب الشفيق ، العبق الرقيق ، البليغ الرشيق ، يطل كالفجر الفتيق ، بوجهه التبل الطليق ، ودباجه الوشى الانيق ، وادبه الاصيل العريق ، وما اوفاه من صديق ، وما احبه من رفيق بل اخ شفيق . ولقد سرني واثلج صدري ما تبليج في سطورك من آيات الود والوفاء ، ينضج بها قلب معطاء ، وكانها ديمة هطلاء ، اصاب صدرا يشتاقي الظل والماء ، وحين الى النجعة الخضراء ، وينشد الكلمة الزهراء ، ويرصد النجم والالاء ، ويتصلى الصباه ، والغناء ، والحب الرواء ، ويسلك كل درب الى النقاء والصفاء والضياء .

وما اكثر ما اثاره كتابك المبهري في خاطري من ذكريات وذكريات ، وكم اضرم في ضلوعي من حنين حنان رؤوم الى تلك السنوات المشرقات ، على ما شابها من كبوات ونبوات ، بين رفاق تألفت قلوبهم وتجنسدت ارواحهم للمروءات والكرامات ، والذود عن ام اللغات ، في دنيا غريبة اللغات والمعادات ، فكانوا احنى ضلوعا على الحرف العربي من المرصعات ، واوفى بالضاد من شيوخها السادات .



نظير زيتون

نجوى وذكريات

الى شفيق معلوف

بقلم نظير زيتون

جيدا الكتاب ونجواه ، والحرف وشدها والقلم في مجراه ومدها ونهاه ، والبحر ودره الرهراء ، والولاء متجليا في سناء ، والخلق المعطار صداحه موسيقاه ، خصبها مجناه ، هطلا جداه
واهلا بكتاب الشفيق ، العبق الرقيق ، البليغ الرشيق ، يطل كالفجر الفتيق ، بوجهه التبل الطليق ، ودباجه الوشى الانيق ، وادبه الاصيل العريق ، وما اوفاه من صديق ، وما احبه من رفيق بل اخ شفيق . ولقد سرني واثلج صدري ما تبليج في سطورك من آيات الود والوفاء ، ينضج بها قلب معطاء ، وكانها ديمة هطلاء ، اصاب صدرا يشتاقي الظل والماء ، وحين الى النجعة الخضراء ، وينشد الكلمة الزهراء ، ويرصد النجم والالاء ، ويتصلى الصباه ، والغناء ، والحب الرواء ، ويسلك كل درب الى النقاء والصفاء والضياء .

وما اكثر ما اثاره كتابك المبهري في خاطري من ذكريات وذكريات ، وكم اضرم في ضلوعي من حنين حنان رؤوم الى تلك السنوات المشرقات ، على ما شابها من كبوات ونبوات ، بين رفاق تألفت قلوبهم وتجنسدت ارواحهم للمروءات والكرامات ، والذود عن ام اللغات ، في دنيا غريبة اللغات والمعادات ، فكانوا احنى ضلوعا على الحرف العربي من المرصعات ، واوفى بالضاد من شيوخها السادات .

والطرب والعرب من سرادقات . وكـم ارتعشت للعود اوتار
شجيات . وكـم كانت للقومية الام صولات وجولات . وكـم
كان للنفس دمايات ومجازات وكنابات . وللحناجر نبرات
ورخامة ابتهالات ، وزفرات اشواق وآهـات ، وللآذان
دغدغات وهنزازات ، وللعيون مسابح ومفاتيح وصبوات .
ولـلقلب وميض خطرات وخفقات ومجى ذكريات . .

ولله يوم قضيناه في الميـاس السانبولي بضيافة فؤاد
وتوفيق بندقي ، تكريما لوفد فلسطين العربي المؤلف من
اكرم زعترى الفلسطيني ، وتوفيق البازجي السوري رحمه
الله ، ونصري معلوف اللبناني . جمعنا فلسطين العربية
في حدائق الميـاس ، على ضفاف بحيراته ، وفي اقبـاء
خماله واشجاره التي بسطت افصانها مرحبة في نضرة
العيد الاماليد ، وما احيلها متعة للبلابل اغاريد ، وللحناجر
اناشيد ، وللآوتار فرحة عيد . وللـكؤوس انفاس عشاق
معاميد ، وفي الصدور دندنة زغاريد ، وللسميم الفواح
بوح وترديد .

كان عدد الضيفان بنيف على مائة وخمسين من ادباء
وشعراء وحملة اقلام ووجهاء ، يتقدمهم حبران جليلان
هما المطران اغناطيوس حريكه المشهور بمواقفه الوطنية ،
والمطران نيقون سبايا شاعر الالوان البديعة . وحاشيتهما
الاكثريكية ، والقنصلان السوريان سامي الخوري وفريد
اللاحمان واللبنانيان هكتور خلط ومحمد فتح الله ، اجتمعوا
كلهم في الميـاس ، في ظلال العلم الفلسطيني العربي ، ذلك
اليوم ، كان يوم فلسطين المستطاب (١٩٤٧) ولقد كانت
آمالنا مضخة بالاطياب ، تليس للتصريح باني جيلاب . نعم
كنا مؤمنين ايماناً راسخاً بالقوى في ساحة الغلاب ، كـيف

لا نتحسم وبأخذنا الزهو ونشر الباكواب نلو الاكواب
انخابا في انخاب ، ونصق طريا للقصيدة اثر القصيدة
ولللخطاب نلو الخطاب . نعم كيف لا نتحسم ونظرب وقد
اقتربت ساعة الحساب ، وبـا لها من ساعة تشق الحجاب
وتخلب الالياب ، اكان يدور في حدس احدا ما طبخه لنا
القدر من حظل وصاب ؟ اكان يقع في خلدنا اننا كنا نمض
السراب ونحبسه صفوة الباب ؟ لا ورب الارباب ، لقد
كانت لغتنا بقدارتنا قوية وطبعة لا يرقى اليها ظن وارتياب ،
ولكن ابي الدهر الا ياتي بالعجب العجـاب ، وكانت
نكية فلسطين منا وفيها اوبا لول المصاب . . ولكننا مع
هذا الواقع الاليم لم نستسلم ، غير ان التبرعات المالية
المطاللة التي جمعناها وقتئذ تاروا وحيدسدا في صدور
المعتدين المجرمين ، آلت وبـا لالاف ، بل بـا للعار الى
متنايل نمسح بها دموع الالاف من اخواننا المشردين ، بين
ناوكل وابنام واطفال بالنسيم وشيوخ عاجزين . واحرق قلبي
على فلسطين ، تفتك بها نصال قايين ، وتعبت بقدرسيته
ايدي الضحاياين ، فيبدل الورد والترنس والياسمين ،
وتذر الجـوم دمعا السخين

ذكريات تلوح في خاطري واحرض عليها فأسقيها من
دموعي ، واحنو عليها بضلوعي ، واحرق لها شموعي واصلي

عليها في بقلتي وهجوني ، وانذر لها حبات من قلبي
وخفقات من ولوعي ، كم تقلدتها سيفا ولبستها درعا من
دروعي ، وما اكثر ما اطلقها سفاني وقلوعي ، دنيا عوامة
جواية فتاة تملك علي جلال ربوعي ، وابتهالي وخشوعي ،
لها الله تلك الذكريات ، فمنها زاد روحي ، واليها جوعي .
اكتب هذا الميض من فيض ذكرياتي ، فيهنز القلم طربا ،
وتخفق عجا ذواتي ، وكان في سردها تجديدا لحياتي ، وفي
بعثها بعثا لصبواتي ، وتسعير لصرام اشواق صباياتي ،
وطلا يطفئ من لظى آهاتي ، وطلة تحوم حولها متلهلة
وآهاتي ، فاذا القلب ترعرع عليه بسماتي ، واذا العين
تجلوها عبراتي .

ولنمضي في التجوي ، وقـل معي رحم الله خالك
ميشال معلوف اول رئيس لعصبتنا الاندلسية وموطنـد
دعائنا بابائنا واحسانه ، رحمه الله وافاض عليه من
شآبيب رعايته ورضوانه ، كم مجلس لنا في ايوانه ، وكـم
منهل من دنائه ، وكـم نشوة من ادبه وببائسه ، وسراة
مخبره وعيانه . وصفاء نفسه والانطلاق جثاته ، ومزايا
كصنين رفعة ، في مناعة لبنائه ، يا له مثلا رائعا في غـرته
على غسانه ، واعتزاز به بدنائه وقططانه ، واكرم به رائدا
من رواد الادب المهجري وفارسا في طليعة فرسانه ، وما
سـمعا (الخريف في فرسابل) الا تخيلنا عرائس الشعر
طوع جثاته ، وتشيع الخريف المصوح العريـان صدى
نبحه واحجانه ، با القلب الكليم كيف يعطف على الخريف
الكليم في تجوي وجثاته ، ويبلغ عليه من ارجوانه ، ويعقد
لـمن تـجـانـه ، فاذا الخريف يخطف الابصار بلغماته ورعشة
اجفانه ، وذوي جثاته .

ما شـمنا مجلسه يوما الا تملنا تدفق البحر وروعة
شطانه ، ونقاسة دره ومرجانه ، وبشاشة الروش وعير
ربحانه ، وعندلة القمرى على اغصانه ، وكأنه كاهن الادب
في هيكله بين بخوره وزينه وقربانه . في محيا طالعنا
بسمات الاخ لاخوانه ، وفي كفه قرنا آيات فضله وتهنائه ،
وعلى شفاف قلبه تفتحت ازاهير الحب فواحة بعرفانه ،
فسلام على روحك السماح يا ميشال في اناشيده والحناءه ،
ومعاربجه وجثاته . ستعيش ذكراك في شمائلنا ما اشرق
الربيع في نيسانه ، ودامب نسيمه خدودنا بـاقه واقوانه ،
وسيدرك الادب المهجري ما عاش الحرف العربي في
دبوانه ، ولنذكر بالاعجاب والاطياب منابر النادى الحمصي
وخفلاته ، وشعراءه وخطباءه ومن حللوا في حباته ونثروا
جواهر البيان في ردهاته ، فاذا عالم الفصحى مزهـو بهالائه ،
وكانه ملك بين جحائله ورايائه ، وماذا نقول في مسارح
النادي الزحلي وتشميلية ، وفنونه في تقديم رواياته ، من
اندلسياته الى سمواياته ، كان للفن العربي المسرحي آية
من آياته ، وللحرف المغرد الصدام دارة من دارانه ، وكـم
صفتنا واتشينا وقد اخذنا الابداع بموضاته وموجاته .
فسلام الله على روح مؤسسه اخيك فوزي وجاده فيث
من بركاته ، وتقدعه بالرعاية كرمى ايدابه وحسنائه .

ولنعرج على شيخنا أبي الطيب المتنبي في ذكره الألفية .
ولنشف آذاننا بسماع شعراء العصبة الاندلسية ، في هذه
الحفلة العظيمة التاريخية . ولقد اصفينا اليهم فرانساهم
امراء ينشدون في حضرة المتنبي صاحب الخلافة الملكية .
كما كان أبو الطيب ينثر درره في ديوان سيف الدولة
الحماني ، ويغفر خصومه وحساده بالابيات الغلية العصية
ويؤجج في صدورهم نيرانا جهنمية . وما هم ان يتألبوا
عليه ويجحدوا فضله . وقد لاهم بها لهوة زرية ، وغفرت
شوارده لحي لهم سرية . وانوفا حمية ..

انصتنا لشعراء العصبة فاخذتنا نشوة علوية وكاننا بهم
يسلمون القوافي فتتزل خمرنا بابلية واقواسا قرزية .
واخذنا سحرية ، فاي دنيا مسحورة كشفتها لبصارنا تلك
الرقى الذهبية ؟

ولقلنا ان في اقلامهم من سحر العصا الموسوية ، لولا
انها دفقت عبقرية ووثبت ذهنية ، واستنطاطات بيانية ،
وانطلاقات شعرية ، في صيابات غيبية . ولقلنا انها تس
من البدائع الاحمدية ، لولا انها لا يبداء فيها ولا يسوق
هندوانية ، ولا خيل ولا ظباء ولا رماح سمهرية ، بل كحل
العيون البديعة ، واغانها الدافئة الغزلية ، وضاءة المباسم
المهيرة ، وحرارة الصدور الخفية ، ولغات القلوب
السخية الوقية . في نبضات حضارية . وانفاس ندية
عذرية ، وخطرات يلعية سحرانية .

ولم تكن ذكرى المتنبي في سان باولو حفلة ولا مهرجانا
بل رواقا باذخا رتلنا فيه صلاة وقدمنا قربانا . وقرنا
انجيلا وقرنا . وركننا خمشا في محراب الفصحى
شيوخا وشبانا . وبزغت العربية في عذوقنا الصدور
وايماننا ، وجبا واحسانا ، وفصاحة وبيان . وتجلي الطائر
المحكي (الهاما وفيضاننا ، ومهندا وسلطانا ، غيتا ونهنا ،
وزارة وتحننا ، وملكا كبا به جواد الدهر وسقاها تسيدا
وحرمانا ، ونبا سيفه وقد طالما ابلى وطاعن فرسانا ، قما
تقاسم بل تعاضل اباة وعفتوانا ، وغنى العبقرية الوانا
وافنانا والحانا . ومضى به الردي وقد خلف الفصحى
ترانا خالدا يهز عصورا وازمانا ، ويبأخ عروشا وبلدانا .
واذا حنن على الجحد فامتطاه كان محسانا ، فما اعتاد الا
ان يركب العظمة العذراء حصانا زانا ..

ولله در شعراء سان بولو ، اذ كانوا ترجمانا له ولسانا ،
وعزاء وسلوانا ، وبا فرحة المتنبي ذلك الذي يكاد يابى
لنفسه شمعا ان تسكن اللحم والعظم ، يا فرحته اذ لقي
بعد الف سنة ، في بلاد غريبة قصية مجهولة اخذنا له
واخوانا ، قدروه حق قدره وصافوا له من عقبان الشعر
تيجانا ، ومن القوافي الصداحة عرشا وصولجانا ، وجأؤا
له بالملك ندمانا ، وشرحوا صدره بعد غصن الآلام تجرع
كؤوسها ظلما وعدوانا ، وجراح مثالثة كاتل لعين البطولة
انسانا ، ولقد طال صبره على قلة الانصاف وثار غضبانا ،
ويا لقلعة الانصاف كم زعزت بنينا ، وما كان العقوق الا
بالتمعة كفرنا ، والا للندالة عنوانا .

وفي سان باولو انفرج فم المتنبي والقي عن ظهره كروبا
واشجانا ، فطابت نفسه وقرت عينه واطمان قلبه وكانه
نسي ما على ... فشكلنا لكم يا شعراء العصابة الاندلسية ،
شكرا لك يا شفيق ومرحى لراعتك الدالية . ولرفاقك
شعرائنا فرحات ونصر سمعان وجورج خسون والمرحوم
عقل الجر ، وهناك اخر غاب اسمه عن ذاكرتي .

في تلك الحفلة الميمونة التي مرت كخلسة المخلص يا
شفيق ، كانت تدور خمرة الادب بكؤوس مترعات وتسبح
حمايم البلاغة مسترغبات مترفات ، وترقص عرائس الشعر
على رفايف النجوم الساحرات ، تحف بها ارواح بالجمال
هانمات ، وقلوب الى الحب ظلمات . وشفاة الى النار
القدسية جالعات . وعيون كانت تطوي بانوارها الاقاصي
وتنطاد صعودا الى السموات . وهناك تلقى خاشعة مسا
حملته من قرايين وصلوات ، وتسجد ثلاث سجداث ثم
تتمسح بفاتن الجنات ، حيث فواكه المعرفة جنات شهيوات
وينابيع الخير متجسبات مندقات ، حسي اذا شيعت
وارثوت ، آيت على جناح من سوايغ البركات ، في زياد
من لطائف التأملات لتزرع الجمال في الارض المسوات ،
وتعطم النقوس السافيات وتسقي الصدور بسحاب الحب
الغاديات ، ولقد زرعنا وزرعنا . واطعمنا واطعمنا وسقينا
وسقينا ، وكانت لنا القرايين الزيكات ، مندورات غير
ماجورات ..

انكا اتد يا شفيق مجائين فتيا ن ضلالت ومغامرات ،
ام كنا ميامين متعبيين ، اصحاب رسالات ؟
لا ادري ولكني كنت موقنا اننا لم تكن ضيوفا على
الليلة العظيمة التي نعيشها ، وانما الحياة هي التي جلت
علينا شيئا بجلا ايلا ، فمرحبناها وقدمنا لها ما بغرضه
علينا شرف الضيافة من واجبات وحفاوات وتكرامات .
كما كنت موقنا ايضا ، اننا لم تكن في مواكب الشعوب
والحضارات ادعياء متطفلين تكرات ، بل كنا اسلاء لنسا
الجذور العميقة ، والصفات العربية ، ذلك باننا عرفنا
انفسنا فاوتينا فيضا روحانيا دافقا ، اغرقنا في التأملات
والانقراضات ، وغالينا في تدور الاضاحي والصدقات ،
واسرقنا في العطاء المتارج اللمسات ، الحنون النغمات ،
اللحاح البسمات ، الحفي الضيافات ، وذلك ايضا باننا لم
ندفن ما وهبا الله من زينات ، بل صقلناها واعدناها
امهات ، تله البنين والبنات ، وتنمو وتتكاثر فاذا هي مثات ،
واذا هي نور في الظلمات ، وظل وزاد وماء فرات .

ولقد اتبع لنا ان نعطي دون ان نفسد عطمانا بالسن
والتبجح والدعوى العريضة البرقشات ، وكنا الكاسيين
المفلحين ، فلن يستوي في ميزان الكرامة رجل يبسط قلبه
ويقول : خد ، واخر يمد يده ومن ويقول : هات . واين
من يستوفي اجره بدنانير معدودات ، من يقدم قربانيه
هبات وصدقات ، ونؤدرو صامعات ، وعفا الله عن سهام
طائشات وخطي تانهات ووجوه مبرقعات . ذلك كان عصر
العصبة الاندلسية ومجنتها الرقيقة الوضيئة الرزينة

الوزينة . بارك الله في حياتك وحياة رئيس تحريرها حبيب مسعود ، انه ازهى عصور الحرف العربي في الاميركات . كان عصر مجلة الشرق عروس المجلات . وخميلة الحمائم الساجعات والقوافي الفردات . حسب صاحبها فضلا ، مد الله في حياته ، انه ترجم من العربية ، الى البرتغالية تراننا عبقري الكلمات ، عبقري الصفحات .

انه عصر العشرين جريدة ومجلة عربية كانت تصدر في وقت واحد في سان باولو ، ومائة صحافي وكاتب وشاعر . كما كان ايضا عصر نعمة يافت ورشيد عطية وفتى لبنان والدكتور سعيد ابو جمره والدكتور خليل سعاده واسلوى سلامة اطلس ومجلتها الكرمة ، وجورج مسره ، ويوسف ناصيف ضاهر ، وفوزي معلوف وميشال معلوف وجورج انطون كفوري وانيس الراسي وعقل الجبر وحسني غراب ويوسف البعيني واسكندر كرايح وسعيد البازجي وحبيب بشمعلاني وداود شكور وسواهم ممن زرعوا الحرف العربي في البرازيل ، كل بما اوتي من موهبة وفضل ، وجهد وبذل . ويا لهقي عليهم وقد فارقوا دنياهم صغر الكف الا من نضال وحراب ، فاروقها وفي الاصلح جمره الاغتراب . وانقاض ذكريات ولهاب . وفي الامين خيال موطن الاحباب . والمدرسة والعلم والكتاب ، وطيف الصبا والتعب ، ومجالس اصحاب وصور الجبال الغلاب ، والنفور والاهداب ، الى صيف المرزول والرباب ، والديكة والصبايا وهمس العميون في سؤال وجواب ، والمناظرات والسلافة والاكواب ، في احضان النهر الترقوق المطراب ، الى خريف الفتح والاعتباب ، والتين والبرقوق ونماز آب ، والجو الشاحب الوجه والاهاب . فيه من الطيف بقايا انسام عذاب ، ومن الشتاء وشائج واسباب . الى شتاء الموقد اللهاب ، والنلج والمطر في تغطال وتسكاب ، والريح القر في اياب وذهاب ، الى ربيع الاحلام الترجسية المتازرة بالسحاب ، والاشواق المتبرجة بالف لون من الخضاب . لها النضرة والزهر والورد جليل ، والانفاس اطياب ، والكثير شراب .

هذه كلها تترامى للعيون في وجد واكتئاب ، يا حيرة الحنين تعوي في جنباته الذباب ، وتنهش اقصى النهش بالانياب ، وكان ذلك المحتضر يقضم جلود العذاب ويتوجع وفي القلب يأس ونداء غير مستجاب ، وفي الاذن تنعاب الخراب ، وما هو شيخ الموت يطرُق الابواب ، وما هو ناقوسه يستعجل الرحيل والغياب . . له الله ، في المخيلة المضطربة دهمة وضباب ، وفي الكف المتقبضة حفنة من سراب . فيا لها من حشرجة مشدودة بالف عذاب ، ولكنها صلاة موصولة باجر من الباري وثواب . . . الا فسح الله لرواحهم في جنانته وتغمدهم بالجميل من رضوانه . وانابهم بظلم من احسانه ، ورعى القية الصالحة عمادا لفسانه ، وذخرا لعدناته وقطعانه . وبارك في حياتهم الغالية بلطفه وتحنانه ، لتظل مججلة في العالم الجديد لفة قرآنه . وهنا اسال بمرارة : اين هي آثارهم الادبية وماذا نعمل

لبعثها ونشرها يا شفيق قبل ان يفوت الاوان وتنسدر معالمها وتغيب كما غاب اصحابها ، فنندم ولات ساعة مندم ، وينثري بعددنا ايناثنا وحفدتنا ، فينددون غضابا ويقولون : وبع آباءنا ما كان ازهدهم بكنوز الادب المهجري .

بعد هذا لا يستأى الا ان نرحي تحية شكر واغاب واكبار الى اخينا الهام المقدم الشاعر جورج صيدح الذي اصطنع بدا سخية بضاء ، لا يعد لها شكر وثناء ، حينما زف الى المكتبة العربية مؤلفه العظيم (ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية) . وقد اصبح اليوم مرجعا للطلاب والمعلمين على السواء في دراسة الادب المهجري ، وسندا في وضع الاطروحات المتعددة لنيل اعلى الشهادات من البكالوريا الى الماجستير والدكتوراه . ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا انه لولا كتاب جورج صيدح لفقد التاريخ الادبي العربي سلسلة ذهبية فريدة من سلاسله الحديثة الطريفة، ولضاع تراث فكري نفيس تغفر به المكتبة العربية .

وجورج صيدح رعاه الله انفق مالا جزيلا وبذل جهدا ثقيلا وصرف وقتا طويلا حتى تسنى له نشر كتابه الثمين مع هذا لم يمن ولا تبجح ، بل ابت عليه سراوة في مكرمانه ، ونهاوة في آياته ، الا ان يزرع دون ان يحصد ، والا ان يرفد . ومع العطاء الا ان يشكر ويحمد .

ونحن اذا اثنيانا على جورج صيدح ، فهذا لا يعني اننا نحدد فضل اولئك البعثين الالمعيين الذين صنفوا المؤلفات في الادب المهجري امثال البدوي المثلث ومحمد قره علي ومحمد عيد الفتي حسن ومحمد هداره وعيسى الناعوري ووديع ديب وسواهم ، فلهؤلاء الافاضل ايضا نذكرنا الشكر والتقدير بغير الوفاء والشأن .

ويجب علينا ايضا ، ما دما في صدد الحديث عن الادب المهجري ان نوه بفضل وزارات التربية والتعليم في سوريا ولبنان ومصر خاصة لعنايتها بالادب المهجري وتقرير درسه الى جانب الادب العربية ، وكنا نود لو ان دراسة الادب المهجري شملت المنشور ايضا فهناك صفحات مشرقة لا تقل روعة عن المنظوم ، كما ان هذا النشر المهجري فتح للفكر آفاقا جديدة قلما عاجلها الشعر .

اراني يا اخي شفيقا وقد امتد بي النفس وطاب ، اتشبه فضلا من كتاب ، لا ردا على خطاب ، ولا جوابا عن تحية شاعر النجوم والسحاب ، والقوافي العرب ، ولكن مسا العمل يا اخي ، ولي في حنيني الى الماضي عجب عجاب . ولي في ودي لرفاتي عهد لا يشومه مدق او خضاب ، ولي في الذكريات عمر مبعوث بمضي بي الى شواطئ الشباب ، ولي في النجوى سماء مفتوحة الابواب ، مفتونة الرحاب ، تغشاه الروح مطوفة من محراب الى محراب ، بين صلاة وركعة واحساب ، نافيح مغبوبة في جو محبب من الخيال اللاهب الوباب ، وما احلاه من غياب . ولكن الدهر كما عرفناه مستبد اردو ، له حالات تحمد واخرى لا تحمد ، ولعله في يومه الابيض والاسود ، حكيم بصير لا يدركرس حكمته فكرا الارمد ، وعلينا ان نؤمن بالخير ونفسر قضاءه

السليبي خيرا وان كنا نجعل المقصد ، فالخير هو الاصل ، وهو المرجع وهو المسند اليه والمسند ، والحب هو المنتج وهو المورد .

ذلك باتي غادوت البرازيل وقد توقفت صلاتي بمئات ومئات من اصداق الفكر والبدا وبعشرات وعشرات من رفاق النضال الادبي . نضال الحرف العربي الذي ينشد الانطلاق والابداع ، ومثل هذا العدد من الاخوان الذين وصلت بيني وبينهم اواصر القرى الروحية ، ووشائج الصداقة الشخصية ، اقول ، يمت وجهي شطر الوطن ، وقد كسيت في البرازيل والارجنتين وتشيلي وسواها جيشا من الاصدقاء والرفاق والاخوان ، كنت اعده ثروتي الكبرى ، ولكن ما كادت تنطوي بضعة اعوام حتى شعرت بالجزر بعد المد ، ثم اخذت اثلثت عبر المتوسط والاطلسي ، استنشيت ريحهم ، واسأل عنهم واستقصي اخبارهم مدفوعا بالذكريات والشوق والحنين ، فلا افوز بما يتقع القليل ، ولا تقع عيني على غير القليل القليل ، من ذلك الرعيل الحفيل .

اين هم ؟ وماذا اقول في امرهم وامري ؟ اقول ان البعد مدعاة الى السلوان والنسيان ، مبعثة على تصرم الصلات بين الاخوان ، وعلى فتور العواطف بحكم الزمان والمكان ؟ اقول ان من لا تقع عليه العينان وتصادحه اليقظة ، ويقرع بصوته الاذان ، قلما يلج به القلب واللسان ، لا عن نفور وهجران ، وانما هي طبيعة الامور في الانسان ، وقد قيل « من غاب عن العين غاب نصيبه » في مودة الضلال . فاذا الصداقة شباب ودخان ، وسراب طمان . فاذا المورد القديم اقفاض بنيان ، عفته رياح الزمان ، وكأنه الانحلال . وسنان ، واذا الوفاء يتيم في صحراء الحرمان ، يراي الذكريات الحلوة بدমে الاسوان .

مع هذا لا اعتب ولا ائتمر ولا استرسل في الشكوى ، وانما هي نجوى ، لي فيها عزاء وسلوى ، ولكل امرئ ان يدفع الدعوى بالفتوى ، وحسبي ان يكون للحب في اضالعي أكثر مثوى ، وارحب ماوى وابلغ فتوى ، وانما الحب هو الابقى وهو الاقوى ، وللنفخ ان تزرع ما تهوى ، وعند الحصاد تحصد الجدوى وتسقط الدعوى .

اين هم هؤلاء الاصدقاء الذين شاركوني في معارك الحرية والعربية ، والانطلاقات الوطنية والاجتماعية والمثل العليا في اهدائها الانسانية ، اين هم هؤلاء الذين تلوت عليهم صلاتي ، وجلبت قربانهم بدم من شرايين حياتي ، وستقيتهم فراتا من دواي ، وقلدتهم المصعد من آياتي ، فكانوا الربيع الريان في مرآتي ، وكانوا الشعاع في نفسي ولهائي ، والسنان في قناتي ، والزيت في مشكاتي ؟

اين هم ، ولماذا اخذوا بقول القائل - من غاب غاب نصيبه - ولم يأخذوا بقول الآخر « اقصى رفيقيه له كالأقرب ؟ »

ولكن ، لا علي ، ليس لي في الحرف الوسيم المتفتح الريان ، شهبان وتيجان ، وزعينة واعوان ، وسمار وندمان ،

وموضات تغلب الازدهان ، ورؤى تحسر الحجاب فانغيبي في نشوة روح ووجدان ، واطرح دنيا الطين والبهتان ، دنيا الوجود المستعارة في حبراء الالوان ؟

بيد اني استنهي رهطا كريما وفيما ساقاني وذا صافيا تقيا كتلج لبنان ، والقي البدر في نيبسان ، واسبع علي من باذخ الحب والوفاء ، ما يزري بالذهبان وما يعثر به صاحب صولجان ، فما اجدرهم بالثناء والشكران ، وما اجدرني بالفخر اذا باهرني القمران .

وبدهي بعد هذا ان اتحفى لرسالتك يا شفيق واتذوق بلاعتها سطرًا بعد سطر ، وكأنها لعين رقية سحر وخير ، وللخاطر روض ارضي ونهر . فخذ بهمس القلب في الشكر ، متلا كالكبد ، متغلما كعقد الدر ، ساطعا كالعطر ، واذا تمثيت على الله من امر ، فلا اتمنى الثراء وفخفة القصر ، اظليه مثابها بالنثر ، واحشد فيه تحف العصر وروائع الدهر ، ولا النجوم الغواني الزهر ، يتهادين كبرا على كبر ، ويتأدون في الغلال البيض والحمر ، وفي العيون براءة الحب والظهر ، فاتحهم عليهم الحجاب واساقينهم حريق الشعر ، واخبلين بدراري النثر ، واعاتقن صدرا الى صدر ، والشمعن نفرا على نقر ، وطلا على جمر ، والعفة ملء النفس والفكر ، ولصهبا الهوى العذري رعدة سكر ، هذا كله لا استنهي ، ولا يملا عيني وروحي على شهبات مجانية ، وانما اتمنى العودة الى البلد الازهر البكر ، حيث قضيت ازهي سنين العمر ، الملم ذكرياتي الخضراء ، واحتسيها خمرًا لي خمر . واققع غليل الحنين بعد مر الصبر ، وانعم بالدفء بعد القفر ، واورق القلب زهرا في زهر ، واودي السروح بسلسيل كدوب الفجر ، فبعضي يشتاق بعضي وقد طالت الغيبة والهجر ، بلى وهناك ارضي وطني بعين النسر ، وغضبية المضري الحر ، وادفع عنه حملات الشر والغدر بايمان اصلب من الصخر .

وكاننا هناك في المهجر ، نرى الله تعالى اعظم واكبر ، واسمع واقدر ، واوسع رحمة واغفر ، وكانه جل جلاله نقل كرسيه من موطن الرسل والانبياء الى البرازيل الخضراء ، حيث الغاية العذراء والديمية الهللاء ، والشمس والكواكب والارض والدعاء ، تسبح بحمد رب السماء ، وترفع اليه الصلاة والدعاء ، صبحا ومساء .

والى الغناء يا شفيق في رسالة اخرى وهاجة القنديل ، فواحة البخور حناتة الترنيل ، او تحت سماء البرازيل ، حيث اتجلى للروح افقها الجميل ، ووقع الفكر على الدرب الحفيل ، وحيث زرعنا السنين حروف اوها هو باطيل ، او في ربوع لبنان الفنان الجميل . حيث الظل الطليل ، والنور والسلسيل ، والضاد والتنزيل ، او في حمص ابن الوليد وديك الجن والزهرابي وسلوم وهاشم الاناسي وعرضه والحداد والغربي وسعمان وسواهم من اخو صديق ومديل . واسلم لعبقري شاعرا ، ولاي البيان ناثرا ، وللأخوان صدرا عامرا ، وللفضل بحرا زاخرا .



الليل يلغني بسواده
القائم والتجوم
تجيبها عنا غيوم
داكنة ، والرياح تهب

قوية قادمة من سفح الجبل
حاملة بمرودة الشلوج التراكمة
على قمته ، لم يكن المطفف العسكري
الكثيف يحميني من شدة البرد ولا
الشمال الذي اذتر به وجهي لافيه
لفحات البرد القارص ادخلت يدي في
جيب المطفف وانا اسير على الدرب
الهاديء الساكن البعيد عن المدينة
وضوضائها ولم تكن هنالك اخسواء
ساطعة سوى الضوء الذي نيره الشارع
الذي لم يكن يكفي لتبديد غممة الليل.

كانت هنالك ثلاث نقاط حراسة
وكان واجبي ان امر عليها لانفقدها
واناكد ان اعمال الحراسة تير بصورة
منتظمة ، مرتت بالمركزين الاولسين
وانهيتهما ولم يبق امامي سوى المركز
الثالث والاخير ثم تنتهي نوبتي لاعود
الى مقرى احتضن موقد النار وادفء
جسدي الذي كان يرتعش من البرد
ولاح لي المركز الثالث وايضا وسط
هذا الليل والسكون فلم اسمع اية
حركة صادرة عنه ولم ار اثرا للحياة
فيه مع انه كان معملا كبيرا يقوم على
حراسته ثلة تتألف من ثلاثة حراس.
تقدمت من باب المعمل الكبيرة شاهدة
الحارس جالسا امامها وقد ركز مؤخرة
بندقيته على الارض وامسك طرفها
بيده واراح راسه على يديه المستكين
بطرف البندقية وذهب بافتقاده .
ولاحظت انه وضع صفيحة طويلة من
القصدير امامه وحذست انه يغني
من ذلك ان توقظه ضوضاؤها فيما اذا
وطأها قدم احد المارة . نتجبنها
ومررت بقربها وفحصت الباب لفتيته
مغلقا ، قررت ان اقوم بجولة حول
المصنع اتفقده قبل ان اوقظ الحارس
واحاسبه . اتجهت نحو سور المعمل
اسير بحذر شديد وانا اتفقده اذ لم
يكن من النوع الذي يصعب تسلقه ،
بدات بالجدار الاول من جهة الشمال
وانهيته دون ان اجد فيه ما يريب

ودرت اتفحص الجدار الخلفي وقبل
ان اصل الى نهايته شاهدت حجرا
كبيرا على مقربة من الجدار ففكرت ان
من المحتمل ان يكون هذا الحجر قد
استخدم من قبل اللصوص في القفز
الى اعلى الجدار والدخول الى
المصنع . خطر على بالي ان اجرب
استخدامه للقفز على الجدار لاناكد
فيما اذا كان من الممكن حقا استخدامه
لهذه الغاية . قفزت فوق الحجير
الكبير وبقفزة ثانية تسلقت اعلى السور
بسهولة ثم اتحدت منه الى ارض
المعمل دون ان احدث اية ضجة ،
بدات انظر حولي لانفقذ المكان الذي
حلت فيه وهو عبارة عن ساحة
فسحة فيها بعض التروكات، اتجهت



بقلم طلال عمر موفيق

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

نحو وسط المصنع لانفقذ الحارس
الذين في داخله ، اتهدت الى محلهم
بسهولة على صوت احدهم وهو يغط
في نومه ويحدث شقيقه وزفيره
اصواتا تبسدد السكون الذي يلف
المصنع تقدمت بحذر شديد فوجدت
زميله ينام بالقرب منه ولا زال الموقد
مشتعلا ولهيب ناروهيبد بعض تلك
الظلمة المخيمة . بدات اتفقذ جوانب
المصنع بهدوء تام فلم اجد ما يريب
كان كل شيء في مكانه بعد ان ترك
العمال المصنع وبعد ان تاكدت ان كل
شيء على ما يرام ولا اثر لدخيل ،
عينت الطريق المؤدية الى باب المصنع



وقررت ان اسلكها في خروجي وافتح
الباب من الداخل لاوقظ الحارس
الثائم امامه واويخه على اهماله .
سلكت الطريق المؤدية الى الباب
الزجاجي الذي يفصل المعمل عن
الادارة دلفت منه الى الادارة وعلى
حين غرة لمعت امام عيني وسط ذلك
الظلام الدامس قبضة بيضاء كالفضة
سقطت عليها ذبالة شعاع من ذلك
الموقد وقفت في مكاني اتاملها برهة
من الوقت تاكد لي خلالها انها قبضة
خراسة كبيرة . مددت يدي اليها
واسمكتها ثم جذبتها نحوي فاذا باب
الخزانة يفتح امامي ، انها لم تكن مغلقة
وقفت افكر ترى هل هناك يد تحتها
قبل ان احضر ام انهم نسوا اغلاقها
عند انصرافهم من المعمل ، مددت يدي
اتهجسما بداخلها فاصطدمت بالكداس
من الورق محزومة حزما انيقا وقد
صفت هذه الحزم فوق بعضها
البعض ، لقد كانت دور شك اوراقا
مالية تدل هيئتها انها جلبت حديثا
من البنك . انتفضت لدى وصولي الى
هذه النتيجة وسرت في جسمي رعشة
تتبار كبريائي من اعلى راسي الى
اخمس قدمي ثم اخذت الافكار تتسارع
الى راسي ... ماذا اصنع ...
ساقول الحرس واخبرهم بالامر
واطلب اليهم استدعاء المدير فوراً .
كلا سوف اغلق الخزانة بنفسي وابقى
احرسها حتى الصباح . ماذا لو ان
لدخل سبقي الى هذه الخزانة ...
واسل بنفس الطريقة التي دخلت بها
لما شعرت به احد ولا كيسة بكل ما
يستطيع حمله من هذه الاوراق المالية
وهرب بنفس الطريقة التي دخل بها
... اذن لاصبح من ذوي الملايين بين
عشية وضحاها ، سوف يستطيع ان
يشترى سيارة خاصة تنتقل بين بلدان
العالم سيذهب الى باريس وسويسرا
ولندن ... وينزل في الفنادق الفخمة
ليسهّر على راحته خدم الفندق
ويتمتع بالدفع اللذيذ ولن يحس بعد
اليوم بالبرد القارس الذي يجتاحنا
في هذه الليلة العاصفة . سوف

كر دنيا

هذي الكردنيا في الشعر
نجم مبيض في ليل
قنديل غدير مفتوح
من ذوب اللؤلؤ والنذر
ساج ... موار بالعطر
يطفو... ينهل بما يغري !..

ما احلى غنحك يا حملي
فاشم الشعر ... اداعبه
من راس يمام مختبئ
واقول : اسكري من زهر
يمسك جناحا يحملني
والراس ينام على صدري
واروح اغفم في سكر
اشنف عبيرا للعطر
ام عيق طفلي يري !..
لهفا للقيمات الحمر

يا صوتا يهمس منغوما
وبخر الشوق ... يذوبني
يا حلو العين وانغفعا
انا قبل اليوم هويت به
وخشيت عليه ان جوت
يا هما عديا بلهمني
ساعيش لحلو موارقه
ينساب بحمي كالخمر
ويريح رمادي عن جمري
لهابا يلمع في النفر
طيفا ... اجلوه في سري
شفتي ان يجرح بالجر
شيئا لم يعرف في الشعر
حتى تخبئ شمس العمر

فؤاد الخشن

مصباح الشوارع اخلت انفرس فيها
حتى اذا اتضحت لي الحقيقة لم تقو
اطرافي على حملي وشعرت ببرودة
تسري في جسدي وبدأت غشاوة
تغطي نظري واذا بي انكي على حافة
الحفرة التي صنعتها بيدي قبيل
لحظات لا ادري كم من الوقت مضى
على هذه الحال حتى اذا بدأت استجمع
قواي مرة اخرى سحبت رزمة اخرى
لاتأكد منها فاذا بها مثل الرزمة الاولى
وسحبت رزمة ثالثة كانت كسابقتها،
كانت الرزم عبارة عن الاوراق التي
تحمل اسم المصنع وعلامته الفارغة
التي تلصق عادة على منتجاته .

طلال عمر موفق

بغداد

الكبير في الانراء والسعادة القليلة التي
تحفزني على الاسراع في انجاز هذه
المهمة .. وصلت الى الجدار وتسلقته
بسهولة وبعد لحظات كنت خارج
المصنع احمل كنزتي معي ولا احد
يشعر بوجودي ، الليل لا زال حالك
الظلمة والهواء البارد يهب على دفعات
ابتعدت عن المصنع وعلى ضوء الشارع
البعيد شاهدت اطلالا خربة كانت
تصلح ان تكون مخبأ للكنز الذي حملته
تقدمت نحوها وجثوت على ركبتني
وبدأت احفر في الارض حفرة حتى
اذا انتهيت منها اخرجت الرزم من
مغلفي اودعتها الواحدة تلو الاخرى
تلك الحفرة خطر ببالي ان اعرف من
اية فئة تلك الرزم النقدية وعلى ضوء

يصدق على اهله واصحابه وان يشعر
بذلك الحرمان الذي تشعره اليوم
فالرايب الذي تقاضاه لا يكاد يغني
بضروبات الحياة لقد آلت بدلة ولدي
الى التلف وهو في أمس الحاجة الى
بدلة جديدة يذهب بها الى المدرسة ،
ولكن لم استطع شراءه له حتى الان
لان علي اقساط المود الذي اشتريته
للبيت وايجار الدار قد استحق والان
ليس معي سوى ما يكفي لشراء علبة
سكاكر واحدة فقط ... علبة سكاكر
واحدة ... واحدة فقط ...
الليل ثقيل والهدوء شامل والحرس
لا يزالون يغطون في نومهم لم يشعروا
بدخولي ولا اخالهم سيخسرون
بخروجي سواء خرجت كما دخلت او
خرجت وانا احمل معي هذه الرزم
التي سوف تجلب السعادة والهناء
لي ولعائلتي واولادي سوف اشترى
اولدي بدلة جديدة ودراجة يتنقل
عليها سوف اشترى لهم منزلا ونترك
ذلك الحجر الرطب الذي نسكنه
والذي لا يقينا برد الشتاء ولا حر
الصيف .

هذه باريس تفتح ذراعيها لي هذه
سويسرا ، الابواب التي كانت موصدة
دوني ستفتح على مصراعها لتستقبلني
كصاحب جاه ونفوذ لان ادع فرصة
العمر التي هياها القدر لي في هذه
الليلة العاصفة فقلت مني .. لاسرع
قبل ان يفيق الحارس .. سحبت
اول رزمة خبأتها في طيات معطفي .
اشدلت حزام المعطف بقوة لكي لا
تسرب الرزم منه . ثم تناولت الرزمة
الثانية فالثالثة ، فالرابعة والخامسة
وسحبت وسحبت حتى امتلأ المعطف
بالرزم فحششوت جيوب المعطف
والسروال ولم يبق متسع اضع فيه
الرزم الباقية . قررت ان اخرج لادفن
ما احمله في مكان ما قرب المصنع
واعاود الكرة لاتي على البقية الباقية
منها اتجهت صوب الباب الزجاجي
ونفذت منه وسلكت ذات الطريق الذي
دخلت منها ... كان قلبي يدق بعنف
واعصابي متوترة تمازجها نشوة الامل

لقاءات تاريخية مشيرة

بقلم محمد عبد الفني حسن



تلجئ الظُروف والملابسات بعض شخصيات متخاصمة إلى اللقاء في المأزق الحرج ، وقد تكون إحدى الشخصيتين المتقابلتين قوية النفوذ ، مستعيلة الامر ، متمعة بالسلطان ، على حين قد فقدت الشخصية الأخرى نفوذها ، واقت سلاحيها ، وفقدت مع ذلك عدتها في الصراع المادي ، ولكنها لم تفقد شجاعتها الأدبية ، وقوتها الروحية ، وشخصيتها العنوية ، فتراها تجيب اجابة الممكن ، وترد ردة المتفطن ، وتحسن الجواب عن كل مسألة توجه اليها ، او كل اعتراض ترد عليها ، فلا تخونها شجاعة الفؤاد ، ولا اصابة المراد ، حتى ولو كان في جوابها مقتلا ، او بين فكيفها اشاما ...

ولا يزال التاريخ العربي الاسلامي على مدى سيرة يحفل بمثل هذه المواقف التي سجلها اصحابها ، ووعاها لهم في معرض الاشادة بشجاعة ائمتهم ، ونباتهم في المواقف المعضل . ومن هؤلاء الرجال قيس بن سعد بن عبادة الانصاري الخزرجي ، وقد كان من اصحاب الرسول عليه السلام ، بل كان له بمنزلة اصحاب الشرطة من الامير . وبلغ به الامر ان كان واليا على مصر ، ولكن معاوية لم يزل يعمل عليه حتى عزل عن مصر وتولى مكانه محمد بن ابي بكر الصديق . وكان هوى قيس بن سعد مع الامام علي بن ابي طالب ، فاقام عنده زمانا ، وشهد معه وقعة صفين والنهران ، ولزمه حتى قتل ، ثم صار الى المدينة . فلما استقام الامر لمعاوية واجتمعت الكلمة عليه جاءه ليبايعه كما يبايعه اصحابه ، فقال له معاوية : وانت يا قيس تلجم معا من الجم ؟ اما والله لقد كنت احب ان لا تاتيني هذا اليوم الا وقد ظفر بك ظفر من اظافيري موجه . فقال له قيس : وانا والله قد كنت كارها ان اقوم في هذا المقام فاحييكم بهذه التحية . فقال له معاوية : ولم ؟ وهل انت الا جبر من احبار اليهود ؟ فقال له قيس : وانت يا معاوية كنت صنما من اصنام الجاهلية ، دخلت في الاسلام كارها ، وخرجت منه طامعا . فقال معاوية : فلهم غفرا ! مديك ! فقال له سعد : ان شئت زدت وزدت !!

وهكذا انطلق قيس في الجواب ، برد كل كلمة لمعاوية الفالب المنتصر بمثلها ، كانما يحقق قول سابقه : صادف درد السيل درءا يدفعه ..

وقد تكون الالفة وسابق الودة سببا في الاجترار على الرجال حين مواجهتهم ومجاوبتهم بما لا يحمدون . ولكن

الهيبة والرهبة قد تعقد لسان الشجاع وخاصة اذا احس ان الموت مطبق عليه من كل جانب ، وان المحاوره ليست الا سبيلا لتصيد الاخطاء ، حتى يكون فيها القدر لقتل المغلوب على امره . فقد التقى الخليفة ابو جعفر المنصور العباسي والامير ابا مسلم الخراساني ، دعامة الدولة العباسية ، لقاء كان غايته مقتل ابي مسلم بعد الذي سلف من اباديه في خدمة العباسيين . وكان ابو جعفر ينكر على ابي مسلم الخراساني كثيرا من الامور وينتظر هذا اللقاء المدير الذي اعده الخليفة العباسي للتخلص من خصمه الخراساني . وهنا نرى ابا مسلم لا يصمت في هذا اللقاء الرهيب ، ولا يجب جواب المتهور الياس ، ولكنه يجيب اجابة الرجل الرصين المعتز مما قد يكون بدا منه ، المتمس تعاليا لكل تصرف اخذه عليه المنصور . فترى اسئلة المنصور فيها عناصر التحدي والاستفزاز والانارة ، ونرى اجوبة ابي مسلم فيها لدهاء والتعاسي التخلص . ولكن الخليفة الحاقد عليه لا يعفيه ولا يقبل ان يعفيه بده ليقبلها ويعتذر . ويبداه ابو جعفر بالسؤال قائلا : ما فعل السيفان اللذان اصيبتما من عبد الله بن علي بن عباس ؟ فقال : هذا احدهما فقال ابو جعفر : اربنه ! فتناوله السيف فوضعه الخليفة تحت ركبته ، ثم قال له : ما حملك على ان تكتب لابي عبد الله السعاق تنهات عن الموت ؟ اردت ان نعلمنا امير ؟ قال : انني ظننت ان اخذه لا يحل ، فلما جاءني كتاب الامير المؤمنين علمت انه هو واهل بيته معدن العلم . وهنا زاده المنصور في التحدي قائلا : فلم تقدمت علي في طريق الحج ؟ (وقد كان الرجل حجا في عام واحد ، وسبق ركب ابي مسلم ركب ابي جعفر) فاجابه ابو مسلم جوابا فيه مخرج من الحرج ، وتمسك للقدور ... ولكن المنصور زاده فسي السؤال الموحج فقال له : حين انتصرت على عبد الله بن علي بن عباس اردت ان تتخذ جاريته لنفسك ؟ قال : لا : ولكني خفت عليها ان تضع ، فحملتها في قبة ووكلت بها من بحفظها ...

وما زال الخليفة المنصور يلح على الرجل بالاسئلة التي تحمل الخطرة ، والرجل يرد في حكمة ودهاء للتخلص منها ، ولكن ذلك لم ينفع وقد كان الخليفة مصمما على قتله ، فقال له : قتلني الله ان لم اقتلك ! وانتهى به الامر الى ان تناوله كمين كان المنصور قد اعده ، فانهاوا عليه ضربا بالسيف ، ثم ذبحوه وقطعوه قطعما ، والقوا باشلائه الممزقة في نهر دجلة ...

على ان هناك لقاء طريفا حدث بين تيمورلنك القائد المغولي التنري ، والمؤرخ العربي ابن خلدون صاحب المقدمة التاريخية المشهورة . وقد روى ابن خلدون نفسه قصة هذا اللقاء المتع في كتابه « التعريف بابن خلدون » الذي يترجم فيه لنفسه في آخر كتابه : « العبر » . فقد كان مؤرخنا احد الذين رافقوا السلطان فرج بن برقوق سلطان مصر الملوكي سنة ٨٠٣ هـ في اثناء خروجه من مصر للافاة

فروستيك وإين شجاعتك ؟ قال الرجل في كرباء : باقية على حالها ! قال له السلطان سليم : اذكر ما فعلته مع عسكري ؟ قال : اذكره ، ولا أنسى منه شيئا . قال : ما فعلت بعلي بن شهوار ؟ قال : قتلته مع جملة من قتلته من عسكري ! وما زال يتكلم كلام من وثق أنه مقتول ، وأنه لا أمل له في الحياة ، حتى احتد في الإشارة ، ورفع يده في وجه السلطان قائلا :

— اسمع كلامي : واصغ إليه ! حتى تعلم انت وغيرك ان منا فرسان المنايا والموت الاحمر . وان واحدا منا بعسكريك كله في الشجاعة ! وإذا لم تصدق فحرب ! فامر عسكريك ان يترك ضرب البندق فقط ، وها أنت معك مائتا الف من جميع الاجناس ! وقف مكانك ، وصف عسكريك ، ويخرج لك منا ثلاثة انغار ! عبد الله ، والفارس الكرار السلطان طومامدياي ، والامير علان ! وانظر بعينيك كيف تفعل هذه الثلاثة ، تبقى تعرف روحك ان كنت ملكا ، او يصح لك ان تكون ملكا ! فان الملك لا يصلح الا لمن يكون من الابطال المخبورة كما كان عليه السلف الصالح — رضي الله عنهم ، فانظر في التواريخ ما كان من الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وخذل بافضيه — من الشجاعة ، وكذلك الامام علي بن ابي طالب — رضي الله عنه وكرم وجهه ! واما انت فقد لقتك لك عساكر من اطراف الدنيا من نصارى ومن اروام من غيرهما ، وجئت بهذه الحيلة — يعني البنادق — التي تخبث بها الافرنج لما ان عجزوا عن ملاقة العساكر الاسلامية ...

وظل الرجل في كلامه يوجه الخطاب الى السلطان سليم العثماني في حديث طويل رواه المؤرخ ابن زنيل الرمال مؤرخ الحملة العثمانية على مصر ، والسلطان يسمع ، والاعجب ان السلطان اخذ بناقته وبحاوره ، ولعله كان معجبا بشجاعته المادية في الحرب ، ويجرته في القال . ويبلغ الامر بالسلطان سليم ان يسأله : حيث كانت فيكم الشجاعة والشجاعة والفارسان ، وانتم على الكتاب والسنة كما زعمت فيباي سبب غلبناكم ؟ ومن ارضكم اخراجكم واستبعدنا اولادكم ، وافئتنا جموعكم ؟ وها انت وقعت اسيرا بين يدينا ؟!

فقال الامير المصري كرتباي : والله ما اخذتم ارضنا بوقتكم ولا بغروريتكم ، وانما ذلك امر قضاء الله وقدره في الازل ، وقد جعل الله لكل شيء بداية ، ولكل بداية نهاية ، ولكل دولة مدة معلومة ، وتسمى مقسومة ... ويروي مؤرخنا المصري ابن الرمال ان السلطان سليما انقم ، ولكنه اظهر الحلم وفؤاده يتوقد من شدة الغيظ لما اغلظ عليه الوالي المصري كرتباي ، واقام عليه الحجج المسكتة التي ليس لها جواب .

والحق ان السلطان سليما العثماني اعجب بشجاعة هذا المدافع المصري الدائد عن حياض وطنه ، ووجه الكلام الى « خير بك » قائلا : ما تقول في هذا الرجل وجوابه وقوة

التنار وصده هجومهم . فلما اختلط الامر على السلطان فرج وجاءته انباء خشي منها الفتنة في مصر ، رجع اليها وترك جماعة كثيرة من العلماء والفقهاء منهم ابن خلدون . وقام القاضي ابن مفلح الحنبلي بالسفارة بين تيمورلنك واهل مصر والشام ، وانتهى الامر بابن خلدون الى ان استدعي للوقوف بين يدي الغازي المغولي التتري . وكان موضع الاكرام منه ونشره قليلا يصف استهلاك ذلك الموقف قائلا : (فاستدعاني ، ودخلت عليه بخيمة جلوسه متكئا على مرفقه ، وصحاف الطعام تمر بين يديه ، يشير بها الى عصب « المغل » جلوسا امام خيمته حلقا حلقا ، فلما دخلت عليه فاتحت بالسلام ، واومات ايماء الخضوع ، فرفع راسه ، ومد يده الي فقبلتها ، واثار بالجلوس فجلست حيث انتهيت) . وطال الحديث بين تيمورلنك والمؤرخ ابن خلدون ، وكان الذي يتولى الترجمة بينهما الفقيه عبد الجبار بن النعمان من فقهاء الحنفية بخوارزم وكان من خواص تيمورلنك ، وصاحبه في كثير من حملاته وحروبه الدوموية .

وكان حديث ابن خلدون مع تيمورلنك حديثا كله علم وتاريخ واخبار دول ، وكان تيمورلنك يكثر السؤال على الرجل ، وهو يجيب في تدفق وسعة واحاطة ، وقد رفع تيمور الكلفة بينه وبين مؤرخنا الكبير — على حد روايته — وانسى بحديثه وعلمه ، ووسع له صدره ، واعاره اذنا واعية ، واجترأ عليه ابن خلدون فحمل الي في لقاء اخر هدية على قدر حاله ، وهي مصحف رائع حسن في جزء محذو ، وسجادة انيقة ، ونسخة من قصيدة البردة للامام البوصري في مدح النبي عليه السلام ، وتاريخ غلبت من حلاوة مصر الفاخرة . ولما وضع الهدايا بين يدي تيمورلنك تناول من لعب الحلوى شيئا يسيرا على سبيل التأنيس بذلك ، ثم قسم هو ما فيها من الحاوي بين الحاضرين في مجلسه . ولما احس ابن خلدون بمحله من قلب تيمورلنك استشفع للاسرى المصريين من القراء والفقهاء والوفقيين واصحاب الدواوين والعمال فشفع فيهم ، واطلق سراحهم . وهكذا كانت كياسة المؤرخ ابن خلدون وذكاؤه وحسن حديثه وحلاوة لقاءه امام طاغية جبار من طغاة التنار سببا في ائنة قلبه او فك اسر الماسوريين .

وعلى الضد من ذلك كان لقاء الوالي المصري كرتباي للسلطان سليم العثماني الذي فتح مصر سنة ٩٢٢ هـ . فقد كان كرتباي على راس المقاومة المصرية للغازي العثماني ، وابدى من شروب الشجاعة المادية ما لم يغفله له التاريخ ، وكان فارسا معلما لا يشق له غبار ، ولكن غلبته بنادق العثمانيين التي لم يالفها المصريون من قبل ، فاصابتهندقية في فخذه فاضرته ، فهرب ولجا الى رجل من اصحابه يخبئ عنده ، ولكن الرجل دل رجال السلطان سليم عليه نظير مبلغ من المال وعدوه به ، فلما جسي به الى خيمة سليم ، نظر اليه قائلا : انت كرتباي ؟ قال : نعم ! قال : اين

الى شجرة مخضرة

اهكذا انت؟! لا زهر ولا ثمر
ولا ظلال على الحران ، تنهمر
ولا غصون ترد الروح خفتها
ولا الحمايم بالاوراق تستنير!..
... كم قام عندك لي معنى ومتجع
حدوده الضحو والافاق والقمر
وموسم من رؤى زهراء ان خطرت
تضاحكت في الدجى الاحلام والصور
... ماذا دهى «التوة» العذراء؟

هل شربت؟

كأس النية ، اذ طافت به القمر
ام انها سئمت ليل الوجود ، فلا
ترجو الصباح ولا الاشراق تظفر
ابن المفر؟! اذا ما نابني سقم
وحال دمع الزوايا وانثري البخر
بمن الود؟! ودرت العمر موجبة
يا الزميرين! لم يرحبها قنورا

<http://ArchiveData.Saknet.com>

محمد شمس الدين

نعرض عليك طلبات الجيش والامة، وكلها طلبات عادلة. فقال الخديو: وما هذه الطلبات؟ فاجابه عرابي: هي عزل رياض باشا، وتشكيل مجلس النواب، وابلاغ عدد الجيش الى العدد المعين في القرامات السلطانية، فقال الخديو: كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها، وانا خديو البلد واعمل زي ما انا عاوز (وفي رواية اخرى انه قال: كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها، وانا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي واجدادى، وما انتم الا عبيد احساناتنا). فاجابه عرابي في عزة الحر الابي: لقد خلقنا الله احرارا، ولم يخلقنا ترانا وعقارا، فوالله الذي لا اله الا هو اننا سوف لا نورث بعد اليوم .

وهكذا تكون اللقاءات التي يرتفع فيها قدر الرجال، الى مرتبة البطولة والابطال ...

محمد عبد الفتي حسن

القاهرة

قلبه؟ ان قتل مثل هذا لا يليق، واني افتخر بمثل هذا في عسكري، واجمله سنجقا . ولكن « خير بك » قال للسلطان: ان اقيمت عليه وجعلته وزيرا، فانه يفسد جميع عسكريك، ولا يبقى عليك . وقد كان هذا حسدا من خير بك وبغضا في الماليك المصريين الذين عرفوا بالشجاعة والذين خشي العثمانيون على انفسهم منهم . ولم تخش الرجل شجاعته حتى في اللحظة التي كان سيف السيف فيها مصلتا فوق راسه، فاخذ يسب السلطان وجلاده افحش سباب ...

ولا فوتونا في هذا المعرض الحافل في تاريخ الملاقات العربية الرائعة لقاء الزعيم احمد عرابي للخديو توفيق في ميدان عابدين . فقد ذكر المؤرخون انه لما وقف عرابي امام توفيق حياه التحية العسكرية، فساله الخديو: ما اسباب حضورك بالجيش الى هنا؟ فاجاب عرابي في عزة: جئنا



محمد رجب البيومي

النعمان يأتُر بولي نعمته

بقلم محمد رجب البيومي

مرينا ، كان عليه ان يخفف الواقع فسي البلاط فلا يدوى صده في الاجراء فاذا عجز عن ذلك تطفف قليلا في صياغة الخطاب ثم سكّت لحظات ليقول : ولعله معذور كما يقول عصام ! ولكن النعمان قد اقتنع بما يحاول عدى بن مرينا ان يشيره فقال في اسف : كان على عدى ان يطفف في صياغة الخطاب ولكنه تغير وتحول دون نزاع !! وكان مجلسا كئيبا غمر النعمان بشتى الانفعالات وشاء ان يصعد الى شرفة الخورق تبديلا للجو فاصطحب معه عدى بن مرينا ، واخذ مكانه الى جانبه يتحدثان .

قال النعمان ماذا اصنع في هذا الذي تخلى عنا بعد استمساك ؟ فرد عدى : تستطيع ان تستميله بمعسول الخطاب .

فبرز الغضب في وجه الملك وصاح مفتاحا انا ملك وهو سوقة ومثلي لا يستميل من دونه بمعسول الخطاب ! فتطلع عدى الى صاحبه ، وظهر على وجهه من الاهتمام ما ينبئ عن قول خطير يهم باذاعته وقال في تأدب : اعلم يا مولاي ابيت اللعن انك ملك لا تستميل غير الملوك من النظراء ولكن ما بلغني عن عدى منذ ايام يحتم علي ان اشير عليك باستمالاته اليك اذا تشاء . فآظفر النعمان اهتماما شديدا بما سمع وسأله في عجلة: ماذا يملك منذ ايام ؟؟

فقال عدى في صوت اقرب الى الهمس : كان هتابالحيرة احد الدهاقين القريبين الى الايوان ، وقد تحدثت عن عدى فزعم ارمم المنخل انه يشيع في البلاط الفارسي ان النعمان صنيعته واسعة اية ، وهو يتلقى اوامره وكتبه فلا يملك غير الاذعان ، ثم قال ابن مرينا وقد قلت للدهقان ان عديا صهر الملك ، ولا بد ان يعرف له مكانه الاشهر في ملك الحيرة وقيادة الناس فرد الدهقان يقول : لقد اعلن عدى في البلاط الفارسي انه تسرع في اختيار هند بنت النعمان وقد وجدها بعد الاختيار بحيث لا تشرفه في الايوان !! ولا بد ان يردها له بعد ايام !

فنفض النعمان كلفه الدور وصاح في غضب لم لم تاتي هذه الانباء قبل الاوان !! فاطرق ابن مرينا يقول : لقد جابهت الدهقان بالتكذيب ، واوصيت المنخل الا يظهر احدا في الحيرة على ما سمع من الدهقان ، وكنت لا ادري حقيقة امره اكانت هو ام صادق فلما جاء خطاب كسرى ورأت خط عدى ينبئ عن اتجاهه نحو الملك زال ما خاخرني من شك ، وعزمت على ان ابفك الامر لنحتاط !

وتابع ابن مرينا يقول : وقد امرت شاعرك المنخل بملازمة الرجل ليسبر ما لديه ويخبرني بما قال : فصاحبه المنخل كما اردت ، ولكنني لم اسأله عما كان !!

فصعد النعمان يطلب احد الخدم ، فسأل ابن مرينا في حذر اريد مولاي ان يستدعي المنخل الان ! فصاح النعمان نعم ساحضره لاقتف على جميع ما لديه ! فانقسم ابن مرينا في دهاء وقال : اؤثر الا تخاطب المنخل شخصيا يا سيدي

كان من عادة كسرى ان يرسل كل عام قافلة تجارية الى سوق عكاظ تبيع ما تحمله من بضائع فارسي وترجع موسقة بما يعدهه الفرس لدى العرب من اشياء ، ولكن بعض الانتهازيين من بني عامر وبني يربوع قد اغاروا على القافلة فانتهبوا قبل ان تصل الى السوق ، وكان على النعمان ان ياخذ للموقف عدته قبل السلب فيرسل من جنوده من يحمي القافلة من الاعراب ، وان لديه من جنود الفرس وحدهم اثني عشر الف فارس مدجج بالسلاح ، غير جيشه العربي الخبير بدروب البادية ومنعرجات الصحراء ، فاعتداء القوم على قافلة كسرى ليس سبلا للمال وحده ولكنه انتقاص لمكانة كسرى في العرب ، واستصغار لشانه في الناس، وقد حار النعمان فيما يصنع ازاء ذلك الحدث الهائل من الاحداث ، فجرد جيشا بقيادة قابوس ابنه لتاديب هؤلاء المارقة من شذاذ الافاق في بني عامر ويربوع فرجع الجيش متدحرا مهزوما قد اسر قائده وذوو الشان فيه من الاباطل، وطارت انباء ذلك الى كسرى ، فهاج هائج ، واوغى وازيد مفتاحا ، وارسل خطابه الى النعمان يوبخه ويهدده ، وكتب النعمان الامر على خاصته غير عصام بن شهيد وعدى بن مرينا، فقال عصام لا بد ان يغضب كسرى لقافلته ولا ينتظر منه غير ذلك ، واطرق عدى بن مرينا لحظات ثم سأل في دهاء : من كتب خطاب كسرى ابيت اللعن ؟ فرد النعمان : لا يصدر اليها خطاب كسرى دون ان يخطفه عدى بن زيد ، فاعترض عصام يقول : ان عديا امر فاطع : فقال عدى بن

فيعتقد ان لديه من الاسرار ما يهتم به الملك ، ولكني سأحدثه عنك وآتيك بما يعلم اذا اردت صونا لمجلس مولاي ، اما ان صممت على استنعاثه ، فالامر امرك آبيت اللعن .

فتراجع النعمان يقول : سألك اليك وحده استنعاثه ما مدبه اذ لا يليق بي ان اتلقى الانباء من العامة وان كانوا من رجال الخورنق في مراءى الناس .

وكان هذا التراجع انقادا لعدي بن مرينا ، فانه قد لفق حديث الدهقان لساعته اذ وجد نفس الملك مهية لسماح الشرع عن عدي ، وقد اقحم ذكر المنخل المشكري في السابق فترامه انه رهن اشارته فيما يأمره بادعائه ، لذلك كان جل همه حين انتهى مجلس الملك ان يتصل بالمنخل وان يطلعه على ما كان ليجد لديه الترحيب والاستعداد ، وتمتد بهما الوقعة الى ابعد مهواة فيفتقان على ان يزعم المنخل ان الدهقان الفارسي علم من الايوان ان عدي بن زيد يعمل على انتزاع الملك من النعمان لانه قد خدعه حين زعم له اعتناقه النصرانية ليجعل منه قطرة يعبر بها الى السلطان ، اذ ان الايام قد مضت دراكما على ملكه ولم يبد منه ما يشير الى دينه المزعوم ، وفي وسعه ولديه قوة فارس من الاساورة ان يجهز بما يشاء !! وهكذا كان حديث النعمان عن سره الكظيم الى زوجته المتجردة سببا في افتراء هذا القول وتأكيده ، بعد ان اذاعته الى المنخل في احدى لحظات الصفاء ، وقام الشاعر بدورده فاذاه الى ابن مرينا ، ليرجما به ثانية الى النعمان فيزعزع ثقته بصهره زعزعة تسلمه الى الفرع والاضطراب !! وكان الايام قد اخلت بحوادثها المتعاقبة تصلع مع الحادقين في مكابدهم المتلاحقة ، فاكشفت عما يزيد الشك وتقويه اذ جاء خطاب كسرى يطلب من النعمان ان يبعث الى المدائن بجميع من لديه من الاساورة ، استعدادا لحرب قائمة مع الزوم ، ولو نظر الملك بعين الواقع لعرف ان هذا الغلب في مثل ذلك الطرف الحرج طبيعي لا يخفى وراءه شيئا من التربص والإيقاع ، ولكن سموم حاشيته قد جعلته يرى السوء في كل ما يقد عن طريق عدي بالايوان ، فارتجت الارض به شر ارتجاج وراى ان يعقد مجلس خاصته ليلتح الموقف مستهديا بما يسمعه من الآراء ، وعجل فداها عدي بن مرينا وعصام بن شهيد والنابغة الذبياني ، ثم قرأ كتاب كسرى واستوضح الآراء على قاتق وضجر لا يعهد فيه منذ ملك الزمام .

قرأ عصام الكتاب واستأذن الملك ليقول : ان كتاب كسرى - آبيت اللعن - لا ينيه عن شر يراد ، فجيوش الفساسنة في الشام تجيئها الامداد المتلاحقة مسن القسطنطينية ، وكسرى يتجمع ليضرب الضربة الاولى قبل ان تتلاحق هذه الامداد ، فاذا طلب جيشه بالبحيرة فقد قام بما يجب عليه في مثل هذا الموقف ، بل ان له مع ذلك ان يطلب جيشنا العربي الذي تعتمد عليه بالبحيرة لنؤازره في موقفه الخطير ! فابتدر عدي يقول ان اثني عشر الفا من الاساورة لا يحتاج اليهم كثيرا جيش فارس وقوامه تسعمائة ألف من

الصفاديد !! واني لارى شرا سريعا في هذا المطلب الخطير ! فقال النابغة ولماذا تفترض الفروض ، ولا يكتب مولاي النعمان الى صهره الحريص فيطلعه على الرأي السديد ! فتضاحك ابن مرينا ، ونظر الى النعمان نظرة ذات معنى ، فقرأ النابغة ما يدور بنفس عدي ، وتذكر انه يحصل غلا قديما لان زيد بن حماد من العباديين ! وانه يندفع الى الظن السيء بوحى قديم قد لا يتبين مآناه ! فابتسم يقول موجها خطابه للنعمان !

ان عدي بن مرينا - آبيت اللعن - لا يتبين الآن حقيقة مشاعره نحو آل زيد بن حماد ولن تجنح رايه فسي هذه القضية الى الانصاف !

فاحس ابن مرينا ان افعى قاتلة قد لدغته ، فتطلع كالمدور الى النعمان ، واستنجد بكلمات يرد بها على النابغة فلم يسعفه البيان ، غير ان الملك قد قال للنابغة : ان عديا يعلم من الحقائق القريبة ما تجهل انت ، وقد نسي خصومته القديمة منذ مات حماد بن ابوي وقد كان يجلس زيد بن حماد في مجلس ابي المنذر ويكن له الاحترام !! فروح ذلك عن عدي قليلا ، وراى النابغة الافائدة في النقاش بعد ان ابدى الملك رايه القاطع فانجه الى النعمان بسأله : وماذا سيفعل مولاي ؟

فاجاب الملك في ارتباك لم تثيرون اتم فاستبين الطريق . فقال عصام : لا بد من اجابة كسرى لما يريد فنبلغ الاساورة بضرورة الرحيل ! فبق الملك راسه وهو يردد : لا بد من اجابة كسرى لما يريد فنبلغ الاساورة بضرورة الرحيل !!

ثم انتظر بوجه كمن يلمس طريقه وصاح بعصام ، قم انت فبلغ رئيسهم واقرا عليهم الكتاب !

ففهم الجميع ان الامر قد انتهى ، وابتدروا بالانسحاب فاستوقف الملك عديا وانصرف زميلاه !!

كان النعمان في حالة من الغيظ اساعت ففكره السديد ، وحولت ذهنه الى امور بعيدة لو تعقلها في غير حالة الغضب ما اندفع في مسلكه العفد ، فما كاد يخلو بعدى بن مرينا ، حتى قال له في اندفاع اعلم يا عدي ان النابغة رجل شاعر لا يعرف دهاء الماكرين ، ولا يرى في عدي بن زيد غير صورة من نفسه البريئة ، فاذا كان قد آلمك بعض القول ، فلا تتأثر نفسك به ، وحسبك نيتة البيضاء ، اما عصام بن شهيد فانسان مخلص الا انه لا يظن الشر باحد دون ان تتجسد له بواعثه تجسدا يلسمه باليد ، واقتناصه بدخيلة عدي المكرة امر يتطلب اللجاج ، وما دمت انت معي فانا في غير حاجة الى اقناع النابغة او عصام فاستدرك عدي بن مرينا يقول في تحابل : ومن يدري - آبيت اللعن - فلعلهما المصيبان في امر عدي بن زيد ! ولعلنا نتوهم فيه توهمنا هو الى الظن البعيد اقرب منه الى الحزم الاكيد !

فنظر النعمان نظرة فاحصة الى صاحبه ، وقد اصطبغ وجه الملك بكثرة غاشية زادته تناما على قتامة وبدا كأنه

بعد الآن !

فصرب عدى بن مرينا على صدره بيده وقال: ابنت اللعن
ايها الملك ، اني اعلم غدر عدى بن زيد ، ولكني اقول في
نفسى : لعل الملك يوفق الى حسم النزاع معه اذا هذا
خاطره قليلا وعواده الصفا ، وما حاولت معارضةك الآن
الا لآخف من غضبك قليلا ، فتراسله في الامر بنفس
مطمئنة وقلب ذي غفران .

فضغط النعمان باسنائه على شفتيه كالمحقق المفيظ :
وهو يقول : هيهات يا عدى ان يجتمع في القرب سيقان
بعد ان قال ابن زيد ما قال !! لا بد من الغدر به قبل ان
يبلغ السيل الزبى فيغرق الاسد في طوفانه الجياش .
فاستسلم ابن مرينا فرحة عميقة في نفسه اذ وصل
الى ماربه المقصود فنجحت وشابته دون ان يفتضح جهرة
بمسماء ثم اطرق الى الارض واضعا جبهته على كفه كمن
يفكر في خطر محيق ! وقال بعد سكتة طويلة ، ما شئت
يا مولاي !

فهب الملك راسه وهو يقول متضاحا كمن اهتدى الى
حل مربح : اسمع يا عدى سيأتي هذا اللثم بعد عشرين
يوما الى الحيرة في موسم الشعانين كما اعتاد ، وساتظاهر
بالمرض فيخرج الى زيارتي بالخورنق ، فاذا ولسح الباب
أمرتك انت بالقضى عليه مع تابعين قوين مسلحين من امناء
القصر ، وسيكون غير متوقع لما تدبر الان ! فيدعن للاعتقال ،
فاذا سقموه الى (المطبق) في اسفل الخورنق كتمتم
انفاسه خنقا ، ثم لعن للناس انه مات موة طبيعية لا غدر
فيها او انتماز !

فسال عدى فاذا بعث كسرى متسائلا عنه فيماذا نقول:
سنعزبه متباكين على موته ، وهو يعلم جيدا اني صهوه
وذو صداقته فلن يرتاب في مهلكه بحال !!

فتابع عدى يسأل : وماذا تقول لابنتك هند حين تفاجأ
بموته السريع !!

فضحك الملك وهو يقول : وهل تكرث ابنتي لفقدته ،
وقد نقص عيشها بالايوان وهم بطردها كالسبية ليفضح
اباها بين العشائر والقبايل في الحواضر والبادي !! فيلحقنا
افدح الشنار !!

فسكت عدى بن مرينا ، ولم يفه بشيء ، فصاح به
النعمان متجهما : اخالك مترددا في انفاذ ما وكل اليك !
فتعجل عدى يقول : كلا يا مولاي ، وسترى ما تريد يوم
الشعانين بعد العشرين في حذر واحكام !
فتامل النعمان في وجهه كمن يختبر ولاه مستشفا ادق
الخواالج لديه ، حتى اذا اطمان الى اختباره همس في اذنيه:
ولن يعلم انسان .

فاجاب عدى : ومن الذي يعلم يا مولاي ...

قطعة من غيش الظلام ، لولا انفراج اسنائه المتاكلة عن
يباض شائه كربه ثم قال انا اجزم الآن بغدر عدى بن زيد
جزما لا يتطرق اليه سبب من الشك الضعيف ومعنى
الدليل !

فنظر عدى كأنه يستدرج الملك قائلا بلسان الحال لا
بلسان المقال وما دليكه على هذا الجزم الاكيد ؟ وقد قرأ
النعمان هذا التساؤل في نظراته ، فقال في همس مرير :
ان الدليل الاكيد على غدر هذا اللثم هو ما ذكره الدهقان
للمنخل من ان عدبا قال لرجال الايوان ان النعمان خدعني
حين اعلن ميله للتصراية وتصميمه على اعتناقها ، لاني
بالفعل قد خدعته بذلك دون ان يعلم احد من الناس غير
عصام بن شهيد وزوجتي المنجدة ، وعصام كما جربته في
مدى عشرين عاما كنوم امين لا يفوه لاحد بادني سر ولو
قطعت رقبته بالسيف بترأ ، اما زوجتي المنجدة فلا تتصل
باحد غير وصانها المخدرات ، ولن تقول لمن من سرى ما
تحرص على كتمانها الشديد ! فاذا ذاع ذلك النبا في بلاط
كسرى وعرفه العامة من الدهاقين قبل الخاصة من المرازبة
والاساورة نسينتسر هنا في الحيرة عن قريب ! ولن يتورع
عدى نفسه من ان يذيعه امامي بمشهد من الناس اجمعين !

ثم عض على شفتيه وهو يقول : وسيجيء اليوم القريب
الذي يعلم فيه كل شخص من رجال الحيرة واعراب البادية
انني صنيعه عدى ، وانه الذي اشار فكنت الملك ، ولو شاء
غيري لتقدم سواي ! وتلك التي تجعلني ضحكة هزاة بين
الملأ من القاطنين والتارحين شخص على الملك وقال
في خدعة : لا اظن الامر يصل الى هذا الحد بينك وبين
صهرك القريب !

فصاح النعمان : اين عقلك يا ابن مرينا ! انسان يخبر عن
سرى دهاقنة فارس ايتورع ان يذيعه لاقاربه في الحيرة
من العباديين !

ثم سعد زفرة من صدره وهو يقول : وهل نسيت ما
ذكره الدهقان عن تبرمه بابنتي هند ، وعزمه على ارسالها
طريدة الى ، لو فعل ذلك وتناقلته العامة لم يبق لي بينهم
مكان ! ان اخوتي لا يزالون لأن يتكهون بي ، ويقولون:
قدم ابنته سريعا الى زيد بن حجاد دون ان يقيم مظاهر
الاعراس ، فنزحت كالاسيرة اليانسة كسيرة الجناح ! فاذا
عسى ان يقولوا حين يرونها ترجع طريدة كاحقر اعرابية في
بوادى تيم وكلاب !!

فصاح عدى ايفعل ذلك ! انه اذن للثم جبان .
فرد الملك في انفعال ، بفعل ذلك واكثر منه ما دام قد
تحدث به على رؤوس الاشهاد .
وجامنا به الدهقان !

فقال ابن مرينا لا زلت اقول لعله يزيد فيما نقل .
فنهب النعمان صانحا كدت ان تصيح يا ابن مرينا غرا
كالنايفة او مسالما كعصام بن شهيد ! ان تنفع لاستشارتي

فرويد « الخلق التناسلي » . وقد ظل مفهومًا غامضًا أو مفهومًا مجردًا . لأن فرويد قد اقتصر على وصفه بالقول : ان هذا الخلق هو النظام أو التركيب الخلقى للفرد الذي يستطيع ان يؤدي جسدًا وظائفه الجنسية والاجتماعية .

اما نظرية فروم فقد اهتمت بتحليل الخلق التطور التامشج ، فقد وصف فروم هذا الخلق بأنه غابة التطور الخلقى ، وفي نفس الوقت النموذج الاخلاقي للانسان . وقد استخدم هذا الوصف التطوري لشرح مفهوم التوجيه الانتاجي أو الابداعي للخلق (ومدى علاقته بمفهوم فرويد عن الخلق التناسلي) . ان فروم لا يستخدم مفهوم فرويد بمعناه الحرفي المرتبط بنظرية اللبيدو ، وانما يستخدمه استخدامًا رمزيًا يشير تماما الى معنى الانتاج . وذلك لان مرحلة التوضج الجنسي (٢) هي المرحلة التي عندها يصبح في مقدور الانسان ان « ينتج الانتاج الطبيعي » أو الانتاج الحيوي . وفي حين ان الانتاج الطبيعي يشمل الانتاج الانساني والحيواني على السواء ، فان الانسان وحده هو القادر على الانتاج المادي .

ان الانسان ليس فقط حيوانًا اجتماعيًا ، او حيوانًا عقليًا فحسب ، ولكنه يعرف بأنه « حيوان منتج » . اذ هو قادر على تحويل الاشياء التي تتناولها يدها، مستخدمًا في ذلك تفكيره وتخيله . وليس فقط بقدره على الانتاج ، بل لا بد له ان ينتج لكي يحيا . والانتاج المادي ، مع ذلك ، ليس الا الرمز الغالب للانتاج كمظهر خلقى .

ان التوجيه الانتاجي للشخصية انما يشير الى اتجاه عقلي او الى قالب ارتباطي بكل مجالات الخبرة الانسانية . فهذا التوجيه انما يشمل الاستجابات العقلية والوجدانية والعنسية من نحو النفس ، ومن نحو الآخرين ، ومن نحو الاشياء . ان الانتاج هو مقدرة الانسان لان يستخدم قواه ، وان يحقق كل الاستعدادات فيه . واذا قلنا ينبغي ان يستخدمها فمعنى هذا ايضا ان الانسان يجب ان يكون حراً وليس معتمداً على آخر يتحكم في هذه القوى . وهناك معنى آخر كذلك وهو ان الانسان يجب ان ينقاد للتفكير او الترشيد العقلي طالما انه لا يمكن استخدام قواه الا اذا عرف ماهية هذه القوى ، وكيفية استخدامها ، وهدف استخدامها ، ان الانتاج هو ان يختبر الانسان نفسه ، كصاحب هذه القوى ، وكالمحرك لها في نفس الوقت . اي ان يشعر انه نفسه في اتجاه واحد مع هذه القوى . وليس هذه القوى جزءاً منفصلاً عنه او متعصفاً او غريباً عن نفسه . وينبغي لتحديد المعنى اكثر ان نناقش باختصار « ما ليس انتاجاً » .

تتقرن كلمة الانتاج بكلمة الخلق وخاصة الخلق الفني . ان الفنان الحقيقي هو المثل الحق للانتاج . ومع ذلك فليس كل الفنانين منتجين او مبدعين . فهناك الرسام التقليدي الذي لا يعرض الا مقدرة تقنية فحسب ، كان يقدم على



اميل توفيق

التوجيه الخلقى المبدع

للمحال النفسي الامريكي اريك فروم

عرض وتلخيص : اميل توفيق

مميزات عامة

منذ عصر الادب الكلاسيكي والاوسط حتى اواخر القرن التاسع عشر ، بذلت جهود فكرية المعروفة على ماهية الرجل الصالح ، و ماهية المجتمع المبالى . وفي هذه الكتابات في صور فلسفية او لاهوتية ، كما جاء بعضها على شكل رؤى اليوتوبيات (١) . اما القرن العشرون فقد خلا من مثل هذه الرؤى في النقد التحليلي . ذلك ان اهم ما امتازت به كتابات هذا العصر من هذه الناحية هو التحليل الناقد للانسان والمجتمع . وعلى رغم ان هذا النوع من الكتابة الناقدة التحليلية بعد شرطاً هاماً لتقديم المجتمع ، فان عدم الكتابة المبينة على اليوتوبيا والتي تعكس احلام الكتاب في « عالم افضل » - وفي « مجتمع افضل » وفي « انسان افضل » - قد اضعف من ايمان الانسان من نحو نفسه ، ومن نحو مستقبله وحتى عسلم النفس المعاصر ، وخاصة التحليل النفسي ، قد وقع في نفس هذا الخطأ .

ان فرويد واتباعه قد قدموا تحليلاً رائعاً للخلق العصابي . فحين نقرأ الوصف الاكليتيكي للخلق اللامنتج (يسمى باصطلاح فرويد خلق ما قبل التناسلي) فنجد هذا الوصف دقيقاً حقاً بل وتفصيلياً الى حد مرهق . ومع ذلك فان المفاهيم التي استخدموها مفاهيم غامضة وفي حاجة الى مراجعة . اما الخلق السوي ، الناضج السليم ، فلم يلق لديهم اعتباراً هاماً . هذا الخلق السوي سمّاه

السلوك العفوي التلقائي الصادر من نفسه .

وهناك طراز آخر هو النشاط الآلي (٤) حيث لا يعتمد الشخص على سلطة معينة شخصية ، بل يعتمد على سلطة لاشخصية تتمثل في الرأي العام ، أو السذوق العام ، أو العرف السائد ، أو « متطلبات العصر » فتمثل هذا النشاط يصدر من شخص يمثل لشعور أو لعمل ينبغي ان يصدر وفق هذه السلطة الاشخصية . ان نشاطه يفترق الى هذه العفوية او التلقائية لان شعوره وعمله لا يصدران عن خبرته العقلية او الوجدانية ، بل يصدران من مجرد التطبيق الآلي لآراء ملزمة له . ان أكثر دوافع النشاط قوة هي الاهواء اللاعقلية (٥) فالشخص الذي يدفعه البخل ، او الماسوشية ، او الحسد ، او الغيرة ، او اي نوع من انواع الطمع والنهم . . انما يسلك سلوكا قهريا خاضعا لتلك الاهواء ، وبذلك لا تكون تصرفاته حرة ، ولا تكون عقلية مترشدة ، لانها تصرفات غير منطقية وفي اتجاه معاد للاهتمامات الانسانية . ان الشخص الذي تحاصره هذه الاهواء انما يكرر ذاته ، وبهذا التكرار ينحرف اكثر فاكتر نحو السلبية دون الرونة ، بل يصيح سلوكه صورة مكررة من صيغة معينة ، او من قالب معين للسلوك (٦) فهو فعلا نشط ، ولكن نشاطه ليس اصليا بل ليس منتجا .

ورغم ان مثل هذا النشاط المبني على الاهواء اللاعقلية قد يؤدي عند الكثير من هؤلاء الى نجاح مادي او الى نتائج عملية ، فان الانتاج الذي نقصده ليس هو بالضرورة التصرفات التي تقوم الى نجاح مادي ، ولكنه النشاط الذي يقوم بالجاهد معين ، وبأسلوب السلوك ، او بطريقة للتوجيه . وبهذا الانسان البسيط بالنفس وبالعلم ، في عملية الحياة . اننا نقصد الاتجاه الذي يجعل استعدادات الانسان ومواهبه وقدراته وملكانه تسلك بحرية من اجل البناء والانتاج . فنحن لا نتكلم عن النجاح الذي قد يصل اليه الانسان بطرق كثيرة ولكنا نهم بالخلق ، وبالنشاط المنتج النابع من الحرية والترشيد .

الانتاج اذن هو تحقيق استعدادات الانسان ، ونشاط قدراته التي يتميز بها اي استخدام قواه استخداما بناء . ولكن ما معنى استخدام قوى الانسان ؟ ينبغي ان نفرق بين مفهوم القوة كمقدرة الانسان وسعته وكفائته . ومفهوم القوة بمعنى التسلط والسيطرة . فالقوة بمعنى السيطرة هي التي تشل القوي بمعنى الكفائة . ومقدرة الانسان على ان يستخدم امكانياته للانتاج هي قوة كفائة . اما عدم قدرته على ذلك فهو الضعف والشلل . ان بمقدرة الانسان العقلية ، يستطيع ان يخترق سطح الظاهر ، وان ينفذ الى اعماقه ، وان يفهم لبابها . وبقوة الحب ، يستطيع ان يذيب الجليد ، او يحطم السياج الفاصل ، بين انسان وآخر .

وبقوة الخيال ، تتراءى للانسان الرؤى الرائعة ، التي بها يخطط ، ومن ثم يخلق ويدع . اما اذا شلت كفاية

سبيل المثال - لوحة فوتوغرافية نقلنا عن الاصل ، ولكن الانتاج او الابداع شيء آخر . يمكن الانسان ان يختبر ويرى ويشعر ويفكر بصورة موجهة دون ان تكون له موهبة خلق شيء منظور او متداول . ان الانتاج هو « انجاء » يقدر عليه كل انسان ، ما لم تقف في سبيله معوقات وجدانية او عقلية .

قد تختلط كلمة « منتج » بكلمة « نشط » . او كلمة انتاج بكلمة نشاط . وقد كان المعنيان مندمجين في مفهوم أرسطو . ولكن النشاط في المعنى الحديث هو في الغالب عكس الانتاج . ان النشاط هو - بوجه عام - كل سلوك يعمل على التغيير في موقف معين ، وذلك ببذل الجهد ، وعلى العكس ، يوصف انسان بأنه سلبى اذا لم يكن في مقدوره ان يغير او يؤثر صراحة في موقف راهن ، بل يتأثر ويتحرك بالقوى الخارجة عنه . فمفهوم النشاط اذن مرتبط ببذل الجهد واحداث التغيير ولكنه لا يفرق بين الشروط النفسية التي تتحكم في النشاط .

ولنضرب مثلا متطرفا للنشاط الامنتج . فالانسان الموم تنوبها مغناطيسيا يكون في غيبوبة ، ولكنه قد يفتح عينيه ، وقد يتحرك ويمشي او يتكلم . قد يعمل وقد يبذل الجهد ، وقد يرتبط هذا البذل باحداث تغيير . ولكن الشخص الموم ليس هو الفاعل الاصلي - عقليا - لهذا الجديد ، انما الإيحاء من جانب الموم (بكر الراو) قد ادى الى هذه النتائج . ان حالة الغيبوبة هي حالة غير طبيعية ، او هي حالة متطرفة تتميز بموقف يبدو فيه الانسان نشطا دون ان يكون هو الفاعل الحقيقي لهذا النشاط . ان نشاطه نابع من قوى مفروضة ، وليس له عليها سلطان .

وهناك طراز آخر من طراز النشاط الامنتج . وهو الاستجابة نحو القلق سواء كان من النوع الحاد او المزمن - الشعورى او اللاشعورى - وهذا النشاط يكمن غالبا وراء كل الانشغالات الجذونية لكثير من الناس في هذا العصر . وعدا ذلك فهناك نشاط اخر يبنى على الخضوع للسلطة او الاعتماد عليها . قد يكون موقف انسان ما من السلطة خوفا او الحب او الاعجاب والتقدير . او قد يكون مزيجا منها جميعا . ولكن سبب النشاط عند هذا الانسان هو الاوامر الصادرة من السلطة سواء كانت شكلية ، او صريحة او ضمنية . ان الشخص نشط لان السلطة تريد منه ذلك ، وهو يفعل ما تريده السلطة تماما . هذا النوع من النشاط هو ما يمتاز به « الخلق التسليطي » (٣) ، فالنشاط وفق هذا الخلق هو السلوك باسم السلطة العليا ، لا السلوك وفق الإرادة الخاصة . فالشخص التسليطي يتكلم ويسلك باسم الله ، او باسم الماضي ، او باسم الواجب . ولكنه لا يتكلم ولا يسلك باسمه هو . ان الخلق التسليطي يتقبل كل ما تثيره سلطة اعلى منه ، لا تهاجم بالنقد ولا تسال ، ولا تنفي - وبذلك لا يستطيع ان يسلك

الإنسان ، أثقلت أرباطاته وعلاقاته إلى رغبة للسيطرة ، والتسلط على الآخرين كما لو كانت دمي بين يديه . ان السيطرة مرادفة للموت . والكفاية مرادفة للحياة . ان السيطرة تنبثق من عدم الكفاية ، ومن ثم تقتل اية كفاية . فلو ان انسانا ما قد اجبر آخر على ان يخدمه ويرعاه ، فان حاجة هذا الانسان لان يخدم وينتج سيصيبها الشلل والجمود .

وهنا يبرز امامنا سؤال : كيف ترتبط علاقات الانسان الذي يستخدم قواه للانتاج ؟

ان الانسان يختبر العالم بطريقتين : الطريق الاول هو اختياره الايجابي النقلي وتعني به الاختبار بطريقة الادراك الحقيقي للصور الحسية للأشياء ، وهو ادراك متواصل لاستقبال آلة التصوير لصور الاشياء مضافا اليه بعض النشاط العقلي .

اما الطريق الثاني فهو ادراكه الخلاق ، بان يعيش خبرته ، وان يحيا ادراكاته ، وان يبدع منها شيئا جديدا ، يعبر عنه نشاطه التلقائي لقواه العقلية والوجدانية الرشيدة .

الطريقة الاولى هي الطريقة العقلية (٧)
والطريقة الثانية هي الطريقة الابداعية (٨) .

وينبغي ان يفهم ان هناك اختلافا بين الخبرتين في حياة كل فرد ، رغم ان كل انسان يستخدم - الى حد ما - الطريقتين العقلية والابداعية . وهنا يلزمنا ان نبحت الحالة التي عندها تنمو طريقة ما وتخفي الطريقة الاخرى . ان اختفاء السعة الابداعية لخبرة الانسان هي ما تنسم به حضارتنا المعاصرة - فقد يمكن الانسان ان يدرك الاشياء كما تبدو امام نظريه ، او كما تتفق مع خبراته ، ولكنه لا يستطيع ان يحيا هذا الادراك من داخل النفس ، وان يعمق فيه الحياة . هذا الشخص هو الواقعي الكامل (٩) الذي يرى كل ظواهر الاشياء ، او كل الملامح السطحية ، دون ان تكون له القدرة على ان ينفذ الى الاعماق فيرى اللباب ، او يتصور ما هو ابعد من الظاهر . انه يبرى الفصائل ولكنه لا يرى « الكل » . انه يرى « الاشجار » ولكنه لا يرى « الغابة » . ان الحقيقة امامه هي مجموع ما يتناوله « الحس » . انه لا يعجز عن التخييل ولكن خياله هو الخيال الذي يحمي عديد الاشياء ويضعها جنب الى جنب دون ما نظر الى علاقات تعمدي حدود الظواهر وحدود الوجود الحسي . وعلى عكس هذا الرجل ، الشخص الذي فقد القدرة على ان يدرك هذا الواقع ، وتعني به الرجل المجنون . ان الشخص المصاب بالذهان (١٠) له عالم هو نسيج وحده منفصل عن عالم الواقع . فهو يعيش في عالمه ذلك . واما العالم الذي يدركه سائر الناس فهو عالم غير حقيقي بالنسبة له - مثل هذا الشخص يقال ان خيالاته هي هلوسة ، وهو لذلك يفسر الحوادث التي تجري امامه بمشاعره وهلوساته وخيالاته ، التي لا تمت الى الحقيقة بصلة . اما الشخص المصاب بالبارانويا فقد

يعتقد بأنه مضطهد ، وقد تحدث امامه اشارة ما تقوي مثل هذا الشعور بالاضطهاد ، ومن ثم قد تقوده فعلا الى ان يحطم نفسه . وامثال هؤلاء المصابين لا يدركون الصورة الحقيقية لما يدور حولهم ، ولكنهم يدركون بدلا منها صورة اخرى داخلية يعيشون فيها .

الواقعي اذن يرى الاشياء كما تبدو ملامحها السطحية ، وكما تظهر صورها الظاهرية ، وهو يستطيع ان ينقلها ايضا كما هي مثلما تنقل الكاميرا الصورة الفوتوغرافية ، وهو يستطيع ايضا ان يعالج الاشياء والاشخاص على هذا الاساس الظاهري فحسب .

واما الذهاني او المجنون فلا يستطيع ان يدرك الصورة الحقيقية للأشياء والاحداث ، بل انه يدركها جميعا كرموز ، او كانهكاسات لعالم آخر داخلي يعيشه ويحسه .

وكلامها في الحقيقة مريض . ولكن مرض الذهاني - اذ يبعده عن عالم الواقع - يجعله لا يستطيع ان يعالج الواقع ولا ان يتعامل معه ، ومن ثم يجعله منفصلا عن المجتمع وعن الوظائف الاجتماعية . اما مرض الواقعي (بالوصف الذي بيناه) فهو السطحية والفهم الظاهري للأشياء . انه حقيقة مندمج في المجتمع ولكن سعته الابداعية ضعيفة جدا لدرجة انه يقتصر الى التعمق ورؤية العلاقات الباطنية للأشياء ومدلولاتها الجوهرية .

ان هذه « الواقعية » تبدو انها عكس « الجنون » ، ومع ذلك فالجنون والواقعي البحث يشتركان في عدم العمق . اما الانسان السوي في مقدوره ان يربط نفسه بالعالم بالطريقتين : النقلي والابداعي . ان يدركه كواقع - وان يدركه بادرع يجب يعيش ما يدرك ثم يحيه ، وينمي ، ويفهده ، بما لديه من قدرات وقوى . فلو نقد انقلبا قدرة منهما ، فقد اصابه المرض . ان ادراك الانسان نقليا وابداعيا ، هو الشرط الوحيد للانتاج ، وتفاعل هذين القطبين هو العملية الدينامية للانتاج . فليس الانتاج هو مجموع المستعين بل هو تفاعلها معا الذي ينبثق عنه شيء جديد مبدع .

لقد وصفنا الابداع والانتاج بأنه اسلوب معين للارتباط بالعالم . وهذا نسال ، ما الذي ينتجه الشخص المنتج ؟ انه ينتج اشياء مادية ، اعمالا في الفن ، ونظما للفكر ، ولكن اهم موضوع انتاجي هو في الحقيقة «الإنسان نفسه» . ونوضح ذلك فنقول ان بين الميلاد والموت ، هناك عملية مستمرة لاحياء وتوليد الامكانيات في الانسان . ان النمو الجسمي يسير بطريقة آلية ، ولكن النمو العقلي هو الذي يستلزم الجهد . انه يتطلب بذل النشاط الخلاق لاحياء القدرات الوجدانية والفكرية في الانسان ، بل ويجعلها تولد من جديد ، ان هذه العملية هي جزء من (مأساة الموقف الانساني) حيث ان نمو النفس لا يمكن ان يصل الى كماله ، حتى اذا وجدت الظروف المواتية ، فان النفس الانسانية لا يمكن ان تحقق غير جزء من امكانياتها .

يضطر ان يرتبط بالعالم ، وان يتحد وياه ، وذكرنا ان هناك حاجة ملحة لدى الانسان هي الحاجة التي تحقق له الوجود المستقل كوحدة وجودية متفردة ، وفي نفس الوقت تحقق له الوجود المتحد ، أي الوحدة مع الطبيعة ومع العالم . وقد ذكرنا ايضا ان هناك طرقا عديدة لتحقيق هذه الحاجة ، ولكن طريقا واحدا فقط ، هو الذي يمكنه ان يدفع بقواه الحقيقية وامكانياته للتعبير والانماء في عملية الارتباط بالطبيعة وبالعالم وبالمجتمع ، وهذا الطريق الوحيد الذي يشبع هذا التناقض ، ويعطي جوابا لتلك المشكلة الخلقية هو الانتاج او الابداع .

ان الابداع هو الطريق الذي يحقق الوجود المستقل ، كما يحقق ايضا الوجود الارتباطي للانسان . ان المرء يمكنه ان يرتبط بالعالم عن طريق النشاط والفهم . فهو ينتج الاشياء ، وفي عملية الخلق ، تبرز قواه ، وهي تسمو على المادة . وهو كذلك يفهم العالم عقليا ووجدانيا عن طريق الحب والعقل (المطلق) . ان قوته في التفكير والتعميل تمكنه ان يخترق السطح وان ينفذ الى اللبائ او الى جوهر الاشياء . وذلك عن طريق ارتباطه العقلي بعلاقة نشطة مع هذا الجوهر . وقوة الحب (الوجداني) تمكنه ان يخترق السياج الذي يفصل بينه وبين الآخرين . ومن ثم يستطيع ان يتفاهم وياهم . وعلى رغم ان الحب والتفكير لا غنى لاحدهما عن الآخر في تفهم العالم - فكل منهما ينبثق عن منبع يختلف عن منبع الآخر . ومن هنا نعالج كلا منهما على حدة .

ان « الحب الابداعي » يختلف حقا عن مفهوم الحب الذي يجري على الاسنة ، فما اكثر المعاني المخطلة المضلة التي ترتبط بكلمة الحب . فهي تستخدم لتدل على (الشعور الذي يخلو من الحقد والغضب) كما ان المفهوم العادي يشتمل على معاني كثيرة منها (الميل الخفيف للاشياء) ومنها (الشوق العميق لها) . . ومنها الشعور بالمشاركة ومنها الشعور العميق بالارتباط . والناس لا يفرقون بين الحب المستقل ، وحب الامتلاك . كما انهم يعتقدون ان الحب شيء سهل ميسور طالما ان الانسان يجد الشريك الذي يحب . وان مصوبته تكمن في عدم اللقاء بهذا الشريك . ولكن على عكس كل هذه المعاني التي يكمن فيها تفكير الرغبة ، فان الحب شعور نوعي . ورغم ان لكل انسان السعة والقدرة لان يحب ، فتحقيق ذلك هو من اصعب الامور . ان الحب الحقيقي كامن في الابداع - ومن اجل ذلك نسميه « الحب الابداعي » وجوهره دائما واحد سواء كان هو حب الام لطفلها او هو « الحب الجنسي الوجداني » بين فردين . ان على رغم اختلاف العمق والكم ، فهناك عناصر اساسية لكل انواع الحب الابداعي . اما هذه العناصر فهي : الرعاية ، المسؤولية ، الاحترام ، المعرفة .

ان اقتراح الحب بالرعاية والمسؤولية انما يدل على ان

فانسان يموت قبل ان يولد الميلاد الكامل ، وهذا يجعل بنا ان نذكر آراء بعض المفكرين والفلاسفة ، خاصة بمفهوم الانتاج او الابداع .

١ - ان الانتاج هو احد المفاهيم الهامة التي تفسر نظام ارسطو الاخلاقي . فالفضيلة عنده ترتبط بما يؤديه الانسان من وظائف ، ان الفضيلة يمكن ان تعين بتأكيد وظيفة الانسان . وبعبارة اخرى ان الانسان القاضل في نظر ارسطو هو الرجل الذي اذ يؤدي نشاطه الراشد ، يبعث الحياة والنمو في الامكانيات الانسانية او الخاصة به كاتسان .

٢ - اما الفضيلة في نظر « سينيوزا » فمعناها استخدام الانسان لقواه . والرديلة هي فشل الانسان في استخدام هذه القوى . فلباب الشر لدى سينيوزا هو الخيبة والضعف وعدم القدرة .

٣ - وقد عبر « جوتيه » شعريا عن النشاط الخلاق اجمل تعبير . ان « فاوست » هو الرمز الانساني « لسمي الانسان الخالد نحو معنى الحياة » . فلا العلم ولا اللذة ولا الطولة او النفوذ ولا حتى الجمال تمنح فاوست الجواب عن سؤاله الخالد . ولكن جوتيه يعتبر ان الجواب الواحد لحاجة الانسان لا يجد له معنى هو « النشاط الخلاق » - وهو في نفس الوقت مرادف للفضيلة او الخير .

٤ - اما ايسن الكاتب الروائي والشاعر المسرحي فسي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فقد كتب تقديرا تحليليا للانسان المعصري ، في كتابه « بيرجيت (١١) » . وقد يصلح عنوان آخر لهذه الرواية وهو « الانسان المعصري والسعي لاكتشاف ذاته » وبطل الرواية يعتقد انه يعمل لحساب نفسه عندما يستخدم طاقته لاكتساب المال ويصبح ناجحا ومن ثم يعيش بالشعار « كن كافيا لنفسك » ، وليس بالشعار القائل « كن حقيقيا مع نفسك » . ولكنه يكتشف في نهاية حياته ان الاستغلال والانانية قد منعت ان يصبح هو « نفسه » . حججته عن نفسه فعملت اكتشافه لذاته . وهو يتحقق آخر الامر ان اكتشاف النفس لا يتأتى الا بان يكون الانسان « منتجا » بمعنى ان يعطي لامكانياته الحياة والازدهار والتعبير .

ان ايسن قد تخيل ان امكانيات بيرجيت التي لم يعبر عنها قد جاءت لتنتهم بخطيته الكبرى - وتعني بها فشله وجوده وضعفه وكسله عن الانتاج .

لقد بينا حتى الان اللامع العامة او المميزات الاساسية للتوجيه المبدع . وسنبعث فيما يلي كيف تظهر هذه المميزات في اهم انواع النشاط الانساني ونعني بها الحب والتفكير .

الحب والتفكير المبدعان

ذكرنا في « الموقف الانساني » ان وجود الانسان يتميز بانه وجود متفرد متفصل عن الطبيعة وعن العالم ، ولكنه في نفس الوقت ، وجود لا يقدر على هذا الانفصال ، ولذلك

في لحظة كما يقال ، فالتجاذب يمهّد لبدء الحب . وسعة الإنسان لكي يحب « إبداعيا » هي التي تنسج أو تنشئ الحب تماما . كما أن كون الإنسان يهتم ، يعتبر البداية لنمو الاهتمام . أن الناس يتساءلون فيما إذا كانوا جذابين باعتبار أن موضوع الجاذبية هو الحب ، ولكن الحقيقة أن لب الجاذبية هو سعة الإنسان لكي يحب ، أن حب الإنسان إبداعيا يتضمن أن يرعى المحبوب ، وأن يشعر بتسعة تلك الرعاية . ليس فقط من ناحية الوجود الجسماني ، ولكن من ناحية اتّقاء قواه الإنسانية . فلا يتوأم الحب الإبداعي مع السلبية ، ولكنه يتضمن العمل والرعاية والمسؤولية نحو اتّقاء القدرات الإنسانية في المحبوب .

ويشير « فروم » إلى ملاحظة جديرة بالتسجيل في هذا الصدد ، فهو يقول أنه بالرغم من سيادة الروح العالية للديانات التوحيدية ، وبالرغم من وجود المفاهيم السياسية التقدمية التي تعبر جميعها عن الفكرة القائلة : (أن كل الناس قد خلقوا متساوين) . بالرغم من كل هذا فإن الحب للإنسانية لم يصبح بعد (اختيارا عاما) . أن الحب للبشرية ينظر إليه كنتيجة نصل إليها بعد خبرة للحب الفردي ، أو كحب مجرد قد يتحقق الوصول إليه مستقبلا . ولكن الحقيقة أن الحب الفردي - أي حب شخص لآخر - حبا إبداعيا - إنما يتضمن الإلتصاق بلباب العنصر الإنساني فيه - أي المثل فعلا للإنسانية . أن حب انسان ما لآخر ، بوصفه منفصلا عن الحب العام للإنسان - إنما يشير إلى الظاهرة السطحية وإلى العلاقة العارضة وهو بهذا الوصف يصبح حبا ضحلا لا عمق فيه . لقد يقال أن الحب الفردي العادي ، مختلف عن حب الأم لولدها - وذلك لأن الأم تحب طفلها حيث هو محتاج إلى الرعاية والسند . ومع ذلك فإن هذا الفارق موجود بشكل نسبي في العلاقات الإنسانية ، ذلك أن كل الناس في حاجة إلى اعتمادهم على الآخرين وإلى المساعدة في بعض الوجوه . والتماسك الإنساني هو الشرط الضروري ، لظهور الفرديات وانفصالها .

قلنا أن الرعاية والمسؤولية هما شرطان هامين للحب ، ولكن الحب بضمحل تماما إذا لم يصبحهما الاحترام والتفهم لخصائص المحبوب . بل أن الحب بدون الاحترام والتفهم أو التفهم ، يتقلب إلى حب الحيازة للمحبوب أو السيطرة عليه ، لا الحب بمعناه الإبداعي التبادلي . أن الاحترام ليس هو الخوف أو الرهبة . أن معنى الاحترام هو « القدرة على أن ننظر إلى الشخص كما هو » وأن نفهم بوعي « فرديته المستقلة وفرد صفاته » . ولا يمكن احترام شخص ما بدون أن نفهمه . ولن تكون الرعاية والمسؤولية واعتين مبررين إذا لم يصبحهما تعرف بفردية المحبوب . أما عن « التفكير الإبداعي » فينبغي بإدعى ذي بدء أن نفرق بين الذكاء والتعليل أو الفكر المنطقي . أن الذكاء هو أداة الإنسان للوصول إلى غايات عملية

الحب نشاط وإيجابية ، وليس هوى ينساق المرء بفعله وتأثيراته . ويسوق المؤلف قصة النبي يونان (يونس) ، مع أهل نينوى - كما وردت في التوراة - كمثال واضح لمعنى الحب الإبداعي ممثلا في كلمة الله ليونان . فقد أرسل الله نبيه ليردع الناس في مدينة نينوى ، ويشرحهم بالرجوع عن الضلال والشر ، لكي يعودوا إلى حياة الخير والفضيلة والصلاح .. والا فإن قصاص الله في انتظارهم ، وأن العدالة لا بد أن تأخذ مجراها بالعقاب الأليم . وتروي القصة أن يونان لم يك يبغي أن يوصل كلمة الله سبحانه أو رسالته إلى ذلك الشعب لأنه كان يعيل إلى العدالة والقصاص لا إلى الرحمة والغفران . كان يعيل إلى أن يتكلم باسم الله وباسم القانون وباسم العدالة ولا يود أن يقوم بعمل إيجابي ، أو بحب إبداعي . فحب كان للامر ، لا للعمل من أجل الناس ، وبقية القصة معروفة حيث أن كلمة الله عز وجل تدل على أن الحب والعمل شيئان لا ينفصلان وأن جوهر الحب هو العمل ، أو هو الخدمة . أن المرء بحب الشخص الذي يخدمه ويرعاه . والإنسان كذلك يعمل من أجل من يحب . أن هذه القصة ذاتها تتضمن أن الحب لا يمكن فصله عن المسؤولية . فعمل النبي يونان لم يك يستشعر المسؤولية قبل الناس الذين أودع بهم . وربما قال في نفسه كما قال « قاتين » من قبل (هل أنا حارس لآخر ؟) . والحق أن المسؤولية ليست واجبا مفروضا على الإنسان من الخارج ولكنها استجابة لنداء يشعر المرء أنه نداء من الداخل ومن الأعماق . أن المسؤولية والاستجابة نفس الأساس النفسي . فنكون متجاوبين لنداء أو تحفيز إلى ملتزمين معناه أن تكون مسئولاً .

أن اعظم أنواع الحب الإبداعي سطوا ولما هو حب الأم لولدها ، حيث أن مكانة الحب الجوهرية هي الرعاية والمسؤولية . أن جسم الأم - أثناء الحمل - « يعمل » من أجل تكوين الطفل . وبعد الولادة ، يصبح حبا هو البذل من أجل اتّقاء الطفل . حب الأم لا يتوقف على عوامل جاذبية في الطفل ، أنه حب غير مشروط . أنه حب يبنى على احتياجات الطفل وعلى استجابة الأم لهذه الاحتياجات . ولا غرابة أن يكون حب الأم هو اعظم رمز للحب ، يشير إليه الدين أو الفن ...

ولقد لا يكون واضحا أن الحب يرتبط بالرعاية والمسؤولية ، لأن الناس يفهمون أن الوقوع في الحب هو قمة الحب . والواقع أن الوقوع في الحب هو مجرد البداية أو مجرد الفرصة لتحقيق الحب . حقيقة أن التجاذب بين فردين هو نتيجة شعور بالفرغ إلى الملاء - أي شعور بالوحدة - بجانب رغبات جنسية وأشواق أخرى ، أن كل فرد يشاق لأن يجد شيع حاجاته عند الآخر . أي أن التجاذب بينهما هو نتيجة التجسّاب بين تلك الاحاسيس والحاجات والأشواق . ولكن هذا التجاذب يصبح الكسب الذي يمكن فقده إذا لم يكن يذكو بالحب الإبداعي . أن الحب لا يكتب

واللذة اللذين يتصلان بفلسفة الحياة أو بالنظرة الشاملة الكلية التي بعثتها أو يؤمن بها الشخص المبدع .

ان ما يعث الفكر - في عملية التفكير الابداعية - هو اهتمام المفكر بالموضوع المثير . انه يتأثر وجدانيا بهذا الموضوع ومن ثم يتفاعل وياه . ان ارتباطه بالموضوع يمثل (الناحية الذاتية) ولكن هناك صفة أخرى تتميز بها التفكير المبدع وهي (الموضوعية) ومعناها احترام الفكر للموضوع أي القدرة لان يراه كما هو - لا كما يرغب ان يكون - وكانتما التفكير المبدع يجمع الموضوعية الى جانب الذاتية . فهذان القطبان هما الميزان لكل تفكير ابداعي . ولكي تكون موضوعيا ، ينبغي ان « تحترم » الأشياء التي تراها . بمعنى ان تقدر على رؤيتها في وحدتها المستقلة المتميزة ، وفي علاقتها المتشابكة وهذا الاحترام لا يختلف عما ذكرناه - خاصا بالحب - فتكوني اريد ان افهم شيئا ينبغي ان اكون قادرا على رؤيته كما هو كائن ، أو كما هو بطبيعته . ان هذه الحقيقة تنطبق على كل موضوع من موضوعات الفكر ، ومن هنا تبرز أهميتها في دراسة الطبيعة الانسانية .

وهناك جانب هام للموضوعية في التفكير الابداعي فيما يخص بالنظر الى الموضوعات المختلفة الحية أو غير الحية . وهذا الجانب هو رؤية الظاهرة « كشيء كلي » فلو فصل الرائي أو المدرك أو المفكر جانبها واحدا أو صفة واحدة من الظاهرة التي تمثل الموضوع المدرك ، فهو سوف لا يستطيع ان يفهم الظاهرة فهما كليا . بل ولا يستطيع كذلك ان يفهم ذلك الجانب المتفصل أو الصفة المتفصلة . وهذه هي النقطة الهامة في التفكير المبدع والتي اكدها فريدمر (١٢) ان يقول « علمنا نراقب في الحصول على فهم حقيقي لمدرك ما أو لظاهرة معينة ، يجب ان نعيد النظر والتساؤل والبدء في البحث حتى تصل في لحظة ما الى ادراك بؤرة هامة تظهر ساطعة في مجال الموضوع . وهذه البؤرة لا تنفصل عن الموضوع ، بل انها تبرز بشكل جديد ، أو بتركيب جديد اعظم يفرض نفسه على الموقف الادراكي . وهذا التركيب يتضمن تغيرات في المعنى الوظيفي وفي التجمعات المختلفة لجوانب الموضوع ومفرداته . ان البؤرة والتركيب الجديد يمثلان الصورة والاطار . والمفكر اذا يدرك للموضوع صورة في اطار يدرك له المعنى الذي يمكنه ان يتحقق منه بطرق مباشرة أو غير مباشرة » .

وهذه هي الفكرة الاساسية لنظرية الجشتالت في الادراك .

ان التفكير المبدع اذن يحدده عاملان هامين : الاول طبيعة

وذلك بقصد اكتشاف جوانب الأشياء التي تبين علينا معرفتها لكي نستخدمها ونعالجها ونسيطر عليها . اما الاساس نفسه - او الموضوعات التي يهدف اليها الذكاء ، فليست موضوعا للتساؤل . ان الذكاء ينصب على موضوعات قد تكون عقلية او لا تكون . والمثال المتطرف لهذا هو الذكاء في حالة الشخص المصاب بالبارانويا ، ان الاساس الذي يبنى عليه تفكيره هو (ان كل الناس من حوله متمشرون عليه) وهذا الاساس في حد ذاته زائف ولا منطقي . ومع ذلك فان تفكير هذا الشخص منطقي مع نفسه ، وعمليات هذا التفكير تنسجم فعلا بكثير من الذكاء ، فهو يربط بين الملاحظات المختلفة بعلاقات منطقية ، ويستنتج منها جميعا نتائج تبدو معقولة لدرجة يصعب معها - لاول وهلة - تفنيدها . والواقع ان تطبيق الذكاء على المشكلات المختلفة ليس قاصرا على امثال هذه الظواهر المرضية (الباثولوجية) فمعظم تفكيرنا هو - بالضرورة - منصب على الحصول على نتائج عقلية بظواهرها الكمية والسطحية دون ان نتساءل عن صدق هذه الغايات (او النتائج) والاساس الذي يبنينا عليه تفكيرنا - بل ودون ان نفهم قيمة هذه الظواهر . اما الفكر المنطقي او التحليلي (اي الاسلوب العلمي) فيتضمن بعدا ثالثا ، وهو العمق الذي يصل الى جوهر الأشياء ، ولباب العمليات الفكرية . وفي حين ان المنطق لا ينفصل عن الغايات العملية للحياة - فهو ليس مجرد أداة للفعل المباشر السريع . ان وظيفة المنطق هو ان يعرف وان يفهم وان يتلمس المعنى ويجتذبه ، وان يربط الانسان المفكر بالأشياء برباط فهمها ، انه يفهم خلال الظواهر السطحية للأشياء ، الى باطنها ليكتشف جوهرها وعلاقاتها المعقبة ومعانيها ومنطقها . فلاشياء ليست ذات طول وعرض نحسب ، بل ذات عمق او ذات ابعاد مختلفة . وبعبارة أخرى ان امام المنطق تبدو الأشياء كمناظر ذي ابعاد واعماق مختلفة . فهو يلمع بالفهم ما في الأشياء من مدركات بعيدة ومدركات عميقة . وليست فقط الظواهر العملية المترابطة .

واذا اهتم الانسان بجوهر الأشياء ، فليس معنى ذلك انه مهتم بها وراء هذه الأشياء بل بما هو اساسي ، جوهري ، عمومي ، عالي اي بالظواهر الاشمل انتشارا ، والاعم شمولاً ، متحررة من جوانبها السطحية وظواهرها العارضة ، وما فيها من صلات لامنطقية . وهذا هو التفكير المنطقي الذي يدخل فعلا في التفكير الابداعي . ولكن الاخير يمتاز بصفة هامة وهي ان موضوع التفكير لا ينفصل عن الفكر نفسه . ان المفكر المبدع علاقة حية بموضوع تفكيره ، ان هذا الموضوع ليس شيئا جامدا ، بعيدا عن خبرة الشخص المفكر ولكنه موضوع خبرته ، ان بين الموضوع والمفكر علاقة اهتمام ، وكلما زادت هذه العلاقة قوة ، كلما كان التفكير مشمرا . ان العلاقة بين الموضوع والمفكر هي التي تجتذب الانسان المفكر ، وتثير حماسه للتفكير . لانها تثير الاهتمام

- (1) Utopias (2) Sex maturity (3) Authoritarian character (4) Automation activity (5) Irrational passions (6) Stereo-typed (7) Reproductive (8) Generative (9) Perfect realist (10) Psychotic (11) Peer Gynt (12) Wertheimer

مرارة النشوة

وداخل ملهى عبت فيه الغلام
رقصنا حتى الجنون
ضممتك الى صدري الولهان
ووشوشت في اذنك حكاية الطيب
فانتشيت
وعصرت جسدك المرمرى
ورميت فمي كشوق برعمة الى غمامة
على شفتيك اللتهيتين
فارتشفت الريح

في العشيات يا حلوتي
تطل الذكريات من جديد
جعل الى نفسي مرارة النشوة

ابراهيم عبده الخوري

لعينيك الحلوتين
بحمام قمر
وتتمزق امواج
ولحديتك المنور
يتصت شحورور
على شجرة احلام

في العشيات
تطل الذكريات من جديد :

في المصيف الاخضر
حيث العشاق يلوكون الشمس
غصت في بحر التأملات
وانت تفتريشمين الربيع

والرؤى في شروود

تيب بقولنا ان هذا في الواقع زعم خاطيء ، فما من مكتشف
او مخترع او باحث الا وتربطه بموضوع بحثه علاقة اهتمام
- ولكن المهم في الامر - لكي يصل الانسان الى الحق ، هو
ان تكون هذه العلاقة التي تربط المفكر او الباحث بموضوعه،
علاقة ليست مضادة للحق ، واية علاقة اخرى توائم الحق
وتتفق مع الوسائل التي توصل للحق هي علاقة سليمة .
وما عداها ، فلا تعتبر شرطا من شروط البحث العلمي . ان
فكرة الحياء الحقيقية انما تنصب على احترام الباحث
للموضوع .. اي رؤيته كما هو ... اي تنصب على
الموضوعية . اما الذاتية فتتنصب على الاهتمام .. ومنهما
معا تكمل الرؤية الموصلة الى الحق وان كان نسبيا .

اميل توفيق

بور سودان

موضوع التفكير ، والثاني طبيعة المفكر الذي يربط نفسه
بالموضوع اثناء التفكير . وهذان العاملان معا هما اللذان
يكونان « الموضوعية » . وذلك بعكس الحال في التفكير
الذاتي الذي فيه لا يربط المفكر بموضوع تفكيره ، ومن ثم
يهبط التفكير الى التحيز ، او يتعرج الى تفكير الرغبة ، او
الى الاوهام .

ان الذاتية في التفكير الابداعي تتضمن وجود اهتمام بين
الشخص وموضوعه والا فكيف يمكن التغافل الى الاعماق
وكشف النقاب عن الاسباب والعلاقات . اذا لم يكن الاهتمام
حيويا وملحا ودافعا للعمل الشاق المرير ؟

وهنا ينبغي ان نسأل « اليس البحث العلمي للحق
مشروطا بعدم الاهتمام الذاتي ؟ » اليس فكرة الحياء هي
الشرط المهم لكي نصل بالبحث العلمي الى الحق ؟ . ونحن

حين كان الليل يئن وسط الهدوء الصيفي الغارق ، شعر أن الدنيا كلها أصبحت ملك يديه .
جال بصره طويلا حتى اخترقت عيناه مجاهل الاقنوع البعيد الشفيف ..
كان شبه نور خافت هناك وراء الاقنوع .

هو في السادسة من عمره عندما احب الاقنوع . ووجد فيه طريقا جديدة تذهب اليه الملائكة الصغار .
كان يظن أن جميع الملائكة صغار السن في مثل عمره ، الى ان التقى يوما وهو على احد الشواطئ بفتاة رائعة سماها ملاكا .

كانت تحمل في جسداه كل روعة الملائكة ... وتذكر حداثته .

لم تكن صغيرة السن ، بل كانت في العشرين تفوح من ثوبها البحري الصغير رائحة الانوثة .. وكان يومذاك لا يعرف الانثى الا من بعيد وقد جللها بسمات الملائكة حين كان يظنها تسبح وترقص عند الافق البعيد .

عيناه تلاحقان الثوب البحري الصغير .. النار تشتعل فيه ويحترق ..

وانطفأت النار بالماء .. وغابت في رقصات الامواج المتلاحقة والمتلاعبة .

ابتدأت الاصوات .. اصوات الحريق تزلج اذنيه .. وسمع فجأة جمعا غفيرا يصيح بصوت واحد :

— غريق .. غريق ..
واندفع مع المتدفعين .. ورأى بعض الشباب يحملون جسد فتاة حسناء بأيديهم .

كانت نفسها .. ذات الثوب البحري الصغير محمولة على الايدي ، وقد انتفخ بطنها بالماء المالح الذي ابتلعته .

كانت اذ ذاك بصورة الملائكة تماما . وجهها الذي كان قبل لحظات يطفح بالخطيئة وجسداه الذي كان يتلوى فوق الرمال فتش الرمال من جيروته .. اصبح كل هذا ساكنا هادئا لا

حركة فيه ولا حياة .
وامانت بين الايدي .. واندفن ملاك صغير في مقبرة واسعة في قاع البحر .

*

تعب وهو يتطلع الى البحر .. كان الشاطئ يترجى بالآلاف الناس .. وب لحظة واحدة رحلت جميع الملائكة واقامت فوق جزيرة بعيدة ، جاهد في الوصول اليها ، ولكنه غرق وهو يحارب الامواج التي وقفت حائلا بينه وبين غايته .
وحملته بعض الفتيات الجميلات ، وعدن به الى الشاطئ .
كان الشاطئ مقفرا لا ملائكة هناك ولا انصاف ملائكة .



بقلم عثمان الداوي
http://www.beta.sakunt.com

وقفت له الفتيات بعض اصحاب البحر وبخزن جسده .. وأحس بالحياة تدب فيه من جديد .
وزار قعر البحر ..!

المقبرة البحرية بيضاء . فوق كل قبر جذع شجرة عتيقة .. كانت هذه الجذوع تدل على اصحابها .

كانت بعض القبور تكرة . لا تحمل نرا لجذع . وقد وقف امامها رجل عجوز بيده صليب منحوت من حجر اسود شرعه فوق القبر ليدل على ان صاحبه مفرق في حبه لاله . الاله العظيم .

لم يكن يتنفس بصعوبة . السمك يتنفس بصعوبة .. كان الماء يدخل

الى رئتيه ويخرجه من فمه دون عناء . وكان السمك يموت .. فقد تلوث الماء بالسم .. واخذ السم يطفو فوق سطح الماء ليلتقطه الناس الجوع .. فالحياة خارج الماء فناء !
في الاعماق البعيدة كان العالم مألوفاً .

الحركة توج بالآلاف الاصوات الغنائية ، وموسيقى البحر تعزف اغاني لم يرددها احد . ومع ذلك كانت مصحوبة بترديد حاد .
كانت الانثيات بفسادهن تصدم الصبيان السود ، فتعطي ربنا منغوما عجباً !.

*

التقى بفتاة عجيبة التكوين .. نظرت اليها طويلا وحملق .. وكاد يصعق من مرآها حين تردد جذع شجرة عتيق .. وتنفس القبر وهمس :
— اهجر العالم ايها الاله الصغير ففي الغالب كل شيء حرام ، ما عدا العبادة !.

وطمر وجهه حين سمع الصدى السحيق ، وبكى وامتلأ قعر البحر بلايء عجيبة الشكل واللون .

وهرعت اليه الفتيات الصغيرات .. وتحلقن حوله ، كان ما يزال يبكي لؤلؤا صافيا ..
وسألته احداهن :

— انت الزائر الجديد لعالمنا هذا ؟

قال وقد رفع رأسه من القاع :
— است زائرا ، بل خيل لي انني ارتحلت الى عالمك العجيب هذا ! .
وضحكت الصغيرات .. وهرعن الى ملعبهن .

صليب اسود ، مرمر الحجر انتصب مطمورا امامه .. نصفه في القاع ، ونصفه الآخر يلمع سواده متجددا .

خيل اليه انه يسمع صوتا يقول :
— انت من عالم كافر .. تقرب من النهاية بالسلام .. لا تقتل صغارا السمك ، ودع النبتة الصغيرة تثبت في طمانينة .. ولا تقطع زيتون جارك المسن ...



الليل

مهدة الى امي

تخافين هذا الظلام ال رهيب
والقاه في بسمة وادعه
واحمل جرحي ..
رغم المذاب ..
ورغم اساطيره الخادعه
فلا الليل ..
عاد بغير الهنا ..
ولا الدمع حدث
عن فاجعه !
ولا الريح
والديدان العجوز
ينوء بقامته الفارعه
يصلي .. الدقائق ..
ان تنتهي
وتعلن ساعته السابعة
فيهجر مقعده ..
المستباح ، بأواهامه
الرثة الباليه
يعود ..
لزوجه في الصباح
وينتظر الليلة الثانية
واما انا ..
فالبالي الطوال
هنا ..

لن تغادرنني ثائيه
تنام معي
وصداها الحزين
يقبل غرقتي
الفافيه
فلا تحزني ..
سيموت الظلام ..
ويرحل ،
في رحلة ثائيه .

حميد سعيد

بغداد

وطفا جسده مع السمك الصغير
على سطح الماء .. وغادر البحر حزينا
كئيبا ، وقد حمل معه قليلا من لآليء
دموعه حين كان في القاع .
عمل في الحقل زارعا .. وكان
ينثر بعضا مما حمله من لآليء في
اعماق التربة .. وفي مشرق النهار
التالي كان يجد مكان اللؤلؤه صليبا
مرمرى الحجر اسود يتخذه بعض
الفلاحين معبدا ، يتنون حوله مكانا
صغيرا ، ويقدمون فيه انفسهم هبة
للعالم الآخر .
كان يشعر بالسعادة حين يأتي
المساء .. وينظر في الافق البعيد ..
كان يسمع صوت الفتيات الصغيرات
يأتيه مصحوبا بضحكاتهن :

— لقد اصبحت الها صغيرا .. لا
تنس ان تصلي من اجلنا جميعا ..
نحن كلنا بلا خطيئات نعيش !..
وكان ينغمس من اصواتهن .. ويهرع
الى الحقل .. وتبلغ معاندهم متنهاها
حين يلعب المصلين يتخلقون جماعات
ويتوجهون الى معابدهم الصغيرة
هناك ..

الريح تزعجني من الجهة الغربية
للحقل الكبير .. وصوت الريح يشن
صارخا مدويا . اعتراه الخوف ..
خوف من الريح والعاصفة .. وظن
ان الافق البعيد سيجذب اليه الريح
للا تفسد ما زرع وما سعى في زرع
من اغراس .

ولكن الاصوات نفل ثائيه غير
عابثة او بقران .
الصليبان السود تقف في المعابد
متحدية بالايمن .. والجماعات
العابدة يرتفع دعاؤها الى العلاء
العظيم .

وهو هو .. يقف ببلاهة ، ولا
يستطيع ان يفعل شيئا .
واقترب الصوت .. وزمجرت
العاصفة قريبة .
عند ذاك فقط فطن الى انه يستطيع
ان يوقف العاصفة ..

فانبرى للحقل ، وصار يقطع زيتون

جيرانه .. ويسطر الجدوع فوق
بعضها للآ تاتي العاصفة فتقتلع بيته.
بيته الذي بناه جميلا سعيدا .
لم يكن يهيم احد الا نفسه ..
ولم تكن تهيم المعابد الاخرى ..
الريح تزحف وتزحف .
وتضطرم الريح ببعضها .. وتشتعل
النيران صاخبة هادرة . وتلهب كل
شيء .
وترتفع الاصداء البعيدة الآتية من
الافق الازرق قرب البحر .
واستطاع ان يميز الاصداء
الزمجرية :

— انت كافر .. لماذا قطعت زيتون
جارك ؟ .. انت كافر .. كافر !.

*
واحترق كل شيء وانذر ..
ورحل وحيدا الى البحر ، وانغمر
مع الامواج الحزينة التي حملته رويدا
الى القاع .
لم تكن هناك القبور البيض ..
لم ير الجدوع القديمة ، ولا الصليبان
المرمرية الحجر ..
كان السمك يتفسخ ، والدود
يصرخ جانبا مهرولا اليه .

اراد ان يهرب .. فتبعته ماساته،
والتاغيب البحرية تلحقه الى كسل
مكان .. واصطدم بحجر هش كبير ،
وغاص في تراب اسفنجي اخضر .
وابتدا يموت !..
اراد ان يصرخ فاكل الدود لسانه
.. وود لو ينظر الى البعيد لعله يرى
املا فانقذت عيناه وذاب ماؤهما .
واستسلم للنهاية ..

وتعنى سريعا ان يموت قبل ان
تتمع النهاية في عذابه .
ولكن الصدى وحده كان رفيقه ،
فظل يسمع ويسمع :
— لماذا كفرت وقطعت زيتون جارك
... كان الخلود ملكك فطلبت ان تحيا
لنفسك ونسيت كل من حولك ..
اذهب ايها الكافر فلن يعرفك احد ..
لانك بلا صليب تموت !..

عدنان الداووق

حمص

يا لها عبره
غرزت مغالبها
جمره

رماد

جحظت عيناه
رهبه
يدور على نفسه
رجعا
وداء النفس أشرى



<http://Archivebeta.Sakhrit.com> البير اديب

اضاع العمر
غما
جوداً وفداء وحباً
فاختلجت انفاسه
حسره
وانفجر مرحاً وضحكاً

مكتبة الاديب



غيرت اسم ميلادها من ماري الى مي ، كما
تشر نماذج من ادبها وكتابتها وخلفها ورسائلها
.. وقد صرح الرأي السائد الذي كان يردد
ان مي ولدت في لبنان وكيف انها ولدت في
بلدة الناصرة من اعمال فلسطين .

يقول محمد عبد الفتى حسن ان مي وجدت
ان اسم ماري الفرنسي النجمة غريب على الان
العربية ، على حين ان اسم مي غريب اصيل
بغرب في اعراف العروبة الى حد بعيد ، ولكن
التغيير من ماري الى مي لم يكن طرفة ، ولم
يكن اول تغيير ولا انتقال ، فقد سبق لـمي ان

اخترت لنفسها اسما ووضعت على اول كتاب اصدرنه بالفرنسية وهو
كتاب (ازاهير حلم) اما الاسم الذي اختارته لتضعه على الكتاب الفرنسي
اللقبة فهو (ايزيس كوبيا) .. فماري وايزيس كوبيا ومي هي اسماء لثلاثة
اسمى واحد ، وهي القاب متعددة للشخص واحد ، هو تلك الفتاة العاترة
اللقبة التي لم يسلم من حيرتها حتى اسمها ، فتغير معها كما تغيرت بها
الاحوال والازمان .

ولم يكن اختيارها لاسم (ايزيس كوبيا) غلو الخاطر ، وانما كان فيه
دلالة القصد في الاختيار ، ومراعاة الاعتبار ، فايزيس - كما في التاريخ
المصري القديم - هي زوجة اوزيريس وهي اشبه في علاقتها بالاله
بالسيدة مريم المصدراء ، وكوبيا هي بالفرنسية Copieu
وبالانجليزية Copious واسمها اللاتيني يحمل معنى الغزارة والنعما
والزخابة فكانها ترجمة لاسم جدتها (زبادة) باللقبة اللاتينية ...

وهكذا يلمس محمد عبد الفتى حسن فيختلنا عن مي في مختلف
دقائق حياتها وتاريخها في مجال الدين واللقبة والاسلوب وتحدث عن مي
كاتبه وخليفه وحاضرة ورأبها في الشعر العربي والموسيقى ودورها في
النهضة السنية وهو اذويرس وهي اشبه في حياتها الفكرية .

ويورد ذلك ذكرياته الاخامة وملاحظات المشاهد المتابع لنشاط هذه
الكاتبة التي كانت موضع اعجاب جيلها كله ، حيث لم تكن الحياة الادبية
في مصر قد خلقت بالعديد من الكاتبات والباحثات .

ولعل الموضوع الذي نال اهتمام المؤلف هو « منندي مي » فقد كان
صالونها جزءا من تاريخ النهضة الادبية في العشرينات حتى ان خليل
مطران وصفه بعد وفاتها :

افقر البيت ايسن ناديك يا مي اليه الافود يخلفونا
صفوة المشرفين نبلا وفصلا في دراك الرحيب بعمقونا
فتساق البحوث فيه ضروبا ويدر الحديث فيه شجوننا
وتصيب القلوب وهي غرات من ثمار العقول ما يشهتنا

وقد جرى اسم ندي مي في شعر اسماعيل صبري والفقاد ، ثم جرت
المقارنة بين صالونها وصالون نازلي فاضل والندية سكينة بنت الحسين
وعلية بنت الهادي وولادة بنت السكفي .

وهكذا يلمس الكاتب في دراسته العلمية عن مي مستعينا فيها بكل
ما كتب معارفها وما شاهدته هو وسجله ، ولم يشأ ان يحرم القراء من
احاديثه الاولى عنها التي ضمنها كتابه « حياة مي » الذي نفذ طبعته من
زمن بعيد ، الى نماذج من كتاباتها ، وذلك على طريقة الكاتب الدقيقة
المروفة وميله الوافر الى تسجيل المؤلفات والابحاث وهو العمل الفريد
الذي جعله مرجعا هاما لكل باحث ، فانت ما ان تريد ان تكتب دراسة
معينة حتى تجد نفسك مضطرا للاتصال بالاساتذ محمد عبد الفتى حسن
لتسأله عن مراجع لهذا البحث ، فاذا هو بذلك قور اللحظة ، ومن
وراء خطوط الهائف الى عشرات المراجع في القديم والحديث ، فاذا ما
اغتاك بالمرجع ، اعتذر لك بان هذا ما يذكر الآن وانه سيبحث لك عن
مراجع اخرى .

مي : اديبة الشرق والعروبة

تأليف محمد عبد الفتى حسن - 1٩٤ صفحة - منشورات عالم المكتبات
بالقاهرة - الطبعة (٨)

ما تزال الكاتبة « مي زبادة » اسما لامعا في الادب العربي المعاصر ، وما
تزال سيرتها الشائقة وخاتمتها المثيرة تبذل المكونين والكتاب والباحثين ،
فلما نمر فترة من الزمن حتى يصمد كتاب او يكتب مقال او ينشر رأي
جديد ، فقد عاشت مي حياة مثيرة وكان صالونها في العشرينات شيئا
مفتا للتلذذ ، جمع العديد من الادباء والمفكرين ، وانشأ مشاعسر
ووجدانيات وصبوات هزت الشعراء والكتاب ، ثم انطوت مي كالزهرة
التدية في ظل احداث متتابعة قاسية هزت نفسها واضطرب لها كيانها
النسوي الرفيع ، فعاثت بين اضطراب الفكر وفقدان المستنقى ، فلما
اطلقت لم تعد الى دنياها الاولى ، بل ظلت في جوها النفسي المثير
حتى قصت .

فاذا جاء الاساتذ محمد عبد الفتى حسن ليكتب عنها بعد اكثر من
عشرين عاما كتابه الجديد (مي : اديبة الشرق والعروبة) فانتا شأنه في
ذلك شأن من يريد ان يعاود فضية كان هو اول من ناولها وقصدها لها ،
فما يزال الباحثون عن مي يذكرون كيف ان مرجعهم الاول كان في كتابه
الاول « حياة مي » الذي اصدروه بعد وفاتها بمائة سنة 1٩٤٢ ملحقا
بالتلقت ثم انفصل عنه ، وقد اجري فيه عديدا الاحاديث بين معارفها
ورواد صالونها .. ثم لمضى الزمن فكتب عشرات عن مي مؤلفات وابحاثا
حتى لقد احصى ان اكثر من خمسين باحثا رجعوا الى كتابات الاساتذ
عبد الفتى وعدوها مراجعهم في كتاباتهم وابحاثهم .

وقد الف في ذلك منصور فهمي جبر وكتب كامل الشناوي
وانور المعداوي والمازني والفقاد وقدم طاهر الطناحي العديد من الابحاث
في جو مي وحياتها وما يزال كثيرون يعدون ابحاثا عن مي على وشك ان
تصدر في مؤلفات في مقدمتهم السيدة « واد ساكيتني » الكاتبة
العربية المشقية الافامة .

وقد افاد هؤلاء جميعا وغيرهم مما كتب محمد عبد الفتى حسن منذ
عشرين عاما ، فليس اذن على الكار . من فيه ان يعود مرة اخرى الى
حياة هذه الكاتبة بعد ان اولفت في الزمن ليكتب عنها مرة اخرى ، وقد
اصبحت حديثا تاريخيا نستقبله نفس الباحث بمزيد من الالة والمروية
في الترجمة والتحقيق لكل ما يتصل به من قضايا واتزمات .

يقول ان كتابه الاول قد لقي تقدير القراء والادباء ، ومن كريمة
اللاخطات والتوجهيات ما يجعله بولد العزم على ان يخرج كتابا جديدا
مستزيدا في بعض الجوانب ، خاصة في محنة مي قبل وفاتها « حين
غالبتها الواسوس وهاجمتها الهواجس فكانت نزلة الصحف النفسية
والعقلية التماسا للفرح ورحمتها وكارتها وتزنتها وصمتها الذي ما
نمودته وكانت الضميمة البيان الطليقة اللسان ، حتى اكترها امين
الربحاني وهو يزورها رغما منها في مستشفى بلهان لم يسلك ان
يحمس الدموع في عينيه ، حين شاهد ما صارت اليه » .

كما انضاف فصولا عن طفولة مي الحزينة ودراساتها للصحف وكيف

ولعلني لا أستطيع أن أقول أنني التقيت برجل في جيلنا أكثر إلما منه بهذا الجانب وهو في هذا يقف في صف رجلين متخصصين في هذا الفن أحدهما الأستاذ كحالة في دمشق والأستاذ داغر في بيروت .

ويرجع هذا في الأغلب إلى أن محمد عبد الفتحي حسن بدأ حياته الأدبية قبل ثلاثين عاماً يكتب باب (المؤلفات الجديدة) في اللطيف ، يستوعب ما ينشر من الأدب القديم والحديث والمخطوط والمطبوع ، ليس على نطاق القاهرة وحدها ولكن على نطاق العالم العربي كله ، بل أنني قد لقيت عنده أمس كتاباً جديداً « لا يزال ساخناً كما يقولون » من الأدب العربي الطروب في تركيا فهو لا يفتأ أيضاً عند حدود العالم العربي ، وقد أتاح له عمله في دار المعارف ومؤسسة المطبوعات الحديثة والمؤسسة المصرية العامة للناشر والنشر والتوزيع والطباعة خلال عشرين عاماً أو يزيد ما جعله أوفق اتصالاً بكل ما ينشر في مجال الأدب والتاريخ وهما أبرز الفنون التي أولاهما اهتمامه والذي تضم مكتبته الحافلة منها أغلب ما كتب فيها وما نشر من قديم وحديث فيما لا يقل عن عشرة آلاف مجلد ..

ويتصل هذا بالطبع بنشأة محمد عبد الفتحي حسن واتجاهه الفكري الأغلب في مطالع حياته فقد بدأ ولید القصورة ١٩٠٧ حياته بالشعر ، وليس غريباً أن تخرج القصورة الشعرية وهي أجمل بلاد مصر وأحفظها بالجمال والشعر والفن .

ثم أصبح لكاتباً أن ينشأ دراسته في دار العلوم في الثلاثينات وقد ترك دوبا ، فهو شاعر عاطفي له شعر جميل رائس ينشره في الصحف والمجلات ، وهو شاعر الأحرار ، ثم هو الخفي به في خلال الأزمات الاقتصادية والسياسية أن يسافر في بعثة إلى إنجلترا وفرنسا لدراسة التربية وعلم النفس ، موفداً من الدولة ، فلذا ما أتم دراسته في جامعة (اكستر) وعاد عام ١٩٣٦ ليعمل مدرسا ، ففتشها عاماً للغة العربية ، لا يشغل عن العمل الفكري ولا ينصرف عنه فيوالي نشر آثاره الأدبية التي بلغت بكتابه الجديد عن مي خصوص كتاباً لا كتاباً واحداً ..

وهي أعمال تعتمد مجالاتها بين الأدب والدواوين الشعرية وتحقيق المخطوطات والترجمة ودراسات الإعلام وفنون الأدب ، ودراسات الأسلام وفنص الرحالة والمكتشفين . وإذا كان كتابه الأول *عن مي* في أوّل كتبه وقصص الرحالة والمكتشفين . ١٩٤٢ فإنه كان قد صرف شيئاً ما عن الشعر الذي استهل به حياته إلى العمل الأدبي في مجال الشعر ، وهو ما تعمقه ثم بعد وسار فيه أشواطاً طويلة . وأني لأرى أنه قد اختار ميداناً حياً نابضاً بالحياة ليكرس له أغلب عمله ، وهو مجال البحث والأحياء لامتداد امتنا العربية الإسلامية في فكرها وبطلانها وأعلامها وروائع مواقفها .

وامامي تبت المؤلفات محمد عبد الفتحي حسن فلذا به يسترعي في جابئين : الأول دراسات الإعلام فاني أرى أمامي دراساته عن عبد الله فكري ومي وابن الرومي وبطلان السنن وموسى بن نصر وإبي مسلم الفخراساني وأمنة بنت وهب وخديجة بنت خويلد والزبارة بنت عمرو وشجرة الدر وعديد من الرحالة المكتشفين الأجانب أمثال فاسكو دي جاما والكاتب تولى وسكوت وغيرهم والثاني هو امتداد الأمة العربية الإسلامية في مجال النهضة تناول ذلك في كتابه معروض الأدب والتاريخ الإسلامي ومن أمثال العرب وضارح العرب خلال العصور ، وعلم التاريخ عند العرب والإسلام بين الانتعاش والجحود ، والقرآن بين الحقيقة والجاز والإعجاز وملاحم من المجتمع العربي أيام العرب (ذي قار واليرموك والقادسية ويوم الندلس) الخ ...

وهذا الاتجاه في مجال البحث يطلي صورة رجل من المدرسة الوسطى مدرسة البناء على الأسس التي طامها افتقدها العالم العربي في نهضته الفكرية اليوم ، ومن صدق البلاغ الأسبوعي والسياسة الأسبوعية وهما طليعتا النهضة الفكرية بعد الحرب العالمية الأولى ، ونحن نرى اسم محمد عبد الفتحي حسن يتردد ويضي في مثابة وعمل مستمر ، لا يتوقف

تمت بشفرة مرحية وخدمة ممتازة

واقصد في ساعات سفرك

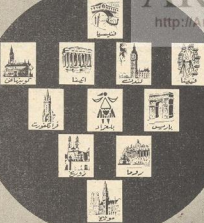


إخطوط أجوية اليوغوسلافية
I. A. T. A. عضوية
membre I. A. T. A.

سفريات منتظمة عامة طائرات

كارافيل
الفاهرة

إلى البلدان التالية:



ساحة رياض الصلح - تلفون ٣٣٤٤٠١

JAT

(٩٧ - ١٠٥٦ م) قد انفرذ بيمزتين : اولاهما ، اختصاصه بموضوع طريف هو موضوع الرسوم او البروتوكول ، وثانيتهما ، ما تيسر للمصنف من صلات وثيقة بدار الخلافة ومصادر عارفة باداب الخدمة ورسوم المكاتب والمخاطبات وما حيا للكتاب ان يكون مرجعا موزنا بالانسانيد ومزينا بالاملال والتواضع والنقص التاريخي النادرة .

ان « الرسوم » اسم عام ينظر الى كلمة « اتيكيت » و « بروتوكول » باللغة الفرنسية ، وقد اختص اخيرا بالمعنى الثاني واصطلح عليه بالعربية بكلمة « مراسم » او « تشريفات » . واصبح للمراسم شأن هام في العلاقات الدولية في العصور الحديثة ، فعرف « البروتوكول » بانه « اصول الجاملات الدولية » . واعتبرت اللغة الفرنسية لغة الدبلوماسية في المكاتب والمخاطبات ووضعت اداب مقرة للملابس الرسمية في شتى المناسبات واصول متبعة لمقابلة رؤساء الدول والوزراء وتقديم اوراق اعتماد السفراء والوفودين وحضور الحفلات الرسمية وما مائل ذلك ... وكانت الدول الكبرى بوجه خاص تعنى بهذه القواعد وتلتزم بها فيما بينها وتعتبر كل خروج عنها موردا لهانة وتقصير . لكن استقلال العدد العديد من الامم بعد الحرب العالمية الثانية ويزورها الى الميدان الدولي وتعدد المؤتمرات والاجتماعات على صعيد هيئة الامم وخارجها ، كل ذلك قد افصى الى تبسيط المراسم وتهاون فيها والتخفيف من قيودها والتواضع على تيسر الاداب الرسمية في المراسلات والحفلات والمقابلات . وفقدت اللغة الفرنسية ميزتها الفريدة في المجال الدبلوماسي فزاحمتها اللغة الانكليزية وسائر اللغات الوطنية ... وكذلك نرى الامم تلتزم ببساطة في شؤونها الرسمية عند اول تشوئها وتاخذ بالتعقيد والتشديد كلما تقدمت في مسامر الحضارة والرقي ، ثم تعود بعد ذلك الى البساطة والسهولة .

والغريب اننا نرى الدول في عهود وهتها وضعف شانها اشد التزاما بالرسوم وقواعد الايبة والنفخطة نظما للهيبة وعلو المنزلة . فقد قيل ان دولة فيرجية التي انتشنت في اواسط المائة التاسعة عشرة ، على سواحل افريقية الاستوائية ، على نمط الاتحاد الاميريكي وفتت كواحد « بروتوكولا » على التنسيق الاميريكي وهيئات ان تساهل فيه فيد بخير « على الانجليا المسوولين بليسون « اليونجور » و « الفراك » في الحفلات الرسمية ويتصيون عرفا في ازيائهم الثقيلة بلا تفر ولا نافع ، بينما يسجل مقياس الحرارة درجة ١٠٠ او ١٢٠ فهرنايت في الظل .

ونقل صديقتنا المؤرخة الحجة الدكتور مصطفى جواد في كتابه الرأى « سيدات البلاط العباسي » عن السلطان طغرل بك السلجوقي الذي اذل الدولة العباسية ولم يترك للخلافة سوى الاسم والنفخطة ، انه ارفع الخليفة القائم بامر الله على تزويجه ابنته طعصا في البركة وشرف المصاهرة ، فهدد وجار عليه وخرق هيئته ، حتى اذا ما اضطر الخليفة الى تحقيق رغبته مسرا غير مخبر ، حمل السلطان اليه الهدايا والاموال وابلقه ان « الملوك الفن الذي قد سلم نفسه ورقه وما حوته يداه وما يكسبه باقى عمره الى الخليفة » . وزفت العروس المسكينه الى السلطان الذي بلغ من العمر عتيا ، فاجلس على سرور مجلس بالذهب ، ودخل طغرل بك حجرته فقبل الارضى بين يديها وخدمها ودعا ليلها عجيبي ، ثم خرج من غير ان يجلس . وسجل التاريخ بعد ذلك حدثا عجيبا ، فقد خرج السلطان الشيخ الى صحن الدار واجبى ليلته برقص وبغنى مع رجال حاشيته ابتهاجا وسرورا . ومضى في خدمة الاميرة وتقريبه الارضى بين يديها وانقاد التحف والهدايا ، ثم حملها معه في بغداد فسرا حتى وصل الى الري وتوفي فيها بعد امد وجيز !

لما هلا الصابريه خبر من تصدى لتدوين رسوم دار الخلافة في القرن الخامس الهجري ، فقد تلمط على جده ابي اسحق ابراهيم الصابري الذي كان صاحب ديوان الاشعار في بغداد وخرج عليه في فتون الكتابة

في اجل رسالة الفكر والحياة .. فاذا به يكتب من بعد في الرسالة وعصر الحديثة المصورة والثقافة والمجلة .. وعشرات من المجلات الادبية العربية ، اما التفتقل فقد سايره خلال ششرين عاما كاملة او تزيد وقد رايت في مجلداته (فوق السبعين) جانما في مكان مستقل من مكتبة الاستاذ عبد الفتى وهو نروة لا شك فيها ومدرسة كاملة في الفكر والادب والعلم والاجتماع .

ولا شك ان الخبرة القوية قد اناحت لمؤلف حياة في القديمة والجديدة ذوقا رفيعا في تقويم الكتب والاعمال المطبوعة والمؤلفة وكتابة الشهري (برید کتاب) بشهد بدوغة وقدرته في هذا المجال .

واذا كان لا بد لنا ان نتناول الشاعر محمد عبد الفتى حسن فان ذلك يقتضي ان نثير الى دواوينه الاربعة :

وراء الاقلى ١٩٤٧ - من نبع الياء ١٩٤٨ - من وحي النبوة ١٩٤٨ - ماضى من العمر ١٩٥٤ .

اما شعره فهناك نموذجاته منه :
هذا الفساء امام عينك فانلطي
تجديه ملة السمع ملة النظر
اني اذوق به لذات الهوى
واتسم نفع عبيره المتعطر
حيث الربيع هناك في ريعانه
يختال في البرد النصير الاخضر
حلت نفاسته بكسل تلبية
وبعدت نفاسته لكل مصور
صور جلاها الحسن فهي مشاعة
تهب لميساد الجمال الالطهر
قد فتت لرنة المدينة فاسمعي
همس التيسيم يمر غير مثرثر
الخ ... الخ

ولست ادرى الا انني اشركه الدكتور احمد زكي ابو شادي فيه اد يقول : ان هذا الشاعر يمثل الرقة المصرية المأثورة في جميع شعوره ولا اعرف شاعرا مصرية يتافسه في حلاوة موسيقاه الى درجة كبيرة سوى عثمان حلمي صاحب تسامات السحر والعلم الاول ايليا ابي ماضي حين اقامته بالاستاذية ، وديباجة الشاعر محمد عبد الفتى تماثل بالاناقة الى جانب الصفاء والعلوية . فاذا ما انتقلنا الى طائفة التشرعية وجدناه غشا بها حينما يتجاوب مع الطبيعة .

وبعد فان مؤلف حياة في قبل ششرين عاما وبمديها ، هو احد كتاب هذا الموهوبين الذين ضرروا في كل مجال بهم ، في التكييف والترجمة ونظم الشعر ، ونايروا واستمروا على الطريق طويلا ، وكان لهم خلال عملهم هدف واضح مشرق شريف ، هو الكشف عن ذاتية هذه الامة وعظمتها وامجادها ، وبعت انارها واثرائها ، واثابة الفرصة لهذا الجيل كي يعرف شخصيته ومكانه في الفكر العالمي والانساني .
وهو ماضى في الطريق .. تحف به عاطفة مشرفة وابعان اكيد .

ألفاهرة انور الجندى

رسوم دار الخلافة

تأليف ابي الحسين هلال بن الحسن الصابري - حقله ونشره وعلق عليه ميخائيل عواد - عدد الصفحات ٢٦٠ + ٢٦ - مطبعة العالي ، بغداد

وضع العرب في عهودهم ازاهرة كتباً ممتعة في السياسة والادارة والدبلوماسية والرسوم ، اشهرها اداب الملوك والاحكام السلطانية والامانة والسياسة وتدير الممالك وقوانين الدواوين والوزراء والكتاب من تأليف الجاحظ . وجلال الدين السيوطي والقاضي ابي يعلى والمؤردى والصولي وابن فتيبة والجيشياري وابن ماتي وغيرهم . لكن كتاب « رسوم دار الخلافة » الذي الله ابو الحسين هلال بن الحسن الصابري

وخدم معه حيناً من الزمن ، فلا بدع ان روى عنه اخباراً كثيرة جرت في عهد الطبع لله والمتصدد والقاهر والمكثني والطالع وغيرهم من العلماء ، ونقل نماذج من رسائله الرسمية . وتولى هلال نفسه بعد ذلك ديوان الاشياء فشهد عن كتب الامور التي دونها كتوائين الحجابة وجلس الخلفاء وملايسهم وازياء الداخلين عليهم وخلق التقليد والولاية ورسوم المكاتب عن الخلفاء وخطاب الخلفاء والادعية لهم والاقاب والخطبة على المنابر الخ ..

ولقد كانت الخدمة في دار الخلافة صارمة لا هوانة فيها . فمما ذكره صاحب « رسوم دار الخلافة » عن جده ان الهبة وزير معز الدولة مؤسس الدولة البوبية قد رفع نفسه يوماً في حق الطبع العباسي ، فقال له الخليفة : يا كلب ، ترفع صوتك بين يدي ؟ وامر به فأخرج مجذوباً بيده ومعدوقاً في ظهره ! بل ان أحد الكتاب في دار السلطان جعل احدي رجليه على الاخرى وهو جالس على دكة ، ولم يكن أحد من كبار رجال الدار ، فوثب اليه صديقه من خلفه الحجاب وضرب رجله فبرية مؤلمة وقال له : والله ، لو اننا هنا من انخوف ان يرفع الخبر لما ساءمتك ، فالتا مامورون ان اريانا احداً من الناس قد جلس في دار السلطان فلما هذه الجلسة ان تجره من موضعه جراً الى خارج حريم السدار !

وروي عن شخص آخر حضر يوماً في دار عهد الدولة ونزع عمامته فوضعا بين يديه . وراه بعض اصحاب الاخبار فكتب بما كان من امره ، فما كان الا ان خرج اليه استاذ الدار فانيه لاخلاله بحجرة السلطان ، واخذ عمامته فضرب بها راسه حتى تمزقت ، ثم امر باعتقاله ولم يطلق سبيله الا بعد لأي .

وبذكرني ذلك بحادثة رويت عن محمد باشا آل بابان متصرف لواء الحلة في اواخر عهد الدولة العثمانية ، وكان رجلاً مهيباً متعاطفاً تشبه بالملوك والامراء الذين لقب بالخدوي . فقد حضر أحد الوجع لقيائكمه وانتظره في الديوان ، فلما دخل التصرف رأى الوجع يسير حجة وذهايا ويده وراه ظهره ، فلم يكن منه الا ان ابتدع بالتأنيب لانه اجترأه للتصرف في غياب ، وقال له : كيف تجرؤ على مثل هذا التصرف في ديواني ؟ وامر بطرده فوراً ...

ولا بد من القول ختماً ان الاستاذ ميخائيل عواد ، وهو استاذ البعثة المحقق ، قد بذل جهداً شريفاً عاماً او يزيد في تحقيق هذا الكتاب النفيس ، ووضع له مقدمة شافية تناولت سيرة المؤلف واسره ومؤلفاته ، وعلق عليه بالحواسي الفريدة ، وذيله بالفهارس المطولة ، حتى جاء مكتمل المحاسن ، موفور الفوائد والموائد . فله على جهوده الموقفة كل تكريم وتناء .

بفداف

مير بصري

الظما والنبوع

تأليف فاضل السباعي - ١٤٤ صفحة - الطبعة الثانية - منشورات دار الاداب بيروت - الطبعة (١)

في ندوة الاستاذ القبايني الادبية الاسبوعية كازيتو بورلياج على شاطئ النيل ثارت مجاذبة النقاش حول دور اللهجة العامية في اللغة ، وانهم البعض - ظما وزورا - لغة الفساد بانها تعجز عن ان تمدنا بكلمات مالوفة تعبر ادق تعبير عن بعض مستلزمات العيش العالي ومتطلبات العصر الحاضر ، وزعموا ان العامية برزت الفصحى في بعض هايك التواحي . ونشأ الظرف ان تصلتي هدية اخي الكاتب الاستاذ فاضل السباعي وهي قصته الحديثة « الظما والنبوع » فقبل اوة النقاش هذه بقليل

فكانت تلك القصة هي الفصيل في هذه القضية الادبية المثارة ، فقد كانت بما امتازت به من سلسلة الغلاف وسهولة تعبير وخلوها من العامي والدخيل دليلاً اهم ويغم هؤلاء الذين نادوا وينادون بان الحوار العربي يعجز عن ان يقوم مقام الحوار العالمي في تبين خبايا النفس والتعبير عن حاجات العصر المستحدثة . ولغة القصة - فضلاً عن ذلك - تناسب في سهولة وليرة وطوعة ، ترنينا تعبيرات جديدة وكتابات حلوة ، من هذا قوله في ص ١١ « وكان يدفع الحياة في شرايين سيارته » ومن الكتابات قوله « اسئلة يسلك بعضها بتلايب بعض » ص ٢٥ « وطعم لذة الترحل » ص ٢٢ ، الى غير ذلك من الوان الجمال التعبيري التي يحسها كل خير متمكن في اللغة بصير بلطفاتها ودقائقها .

وفي خطوات كاتني يخطوها الباحث العلمي المتمكن ينتقل مؤلفنا الفاضل « فاضل السباعي » من الكل الى الجزء ومن العام الى الخاص ، فهو بادى ذي بدء يبلور قصته في كلمتين هما عنوان القصة « الظما والنبوع » ثم يتدرج في القصة فيصنع لنا بعض الشيء في كلمات قليلات من الجو العام الذي يشمل القصة ، وما ان يبدأ في الفصل الاول حتى نرى التحليل والاسلوب ذا الجرس الموسيقي والمباريات التي ياخذ بعضها بحجر بعض والمواقف البعيدة عن الفلو والافتعال ، والموضوع الانساني الحيوي الذي تتخلله المواقف الجبانية والاحاسيس العارمة والمطامح الزاخرة بالمطامع الروسية . والخط النفسي للقصة العارمة والمطامح الزاخرة بالمطامع الروسية . والخط النفسي للقصة يسير في غير انحاء او تروح ويسلمك في النهاية الى غير ما توقع ، لذا كان التسويق هو السمة البارزة بوضوح من معالم هذه القصة التي تشدك الى متابعها ونفسي معها الى النهاية .

والوفاء العربي هو محور الذي تدور حوله القصة ، كما ان بين دفعها لبيان لشمم العربي وسجاياه التي اثرت عنه من بطل وصروحة ونجدة وثيقة وفيرة و .. و ..

والقصة ليست خيالية ولا مقفلة الحوادث ، بل هي - فيما يبدو - تجربة صادقة عيشها المؤلف وهو طالب في جامعة شتوتغارت الهندسية ، ولرب دوماً على مسرح الحياة الواقعي ، ثم انقل بعضاً فوشاعاً بالملوية واجهاياطته . ودفعنا لها في مؤلفه ذات مقصنة هذه القيم الزميمة وهائلك المثل العالمة التي تشي بصفات العسري الاصيل وكشف عن سجاياه واخلاقه وشيمه والقصة بهذا النحي تعدد لونا من الوان الادب الواقعي الهادف الذي لا يوغل في النخيل ولا يعمق الاوهام ولا يتعدى الواقع بل يتحدث بما يلام الفكر وما يوائم الحقائق . واذا كان الاسلوب بما يحمل من خصائص هو مرآة الكاتب ونفسيته فلا شك اننا رأينا في قصة الظما والنبوع صورة واضحة المعالم لنفسية فاضل السباعي التي تنضح بعديد من التسميات الاصلية النبيلة . وانتي ادعو اخواني القراء ان يكملوا مسأ ارايتي فصر في تبياته تجاه هذه القصة ، وما عجزت حاستي النقدية عن ابرازها ، اذ قد حاولت ان لمس ولو وجهة نظر مخالفة تقع تحت طائلة المقوصات النقدية الادبية ، ولكن - واقولها في صراحة - اسقط في يدي ان اجد نفرة في هذا البناء القصصي المكامل .

واذا كان ادبياتنا الفاضل « فاضل السباعي » قد تساق في نهاية قصته فقال : هل يستطيع الادب ان يبدع عملاً روائياً ذا قيمة ما لم يتعرف في فرة نفسه لعصف رياح ما ؟

والا اقول ان العمل اذا كان نتاج تجربة وممارسة فمن غير شك يكون اقرب الى الصديق والحق والواقع ويكون سدى لما عالجته المرء من قبل وكان بمثابة من الحسد والظن والريب فيكون لذلك كل اوقع في النفس واغرب الى القلب قرب « الظما والنبوع » الى كل القلوب .

القاهرة

محمود بن الشريف

رئيس قسم جريدة الطبعة العرب
بوزارة التعليم العالي

ظهر حديثاً



- المؤتمرات المثمرة - تحرير جمعية تعليم الكبار الامريكية - ترجمة فؤاد فوزي حنين - مراجعة وتقديم العميد سيد عبد الحميد مرسي - ٨٨ صفحة - منشورات دار القلم بالقاهرة - مطابع دار القلم بالقاهرة.
- كيف نعلم الكبار - تحرير جمعية تعليم الكبار الامريكية - ترجمة العميد سيد عبد الحميد مرسي - تقديم الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل - ٩٦ صفحة - منشورات دار القلم بالقاهرة - مطابع دار القلم بالقاهرة .
- الانسان والطبيعة - نايف نخبة من المفكرين - ترجمة الدكتور نظمي لوف - تقديم وتحرير عباس محمود العقاد - ١٤٤ صفحة - منشورات مكتبة الانجلو المصرية (١) - مطبعة مصر (٢)
- فقد البحر قدرة لا عجز - نايف ماكسين ووت - ترجمة الدكتور فاروق احمد حسني - مراجعة وتقديم محمد كامل النحاس - ٧٢ صفحة - منشورات مؤسسة الخاتجي بالقاهرة - مطبعة الاستقلال الكبرى (٣)
- التقرير السنوي لوزارة التربية والتعليم الاردنية للعام الدراسي ١٩٦٢ - ١٩٦٣ - اعداد قسم الاحصاء في وزارة التربية والتعليم في عمان - ٢٩٤ صفحة - حجم كبير - مطابع الشركة للتلاية في عمان.
- لبنان في روائع افلامه - جمع وتقديم الدكتور جميل جبر - ٥١٦ صفحة - حجم كبير - منشورات المكتبة الشرقية ببيروت - المطبعة الكاثوليكية ببيروت .
- كتاب تعبير الرؤيا - نايف ارطاميدورس الافسي - نقله من اليونانية إلى العربية حنين بن اسحاق المتوفى سنة ٢٦٠ هـ ٨٧٢ م - قابلته بالاحلال اليوناني وحققه وقدم له توفيق فهد - ٨٢ صفحة - حجم كبير - منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق - المطبعة الكاثوليكية في بيروت .
- المدينة على مر العصور - نايف لوس مفورود - اشرف على ترجمته وقدم له وهاني علي الدكتور ابراهيم نصحي - مصمم الغلاف المهندس رفيق البالي (٤٤) صفحة - حجم كبير - منشورات مكتبة الانجلو المصرية (٤) - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .
- بيولوجيا الفضاة نايف جيمس س. هانراودافيد بوشنيل - ترجمة تركيا فهمي - مصمم الغلاف صفوت عباس - ٢٨ صفحة - حجم كبير - منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة - مطبعة لجنة البيان العربي (٥)
- ما يجب على المراهق أن يعرفه - نايف ليستر كيركندال - ترجمة الدكتور محمد نسيم رافت - اشرف ومراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوسي - ٩٢ صفحة - منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة - مطبعة مصر (٦)
- انت وفكراتك - نايف فرجينيا بلارد - ترجمة الدكتور عطية محمود هتا - اشرف ومراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوسي - ٩٢ صفحة - منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة - مطبعة مصر (٦)
- التدخين والصحة - نايف بات ماكجريدي - ترجمة الدكتور كمال كشمري - مراجعة وتقديم محمد كامل النحاس - ٨ صفحة - منشورات مؤسسة الخاتجي بالقاهرة - مطبعة الاستقلال الكبرى (٦)
- الامومة والطفولة في الاسلام - نايف محمد احمد الصزب - ٦٨ صفحة - منشورات المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة - مطابع شركة الاعلانات الشرقية (٦)
- شكري شمساعة الانسان الاديب - نايف البدوي اللثم - تقديم عبد الحميد ياسين - ١٢٠ صفحة - حجم كبير - مطبعة الوطنية في عمان .

- المواطن والدولة في نص الدستور وروحه - نايف جوزف باسيل - ١٣٦ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الكشف ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الضمان الاجتماعي مع قانون الضمان الاجتماعي اللبناني - نايف اندريه جيتنج - ترجمة نبيه صفر - ٢٢٢ صفحة - منشورات عويدات بيروت - مطابع دار الارشاد للطباعة ببيروت .
- قدر العس والفاضي مغربية اخرى - نايف محمد بن احمد اشملعو - مصمم الغلاف الطيب بوشعرا - ١٢٤ صفحة - المطبعة الوطنية في الرباط .
- جبران خليل جبران واثاره في الادب العربي - نايف نبيل كرامه - ١٦٠ صفحة - منشورات دار الرابطة الثقافية (٦) - مطبعة الراسي في زحلة .
- محمد اقبال سيرته وفلسفته وشعره - نايف الدكتور عبد الوهاب عزام - ١٩٢ صفحة - حجم كبير - مطبوعات باكستان - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- من قصص الحكام - اشرف على التحرير البرت بلاؤشتين - ترجمة الدكتور كمال ابو الجعد ومحمد رافت ومحمد مصطفى غنيم ومحمد منيب والدكتور كامل عطا ونزوت اباطة - مراجعة وتقديم حسن جلال العروسي - ٢٩٤ صفحة - منشورات مركز كتب الشرق الاوسط بالقاهرة - مطابع مؤسسة طباعة الألوان المتحدة بالقاهرة .
- فن قيادة الشباب - نايف دوروثي روبرتس - ترجمة اسماعيل صفوت - مراجعة احسان العابد - تقديم محمد طلعت خيري - مصمم الغلاف ابراهيم احمد الطهطاوي - ٢٦٠ صفحة - منشورات مكتبة النهضة مصر بالقاهرة - مطابع مؤسسة طباعة الألوان المتحدة بالقاهرة .
- احاديث عن القانون الامريكي - تحرير هارولد ج. بريمان - ترجمة ومراجعة الدكتورين محمد فتح الله الخطيب ومصطفى احمد فهمي - تقديم حسن جلال العروسي - مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي - ١٧٨ صفحة - منشورات مركز كتب الشرق الاوسط بالقاهرة - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- الانهار العظيمة في العالم - نايف آن تري هوابت - ترجمة العميد ا.ج. محمد عبد الفتاح ابراهيم - اشرف ومراجعة الدكتور محمد صابر سليم - مصمم الغلاف ايهاب شاكر - ١٣٦ صفحة - مصور منشورات دار المعارف بمصر القاهرة - مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .
- حمام السعادة وقصص اخرى - نايف خضير عبد الامير - ٢٢ صفحة - مطبعة الاديب ببغداد .

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من العروة الوثقى في لندن



الفيلسوف الألماني هيكل (١٧٧٠ - ١٨١٣) واتباعه من الجناح اليساري هم الذين فتحوا باباً جديداً في الفلسفة وأحدثوا عهداً جديداً فيها، وذلك بفضل ما كتبوا وأرثوا من نظريات حول معنى الحرية للإنسان وحول الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي يجد الإنسان نفسه محاطاً بها والتي تحد من هذه الحرية . واهمية هذه النظريات تنحصر في أن الإنسان في هذا العصر الحديث الصناعي الميكانيكي قد أصبح شيئاً من الأشياء ، ولم يعد انساناً يتمتع بنفسيته وبشخصيته . فهو قد فقد حريته وحرية العمل من تلقاء نفسه وأصبح عبداً مملوكاً لظروفه التي نشأت من التطور الصناعي . وسيظل الإنسان على هذه الحال من العبودية ما لم يتوصل إلى استرجاع كينونته الطبيعية وشخصيته الأصلية . ويعبر هؤلاء الفلاسفة عن هذه الحال بكلمة (انسلاخ) ، ويعنون بها أن الإنسان أصبح في هذا العصر الصناعي المقعد منسلخاً عن شخصيته ، متجاهلاً عنها ، وأصبح بمثابة شيء من الأشياء أو أداة من الأدوات يخضع لظروفه بدلاً من أن يخضع هو ظروفه ويحكمها . وقد بدأ إذن من العمل على تغيير هذا الحال بضده ، أي بإحياء شعور الإنسان بشخصيته وذاتيته حتى يتحلل من هذه القيود ، ولا يكون ذلك إلا بدراسة الأحوال الاجتماعية درساً ناقداً يكشف عن أسباب الانسلاخ ، وأسباب فقدان الإنسان لحرية ، أي باستعمال الفلسفة والنقد الفلسفي للوصول إلى الأوضاع والظروف التي تمكن الإنسان من نيل حريته . يقول هيكل أن الحرية ظرف يكون فيه الإنسان مالكا لإرادته متدمجاً مع ماهيته مسكاً بزمام نفسه . ولأنه الحرية يجب أن لا يشعر الإنسان بوجود شيء غير نفسه . ولكن هيكل يقول أن الإنسان منفصل عن ماهيته ومقيد بظرفين يكادان يكونان لازمين للمعيشة في هذا العالم : الظرف الأول الضرورة والظرف الثاني الانسلاخ . أما الضرورة فهي إخلاد الإنسان إلى مقتضيات الحياة في هذه الدنيا وخضوعه إلى تقييدات الطبيعة من حيث أسباب العيش وقبوره من جهة واحدة ومن حيث القوى الطبيعية المادية الموجودة في هذا العالم من جهة أخرى . أما الانسلاخ فهو في معناه الأصلي عبارة عن انقسام النفس إلى شيء عامل وإلى شيء مادي ، أي إلى (فاعل) يجاهد للتحكم بمسيره وإلى (منفعل) يتحكم به غيره . فهذه القيود

معناها العبودية في رأي هيكل ، والشعور بوجود شيء غير الإنسان هو القيود بمعنيها ، لأن الحرية هي انسراح الإنسان في المجال الطلق حيث لا يشعر بوجود شيء فوقه أو تحته ، وإنما يشعر بالانفراد بنفسه لا غير . وقد يستطيع الإنسان بفضل العلم الحديث القلب على الطبيعة والافتكاك من تقييداتها والخلص من الضرورة ، ولكن كيف يتسنى له الخلاص من الانسلاخ أي من الوضع التناقضي بين (الفاعل) و (المنفعل) ؟ فالشخص في نفسه ليس مقتصراً على القوة الفاعلة التي تحاول تحويل العالم بحسب مشيئتها بل هو أيضاً القوة المنفعلة التي تتأثر بأعمال الغير وبآرائهم عنه . وهذه الثنائية من (الفاعل) و (المنفعل) تكاد تكون حلقة مغرقة لا يمكن الإفلات منها ما لم يتمكن الإنسان بقوة الفاعلة من أن يحور العالم أو ظروف العيش كما يشاء . فكيف يستطيع الإنسان إذن أن يصل إلى حالة يكون فيها مالكا لإرادته ؟

هذا هو السؤال الذي أعيا حلّه الفلاسفة بعد هيكل ، ومنهم باور وفورباخ وماركس وغيرهم . يرى (باور) أن الحل ممكن إذا كانت الفلسفة فلسفة فاحصة ناقدة تكشف لنا عن سر العلاقات البشرية أي عن الدوافع المحركة للأعمال الاجتماعية ، ويقول أن معظم الناس الذين يخلقون في هذا العالم يقولون بالامر الواقع ولا يفحصون عن المبادئ الأخلاقية والمعتقدات ما أصلها وما السر في وجودها ، فهم مفقودون لهذا العالم مسبرون به ، وليس لهم اختيار . فلو أنهم فحصوا جميع المبادئ والمعتقدات فحصاً دقيقاً ناقداً ففتح لهم ذلك باب الخلاص من التبعية والافتقار ولاسيحوا شأنهم ، وشخصيتهم الذاتية ولعاد لهم تفكيرهم الحر ورشدتهم ، وعاد معهم تملكهم لأنفسهم . فالتغلب على هذه الثنائية يكون عن طريق تقوية القوة الفاعلة في الشخص أي عن طريق الشعور بالذات وتقويته . ويرى (فورباخ) أن الذي يبعد الإنسان عن نفسه ويسلخه عنها هو إخبارته وخضوعه في العبادات على اختلاف أنواعها ، من عبادة جادات أو أشخاص ، لأنه بذلك يتنازل عن شخصيته ويندبها في الشيء أو الشخص المعبود . فلكي يعيد الإنسان إلى نفسه شخصيته يجب عليه أن لا يعلق الاحترام بشيء خارج عنه ، بل عليه أن يهتم بدلاً من ذلك بشخصه وبالإنسانية بصورة عامة وأن يجعلها معبودين له ، وأن تكون علاقة الإنسان بأخيه على أساس علاقة ثنائية ذات طرفين وهما (أنا) و (أنت) . ويرى أيضاً أن توجه الفلسفة إلى دراسة معيشة الإنسان وأن يحور الإنسان من التخيلات الفلسفية ومن قيود عالم الغيب ، بحيث يصبح ما هو غير محدود محدوداً .

ومن الغريب أن مارتن بوير الرجل الديني قد اتخذ من رأي (فورباخ) في علاقة (أنا - أنت) أساساً لفكرة دينية ضمنها كتاباً من كتبه سماه (أنا وانت) ، وكان لهذا الكتاب تأثير كبير في المجالين الديني والفلسفي . وأساس هذه

خادم له . ولكن الذي لم يدرك عليه خلاف هو أن هذا الصدام الحاصل بين الطرفين يخلق في الفرد تقمة نفسانية على المجتمع تأخذ شكل النظريات الاجتماعية مثل نظريات (هوليس) (الإنكليزي) و (روسو) (الفرنسي) و (هيكل) الألماني مثلا ، وتأخذ شكل النظريات الفوضوية أو تأخذ شكل الكبت النفسي كما جاء في فلسفة (فرويد) . ثم إن الفرد في تأثيره بالتأثير يتفاعل بانفعالات مختلفة بحسب حاجاته أن كانت جسمانية أو روحية أو فكرية ، فالأوهيميون يريدون حياة الانطلاق أشباعا لرغباتهم الحسية وملذاتهم البدنية ، والروحانيون يريدون حبس النفس عن هذه الرغبات والملذات ، والمفكرون والفهماء يريدون خلق مجتمع جديد يتطابق مع آرائهم وفلسفاتهم . والفرد في جميع ذلك يشعر طول الوقت بالتوتر في نفسه بين شخصيته والكيان الجموعي . فهو من جهة يريد أن يبقى على استقلاله مالكا لزمام أزمته ، ويرى من جهة أخرى أنه مضطر إلى مساهمة المجموع والتنازل عن شيء من استقلاله وأزمته . فإذا كان المجتمع بسيطا بدأيا كانت مساهمته له قليلة وبقي له شيء كثير من استقلاله ، ولكنه إذا كان معقدا راقيا كانت مساهمته له كبيرة ، وقد بذلك الشيء الكثير من استقلاله ، حتى أنه ، كما في المجتمع المدني الحاضر ، أصبح تحت رحمة الظروف خاضعا لها ، ولا يبقى له من التمتع بشخصيته إلا القليل ، وتنشأ بينه وبين مجتمعه هوة يتعاقب بين كيانه وينسلخ عن شخصيته ، وتصبح شخصيته غائبة عنه بعد أن أوزعت على أشكال التعقيدات القائمة في مجتمعه . هذا هو أساس الانسلاخ والتجاني . فقد حارب الإنسان البسيط من جميع الأنواع من دينية وغير دينية إلى أن نال الفرد حرته ، ولكنه سرعان ما أدرك أن الحرية التي نالها بجهاده قد انقلبت في العالم الراقى إلى ضدها وأصبح الإنسان بعد تحرره من جميع القيود كريمة في مهبط الريح لا يريد إلا أن يجد لنفسه مرسى تروى فيه سفينته الهائلة . ولهذا انتشرت فكرة التمسك بالدين أو العودة إلى تقوية الروابط القديمة كالأسرة والشعب والأمة على اختلاف معيشتها . وقد وجد العالم الاجتماعي الفرنسي (اميل دوركايم) أن شدة انسلاخ الفرد عن المجتمع وروابطه كانت السبب في ازدياد حالات الجنون والانتحار ، ووجد أن حوادث الانتحار تتناسب مع مقدار التفكك الاجتماعي ، فكانت أعلى نسبة من هذه الحوادث بين البروتستانت وسكان المدن والعمال الصناعيين والغير المتزوجين أو الغير المتزوجات أو بصورة عمومية بين الأشخاص الذين ضعفت في معيشتهم قوة الروابط الاجتماعية . وهذا كله بسبب الانسلاخ أو التجاني ، أي بسبب انحلال الجماعات وتلاشي القيم الاجتماعية المأثورة . وقد ألف (أريك فروم) كتابه (المجتمع الرشيد) لبحث هذا الموضوع أجما ، وخصص لظاهرة الانسلاخ جزءا غير صغير منه ، وحذر فيه من الاخطار النفسية التي تنطوي عليها الثقافة الغربية الحاضرة . ومن الطرف أن تشير هنا إلى أن أفلاطون قد أدرك منذ

الفكرة الدينية الثنائية أن الشخص في هذا العالم له موقفان : (١) موقف نحو أمثاله من الأشخاص و (٢) موقف نحو الأشياء . فالشخص الذي هو (أنا) في علاقته مع الشخص الآخر الذي هو (أنت) يكون في حالة تعارف معه فقط ولا يستطيع أن يشعر بشعوره وينبسط بشخصيته ، ولكنه في اتصاله بالأشياء يستطيع معرفتها والشعور بها والتصرف بها ، وهذا ما يجري في ميداني العلم والاقتصاد مثلا . وقد يحدث أحيانا أن الشخص الآخر الذي هو (أنت) يكون في صدام ومواجهة مع الشخص الذي هو (أنا) فيصبح بمقام الشيء . ولكن (أنت) الوحيد الذي لا يمكن أن يصبح شيئا هو (الإنسان) الذي هو الله . وثمة ثنائية أخرى وهي ثنائية الفيلسوف (براداف) الروسي الأصل . فإن براداف يرى أن الشخص قسمان : (١) روح و (٢) طبيعة . فالروح هي أساس شخصية الإنسان وهي التي يجب أن تتمتع بكل حرية ، ولكنها تكون دائما في صراع مع الطبيعة ، وهذه تضيق عليها الخناق وتحد من نشاطها في المجتمع . وبما أن الإنسان مشترك بين الروح والطبيعة ، فهو مشترك بين دافعين : دافع نحو الحرية ودافع نحو العبودية . والإنسان من حيث الدافع الروحي يعتبر شخصا ومن حيث الدافع العبودي يعتبر فردا ، وهذا التفريق بين (الشخص) و (الفرد) يعود إلى (جاك ماريان) الذي أخذ عن (توما الأكويني) . غير أن (براداف) مدين في كثير من أفكاره من ناحية الشخصية للفيلسوف الوجودي (كير كيغور) الدانمركي الذي عارض (هيكل) (الآلتي معارضة شديدة ، لا هيكل قيد حرية الشخص وجعلها خاضعة للقوة المسيطرة لهذا العالم) والفرد الإنسان منزلة الجزء البسيط في آلة معقدة ، ليس له كبير اختيار ولا مجال للحرية المطلقة . وقد وصف كير كيغور نظرية هيكل بأنها هادمة للحرية ، تجعل الإنسان كأنه سون أسنان دولاب كبير يدور بدوران ذلك الدولاب ، ليس له شخصية حرة ولا استقلال في أعماله وسلوكه ، وإنما هو تابع لقوة خارجة عن نفسه . وعلى هذا الأساس انتقد (كير كيغور) نظرية هيكل في الدولة ، حيث جعل الفرد عبدا لها ورفع مقامها إلى مقام التقديس والمالية ، كما هو معروف عنه وعن رفاته من المثاليين الألمان . ولكن الثنائية التي هي الأساس هي الثنائية الموجودة في المجتمع البشري بين الفرد والمجموع . فالفرد له كيانه الخاص به وله رغباته وحاجاته ، فهو إذا كان حرا مطلقا يسمى إلى تحقيق هذه الرغبات ويعطي لنفسه حاجاتها . ولكنه في المجتمع مقيد في الوقت نفسه برغبات الغير وحاجاتهم ، فلا يستطيع له أن يطلق العنان لشخصيته ويستقل بمسلكه كما يشاء . ومن هنا كان الصدام بين الفرد والمجموع ، ومن هنا نشأت الفلسفات العديدة التي انقسمت بين تلفعات تدعو إلى حماية الفرد من المجتمع وتلفعات أخرى تدعو إلى إخضاع الفرد للمجتمع ، واختلقت فيما بينها حول موضع الفرد : هل هو خادم للمجموع أم المجموع

الى دنياي وامسى

لا تسيئي

لصباياي ، جراحاتي العقيمة

لواثيقي ، واحيائي العتيقة

لا نظلي ، مثل ما كنت ، صفيقة

ماء وجهي لن اربقه

فبصفتي ، وبالعافي ونفسي

غير ما في هذه الدنيا ، وكاسي

لي دنياي وامسي

لي حبي ، ودرابتي القديمة

لي ماضي واسواري الهديمة

وتعاويد طاولاتي ولعبي

وارتجاعاتي ، حماقاتي وحبي

لي عدواني ، صدافاتي الوثيقة

ومعاشي ، زهوري في الحديقة

وصديقاتي العساكر الرشيدة

وارتفاعات الوردية الريفية

وفرشاتي الانيقة

كان لي ثمة حلم ، وحقيقة

لي ذكرى حلم - اذكر مرأ

كان وهما

لست ادري ما اذا يرجع يوما

مر ، مرأ

ترك الهجة حشري

ظلمت للما ، الا ان ذاك الماد

كان مرأ

كان خمرأ

كان لي وصفة داء

كان لي ملقعة

وطبيبأ ودواء

كان لي مجرى هوا

في اختناقي وانهياري

واحتماالات شفاء

من دواري

لي ما لا تفهمني

انت يا ابنتها الروح الضئيلة .

صفاء الحيدري

بفداد

القديم ان التحلل من سلطة المجتمع او سلطة الدولة والتفرق في جماعات او منظمات مختلفة امر يؤدي في النهاية الى التفكك حتى في الاخلاق والى تعدد الولاء . وراى في وحدة المجتمع وفي سيطرة الدولة الضمان الوحيد للنظام وللحرية الحقيقية ، حتى انه في كتاب (القوانين) حرم على الفرد في الدولة ان يكون له معبد خاص لالهة في بيته او ان يصلي منفردا عن الجماعة . وكان (روسو) الفرنسي يقول ان اكثر ما اثر في نفسه افلاطون من بين جميع المؤثرات . و (روسو) اول فيلسوف حديث ادرك ان الدولة هي السبيل الوحيد لحل جميع المصادمت بين المنظمات المختلفة ولازالة التوتر النفساني في الفرد نفسه . فالدولة في نظره ملجأ روحي للفرد يتخلص فيه من حالة الشك وعدم الاطمئنان في حياته ، كما كانت الكنيسة في العصور السابقة . فهو ، كافلاطون ، يرى ان الدولة حتى في حكمها المطلق تهء احسن الظروف للتوفيق بين النظام والحرية وتريح الفرد من حيرته النفسانية . وهو يفرق بين المجتمع والدولة ، ويرى ان الدولة هي الشفاء والعلاج من اضرار المجتمع : فقد كتب الى ميراو يقول : « من ماهية المجتمع ان يولد حربا لا تنقطع بين افرادة ، والسبيل الوحيد لمكانة ذلك هو ايجاد نوع من الحكومة تضع القانون فوق المجتمع » .

ويكاد روسو ان يكون اول الفهماء والمفكرين الحديثين الذين ادركوا حالة الانسلاخ في المجتمع ، كما ادركها (هيكل) و (ماركس) بصورة جلية فيما بعد . فقد تصور الفرد بأنه غير مستقر في نفسه بسبب ضغط المجتمع عليه وبأنه مشتت عن حياته بسبب توجيه اهتمامه الى مكانة المجتمع وقدالة بذلك العقلانيته الداخلية . وغير (هيكل) عن حالة الفرد هذه بعبارة (الشعور بالشقاء) او بعبارة (النفس المنسلخة) ، وقال ان الشعور بالشقاء هذا امر ضروري للفرد لكي يشعر بنفسه ، فيجب ان يشعر اولا بأنه منعزل في بيئة منفصل عن مجتمعه ومظلوم منه حتى يشعر بشخصيته وبنفسيته ، وبهذا الشعور الذاتي يتمكن من الوصول الى الحرية . ويجب ان يكون الانسان غريبا في مجتمعه حتى يصبح بعد ذلك مستانسا فيه ، ويجب ان يشعر بأنه عديم القيمة قبل ان يصل الى مقام الاحترام والمكانة في مجتمعه فامثال هذا الفرد يؤلفون طبقة المتكودي الحظ في المجتمع الفاضلين عليه والناقمين على طبقة المحظوظين ارباب الثروة والمراكز . وبعض افراد هذه الطبقة يكفون عن الصراع وينصرفون عن الدنيا مستسلمين او انتظارا للسعادة في الحياة الاخرى ، والبعض الآخر ، وهم القلة ، يؤمنون بقوة العقل ويجاهدون في سبيل تغيير الاوضاع الى ما هو احسن في هذه الدنيا ، وهؤلاء القلة هم المفكرون والفهماء ، او هم الفهماء اذ لم يكتفوا بالعقل وحده بل جمعوا بين العقل والعمل لتغيير المجتمع .

حسن الكرمي

لندن



محمد رجب البيومي

انصاف بطل شهيد

بقلم محمد رجب البيومي

ولا ادري لماذا تذكرت السيد محمد كريم محافظ الاسكندرية حينئذ بالذات ، فقد كان احد الابطال المخلصين الذين قسا عليهم المؤلف الكبير دون موجب ! فلا يكاد يمر حديثه حتى يشويه الكاتب بسياطله ، حتى موقف استشهاده البطولي كان مثار هزء بالرجل وهو بعد جدير بالتقدير والاحلال ! وقد يدهشك ان تجد احمد حافظ عوض يقول في اول حديث له عن السيد محمد كريم هذه السطور ص ٩٧ .

« الا انه لما انزلت الجنود الفرنسية في البر ليل ، فسي تلك الليلة القمراء اسرع بدوي على فرسه بالسير الى الاسكندرية وابلغ الخير السيد محمد كريم .. ومن يدري كيف كان واين كان في تلك الساعة مع سراريه واخذانه على نحو ما الف اهل ذلك الزمن من الترف والنعيم واللهو .. » ولا ادري كيف حكم حافظ عوض على الرجل بهذا الترف الماجن العايب ، انقلب بين الجواني والفلمن ! وهو بعد لم يكن واليا تركيا ، او احد امراء المالكليعهده ممن اشتهروا بالترف الخليع ! ولكنه رجل شعبي ترتى بكذبه وعرقه حتى وصل الى ما لم يصل اليه مصري مضطهد مسكين ! ثم تحين مناسبة اخرى يقف فيها السيد محمد كريم موقفا بطوليا اذ يتصل بالقاهرة ليخبر اولى الامر بتحركات الفرنسيين ، ويدعو المالكلي الى استرداد الاسكندرية ، وهذا عمل شهم من شجاع وطني يسوء ان تتفرق الجهود فلا تجتمع على محاربة العدو الغازي الفاتح !

ولكن مؤلف الكتاب وحده يراه عملا دينيا اذ لا يجوز لـ محمد كريم ان يخرج على نابليون بعد ان تطف به وابقاه حاكما على المدينة ولما تدهش كثيرا حين تجد احمد حافظ يقول ص ١١٤ .

ولكن السيد محمد كريم هذا على الرغم من هذه المعاملة الحسنة وتلطف نابليون في مخاطبته وقتته به ، لم يحفظ للفرنسيين حرمة ولم يرع لهم عهدا وكان كعادة ابناء جنسه وزمنه وكعادة ابناء وطنه الى وقتنا هذا لا يشنون على رأي واحد ، اذ بينما هم مع هؤلاء اذ هم مع اولئك وعذرهم في هذا قصر نظرهم من جهة ، وخوفهم من التقلبات من جهة اخرى زيادة عما روا عليه من اثر الذلة والمسكنة وضعف الارادة ، فقد وجد الفرنسيون معه بعد ذلك مكابيات بعث بها من وراء ظهورهم الى مراد بحرضه على الغارة على الاسكندرية . »

والى الله اشكو هذا المنطق !! فلو كان الرجل يهتم بنقشه لا بوطنه لفضل الوقوف بجانب نابليون بعد ان تطف معه وابقاه محافظا كما كان ! ولكنه يابى ان يكون ساعدا للبغي وظهير للعدو ، فيكون ذلك مدعاة لوم وتقرير من مؤلف الكتاب يصلان به الى اللعنة والسباب !!

وسير المؤلف على منواله هذا فاذا تعرض لنهاية البطل وقد رزق الشهادة في حرمة البطولة الشريفة ابى الا ان يهجنه ويزدرجه فيختار اضعف الروايات الباطلة ويعلن انه اخذ في سماته الاخيرة يتوسل ويتزلف ويقول لمشايعه الاظهر اشتروني يا مسلمين !!

كان تداعي المعاني وحده صاحب الفضل في تحرير هذا البحث ، فقد كنت اقرا الجزء الثاني من كتاب منوعات الذي اخرجه الدكتور العالم محمد كامل حسين ، وواجهته في ص ٤٤ يتحدث عن الاستاذ احمد حافظ عوض حين شغل كرسية عضوا في مجمع اللغة العربية ببلد اوانا يقول اذا كان الاستاذ حافظ عوض قد شب في عصر لا بعد خير عصور الحياة الفكرية في مصر ، واذا كانت آثاره الادبية وهي وحدها التي تعطينا هنا ، لا تخلو مما يدل على كثير من صفات ذلك العهد ، فان ذلك لا يعد عيبا فيه ولا نقصا ، فنسب المرء ان تكون آثاره في ميدان الفكر صورة صادقة واضحة للعصر الذي يعيش فيه ، وان آثار سلفي كذلك ، فهي صورة للعصر الذي شب فيه لا الذي انتهى اليه ، فيها تخطيط الذين يلتمسون اسلوبا جديدا ، وتعتز الذين يتحسبون متجهين غير مالوف . »

قرأت هذا الكلام فسبق ذهني فجأة الى كتاب فتح مصر الحديث الذي اصدره احمد حافظ عوض سنة ١٩٢٥ عن حملة نابليون على مصر ، واحتفلت به الدوائر الصحفية والادبية احتفالا يناسب مركز مؤلفه كرجل سياسة وصحافة وادب ! حتى قال فيه احمد شوقي قصيدة رنانة يوم كان شعراء مصر يظنون تقريب الكتب احدي موضوعات الشعر ، فهو شبيه بزيارة الخديوي مدينة طنطا او افتتاح ملجا الايتام مثلا ! هذا الكتاب قرأته قديما ، ولست فيه تحليلا شاملا لبعض القواميس الخافية في تاريخنا القريب كما لست فيه ايضا اندفاعا مطرنا في بعض الاحكام الجائرة ،

ثم ينحى باللائمة على من أعجب بالباطل من الكتاب
الانجليز فيقول ص ٢١٨ :

« ولصاحبنا المرحوم الحاج عبد الله براون الانجليزي
المستشرق في كتابه (يونابرث في مصر) اعجابا بالسيد
محمد كريم وقال عنه انه ابى دفع القدية ومات شهيداً مقدماً
وما ادرى على ما اعتمد في هذه الرواية ومصدره الوحيد
في هذا الجبرتي وهو يقول انه تدلل وقال : اشتروني يا
مسلمين !! »

واذا كان الأستاذ احمد حافظ عوض لا يدري علام اعتمد
المستشرق الانجليزي في قوله ، فان مؤرخ مصر
الكبير الأستاذ عبد الرحمن الراعي يدري ذلك
فقد حكم في هذا الموضوع حكماً حاداً حين استعرض
الروايتين المختلفتين في مقالته عن السيد محمد
كريم بمجلة المجلة اكتوبر سنة ١٩٦٠ ! فقد ذكر ما رواه
الجبرتي عن فرع كريم واضطرابه وما رواه « يوريسين »
سكرتير نابليون وريو مؤلف التاريخ العلمي والحربي للحملة
الفرنسية من ثبات الرجل وابائه وقال بصدد ذلك ص ١١
من المجلة « ولو كانت رواية الجبرتي صحيحة لما فأت
الفرنسيين ان يذكروها ولما ذكروا رواية تشراف خصما لهم
حكموا باعدامه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان رواية
دوريسين ترجع رواية الجبرتي ، لان الجبرتي لم يكن شاهد
عيان لواقعة اعدام السيد « كريم » بل يلقب على الظن انه
كان متزويماً في بيته بالصناديق في ذلك اليوم العسير !
اما المسيو يوريسين فقد شهد الواقعة ويقول في مذكراته انه
هو الذي اوعز الى المسيو فاتتور ان يصبح السيد محمد
كريم بدفع الفرامة قابي دنمها ، فرواية يوريسين كما ترى
هي رواية شاهد عيان وهي ادعى الى الحقيقة والواقعة
الواقع من رواية الجبرتي . »

ولعل القارئ بعد ما تقدم يحتاج الى ان نعرض لتاريخ
هذا البطل بعض التفصيل ليعلم عن انصاف وحيدة كيف
مثل دوره الشجاع كاحسن ما يقوم به وطني باسل امين !

ان مما يشرف السيد محمد كريم انه نشأ بالاسكندرية
نشأة متواضعة فهو شعبي ينحدر من الطبقة المكافحة
المناضلة وقد خاض غمار العيش مجاهداً فشق طريقه بين
الاشواك والصخور ، وامتنع الحرف الصغيرة درجة وراء
درجة حتى صار (قبايتاً) حاسباً يجمع بين الارقام ويضبط
الموازين ، وزادته صناعته فهما لروح الشعب ، وتقديرها
لعالته الاجتماعية !! وكانت له آمال ومطامح فعمل على ان
يصل اليها مستعيناً بخبرته الطويلة !! وتجاربته العديدة في
وطن مليء بالمفاجآت !!

لقد كانت مصر نهياً مقسماً بين المالكين ، يتمتعون خيرها ،
ويعتصرون مجهودها ، ويعيرون بجندهم وتبايعهم فساداً
بين اهليها ، فيقتحمون التجار في المدن ويصادرون الغلال
والمحاصيل في القرى فلا يدعون فلاحاً آمناً في سربه ، او
غنياً متمتعاً بخيره ، وكان مراد من اعظم هؤلاء سطوة

وشكينة ، فله من الحاشية والاتباع عدد هائل يرشحه
للمدانة ويدفعه الى المجد كما يتصوره من اعنف طريق !!
فخاف الناس شره ، وانضم اليه الكثيرون تخوفاً وحيلة !!
ورأى السيد محمد كريم ان يعمل في دائرته الواسعة فظهر
نباهة واهتماماً ولغ اسمه في محبته لعنا قويا .. فنسلطت
عليه الاضواء واختير حاكماً لاسكندرية وقصد تمكن في
منصبه المرموق ان يحفظ ميزان العدالة جهده طاقته ، فاذا
كان لا يمكن ان يمنع عدوان الطغاة من المالك فانه كافح
مكافحة طيبة في سبيل توفير الرخاء ، واشاعة الطمأنينة
والسلام ، واقامة العدالة بين الناس ، وبهذه الاعمال
الحميدة رزق محبة خالصة من القلوب ، ورأى فيه
الاسكندريون مؤثلاً آميناً يصد عنهم هجمات الطواغيت
وينفذ من بلدته قدر الطاقة كوارث الطفان !!

غير ان الاحوال السياسية لم تحر في عهده على السنن
المعمودة ، فقد تعرضت مصر لغزو خارجي اقض المضاجع
وارق الجنوب ، وكانت الاسكندرية خط الدفاع الاول عن
البلاد ففي مواثها وقفت البوارج الحربية تحمل الكثير من
الجند ، والرهيب الفاتك من السلاح !! وتعرض النفر
الوادع الى اعتفواوصاف الاستعمار فما تضعضع او استكان
بل قاده السيد محمد كريم الى الحرية في صلابة وايهان !!
انما كانت الاسكندرية من نومها ذات يوم فرات الاسطول
الانجليزي قد طوق الاسكندرية ببوارجه وجنوده ، وسارع
السيد محمد كريم الى لقاء القائد « نلسن » فافهمه الفاظ
الانجليزي ان الفرنسيين سيحتلون البلاد عن قريب ، وانه
موند الى تمقيهم واستئصالهم ، وظنها السيد خدمة مأكرة ،
فرفض ان يصف هذا الكلام وطالب القائد الانجليزي
بالانسحاب ، ورفض ان يمدد بالمؤونة والماء ، وتحير الانجليز
فيما يصنعون !! لقد كانوا يرغبون في الإقامة بالاسكندرية
حتى تمر البوارج الفرنسية الفائزة فيتلاقى الفريقان في
شقة البحر الابيض الواسعة !! وها هو ذا حاكم الاسكندرية
ينفذهم بالعداء ويمنع عنهم الغذاء والماء مما يتعذر معه
المقام !! ولئن اشيت مع الاهالي في حرب فانه سيكسب
معاداة قوم له زيات لمحاربهم .. وربما كانوا عوناً للقوات
الفرنسية القادمة فيما بعد .. هكذا فكر نلسن وقد ..

ومن ثم أثر التقهقر والانسحاب !!
رحل الاسطول الانجليزي ... وكان الناس بين مصدق
ومكذب لما زعمه من مجيء الفرنسيين ، الا ان السيد محمد
كريم قد اخذ الامر عدته فدعا الاهالي الى حمل السلاح ،
واتصل بمبراد بك وبالعرب الذين يلتفون حول النفر ، كما
امر بتحصين المدينة ، واقامة المدافع وتهيئة الذخيرة
والعتاد ، وكان ما توقع الانجليزيون ان يكون ، فقد وفدت
الحملة الفرنسية الى الاسكندرية !! بقودها اكبر قائد عرفته
اوروبا في القرن الثامن عشر ، ووقف السيد محمد كريم
وجها لوجه امام القائد الفرنسي نابليون يونابرث !

ولو كان لصخر حظ مسعد في تلك الايام لتأخر قدوم
الاسطول قليلاً حتى يلحق بغريمه الفرنسي . فتدور المعركة

بين اجانب غريباء فوق سطح الماء دون ان يتعرض الناس لويلات مدمره ، ولكن المصريين لم يكونوا يفرقون بين الانجليز والفرنسيين فكلمهم افرنج اجانب يتحدون ضد الشرق والسلطان !! ولو كان السيد محمد كريم ذا خبرة بالسياسة الدولية في عصره لانتهر هذه الفرصة !! ولكن الجهل المطبق بامور اوربا الدولية قد كبد مصر خسائر فاحشة ؛ وعرضها لاعنف الزلازل والتكبات !

وقد كان رجال الحملة الفرنسية يعرفون كل شيء عن مصر ، يعرفون انها جيشها اجنبي دخيل لا يحس بالعاطفة الوطنية نحو بلاده ، ويعلمون ان ادوات الحرب لديها محدودة ضئيلة وهي على ضعفها المتهاافت لا تقف لحظات امام الاسلحة الحديثة وكان المام الفرنسيين بموقع الاسكندرية ومكانتها الحربية صادقا في حد ذاته ، فقد اقام الرحالة الفرنسي فولتي بها مدة طويلة فعرف امكان الضعف ورسم صورة خلابة للاستيلاء على البلاد من اقرب طريق ، بل أكد للفرنسيين كاذبا ان المصريين يرحبون بهم ، اذ ان الشعب في اضطراب يائس وقلق مرير من جراء تعسف سياسة المماليك وطفان اولاده ، وتجاهل الدولة العثمانية ، فهو يتوق للحرة والخلاص مترقبا « منقذه » الجري .

وقد صدق الرحالة في تصويره مقدرة الشعب الحربية !! ولكنه كذب في زعمه ان المصريين سرحبون بالفرنسيين ويرونهم معجزة الخلاص والانتقاذ ، اجل صدق الرحالة حين قال عن الاسكندرية « ليس بالمدينة سوى اربعة مدافع في حالة غير صالحة وليس بين الحامية من يمكنه اضليعة المرمى بل جميعهم من العمال العابدين الذليل لا يحسنون سوى التدخين » ولكنه كذب في دعواه الخوف من الشعب فالصريون - في جميع عهودهم التاريخية - لم يكونوا يهابون اجنبي دخيل يدوس كرامة الوطن ويلوث نقاء ماء النيل !! وتدم نابليون مخدوما بما سمع !! وتوهم ان المصريين سيصطفون على الطريق يهتفون بحياته ويعلمون ولاءهم للجمهورية الفرنسية !! ولكن اماله قد انهارت حين وجد الثورة الشعبية تقف في وجهه ، فالاهالي يتحصنون بالاسوار ويدفعون طلائعهم الصائبة الى البوخر وقد ثارت في نفوسهم عاطفة الكرامة والانتقام !! لذلك امر القائد الفرنسي بتطويق الاسكندرية ومحاصرتها من ثلاث جهات !!

وانك لتعجب بالطولة الخارقة حين تسمع ان البطل الخالد (السيد محمد كريم) قد اصدر اوامره بمواجهة القوة الغاشمة واعتلاء الاسوار ، فسارع فوقف فوق قلعة قايتباي وتلقى طلقات المدافع المنطلقة شبكات وشكيمة ، وجاوبها بما يملك من ذخيرة ، وجند ، ورجاله من رواه يضعنون صنيعه ويقتدون به حماسة وتضحية ، وكانت موقعة حمراء بلبل فيها المصريون جهودهم وذخائرهم وارواحهم ، ولكنها كانت محنة اليمة للفرنسيين فقد قولوا بهول عاصف وزع شديد ! وبكفي ان تعلم ان نابليون وكليبر ومينو ، ولانتهام في طليعة فواد الحملة بأسا وعزيمة وحيلة قد اسببوا جميعا بشنى الطاقمات فاصبحوا ضامدون

جروحهم البالغة ، ولم ينتصر نابليون على الوطنيين الا حين وجه قذائفه الى الاسوار المتداعية تنهات مساقطة واقتحم المدينة باسلحته وقذائفه ، فما تراجع الاهالي عن موقفهم في شيء !! ولكن القوة الغاشمة تجبر من يقاومها على التراجع !! وليس عيبا ان تنهقر بعد ان تنفذ ذخيرتك ولكن العيب ان تعلن الاستسلام والخنوع بادى ذي بدء فيلوك المحتل لقمة سائغة !! وهذا ما تحاشاه الوطنيون فلم يعلن السيد محمد كريم استسلامه الا بعد ان فقدت الحامية كل عتاد ، واصبحت مواجهة الاعداء بدون سلاح ما حقاقة رعتاه ! وقد اعترف الفرنسيون ان الاهالي دافعوا عن الاسكندرية بحماسة عالية وثبات عظيم ، حتى اقرغت ما تدخره من قوى متجمعة !! وخلدت ببلانها الحميد موقفها في رحاب التاريخ !! وحين قضى نابليون على الموقف لم يشأ ان يتكل بالاحرار ! بل ترك القوة سائحة للسلالة والهذوء وارسل منشوراته المتواليه يعلن اخلاصه للشعب المصري واعتناقه الاسلام ويبين انه جاء لمحاربة المماليك الذين استبدوا بالشعب ! ومنعوا الفلاح عن كل خير ، واتخذوه حيوانا يحتر ويزرع ويحصد ، ولهم ما ينتج من ثمر ، وما يدر من غلال !! كما انه قدر بطولة السيد محمد كريم وامر بابقائه حاكما على الاسكندرية وكان مما قاله له :

« لقد اخذتك والسلاح في يدك وكان لي ان اعاملك معاملة الاسير ، ولكنك استبسلت في الدناق لذلك اعيد اليك سلاحك وامل ان تبدي للجمهورية الفرنسية من الاخلاص ما كنت تبديه للحكومة سيئة » .

ولما ان نبال هل ركن السيد محمد كريم لما سمعه من مسئول الكلام ، وما اعيد اليه من مناصب والقي له من المنايا ، لا يقدرك ان تزعج حركة المهاجمة الشعبية ، ويجمع التوار في رسم لهم الخطط في مقاطعة الاعداء واغلاق المتاجر والصانع في وجوهم ، ومنع المؤن عنهم حتى الماء . . فلم يكونوا يعثرون عليه الا بعد جهد جهيد ، ولم يصدق الشعب يوما ما زعمه له الفرنسيون من اخلاص ، ومع انهم قاموا بعدة اصلاحات ساعدت على تقدم البلاد الا ان المصريين قاسوا اعمالهم بمقياس (الدين) فوجدوا فيما يفعلون خروجاً عن تعاليم الاسلام وراوا في الحضارة الغربية بعدا شاسعا عن تقاليد الشرق وميوله . فالفرنسي كرامه هو معهود عنه عاطفي يميل الى اللهو ويولع بالخير والنساء ، والمصري متدين يدم التبرج ويلزم حدود القرآن فيما يأخذ ويدع لذلك كان الفرنسيون ياتون معوجهم ويشربون خمرهم معتقدين انهم لم يفعلوا منكرا يؤخذون عليه ، والشعب ينظر اليهم نظرة المفضي الحق !! ويرى في جرائمهم فاحشة آثمة وعدوانا جريئا .

قال الجبرتي (لما حضر الفرنسيين الى مصر ومع البعض منهم نسائهم كانوا يمشون في الشوارع وهن حاسرات الوجوه لاسيات الفساتين والمناويل الحريرية الملوثة ، ويسدلن على منابجهم الطرح والكسيري ، والزركشت المصبوغة وبركن الحمر والخيل ويسوقونها سوقا عنيفا

السيد محمد كريم تدعوه لمواصلة الجهاد والسير لانقاذ الاسكندرية فابقن انه امام خصم ماهر عنيد يحاربه في اكثر من ميدان ويبادر بإرساله الى القاهرة لينال جزاءه من نابليون راسا ، امر بطريقه على رشيد ، وقد احتشد الاهالي لتحتيته وارسلوا هتافهم الصارخ يعلن ولاهم المخلص للبطل المعتقل المستبسل والزعيم الجريء !

وتابع الاسير سيرة ، حتى وصل الى القاهرة فاصدر نابليون امره باعدامه مع مصادره جميع امواله وسمح له ان يقتدي بثلاثين الف ريال في اربع وعشرين ساعة ! والناظر الى هذا الامر الخطير .. يجد نابليون يبحث عن المال في شره جاشع فهو يعلم ما للسيد كريم من ثروة طائلة يود انتزاعها في غمضة عين !! وهو لا محالة آمن شره اذ انقذه من الاعداء ونزل في اعماق السجن !! ولكنه وجد الزعيم الصابر يسمع الحكم فلا يبدي استعداده لدفع المال، فيطر صوابه ويرسل اليه المستشرق الفرنسي الداهية « فانفور » ليعان اليه ان نابليون مسلم صح اسلامه وانه يريد الخير كل الخير للمصريين وهو معجب كل الاعجاب بمن يخدم بلاده ويذود عنها لانه تصدر الوطنية الصادقة ، وقد جمع رجال الديوان من صفوة العلماء وخيرة الاعيان فعلى السيد كريم ان يبذل المال المطلوب فداء لنفسه ويسعى بعد في خلاصه واطلاق سراحه ، ليكون كما كان في طبيعة الرجال !! ثم اصطنع الزائر اشفاقا مموها وصاح بصاحبه : لقد سمح لك نابليون ان تقتدي نفسك بثلاثين الف ريال، وانت رجل غني لماذا يصدك ان تقتدي نفسك بهذا المبلغ الصغير ! وترقب فانذرو بعد محاضرتهم المنقطة عن نابليون ان يلمس حتى اصبح قاب قوسين ولكنه يجد صاحبه يقول فسي عزيزه واباه .

اذا كان مقدرا علي ان اموت فلن يعصمني من الموت ان ادفع المبلغ ، واذا كانت الحياة مقدرة فلم ادفعه دون استحقاق ؟

وكانت اجابة خطيرة ساقط صاحبها الى الاعداء الظالم، فادى به الى الشعب رسالة اخرى في التضحية والاستشهاد بعد ان اسلف رسالته الاولى في الكفاح والجلاد !! ورفرت اجنحة الملائكة للترحيب بشهيد عاطر الذكر جريء القلب يودع وطنه اللهي ليستقبل عدالة الحق والانصاف السماء!!

وتمضي الايام فتشرق شمس الحرية على مصر بقيام ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ فينصفه الاحرار اذ توضع صورته مكبرة على راس صور المحافظين في دار المحافظة تخليدا لذكراه ثم يطلق اسمه على شارع من اهم شوارع الاسكندرية وهو شارع التتويج ، ويطلق كذلك على مسجد عظيم بالنفر كان قد اعد ليحمل اسم فاروق ! ولما عند الله اعز واكرم .

محمد رجب البيومي

الفيوم

مع الضحك والفحقة ومداعبة المكارية معهم وحراقيش العامة فمالت اليهم نفوس اهل الاهواء من النساء الاسافل والفواحش وتداخان معهم لخضوعهم للنساء وبذل الاموال لهن ، وليت شعري اذا كان السفور ومداعبة المكاري جريمة دينية فكيف تكون الخمر والزنا ، وما اتى به المحتلون من الفواحش في راي الشعب الفيور) !!

وقد وقعت عدة اعتداءات من الاهالي على الجنود ، واشتبك الفريقان في قتال متقطع ، تلوح بوادره وتخفي في فترات متباعدة !! مما اثار القائد الفرنسي (كليبر) على السيد محمد كريم وظن له بدا فعالة في هذا الشعب ، فراقب حركاته وتنقلاته ، وشاهده يجتمع مع التوار ، ويشير عليهم بالرأي ويقدم ما يستطيع من العون ، فتأكد لديه خطورته وعزم ان يقتل فرصته فينكل به ، ليرتاح من خطر يهدده بين الحين والحين !!

وفرض القائد على المدينة ضرائب قاسية ، فذهب السيد محمد كريم لمطالبتة بتخفيضها عن الشعب الاسكندري المكثود !! واعلن رفضه لهذه المطالب المجحفة ، فاسرها القائد في نفسه واتخذ منها دليلا ثابتا لادانته !! ثم راي كليبر ان يعدل ببعض جنوده الى المدن المجاورة عليه يجد بها ما افقده في الاسكندرية من قوت ومؤونة ، وسار الجنود في الصحراء المقفرة حتى بلغوا دنشور وظنوا انهم عثفون بها ظلال الراحة !! ولكن المدينة جابهت دخلها بها عاصفة رجيبة ومردت عليهم مرودا لم يبق معه مكان للاستقرار ، وتساءل الفرنسيون عن هذا العصفان الخطير ، فوجدوا اسم السيد محمد كريم يتردد على كل لسان ، وسمعوا الكثير عن بطولته وزعامته ، فعمقوا معرفة تامة ان الرجل قد اصبح زعيما شعبيا لا يقتصر خطره على الاسكندرية بل شمل مدن القطر جميعها ، فخرجوا ادراجهم الى (كليبر) ليخبروه عما شاهدوه وسموه ، وكانت نفس القائد مهيشة للقبض على السيد محمد كريم فاصدر امره بذلك ثم جاءه ان نابليون بالقاهرة قد وجد بمنزل مراد كتبنا ورسائل من

الشعر العربي في المهجر الامريكي

دراسة ونقد

بقلم وديع ديب

استاذ الادب العربي في الجامعة الامريكية سابقا

مشتورات دار ربحاني للطباعة والنشر في بيروت

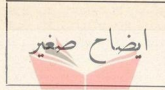
مفاجأة غير سارة ، فالمجلس اسري ، والنبات لم يكن على اهبة لاستقبال غريب .. فما ان يوقن برؤيته حتى هرعن الى داخل البيت .

وعمل غسان بوحى البديهة فيبادره بالجواب المطلوب ، في بساطة لا تدع حاجة للاعادة . ولم يبق ما يقتضي بقاءه ، فقدم شكره وانسحب .. ووجدني مدفوعا الى الاعراب عن امتعاضي من هذه السماجة المرفقة ، وقلت : هذه المرة الثانية التي يقتحم فيها علينا الدار ، ليلقي مثل هذه الاسئلة التي هي ابعد ما تكون عن حاجة الرعيان .. لا اشك ان في الفتى شذوذا يحسن ان نتخلص منه بوسيلة مناسبة .

وببدو ان غسان كان اوسع علما مني بامرء فقال : انه لا يخلو من شذوذ .. ومن اجل هذا يتحمل الضرب من ابيه معظم الايام .. ان اياه يقتضيه ان يتفرغ لرعاية غنيماته اباه المساء ، وان يختم عمله اليومي بغرارة من العشب يحملها على عاتقه عند العودة من المربي ، ليوفر للاغنام والبقرة الاخرى طعامها الليلي . ولكن (م غ) قلما يكمل عمله المطلوب ، لانه مشغول عنه بالقرارة والكتابة التي لا يدعها ابدا .. فهو مصر على ان ينال الشهادة المتوسطة مهما تكلفه من جهد وعذاب ، ومضطر الى مراضاة ابيه الذي يفرض عليه سلطانه بالعصا ، وهكذا يوزع نهاره بين الدرس والرعي وتعبئة القرارة .. وطبعي ان ينحصر تقصيره في موضوع القرارة ، التي قلما جاء بها ملأى .. ومن هنا كانت العقوبة ابدا تلاحقه ، لان اياه لا يرى مثل هذا القصور في اترابه من الرعاة ، الذين يحبون الإيقاع به ، فيشكونه الى ابيه ، ويقارنون بين معلمه وعمله ، ويؤكدون له ان ابنه شديد الاهمال لدوابه ، حتى انه قلما يعطيها حقها من الماء خلال النهار .. وقد اشتهر امره في ذلك ، حتى بات الناس يرمونه بالجنون ، وقد رآه احدهم يستوقفي في الطريق ليسألني عن مشكلة فيزيائية ، فنصح لي ان اعمله

حولي بخار جسمه الناضج بالعرق .. ولم ازد على ان تساءلت في نفسي : وما حاجة مثل هذا الراعي المعدم الى الشعر والاعراب !..

وكنت انسى ذلك الوجه الذي لم اعرف اسم صاحبه لولا انه ابى الا ان يذكرني بنفسه ظهر اليوم التالي ، وكنا مجموع الاسرة على المصطبة الخارجية ننظر الغداء ، عندما فوجئنا بهذا الفتى يلقي علينا تحيته ، ولم ينتظر الاذن بل جلس لقوره على حافة المخل ، قريبا من غسان ، وفي ادب حيي له : هل تتكرم بايضاح صغير ؟.. ولم يكن في حاجة الى جواب ، بل فتح كتابا في يده ، وجعل يشير الى خطوط هناك قائلا : هذه



بقلم محمد الجذوب

الاقواس لا تطبع معها دون الترخيم

.. فعلام تدل هذه الاقواس الداخلية الصغيرة ؟.. وعلام تدل هذه الخارجية الكبيرة ؟..

وكذلك ارجو ان ترى فهمي لهذه الاشارات المختلفة : هذا الخط الازرق هو علامة الناقص .. واما هذا الصليب فيعكسه .. انه اشارة للزائد .. اليس كذلك ؟..

وكانت لهجة السؤال مغربة بالاجابة لا تدع مجالا للتردد .. والاسئلة صغيرة ، ولا يكلف ايضاحها اي مجهود .. ثم ان على غسان ان يتخلص منه على اي حال ، فقد احدث دخوله علينا بهذه الصورة وفي هذا الوقت خاصة



عرفته لأول مرة في (الشيخ بدر) وذلك قبل اثنتي عشرة سنة .. وكنت انخذ من تلك القرية مصطفا قسي بعض السنين .. ولا ازال اذكر اللحظة التي فاجاني فيها ، يقتحم فناء الدار دون استئذان ودون اي معرفة سابقة ، وفي حياء بالغ حياء ، وفتح كيس الزاد المعلق تحت ابطه ، ليستخرج ، من خلال محتوياته من البصل والخبز ، من كتابا مغلفا بعناية ، وقال لي وهو يشير الى بيت من شعر ابن الرومي في إحدى الصفحات : هل تتكرم علي بايضاح صغير ؟.. ثم بين ان مراده معنى البيت واعرابه ، ولم ار باسا في اجابة طلبه فشرحت البيت ، ثم اعربت مفرداته وجملته في ايجاز ووضوح ، ولم اعجل في ذلك ، اذ رايتهم ينمنا باثبات ما اقلوه على هامشي الصفحة .. ثم لم يلبث ان طوى الكتاب ، ثم شد على يدي يضاخها في حرارة ، وتتمتع بكلمة مهذبة غير بهان صادق شكره ..

ونظرت اليه وهو يغادر الفناء ، ليسوق غنيماته الى راس الهضبة ، وقد عاد الى الكتاب يوزع بصره بينه وبين دوابه .

ولم احتج آنذاك الى كبير جهد لاعلم انه واحد من اولئك الاحداث ، الذين تطعمهم اهلهم للعمل في الرعي ، لا من اولئك التلاميذ الذين يقبلون على المدرسة اكثر ايام السنة ، حتى اذا وفد الصيف فسحنته الواسعة تفرغوا لمساعدة اسرهم في عمل عابر كهذا ..

وكان في توبه البالي ، وسرواله القروي ذي الاألوان المتعددة الحالة ، ثم كوفيته الملوونة حول راسه في غير عناية .. وبخاصة تلك البقعة المفتحة من مداس المطاط الذي كان يطا به الشناخيب والبلاد .. كان في كل ذلك ما يدل على ان الفتى من الذين يستمتعون بالخط الوافر من قسوة الفقر ..

وقبل ان يغيب عن بصري تركت الفناء الى داخل البيت ، وفي انفي غير قليل من تلك الرائحة التي نشرها

لانه مجنون ، ولان اياه لا يرضى ان يشغله عن مهمته في رعاية الدواب ، التسي هي وسيلتهم الاولى الى الحياة ..

واطرقت عليا افكر في هذا الوصف .. وقد كشف لي من امره ما لم اتوقع ، وقلت تعليقا على ما سمعت : وما الذي يمنع هذا الفتى من الجمع بين الرعي والدرس !.. بل انني لارى من الخير تقدير طموحه .. ومنذ ذلك اليوم بدا يلقي لدينا بعض التشجيع الذي بعوزه .. والقي هو ينقله فاصبح كثير التردد علينا ، لا يكاد يرى احدا حتى يبادره بقوله : من فضلك .. اوضح صغير .. ولكن الاستيضاحات اخذت تكسر

حتى كدنا نضيق بها وبما تحمل من تلك الروائح التي اعتادت ان تترك بقاياها طويلا في ثوننا وما حولنا .. وقد ضاعف ثقل العبء ان الفتى لم يكن على حظ من الذكاء يتناسب مع طموحه ، بل كان التباين بين النوعين غير قصير ، ولهذا كثيرا ما وجدته ابرم به ، واعلن شجري من بظه ادراكه فسي دروس القواعد والادب ، وما احببه في الرياضيات والعلوم كان احسن حالا .. ولولا جهوده المتواصلة ومغالبته لنفسه لاستحال علي وعلى ابني ان نصبر عليه طوال تلك الايام ..

*

ومن من الزمن على ذلك الصيف ما كان جديرا بان يمحو من ذهني كل اثر لذلك الفتى .. فليست الثماني سنوات بالشئ اليسير في حياة الافراد ، وانقطع كل صلة لنا بالشيخ بدر الا بعض الوجوه من معارفنا القدامى ، تظل علينا بين عام وعام ، كاطلالة الحلم من خلال ذكرياته البعيدة ..

وكننت على وشك الانغاء بعد ظهر احد الايام ، عندما دق جرس المدخل ، في دققة طويلة ، واضطرت الى الاسراع نحو الباب ، لارفع اليد

المزعجة عنه فاصمته ، وشد ما دهشت حين رايتني بفتة امام الوجه القديم الذي عرفته في راعي الشيخ بدر !.. لقد تغير الكثير من مظهره ، فهو اليوم في هندام مدني لم يهمل حتى ربطة العنق ، وقد خلس رأسه من تلك الكوفية العتيقة لياخذ ما وسعه من الضياء والهواء . وحل مكان المدايس المفتت حذاء ذو شريط انيق ، وقد ترك الزمن اثره في هيكله فهو اليوم اكثر امتدادا ، واوفر لحما .. غير ان هذا وذاك لم يحولا بيني وبين حقيقته التي كانت اشد بروزا من كل تغير .. ولعل اشد الظواهر الثابتة دلالة على شخصه عيناه .. تانك الثنان لا تبرجان على سمعتهما ومعهما المعهودين ، ثم هايتك الوضاعة التي لم تغارق بياض وجهه ، وقد لوحه حر الهجر ، كعمده ايام كان يتلقى اشعة الشمس في غنيماته في هضاب الشيخ بدر ، وحتى رائحته القديمة كانت اول شيء لامس حواسي عند مواجهته ، فساعدت علي بعث الماضي كله حيا في خيالي ..

وقلت في نفسي انا انا انا لاجرة الاستقبال : ارجو ان لا يكون ثمة ايضاح صغير .. ولا انسى انه كان جد مهذب نسي تحيته واعتداده ، فهو يعلم ان وقت القبوله غير موافق للزيارة ، ولكنه ، كما قتل ، خشي ان لا يجديني في غير هذا الوقت ..

وانسته ما وسعني .. وسألته عن الاقرباء والاصدقاء .. وعن دراسته ، وهو لا يزال مقبلا عليها .. ونسي هدونه العناد اجاب : منذ ثمانية اشهر لم ار الشيخ بدر . قلت : « واين كنت كل هذه الاشهر ؟ قال : في قرية من اقصى هذا الجبل » . فلم افهم مقصده وتابعت : وهل لك من عمل هناك !.. قال : بلى .. انني معلم .. معلم في مدرسة هناك !.. ولم استطع كتمان ذهنتي : انت ان معلم !! وكأنه سر يتعجبني فقال : انا معلم منذ ست سنوات ، قضيت اربعها منها في منطقة الجزيرة ، واثنين في هذا

الجبل ..

وهنا تذكرت طموح الشاب ، وحرصه القديم على احرار الشهادة .. قلت : اذن فقد نلت الكفاءة ، وتركت رعي الماشي لي رعاية الاطفال !.. وفي حساسه لا اعهدها منه اجاب : وتقدمت في العام الماضي لامتحان الثانوية ، فلم يكتب لي النجاح فيها ، وانا اليوم ازورك لاندراك على يدك النقص الذي لا بد من استكماله لتحقيق النجاح ..

ولم يشأ ان يدعني للتردد فتابع : انني اليوم ذو دخل ، ومن حتي الا اضيق جيبك بغير مقابل .. لقد كتبت اجوبة الادب على طريقة المحفوظات ، ولم اعلم كيف اكتب شرحا لنص في مستوى الثانوية .. وكذلك لا اكاد اعلم شيئا عن العروض .. وقد قدرت ان عشرين حصة دراسية لديك تكفي لتزويدي بما يدفعني شوطا ابعد .. وها انذا اضع بين يديك المقدار الذي تفرسه مقدما ..

وكننت اتلقى سرده الغريب في مزيج من الاعجاب والحرية .. ولم استطع وعده بشئ ، لان اعماله اكبر من اوقاتي ، وقد سبق ان اعتذرت لغيره من طالبي الدروس الخاصة بسبب ذلك .. وفكرت ان افضل خدمة اقدمها له هو ان اصله بمدرس من زملائي يحقق له هذه الرغبة .

وعرضت عليه فكرتي .. الا انه ابى الاصغاء الى تفصيلاتها ، وشرح يؤكد انه لن يقبل هذه الدروس الا من قبلي .. ومن اجل ان يسر علي الامر جعل يحاول اقناعي بانته اليوم غيره بالامس ، وان ذهنه اصبح اكثر فهما مما عهدت ، وهذا يعني انني لن اجد عسرا في تعليمي !..

وتغلبت عاطفة الاعجاب بالفتى في نفسي على كل عائق ، ورضيت ان اعطيه الدروس المطلوبة ، على ان يساعدي بجهد لا يفتقر .. وانفقنا على ان تكون الحصص ثلاثا في كل اسبوع ، احدها من عقيب ظهر الخميس ، والاخران بعد عصر الجمعة .. وقد اخترنا هذين اليومين مراعاة لعمله

حبيب

يا زهرة زهرة الهامي !

عمري اخصب

يا نجمة أنداء صياحي

يا أملا يجمع أبامي

ويعيد صياي واتفامي

لهواك أعيش مستقبل

يتنصوا.. كاللؤلؤ القبل!

يتسم وردا لا يذبل

لسنالك.. لندياك النشوى

عمري اخصب !

الرياض حسن عبد الله القرشي

عمري اخصب

فلبسي .. كوكب

يسرعك بفسوه معراج

يهواك بشلال حنان

يزرع في درب الاحزان

لخطاك طيوف الافراح !

عمري اخصب

لصبا يتاق في بلدي

وشدى يتندى ملء يدي

جديسي ازهر

فكسري اورق

يسا زورق كل الاحلام

ان تصلني بمرسين لهما ، وتوصيهما
بي خيرا ..

وفعلت ما اراد .. ولم انس ان

اذكر للمدرسين طرفا من سيرته ..

وبعد ايام لقيت مدرس الموسيقى ،

وسألته عما صار اليه تلميذه المعلم ،

فقال : انه ذو نهم مخيف .. يريد

التهام مناهج العام في بضعة ايام ..!

قلت : وبهذا النهم استطاع التغلب

على ظروفه القاهرة فتحول من راغ

الى معلم .. ولا استغرب ان تقرا

اسمه في الصيف القادم بين الناجحين

في اهلية التعليم .. على اني واتق

انه لن يكتفي بهذه الشهادة ، بل لن

يقف اندفاعه دون الشهادة الجامعية .

قال صديقي مدرس الموسيقى :حقا

ان الذي لمسته فيه من قوة الطموح

ليستحق الاعجاب ..

قلت : ولكن عبء هذا الطموح هو

ما يؤكده لنا من ان الذكاء لا يشكّل

سوى عنصر محدود الاثر في حياة

الانسان ، اما التصميم والارادة فهما

الاداة الاولى في كل تفوق من شأن

الجهد البشري ان يحققه ..

محمد المجذوب

اللاذقية

بدروس اخرى ترتب لي مواعيدها
منذ الان ..

رواعدته .. ومنذ مطلع العام

الدراسي التالي طفق يستأنف اسفاره

الاولى ، ليحضر الدروس في مواعيدها

المقررة ، و اضاف الى دروسه في

العربية دووساخرى في الانجليزية

وربما الى غير ذلك ..

وحين حان الامتحان الثالث كان

اوفر استعدادا له ، ولهذا لم يفاجأ

بخير نجاحه عنه اذاعة النتائج .

*

وكنت ظهر امس عائدا الى الدار ،

عندما فوجئت بيديه التدينين ايدا

توازن يعني .. وفي حرارة يحييني

ثم يقول : سألت عنك في الدار فقبل

لي انك في المقهى ..

قلت : مرحبا بك .. هل ثمة ابضاح

صغير ؟؟

وادرك ما اريد فابتسم وقال :

اجل .. انه ابضاح وتوجيه .. واخذ

بشرح لي قصده : اتني استعدادا لمتحان

اهلية التعليم في العام القادم ، وفي

وسعي الاعتماد على نفسي في دراسة

موادها جميعا ، الا الموسيقى وبعض

تطبيقات عملية في التشريح .. فارجو

الذي لا يستطيع عنه انفكاكا في
سواهما .

وبدانا درس الخميس الاول ، ثم

اتبناه بدرسي الجمعة ، وزودته

بوظائف اسبوعية مساعدا .. ومنذ

ذلك اليوم بدأت اسفاره الاسبوعية

بين الجبل واللاذقية ، ليتلقى الدروس

في مواعيدها ..

وبلّل الفتى جهدا مشكورا ،

فكتب واستظهر واعرب وقطع ..

ولكن مجهوده الذهني ظل دون مستوى

نشاطه : كإبامه القديمة تماما . وجاء

موعد الامتحان ، وخاض معركته في

صبر واستماتة .. ورحنا نترقب

النتيجة ، وقرا في قائمة الناجحين

اسمه ناقصا ، فلم يشأ ان يطمئن

نفسه، فقصّد الى مصلحة الامتحانات

ليتبين الحقيقة ، فاذا الناجح غيره! ..

وهكذا استقبل سقوطه الثاني من غير

تذمر . وجاءني يقول : لم يكن بيني

وبين النجاح سوى بضعة علامات ..

وهذا ما يضاعف رغبتي في مواصلة

الجهاد حتى النصر ، واني لاعتبر

مجهوداتي السابقة وما قرأته من كتب

وتلقيته من دروس زادا نقائيا ،أمدني

بالكثير من الخير .. وأحب ان تعدني



احمد العدواني

احمد العدواني الشاعر المفكر

بقلم قدري قلمجي

إذا كان لكل نهضة من نهضات الشعوب رجالاتها في الميدان الفكري ، وعياقتها في المجال الفني ، فإن اسم احمد العدواني يبرز في تاريخ الكويت الحديث كرجل قد من رجالات الفكر والادب والفن .
لقد استطاع احمد العدواني بإسائه الفنية ، وعمقه الفكري ، وإخلاصه في تجاربه الإبداعية أن يلمح بقدران الصمت من حوله ، رغم تواضعه الجرم وعزلته الأدبية ، فتجاوز اسمه حدود الكويت ليترعرع إليه المثقفون العرب في مختلف أقطارهم ، ويكبروا فيه الرجل المخلص لقضايا الفكر الأخلاق والنهضة الأدبية المبنية على أساس من التجربة الصادقة والإدراك العلمي السليم ، كل ذلك في غلالة من الفن تقول : ههنا معلم !

وإذا كانت الجراءة في عرض الحقائق الفكرية ، والبحث عن المعاني الكبيرة للحياة ، صفة من صفات الفنان الأصل ، فإنها الصفة الأولى في شخصية العدواني ، وقد اهلت ثقافته العميقة لأن يعيش تجربة النهضة الفكرية ليس في الكويت وحدها ، وإنما في مختلف أقطار العروبة ، وشتى أمصار العالم ، وقد أدرك بثاقب نظره أن قضايا الفكر قد أصبحت عالمية ، وملكا للبشر أجمعين .

لقد توفرت في العدواني كافة الخصائص التي يجب أن تتوفر في رجل الفكر المعاصر ، من رباط يشده إلى الأرض التي يعيش عليها والمجتمع الذي يدرج بين ظهرانيه ، إلى عاطفة لها من القدرة على الشمول ما يؤهلها لاستيعاب هذا العالم وفهم أسرار التطور في تاريخه ، وحاسة فنية تنفذ إلى صميم الأشياء والأحداث فتعصم مس الحلق والعقيرة .

وليس سهلا أن تكتب عن العدواني ، وتعرض لنظراته إلى الحياة ولآثاره الفنية ، إلا إذا غصنا في لجة تجاربه بعيدا في الإعماق ، كما يفعل صياد اللؤلؤ إذ يغوص على الدر الثمين تحت أمواج بحر هائج ..

وكالأغلبية العظمى من أبناء الكويت ، قبل نهضتها الحديثة ، درس احمد العدواني إذ كان فتى ، في كتاب متواضع ، حيث تعلم القرآن قراءة وتلاوة ، وانتقل إلى المدرسة الإحمدية ، والثانوية المباركية ، وقد شغفت أذناه منذ حداثة بآيات القرآن الكريم معجز الحرف العربي ، مما كان له بعدئذ أثره البعيد في عبارته وسلامة أسلوبه ..

وقد حاول قرض الشعر وهو بائع ، لكنه لم يلق من التشجيع ما يدفعه إلى خوض اللجة التي أحب والميدان الذي فضل ، إلى أن كان عام ١٩٣٩ الذي استقبل فيه الأزهر الشريف بين طلابه الشاب الكويتي الفنان ، وأصبح نهمة بأطلاعه على كنوز ثقافتنا العربية من نثر وشعر وأبحاث دينية وفلسفية .. وما هي إلا بضعة سنوات حتى تخرج العدواني من الجامعة الشريفة ، وفي نفسه ميل جارف إلى مزاوله الصحافة الأدبية والفكرية ، فصدر مجلة « البعثة » التي استقبلتها الأوساط المثقفة في الكويت وغيرها من الأقطار العربية استقبالا حسنا ، ومن أولى ثمرات هذه الدوحة تلك النظرات النقدية والتأملية التي لو دعاها التكبرون والمتعالون لخففوا من غلوائهم ، وأخضوا من جناحهم ، ولعرف التواضع إلى قلوبهم سيلا ..

ولم يكف الشاعر التواقي من مزيد من المعرفة ، بما حصل عليه في مسقط رأسه وفي أرض الكتلة ، بل شرع نواته نفسه لتستقبل جميع التيارات الثقافية ذات الأثر الإيجابي في تطوير الفن والفكر العالميين ، فتعمق آراءه الفلاسفة ، واطلع على كنوز الادب ، وأمن بسنة التطور الخلاق ، إيمانه بوحدة الثقافة الإنسانية ..

وقد خلص من ذلك كله إلى الاعتقاد بان لكل نظام اقتصادي أفكارا معينة لها قوة الدفع والتطوير ، واعتبر الادب جزءا من الحياة العامة للشعب ، وأحس بالعلاقة بين العلم والفن إحساس المثقف الأصلي ، وجند نفسه لخدمة الجانب النامي من الحياة في الوطن العربي والعالم أجمع .. وعرف العدواني منذ تجاربه الفنية الأولى بأنه شاعر هوائية لا حرفة وطبع لا كلغة ، وأنه يطلق نفسه على سجيته ويدع لها الحرية في أن تعكس ما تتأثر به من الأحداث ، ولكنه حتى في هذه العفوية الفنية إنما يفيض عن عمق في التجربة وإخلاص في الرؤية الموضوعية .

إن أفذاذ الرجال ، ولا سيما في ميدان الفن ، عاطفيون منفعلون بالأحداث وفاعلون في موكب التطور والحضارة ، يفلسفون الأمور ويقلبون أوجه النظر في قضايا المجتمع

✽ يبدأ الكاتب بهذا الفصل سلسلة من الإبحاث عن أدباء الخليج العربي ، ويسر أن يتلقى من أبناء هذه المنطقة الفنية بالكفايات ، آثار أدبياتهم وسير حياتهم وكل ما يساعد على الفاء التور على تلك الطاقات النسية والمواهب الجوهرة .

والوجود الإنساني ، واحمد العدوانى احد هؤلاء الذين خاضوا غمار الحياة وغايتهم أن يسيروا اغوار الحقائق ، وتصعدوا للآرام وهدفهم أن يعجموا عودها ، وأن كانت التجربة الأولى مرة فيها شيء من طعم الصاب وتكهة العلقم :

موت الأيام تنرى
لم نجد إلا عناء
وإسقاء في اللابل
إين أحلام العذارى
إين آمال الشباب ؟
أهجز اليأس عليها
لم يكن غير سراب

صدمة هي ولا شك عنيفة ، لأنها نتاج ذلك التمزق والبعد ما بين مجالي الواقع والمثل ، والحقبة والحلم ، والحياة كما هي وما يجب أن تكون عليه ، في ردود عاطفية تنهار في فيها صروح المثل وتضيق دائرة الحياة انغلاقاً على الذات واستبعاداً لصور الماضي ورؤى المستقبل ، وعيشاً للحظة الزمنية تسكاً بأذيالها وانتهاياً لجناتها :

الآن .. لا قبل ولا بعد
يجري بزورق الأمسى واحلامي
الآن .. نهر ما له حد
ويرفع العلم الخفاق قدامي

وموجه ...؟ الآن مضطرب
للعيش والوقت فيه قصة عجب
ندور ، والزورق المثلث المنطلق
نشوان ، ما همه خوف ولا طيب
سحر الحياة سقاء خمره رفعت
في ذاته طرباً ، ما مثله طرب

الآن احيا ، فلا تذكر لي الآنا
كأن بكفى ملأى كيف ارتكبا ؟
وكيف أرمي بأحاسيس أجبرده
من حبل الزفر يهفي سر روثه
ومن هذا « الآن » الذي أنطلق به
عن « الفكر » الذي إذا ما استيقظ
بارداً ، أطلت الذاتية الفردية ترى الوجود جميعاً من خلال تلك العدسة المزينة للواقع ، والداعية الأنام بلسان الدنيا لكي يحيوها على خير ما تكون الحياة وامتع والد ، وإلى أن يجعلوا تلك الحياة ضرباً من ضروب العبادة :

قالت الدنيا لأهلها
جهل الحكمة قوم
عرف القصد أنسى
كلما أجذب معنى
وإذا عافت بهم دأ
وهبوا أنفسهم لئاس ، حتى في القفار
كسل ما جدد في النفس شعوراً بالوجود
وأراها صورا تفصح عن حس جديد
فأجعليه هدف السعى ، ومتنوا السعادة
ولكن منك استجابات
ت اليه وعبادة

ويبلغ الشاعر نهاية هذا الشوط غير مقطوع الأنفاس بقوله :

نمتع قبل أن تطفئ ربح الموت مشعالك
نمتع قبل أن يفسر ظل الشيب أمالك
فلا تبقى سوى الصخرة والعبرة ، والدعوة
نمتع أيها الظالم ما دامت لك المتعة !

لكن الشاعر الذي انطوى بأحاسيسه على ذاته يرضى بهذا

الإحساس أن يجرده « فكراً » بطفء نار الشوق في كيانه ، لا يلبث أن يجد ذاته أمام ذلك الفكر الذي من أميز ميزاته أنه لا يرى الكون إلا من خلال تصارع الاضداد فيه ، من قديم ومحدث ، وجامد ومتطور ، وخير وشر ، في شرعة تؤمن بغلبة الحديث على القديم ، وظهور المتطور على الجامد ، ورجحان كفة الخير على دعوى الشر ، وأن الإنسان رأس هذا الوجود والأخذ بزمامه .. وهكذا يخلق الشاعر خلقاً جديداً :

لم اعد ذاك الذي كان زماناً
ذاك عهد كنته حيناً .. وكانا
والتهنى الأمر القسدر
يا رفاقي أنا ماضى انطوى
كل شيء فسي كياتي يتغير
ان علي كل من روى نفسه وتحرر ..!
وتراني كمل ما جدد غرسه ثم امر ..!
يا رفاقي .. انني اخترت طريقي بلرادة :
لم يحل دوني تقليد وعادة
أنا كون ينطور !

ويهدف الشاعر ، ذلك الكون الصغير الذي احتوى الكون الكبير ، بسنة التطور والتقدم ، على رأس القافلة ، يحدوها بأغنية الذات المتمثلة بموضوع الحياة الجديدة خير تمثيل ، بهيب باخي طريقه أن يتابع سيره إذا ما صرع دون غاية ، بلغته في الإعماق ويحرك الجوامد ، في نفس شعري متالم ، وأسلوب فلسفي متמרر ، بطبعان تتاحجه بطابع إنساني عميق قريب من نفوس المذهبيين في الأرض المتطلعين إلى أسمى الغايات وأرفع البرجات :

يا اخي .. ان ما لا تسكب على قفري دموع
بل خذ النعمة من عمري ، وكف في الليل شمعة
اتسبب منك قريب ، كلما صوات بقصة
ولتكن الليل بهوي ، فطعة في اثر فطعة

ثم يشد باخي فكره هذا بسبب الحياة الجديدة ، داعياً إياه في معركة التاريخ لصير الحواريين الذين قضوا دون معتقداتهم ، هادئ النفوس ، متراحي الضمائر ، خالدين على الزمن ، عاصين على المنية :

يا اخي .. ولكن كيش فداه أو ضحية
طالباً روت ضحايا الجدد ارض العبقريه
فانت بالتيار تارا تحضاه المنية
جارف التيسار كالسيل كالبركان وقعة

وفيلسوف الشاعر الزمن ، ورحلة الوجود في فلكه الدوار ، وقصة حياة الإنسان في خضم هذا الكون ، وحكاية أيام العمر التي تتناثر في مدار القدر المحتوم ، في قصيدة رائعة هي « السنة الماضية » التي ما أن تنعمق معانيها حتى نحس المأساة العميقة التي يعيشها ، ويحاول التغلب عليها ، والظهور على مناقضاتها ، ولكن هيئات .. ليست شهوراً عداها اثنا عشر ..

مرت على فلك يدور
منذ القدم
لكنها .. لحم .. ودم
سلك من العمر انشور

قالت عرفتك ...

للمال تنفقه بلا اشفاق
فيك المشيب وحان عهد فراق
يوم الوفاء كسلسل رقرق
جادت علي به يد الخلاق
بي من قوى للسعي في الاسواق
فهو الكريم مفرق الارزاق
في الكفا او الشح في الاخلاق
للبلذل والارفاد والاغداق
يغشى الربى بحبابه المهرق
ويسيل منسجما على الوراق
تواقة يا هند للانفاق
مفتوحة الكفين للطرارق
عدل الحكيم وحكمة الرزاق
كرم الاله بفيضه الدفاق

قالت عرفتك في صباك مبذرا
ماذا ادخرت من الشباب وقد فشا
فاجبتها : يا هند حسبك انني
لم لا اجود على الفقير ببعض ما
ان اناقت جسمي الكلوم ولم بعد
اسلمت امري للاله وعطفه
ما اوجد الله الحياة لمنمة
بل للندى والاربية والقرى
فاذا رنوت الى الغمام لقيته
يسري الحقول خمائلا وازاهرا
واذا نظرت الى الطبيعة شمته
مخلصة الاكثاف وافية الجنى
تمشي على نظم الكمال يستها
خلع الجمال على الحياة بوجودها

فاتق جبور

الارجنتين



ARCHIVE

وله اي هذا المضمون انار رائعة ، وهو يقول : « ان التعبير
باللغة العربية القضي اطوع واعقق واوسع وادق من
التعبير باللهجة العامية وان اللغة كائن حي متطور، وتطورها
يجب الا يخرج بها عن طبيعتها والا اصبح التطور فوضى ،
فتطور اللغة العربية يكون باتساعها وصياغة جمالها ولا يكون
في انتقالها الى اللهجات العامية الدارجة ، هذه اللهجات
التي يجب ان ترتفع بها الى المستوى العربي الفصح ، وعلى
هذا الاساس وبهذه العقيدة حاولت ان اجرب في اللهجة
الكويتية فتناولت الاغنية الكويتية وادخلت عليها الفاظا
فصيحة مفهومة الى حد ما ، واخيلة واضحة مستعارة من
الشعر العربي الاصيل ، وبابجاز حاولت ان ادخل عنصرين
في الاغنية الكويتية : الخيال واللفظ العربي المفهوم الى
جانب تنوع الازان » .

•

لا شك في ان الكويت ، وهي مقدمة على نهضة فكرية
شاملة لتعزز باحمد العدوانى المفكر الحر والفنان العميق
والشاعر الذي يتفاعل مع بيئته الكويتية ، ويتفاعل بمحيطه
العربي ، ويستوحي القيم الانسانية الخالدة .

قدري قاضي

ومضى يحور
الى عدم
ستظل شمس الافق باسمه السن
ويظل ضوء البدر يخفق بالني
لكنما ... اعمارنا
آامنا .. آامنا
طويت لها صفحات
وتبعثرت حيوات
يا ليتنا مثل الشهور ..!
ولنا مواقت في الغياب وفي الظهور
مثل البذور ..
ونظف في فلك بدور
شهوره اثنا عشر !

وللاستاذ العدوانى آراء متحررة قيمة في قضايا الفكر،
وهو يؤمن بالانسان ويعتقد بان المبادئ والنظريات يجب
ان تسخر لخدمته لا ان يسخر الانسان لخدمتها . وفي
رايه ان حرية الادب تتعارض والادب الملتزم المحدد بقيود
النظريات والمصالح الحزبية . اما الشعر فيجب الا يقيد الا
بقيود الفن التي هي من شروط نجاحه .

وقد عمل العدوانى على رفع مستوى الاغنية الكويتية

الليل

NOTTE

كتاب حب ، وصدفه
باسم ، واوراق اشجار .
والنفس تعود
الى رؤى الماء والزهير .

*

اشجار النخل والاسل في الظلمة القرمزية
امكن استراحة للاسماك والعصافير
وزفيرك
يوففك اليوم والغرائش

*

اليومة نفتح عينيه
ونرى الليل ذا النجوم
وتطير في الظلام الخفيف المجيب
والليلاب يسقط على غصن الخوخ
وتنفضل الشجرة الفجة عن غصنها

حين اصبحت الكرمة

QUANDO LA VIGNA

انت تركت الانسان
يوم مع افكاره
كأرمانه في شهر ديسمبر

*

لقد هجر الخغل
وحمل معطفه ومطرته
وحمل معها حزنه وشقائه .
لقد اصبح العمل في الارض عبثا
حين اصبحت الكرمة لعينة .

*

انه يحمل معطفه ومطرته
ذلك الانسان الذي تركته
يهم مع افكاره

مساء

SERA

العصافير تطير فرحة
بينما يرصع القمر الافاق .
يعود بنا الفكر
الى ايام الهناء القديمة .
وحين كنا بكثير من الصرامة والاهتمام .
نواني ناملانا في الظلال

من الشعر الإيطالي

من ديوان انطرب الاخضر

Il legno verde

للشاعر انشاب انتسو فابيانى

Enzo Fabiani

ترجمة عيسى الناعوري

•

ان يتركوا بسلام من كان قريبا الى الله .
ان العالم فانوس مظلم

يتلوه في المرباح الضبابية

*

ان من كان ماعيا لا يجوز التسلط على معطفه
بل بالانامل الحارة . ويكل قلبه
يعكن جس خفقات تلك العروق المتدفقة بالدم



انتسو فابيانى

تعريف

انتسو فابيانى شاعر من الشعراء الشبان
الاطالين الذين تفتح مواهبهم الشعرية في
اغلاق الحرب العالمية الاخيرة . وقد ولد في
قرية فوشيكو على مقربة من مدينة فاوونسا
عام ١٩٢٤ ، ويعيش الآن في ميلانو حيث يعمل
محررا وناقدا ادبيا لجلة (الناس) كبرى
الجلات الاسبوعية هناك ، ويساهم في تحرير
بعض الصحف الادبية الاخرى . وهو ينجح
في شعره الى الفوضى الهرميتي ، وتقلب على
شعره الكتابة والتشاؤم . وقد صدرت له
مجموعة قصائد غنائية قصيرة بعنوان (الحطب
الاخضر) ومجموعة اخرى قصيرة تتألف من
ثلاث قصائد طويلة حمل عنوانها (النفس
المحترقة) .
والقصائد التالية مترجمة عن ديوان
(الحطب الاخضر) .

(ع . ن)

*

اعتراف

CONFESSIONE

تسالوني عن السر الخفي
في الحيوان الذي يجار دوفي القلب الجريح
وفي اندم ، وفي الماء
التي تهبط جسدي وذكريتي

*

انا الناظر اليكم لست طاهرا
انتي شمعة مظلمة ، وكتاب نال
انا المتحدث اليكم لست طاهرا
انتي غلام مجمعة ، وعقل غير كامل .

تأمل

MEDITAZIONE

السر هو السحر
والتأمل العاري
مجنون من يقول ان التماثيل والكتب
والمراكب ، وروائع الزمر الاسود
في هذه الحياة غير المتناهية ، هي مجرد اشكال .
انه معنوه - كالمصدق
الذي يعيش بغربي
وادعا ، يطوح بطولته
في مظلة لا شكل لها

*

ان فرار الادانة مهية له .
وعلى الانبياء ذوي الانوف اللامعة
والغلوب الصمغية

وكان الخوف يملأ قلوبنا .
وعند الفجر ، امام الفراغ اللامحدود ،
عدنا وحدنا دون قطع

ننداءك

IL TUO RICHIAMO

واذا ما صرخت بنا قوة :
« اخرجوا من القبر »
فلن نصفي اليك .
واعدتنا العناكب والصمت
في هذا الوجود
لقد دعوتنا من قبل
ولكنك لم ننتخبنا .
ورأيناك تبعد بالقطع
في وسط القبار .
اننا هنا في امان ،
نتحدث بذهن صاف
عن ذكريات الرفيقات
اللولائي كنت نصفي بنا اليهن
وعن المراعي التي كنت نعدها بها

اغنيتان

CANZONI

يا الهي ، كم تشبه نفسي
عصفورا ميتا
اضاعه العبياد
فاختفى بين الاضباب .
ان مخلوقك
التي كنت تسهر عليها كل ليلة
ليست سوى
جلد ارنب
لاصق بالتراب

✱

امكت بعيدا
كالفلاح
صاحب الزيتونة القلقة الاطراف
تنظر بنا نظرة سوء
كما ينظر الراعي
الى الشاة الغفيرة

✱

هكذا نفسى عما بنا من الم وعناء .

عيسى التاعوري

عمان

ابراج وعظام

TORRI E OSSA

ابراج ، قائمة في اللهن .
زيتون في الظلام . وحيوانات خرس .
الاسطيلات مفتوحة ، والعاصفة
نهال في الرياح والغيوم

✱

بعد ان باتت بالفصل كل لعبة ، واستردت
الارياج
وتعملت كل شيء ، وباركت كل شيء
انجه نحو مكان الاستراحة
كافى كانت تامل في الشمس

✱

ابراج بعيدة ، وعظام في اللهن .
لقد بعث الرداء واحتفظت بالسيف
وها انا اف في الليل باسمي
ويبر رجل بعقول الزيتون
وينفخ في وجوهنا كأننا لعائل

حينما تظهر

QUANDO APPARIRAI

انا اعلم انك حينما تظهر لي ابعيا
تكتب الرعاة
ساقطت بنفسى الى التراب
لقد سحرني وجه ورقصة
وكننت اظن ان الفتاة في شخصك .
حينما تظهر لي
كما يظهر رب البيت امام اللص
ساقطت سوطك ضاحكا .
في ذكرى الوجوه والاجساد .
وفي نفس الاجساد والارض

رعاة

PASTORI

كالربيع فوق الاراضي الرناخة
تنحني النفس
تحت ذلك الخداع المزدوج .
كانت تبشير ليل ، ليل صاف
حين تركنا القطيع للذئاب
جريا وراء الهوى .
كنا نشعر بان ناوهمات الليل تاوهانا

كانت الحصان يمشي على الارصفة
بيضا ، خفالا
وشفاهن ويصونهن
يجلوها نور القمر . وكنا عندئذ
نتامل في الظلام بكل حيور واحتمام
كالتشيوخ الحكماء

✱

اين كنت حينما كانت النار
تحرق عظامي وروحي
وكانت تنهداني تنقل المساء
والعصافير تنف على اعواد القصب
مرتعشة في الهواء ؟

في هذه الصحراء

IN QUESTO DESERTO

الباحث القاسي
يجرنا مع الرمل من الاعماق .
نحن بعضي البعض

✱

وسيقى من العالم
الكااس التي
قدمت في ليلة شتاء
والرداء الذي بيع لاجل سيف

✱

بهذا الايمان ، وفي هذه الصحراء
نعد الايام كحيات الحنطة
ونستمع بالازهار المخرقة
من الحيوان المسوق الى السليخ .

✱

لن نكون مصدر غنى لاجد
فنحن زيتونات حالت الى رماد

النار تحت الرداء

IL FUOCO SOTTO IL MANTELLO

من جديد يتخذه الانسان
وتهدم احدى الصور .
هنا نلمسين نفل نفسه
فهو يخفي النار تحت رداءه .
ها هي مراتنا وقيدنا ،
الشرارة التي سرعان ما تقيب
تحت الرداء .
ها هنا الفتيات والرفيقات ،
وهناك المهلكة
التي يفتنحها لنا العنق

امام ضابط في الجيش من اهل الصعيد عندنا .. والواقع ان الرجل ابن لضابط في جيش الهند ، وشرقي هندي صميم ، خريج السلات التي اصبحت نسي الهند خلال الدهور - من سود وآريين ومغول ..

وكان يوم التقيت به منذ عامين ، في السابعة والخمسين ، جم النشاط ، موفور الشباب ، دأب الحركة ، متدفق الحديث ، لم يفت نشاطه طيلة اسبوع المؤتمر فسي جلساته الخاصة مع الادباء والصحافيين ، ام في لجان المؤتمر والاجتماعات ، ام في الولايم والحفلات .. وفي خطابه البليغ امام الرئيس جمال عبد الناصر ، نيابة عن الوفود في الحفل الذي اقامه الرئيس لاعضاء المؤتمر بقصر عابدين .. وهو النشاط الذي عرف به في بلاده - فالى جانب كفاحه الطويل في حركة الهند التحريرية مع غاندي ونهرو وسائر القادة ، وما انتج بالانجليزية من مؤلفات نقدية ، وروايات ومجموعات قصصية .. وما نشر من شعر ومقالات بالهندية ، فهو دكتور في الفلسفة من جامعة لندن ، واستاذ يشغل كرسي تاجور للفن في جامعة البنجاب .. ورئيس تحرير مجلة « مارچ » للفنون ، وعضو باكاديمية الفنون والآداب ، ومشراف بدار نشر الدولة ..

وتسأله عما شئت من مسائل بلاده ، فيجيبك في افاضة وتركيز ، وفي لغة انجليزية بلغة بشوبها احيانا لكنه يضيع فيها بعض الحروف .. والابتسامه على وجهه ، والصرحة والتواضع في لهجته ..

حدثنا عن بعض اهتماماته .. وعن بعض مؤلفاته ورواياته .. وعن القصة الهندية الحديثة وكتابتها .. وعن الرقص والمرح الهندي .. وعن تاجور ونهرو وغاندي .. وعن المستقبل المنظر في الهند والشرق العربي .. وعن القصة العربية التي يقرأها اليوم مترجمة الى الانجليزية ، وهو معجب بكتاب « الايام » لطله حسين ، ويسعى الى التعرف بمؤلفه شخصيا .. واعلن اعجابه بثورته التجديدية وبالرئيس جمال عبد الناصر ، في الخطاب الذي القا امامه في حفل استقبال بقصر عابدين ..

وبحب ملك راج اناند شاعر بلاده الاكبر تاجور ، ووضع عنه كتابا بعنوان : « تحية الى تاجور » .. وهو في رأيه عملاق آسيا كلها لا الهند وحدها - ويفوق نهرو الادب في الطاقة الفنية ، ولكنهما يتساويان في الطاقة الانسانية والنظرة العالية واعتبار الحضارات البشرية ميراثا شاعرا بين مختلف الشعوب ، والتقانات العالمة التابعة من العقول المتحررة ملكا للجميع - طالما لا تعترف بالتمايز الجنسي واللوني ولا تحيد عن مبادئ حقوق الانسان ..

واصبح ملك راج اناند اليوم في مقدمة كتاب القصة المعاصرين في الهند ، ممن تختط بكتهم خارجا .. وهو مثل الكثيرين من اديبائها الحديثين يكتب قصصه المستلهمة من حياة مواطنيه في لغة انجليزية برع فيها وتفوق فكانت رواياته جسرا جديدا يصل بين الادب الحديث في بلاده وبينه في سائر البلاد ..



نقولا يوسف

لقاء مع ملك راج اناند

بقلم نقولا يوسف

ما زلت اذكر حديثه المتع الصريح .. ووجهه المشرق الاسمر الصبيح .. فان الابن الذي يتركه حديثه وصورته ، ولو كرهت وشخصيته - يتسرب الى القلب هيا عذيقا ، ويرسب عميقا - تماما كالآثر الذي تحينه طيفه الانساني الفاضل بالعطف والرحمة ، والبساطة والقوة معا ..

كان ذلك منذ عامين ، حين التقيت لأول مرة بالقصاص والناقد الباحث الهندي الكبير : « دكتور ملك راج اناند » - وكان جالسا في ركن من قاعة الفندق المظلل على النيل بالقاهرة يتحدث مع زميله القاصه الضمنية الرشيدة - « هان سوين » - التي سبقتها الينا على شاشة السينما روايتها : « شيء كثير الروعة » .. وقد جمع الفن والشرق بينهما في جلسة وفور ، اضفت عليهما شهرتهما العالمية في ميدان القصة ، اضاءوا اجندتني انظار الراعنين والقادين الحشد من الادباء القادمين من اطراف آسيا وافريقية ، المختلفين في الالوان والاجناس واللغات ، والمتفقين على الاهداف والنبل والغايات ..

وكان اسمه وصورته ومؤلفاته المطبوعة بالانجليزية ، قد سبقته الينا ايضا قبل ان نراه ونستمع اليه .. ومع ذلك خيل الينا حينما كان يهب للمصاحفة في ساحة شرقية ، وفي وقفة عسكرية - مع قامته الربعة ، ومنكبته العريض ، وبذلاته « الكاكي » المعلقة عند الرقبة ، ووجهه الاسمر ، وشعره الفاحم الغزير ، وعينه السوداءين الذكيين اثنا

عام ١٩١٩ وما تلاه .. فاندماج الصبي في ثيبارها ، وسار وراء غاندي ، وتعرض للجلد والسجن مع الثائرين .. وكان غاندي ونهرو وكبار زعماء الحركة التحريرية قد القوا في السجن - وسجن نهرو تسع مرات وقضى شاستري - خليفته - في السجن سبع سنوات ..

وهو يقول عن تلك الفترة : « كنت أحارب مع رافاي من أجل حياتي - حارب من أجل حقي في تقرير مصري معانيها علا كثيرة جلبها علي الجدل الحكومي بالسياس ، خلال الاحكام العسكرية في أرمستار » ..

وهو طيلة تلمذته بجامعة « بنجاب » - ينهل من ذلك التراث الضخم الذي خلفه مواطنوه القدماء من شعر وقصة وفلسفة .. ويرى في الكثير من قصصهم القديم ما يقترب من القصص الحديث في مفهوم جيلنا الحاضر - ففي ملحمتي « الرامايانا » و « المهابهاراتا » وفي اسفار « البوغيشتاد » ، وفي اساطير « جاتاكا » .. وكذلك في اقصيص « هيتوباديسا » و « بوجاناسستا » .. ومسرديات الشاعر كاليداسا في القرن الميلادي الخامس ، وفي غيرها مما اشعل خيال ادياء الهند القدماء والمحدثين - هناك تعثر على القصص ذات الخيال القوي ، والحكمة الفنية القريبة الشبه بأعمال المعاصرين ..

وثاني انائد بذلك التراث القديم في صباه كسائر ادياء الهند .. وكان قد ورث عن ابيه تقاليد البرانة الهندوكية ، وعن امه ميلها في القصص الشعبي ، واغانى الفلاحين .. وبدا ينظم الشعر - وكان الشعر باكورة كتاباته .. وكان يستعمل الريف شعره حين ينطلق اليه تشبده ذكريات طفولته .. ففي الريف الهندي صور طبيعية جميلة : واغانى الفلاحين واقصصهم .. وهناك كما يقول انائد : « يعبر الشعب الهندي عن حياته بنفسه عن طريق رقصاته واغانيه . والرقص لغتنا في التعبير عن حياتنا . ونحن نرقص عندما نمرح ، ونرقص عندما نتعبد » ..

ولما سئل لماذا بدأ حياته الادبية شاعرا يعبر عن خلجات نفسه بالشعر اجاب : « لان الشعر هو اللون الفني الاسهل الذي تتحد فيه الذات بالموضوع ولا يستطيع غير الشعر ان يعبر عن الانفعالات الباطنة الملتها التي ترتفع الى مستوى المعركة » ..

وسأله لماذا تحول بعد ذلك الى القصة فقال : « ان الشعر اشد بمجرى ملتهب ، ولكنه مجرى ذو حدود . اما القصة فاشبه بمجرى ملتهب لا حدود له ولا حواجز ، فينطلق ما شاء له الانطلاق في حرية ورحابة » ..

واشرف ملك راج انائد على العشرين ، وما زال يقرأ ادب الشعب في لغته وينظم ويكتب بالهندية .. كما كان يقرأ ما حوله من قصص التراث القديم ، وما يكتبه معاصروه الكبار - مقالات غاندي ، وجريسة « المستقبل » التي اصدرها نهرو ووالده موني لال نهرو عام ١٩١٩ للدعوة الى

وكان مما نشر له في الانجليزية من قصص طويلة : « الاجير - كولي » ، و « المنبود » ، و « القلب الكبير » و « سبعة ضيوف » ، و « ورقتان وبرعوم » ، و « القرية » و « عبر المياه السود » و « السيف والمنجل » و « المحبون » و « حيا امير هندي » ..

وله عدد من المجلدات الجامعة لقصصه القصيرة مثل مجموعة : « اتحاد الحلاتين و قصص اخرى » .. ومن اقصيصه اللطيفة : « ثمن الموزتين ، والواجب (١) » ..

واما مؤلفاته في البحث والنقد فاشهرها : « معذرة الى البطولة » ، و الكثير من آرائه الفلسفية والفنية .. (٢) وفي قصصه تجتمع خواص شريط بينها في وحدته وفي هندية الروح والطابع ، ومسرحة بلاد الهند المتنوعة النبات ، وابطالها من مختلف طبقات الشعب - وبخاصة الفقيرة منها والمنبوذة والمكائنة .. وقد شهد خلال تجاربه الفاتية من صور ضعفها وحرمانها ما دفعه الى اخراج تلك الصور المعبرة الهادفة ..

وقد ولد ملك راج انائد بمدينة بيشاور باقليم البنجاب في الهند عام ١٩٠٥ - من اب جندي في الجيش ، وام فلاحه من وسط البنجاب .. وكان جده صائفا للفضة والنحاس ..

وقضى بعض طفولته وصباه في الريف ، وعاش مع الفلاحين ، واستمع الى اغانيهم واساطيرهم .. وشاركهم افراحهم واتراحهم .. ثم راح ينتقل مع ابيه في ربوع القارة الهندية ذات السبعة مليون نسمة - مع جنود فرقته .. ويعتبر الى شعوب بلاده ، وعاداتهم ومذاهبهم ، ولغاتهم .. فكانت اشباب الانطباع التي تخترنها ذاكرته الناشئة طوال تلك الرحلات ، موردا لا ينضب معينه لبناء قصصه ، وتصور شخصياتها ، كما كانت احداث كفاح الهند كما في قصته : « سبعة ضيوف » .. وكان اعظم تلك الانطباعات التي تغفلت في نفسه ، وفاشت على قصصه : مأساة مواطنيه المنبوذين ، وبؤس الفلاحين الكادحين ، وشقاء العمال المأجورين ، وسائر الصور المختلفة من مساوئ الاستغلال ، والاستعباد ، والغرضي الاجتماعية التي تكدها وطنه العظيم - العريق في حضاراته ، وادبياته ، وفلسفته - وتركته جسدا مزمق الاوصال ، تخترمه العلل والادواء ، ما دعا الى انشقاق الحركة القومية التي جاء على اثرها الاستقلال في الخامس عشر من اغسطس ١٩٤٧ ، وتبعته ثورة التجديد والاصلاح الناشئة في الهند حتى الساعة ..

وكانت ان اختمرت في ذهنه رغبة عارمة في الإصلاح والعلاج ، ونشر مساوئ الاستعمار امام الضمير العالي ، فكان هذا السبيل من القصص الطويلة والقصيرة في تلك اللغة الانجليزية الواسعة الانتشار ..

وكان انائد صيبا في الراحمة عشرة حينما حدثت في الهند تلك الانتفاضة الوطنية الكبرى بقيادة غاندي وجنوده

الكفاح الوطني وتحسين حال الفلاحين - ومؤلفات تاجور ، وقصص « برم شاند » و « سارات شاترجي » والأخوة « بانرجي » وغيرهم من الكتاب .. ثم يقرأ ما يترجم من القصص الغربي الحديث وبخاصة روايات تولستوي التي لقيت من متقفي الهند ترحيبا كبيرا ، فثأر بها غاندي في تعاليمه ، وتاجور في قصصه ، وبرم شاند في رواياته عن الطبقات الكادحة ، وباتكم شاترجي في قصصه المليئة بالمواظف والمبادئ الخلقية ... وكذلك قرأ اناند قصص تارنجيا وغوري وتشيكوف وكانت قد انتشرت أيضا في الهند .. وكان تاجور يكتب القصة الطويلة والقصيرة والمسرحية الى جانب الشعر الذي اشتهر به في العالم ، ورأى فيه اناند قاصا يسير على نهج حديث - وكان تاجور قد قرأ تولستوي وتورجنيف كما قرأ لكبار القصصيين الفرنسيين - ولم تعد القصة لديه مجرد انشيد تسرد ، ولكنها كما يراها تولستوي تمثل التغيرات الداخلية في حياة احدى الشخصيات .. وعلى يد تاجور ظهر « البطل » في القصة الهندية في شكل واقعي تحده ابعاد ثلاثة : البداية والوسط والنهاية ..

وأما القصص الهندي برم شاند (١٨٨٠ - ١٩٢٧) فبعده ملك اناند من رواد قصص الخيال في الادب الهندي ، وكان يهدف في قصصه الى بعث الثقة في نفوس الفلاحين الذين اذلهم الحاجة . فرأت الحكومة في بعض اقصيصه البائسة والمجموعة في كتابه « سوزيفاتان » تحديا للاستعمار البريطاني من الانفطاسيين الذين يمانئون ، فحتمتها واحرقتها بالنار .. غير ان روايته « جودان » ترجمتها فيما بعد هيئة « اليونسكو » الى الانجليزية .. وكذلك بقدر ملك اناند : الاخوة القصاصين من اخفاء تاجور وهم : تارا شاتكر بانرجي ويهوتي بانرجي وماتك بانرجي .. وكذلك القاص سارات شاند شاترجي - معاصر تاجور . فان لهم قصصا انسانية بارعة تصور الطبقات الكادحة في الهند ، وتعرضن حاجاتهم واحاسيسهم ..

وكان ملك راج اناند شابا في العشرين يوم ارتحل الى انجلترا عام ١٩٢٥ ليتابع دراسته في جامعتي لندن وكمبردج .. وهناك نال درجة الدكتوراه في الفلسفة - هكذا جرت عادة الطبقة الوسطى في الهند ان ترسل ابنائها الى جامعات انجلترا ومن قبل ارسل تاجور وغاندي ونهرو الى انجلترا لدراسة القانون واصبح الزعيمان الاخيرين معاصرين بينما عاد تاجور للاستغفال بالتعليم والادب ولم يتم دراسته هناك .

وفي بلاد الانجليز قضى اناند اربعة اعوام اتقن خلالها اللغة الانجليزية - ورأى ان يكتب بها قصصه وابحاثه لتخرج الى النطاق العالمي - كما فعل تاجور وخلفاؤه من قبل - وهناك ايضا الم بالكثير من الادب الانجليزي قديمه وحديثه ، وبالأدب العالمي المترجم الى الانجليزية . ولم تفته قراءة زولا ودبكنز ودستوبوفسكي وتشيكوف .. ورأى

الفروق بين مدارس القصة ، ومذاهب الفلسفة والنقد .. وكيف تأثر القصص العالمي بالثورة الصناعية التي اجتاحت أوروبا ، وخلع عنه انوار الخطابة والوعظ ، وتحول الى التحليل النفسي للفرد والجماعة ، واهتم بتصميم الحياة الانسانية ، وبالطبقات الكادحة التي تمثل الغلبة ..

وفي اعماق نفسه كان صوت امه - الهند - التي استعبدتها الاستعمار الاجنبي طويلا بقدر ما استعبدتها التقاليد الموروثة - بدوي عاليا ويقلق راحته ويشعره بواجبه نحو هذه الام - العضو العريق في الجامعة الانسانية الكبرى ..

وانصرفت في نفس اناند المؤثرات الثلاثة : التراث الهندي القديم ، والثورة الوطنية الحديثة ، والميراث الانساني العالمي ..

وعاد ملك اناند الى وطنه عام ١٩٢٩ - وبدا يخرج تلك السلسلة من القصص والمؤلفات .. ويكشف في قصصه عن وجود المخلوقات البشرية العائشة في دروب الهند وحاراتها المظلمة ، وفي قراها ومزارعها النائية .

وتعد رواية « الاجير » - كولي - التي ظهرت اولاً عام ١٩٣٦ ثم أعيد طبعها في لندن عام ١٩٤٥ نموذجاً بارعاً لقصصه ولأسلوبه وفنه .. وهي واحدة من تلك السلسلة القصصية من الروايات الطويلة المكتوبة بأسلوب واقعي حديث ، خال من الزخارف اللفظية والعبارات التقليدية .. واستمد صورها من تجاربه ومشاهداته الذاتية .. ومشاكل بلاده خلال قيامها الطبقي .. او كما يقول القاص الناقد الانجليزي « جاك لانساي » في مؤلفها .

وان هذه القصة هي التي خلقت المؤلفات والقرون بحب عميق للحياة الانسانية - هي الطابع لمؤلفات اناند .. وعندما تربط قصصه - كما هو الواقع فعلا - بحاسة شديدة بالألوان والمشاهد والزواجر ، وبحركة الدنيا الواقعة ، كان علينا ان نتعرف باستاذيته !

وفي رواية « الاجير » هذه ، يستعرض القاص ، المجتمع الطبقي الهندي قبيل الاستقلال ويصور حياة شعب ممزق بين آسيا وأوروبا ، وذلك خلال حياة صبي فقير شريد ، اسمه « مونو » ، انتزع من الارض والبيت لتتقاذف موجات هذا المجتمع .. فما ان يتوف والده حتى يكفله خاله المولف الضعيف في مصرف ، ويعيش الصبي مع هذا الخال وزوجته ، في قرية صغيرة جبلية ، ويرسل الى كتاب القرية ليتعلم

(١) ترجم القصص (ثمن المؤلفين) الى العربية الدكتور عمر مكاي بجريدة « المساء » بالقاهرة . وترجم « الواجب » المرحوم عباس حافط بجريدة « الشعب » ١٤ - ٦ - ١٩٥٦ . وترجم الاستاذ ودع فلسطين القصصه طفل بمجلة الادب ، وحلال القرية بالامعة الهند .. ونشر الاستاذ فوزي سليمان حديثاً مع ملك راج اناند بمجلة « الكاتب » - ١٩٦٢ . (٢) لخص الاستاذ مبارك ابراهيم كتاب « هل للهند حضارة معاصرة » بمجلة « صوت الشرق » بالقاهرة - عند يونيو ١٩٦٤ - ولخصت « صوت الشرق » مقالة ملك راج اناند بعنوان : « ظهور البطل في القصة الهندية » .

دعوة على بطل

في ذكرى استشهاد البطل « عبد القادر الحسيني » الذي سقط في معركة القسطل ...

لا تعرف .. الا العدوان
ملاي حقدا للبشرية
كالشيطان !!..

اواه .. يا بطل « القسطل »
يا من مات يسوعا .. ثاني
في نيسان ..
ذودا عن شرف الاوطان
انقاصي .. انقام الدنيا
ترنيك .. حتى الافسان
وروايي « القدس » افواه
نهمس في سمع الازمان
حتما ستعود الفرسان
كالطوفان !!..
نظير ارضي بالقبيلات
لسمعتي احلى نقمات
تهديني اكليلا اخضر
مزروع فيه نجعات
اجلي نجيمات ..
كالسمكات ..

مقبل العيسى

حدة



بغمي انقام .. قد فرست
في قلبي .. قلب الانسان
انقام حري ان عزفت
تيكتي .. نيكى كل جنان
ملاي دوما بالاشجان
تزهو الليلك قد غمست
بدم الجرح .. بالاحزان
انقام بغمي قد زعرت
كالخرف .. على شفتي فنان
تنجس .. من وجداني
كالبركان
كدم الجرح .. كالاحزان

لم تدبل يوما في قلبي
تحدى اجدات النسيان
اعزفها دوما مرثية
في ذكرى موت الشجمان
في ذكرى من مات فضيحة
في ارض يسوع .. الانسان
مصلوبا .. كيسوع فان
بيد القدر .. والطغيان
بيد سفلى صهيونيه

يشنتغل فيه ، ويعاني الاجر القليل وشظف العيش ، ويثور العمال على صاحب المصنع ويحرقون مصنعه ، ويغر الغلام ليصداق في مسيره معركة بين جماعة من الهنودكيين واخرى من المسلمين ، ويجري لتصدمه سيارة تقل سيدة انجليزية ، هي زوجة ضابط بريطاني ، فتأخذه خادما في بيتها ، وليجر لها عربة « الركناء » بالرغم من ضعفه وهزاله .. وتؤدي بالصبي خاتمة المطاف الى المستشفى ليموت بالذئب - ومن حوله الغريب يولون الولايم والحياة تسير بين تقاليدها وموروثاتها ..

ومع ذلك فلا تخلو قصص ملك راج اناند من اصداء بهيجة للمحبة والعطف ومن سخريات باسمه للضعف البشري ..

فالرجل كما يبدو في مؤلفه الرائع الذي سماه : « هل للهند حضارة معاصرة ؟ » يمثل جيل الابداء الهنود المحدثين الذين يدنون بالولاء للانسانية كلها الى جانب ولائهم لوطنهم العظيم .

نقولا يوسف

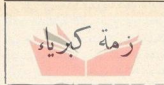
الاسكندرية

مبادئ القراءة في الصباح ويرعى الماشية بعد الظهر .. فاذا شب قليلا ارسله خاله ليشنتغل خادما عند موظف هندوكي ميسور الحال يعمل في المصرف .. يسرى في ذلك البيت ترقا لم يعهده فيهره ، ولكن زوجة الموظف تقسو عليه وتعطيه الطعام في يده لا في طبق . واخيرا يفر منها الغلام وينطلق به القطار نحو المجهول ، وفيه يلتقي بشيخ هندي مسلم لم تنجب زوجته اطفالا فيشتفق عليه ، وباخذه معه ليعمل في مصنعه الصغير الذي يشاركه فيه رجل سيء الخلق .. ولا يلبث هذا الشريك ان يسرق مال المصنع ويختفي تاركا الشيخ في حال من الانفلاس .. وينضطر « مونو » الى هجر هذا الماوى الرحيم كي يعمل نفسه .. وفي طريقه يقابل جماعة تعمل في «سرك» متجول .. ويتحدث مع مدرب الفيلة ، ويعرض عليه ان يصحبه الى « بمباي » ، ويرتي الرجل لحاله ويخفيه في عش القليل حتى يصل الى بمباي .. وهناك تتلاقفه شوارع المدينة ، ويصادف في الطريق طفلا كادت تدوسه سيارة فيشده وينقذه ، ويكافئه والد الطفل بان يلحقه في المصنع الذي

نلكات قليلا ، تعلم اطراف عبادتها ،
وتزيح خصلات شعر مغفرة بالعرق
والتراب .. ثم عاودت السير كبيرة
تخرج من بينها سفيرا .. ومن
يسراها تتدلى شبكة قدرة لا لون لها،
تكدت داخلها بضع خرق بالية
وقتيئة مملوءة الى نصفها حليا ..
الشارع يكاد يقر .. واصوات الابواب
الدكاكين التي يفلتها اصحابها تشق
السكون في فترات متقاربة .. كانها
التحجب ، تعلن انتهاء يوم آخر .. ومن
هديرها تشعير بالمر في راسها المتسرع
بهموم لا حصر لها .. والمثقل بالكدمات
.. وفكرت .. ليتنا نستطيع البكاء ..
اذا خلف ما تشعير به من ثقل
في راسها .. ولكن اني للبررات ان
تطاوعينا وقد تحجرت ماقيها !!
الظلمة قاسية .. وحرارة ظلمة تصعد
الى راسها تكاذ تفجره .. وهبت
رياح باردة ارتطمت بقسوة بجوها
المزوم ، فاعمضت عينيه بطريقة
لاشعورية تنقيها .. ثم ما لبثت ان
شعرت ببعض الانعاش على الرغم من
برودة الجو ..

وعوى كلب .. ثم خرج يركض من
احدى المعطفات متتبعا اثر الشبكة ..
باحثا فيها عن لقمة .. ففرغ الطفل
وتشتب بساقيها بطلب حماية ..
فتوقف جسدها للحظات بلنقل الصغير
من الارض بصعوبة تاوهت له .. فقد
تعب كل مفصل فيه من اثر اللكمات
.. ولما وصلت الى المعطف الاخر لاح
لها عمود نور .. ففكرت ان تسريع
هناك لبعض الوقت ..
ثقلت خطواتها ، ثم توقفت وشرعت
تنزل طفلها فصاحت متواهة : خل عن
كتفي يا اسامة انك تؤذي .. فنظر
اليها الطفل بعينين حائرتين بلهاوتين
.. وجلس على الارض فجلست الى
جانبه .. تعلمت قليلا وحركت
ذراعها ، فانزلت العباءة واستقرت
على الكف .. ثم ارفعت اصابع
يسدها اليسرى تحرك ياقة الثوب
وتكشف عن كتفي اليمين .. وبحركة
عقوبة سبق الراس الاصابع بطلع
الى حيث تكشف مسن الجسد ..

فاحسبت بوخزات المتها .. كانت
خيوط الثوب تلتصق بجسدها ..
وبدت تحت ضوء النيون الوان شفق
.. وخيط رفيع ينز دما ..
الوان شفق .. الوان شفق ..
وشعرت بوخزات الم في قلبها ..
اشد قسوة من وخزات هذه اللكمات
.. وفكرت : لو كان هنا .. آه لو كان
هو الذي اعيش الآن تحت جناحه ..
اذن لما كان صنع هذه الالوان الا على
الورق .. اجل .. لقد احبت هذه
الالوان لانه اول من عرفها بها .. لقد
كان يرسم بفرشاته الوانا .. خليطا
عجيبا من الالوان .. وكانت تنظر
وتعجب .. ولم سألته مرة عنها ، قال
لها : انها الوان شفق .. انها تذكرني
بعينيك .. عيناك فيهما الوان شفق



بقلم سهيلة داود سلمان

http://Archivebeta.Sakhr.it.com

كان يقول انه كثير ان يطلع الى
عيني .. والان .. ومنذ عشر سنوات
لم اسمع احدا يقول لي ان عينيك
جميلتان حتى لقد نسيت انني جميلة
.. منذ عشر سنوات .. اجل انها
تذكر ذلك اليوم جيدا .. كان يقف
هناك في زاوية حجرته ، ورأحة
عفنة تفوح من احدى الكوات تختلط
برائحة الزيت الذي كان يبلخ كل
شيء في الحجرة ، فاينما ادارت
عينها اصطدمت بلون .. وفجأة
تنبت الى انه يطيل التحديق في
عينها حتى ليكاد يلتهمها .. فصاحت
فيه وقلبا يشتد خفقانا : لماذا تحديق
في هكذا .. انك تخيفني .. وعندها



زادت نظراته عمقا وهو يقول بصوت
يكاد لا يسمع : ان النظر اليك لا يشبع
.. آه لو اطبقت اجفاني عليك ..
اجل كنت تخافه حين ينظر اليها ..
تشعر كما لو انها تفوس في بحر لا
قرار له .. وتذكر انها اجابته يومها
وهي مزاحة خجلة : الآن ادركت لسم
اجفانك دائمة الاحمرار .. لعلك
اعتدت اطباقها على فتيات كسريات
قبلي !!

وافتر نغرها عن ابتسامة عريضة
.. لقد غاصت حتى الاعماق في
ذكريات حبيبة .. حتى انها تحسنت
وجوده كاملا امامها .. ولم تدرك انها
في ذكريات تحسب الا حين احسنت
بالمر في وجنتيها المتفتحين سببه
انسياطات الابتسام ... وبكى اسامة ،
فتشتت عن قنيئة الحليب .. ومسحت
حلمتها القدرة بطرف ثوبها ، ثم دسها
في فمه .. فوضع الطفل راسه على
نخلها ... وتابعت : لقد كانت اجفاني
محتقنة دائما .. الان تدرك لماذا ..
حين سألته مرة قال لها ان خليط
الالوان يؤثر على عينيه ولكنه كان لا
يفهم .. او لعله كان يكذب .. فهذا
سببه الجوع والحرمان .. انه بكاد
لا يأكل شيئا هذا هو السبب الذي
اتعب عينيه لا خليط الالوان .. آه
كم كان يقاسي .. ليتني استطعت ان
اشبع حرمانه .. ان اجوع ليشبع ..
ان اسهر الدهر لينام .. ولكن هو
الذي كان يمني بذلك .. فقد قضى
سنتين يفتش عن عمل وكان يرهقه
ان يعود خائبا .. وحين سألته عما
ثم يقول لها وهو يفتصب ابتسامة
يجهد ليجعلها تبدو متفائلة : سوف
اجد العمل وحين اجده .. ستكونين
معي .. وسوف لن نفترق ابدا ..
سكون معا لاننا سنزوجه .. وفي
نفس اليوم عتدلا لا اريد منك سوى
ان توفر لي طعاما دائما لدى عودتي
وقت الظهيرة فمئذ مدة طويلة وانا
لم اتشبه شيئا سوى وجبة ساخنة
.. اما انت .. فسأعرق جسدك
بحرارة مختلفة الوانها .. ومع كل
ثوب سارسم لك صورة تختلف عن

الاخرى .. ايرضيك هذا ؟! ايرضيك
 ام تريدن المزيد ؟.. قولي .. قولي
 ماذا تريدن .. ماذا تشهيت ..!
 انا تشهيت الطعام الساخن .. فماذا
 تشهيت انت ؟! ويركع الى جانبها
 يستعطفها متوسلا كالاطفال ان تحبب
 .. سنتان وهو ينتظر العمل ..
 سنتان والعمل يهرب منه .. سنتان
 كانت كانية لان يبصق فيها آخر
 قطرة دم بقيت في رثيته .. الشوران
 الاخيران منها قضاها يحلم بالدواء
 .. قال لها مرة وهو يتلقى الماوالعمال
 يتسابق مع الكلمات الخارجة من بين
 شفثيه واهية لاهثة : اريد دوايووقف
 السعال ولو لساعة فقط استطيع فيها
 ان استمع اليك بهدوء واستمتع
 بالنظر الى عينيك .. وقال لها مرة
 اخرى وكان في حالة ياس وقد
 تفرقت الدموع في عينيها الفاترين
 في محجرهما : .. هل تعلمين يا امانة
 .. ان في اماكن كثيرة من هذه الارض
 .. هناك حيث للانسان كرامة في
 بلده .. يعطى الدواء مجانا للمريض ؟
 لذا فاك لا تجدن هناك من يثق
 كالحويان .. بل قلما تجدن من يموث
 من المرض .. انهم يموتون من
 الشيخوخة .. ويموتون بحداث ..
 اما ان يبصق رثيته فهذا ليس له
 وجود .. فحيث وجد دواء يباع وجد
 المرض ..

لقد عاش عمره القصير وهو يقاي
 الجوع والحرمان .. فانكس ذلك في
 ميله الى ان يضع الوانا شتى على
 الورق .. فكانت التسلية الوحيدة
 التي يستطيع فيها اشباع رغبانه ..
 وان يستطيع ان يحققها .. لذا فانه
 كان يأكل القليل .. القليل ليوفر
 الباقي لانبوبة زيت يغص فيها
 فرشانه .. واذا ما جمع الثمن ..
 هرع ماشيا مسافات طويلة حتى يصل
 الى ستوديو الحكيم القابع في بطن
 شارع الرشيد .. فيمد يده بالتقود
 صابا اياها فثابت قليلة يد البائع
 بانتصار وانتامة ذات معنى تغطي
 ملامحه وهو ينتقي اللون الذي يريد
 .. كم لمن صاحب الحكيم هذا لانه

لم يختار له مكانا اقرب اليه .. في
 باب المظلم مثلا .. اذا لوفر عليه لهاث
 ساعة اخرى يقضيها في الاياب الى
 حيث يسكن .. في مرآب صغير
 ربط ملتصق باحدى البنايات الكبيرة
 في شارع الحريري .. حيث كان
 يستعمل كمخزن للحطب في الشتاء
 قبل ان يؤجرها ... كان هذا قبل
 عشر سنوات .. ومنذ عشر سنوات
 فقدت العين التي تحميها .. وتنهت
 تنهدات متقطعة .. ونظرت حولها ..
 فاذا هي في العراء واذا (اسامة)
 يغط في نومه على الاديم .. وقينية
 الحليب تكاد تسقط من فيه ..
 وفكرت : سوف تذهب كالعادة عند
 زوجة ابيها .. فهي الشيء الوحيد
 الباقي الذي يربطها بالماضي على قسوته
 .. على اي حال فسوف تجد عندها
 الاذن الصافية التي تفرغ فيها بعض
 الهم عن صدرها ، فشكرها وتشكر
 تلك بدورها خالها وحال اشباع خمسة
 اقواه بتامى .. انتجهم الوالد بعد
 السنين التي قضى يومها طموحا وكئي
 حيوان وفكرهم للتصاق .. والكبر
 قدرة بلجاون اليها متى ما حل الظلام
 .. انها حين تجلس اما نورا
 الصوت والصدى ..

وحركت يدها تلملم حاجياتها ..
 فشعرت بالحم خاد وبحرقه في اسفل
 الرقبة فامتسدت اصابعها لتحس
 موضع الالم .. كأنها تهدده ..
 فامتست لربعة ونظرت فرأت شيئا
 يلتمع تحت ضوء النيون .. وفكرت :
 القدر .. ان قطرة من دمي لهي ائمن
 من وجوده ، لو كان له وجود ..
 وفكرت راحتها ببعضها ثم امرتها
 فوق فخذها .. ثم ما لبثت ان تمست
 بعمق .. وشعرت ببعض الراحة ،
 وكان مبنا ازيل عن كاهلها .. حين
 من خاطر في ذهنها وفكرت : على اي
 حال فان التصاق خيوط الثوب بلحمي
 لهو اقل قسوة من التصاق جثته
 العفنة بلحمي .. ودماي تنز .. خير
 من ان اتقيأ امعاني فوق فوهة بالوعة

تنثت بعد كل ليلة اغتصاب ..
 واصلت السير .. فوق كتفها
 الامن لحم طري دافئ .. وفي
 يسراها تندلي الشبكي التي لا لون لها
 .. وفكرت : سوف اطرق الباب ..
 وسوف تخرج راسها من الكوة ..
 وسوف تقف .. ثم تفصح لي طريقا
 وهي تفرك عينيها كالعادة دون ان
 تسأل شيئا .. فقد اعتادت ان تراني
 سواء اكانت الليالي حارة .. ام باردة
 .. دقة .. ام قارسة !..

بعد يومين وهي تشر الغسيل امام
 الدار .. راته يقبل من بعيد ..
 يتدحرج لاهتا .. يتسابق كرشه مع
 خطوات ساقيه .. وفكرت : نف ..
 خيفة تنثت .. وادارت ظهرها لتجتاز
 الباب .. ثم فجأة تذكرت شيئا ..
 فعادت وتطلعت .. انه حسن ..
 ابنها البكر .. ومن خلفه اخوه
 الاصغر .. ها هما يقتربان منها ..
 زمة كبرياء على شفثي الكبير .. ونظرة
 استعطاف في شبكي الصغير .. انها
 مشدودة اليهم دون اختيارها ..
 هؤلاء الصبيان الثلاثة .. كم قصوا
 ظهرها !..

وتقرب منها ، ينفع اشداقه ..
 فتتمنت لو ان موسى خادة تبقر هذه
 البطن وتلدق امعائها الشرهة ..
 وفكرت : يميني .. يسلم جلدتي ..
 يغفر كرامتي .. ثم ياتي ليقول :
 عودي .. هكذا .. عودي .. حتى
 دون قبلة كاذبة لقد تكرر هذا .. لا
 .. لن اعود .. لن اذهب معه ثانية ..
 القدر .. قدوة حسنة لاولاده ..
 لن اعود لاني سانتحر .. سابعدا
 لهذه الروح الشقية .. وتوقف
 تفكيرها للحظات .. وتبلة حسبا ..
 ثم عادت : ان امات نفسها فسوف
 تتوارى جثة تحت التراب .. كما
 توارت امها من قبل .. وزوجة عمها
 .. وجارتها .. وكلهن .. كلهن سواء
 .. مهما اختلفن .. جميلات ام
 قبيحات .. دافئات ام باردات ..
 كلهن خلقن هكذا ، للوان !.. وفجأة

بائع العرقسوس

الف الاذى وضراوة الفقر
ومضى وراء الرزق مندفعاً
تلقاه ميتسماً ومن عجب
ما زل من وقتر له قدم
شقناه باسمتان ما عصفت
الف الاذى والنفس ما الفت

جثمت على الكتفين قريته
ورات على كتفيه بغيتها
وكانما ذر الدجى قتما
او انها اتشحت مؤزرة
علقت بأسيار لتمعنها
اسيارها الا لام عالقصة

طاساته يديه هازجة
بغمت باهراج وما فغرت
ومضت مزغرودة ومن عجب
سليت شعاع الشمس ريقه
وتجلببت بالنور ادرعة
او انها ليمنه اكر

جرع يداد بها مشعشعة
عبرت بالخراف لها وزك
تشفى جوى ولظى مؤججة
انسى لارنى حفظ بانعها
يروى حرايات الصدى حدبا
والدهاء لا ينفك لاجعه

من نشوة عرضت ومن بشر
ثغرا وما افتقرت الى ثغر
الوت واورت دون ما تدري
وبهائه باشعة صفر
شفافة كاللوكب الدرى
وضلة من مثل الفجر

كوميض برقي في دجى يسرى
جرعناها كخرافة الخمر
بالري آونة وبالعطر
من عيشه المشبوب بالمر
ايامه بالمبلغ التندر
ينداح فى مد وفي جزر

عدنان مردم بك

دمشق

كبرياء على شفتي الكبير ..
نحوها تبتسم .. احتضنت الصغير ..
وطبعت قبلة على شفتي الكبير ..
ثم شمخت براسها .. وزمت شفيتها
كما يفعل حسن .. والقت نظرة راء
كبيرة على الشيء الضخم القابع الى
جانبا ينتظر ... واجتازت عتبة
البيت .

سهيلة داود سلمان

بغداد

ساعد .. ولاجل اطفالي ساحيا معه
تحت سقف واحد .. لكنه لن يكون
شيئا بالنسبة لي .. وكما ساحيا
مليئة بالكبرياء .. فسوف يموت كل
يوم ميتة .. فوجودي سيكشف له
عن ضحالة مستنقعة .. وسيغرق
كل يوم في اعماق ابحاري ...!
وتطلعت الى ولديها .. نظرة
استعطاف في عيني الصغير .. وزمة

مر خاطر في نفسها .. فتحسبت
الامها : لا .. لا .. لا .. انه ما اهاني
ايدا .. لقد اهان نفسه انه يعساني
ضعفا .. والا لما ضربني .. لو كانت
عيناه تدنئني لما ضربني .. لو كانت
اصابعه تجيد العزف على اوتاري ..
لما ضربني .. لو كانت اجفانه قادرة
على ان تطبق علي لما ضربني .. انه
يعاني ولهذا يفعل ... ساعد ..

سيرة دكتور جونسون

بقلم جيمس بوزويل

ترجمة مبارك ابراهيم

هو صمويل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤) المعروف باسم دكتور جونسون . اللغوي الانجليزي وصاحب المعجم المشهور . والملقب بلقب « الحاكم بامر في الادب » .. و « جيمس بوزويل » هو كاتب من كتاب اليوميات . وهو مؤلف سيرة دكتور جونسون . وقد خلد كل منهما صاحبه . فمن قال دكتور جونسون خطر بباله جيمس بوزويل . ومن خطر بباله بوزويل تذكر - بحكم التداخي - دكتور جونسون ..

ونحن ملمون في هذا المقال بهذه السيرة المامة نرجو ان يكون فيها منفع للقارئ المتعجل . وان تكون مبعثا للشوق عند طالب الاستزادة .

تم التعارف بين « بوزويل » وصاحبه عام ١٧٦٣ وظل « بوزويل » واحدا وعشرين عاما الصديق المخلص . والوفاي الحميم للرجل الحكيم العالم . وكان يفسر في نفسه ان يكتب سيرة صاحبه . وكان جونسون على علم بما كان يظفروه « بوزويل » .. وقد اخذ « بوزويل » على نفسه موثقا ان يكون في تصويره لصاحبه صادقا كل الصدق حتى انما يقول انه قال : لن اخلق من (النمر) الذي سوف اصوره (قطعا) لكي يرضى عني الراضون ..

وكان الخصاص من اصحاب (جونسون) غير راضين عن قيام التحالف بينه وبين « بوزويل » وتساءل احدهم فقال: من هذا الوغد الايقوسي الذي يرتمي على قدمي جونسون؟ فاجابه جولدسميث : انه ليس وغدا .. ولكنه قدم غبي ليس غير ..!

وقد وصف « بوزويل » بصراحته المعهودة اول لقاء تم بينه وبين جونسون فقال -

واخيرا تم اللقاء .. يوم جاء « جونسون » الى متجر (مستر دافيز) . وقد عرفته من صورة كان قد رسمها له (سير جوشوا وينولدز) بعد صدور معجمه .. وذكر « مستر دافيز » له اسمي . وقدمني اليه فتولاني الاضطراب . وتذكرت سوء رايه في بني قومي الايقوسيين فقلت لمستر دافيز : لا تقل له من اين جئت انا .. فاجابني - في تخافت - : لن اقول له الا انك قد جئت من اسكتلنده ..! فلم ار انا بسدا من ان اقول : يا مستر جونسون : لقد جئت انا حقا من اسكتلنده . ولكن ليس لي في هذا الامر حيلة ! ولم اكن اريد بقولي هذا العظ من

قدر بلدي . ولكنني اردت ان امزح . تهدة واسترضاء .. ولكنني لم اظفر بما كنت ارجو فقد بخناق هذا التعبير بما اوتي من قوة البديهة وسرعة الخاطر وقال : هذا القول - كما يتبين لي دائما - يا سيدي هو ما تقوله الكثرة الكاثرة من بني قومك . فهم لا يفتأون يلوكون - في غير ملل - عبارة : ليس لنا في هذا الامر حيلة ..!

وبعد فان الناس قد اصطالحوا على تسميته الفترة التي تتوسط القرن الثامن عشر بعصر « جونسون » ولم يكن الدافع لهذه التسمية ان « جونسون » كان اعظم رجال الادب في زمانه . بل كان الدافع هو ما اوتي هذا الرجل من شخصية قوية وسلطان لا حد له ..

وقد اطلق عليه « لورد شسترفيلد » لقب طاغية الادب وقال انه استحق هذا اللقب ببراعته في الحديث اكثر من براعته في الادب فقد كان حديثه يتميز بالفطنة والحصافة وبقوة الادراك وفرط المعرفة . ولقد كان نصيبه في هذه البراعات من اوقى الانصبة .. ولقد طمأنا كان يخطيء . ولكنه ما كان في يوم من الايام خوارا ضعيفا ..

انه كان يتحدث وهدفه ان يحرز الغلبة والتصر .. وكان اذا اجهز على واحد من اعدائه واتم قتله . تاهب لاحاق الهزيمة بأخر . وكان اذا فضح ضلالة من الضلالات وكشف عنها الغطاء اعد نفسه ليلحق بها اخوات لها ..

وقد حسب « جونسون » ان « لورد شسترفيلد » قد حط من قدره بعبارة تلك . ومن ثم قام العراك بينهما . فذلك العراك الذي يصفه « بوزويل » فيما يلي :

قبل ان اسلي نشوب العراك ان اللورد قد استبقى « جونسون » في غرفة الانتظار وقتنا اطول مما يجب . ولم يكن جيمس جونسون الا رجلا من المعمورين .. ولكن هذه الحكاية لم تكن تمت الى الحقيقة بسبب .. انما نشب العراك لان اللورد قد مرد على اعماله لجونسون ذلك لانه لما اوشك المعجم على الظهور - وكان اللورد يمني نفسه بان « جونسون » سوف يتقدم باهدائه اليه - حاول اللورد ان يسترضي المؤلف فكتب مقالين في صحيفة « الولد » اشاد فيها بقدر المعجم .. ومما يجب تقريره ان المقالين قد كانتا ينطويان على آيات من الشناء قد احسن اختيارها . كما اجبت صياغتها . حتى لقد كان جائزا - لو لم يكن جونسون قد اساء اليه من قبل - ان ينتهج لهذا الشناء الانتهاج كله . فالمدح كان يلده ويدخل السرور على نفسه دائما .. وفوق ذلك فان المدح اذا جاء من رجل له مقامه الاجتماعي المرموق . وله براعات المعترف بها فان رضى النفس لدى المدح يكون اوقى واوفر ..

وقد جاء في كلام اللورد : اني لارى ان الجمهور بصفة عامة وان افراد جمهورية الادب بصفة خاصة ممتنون كل الامتنان لمستر « جونسون » ذلك لانه قد شمر عن ساعد الجد وانجز مثل هذا العمل العظيم الذين هم في اشد الحاجة اليه ..

ومن المسلم به ان الكمال لا يرجى من الانسان .. ولكن

بها الزمان حتى أصبحت لا اعني بها . بل حتى أصبحت غير قادر على الاستمتاع بحلاوتها .. انهاء جاءت بعد ان أصبحت علما مشهورا . وبعد ان بت في غير حاجة اليها . ولما كنت قد قمت باعباء عملي الى ابعد حد دون معونة من عالم متفضل فإن احس بخيبة الامل . ذلك لاني قد افقت منذ زمن طويل من اضعاف رؤيا الامل !..

وفي الفقرة التالية من خاتمة السيرة بعدنا « بوزويل » بلعمة عن « جونسون » وطريقة عيشه يقول :

ان طريقة عيشه طوال ايام معرفتي به كانت تتم بالرتابة الى حد ما . فقد كنت ازوره حوالى الظهر من كل يوم . وكثيرا ما كنت القاه لا يزال في فراشه او عاكفا على قديم من الشاي وهو الشراب الذي كان يكثر من تناوله ..

وكان من عادته ان يستقبل زوار الصباح . وهم - في الغالب - من الادياب . واحيانا كان يزيتهم سرب من السيدات المثققات .. واتى لاذكر بصفة خاصة احداهن . وهي سيدة فرنسية . ذكية . مهتمة ..

وكان « جونسون » يبدو لي وكأنه ممن يتنزل عليهم الوحي . وان من حق كل احد ان يزوره وأن يسأله الراي والمشورة . ولا شك ان زواره كانوا يلقون في الالتقاء به احسن المكافاة وخير الجزاء ..

و « جونسون » كان يقضي ساعات الصباح في التحدث والخطابة ثم يقدو الى حانة من الحانات فيتناول غداءه . ويبقى هناك الى وقت متأخر ثم يتناول الشاي عند واحد من اصحابه . ويظل عنده وقتا طويلا . ولكنه قلما يتناول غداءه هناك ..

ولم يخلل الى ان كان لا يقرأ ولا يكتب الا في ساعات الليل . ذلك لاني لا اذكر انه ابى يوما من الايام ان يذهب في صحبتي الى إحدى الحانات ..

و « جونسون » طالما كان يعطى كل ما في جيبه من نقود فضية للقراء الذين كانوا يبعثون له على الطريق فيما بين بينه والحانة التي يتناول فيها غداءه ..

وكان يقضي ساعات طويلة وهو يدرك ارض الشوارع والطرقات .. وكان يقول انه لم يسرقه السراق ابدا ذلك لان النصوص كانوا يعرفون انه لا يملك الا قليلا من المال . ولانه ما كانت تبدو عليه مظاهر الثراء ...

وكان جونسون ترتعد فرائسه اذا تذكر الموت او تذكر ما بعد الموت !..

وكان يقول : اي رجل قد اوتي راحة العقل لا ترتعد فرائسه اذا خطر بباله في صورة جديدة انه سوف يغادر كل ما عرف في حياته وانه سوف يقدو الى حالة من حالات الوجود لا يعرف عنها شيئا ؟

ولكن خوفه هذا كان منشؤه الاستغراق في التأمل كما تان مبعثه التفكير الفلسفي والديني .. اما شجاعته فكانت شجاعة طبيعية ..

ان جونسون كان يخشى الموت ولكنه ما كان يخشى شيئا سواه . بل ما كان يخشى حتى ما يؤدي الى الموت ..

اذا جاز لنا ان نتخذ مقياسا للحكم ما سبق نشره من مؤلفات « جونسون » فانه يحق لنا ان نؤمن بأن هذا المعجم سوف يكون اقرب الى ناحية الكمال بقدر ما في قدرة انسان ان يفعل . وآية ذلك ما نشره جونسون من قبل من مضمون هذا المعجم . ولذلك فانا اوصي كل من يتتوي شراء المعجم ان يتصفح ما سبق نشره منه ..

وهذه الوصية اللطيفة المبهدة قد فشلت في اداء ما قصد اليه بها . فقد ظن جونسون ان الامر كله لم يعد ان يكون كلاما فارغا وقولا مكدوبا ..

وقد هزيء جونسون بالكلمات المعسولة . بل لقد ابدى حنقه وسخطه على ان اللورد قد خطر بباله ان يكون في مقدوره ان يخدعه بهذه الخدمة ..

ويقول « بوزويل » : « وقد شرح لي « جونسون » هذه القضية فقال : ان اللورد بعد ان اشداد بذكرتي مرارا ظل يتجاهلني اعواما طويلة . فلما اوشك المعجم ان يخرج الى الوجود اخذ اللورد يكتب كلاما ملتوبا بنفسه عبارات معسولة مهذبة .. وقد شئت انا ان اريه اني لم اعبأ بما قال او كتب . وان ما بيني وبينه قد انقضى .. وفيما يلي عبارات من الخطاب الذي بعث به جونسون الى اللورد :

سيدي اللورد ،

لقد انبأني اخيرا صاحب جريدة « الورد » ان مقالين فيهما ثناء على معجمي قد جرى بهما قلمك . وانتهل شريف لي ان اتال هذا التميز . ذلك لاني لم اعود الا قليلا ان اتلقى امارات التكريم من العظماء . ولكل لاني كنت اعرف كيف اتلقى هذا التكريم . ولا كيف ابدى امتناني ..

ويوم لقيت منك بعض التشجيع - يوم زرتك لاول مرة - ملك علي امري سحر حديثك . شائي في ذلك شأن بني الدنيا جميعا .. وقد مرت سنوات سبع على تلك الايام التي كنت اقصيها في غرف الانتظار في بيتك . او كنت احد فيها عن بابك ..

ولقد ظلت طوال تلك الليالي اتحمم الاشواك واتخطى العقاب والاصحاب .. وقد بلغت آخر الامر مرحلة النشر دون ان القى عونا من احد . او اتلقى كلمة من كلمات التشجيع . او استمتع بانسامة تنفجر عنها شفتا اخ محب ..

وانا ما كنت اتوقع شيئا من هذه الرعاية ذلك لاني لم اظفر .. من قبل برعاية جام من الحماة ..

ان الراعي عند الشاعر « فيرجيل » قد تعرف آخر الامر الى الحب فالغاه من سكان الجلامد . وقطان الصخور .. وبعد فلا يعد حاميا من الحماة يا سيدي « اللورد » ذلك الذي بغض الطرف عن رجل يكافح وتتقاذفه الامواج حتى اذا بلغ الشاطئ اندق عليه هذا الحامي صنوف المعونة والوان السدد ..

ان اللغة التي تفضلت بتوجيهها الى عملي كانت تكون مستحبة لو كانت قد جاءت في اوانها . ولكنها قد تأخر

هـرب

خلف هذا البحر اطوي املتي
لون عينها الجميل المخفلي
كل شيء كالفرا بالمثل
لهف القلب حكايًا غزل
يطلع الاقمار في مستقبلتي

يجوى بقلي لقي في مرجلي
لقوى الشعر التريك المهمل
في الغلات ... لشمل الامل
تنهال لاختطاف القبل
في دجى هذا الطريق الوحل

منجل العقد طريء السنبيل
برغم للحب لم يكتميل
دعما في هديها السنبيل
لقرباب الشاعر المراحل
غائم في جفنها المكتحل
واقنع القلب لعب اجمل
وضوح الامسل المسترسل
يشهى دفه صدر الرجل
حجبها رائعات الخصل
مثله الاجيال لم تستعمل

الولي تالها في السبيل
هاربا من نالها ناسيا
نالها في فورة الجرح على
بتسامي ربة صفت لها
تاركا للنار حبا خالدا

سوف امضي في دروبى افئذي
ذابحا حيي لصوت هامسي
لشدًا برعمسة مخبوءة
ومسيًا لزغاليلى التي
وصداقات كاضواء لنا

ايها الفاضل لا تذبح على
ودع الياس ففي غرستنا
ونهمل اتيت لا تقوى على
ان فيتوس ستيكي اسفا
ونعيش العمر رؤيا ندم
فالفسر اللذب ايا شاعرها
اتيت في الارض ربيع دالم
رهي اثى ذات راسي تمصيب
فاحتفنتها وللمس جبهة
اتما للحب فيشار على

فؤاد الخشن

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ليس الى حد الغرارة والفلة .. ومن مميزاته وآيات تفوقه
على غيره من العلماء انه كان يستمتع بما يمكن ان يسمى
بفن التفكير او بفن استعماله كمفله . وبقوة فائقة لا تنفذ
يستطيع بها ان يستخلص المادة النافعة من كل ما يعرف
وان يحسن عرضها في صورة قوية واضحة ..
اما ميادته الخلقية فقد كانت ذات صبغة عملية ذلك لانه
كان يستخلصها من معرفة صحيحة بالطبيعة الانسانية ..
والمبادئ التي كان يوصي بالاستمسك بها كانت تحمل
في طياتها وسائل الانعاز ذلك لانها كانت تقوم على دعائم
من حسن التمييز وقوة الادراك . وذلك ايضا لانها كانت
وليدة استقراء دقيق لاطوار الحياة الحقة ..
اما عقله فقد كان حافلا بالصور . حتى لقد كان يصح
ان يكون شاعرا في جميع حالاته .. اما في حديثه فقد
عود نفسه الدقة في التعبير حتى في احاديثه العادية .
وكان يتأنق في انتقاء كلماته . وكان يجاهر بحديثه ولا
يخافت به .. وكان يعتمد ان ينطق بكلماته في رفق .
وعلى مهل ...

مبارك ابراهيم

القاهرة

ويختتم « يوزويل » سيرة جونسون بوصف خصائص
الرجل فيقول :
ان روحه لم تعرف الخنوع ابدا . ويؤثر عنه انه قال وهو
على فراش موته : - اتي سوف اقبل وسوف اصاب
بالهزيمة . ولكني لن اسلم ابدا ..
ويقول يوزويل : - كان جونسون رجلا قوي البنية .
وثيق التركيب . عظيم الخلق . وكنت اذا نظرت اليه
فكانك تنظر الى تمثال قديم ..
اما قوة الابصار عنده فقد كان لا يبصر الا بعين واحدة .
اما مزاجه فكان مزاجا سوداويا كثيبا .. وكان اذا مشى
فكانه كان يرسف في القيود . وكان اذا امتطى صهوة جواده
عجز عن توجيه الحصان الوجهة التي يريد بها فكان يبدو
للرائي عندهل وكأنه في منطاد من المناطيد ..
وهو بهذا التكوين الذي وصفت وبذلك العادات التي
اعتادها في الحياة فان بلوغه الخامسة والسبعين يعد دليلا
على قوة حيوية مورثة . صانت هذا البناء من التهدم .
وابقت على هذا الهيكل من الدمار ..
وكان « جونسون » يعيل الى تصديق الخرافات ولكن



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

المحاضر في كلية الآداب بالجامعة الأردنية

اناشيد للفناء

كان صباحا ..

لو تلفت اثنيته في ما خلفته ورأيت ما أصباح ، لأجهدي طول التفاني قبل أن اصل اليه ، لفرط ما بعد المدى بيني وبينه . وكنا جلوسا في واحدة من جسرات المدرسة التجريبية في السلط ، ودخل علينا فتى تغلب عليه لكثة إنشاء التبعية من جبل عامل في لبنان . وإباننا أنه شاعر ، فما زلنا نحاوره وتداوله ، حتى اتشدنا من شعره بعد أن رفعت بيننا وبينه الحجب ، وشملنا من عطفه الإيوي ما حبه الينا وقرينا منه .

ودار الزمن في فلكه ، فإذا هو يصدر ديوان (الحومانيات) وإذا فيه الكثير من وحي الطبيعة الفاتنة (في (وادي السلط)، وما يحيط به من هضاب خضر ، وسفوح ظليلة .

وينقضي من الزمن بعد ذلك حين ، فإذا بي القاه في مدينة القدس ، وأهرع الى لقائه ، وكنت فيها مقيما آنذاك، واحتفل بعودته من العالم الجديد ، وادعو اليه نخبة من الفئة الواعية من أبناء بيت المقدس في (روز ماري) ، ويحدثنا عن قصة حواء الفاتنة ، التي لقيها في رحلته ، ويكشف لنا عما أحدثته في قلبه من جراحات ، وذلك بشعر فياض بالشعور ، ما أبعد الفرق بينه وبين (الحومانيات) . ويعود بعد ذلك بسنوات الى القدس ، فأسعى الى لقائه

بؤلاء التلميذ واعجاب المتأدب ، واجمع صفوة من رجال الفكر والقلم في (البيكادلي) ، فإذا هو يتشدنا هذه المرة صورا من شعره السياسي ، يتحدث فيها عما كان قائما آنذاك في القطرين العربيين سوريا والعراق ، ويدهش من استمعوا اليه في تلك الاسمية ، ببراعة انتشاره ، وروعة تصويده ، وسلاسة الفاظه ، وحسن الاختيار في قوافيه .. واتقطعت بعد ذلك اخباره عني ، وإن لم تنقطع آثاره التي وجدت الكثير منها في : (كربلاء) و (النجف الاشرف) و (بغداد) و (بيروت) و (دمشق) ..

وظللت اقرا له ، وأعجب بكل ما اقرا ، حتى وإفاني منذ أيام نيا موته ، فأحزنتي ذلك ، وأثار في نفسي لواعج ، وايقظ في اعماق الفؤاد حنيننا من الماضي ، وذكرني بتهاية الطاف ، واليوم الموعود ، الذي لا بد أن يلقي فيه إنشاء الحياة عصار رحلتهم الجاهدة ، ويخلصون مما علق بهم من عناء طريقهم الطويل ..

اجل . لقد مات الرجل ، بعد أن خلف للآدب العربي آثارا سوف تعيش طويلا ، وتقرأها الاجيال المتلاحقة ، لأنها جديرة بأن تقرأ ، ولأن من يتدقون الآدب على حقيقته ، سوف يجدون فيها زادا قيما ، يحلق بهم الى معارج بعيدة سامية ، وينقلهم الى آفاق من الانسانية المتعالية عن الضغائر والثرهات . وسوف يجدون فيها اناشيد ، تملئ بها الأنواء فناء ، وتطرب لها الاسماع والقلوب ..

ذلك هو استاذي (محمد علي الحوماني) ، الشاعر الآديب الباحث الرحالة ، الذي مضى في ركب الخالدين ..

ترصين .. فيما ارتضى !!

ما أكثر ما تشاهده في هذه الحياة من صور ، وما أكثر ما تشاهده في هذه الصور من خروج على المألوف ، لا يطمئن اليه المنطق ، ولذا فإن من يلاحظون ذلك ، يبادرون الى نقد هذا الموعج الذي وقعت عليه ابصارهم ، وهم يشعرون أنهم بذلك يؤدون واجبا ، لا بد لهم من ادائه . وفي حدود ما سلف ، رأيتني يوما امام واحد من هذه المشاهد أقول :

ابصرته بعشي .. على رسمه لا (هذيبي) تبيد .. ولا (خيزلي) يكاد مما قاص من كبره ينشق .. او يدني له معضلا جاءه بيتي .. لو بيتته العتيقة مبكرا .. أولا .. ولو تطاولت الى انكس .. لغلته في شاطئ مرسلا ..

*

فقلت للنفس .. وما جاعرت فيما اتجابه .. ولن تغل ! ترغين في ناسي فيما ارتضى !! فجابوت مغسبة : ويك .. !!

لصاحبنا .. سمير شيخاني

قال لي صاحبي ، ونحن في طريقنا الى (الانوماتيك) القائم وسط بيروت : هل سمعت بهذا الاسم .. « كتاب الانس » !!

قلت : لا . لم اسمع به ، لن هذا الكتاب ؟ ومن مؤلفه ؟ ومن اي عصر هو بين عصورنا الغابرة ؟

الذي استعصى على الفاتحين من زحوف الصحراء ، والذي استجاب للصرخ يوما حينما جاءه من ملك بيزنطة ، فهب رجاله كالأسود الكواصر ، وداسوا بخيولهم المظلمة بلاد الشام من السهل الى الجبل ، وكسروا شوكة الخليفة معاوية .. وعادوا من هناك بالغنائم والسبايا والأسرى ، واتقدوا كل ذات سوار من نبات الأروم ، لتعود مكرمة مصانة الى ملك بيزنطة ..!!

وعجبت ما شاء الله ان اعجب ، كيف وقعت أحداث هذه الملحمة في نجوة من التاريخ ، فلم يتنبه اليها ، ولم يدونها بين صفحاته ، لا باقلام المؤرخين العرب ، ولا غير العرب ..!!

ورابتني آقف في نهاية هذه الامسية ، ليقدمني الشاعر رياض الملوغ الى اخيه شفيق صاحب ديوان (عبقر) و (سنابل راعوث) . والى سعيد عقل .

وافتممتها فرصة ، فقلت للاستاذ شفيق الملوغ : « ليت وأذلك المؤرخ الباحث الاستاذ عيسى الملوغ لا يزال على قيد الحياة ، فكنا نحتمك اليه في هذه الملحمة ، التي اشدها الاستاذ شكر الله الجرح ، ليدلنا على مكانها بين مصادر التاريخ ، ونعلم منه : ان كان قد هاجم اللبنانيون العرب بلاد الشام حقا في عهد الخليفة معاوية ، فاسروا فيها وسروا وفتحوا انتصارا لملك بيزنطة !!... » .

فقلت ذلك والحاضر يسمع ، فلم اسمع منه ما يقوم جوابا على هذا السؤال ، واتي لعلى يقين انه لن يتصل من هذه الملحمة ، وقد سمعها معي كثيرون في ذلك المساء .. وقد رأيت - استكمالا للمعرفة - ان التمس رأي الاساتذة الاجلاء : علي ناصر الدين ، وعبد الله اللاطلي ، ويوسف بزيك ، والذكور نقولا زيادة .. وكلهم فارس هذا الميدان . فعمل عندهم ما غاب عني علمه ، فيكون فيه تبصير لي ولن كان مثلي ، او تصوير للاستاذ شكر الله الجرح ، ولن سأنده في رايه واطمان الى ما يقول ..

ان الموضوع يتعلق بتاريخ لبنان خاصة والتاريخ العربي عامة ، ولا يتعلق بشيء عدا ذلك ، وان حقيقة التاريخ امانة ، لا يكتمها من احاط بها علما ، او عنده اليها سبيل ..

محمد سليم رشدان

عمان

وضحك صاحبي ، فظننته يتهمني بالغرير ان يغوتني علم ما علم ، وتغيب عني معرفة كتاب « الانس » ، فعدت الى الذاكرة استعرض ما فيها من اسماء . انه قريب الشبه من كتاب « الاسحار والاحاديث » في تسميته ، اتراه لا يبي حيان التوحيدي اذن ؟! وكذات اكشف له عما وصلت اليه من تخمين ، لولا انه سبقني الى القول :

انه كتاب اخرجته المطبعة في الامس القريب ، وهو لصاحبا (سمير شيخاني) ، فالي ابن ابدعت في تقديرك ؟ اترك ظننته لاحد المؤلفين القدامى !!

انه الكتاب الخامس والعشرون للمؤلف ، ومن اجل ذلك تداعي اصداقناؤه الى تكريمه ، فاقاموا له دعوة في فندق (فينيسيا) اشترك بها معارفه من الادباء ورجال القلم ، ولا بد ان تكون نسختك في طريقها اليك في الاردن ، مسا دمت لم تطلع عليه بعد ..

وشوقني حديث صاحبي الى ان ابادر الى حيازة الكتاب في بيروت ، فاذا هو جهد ادبي قيم ، جمع فيه صاحبه براعة الاستسهاد الى دقة الاستنتاج وصواب المقارنة ، مضافا الى ذلك الاسلوب الرشيق ، الذي يتكئ بكلا مرفقيه ، على تراننا العربي الزاخر بكل طريف مدهش ..

وخرجت من الكتاب ، بعد ان طال ما استوقفتني قيته من حكمة وموعظة ، خرجت منه الى ان اقول : ان مثل هذا الجهد القيم جدير بان يكرمه الادباء ورجال القلم ليس في بيروت وحدها ..

فمرحبا بكتاب « الانس » في مكتبتنا العربية .. وحياء الله مؤلفه ، الذي بلغ بويله اللفظي ، تبلغ بذلك وهو قتي ، مراتب الشيوخ ..

الملحمة اللبنانية

كانت امسية في زحلة ، وما اجمل الاماسي هناك بين احضان الطبيعة الضاحكة ، وجمالها الفاتن الخلاب . ودعينا في هذه الامسية الى ندوة شعرية ، نقيمها الرابطة الادبية الزحلية . وحضر هذه الندوة نخبة من رجال الشعر والادب ، على راسهم الشاعر المهجري شفيق الملوغ ، واخوه الشاعر رياض الملوغ ، وكذلك الشاعر سعيد عقل . وصعد المنصة الاستاذ رياض الملوغ ، وقدم الى المستمعين شاعرا مهجريا عاد الى الوطن حديثا ، اسمه (الاستاذ شكر الله الجرح) ، وراينا فيه رجلا نحيل العود ، معروف المحيا ، تخطى مراحل الشباب من عهد ليس قريبا ، وبدا ينشد اشعاره ، وكانت صورا سجل فيها كفاح المهاجرين اصدق تسجيل ، ولحننا فيها ما يتحملونه في مهاجرهم من قسوة الحرمان ، ولوعة الحنين ..

واستمر يعرض مشاهد بصوته العميق ، ونبراته المؤثرة ، حتى استغرق ذلك ، الفترة المحدودة للمحاضرة ، وهم بان يختم حديثه ويجلس ، لولا اقترح عليه مقترح بان ينشد ماحمته اللبنانية ، وبدا ينشدها ..

وكانت ملحمة فعلا ، تحدث فيها عن امجاد لبنان الاسم ،

فلى

مجموعة شعرية

ناصر بوحيمه

منشورات دار الكاتب العربي بيروت

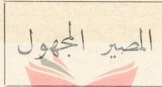
عندما وقفت على مبتدأ الطريق .
وحقيبة الملبس في يدي .. كنت
استأهل في سري : هل أتابع السير ،
أم أمضي هذه الليلة في المدينة ..
الوقت قبيل مساء .. وعشة من
البرد تهب أعصابي .. سحب كثيرة
تصارع في الفضاء .. أنها تنذر
بعاصفة مطيرة . وتلفت حولي فلم أر
أي حائوت مغنوح ، فكلمها مغلقة ،
وأصاحبها من خلف النوافذ الزجاجية
ينظرون بفصول إلى كل عابر سبيل
يمر امامهم .. يترقبون سيارات
الركوب التي تجيء وتروح ما بين حلب
ودمشق انهم أشبه شيء بالصياد ،
الذي ينتظر فريسته الساعات الطوال
لينقض عليها .. دقائق معدودات
وينقضون غبار الكسل ، ليعلموا عن
بضاعتهم من جديد ..

هذا ينادي « الشاي ساخن يا
بردان » وذلك يصيح من بعيد
« السنديوش يا جوعان » وما أن يعاود
السيارة مكانها .. حتى تهدأ العلية
ويخيم السكون . لقد فقدت الأمل
في الطيبة التي وعدني بها زملائي قبل
أن أغادر القرية . وكبير الظن أنهم لم
يتوقعوا مجيئي في مثل هذا اليوم
المثلج .

وسرحت نظري في تلك الطريق
الممتدة التي لم يبق من معالمها إلا
النذر اليسير .. ثمة مواطن حافر
لاحدى دواب الركوب لا تزال ظاهرة
مما يدل على أنها لم يفض عليها زمن
طويل .. لكنني لم استطع معرفة
اتجاهها .. كان كل شيء يقع نظري
عليه مكللاً بالبياض ، حتى أغصان
الشجر العارية وأسطحه المنازل .
وهذه حانة أبي ناصيف المنعزلة عن
ذلك الشريط من حوائط الباعة تتعمم
بالبياض .. أنها مغلقة الإزواب
والنوافذ ساكنة عن الحركة ما عدا
كوة المدفأة البارزة من أعلى البناء ،
يتصاعد منها دخان كثيف يدل على
احتراق البترول البطيء . وتأقت
نفسي إلى شرب كأس من الشاي
الساخن ، لكنني خفت أن يأسرني
الدفع فيشتتني عن غزيمي .. يجب

أن أكون على رأس عملي صباحا ..
أنها تجربتي الأولى . في الحياة ،
وستكون الحد الفاصل بين النجاح
والفشل .. يجب أن أعكس النظرة
المتشائمة التي ليست عقولهم ..
صاحب السيارة الفارغة والبناء
الساخن .. رجعي .. عائل على
المجتمع .

لقد قرعت سمعتي أمثال هذه
الكلمات أكثر من مرة ، وتحاشيت
الرد عليهم أكثر ، وأصبح من المحتم
علي أن أعمل شيئاً لافك ذلك الحصار
الذي ضرب حولي ، فعددت العزم أن
أقطع المسافة .. أنها لا تتجاوز
الخمسة كيلومترات مسير ساعة من



بقلم أحمد محمد عبداللّه
الزمن لا أكثر .. حملت الحقيرة
وبقيت في انتظارها ..

قصداني تفوصان بالثلج ..
بالطريق اللعينة .. متى سيقومون
بإصلاحها .. لقد ضحكوا كثيراً حينما
علموا أنني أصبحت معلماً في الريف .
واسف خالد حينما علم بالخبر .
خالد رفيق الدراسة وابن القرية يحزن
عندما أصبحت أشاركه الحياة ؟ لماذا؟
اليس هو الذي جعلني أعشق الريف
قبل أن أراه ، فتركت دراستي
الجامعية لأجله .. ربما كان يظن أنني
لا أستطع العيش في القرية .. هذه
رسالته الأخيرة لا تزال في جيبي ..
إذا كان قد نسي ذلك أيوم الذي
تقبل فيه الإهانة من أجلي فلن أنساه ..



أنني اعترف بأنه أول إنسان جعلني
أنظر إلى الحياة من نافذة يمكنني أن
أرى منها ما لا يراه أبي وأمثاله ..
كان يتسم بمراودة وهو يتبع الصدمة،
حينما ابتعد عنه أبي وسلم يرش
بمصافحته ، لانه رث الثياب ريفي ..
لقد أدركت الآن ما كان يرمي من وراء
الرموز التي كان يرسمها على كراسه
.. كنت أشك في ذوقه أحياناً ، عندما
كان يطاول بكوخ الطين أعلى الابنية في
المدينة ، وحينما يجعل عربة الخيل
تفوز بقصب السبق على السيارة .
وشعرت أن قدمي قد ثقلت من كثرة
ما علق بهما من الطين ، فلم أعد أقوى
على السير ، ووجدت أن المسافة التي
قطعتها لا تتجاوز الكيلومتر الواحد ،
وقد بدا العرق يتصبب من جبيني ،
على الرغم من برود الجو .. الطريق
لا تزال طويلة ، وبدأت مخاوف حلول
الظلام تدب في أطرافي دبيب النمل،
فتندحر امامها جحافل الشجاعة ،
وراح شعاع الأمل الذي يرأودني
يخبو رويداً رويداً كدبالة المصباح أوثك
زيتي على النفاذ واضحت تراءى لي
وؤوس الصخور البارزة ، من خلال
التواج كأنها وحوش تحوط بي ..
تنتشر حلول الظلام لتفكك جسمي
وفجأة سمعت صوتاً يقطع جدار
الصمت الذي ضرب حولي ، فالتفت
قلي خوفاً وازداد وجيبه بسرعة
مدعشة ، ثم عاد إلى هدوئه عندما
اقترب مني صاحب الصوت . أنه
حامد جارنا في المدرسة .. كان قد
بعث به زملائي الاساتذة حسب الوعد
لقد اعتدري لي عن سبب غيابه في قضاء
بعض الحوائج قبل أن أصل المدينة ،
ولولا أصحاب الحوانيت لما علم
بمجيئي . شعرت بطعم السعادة بعد
ذلك الغناء وارتاحت نفسي لحديث
حامد على بساطته وعفوته .

كان يحذني عن تقلبات الأنواء بعد
أن ركبته وراءه على ظهر البغلة -
فبأي بدلائل وإشارات لطيفة وساذجة
تكاد تكون قريبة من الحقائق العلمية.
لكن فترة السعادة لم تطل حيث هبت
علينا ريح شديدة البرودة . وبدأت

السحب تسفح على وجهينا رذاذا ناعما ، فتوقفت الدابة عن المسير ، وراحت تضرب الأرض بيدها فتنتثر علينا قطع الثلج الموححة من حافرها وتزور عن الحجف الحمر التي اذاب المطر الثلج عنها . بينما كانت رجلا حامد تعمل في جنبها وكذا ليجملها على المسير وأنا ارتعش من البرد وراؤه . مد يده الى عيائه الصوفية ونشرها فوقنا كالخيمة ، ثم كلمني ضاحكا : لا تجزع يا استاذ . سنصل قريبا للدفة بجانب المدفأة . وفقه بصوت مرتفع . يجب عليكم يا ابناء المدن ان تلمسوا ولو قليلا مما نعاناه في الريف اننا نؤمن لكم القذاذ الكساء ونتحمل الجوع والعري وانتم ؟ ولم يكمل جملته ، سقط كلامه في نفسي . واردت ان اغتصب بعض كلمات الشكر . لكنه غير الحديث بلقاء ، كي لا يجعلني اسير الحرج والمثاء وراح يحدثنني عن اسباب الزواج المبكر في القرى - بعد ان علم اني لا ازال غريبا - وعن المصائب التي يبدلها الرجل حتى يحصل على شريكة حياته . لست ادري كيف خرجت الكلمة من فمي ، عندما قلت له : ان المرأة عندكم كالسلعة تباع وتشتري لقد اسأت اليه . لكنه قابل الاساءة بصدر رحب فاجاب : صحيح ان مهر المرأة عندنا مرتفع ، لكنها في الحقيقة شريكة حياة لا عارضة ازياء كما تقولون . انها كنز امانة في البيت ، لا تعرف البذخ والتبذير . تقنع بكفاف العيش من قنec عاش يا استاذ اليس كذلك ؟ واستمر في حديثه دون ان ينتظر الجواب قائلا .

لكن لي برك اليسيت قرنتنا جميلة .. انظر ها نحن قد وصلنا الآن - ورفع العباءة عن راسي - وما هو رايك فيها بعد ان تبار بالكهراه ، وتفتح بها الشوارع ، وتزاح هذه الانتقاص من حولها كما وعدتنا الحكومة بذلك ؟ هل هناك اجمل من سماء القرية ؟ ألم تكن تخرج يا استاذ في الليل ، وتنظر الى القمر وهو ينشر نوره الفضي على هذه الحقول اللامعة

قبل ان يغمرها الشتاء بسيلوله المنهورة . نحن نحب الشتاء كثيرا يا استاذ . لانه مصدر الخير والعباء والروح المحركة للحياة في الريف . ونظروا لنقيق الضفادع وصباح الصراصر كما تطربون لانغام الموسيقى واصوات المغنين . وتوقف عن الحديث عندما وقفت بنا الدابة امام منزله . استاذنته ان يسمح لي بالذهاب الى بيتي ، فاعلظ الايمان انني لن اغادر بيته حتى الصباح ، ونادى بعالي صوته ابنه محمود ، فرسخت لارادته وعندما دخل احدى غرفتين متجاورتين كان يقف محمود وبجانبه فتاة فارغة الطول ، لم اناكد من مرها . عندما توارت خلف الباب جلس ، وقد احس الظلام يخيم على فناء الدار ، وعندما كنت ارتمي النامدة بعد ان خلعت بذلتي في الغرفة المجاورة . سمعت ابا محمود ينادي بفتاة : اسرع يا بضعال النار يا فاطمة ، بينما ذهب محمود بالدابة الى الاسطبل وبقي هو لتهيئة البيت قبل دخولي . فرأش ولبي ، وبسألكان خلف ظهري ، ودفء يملأ المكان . تلمعت رجلي ، باسترخاء لاتي وحدت للدفة فلما جديت كما قال لي حامد في الطريق ، بعد التعب والبرد اللذين تعرضت لهما ، بينما كانت عينايت تخلص النظر الى فاطمة وهي بجانب الموقد تضرم النار . كانت تهرب من نظرائي عندما تتلاقى اعيننا ببعضها ، واهيائنا تتعثر في مشيتها وهي تحضر اطباق الطعام . انها اول مرة احس فيها دقات قلبي بسرعة وأنا انظر الى فتاة ، واول مرة اجد نفسي مرتبكا في تناول الطعام . كنت عاجزا عن المقاومة راکما يخشوع استجدي نظرة تائبة من عينيها العسلتين والتمس املا طفلا في رقة ابتسامتها . اتلجلج امام سحر البراءة الذي تمثل في مهيها ، ولم كنت انعنس ان تفك القيد عن شعرها الذهبي . لقد انساخت تلك الليلة من حياتي وكأنها العمر كله ، لم اذق فيها طعم الكرى .. كنت اتقلب في الفراش تحت سيطا

الهاجس ، وجهدت نفسي ان احوش ما هرب من عيوني فلم افلح .. دوامة من القلق تلف كيائي ، حتى اصبحت كدبابسة علقق رجلها في خيوط العنكبوت ، كلما حاولت التخلص منه يشتد وثاقها . كنت افكر .. لماذا لا تكون فاطمة شريكة حياتي .. انها الوحيدة التي يمكن ان اركن اليها بنفسي وروحي . ولتذهب ابنة عمي (فيفي) وامها الى الجحيم .. اريد ان اعيش حرا طليقا ، لقد شقت ذرعا بالتقاليد الطبقية اني امقتها .. امقت ابنة عمي وامها وايي .. امقت جميعا . طعامهم وشرابهم .. سهراتهم .. حتى التحية كلها تقليدية . انهم مجرد آلات تلعب بها العادات والتقاليد ، كما يلعب الاطفال بالدمى .. انني اكره هذه الحياة المقيدة . اكره الانحاء .. اكره الفوارق الطبقية .. انني احب الطبيعة .. احب البراءة .. انها فاطمة فلست اول من يهوى لاول نظرة .

كل هذه الافكار كانت تلعب بمخيالتي كما تلعب الريح باوراق الخريف . وشعرت بتبار هوائي بارد يدخل من شق الباب .. لا بد وان يكون هناك انسان خلفه ، فتلمعت في فراشي اغتصب السعال .

الا تزال مستيقظا يا استاذ جهادة انه حامد يقدم لي تحية الصباح . اراد ان ينهني ان دوام المدرسة قد اقترب . الساعة تقارب الساعة . وعلى مائدة الافطار كانت الافكار تتقاذفني ، لا ادري كيف افاتحه بالووضوع ، وهو يحدثنني عن المشاق التي يتكبدونها في سبيل الوصول الى لقمة العيش ، بينما كنت متصرفا عنه بافكارتي ، لا افقه شيئا مما يقول . اتجمع حول نفسي واضغط على اعصابي .. اتحين فرصة مناسبة اتقدم فيها بطلب يد فاطمة .

فاخذت جرعة من كاس الشاي ثم جمعت عزيمتي ، ورحت احصوي الكلمات التي اريد قولها . توقف حامد عن حديثه حينما

يا هلاوة الغفر

غلواء لا نضحكي من دعائي الهامي !
الا عليه اهازيجي واحسانني
وكم سكرت وكم اسكرت اوهامي
الا رايتك نخالين قدامي
طيري ، فصقلت الدنيا لانفاسي
وطاف يشغل احبابي واخصامي
فقد جبريل بين الشهب اقدامي
ويا محجة آمالني والامسي
ريسا تشارك في تقصير ايامي
ان لم يوفّر مجانيه لكسرام ؟
فسي غلطة من الذي واتى ونمام
ضيقا توسد جرحي قلينا السدام
فلمساي نغم بقباهها على ظلام
وكدت اكاهيا من شوقي الطامي
الذي ويسخر من خوفي واحجامي
فاطف ، وسبح باحساني وانعامي
لولا عتاب ثنائي بعد اقدام
في جرح الشوك لا في الترجس النامي
يا ليتني لم ازل في ليل اوهامي
فلن انسوه هذا الحب بالذام
فكيف امسحه اضفأت احلام ؟
فهل يهين جناحي سهمك الرامي ؟
فكيف تطرح في الاوجال النامي ؟
وان تصامد عدالتي ولوامي
الا بيق الهادي خلقتك السامي ١..

وانهار ما كن من تقصير واربامي
يمحو براقته في الحب اجرامي
وظهرت دمعته التكفير انامي

لولاك ما خفت في الشهب اعلامي
شعري ، وتغني الفراحني واسلامي
وما تعجلت من كيد وارغام
ما دام هذا الحيا نبع الهامي

ذكي قنصل

لم يبق غيرك يتسوع لانهامي
روحي فدى نورك المصول ما رفعت
لكم ترشفت في الاوهام خمره
الله يشهد ما وثقت قافية
جنحت باسمك انعامي وقلت لها
وزنت باسمك شعري فازدعي طربا
وجنت باسمك باب الوحي اطرقه
غلواء يا ملتقى وجدي وعاطفتي
لا تركبني لطماتنا الى شغسة
ما قيمة الكرم ، ما جنواه ، ما بده
هل تذكرين علي « الفردوس » سهرتنا
طربنا اليه وكان الوجد لاثنا
يلفنا الليل في اعطاف برده
اخذت كفك في كفي اقبلها
وانشقت الارض عن ابليس يهسي في
يقول هذي مجاتي الحسن داتية
واوشك الشاعر القديس يتبعه
يا شاعر الروح اخي ان تكون يدي
خبيثت قلتي فهل تحبني ثابسة
احببت روحك لم يعلق بها وضر
احببت شعرك ايماننا وعاطفة
وقلت اهوالك يا غلواء بليسة
وقلت اهوالك يا غلواء زينة
يا شاعر الروح مالي تلك مصطنع
لكن خلقي من الزلات بمصطنع

اخفيت وجهي وذابت موجتي خلا
ورن صونك كالتسبيح في ادبي
فاسترجع القلب ما غيبت من اصل

يا حلوة الثغر يسيني بضكته
لم يبق غيرك في دنياي اتشده
كزمني لعينيك ما لايت من عنث
هيهات تعلم في عيني نصحية

الارجنين

وتجلب السائل الساخن من بين
اصابعي ، ثم غاصت الكلمات في حلقي
يا الهي هل انا في حلم .. كلمة قلتها
قبل ان انهض لانتعال حدائي .

مبروك يا عم حامد .. مبروك
وادرت ظهري لاستقبال مصيري
المجهول .

احمد محمد المبدالله

دمشق

وكانتي قد ازحت حملا لا يقل عن
عبء الطريق التي مشيتها امس .
وسالته .

— ما هي المناسبة ؟ .

— اجابني والابتسامة على شفتيه .
عقبال عندك يا استاذ ، نريد عقد
قران فاطمة على ابن عمها سعيد .

— ناطمة .. وارتعشت يدي ،

استقرت اللقمة في فمه .. فبادرته .
— عم حامد .. هناك شيء اريد
ان احدثك فيه لكنني خجل .

— خجل !! لا يا استاذ .. لقد
اصبح بيننا خبز وملح .. الا تعرف
عادانا ؟ تفضل قل ما تريد .

لكن قبل ان انسى .. انني اريد ان
تشرفنا مساء . هذا اليوم (شعرت

مدرسه الى ادب فرنسوا موريالك

بقلم جورج سالم



في الحديث عن ادب موريالك لجراة كبرى ، از كيف السبيل الى الاحاطة بهذا العالم الروائي الواسع ، العامر بالإشخاص ، المليء بالصراع ، الحافل بالتناقضات الذي يشرع العبيد من المشكلات الانسانية والدينية والفكرية ، هذا العالم الذي اقام موريالك نصف قرن يشيده رواية بعد رواية ، وشخصية اثر شخصية كما يشيد الباني بناية متسججة الأرجاء تامة التكوين ، دقيقة الصنع والبناء فلا شك في ان هذا العمل يبدو صعبا ، ويكاد يكون مستحيلا ، وحسبي ان اشير في هذه الدراسة الى الخطوط الاساسية البارزة ، والمعاليم الكبرى الهامة في هذا البناء الشامخ وان تكون هذه الصفحات مدخلا متواضعا لقراءة ادب فرنسوا موريالك العظيم .

ولعل اول ما يلفت انتباهنا في دراسة هذا العالم ، انه يقوم كله في منطقة واحدة لا يكاد يبرحها ، هذه المنطقة هي مدينة بوردو والارياض التي تحيط بها . ففي هذه المدينة وضواحيها تجري أحداث الروايات التي كتبها موريالك جميعا ، ومرد ذلك الى ان موريالك قد ولد في هذه المدينة وفيها سلخ فترة طويلة من حياته ، مما منحها له معرفة دقيقة غاية الدقة ، ولقد كتب بهذا الصدد ، قال : « ان مصري يتركز في هذه المدينة وضواحيها » . ويضيف قائلا : « ان المنازل في بوردو وشوارعها هي التي تؤلف أحداث حياتي ، فحين يخفف القطار من سرعته ، فوق جسر الفارون ، والمخ في الفسق ، الذي الواسع الذي يتراجع ويلتحم بانحناءة النهر ، ابحث هناك في المكان المعلم ببيت النافوس ، او باحدى الكنائس ، عن سعادة او غناء او خبطة او حلم (١) » . ويعتقد موريالك ان معرفته بهذه البلدة والمنطقة التي حولها تتيح له ان ينقل خطأ ابطاله في كثير من اليسر والسهولة . فهو ، في مفهومه هذا المكان ، كاتب واقعي يتخذ الارض نقطة انطلاق له ، وفوق هذه الارض التي يعرفها حق المعرفة يدبر رحي ماسيه وحوادث رواياته . وهو يقول في شرح ذلك : « لست استطيع ان اتخيل رواية ما دون ان يكون المنزل الذي ستجري فيه الحوادث حاضرا في ذهني ، يجب ان اعرف المنطقة المجاورة له معرفة عميقة لا سطحية . وهكذا فما من ماساة تستطيع ان تحيا في ذهني ان انا لم اضعها في الامكنة التي عشت فيها ردحا طويلا من الزمن ، ينبغي ان اتابع تنقلات ابطالي من غرفة الى غرفة ، وقد يحدث ان يكون وجههم غير

واضح بالنسبة الي ، وربما لا اميز جيدا خيالاتهم ولكنني استنشق رائحة الجحرات التي يجتازونها ، واعرف كل ما يستنشقون وما ينتهي الى اسماعهم في اية ساعة من ساعات النهار او الليل .

هذه الضرورة قادني الى رتبة مكانية سيطرت على رواياتي جميعا . انها تلزمني ان استعين بكل المنازل والحدائق التي عرفتھا او عشت بين أرجائها منذ طفولتي ، ولكن املاك اهل وقارتي ربما لا تفني بالفرس ، فاراني مضطرا الى ان اغزو منازل الجيران ، وكثيرا ما رايتني ادبر رحي اقصى الفواجع في عقر منزل من تلك المنازل الريفية التي طامأ اكرم اصحابها وفادتي وقدموا الي ما لد وطاب من المأكول والمشرب (٢) .. »

ولقد كان موريالك متخلصا في تحقيق نظريته هذه ، از ادار معظم رواياته في هذه البيئة التي يعرفها ويحبها ، فرواية تيريز ديكيو تجري أحداثها في هذه المنطقة وكذلك رواية والدة ، وعقدة الافاعي وصحراء الحب ، ودروب البحر ، والصبي القدر ، ونهر النار ، وكاليافي ، والحمل وغيرها .

فاذا انتقلنا الى دراسة الاشخاص الذين صورهم موريالك في ادبه وجدنا انهم يكادون يتمنون جميعا الى الطبقة البورجوازية التي ينتمي اليها موريالك نفسه . فهو يعني بتصوير هذه الطبقة بكل ما فيها من عواطف وميول ومتناقضات . ويعرض مفاهيمها وآماسها وضلعها وترديها . وهذه الصورة التي عرضها للطبقة التي انحدر منها ، ليست بالصورة المشرقة الجميلة ، بل انها صورة قائمة سوداء مزرقة ، وكان حديثه عنها « اشبه شيء بلحن حزين يرفق القلة الاجتماعية التي تربط بها روابط الدم والارض (٣) » ولقد صور موريالك عددا من المفاهيم التي تتبناها هذه الطبقة ، ولعل من ابرز هذه المفاهيم قضية المكانة الاجتماعية والحفاظ عليها ، وحسب المال والتعلق به والرياء في ممارسة شعائر الدين والعلائق الاجتماعية .

فقضية المكانة الاجتماعية تشغل حيزا كبيرا من اهتمام ابطال موريالك ، وتحدد سلوكهم وتولي عليهم تصرفاتهم وتفسرها . والشواهد على ذلك كثيرة متناثرة في تصانيف رواياته . وبحسبنا ان نقف وقفة قصيرة حول قصته المسماة « المكانة الاجتماعية (٤) » التي يبلغ فيها ذروة فنه في تصوير هذه العقلية البورجوازية ، فبطل القصة اوغست دوبوي Auguste Duprouy وهو الفقير المدم الذي يعيش على نفقة ابن خالته ، يعمد الى نقل جثمان اخته الى مقبرة الاسرة ، فيستاجر لذلك سيارة خاصة ، رغم ادقاعه ، وما يكلف هذا النقل من باهظ التكاليف ، وذلك حفاظا على مكانة الاسرة الاجتماعية ، واوغست في تصرفه هذا لا يخرج على مفاهيم اسرته كلها ، فقد احتفلت الاسرة

محاضرة الثيت في النادي الكاثوليكي بحلب في موسمه الثقافي لهذا العام .

آخر قوله : « لقد تزوجت تيريز من برنار لانه كان شقيق صدقتها الخميعة من جهة ، ولانه كان يملك ايضا اقلي هكتار من الاراضي المزروعة باشجار الصنوبر ، وكان حب التملك في دهما . » ولكن ، هل يستطيع الحب ان يقاوم المال ويتغلب عليه ؟ كان روبير كوستادو (R. Costado) يضمن ان يظل مخلصا لخطيبته التي انهار ابوها وانحر ، ولكن امه ترفض هذا الزواج وتعمل جاهدة على الفائه ، تقول مثلا : « انا قضية مبدأ تسيطر على شيء ، فنحن ندافع عن الاوث (٨) » . ولم تلبث غريزة حفظ المال ان تغلبت على الحب . وهذه امرأة عجوز ، جوليا دوبورنه (Julia Dubernet) في رواية كاليباي ، اصببت بداء السرطان تؤثر ان تموت في سرعة كما توفر للاسرة نفقات عملية جراحية . كم من مشاكل تدور حول اسرة المحتضرين في روايات مورياك حول المال والارث والاراضي ! ان رواية « عقدة الانامي » لتتركز عقدها على ثروة المحامي الشيخ الذي يتنازع اولاده عليها ويحتهد ويسعى لحرقهم منها . بل ان أبطال مورياك اذ يتفوق المال انما يفعلون ذلك لكسب اكبر ، واية ذلك تصرفات بريجيت بيسان (B. Pisan) بظلة رواية « الفرنسية » فهي اذا كانت تنفق المال احتساب الخير والرحمة ، فما ذاك الا لتظهر للرب قيمتها ولكي يسجل لديه هذه الاعمال الصالحة في صفحة الحسابات ! وهذا المال ذاته يتبع لاسوا الرجال ان يتزوجوا من افضل الفتيات ، وحول هذا الموضوع المر ، كتب مورياك روايته المعروفة « قبله الارض » التي حملت اليه الشهرة الواسعة في مطلع حياته الادبية ، فقبل هذه الرواية جان بلوير (J. Pelotey) في كتابه « الناس كرهه يفض ، خجل ، لا قيمة له ، ولكن بريرة » التي تتناول له ان يتزوج من الفتاة الجميلة الفاتنة نومي دارتيلي (N. D'Artailh) فمهما كان هذا الزواج رديا فان المرء لا يستطيع ان يرفض الزواج منه بل ان هذا الزواج او هذه الصفقة ، كانت مصدر حسد لاسرة الفتاة كلها ، وكانت الفتاة اما فكرت في رفض هذا الزواج واظهار تخوفها منه اجابها ذووها : « بان الرجل ليس بحاجة الى ان يكون جميلا ، وان الزواج ينتج الحب كما تنتج شجرة الخوخ ثمار الخوخ ... وكان يكفي لاقناعها ان يكرروا هذه البديهة المعروفة : « ان الانسان لا يرفض ابن بلوير ، ان الانسان لا يرفض ابن بلوير ، لا يرفض المزارع والحقول وقطعان الخراف ، والاواني الفضية النفيسة ، والبيض الموروث عن اجداد عشرة والموضوع بعناية فني خزائن عالية معطرة - مصاهرة افضل ما في المنطقة ، ان الانسان لا يرفض ابن بلوير (٩) » . وكان الشاب نفسه لا يصدق سعدته فكان يقول : « ساخفها » . وها هما قد تزوجا . كانت الفتاة الغدراء تقيس بنظرها هذه الدودة التي تكون مصيرها . « ويصف مورياك اقتران هديس الكائنات وصفا مخيفا اليها فيقول :

« كان على جان بلوير ان يكافح طويلا ضد جموده هو اولاً ، ثم ضد فتاة ميتة ، وعند الفجر اعلنت تنهدة ضعيفة

بالخادمة ، وهي على ما هسي عليه من الفقر ، لان من الضروري ان تكون للاسرة خادمة ، كما حالت دون زواج احدي فتياتها من ابن اخ كاهن المنطقة لانه منحدر من اسرة دون اسرة دوبروي ، فهو ابن موظف فسي البريد ، ومجرد محاسب لدى احد تجار الحبوب ، ولتبقى الفتاة عانساً وتلجج وتزود شيئاً شيئاً . « كان لها نحو الاطفال نوع من الجوع الجسدي ، واخيرا انفجر مرها : فاضطروا الى قطع احد ثدييها ثم الى قطع الاخر » وفي القصة نفسها عرض لوضع اوغست دوبروي الذي قضى عليه تمسك الاسرة بمكانتها الاجتماعية ان يظل عزبا حتى موته . فما اكثر ما اقيمت المراقيل دون زواجه من فتاة كانت تحبه ولكنها لا تنتمي الى الطبقة الراقية ، ولان زواجه كان يعني ان تنازل الاسرة عن بعض علام الرقي كان تتخلى للزوجين عن غرفة الضيوف التي كانت الاسرة تنبأه بها امام الناس . اما اذا تزوج الشاب فلن يكون لها من بعد غرفة فارغة . فلنزل لا يتسع لاسرتين ، لذا فستقل قيمتهن الاجتماعية . « ونتج من ذلك كله المضايقات المستمرة والتصرفات المسرحية التي قام بها ذوو اوغست من تهديدات ودموع ومشاكل منزلية ولفظ اجتماعي وسائل مزودة يتحدث فيها مرسلوها عن سلوك الخطيئة الشائن ، واغلب الظن ان الامر هي التي اعتدتها وكلفت من يرسلها اليها . وانتهى الامر بالثاب الى ان يفسخ خطوبته (٥) .

واذا كانت المكانة الاجتماعية هذه القيمة عند أبطال مورياك ، فان المال يلعب دورا اعظم في جوانبهم . وانما نرى ، في وضوح ، تعلق أبطال روايات مورياك بالمال تعلقا شديدا عنيقا ، فهو يشكك اهاب اجسامهم وتعلق عقاقمهم . فاولئك الرجال والنساء الذين عمل اسلافهم المزارعين خلال عصور طويلة في حرث الارض وزرعها واورثوها ايها ، غدت كرومهم وصنوبرهم الثمن من خلاصهم واغلى . ومن هنا غدا المال عجلا ذهبيا يعيده اولئك الاشخاص ، فيضحون كله بالقرابين ، ويطعون معظم الاقداس في سبيله ، ويستهيئون بكثير من المفاهيم لاجله . فلهذا ليوني كوستادو ، مثلا ، في رواية « دروب البحر » لا تردد بعد ان علمت بانها في كاتب العدل ريفولو Révolou من الذهاب في منتصف الليل الى منزله لتنتزع من زوجها المسكينة وهي صدقتها الفاترة ، وتوقعها على صك يضمن لها قسما من ثروة اولادها (٦) . والزواج في هذه الاسر ، ليس اتحاد شخصين بل هو اتحاد ترويتين او ارضين اثنتين ، تقول والدة برنار زوج تيريز ديكيرو : « لا بد لنا من ان نفرض الطرف عن بعض الامور ثم كم ان تصدقوني اذا قلت اننا اغنى منا ، وهذا شيء لا يصدق ولكنها الحقيقة (٧) » . وفي سبيل هذه الثروة اغتفرت الحماة لهذه الفتاة كثيرا من هفواتها وغضت الطرف عن سلوكها الذي لا ترضى عنه . وفي صدد الحديث عن زواج تيريز ديكيرو يقول المؤلف في الرواية نفسها : « كانت البلدة كلها قد زوجتهما ، لان املاكهما انما وجدت كعسا يبدو ، لكي يخلط بعضها ببعض . » ويضيف في مكان

من هؤلاء الأبطال الأم فيليستة كازناف (F. Cazenave) في رواية «الوالة» (Genitrix) - وتيريز ديكرو ولوى المحامي الشيخ في رواية «مقدرة الافاعي» وبريجيت بيان بطلة رواية «الفريسية» ...

وفيليسية كازناف هذه ، امرأة ارملة احبت ابنها الوحيد حبا قويا جامحا ، وظل هذا الحب يقوى ويشد ، وابنها الشاب يكر سنة بعد سنة ، والام محتفظة به كما يحتفظ البخيل بماله ، تعني به ، وتيسر له سبل الحياة وتحيطه بكل ما يحتاج اليه ، وتدخل في روعه شيئا فشيئا كره النساء واحتقارهن ، وهكذا استطاعت ان تسيطر عليه وتحفظ به وان يهرم الى جانبها ، فلم يتزوج ولكن كانت له خلية يعضي اليها بين حين وآخر ، والام تغضي طرفها عن سلوكه هذا ، الى ان كان يوم تعرف فيه هذا الرجل المسكين الى معلمة مضعفة لم تلبث ان ذهبت بلبه ، فتزوجها رغم غضب امه وهو يشارف الخمسين من عمره . وكان فرنان (Fernand) هذا انسانا ضعيف النفس ، ضعيف الشخصية ، وما ان تم زواجه حتى راحت الام وقد امتلأت غيظا وجرحا في اعماقها ، تعمل جاهدة لاسترداد ابنها اليها . وسرعان ما نجحت في ذلك ، فقد استعاد فرنان الذي غلب على امره ، سريره الصغير في غرفة نومها الجاورة لرفقة امه ، واضحت زوجه متبلدة تمام وحدها في شقة مشحونة غرضة للبرد والفرق ، ولا تلبث المرأة بعد ان احضنت ان تموت نتيجة اعمال الام وعدم عنايتها بها ، يصف مورياك موث المرأة وهي وحيدة غريبة وصفا مؤثرا رهيبا يقول :

« رفعت متبلدة يديها وهي تعبر عن اشارة اللعنة ، ووضعها لحظة امام عينيها ، حتى بعد ان هربت عدوتها ، وادھشها لون يديها البنفسجي ، واذا قلبها مخيول كعصفور يخنق واجنحته تدف باشد ما تكون سرعة وضعفا . وحدثت عن كتب فلم تجد الا اظافرها الزرق ، بالرغم من هذا الضيق البالغ والعذاب الاليم ، فهي لا تعتقد في ابدية تلك الليالي وهي على شفا جرف منها ، ولما كانت متبلدة وحيدة في هذا العالم فانها تحس بانها مشرفة على الموت ، ولو كانت احبت لاضطرها العناق الى التخلص من قبضة الوجود ، فما كانت تريد الفراق ما دامت لا تعرف الالفة والودة . لا صوت رهيب على سريره يذكر اسم اله جبار ويهدده ببغفرة قاسية ، لا وجه يذوق الدمع عليه ويحزن على فراقها فيتيح لها بذلك مراقبة هروبها المتحدر الى ظل الموت خطوة خطوة ، لهذا ظفرت بالميتة العذبة ... ميتة الذين لم يحبهم احد (١١) . »

وبموتها تمت الغلبة للام واستعادت سيطرتها على ابنها بعد ان هزمت عدوتها الى الابد . ولكن غلبتها كانت قصيرة الامد ، ذلك بان فكرة صارمة ملحة ظلت تعذب الزوج وتقتض مضغعة « كان يجب ان تجعل من يسهر عليها ، وسيطرت هذه الفكرة عليه خلال امد طويل كان

انتهاء الصراع الذي دام ست ساعات ، ولم يجزؤ جان باوير لابل بالبارع ان يتحرك ، كان اقبح من دودة وهو بالقرب من هذه الجثة التي تخلى عنها آخر الامر . » (١٠) .

ولكن جان باوير لم يلبث ان هرب الى باريس وقد غلبه اشمئزاز نومي الصامت ، فلم تكن هذه المرأة لتتحمل الاقتراب من هذا الجسد المنفر او تملك هذا الارض لها ، واخيرا عاد جان وقد انهكه المرض ليموت في المنزل ، ومنذئذ عرفت ان اخلاصها للبيت سيقود نصرها المتواضع الوحيد ، وان كل الدروب قد سدت في وجهها ، فلم يبق امامها الا ان تزهد في كل شيء وان تلزم الحداد طوال حياتها .

في هذه البيئة التي عرفنا جوها واهتماماتها وضسع مورياك ابطاله كافة ، وطرح من خلالهم المشكلات الانسانية والروحانية التي كانت تعمل في ذهنه . ولقد صور الكاتب ابطاله تصويرا حيا صادقا حتى ليستطيع المرء ان يتعرفهم في يسر وسرعة . فهناك بطل او نموذج انساني لمورياك كما ان هناك بطلا او نموذجا لبلزك او لديكنز ... وفي وسعنا ان نقسم ابطال مورياك الى زميرتين اثنتين :

الاولى هي زمرة الاناس العاديين ، الناس ذوي النفوس الميئة ، او الاندال على حد تعبير سارتر ، اولئك الذين لا يعاونون اية مشكلة ولا يعرفون غما او باسا او مللا او تمردا ، انهم اناس متصرفون الى معلمهم في داب الدواب وصيرها ، موزعة حيواتهم بين جمع المال واوداء الفرائض على اختلاف انواعها انهم « الآخرون » بكل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من رتبة وامال وانغلاق ، وابرز مثال لهم هو برناب ميكيرو في رواية « تيريز ديكرو » وبوب لاغاف (B. Lagave) في رواية « مصائر » ودانيال تراسيس (D. Trasis) في رواية « نهر النار » وغرادير (Gradère) في رواية « الملائكة السود » .

اما الزمرة الثانية فهي زمرة الابطال - الوحوش (Les Monstres) الناس المذبذبون ، والقتلة المجرمون ، يعيشون حياتهم في الالم والمال والسعي وراء المجهول ، في صراع مستمر مدمر مع الشر الكامن في اعماقهم ، الذي يهدم الآخرين ويهدمهم ، ابطال الخطيئة والشر والرغبة في الاملاك والسيطرة ، الشاعرون ابدا بالفراغ والوحدة بين الناس وفي المجتمع ، العاجزون دائما عن معرفة ما يريدون ، الظما الى الخلاص والرب ، المنغمسون في الياس ، الذين لا يقتنعون ابدا ، الباحثون عن الحب القميمون في الصحراء ، صحراء الحب ، السالكون دروبيا لا منفذ لها ، السابحون في بحر النار ، المتفنون جرائهم ببطء ، انهم الحمل الضال الذي تحدث عنه الانجيل ، يقول احد هؤلاء الابطال : « اني لميس كالك ، فالانسان يتالم وحده . » ولقد عكس هؤلاء الابطال الصراع الذي كان يمزق مورياك نفسه . يقول في يومياته : « ما ان اشرع في الكتابة حتى يتلون كل شيء بالواني الابدية وان ابطالي ليدخلون في ضياء ملتهب خاص بي ، لا ادافع عنه ، ولكنه ضيائي الخاص المميز . »

يقول جاك روبيشون (١٥) : « يمكننا ان ندعو رواية تيريز ديكيرو بـ (تيريز او الحرية) ذلك بان تيريز انما تطالب اكثر ما تطالب بحريتها . » لانها كانت تغني ملالا وضجرا في احد هذه الاماكن التي يستحيل على المرأة ان تتجاوزها . لانها تقع في آخر الدنيا ! وها هي ذي تستعمل السم سلاحا ترمي به صدر زوجها ، سجانها ، الرجل الذي قضى عليها باقى محاصره ، والحق ان تيريز لم تكن لتقتل زوجها فقد تزوجته كي تجد لنفسها ملجأ ، فيما فيخل إليها ، كانت على عجل في ان تحتل مكانتها الاجتماعية ، وتجد مكانها النهائي ، كانت تريد ان تكون في مأمن ضد خطر لا تعرف كنهه ، ولكن هذا الشاب ذا الجسم الضخم ، قد استخدمه استخداما لملف ، يقول مورباك : « لقد سر برنار وفتى ذو النظرة الموشمة ... لقد كان سجين متعته تلك الخزائير القتية التي كان من العار ان ينظر إليها المرء من خلال القضبان وهي تنخر سعادة في مغلغها . (وفكرت تيريز في نفسها قالت : « كنت انا الملف ») (١٦) وهكذا أقام جسد زوجها بينها وبين الحرية حاجزا لم يكن في استطاعتها ان تتجاوزه او ترفعه . ولو ان برنار ديكيرو كان مرفف الحس غنى الشعور لاستطاع ان يحمل الى تيريز نوعا من النجاة واستطاع ان يتيح لها ان تعرف الحب وان تحفظ بها الى جانبه في الوقت نفسه ، الا ان شيئا من ذلك كله لم يحدث ، فقد خيبتها فيما تصبو إليه دون ان يستطيع ان يفهمها . لقد استخدمها من القاهها ليعود الى الامور التي تشغل ذهنه : الكلاب والصيد واليوم والطعام . وهكذا راحت تيريز تحاول ان تتحرر . وكان في استطاعتها ان تهرب كما ستفعل ابنتها فيما بعد في رواية نهاية الليل » ولكن كبرياءه وخجلها لا يسمحان لها بمثل هذا الحل السهل . ومما زادها احساسا بجذب حياتها وحاجتها الى الحب تلك العلاقة التي قامت بين آن ، اخت زوجها ، وشاب على قسط كبير من العمق والغنى الروحي ، هو جان ازفيدو . وارثا هذه العلاقة وذاك الحب ، مدى الجفاف الذي تعيش فيه وكشفت لها عن تعاطشها العميق للحب والسعادة ، لقد غدا جان ازفيدو بالنسبة إليها ، رمز حياة حرة وجسب ، رمز حياة مليئة كانت تريد ان تعيشها وكان كل شيء يفصلها عنها . كانت حاملا فزادته شعورا بان وجودها الشخصي غير ذي قيمة وانها انا مقدس يتلقى ذرية اسرة ديكيرو ، او هي وسيلة الجنس للاستمرار ، وسيلة غريبة عن هذا الجنس نفسه . وكان يوم تناول فيه زوجها خطأ كمية مضاعفة من دوائه ، فلم تنبهه الى هذا الخطأ ، ونظرت مدهوشة ، مبليلة النفس الى فكرة الجريمة تولد في نفسها ، وهكذا راح فكرها يحوم حول هذه القضية ، فاعادت التجربة وانتهى بها الامر الى ان تسقي زوجها السم بعد ان حصلت عليه بوصفة طبية مزودة ، الا ان السم لم يسبب منه مقتلا ، ولكنه دفع تيريز الى العدالة ، وكان ثمة اتفاق ان يصدر قرار بمنع المحاكمة حفاظا على سمعة الاسرة وان تعيش

ضميره بعمل هذه الفكرة التي كانت اثرها آثار سيطرة ذكرى المرأة المتوفاة عليه ، فعرف على نحو غامض ان امه كانت مسؤولة عن موت زوجته . وها هو بهجر سريره الصغير ويعود الى سرير زوجته المتوفاة - بعد ان ماتت - وفدت امه فريسة هذا الالم الذي سيطر عليه ، وانفجر بين هذين الكائنين صراع حاد صامت ملؤه الحب والكراهية ، وينتهي ذلك كله بموت الام . يقول مورباك : « نظر فرنان حوله ، فوجد القرعة التي ماتت فيها متيلدا ، والاطار المصدف وهي لا تنبسم فيه ، وعصفورا يتسلق الاغصان ، ويشدو بصوت من الربيع ، وصباحا منعما بالدخان والشمس ، ووجد الا سبيل الى مفاجأة متيلدا الا بالصعود من اعماق حياته الى اعلى قمة لا قرب لحظة من لحظات الماضي ، وحاول ان يخن قلبه ذاكرة ما كانت حياتهما معا قصيرة الابد . والان ، ولا فارق في الموت بين الكنة والحماة فعدوتها القديمة قد لحقت بها في المقبرة الثالثة الشمالية الاصلقة بالحائط ، كلانها أصبحت رهينة الفناء ، ولا يزال فرنان متضايقا من انه قضى جانباً قصيرا من حياته ، من اجل زوجته ، بينما بسطت عليه الام جناحيها الهائلين طوال السنين الغابرة (١٢) . » انه قضى جانباً قصيرا من حياته من اجل زوجته ، بينما بسطت عليه الام جناحيها الهائلين طوال السنين الغابرة . ويقول في الرواية نفسها : « وقضت نحبها في نهاية الخريف ، وبروي سكان بلدة (لانجون) انهم اضطروا الى ان يسكوا بقرنان كازنات ، لانه انحنى على الحفرة لتحنه من يراد ان يلقي بنفسه فيها . ولم يفهم احد انه كان يحاول فقط ان يلعب بين اشباح القبر في الظلال شكل النايوت الذي غدت فيه ماتيلدا غيارا ورمادا (١٣) » وموت الام هذا اعاد اليها سلطانها وسيطرتها على ابنتها ، فاسترجعت هذه الام الغضبي المفترسة مكانتها في نفس هذا الابن ، فها هو شيخ وحيدا تسهر عليه احسدى الخادمت ، بينما ظل امه ورهيتها وحبا المدمر قد ليث مسيطرا عليه حية وميتة .

« لسوف يدهش كثير من الناس ان استطعت ان اتخيل مخلوقة ادعى الى الكره من سائر ابطالنا ، اتراني استطعت ان اقول شيئا عن الكائنات التي تقطر فضيلة والتي تتعل قلبها على راحة يدها . ان « ذوي القلوب على راحة اليد » لا قصص لهم ، بيد انني اعرف قصة القلوب المغفورة والممتزجة كل الامتزاج بجسد من الوحل (١٤) .

بهذه الجميل يقدم فرنسو مورباك تيريز ديكيرو الى الناس ، وفي هذه المسطور الوجيزة . نستشف صورة (تيريز ديكيرو) التي يصغها المؤلف بانها من ذوي القلوب المغفورة والممتزجة بجسد من الوحل . ان تيريز ديكيرو هي امرأة قاتلة حاولت القضاء على زوجها بوضع السم له في شرابه . وكل الرواية تدور حول قصة التسميم هذه . ان قصتها هي قصة الحب الزوجي الذي يتحول على نحو لاشعوري الى كره واع . ولكن فيم اقمتم تيريز على ما اقدمت عليه؟

تبريز وحيدة معزولة عن المجتمع وعن زوجها وابنتها .
تقول تبريز : « اما انا فلست اعرف جرائمى ، ولم ابنت
هذه الجريمة التي يلقونها على عاتقي لست اعرف ماذا
اردت ، ولم اعرف قط الى اية نتيجة هذه القدرة الجامحة
فادخل نفسي وخارجها ، وان ما سحقتني في طريقها قد
بعت الهول في نفسي ذاتها . (١٧) »

ويبدو ان شخصية تبريز قد استحوذت على الروائي
الكبير فخصها بعدة قصص اخرى ، وراح يعرض جوانب
اخرى من شخصيتها الفنية العميقة ، في رواية « نهاية
النيل » مثلا وفي قصتي « تبريز عند الطيب » و « تبريز
في الفندق » .

واذا كانت تبريز تمثل ابرز ابطال موريك الذين اشترت
اليهم منذ قليل حتى ليشبهها كثير من النقاد بفيدر راسين
من نواح عدة ، فان شخصية المحامي الشيخ في رواية
« عقدة الافاعي » تحتل مكانة رفيعة في عداد الشخصيات
التي ابدعها موريك . فنحن في هذه الرواية امام نموذج
جديد آخر من ابطال موريك الذين يعيشون التمزق ويعانون
بالحاجة العميقة الى الحب . فهذا المحامي الذي يدون
مذكراته في غسق حياته بعد ان اقام نصف قرن بيت
ثارا رهيبا لاسرته بان يحرمها من ماله ، ليس الا انسانا
نهما الى الامتلاك والحب ، انه يعيش في اسرة تتكون من
زوجته واولاده الثلاثة . فلا هو يجب زوجته واولاده ولا

هم يبتغونه . وان هذا الحقد الزوجي قد تلبس عليه ، فهو
يعود الى الفترة الاولى من زواجه . فقد ولد هذا الرجل
في بيئة وضيعة ولكنه استطاع بدابه واجتهاده ان يصبح
محمليا لامعا ، وها هوذا ينتقل الى بوردها التي بها يعيش
ثروة طائلة نتيجة اجتهاده وعمله الحثيث . الا ان وضاعة
اصله ظلت شجي في نفسه ، واذا كان قد دخل الاوساط
الاجتماعية الراقية فانما فعل ذلك عن حسد ، يقول بهذا
الصدد : « ان في حسدنا للناس الذين نحقرهم لهوى
مخجلا يكفي لان يسمم حياة باكملها . » وهذا ما جعله
مفرورا وحسودا ، بائسا من ان تثقله الطبقة العليا بين
ظهرانها . ولهذا كله نجحت التقى بفتاة من الطبقة التي
يصبو اليها ورضيت به زوجا ، راي في هذا الزواج نصرا
اجتماعيا كبيرا بالنسبة اليه ، وهو الانسان الذي لم
يستطع قط ان يحوز اعجاب احد . يقول في مذكراته
بهذا الصدد : رايته هذه الاسرة القوية تبسم لي (١٨) . . .
« ولكن ما ان تزوج حتى اكتشف سر اهتمام هذه الاسرة
به « ولكن كيف لي ان انصور ان آل فوندوديج كانوا يرون
في زواجك بي تجاره رائجة !! » فاسرة الزوجة كانت
بحاجة الى مال ، وكانت الفتاة قد اضطرت ان ترفض في
العام السابق شابا كانت رغبة فيه ثم هسي ترضي بهذا
المحامي الذي لا تحبه . وهكذا فقد راي كل من الفريقين ،
دون علم الفريق الآخر ، فائدة كبرى في هذا الزواج ، فهو
يرفع من شان المحامي ، ويحمل الدم المالي للأسرة الرفيعة

التي تشكو الضائقة . ولقد وقع الشاب الذي كان يشعر
بحاجة عميقة ملحة الى الحب في هذا الفخ الذي نصب له ،
ثم تأتي الحقيقة في احدى الليالي ، قاسية مروعة ، فقد
باحث له زوجته ، بما كان خافيا عنه من امر حيا وماضيها .
فادخل انها لم تكن تحبه . يقول في اعترافاته مخاطبا
زوجته :

« تزوجت هذا الشقي لانك وجدته في طريقك . في ذلك
العام الذي اقتنعت فيه امك ، وقد تألها الكبير ، انك لم
تعودي قابلة للزواج ولانك لم تكوني تريدين ولا
كنت تستطيعين ان تظلي ستة اشهر اخرى فتاة بلا زوج ،
ولانه كان لديهن الفنى حجة كافية في اعين الناس (١٩) . »

ومتندد قام بينهما نوع من الطلاق الروحي واخفاق في
الحب ادى الى اخفاق الحياة في الاسرة « لست تستطيعين
ان تخيلي هذا العقاب : الا يحصل الانسان على شيء في
الحياة ، والا ينتظر شيئا من الموت . » ولكن هذا الرجل
الذي اخفق في حياته الداخلية العميقة ، قد نجح النجاح
الباهر في الحياة العامة التي انصرف اليها كل الانصراف .
وكان حب المال في دمه فراح يجمع المال وبحرص عليه .
يقول في ذلك : « اما انا فاحب المال . اعترف انه يطمئني ،
فما دمت انا سيد المال فما لكم علي من سلطان ، انك
تكرين امامي : « في مثل سننا لا يحتاج المرء الى المال . »
ولكنك على خطا فلا حياة للعجوز الا بما يملك ، فاذا افلس

ردلوه وانكروا وجوده ، اجل اني اخاف الفقر حقا . »
ولكن ان تخيلي ان بعد هذا الجو الذي قضى عليه ان
يعيش فيه شظية ابعدت عنه كل متع الحياة ومباهج الاسرة
التي كان يحلم بها ، انظري يا ايزا مدى ما كنت
فيه من تعاسة . . . اني لا اؤمن بالبحيم الايدي ، ولكني
اعرف معنى ان يكون الانسان محكوما عليه فنى الارض ،
ملعونا ، يخطيء في كل درب يسلكها ، كانت كل طرفاته في
الحياة خاطئة . لا يعرف ان يعيش ، ايزا ، انني اتعذب . »

هذا الرجل الذي يخطيء في كل درب يسلكها ويرى في
كل الطرق التي يتبع نحوها طرقا مغلقة في وجهه . .
الحت عليه المصائب ، فقد ابنته ، وكانت الكائن الوحيد
الذي عرف كيف يجعل قلبه يخفق ، فتحمله زوجته مسؤولية
هذه الميتة ، وكانما قضى على هذا الرجل ان يلتهم الموت ،
العديد القليل من الناس الذين وجد فهم شيئا من التجارب
معه ، فها هي اخت زوجته تموت ، ولكنها تخلف وراءها
طفلا كان المحامي يحب هذا الطفل لانه لم يكن يفزع منه ،
لقد احبه كما يحب ابنا له : ولكنه لم يلبث ان مات في احدى
المعارك ، فلم يبق امام الرجل الا اسرته التي كبرت ونمت
عدد افرادها ، وغدت الاسرة كلها تترصده وتخشاها ، ولكنها
تطمع في ماله ، فاحس بان افراد الاسرة كلها يراقبونه
ويطاردونه ويحسون عليه حركاته ويتجسسونه عليه طمعا
في ماله فامتلا قلبه حقدا وكرها نحو الاسرة ، واصبح عقدة
من الافاعي : « لا ، لا تحسبي اني ارفع كثيرا من شأن

لا تضيف شيئا جديدا الى ما وصفه مورياك في روايته ، فالآخرون يقفون دائما امام الاشخاص وقفة جدار مغلق لا منفذ فيه ولا متقد منه . انا لنرى الاشخاص يتعلمون في هذا الجحيم الذي صوره مورياك وحدهم ، في عزلة عن اي تجاوب مع اي كائن . ومما يزيد الالم شدة ان هؤلاء الافراد تربط بينهم اواصر الدم والارض كان مورياك يستعيد الآية المعروفة : «واعداء الانسان اهل بيته . » فالاسر والاهل والزواج كلهم يصطلمون بالشقاء نفسه ، وبالجدار ذاته ، بسوء التفاهم الاساسي للاجساد المتوحدة التي تدور في الفراغ دون ان يتاح لها ان تلتقي او تتحد . »

اية هوة رهيبة تفصل بين الانسان وزوجه واولاده في روايات مورياك ، بين المحامي ، واسرته في مقفلة الانافي مثلا ، وبين تيريز وزوجها في رواية تيريز ديكيرو ، وبين الطبيب كورنغ وابنه وزوجه في رواية «صحراء الحب» وبين افراد الاسرة جميعا في رواية «القبسي القدر» يقول مورياك : « بين الآباء والابناء يرتفع جدار من الخجل والخزي والتفاهم والرقعة المنفصة ، وللحيلولة دون قيام هذا الجدار لا بد من اتفاق حياة كاملة (٢٥) . »

ويحق لنا ان نتساءل في نهاية المطاف : ما هدف مورياك من ذلك كله ، وماذا عسى ان تكون وجهة نظره التي يسعى لينقلها اليها فيما كتب ؟ ان صفحة من يوميات مورياك تحمل الجواب حيث يقول : « انني ميثافيزيقي يعصل في المحسوس ، احاول ان اجعل عالم الشر المسيحي شيئا قابلا للادراك يمكنك ان تلمسه وتشم رائحته . ان اللاهوتييين يعطوننا فكرة مجردة عن الخطيئة ، أما انا فأكسوها لحما ودما » (٢٦) .

وليس هذا بعجيب فآثار كل اديب كبير تحمل وجهة نظر فلسفية في الحياة والوجود . واذا كان مورياك قد صور عالم الخطيئة والشر فلان هذا الموشوع كان مدار تفكيره طوال حياته . لقد سعى مورياك الى ان يرسم الجانب المظلم من الحياة ليثير بذلك الى الجانب النير منها . وهو من حيث انه روائي ، لا يستطيع ان يتحدث عن الابرار الصالحين . ان مجال الروائي هو عالم الالهواء الانسانية وهذا يعني عالم الخطيئة بالضروة » (٢٧) . « ان ذوي القلوب على راحة اليد لا قصص لهم » وان ما يعطي ابطال مورياك قيمتهم هو هذه الثنائية بين الخطيئة والرغبة في المحبة والخلاص . وقلما يتساح لاشخاصه بلوغ المحبة الحقيقية الا في اواخر حياتهم بعد ان يجتازوا نهر النار ويكتووا به ، لهذا فاننا نجد في اعماق آثار مورياك نظرية لاهوتية للخطيئة . فهو لا يعتبرها انتهاك الشريعة الالهية كما يرى ذلك فريق من المفكرين ، بل يرى فيها رفض الخليفة للخالق وانحراف الحب نحو الذات والاشياء وهذه هي نظرة القديس اغسطين (٢٨) وان مورياك ليؤمن بان الخلاص يقوم على ايجاد طريق المحبة وان من لهم قيمة هم اولئك الذين يحبون ويحترقون . « لان من الخير ان يحترق الانسان من الا يشعر بشيء » وان الخطيئة عنده هي نداء

محبة ضل طريقه ، كما ان النفس تميل على نحو طبيعي ، في فلسفة افلاطون ، نحو الخير والحق والجمال فلا تختار الشر والقيح الا عن جهل ، فكذلك يرى مورياك ان الانسان انما يتحرر عن بنوع المحبة نتيجة جهله بالطرق الصحيحة التي تقضي به الى الرب ، وهذا سر اهتمامه بالوكلاء المذنبين ، المتألمين ، وشغفته عليهم ، ورأته لهم ، فهم بالنسبة اليه اشبه بالحمل الضال الذي يترك الراعي القطيع كله بحثائه . وان صرح ان عالم الكاتب الفكري وفلسفته ومفهومه للحياة تفرض عليه تكتيكا فنيا كما يقول سارتر فما الاسلوب الذي لجأ اليه مورياك ليعرض علينا عالمه هذا ؟

يقول مورياك : « على كل كاتب روائي ان يتكبر التكنيك الفني الخاص به ، تلك هي حقيقة المسألة فكل رواية جديرة بهذه التسمية تشبه كوكبا آخر ، سواء كان كبيرا ام صغيرا له قوانينه الخاصة به كما ان له نباتاته الخاصة به ، وكنائنه الحية التي تعيش فيه . وعلى هذا فان التكنيك الفني عند فولكنر هو احسن تكنيك يمكن ان يرسم به عالم فوكنر ، وكابوس كافكا انتج اساطيره الخاصة التي جعلت منه شيئا قابلا للنظم ... (٢٩) . »

ان معظم روايات مورياك هي روايات ازمت كما رأينا ، ولهذا فقد كان من الطبيعي ان يبدأ رواياته من منطلق الازمة ، صنع راسين في معظم مسرحياته ، ثم يحصل الابطال على تذكر ماضيهم والعودة بذكريهم الى الاحداث الاساسية الهامة من حياتهم . وقد لجأ مورياك في كثير من رواياته الى هذا الاسلوب الفني ، في رواية «تيريز ديكيرو» مثلا حيث يبدأ الرواية بانتهاء محاكمة تيريز فسترجع هذه ماضيها كله في طريق عودتها الى ارجلوز . كما استخدم هذا الاسلوب نفسه في رواية «صحراء الحب» اذ يقوم الساب ريمون كورنغ الذي يلتقي بماري كورس المرأة التي احبها هو ووالده بتذكر ماضيه وماضي ابيه معها . وقل الامر نفسه في رواية «اقدار» ولطالما لجأت السينما الى هذا الاسلوب في الدخول المفاجيء الى الموضوع دون التمهيد الكافي ، ثم الرجوع الى الماضي .

Flashback

وقد يعتمد الى اسلوب السرد او الى اسلوب المذكرات كما فعل في رواية «عقدة الانافي» لانه اراد ان يربنا تطور بطله فكانت هذه الطريقة خير طريقة تضع القارئ في صميم نفس البطل . وان معظم روايات مورياك قد كتبت بتصميم واحد يقوم على حمل القارئ على حضور مأساة داخلية تجري في نفس البطل .

منح فرانسوا مورياك سنة ١٩٥٢ وقد بلغ السابعة والستين من العمر جائزة نوبل للاداب ، فجاءت تقديرا عالميا لادب هذا الكاتب الكبير ، ولقد جاء في بيان اكااديمية استوكهولم انها منحت مورياك جائزة نوبل : « لتحليله العميق للنفس الانسانية ، وللوقفة الفنية التي عبر بها عن الحياة الانسانية في رواياته » .

جورج سالم

حلب

صد الرصافي بلبنان وادباء

بقلم الاب يوسف سعيد

لبنان جنة منتقاة ، في ارض الاحياء . ومريض الخلود على سفح البحر المتوسط . اؤلؤة في عقد الشرق ، ومنابع يستدر منها الوحي ، وتنت سماؤه طاقات من زخم الالهام . وعلى روابي ذلك الجبل الاخضر ، فكر ممرع ، وحياة شاعرية فذة ، وعبقرية كامنة تنفتح ازاهرها على عبقرية نادرة ، وشذى النبوغ في كل جبل يسري ، ولا تقطع صلة سربانه .

فمن زار لبنان ، وعاد الى موطنه ، ترك هناك عذارى احلامه وطبيب ايامه ، العبقة ، الخالية من الاحزان والاشجان حب لبنان يتقاسمه اثنان لبناني سواء كان في دار النائي ام لم يكن . ووافد عليه لبضعة ايام ، او اشهر ، يتركه وكان لبنان ، قطعة من قلبه ، ونقطة من دمه

ومعروف الرصافي الذي احب لبنان ، حبا عميقا ، حتى ملئني نهاية جذور المحبة ، واعلن ملء اخلاصه لكانته ، وترع خمرة المودة ، مع صفوة ادبائه ، وشعرائه الى ان ان تفجر شاعريته على حب لبنان ، وجباله . اسمه بناجي بهذه القصيدة (١) بعد ان يتصوره عادة تميم بعواطف جياشة ، وجمال فنان ، وحب اديب ، كما ان يسرلبها وشاح الخيلاء وينتهي الى القول في كيان لبنان :

لبنان تفعل بالحية جثاته
فكأن لبنان عروس اذا غدا
وكانما البحر الغضيم سجنجل
جبل سمت منه الفروع واصله
نهو الفنون به النهار وفيه الجوى
وترى النجوم على ذراه كانها
لله لبنان الذي هضبانها
يهرى التسيم الفنى بين رفاها
جلت الطبيعة في رباها بدالها
هكذا يسير الرصافي ، في وصفه الرائع ، فيجد في لبنان فردوسا خطته انامل الله في الارض ، والرصافي شاعر يخلق تخليق النصور في الفضاء اللامتاهي ، ليجذب افكاره من سديم العلى ، ليخط تلك الالهامات زخما معظرا بالخيال ، وزفرات الوحي تنطلق من شاعرية اصيلة ابت ان تحيا على الارض لتكون تربية ، بل سمت تلك الشاعرية الى اعلى الاعالي ، كيف لا وهو في وصفه في وادي الفريكة مسقط راس امين الريحاني احد فلاسفة لبنان والعرب (٢) . وقد كانت هناك مودة ادبية ونقى تربط الرصافي مع

امين الريحاني ، وقد اشار الى هذه الصداقة الاديب رفائيل بطي في مقاله الذي نشره في مجلة الاديب يوم توفي الرصافي عام ١٩٤٥ ، وذكره في مجموعة الخطب والقصائد العصماء التي القاها الرصافي في حضرة الريحاني يوم زار العراق (٣) .

وخريدته التي نحن بصدها الآن انشدها الشاعر في وادي الفريكة مدعوا من قبل امين الريحاني . . قل لي اين منبر الشاعر ؟ اقول لك ما نوع قصيدته ، فالشاعر الذي يقف على رابية جرداء ، وامامه صحراء قاحلة تجيش عاطفته عن انطلاق لا يجد فيصف رحابة الصحراء ، وحدود السراب ، الذي احتال على العين ليكون حاجزا وحدا لها ولكن خيال الشاعر يطفر كالابائل من فوق تلك الحواجز ، ويجد في رابيته التي ينشد من اعاليها التواء البارز في صدر الصحراء ، وهي آخر واول زينة تزين بها تلك الصحراء القاحلة .

والشاعر الذي يحتضنه وادي الفريكة في لبنان ، وتحيطه الطبيعة اللبنانية الفاتنة ، الخضراء ، وتتواضع امامه الوهاد ، وتسمو قمم الجبال سامقة وتمتد الخضرة في كل بقعة ، والبحر الذي لا يحده البصر ، ويحصره الخيال ، منفع الموج مختلف الركن ، متقلب الحركة واللون . كل هذه الحركة تحيل شاعرنا الرصافي انسانا آخر . يستطيع ان يحلق بعيدا بعيدا الى اغوار الجبال ، ويصعد الى ذروة النجوم ، ويحافظ على كيانته وهو بين اصدقائه وخالته في مرتع لبنان الملح تحت افياء اقصاد وارفقة من ظلال اشجاره ذات الالوان الباهية .

وتعد قصيدة الرصافي في « ذكرى لبنان » من ادوع لبنان الاخضر ، ونظرات جبل صئين الى هذا الجمال . فينظر ويرمق الربيع الدائم . وفي نظراته حمى وغيرة (٤) فيقول :

وكان صنيشا اطل مرافيا
ثم بوجه نداء حارا الى اللبنانيين الذين هاجروا لبنان ، وتركوا هذه الخضرة الدائمة ويشد على عزائهم في العودة الى لبنان ، وليقتدوا بالشعب الياباني الذي استطاع ان يكون نفسه ، ويناديهم بالعودة والتمسك بمبادئ المحبة بعضهم بعض حتى يقول لهم :

امهاجري لبنان طلال غياكم
واسمعه متمما صرخته الى شعب لبنان (٥) .

هذي مواظكم تريد وصاكم
افترحمون تبتها ام اتسم
انسي اري هجر الرجال بلادهم
واضاعة الوطن العزيز جنابة
من كان ذا جده فاجر يعقله
الا يفسن بها على الاطمان

وله قصيدة اخرى في وصف لبنان عنوانها « لبنان » وقد علقت على هذه القصيدة جريدة الاحرار اللبنانية (٦) فقالت : « ولع الرصافي بلبنان ، وولع لبنان بالرصافي

فجاءت قريحته بقصائد صافية العاطفة كسماء هذه الربوع
عذبة كمانها، غليظة كوهائها » .
وقد قال في مطلع القصيدة :

ان الحسن في لبنان ابلغ غرسه وفارب حتى امكن الكف لسهه
اذ ما رانه عن ذي الب مشرفا تترن به في مدرج الحب نفسه
نكا مفرسا فالذام ليس يؤمسه وطاب جنى فالسوء ليس يمسسه
فما صخرة لكن نجر مائه فلان بكف العيشي منه فحسه
لقد لبس الجبو اللطيف فزانه بما فيه من غر المحسن لسهه
ففي الليل لم يزعجك برد نسيمه وفي الظلم لم تلغلك بالحرشمه
وقد عبثت للسالكين طريقه وحرد الهلوه وبورد انسه

اتوقف الآن ، لأقول كلمة مقتضبة عن هذه القصيدة .
ان الرصافي لم يكن مع لبنان شاعرا مر عليه مرور
الكرام ، بل قد جاب في قعر روابيه ، وارتقى سوايق
جباله ، وهبط وهاه ، واستظل تحت افياء اشجاره
القائمة في منحدر سفوحه . والقصيدة التي نحن بصدددها ،
والحق ان القصيدة التي نحن بصدددها عن اي الابيات
يضعها ، واي منها يحذفها . فهي خريدة نادرة عصماء .
وقلما توصل شاعر مثل الرصافي بهذا الوصف . اذ يرى
في لبنان مهرجان عرس حافل ، وغرام ابدي فيرى في
انتحاءات الجبل ، مودة خالصة يودها الى سهل ممرع .
ونظرات من جبل شامخ نحو جبل آخر زواج من نظر ،
وشوق لا اتحاد فيه ، رغم القرب . وفيهما عشق مبرح
ولست بحاجة الى وصف هذا الاقتران طالما شاعرنا يحدثنا
عن هذا الالتقاء الدائم :

كجبال المتن حدية عابده هوى ساجدا شكرا ويورت راسه
يقال عن الاسواق في جوف ليله بيروت اذ يقش من الليل دمه
تزوج صنيق القسي بنت جاره فاضاء بغيرك الوسيطة اقرسه
وتبع الصفاء والقاء فيه للاحها من الحسن ملاي باليداع كاسه
جري الماء في واديهام متدفقا بانثودة الاطراب تنطق غرسه
وان تزد الشافور يوما تجد به منالحنمافد خصبالفعلجنه(٧)

هذه تحليلية في سماء الشاعرية الخصبة ، لا يدانيها
مداني ، فتأمل هذه الابيات واعد قراءتها ، ففي الاعادة على
هذه الابيات روعة وجلال ، بل انك تترع سلافة معتقة ،
عصرتها الارواح الهائلة في سماء لبنان ، لتترعها النفوس

المرفعة كؤوسا دهاقا ، لتسمو عن حطام عالنا الى عالم
علوي ، تتدفق منه ميازيب الطلي ، والندى ، وتنتطافاتها
الغيث . وتنتفث ، وتتنفس نسيمها من رحيق العطر
السمائي ، والنشوة الملائكية ولبنان في نظر الرصافي جنة
مصغرة لفرطوس الملوكوت . فكانني بالرصافي يقول لمن
يحسده على هذه المحبة التي يوليها لبنان ، ويتفاني في
سبيله . ويقول لهم في نفس القصيدة :

فيا لاني في حب لبنان اتسي احس لعمرى منه ما لا تحسه
اذ كان لبنانكيلي محاسنا فلا تعجبوا من اتسي فيسه
وان تحمدوا ما الادي فاتني اما اليوم من بعد الادي فسه

انما الشعراء نظرتهم الى الجداد ، في الطبيعة ، وما
يتحرك منها ، ويجول في سمائها ويخط في افنان اشجارها ،
وهي نظرة خاصة لدى الشعراء انبياء الفكر ، ومستودع
الالهام ، ولهذا يقول الرصافي « احس لعمرى ما لا تحسه »
لانه يجد في هذه البقعة صومعة امانة للنفس ، ويشعر
الشاعر بانه الآن سر تجسم ظله ، ليحلق بعيدا في عالم
لامتناهي لا تدرك مداها عين اللحم . بل عين الروح اللطيفة
المنطلقة الى ما وراء المحدود ، لتكون ضيفة وراء عوالم
اللامحدود ، خلف نهاية الافق البعيد ، لتشاهد الشمس
تضم النور تحت جناحيها ، وتفسح المجال لجناحي الليل
ليحلقا في عالمها ، ويحبجا النور عن الانظار .

ولم يكتف شاعرنا بهذا . بل يجعل من لبنان طبيبا
مداويا ، ويضم قصيدته العصماء بهذه الابيات :

كتبت كتاب الملح في وصف حسنه ففاق ولم يتوغب الوصف طرسه(٨)
عجبنا بسجل القليب به شعراءه سوى لك ما يعويه بل هو خمس
الا ان لبسان جوا مرووقا اذا ما شفى السلول لم يقص تكه
اما قصيدته التي القاها في مدينة زحلة (٩) فهي من
عيون الشعر العربي ، وشاعرنا في موقف هذا بخل لنا
نفسيته المضطربة التي كانت تأسى الا الادلاء بالصراحة
المتناهية ، كما عرف عنه ، واما المناخ الشعري فينحو فيه
نحو اسلوب المتنبي . ذلك الاسلوب الذي نقرأ البيت ،
وكانك تجد وراء كل بيت زوبعة هوجاء ، وعاصفة تزمجر

زحلة « ديوان الرصافي » ص ٧٨ (١٠) عقد الاديب الصرافي المعروف
الرحوم رفائيل بطي صاحب جريدة البلاد ، فضلا عما شامل من صداقة
الرصافي مع اللبنانيين نشرته مجلة الاديب ص ٣٦ اقتدا عام ١٩٥٥ يوم
وفاة الرصافي ، بعنوان « الرصافي وزملاؤه على ساحل الابيض المتوسط »
وحديثنا عن اصداقه الشاعر مع وضع صورة نادرة لبعضهم اخذت عام
١٩٢٥ وفيها الدكتور ادب مظهر ، وفيكس فارس ، والاستاذ يوسف
الحاج (١١) كما كتب في هذا الصدد الاديب المعاصر صديتنا وحيد
الدين مقلأ شافيا في مجلة الحكمة عدد اذار ١٩٥٧ ، وأشارت اليه
جريدة الجريدة اللبنانية بتاريخ ١٢ - ١١ - ١٩٦١ ونوهت عن المقال
جريدة الزمان البغدادية بتاريخ ٢٥ - ١١ - ١٩٦١ انظر ديوان
الرصافي ص ١٤٢ و ٢٥ و ١٥٣ و ١٥٦ و ٢٥٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٥
و ٥١٢ اما ما وصفه من المدن اللبنانية فهي زحلة ص ٧٨ وبيروت ص ٢٥٣
وجو بيروت ص ٥٢٤ (١٢) بقصد هنا والدة جبران انظر ص ٢٢٨ و ٢٢٩

(١) طالع ديوانه الكبير طبعة مصر ١٩٥٢ ص ٢٢٨ (٢) ولد امين الريحاني
سنة ١٨٧٦ - ١٩٤٠ وهو ادب في اللغتين العربية والانكليزية وبعد
الريحاني اول من نادى بالوحدة العربية ، وترك الاقدا ، واول ادب
غشى بكل براعته ليكتب الشعر المثنو (طالع ما كتبه عنه مارون عبود
في مجلة افرا المصرية عدد ١٢١ نوفمبر ١٩٥٢) (٣) جميعها الاديب
رفائيل بطي في كتاب وتناولها « الريحاني في العراق » وقرأ مقال بطي
في الاديب ١٩٥١ بعنوان « الرصافي واصداؤه على البحر المتوسط »
(٤) طالع وصفا شاملا دقيقا لهذا الجبل صنيق في الاجزاء الثلاثة التي
الهاها الاديب اللبناني الكبير ميخائيل تغمبة بعنوان « سمون » وهي
حكاية عمره (٥) ديوان الرصافي (باب الوصفيات) ص ٢٤٢
(٦) جريدة الاحرار في ٢٦ آب ١٩٦١ (٧) ديوان الرصافي (باب
الوصفيات » ص ٢٤٢ (٨) نفس المصدر ص ٢٤٤ (٩) اقيمت حفلة
تكريم للرصافي والريحاني . فانشد الرصافي هذه القصيدة ١٩٦٢ في



الارباب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :
الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد أدنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد أدنى

المجلات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاطلاع تراجع ادارة المجلة

تليفون : (٢٢٨١٩ ٢٢٨١٩) (Dir : 223819)
(٢٢٥٢٩ ٢٢٥٢٩) (Die : 225139)
نوجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

**صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
السير ادب**

وتصغر ، وتمر بموكب سريع ، قوي خاطف . اما ما يقوله
في هذه القصيدة فهو :

ذرتني اذر في هسب لبنان اربعا نعالى بحيث العز مرعى الصفاير
بحيث ارى تلك الليوث خواندا سارق الحافضا عيون الجادر
ليوث اذا ما عشت في ملعة تبسبت الدنيا تبسم ناصر
والقت جيوش الفاخرين سلاحها اذا خفقت راياتها بالمفاخر
فاكرم بلبنان مفاخر نسبته وماوى لتكود ومهوى لجائر
الا انما لبنان في الارض عاقل تبسو عرشا من جليل المسائر
ويقول عن زحلة :

وزحلة في لبنان تاج راسه قد اذنان من ابتائها بالجواهر
وما هي الا روضة البتت له ازاخير من تلك الحسان الفرائر
ازحله اتى نارك فيك مهجتي تعطيك من بعدي محبة شاكر
ثم يصف اهل العلم من اللبنانيين فيقول :

وكم في ربا لبنان من ذي فصاحة مجيد بيوم الحل قرع المنابر
ومن اهل آداب كثارفة الفصحى ومن اهل علم كالبحار الزواخر

صلاته بادباء لبنان

اكثر الادباء اللبنانيين الذين تخطت شهرتهم حدود
لبنان . واشير اليهم بالمتجلة والبنان ، لهم صلة اصرتها
قوية جدا مع الرصافي (١٠) وقد ذكرهم المرحوم رفائيل
بطي في المقال الذي كتبه ونوهنا عنه ، في هذه الحاشية
وهم ندره مطران ، محي الدين الخياط ، نور الدين بيهب ،
فوزي باشا العظم ، وجبر ضومط ، والريحاني ، وجبران ،
وسليم سركيس ، ومحمد الباقر ، وفيلكس فارس ، وعادل
ارسلان ، وصلاح اللبابيدي ، وعفيفة صعب ، وتخلد الى
اللمع ، ونظيرة زين الدين ، ولا ننكر ان بعض هؤلاء الادباء
من اصل سوري (٢) وبعضهم كتب عنهم الرصافي ولم
يعرفهم امثال جبران خليل جبران .
واليك القصائد التي خص بها لبنان وادبائه .

هذا وقد انتخبت قصيدة عصماء قالها الرصافي بحق
جبران خليل جبران وآليكم بعض فقراتها :

نفاوح الطيب من اردانه عبقا كما نفاوح ازهار بيستان
تستخلص النفس من فعوى ملاحه ان الغرام الذي يغفيه روحاني
ابصرته واقفا بيكي وانعمه نوحى الى كل قلب وحى احزان
بيكي والحنان موسيقاه مطربة تهزج منهنس ادواح بابعدان
بيكي فيرقص عندك الدمع منتثرا بفسر وزن واحيانا يعيسزان
وقال في ميات جبران :

فقلت لم يفن جيسران بعينته من خلف ابنا كهذا ليس بالثاني
بل اصبحت بابنه ذكراه (١٣) خالدة ما دام لبنان ماهولا باتسان
اني ارى روح جيسران مرفرفة على الربا الغمر من جنان لبنان
هذا هو شاعر العراق ، الذي عقد فضلا شاملا من محبة
لبنان ، والى هنا نتوقف راجين عزا ومجدا للعراق الحبيب
ومزيدا من المعرفة والاعلم ! ومتمتنين للبنان انطلاقة جديدة
في رحاب العلم ، والجمال للجبال التي جباها الله بنعمته .

الاب يوسف سعيد

كر كوك - العراق

الالعاب الاهلية

في بلدة دير الزور حاضرة الفرات

بقلم المحامي عبد القادر عياش

الالعاب : حاجة اولية من حاجات الانسان ومقوماته فسي جميع ادوار حياته وفي جميع مراحل حضارته ، اولاه الانسان وما يزال يوليها عناية بالقلة فردا وجماعات وحكومات ، تبذل في سبيلها ومن اجل تربيتها وممارستها وتنظيمها الاموال الطائلة والجهود الوفيرة ، لما لها من القوائد المتعددة في حياة الانسان والامة وفي حياة الشعوب القاطنة . فخلت لغات العالم باسماء اللعب ، وصاغ المثالون التماثيل للاعبين المميزين وخلد الشعراء اسماءهم ورسم الرسامون صورا لهم وادخ المؤرخون للالعاب الاولمبية في اليونان القديمة ، واحيت الشعوب مجتمعة تلك الاعباب في دورات عالمية كل اربع سنوات في عاصمة من المواصلات الكبرى .

تجاه الاعباب العالمية والتي كانت في الاصل العاب خاصة لبعض الشعوب - توجد العاب اهلية تمارس في المناطق . وتتميز العاب كل منطقة عن العاب المناطق الاخرى وهذه الاعباب الاهلية في المناطق السورية لها اهميتها في حياة سكان المنطقة : انها تمثل اعمال الشعب اليومية ، وتفاخه مع الطبيعة وحيواناتها ، كما تقصد الى تربية الشباب وتربية صارمة وتعوده تحمل المكاره وتعوده الصبر على البلاء . وتفتق اذهان ابنائه وتشيع فيه روح التعاون والتعاوض ، فضلا عن تقوية اجسام ابناء الشعب واخذها بالرياضة ، وفلا عما في هذه الاعباب من الترفيه والتسلية فهي لذلك تقتضي ان تهتم بالانقذات اليها وتغني بتسجيلها وتحليل قاطظها ووصف حركاتها والبحث عن اصولها ومقارنتها مع العاب المناطق الاخرى بل مقارنتها مع العاب الشعوب في حاضرها وقديمها . انها في طريقي الزوال لزاحقة العالمية لها من جهة ، ولان في الناس نزوعا الى التنكر للتقديم . وهي من صميم حياتنا الاجتماعية تتركز فيها نواح فولكلورية كثيرة ، واذا ما عنيان بهذه الاعباب وبرزناها بما نشره عنها ، فقد نرى كثيرا منها جذبرا بالابقاء والتهديب والتنظيم . وقد نجعل لاعاب كل منطقة مهرجانا خاصا نحتفل به في وقت معين . وعندي ان الاعباب بقدر ما تكون اهلية يكون ابتهاج الشعب بها اوفر وانتفاعه بها اقرب . والاعباب الاهلية مثل التراث الادبي الشعبي ينبع من اعماق الشعب ويعبر عن روحه ، ولكننا لا نحفل لا بهذا ولا بذلك .

مارس الديريون كبرا وصغارا ، رجلا ونساء حتى مدة

قريبة العالبا كثيرة يبلغ عددها عشرين ومائة . وقد لا يصدق ديري هذا الرقم اذا سمع به لاول وهلة او يرى فيه مباغلة فلا عجب اذا شك غير الديري بهذا الرقم للالعاب الاهلية بدير الزور حاضرة الفرات . الرقم حقيقي عرفته باحصاء العالبا بدير الزور لعبة قلعة .

لكل فصل من فصول السنة العاب خاصة ، ولكل وقت في اليوم العالبا ، وللصبيان التصيب الوافر من عدد الاعباب ، يلعبون في كل وقت ، داخل البيوت وفي الشوارع والازقة ، وفي الفصحى والاصيل وفي الليل ، في القمرة والظلماء ، في الشتاء والصيف ، في البرية وعلى شاطئ النهر وفي لجته وفي قاعه . ويرسلون طائراتهم الورقية الى الفضاء بذبل طويل ينظم توازنها ، وتخفق صفحاتها بورق سميك صغير مشدود بخيط بطرفها يرسل صوتا يسمعه الصبيان فيمتنعون لسماعه كما لو كان اذاعة ترسلها الطائرة الورقية . لا يحد الاباء في دير الزور من حرية ابنائهم وتعلقهم الشديد بالعالبا العديدة المتنوعة ، يفصحون لهم المجال ، ويفرحون لفرحهم بالعالبا التي تستغرق منهم طوال اليوم وقسا كبيرا من الليل .

والاباء الديريون شديدو الحنين لالعاب الصبا ، فقد نموا بها زمنا ، ولذلك يحرصون على ان ينهل ابنائهم من نفس المورد وان لا تفوتهم هذه المتعة ويرتاح الاباء الديريون ويسرون لمراى ابنائهم يمارسون العالبا . ويعينونهم عليها ، بما يهيئونه لهم من ادواتها ووقتها ، وبرضايتهم عنهم وعنها . وكثرا ما يشارك الاباء ابنائهم بلعبهم ، بهذه المناسبة يعودون الى ايام الصبا الحافلة بالالعاب المسلية اللذيذة والمخالبة من المعلوم والمألوفة بالارضي والاياتيك البهجة .

يحب الصبيان الديري محمد الفراتي عن حنين مواطنيه الى ايام الصبا في قصيدة بعنوان (صور من طفولتي) وصف بها بعض العاب صبيان دير الزور منشورة في ديوانه الاول بقوله :

ذكرت الصبا تقطع احشا نى فاه اه من الذكريات
لم اكن ما حييت يوما لاسى عهديا المستغنى بالذلات
الشعوب الفنية بالعالبا والحقبة بها ، غنية بوفرة ابتائها وغنية بصحة اجسامهم وصحة عقولهم ، وغنية بمواهبهم وكفاءتهم .

يلعب صبيان الدير في الشتاء عدة العاب في الطرقات في الليل ، لا يقعد بهم البرد او المطر . من هذا اللعب . لعبة : (منو على الدائرة) . يطوف الصبيان بالبيوت لجمع كمية من الحطب متشددين عند كل باب دار نشيدا خاصا حلوا ، ثم يوقدون الحطب المجمع فسي وسط الطريق ، ويدورون حول لهيب النار ، ويقفزون من فوقه كأنهم يؤدون طقوسا من عبادة النار واللعبة مائة من البداية اذ يشب البدو النار وسط البادية يضطلون بها . وقد تكون اللعبة فارسية الاصل .

وفي داخل البيت يلعبون حول الموقد المشبوب لعبة (قارة قريمية) و لعبة (خريجي هودي) و لعبة (على

الحرب في الطرقات وفي البرية وادانهم القلاع ينسج من الصوف او القطن ، ويدخل في بعض القلاع الجلد يكون كفة ، كما يدخل الحرير في طرفه على هيئة شراية ، يجلد بها صاحبه الارض ليخرج صوتا لارهاب الخصم والحرب تقع بين صبيان حارة واخرى . اما قذائف القلاع فالحجارة ، وما اكثرها في الطرقات حينذاك حيث لم تكن معبدة وحيث تمتلئ البرية بالحجارة . وكما ادمت تلك الحجارة من وجوه وقلع من عيون وحطمت من زجاج نوافذ البيوت وروعت المارة بالطرقات واوفنتهم من متابعه سيرهم حتى كانوا يستعيدون بالله من هذه الشقاوة المتناهية وهذا العبث المنكر ، وكثيرا ما استنجد الاهلون بالشرطة .

ولعب الشبان في البرية لعبة النار ، وادانها عصاة متوسطة وكرة من الخرق يحكم لها وتخط بخطط من القطن يكون للاعبون فيها فريقين يتركز احدهما وقتا عند الحج وينتشر افراد الفريق الثاني امامه يتلقوا الكرة من الجو . واللعبة تتطلب سرعة في الركن وانبساطا ومهارة ولعبة (شور جله) والحصوري ، والحاح ، وتمارس في الطرقات نهارا او في الليالي المقمرة . وهناك ألعاب القفز وهي متنوعة منها اول عبرة . واول دلكة .

والعاب الكعاب ، وهي كعاب الخراف . والعاب الكعاب شائعة تلعب في الربيع والصيف في الطرقات وما من صبي الا ويحصل على كمية من الكعاب تملأهم بها كشره الخراف التي كانت تدبح وتستهلك في المدينة واللعبة بالكعاب قديمة عند العرب وفي المخصص تجامع الصبيان اي يرموا كعبا يكعب حتى يزيله عن موضعه . قال صاحب المعجم جرحوا بكعابهم اي رموها بها لينظروا ايم يخرج فانزرا . وفي الشام جرحوا بكعابهم كجبحوا . وتكعب الصبيان بالكعاب اذا رموها كعبا يكعب حتى يزيله عن موضعه . وفي المخصص قال صاحب العين - الشذق - الكعب الذي يلعب به . وارتب الغلام الكعبة وربته - اشبته - والعاب الكعاب لا تخرج عن ازالة الكعب عن موضعه للفوز به . ولكل لعبة منها اسم ومصطلحات . ولعبة الجاقول يلعبها الصبيان والكبار في الربيع ويديانها ارض مقعرة قليلا وهي غالب ما تتوفر في البرية وادتها الكلة وهي كرة صغيرة الصوان الملون نهيا بالقر وتصل داخل قالب من الاجر ، تقذف باصابع اليد اليمنى لتجري فوق الارض موجية نحو كعاب او قطع من التقد المعدني الصغير ، فما مسته يكون كسبا لصاحبها ، يلعبها بضعة اشخاص معا .

وتلعب الصبيات لعبة العاج اي لعبة الدمى والعرائس وتصنع في البلدة ولعبة العاج تمثيل لحفلة الزواج . فالصبيات يزوجن عرائسهن ويجلوهن ويعدن لهن الثياب والاناث . ولقطة الدمية العروس غير شائعة وانما الشائع لقطة (العاجة) بمعنى الدمية . واللقطة قد تكون متناهية من العاج الذي كانوا يصنعون منه الدمى والتماثيل الصغيرة . وتلعب الصبيات لعبة بيت بيوت ، وغماية ، وقعدة ، ومسترأح

(الشوقلة) . ولكل من هاته الالعاب الفاظ خاصة تؤدي في نعم عذب في اذان الاطفال ، سقلته الستهم على مر السنين حتى صار له وقع مستحق في اسماعهم . وهم ابدا يواصلون اوقاتهم باللعب وبلاستماع الى قصص الجن من الجدات او القرويات الضيفات . ثم ينامون ملء جفونهم نوما عميقا ليلدا . وما ان ينهضوا من نومهم صباحا حتى يستأنفوا لعبهم في الطرقات اذ لم تكن الكنايب قد احتوتهم ، على انهم كثيرا ما يترددون عليها فيهربون الى البرية والبساتين غير مباليين بما ينتظرهم في الكتاب في اليوم التالي او الذي يليه من عصى الملا او الخوجة او فلقتهما او حجزهم في الكتاب طوال اليوم بلا طعام . وكثيرا ما تشغل ليالي الصبيان بالاجاجي (الحزورات) تلقى اليهم من الكبار رجالا ونساء ولا تخفى فوائدها .

يلعب الشبان والرجال في ليالي الشتاء في البيوت لعبة الزهر ، وتتألف من تسعة اقداح صغيرة من النحاس توضع داخل طبق من القش المقر ، ويوضع خاتم تحت احد الاقدام التي تشبه الفناجين وينقسم السامرون قسمين وتلعب اللعبة بحماس وتطلب فراسة . ولذا يتولى الكشف عن الخاتم شخص ذكي واللعبة لقاء رهن من الفواكه او الثمار المجففة او غيرها ولها اصولها وتلعب كل مرة في بيت من بيوت الرفقة . واسمها مأخوذ من مشابهة اقداحها للزهر ، وهي قديمة في دير الزور وتوجد في انحاء من العراق وسوريا .

ويلعب الكهول والشيوخ في كل الفصول وخامسة في الشتاء في البيوت لعبة الشطرنج وهي قديمة في العراق والديريون ماهرون فيها . وتكاد تكون شغل الشيوخ كما يلعبون العابا اخرى هي الترد والدامة والمثقلة والادريس . وقلائل يلعبون (الزود) او لعبة الكعب وهي لعبة فمار لقاء تقود يقوم فيها الكعب مقام الزهر . ولعل لقطة الزود مائة من لقطة (الزود) وهي في القاموس : زدي الجوز ، وبه لعب ورمى به في المردة للحفيرة وهي لعب من الصبيان بالجوز والمزادة موضع ذلك . وزدا الصبي الجوز والجوز يزود زودا اي لعب ورمى في الحفيرة . وتلك الحفيرة هي المردة .

وفي الربيع يلعب الشبان والرجال العابا كثيرة متنوعة ، يلعب الصبيان في الليالي في الطرقات ، الضايغ ، الشكام ، عجيرة يا شبيحه ، اربع قرن ، تنور خراب ، طق العجل ، قينة قينة ، افلى صجن او افلى صين ، واحد قوق ، ذك ذوب على الغنم ، مدة مدة سيفي . ولكل منها الفاظ خاصة متباعدة يردها رئيس الفريق اللاعب ، ويدخل الركن في كل لعبة وتطلب الانتباه والمهارة وخفة الحركة والاحتراز ، والتضامن . فابن الشعب الذي اوجد هذه الالعاب لم يوجدها عبثا ومضيعة للوقت وانما رمى من ورائها نفع ابناؤه قومسه . وفي الشمار يلعبون بالمصرع والمدينة والتاور ، والوغافة . والبرازة في الطرقات . كما يلعبون لعبة

والقفز على الحبل والطابة والصقلق وهو عبارة عن خمس حصوات الواحدة بحجم البندقية ترمى على الأرض ثم تلتقط منها بنظام وتقفد في الهواء ثم تلتقاها صاحبها بيدها وتعاد العملية بأشكال متباعدة حتى بلوغ مرحلة معينة تتداول لاعبان هذه الحصوات الخمس .

وتلعب الصادري والنساء في الربيع والصيف في الدور والساينين والبرية لعبة الدورة بالتراب، تدس فيه النقود . ويقسم اكوما صغيرة بعدد الالعبات ، وتختار كل واحدة كوما فما وجدت فيه من النقود فهو لها ، وتعاد اللعبة مرارا بمقدار ما ترغب اللاعبات من الوقت ، واللعبة محبة الى النساء اللدريات ينفسن فيها عن ضيق حياتهن ولانها اللعبة الوحيدة التي يمكنهن ممارستها وهي لعبة نسائية محضة ، لا يلعبها الرجال قط . وهي لعبة قديمة من ألعاب القمار البدائية ، عرفها العرب القدماء باسم الانبوة .

وتسبح الصبيات وبعض النساء في الصيف في وقت القيلولة في النهر بشبابهن لوحدهن اذ لا يعرفن الماي .

وما ان يقبل الصيف حتى يجعل الصبيان من نهر الفرات ومن ضفافه ورماله وأشجاره ودغله وجزره ومبائله ميدانا واسعا لالعبهم الكثيرة التي تستغرق طوال نهارهم ، يسبحون فيه ويغوصون ، ويتزحلقون فسوق زحوقات يضعونها (زحلينة) ويظلمون جوسهم في الطين والرمل ويلعبون الحجج والشبوط ، والقفز ، ويتبارون بالغوص وغير النهر وقذف الطيخة الى النهر، ويغزون الساينين القريبة لفرقة النمار ليتلقوا بها ، لانهم لا يعودون الى بيوتهم الا مع اقبال الليل .

ومن ألعاب الصبيان : الفراوة والنوشاح ، القوس والنشاب ، النشابة ، الصرنابة ، الدودوجة وهي الارجوحة او المرجوحة . والقلاية ، والحصن الخشبية ولعبة الخيول المظومة وهي عبارة عن عصي طويلة يمتطيها الصبيان وفي طرفها الاعلى الرسن واللجام . ولعبة الرماح المشروعة وهاتان اللعبتان تمثلان الفروسية والغزو مما يمارسه البدو في البادية وكان صبيان الدير يشهدون اعمال الفروسية ومرو والفرات ببلدهم على صهوات خيولهم حاملين رماحهم المشبرزة ذات السنان المشنكلة ، والتي اذا هزها الغازي وهو يطارد فارسا احدثت صوتا يربب الفارس المطرود ويقوض اعصابه فيستلم لمطارده ولعبة جوز الا فرد ، تلعب بالنقل ، ولعبة طرة الاياز بالنقد .

وقد مارس الديريون الى مدة قريبة سباق الخيل . وكانوا يعنون بتربية الخيول واقتناء الخيول الاصيلة يتاجرون بها ويستخدمونها في تنقلهم بين بلدتهم والقرى المجاورة وكانوا يفتنمون حلول العيدين الفطر والاضحى ومناسبات الافراح : العرس والظهور فيجرون سباقات الخيل خارج المدينة .

وكان الديريون الى عهد قريب يدبكون رجالا ونساء معا الدبكة بمهارة وحماس على صوت الزمار والغناء من امرأة

او رجل ، وتطيب نفوسهم بها ويطربون لها طربا زائدا احلالا . وقد اضعنا الدبكة وبلا للخسارة الجسيمة مع انها راققتنا كضرورة اجتماعية واداة تنفيس وتسليية بريئة وحركات رشيقة . والشعوب تعزب برقصها الوطني وتحافظ عليه وتعرضه في البلاد الاخرى كاحسن دعابة لها . فلا نحن قرويون لنا رقصنا ولا اهل مدن يحلون الرقص محلا مرموقا بينهم كنا خليقين بان نبقي على الدبكة وترقيها وننميتها ، فانها تراث قديم نافع ، وهذه وزارة الثقافة عندنا تثبت الدبكة وعنتب بها واستلهاست لها فرقة تؤدي ديكاتها وهذا هو رقص السماح يطل علينا من سنين من دمشق وحلب تؤديه فتيات الاسر المعروفة وبخطى بتشجيع الحكومة . نأمل ان يعم المدن السورية كلها الى جانب الدبكة .

ولقد اهلنا العناية بالخيول اهمالا تاما فخرنا موردا اقتصاديا كبيرا وفقدنا ألعاب الفروسية .

واهلنا السباحة ، فلا مسابح عندنا ولا زوارق وتجديف ولا نوادي لها . لقد سعدت بالالعب الاهلية بدير الزور زمننا ويسعدني دوما مجرد ذكرها . ولكم كان يشوقني الاطلاع على ألعاب العرب القدماء لو انهم خلفوا لنا وصفا لالعبهم ولكنهم لم يتركوا في هذا الميدان سوى اسماة قليلة بعض ألعاب صبياتهم وردت في المعاجم اللغوية بشرح موجز لا يفيد وصفا ولا تعريفا ، فما اجدنا بان نبادر الى وصف العابنا الاهلية وايراد كل ما يتصل بها من الفاظ وبواعث وظروف وبذلك نوضح لها ولحياتها الحاضرة ليكون للاجيال الآتية مادة وصدور لا يفقدونها كما نفتقدن اليوم اوصاف ألعاب العرب القدماء وحياتهم .

منذ سنين وأنا استمر الرغبة والحماس في نفي لوضع كتاب في الالعب بدير الزور يتضمن وصف كل منها والفاظها وميدانها ووقتها او تحليلها ومقارنتها بالالعاب مناطق اخرى وبالالعاب قديمة لتقدير لاهميتها واعجابي الزائد بعمقها وتويعها وطرافتها . ولكنني لا اجد الوقت وكنت اتمنى لو كنت متفرغا لخراج كتاب في الفولكلور عندنا . تمنيت لو التفتت الجهات المسؤلة عن الفولكلور اشربة سينمائية لالعب المناطق . وتمنيت لو اقامت كل منطقة مهرجانا لالعابها الاهلية يوما في السنة .

وتمنيت لو خرجت من كل منطقة كراسات عن تقاليدها ان لم تكن كتباً بتشجيع المسؤولين اذن لكانت لنا مكتبة في فولكلورنا تكتب سنة بعد سنة ، ولو وجد فيها الفولكلوريون الاجانب مصادر يبحثون عنها لايجاد دراسة شاملة في الفولكلور نفيد منها بدورنا . اتنا لم تقدم شيئا مذكورا بهذا الخصوص . وارجو ان تكون اعمال اجنتنا هي التواة الصالحة لذلك .

دير الزور - سورية

المحامي عبد القادر عياش

عضو لجنة الفنون الشعبية في مجلس الفنون

كانت الاشجار تبسو لهما - عير
البركة - خضراء ممتسمة . نظرت
اليه ، ثم اشارت بيدها قائلة :
- انظرو .. الا تعجبك هذه
الاشجار ؟

- نعم انها تعجبني .
- الا تثير في نفسك شيئا ؟
- ماذا ؟ لا افهم
- كنت اتمنى ان ارى غابة
- بلدنا ليس فيه غابات
- هذا شيء مؤسف
- كلا .. انه لا شيء على الاطلاق
- ما معنى هذا ؟
ومرقت طفل من جانبيهما ، كان
مرتبدا بظلوها احمر ، وقميصا
ابيض . التفتت الى الطفل ، وداعبته
قائلة :

- تعال .. تعال
توقف الطفل عن الجري ، وتاملها
قليلا ، وكأنه يسألها ماذا تريد ؟ ثم
يتابع جريه ، دون ان يلتفت اليها .
وسوت خصلة من شعرها ، كانت
قد انحدرت على جبهتها ثم قالت :
- الجو جميل وهادي
- نعم .. انه جميل وهادي
- ولكن الا تحس بشيء غريب ؟
- ما هو ؟
- تمنيت لو ان هذا الجو صاحب
اطرق ، ثم تفت حوله في ملل ،
ثم قال لها :

- هيا نتمشى قليلا
- لا اريد
- هل انت متعبة ؟
- بعض الشيء
- اذن هيا بنا نعود الى البيت .
في الطريق ، ظلت صامتة ، وحاول
هو ان يتكلم معها ، ولكنها كانت
شاردة ، لا تعي ما يقول . وفي البيت،
جلست بجانبه امام الراديو وهو
يرسل الحانا موسيقية هادئة . وظل
الصمت بينهما ، وحاول هو ان
يخرجهما مرة ثانية عن صمتها فقال:
- اريد ان اشرب شايا
- حاضر
قامت من جلستها ، وذهبت الى

المطبخ ، فتبعها وظل واقفا بجانبها
وهي تعد الشاي .

- بدا الشتاء
- كل سنة وانت طيب
- وانت طيبة .. مضى عامان على
زواجنا .
ابتسمت ، وتلاقت عيونهما ، ثم
قالت :
- عقبال مئة سنة
ربت على كتفها ، وانحنى يقبلها ،
وحين رفع راسه ، لمح دموعا تنحدر
على خديها .
- ماذا ؟! انبكين ؟
- اننا وحيدان
- كلا اننا نشعر بالسعادة
- تمنيت لو استطعت ان انجب
لك اطفالا .



بمقلم مصطفى أبو النصر
http://Archivebeta.Sakhril.com

- هذا شيء غير مهم
- وماذا ذنك انت ؟
- انني كما تعلمين لا احب الاطفال
- انت تكذب
- كلا ، اننا مسؤولية ، لست
اهلا لها
- عذر لا معنى له .. الماء يغلي .
رفعت الابريق من على النار ،
ووضعت ملعقة شاي فيه ، ثم وضعت
الابريق مع فنجانين في الصينية .
وسبقها الى الحجرة ، وجلست امامه
تصب الشاي .
اخرج سيجارة واشعلها ، ثم رثف
من الشاي وقال :



- انه متقن .. تسلم يدك
ابتسمت ، وارتخت من جفتها ،
فداعبها قائلا :

- اتشعربن بالخجل ؟
- ممن ؟
- مني
- انت ؟!!
- اذن لماذا تسبلين من عينك ؟
ابتسمت ثانية ، وكانت بسمتها
هذه المرة ، عليها مسحة من حزن
دفين .
في هذه اللحظة ، رن جرس الباب،
فتبادلا نظرات متسائلة . وقامت
لتفتح الباب . كانت اختها وزوجها
واولادها . ومرق الاطفال من تحت
عناق الاختين .

في لحظات ، دبست الحياة في
الشقة ، وعلا ضجيج الاطفال ، وهم
يدورون حول الترابيزة في الصالة.
وتخيل ان اولاده - هو ايضا -
يلعبون معهم . كم سيكون هذا المنظر
جميلا ، وانتهى على صوت زوج
شقيقتها يسأله :

- فيم تفكر ؟
- لا شيء
- انت سرحان ؟
- كلا
- كيف حال العمل ؟
- الحمد لله
وعاد الصمت بينهما ، وقالت
زوجته ، لتعد لهما الشاي ، وتبعثها
شقيقتها . وكان صوت خافت ينبعث
من قلبهما عن شيء تسالها عنه دائما
شقيقتها كلما زارتها ، الا انها لم
تنطقا بحرف .
وصرخ الاطفال في الصالة، واخفى
احدهم تحت الترابيزة ، وحاول
الاخران ان يمسكاه ، الا انه اقلت
من قلبهما ، واتدفع الى حجرة النوم،
وسعد فوق السرير ، وجعل يقفز
عليه قفزات متوالية ، فاعجبت للعبة
الجميع ، فاخذوا يهزون السرير ،
ساعدين هابطين . وكانت اصواتهم
تصل الى الاب ، فبدا خجلا وهو
يقول :

يسير وهو ليس كالأخوين

مهداة الى الشاعر فؤاد الغنم

هكذا ... الجميع مرة واحدة في اللحظة
المحسوسة ،
برغسون مونتاني جيد فولتير باسكال
كلهم سجنائي
اكدت افواههم دفعة واحدة
علني اجد معنى ان يكون العرش العظيم خاليا
ان افهم عناصر التكوين الاولى
للقلق للعرشة .
بعيدا ... من خلال تأملاتي ...
الشعور بالحب
الاحساس بالحبيبة ... بلاطفال ...
النهر المتصوف
الارض التي كانت غاية صفصاف
الابنية العالية ... الازهار المتواضعة
الواحات الكبيرة ، التماثيل العملاقة
ومجموعات متضاربة الالوان لبشر ليسوا
غرباء
حجوم صغيرة ... ومسافات كبيرة
ديان الطين الحلقة الحمراء
والسنة الذهب الصارخة
حتى اليبس الحيوانات الكاسرة
والاقوام والاجناس
كلها ... ومجموع اساطيرها
خطوط باعثة للهيكل الذي اسميه القلق .
مفهوم وبديهي انا انسان
وان لم يكن منذ البدء لي الراي في انساني
اما وقد وجدت المكان الكبير ... خاليا
رغم الابعاد المسحورة المسحورة
فالعرشة ... والقلق ... الصورة الاكثر
نقاء لي لصوري .

زكريا كايا

عندما تتفتح ابواب السماء العظيمة
هكذا دفعة واحدة ، في الاجواء الصحيحة
تتناهين العرشة
كالتى لا يعيها طائر البحيرات في امسيات
الشتاء
على تلك الجوانب الضحلة المشخنة برماح
البامبو .
ابحث عن الذي اسميه الغريب النائه
لالقي بقلقي امامه ، كمضي الترحال المعقدة
في اعماق المحيطات عوالم كاملة منسية
في الاصقاع النائية جبال مدنيت مدفونة
هي يوضوح اعماقي .
الطيور عادت ليلا الى اوكارها ... الى
صفارها

بدافع مجهول القلب
وامواج الريح تلحن انغام التشيد الاعظم
سالحة كرائدة الفضاء بلا امل
لان الذي يحسها يموت
كمن يعيش اساطير الاغريق .
في قلب الغابات الموحشة
لا اسم اعظم من تسي تسي
انا ايضا اعرف شيئا عن الطنين القاتل
عجبا ... ؟
الليل هادئ السكنات
النجوم مثقلة الاجفان
الانغام بانسياب غدير الواحات
وكل ما يحيط بي
تماما كالكتب التي على طاولتي
بل كصورة خطيبي ...

زوجته ، وتبادلا ابتسامة هادئة ، ثم
ربت على كتفها ، وقبلها قبلة حانية .

مصطفى ابو النصر

القاهرة

ودار بين الاربعة حديث ميت ،
لا معنى له . ومضى الوقت ، ثم رحل
الزوجان باولادهما . وحين سعاد
البيت الصمت نائية ، نظر الزوج الى

— نحن نضايكم باولادنا
— على العكس .. اننا سعداء جدا
— يوسخون الشقة .
— على اي حال .. انهم اطفال .

مكتبة الاديب



المغرب ، والحسين ذروة مسن ذرى الشعر
المهجري ، يرسم لذكرياته اذهى الصور باجمل
الالوان واراق الانعام ويصف الوهاد والرفاق
والبنابر والتواجر ، والروابي ، والسواقي
والودية ، ثم يلع عليه الجوى ، ويبتلع الوجد
في جوارحه ويصرخ :

كل شيء يرفينا قد حوى بعض ذائبه
كل شيء يعيش في حلم من سنائيه
ولا غربة بعد هذا ان ينادي ضيعته من

وراء البحار بلهفة متلذذة بالامل فيقول :

فيصمتي ! هل اعود من غربة جد فاسيه
ويسدوي بصمعي مانجا صوت راغيه !
وارى الافق حالما والاماسي ساجيه
والكواسين والشماء وينسا حواتيه
هل اراني يبرمج مقلته منه راتيه
عائدا نحو جنة صفوها قد دعائيه

وبعد جولة بين نلال الضيعة والزيتون الحبيب والكروم واللوز يختم
قصيدته الطريقة بهذين البيتين اللذين يعبران عن اعظم امالي المغرب ،
وقد تحقق حلمه بالعودة :

عدت للريف يا فتى ما سلا ثلثه
فابتعت الاسم وابنتع عيشة فيه هائيه !

فيا حب الارضي كم نوحى من بدائع ... وما اشد لصوق التراب
الطيب بصدر الشاعر ، لقد تميز حين فؤاد الغشن بطابع الجمال الريفي
الذي قلما نول في اعماق الشعراء المهجريين ، وكانهم وفؤوا في حنينهم
على الشاطئ ، وقد عب بحر الحنين عبابه ، واشتد اصطفاه ، فكانت
اهم الزفراء والآيات ، والوقوف على الجنيات ، اما الآلي المتلذذات ،
فما ذكرها لنا ليج البحر ، ولا فاصوا لانتشالها من القفر ، ولا ترجوها
بحروف من الجعر .

فيا حب الارضي كم نوحى من بدائع ... وما اشد لصوق التراب
شعره فيث متهر يسقي به تلك الارض الحبيبة التي فرا على اديمها
آيات من سفر غمر مكتوب ، هو سفر الحياة والجمال والحرية ، فاذا هي
هتاف الحب .

وهذا الحب الذي هو كنه الحياة وجوهرها ، هذا الحب الذي لا
يفيض ويمل القلب الا بعد تجارب عتيقة فاسية وانصهارات نفسية فيها
شبه من الانصهار والبركان والزلال ، والا بعد ولادات متعاقبة تطرح
الزغل ، فيصفو القلب ويتأق ، هذا الحب المصفى ، هو الذي يدفع
الشاعر بعد عودته من دار الاقتراب ، الى شباب الريف وقد لبس للقاء
شاعره اذهى الثياب ، واصطفج بالف لون وخضاب .
ويتابع الشاعر فيفتني بالجدول الخضر الصفاف ، وباشجار الصفاف،
وصحراء الشويبات المشهورة بأشجار الزيتون ، ولا ينسى السفع والزهار
التسلل :

هل نسيت السفع يا فليل وهل غرستك نثرات السدوالي
وصبايات الرشيقات الخطى كيف يبحر الاغاسي في السلال
وفي قوله (يبحر الاغاسي في السلال) لفظة لاحة بارعة ، ذات
معان رائعة .

ويختم الشاعر نشيد اللقاء بعين دامة ، وسكنية قلب مامة ، ففي
ذلك التراب القدسي سيقلق نعمة الثرى الواسعة :

ها هنا نفوس شويقاتي الحبيبة بين زهر نشر الفجر طيبوسه
وهنا يا قلب نفوس عنديا تتنسي فذاك التكلل الرتيبه
تحت زيتونة سفح هسادى سوف بكينا بدمعات خفسيه !

غاية الزيتون

مجموعة شعرية - فؤاد الغشن - ١٤١ صفحة - منشورات دار مكتبة
الحياة ببيروت - الطبعة (٢)

حب اللباني لارضه غريق اصيل ، جرى مع الدم في شرايينه منذ فتح
عينيه لنور الحياة والتاريخ ، وهذا الحب ، هذا الشغف هو الذي اهاب
بشاعرنا الكبير فؤاد لغشن ، وهو الذي ناداه وادحى له عندما نظم تلك
الرائعة الابداعية « غاية الزيتون » ، ولزيتون في لبنان مكانة قديمة لا
نقل فداستها عن الارز ، وربما رجحت كفتها بما تعطيه من غذاء ونور .
ولا اقول ان « غاية الزيتون » من حيث الفزل بجمال الطبيعة فشج
جديد في دنيا الشعر العربي ، فالشعراء العرب بين القدمين ومحدثين
تنفروا بجمال الطبيعة ، ووصفوا الربيع وعتراته ، ولكن هذا الفزل
كان مقصورا على ما تتوقفه الحواسي ، مما نانس به العين واليد والانف .
اما « غاية الزيتون » فابتها انها جمعت بين الحسوس وغير الحسوس ،
ولا افاقي ، ولا اعدو الحقيقة اذا وصفتها بانها فتح جديد في عالم الشعر
العربي ، وانها تعبر اصدق تعبير عن الروح اللبنانية الهائلة ببحاسن
الطبيعة ، وعن القلب اللبناني الشغوف بارضه وقرايه ، وعن الوجداني
اللبناني الذي يفتن الصخر استنباتا للغيرات ...
ولتصنع بعد هذا الى شاعرنا ، وقد وصف عزاله هيكلا وروحا :

عزائنا معلق يوج القلوب
صنوبرات الخنسي تقسمه وتنشق
انصافها ميسادة من قوفه تفتشق
مراوح من مخمل تنقله وتخفسق !

ما احلى الانصاف مراوح من مخمل ، وما اجمل ظلها وخفقاتها ...
ويذهب الشاعر في الوصف فري العزالي جنة وعش يمامة ! ... وبا
لهم بلصق اللحن بالحنن والاصلاص بالاصلاص واللم بالفلم ، فلا بقية
لرمسقى ...

امامنا زرق المسافات وافق مطلق ... الخ ... ولنتنقل الى قصيدة
« اصداه » وهي ذكريات عتيقة لبلال مزمنة :

وباعمال خيالي جنة جمعت فيها النفوس المؤمنة
ومنهانا ما من ريف على تلك الربيع اسبغ الله عليه فتنه
نشر الفصوص على تربته ويازهرا الاملاني زنبهه
انا من ارض رعاة جرحوا سحبة الناي الحنون المحزنة
من جدود عصرنا الكرم دعا سكوت منه الغوايب المدمنة
وعلى سمر الدوالي كتبوا شرعة الحب وخطوا سننه !
وما افرح هذا الشعر الصادق الى الفلبس وما اوفقه في التنسي
الحساسة التي تتلوق الجمال الطبيعي بكل مظاهر البدائية ، واناسه
البدائيين ، فالشاعر لم يأخذ زهو التراء ، ولا فخامة القصور ، ولا
فخلة الجاه وشموخ الحب ، وجمعية الغنية المادية المطبقة بالف
لون من الزياء ، وانما اخذ زهو الريف ، فاعتز بالفصوص منتورا على
تربته ، وبإبراعة بطلقون في جوه زفراء الناي الشجي .
ونلقى في « نداء الريف » حنينا رفيقا يبعث من صدر الشاعر

عبد الله القلشندي صاحب معلمة (صبح الأعشى) . وقد نهض بتحقيقه من مخطوطات في الفرائد أحد وعاء العلم وسدنة الأدب هو الأستاذ عبد الستار فراج المحرر الأدبي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتكليف من حكومة الكويت التي نشرت هذا الكتاب بهممة وزارة الأنباء والإرشاد فيها. وهذا الكتاب هو الثالث عشر من سلسلة التراث العربي ، الذي حملت عباة الجسيم بهممة قيادة ورأي رشيد ، وقد قدم له المعارف بالمخطوطات وخبرها الأدب الدكتور صلاح الدين المنجد .

نلك توطئة بين يدي الكتاب ، أشبهت فيها من يعرف بتحفة سنية ، ليس يستغنى ، وهو يعرض لخواها ، عن كلمة يقولوها في وصلها ، والتشويق إليها .

يستفتح مؤلف الكتاب القلشندي كتابه بخطبة على طريقة مؤلفي عصره بالحمد لله والنشأ على الخليفة وقد كانت في عصر المؤلف سجية السجع مسيطرة على الآلام ، حتى في نأليف كتب التراجم ، وفجرى في مقدمة مسجوعة على تلك الطريقة التي كانت ذاب أهل عصره لكنه سكب عليها اللفظ المختار والغنى البديق ، وإن عسرنا وإن خلص من هذه الكنايا فإن في عودة الدارسين إلى النظر فيها أطالها على الماتر القديمة في الفكر والآداب والفن . (وهذا الكتاب وإن كان بأنه اثر تاريخي فاني لا أراه اترا متقدرا بوضوح التاريخ ، وإنما هو أدب وسيرة وأخبار ونواد ، ولعلمي أعده من الكتب العلمية ذوات التخطيط ، على مصطلح الكلام في عصرنا لهذا اللفظ الذي اخذت به الدول العربية اليوم . فكتاب مآثر الإنافة تخطيط – كما أراه – للخلافة يومذاك في تنظيمها وإدارتها وما كان يكتب في دواوين أسنانها من الكتب والصكوك والتوجيهات والمهود للعمال والنظار ، وفي خلال ذلك يورد المؤلف أخبارا غرائب زوالمر جميلة مبهجة وسيرا وتراجم فيميز التاريخ بالأدب ، والفن الإنساني في التمييز بأصول الادارة ، وتخطيط الدولة .

والغريب المحب فيما رآته في هذا الكتاب أن مؤلفه على قذعة يتناسى في طريته في التنايل طرائق علماء الجامعات ومؤلفي دراساتها المنهجية ، فالقلشندي في كل جزء كبير من كتابه هذا يصنع مقدمة ، ثم فهولا ويرى على ذلك بالبحث والآخر ، فإذا تكلم على الخليفة عرف بنسبه وأصلاته وتبافته ومزله ، ثم ذكر الحوادث والمجريات في عهده ، وولايات الأسفار التي كانت لديه أو حدثت عنده ، والآثر في جيميل نأليته ، أنه ألم بتاريخ الأمة الإسلامية والعرب المامة شافية ، فبدأ بأول الخلفاء وهو أبو بكر الصديق مسلسلا الكلام على الخلفاء الأمويين فالعباسيين فالفاطميين . وقد فسر المجلدة الثانية منه بكلامه على خلفاء بني العباس ، والثالثة في المكائبات وما كان يسمى حسب طريته في الإداة بالذاهب والأساليب فيما يكتب للملوك ، ومن هم دون الملوك .

وقد نظرت في تلك المذاهب والأساليب فالتفتها جارية على السجع لكنها محكمة الأسول . حتى إذا انتهت مهمة القلشندي فيما جرى بهذا الكتاب ، في فكره وقته ، برز المحقق شاحيا فابدى جهوده بما سمعه هو بعد أن حقق النص الأصلي ، وعني بنصونه ، ثم جاء بالفهارس التي هي من ترتيبه وجمعه ، ولا يعرف مجهودها الحسن إلا من صنع مثلها ، فكان الأستاذ عبد الستار فراج يردف كل جزء من هذه الأجزاء الثلاثة بمجموع من الفهارس والتبوت ، في الموضوعات وفي الآيات والأحداث النبوية التي وردت أثناء الكتاب ، ثم يفسر لقوافي الشعر وآخر للكتب التي ذكرها المؤلف ونهايك بغير أسرار الألمان ، وقد أضاف على هذه الفهارس واحدا لم يصنع على غرار من قبله ، وهو فهرس «الطرائف والنواد والآيام والوقائع» . وقد ظهرت هذه الأسفار الثلاثة النفيسة في عاتقها هذه الألف والنسمعة والأريمة والسنين ، وكل مجلدة في نحو من خمسمئة صفحة من القطع الواسع .

وحين انتهت من النظر في هذا الآثار المريق الذي احتوى الآداب ، وأصمكت بالتاريخ وجدت جمال الآثار بينه وبين ما نصنعه جمهورنا العربية السورية في نشر التراث العربي والإسلامي في المجمع العلمي

أني لا أعرف بين العرب والأجانب شاعرا أحسب الأرض وهام بها واستوحاها ، كما أحبها والتصق بها هذا الشاعر الملمه .

وعسى علينا أن ننفذ الدنوان قصيدة قصيدة . وإن ندرس فرائده فريدة فريدة ، وإن كان قد صادف هوى في النفس ، فجرة من الغمر تنبئك من المنفود من سر وسحر ...

وإذا كانت « غابة الزيتون » قد بلغت المستوى الإرفع نظما وموضوعا فهناك قصيدتان هما ذروة هذا الدنوان الطريف ، فالأولى « صوت الشجرة » وهي كما يقول الشاعر مستوحاة من الشعر البرازيلي ولكن شاعرنا قد تفتن في تالون الصور وأجاد ، وتوسع في المعاني والابعاد ... أما الثانية فهي « سديانة الخولة » وربما كان موضوعها مبكرا في الشعر العربي .

فرائد الأحياء امر مألوف جدا ، أما الرئاء الذي لم يطره شاعر ولا خطر في فكر ، ولا وقع في خاطره ، فهو رناء الشجرة ، وهذا الرئاء هو الذي أنفرد به شاعرنا فؤاد الخشن ، فقد حز في قلبه أن يرى سديانته القديمة – سديانة الخولة – مقطوعة لا أثر لفصن ولا لظل ولا لتغريد بلال وزرافة مصاصي كانت تضمت فيها أمانة تسبح الله . فحزنت نفسه وتصادمت زفراته وغمره الأسى ، واستعمر وراح يرسل تهنائه انشيد ندب شجي حنون :

فقطعت وكنت فياب ينام عليها الصياب
فقطعت وكنت أخضرارا وفلا
وكنت على التل أهلي جناح وازهي وشاح

إرائي أسهيت وإظنيت وعذري وقد أتمدبني النفس أن « غسابه الزيتون » جديرة كل الجدارة بالدراسة والتقد وقد فسر التقاد في جلا محاسنها ومراميهما فما وفوها فيها ، وعذري أننا نلقى في غابة الزيتون روح لبان الثنية المتألقة .

وعذري أن فؤاد الخشن شاعر مهجري متسع الإفاق ، وأني من أسرة زيتون ، وأن يبي وبين الزيتون وشائج قرى عاطفية ، أن لم تكن إيجابية

معنوية ، فهي على الأقل اسمية ...

نظير زيتون حمص

مآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلشندي

كتاب شخم في نحو من ١٥٠٠ صفحة بثلاثة مجلدات من القطع الواسع – تحقيق عبد الستار فراج – ونشرته في مجموعة التراث العربي وزارة الأنباء والإرشاد في حكومة الكويت

أن حركة الإنعاث الفكرى في التراث العربي ولبه راقت النهضة العربية الحديثة ، وما أجد فيما خلفته الأمم من متون غلها ، ومنشوح شعورها ، نرانا مكتوبا كالذي خطته أفلام العرب ، في مظاوى التاريخ ، وعلى ترادف المصنوع القديمة ، قبل أن يمتح الإناسية مخترع الطباعة الراحه من نسخ المخطوطات .

فلم يبقه مجتنا العربي الحديث ، نشأت في الديار العربية في الشام ومصر والعراق ولبنان وفي الكويت والغرب هبة في نشر الكتب التي سلخ أوائلنا أمامهم في كتابة صفحاتها بالبحر ، وتزويق صدورها وخواتيمها بالزعران ، حتى أخرجوها في طباعة حديثة نقية أفتت المكتبة العربية في الخافقين وهم فيما صنعوا حتى إذا لم يعلموا مخطوطات العرب إلا القدر اليسير .

من هذه الآثار الباليات كتاب شخم جاء في ثلاثة مجلدات هو كتاب « مآثر الإنافة في معالم الخلافة » الذي ألفه في القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الخامس عشر الميلادي أحد أفاضل الأدب والفكر أحمد ابن

العربي يدمشق وفي وزارة الثقافة والإرشاد القومي .

وفي زحاح عصرنا الحديث الذي يؤثر كل طرف ، ويمضي خلف كل جديد ، ينبغي ان نعلم علم اليقين ، بان تراثنا القديم الذي ما زال رهن المخطوطات موزعا في اقطار الارض والذي لم يستطع العرب حتى الآن الا على نشر جزء يسير منه يبدو الامامة العربية ان لا تنساه في مكانه باقية دور الكتب الغربية والشرقية حيث لم اجهت من الرفود ، وان فيه لارواحا تطلب اصواتها من كل مكان ان تخرج من مسجونها لتكون كتبا منتشرة حديثة .

ومما يحمد للجليل الصاعد في ديار العروبة والاسلام ، ترحيبه بهذه الحركة الانبثائية لنشر التراث القديم ، فليس يعرف فساد هذه الاسفار سوى اهل الفضل والعارفين بمجد امتنا ومجدها ، وان امتنا العربية التي تافخر في ماضيها بالكرم والوفاء تستطيع ان تعتر بحاضرها وان هو لم يستقبلها كل مجد وطيد وسؤدد دائم .

دمشق

زكي المحاسني

الانسان العربي قديمه وجديده

تأليف الدكتور جورج حنا - ١٥٢ صفحة - مطابع دار المعلمين لبيروت

ان العالم اليوم يعاني حيرة في الفكر ، واختلافا في الرأي ، واضطرابا في النظم ، ويماني قلقا في الحياة ، وان النظم التي يكتب لها العيش في النظم التي تلبي حاجة طبيعية في حياة المجتمع ، وحاجة شعورية في ضمائر الناس ، وهذه هي الحقيقة الواقعة التي سجلت عبر التاريخ ، والدكتور جورج حنا في كتابه « الانسان العربي قديمه وجديده » سير غور الانسان العربي وثبتا له بمستقبل افضل فتكلم في الفصل الرابع من كتابه هذا عن الشخصية العربية في العصر الحديث فقال فسي صحيحه (٢٨) عن الدعوة الاسلامية « كانت لثلاثي نجاحا كبيرا في صفوف الشعب .. في حين كان الزعماء الكبار يتأخرون عن المبادرة ويعملون كل شيء للقمعاء عليها » ، ثم تكلم عن العوامل التي ادت الى انتصار محمد (صلي) في اكير ثورة عربية ... وفي مدة لا تتجاوز العشرين سنة ؟ يقول : « معا لا شك فيه . ان ايمانه الصادق برسالته كان العامل الاول ... غير ان الايمان وحده ما كان لثبات الانتصار بهذا الوقت القصير لو لم يكن محمد يتجلى بصفتا ... لا اميز ولا اقبل : بساطة في العيش .. اخلاق سامية مقروزة في صميم فطرته .. احترام العمل ايا كان العمل .. احترام الانسان ايا كان الانسان .. الدفاع في سبيل الحق الى ما بعده حد .. غيرته بطرية في معالجة الامور مهما كانت شائكة .. قلب مغمم بالحب لهذا الكائن الذي اسمه الانسان .. ارادة حديدية في السعي ليخلص الشعب من الحالة التي كان فيها . »

وارى ان الانسان العربي لا بد له الاكبار من شان الدين وانه يجب ان يكون سنه في الحياة وذلك انهما يكن مركزا اجتماعيا وضيما فان الدين يرفعنا ويكسبنا الكرامة البشرية التي نحتاج اليها كلما ارققنا الحوادث والتجارب كما يقول الانسان سلامة موسى .

والاستاذ جورج حنا يتجلى بالامامة على الشعوب العربية لتخلطها علميا وبفوق في صحيفة (٩١) « وان العالم العربي في جوعه العلمي يحتاج الى الخبز اكثر مما يحتاج الى الفواكه والحلوى » . وفي فصول « الشخصية العربية في عصر العرب الذهبي » بقول المؤلف : « ان الحقيقة التاريخية بين القرن العاشر والقرن الثالث عشر هي بحق عصر العرب الذهبي . في هذه الحقبة كان العرب حاملي مشعل الثقافة الوجدية بينما كانت اوروبا تطف في دجور الجهل ، وهذا القول يذكرني بقول الاستاذ الكبير الزيات « ... وبينما كان الشرق من اذناه الى افهامه مقمورا بما تشعه منار بغداد والقاهرة من اسواء الدنيا والعلم ، كان

العرب من يحرق الى محيطه بعمه في ضباب الجهل الكثيف ، والبربرية الجوع ، وكان حظه من الثقافة يموئذ ما تسمه حصون الامراء المتوحشين من بعض الكتب وما يعلمه بعض الرهبان المساكين من فتور العلم وانفص القرن التاسع والقرن العاشر الميلاد والاولئك الامراء في قصورهم يتسبحون بالابدية ويرمون في الدماء ، وهؤلاء الرهبان في بدوهم بمحون الكتابات من روائع الكتب القديمة لتسبحوا على صفحاتها المحمودة كتب الدين ، حتى ازال الله الفسادة عن بعض العيون ، فراوا من وراء هذا الظلام الداجي بقعة من المغرب تنسطع فيها شمس الشرق فلما تبينوا ان البقعة هي جزء من اسبانيا ، وان التور قبس من نور بغداد استيقظ في نفوسهم طوح الكمال الانساني ، فطربوا العلم فلم يجدوه الا عند العرب . » يقول المؤلف في صحيفة (٥٦) « ان الفزالي كان اكبر فقهاء الاسلام كان فقهاء ولكن له ما يكن فيلسوفا ، ويقول في صفحة (٥٩) « ان الفزالي هو من ازال الفلسفة العقلية العربية من هذا المقام » .

ونحن نترك الرد على قول المؤلف للفزالي نفسه حيث يقول (ولم ازل في عنقوان شباهي منذ راهنت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى الان . ومن اتاف السن على الخمسين افتحم لجل هذا البحر العميق ، واخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوضي لجان العذور ، واثقل في كل مظلمة واتهم على كل مشكلة ، وافتحم كل روضة وانفص غريدة كل فرقة واستكسبت اسرار مذهب كل طائفة لاميز بين محق ومبطل ومتمن ومبتدع . لا اغادر باطنيا ولا ظاهريا الا واريد ان اعلم حاصل ظاهرها ، ولا فلسفيا الا واقصد الوقوف على كنه فلسفتها ، ولا متكلميا الا واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا الا واحرص على العثور على سر صفوته الخ ...)

وهذا يدل دلالة واضحة لا غفوس فيها ولا ايهام ان الفزالي يعتبر من الامم المتجهدين ومن احرار الفكر في زمن فل ان نجد فيه من يجار بارائه التي تخالف آراء معاصريه الذين نسج الجمود على عقولهم غشاة فهم لا يبرصرون . ويعزو المؤلف سبب تأخر الانسان العربي الى تقلب الشعور الفردي على الشعور الجماعي الذي ينفعه من العمل من اجل الجماعة التي هو جزء منها . وبالتالي يحول دون تقدم الجماعة التي يتوقف تقدمه على تقدمها .

وفي صحيفة (١١٢) يشيد المؤلف بشوكة يوليو ١٩٥٢ التي انطلقت من ارض الكتانة ويقول : « اذن هناك انتشرت الافكار العربية الاخرى » ، ويعتبر المؤلف الرئيس جمال عبد الناصر من طراز العربي الجديد فيقول : « والواقع المعروف ايضا .. ان اليد الحركة لهذه الانطلاقة ... صاحبها من طراز الانسان العربي الجديد » . وفي ختام كتابه هذا يشيد المؤلف بمؤتمر القمة لمكوك ورؤساء الدول العربية ويقول انها ظاهرة مشجعة ومعداة نفاؤل . وفي نهاية هذا الكتاب القيم يقول : « اننا بانتظار الازمان المقبلة قريبا لاصدار الحكم النهائي على الانسان العربي الحاكم . والحكم سيكون غيرا وبغاية القسوة من فاض لا يساير ولا يرحم .. اسمه الانسان العربي الجديد » .

بغداد

عبد الخالق عبد الرحمن

آلام

مجموعة شعرية - لتدريج محمد - صفحة ٩ - مطبعة (١)

نصيب « اللوحة » في الشعر العربي من الدراسات الادبية قليل لا يكاد يذكر ، ربما لتقلية الجانب التاريخي الذي يرصد الظاهرة الادبية ويتبناها عبر العصور المتعاقبة مؤكدا على ما اصابتها من تلون وتغير خارجيين في الغالب ، دون الالتفات الى اسرار جمالها وتحليل عناصرها

وصلتها بالشاعر ، وربما لأن شأن « اللوحة » في شعرنا القديم لم يكن شأن البيت المفرد والحكمة السائرة والمثني البارح كثرة وذوياً .

وأما كان السبب ، فقد عرف الشعر العربي القديم لوحات منه هذا الشاعر أو ذاك ، وهي وإن تكن قليلة متناثرة ، فقد توفرت لظهورها أسباب الإبداع والفن . وربما كان « ذو الرمة » الشاعر البديع القديم ، أفضل ما يبرع في رسم اللوحات الصحراوية الجيادية بيتها أحاسيسه ويحملها مشاعره ، وهو (في هذا الجانب) فريد في الشعر العربي القديم ، فهو يصورها في وصف الشاعر الذي يشاهدها ويعجب بها ، ولكن وصف الشاعر الذي ينسجم فيها وبغنى ... بصفا من الداخل ، داخل نفسه وروحها أو كان شديد الحب بها ، بل قل شديد العشق لها وقد تحول يصنع لوحات يسجل فيها مشاهداته ويرسم مناظرها بجميع تفاصيلها (كما يقول الدكتور شوقي صيف .

فإذا انتقلنا إلى العصر الحديث طالعنا لوحات فنية بارعة عند شوقي وإبي شيبة وفوزي المفلوح وأنجي وعلي محمود طه وإبي ريشة والإخطل الصغير وسواهم . ولم يعد الشاعر يفتن بالبيت دون اللوحة ، ولا باللمحة الدالة دون الصورة الكلية ، إيماناً منه بضرورة توفر الوحدة العضوية ، وأعمال الفكر والخيال في تمثيل التجربة وخلقها على سبيل التصوير الدقيق النظم لا على سبيل تكرار المعاني والخواطر المتناثرة التي تفتن التجربة ولا تصورها . وقد بلغت محاولات الجيل الماضي في رسم « اللوحة الشعرية » مداهم دقة وشموها على أيدي كبار الشعراء المعاصرين الذين تغلوا عن أسلوب المعاني وآثروا أسلوب التصوير باللوحة التي تنظم القصيدة كلها . ولقد استطاع نديم محمد ، من بين الشعراء المعاصرين ، أن ينفذ في « الأمل » ديوانه الأول ، إلى لوحات عامرة تنبش بالحياة وتفيض بالشعور رسمتها ريشة فنان ماهر وهب القدرة على تمثيل الوصف وحشد جزئياته وتنويزها في أمكنة المحددة من اللوحة ، فلذا هي صورة كبيرة ملونة تجذبك منها براعة الشاعر في خلقها على نحو منظم لا ينبو فيه بالخشو . ولقد يمكن أن يقال أنه في بعض قصائده ما زال مرتبطاً بالقديم ، أو قل أنه يكرر صورة قلب عليها التليد ، وافقدها التكرار بعض جمالها في مثل قوله :

أنت في الشرق حين انظر والغرب وفي الماء والثرى والسكينة
أنت في ظفيرة النسيم على الروض وفي العطر والندى والقباء
أنت في كل ما أحس وما أكون بعيني لولاك غير فضاء
الندماء والخمر والحب والنأي وما شئت من سنى ورواء

فاللوحة قديمة لا يفتك فيها جديد طريف ، ولا يشغف لها أن الشاعر تصورها ، فترامد له خيال الجينية في مظاهر الطبيعة المتباينة ، ذلك أنه يفتن باللون من اللوحات الشعرية أنه يرجع الحدود لا يمسك به عن الإلتئام والتسبب آثار محدد يسقط اللوحة في بؤرة معينة وبهية لها حيزاً خاصاً يعول دون أن يستسلم الشاعر لتكدس جزئيات تصويرية يمكن أن تمتد إلى ما لا نهاية وعلى غير ما نظام ، كما كان الأمر في القلب الأعم من شعر النشائي .

على أن هذه اللوحة التي تكاد تكون الوحيدة في هذا النزوع لا تمنع من أن تكون هناك لوحات جياد ، في رسمها جهد ، وفي تخطيطها فن وأتقان :

حلم نال أصابات عليه الكوخ في يوم همداء وحجور
حلم العيش مفردا في أعالي الريف الآ من فصبة وسمر
يمسك الفجر بعيني فما تغسل إلا في دفقة من نور
وأنت في شرفة الصبح أصداء فؤادي بنفحة المصفور
وأنت السدى العابت في العشب لآحني منه ابتلال الحصر
وأبت الاتسواك منها بسكني واري بالشوق من فوق سور
وأزيع القشور أبعد عن الظاهر مني تقالة الزنبور
وأسيو من تحت ظهري وأردت إلى الخلف بالكاك فرسر

فتدلف الأوراق من فوق راسي ونبت الزهور حلو العير
وقبيل الشرح المندمن حولي نعمة السمع والنحي والشعور
وفراش يرب إلى جنب عرسي لأسب في روائحه والشوق
وفريش عني خراف على التسل صغار يفي كسر نشر
وغدير غاف على قدم السفح إلى الآن بانتظار الهجير
يبسدي الشاي أو بها مبدد السنبيل أو سلة لجميع الزهور
ومني في الغياض أعواد دسقي ولغناح شتى ليل الطيور
ورؤاني كلب أمين على شخصي من القدر في غلال المسير
وحصار في العود يحمل ما نمرت من حاجة وصيد كسر
وأراني مع الأصول مفرق درب ومشرق من مخصور
والى جانبى مرف دجاجات قريب منسه مناه ففسر
والعاصف لها مغرب النور لتسند له بلحن أخسر
هو الريف ببساطته وسحره وصفاته مجسما في صور تصل وتلاحق

عبر موسيقى (الخفيف) الهادئة ، حتى إذا انتهت صورت أنك أزاء لوحة متكاملة استمتعت فيها ريشة الشاعر دقائق الصور وسجلت جزئياتها ، لا يعوقها وقوف عند صورة دون أخرى أو اهتمام بجانب دون سواه . وبالرغم من أن اللوحة واسعة تشغل حيزاً مكانياً بكاد يفسد كل مظاهر الطبيعة في الريف ، لم يتول الشاعر البهر ولم يقصر إبداعه الفني عن التجويد في كافة جزئياتها ، ذلك لأن استنساخ الدقائق العاطفية القوي كان كفيلاً بالمحورول دون مثل هذا القصور ، وكان كفيلاً بأن يهمل الفجر الذي يلا عيني الشاعر ، والذي بدأت به اللوحة ، بمغرب النور الذي تسند له العاصف بلحن آخر غير العديد من الصور الجزئية البارعة . ولنلاحظ كيف بدأت اللوحة بهذا التمهيد الذي يوحى بوقوف الشاعر منها وصالتها به :

حلم نال أصابات عليه الكوخ في يوم همداء وحجور
فاللوحة إذن حلم ... حلم زاه يشيع فيه جو من الرمي والهيدو
هنا دون هنا فتعكس إحساس الشاعر وإيقع من شعوره في طور من
أطوار نفسه ، فلم تعد اللوحة عنده مجرد صور جامدة ، إنما هي لحظات من اللفظ إلى العاطفة ، والهرب من الآلام نطل وراء جزئيات الصور وجوها الساحر .

نجد مضاداً لكل القول في لوحة أخرى يفتن فيها الشاعر من حلمه العذب على وجه الواقع الذي هرب من شفافه ، فلذا بالسواقي تسجج بالتماسيح ، والفراشات تكس العنق الميت ، وإذا بظلال الموت والصمت الموحش تعكس على كل ما تقع عليه عينه :

والسواقي ملقى العصافير فجئت بالتماسيح حولها والبزاة
وإسول الصفصاف لا تسلا العين حياء كفايسر الاسمياء
فلا الشمس غربت على الأصناف ففر من ساجعات الفصون
ولحست القديس كبريت كالمسفة يهيك غوارب النقصان
لا ورودى الإكثار نظيره فيه الحر عذرية الصبي طاهرات
حرستها الظلال فاجترت عريا وفرت ظلالها طاهرات
والفراشات تكس البقي الميت عليها خوفاً ذلال
وعيون البراعم الحور تكس على أرجل السنى ماتتات
ورشات زهرسة فوق غصن ورفات من تحتها لنبات
ويثور الشاعر على هذا الواقع الملعج ، ويتعدى ... ولكنه سرعان ما يستسلم للحزن فيرسم لوحة تالفة يغلب عليها اللون الاسود :

وثابتت عادة الصحو في الريف شمالي مأخوذة بيمينى
فالشمس غربت وإذا الأصناف ففر من ساجعات الفصون
فبسمحت الغبار عني وطوخت قلب الوادي بعصر بسم
وتسعتت حالاً اشتداد الصغر في السمع وانفجار الزين
وتسكنت في طريقي وللراعي دوائى تعجب من جنوني
نام ريفي الا تعيب على الوادي ونأي كوخ حزين
أه ما للدموع تنبع في صدري ولجسري إلى حفر مكين

ظهر حديثاً



- في الثقافة والإدب - تأليف عبد الكريم غلاب - تقديم محمد الفاسي عميد الجامعة المغربية - ١٨٢ صفحة - مطبعة الأطلس بالدار البيضاء .
- زائرة نصف الليل - قصة - تأليف عبد الكريم فرحسان - ٢٦٤ صفحة - منشورات دار الكتاب العربي ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة).
- السندباد - من قصص ألف ليلة وليلة - قديري فلعجي - ٢٠٠ صفحة - منشورات دار الكتاب العربي ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد - مطابع دار الفد (٢)
- متى ينتهي الليل - مجموعة قصص - تأليف محمود سيف الدين الأيراني - ١٦٨ صفحة - منشورات دار الكتاب العربي ببيروت - مطابع دار الفد (٢)
- في أدبية الشرق والعروبة - تأليف محمد عبد الفني حسن - ٢٢٨ صفحة - منشورات عالم الكتب بالقاهرة - دار الثقافة العربية للطباعة(١)
- حبيب بلا لقاء - مجموعة قصص - تأليف عبد العزيز محمد عريقات - ١٦٠ صفحة - مطابع دار الفد (٢)
- بيروت - مطابع دار الفد (٢)
- أقاليل - تأليف الكسندر البوت - ترجمة جبرا إبراهيم جبرا - ٢٦٦ صفحة - منشورات دار الكتاب العربي ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة)
- ممارسة التقب وتشغيل السلوح - تأليف فريد ه. كولن وفرانك أ. ستالي - ترجمة الدكتور صلاح الدين محمد المهدي - مراجعة الدكتور كامل إسكندر - تقديم الدكتور محمد محمد حسان - مصمم الفلاف السيد محمود اسماعيل - ٨٦٤ صفحة - حجم كبير - منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة - مطبعة مصر (١)
- فكرة المسرح - تأليف فرانسيس فرغسون - ترجمة وتعليق جلال الشري - تصدير درنة خنية - مصمم الفلاف طاعت المصري - ٢٩٨ صفحة - حجم كبير - منشورات دار النهضة العربية (٢) - المطبعة العالية بالقاهرة .
- حصاد الفكر - تحرير روبرت كازنس - ترجمة الدكاترة سميد علي العريان ، محمد جمال الدين الفندي ، منيرة حلمي ، ورجائي نجيب مغار - مراجعة وتقديم الدكتور زكي نجيب محمود - مصمم الفلاف أحمد محمد منيب - ٢٠٠ صفحة - منشورات مركز كتب الشرق الأوسط بالقاهرة - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- النشاط المدرسي في المرحلة الثانوية - تأليف إدجار جونستن وروولاند فانوس - ترجمة وتقديم الدكتور محمد علي العريان - مراجعة محمد السيد روجه - مصمم الفلاف حنا صبري بطرس - ٢٦٠ صفحة - حجم كبير - منشورات دار الفلاح بالقاهرة - مطابع دار الفلاح بالقاهرة .
- كيف تبني حياتك الزوجية - تأليف إيمان مليس دوفال - ترجمة الدكتور عثمان ليبي فراج - تقديم محمد كامل النحاس - ٧٢ صفحة - حجم صغير - منشورات مؤسسة الغانجي بالقاهرة - مطبعة الاستقلال(١)

ويصيق الشاعر باحزانه ، فيهرب الى كأس سلوة « لا تنزل الإحزان ساحتها » يفرق فيها الآمه ويجلوها عرسا في هالة من المظور والإضاءة والدغدغ غير أوجه أفلح ما رسم في شعر الخمرة العربي :

من رآها تدور في الكاس كالزويق في مقلعة الجريج الصادي
من رآها تهدي من شفة الدن رأى السيل طافيا في الوادي
سهلة صعبة كزوبعة العطر جوح تنورة الانشاد
يسكر الحس ذوقها بفسخو الاسم فيها وغنة الأحاد
ترب العين قبلها عبق السكر فيمضي الخصار في الآحاد
كانها في الدجى قصاصة نور اطلعت من مشارف الإبعاد
من رآها ناسط للسمع حديث الآباء وحديث الأجساد
فهما داره وفي أملي برد عساها نصين في اسعادي
حبة حول حبة تنسحق للحن ساج راضي الهزة هاد

هي خمرة النخام ، أو أبي نواس ، ولكن شاعرنا يجلو لها صورة جديدة ناعق فيها غربة الرشة جصة الفنس ، فلفظ زويعه ججوح ، والحببة حول الوجها لمن نسحق ساج ، ويطلب للشاعر أن يتنقل بين ويجلسو محاسنها كأنها الحياة التي ينشد ، أو قل كأنها الحبيبة التي يحاول نسيانها ، فإذا به يهش الشوق والحب - على غير وعي منه - خلال هذه اللوحة التي تطلع فيها لهفة الشاعر إلى من دالاه عين في اسماده ، وحياة لكن راضي الهزة هاد .. فوصفه للخمرة بتعدي الوصف البصري الحسي إلى نعم عاقل في الكثير من النبض الوجداني والتوق إلى الخلاص .

والشاعر في كافة قصائده حرص على أن يهدد للوحة بجو نفسي وخلفية متكينة تحول دون طغيان القتالية على الآيات وتحفظ لها قدرا من الموضوعية .. فلذا شاء أن يرسم لوحة للشاعر في غربته وعذابه ببداهة فائلا :

أخذتني عيني فأبهرت أطلالا وأسمنت بينها كالفناء
فتلقتني الطبيعة الفاء غربا مزملا .. بؤداء
فخلية اللوحة « أطلال » ، والذي سمىه الشاعر « لم يكن هاد » وأما كان « كالفناء » حرصا منه على أن يوحي بجو التفتيشية ابطاء استمرجيا فلا يسمى الأشياء باسمائها فهد أن تتكشف تلقائيا من خلال جوار الأوجاع ، وفي قصيدة أخرى يرسم الشاعر لوحة رائعة للعرس في الريف ، لعل أهم ما يميزها هو « الخصوصية » في التصوير ، شأن كل عمل فني ناجح ، فلا تكاد ترى فيها تكرارا لصور سابقة ، أو محاكاة لجو قصيدة معينة ، وأما يجعل منها هذا الانطلاق من جزئيات التقاليد الريفية في الزواج ، انطلاقا مبدعا في من الروح والصور الانشعبية ما يفضي عليها طابعاً خاصاً ، فهناك الخيل المجاورة ، والزماير ، ومطر الفتيان ، والحواة .. والخصبة النثر الطفر :

وحكى الريف عن زمراي في الحى وخيل مجسولة بالشئوف
وحكى عن جمال مطرد الفتيان من فوق خيلهم بالسويوف
وأغان تشدى القلوب هوام وصيبا نوافر بالسدوف
وزغاريد أو صدى خصب الأؤلؤ تهر في زجاج شفيف
وحواة فوفى على السباح من عيسل قوي ومن خربل ضعيف
وبينات وصيبة نثر ففسر وراء الكوى ولحنت الرفوف
وفلوس على المياه وردود وتزلزل على رخساب القريب
وحديث هنا برى ههور وعساها هناك غف شريف
عرس أم جنسائة الحب شيعت بقاب يساك ودعم أوف
وهكذا ، تنتقل برشة « شاعر الآلام والامتوان » فتر طاقات الرهافة والخلق ، وتغطى اللوحة أثر اللوحة وتلونها وتظللها وتسكب نفس الشاعر على الطبيعة مبدعة لوحات فنية رائعة لا مثال من جمالاتها أنها تنسحب إلى مدرسة أدبية تخطاها الشعر العربي منذ زمن غير قريب .

عبد الجبار عباس

بغداد